إمداد القاري

بشرح كتاب التفسير من

صحيح البخاري

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري

المدرس بالجامعة الإسلامية سابقاً

مكتبة الفرقان

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م



مكتبة الفرقان

تليفون: ٧٤٤٤٤٣٥ - ٦ . - فاكس: ٧٤٢٤٠٩٤ - ٦ .
ص.ب: ٢٠٢٨٨ - عجمان - إ.ع.م
E-mail Furqan 1 @ emirates. net. a e

فهرس المواضيع

سورة المائدة

سورة يوسف

سورة الحجر

سورة طه

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة الشعراء

سورة النمل

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة

إمداد القاري

بشرح كتاب التفسير من

صحيح البخاري

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري

المدرس بالجامعة الإسلامية سابقاً

الجزء الأول

مكتبة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ با الله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله.

﴿يا أيّها الذين ءامنوا اتقوا الله حقّ تقاته ولا تموتُنّ إلا وأنتم مسلمون﴾.

﴿يا أيّها الناس اتّقوا ربّكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيرا ونساء واتّقوا الله الذي تَساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾.

﴿يا أيّها الذين ءامنوا اتّقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾.

أما بعد فإن أصدق الحديث كلام اللّه وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

فإن السنة تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وتعبر عنه، قاله شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللّه ـ.

قال مقيده: وبها يخصص عمومه ويقيد مطلقه كما أنها قد تنسخ القرآن وينسخها وهذا هو مذهب المحققين من أهل العلم والإئمة كما أن العمل سائغ عندهم ومقبول بما جاءت به السنة وإن لم يكن منصوصاً عليه في القرآن مادامت السنة الواردة بذلك الحكم ثابتة عن النبي ﷺ وما ذلك إلا لأن السنة وحي من اللّه

إلى رسوله ﷺ قال تعالى ﴿**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى**﴾ وعن عبيدالله بن أبي رافع عن أبيه عن النبي ﷺ قال: لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه) أخرجه أبو داود والترمذي.

وأخرج الترمذي عن المقدام بن معدي كرب قال قال رسول الله ﷺ: (ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه وما وجدنا فيه حراماً حرمناه، وإنما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله)

قلت: فكلا الحديثين نص صريح في وجوب العمل بما صح عن النبي ﷺوإن لم يكن منصوصاً عليه في القرآن، ومن الكتب التي عني مصنفوها بتدوين صحيح السنة أصح الكتب بعد كتاب الله وهو **الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه** لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الذي وفقت و لله الحمد بشرح كتاب التفسير منه وسميته إمداد القارئ بشرح كتاب التفسير من صحيح البخاري.

سبب التأليف:

كنت يوماً جالساً في مجموعة من مدرسي المعهد الثانوي في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية فقال الأخ الفاضل الأستاذ خالد بن صالح الرشود مخاطباً إياي لو شرحت كتاب التفسير من صحيح البخاري كما شرح الشيخ عبدالله الغنيمان كتاب التوحيد منه أو كلمة نحوها، فاستحسنت العرض وعزمت على العمل مستعيناً بالله وفي اليوم التاسع والعشرين من رجب من عام خمسة عشر وأربعمائة وألف بدأت الكتابة في الموضوع.

منهج التأليف:

نظرت في كتاب التفسير من صحيح البخاري فوجدت فيه ثلاثة وسبعين باباً وأربعمائة باب وتحتوي على اثنين وتسعين حديثاً وأربعمائة حديث في جانب الكثير من الآثار والكلمات التي شمل بها الشيخ ـ رحمه اللّه جميع سور القرآن الكريم، وقد سلكت في شرحي للكتاب ما يأتي:

أولاً: التمهيد وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: ترجمة مختصرة للإمام البخاري وتتضمن نسبه ومولده وتاريخ وفاته وأمور أخرى منها:

رحلاته في طلبه للعلم.

ذكر بعض شيوخه وتلاميذه.

بيان فضله ومكانته.

المبحث الثاني: في بيان موضوع الصحيح والكشف عن مغزاه فيه.

المبحث الثالث: شرط البخاري في صحيحه.

المبحث الرابع: في المفاضلة بين الصحيحين.

ثانياً: تفسير الآيات التي ترجم عليها أبو عبداللّه تامة وإن اقتصر المصنف رحمه اللّه على بعضها وقد أربطها في الشرح بما قبلها أو بما بعدها أو بكليهما؛ إذا اقتضى الأمر ذلك مضمناً كثيراً الشرح اختلاف أهل التأويل مع الترجيح والاختيار متبعاً ذلك في كثير من الأحيان بما تيسر من فقه الآية.

ثالثاً: كتبت أحاديث الأبواب مسندة **بخط أسود عريض** مع الترجمة المختصرة للرواة معتمداً على التقريب وجعلت ذلك في الحواشي.

رابعاً: جعلت شرحي للأحاديث في شكل مسائل سالكاً في جمع روايات الحديث المختلفة مسلك الحافظ ابن حجر العسقلاني ـ رحمه اللّه ـ لأن ذلك من بيان السنة بالسنة مضمناً شرحي للأحاديث الخلاف في المسائل الفقهية مع ترجيح

ما أراه بالدليل كما ضمنته الجمع والترجيح عند ظهور التعارض بين حديث الباب والأحاديث الأخرى وكثيراً ما أختم شرحي لأحاديث الباب باستنباط ما تيسر من الأحكام وسميته من فقه الحديث أو الأحاديث حسب ما يوجد في الباب وقد اعتمدت في شرحي للآيات والأحاديث على كلام الأئمة فجعلت جله نقلاً عنهم، ومن أولئك الأعلام والإئمة الذين اعتمدت النقل عنهم من المفسرين:

١ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة عشر وثلاثمائة المعروف عند أهل الفن بشيخ المفسرين.

٢ ـ أبو محمدالحسين بن مسعود الفراء البغوي المتوفى سنة ست عشرة وخمسمائة.

٣ ـ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير المتوفى سنة أربع وسبعين وسبعمائة.

٤ ـ أبو عبداللّه محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة إحدى وسبعين وستمائة.

٥ ـ محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى سنة خمس وخمسين ومائتين وألف.

٦ ـ أبو الطيب صديق بن حسن بن خان القنوجي المتوفى سنة سبع وثلاثمائة والف.

٧ ـ أبو عبداللّه عبدالرحمن بن ناصر السعدي المتوفى سنة ست وسبعين وثلاثمائة وألف.

ومن المحدثين:

١ ـ الإمام الحافظ أبوالفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة.

٢ ـ أبو العباس أحمد بن محمد القسطلاني المتوفى سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة.

٣ ـ أبو محمد محمود بن أحمد العيني المتوفى سنة خمس وخمسين وثمانمائة.

٤ ـ أبو زكريا يحيى بن شرف ابن مري الحزامي النـووي المتوفـى سـنة سـت وسبعين وستمائة.

٥ ـ أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي المتوفى سنة سـت وخمسين وستمائة.

٦ ـ أبو عمر يوسف بن عبداللّه بن عبدالبر النمـري الأندلسـي المتوفـى سـنة ثلاث وستين وأربعمائة.

وقد تقصدت النقل عن هؤلاء وغيرهم من الإئمة في مختلف الفنـون وجعلـت جل الشرح من كلامهم لأسباب كثيرة منها:

أولاً: اعترافي الصريـح لأهـل السـابقة مـن علمـاء الإسـلام والإئمـة بـالفضل الجزيل علي يحفزني على ذلك قوله صلى اللّه عليه وسلم: (لا يشـكر اللّـه مـن لا يشكر الناس).

ثانياً: الإسهام في دعوة شباب الإسلام المتطلعين إلى سبل الرشـاد والاسـتقامة والمتحمسين لسبل الإصلاح والصلاح إلى أن ينهلوا من كتب علماء الإسلام الذيـن بنوا فقههم على الكتاب والسنة وتربوا عليهما وأن لا يغتروا ببريق الكتب الفكريـة المعاصرة فإن غالبها مبني على الجهل بحقائق الدين أصولاً وفروعاً.

ثالثاً: الدليل على أن أئمة الإسلام المشهود لهم بالفضل كمن سميناهم خير من يؤخذ عنهـم العلـم وذلـك لعنـايتهم بدواويـن الإسـلام المعنيـة بنقـل الديـن أصـولاً وفروعاً.

خامساً: في الآثار المعلقة والكلمات.

اشتمل هذا السفر العظيم على كثير من الآثار المعلقة والكلمات وقد سـلكت فيها ما يلي:

أ ـ إذا كان في الباب أكثر أثر أو كلمة فإني أعنون هكـذا (**شـرح جملـة مـن الآثار والكلمات**) مع ترقيمها في البـاب وكتابتهـا مميزة عـن الشـرح **بخـط أسـود عريض**.

ب ـ أخرج ما عزاه البخاري إلى قائله مسنداً، مع ذكر من قال به غيره وعزو ما لم يذكر البخاري قائله من غير إسناد غالبا.

ج ـ الاقتصار على من قال بالخبر إذا لم يذكر البخاري قائله.

د ـ ذكر الخلاف في ذلك إن وجد مع ترجيح الراجح لدينا وقد نقتصر علـى ترجيح ابن جرير.

هـ ـ ذكر مناسبة الأثر أو الكلمة للباب ما استطعنا السبيل إلى ذلك.

و ـ ذكر الآية التي أشار إليها المصنف بالأثر أو الكلمة.

سادساً: جعلت للكتاب أربعة فهارس.

أ : فهرس السور والأبواب، ويتضمن بعض الموضوعات الهامة ، وهذا مفرقـاً على الأجزاء .

ب : فهرس الأحاديث التي رواها المصنف في كتاب التفسير.

ج : ثبت المراجع، وهذان في آخر الجزء الرابع .

رابعاً: فهرس السور والأبواب، ويتضمن بعض الموضوعات الهامة وهذا مفرقاً على الأجزاء.

وبعد.. فقد آن الأوان للشروع في المقصود سائلين اللّــه التوفيـق والسـداد في الأقوال والأفعال.

فنقول مستعينين باللّـه:

التمهيد

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: ترجمة مختصرة للإمام البخاري

المبحث الثاني: في بيان موضوع صحيح البخاري والكشف عن مغزاه فيه.

المبحث الثالث: شرط البخاري في صحيحه.

المبحث الرابع: في المفاضلة بين الصحيحين.

المبحث الأول: ترجمة مختصرة للإمام البخاري:

نسبه ومولده:

هو أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة، وقيل بذدزبة، وهي لفظة بخارية، معناها الزراع، الجعفي مولاهم أسلم المغيرة على يد اليمان الجعفي والي بخارى وكان مجوسياً وطلب إسماعيل بن إبراهيم العلم ولد في شوال سنة أربع وتسعين ومائة.

رحلاته وطلبه للعلم:

رحل في سن مبكرة إلى أقطار عدة في طلب العلم وكان أولها إلى مكة سنة عشرومائتين وهو ابن ثمان عشرة سنة ثم كانت رحلاته بعد للأخذ عن الشيوخ إلى بغداد والشام ومصر والمدينة وبلخ.

تصانيفه:

ألف أبو عبدالله كتباً عدة، منها كتابه الصحيح جمعه كما قال هو من ستمائة ألف حديث وقد جاء في سبب تأليفه كما حكاه هو نفسه قال: كنت عند إسحاق بن راهوية فقال بعض أصحابنا لو جمعتم كتاباً مختصراً لسنن النبي فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع هذا الكتاب.

ثانياً: التاريخ الكبير.

ثالثاً: التاريخ الصغير.

رابعاً: جزء في خلق أفعال العباد.

خامساً: جزء في القراءة خلف الإمام.

سادساً: جزء في رفع اليدين.

سابعاً: قضايا الصحابة.

شيوخه:

سمع **ببخارى** قبل أن يرتحل من:

١ ـ مولاه من فوق: عبداللّه بن محمد بن عبداللّه بن جعفر بن اليمان الجعفي المسندي.

٢ ـ محمد بن سلام البيكندي وجماعة.

ثم سمع ببلخ من:

٣ ـ مكي بن إبراهيم وهو من عوالي شيوخه.

وسمع بمرو:

٤ ـ عبدان بن عثمان.

٥ ـ وعلي بن الحسن بن شقيق.

٦ ـ صدقة بن الفضل وجماعة.

وبنيسابور:

٧ ـ يحيى بن يحيى وجماعة.

وبالري:

٨ ـ إبراهيم بن موسى.

وببغداد:

إذ قدم العراق في آخر سنة عشر ومائتين من:

٩ ـ محمد بن عيسى بن الطباع.

١٠ ـ وسريج بن النعمان.

١١ ـ محمد بن سابق.

١٢ وعفان.

وبالبصرة:

١٣ ـ أبو عاصم النبيل.

١٤ ـ الأنصاري.

١٥ ـ عبدالرحمن بن حماد الشعيثي صاحب بن عون.

١٦ ـ محمد بن عرعر.

١٧ ـ حجاج بن منهال.

١٨ ـ بدل بن المحبر.

١٩ ـ عبدالله بن رجاء وعدة.

وبالكوفة:

٢٠ ـ عبيدالله بن موسى.

٢١ ـ أبو نعيم.

٢٢ ـ خالد بن مخلد.

٢٣ـ طلق بن غنام.

٢٤ ـ خالد بن يزيد المقرئ ممن قرأ على حمزة.

وبمكة:

٢٥ ـ أبو عبدالرحمن المقرئ.

٢٦ ـ خلاد بن يحيى.

٢٧ ـ حسان بن حسان البصري.

٢٨ ـ أبو الوليد أحمد بن محمد الأزرقي.

٢٩ ـ الحميدي.

وبالمدينة:

٣٠ ـ عبدالعزيز الأويسي.

٣١ ـ أيوب بن سليمان بن بلال.

٣٢ ـ إسماعيل بن أبي أويس.

وبمصر:

٣٣ ـ سعيد بن أبي مريم.

٣٤ ـ أحمد بن إشكاب.

٣٥ ـ عبدالله بن يوسف.

٣٦ ـ أصبغ بن الفرج وعدة.

وبالشام:

٣٧ ـ أبو اليمان الحكم بن نافع.

٣٨ ـ آدم بن أبي إياس.

٣٩ ـ علي بن عياش.

٤٠ ـ بشر بن شعيب.

تلاميذه:

منهم:

١ ـ أبو عيسى الترمذي.

٢ ـ أبو حاتم.

٣ ـ إبراهيم بن إسحاق الحربي.

٤ ـ أبو بكر بن أبي الدنيا.

٥ ـ أبو بكر بن أحمد بن عمرو بن أبي عاصم.

٦ ـ صالح بن محمد جزرة.

٧ ـ محمد بن عبدالله الحضرمي مطين.

٨ ـ إبراهيم بن معقل النسفي.

٩ ـ عبدالله بن ناجية.

١٠ ـ أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة.

١١ ـ عمر بن محمد بن بجير.

١٢ ـ أبو قريش محمد بن جمعة.

١٣ يحيى بن محمد بن صاعد.

١٤ ـ محمد بن يوسف الفربري راوي الصحيح.

١٥ ـ منصور بن محمد مزبزدة.

١٦ ـ أبو بكر بن أبي داود.

١٧ ـ الحسين.

١٨ ـ القاسم أبناء المحامل.

١٩ ـ عبداللّه بن محمد بن الأشقر.

٢٠ ـ محمد بن سليمان بن فارس.

٢١ ـ محمود بن عنبر النسفي في آخرين لا يحصون.

حفظه وسعة علمه وذكائه:

قال رحمه اللّه: «كتبت عن ألف شيخ وأكثر،عن كل واحد منهم عشرة آلاف وأكثر،ما عندي حديث إلا أذكر إسناده» .

وقدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الإسناد لهذا،وإسناد هذا المتن لهذاودفعوا إلى كل واحد عشرة أحاديث ليلقوها على البخاري في المجلس فاجتمع الناس وانتدب أحدهم فسأل البخاري عن حديث من عشرته فقال لا أعرفه وسأله عن آخر فقال: لا أعرفه. وكذلك حتى فرغ من عشرته، فكان الفقهاء يلتفت بعضهم إلى بعض. ويقولون: الرجل فهم. ومن كان لا يدري قضى على البخاري بالعجز. ثم انتدب آخر ففعل كما فعل الأول والبخاري يقول: لا أعرفه. ثم الثالث وإلى تمام العشرة أنفس وهو لا يزيدهم على لا أعرف. فلما علم أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال: أما حديثك الأول فكذا والثاني كذا والثالث كذا إلى العشرة

فرد كل متن إلى إسناده وفعل بالآخرين مثل ذلك فأقر له الناس بالحفظ. فكان ابن صاعد إذا ذكره يقول: الكبش النطاح.

ذكر وفاته:

كانت وفاته ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين وقد بلغ من العمر نحو ثنتين وستين سنة.

قال محمد بن أبي حاتم: «سمعت أبا منصور غالب بن جبريل وهو الذي نزل عليه أبو عبداللّه يقول إنه أقام عندنا أياماً فمرض واشتد به المرض حتى وجه رسول إلى سمرقند في إخراج محمد فلما وافى تهيأ للركوب فلبس خفيه وتعمم فلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها وأنا آخذ بعضده ورجل آخذ معي نقوده إلى الدابة ليركبها فقال رحمه اللّه: أرسلوني فقد ضعفت فدعا بدعوات ثم اضطجع فقضى رحمه اللّه فسال منه العرق شيء لا يوصف فما سكن منه العرق إلى أن أدرجناه في ثيابه فكان مما قاله لنا: وأوصى إلينا أن كفنوني في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة ففعلنا ذلك» .

مكانته بين الأئمة:

كفى بأبي عبداللّه دليلاً على علو مكانته بين الأئمة وجليل قدره أن يثني عليه من أهل الإمامة والفضل خلق كثيرون، يضيق المقام عن تدوين عباراتهم وإليك على سبيل المثال لا الحصر بعض أولئك الأئمة مع عباراتهم في الثناء على أبي عبداللّه:

أولاً: قال ابو جعفر محمد بن أبي حاتم: «سمعت بعض أصحابي يقول: كنت عند محمد بن سلام فدخل عليه محمد بن إسماعيل فلما خرج قال محمد بن سلام، كلما دخل علي هذا الصبي تحيرت وألبس علي أمر الحديث وغيره ولا أزال خائفاً مالم يخرج» .

ثانياً: قال أبو إسحاق: «من أراد أن ينظر إلى فقيه بحقه وصدقه فلينظر إلى محمد بن إسماعيل» .

ثالثاً: قال يحيى بن جعفر: «لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل من عمري لفعلت فإن موتي يكون موت رجل واحد وموته ذهاب العلم» .

رابعاً: قال نعيم بن حماد محمد بن إسماعيل: «فقيه هذه الأمة» .

خامساً: قال مسدد: «لا تختاروا على محمد بن إسماعيل يا أهل خراسان» .

سادساً: قال أحمد بن عبدالسلام: «ذكرنا قول البخاري لعلي بن المديني ـ يعني ـ ما استصغرت نفسي إلا بين يدي علي بن المديني : فقال علي: دعوا هذا. فإن محمد بن إسماعيل: لم ير مثل نفسه» .

سابعاً: قال إسحاق بن راهوية: «أكتبوا عن هذا الشاب فلو كان في وقت الحسن لاحتاج الناس لمعرفته بالحديث وفقهه» .

ثامناً: عن عبدالله بن أحمد بن حنبل، سمعت أبي يقول «ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل» .

تاسعاً ـ محمد بن بشار: «ما قدم علينا مثل محمد بن إسماعيل» .

عاشراً: قال أيضاً حفاظ الدنيا أربع: «أبو زرعة بالري والدارمي بسمرقند ومحمد بن إسماعيل ببخارى ومسلم بنيسابور» .

المبحث الثاني: بيان موضوع صحيح البخاري والكشف عن مغزاه فيه :

تقرر أنه التزم فيه الصحة وأنه لا يورد فيه إلا حديثاً صحيحاً هذا أصل موضوعه، وهو مستفاد من تسميته إياه الجامع الصحيح المسند من حديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وسننه وأيامه.

ومما نقلناه عنه من رواية الأئمة عنه صريحاً، ثم رأى أن لا يخليه من الفوائد الفقهية والنكت الحكمية فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثير فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها واعتنى فيه بآيات الأحكام فانتزع منها الدلالات البديعة وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السبل الوسيعة.

قال الشيخ محي الدين نفع اللّه به: «ليس مقصود البخاري الاقتصار على الأحاديث فقط، بل مراده الاستنباط منها والاستدلال لأبواب أرادها ولهذا المعنى أخلى كثيراً من الأبواب عن إسناد الحديث واقتصر فيه على قوله: فيه فلان عن النبي صلى اللّه عليه وسلم أو نحو ذلك وقد يذكر المتن من غير إسناد وقد يورده معلقاً وإنما يفعل هذا لأنه أرادالاحتجاج للمسألةالتي ترجم لها وأشار إلى الحديث بكونه معلوماً وقد يكون مما تقدم وربما تقدم قريباً ويقع في كثير من أبوابه الأحاديث الكثيرة وفي بعضها ما فيه حديث واحد وفي بعضها ما فيه آية من كتاب اللّه وفي بعضها لا شئ فيه البتة، وقد ادعى بعضهم أنه صنع ذلك عمداً وغرضه أن يبين أنه لم يثبت عنده حديث بشرطه في المعنى الذي ترجم عليه ومن ثمت وقع من بعض من نسخ الكتاب ضم باب لم يذكر فيه حديث إلى حديث لم يذكر في باب، فأشكل فهمه علىالناظر فيه وقد أوضح السبب في ذلك الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المستملي قال: انتسخت كتاب البخاري من أصله الذي كان عند صاحبه محمد بن يوسف الفربري فرأيت فيه أشياء لم تتم مبيضة منها تراجم لم يثبت بعدها شيئاً ومنها أحاديث لم يترجم لها فأضفنا بعض ذلك إلى بعض» .

قال أبو الوليد الباجي: «ومما يدل على صحة هذا القول أن رواية أبي إسحاق المستملي ورواية أبي محمد السرخسي ورواية أبي الهيثم الكشميهني ورواية أبي زيد المروزي مختلفة بالتقديم والتأخير مع أنهم انتسخوا من أصل واحد.

وإنما ذلك بحسب ما قدر كل واحد منهم فيما كان في طرة أو رقعة مضافة أنه من موضع ما فأضافه إليه، ويبين ذلك أنك تجد ترجمتين وأكثر من ذلك متصلة ليس بينها أحاديث. قال الباجي: وإنما أوردت هذا هنا لما عنى به أهل بلدنا من طلب معنى يجمع بين الترجمة والحديث الذي يليها وتكلفهم من ذلك من تعسف التأويل مالا يسوغ» اهـ.

قال الحافظ: «وهذه قاعدة حسنة يفزع إليها حيث يتعسر وجه الجمع بين الترجمة والحديث وهي مواضع قليلة جداً... إلى أن قال: ثم ظهر لي أن البخاري مع ذلك فيما يورده من تراجم الأبواب على أطوار إن وجد حديثاً يناسب ذلك الباب ولو على وجه خفي ووافق شرطه أورده فيه بالصيغة التي جعلها مصطلحة لموضوع كتابه وهي حدثنا وما قام مقام ذلك، والعنعنة بشرطها عنده وإن لم يجد فيه إلا حديثاً لا يوافق شرطه مع صلاحيته للحجة كتبه في الباب مغايراً للصيغة التي يسوق بها ما هو من شرطه ومن ثمت أورد التعاليق» .

المبحث الثالث: شرط البخاري في صحيحه:

أن يخرج الحديث المتفق على ثقة نقلته إلى الصحابي المشهور من غير اختلاف بين الثقات الأثبات ويكون إسناده متصلاً غير مقطوع وإن كان للصحابي راويان فصاعداً فحسن، وإن لم يكن إلا راو واحد وصح الطريق إليه كفى.

وما ادعاه الحاكم أبوعبداللّه أن شرط البخاري ومسلم أن يكون للصحابي راويان فصاعداً ثم يكون للتابعي المشهور راويان ثقتان إلى آخر كلامه فمنتقض عليه بأنهما أخرجا أحاديث جماعة من الصحابة ليس لهم إلا راو واحد.

وقال أبو بكر الحازمي: «إن شرط الصحيح أن يكون إسناده متصلاً، وأن يكون راويه مسلماً صادقاً غير مدلس ولا مختلط متصفاً بصفات العدالة ضابطاً متحفظاً سليم الذهن قليل الوهن سليم الاعتقاد، قال: ومذهب من يخرج الصحيح أن يعتبر حال الراوي العدل في مشايخه العدول، فبعضهم حديثه صحيح ثابت وبعضهم حديثه مدخول، قال: وهذا باب فيه غموض وطريق إيضاحه معرفة طبقات الرواة عن راوي الأصل ومراتب مداركهم، فلنوضح ذلك بمثال وهو: أن تعلم أن أصحاب الزهري مثلاً على خمس طبقات ولكل طبقة منها مزية على التي تليها، فالطبقة الأولى جمعت بين الحفظ والاتقان وبين طول الملازمة حتى كان فيهم من يزامله في السفر ويلازمه في الحضر، فهذه هي الغاية وهي مقصد البخاري» .

المبحث الرابع: المفاضلة بين الصحيحين:

عند التأمل يظهر أن كتاب البخاري أتقن رجالاً وأشد اتصالاً، وبيان ذلك من أوجه:

أحدها: أن الذين انفرد البخاري بالإخراج لهم دون مسلم أربعمائة وبضع وثلاثون رجلاً المتكلم فيه بالضعف منهم ثمانون رجلاً، والذين انفرد مسلم بالاخراج لهم دون البخاري ستمائة وعشرون رجلاً، المتكلم فيه بالضعف منهم مائة وستون رجلاً، ولا شك أن التخريج عمن لم يتكلم فيه أصلاً أولى من التخريج عمن تكلم فيه وإن لم يكن ذلك الكلام قادحاً.

ثانيها: أن الذين انفرد بهم البخاري ممن تكلم فيه لم يكثر من تخريج أحاديثهم وليس لواحد منهم نسخة كبيرة أخرجها كلها أو أكثرها خلا ترجمة عكرمة عن ابن عباس بخلاف مسلم فإنه أخرج أكثر تلك النسخ: كأبي الزبير عن جابر، وسهيل عن أبيه، والعلاء بن عبدالرحمن عن أبيه، وحماد بن سلمة عن ثابت وغير ذلك.

ثالثها: أن الذين انفرد بهم البخاري ممن تكلم فيه أكثرهم من شيوخه الذين لقيهم وجالسهم وعرف أحوالهم واطلع على أحاديثهم وميز جيدها من موهومها، بخلاف مسلم فإن أكثر من تفرد بتخريج حديثه ممن تكلم فيه ممن تقدم عن عصره من التابعين ومن بعدهم، ولا شك أن المحدث أعرف بحديث شيوخه ممن تقدم منهم.

رابعها: أن البخاري يخرج من أحاديث أهل الطبقة الثانية انتقاء، ومسلم يخرجها أصولاً، فهذه الأوجه الأربعة تتعلق بإتقان الرواة.

وبقي ما يتعلق بالاتصال، وهو الوجه الخامس وذلك أن مسلماً كان مذهبه على ما صرح به في مقدمة صحيحه وبالغ في الرد على من خالفه أن الإسناد المعنعن له حكم الاتصال إذا تعاصر المعنعن ومن عنعن عنه، وإن لم يثبت اجتماعهما إلا إن

كان المعنعن مدلسا، والبخاري لا يحمل ذلك على الاتصال حتى يثبت اجتماعهما ولو مرة، وقد أظهر البخاري هذا المذهب في تاريخه وجرى عليه في صحيحه وأكثر منه حتى أنه ربما خرج الحديث الذي لا تعلق له بالباب جملة إلا ليبين سماع راو من شيخه لكونه قد أخرج له قبل ذلك شيئاً معنعناً،

وأما ما يتعلق بعدم العلة وهو الوجه السادس فإن الأحاديث التي انتقدت عليهما بلغت مائتي حديث وعشرة أحاديث، اختص البخاري منها بأقل من ثمانين وباقي ذلك يختص بمسلم، ولا شك أن ما قل الانتقاد فيه أرجح مما كثر.

انتهى مع المبحث قبله من هدي الساري بشئ من الاختصار والتصرف.

[كتاب التفسير]

ش/ كتاب: مصدر كتب يكتب كتاباً وكتابةً وكتباً، ومدار المادة على الجمع، ومنه تكتّب بنو فلان إذا اجتمعوا، والكتيبة لجماعة الخيل، والكتابة بالقلم لاجتماع الكلمات والحروف، وسمي الكتاب كتاباً لجمعه ما وضع له.

والتفسير: الفسر إظهار المعنى المعقول، ومنه قيل لما ينبيء عنه البول تفسيره وسمي بها قارورة الماء والتفسير في المبالغة كالفسر والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها وفيما يختص بالتأويل ولهذا يقال تفسير الرؤيا وتأويلها قال: ﴿**وأحسن تفسيراً**﴾[1].

قلت:هذا في اللغة، وأما في الاصطلاح: فكما قال الزركشي[2] التفسير: علمٌ يعرف به فهم كتاب اللّه المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

وروي عن ابن عباس قال: التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامهم، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه أحد إلا اللّه [3].

---

(١) المفردات في غريب القرآن، مادة (فسر).
(٢) البرهان في علوم القرآن: (١٣/١).
(٣) تفسير ابن كثير: (٧/١).

[بسم اللّه الرحمن الرحيم]

ش/ اختلف العلماء في البسملة هل هي آية من كل سورة افتتحت بها أو هي آية مستقلة؟ أنزلت للفصل بها بين السور وللتبرك بالابتداء بها وهذا هو الصحيح، واتفقوا على أنها جزء من آية من سورة النمل، وعلى تركها في أول سورة براءة لأنها جعلت هي والأنفال كسورة واحدة، والباء في بسم للاستعانة وهي متعلقة بمحذوف قدره بعضهم فعلاً وقدره بعضهم اسماً والقولان متقاربان وكل ورد في القرآن قال تعالى: ﴿**اقرأ باسم ربك**﴾ وقال: ﴿**بسم اللّه مجريها**﴾ ويحسن جعل المقدر متأخراً لأن الاسم أحق بالتقديم، ولأن تقديم الجار والمجرور يفيد اختصاص الاسم الكريم بكونه متبركاً به، والاسم هو اللفظ الموضوع للدلالة على مسمى تعييناً له أو تمييزاً، واختلف في أصل اشتقاقه فقيل إنه من السِمة بمعنى العلامة وقيل من السمو وهو المختار، وهمزته همزة وصل، وليس الاسم نفس المسمى كما زعم بعضهم فإن الاسم هو اللفظ الدال، والمسمى هو المدلول عليه بذلك الاسم.

واسم الجلالة: مشتق من وُلِه يُأله وُلْهة بمعنى عُبد يُعبد عبادةً ومعناه كما قال ابن عباس: ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

والرحمن الرحيم: اسمان كريمان من أسمائه الحسنى، دالان على اتصافه تعالى بصفة الرحمة وهي صفة حقيقية له سبحانه لائقة به ولا يجوز القول بأن المراد بها لازمها كإرادة الإحسان ونحوه كما يزعم المعطلة. واختلف في الجمع بينهما فقيل المراد بالرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء في الدنيا لأن صيغة فعلان تدل على الامتلاء والكثرة، والرحيم الذي يختص برحمته المؤمنين في الآخرة وقيل العكس، وقد ذهب العلاّمة ابن القيم -رحمه اللّه- إلى أن الرحمن دال على الصفة القائمة بالذات والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم ولهذا لم يجيء اسم الرحمن متعدياً في القرآن قال تعالى: ﴿**وكان بالمؤمنين رحيماً**﴾ ولم يقل رحماناً، وهذا أحسن ما

قيل في الفرق بينهما.

[الرحمن الرحيم: اسمان من الرحمة، الرحيم والراحم بمعنى واحد كالعليم والعالم]

ش/ قال نحوه أبو عبيدة، ولفظه: الرحمن مجازه ذو الرحمة، والرحيم مجازه الراحم، وقد يقدرون اللفظين من لفظ واحد والمعنى واحد.

١ - [باب ما جاء في فاتحة الكتاب]

ش/ الباب **لغة:** المدخل إلى الشيء والطريق الموصل إليه.

واصطلاحاً: اسم لجملة من العلم تحته فصول ومسائل غالباً، وليس مرادهم الباب في كذا الحصر، بل المقصود بالذات والمعظم، فلو ذكروا غيره نادراً أو بالتبعية أو استطراداً لم يضر، ومعنى الفاتحة في الأصل أول ما من شأنه أن يفتتح به ثم أطلقت على أول كل شيء كالكلام والتاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية، فسميت هذه السورة فاتحة الكتاب لكونه افتتح بها إذ هي أول ما يكتبه الكاتب من المصحف وأول ما يتلوه التالي من الكتاب العزيز وإلم تكن أول ما نزل من القرآن، وقد اشتهرت هذه السورة الشريفة في أيام النبوة وقول الشيخ ما جاء...الخ أي من الفضل أو من التقييد أو أعم من ذلك.

شرح جملة من الآثار والكلمات :

١ – [وسميت أم الكتاب أنه يبدأ بكتابتها في المصاحف، ويبدأ بقراءتها في الصلاة]

ش/ هو قول أبي عبيدة، ذكره في أول كتابه [(١)].

قلت:وأسماؤها كثيرة؛ منها سورة الكنز، والواقية، وسورة الحمد، وسورة الصلاة، والسبع المثاني، وهي مكية وعدد آياتها سبع مع البسملة.

وحديث الباب ظاهر في تسميتها بأم الكتاب وفضلها.

---

(١) مجاز القرآن: (١/ ٢٠).

٢ - [والدِّين الجزاء في الخير والشر كما تَدين تُدان]

ش / قاله أبو عبيدة وزاد: وقال ابن نفيل:

واعلم وأيقن أن ملكك زائل واعلم بأن كما تدين تدان

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: يوم حساب الخلائق هو يوم القيامة، وأخرج في المعنى عن قتادة وابن جريج [١].

٣ - [وقال مجاهد: بالدِّين بالحساب]

ش / أخرجه ابن جرير قال حدثني محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى وحدثني الحارث قال حدثنا الحسن قال حدثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره [٢].

والآية المشار إليها هي التاسعة من سورة الانفطار.

٤ - [مدينين محاسبين]

ش / أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله، وأشار به المصنف إلى الآية السادسة والثمانين من سورة الواقعة، وقد ذكر وما قبله ها هنا على سبيل الاستشهاد.

[حدثنا مسدد [٣] ثنا يحيى [٤] عن شعبة [٥] قال حدثني خبيب ابن

---

(١) جامع البيان: (١/٦٨).

(٢) المصدر السابق: (١٥/٨٨).

(٣) هو أبو الحسن مسدد بن مسرهد بن مسربل بن مستورد الأسدي البصري ثقة حافظ، يقال إنه أول من صنف المسند بالبصرة، من العاشرة، مات سنة ثمان وعشرين ومئتين (خ،د،س،ت).

(٤) هو أبو سعيد يحيى بن سعيد بن فروخ التميمي القطان البصري، ثقة متقن، حافظ إمام قدوة من كبار التاسعة، مات سنة ثمان وتسعين ومائة، وله ثمان وسبعون سنة(ع).

(٥) أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي مولاهم الواسطي ثم البصري ثقة حافظ متقن أمير المؤمنين في الحديث كان عابدا، من السابعة، مات سنة ستين ومائة(ع).

عبدالرحمن[١] عن حفص بن عاصم[٢] عن أبي سعيد بن المعلا[٣] قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول اللّه ﷺ فلم أجبه فقلت يارسول اللّه إني كنت أصلي، فقال: ألم يقل اللّه: ﴿استجيبوا للّه وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ ثم قال لي: لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن قال: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته]

ش / قال ابن كثير في تفسيره [٤] قال الإمام أحمد بن محمد بن حنبل في مسنده حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة قال حدثني خبيب بن عبدالرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد بن المعلا ﷺ فذكره وقال: وهكذا رواه البخاري عن مسدد وعلي بن المديني كلاهما عن يحيى بن سعيد القطان به ورواه في موضع آخر من التفسير وأبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عن شعبة به... وقد وقع في الموطأ للإمام مالك بن أنس -رحمه اللّه- ما ينبغي التنبيه عليه فإنه رواه مالك عن العلاء بن عبدالرحمن بن يعقوب الحرقي أن أبا سعيد مولى ابن عامر ابن كريز أخبرهم أن رسول اللّه ﷺ نادى أبي بن كعب... وساق حديثه بنحو حديث الباب مختصراً وقال: فأبو سعيد هذا ليس بأبي سعيد بن المعلا كما اعتقده ابن الأثير في جامع الأصول ومن تبعه فإن ابن المعلا صحابي أنصاري وهذا تابعي من موالي خزاعة وذاك الحديث متصل صحيح وهذا ظاهر أنه منقطع إلم يكن سمعه أبو سعيد هذا من أبي بن كعب فإن كان سمعه منه فهو على شرط

(١) أبو الحارث خبيب بن عبدالرحمن بن خبيب بن يساف الأنصاري المدني، ثقة من الرابعة، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة (ع).
(٢) حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العُمري، ثقة من الثالثة (ع).
(٣) أبو سعيد بن المعلا الأنصاري المدني، يقال اسمه رافع بن أوس وقيل الحارث ويقال ابن نفيع صحابي مات سنة ثلاث وسبعين (خ،د،س،ق).
(٤) تفسير ابن كثير: (١/ ١٠).

مسلم والله أعلم.

قلت:أفاد الحديثان مجتمعين فضل سورة الفاتحة وأنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيه النبي ﷺ كما يستفاد منهما تسميتها بالحمد، وقد جاءت الأحاديث مستفيضة صحيحة بفضل هذه السورة وتسميتها بالفاتحة وأم القرآن وغير ذلك، ومن تلك الأحاديث ما رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني والقرآن العظيم فالحديث دليل على صحة مذهب الجمهور بتسمية الفاتحة أم الكتاب، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم عن ربه: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله: حمدني عبدي... الحديث)، وسر التسمية بذلك لأن الفاتحة شرط في صحة الصلاة، وفي الحديث بيان للمراد من قوله تعالى: ﴿**ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم**﴾ قال الراغب في مادة ثنا: والثناء ما يذكر في محامد الناس فيثنّى حالاً فحالاً ذكره يقال: أثني عليه وتثنّى في مشيته نحو تبختر، وسميت سور القرآن مثاني في قوله عز وجل: ﴿**ولقد آتيناك سبعاً من المثاني**﴾ لأنها تثنّى على مرور الأوقات وتكرر فلا تدرس ولا تنقطع دروس سائر الأشياء التي تضمحل وتبطل على مرور الأيام.

قلت:فخصت الفاتحة من بين سائر سور الكتاب العزيز بالتكرير في كل ركعة من الصلاة، فقد أخرج البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب).

ومن الأحكام المستنبطة من الحديث:

أولاً: وجوب طاعة رسول الله ﷺ بفعل ما يأمر به وترك ما ينهى عنه، وأن في هديه فقط حياة القلوب، قال ابن القيم في الفوائد تعليقاً على قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا استجيبوالله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم** ﴾ فتضمنت هذه الآية أمور:

أحدها: أن الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ورسوله، فمن لم تحصل له هذه الإستجابة فلا حياة له وإن كانت له حياة بهيمية مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات، فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله وللرسول ظاهراً وباطناً، فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان، ولهذا كان أكمل الناس حياةً أكملهم استجابة لدعوة الرسول، فإن كل ما دعى إليه ففيه الحياة، فمن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول، إلى أن قال -رحمه اللّه-: والآية تتناول هذا كله، فإن الإسلام والإيمان والقرآن والجهاد تحيي القلوب الحياة الطيبة وكمال الحياة في الجنة والرسول داعٍ إلى الإيمان وإلى الجنة فهو داعٍ إلى الحياة في الدنيا والآخرة. انتهى محل الغرض.

٢ - [باب: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضآلين﴾]

ش / قال القرطبي: المسألة الثانية والثلاثون: ﴿**غير المغضوب عليهم ولا الضآلين**﴾ اختلف في المغضوب عليهم والضالين من هم؟ فالجمهور أن المغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى عن النبي ﷺ في حديث عدي بن حاتم وقصة إسلامه أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده والترمذي في جامعه، ويشهد لهذا التفسير أيضاً قوله سبحانه في اليهود: ﴿**وبآؤا بغضب من اللّه**﴾ وقال: ﴿**وغضب اللّه عليهم**﴾، وقال في النصارى: ﴿**قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل**﴾، وقيل المغضوب عليهم المشركون والضالين المنافقون.

وقيل المغضوب عليهم من أسقط فرض هذه السورة في الصلاة والضالين عن بركة قراءتها حكاه السلمي في حقائقه والماوردي في تفسيره وليس بشيء.

قال مقيده: ويشهد من السنة لصحة قول الجمهور وترجيحه على ما عداه نصوص: منها ما أخرجه الترمذي عن عدي بن حاتم أنه قال: (أتيت رسول اللّه ﷺ وهو جالس في المسجد، فقال القوم: هذا عدي بن حاتم وجئت بغير أمان ولا كتاب فلما دفعت إليه أخذ بيدي وقد كان قال قبل ذلك إني لأرجو أن يجعل اللّه يده في يدي قال: قام فلقيته امرأة وصبي معها فقالا: إن لنا إليك حاجة فقام معهما حتى قضى حاجتهما ثم أخذ بيدي حتى أتى بي داره فألقت له الوليدة وسادة فجلس عليها وجلست بين يديه فحمد اللّه وأثنى عليه ثم قال: ما يفرك أن تقول لا إله إلا اللّه فهل تعلم من إله سوى اللّه؟ قال قلت: لا، قال: ثم تكلم ساعة ثم قال: إنما تفر أن تقول اللّه أكبر وتعلم أن شيئاً أكبر من اللّه قال: قلت: لا، قال: فإن اليهود مغضوب عليهم وإن النصارى ضلّال... الحديث) وقد ذكره الحافظ في الفتح عن غير الترمذي وحسنه.

٢ - [حدثنا عبداللّه بن يوسف(١) أخبرنا مالك(٢) عن سُمي(٣) عن أبي صالح(٤) عن أبي هريرة(٥) ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال: (إذا قال الإمام: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضآلين﴾ فقولوا: آمين، فمن وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه)]

ش / فيه مسألتان:

الأولى: بيان موضع تأمين المأموم وأنه بعد قول الإمام: **﴿غير المغضوب عليهم ولا الضآلين﴾** وذلك معارض في الظاهر بما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال (إذا أمّن الإمام فأمِّنوا) إذ جعل صلى اللّه عليه وسلم تأمين المأموم بعد تأمين إمامه كما يدل له الترتيب بالفاء الواقعة في جواب الشرط، ولهذا اختلف أهل العلم في الجمع بين الحديثين، وعندي أن حديث الباب فيمن لم يمكنه سماع تأمين الإمام، وأما الحديث الثاني فيمن أمكنه سماع تأمينه؛ ولمزيد الاستفادة راجع شرح ابن دقيق العيد لعمدة الأحكام مع

---

(١) أبو محمد عبداللّه بن يوسف التّنيسي بمثناة ونون ثقيلة بعدها تحتانية ثم مهملة الكلامي، أصله من دمشق، ثقة متقن من كبار العاشرة، مات سنة ثمان عشرة ومئتين (خ،د،ت،س).

(٢) أبو عبداللّه مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي المدني إمام دار الهجرة، من السابعة، مات سنة تسع وسبعين ومائة، وكان مولده سنة ثلاث وتسعين (ع).

(٣) هو مولى أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام، ثقة من السادسة، مات سنة ثلاثين ومائة مقتولاً بقديد (ع).

(٤) هو السمّان واسمه ذكوان أبو صالح السمّان الزيات المدني، ثقة ثبت، وكان يجلب الزيت إلى الكوفة، من الثالثة، مات سنة إحدى ومائة (ع).

(٥) هو عبدالرحمن بن صخر، مشهور بكنيته، واختلف في اسمه على أقوال كثيرة أشهرها أنه عبدالرحمن بن صخر، صحابي جليل حافظ مكثر، روى عن النبي ﷺ خمسة آلاف حديث، أسلم سنة سبع، وتوفي بالمدينة سنة سبع وخمسين وقيل غير ذلك وهو ابن ثمان وسبعين سنة (ع).

حاشية العدة: (٢/٢٥٢) حديث ٦٧ في باب الإمامة.

المسألة الثانية: فضيلة التأمين؛ وذلك في قوله: (من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه).

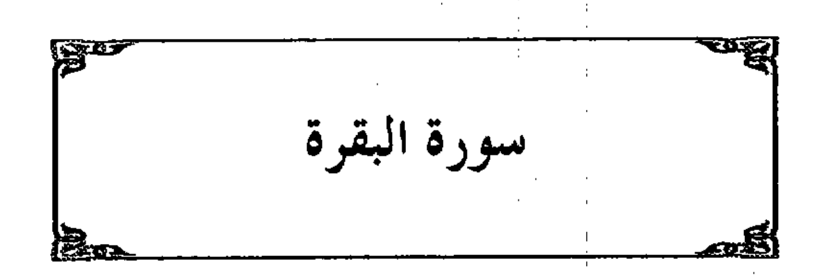
قلت: في ذلك حث للمأموم على التأمين، وأمر له به، حيث إن الوعد على الفعل إحدى صيغ الأمر الفرعية. وهل مغفرة الذنب على إطلاقها كما يظهر من صيغة العموم في الحديث، أو أنها مقيدة؟ فالظاهر -والله أعلم- هو الثاني لقوله تعالى: ﴿**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً**﴾ فقد أفادت الآية أن كبائر الذنوب لابد فيها من الاجتناب، وأن صغائر الذنوب مغفرتها مشروطة باجتناب الكبائر؛ قال ابن كثير في تفسيره: وقوله تعالى: ﴿**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم**﴾ الآية أي إذا اجتنبتم كبار الآثام التي نهيتم عنها كفّرنا عنكم صغائر الذنوب وأدخلناكم الجنة، ولهذا قال: ﴿**وندخلكم مدخلاً كريماً**﴾ اهـ

قلت: ويدل لهذا الباب من السنة ما رواه مسلم عن عثمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ما من امريء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما بينها والصلاة التي تليها وذلك الدهر كله ما لم يأت كبيرة).

تنبيه:

هل يؤمِّن الإمام؟ الجواب: ليس في حديث الباب ذكر لتأمين الإمام ولكن حديث أبي هريرة المتقدم نص صريح في أن الإمام يؤمِّن، ولذا علّق النبي ﷺ تأمين المأموم على تأمينه.

استدراك: قوله (**آمين**) اسم فعل أمر بمعنى استجب



[باب تفسير سورة البقرة]

ش / باب: خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذا، والسورة في **اللغة**: اسم للمنزلة الشريفة، ولذلك سميت السورة من القرآن سورة ومنه قول الشاعر:

ألم تر أن اللّه أعطاك سورة   ترى كل ملك دونها يتذبذب

أي منزلة.

واصطلاحاً: عبارة عن آيات مسرودة لها مبدأ ومختم، وشاهد التسمية قوله تعالى: ﴿**وإذ قال موسى لقومه إن اللّه يأمركم أن تذبحوا بقرة**﴾ الآية.

وأخرج مسلم والترمذي وأحمد عن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال: (لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة) فالحديث نص في تسميتها وبيان فضلها.

قال أهل العلم: وهي أول سورة نزلت بالمدينة إلا قوله تعالى: ﴿**واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى اللّه**﴾ فإنه آخر آية نزلت من السماء.

وآياتها ست وثمانون ومائتا آية.

قال ابن العربي: «سمعت بعض أشياخي يقول: فيها ألف أمر وألف نهي وألف حكم وألف خبر».

قلت: فحق لابن عمر -رضي اللّه عنهما- أن يمكث في تعلمها ثمان سنوات.

٣ - [باب قول اللّه تعالى: ﴿وعلّم آدم الأسماء كلها﴾]

ش/ تمامها: **﴿ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾** وهذه إحدى الآيات في خبر آدم ﷺ، قال ابن كثير: هذا مقام ذكر اللّه تعالى فيه شرف آدم على الملائكة بما اختصه من علم أسماء كل شيء دونهم وهذا كان بعد سجودهم له وإنما قدم هذا الفصل على ذاك لمناسبة ما بين هذا المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخليقة حين سألوا عن ذلك فأخبرهم تعالى بأنه يعلم مالا يعلمون، ولهذا ذكر اللّه هذا المقام عقيب هذا ليبين لهم شرف آدم مما فضل به عليهم في العلم فقال تعالى: **﴿وعلّم آدم الأسماء كلها﴾** قال السدي عمن حدثه عن ابن عباس: **﴿وعلّم آدم الأسماء كلها﴾** قال: علمه أسماء ولده إنساناً إنساناً والدواب فقيل هذا الحمار هذا الجمل هذا الفرس، وقال الضحاك عن ابن عباس: **﴿وعلّم آدم الأسماء كلها﴾** قال: هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس إنسان ودواب وسماء وأرض وسهل وبحر وخيل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها، وروى ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث عاصم بن كليب عن سعيد بن معبد عن ابن عباس: **﴿وعلّم آدم الأسماء كلها﴾** قال: هي هذه قال علمه أسم الصحفة والقدر؟ قال: نعم، حتى الفسوة والفسية، وقال مجاهد **﴿وعلّم آدم الأسماء كلها﴾** قال: علمه اسم كل دابة وكل طير وكل شيء، وكذلك روي عن سعيد بن جبير وقتادة وغيرهم من السلف أنه علمه أسماء كل شيء، وقال الربيع في رواية عنه: أسماء الملائكة، وقال حميد الشامي: أسماء النجوم، وقال عبدالرحمن بن زيد: علمه أسماء ذريته كلهم، واختار ابن جرير أنه علمه أسماء الملائكة وأسماء الذرية لأنه قال: **﴿ثم عرضهم﴾** عبارة عما يعقل، وهذا الذي رجح به ليس بلازم فإنه لا ينفي أن يدخل معه غيره، ويعبر عن الجميع بصيغة من يعقل للثقلين كما قال تعالى: **﴿واللّه خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على**

أربع يخلق اللّـه ما يشاء إن اللّـه على كل شيء قدير﴾[١].

٣ ـ حدثنا مسلم بن إبراهيم[٢] قال حدثنا هشام[٣] قال حدثنا قتادة[٤] عن أنس ـ رضي اللّـه عنه[٥] عن النبي ﷺ، وقال لي خليفة[٦] حدثنا يزيد ابن زريع[٧] حدثنا سعيد[٨] عن قتادة عن أنس ـ رضي اللّـه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: (يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس خلقك اللّـه بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناكم ويذكر ذنبه فيستحي، ائتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه اللّـه إلى أهل الأرض، فيأتونه فيقول: لست هناكم ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحي، فيقول: ائتوا خليل الرحمن، فيأتونه فيقول: لست هناكم، ائتوا

---

(١) تفسير ابن كثير: (١/٧٦).

(٢) هو أبو عمرو مسلم بن إبراهيم الأزدي الفراهيدي البصري، ثقة مأمون، من صغار التاسعة، مات سنة اثنتين وعشرين ومائتين، وهو أكبر شيخ لأبي داود.

(٣) هو أبو بكر هشام بن أبي عبداللّـه سنبر بمهملة ثم نون موحدة وزن جعفر الدستوائي، ثقة ثبت، وقد رُمي بالقدر، من كبار السابعة، مات سنة أربع وخمسين ومائة، وله ثمان وسبعون سنة (ع).

(٤) أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي البصري، ثقة ثبت، يقال: ولد أكمه، وهو رأس الطبقة الرابعة، مات سنة بضع عشر ومائة (ع).

(٥) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، خادم رسول اللّـه ﷺ خدمه عشر سنين، صحابي مشهور، مات سنة اثنتين وقيل ثلاث وتسعين، وقد جاوز المائة (ع).

(٦) أبو عمرو خليفة بن خياط العصفري البصري، لقبه شباب، صدوق ربما أخطأ، وكان أخباريا علامة، من العاشرة، مات سنة أربعين ومئتين (خ).

(٧) أبو معاوية يزيد بن زريع بتقديم الزاي مصغراً البصري، ثقة ثبت، من الثامنة، مات سنة اثنتين وثمانين ومائة (ع).

(٨) أبو النضر سعيد بن أبي عروبة مهران اليشكري مولاهم البصري، ثقة حافظ، له تصانيف لكنه كثير التدليس واختلط، من السادسة، مات سنة ست وقيل سبع وخمسين ومائة (ع).

موسى عبداً كلمه اللّه وأعطاه التوراة، فيأتونه فيقول: لست هناكم ويذكر قتل النفس بغير نفس ، فيستحي من ربه فيقول: ائتوا عيسى عبداللّه ورسوله وكلمة اللّه وروحه فيقول: لست هناكم، ائتوا محمداً ﷺ عبداً غفر اللّه له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتونني فأنطلق حتى أستأذن على ربي فيؤذن لي فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً فيدعني ما شاء اللّه ثم يقال: ارفع رأسك وسل تعطى وقل يسمع واشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ثم أعود إليه فإذا رأيت ربي مثله ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ثم أعود الرابعة فأقول: ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود) قال أبو عبداللّه: إلا من حبسه القرآن يعني قوله تعالى: ﴿خالدين فيها﴾.

ش / في الحديث ست عشرة مسألة:

الأولى: قوله: (**يجتمع المؤمنون**) لا ينافي ما جاء عن أبي هريرة وغيره من قوله ﷺ: (يجمع اللّه الأولين والآخرين) إذ هذا الموقف في الشفاعة في أهل الكبائر وذاك في الشفاعة العامة بفصل القضاء بين الناس.

الثانية: قوله: (**لو استشفعنا إلى ربنا**) أي طلبنا شفيعاً عند اللّه عز وجل، فالاستشفاع هو طلب الشفاعة والمعنى أنهم من شدة ما بهم تمنوا من يشفع لهم عند اللّه في إراحتهم من ذلك الهول.

الثالثة: قوله (**فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس خلقك اللّه بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء**) فيه إظهار شرف أبي البشر صلى اللّه عليه وسلم وما امتن اللّه به عليه من هذه الفضائل الأربع التي اختص بها دون غيره. وهل هو نبي؟ هذا هو القول الحق ويدل له ما رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي أمامة ﷺ (أن رجلاً سأل النبي ﷺ هل كان آدم نبياً؟ قال: نعم، قال: كم بينه وبين نوح؟ قال عشرة قرون).

الرابعة: قوله: (**لست هناكم**) قال الحافظ (١١/٤٣٣): «قال عياض قوله: (لست هناكم) كناية عن أن منزلته دون المنزلة المطلوبة قاله تواضعاً وإكباراً، قال: وقد يكون فيه إشارة إلى أن هذا المقام ليس لي بل لغيري، **قلت** وقد وقع في رواية معبد ابن هلال: (فيقول: لست لها) وكذا في بقية المواضع، وفي رواية حذيفة: (لست بصاحب ذاك) وهو يؤيد الإشارة المذكورة» اهـ

الخامسة: قوله: (**فيذكر ذنبه فيستحي**) **قلت**: وذاك الذنب بيانه في قوله تعالى ﴿**وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه**﴾ الآية.

السادسة: قوله: (**ائتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه اللّه إلى أهل الأرض**) فيه إثبات نبوة نوح عليه الصلاة والسلام وأنه أول الرسل، ولا يعارض ذلك نبوة آدم ﷺ فإنه نبي في ذريته ونوح إلى أهل الأرض من بعده فإنه بعد غشيان الطوفان ليس في الأرض أحد غيره وأتباعه، ويدل لأولية نوح في الرسالة قوله تعالى: ﴿**إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده**﴾ الآية، ووجه الدلالة منها إخباره تعالى نبيه ﷺ أنه أوحى إليه كما أوحى إلى نوح والنبيين من بعده.

السابعة: قوله: (**فيذكر سؤاله ربه**...الخ).

قلت: يعني قوله تعالى: ﴿**ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عملٌ غير صالح فلا تسألنِ ما ليس لك به علمٌ إنّي أعظك أن تكون من الجاهلين قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علمٌ وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين**﴾.

الثامنة: قوله: (**ائتوا خليل الرحمن**... الخ) فيه شرف إبراهيم ﷺ وما منّ

اللّـه به عليه من الخلة وهي نهاية المحبة، قال اللّـه تعالى: ﴿**ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ اللّـه إبراهيم خليلاً**﴾ وفي الصحيح قال ﷺ: (إن اللّـه اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً) **قلت:** وهذا الحديث يفيد مع الآية اختصاص إبراهيم ﷺ عند اللّـه بالخلة وأنه لم يشاركه في ذلك سوى محمد ﷺ وذلك ما لا نعلم غيره.

التاسعة: قوله: (**فيأتونه فيقول: لست هناكم ائتوا موسى**) لم يذكر هاهنا سبب اعتذار الخليل ﷺ ولكن جاء ذلك فيما رواه المصنف في الأنبياء باب قول اللّـه تعالى: ﴿**واتخذ اللّـه إبراهيم خليلاً**﴾.

عن أبي هريرة رضي اللّـه عنه قال: (لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات ثنتين في ذات اللّـه عز وجل قوله (إني سقيم) وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) وقال: بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له: إن هاهنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها فقال: من هذه؟ قال: أختي... الحديث) وفيه فأتى سارة فقال يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك وإن هذا سألني فأخبرته إنك أختي فلا تكذبيني فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأُخِذ فقال: ادع اللّـه ولا أضرك فدعت اللّـه فأُطلق ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد... الخ).

العاشرة: قوله: (**ائتوا موسى**... الخ) فيه فضيلتان لموسى ﷺ أحداهما: تكليم اللّـه إياه، والثانية: إعطاءه التوراة، وقد دل الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق على هاتين الخصلتين قال اللّـه تعالى: ﴿**ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم اللّـه موسى تكليماً**﴾ وقال في موضع آخر: ﴿**ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه...**﴾ الآية، فقد دلت الآيتان صراحة على حصول كلام اللّـه لموسى وذلك على الحقيقة لأن الكلام يضاف إلى من يقوله ابتداءً ولا يضاف إلى من يقوله مبلغاً ومؤدياً إلا بقرينة، قال تعالى عمّا أنزله

على موسى من الكتاب: ﴿**وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله**﴾ وحديث الباب وما في معناه نص في أن التوراة منزلة على موسى ﷺ.

الحادية عشرة: قوله: (**ويذكر قتل النفس بغير نفس**) **قلت:** يعني بذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿**ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدوٌ مضلٌ مبينٌ**﴾.

الثانية عشرة:قوله (**ائتوا عيسى عبدالله ورسوله وكلمة الله وروح منه**).

قلت: جاءت هذه الخصال الأربع فيما رواه المصنف ومسلم عن عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (من شهد ألا إله إلا الله وأني عبدالله ورسوله وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) وفي الكتاب العزيز: ﴿**إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم**﴾ قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله- في أضواء البيان (١/٢٤٤): «لم يبين هنا هذه الكلمة التي أطلقت على عيسى لأنها هي السبب في وجوده من إطلاق السبب وإرادة مسببه ولكنه بين في موضع آخر أنها لفظة كن وذلك في قوله: ﴿**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون**﴾ وقيل: الكلمة بشارة الملائكة لها بأنها ستلده واختاره ابن جرير، والأول قول الجمهور اهـ

وقال البغوي في تفسيره (١/٣٠٩): «الآية نزلت في وفد نجران وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ مالك تشتم صاحبنا قال: وما أقول؟ قالوا: تقول إنه عبدالله، قال: أجل هو عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول

فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب؟ فأنزل اللَّـه تعالى هذه الآية: ﴿**إن مثل عيسى عند اللّـه**﴾ في كونه خلقه من غير أب كمثل آدم لأنه خلق من غير أب وأم)) اهـ

قلت: وقد جمع اللّـه بعيسى ﷺ في سورة النساء بين ثلاث مناقب منها قوله: ﴿**إنما المسيح عيسىابن مريم رسول اللّـه وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه**﴾

قلت: وفي هذا رد على اليهود الذين فرطوا في المسيح ﷺ وقذفوا أمه بالبهتان، كما أن فيه الرد على النصارى الذين غلوا فيه واتخذوه إلها من دون اللّـه، وإن قال قائل ما القول في الروح ها هنا وفي الحديث؟ قلنا: الجواب ما قاله غير واحد من أهل العلم إن تلك الروح هي النفخة التي نفخها الملك في جيب أم المسيح عليهما السلام فاستقرت في رحمها فولدت عيسى ﷺ.

الثالثة عشرة: قوله: (**لست هناكم**) ليس في الحديث ذكر ذنب المسيح ﷺ لكن أخرج الترمذي في تفسير سورة الإسراء عن أبي سعيد وفيه: (... فيأتوا عيسى فيقول: إني عبدت من دون اللّـه)، وقال الحافظ في الفتح: وفي رواية أحمد والنسائي من حديث ابن عباس: (إني أُتخِذت إلهاً من دون اللّـه)، وفي رواية ثابت عند سعيد بن منصور مثله وزاد: (وإن يغفر لي اليوم حسبي).

قلت: فحديث أبي سعيد من طريق علي بن جدعان وهو ضعيف وما حكاه الحافظ من الروايات شاهد له، واللّـه أعلم.

الرابعة عشرة: قوله: (**ائتوا محمداً ﷺ عبداً غفر اللّـه له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**)

قلت: قد ثبت هذا الفضل وهذه المزية والمنقبة لخاتم الرسل صلى اللّـه عليه وسلم، ففي الكتاب العزيز: ﴿**ليغفر لك اللّـه ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويُتمَّ نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً**﴾ قال الشيخ ابن سعدي -رحمه اللّـه-

في تفسيره (٤٣/٥): ((ورتب اللّه على هذا الفتح عدة أمور فقال: ﴿**ليغفر لك اللّه ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾ وذلك واللّه أعلم بسبب ما حصل بسببه من الطاعات الكثيرة والدخول في الدين بكثرة وبما تحمل صلى اللّه عليه وسلم من تلك الشروط التي لا يصبر عليها إلا أولوا العزم من المرسلين وهذا من أعظم مناقبه وكرامته صلى اللّه عليه وسلم أن غفر اللّه ما تقدم من ذنبه وما تأخر))انتهى.

وفي الصحيح عن عائشة -رضي اللّه عنها- (أن رسول اللّه ﷺ كان يقوم حتى تورمت قدماه فقالت: يا رسول اللّه ألم يكن اللّه غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً) قال أبو صفية: وفي هذه رد قوي قاصم لظهور المفكرين العصريين من الدعاة كما زعموا الذين اتخذوا من هذه الآية وما شاكلها قدحاً في عصمة النبي ﷺ فقد ضلوا وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل وانحرفوا عن جادة الحق وركبوا الهوى وقالوا ما لم يقله أحدٌ قبلهم فيما أعلم.

الخامسة عشرة: قوله (**فيأتوني فأنطلق حتى أستأذن على ربي فيؤذن لي**) فيه دليل على أنه صلى اللّه عليه وسلم شافع مشفع ولكن بعد إذن اللّه فإن الشفاعة هي خالص ملك اللّه عز وجل قال تعالى: ﴿**قل للّه الشفاعة جميعاً**﴾ وقال: ﴿**وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن اللّه لمن يشاء ويرضى**﴾ فقد أفادت الآية الأولى أن الشفاعة ملك الرب جل وعلا، كما أفادت الثانية أنه لا ينالها الملائكة المقربون إلا بشرطين:

أحدها: إذن اللّه للشافع، وثانيها: رضاه عن المشفوع فيه، وهو لا يرضى جل وعلا إلا عن أهل التوحيد، ففي الصحيح (أن أبا هريرة قال: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول اللّه؟ فقال رسول اللّه ﷺ: أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا اللّه خالصاً من قلبه) فإذا كان سيد الخلق لا ينال هذا المقام العظيم إلا بعد

استأذانه على ربه فما بالك بمن دونه من الخلق.

السادسة عشرة: قوله **(ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة)** هذا في أهل الكبائر من أمته صلى اللّه عليه وسلم، وهو دليل على صحة معتقد أهل السنة والجماعة في إخراج عصاة الموحدين بالشفاعة من النار وقد تواتر عنه صلى اللّه عليه وسلم النقل في ذلك وأجمع عليه أهل السنة والجماعة، وخالف في ذلك الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم من المبتدعة فقالوا فيمن مات من أهل الكبائر دون توبة أنه خالد مخلد في النار.

تنبيه :

استدل أهل الزيغ والخرافة بهذا الحديث على جواز الاستغاثة بالأموات من الأنبياء والأولياء قالوا: فالناس استغاثوا بالأنبياء قلنا: هذه حجة داحضة وشبهة فاسدة والجواب عن ذلك من وجهين:

الأول: أنه لم تقع استغاثة في هذا الحديث بميت وإنما وقعت بالأنبياء وهم أحياء في الموقف؛ الثاني: أن الناس استغاثوا بالأنبياء في أمر مقدور لهم عليه وهو طلب الشفاعة لهم عند اللّه عز وجل بالخلاص من هول ذلك الموقف إلا أن أولئك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد أبدوا اعتذارهم وشرف اللّه بها محمداً ﷺ واللّه يختص من يشاء بفضله ورحمته.

٤ - [باب :

ش / شرح جملة من الكلمات والاثار:ـ

١- قال مجاهد: ﴿إلى شياطينهم﴾ أصحابهم من المنافقين والمشركين]

ش/ أخرجه ابن جرير قال حدثني المثنى ابن إبراهيم حدثنا أبو حذيفة عن شبل بن عباد عن عبداللّه بن أبي نجيح عن مجاهد فذكره، وأخرج عن ابن عباس وقتادة والربيع بن أنس وابن جريج نحوه، والآية المشار إليها: ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءُون﴾.

٢-[﴿محيطٌ بالكافرين﴾ اللّه جامعهم]

ش/ أخرجه ابن جرير قال حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فذكره، وأخرج عن ابن عباس قال: يقول اللّه منزل ذلك بهم من النقم، والآية المشار إليها: ﴿فيه ظلماتٌ ورعدٌ وبرقٌ يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت واللّه محيطٌ بالكافرين﴾.

٣-[﴿صبغة﴾ دين]

ش/ أخرجه ابن جرير قال حدثني المثنى قال حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن مجاهد مثله، **قلت:** يعني مثل قول أبي العالية قال: **﴿صبغة اللّه﴾** دين اللّه، والآية المشار إليها: **﴿صبغة اللّه ومن أحسن من اللّه صبغة ونحن له عابدون﴾**.

٤-[﴿على الخاشعين﴾ على المؤمنين حقاً]

ش/ أخرجه ابن جرير قال حدثني محمد بن جعفر قال حدثنا أبو عاصم حدثنا سفيان عن جابر عن مجاهد فذكره، وأخرج عن ابن عباس والضحاك وأبي العالية نحوه، والآية المشار إليها: **﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرةٌ إلا على الخاشعين﴾**.

٥-[قال مجاهد: ﴿بقوةٍ﴾ يعمل بما فيه]

ش/ أخرجه ابن جرير قال حُدثت عن إبراهيم بن بشار قال حدثنا ابن عيينة حدثنا أبو عاصم حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره، وأخرج عن قتادة وأبي العالية والسدي وابن زيد معناه، والآية المشار إليها: ﴿**وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون**﴾.

٦-[وقال أبو العالية: ﴿مرضٌ﴾ شكٌ]

ش/ قال ابن أبي حاتم حدثنا عصام بن رواد بن الجراح العسقلاني حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية فذكره حكاه في التغليق، وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس وقتادة والربيع بن أنس وابن زيد، والآية المشار إليها: ﴿**في قلوبهم مرضٌ فزادهم اللّه مرضاً ولهم عذابٌ أليمٌ بما كانوا يكذبون**﴾.

٧-[﴿وما خلفها﴾ عبرة لمن بقي]

ش/ أخرجه ابن أبي حاتم بإسناد ما قبله كما في التغليق، وأخرجه ابن جرير عن الربيع بن أنس، والآية المشار إليها: ﴿**فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظةً للمتقين**﴾.

٨-[﴿لاشية﴾ لا بياض]

ش/ أخرجه ابن جرير قال حدثني المثنى قال حدثنا آدم حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية فذكره، وأخرج عن قتادة ومجاهد وعطية والسدي والربيع وابن زيد معناه، والآية المشار إليها: ﴿**قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلولٌ تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلّمة لاشية فيها**﴾.

٩-[وقال غيره: ﴿يسومونكم﴾يولونكم]

ش/ قاله أبو عبيدة، وقال ابن جرير وأما تأويل قوله: ﴿**يسومونكم**﴾ فإنه يوردونكم ويذيقونكم ويولونكم يقال منه سامكم خطه ظيم إذا أولاه ذلك

وأذاقه، والآية المشار إليها: ﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب﴾.

١٠- [﴿الوَلاية﴾ مفتوحة مصدر الولاء : الربوبية وإذا كسرت الواو فهي الإمارة]

ش/ قال أبو عبيدة مصدر الولي فإذا كسرت الواو فهو مصدر وليت العمل والأمر تليه، **قلت**: والآية المشار إليها هي الرابعة والأربعون من سورة الكهف، وقد ذكرها البخاري ههنا لتقوية ما قبلها.

١١-[وقال بعضهم: الحبوب التي تؤكل كلها فوم]

ش/ أخرج ابن جرير عن قتادة قال: الفوم الحب الذي يختبز الناس منه، وأخرج عن ابن عباس قال: الفوم الحنطة. والآية المشار إليها: ﴿**وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها**﴾.

١٢-[وقال قتادة: ﴿فباءوا﴾ فانقلبوا]

ش/ وصله عبد بن حميد من طريقه حكاه في الفتح هنا، وأخرجه ابن جرير قال حدثنا بشر بن معاذ حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿**فباءوا بغضب على غضب**﴾ غضب اللّه عليهم بكفرهم بالإنجيل وعيسى، وأخرج المعنى عن ابن عباس ومجاهد وأبي العالية والسدي، والآية المشار إليها: ﴿**فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين**﴾.

١٣-[وقال غيره ﴿يستفتحون﴾ يستنصرون]

ش/ قاله أبو عبيدة، وأخرج ابن جرير من طريق أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال: كانوا يستظهرون يقولون: نحن نعين محمداً عليهم، والآية المشار إليها: ﴿**وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا**﴾.

١٤-[﴿شرَوا﴾ باعوا]

ش/ قاله أبو عبيدة، وزاد وقال ابن مفرغ الحميري:

وشـــــريت برداً ليتني   من بعد برد كنت هامه

أي بعته، والآية المشار إليهـا: ﴿**ولبئـس مـا شـروا بـه أنفسـهم لـو كـانوا يعلمون**﴾.

١٥- [﴿راعنا﴾ من الرعونة إذا أرادوا أن يحمّقوا إنساناً قالوا راعنا]

ش/ قال أبو عبيدة: من راعيت إذا لم تنون ومن نوّن جعلها كلمةً نهوا عنهـا راعيت حافظت وتعاهدت، وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كانوا يقولـون للنبي ﷺ راعنا سمعك وإنما راعنا كقولـك اعطنـا، وأخـرج عـن قتـادة قـال: ﴿**لا تقولوا راعنا**﴾ كانت تقوله اليهود استهزاءً فزجر اللّـه المؤمنين أن يقولوا كقولهـم والحاصل نهي المؤمنين عن استعمال هذه الكلمة لما فيها من سوء الأدب مع النـبي ﷺ، والآية المشار إليها: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا**﴾.

١٦-[﴿لا تجزي﴾ لا تغني]

ش/ قاله أبو عبيدة، والآية المشار إليها: ﴿**واتقوا يوماً لا تجـزي نفـس عـن نفس شيئاً**﴾ الآية الثامنة والأربعون والثالثة والعشرون بعد المائة من السورة.

١٧-[﴿ خُطُوات﴾ من الخطو، والمعنى آثاره]

ش/ قال أبو عبيدة: هي الخطا واحدتها خطوة معناها أثر الشيطان، وأخرج ابـن جريـر عـن ابـن عبـاس قولـه ﴿**خطـوات الشـيطان**﴾ عملـه، وكـلا المعنيين صحيح، والآية المشار إليها: ﴿**يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حـلالاً طيبـاً ولا تتبعوا خطوات الشيطان**﴾.

[١٨- ﴿ابتلى﴾ اختبر]

ش/ قاله أبو عبيدة، والآية المشار إليها: ﴿**وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمـات فأتمهن**﴾.

٥ -[باب قوله تعالى ﴿فلا تجعلوا للّـه أنداداً وأنتم تعلمون﴾]

ش / قلت: الند الشبيه والمثيل والنظير فالآية نهي عن اتخاذ الند مع اللّـه وهو الشريك.

وقوله **﴿وأنتم تعلمون﴾** جملة حالية والخطاب للكفار والمنافقين، فإن قيل كيف وصفهم بالعلم وقد نعتهم بخلاف ذلك حيث قال: **﴿ولكن لا يعلمون﴾** **﴿ولكن لا يشعرون﴾** **﴿وما كانوا مهتدين﴾** **﴿صم بكم عمي﴾** فيقال إن المراد أن جهلهم وعدم شعورهم لا يتناول هذا أي كونهم يعلمون أنه المنعم دون غيره من الأنداد فإنهم كانوا يعلمون هذا ولا ينكرونه كما حكاه اللّـه عنهم في غير آية وقد يقال المراد: أنتم تعلمون وحدانيته بالقوة والإمكان لو تدبرتم ونظرتم. وفيه دليل على وجوب استعمال الحجج وترك التقليد.

٤ ـ حدثنا عثمان بن أبي شيبة[١] حدثنا جرير[٢] عن منصور[٣] عن أبي وائل[٤] عن عمرو بن شرحبيل[٥] عن عبداللّـه[٦] قال: سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظم عنداللّـه؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك. قلت: إن ذلك

---

(١) أبو الحسن عثمان بن محمد بن إبراهيم العبسي الكوفي ثقة حافظ من العاشرة مات سنة تسع وثلاثين ومئتين (خ،م،د،س،ق).

(٢) جرير بن عبدالحميد الضبي الكوفي ثقة صحيح الكتاب مات سنة ثمان وثمانون ومائة وكان مولده سبع ومائة (ع).

(٣) أبو عتاب منصور بن المعتمر بن عبداللّـه السلمي الكوفي ثقة ثبت من طبقة الأعمش مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة (ع).

(٤) هو شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي ثقة مخضرم مات في خلافة عمر بن عبدالعزيز وله مائة سنة (ع).

(٥) هو أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل الهمداني الكوفي ثقة عابد مخضرم مات سنة ثلاث وستين (خ،م، د،س،ت).

(٦) هو أبو عبدالرحمن عبداللّـه بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي من السابقين الأولين ومن كبار العلماء من الصحابة مناقبه جمة وأمَّره عمر على الكوفة ومات سنة اثنتين وثلاثين أو بعدها في المدينة (ع).

لعظيم، قلت: ثم أي؟. قال: وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك. قلت: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك).

ش / فيه أربع مسائل.

الأولى: قوله (**سألت النبي ﷺ**) فيه فقه ابن مسعود رضي اللّه عنه وحرصه على معرفة أعظم المعاصي كي يكون على حذر منها إذ جل الدين أمر ونهي وهذا شأن أصحاب النبي ﷺ الذين هم الأسوة الحسنة للسلف الصالح فقد روى البخاري ومسلم عن حذيفة رضي اللّه عنه قال: (كان الناس يسألون رسول اللّه ﷺ عن الخير وأسأله عن الشر مخافة أن يدركني... الحديث).

وأخرج الترمذي وصححه عن معاذ رضي اللّه عنه أنه قال لرسول اللّه ﷺ: (دلني على عمل يقربني من الجنة ويبعدني من النار... الحديث).

الثانية: قوله: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك) فيه التصريح بأن الشرك أعظم الذنوب والآثام ولذا بدأ به. وقد دل الكتاب والسنة على خطورة الشرك في صور مختلفة منها حبوط العمل قال تعالى: ﴿**ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين**﴾ ومنها تحريم الجنة على صاحبه قال تعالى: ﴿**وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا اللّه ربي وربكم إنه من يشرك باللّه فقد حرم اللّه عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار**﴾ وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال قال رسول اللّه ﷺ: (اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: ما هن يارسول اللّه؟ قال: الشرك باللّه والسحر... الحديث) ونظير حديث ابن مسعود هذا ما أخرجاه عن أبي بكرة رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى. قال: الإشراك باللّه، وعقوق الوالدين... الحديث) وإن قال قائل: ألا يظهر تعارض بين هذا الحديث وحديث الباب. قلنا: التوفيق بينهما ليس المراد الحصر في كل منهما لأن رسول اللّه ﷺ يتحدث في كل مكان بما يناسبه وقد أعطي جوامع الكلم فكلا

الحديثين وما شابههما نص في أن الشرك أعظم المعاصي.

الثالثة: قوله: (وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك) **قلت** ذلك ما كان يصنعه أهل الجاهلية بأولادهم خشية الفقر كما أخبر اللّه عنهم بقوله: ﴿**قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم**﴾.

قال الحافظ ابن كثير (٢/١٩٥): «وقوله تعالى ﴿**ولا تقتلوا أولادكم من إملاق**﴾ وذلك أنهم كانوا يقتلون أولادهم كما سولت لهم الشياطين ذلك فكانوا يئدون البنات خشية العار وربما قتلوا بعض الذكور خشية الافتقار...إلى أن قال: وقوله تعالى: ﴿**من إملاق**﴾ قال ابن عباس وقتادة والسدي وغيرهم: وهو الفقر أي ولا تقتلوهم خوفاً من فقركم الحاصل وقال في سورة الإسراء: ﴿**ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق**﴾ أي لا تقتلوهم خوفاً من الفقر في الآجل ولهذا قال هناك: ﴿**نحن نرزقهم وإياكم**﴾ فبدأ برزقهم للاهتمام بهم أي لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم فهو على اللّه وأما هنا فلما كان الفقر حاصلاً قال: ﴿**نحن نرزقكم وإياهم**﴾ لأنه الأهم هنا» اهـ.

قلت: وبهذا يظهر علة قوله ﷺ: (أن تقتل ولدك تخافُ أن يطعم معك).

الرابعة: قوله: (**أن تزاني حليلة جارك**) قال الكرماني في شرحه (٢٩/١٨): «والحليلة الزوجة، فإن **قلت** الزنا مطلقاً من الكبائر **قلت**: لا شك أن الشر من حيث يتوقع منه الخير أشد والجار محل الإحسان إليه لا الإساءة.

قال أبو عبدالعزيز: وصاحب هذه الفعلة القبيحة قد أساء وخان الجوار وعرض نفسه لقوله ﷺ: (واللّه لا يؤمن، واللّه لا يؤمن، واللّه لا يؤمن، قالوا من هو يارسول اللّه؟ قال: من لا يأمن جاره بوائقه) والبوائق هي الغوائل والشرور.

٦ـ[باب قوله تعالى: ﴿وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾].

ش / **قلت** في الآية الكريمة تعداد لبعض ما امتن اللّه به على بني إسرائيل من النعم بعد ما دفعه عنهم من النقم والمصائب في أنفسهم وأموالهم.

قال ابن كثير (١/٩٨): «لما ذكر تعالى ما دفعه عنهم من النقم شرع يذكرهم أيضاً بما أسبغ عليهم من النعم فقال: **﴿وظللنا عليكم الغمام﴾** وهو جمع غمامة سمي بذلك لأنه يغم السماء أي يواريها ويسترها وهو السحاب الأبيض ظللوا به ليقيهم حر الشمس... إلى أن قال: **﴿وأنزلنا عليكم المن﴾** اختلفت عبارات المفسرين في المن ما هو؟ فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، كان المن ينزل عليهم على الأشجار فيغدون إليه فيأكلون منه ما شاءوا وقال مجاهد: المن صمغة... إلى أن قال: والظاهر واللّه أعلم أنه كل ما امتن اللّه به عليهم من طعام وشراب وغير ذلك مما ليس له فيه عمل ولا كد، فالمن المشهور إن أكل وحده كان طعاماً وحلاوة وإن مزج مع الماء صار شراباً طيباً، وإن ركب مع غيره صار نوعاً آخر، ولكن ليس هو المراد من الآية وحده» انتهى محل الغرض.

والسلوى: اسم طائر يشبه السماني واحده، وجماعته بلفظ واحد كذلك السماني لفظ جماعها وواحدها سواء قاله ابن جرير وأخرج في المعنى عن ابن عباس وابن مسعود والسدي وقتادة ومجاهد ووهب والربيع بن أنس وآخرين **﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾** أمر إباحة وإرشاد وامتنان وقوله تعالى **﴿وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾** أي أمرناهم بالأكل مما رزقناهم وأن يعبدوا كما قال **﴿كلوا من رزق ربكم واشكروا له﴾** فخالفوا وكفروا فظلموا أنفسهم هذا مع ما شاهدوه من الآيات البينات والمعجزات القاطعات وخوارق

العادات، ومن ههنا نتبين فضيلة أصحاب محمد ﷺ ورضي عنهم على سائر أصحاب الأنبياء في صبرهم وثباتهم وعدم تعنتهم مع ما كانوا معه في أسفاره وغزواته منها عام تبوك في ذلك القيض والحر الشديد والجهد لم يسألوا خرق عادة ولا إيجاد أمر مع أن ذلك كان سهلاً على النبي ﷺ ولكن لما أجهدهم الجوع سألوه في تكثير طعامهم فجمعوا ما معهم فجاء قدر مبرك الشاة فدعا اللّه فيه وأمرهم فملؤا كل وعاء معهم وكذا لما احتاجوا إلى الماء سألوا اللّه تعالى فجاءتهم سحابة فأمطرتهم فشربوا وسقوا الإبل وملؤ أسقيتهم ثم نظروا فإذا هي لم تجاوز العسكر فهذا هو الأكمل في أتباع الشيء مع قدرة اللّه مع متابعة الرسول ﷺ اهـ [(١)].

وقال مجاهد: ((﴿المن﴾ **صمغة** ﴿والسلوى﴾ **الطير**)).

ش / أخرجه ابن جرير قال حدثنا محمد بن عمرو حدثنا أبو عاصم حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

٥ ـ حدثنا أبو نعيم[(٢)] حدثنا سفيان[(٣)] عن عبدالملك[(٤)] عن عمرو بن

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (١/١٠١).

(٢) الفضل بن دكين الكوفي واسم دكين عمرو بن حماد بن زهير التيمي مولاهم الأحول الملائي، ثقة ثبت من التاسعة مات سنة ثمان عشرة ومئتين وكان مولده سنة ثنتين ومائة (ع).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٨/١٦٤) ((ووقع في رواية. ابن عيينة عن عبدالملك بن عمير في حديث الباب من المن الذي أنزل على بني إسرائيل)).

قلت: فلعله سفيان هنا هو ابن عيينة وهو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي الكوفي ثم المكي ثقة حافظ فقيه إمام حجة إلا أنه تغير حفظه بأخرة من رؤوس الطبقة الثامنة مات سنة ثمان وتسعين ومائة وله إحدى وتسعين سنة (ع).

(٤) عبدالملك بن عمير بن سويد اللخمي حليف بني عدي الكوفي ويقال له القرشي نسبة إلى فرس له ثقة فقيه تغير حفظه ربما دلس، مات سنة ست وثلاثين ومائة، من الثالثة (ع).

حريث[1] عن سعيد بن زيد[2] رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: (الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين).

ش/ فيه مسألتان:

الأولى: قوله **(الكمأة من المن)** قال في اللسان مادة كمأ في الجزء (٤٣): «الكمأة واحدها (كمء) غير قياسي وهو من النوادر فإن القياس العكس. والكمء نبات ينقض الأرض فيخرج كما يخرج الفطر والجمع أكمء وكمأة قال ابن سيده: هذا قول أهل اللغة». اهـ

وقال ابن القيم في كتاب الطب من زاد المعاد (٤/٣٦٠): «والكمأة تكون في الأرض من غير أن تزرع وسميت كمأة لا ستتارها ومنه كمأ الشهادة إذا سترها وأخفاها، والكمأة مخفية تحت الأرض لا ورق له ولا ساق ومادتها من جوهر أرضي بخاري محتقن في الأرض نحو سطحها يحتقن ببرد الشتاء وتنميه أمطار الربيع فيتولد ويندفع نحو سطح الأرض متجسداً، ولذلك يقال لها جدري الأرض تشبيها بالجدري في صورته ومادته لأن مادته رطوبة دموية فتندفع عند سن الترعرع في الغالب وفي ابتداء استيلاء الحرارة ونماء القوة وهي ما يوجد في الربيع ويؤكل نيأ ومطبوخاً، وتسمية العرب نبات الرعد لأنها تكثر بكثرته وتنفطر عنها الأرض وهي من أطعمة أهل البوادي وتكثر بأرض العرب وأجودها ما كانت أرضها رملية قليلة الماء » اهـ

الثانية: قوله **(وماؤها شفاء للعين)** قال ابن القيم في المرجع السابق (٣٦٤): «فيه ثلاثة أقوال: **أحدها**: أن ماءها يخلط في الأدوية التي تعالج بها العين لا أنه يستعمل وحده ذكره أبو عبيد.

---

(١) عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبداللّه بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي صحابي صغير مات سنة خمس وثمانين (ع).

(٢) أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي أحد العشرة مات سنة خمسين أو بعدها بسنة أو سنتين (ع).

الثاني: أنه يستعمل بحتاً بعد شييها واستقطار مائها لأن النار تلطفه وتنضجه وتذيب فضلاته ورطوبته المؤذية وتبقى المنافع.

الثالث: أن المراد بمائها الماء الذي يحدث به من المطر وهو أول قطر ينزل إلى الأرض فتكون الإضافة إضافة اقتران لا إضافة جزء ذكره ابن الجوزي وهو أبعد الوجوه وأضعفها، وقيل ان استعمل ماؤها لتبريد ما في العين فماؤها مجرداً شفاء وإن كان لغير ذلك فمركب مع غيره وقال الغافقي: ماء الكمأة أصلح الأدوية للعين إذا عجن به الإ ثمد واكتحل به ويقوي أجفانها ويزيد الروح الباصرة قوةً وحِدّة ويدفع عنها نزول النوازل». انتهى.

قلت: وهذا كله على أن المراد بالعين هي العين التي هي آلة البصر وهو ما يتبادر ظاهراً من لفظ الحديث لكن ذكر الحافظ (١/١٦٤): «أنه وقع في رواية المستملي (وماؤها شفاء من العين) ».

قال مقيده: وعليه فالمراد أن ماء الكمأة شفاء من داء العين وأن العين حق فقد أخرج مالك (٢/٩٣٨) في قصة سهل بن حنيف من رواية ولده أبي أمامة قال: «اغتسل إبي سهل بن حنيف بالخرّار فنزع جبة كانت عليه وعامر بن ربيعه ينظر قال: وكان سهل رجل أبيض حسن الجلد قال: فقال له عامربن ربيعه: ما رأيت كاليوم ولا جلد عذراء قال: فوعك سهل مكانه واشتد وعكه فأتى رسول اللّه ﷺ فأخبره سهل بالذي كان من شأن عامر فقال رسول اللّه ﷺ: (علام يقتل أحدكم أخاه؟ ألا برّكْت،إن العين حقٌ ،توضأ لـه.) فتوضأ لـه عامر فراح سهل مع رسول اللّه ﷺ ليس به بأس.

٧ -[باب ﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين﴾].

[رغداً : واسعاً كثيراً].

ش / قلت: إذا انظم إلى الآية ما بعدها وهي قوله تعالى **﴿فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم... الآية﴾** تحصل عندنا أمران:

أحدهما: أمر اللّه بني إسرائيل بدخول بيت المقدس ساجدين شكراً للّه وخضوعاً له ووعدهم على ذلك بالمغفرة وزيادة الحسنات وذلك في عهد يوشع بن نون ﷺ بعد خروجهم من التيه.

وثانيهما: تبديلهم أمر اللّه بالدخول زحفاً على أدبارهم وتحريفهم كلامه بتغييرهم كلمة حطة كما سيأتي شرح ذلك في حديث الباب.

قوله: **(رغداً واسعاً كثيراً).**

ش / قال أبو عبيدة الرغد الكثير الذي لا يعنّيك من ماء أو عيش أو كلأ أو مال يقال قد أرغد فلان أي أصاب عيشاً واسعاً قال الأعشى:

زبداً بعصر يوم يسعى أهلها   رغداً تفجره النبيط خلالها

٦ ـ حدثني محمد[(١)] حدثنا عبدالرحمن بن مهدي[(٢)] عن ابن المبارك[(٣)] عن

---

(١) قوله (محمد) قال الحافظ: ((لم يقع منسوباً إلا في رواية علي بن السكن عن الفربري فقال: محمد بن سلام، ويحتمل عندي أن يكون محمد بن يحيى الذهلي فإنه يروي عن عبدالرحمن بن مهدي أيضاً وأما أبو علي الجياني فقال الأشبه أنه محمد بن بشار))اهـ.

قال عبيد: فكل أولئك ثقات وهم من شيوخ البخاري.

(٢) هو أبو سعيد عبدالرحمن بن مهدي بن حسان العنبري مولاهم البصري ثقة ثبت حافظ عارف بالرجال والحديث من التاسعة مات سنة ثمان وتسعين ومائة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة (ع).

(٣) عبداللّه بن المبارك المروزي مولى بني حنظلة ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد جمعت فيه خصال الخير من الثامنة مات سنة إحدى وثمانين ومائة وله ثلاث وستون سنة (ع).

معمر[1] عن همام بن منبه[2] عن أبي هريرة رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ قال: (قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة،فدخلوا يزحفون على أستاههم فبدولوا وقالوا: حِطّة حَبّةٌ في شعرة).

ش / فيه مسألتان:

الأولى: مطابقة الترجمة وهي كيفية تبديل بني إسرائيل وهم بنو يعقوب ابن إسحاق ابن إبراهيم الخليل ﷺ ما أمروا به بالقول والفعل فقد ذكر ابن هشام في السيرة (١/٥٣٥) قال ابن إسحاق: «وكان من تبديلهم ذلك كما حدثني صالح بن كيسان عن صالح مولى التوأمة بنت أمية بن خلف عن أبي هريرة ومن لا أتهم أن رسول اللّه ﷺ قال: (دخلوا الباب الذي أمروا أن يدخلوا منه سجداً يزحفون وهم يقولون: حنط في شعير) قال ابن هشام ويروى: حنطة في شعيرة».

وروى الحاكم من طريق السدي عن مرة عن ابن مسعود أنه قال أنهم قالوا: «هطي سمقا» وهي بالعربية: حنطة حمراء قوية فيها شعيرة سوداء.

قال أبو صفية: وحاصل هذه الأخبار الاتفاق على تبديل بني إسرائيل ما أمروا به من القول والفعل استهزاء وعناداً، ولا مانع عندي أنهم قالوا بدل حطة كل ما جاء في تلك الآثار فإنه لا تعارض بينها.

الثانية: في معنى حطة: اختلفت فيها عبارات المفسرين فمنهم من قال حطة: أي احطط عنا خطايانا، وقال بعضهم: مغفرة: أي استغفروا. واللّه أعلم.

---

(١) أبو عروة معمر بن راشد الأزدي مولاهم البصري نزيل اليمن ثقة ثبت فاضل إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيئاً. من كبار السابعة مات سنة أربع وخمسين ومائة وهو ابن ثمان وخمسين سنة (ع).

(٢) هو أبو عتبة همام بن منبه بن كامل الصنعاني أخو وهب، ثقة، من الرابعة مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة على الصحيح (ع).

٨ -[**باب قوله: ﴿من كان عدواً لجبريل﴾**].

ش / تمامها ﴿... **فإنه نزله على قلبك بإذن اللّه مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين**﴾.

والمعنى: قل لهؤلاء اليهود الذين زعموا أن الذي منعهم من الإيمان بك أو وليك جبريل عليه السلام ولو كان غيره من ملائكة اللّه لآمنوا بك وصدقوا إن هذا الزعم منكم تناقض وتهافت وتكبر على اللّه فإن جبريل عليه السلام هو الذي نزل القرآن من عند اللّه على قلبك وهو الذي ينزل على الأنبياء قبلك واللّه هو الذي أمره وأرسله بذلك فهو رسول محض مع أن هذا الكتاب الذي نزل به جبريل مصدقاً لما تقدمه من الكتب غير مخالف لها ولا مناقض وفيه الهداية التامة من أنواع الضلالات والبشارة بخيري الدنيا والآخرة لمن آمن به.

من فقه الآية:

١ ـ وجوب الإيمان بأن القرآن منزل من عنداللّه غير مخلوق.

٢ ـ فضيلة جبريل ﷺ وأنه أمين اللّه على وحيه وسفيره إلى رسله وأن عداوته كفر.

٣ ـ أن الهداية التامة فيما جاء من عنداللّه.

[**قال عكرمة: جبر،وميك وسراف: عبد: إيل: اللّه**].

ش / أخرجه ابن جرير قال حدثنا ابن وكيع حدثنا أبي عن سفيان عن خصيف عن عكرمة قال: جبر: عبدٌ، إيل: اللّه وميكا، قال: عبد، إيل: اللّه.

وأخرج من وجه آخر عن عكرمة قال : جبريل ، اسمه عبد الله ، وميكائيل اسمه عبيدالله، إيل : الله.

قال ابن جرير: «وأما جبريل فإن للعرب فيه لغات فأما أهل الحجاز فإنهم يقولون جبريل وميكال بغير همز بكسر الجيم والراء من جبريل وبالتخفيف، وعلى القراءة بذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة، أما تميم وقيس وبعض نجد

فيقولون جبرائيل وميكائيل على مثال جبراعيل وميكاعيل بفتح الجيم والراء والهمز وزيادة ياء بعد الهمزة، وعلى القراءة بذلك عامة قراء أهل الكوفة » اهـ.

٧ ـ حدثنا عبداللّه بن منير[(١)] سمع عبداللّه بن بكر[(٢)] حدثنا حميد[(٣)] عن أنس قال سمع عبداللّه بن سلام بقدوم رسول اللّه ﷺ وهو في أرض يخترف فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لايعلمهن إلا نبي: فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟.

قال أخبرني بهن جبريل آنفاً. قال جبريل؟ قال نعم. قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية ﴿من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن اللّه﴾ أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد حوت وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة نزعت، قال: أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أنك رسول اللّه يارسول اللّه، إن اليهود قوم بهت وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني فجاءت اليهود فقال النبي ﷺ: أي رجل عبداللّه فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا. قال: أرأيتم إن أسلم عبداللّه بن سلام فقالوا: أعاذه اللّه من ذلك فخرج عبداللّه فقال: أشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه. فقالوا: شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال. فهذا الذي كنت أخاف).

---

(١) أبو عبدالرحمن عبداللّه بن منير المروزي الزاهد ثقة عابد من الحادية عشرة مات سنة إحدى وأربعين ومئتين ويقال بعدها (خ،س،ت).

(٢) أبو وهب عبداللّه بن بكر بن حبيب السهمي الباهلي البصري نزيل بغداد، امتنع عن القضاء، ثقة حافظ، من التاسعة، مات في المحرم سنة ثمان ومئتين (ع).

(٣) أبو عبيدة حميد بن أبي حميد الطويل البصري، اختلف في اسم أبيه على نحو عشرة أقوال، ثقة مدلس من الخامسة، مات سنة اثنتين ويقال ثلاث وأربعين ومائة وهو قائم يصلي وله خمس وسبعون سنة. (ع).

ش / فيه أربع عشرة مسألة:

الأولى: قوله: (**عبداللّـه بن سلام**) هو أبو يوسف عبداللّـه بن سلام بالتخفيف الإسرائيلي حليف بني الخزرج قيل كان اسمه الحصين فسماه النبي ﷺ عبداللّـه مشهور له أحاديث وفضل مات بالمدينة سنة ٤٣ (ع).

الثانية: قوله (**يخترف**) أي يجتني الثمر والمخرف البستان.

الثالثة: قوله (**فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي**) فيه فقه عبداللّـه بن سلام رضي اللّـه عنه وأن المسائل الثلاث قد اختص بها الأنبياء من قبل محمد ﷺ وأنهم متفقون عليها وأنها في التوراة.

الرابعة: قوله: (**فما أول أشراط الساعة**).

قلت: هذه أولى المسائل والجملة بعدها بيان لقوله إني سائلك عن ثلاث.

والأشراط: جمع شرط كما يجمع على شروط وشرائط وأشراط، وأشراط الساعة علامتها وهي على ضربين صغرى وكبرى فمن الأول قوله في الحديث الصحيح (وأن تلد الأمة ربتها) ومن الثاني نزول المسيح عليه السلام وظهور الدجال وخروج الدابة وما أخبر عنه النبي ﷺ في حديث الباب من خروج النار من المشرق.

الخامسة: قوله (**أخبرني بهن جبريل آنفاً**) أي قريباً وفيه دليل على أن النبي ﷺ لا يعلم من أمر الغيب إلا ما علمه اللّـه. قال اللّـه تعالى: ﴿**قل لا أقول لكم عندي خزائن اللّـه ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي**﴾ وقال: ﴿**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً**﴾ وقال ﴿**قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء اللّـه ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون**﴾.

فهذه الآيات قد اتفقت جميعها على أن علم الغيب من اختصاص الرب جل

ثناؤه وأن ما يأتي رسول اللّه ﷺ هو وحي من ربه لا رجماً بالغيب ولا تخرصاً كما قال تعالى ﴿**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى**﴾ وذلك الوحي من طرقه ما ينزل به إليه جبريل ﷺ ونظائر ما سقناه من الآيات في الباب كثير.

السادسة: قوله (**قال: جبريل؟ قال نعم**).

قلت: هذا استفهام إنكاري يحمل الاستغراب والهمزة محذوفة تقديره أجبريل أخبرك بذلك؟ وهو صريح في بيان ما تقرر عند اليهود من عداوة جبريل ﷺ والكفر به دون الملائكة وقد تقدم في الترجمة الكلام على ذلك، وفي قراءة النبي ﷺ الآية على عبداللّه بن سلام تنبيه إلى رد حجة الخصم بالنص إن وجد فإن في ذلك إفحامه.

السابعة: قوله (**أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب**).

قلت: فيه أمران: **أحدهما:** في معنى (أما) فإنها حرف شرط وتفصيل ومعناه مهما يكن من شئ ويؤتى بها في الكلام للنقل من أسلوب إلى آخر وكان رسول اللّه ﷺ يأتي بها في خطبه وكتبه، من ذلك ما رواه مسلم عن جابر رضي اللّه عنه قال: كان رسول اللّه ﷺ يقول في خطبته: (إن الحمد لله نحمده ونستعينه... الحديث) وفيه (أما بعد فإن خير الكلام كلام اللّه... الحديث).

والكلمة ههنا جاءت في أول الشروع في الجواب منه ﷺ، وثاني الأمرين في قوله (أول أشراط الساعة) أخبر ههنا أن تلك النار هي أول أشراط الساعة ويشكل عليه ما رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري قال: اطلع النبي ﷺ ونحن نتذاكر فقال: ما تذاكرون فيه؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها... الحديث).

ووجه الإشكال أن في حديث حذيفة هذا: أول الأشراط (الدخان) وفي

آخره (نار) وأنها تخرج من اليمن بينما في حديث الباب أن أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب.

فالجواب على هذا الإشكال. قال أهل العلم: والجمع بين ما جاء أن هذه النار هي آخر أشراط الساعة الكبرى وما جاء أنها أول أشراط الساعة أن آخريتها باعتبار ما ذكر معها من الآيات الواردة في حديث حذيفة، وأوليتها باعتبار أنها أول الآيات التي لا شئ بعدها من أمور الدنيا أصلاً، بل يقع بانتهاء هذه الآيات النفخ في الصور، بخلاف ما ذكر معها من الآيات الواردة في حديث حذيفة فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا، وأما الثاني: فله أجوبة ثلاثة:

١- إنه يمكن الجمع بين هذه الروايات بأن كون النار تخرج من قعر عدن لا ينافي حشر الناس من المشرق إلى المغرب، وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها والمراد بقوله: (تحشر الناس من المشرق إلى المغرب)إرادة تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب.

٢ - أن النار عندما تنتشر يكون حشرها لأهل المشرق أولاً ويؤيد ذلك أن ابتداء الفتن دائماً من المشرق، وأما جعل الغاية إلى المغرب، فلأن الشام بالنسبة إلى المشرق مغرب.

٣ - يحتمل أن تكون النار المذكورة في حديث أنس كناية عن الفتن المنتشرة التي أثارت الشر العظيم والتهبت كما تلتهب النار وكان ابتداؤها من قبل المشرق حتى خرب معظمه وانحشر الناس من جهة المشرق إلى الشام ومصر وهما من جهة المغرب كما شوهد ذلك مراراً من عهد جنكيز خان ومن بعده، وأما النار التي في حديثي حذيفة بن أسيد وابن عمر فهي نار حقيقية.

قال مقيده: وهذا الأخير عندي بعيد إذ هو صرف للنصوص عن ظاهرها بغير دليل إلى مالا سبيل إليه إلا بخبر المعصوم ﷺ.

تنبيه:

فإن قال قائل أخرج البخاري ومسلم كلاهما عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الأبل ببصرى) فهل هي نار حشر؟ فالجواب: قال النووي متعقباً للقاضي عياض في قوله: «ولعلهما ناران يجتمعان لحشر الناس أو يكون ابتداء خروجها من اليمن ويكون ظهورها وكثرة قوتها بالحجاز ـ هذا كلام القاضي وليس في الحديث أن نار الحجاز متعلقة بالحشر بل هي آية من أشراط الساعة مستقلة وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة وكانت ناراً عظيمة جداً من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة تواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان وأخبرني من حضرها من أهل المدينة...»اهـ[1]

واعلم أن الحشر في حديث الباب ومافي معناه حشر دنيوي ويدل له أمران:

أولهما: تصريح الأحاديث بأنه من أشراط الساعة أي العلامات التي تتقدمها.

ثانيهما: دلالة الكتاب والسنة المتواترة على أن الحشر الأخروي بعد النفخة الثانية في الصور قال تعالى: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء اللّه ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون﴾ وقال ﴿فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر﴾.

وقال: ﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون، قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون، إن كانت إلا

---

(١) شرح النووي (١٨/٢٨).

صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون...﴾.

وأخرج مسلم والمصنف واللفظ له عن أبي حازم ابن دينار عن سهل بن سعد قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (يحشر الناس يوم القيام على أرض بيضاء عفراء كقرصة نقي، قال سهل أو غيره ليس فيها معلم لأحد...).

وأخرج مسلم عن عائشة رضي اللّه عنها سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: (يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً... الحديث) فإذا ضممت هذه الأحاديث وما في معناها إلى الآيات قبلها ونظائرها تبين لك أن هذا الحشر غير ذاك لأنه يوم القيامة وذاك من أشراط الساعة، وهذا هو وجه الدلالة منها واللّه أعلم.

الثامنة: قوله: (**وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد حوت) قلت**: هي القطعة المنفردة المتعلقة بالكبد وهي أطيبها وإن قال أحد: يشكل على هذا ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ قال: (تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة، فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال بلى. قال: تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبي ﷺ: فنظر النبي ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: ألا أخبرك بأدامهم؟ قال: إدامهم بالام ونون، قالوا وما هذا قال: ثور ونون، يأكل من زائدة كبدها سبعون ألف).

ووجه الإشكال أن الطعام المذكور مع أدمه في الحديث نزل أهل الجنة وهو أول طعامهم قلنا: لا تعارض بين الحديثين فمن مجموعهما يظهر لك أن أول ما يطعمه القوم في الجنة من نزلهم وتكرمتهم عند ربهم زيادة كبد الحوت فبودروا بها لأنها أفضله، ثم يتبعها بقية ما أعده لهم ربهم من النزل.

التاسعة: قوله: (**وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء**

المرأة نزعت) في قوله (نزعت) ضمير محذوف هو المفعول والتقدير نزعته.

والمعنى: أن أي المائين ورد على الرحم قبل الآخر كان الشبه لصاحبه.

فقد أخرج الشيخان واللفظ لمسلم عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة قالت: جاءت أم سليم إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول اللّه إن اللّه لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ فقال رسول اللّه ﷺ: نعم إذا رأت الماء، فقالت أم سلمة: يارسول اللّه، وتحتلم المرأة؟ فقال: تربت يداك فبم يشبهها ولدها).

وفي الصحيحين من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللّه ولد لي غلام أسود فقال: هل لك من إبل. قال: نعم. قال: ما ألوانها؟ قال: حمر. قال: هل فيها من أورق؟ قال: نعم. قال: فأنى ذلك؟ قال: لعله نزعه عرق. قال: فلعل ابنك هذا نزعه.

قال الحافظ في الفتح (٤٤٣/٩). «والمعنى يحتمل أن يكون في أصولها ما هو باللون المذكور فاجتذبه إليه فجاء على لونه». اهـ.

قلت: ظهر من مجموع ما سقناه لك من الأحاديث مع أحاديث الباب ثبوت شبه الولد بأحد أبويه وانفرد حديث الباب بذكر السبب وهو سبق ماء أحدهما إلى الرحم وفي هذه الأحاديث وما في معناها دليل على صحة الحكم بالقافة،وهو مذهب جمهور أهل العلم، ونرى اتماماً للفائدة نقل ما قاله ابن القيم في ذلك في الطرق الحكمية (ص ١٨١): «فصل: الطريق السادس والعشرون الحكم بالقافة وقد دلت عليها سنة رسول اللّه ﷺ وعمل الخلفاء الراشدين والصحابة بعدهم منهم عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري وابن عباس وأنس بن مالك رضي اللّه عنهم ولا مخالف لهم في الصحابة وقال بها من التابعين سعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والزهري وإياس بن

معاوية وقتادة وكعب بن سوار، ومن تابع التابعين الليث بن سعد ومالك بن أنس وأصحابه، وممن بعدهم الشافعي وأصحابه وإسحاق وأبو ثور وأهل الظاهر كلهم وبالجملة فهذا قول جمهور الأمة وخالفهم في ذلك أبو حنيفة وأصحابه وقالوا: العمل بها تعويل على مجرد الشبه وقد يقع بين الأجانب وينتفي بين الأقارب... إلى أن قال رحمه اللّه بعد أن ساق أدلة الجمهور (ص ١٨٤): والقياس وأصول الشريعة تشهد للقافة لأن القول بها حكم يستند إلى درك أمور خفية وظاهره توجب للنفس سكوناً، فوجب اعتبارها كنقد الناقد وتقويم المقوم»اهـ.

قال أبو صفية: وفي المسألة غير ما تقدم ثلاثة فروع وهي:

الأول: تصديق حديث الباب ونظائره في أن مادة خلق الولد مني الرجل والمرأة.

الثاني: خصائص كل من المنيين.

الثالث: الجمع بين حديث الباب وحديث ثوبان المتضمن سؤال حبر من اليهود رسول اللّه ﷺ وللحديث عن كل فرع على حده نقول وباللّه التوفيق:

الفرع الأول: جاء ما يفوق الحصر من آي التنزيل العزيز ما يدل على أن مادة خلق الولد هي مني الرجل والمرأة باجتماعهما في الرحم من ذلك قوله تعالى ﴿فلينظر الإنسان مما خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب﴾ فالآية بيان بأن مادة خلق الولد ما يجتمع في الرحم من المني خارجاً من صلب الرجل وصلب المرأة وترائب الرجل وترائب المرأة ومن نظائرها قوله تعالى ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنيى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾ إلى غير ذلك من الآيات في الباب ونرى فيما سقناه غنية عن استقصاءها لأن مقصودنا التمثيل لا الحصر.

الفرع الثاني: من بديع صنع الحكيم العليم أن جعل لكل من المنيين من الأوصاف والخصائص ما يتميز به عن الآخر ولبيان تلك الخصائص نسوق ما

ذكر النووي ـ رحمه الله ـ في شرحه لصحيح مسلم (٣/٢٢٢) قال: «هذا أصل عظيم في بيان صفة المني وهذه صفته في حال السلامة وفي الغالب قال العلماء مني الرجل في حال الصحة أبيض ثخين يتدفق في خروجه فتور دفقة بعد دفقة ويخرج بشهوة ويتلذذ بخروجه، وإذا خرج استعقب خروجه فتور ورائحة كرائحة طلع النخل ورائحة الطلع قريبة من رائحة العجين وقيل تشبه رائحة الفصيل، وقيل إذا يبس كانت رائحته كرائحة البول فهذه صفاته وقد يفارقه بعضها مع بقاء ما يستقل لكونه منياً وذلك بأن يمرض فيصير منيه رقيقاً أصفر أو يسترخي وعاء المني فيسيل من التذاذ وشهوه... إلى أن قال: ثم إن خواص المني التي عليها الاعتماد في كونه منياً ثلاث:

أحدها: الخروج بشهوة مع الفتور عقبه.

الثاني: الرائحة التي شبه رائحة الطلع كما سبق.

الثالث: الخروج بزريق ودفق ودفعات....إلى أن قال: وأما مني المرأة فهو أصفر رقيق وقد يبيض لفضل قوتها وله خاصيتان يعرف بواحدة منهما:

أحداهما: أن رائحته كرائحة مني الرجل.

الثانية: التلذذ بخروجه وفتور شهوتها عقب خروجه » اهـ.

الفرع الثالث: يعارض حديث الباب في الظاهر ما أخرجه مسلم عن أبي أسماء الرحبي أن ثوبان مولى رسول اللّه ﷺ حدثه قال: «كنت قائماً عند رسول اللّه ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال: لم تدفعني فقلت: ألا تقول يارسول اللّه. فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول اللّه ﷺ إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي فذكر مسائله ومنها: قال وجئت أسألك عن شي لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان قال: ينفعك إن حدثتك قال: أسمع بأذني قال: جئت أسألك عن الولد قال: ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا

اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكر بإذن اللّـه، وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنث بإذن اللّـه. قال اليهودي: لقد صدقت.... الحديث ».

فالجمع بين الحديثين بأن السائل في حديث ثوبان هذا هو غير عبداللّـه بن سلام كما في حديث أنس كما أن المسئول عنه في قصة عبداللّـه بن سلام نزع أحد الأبوين الولد والمسئول عنه في حديث ثوبان الإذكار والإيناث. فأجاب النبي ﷺ عن كل مسألة حسب ما أوحي إليه من ربه وذانك الأمران من أعلام نبوته ﷺ.

المسألة العاشرة: قوله (**أشهد أن لا إله إلا اللّـه وأشهد أنك رسول اللّـه**) الشهادة في اللغة الإقرار والإعلام والحضور والأول والثاني هما المرادان ههنا حيث أقر ابن سلام رضي اللّـه عنه لله بالوحدانية ولمحمد ﷺ بالرسالة وهذان أعظم أركان الإسلام بل لا إسلام دونهما ولا تنفك إحدى الشهادتين عن الأخرى وفي هذا الصنيع من عبداللّـه بن سلام رضي اللّـه عنه دليل على أنه كان طالباً للحق، ولذا شهد شهادة الحق حين تبين له صدق النبي ﷺ.

الحادية عشرة: قوله (**يارسول اللّـه إن اليهود قوم بهت وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني**).

قلت: بهت جمع بهيت، والمعنى أن اليهود إن يعلموا بإسلامه يقعون فيه بالباطل افتراءا عليه ماليس فيه كذباً وزوراً وهكذا شأن أهل الباطل مع مخالفيهم من أهل الحق الوقيعة والتنقص.

الثانية عشرة: قوله (**فجاءت اليهود**) لم يبين هنا سبب مجيئهم لكن أخرج أحمد الحديث وفيه أن عبداللّـه بن سلام قال: (فأرسل إليهم فسألهم عني أي رجل ابن سلام فيكم قال: فأرسل إليهم).

الثالثة عشرة: قوله (**قالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا**) ثم قوله في ابن سلام ثانياً حين أعلن إسلامه (شرنا وابن شرنا وانتقصوه).

فيه **أولاً**: علو مكانة ابن سلام ورفعة شأنه ومنزلته عندهم.

وفيه **ثانياً**: بغض اليهود وعداوتهم لأهل الإسلام، وهذا شأن جميع الكفار، قال تعالى ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾.

وفيه **ثالثاً**: شجاعة ابن سلام رضي اللّه عنه إذ أعلن إسلامه على الملأ من اليهود وأغاظهم بذلك ولم يثنه عن ذلك تنقص القوم له ووقيعتهم فيه.

الرابعة عشرة: قوله **(فهذا الذي كنت أخاف يارسول اللّه)** أي ما كنت أتوقعه وأتيقن حصوله منهم وذلك لخبرته بخبثهم وعداوتهم لأهل الإيمان وإن كانوا يعرفون الحق فإنهم يجحدونه.

٩ -[باب قوله ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها﴾]

ش / تمامها ﴿... أو مثلها ألم تعلم أن اللّه على كل شئ قدير﴾.

قلت فيها: وعد اللّه رسوله ﷺ وأمته تبعاً له أنه سبحانه وتعالى لا يرفع آية تلاوة أو حكماً أوهما معاً إلا وجعل بديلاً منها وذلك البديل إما خير منها وأنفع للعباد أو مثلها يوضح ذلك ما حكاه الواحدي في أسباب النزول (ص٣٢): «قال المفسرون: إن المشركين قالوا ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً ماهذا القرآن إلا كلام محمد يقوله من تلقاء نفسه وهو كلام يناقض بعضه بعضاً، فأنزل اللّه تعالى **﴿وإذا بدلنا آية مكان آية... الآية﴾** وأنزل أيضاً **﴿ما ننسخ من آية أو ننسها... الآية﴾**.

قلت: وعليه فالآية دليل على وقوع النسخ وقد جاء الدليل من القرآن والسنة قال تعالى **﴿يمحو اللّه ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾** وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: (كان فيما أنزل على رسول اللّه ﷺ عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخت بخمس معلومات)، وعن بريدة رضي اللّه عنه قال:قال رسول الله ﷺ :(كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها). فأفادت هذه النصوص مجتمعة وقوع النسخ وعليه أجمع من يعتد بقوله من الأئمة والتفصيل بذكر حكم النسخ وشروطه وأقسامه وطرق معرفته في كتب الأصول فليراجع ذلك من يشاء.

قوله: (**﴿ألم تعلم أن اللّه على كل شئ قدير﴾**) فيه التنبيه إلى أنّ النسخ في مقدوره جل وعلا وأن إنكاره إنكار للقدرة الإلهية.

٨ ـ حدثنا عمر بن علي[١] حدثنا يحيى[٢] حدثنا سفيان[٣] عن حبيب[٤] عن سعيد بن جبير[٥] عن ابن عباس[٦] قال قال عمر[٧] رضي اللّه عنه: أقرؤنا أبي وأقضانا علي وإنا لندع من قول أبي، وذاك أن أبياً يقول لا أدع شيئاً سمعته من رسول اللّه ﷺ وقد قال اللّه تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾.

ش / فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله **(أقرؤنا أبي)** أي أكثرنا قرآناً.

الثانية: قوله **(وأقضانا علي)** أي أعلمنا بالقضاء، وهذه شهادة من الفاروق رضي اللّه عنه لكلا الصحابيين رضي اللّه عنهما بالخيرية لحيازته باباً من الفقه والعلم إلى جانب ما نالاه من الفضائل الجمة والمناقب العظيمة وأجل تلك المناقب

---

(١) أبو حفص عمرو بن علي بن بحر بن كنيز بنون وزاي الفلاس الصيرفي الباهلي البصري ثقة حافظ من العاشرة مات سنة تسع وأربعين ومئتين (ع).

(٢) يحيى هو القطان. تقدم.

(٣) أبو عبداللّه سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة من رؤوس الطبقة السابعة وكان ربما دلس مات سنة إحدى وستين ومائة وله أربع وستون سنة (ع).

(٤) حبيب بن أبي ثابت أبو يحيى قيس ويقال هند بن دينار الأسدي مولاهم الكوفي، ثقة، فقيه جليل، وكان كثير الإرسال والتدليس، من الثالثة، مات سنة تسع عشرة ومائة (ع).

(٥) سعيد بن جبير الأسدي مولاهم الكوفي ثقة ثبت فقيه من الثالثة، وروايته عن عائشة وأبي موسى ونحوها مرسلة، قتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين ولم يكمل الخمسين. (ع).

(٦) عبداللّه بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن عم رسول اللّه ﷺ ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعاله رسول اللّه ﷺ فكان يسمى البحر والحبر لسعة علمه مات سنة ثمان وستين بالطائف. (ع).

(٧) أبو حفص عمر ابن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن رياح القرشي العدوي أمير المؤمنين مشهور جم المناقب استشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وولي الخلافة عشر سنين ونصف. (ع).

السابقة إلى الإسلام وشرف الصحبة لرسول اللّه ﷺ.

الثالثة: قوله (**إنا لندع من قول أبي وذاك أن أبياً يقول لا أدع شيئاً سمعته من رسول اللّه ﷺ**) فيه أمران:

الأول: حرص أبي رضي اللّه عنه على التمسك بكل ما سمعه من النبي ﷺ وهذا من فقهه فما أحسن من انتهى إلى ما سمع، كيف وقد قال اللّه جل ثناؤه ﴿لقد كان لكم في رسول اللّه أسوة حسنة لمن كان يرجوا اللّه واليوم الآخر وذكر اللّه كثيراً﴾ قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤٨٣/٣):

«هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول اللّه ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا أمر اللّه تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عزوجل صلوات اللّه وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين ولهذا قال تعالى للذين تقلقلوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب ﴿**لقد كان لكم في رسول اللّه أسوة حسنة**﴾ أي هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله ﷺ ولهذا قال تعالى: ﴿**لمن كان يرجوا اللّه واليوم الآخر وذكر اللّه كثيراً**﴾ ». اهـ.

قلت: هذا وأمثاله من التوجيه هو ما حمل أبياً رضي اللّه عنه على التمسك بسنة النبي ﷺ والوقوف عندها فلا يظنن أحد أن عمر رضي اللّه عنه يشنع على أبي كما لا يظن بأبي الجمود على النصوص من غير فقه وعندي أنه رضي اللّه عنه لا يخالف إلا فيما يسوغ فيه الاجتهاد وقد أجمع الأئمة على أنه لا يتعمد أحد ممن أجمع الناس على إمامته مخالفة الكتاب والسنة قصداً فليتنبه إلى ذلك.

الأمر الثاني: قوله (**وإنا لندع من قول أبي**) هذا بناء على ما استقر عند القوم أنه من أبواب الفقه معرفة الناسخ والمنسوخ حتى لا يحكم الحاكم أو يفتي المفتي بالمنسوخ ويدع الناسخ كما أنه فيه التنبيه إلى أن أقوال الرجال وأعمالهم توزن بأمرين، وذانك الأمران: النص والإجماع. فمن وافق نصاً أو إجماعاً قبل

منه، ومن خالف أياً منهما رد عليه وهذا ما اتفق عليه أهل السنة والجماعة، ولهذا قالوا: يعرف الرجال بالحق ولا يعرف الحق بالرجال.

الرابعة: قوله (**قد قال اللّه تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾**) هذا هو وجه مطابقة الحديث للترجمة وقد مضى شرحه أول الباب.

١٠ -[باب ﴿وقالوا اتخذ اللّه ولداً سبحانه﴾]

ش / تمامها ﴿بل له ما في السموات وما في الأرض كل له قانتون﴾.

قلت في هذه الآية:

أولاً: تكذيب الزاعمين اتخاذ اللّه الولد وأولئك الزاعمون هم النصارى، حيث قالوا المسيح ابن اللّه واليهود لمقالتهم العزير ابن اللّه ومشركو العرب: لقولهم الملائكة بنات اللّه، وكل تلك المقالات الضالة الكافرة قد جاء بها القرآن.

ثانياً: تنزيه اللّه نفسه سبحانه وتعالى عن اتخاذه الولد لكمال قدرته وكمال غناه.

ثالثاً: بيان أن ما في الكون كله سماؤه وأرضه قانت له، أي مطيع مسخر مقهور بسلطانه جل علاه.

٩ ـ حدثنا أبو اليمان[١] أخبرنا شعيب[٢] عن عبداللّه بن أبي حسين[٣] حدثنا نافع بن جبير[٤] عن ابن عباس رضي اللّه عنهما عن النبي ﷺ قال: قال اللّه: (كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه

(١) الحكم بن نافع البهراني بفتح الموحدة الحمصي مشهور بكنيته ثقة ثبت يقال إن أكثر حديثه عن شعيب مناولة، من العاشرة، مات سنة اثنتين وعشرين ومئتين. (ع).

(٢) أبو بشر شعيب بن أبي حمزة الأموي مولاهم واسم أبيه دينار الحمصي ثقة عابد، قال ابن معين من أثبت الناس في الزهري من السابعة مات سنة اثنتين وستين ومائة أو بعدها (ع).

(٣) عبداللّه بن عبدالرحمن بن أبي حسين بن الحارث بن عامر بن نوفل المكي النوفلي ثقة عالم بالمناسك، من الخامسة. (ع).

(٤) أبو محمد نافع بن جبير بن مطعم النوفلي المدني ثقة فاضل من الثالثة، مات سنة تسع وتسعين. (ع).

إياي فقوله لي ولد فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً).

ش / مناسبة الحديث للآية في قوله (**وأما شتمه إياي فقوله لي ولد فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً**).

قلت: فذلك أعظم تكذيب لله وأعظم مسبة له وسيأتي شرح الحديث في تفسير سورة الإخلاص، ضمن الباب السبعين بعد الأربعمائة.

[١١ - باب قوله ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾]

ش / قلت الآية ﴿**وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**﴾.

قوله: ﴿**وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا**﴾.

البيت هو الكعبة غلب عليه كما غلب النجم على الثريا ومثابة مصدر من ثاب يثوب مثاباً ومثابة أي مرجعاً يرجع الحجاج إليه بعد تفرقهم عنه، ومنه قول ورقة بن نوفل:

فثاب لاقفا القبائل كلها تخب إليها اليعملات الذوابل.

وقوله (**وأمناً**) هو اسم مكان أي موضع أمن يأمن الناس فيه.

وقوله: ﴿**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**﴾. **قلت:** هذا امر من الرب تبارك وتعالى لعباده أن يجعلوا صلاتهم بعد الطواف عند مقام إبراهيم أي خلفه ومقام إبراهيم هو المكان الذي كان يقوم عليه حين بناء الكعبة، وهل هذه الصلاة واجبة؟ أم مستحبة؟ وهل لا بد أن تصلى خلف المقام؟ قال ابن قدامة في المغني (٣٨٣/٣) وجملة ذلك أنه يسن للطائف أن يصلي بعد فراغه ركعتين ويستحب أن يركعهما خلف المقام لقوله تعالى ﴿**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**﴾ ويستحب أن يقرأ فيهما ﴿**قل يا أيها الكافرون**﴾ في الأولى و ﴿**قل هو اللّه أحد**﴾ في الثانية، فإن جابراً روى في صفة حجة النبي ﷺ قال: «حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم فقرأ ﴿**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت. قال محمد بن علي: ولا أعلمه إلا ذكره عن النبي ﷺ، كان يقرأ في الركعتين ﴿**قل هو اللّه أحد**﴾ و ﴿**قل يا أيها الكافرون**﴾ وحيث ركعهما ومهما قرأ فيهما جاز، فإن عمر ركعهما بذي طوى». انتهى محل الغرض.

فائدة في القراءات في الآية:

قال مكي بن أبي طالب (١/٢٦٣): «﴿**واتخذوا من**﴾ قرأه نافع وابن عامر بفتح الخاء على الخبر عمن كان قبلنا من المؤمنين أنهم اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى فهو مردود على ما قبله من الخبر وما بعده والتقدير واذكر يا محمد إذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واذكر إذ اتخذ الناس من مقام إبراهيم مصلى واذكر إذ عهدنا إلى إبراهيم فكله خبر فيه معنى التنبيه والتذكير لما كان فحمل على ما قبله وما بعده ليتفق الكلام ويتطابق، وإذ محذوفة مع كل خبر لدلالة إذ الأولى الظاهرة على ذلك، وقرأ باقي القراء بكسر الخاء على الأمر بأن يتخذ من مقام إبراهيم مصلى وبذلك أتت الروايات عن النبي ﷺ ».

[**مثابة: يثوبون: يرجعون**].

ش / قاله أبو عبيدة إلا أنه قال: «**يصيرون**» بدل «**يرجعون**».

١٠ - حدثنا مسدد عن يحيى بن سعيد عن حميد عن أنس قال: قال عمر: وافقت اللّه في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث قلت: يارسول اللّه لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، وقلت: يارسول اللّه يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل اللّه آية الحجاب، قال وبلغني معاتبة النبي ﷺ بعض نسائه فدخلت عليهن، قلت: إن انتهيتن أو ليبدلن اللّه رسوله خيراً منكن، حتى أتيت إحدى نسائه، قالت: يا عمر أما في رسول ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت فأنزل اللّه: ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات...﴾ الآية

وقال ابن أبي مريم[١] أخبرنا يحيى بن أيوب[٢] حدثني حميد سمعت أنساً عن عمر.

---

(١) أبو محمد سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم بن أبي مريم الجمحي بالولاء المصري، ثقة ثبت فقيه، من كبار العاشرة، مات سنة، أربع وعشرين ومائتين، وله ثمانون سنة (خت، م، ٤).

(٢) أبو العباس يحيى بن أيوب الغافقي المصري صدوق ربما أخطأ من السابعة، مات سنة ثمان وستين ومائة (ع).

ش / فيه خمس مسائل:

الأولى: **(وافقت ربي)** الموافقة تصديق أحد الطرفين ما يصدر عن الآخر من قول أوفعل، بقول أو فعل يدل صراحة على إقرار ذلك القول أو الفعل وإجازته، والمعنى وافقني ربي، فأنزل القرآن على وفق ما رأيت لكن لرعاية الأدب أسند الموافقة إلى نفسه.

الثانية: قوله **(في ثلاث)** أي في ثلاث خصال وهي المبينة بعدُ بقوله (قلت يا رسول اللّه... الخ) وذكر الثلاث لا يقتضي نفي غيرها، فقد روي عنه موافقات كثيرة منها إشارته على النبي ﷺ بقتل أسرى بدر.

تنبيه: وقع ههنا (وافقت أو وافقني ربي) بحرف الشك وقد أخرجه المصنف في أبواب القبلة: باب ما جاء في القبلة من رواية هشيم عن حميد عن أنس بالجزم وأخرجه بهذا الإسناد الإمام أحمد وإسناده أعلى وهذا يقوي عندي رواية الجزم.

الثالثة: قوله **(قلت يارسول اللّه لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى).**

قلت: في رواية هشيم عن حميد عن أنس عن عمر قال: (فنزلت: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ وكذا رواه الإمام أحمد عن هشيم عن حميد عن أنس عن عمر به وذكر ذلك ابن كثير (١/١٧٤).

الرابعة: قوله **(حتى أتيت احدى نسائه)** في حديث ابن عباس الآتي في سورة التحريم (ثم خرجت حتى دخلت على أم سلمة لقرابتي منها).

الخامسة: قوله **(وقال ابن أبي مريم)** وفي رواية كريمة (حدثنا ابن أبي مريم) وفائدة إيراد هذا الإسناد ما فيه من التصريح بسماع حميد من أنس فأمن من تدليسه.

[١٢ـ باب قوله تعالى: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك إنت السميع العليم﴾].

ش / قلت يتمم معنى هذه الآية التي أوردها المصنف رحمه اللّه الآيتان بعدها ﴿**ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم**﴾.

قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي (١/٤٩): «أي واذكر إبراهيم وإسماعيل في حالة رفعهما القواعد من البيت الأساسي واستمرارهما على هذا العمل العظيم وكيف كانت حالهما من الخوف والرجاء حتى أنهما مع هذا العمل دعوا اللّه أن يتقبل منهم عملهم حتى يجعل فيه النفع العميم ودعوا لأنفسهما وذريتهما بالإسلام الذي حقيقته خضوع القلب وانقياده لربه والمتضمن لانقياد الجوارح ﴿**وأرنا مناسكنا**﴾ أي علمناها على وجه الارادة والمشاهدة ليكون أبلغ يحتمل أن يكون المراد بالمناسك أعمال الحج كلها كما يدل عليه السياق والمقام ويحتمل أن يكون المراد ما هو أعظم من ذلك وهو الدين كله والعبادات كلها كما يدل عليه عموم اللفظ، لأن النسك التعبد ولكن غلب على متعبدات الحج تغليباً عرفياً فيكون حاصل دعائهما يرجع إلى التوفيق بالعلم النافع والعمل الصالح ولما كان العبد مهما كان لا بد أن يعتريه التقصير ويحتاج إلى التوبة قال: ﴿**وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم**﴾ ﴿**ربنا وابعث فيهم**﴾ أي في ذريتنا رسولاً منهم ليكون أرفع لدرجتهما ولينقادوا له وليعرفوه حقيقة المعرفة ﴿يتلوا عليهم آياتك﴾ لفظاً وحفظاً وتحفيظاً ﴿**ويعلمهم الكتاب والحكمة**﴾ معنى ﴿**ويزكيهم**﴾ بالتربية على الأعمال الصالحة والتبري من الأعمال الردئية التي لا تزكّ النفس معها ﴿**إنك أنت العزيز**﴾ أي القاهر لكل شئ الذي لا يمتنع على قوته شئ ﴿**الحكيم**﴾ الذي يضع الأشياء في مواضعها فبعزتك وحكمتك ابعث فيهم هذا الرسول فاستجاب

اللّـه لهما فبعث اللّـه هذا الرسول الكريـم الـذي رحـم اللّـه بـه ذريتهما خاصـة وسائر الخلق عامة ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: (أنا دعـوة أبـي إبراهيـم عليـه السلام)».

قال مقيده: ويؤيد القول بأن كلاًمن الخليل وابنه عليهمـا الصـلاة والسـلام كان يرفع القواعـد ويدعـو مـا رواه البخـاري في الأنبيـاء بـاب (يزفـون النسـلان السرعة في المشي) عن ابن عبـاس رضـي اللّـه عنهمـا قـال: أول مـا اتخـذ النسـاء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخـذت منطقـاً لتعفّـي أثرهـا علـى سـارة ثـم جـاء بهـا إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عنـد دوحـة فـوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يو مئذ أحد وليس بها مـاء فوضعهمـا هنـالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه مـاء ثـم قفـى إبراهيـم فتبعتـه أم إسمـاعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنـا بهـذا الـوادي الـذي ليس فيـه أنيـس ولا شئ... فذكـر الحديـث وفيـه: ثـم لبـث عنهـم ماشـاء اللّـه ثـم جـاء بعـد ذلـك وإسماعيل يبري نبلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم فلما رآه قـام إليـه وصنعـا كمـا يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال: يا إسمـاعيل إن اللّـه أمرنـي بـأمر قـال: فاصنع ما آمرك ربك قال وتعينني، قال: وأعينك قـال: فـإن اللّـه أمرنـي أن أبـني ههنا بيتاً وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها.قال: فعند ذلك رفعا القواعد مـن البيت فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ﴿**ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم**﴾ قال فجعلا يبنيان حتى يـدورا حـول البيـت وهما يقولان: ﴿**ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليـم**﴾ فـالحديث كمـا تـرى صريح الدلالة في أن إبراهيم الخليل هو أول من بنى البيت وأن ابنـه إسمـاعيل ﷺ يعاونه في ذلك ويشاركه في الدعاء.

قوله: ﴿القواعد﴾ أساسه، واحدتها قاعدة، والقواعد من النساء واحدها

قاعد.

ش / قال أبو عبيدة قواعد البيت أساسه مخفف والجميع أسس وجماعه الأسس إذا ضممته آساس تقديره أفعال، والقواعد الواحد من قواعد البيت قاعدة والواحد من قواعد النساء قاعدة وقاعد أكثر. قال الكميت

في ذروة يفاع أولهم زانت عواليها قواعدها

وقال أيضاً:

وعادية من بناء الملون تمت قواعد منها وسوراً

واحدها قاعدة.

١١ ـ حدثنا إسماعيل[١] حدثني مالك عن ابن شهاب[٢] عن سالم بن عبدالله[٣] أن عبدالله بن محمد[٤] بن ابي بكر أخبر عبدالله بن عمر[٥] عن عائشة[٦] رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ألم تري أن قومك بنوا الكعبة واقتصروا عن قواعد إبراهيم فقلت: يارسول الله. ألا

(١) إسماعيل بن عبدالله بن اويس بن مالك الأصبحي المدني صدوق أخطأ في أحاديث من حفظه، من العاشرة، مات سنة ست وعشرين ومئتين (خ،م،ت،ق).

(٢) أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيدالله بن شهاب بن عبدالله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه وهو من رؤوس الطبقة الرابعة، مات سنة خمس وعشرين ومائة وقيل قبل ذلك بسنة أو بسنتين (ع).

(٣) أبو عمر سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي المدني أحد الفقهاء السبعة كان ثبتاً عابداً فاضلاً، كان يشبه بأبيه في الهدي والسمت من كبار الثالثة مات في آخر سنة ست ومائة (ع).

(٤) عبدالله بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي المدني أخو القاسم ثقة من الثالثة، قتل في الحرة سنة ثلاث وستين (خ. م. د. س).

(٥) أبو عبدالرحمن عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوي ولد بعد المبعث بيسير واستصغر يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة وهو أحد المكثرين من الصحابة والعبادلة، وكان من أشد الناس اتباعاً للأثر مات سنة ثلاث وسبعين (ع).

(٦) أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق، أفقه الناس مطلقاً، وأفضل أزواج النبي ﷺ إلا خديجة ففيها خلاف شهير، ماتت سنة سبع وخمسين على الصحيح (ع).

تردها على قواعد إبراهيم؟ قال: لولا حدثان قومك بالكفر. فقال عبداللّه بن عمر لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول اللّه ﷺ ماأرى رسول اللّهﷺ ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر إلا أن البيت لم يتمم على قواعد إبراهيم.

ش / فيه تسع مسائل.

الأولى: قوله **(زوج النبي ﷺ).**

قلت: هذا هو الأفصح، فإن زوج من الأجناس التي يستوي فيها المذكر والمؤنث وقد جاء في القرآن العزيز هذا اللفظ مراداً به المؤنث. قال تعالى: ﴿**وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة....**﴾ وقال في موضع آخر ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها**﴾ والمراد بالزوج في الموضعين حواء بالاتفاق ولحوق التاء بما يراد به المؤنث صحيح ولكنه قليل.

الثانية:قوله**(ألم تري أن قومك بنوا الكعبة واقتصروا عن قواعد إبراهيم).**

(ألم **تري**) أي ألم تعلمي والاستفهام ههنا للتقرير والتعجب وقوله (واقتصروا عن قواعد إبراهيم) ذكر المؤرخون أن الكعبة تهدمت في عهد قريش وحين بلغ النبي ﷺ خمساً وثلاثين عاماً عزمت قريش على تجديد بناء الكعبة وكانت قد انهدمت لخراب أصابها وذكر بعضهم أن سبب ذلك الخراب: أن امرأة جمرت الكعبة فأصابت شرارة من مجمرتها فشبت فيها النار فاحترقت وأن السبب في اقتصار القوم عن قواعد إبراهيم، أنهم قالوا: لا يكون في هذا العمل مهر بغي ولا حلوان كاهن ولا ربا ولا أي كسب حرام فقصرت عليهم النفقة لأن جل أموالهم من الكسب الحرام، فلم يبلغوا قواعد الخليل ﷺ. واللّه أعلم.

الثالثة: قوله **(ألا تردها علىقواعد إبراهيم)** هذا عرض،وهو الطلب برفق يتضمن سؤال عائشة رضي اللّه عنها رسول اللّه ﷺ لإعادة الكعبة إلى ماكانت عليه في عهد الخليل ﷺ.

الرابعة: قوله **(لولا حدثان قومك بالكفر)** معنى لولا ههنا حرف شرط تفيد الامتناع للوجود قال ابن مالك في الألفية:

لولا ولو ما يلزمان الابتداء إذا امتناع بوجود عقدا

والمعنى: أن رسول اللّه ﷺ امتنع من إجابة سؤال عائشة لأن قومها حديثوا عهد بالجاهلية، ومعنى حدثان قال ابن الأثير في النهاية مادة حدث، حدثان الشئ بكسر أوله وهو مصدر حدث يحدث حدوثاً وحدثاناً والحديث ضد القديم والمراد به قرب عهدهم بالكفر والخروج منه والدخول في الإسلام.

تنبيهان:

أولاً: من بنى البيت الحرام؟ قال اللّه تعالى ﴿**وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت**﴾.قال في الجلالين: «واذكر إذ بوأنا بيتاً لابراهيم مكان البيت ليبنيه. وقال ابن كثير (٣/٢٢٥): هذا فيه تقريع وتوبيخ لمن عبد غير اللّه وأشرك به من قريش في البقعة التي أسست من أول يوم على توحيد اللّه وعبادته وحده لا شريك له، فذكر تعالى أنه بوأ إبراهيم مكان البيت ـ أي أرشده إليه وسلمه له وأذن له في بنائه واستدل به الكثير ممن قال إن إبراهيم عليه السلام هو أول من بنى البيت العتيق وأنه لم يبن قبله.

قال مقيده أبو صفية: وليس في الآية النص صراحة على أن الخليل ﷺ هو أول من بنى البيت الحرام، وينبغي الاستدلال على أن أول من بنى البيت إبراهيم بحديث ابن عباس المتقدم وفيه (إن اللّه أمرني أن أبني ههنا بيتاً وأشار إلى أكمة مرتفعة...)الحديث. واللّه أعلم.

ثانياً: اقتصر ههنا على ذكر الشرط دون الجواب وقد أخرجه المصنف في كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها وفيه قال ﷺ: (لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت البيت ثم لبنيته على أساس إبراهيم عليه السلام فإن قريشاً استقصرت بناءه وجعلت له خلفاً) قال أبو معاوية حدثنا هشام خلفاً يعني باباً.

قلت:وبهذا السبب يظهر لك أن رسول اللّه ﷺ ترك هذا العمل وهو من جلائل الأعمال الصالحة والمانع من ذلك هو حداثة قومه بالكفر وعدم تمكن الإسلام من قلوبهم وهذه قاعدة جليلة وأصل كبير في السياسة الشرعية وفقه الدعوة إلى اللّه وتلك القاعدة: (تقديم درء المفاسد على جلب المصالح) ولتستبين في هذا الباب المحجة وتتضح بالأدلة صواب الحجة نذكر أمرين:

أولهما: ما استفاض في هذا الأمر العظيم عن النبي ﷺ مع آي الكتاب الكريم.

ثانيهما: نقول عن الأئمة توضح أهمية هذا الجانب لا سيما في مجال الدعوة إلى اللّه فنقول وباللّه التوفيق.

الأمر **الأول**: الأدلة على هذا الأصل العظيم قال تعالى: **﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون اللّه فيسبوا اللّه عدواً بغير علم﴾**.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١٩٦/٢): يقول اللّه تعالى ناهياً لرسوله ﷺ والمؤمنين عن سب آلهة المشركين وإن كان فيه مصلحة إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين وهو اللّه لا إله إلا هو.اهـ.

وقال العلامة ابن سعدي في شرحه للآية (٥٦/٢): «ينهى اللّه المؤمنين عن أمر كان جائزاً بل مشروعاً في الأصل وهو سب آلهة المشركين التي اتخذت أوثاناً وآلهة مع اللّه التي يتقرب إلى اللّه بإهانتها وسبها، ولكن لما كان هذا السب طريقاً إلى سب المشركين لرب العالمين الذي يجب تنزيه جانبه العظيم عن كل عيب وآفة وسب وقدح نهى اللّه عن سب آلهة المشركين لأنهم يتحمسون لدينهم ويتعصبون له، لأن كل أمة زين اللّه لهم عملهم فرأوه حسناً وذبوا عنه ودافعوا بكل طريق حتى إنهم يسبون اللّه رب العالين الذي رسخت عظمته في قلوب الأبرار والفجار إذا سب المسلمون آلهتهم، ولكن الخلق كلهم مرجعهم

ومآلهم إلى اللّـه يوم القيامة يعرضـون عليـه وتعـرض أعمـالهم فينبؤهـم بما كـانوا يعملون من خير أو شر.

وفي هذه الآية الكريمة دليل للقاعدة الشرعية وهو أن الوسائل تعتبر بـالأمور التي توصل إليها، وإن وسائل المحرم ولـو كـانت جـائزة تكـون محرمـة إذا كـانت تفضي إلى الشر)) اهـ.

قلت:ثم في سنة رسول اللّـه ﷺ ما يؤيد شرح هذين العالمين الجليلين وهـو إن لم يكن متواتراً فمستفيض، ولذا فسوف نقتصر على حديثين منبهين بهمـا إلى ما هو في معناهما من صحيح سـنة النبي ﷺ وأول ذينـك الحديثين مـا أخرجـه مسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مـات على التوحيـد دخـل الجنـة قطعاً، عن أبي هرير رضي اللّـه عنه أن رسول اللّـه ﷺ قـال لـه: اذهـب بنعلـي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا اللّـه مسـتيقناً بهـا قلبـه فبشره...فذكر الحديث بتمامه وفيه أن عمر قال: يا رسول اللّـه بأبي أنت وأمـي أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلا اللّـه مستيقناً بهـا قلبـه بشـره بالجنة؟ قال: نعـم قـال: فـلا تفعـل فـإني أخشـى أن يتكـل النـاس عليهـا فخلهـم يعملون. فقال ﷺ: خلهم.

وثانيهما: مارواه البخاري في كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية **ألا يفهموا**، عن أنس أن النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل. قال: يـا معاذ ابن جبل قـال:لبيـك يارسـول اللّـه وسـعديك.قـال:(يامعـاذ).قـال: لبيـك يارسول اللّـه وسعديك. ثلاثاً. قال:(مامن أحد يشهد ألا إله إلا اللّـه وأن محمـداً رسو ل اللّـه صدقاً من قلبه إلا حرمه اللّـه علـى النـار)، قـال يارسـول اللّـه أفـلا أخبر به الناس فيستبشروا، قال: (إذن يتكلوا)، وأخبر بها معـاذ عنـد موتـه تأثمـاً، فانظر هداك اللّـه إلى مراشدأمورك كيف عدل النبي ﷺ عما بعث به أبا هريرة من البشارة على الشهادة بدخول الجنة إلى مشورة عمر،وذلك حتـى لا يتكـل النـاس

إلى تلك البشارة ويدعوا العمل وكذا نهى معاذاً عن بشارته الناس للسبب نفسه فإن قلت أية مفسدة درأها النبي ﷺ؟ قلنا: ترك الناس العمل اتكالا على الشهادتين.

الأمر الثاني: وهو ما جاء من النقول عن الأئمة في هذه القاعدة.

أولاً: ما بوبه البخاري حين أخرج حديث عائشة الذي نحن بصدد شرحه، وذلك حين أخرجه في كتاب العلم فقال رحمه اللّه: باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه.

قال الحافظ في الفتح (٤٤٨/٣): «والمراد بالاختيار في عبارته المستحب، وفيه اجتناب ولي الأمر ما يتسرع الناس إلى إنكاره وما يخشى منه تولد الضرر عليهم في دين أو دنيا وتألف قلوبهم بما لا يترك فيه أمراً واجباً.

وفيه تقديم الأهم فالأهم من دفع المفسدة وجلب المصلحة» اهـ.

ثانياً: قال ابن القيم في إعلام الموقعين (٤/٣) «المثال الأول: أن النبي ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه اللّه ورسوله فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى اللّه ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره وإن كان اللّه يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالانكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر وقد استأذن الصحابة رسول اللّه ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها وقالوا: أفلا نقاتلهم؟ فقال: لا.. ما أقاموا الصلاة.

وقال: (من رأى من أميره ما يكره فليصبر ولا ينزعن يداً من طاعة) ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر فطلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه وقد كان رسول اللّه ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها بل لما فتح اللّه مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم ومنعه من ذلك

مع قدرته عليه خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهد بكفر ولهذا لم يأذن في الانكار على الأمراء باليد لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه كما وجد سواء»اهـ.

وعلى هذا النهج السديد والفقه العظيم مشى دعاة الحق وأئمة الهدى ورأس أولئك الصحابة وأئمة التابعين ومن بعدهم فحصنوا الأمة من الفتن وجنبوهم المحن إلى اليوم فكانوا الطائفة المنصورة والفرقة الناجية التي لا يضرها من خالفها حتى يأتي أمر اللّه.

قال شيخ الإسلام في كتاب التفسير من مجموع الفتاوى عن المعتزلة والخوارج (٩٨/١٣): «وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالسيف قصدوا به طاعة اللّه ورسوله كما يقصده الخوارج والزيدية فغلطوا في ذلك»اهـ.

قلت:فاحذر يا طالب الحق سبيل الضالين واسلك سبيل الراشدين سبيل أهل السنة والجماعة وإياك والحزبيات فإن بغيت لنفسك السلامة والنجاة من الفتن فعليك بوصية النبي ﷺ لحذيفة رضي اللّه عنه وهو يسأله كيف يصنع إن أدركه دعاة جهنم؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك. أخرجه البخاري في الفتن. باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة.

قال الحافظ رحمه اللّه تعالى في الفتح (٣٦/١٣): «قوله (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم) بكسر الهمزة أي أميرهم زاد في رواية الأسود (تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك) وكذا في رواية خالد بن سبيع عند الطبراني (فإن رأيت خليفة فالزمه وإن ضرب ظهرك فإن لم يكن خليفة فالهرب) اهـ.

وقال النووي في شرحه (٢٣٧/١٢):

«وفي حديث حذيفة هذا لزوم جماعة المسلمين وإمامهم ووجوب طاعته

وإن فسق وعمل المعاصي من أخذ الأموال وغير ذلك فتجب طاعته في غير معصية».

قال مقيده: ونحن هنا في أرض الحرمين وما يتبعها من المناطق لنا جماعة وإمام فلا يجوز أن نغتر بدعايات الجماعات الدعوية الحديثة التي لا ترى جماعة سواها ولا دعوة إلى الله صحيحة إلا وفق قواعدها وأصولها التي أخذتها عن مؤسسيها الذين لم يروا أئمة سواهم.

المسألة الخامسة: قوله **(لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله ﷺ)**.

قلت: أخرج المصنف هذا الحديث من طريق الأسود قال: قال لي ابن الزبير: كانت عائشة تسر إليك فما حدثتك في الكعبة؟ **قلت:** قالت لي: قال النبي ﷺ فذكره.

ورواه في باب فضل مكة وبنيانها من كتاب الحج عن الأسود أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت النبي ﷺ عن الجدر أمن البيت هو؟ فذكرته. فانزاح ولله الحمد ما يظن أنه إشكال قال الحافظ (٣/٤٤٢): «ليس هذا شكاً من ابن عمر في صدق عائشةﷺ،لكن يقع في كلام العرب كثيراًصورة التشكيك والمراد التقرير واليقين» .

السادسة: قوله **(ما أرى)** بالبناء للمفعول أي أظن.

السابعة: قوله **(ترك استلام الركنين)** أي أثناء الطواف باللمس أو القبلة والاستلام افتعال من السلام.

الثامنة: قوله **(يليان الحجر)** أي يقربان من حجر إسماعيل.

التاسعة: قوله **(إلا أن البيت لم يتمم على قواعد إبراهيم)** بيان سبب ترك النبي ﷺ استلام ذينك الركنين ».

١٣- [باب ﴿**قولوا آمنا باللّه وما أنزل إلينا**﴾]

ش / تمامها ﴿**وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون**﴾.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/١٩٢):

«أرشد اللّه تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد ﷺ مفصلاً، وما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملاً ونص على أعيان من الرسل، وأجمل ذكر بقية الأنبياء وألا يفرقوا بين أحد منهم بل يؤمنوا بهم كلهم ولا يكونوا كمن قال اللّه فيهم ﴿**ويريدون أن يفرقوا بين اللّه ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً، أولئك هم الكافرون حقاً... الآية**﴾ اهـ.

وقال العلامة ابن سعدي رحمه اللّه (١/٩٨):

«في قوله ﴿**قولوا**﴾ إشارة إلى الاعلان بالعقيدة والصدع بها والدعوة لها إذ هي أصل الدين وأساسه... إلى أن قال: فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على إيجازها واختصارها على أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، توحيد الأسماء والصفات، واشتملت على الإيمان بجميع الرسل وجميع الكتب وعلى التخصيص الدال على الفضل بعد التعميم وعلى التصديق بالقلب واللسان والجوارح، والاخلاص للّه في ذلك، وعلى الفرق بين الرسل الصادقين ومن ادعى النبوة من الكاذبين وعلى تعليم الباري عباده كيف يقولون ورحمته وإحسانه عليهم بالنعم الدينية المتصلة بسعادة الدنيا والآخرة، فسبحان من جعل كتابه تبياناً لكل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » اهـ

من فقه الآية:

١ - إعلان العقيدة والصدع بها في وجوه المخالفين.

٢ ـ وجوب الإيمان بجميع الرسل وأن التفريق بينهم كفر.

٣ ـ وجوب الإخلاص لله وحده في الأقوال والأعمال التعبدية.

٤ ـ تجريد المتابعة للنبي ﷺ.

١٢ ـ حدثنا محمد بن بشار[١] حدثنا عثمان بن عمر[٢] أخبرنا علي بن المبارك[٣] عن يحيى بن أبي كثير[٤] عن أبي سلمة[٥] عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول اللّهﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: آمنا باللّه وما أنزل إلينا...).

ش / فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله **(كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام).**

قلت: المراد بهم اليهود لأنهم هم الذين أنزل إليهم التوراة، فالعبرانية لغتهم والمعنى أنهم ـ أي اليهود ـ يترجمون كتابهم لأهل الإسلام بالعربية.

الثانية: قوله **(لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم)** قال الحافظ

---

(١) أبو بكر الملقب ببندار محمد بن بشار بن عثمان العبدي البصري ثقة من العاشرة، مات سنة اثنتين وخمسين ومئتين وله بضع وثمانون سنة (ع).

(٢) عثمان بن عمر بن فارس العبدي البصري أصله من بخارى، ثقة من التاسعة مات سنة تسعين ومائة (ع).

(٣) على بن المبارك الهنائي ثقة كان له عن يحيى بن كثير كتابان، أحدهما سماع والآخر إرسال، محدث الكوفيين عنه، من كبار السابعة (ع).

(٤) أبو نصر يحيى بن أبي كثير الطائي مولاهم اليمامي، ثقة ثبت، لكنه يدلس ويرسل من الخامسة، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وقيل قبل ذلك (ع).

(٥) ابو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف الزهري المدني، قيل اسمه عبداللّه وقيل إسماعيل، ثقة، مكثر، من الثالثة مات سنة، أربع وتسعين، وكان مولده سنة بضع وعشرين (ع).

(٨/ ١٧٠): «أي إذا كان ما يخبرونكم به محتملاً لئلا يكون في نفس الأمر صدقاً فتكذبوه أو كذباً فتصدقوه، فتقعوا في الحرج ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه، نبه على ذلك الشافعي رحمه اللّه، ويؤخذ من هذا الحديث، التوقف عن الخوض في المشكلات والجزم فيها بما يقع في الظن وعلى هذا يحمل ما جاء عن السلف من ذلك» اهـ.

قلت:هذا توجيه جيد وتخريج لطيف فإن أخبار بني إسرائيل على ثلاثة أضرب: **أحدها**: ما كان موافقاً للقرآن فهذا يجب تصديقه.

ثانيها: ما كان مخالفاً للقرآن فهذا يجب رده وتكذيبه.

ثالثها: ما لم يرد في القرآن موافقة له ولا مخالفة فهذا يجب التوقف فيه، فإن قال قائل: كيف تصنعون بقوله ﷺ (وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج).

قلنا: هذه قطعة من حديث أخرجه المصنف في الأنبياء. باب ما ذكر عن بني إسرائيل، وله عند أهل العلم عدة توجيهات، وأفضلها عندي ما نقله العيني عن الإمام مالك ـ رحمه اللّه تعالى ـ (١٣/ ٩٩).

قال مالك: «المراد جواز التحديث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما علم كذبه، فلا، وقال بعضهم حدثوا عنهم مثل ما ورد في القرآن والحديث الصحيح.

المسألة الثالثة: قوله **(وقولوا آمنا باللّه وما أنزل إلينا)** هذا وجه مطابقة الحديث للترجمة وقد أخرجه المصنف في الاعتصام. باب قول النبي ﷺ (لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء) بلفظ (وقولوا آمنا باللّه وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم...الآية).

قلت: فيه التنبيه إلى وجوب الحب والبغض والموالاة والمعادة في اللّه، فبذاك تستقيم حال الأمة، واعلم أيها المسلم الناصح لنفسه، أن أصحاب الأهواء والمبتدعة قديماً وحديثاً لم يتسلطوا على الأمة إلا بإدخال في العقيدة الصحيحة ماليس منها واللّه المستعان.

١٤ -[باب **﴿سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾**].

ش / قلت:لا بد لإيضاح ما تضمنته هذه الترجمة من بيان أمرين:

أحدهما: في المراد بالسفهاء.

ثانيهما: فيما ترشد إليه هذه الآية.

الأمر **الأول:** اختلف المفسرون في السفهاء في هذه الآية من هم؟ على ثلاثة أقوال، حكاها ابن جرير عند تفسير الآية.

أحدها: أنهم اليهود وهو قول مجاهد وابن عباس والبراء في قول.

ثانيها: أنهم المنافقون وبه قال السدي.

ثالثها: أنهم أهل الكتاب، قاله البراء في الرواية الثانية عنه.

والراجح عندي أنهم اليهود ويدل له ماروراه المصنف في أبواب القبلة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، عن البراء بن عازب رضي اللّه عنهما قال: (كان رسول اللّه ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً فذكر الحديث وفيه: وقال السفهاء من الناس وهم اليهود ﴿ماولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها... الخ).

الأمر الثاني: ترشد الآية الكريمة:

أولاً: إلى أنه لا بد من وجود معترض على أهل الإسلام في تمسكهم بشرع اللّه أمراً ونهياً كما ترشدنا ثانياً إلى أن الأمر كله لله فهو الذي بيده الهداية فإنه كما أن له الخلق له الأمر.

وثالثاً: أن الصراط المستقيم والنهج القويم هو فيما شرعه اللّه لعباده في كتابه وسنة رسوله ﷺ.

١٣ ـ حدثنا أبو نعيم سمع زهير[١] عن أبي إسحاق[٢] عن البراء[٣] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأنه صلىأو صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون قال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم، إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾.

ش / فيه عشر مسائل:

الأولى قوله **(إن رسول الله ﷺ صلى)** وقع عند مسلم وغيره صليت مع رسول الله ﷺ وفي لفظ (صلينا مع رسول الله ﷺ) والمعنى واحد.

الثانية: قوله **(إلى بيت المقدس)** هو المسجد الأقصى الذي أسري برسول الله ﷺ إليه من مكة كما قال تعالى ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا﴾.

يقال بيت المقدس والبيت المقدس وبيت القدس ومعناه المطهر والذي يتقدس فيه من الذنوب أي يتطهر منها.

الثالثة: قوله **(ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً)** كذا ههنا بالشك من

(١) أبو خيثمة زهير بن معاوية بن خديج الجعفي الكوفي نزيل الجزيرة، ثقة ثبت، إلا أن سماعه عن أبي إسحاق بأخرة من السابعة، مات سنة اثنتين وسبعين ومائة وقيل بعدها وكان مولده سنة مائة (ع).

(٢) عمرو بن عبدالله الهمداني السبيعي مكثر ثقة عابد من الثالثة اختلط بآخره مات سنة تسع وعشرين ومائة وقيل قبل ذلك. (ع).

(٣) البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي صحابي ابن صحابي نزل الكوفة واستصغر يوم بدر وكان هو وابن عمر لدة، مات اثنتين وسبعين (ع).

رواية زهير عن أبي إسحاق عن البراء كما وقع كذلك عند أحمد من رواية إسرائيل عن أبي إسحاق وعند مسلم من رواية سفيان عن أبي إسحاق ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي الأحوص عن أبي إسحاق عن البراء بلفظ (ستة عشر شهراً) دون تردد.

قال الحافظ في الفتح (٩٦/١) في الجمع بين هذه الرواية والروايات الأخرى التي نصت على سبعة عشر شهراً: «والجمع بين الروايتين سهل بأن يكون من جزم بستة عشر لفق من شهر القدوم وشهر التحويل شهراً والغى الزائد، ومن جزم بسبعة عشر عدهما معاً ومن شك تردد في ذلك» اهـ.

الرابعة: قوله **(وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت)**.

(قبل البيت) أي جهته ويدل لما تضمنته هذه الجملة قوله تعالى ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها... الآية﴾.

قال ابن جرير (١٩/٢): «يعني بذلك جل ثناؤه ﴿قد نرى﴾ يا محمد نحن ﴿تقلب وجهك في السماء﴾ ويعني بالتقلب التحول والتصرف، ويعني بقوله ﴿في السماء﴾ نحو السماء، وقبلها، وإنما قيل له ذلك صلى اللّه عليه وسلم فيما بلغنا لأنه كان قبل تحويل قبلته من بيت المقدس إلى الكعبة يرفع بصره إلى السماء ينتظر من اللّه جل ثناؤه أمره بالتحويل نحو الكعبة... » اهـ..

الخامسة: قوله **(إنه صلى أوصلاها صلاة العصر)** أخرجه المصنف في كتاب الإيمان باب الصلاة من الإيمان بلفظ (وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر) فالمحذوف ههنا يوضحه المذكور هناك، وإن قال قائل كيف التوفيق بين هذه الرواية وبين ما جاء أن أول صلاة صلاها رسول اللّه ﷺ إلى البيت صلاة الظهر فالجواب عندنا مرضياً ما قاله الحافظ رحمه اللّه في الفتح (٩٧/١): «والتحقيق أن أول صلاة صلاها في بني سلمة لما مات بشر بن البراء بن معرور الظهر وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوي صلاة العصر » اهـ.

السادسة: قوله (**فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون**) نقل الحافظ عن ابن مندة أن الرجل هو عباد بن بشر، وأما أهل المسجد فقال بعضهم هم ناس من بني سلمة فخذ من الأنصار.

السابعة: قوله (**أشهد باللّه**) أي أحلف بالله،فالشهادة هنا بمعنى القسم والحلف يقال: أشهد باللّه على كذا أي أقسم به عليه وذلك لتأكيد المخبر به.

الثامنة: قوله: (**لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة**) هذا هو جواب القسم واللام في قوله (لقد صليت) لام التأكيد.

التاسعة: قوله (**فداروا كما هم قبل البيت**) أي انحرفوا نحو الكعبة وهم في صلاتهم دون تغيير لأماكنهم وفيه من الفوائد:

أولاً: جواز الحركة في الصلاة لمصلحتها وأنها لاتُبطِلها.

ثانياً: إن من صلى إلى غير القبلة خطأ بعد اجتهاده ثم تبين له ذلك أثناء الصلاة اتجه إلى القبلة من غير استئناف للصلاة وإن صلاته صحيحة.

ثالثاً: قبول خبر الواحد وقد أجمع على ذلك الصحابة في وقائع كثيرة، هذه منها ولا يشكل عليه رد عمر رضي اللّه عنه قول أبي موسى في الاستئذان حتى أتى بمن يشهد له لأن المراد الاستثبات والاستيثاق، ولأنه حتى بعد أن أتى أبو موسى بشاهد على قوله لايخرجه ذلك عن كونه خبر واحد لأن معنى خبر الواحد عند المحدثين ما لم يبلغ حد التواتر وتفصيل ذلك في علم المصطلح.

العاشرة: قوله (**وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجالاً قتلوا لم ندر ما نقول فيهم**) فيهم ثلاثة أمور:

الأول: في أولئك الذين ماتوا على القبلة الأولى سمى الحافظ في الفتح (١/٩٨) عشرة متفق عليهم وهم في مكة من قريش: عبداللّه بن شهاب والمطلب بن أزهر الزهريان والسكران بن عمرو العامري وبأرض الحبشة منهم حطاب بالمهملة ابن الحارث الجمحي وعمر بن أمية الأسدي وعبداللّه بن

الحارث السهمي وعروة بن عبدالعزى وعدي بن نضلة العدويان ومن الأنصار بالمدينة، البراء بن معرور بمهملات وأسعد بن زراره فهوؤلاء العشرة متفق عليهم.

الثاني: تسمية الصلاة بالإيمان وذلك والله أعلم لأنها أعظم فرائض الدين العملية كما في الحديث الذي رواه الترمذي وصححه عن معاذ أن رسول الله ﷺ قال: (رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة...) الحديث.

الثالث: شفقة الصحابة على من مضى من إخوانهم على القبلة الأولى وخشيتهم من حبوط عملهم، فقد روى الترمذي وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما وجه النبي ﷺ إلى الكعبة قالوا: يارسول الله: كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فأنزل الله ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم...الآية﴾.

١٥ -[باب ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾].

ش / تمامها **﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى اللّه وما كان اللّه ليضيع إيمانكم إن اللّه بالناس لرؤوف رحيم﴾.**

قال الطبري ــ رحمه اللّه ــ في تفسيره (٦/٢): «يعني جل ثناؤه بقوله ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد ﷺ وبما جاءكم به من عنداللّه فخصصناكم بالتوفيق لقبلة إبراهيم وملته وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل كذلك خصصناكم ففضلناكم على غيركم من أهل الأديان بأن جعلناكم أمة وسط وقد بينا أن الأمة هي القرن من الناس والصنف منهم، وغيرهم وأما الوسط فإنه في كلام العرب الخيار يقال منه فلان وسط الحسب في قومه أي متوسط الحسب إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه وهو وسط في قومه وواسط كما يقال شاة يابسة اللبن ويبسة اللبن، وكما قال جل ثناؤه ﴿فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً﴾ وقال زهير بن أبي سلمى في الوسط.

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم»اهـ

وأنا أرى أن الوسط هو الوسط الذي بمعنى الجزء الذي هو بين الطرفين مثل وسط الدار محرك الوسط مثقله غير جائز في سينه التخفيف، وأرى أن اللّه تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى الذين غلوا بالترهب وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب اللّه وقتلوا أنبياءه وكذبوا على ربهم وكفروا به ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه فوصفهم اللّه بذلك إذ كان أحب الأمور إلى اللّه أوسطها.

قال مقيده: وعندي أن الوسطية في الآية شاملة للمعنيين جميعها، فأمة محمد ﷺ خير الأمم ديناً وأعدلها حكماً ولذا اختيرت للشهادة على الأمم قبلها، كما

قال تعالى: ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾.

وأما قوله ﴿ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ هو كما قال تعالى في موضع آخر ﴿إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم... الآية﴾.

والمعنى أنه ﷺ يشهد على أمته يوم القيامة بما بلغها به من شرع اللّه.

قوله ﴿**وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه**﴾ قال ابن كثير (١٩٧/١):

« يقول تعالى إنما شرعنا لك يا محمد التوجه أولاً إلى بيت المقدس ثم صرفناك عنه إلى الكعبة ليظهر حال من يتبعك ويطيعك ويتقبل معك حيثما توجهت ﴿ممن ينقلب على عقبيه﴾ أي مرتداً عن دينه ﴿وإن كانت لكبيرة﴾ أي هذه الفعلة وهو صرف التوجه عن بيت المقدس إلى الكعبة، أي وإن كان هذا لأمراً عظيماً في النفوس إلا على الذين هدى اللّه قلوبهم وأيقنوا بتصديق الرسول وأن كل ماجاء به فهو الحق الذي لا مرية فيه، وإن اللّه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فله أن يكلف عباده بما شاء وينسخ ما يشاء وله الحكمة التامة والحجة البالغة في جميع ذلك بخلاف الذين في قلوبهم مرض فإنهم كلما حدث أمر أحدث لهم شكا كما يحصل للذين آمنوا إيقان وتصديق » انتهى محل الغرض.

قوله ﴿**وما كان اللّه ليضيع إيمانكم**﴾ قال القرطبي :اتفق العلماء على أنها نزلت فيمن مات زهز يصلي إلى بيت المقدس، ثم قال : فسمى الصلاة إيماناً لاجتماعها على نية وقول وعمل ، وقيل المراد ثبات المؤمنين على الإيمان عند تحويل القبلة ، وعدم ارتيابهم كما ارتاب غيرهم ، والأول يتعيّن القول به والمصير إليه.أهـ

قوله ﴿**إن اللّه بالناس لرؤوف رحيم**﴾ هذه الجملة مقررة ومؤكدة لما قبلها وفيها إثبات الرأفة والرحمة صفتين لله عزوجل لائقتين بجلاله وهما صفتان حقيقيتان.

١٤ ـ حدثنا يوسف بن راشد[١] حدثنا جرير وأبو أسامة[٢] واللفظ لجرير عن الأعمش[٣] عن أبي صالح وقال أبو أسامة حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد[٤] قال: قال رسول اللّه ﷺ يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يارب. فيقول: هل بلغت فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون ما أتانا من نذير فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ ﴿ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ فذلك قوله جل ذكره ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ . والوسط العدل.

فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله (**يدعى نوح يوم القيامة**) وعند المصنف في الأنبياء باب قوله تعالى ﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ من طريق عبدالواحد بن زياد عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد بلفظ (يجئ نوح وأمته) ورواه في الاعتصام باب قوله تعالى ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ من طريق أبي أسامة عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد بلفظ (يجاء بنوح يوم القيامة) ولا تعارض بين هذه الروايات

(١) أبو يعقوب يوسف بن موسى بن راشد القطان الكوفي نزيل الري ثم بغداد صدوق من العاشرة، مات سنة ثلاث وخمسين ومئتين (خ،د،ت،عس،ق).

(٢) حماد بن أسامة القرشي مولاهم الكوفي مشهور بكنيته ثقة ثبت، ربما دلس، وكان بآخره يحدث من كتب غيره، من كبار التاسعة، مات سنة إحدى ومئتين وهو ابن ثمانين. (ع).

(٣) أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي الكوفي الأعمش ثقة حافظ عارف بالقراءة ورع لكنه يدلس من الخامسة، مات سنة سبع أو ثمان وأربعين ومائة، وكان مولده أول إحدى وستين (ع).

(٤) سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري له ولأبيه صحبة، استصغر في أحد ثم شهد ما بعدها وروى الكثير مات بالمدينة سنة ثلاث وستين أو بعدها، وقيل سنة أربع وسبعين. (ع).

فإن مجيء نوح ﷺ وأمته بعد دعائه، فيدعى هو أولاً لأنه إمامهم ثم تحضر أمته معه أو بعده للسؤال.

الثانية: قوله: (**فيقول لبيك وسعديك يارب**) لبيك مصدر لبى يلبي تلبية، وثنى للتأكيد والمعنى إجابة بعد إجابة وسعديك من المساعدة بمعنى المطاوعة، قال ابن الأثير في مادة سعد أي ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة، وإسعاداً بعد إسعاد ولهذا ثني، وهو من المصادر المنصوبة بفعل لا يظهر في الاستعمال.

الثالثة: قوله (**هل بلغت**) السائل هو اللّه سبحانه وتعالى كما يدل لذلك رواية المصنف في الأنبياء حيث جاء فيها (فيقول اللّه تعالى) والسؤال من اللّه عزوجل وهو أعلم بحال نوح مع قومه لتقريع القوم وتوبيخهم ومعناه هل بلغت قومك ما أرسلت به إليهم؟.

الرابعة: قوله (**نعم**) عند المصنف في الاعتصام بزيادة (نعم يارب) ونعم هذا جواب من نوح ﷺ ومعنى الكلمة حرف تصديق ووعد وإعلام قاله ابن هشام في المغني (٢/٣٤٥).

قلت والمعنى: نعم بلغتهم ما أرسلت به إليهم.

الخامسة: قوله (**فيقال لأمته هل بلغكم؟**) وهذا السؤال أيضاً للتوبيخ وإقامة الحجة على القوم فإنه ليس بخاف على اللّه عزوجل حال القوم مع نبيهم.

السادسة: قوله (**فيقولون ما أتانا من نذير**) هذا إنكار من قوم نوح بلوغهم الرسالة ظناً منهم أن ذلك ينجيهم من اللّه عزوجل.

السابعة: قوله (**من يشهد لك**) هذا من كمال عدل اللّه وإقامة الحجة على القوم.

الثامنة: قوله (**محمد وأمته**) فيه فضيلة النبي ﷺ على سائر الأنبياء وفضيلة هذه الأمة على سائر الأمم بالشهادة للأنبياء على قومهم وليس خاصاً بنوح، يوضحه ما رواه أحمد في المسند (٣/٥٨) والنسائي في التفسير باب (وكذلك

جعلناكم أمة وسطاً) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللّه ﷺ: (يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان، وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال لهم: هل بلغكم هذا؟ فيقولون: لا. فيقال: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم. فيقال له: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته. فيدعى محمد وأمته فيقال لهم: هل بلغ هذا قومه فيقولون نعم. فيقال: وما علمكم. فيقولون: جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا فذلك قوله ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ قال: يقول: عدلاً ﴿لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾.

وفي حديث الباب مع الآية وما في معناهما من الآيات والأحاديث دليل على عموم رسالة النبي ﷺ.

قوله (**والوسط العدل**).

ش / هذا أحد التفسيرين للآية وهو قول أبي عبيدة وزاد: خياراً، ومنه قولهم : فلان وسط في عشيرته أي في خيار عشيرته.

ويشهد له رواية المصنف في الاعتصام ورواية أحمد والنسائي المتقدمة.

١٦ -[باب قوله ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى اللّه وما كان اللّه ليضيع إيمانكم إن اللّه بالناس لرؤوف رحيم﴾].

ش / تقدم معناها في الباب قبله.

١٥ ـ حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان عن عبداللّه بن دينار[1] عن ابن عمر رضي اللّه عنهما بينا الناس يصلون الصبح في مسجد قباء إذ جاء جاءٍ فقال: أنزل اللّه على النبي ﷺ قرآناً أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها فتوجّهوا إلى الكعبة.

ش / فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله (**بينا الناس**) فيه أمران:

الأول: في معنى (بينا) قال أهل اللغة: أصله بين فاشبعت الفتحة فصارت ألفا ويقال بينا وبينما وهما ظرفا زمان بمعنى المفاجأة ويضافان إلى جملة من فعل وفاعل، أومبتدأ وخبر ويحتاجان إلى جواب يتم به المعنى، والأفصح في جوابهما الا يكون فيه إذ وإذا وقد جاء كثيراً تقول: بينا زيد جالس دخل عليه عمرو، وإذ دخل عليه عمرو، وإذا دخل عليه، وبينا ههنا أضيف إلى المبتدأ والخبر وجوابه قوله (إذ جاءَ جاءٍ).

الثاني: في (**الناس**) فالمراد به أهل قباء ومن حضر معهم، فالألف واللام فيه للعهد الذهني، ورواه مسلم في المساجد باب تحويل القبلة عن أنس أن رسول اللّه ﷺ كان يصلي نحو بيت المقدس، فنزلت ﴿**قد نرى تقلب وجهك في السماء، فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطهر المسجد الحرام**﴾ فمر رجل من بني سلمة وهم ركوع في صلاة الفجر وقد صلوا ركعة فنادى ألا إن القبلة قد حولت

---

(١) عبداللّه بن دينار هو أبو عبدالرحمن عبداللّه بن دينار العدوي مولاهم المدني مولى ابن عمر ثقة، من الرابعة، مات سنة سبع وعشرين ومائة (ع).

فمالوا كما هم نحو القبلة).

قلت: فالجمع بين حديث أنس هذا وحديث الباب أن بني سلمة غير بني عمرو ابن الحارث أهل قباء، فتعددت القصة. والله أعلم.

الثانية: قوله (**يصلون الصبح**) فيه تسمية الصلاة التي تحول فيها أهل قباء إلى الكعبة ولا يعارضه ماروراه مسلم عن ابن عمر قال: (بينما الناس في صلاة الغداة... الحديث) فكل من الاسمين تسمى به صلاة الصبح خلافاً لمن كره تسميتها بالغداة.

الثالثة: قوله (**في مسجد قباء**) هو ذلك المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم كما قال جل ذكره: ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يطهروا والله يحب المطهرين﴾. وقباء مكان معروف جنوب المدينة وفيه عدة لغات: قباء بالمد، وقبا: بالقصر منونا.

والحديث دليل على سرعة استجابة القوم وقبولهم السنة كإخوانهم من أصحاب النبي ﷺ الذي صلوا إلى القبلتين وتلك منقبة لهم ودليل على انشراح صدورهم فكانوا بحق ممن هدى الله فطابت نفوسهم بالسنتين.

الرابعة: قوله (**إذ جاء جاء**).

هذا جواب بينا ولم أقف لذلك الآتي على تسمية ولعل عدم تسميته مبني على عدم المصلحة في ذلك إذ العبرة حاصلة. مما في الخبر من أحكام، والكلام على بقية الحديث قد تضمنه حديث البراء قبله.

١٧ - [باب ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام... إلى قوله: عما تعملون﴾].

ش/ تمامها **﴿وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما ا لله بغافل عما يعملون﴾**.

قال البغوي رحمه اللّه (١/١٢٤): «هذه الآية وإن كانت متأخرة في التلاوة فهي متقدمة فى المعنى فإنها رأس القصة، وأمر القبلة أول ما نسخ من أمور الشرع وذلك أن رسول اللّه ﷺ وأصحابه كانوا يصلون. بمكة إلى الكعبة فلما هاجر إلى المدينة أمره أن يصلي نحو صخرة بيت المقدس ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إياه، إذا صلى إلى قبلتهم مع ما يجدون من نعته في التوراة، فصلى بعد الهجرة ستة عشر أو سبعة عشر شهرا إلى بيت المقدس وكان يحب أن يوجه إلى الكعبة لأنها كانت قبلة أبيه إبراهيم عليهما السلام. إلى أن قال: **﴿فلنولينك﴾** فلنحولنك إلى **﴿قبلة ترضاها﴾** أي تحبها وتهواها **﴿فول﴾** أي حول و**﴿المسجد الحرام﴾** أي نحوه وأراد به الكعبة؟ و**﴿الحرام﴾**. المحرم **﴿وحيثما كنتم﴾** من بر أو نحو شرق أو غرب **﴿فولوا وجوهكم شطره﴾** عند الصلاة، إلى أن قال **﴿وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه﴾** يعني أمر الكعبة **﴿للحق من ربهم﴾** ثم هددهم فقال: **﴿وما اللّه بغافل عما يعملون ﴾**» انتهى

قلت: وفي الاية من الأحكام العظيمة:

أولا: إثبات العلو لله سبحانه وتعالى:

ثانيا: علم اللّه بأحوال العباد وأفعالهم ومن ثم مجازاتهم عليها.

ثالثا: أن الكعبة هي قبلة من سبق من الأنبياء.

رابعا: نسخ السنة بالقران.

١٦ - حدثنا علي بن عبداللّه[١] حدثنا معتمر[٢] عن أبيه[٣] عن أنس رضى اللّه عنه لم يبق ممن صلى القبلتين غيري.

فيه مسألتان:

الأولى: المراد بالقبلتين بيت المقدس والكعبة وكل منهما كان سنة واجبة الاتباع ثم نسخت الأولى وبقيت الثانية.

وقوله (**صلى القبلتين**) حذف حرف الجر وهو إلى، فالاسم منصوب بنزع الخافض.

الثانية: في الحديث دليل على أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار هم من صلوا إلى القبلتين ، وقول أنس هذا لأنه مات بعد سنة تسعين فقال ذلك تحدثا بنعمة اللّه عليه إذ جاوز عمره المائة كما تقدم في ترجمته.

---

(١) أبو الحسن علي بن عبداللّه بن جعفر بن نجيح السعدي مولاهم ابن المديني بصري، ثقة ثبت إمام، أعلم أهل عصره بالحديث وعلله حتى قال البخاري ما استصغرت نفسي إلا عند علي بن المديني، وقال النسائي (كأن اللّه خلقه للحديث) من العاشرة، مات سنة أربع وثلاثين ومئتين. (ع).

(٢) أبو محمد معتمر بن سليمان التيمي البصري يلقب الطفيل ثقة من كبار التاسعة مات سنة سبع وثمانين ومائة (ع).

(٣) أبو المعتمر سليمان بن طرخان التيمي البصري نزل في التيم فنسب إليهم ثقة عابد، من الرابعة مات سنة ثلاث وأربعين ومائة، وهو ابن سبع وتسعين سنة (ع).

١٨ - [باب ﴿**ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك... إلى قوله: إنك إذا لمن الظالمين**﴾].

ش: تمامها ﴿**وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض، ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين**﴾.

قلت: اللام موطئة للقسم فالتقدير واللّه لئن أتيت... الخ.

وقوله: ﴿**ما تبعوا قبلتك**﴾ جواب القسم، قال ابن سعدي (١ / ١١٠): «كان النبي ﷺ من كمال حرصه على هداية الخلق يبذل غاية ما يقدر عليه من النصيحة، و يتلطف بهدايتهم ويحزن إذا لم ينقادوا لأمر اللّه، فكان من الكفار من تمرد عن أمر اللّه واستكبر على رسل اللّه وترك الهدى عمداً وعدواناً فمنهم اليهود والنصارى أهل الكتاب الأول الذين كفروا بمحمد ﷺ عن يقين لا عن جهل، فلهذا أخبره اللّه تعالى إنك ﴿**لئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية**﴾ أي بكل برهان ودليل يوضح قولك ويبين ماتدعوا إليه ﴿**ماتبعوا قبلتك**﴾ أي ما اتبعوك، لأن اتباع القبلة دليل على اتباعه، ولأن السبب هو شأن القبلة، وإنما كان الأمر كذلك لأنهم معاندون عرفوا الحق وتركوه فالآيات إنما ينتفع بها من يتطلب الحق فتوضح له الآيات البينات، وأما من جزم بعدم اتباع الحق فلا حيلة فيه؛ وأيضا فإن اختلافهم فيما بينهم حاصل، وبعضهم غير تابع قبلة بعض فليس بغريب منهم مع ذلك أن لا يتبعوا قبلتك يا محمد، وهم الأعداء الحسدة حقيقة، وقوله ﴿**وما أنت بتابع قبلتهم**﴾ أبلغ من قوله: ولا تتبع لأن ذلك يتضمن أنه ﷺ اتصف بمخالفتهم فلا يمكن وقوع ذلك منه، ولم يقل ولو أتوا بكل آية لأنهم لا دليل لهم على قولهم، وكذلك إذا تبين الحق بأدلته اليقينية لم يلزم الإتيان بأجوبة الشبه الواردة عليه لأنها لا حد لها ولأنه يعلم بطلانها للعلم بأن كل ما نافى الحق الواضح فهو باطل فيكون حل الشبه من باب التبرع، ﴿**ولئن اتبعت أهواءهم**﴾ إنما قال أهواءهم ولم يقل دينهم لأن ماهم عليه مجرد أهواء نفس

حتى هم في قلوبهم يعلمون أنه ليس بدين ومن ترك الدين اتبع الهوى لا محالة. قال تعالى: ﴿**أفرأيت من اتخذ إلهه هواه**﴾.

﴿**من بعد ما جاءك من العلم** ﴾ بأنك على الحق وهم على الباطل ﴿**إنك إذا**﴾ أي إن اتبعتهم فهذا احتراز لئلا تنفصل هذه الجملة عما قبلها ولو في الأفهام ﴿**لمن الظالمين**﴾ أي داخل فيهم ومندرج في جملتهم وأي ظلم أعظم من ظلم من علم الحق والباطل فآثر الباطل على الحق وهذا وإن كان الخطاب له ﷺ فإن أمته داخلة في ذلك، وأيضا فإذا كان هو ﷺ لوفعل ذلك وحاشاه صارظالماً مع علو مرتبته وكثرة إحسانه فغيره من باب أولى وأحرى)) اهـ.

فائدة:

قال ابن الجوزي في الموضوعات (١ / ٥١):

((قال أبو الوفاء على بن عقيل الفقيه، قال شيخنا أبو الفضل الهمداني: مبتدعة الإسلام والواضعون للأحاديث أشد من الملحدين، لأن الملحدين قصدوا إفساد الدين من الخارج وهؤلاء قصدوا إفساده من داخل، فهم كأهل بلد سعو في إفساد أحواله والملحدون كالحاضرين من خارج، فالدخلاء يفتحون الحصن فهم شر على الإسلام من غير الملابسين له)).

قلت:هكذا حذر علماء الاسلام من سبيل المبتدعة وإن تسموا بالدعاة إلى اللّه فإنهم يخوضون الحرب الضروس ضد السلفية، وأهل السنة والجماعة فلا تغتر ياطالب الحق ببريق الكتب الفكرية المعاصرة وما فيها من زخرف القول فتنسلخ عن العقيدة وتتنكر لأهل السنة والجماعة.

١٧ - **حدثنا خالد بن مخلد**[١] **حدثنا سليمان**[٢] **حدثني عبداللّه بن دينار**

(١) أبو الهيثم خالد بن مخلد القطواني البجلي مولاهم الكوفي صدوق يتشيع وله أفراد من كبار العاشرة مات سنة ثلاث عشر ومئتين وقيل بعدها (خ،م، كد،ت،س،ق).

(٢) أبو محمد سليمان بن بلال التيمي مولاهم المدني ثقة من الثامنة مات سنة سبع وسبعين ومائة (ع).

عن ابن عمر رضي اللّٰه عنهما قال: بينما الناس في الصبح بقباء جاءهم رجل فقال: إن رسول اللّٰه ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن وأمر أن يستقبل الكعبة ألا فاستقبلوها وكان وجه الناس إلى الشام فاستداروا بوجوههم إلى الكعبة.

ش / تقدم في باب ﴿**وما جعلنا القبلة التي كنت عليها...**﴾.

١٩ - [باب ﴿الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق... ﴾ إلى قوله ﴿فلا تكونن من الممترين﴾]

ش: تمام السياق ﴿**وهم يعلمون، الحق من ربك فلا تكونن من الممترين**﴾.

قوله تعالى ﴿**الذين آتيناهم الكتاب**﴾ يخبر جل ثناؤه أن أهل الكتاب يعرفون معرفة تامة صحة ما جاءهم به النبي ﷺ من الحق كما يعرف الرجل ولده فلا يشك وإن فريقا من هؤلاء يكتمون الحق مع علمهم به والمراد أنهم يكتمون الناس ما في كتبهم من صفة النبي ﷺ.

قوله ﴿**الحق من ربك**﴾ قال ابن جرير (٢/٢٧):

((يقول اللّه جل ثناؤه: اعلم يامحمد أن الحق ما أعلمك ربك واتاك من عنده لا ما يقول لك اليهود والنصارى وهذا من اللّه تعالى ذكره خبر لنبيه عليه الصلاة والسلام عن أن القبلة التي وجهه نحوها هي القبلة الحق التي كان عليها إبراهيم خليل الرحمن ومن بعده من أنبياء الله عزوجل ﴿**فلا تكونن من الممترين**﴾ أي فلا تكونن من الشاكين في أن القبلة التي وجهتك نحوها قبلة إبراهيم خليلي عليه السلام وقبلة الأنبياء غيره)).

١٨ ـ حدثنا يحيى بن قزعة[(١)] حدثنا مالك عن عبداللّه بن دينارعن ابن عمر قال: بينا الناس بقباء في صلاة الصبح، إذ جاءهم آت فقال: إن النبي ﷺ أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة.

ش: تقدم.

---

(١) يحيى بن قزعة بفتح القاف والزاي القرشي المكي المؤدب. مقبول من العاشرة (خ).

٢٠ - [باب ﴿**ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم اللّه جميعا إن اللّه على كل شئ قدير**﴾].

ش / قال ابن كثير(١/ ٢٠٠):

((وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى:﴿**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا، ولو شاء اللّه لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما اتاكم فاستبقوا الخيرات، إلى اللّه مرجعكم جميعا**﴾ وقال ههنا ﴿**أينما تكونوا يأت بكم اللّه جميعا إن اللّه على كل شئ قدير**﴾ أي هو قادر على جمعكم من الأرض وإن تفرقت أجسادكم وأ بدانكم)) .

فائدة:

قال ابن سعدي رحمه اللّه (١/ ١١٣):

((ويستدل بهذه الآية الشريفة على الاتيان بكل فضيلة يتصف بها العمل كالصلاة في أول وقتها والمبادرة إلى إبراء الذمة من الصيام والحج والعمرة وإخراج الزكاة والاتيان بسنن العبادات وآدابها فلله ما أجمعها وأنفعها من آية)) .

١٩ - **حدثنا محمد بن المثنى**[١] **حدثنا يحيى عن سفيان قال حدثني أبو إسحاق قال سمعت البراء رضي اللّه عنه قال: صلينا مع النبي ﷺ نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا ثم صرفه نحو القبلة.**

ش / تقدم ضمن الباب الرابع عشر

---

(١)أبو موسى محمد بن المثنى بن عبيد العنزي البصري المعروف بالزمن مشهور بكنيته واسمه، ثقة ثبت، من العاشرة وكان هو وبندار فرسي رهان وماتا في سنة واحدة .(ع)

٢١ - [باب ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما اللّه بغافل عما تعملون﴾].

ش / يأمر جل ثناؤه نبيهﷺ والأمة تبع له أن تكون وجهته في الصلاة المسجد الحرام في أي مكان كان براً أو بحراً.

وقوله **﴿وإنه للحق من ربك﴾** أي هذا التولي وهو التوجه إلى البيت، وفي قوله **﴿وما اللّه بغافل عمل تعملون﴾** إخبار عن إحاطة علمه بأفعال العباد وذلك دليل على مجازاتهم عليها.

[شطره: تلقاءه]

ش / أخرجه ابن جرير عن أبي العالية والربيع بن أنس.

٢٠ - حدثنا موسى بن إسماعيل[١] حدثنا عبدالعزيز بن مسلم[٢] حدثنا عبداللّه بن دينار قال سمعت ابن عمر رضي اللّه عنهما يقول: بينا الناس في الصبح بقباء إذ جاءهم رجل فقال: أنزل الليلة قران فأمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها فاستداروا كهيئتهم فتوجهوا إلى الكعبة وكان وجه الناس إلى الشام.

ش / تقدم ضمن الباب الرابع عشر.

(١) أبو سلمة موسى بن إسماعيل المنقري التبوذكي مشهور بكنيته واسمه ثقة ثبت من صغار التاسعة ولا التفات إلى قول ابن خراش: تكلم الناس فيه، مات سنة ثلاث وعشرين ومئتين. (ع).

(٢) أبو زيد عبدالعزيز بن مسلم القسملي المروزي ثم البصري ثقة عابد، ربما وهم، من السابعة مات سنة سبع وستين مائة (خ. م. د. ت. س).

٢٢ - [باب ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره... إلى قوله : ولعلكم تهتدون﴾].

ش / تمامها ﴿**لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون**﴾.

الآية تأكيد لما سبق من أمر التوجه في الصلاة إلى المسجد الحرام وذلك للاهتمام به وفي قوله ﴿**وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره**﴾ خطاب للأمة بعد خطاب نبيها ﷺ. لتأكيد تبعيتها له وقوله ﴿**لئلا يكون للناس عليكم حجة**﴾.

قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي (١/١١٣): «أي شرعنا لكم استقبال الكعبة المشرفة لينقطع عنكم احتجاج الناس من أهل الكتاب والمشركين فإنه لو بقي مستقبلا لبيت المقدس لتوجهت عليه الحجة فإن أهل الكتاب يجدون في كتابهم أن قبلته المستقرة هي الكعبة البيت الحرام، والمشركون يرون أن من مفاخرهم هذا البيت العظيم وأنه من ملة إبراهيم وأنه إذا لم يستقبله محمد ﷺ توجهت نحوه حججهم وقالوا: كيف يدعي أنه على ملة إبراهيم وهو من ذريته وقد ترك استقبال قبلته فباستقبال القبلة قامت الحجة على أهل الكتاب والمشركين وانقطعت حججهم عليه ﴿**إلا الذين ظلموا منهم**﴾ أي من احتج منهم بحجة هو ظالم فيها وليس لها مستند إلا اتباع الهوى والظلم فهذا لا سبيل إلى اقناعه والاحتجاج عليه وكذلك لا معنى لجعل الشبهة التي يوردونها على سبيل الاحتجاج محلاً يؤبه لها ولا يلقي لها بال فلهذا قال تعالى ﴿**فلا تخشوهم**﴾ لأن حجتهم باطلة والباطل كاسمه مخذول صاحبه وهذا بخلاف صاحب الحق فإن للحق صولة وعزة يوجب خشية من هو معه وأمر تعالى بخشيته التي هي رأس كل خير فمن لم يخش اللّه لم ينكفَّ عن معصيته ولم يمتثل أمره.

كان صرف المسلمين إلى الكعبة مما حصلت فيه فتنة كبيرة أشاعها أهل الكتاب والمنافقون والمشركون وأكثروا فيها الكلام والشبه فلهذا بسطها اللّه

تعالى وبينها أكمل بيان وأكدها بأنواع من التأكيدات التي تضمنتها هذه الآيات.. إلى أن قال: ولما كان توليته لنا إلى استقبال القبلة نعمة عظيمة وكان لطفه بهذه الأمة ورحمته لم يزل يتزايد وكلما شرع لهم شريعة فهي نعمة عظيمة قال ﴿**ولأتم نعمتي عليكم**﴾ فأصل النعمة الهداية لدينه بإرسال رسوله وإنزال كتابه ثم بعد ذلك النعم المتممات لهذا الأصل لاتعد كثرة ولا تحصر منذ بعث اللّه رسوله إلى أن قرب رحيله من الدنيا وقد أعطاه اللّه من الأحوال والنعم وأعطى أمته ما أتم به نعمته عليه وعليهم وأنزل اللّه عليه ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا**﴾ فلله الحمد على فضله الذي لا نبلغ له عداً فضلا عن القيام بشكره ﴿**ولعلكم تهتدون**﴾ أي تعلمون الحق وتعملون به)) .

٢١ – حدثنا قتيبة بن سعيد[١] عن مالك عن عبداللّه بن دينار عن ابن عمر، قال: بينما الناس في صلاة الصبح بقباء، إذ جاءهم آت فقال: إن رسول اللّه ﷺ قد أنزل عليه الليلة وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى القبلة (الكعبة).

ش / تقدم ضمن الباب الرابع عشر

(١) أبو رجاء قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف الثقفي البغلاني ثقة ثبت، من العاشرة مات سنة أربعين ومئتين عن تسعين سنة (ع).

٢٣ - [باب قوله: ﴿**إن الصفا والمروة من شعائر اللّه فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن اللّه شاكر عليم**﴾].

ش / قلت: الصفا في الأصل الحجر الأملس قال في المصباح مادة: صفو، ((والصفا مقصور الحجارة ويقال الحجارة الملس الواحدة صفاة مثل حصى وحصاة)) وقال في مادة مرو، المرو: ((الحجارة البيض الواحدة مروة وسمي بالواحدة الجبل المعروف بمكة)).

والشعائر: جمع شعيرة وهي العلامة والمعنى أن اللّه سبحانه وتعالى جعل الصفا والمروة من علامات النسك التي شرعها لعباده وأنه لا أثم على من أتى البيت حاجا أو معتمرا أن يسعى بين ذينك الموضعين وقوله ﴿**ومن تطوع خيرا**﴾ اختلف أهل التفسير في المراد به، والراجح عندي أن من فعل تطوعا وهو مازاد على الفرائض من نوافل العبادات.

وقوله ﴿**فإن اللّه شاكر عليم**﴾ فيه اتصاف الرب جل وعلا بالشكر لمن فعل خيراً من عباده كمايليق بجلاله وهو دليل على إثابته أهل طاعته.

قال ابن كثير: ((أي يثيب على القليل بالكثير، عليم بقدر الجزاء فلا يبخس أحداً ثوابه لا يظلم مثقال ذرة ﴿**وإن تك حسنة يضاعفها ويؤتي من لدنه أجرا عظيما**﴾)).

شرح جملة من الاثار والكلمات :

١ - [**شعائر: علامات واحدتها شعيرة**].

ش / قاله أبو عبيدة عدا علامات.

٢ - [**وقال ابن عباس الصفوان: الحجر**].

ش / اخرجه ابن جرير قال حدثني المثنى حدثنا أبو صالح حدثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

٣ - [ويقال الحجارة الملس التي لا تنبت شيئا والواحدة صفوانه. بمعنى الصفا والصفا للجميع].

ش / قال أبو عبيدة: «الصفوان: جماع ويقال للواحدة صفوانة في معنى الصفاة والصفا للجميع وهي الحجارة الملس».

وأشار به المصنف إلى قوله ﴿**فمثله كمثل صفوان عليه تراب..**﴾.

وقد ذكره هنا على سبيل الاستشهاد.

٢٢ - حدثنا عبدالله بن يوسف أخبرنا مالك عن هشام بن عروة[١] عن أبيه[٢] أنه قال. قلت لعائشة زوج النبي ﷺ، وأنا يومئذ حديث السن: أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ فما أرى على أحد شيئا أن لا يطوف بهما. فقالت عائشة: كلا لو كانت كما تقول كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، إنما نزلت هذه الآية في الأنصار، كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الاسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله: ﴿إن الصفاوالمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾.

٢٣ - حدثنا محمد بن يوسف[٣] حدثنا سفيان عن عاصم بن سليمان[٤]

---

(١)هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي فقيه ثقة ربما دلس من الخامسة، مات سنة خمس أو ست وأربعين ومائة وله سبع وثمانون سنة (ع).

(٢)أبو عبدالله عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي المدني ثقة فقيه مشهور من الثالثة مات سنة أربع وتسعين على الصحيح، ومولده في أوائل خلافة عثمان (ع)

(٣)محمد بن يوسف بن واقد بن عثمان الفجي مولاهم الفريابي نزيل قيسارية من ساحل الشام ثقة فاضل يقال: أخطأ في شئ من حديث سفيان، وهو مقدم فيه مع ذلك عندهم على عبدالرزاق من التاسعة، مات سنة اثنتي عشرة ومئتين (ع).

(٤) أبو عبدالرحمن عاصم بن سليمان الأحول البصري، ثقة من الرابعة لم يتكلم فيه سوى القطان، فكأنه بسبب دخوله في الولاية، مات بعد سنة أربعين ومائة (ع).

قال: سألت أنس بن مالك رضي اللّه عنه عن الصفا والمروة فقال: كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية فلما كان الاسلام أمسكنا عنهما فأنزل اللّه تعالى ﴿إن الصفا والمروة من شعائر اللّه فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾.

ش / فيهما تسع مسائل:

الأولى: قوله (**قلت لعائشة وأنا يومئذ حديث السن**) فيه ثلاثة أمور:

أحدها: التصريح بأن عروة هو السائل لعائشة وقد أخرجه المصنف في كتاب الحج، باب وجوب الصفا والمروة بلفظ (سألت عائشة).

ثانيها: جملة (**وأنا**) حالية والمعنى وقت أنا.

ثالثها: في قوله (**حديث السن**) أي صغير السن ولم أجد تحديدا لذلك ولعله يعني صغر سنه بالنسبة لأهل عصره وهذا دليل على توقير الأصاغر للأكابر من أهل العلم والفضل وأخذ العلم عنهم والاستعانة بهم في فهم المشكلات.

الثانية: قوله (**أرأيت قول اللّه تبارك وتعالى**) إلى قوله: (**فما أرى على أحد شيئا إلا يطوف بهما**) أرأيت أي أخبريني ثم أبان ما فهمه من الآية من عدم وجوب الطواف بين الصفا والمروة مستدلا برفع الجناح وهو الاثم عمن طاف بهما.

الثالثة: قوله (**كلا لو كانت كما تقول كانت: فلا جناح عليه ألا يطوف بهما**) كلا حرف نفي والمنفي محذوف أي ليس الأمر كما قلت، وقوله (لو كانت ...الخ) بيان المعنى الصحيح للآية كما استدلت على ذلك بسبب نزولها كما سيأتي.

الرابعة: قوله (**إنما أنزلت**) هذا بيان لسبب نزول الاية، وفيه دليل على أهمية سبب النزول وأنه معين على فهم الاية قال الزركشي في البرهان (١/٢٢): «وقد اعتنى بذلك المفسرون فى كتبهم وأفردوا فيه تصانيف منهم على ابن

المديني شيخ البخاري، ومن أشهرها تصنيف الواحدي في ذلك وأخطأ من زعم أنه لا طائل تحته لجريانه مجرى التاريخ، وليس كذلك، بل له فوائد منها: وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب، ومنها الوقوف على المعنى، قال الشيخ أبو الفتح القشميري: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز وهو أمر تحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا... الخ ما ذكره من الفوائد)) .

الخامسة: قوله (**يهلون لمناة**) أي يحجون لمناة، قال ابن إسحاق وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد، فبعث رسول اللهﷺ إليها أبا سفيان صخر بن حرب فهدمها ويقال: علي بن أبي طالب.

السادسة: قوله (**حذو قديد**) أي مقابلة له، وقديد قرية معروفة بين مكة والمدينة وقد وقع في كتاب الحج بالمشلل.

قلت:والمشلل ثنية مشرفة على قديد، فتكون هذا الرواية مبينة لرواية الباب.

السابعة: قوله: (**يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة**).

قال ابن الأثير (١/ ٣٦١):

((وتحرج فلان إذا فعل فعلا يخرج به من الحرج: الاثم والضيق)) .

قلت: فمعناه أن الأنصار وجدوا في أنفسهم من الطواف بين الصفا والمروة ضيقا وحرجا خشية أن يشابهوا أهل الجاهلية كما سيأتي توضحيه.

الثامنة: قوله (**سألت أنسا**) وقد وقع في كتاب الحج من رواية عبداللّه بن المبارك عن عاصم قال: قلت لأنس بن مالك رضي اللّه عنه: أكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة).

قلت: ولا تعارض فإن تلك مصرحة بنص السؤال.

التاسعة: قوله (**كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية**) يوضحه ما أخرجه

الواحدي في «أسباب النزول» صفحة (٤٢) فقال: «وقال عمرو بن حبشي سألت ابن عمر عن هذه الآية فقال: انطلق إلى ابن عباس فسله فإنه أعلم من بقي. مما أنزل اللّه على محمد ﷺ فاتيته فسألته فقال: كان على الصفا صنم على صورة رجل يقال له: إساف، وعلى المروة صنم على صورة امرأة تدعى: نائلة زعم أهل الكتاب أنهما زنيا في الكعبة فمسخهما اللّه تعالى حجرين فوضعا على الصفا والمروة ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون اللّه تعالى، فكان أهل الجاهلية إذا طافوا بينهما مسحوا على الوثنين فلما جاء الاسلام وكسرت الأصنام كره المسلمون الطواف بينهما لأجل الصنمين فأنزل اللّه تعالى هذه الآية» .

فإن قال قائل: هذا الخبر معلق فكيف تورده بيانا لحديث أنس؟

قلت أخرج ابن جرير (٢/ ٤٥) ما تظافر عن السلف من الصحابة والتابعين بمثل ما أخرجه الواحدي معنى وإن اختلفت في اللفظ.

تنبيه:

ظاهر حديث أنس التعارض مع حديث عائشة قبله والجمع بينهما عندي أن كلا الأمرين سبب لنزول الاية، إذ مفادهما تحرج المسلمين من السعي بين الصفا والمروة خشية التشبه بأعمال الجاهلية. واللّه أعلم.

تنبيه آخر:

أفاد الحديثان وما فى معناهما من الأوامر مع الآية مشروعية السعى بين الصفا والمروة وقد اختلف أهل العلم هل السعي ركن يبطل الحج بتركه أو واجب يجبر بدم أو سنة.

فالأول: قول عروة ومالك والشافعي وهو رواية عن أحمد.

والثاني: قول أبي حنيفة والحسن والثوري.

والثالث: قول ابن عباس وأنس وهو الرواية الثانية عن أحمد وهو قول جماعة من أهل العلم. ذكر ذلك ابن قدامة في المغني (٣/ ٤١٠) ورجح أنه

واجب يجبر تركه بدم.

قال مقيده: والصواب عندنا هو القول الأول وبه قال غير من تقدم: عائشة واسحاق بن راهويه وأبو ثور وداود بن علي الظاهري، ويؤيده أحاديث كثيرة منها، قوله ﷺ:(يا أيها الناس إن اللّـه كتب عليكم السعي فاسعوا) وقوله (خذوا عني مناسككم) مع ظاهر الآية وحديثي الباب.

٢٤ - [باب قوله ﴿ومن الناس من يتخذ من دون اللّه أنداداً يحبونهم كحب اللّه﴾]

ش/ تمامها ﴿**والذين آمنوا أشد حباً للّه ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن اللّه شديد العذاب**﴾.

جاءت هذه الآية عقب آية ضمنها الحق جل ثناؤه عدداً من الأدلة على وحدانيته وتفرده بالعبادة وعلى الرغم من تلك الأدلة، فقد عمد بعض الناس إلى إتخاذ الأنداد وهم الشركاء وجعلوا لهم من المحبة مثل ما للّه عزوجل، وفي معنى قوله تعالى ﴿**والذين آمنوا آشد حباً للّه**﴾ قولان لأهل العلم.

أحدهما: ﴿**والذين آمنوا أشد حباً للّه**﴾ من محبة المشركين لله لأن محبتهم للرب خالصة ومحبة المشركين مشتركة.

ثانيهما: ﴿**والذين آمنوا أشد حباللّه**﴾ من محبة المشركين لأندادهم.

والأول أرجح وأظهر والعلم عند اللّه تعالى.

وفي الآية دليل على تحريم نوع من أنوع الشرك الأكبر وهو شرك المحبة كصنيع المشركين في تسويتهم أندادهم في المحبة باللّه.

فائدة: قال الشيخ سليمان بن عبداللّه بن محمد بن عبدالوهاب في تيسير العزيز الحميد صفحة (٤٦٧): «واعلم أن المحبة قسمان مشتركٌ وخاص، فالمشترك ثلاثة أنواع:

أحدها: محبة طبيعية كمحبة الجائع للطعام والظمآن للماء ونحو ذلك، وهذه لا تستلزم التعظيم.

الثاني: محبة رحمة وإشفاق كمحبة الوالد لولده الطفل وهذه أيضاً لا تستلزم التعظيم.

الثالث: محبة أنس وإلف وهي محبة المشتركين في صناعة أو علم أو مرافقة أوتجارة أو سفر بعضهم بعضا وكمحبة الأخوة بعضهم بعضاً فهذه الأنواع الثلاثة

التي تصلح للخلق بعضهم من بعض، ووجودها فيهم لا يكون شركاً في محبة اللّـه ولهذا كان رسول اللّـه ﷺ يحب الحلواء والعسل وكان يحب نساءه وعائشة أحبهن إليه وكان يحب أصحابه وأحبهم إليه الصديق رضي اللّـه عنه.

القسم الثاني: المحبة الخاصة التي لا تصلح إلااللّـه ومتى أحب العبد بها غيره كان شركاً لا يغفره اللّـه وهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة وإيثاره على غيره فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير اللّـه أصلاً كما حققه ابن القيم وهي التي سوى المشركون بين اللّـه تعالى وبين آلهتهم فيها» انتهى محل الغرض.

وفي معنى قوله ﴿**ولو يرى الذين ظلموا**...الخ﴾ قال ابن جرير بعد ترجيحة قراءة ﴿ولو ترى﴾ بالتاء الفوقية وإنما عني تعالى ذكره بقوله ﴿ولو ترى الذي ظلموا﴾ ولو ترى يا محمد الذين ظلموا أنفسهم فاتخذوا من دوني أنداداًيحبونهم كحبكم إياي حين يعاينون عذابي يوم القيامة الذي أعددت لهم لعلمتم أن القوة كلها لي دون الانداد والآلهة، وأن الانداد والآلهة لا تغني عنهم هنالك شيئاً ولاتدفع عنهم عذاباً أحللت بهم وأيقنتم أن شديد عذابي لمن كفر بي وادعى معي إلهاً غيري».

[يعني أضداداً واحدها: ند]

ش / قاله أبو عبيدة وزاد قال حسان:

اتهجوه ولست له بندٍ   فشركمُ لخيركما الفداء

٢٤ ـ حدثنا عبدان[١] عن أبي حمزة[٢] عن الأعمش، عن شقيق، عن

---

(١) عبدان هو أبو عبدالرحمن عبداللّـه بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد العتكي المروزي لقبه عبدان ثقة حافظ من العاشرة مات سنة إحدى وعشرين ومئتين في شعبان (خ،م،د،ت،س).

(٢) أبو حمزة محمد بن ميمون المروزي السكري، ثقة فاضل، من السابعة مات سنة سبع أو ثمان وستين ومائة (ع).

عبداللّه قال النبي ﷺ كلمة، وقلت أخرى: قال النبي ﷺ: (من مات وهو يدعو من دون اللّه نداً دخل النار)، وقلت أنا: من مات وهو لايدعو لله نداً دخل الجنة.

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله (**عن عبداللّه**) قلت هو عبداللّه بن مسعود الصحابي المعروف.

الثانية: قوله (**قال النبي ﷺ كلمة**) قوله كلمة أي مقولة ولم يرد به الكلمة التي هي مفرد الكلم، وإطلاق هذا سائغ وفصيح في العربية. قال ابن مالك:

وكلمة بها كلام قد يؤم ....

والمعنى أن لفظ الكلمة يقصد به كثيراً جمل من الكلام ولذلك شواهد من القرآن والسنة قال تعالى: ﴿**حتى إذا حضر أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالح فيما تركت. كلا إنها كلمة هو قائلها...**﴾.

فقد سمى جل ثناؤه الجميع كلمة، وفي صحيح مسلم عن علي رضي اللّه عنه قال: حدثني رسول اللّه ﷺ بأربع كلمات: (لعن اللّه من ذبح لغير اللّه، لعن اللّه من لعن والديه...الحديث) ووجه الدلالة تسميته ما تضمنه الحديث من جمل كلمات.

الثالثة: قوله (**وقلت أخرى**) أي كلمة أخرى اكتفى بالصفة دون الموصوف لدلالة الكلام على ذلك وقد بين الكلمتين بما يأتي بعد.

الرابعة: قوله (**من مات وهو يدعو من دون اللّه نداً**) الدعاء السؤال ويشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة. فالأول: سؤال الداعي ما يحتاجه من جلب نفع وكشف ضر، والثاني: هو التعبد والتقرب بالسؤال وكلا النوعين محض حق اللّه ومن صرف شيئاً منهما لغير اللّه فإنه مشرك كافر قال تعالى: ﴿**ومن يدع مع اللّه إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون**﴾

فقد سمى الداعي مع اللّـه غيره كافراً وتوعده بعدم الفلاح، وقال في موضع آخر: ﴿**ولا تدع من دون اللّـه مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين**﴾ فقدسمى دعاء غير اللّـه في هذه الآية ظلماً كما سماه هناك كفراً، والآيات في الباب أكثر من أن تحصر والحديث صريح في الدلالة على الخلود في النار لمن مات على الشرك وهو نظير قوله تعالى ﴿إن اللّـه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾.

الخامسة: قوله: (**وقلت أنا من مات وهو لايدعو لله نداً دخل الجنة**)

قلت: لا يخفى أن هذا القول موقوف على ابن مسعود رضي اللّـه عنه وهو صحيح لأمرين أولهما دلالة ما تواتر عن النبي ﷺ في ذلك ومنها ما أخرجه الشيخان عن عبادة بن الصامت رضي اللّـه عنه أن رسول اللّـه ﷺ قال: من شهد أن لا إله إلا اللّـه وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبداللّـه ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله اللّـه الجنة على ماكان من العمل.

وأخرج مسلم عن جابر رضي اللّـه عنه أن رسول اللّـه ﷺ قال: من لقي اللّـه لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار.

قال النووي رحمه اللّـه في شرحه لصحيح مسلم على هذه الأحاديث وما في معناها. باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

قلت: فهذه الأحاديث وما في معناها واضحة الدلالة على ذلك.

وثاني الأمرين: إجماع أهل السنة والجماعة على أن عاصي الموحدين لا يسلب الإيمان بالكلية في الدنيا ما لم يستحل ماعلم تحريمه من الدين بالضرورة، أو أنكر واجباً معلوماً من الدين بالضرورة، وإن مات على ذلك فهو تحت مشيئة اللّـه إن شاء غفر له وإن شاء عذبه وإن عذبه لم يخلده في النار قال الإمام أحمد في أصول السنة (٦٠) «ومن مات من أهل القبلة موحداً يصلى عليه ويستغفر له ولا يحجب عنه الاستغفار ولا نترك الصلاة عليه لذنب أذنبه صغيراً كان أو كبيراً أمره إلى اللّـه تعالى».

٢٥ -[باب ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر... إلى قوله: عذاب أليم﴾].

ش / تمامها **﴿والعبد بالعبد والأنثى بالأنثىفمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم﴾.**

هذه آية عظيمة وفيها أحكام هامة وذلك لأنها من الأصول في العبادات والمعاملات، وإليك تفصيلها بادئين بسبب نزول الآية:

أخرج ابن جرير (١٠٣/٢) والواحدي صحفة (٤٤):

«عن قتادة والشعبي وغيرهما من المفسرين أنه كان بين حيين من العرب قتال وكان لأحدهما طول على الآخر فقالوا: لا نقتل بالعبد منا إلا الحر منهم ولا بالأنثى منا إلا الذكر منهم فنزلت».

قلت: فالآية إذن دالة بعمومها على أن المساواة في النوع بين الجاني والمجني عليه من شروط القصاص فإذا تقرر هذا وتبين لك من خلال سبب النزول أن الحق جل وعلا أراد بهذه الآية ماكان من تطاول أحد الحيين على الآخر في القصاص فاعلم أنه لا معارضة بين آية البقرة هذه وآية المائدة ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس... الآية﴾ فتلك محمولة في استيفاء القصاص على هذه ولكن يخص من هذا العموم أصناف لا يقاد أحدها بالآخر منها: **الأول**: المسلم بالكافر. لما رواه البخاري عن علي رضي اللّه عنه قال قال رسول اللّه ﷺ:لا يقتل مسلم بكافر. ولقوله تعالى: في آية المائدة السابقة **﴿فمن تصدق به فهو كفارة له﴾**. ووجه الدلالة أنه لا صدقة من كافر يكفر بها عنه إذ جميع أعماله حابطة بالكفر.

الثاني: لا يقتل الحر بالعبد وهو مذهب الجمهور ومن أدلتهم أن أطراف العبد فيها القيمة لا القصاص، وأما حديث سمرة أن رسول اللّه ﷺ قال: من قتل عبده قتلناه. أخرجه أبو داود وغيره فمعلول بتدليس الحسن رحمه اللّه .

ثانياً: في الآية دليل على أن القصاص في النفس هو الأصل إذ بدأ اللّه به، ولا ينزل عنه إلى الدية إلا بعفو الولي عنه وقبوله الدية، وفي قوله تعالى ﴿**الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى**﴾ بيان لكيفية القصاص في القتلى وفي وقوله ﴿**فمن عفي له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان**﴾.

ثلاثة أمور:

أولها: الترغيب في العفو عن الجاني من القصاص إلى الدية يوضحه قوله تعالى ﴿إن تبدو خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن اللّه كان عفواً قديراً﴾ وقوله ﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر اللّه لكم﴾.

ثانيها: حسن المطالبة من الولي وحسن الأداء من الجاني وذلك بألا يكون من الأول أذى في الاقتضاء ولا مماطلة من الثاني في الأداء.

ثالثها: تسمية القاتل أخاً للمقتول ففيه شاهد للمذهب الحق وهو أن المسلم لا يكفر بالكبيرة مالم يستحلها ونظير هذا في قوله تعالى ﴿**وإن طائفتان من** المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ ووجه الدلالة تسمية اللّه سبحانه وتعالى كلتا الطائفتين الباغية والمبغي عليها مؤمنة.

وقوله ﴿**ذلك تخفيف من ربكم ورحمة**﴾ امتنان على هذه الأمة بما شرعه لها من جواز قبول ولي الدم الدية والعفو عن القصاص كما يوضحه حديث ابن عباس الآتي:

وقوله ﴿**فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم**﴾ يعني أن من قتل الجاني بعد أخذه الدية فله العذاب المؤلم الموجع وهو في الدنيا بالقتل وفي الآخرة النار والعياذ باللّه.

[**عفي: تُرك**]

ش / قاله أبوعبيدة.

٢٥ ـ حدثنا الحميدي[١] حدثنا سفيان حدثنا عمرو[٢] قال سمعت مجاهداً[٣] قال سمعت ابن عباس رضي اللّه عنهما يقول: كان في بني إسرائيل القصاص ولم تكن فيهم الدية فقال اللّه تعالى لهذه الأمة ﴿كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى. فمن عفي له من أخيه شئ﴾ فالعفو أن يقبل الدية في العمد ﴿فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان﴾.

يتبع بالمعروف ويؤدي بإحسان ﴿ذلك تخفيف من ربكم ورحمة﴾ مما كتب على من كان قبلكم ﴿فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم﴾ قتل بعد قبول الدية.

٢٦ ـ حدثنا محمد بن عبداللّه الأنصاري[٤] حدثنا حميد أن أنساً حدثه عن النبي ﷺ قال: كتاب اللّه القصاص.

٢٧ ـ حدثنا عبداللّه بن منير سمع عبداللّه بن بكر السهمي[٥] حدثنا حميد عن أنس أن الرُّبَيِّع عمته كسرت ثنية جارية فطلبوا إليها العفو فأبوا فعرضوا الإرش فأبوا فأتوا رسول اللّه ﷺ وأبوا إلا القصاص فأمر رسول اللّه ﷺ بالقصاص،فقال أنس بن النضر: يارسول اللّه أتكسر ثنية الربيع؟ لا

---

(١) أبو بكر عبداللّه بن الزبير بن عيسى القرشي الأسدي المكي ثقة حافظ فقيه أجل أصحاب ابن عيينة قال الحاكم كان البخاري إذا وجد الحديث عند الحميدي لا يعدوه إلى غيره من العاشرة، مات بمكة سنة تسع عشرة مئتين وقيل بعدها (خ، م،د،ت،س،فق).

(٢) أبو محمد عمرو بن دينار الأثرم الجمحي مولاهم المكي، ثقة ثبت، من الرابعة (ع).

(٣) أبو الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي مولاهم المكي ثقة، إمام في التفسير والعلم، من الثالثة، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون سنة(ع).

(٤) محمد بن عبداللّه بن المثنى بن عبداللّه بن أنس بن مالك الأنصاري البصري القاضي، ثقة من التاسعة، مات سنة خمس عشرة ومئتين (ع).

(٥) ابو وهب عبداللّه بن بكر بن حبيب السهمي الباهلي البصري نزيل بغداد، ثقة امتنع من القضاء، مات في المحرم سنة ثمان ومئتين (ع).

والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها فقال رسول اللّه ﷺ: يا أنس كتاب اللّه القصاص. فرضي القوم فعفوا فقال رسول اللّه ﷺ إن من عباد اللّه من لو أقسم على اللّه لأبره.

ش / في ههنا مسألتان:

الأولى: قوله **(كان في بني إسرائيل القصاص ولم تكن فيهم الدية إلى قوله... وقال اللّه تعالى لهذه الأمة ﴿كتب عليكم القصاص...﴾ الآية.**

فيه أمران: الأول: أن قبول الدية في القتل بدلاً من القصاص من خصائص هذه الأمة بنص الآية المترجم عليها ويدل له أيضاً قوله ﷺ: (ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين إما أن يودي وإما أن يقاد) أخرجه المصنف في الديات.

فإن قال قائل: كتب في الآية بمعنى فرض وعليه فالقصاص واجب.

قلنا: جوابك من وجهين.

إحدهما: ما قاله أهل العلم من أن معنى ﴿**كتب**﴾ في الآية هو بمعنى فرض نظير قول القائل:إذا أردت الصلاة كتبت عليك الطهارة وإذا أردت الصيام كتبت عليك النية وليس معناه كما تصورت أن القصاص واجب لا يسوغ تركه والعدول عنه.

الوجه الثاني: ما قدمناه من قوله ﷺ: **(ومن قتل له قتيلاً فهو بخير النظرين).**

الأمر الثاني: أنه لم يكن في بني إسرائيل في القتل عمداً إلا القصاص يدل له قوله تعالى ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص﴾ يوضحه قوله (فيها) وذلك أن مرجع الضمير إلى التوراة في الآية قبلها.

المسألة الثانية: قوله ﴿**فمن عفي له من أخية... الخ**﴾ تقدم شرحه في الآية. ويأتي الكلام على بقية الأحاديث في تفسير سورة المائدة ضمن الباب الثالث عشر بعد المائة.

٢٦ -[باب ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾].

ش / في الاية الكريمة ثلاثة أمور.

أولها: فرضية الصيام على هذه الأمة وهو ههنا مجمل بينه بقوله تعالى ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن...﴾ وقد تواترت الأخبار الصحيحة عن النبي ﷺ بأن صيام رمضان واجب على كل مسلم وأجمع المسلمون على كفر من ترك صيام رمضان جاحداً لوجوبه إذا كان عالماً بذلك.

وثانيها: أن فرضية الصيام لم تكن من خصائض هذه الأمة بل عامة في جميع الأمم.

وثالثها: أن الصيام سبب لتقوى اللّه جل وعلا وذلك ما أبانه بقوله: ﴿لعلكم تتقون﴾ وقد جاءت السنة المستفيضة عن النبي ﷺ بذلك ومنها ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة قال قال النبي ﷺ قال اللّه عزوجل: ﴿كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يؤمئذ ولا يسخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امروء صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عنداللّه يوم القيامة من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه). **فقد اتفق الحديث مع الآية على أن الحكمة من فرضية الصيام هي الوقاية من ارتكاب ما نهى اللّه عنه من قبيح الأقوال والأفعال.**

واعلم أن للصيام فوائد جمة، وقد ذكر الشيخ ابن سعدي (١/١٤٣) جملة منها بقوله: «فمما اشتمل عليه من التقوى أن الصائم يترك ما حرم اللّه عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها التي تميل إليها نفسه متقرباً بذلك إلى اللّه راجياً بتركها ثوابه فهذا من التقوى، ومنها أن الصائم يدرب نفسه على مراقبة اللّه تعالى فيترك ما تهوى نفسه مع قدرته عليه لعلمه باطلاع اللّه عليه، ومنها أن الصيام يضيق مجاري الشيطان فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فبالصيام يضعف

نفوذه وتقل منه المعاصي ومنها أن الصائم في الغالب تكثر طاعته والطاعات من خصال التقوى، ومنها أن الغني إذا ذاق ألم الجوع أوجب له ذلك مواساة الفقراء المعدمين وهذا من خصال التقوى».

٢٨ ـ حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن عبيداللّه[(١)] قال: أخبرني نافع[(٢)] عن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال كان عاشوراء يصومه أهل الجاهلية فلما نزل رمضان قال: (من شاء صامه ومن شاء لم يصمه).

٢٩ ـ حدثنا عبداللّه[(٣)] بن محمد حدثنا ابن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي اللّه عنها كان عاشوراء يصام قبل رمضان فلما نزل رمضان قال: (من شاء صام ومن شاء أفطر).

٣٠ ـ حدثني محمود[(٤)] أخبرنا عبيداللّه[(٥)] عن إسرائيل[(٦)] عن منصور عن إبراهيم[(٧)] عن علقمة[(٨)] عن عبداللّه قال: دخل عليه الأشعث وهو يطعم.

---

(١) أبو عثمان عبيداللّه بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العمري المدني ثقة ثبت من الخامسة مات سنة بضع وأربعين ومائة (ع).

(٢) أبو عبداللّه المدني مولى ابن عمر ثقة ثبت فقيه مشهور من الثالثة مات سنة سبع عشرة ومائة أو بعد ذلك (ع).

(٣) ابو جعفر عبداللّه بن محمد بن عبداللّه بن جعفر الجعفي البخاري المعروف بالمسندي ثقة حافظ جمع المسند من العاشرة مات سنة تسع وعشرين ومئتين (خ، ت).

(٤) أبو أحمد محمود بن غيلان العدوي مولاهم المروزي نزيل بغداد ثقة من العاشرة مات سنة تسع وثلاثين ومائتين، وقيل بعد ذلك (خ،م،ت،س،ق).

(٥) أبو محمد عبيداللّه بن موسى بن باذام العبسي الكوفي، ثقة كان يتشيع، من التاسعة، قال أبو حاتم كان أثبت في إسرائيل من نعيم، واستصغر في سفيان الثوري، مات سنة ثلاث عشرة، ومئتين على الصحيح (ع).

(٦) أبو يوسف إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي الهمداني الكوفي، ثقة تكلم فيه بلا حجة من السابعة، مات سنة ستين ومائة وقيل بعدها (ع).

(٧) أبوعمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي الكوفي الفقيه ثقة إلا أنه يرسل كثيراً من الخامسة،مات سنة ست وتسعين ومائة وهو ابن خمسين أو نحوها (ع).

(٨) علقمة بن قيس بن عبداللّه النخعي الكوفي ثقة ثبت فقيه عابد من الثانية، مات بعد الستين وقيل بعد السبعين. (ع).

فقال: اليوم عاشوراء؟ فقال: كان يصام قبل أن ينزل رمضان فلما نزل رمضان ترك فادن فكل.

٣١ ـ حدثني محمد بن المثنى حدثنا يحيى حدثنا هشام قال أخبرني أبي عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان النبي ﷺ يصومه فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما نزل رمضان كان رمضان الفريضة وترك عاشوراء، فكان من شاء صامه ومن شاء لم يصمه.

ش / فيها أربع مسائل:

الأولى: أمر النبي ﷺ الناس بصيام عاشوراء وهو العاشر من شهر محرم قبل فرض رمضان. وهل ذلك الأمر للوجوب أو الاستحباب؟ فالأول مروي عن الإمام أحمد كما جاء في المغني (٤/٤٤٢) ورجحه الحافظ في الفتح (٤/٢٤٧) فقال: «ويؤخذ من مجموع الأحاديث أنه كان واجباً لثبوت الأمر بصومه ثم تأكد الأمر بذلك ثم زيادة التأكيد بالنداء العام ثم زيادته بأمر من أكل بالإمساك ثم زيادته بأمر الأمهات ألا يرضعن فيه الأطفال وبقول ابن مسعود الثابت في صحيح مسلم: لما فرض رمضان ترك عاشوراء» انتهى محل الغرض.

قال مقيده: فإن قال قائل: كيف تصنع بما رواه البخاري عن معاوية رضي اللّه عنه أنه قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: (هذا يوم عاشوراء، ولم يكتب عليكم صيامه، وأنا صائم فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر).

قلنا: الجواب عن هذا الحديث له عدة أوجه:

منها: أنه لم يكتب عليكم صيامه الآن يعني بعد فرض رمضان.

ومنها: أنه مرجوح بالأوامر الصريحة بصيام عاشوراء قبل رمضان ومن تلك الأوامر ما رواه البخاري في الصيام (باب صيام يوم عاشوراء) عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: كان رسول اللّه ﷺ أمر بصيام يوم عاشوراء، فلما فرض

رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر.

ومنها: ما رواه أبو داود في كتاب الصيام، باب (في فضل صومه ـ يعني عاشوراء) عن عبدالرحمن بن سلمة عن عمه أن أسلم أتت النبي ﷺ فقال: (صمتم يومكم هذا؟) قالوا: لا. قال (فأتموا بقية يومكم واقضوه).

قال أبو داود يعني يوم عاشوراء.

قلت: ورواه النسائي في الصيام من الكبرى (باب صيام يوم عاشوراء) دون الجملة الأخيرة.

المسألة الثانية: سنية صيام عاشوراء وهذا يدل عليه ماجاء في الأحاديث الأربعة مجتمعة ومن ذلك: فلما نزل رمضان قال (من شاء صامه ومن شاء أفطره).

الثالثة: قوله (**فلما نزل رمضان**) أي فرضه نصاً في القرآن بقوله تعالى: **﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾**.

الرابعة: في قول ابن مسعود للأشعث حين دعاه أن يأكل معه وأخبره أن هذا اليوم عاشوراء كان يصام قبل أن ينزل رمضان، فلما نزل رمضان ترك (فادن فكل) دليل على أمرين:

أحدهما: جواز إخبار المتطوع بعمله لمصلحة راجحة وأن ذلك ليس من الرياء.

ثانيهما: جواز ترك صيام التطوع والافطار وإن مضى شئ من النهار وهذا شاهد القاعدة الفقهية (المتطوع أمير نفسه إلا في الحج والعمرة).

تنبيه:

أخرج الشيخان عن ابن عباس رضي اللّه عنهما واللفظ للبخاري قال:

قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح . هذا يوم نجى اللّه بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى قال: فأنا أحق بموسى منكم...الحديث.

فالجمع بين هذا الحديث وأحاديث الباب أن عاشوراء كانت تصومه اليهود لما ذكر في الحديث، وكان يصومه أهل الجاهلية تبعاً لليهود لأنهم أصحاب كتاب واللّه أعلم.

٢٧ -[باب قوله ﴿أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾].

ش / فيها أربع مسائل:

الأولى : قوله **﴿أياماً معدودات﴾** أيام على وزن أفعال من جموع القلة واحده يوم قال ابن مالك في الألفية:

أفعل أفعلة ثم فعله ثمت أفعال جموع قلة

وهذا التعبير يشعر بقلة المفروض من الصيام على العباد وقد اختلف أهل التفسير في المراد بالأيام المعدودات على قولين حكاهما ابن كثير (٢١٩/١):

أحدهما: أنه صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وبه قال معاذ وابن مسعود وابن عباس في آخرين.

ثانيهما: أنه شهر رمضان نفسه وهو قول الحسن والسدي وفيه حديث مرفوع عن ابن عمر عن النبي ﷺ (صيام رمضان كتبه اللّه على الأمم قبلكم) أخرجه ابن أبي حاتم وحكاه عنه ابن كثير بإسناده لكن قال الحافظ (١٧٨/٨) فيه مجهول. وذكر له شاهداً عند الترمذي من طريق معقل النسابة و لم يثبت له صحبة.

وثاني القولين راجح عندي لأمرين:

الأول: سياق آيات الصيام بدءاً من قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام...﴾ إلى قوله ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ فإنها في صيام رمضان لاسيما قوله تعالى ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن فإنها نص صريح في بيان الصيام المفروض،والأصل أن النصوص على ظاهرها المتبادر إلى الذهن منها إلا مادل الدليل على صرفه عن ظاهره.

والثاني: حديث ابن عمر رضي اللّه عنهما السابق مع شاهده الذي ذكره

الحافظ فإنه فصل النزاع في الخلاف لأن الحديثين يقوي أحدهما الآخر.

المسألة الثانية: قوله ﴿**فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر**﴾ فيه ثلاثة مطالب:

الأول: قوله ﴿**فعدة**﴾ الفاء واقعة في جواب شرط محذوف يدل عليه السياق تقديره فأفطر، وعليه فالمعنى أن المريض والمسافر يباح لهما الفطر وإن صاما أجزأهما وهذا هو مذهب الجمهور ويدل له ما في الصحيح عن جابر رضي اللّه عنه قال: كنا مع النبي ﷺ يعني في السفر فمنا الصائم ومنا المفطر فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم).

قلت:وعندي أن الفطر في حقهما أفضل لحديث (عليكم برخص اللّه التي رخص لكم) والفطر في حق المريض والمسافر رخصة خلافاً لمذهب أهل الظاهر.

المطلب الثاني: في مقدار المرض الذي يرخص فيه للصائم بالفطر ذهب أحمد والجمهور إلى أن المرض المبيح للفطر هو ما تضرر به الصائم وذهب عطاء كما ذكره المصنف وأهل الظاهر إلى أن مجرد المرض مبيح للفطر وأول القولين أرجح لأن إباحة الفطر للمريض دفع المشقة عنه وذلك لا يتحقق إلا بمرض يتضرر منه وأما المرض الخفيف فليس في الصيام معه مشقة. واللّه أعلم.

المطلب الثالث: اختلف الفقهاء في تحديد عدة الأيام الأخر التي أذن اللّه للمريض والمسافر للقضاء فيها فذهب أحمد والشافعي ومالك والجمهور من الصحابة والتابعين إلى أن من أخر القضاء مفرطاً حتى يدركه رمضان الآخر فإن عليه مع القضاء إطعام مسكين عن كل يوم محتجين بحديث عائشة رضي اللّه عنها قالت: كان يكون عليَّ الصيام من شهر رمضان فما أقضيه حتى يجيء شعبان) متفق عليه.

قالوا: لأن عائشة رضي اللّه عنها لم تؤخر إلا إلى ذلك ولو أمكنها لأخرته ولأن الصوم عبادة متكررة، فلم يجز تأخير الأولى عن الثانية كالصلوات

المفروضة.

وذهب أبو حنيفة والحسن والنخعي إلى أنه لا فدية عليه، لأنه صيام واجب فلم يجب في تأخيره كفارة. ذكر القولين ابن قدامة في المغني (٤/٤٠٠).

والراجح عندي هو القول الثاني للأدلة التالية:

أولاً: أنه ليس في حديث عائشة سوى إقرار النبي ﷺ إياها على تأخير القضاء إلى شعبان وكونه لم يمكنها التأخير إلى ما بعد يحتاج إلى دليل خارجي ولا دليل على ذلك.

ثانياً: لا دليل على أن النبي ﷺ أنكر على من أخر القضاء عن شعبان.

ثالثاً: العدة في الآية مطلقة والأصل فيما أطلق أنه على إطلاقه حتى يقيده دليل شرعي صحيح ولا مقيد لأطلاق الآية وما ذهب إليه الجمهور رحمهم اللّه لا يعدو عندي أن يكون اجتهاداً منهم.

المسألة الثالثة: قوله ﴿**وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين... الآية**﴾.

فيه أمران: أولهما: الإخبار عن حال المسلمين أول مافرض رمضان فإنهم مخيرون فمن شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم. قاله معاذ ورواه المصنف عن سلمة بن الأكوع كما سيأتي.

الثاني: أن من تطوع فزاد في الفدية أو صام فهو الأفضل.

شرح جملة من الأثار والكلمات :

١ - [**وقال عطاء: يفطر من المرض كله كما قال اللّه تعالى**].

ش / أخرجه عبدالرزاق في جامعه عن ابن جريج قال: قلت لعطاء من أي وجع يفطر في رمضان؟قال: منه كله، قلت:يصوم حتى إذا غلب أفطر؟ قال: نعم كما قال اللّه.

وقد تقدم الكلام عليه.

٢ - [**وقال الحسن وإبراهيم في المرضع والحامل إذا خافتا على أنفسهما**

أو ولدهما تفطران ثم تقضيان].

ش / أما قول الحسن فقال: عبد أخبرنا عبدالرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن قال: تفطران وتقضيان صياماً.

وأما قول إبراهيم فقال عبد حدثنا محمد بن بشر عن سعيد عن أبي معشر عن النخعي قال: الحامل والمرضع إذا خافتا أفطرتا وقضتا مكان ذلك صوماً.

قلت:وبه قال أبو حنيفة والزهري وسعيد بن جبيرمن غير تفريق بين ما إذا خافت الحامل والمرضع على نفسيهما أو ولديهما فالأولى متفق عليها ولم نجد فيها خلافاً بين أهل العلم وأما الثانية ففيها ثلاثة أقوال:

هذا **أحدها**. وقال الشافعي في المشهور عنه وهو مذهب أحمد أيضاً وروي عن ابن عمر أن عليهما مع القضاء الكفارة وفرق بينهما الليث فقال: الكفارة على المرضع دون الحامل وهو احدى الروايتين عن مالك لأن المرضع يمكنها أن تسترضع لولدها. بخلاف الحامل ولأن الحمل متصل بالحامل فالخوف عليه كالخوف على بعض أعضائها وقول أبي حنيفة ومن وافقه راجح عندنا لما رواه أبو داود في الصيام باب اختيار الفطر. والترمذي في الصيام باب الرخصة في الإفطار للحبلى والمرضع. كلاهما عن أبي هلال الراسبي عن عبداللّه بن سوادة عن أنس بن مالك رجل من بني عبداللّه بن كعب أخوة قشير قال: أغارت علينا خيل لرسول اللّه ﷺ فانتهيت أو قال، فانطلقت إلى رسول اللّه ﷺ وهو يأكل فقال أجلس فأصب من طعامنا هذا فقلت إني صائم قال: اجلس أحدثك عن الصلاة وعن الصيام. إن اللّه تعالى وضع شطر الصلاة أونصف الصلاة والصوم عن المسافر وعن المرضع والحبلى واللّه لقد قالهما جميعاً أو أحدهما... الحديث).

ورواه النسائي في الصيام باب وضع الصيام عن الحبلى والمرضع، قال أخبرنا عمرو بن منصور حدثنا مسلم بن إبراهيم عن وهيب بن خالد قال حدثنا عبداللّه بن سوادة القشيري عن أبيه عن أنس بن مالك... فذكره وفيه: (إن اللّه عزوجل

وضع للمسافر الصوم وشطر الصلاة وعن الحبلى والمرضع) بالجزم وهذا إسناد رجاله ثقات عدا سوادة والد عبد الله، قال الحافظ فيه: صدوق.

٣ - [وأما الشيخ الكبير إذا لم يطق الصيام فقد أطعم أنس بعد ما كبر عاما أو عامين كل يوم مسكينا خبزا ولحما وأفطر].

ش / قال عبد أخبرنا يزيد بن هارون أنبأنا شعبة عن قتادة عن النضر بن أنس عن أنس بن مالك أنه أفطر في رمضان وكان قد كبر فأطعم مسكينا كل يوم وقال عبد أخبرنا يزيد بن هارون أنبأنا حميد الطويل عن أنس أنه كان في العام الذي مات فيه لم يستطع أنس أن يصوم رمضان فأطعم ثلاثين مسكينا خبزا ولحما وزيادة حفنة أو حفنتين.

قلت: فيه ثلاثة أمور:

أحدها: الرخصة للعجوز والشيخ الكبير إذا كان الصوم يشق عليهما في الفطر مع الإطعام وبه قال: علي وابن عباس في جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وهو قول أ حمد وأبي حنيفة وإحدى الروايتين عن الشافعي.

وقال مالك وهو الرواية الثانية عن الشافعي: لا يجب عليه شيء لأنه ترك الصوم لعجزه فلم تجب فدية كما لو تركه لمرض اتصل به الموت ويرجح أول القولين ما رواه غير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قوله تعالى: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ ليست منسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان عن كل يوم مسكينا. حكى ذلك ابن كثير في تفسيره (١/٢٢١).

الثاني: في كيفية الإطعام فإن أنسا أطعم عن كل يوم مسكينا ويظهر أنه مفرق وهل يجوز جمعه وإخراجه آخر الشهر ظاهر الآية الإطلاق في ذلك وهو على ظاهره حتى يقيد ذلك نص عن النبي ﷺ.

الثالث: في نوع الطعام فقد أطعم أنس كما ترى في الأثر خبزاً ولحماً وهو

من خير طعامه ولا يعارض هذا قوله تعالى في كفارة اليمين من أوسط ما تطعمون أهليكم لأن مازاد على الفرض وهو الوسط من الطعام تطوع مرغب فيه لقوله تعالى: ﴿فمن تطوع خيراً فهو خير له﴾ وهذا العموم شامل للنوع والمقدار.

٤ - [قراءة العامة ﴿يُطِيقُونه﴾ وهو أكثر].

ش / قال ابن جرير: «وأما قراءة من قرأ ذلك (وعلى الذين يطوِّقونه) فقراءة مصاحف أهل الإسلام خلافه، وغير جائز لأحد من أهل الإسلام الاعتراض بالرأي على ما نقله المسلمون وراثة عن نبيهم ﷺ نقلاً ظاهراً قاطعاً للعذر لأن ما جاءت به الحجة من الدين هو الحق الذي لا شك فيه أنه من عندالله ولا يعترض على ما قد ثبت وقامت به حجه أنه من عندالله بالآراء والظنون والأقوال الشاذة» انتهى.

٣٢ - حدثني إسحاق[(١)] أخبرنا روح[(٢)] حدثنا زكريا بن إسحاق[(٣)] حدثنا عمرو بن دينار عن عطاء[(٤)] سمع ابن عباس يقرأ (وعلى الذين يُطوّقونه فدية طعام مسكين) قال ابن عباس: ليست بمنسوخة، هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما، فيطعمان مكان كل يوم مسكيناً).

ش / قلت تقدم معناه في الآية والمسائل قبله ولعل إيراد المصنف له هنا مشعر باختياره.

---

(١) أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنضلي ابن راهوية المروزي ثقة حافظ مجتهد، قرين أحمد بن حنبل ذكر أبو داود أنه تغير قبل موته بيسير مات سنة ثمان وثلاثين ومئتين. وله اثنتان وسبعون سنة (خ،م،د،ت،س).

(٢) أبو محمد روح بن عبادة بن العلاء بن حسان القيسي، البصري ثقة فاضل له تصانيف من التاسعة مات سنة خمس أو سبع ومئتين (ع).

(٣) زكريا بن إسحاق المكي ثقة رمي بالقدر من السادسة (ع).

(٤) عطاء بن أبي رباح واسم أبي رباح: أسلم، القرشي مولاهم المكي، ثقة فقيه فاضل لكنه كثير الإرسال من الثالثة. مات سنة أربع عشرة ومائة على المشهور وقيل إنه تغير بأخرة، ولم يكثر ذلك منه (ع).

٢٨-[باب ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾].

ش / قلت الآية ﴿**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد اللّه بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا اللّه على ما هداكم ولعلكم تشكرون**﴾.

قلت:في هذه الآية بيان الصيام الذي افترضه اللّه على عباده وكان أجمله في قوله: ﴿يا أيها الدين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾ وتتضمن خمسة أمور:

أولاً: أن الشهر المراد من العباد صيامه وهو واجب عليهم شهر رمضان والشهر فيما قيل أصله من الشهره يقال منه قد شهر فلان سيفه إذا أخرجه من غمده فاعترض به من أراد ضربه يشهره شهراً وكذلك شهر الشهر إذا طلع هلاله وأشهرنا نحن إذا دخلنا في الشهر، ورمضان فإن بعض أهل المعرفة بلغة العرب كان يزعم أنه سمي بذلك لشدة الحر الذي كان يكون فيه حتى ترمض فيه الفصال كما يقال للشهر الذي يحج فيه ذو الحجة والذي يرتبع فيه ربيع الأول وربيع الآخر، قاله ابن جرير.

ثانياً: ماختص به هذا الشهر من الفضائل وهي إنزال القرآن فيه على محمد ﷺ وكان أول إنزاله في ليلة القدر كما قال تعالى ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ ثم بين جل وعلا أن الحكمة في إنزال هذا القرآن ﴿هدى للناس﴾ أي إرشاداً للناس إلى سبيل الحق وقصد المنهج، وقوله ﴿بينات من الهدى﴾ يعني واضحات من الهدى يعني من البينات الدالة على حدود اللّه وفرائضه وحلاله وحرامه، وقوله ﴿والفرقان﴾ يعني والفصل بين الحق والباطل والهدى والضلال والكفر والإيمان.

ثالثاً: ومعنى ﴿شهد﴾ أي حضر والمعنى أن من أدركه شهر رمضان وهو مقيم صحيح فقد وجب عليه الصوم ومفهوم ذلك أنه لا يجب على المسافر والمريض كما تقدم ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾.

رابعا: ثم بين جل ثناؤه الحكمة من وجوب الصوم على المقيم الصحيح

فقال:﴿يريد اللّه بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة﴾ أي عدة ما افترض اللّه عليكم من الشهر من غير مشقة ﴿ولتكبروا اللّه على ما هداكم﴾ أي لتعظموه وتوقروه على ما يسر لكم من سبل الهداية، ومنها صيام شهر رمضان الذي أجل النعم فيه إنزال القرآن.

خامساً: قوله ﴿**ولعلكم تشكرون**﴾ أي لتشكروه على نعمه التي لا تحصى ومنها تيسير شرعه كله ومن ذلك صيام رمضان فإنه شهر واحد في العام والصوم فيه من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس

٣٣ ـ حدثنا عياش بن الوليد[١] حدثنا عبدالأعلى[٢] حدثنا عبيداللّه عن نافع عن ابن عمر رضي اللّه عنهما أنه قرأ ﴿فدية طعام مساكين﴾ قال هي منسوخة.

٣٤ ـ حدثنا قتيبة حدثنا بكر بن مضر[٣] عن عمرو بن الحارث[٤] عن بكير بن عبداللّه[٥] عن يزيد[٦] مولى سلمة بن الأكوع[٧] عن سلمة قال: لما نزلت ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ كان من أراد أن يفطر

(١) أبو الوليد عياش بن الوليد الرقام البصري ثقة من العاشرة، مات سنة ست وعشرين ومئتين (خ،د،س).

(٢)أبو أيوب عمروا بن الحارث بن يعقوب الأنصاري مولاهم المصري ثقة فقيه حافظ من السابعة مات قديما قبل الخمسين ومائة (ع). أبو محمد عبدالأعلى البصري السامي وكان يغضب إذا قيل له:أبو همام، ثقة من الثامنة، مات سنة تسع وثمانين ومائة(ع).

(٣) أبو محمد أو أبو عبدالملك بكر بن مضر بن محمد بن حكيم المصري ثقة ثبت من الثامنة مات سنة ثلاث أو أربع وسبعين ومائة وله نيف وسبعون سنة (خ،م،د،ق،س).

(٤)أبو أيوب عمروا بن الحارث بن يعقوب الأنصاري مولاهم المصري ثقة فقيه حافظ من السابعة مات قديما قبل الخمسين ومائة (ع).

(٥) أبوعبداللّه أو أبو يوسف بكير بن عبداللّه بن الأشج مولى بني مخزوم المدني نزيل مصر ثقة من الخامسة مات سنة عشرين ومائة وقيل بعدها (ع).

(٦)يزيدبن أبي عبيدالأسلمي مولى سلمة بن الأكوع ثقة من الرابعة مات سنة بضع وأربعين (ع).

(٧) أبو ملم أو أبو إياس سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي شهد بيعة الرضوان مات سنة أربع وسبعين. (ع).

ويفتدي حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها.

قال أبو عبداللّه: مات بكير قبل يزيد.

ش / فيهما ثلاث مسائل.

الأولى: قوله ﴿**فدية طعام مساكين**﴾ قرأ نافع وابن ذكوان ﴿فديةُ طعام﴾ بالإضافة، وقرأ الباقون بالتنوين في فدية وبرفع الطعام وقرأ نافع وابن عامر ﴿مساكين﴾ بالجمع وقرأ الباقون بالتوحيد منوناً مخفوضاً بالاضافة حكاه مكي (١/٢٨٢).

الثانية: اتفق الأثران على أن آية فمن شهد منكم الشهر ناسخة لقوله ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ ويمكن الجمع بينهما وبين خبرابن عباس في الباب قبله، قال «ليست بمنسوخة، هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكيناً».

بأن المنسوخ التخيير بين الصيام والافطار مع الاطعام كما نص عليه أثر سلمة.

الثالثة: قوله (**قال أبو عبداللّه**) هو المصنف وثبت هذا الكلام في رواية المستملي وحده .

قوله (**مات بكير قبل يزيد**) أي مات بكير بن عبداللّه بن الأشج الراوي عن يزيد وهو ابن أبي عبيد قبل شيخه يزيد وكانت وفاته سنة عشرين ومائة وقيل قبلها أو بعدها، ومات يزيد سنة ست أو سبع وأربعين ومائة.

٢٩-[باب ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم اللّه أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب اللّه لكم﴾].

ش / قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي في تفسيره:

«كان في أول فرض الصيام يحرم على المسلمين الأكل والشرب والجماع في الليل بعد النوم فحصلت المشقة لبعضهم فخفف اللّه تعالى عنهم ذلك وأباح في ليالي الصيام كلها الأكل والشرب والجماع سواء نام أو لم ينم لكونهم يختانون أنفسهم بترك بعض ما أمروا به ﴿فتاب عليكم﴾ بأن وسع لكم أمراً كان لولا توسعته موجباً للاثم ﴿وعفا عنكم﴾ ما سلف من التخون ﴿فالآن﴾ بعد هذه الرخصة والسعة من اللّه ﴿باشروهن﴾ وطأً وقبلة ولمساً وغير ذلك ﴿وابتغوا ما كتب اللّه لكم﴾ أي أنووا في مباشرتكم لزوجاتكم التقريب إلى اللّه تعالى والمقصود الأعظم من الوطء وهو حصول الذرية وإعفاف فرجه وفرج زوجته وحصول مقاصد النكاح، ومما رتب اللّه لكم ليلة القدر الموافقة لليالي صيام رمضان فلا ينبغي لكم أن تشتغلوا بهذه اللذة عنها وتضيعوها فاللذة مدركة وليلة القدر إذا فاتت لم تدرك».

قلت:وما قرره الشيخ من أنه كان أول فرض الصيام يحرم على المسلمين الأكل والشرب والجماع في الليل بعد النوم، وأن هذه الآية كانت تخفيفاً عليهم في إباحة ذلك في الليل قد سبقه إليه الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللّه ـ فقال: «هذه رخصة من اللّه تعالى للمسلمين ورفع لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام فإنه كان إذا أفطر أحدهم إنما يحل له الأكل والشرب والجماع إلى صلاة العشاء أو ينام قبل ذلك فمتى نام أو صلى العشاء حرم عليه الطعام والشراب والجماع إلى الليلة القابلة فوجدوا من ذلك مشقة كبيرة ».

قال مقيده: وهذه هو الحق إن شاء اللّه تعالى ويدل له أمران:

أحدهما: قوله في الآية ﴿فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب اللّه لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ ووجه الاستدلال أنه أمر بفعل ما كان محرماً عليهم قبل.

وثانيهما: سبب نزول الآية كما سيأتي وإن قال أحد: عرفونا الحاضر كما عرفتمونا ناسخه فيما تزعمون؟ **قلنا**: لم نقف على أمر سوى ما ذكرنا وهو مستفاد من قوله أول الآية ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم... الآية﴾ وهذا كاف في الدلالة على ما ذهبنا إليه، إذ هو بيان القرآن بالقرآن وسنة النبي ﷺ.

٣٥ ـ حدثنا عبيداللّه عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء وحدثنا أحمد بن عثمان[(١)] حدثنا شريح بن سلمة[(٢)] حدثني إبراهيم بن يوسف[(٣)] عن أبيه[(٤)] عن أبي إسحاق قال سمعت البراء رضي اللّه عنه لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله وكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل اللّه ﴿علم اللّه أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم﴾.

ش / قلت كذا أخرجه الشيخ هنا مختصراً وقد أخرجه في الصيام باب قوله ﴿أحل لكم ليلة الصيام... الآية﴾ بإسناد حديث الباب مطولاً ولفظه: (كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي وأن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً فلما

---

(١) أبو عبداللّه أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي الكوفي ثقة من الحادية عشرة مات سنة احدى وستين ومئتين (خ،م،س،ق).

(٢) شريح بن سلمة التنوخي الكوفي صدوق من قدماء العاشرة مات سنة اثنتين وعشرين ومئتين (خ،س).

(٣) إبراهيم بن يوسف بن إسحاق بن أبي اسحاق السبيعي، صدوق يهم من السابعة، مات سنة ثمان وتسعين ومائة (خ،م،د،س،س،ق).

(٤) يوسف بن أسحاق بن ابي أسحاق السبيعي وقد ينسب لجده ثقة من السابعة مات سنة سبع وخمسين ومائة (ع).

حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها: أعندك طعام قالت: لا ولكن انطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل فغلبته عيناه فجاءته امرأته، فلما رأته قالت: خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية ﴿أحل لكم ليلة الصيام﴾ ففرحوا بها فرحاً شديداً... الحديث).

قلت:وأخرجه أيضاً الترمذي في التفسير باب ومن سورة البقرة عن عبدالله بن حميد حدثنا عبيدالله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء بنحوه.

قال مقيده: فتبين بهذا السبب الذي من أجله نزلت الآية نسخ لما كان محرماً ليلة الصيام من قبل وفيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله(**لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله**).

قلت: يزيل الإشكال ويوضح المراد قوله في الرواية المتقدمة من كتاب الصيام (كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسى).

الثانية: قوله (**وكان رجال يخونون أنفسهم**) روى ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس رضي اللّه عنهما في قوله جل ذكره ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ وذلك أن المسلمين كانوا في شهر رمضان إذا صلوا العشاء حرم عليهم النساء والطعام إلى مثلها من القابلة ثم إن ناساً من المسلمين أصابوا الطعام والنساء في رمضان بعد العشاء منهم عمر بن الخطاب فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فأنزل اللّه ﴿علم اللّه أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب اللّه لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾.

قلت: فهذا نص صريح في بيان عموم خيانة القوم أنفسهم بإصابة ما كان محضوراً عليهم بعد الوقت المحدد لهم.

الثالثة: قوله ﴿**فتاب عليكم وعفا عنكم**﴾ أي ما قارفتم من خيانتكم أنفسكم وكان موجباً للاثم لو لا فضل اللّه عليكم ورحمته.

٣٠ -[باب ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد...إلى قوله: لعلهم يتقون﴾].

ش / تمامها ﴿...تلك حدود اللّه فلا تقربوها كذلك يبين اللّه آياته للناس لعلهم يتقون﴾ فيما ذكره الشيخ من الآية خمسة أمور.

الأول: تحديد الأكل والشرب وما قبله وهو الرفث إلى النساء بتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ومعناه انبلاج نور النهار عن ظلمة الليل.

الثاني: الأمر باتمام الصيام إلى الليل وهو غروب الشمس.

الثالث: النهي عن مباشرة الأزواج حال الاعتكاف في المساجد. واعلم أن المراد بالمباشرة ما كان للاستمتاع والتلذذ.

الرابع: في قوله ﴿**تلك حدود اللّه فلا تقربوها**﴾ قال ابن جرير: ((يعني تعالى ذكره بذلك هذه الأشياء التي بينتها من الأكل والشرب والجماع في شهر رمضان نهاراً في غيرعذر وجماع النساء في الاعتكاف في المساجد، يقول هذه الأشياء حددتها لكم وأمرتكم أن تجتنبوها في الأوقات التي أمرتكم أن تجتنبوها وحرمتها فيها عليكم فلا تقربوها وأبعِدوا منها أن تركبوها فتستحقوا بها من العقوبة ما يستحقه من تعدى حدودي وسالف أمري وركب معاصيي)) .

قلت: هذا التفسير أولى من تفسير من قصر حدود اللّه في الآية على أنه مباشرة الأزواج في الاعتكاف، وذلك لموافقته ظاهراً للعموم في الآية.

الخامس: في قوله: ﴿**كذلك يبين اللّه آياته للناس لعلهم يتقون**﴾.

قال ابن كثير: ((أي كما بين الصيام وأحكامه وشرائعه وتفاصيله كذلك يبين سائر الأحكام على لسان عبده ورسوله محمد ﷺ ﴿للناس لعلهم يتقون﴾ أي يعرفون كيف يهتدون وكيف يطيعون كما قال تعالى ﴿هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن اللّه بكم لرؤوف

رحيم﴾ العاكف: المقيم)).

قاله أبو عبيدة في تفسير سورة الحج: ((والآية المشار إليها هي الخامسة والعشرون من سورة الحج)) .

٣٦ ـ حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة[١] عن حصين[٢] عن الشعبي[٣] عن عدي[٤] قال أخذ عدي عقالاً أبيض وعقالاً أسود حتى كان بعض الليل نظر فلم يستبينا فلما أصبح قال: يا رسول اللّه: جعلت تحت وسادي، قال: إن وسادك إذن لعريض. أن كان الخيط الأبيض والأسود تحت وسادتك؟).

٣٧ـ حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن مطرف[٥] عن الشعبي عن عدي بن حاتم رضي اللّه عنه قال: قلت:يارسول اللّه ماالخيط الأبيض من الخيط الأسود؟ أهما الخيطان؟ قال: إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين ثم قال: لا بل هوسواد الليل وبياض النهار).

٣٨ ـ حدثنا ابن أبي مريم حدثنا أبو غسان[٦] محمد بن مطرف حدثني

---

(١) أبو عوانة وضاح اليشكري الواسطي البزار مشهور بكنيته، ثقة ثبت من السابعة مات سنة خمس أو ست وسبعين ومئتين (ع).

(٢) حصين هو أبو المنذر حصين بن عبدالرحمن السلمي الكوفي ثقة تغير حفظه في الآخر من الخامسة، مات سنة ست وثلاثين ومائة وله ثلاث وتسعون (ع).

(٣) الشعبي أبو عمروا عامر بن شرحبيل الشعبي ثقة مشهور فقيه فاضل من الثالثة، قال مكحول ما رأيت أفقه منه مات بعد المائة وله نحو من ثمانين سنة (ع).

(٤) أبو طريف عدي بن حاتم بن عبداللّه بن سعد بن الحشرج الطائي صحابي شهير وكان ممن ثبت في الردة وحضر فتوح العراق وحروب علي مات سنة ثمان وستين وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل ثمانين (ع).

(٥) أبو بكر أو أبو عبدالرحمن مطرف بن الطريف الكوفي، ثقة فاضل من صغار السادسة مات سنة إحدى وأربعين ومائة أو بعد ذلك (ع).

(٦) محمد بن مطرف بن داود الليثي المدني نزيل عسقلان ثقة من السابعة مات بعد الستين ومئتين (ع).

أبو حازم[١] عن سهل بن سعد[٢] قال أنزلت ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾، ولم ينزل من الفجر، وكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود ولا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما فأنزل اللّه بعده ﴿من الفجر﴾ فعلموا إنما يعني الليل من النهار.

ش / فيها تسع مسائل:

الأولى قوله (**أخذ عدي عقالاً أبيضا وعقالاً أسود**) أخرجه المصنف في الصيام باب قوله اللّه تعالى: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ من رواية هشيم بلفظ (لما نزلت ﴿حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾) عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض والمعنى واحد، والعقال هو ما يربط به البعير من الحبال.

الثانية: قوله: (**حتى كان بعض الليل نظر فلم يستبينا**) في رواية هشيم المتقدمة (فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي) وهي مفسرة لرواية الباب.

وقوله (**يستبينا**) أي لم يتميز لي ذانك العقالان.

الثالثة: قوله (**فلما أصبح قال: يارسول اللّه جعلت تحت وسادي**) وفي رواية هشيم (فغدوت على رسول اللّه ﷺ فذكرت له ذلك) والمعنى أنه ذكر للنبي ﷺ قصته مستفسراً كما يدل له في الحديث الآتي (قلت يارسول اللّه ما الخيط البيض من الخيط الأسود. هما الخيطان؟

الرابعة: قوله (**إن وسادك إذن لعريض أن كان الخيط الأبيض والأسود تحت وسادتك؟**) في الحديث الثاني (**إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين**).

---

(١) سلمة بن دينار الأعرج الأفزر التمار المدني القاص مولى الأسود بن سفيان ثقة عابد من الخامسة مات في خلافة المنصور (ع).

(٢) أبو العباس سهل بن سعد بن مالك بن خالد الأنصاري الخزرجي الساعدي له ولأبيه صحبة مشهور مات سنة ثمان وثمانين وقيل بعدها وقد جاوز المائة (ع).

قال الخطابي في المعالم (٣/٢٣٢):

«فيه قولان: أحدهما: يريد أن نومك لكثير وكنى بالوساد عن النوم إذ كان النائم يتوسده أو يكون أراد إن ليلك إذن لطويل إذ كنت لا تمسك عن الأكل والشرب حتى يتبين لك سواد العقال من بياضه.

والقول الآخر،إنه كنى بالوساد عن الموضع الذي يضعه من راسه وعنقه على الوسادة إذا نام، والعرب تقول: فلان عريض القفا إذا كانت فيه غباوة وغفلة».

الخامسة: قوله (**ماالخيط الأبيض من الخيط الأسود، أهما الخيطان؟**) الخيطان تثنية خيط وهو السلك الذي يخاط به كما يطلق على الرفيع من الحبال.

السادسة: قوله (**لا، بل هو سواد الليل وبياض النهار**) (لا) حرف نفي و(بل) للاضراب وهو أي ما سألت عنه، والمعنى ليس الأمر كما تصورت؛ بل المراد بالخيطين بياض النهار وسواد الليل كما يوضحه قوله في رواية هشيم (إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار) والعرب تسمى بياض الصبح أول ما يبدوا خيطه، قال النابغة:

فلما تبدت سدفه ولاح من الصبح خيط أنارا

قلت: فذلك لأنه أول ما يبدوا الفجر ممتداً كالخيط.

السابعة: قوله (**أنزلت ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾**) كذا هنا بالبناء للمفعول وعند النسائي في التفسير **نزلت**.

قلت: فالمنزل هو اللّه جل وعلا وإسناد النزول إلى الآية جار في لغة القوم.

الثامنة: قوله (**ولم ينزل من الفجر... الحديث**) ظاهره التعارض مع قصة عدي وذلك أن حديث عدي يقتضي أن قوله (من الفجر) نزل متصلاً بقوله ﴿من الخيط الأسود﴾ بخلاف حديث سهل فإنه ظاهر في أن قوله (من الفجر) نزل بعد ذلك لرفع ما وقع لهم من الإشكال والجمع كما قال القرطبي إن حديث

عدي متأخر عن حديث سهل فكأن عدياً لم يبلغه ما جرى في حديث سهل وإنما سمع الآية مجردة ففهم على ما وقع له فبين له النبي ﷺ أن المراد بقوله ﴿من الفجر﴾ أن ينفصل أحد الخيطين عن الآخر، وأن قول ﴿من الفجر﴾ متعلق بقوله ﴿يتبين﴾ حكاه الحافظ في الفتح (١٣٤/٤) ورجحه.

التاسعة: قوله (**فعلموا أنما يعني الليل من النهار**).

قلت: فهذا صريح في الدلالة على أن هذه الجملة هي التي رفعت ما وقع عند القوم من إشكال لأنه من صريح لغتهم استعمال الخيط في الفجر وقد أفادت الأحاديث مجتمعة أنه لا عيب على من فسر القرآن بفصيح اللغة إذ أنه منزل بها حتى يأته البيان من الشارع وهو إما من القرآن نفسه أو من سنة النبي ﷺ.

٣١ - [باب ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من أبوابها واتقوا اللّه لعلكم تفلحون﴾].

ش / قلت: صدر الآيـة ﴿يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج...﴾ هذه الآية مشتملة على أربعة أمور:

الأول: أنه ليس في سؤال النبي ﷺ عن الأهلة من حيث زيادتها ونقصانها واختلاف أحوالها مصلحة وإنما الذي ينبغي أن يعرفه العباد ما جعله اللّه في الأهلة من حكم، وهي كونها مواقيت للناس والحج أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: سأل الناس رسول اللّه ﷺ فنزلت هذه الآية ﴿يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس﴾ ﴿قل هي مواقيت للناس﴾ يعلمون بها دَينهم وعدة نسائهم ووقت حجهم . وروى نحوه عن علي وغيره في جماعة من المفسرين.

الثاني: إخبار الحق جل وعلا بأنه ليس من الإحسان في العبادة والاجتهاد في الطاعة أن يتسلق الرجل بيته من ظهره بل عليه أن يأتي بيته من بابه فهو الأليق إذ جعل الباب هو مدخل البيت المألوف شرعاً وعرفاً كما سيأتي في سبب نزولها.

الأمر الثالث: في قوله: ﴿**ولكن البر من اتقى**﴾ فإن معناه أن الإحسان في العبادة يكون بتقوى اللّه عزوجل وتقوى اللّه يجمعها امتثال أوامره واجتناب نواهيه طلباً لثوابه وخوفاً من عقابه.

الرابع: في أمره العباد بتقواه وأن ذلك سبب للفلاح وهو شامل لفلاح الدنيا والآخرة.

٣٩ ـ حدثنا عبيداللّه بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال: كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره فأنزل اللّه ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها﴾.

ش / قلت:أخرجه المصنف في أبواب العمرة باب قول اللّه تعالى: ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾ عن أبي الوليد وهو هشام بن عبدالملك الطيالسي عن شعبة عن أبي إسحاق عن البراء بلفظ: (نزلت هذه الاية فينا كانت الأنصار إذا حجوا فجاؤا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم ولكن من ظهورها فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه فكأنه عير بذلك فنزلت ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى، واتوا البيوت من أبوابها﴾ وأخرجه مسلم في أوائل التفسير من طريقين عن محمد بن جعفر عن شعبة عن أبي إسحاق عن البراء بنحوه وأخرجه بالإسناد نفسه أبو داود الطيالسي في مسند البراء بن عازب رقم (١١٧) لكنه قال: (كان الأنصار إذا قدموا من سفر لم يدخل الرجل من قبل بابه فنزلت هذه الآية...الحديث). فظهر لك بما سقناه من الروايات لحديث البراء الذي هو سبب نزول الآية ثلاثة أمور:

الأول: أن الآية في الأنصار دون غيرهم خلافاً لما توهمه رواية الباب وهذا هو أصح الأقوال.

الثاني: أن إتيان الأنصار بيوتهم من ظهورها في الإحرام كما في حديث الباب أو في العودة من النسك كما في رواية الشيخين والجمع بينهما يمكن بأنهم كانوا يفعلون في الحالين.

الثالث: انفردت رواية أبي داود الطيالسي بأن الأنصار يفعلون ذلك إذا قدموا من سفر فأخشى أن تكون شاذة إذ لا ذكر للسفر في رواية الآخرين عن شعبة. واللّه أعلم.

٣٢ -[باب ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾].

ش / فيها أمر النبي ﷺ والأمة تبع له بقتال المشركين حتى لا تكون فتنة والفتنة ههنا هي الكفر والشرك كما أخرجه ابن جرير في تفسير الاية عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والربيع بن أنس وغيرهم ومعنى ﴿ويكون الدين لله﴾ أي وتكون العبادة كلها خالصة لله تعالى لا شرك فيها لأحد، هذا هو **أول الأمرين** في الآية.

وثانيهما: في قوله تعالى ﴿فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾ والمعنى إذا انتهى المشركون عن عبادة غير اللّه واخلصوا له الدين فإنه يجب الكف عنهم لأنه لا اعتداء إلا على الظالمين أي الكافرين يوضح هذا قوله تعالى: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن اللّه غفور رحيم﴾.

فقد جعل أمد قتال المشركين التوبة وهذه التوبة يوضحها ما في الصحيحين عن ابن عمر رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللّه وأني رسول اللّه ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على اللّه تعالى).

فإذا انضم هذا الحديث إلى الآية السابقة تبين أن الكف عن قتال المشركين مشروط بالأمور الثلاثة وهي: الشهادتان والصلاة والزكاة.

٤٠ ـ حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبدالوهاب[1] حدثنا عبيداللّه عن

---

(١) أبو محمد عبدالوهاب بن عبدالمجيد بن الصلت الثقفي البصري ثقة تغير قبل موته بثلاث سنين من الثامنة، مات سنة أربع وتسعين ومئتين عن نحو من ثمانين سنة (ع).

نافع عن ابن عمر رضي اللّه عنهما : أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا: إن الناس ضُيِّعوا وأنت ابن عمر وصاحب النبي ﷺ فما يمنعك أن تخرج؟ فقال: يمنعنى أن اللّه حرم دم أخي. فقالا: ألم يقل اللّه ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾؟ فقال: قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين لله وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير اللّه. وزاد عثمان بن صالح(١) عن ابن وهب(٢) قال: أخبرني فلان وحيوة بن شريح(٣) عن بكر بن عمر المعافري(٤) أن بكير بن عبداللّه حدثه عن نافع أن رجلاً أتى ابن عمر فقال : يا أبا عبدالرحمن ما حملك على أن تحج عاماً وتعتمر عاماً وتترك الجهاد في سبيل اللّه عزوجل، قد علمت ما رغب اللّه فيه، قال: يا ابن أخي بني الإسلام على خمس إيمان باللّه ورسوله والصلوات الخمس وصيام رمضان وأداء الزكاة وحج البيت قال: يا أبا عبدالرحمن ألا تسمع ما ذكر اللّه في كتابه ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفئ إلى أمر اللّه﴾ ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ قال: فعلنا على عهد رسول اللّه ﷺ وكان الإسلام قليلاً فكان الرجل يفتن في دينه إما قتلوه وإما يعذبونه حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة قال: فما قولك في علي وعثمان قال: أما عثمان فكأن اللّه عفا عنه وأما أنتم فكرهتم أن

---

(١) أبو يحيى عثمان بن صالح بن صفوان السهمي مولاهم المصري صدوق من كبار العاشرة وقد ثبت عنه أنه قال: رأيت صحابياً من الجن، مات سنة تسع عشرة ومئتين (خ،س،ق).

(٢) أبو محمد عبداللّه بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم المصري الفقيه، ثقة حافظ عابد، من الثامنة، مات سنة سبع وتسعين ومئتين وله اثناتان وسبعون سنة (ع).

(٣) حيوة بن شريح بن صفوان التجيبي، أبو زرعة المصري، ثقة ثبت فقيه زاهد من اسابعة، مات سنة ثمان وقيل تسع وخمسين ومائة (ع).

(٤) بكر بن عمرو المعافري المصري إمام جامعها صدوق عابد من السادسة، مات في خلافة أبي جعفر بعد الأربعين (خ،م،د،ت،س،فق).

تعفوا عنه وأما علي فابن عم رسول اللّه ﷺ وختنه، وأشار بيده، فقال وهذا بيته حيث ترون.

ش / سيأتي الحديث بتمامه في تفسير سورة الأنفال ، ضمن الباب الخامس والأربعين بعد المائة

وفيه هنا ثلاث مسائل:

الأولى: قوله **(أتاه رجلان)** قال الحافظ (٤/٨):«تقدم في مناقب عثمان أن اسم أحدهما العلاء بن عرار وهو بالمهملات واسم الآخر حبان السلمي صاحب الدثينة أخرج سعيد بن منصور من طريقه ما يدل على ذلك » اهـ.

قلت:والذي وجدته (٧٠٨/٢) في التفسير من سننه في قوله ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ من رواية سعيد بن جبير قال: خرج علينا عبداللّه بن عمر فرجونا أن يحدثنا حديثاً حسناً فبدر إليه رجل قال: يا أبا عبدالرحمن ما تقول في القتال في الفتنة ثم ذكره مختصراً.

وأخرج النسائي نحوه في التفسير . ووجه الجمع، بالحمل على تعدد السؤال فمرة سأله رجل ومرة سأله رجلان واللّه أعلم.

الثانية: قوله **(في فتنة ابن الزبير)** أي ما حدث في إمارة ابن الزبير رضي اللّه عنهما من الخروج على يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وقتاله كانت إمارة ابن الزبير من عام أربعة وستين حتى قتل على يدي الحجاج يوم الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين.

الثالثة: قوله **(إما قتلوه وإما يعذبونه)** كذا فيه الأول بصيغة الماضي لكونه إذا قتل ذهب والثاني بصيغة المضارع لأنه يبقى ويتجدد له التعذيب قاله في الفتح.

٣٣ ـ[باب ﴿وأنفقوا في سبيل اللّه ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن اللّه يحب المحسنين﴾].

ش / قال ابن كثير: «ومضمون الآية الأمر بالانفاق في سبيل اللّه في سائر وجوه القربات ووجوه الطاعات وخاصة صرف الأموال في قتال الأعداء وبذلها فيما يقوى به المسلمون على عدوهم والإخبار عن ترك فعل ذلك بأنه هلاك ودمار لمن لزمه واعتاده، ثم عطف بالأمر بالإحسان وهو أعلى مقامات الطاعة فقال ﴿وأحسنوا إن اللّه يحب المحسنين﴾ » اهـ..

وقال الشيخ صديق بن حسن القنوجي في قوله ﴿ولا تلقوا بأيديكم﴾:

«قال المبرد: أي بأنفسكم تعبير بالبعض عن الكل كقوله ﴿بما كسبت أيديكم﴾ وقيل هذا مثل مضروب يقال: فلان ألقى بيده في أمر كذا إذا استسلم لأن المستسلم في القتال يلقى سلاحه بيديه فكذلك فعل كل عاجز في أي فعل كان» اهـ..

[التهلكة والهلاك واحد].

ش / قاله أبو عبيدة.

٤١ ـ حدثنا إسحاق أخبرنا النضر[١] حدثنا شعبة عن سليمان قال: سمعت أبا وائل عن حذيفة: ﴿وأنفقوا في سبيل اللّه ولا تلقوا بأيكم إلى التهلكة﴾ قال نزلت في النفقة).

ش / وأخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة بنحوه وبه قال ابن عباس ومجاهد في جماعة من الصحابة والتابعين وأخرج الترمذي في تفسير سورة البقرة من سننه عن أسلم أبي عمران التجيبي قال: كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفاً عظيماً من الروم فخرج إليهم من

(١) أبو الحسن النضر بن شميل المازني النحوي، البصري، نزيل مرو، ثقة ثبت من كبار التاسعة مات سنة أربع ومائتين، وله اثنتان وثمانون سنة (ع).

المسلمين مثلهم أو أكثر وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس وقالوا: سبحان اللّه يلقي بيديه إلى التهلكة فقام أبو أيوب فقال: يا أيها الناس إنكم تتأولون هذه الآية هذا التأويل وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز اللّه الإسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سراً دون رسول اللّه ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت وإن اللّه قد أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها فأنزل اللّه على نبيه ﷺ يرد علينا ما قلنا ﴿وأنفقوا في سبيل اللّه ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل اللّه حتى دفن بأرض الروم ».

قال مقيده: فكلا القولين عندي صحيح لأن إلقاء اليد إلى التهلكة يكون بواحد من شيئين:

الأول: أن يعمد المرء إلى ترك واجب به قوام حياته وفي تضييعه هلاكه أو إلى محرم يعود عليه بمفسدة دينية أو دنيوية.

وثانيهما: تعريض نفسه إلى الإضرار بها أو إتلافها كأن يسلك طريقاً مخوفاً من غير عدة يتقى بها المخاوف ومعنى الآية عام يشمل الأمرين معاً ولكل منهما شاهد من السنة، فيشهد للأول ما رواه أبو داود في البيوع والإجارات، باب في النهي عن العينة، عن ابن عمر قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: (إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط اللّه عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم).

وهذا الحديث صحيح بمجموع طرقه كما ذكر الشيخ الألباني حفظه اللّه في الصحيحة (١/رقم ١١).

قلت:وهل تسليط الذل من اللّه على العباد لقاء انشغالهم عن الجهاد

بالأمور الدنيوية كالثلاث المذكورة في الحديث إلا مهلكة؟، ومن ذلك الذل تسليط العدو عليهم حتى يستبيح بيضتهم.

وشاهد الثاني ما أخرجه أحمد في المسند (٤/٢٠٣) وأبو داود في التيمم باب إذا خاف الجنب البرد أيتيمم؟، عن عمرو بن العاص قال: (احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فاشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيممت ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال. **وقلت**:إني سمعت اللَّه يقول ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن اللَّه كان بكم رحيماً﴾ فضحك رسول اللَّه ﷺ ولم يقل شيئاً.

ووجه الاستدلال منه في إقرار النبي ﷺ عمراً حيث تيمم خوف الضرر على نفسه من البرد مستدلاً بالآية.

[٣٤ ـ باب ﴿فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه﴾].

ش / قلت الآية **﴿وأتموا الحج والعمرة لله فإن احصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾.**

قال ابن كثير :«لما ذكر تعالى أحكام الصيام وعطف بذكر الجهاد شرع في بيان المناسك فأمر بإتمام الحج والعمرة، وظاهر السياق إتمام أفعالهما بعد الشروع فيهما ولهذا قال بعده ﴿فإن أحصرتم﴾ أي صددتم عن الوصول إلى البيت ومنعتم من إتمامهما ولهذا اتفق العلماء على أن الشروع في الحج والعمرة ملزم سواء قيل بوجوب العمرة أو باستحبابها كما هما قولان للعلماء» اهـ.

وقال ابن جرير: «يعني بذلك جل ثناؤه **﴿فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله﴾** إلا أن يضطر إلى حلقه منكم مضطر إما لمرض وإما لأذى في رأسه من هوام أو غيرها فيحلق هنالك للضرورة النازلة به وإن لم يبلغ الهدي محله فيلزمه بحلاق رأسه وهو كذلك فدية من صيام أو صدقة أو نسك» اهـ.

قلت: فهذا تأويل جيد ويقتضيه سياق الآية فإن شاهد الترجمة عند البخاري ضمن ما اشتملت عليه الآية بتمامها من أحكام الإحرام التي بدأها الحق بقوله ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ وختمها بقوله ﴿ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾.

٤٢ ـ حدثنا آدم[1] حدثنا شعبة عن عبدالرحمن بن الأصبهاني[2] قال:

(١) أبو الحسن آدم بن أبي إياس عبدالرحمن العسقلاني أصله خراساني نشأ ببغداد ثقة عابد من التاسعة، مات سنة إحدى وعشرين ومئتين (خ،خد،ت،س،ق).

(٢) عبدالرحمن بن عبدالله بن الأصبهاني الكوفي الجهني ثقة من الرابعة، مات في أمارة خالد القسري على العراق. (ع).

سمعت عبداللّـه بن معقل(١) قال: قعدت إلى كعب بن عجرة(٢) في هذا المسجد يعني مسجد الكوفة فسألته عن ﴿فدية من صيام﴾ قال: حملت إلى النبي ﷺ والقمل يتناثر على وجهي فقال: (ما كنت أرى أن الجهد قد بلغ بك هذا أما تجد شاة؟) قلت:لا. قال: (صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق رأسك) فنزلت فيَّ خاصة وهي لكم عامة.

ش / فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله **(قعدت إلى كعب بن عجرة في هذا المسجد، يعني مسجد الكوفة)** فيه حرص السلف على مذاكرة العلم وأخذ الفقه عن أصحاب النبي ﷺ وجواز الجلوس لذلك في المسجد.

الثانية: قوله **(حُملت إلى النبي ﷺ والقمل يتناثر على وجهي، فقال: ما كنت أرى أن الجهد بلغ بك هذا)** فيه ثلاثة أمور:

أولاً: لم يذكر من حمله إلى النبي ﷺ ولم أقف على تسميته فيما استعرضته من طرق الحديث.

ثانياً: في قوله **(والقمل يتناثر على وجهي)** الجملة حالية والقمل اسم جنس جمعي واحده قملة وهو الدود الذي ينبعث من الرأس أو الجسم بسبب المرض المعيي في الغالب.

ثالثاً: في قوله **(ما كنت أرى...)** أي ما كنت أظن أن المشقة والإعياء وصل بك إلى هذا الحال وهذا من كمال شفقته ﷺ وملاطفته.

المسألة الثالثة: قوله **(أما تجد شاة؟ قلت: لا. قال: صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لك مسكين نصف صاع من طعام واحلق رأسك)** فيه أمران:

---

(١) أبو الوليد عبداللّـه بن معقل بن مقرن المزني الكوفي، ثقة من كبار الثالثة، مات سنة ثمان وثمانين (ع).

(٢) أبو محمد كعب بن عجرة الأنصاري المدني صحابي مشهور مات بعد الخمسين وله نيف وسبعون (ع).

أحدهما: إن الحلق بعد الفدية لكن أخرجه المصنف في الإحصار، باب قول اللّه تعالى ﴿**فمن كان منكم مريضاً**... الآية﴾ بلفظ: احلق رأسك وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين أو انسك بشاة، كذا بتقديم الحلق قبل النسك، فالجمع بينهما عندي بجواز الأمرين البدء بالنسك أو الحلق، والأول أولى لكونه في رواية الأكثرين.

وثانيهما: البداءة في الفدية بالنسك وعند العجز عنه التخيير بين الصوم والإطعام وقد أخرجه من هذا الوجه أحمد (٢٤٢/٤) والمصنف في مواضع منها الإحصار ، باب الإطعام في الفدية نصف صاع، ومسلم في الحج باب جواز حلق الرأس للمحرم إذا كان به أذى، وابن جرير في تفسير الآية وكلهم عن ابن معقل عن كعب. وأخرجه أبو داود عن الشعبي عن كعب بنحوه وكذا ابن جرير عن الشعبي ومحمد بن كعب القرظي، وأخرجه المصنف في الإحصار باب قول اللّه تعالى: ﴿فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾ بلفظ: (احلق رأسك وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين أو أنسك بشاه) ومفاده التخيير بين الأصناف الثلاثة وكذا أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الحج، باب فدية من حلق قبل أن ينحر ومسلم في الحج، باب جواز حلق الرأس للمحرم إذا كان به أذى، وأبو داود في المناسك باب في الفدية، والترمذي في التفسير باب (ومن سورة البقرة) وغيرهم. وجميعهم من رواية عبدالرحمن بن أبي ليلى، ورواه بالتخيير أيضاً الواحدي من طريق إسرائيل عن عبدالرحمن ابن الأصفهاني عن عبداللّه بن معقل عن كعب.

قال مقيده: وبهذا يتبين لك أن أكثر الروايات عن ابن معقل، ويرجح التخيير في هذه الفدية ثلاثة أمور:

أولها: ظاهر الآية، فإن العطف فيها بين هذه الثلاثة أشياء بـ(أو) وهي للتخيير.

ثانيها: كون أكثر الروايات جاءت به وهو ماجزم به الحافظ.

ثالثها: ما قاله ابن عبدالبر في التمهيد (٢٠/٦٤) في معرض كلامه على رواية التخيير: «ولفظ حديث مالك هذا عن عبدالكريم، مستعمل عند جميع العلماء فيمن حلق راسه من أذى وضرورة لا يختلفون في شئ منه ».

الرابعة: قوله (**فنزلت في خاصة وهي لكم عامة**) فيه استشهاد الصحابة بالعمومات الواردة في أسباب خاصة على أن تلك العمومات على ما هي، وفي ذلك دليل على ما قرره الأصوليون من أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب مالم يدل دليل على اختصاصه بتلك الحادثة.

تنبيهان:

الأول: قال الشوكاني في النيل كتاب الحج باب (النهي عن أخذ الشعر إلا لعذر وبيان فديته): «لا خلاف بين العلماء أن النسك المذكور في الآية هو شاه لكنه يعكر عليه ما أخرجه أبو داود عن كعب أنه أصابه أذى فحلق رأسه فأمره النبي ﷺ أن يهدي بقرة وفي رواية للطبراني فأمره النبي ﷺ أن يفتدي فافتدى ببقرة وكذا لعبد بن حميد وسعيد بن منصور قال الحافظ وقد عارض هذه الروايات ما هو أصح منها من أن الذي أمر به كعب وفعله في النسك إنما هو شاة وروى سعيد بن منصور وعبد بن حميد عن أبي هريرة أن كعباً ذبح شاة لأذى كان أصابه وهذا أصوب من الذي قبله، واعتمد ابن بطال على رواية نافع عن سليمان بن يسار قال: أخذ كعب بأرفع الكفارات ولم يخالف النبي ﷺ فيما أمر به من ذبح الشاة بل وافق وزاد وتعقبه الحافظ بأن الحديث الدال على الزيادة لم يثبت». اهـ

قلت: فهذا تعقب جيد بل وسديد في رد ما يعارض صريح القرآن وصحيح السنة من الأخبار الضعيفة.

الثاني: أخرج المصنف في المغازي باب غزوة الحديبية عن كعب بن عجرة قال: (كنا مع رسول اللّه ﷺ في الحديبية ونحن محرمون).

قلت:فهذا اللفظ مع ما سبقه من الروايات يوضح الحال التي حمل فيها كعب إلى رسول اللّه ﷺ وأمره بالحلق والفدية.

٣٥ -[باب ﴿فمن تمتع بالعمرة إلى الحج﴾].

ش / قلت الآية **﴿فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام، واتقوا اللّه إن اللّه شديد العقاب﴾**.

فيها أربعة أمور:

الأول: أن من من اللّه عليه بالسلامة من المنع عن الوصول إلى البيت وتمتع بالعمرة إلى الحج وصفة ذلك أن يحرم بالعمرة من ميقاته في أشهر الحج أولا ويتحلل منها ثم يحرم ثانياً بالحج في عامه، فعليه هدي وهو شاة أو سُبع من بدنة أو بقرة.

الثاني: إذا عجز المتمتع عن الهدي فعليه البدل وهو صيام ثلاثة أيام في الحج يعني حال كونه متلبساً بأعمال الحج على الصحيح ويجوز له صيام أيام التشريق وسبعة أيام إذا رجع إلى أهله فهذه عشرة أيام يصومها من عجز عن دم المتعة وفي حكمه من كان قارناً.

الثالث: أن التمتع خاص بالآفاقيين وهم الوافدون على البيت من خارج مكة ولهذا قال تعالى: **﴿ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾**.

الرابع: الأمر بتقوى اللّه والتحذير من شدة عقابه وهذا الأمر يحتمل الخصوص بما فرضه قبل في الآية ويحتمل العموم يعني تقوى اللّه في كل حال وفي كل زمان.

٤٣ ـ حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن عمران أبي بكر[١] حدثنا أبو رجاء[٢]

---

(١) هو عمران بن مسلم المنقري أبو بكر القصير البصري صدوق ربما وهم قيل هو الذي روى عن عبداللّه بن دينار وقيل بل هو غيره وهو مكي من السادسة (خ،د،ت،س).

(٢) عمران بن ملحان ويقال ابن تيم العطاردي مشهور بكنيته مخضرم ثقة معمر مات سنة خمس ومائة وله مائة وعشرون سنة (ع).

عن عمران بن حصين[١] رضي اللّه عنهما قال: أنزلت آية المتعة في كتاب اللّه ففعلناها مع رسول اللّه ﷺ ولم ينزل قرآن يحرمه ولم ينه عنه حتى مات. قال رجل برأيه ما شاء.

ش / فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله (**أنزلت آية المتعة في كتاب اللّه**) يشير إلى قوله تعالى ﴿فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة...﴾ الآية، وقد أسلفنا قريباً شرحها والمراد بالمتعة هي متعة الحج وقد تقدم صفتها أول الباب.

الثانية: قوله (**ففعلناها مع رسول اللّه ﷺ**) يعني متعة الحج وهل يختص ذلك بفسخ الحج إلى العمرة أوهو على عمومه؟، فالثاني هو الراجح لما أخرجه المصنف في الحج باب التمتع والإقران والإفراد بالحج ومسلم في الحج باب جواز العمرة في الحج واللفظ له عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: كانوا يرون أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور في الأرض ويجعلون المحرم صفر ويقولون إذا برأَ الدَّبر، وعفا الأثر وانسلخ صفر، حلت العمرة لمن اعتمر فقدم النبي ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة مهلين بالحج فأمرهم أن يجعلوها عمرة، فتعاظم ذلك عندهم فقالوا: يا رسول اللّه: أي الحل؟ قال: الحل كله)

فالحديث مفيد أمرين:

أولهما: أن أمر النبي ﷺ الناس بفسخ الحج إلى العمرة سببه اعتقادهم أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور فأراد إبطال هذا الاعتقاد.

ثانيهما: وهو شاهدنا من الحديث جواز الإحرام بالعمرة في أشهر الحج وقد بوب عليه الإمام النووي، ويزيده وضوحاً ما أخرجه المصنف في الحج باب

---

(١) أبو نجيد عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي أسلم عام خيبر وصحب وكان فاضلاً وقضى بالكوفة مات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة (ع).

التمتع والاقران والافراد بالحج ومسلم في باب جواز التمتع واللفظ لمسلم عن سعيد بن المسيب قال: (اجتمع علي وعثمان رضي اللّه عنهما بعسفان فكان عثمان ينهى عن المتعة أو العمرة فقال علي: ما تريد إلى أمر فعله رسول اللّه ﷺ تنهى عنه فقال عثمان: دعنا منك. فقال: إني لا أستطيع أن أدعك، فلما أن رأى علي ذلك أهل بهما جميعاً).

فانظر إلى مسلك أبي الحسن رضي اللّه عنه حيث رأى ما رأى من أمير المؤمنين عثمان رضي اللّه عنه كيف عمد - أعني أبا الحسن - إلى الأخذ بسنة النبي ﷺ دون أن يتخذ من مخالفة أمير المؤمنين سبيلاً للتشنيع عليه والتشهير به أمام العامة والخاصة.

المسألة الثالثة: قوله **(ولم ينزل قرآن يحرمه ولم ينه عنه حتى مات)** يعني بقوله (لم ينزل قرآن) يحرم جوازالعمرة في أشهر الحج تمتعاً إلى الحج أو أراد الجمع بين العمرة والحج فكل منهما يسمى عندهم متعة، وفيه دليل على نسخ القرآن بالسنة والسنة بالقرآن، فقد أخرج النسائي في التفسير عن عمران قال: نزلت آية المتعة يعني متعة الحج في كتاب اللّه وأمر بها رسول اللّه ﷺ لم تنزل آية تنسخ آية متعة الحج ولم ينه عنها رسول اللّه ﷺ حتى مات... الحديث).

المسألة الرابعة: قوله: **(قال رجل برأيه ما شاء)** لم يصرح باسم ذلك الرجل ههنا وكذا عند المصنف في الحج باب (التمتع) لكن روى مسلم في الحج باب جواز التمتع نحو حديث الباب عن مطرف ثم قال بعده وحدثناه إسحاق بن إبراهيم ومحمد بن حاتم كلاهما عن وكيع حدثنا سفيان عن الجريري في هذا الإسناد وقال ابن حاتم في روايته: ارتأ رجل برأيه ما شاء يعني عمر.

قلت: وليس النهي عن المتعة خاص بعمر وعثمان رضي اللّه عنهما فإن أول من نهى عن متعة الحج هو الصديق رضي اللّه عنه فقد روى أحمد (٣٣٧/١): «عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: تمتع النبي ﷺ. فقال عروة بن

الزبير نهى أبو بكر وعمر عن المتعة فقال ابن عباس ما يقول عُرَيّـة؟ قـال: يقـول: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة فقال ابن عباس: أراهم سيهلكون. اقول: قـال النبي ﷺ ويقـول: نهـى أبـو بكـر وعمـر » ورواه أبـو عمـر بـن عبدالـبر في التمهيـد (١٣٩/٢) بنحوه.

من فوائد الحديث :

واعلم أن حديث الباب قد اشتمل على فوائد نفيسة منها:

١ - حصر النسخ في النصوص مـن القـرآن أو السـنة، أمـا الإجمـاع فإنـه لا ينسخ ولاينسخ به، ولكنه طريق لمعرفة النسخ.

٢ - وقوع الاجتهاد بين الصحابة في الأحكام.

٣ - الرد على المخالف للنص كائناً من كان.

٣٦ - [باب **﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾**]

ش / تمامها **﴿فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا اللّه عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين﴾.**

يقول جل ثناؤه ﴿ليس عليكم﴾ أيها الناس في حجكم إثم حين ابتغائكم الكسب في بيع أو شراء وغيرهما من وجوه الكسب المباح، وهذا هو الأمر الأول.

ثانياً: أمره عباده بالاكثار من ذكره عند المشعر الحرام وهو مزدلفة حين إفاضتهم إليها من عرفات.

ثالثاً: قوله **﴿واذكروه كما هداكم﴾** تنبيه لهم على ما أنعم اللّه به عليهم من الهداية والبيان الإرشاد إلى مشاعر الحج على ما كان عليه من هداية إبراهيم الخليل عليه السلام ولهذا قال: **﴿وإن كنتم من قبله لمن الضالين﴾**.

٤٤ - حدثني محمد أخبرني ابن عيينة عن عمرو عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية فتأثموا أن يتجروا في المواسم فنزلت ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ في مواسم الحج.

ش / أخرجه سعيد بن منصور في التفسير من سننه بنحوه والبيهقي في سننه في الحج باب التجارة في الحج وغيرهما، وأخرجه المصنف في الحج باب التجارة أيام المواسم بلفظ: (كان ذو المجاز وعكاظ متّجر الناس في الجاهلية فلما جاء الإسلام كأنهم كرهوا ذلك حتى نزلت ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ في مواسم الحج) ووقع له في البيوع باب (ما جاء في قول اللّه تعالى ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض﴾) وباب (الأسواق التي كانت في الجاهلية) أن ابن عباس قرأ ضمن الآية (في مواسم الحج).

قلت:وهذه القرآءة ليست من المتواتر ولكنها من الشاذ الذي يفسر به

المعنى ونظائرها كثيرة.

وفي الحديث أربع مسائل:

الأولى: قوله **(كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز)** هذه أماكن ينتابها العرب لإقامة مواسمهم فيها كل عام وإليك تفسيرها كما ذكر ياقوت الحموي في معجمه مرتبة:

قال في (٤/١٤٢):

١ ـ **عكاظ**: بضم أوله وآخره ظاء معجمة قال الليث سمي عكاظ عكاظاً لأن العرب كانت تجتمع فيه، فَيَعكِظُ بعضها بعضاً بالفخار أي يدْعك، وعكظ فلان خصمه باللدد والحجج عكظاً، وقال غيره: عكظ الرجل دابته يعكظها عكظاً إذا حبسها، وتعكظ القوم تعكظاً إذا تحبسوا ينظرون في أمورهم، قال وبه سميت عكاظ، وحكى السهيلي كانوا يتفاخرون في سوق عكاظ إذا اجتمعوا...وعكاظ اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية... قال الأصمعي: عكاظ نخل في وادي بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليالي».

٢ ـ قال في (٥/٥٨):

«**مجنة** : بالفتح وتشديد النون اسم المكان من الجُنة وهو الستر والاخفاء... إلى أن قال: ومجنة: اسم سوق للعرب كان في الجاهلية.

قال الأصمعي: «وكانت تقوم عشرة أيام من آخر ذي القعدة».

٣ ـ وقال (٥/٥٥): «وذو المجاز موضع سوق بعرفة على ناحية كبكب عن يمين الإمام على فرسخ من عرفة كانت تقوم في الجاهلية ثمانية أيام وقال الأصمعي ذو المجاز: ماء من أصل كبكب وهو لهذيل خلف عرفة »

الثانية: قوله **(أسواقاً)** بالنصب خبر كان جمع سوق وهو مكان الاتجار، وسمي السوق سوقاً لأنه تساق إليه البضائع وتجلب عليه المبيعات.

الثالثة: قوله (**فتأثموا أن يتجروا في المواسم**) أي تحرج المسلمون من البيع والشراء في المواسم خشية من مشابهة أهل الجاهلية.

الرابعة: قوله (**فنزلت ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ في مواسم الحج**).

تقدم تفسير الآية. ومراد ابن عباس رضي اللّه عنهما أن الآية الكريمة إخبار من اللّه بإباحة الاتجار في الحج ورفع الإثم وإن تحرج القوم، وذلك هو سبب نزولها.

٣٧ -[باب ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾].

ش / قال مقيده: بين هذه الآية والتي قبلها ارتباط وثيق جداً إذ كلتاهما في بيان وجه الصواب في الوقوف والانصراف، فلا بد أولاً من سياقهما معاً ثم نتبعهما ثانياً بأقوال أهل التفسير في آية الترجمة فنقول وباللّه التوفيق:

قال جل ثناؤه **﴿فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا اللّه عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا اللّه إن اللّه غفور رحيم﴾.**

قال الحافظ ابن كثير: « **(ثم)** هنا لعطف خبر على خبر وترتيبه عليه كأنه تعالى أمر الواقف بعرفات أن يدفع إلى المزدلفة ليذكر اللّه عند المشعر الحرام وأمره أن يكون وقوفه مع جمهور الناس بعرفات كما كان جمهور الناس يصنعون يقفون بها؛ إلا قريشاً فإنهم لم يكونوا يخرجون من الحرم، فيقفون في طرف الحرم عند أدنى الحل ويقولون: نحن أهل اللّه في بلدته وقُطان بيته.. إلى أن قال: وكذا قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة والسدي وغيرهم واختاره ابن جرير وحكى عليه الإجماع».

قلت:ونحن نرجح ما اختاره ابن جرير لثبوته نصاً كما سيأتي في الباب وقد ختم الحق هذه الآية بقوله **﴿واستغفروا اللّه إن اللّه غفور رحيم﴾** وهو ختام بديع جرى أمر الشارع به بعد نهاية كثير من العبادات فقد أخرج مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة عن ثوبان رضي اللّه عنه قال: (كان رسول اللّه ﷺإذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً وقال: اللّهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام).

وقوله **﴿إن اللّه غفور رحيم﴾** تعليل للأمر بالاستغفار وحث عليه وبيان لسعة رحمته وفضله على عباده بمغفرة ذنوب من استغفر، كما أن فيه إثبات هذين الاسمين للحق جل وعلا.

٤٥ ـ حدثنا علي بن عبدالله حدثنا محمد بن خازم[١] حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وكان سائر العرب يقفون بعرفات فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾.

٤٦ ـ حدثني محمد بن أبي بكر[٢] حدثنا فضيل بن سليمان[٣] حدثنا موسى بن عقبة[٤] أخبرني كريب[٥] عن ابن عباس قال: يطوف الرجل بالبيت ماكان حلالاً حتى يهل بالحج فإذا ركب إلى عرفة فمن تيسر له هديه من الإبل أو البقر أو الغنم ما تيسر له من ذلك أي ذلك شاء غير أنه إن لم يتيسر له فعليه ثلاثة أيام في الحج وذلك قبل يوم عرفة، فإن كان آخر يوم من الأيام الثلاثة يوم عرفة فلا جناح عليه ثم لينطلق حتى يقف بعرفات من صلاة العصر إلى أن يكون الظلام ثم ليدفعوا من عرفات إذا أفاضوا منها حتى يبلغوا جمعاً الذي يتبرر فيه،ثم ليذكروا الله كثيراً، أوأكثروا التكبير والتهليل قبل أن تصبحوا ثم أفيضوا فإن الناس كانوا يفيضون، وقال الله تعالى ﴿ثم أفيضوا

(١) أبو معاوية محمد بن خازم الضرير الكوفي عمي وهو صغير ثقة أحفظ الناس لحديث الأعمش، وقد يهم في حديث غيره، من كبار التاسعة مات سنة خمس وتسعين ومائة وله اثنتان وثمانون سنة، وقد رمي بالاجاء (ع).

(٢) أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن علي بن عطاء بن مقدم المقدمي بالتشديد الثقفي مولاهم البصري ثقة من العاشرة، مات سنة أربع وثلاثين ومئتين (خ،م،س).

(٣) أبو سليمان فضيل بن سليمان النميري البصري، صدوق له خطأ كثير، من الثامنة، مات سنة ثلاث وثمانين ومائة وقيل غير ذلك (ع).

(٤) موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي مولى آل الزبير ثقة فقيه إمام في المغازي من الخامسة، لم يصح أن ابن معين لينه، مات سنة إحدى وأربعين ومائة وقيل بعد ذلك (ع).

(٥) أبو رشدين كريب بن أبي مسلم الهاشمي مولاهم المدني مولى ابن عباس ثقة من الثالثة مات سنة ثمان وتسعين (ع).

من حيث أفاض الناس واستغفروا اللّه إن اللّه غفور رحيم﴾ حتى ترموا الجمرة).

ش / أخرج حديث عائشة مسلم في الحج باب في الوقوف وقوله تعالى ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾، وأخرجه النسائي في التفسير، باب (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) من رواية أبي معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة غير أن لفظ الشيخين أتم، وأخرجه المصنف في الحج باب الوقوف بعرفة وكذا مسلم عن عروة كان الناس يطوفون في الجاهلية عراة إلا الحمس، والحمس قريش وما ولدت، وكانت الحمس يحتسبون على الناس، يعطي الرجل الرجل الثياب يطوف فيها، وتعطي المرأة المرأة الثياب تطوف فيها، فمن لم يعطه الحمس طاف بالبيت عرياناً، وكان يفيض جماعة الناس من عرفات ويفيض الحمس من جمع ـ قال وأخبرني أبي عن عائشة رضي اللّه عنها: أن هذه الآية نزلت في الحمس ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ قال كانوا يفيضون من جمع فدفعوا إلى عرفات).

قلت: فالمرفوع منه هو الشطر الثاني وأما الأول فمرسل كما ترى ولعل عروة عمد إلى ذلك استدلالاً على المرسل بعد حكايته بالمرفوع.

وفي الحديثين اثنتا عشرة مسألة:

الأولى: قوله: **(كانت قريش ومن دان دينها يقفون في المزدلفة)** أي من كان على مسلك قريش في العبادة وقال بعضهم: أن قريشاً إذا صاهرهم أحد من العرب اشترطوا عليه أن يكون الولد على دينهم.

وقوله **(مزدلفة)** هو آخر الحل من جهة عرفة سمي بذلك لازدلاف الناس إليه، والمعنى أن قريشاً ومن نحى نحوهم لا يجاوزون في الوقوف مزدلفة خلافاً لسائر الناس.

الثانية: قوله **(الحمس)** قال إبراهيم الحربي في غريب الحديث من طريق ابن

جريج عن مجاهد قال: «الحمس قريش ومن كان يأخذ مأخذها من القبائل كالأوس والخزرج وخزاعة وثقيف وغزوان وبني عامر وبني صعصعة وبني كنانة إلا بني بكر، والأحمس في كلام العرب الشديد وسموا بذلك لما شددوا على أنفسهم، وكانوا إذا أهلوا بحج أوعمرة لا يأكلون لحماً ولا يضربون وبراً ولا شعراً، وإذا قدموامكة وضعوا ثيابهم التي كانت عليهم.

وروى إبراهيم أيضاً من طريق عبدالعزيز بن عمران المدني قال: سموا حمساً بالكعبة لأنها حمساء حجرها أبيض يضرب إلى السواد» اهـ.

ذكر القولين الحافظ ثم قال: «**الأول** أشهر وأكثر وأنه من التحمس وهو التشدد قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: تحمس تشدد ومنه حَمَسَ الوغاء إذا اشتد.

الثالثة: قوله: (وكان سائر العرب) يقفون بعرفات فلما جاء الإسلام أمر اللّه نبيه ﷺ أن يأتي عرفات ثم يقف بها) فيه أمران:

أحدهما: بيان صنيع سائر العرب غير قريش في الموقف.

ثانيهما: رد قريش إلى موافقة جمهور الناس في الوقوف بعرفة وأنه الحق.

المسألة الرابعة: قوله (ثم يفيض منها).

قلت:هذه الإفاضة هي الدفع من عرفة إلى مزدلفة بعد غروب شمس يوم التاسع من ذي الحجة كما سيأتي بعد.

الخامسة: قوله (فذلك قوله تعالى ﴿**ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس**﴾ وذلك تفسير للمراد بالإفاضة، وأن المراد بالناس ما عدا قريشاً من جمهور العرب، وهذا هو أصح الأقوال، وفي الباب ما أخرجه المصنف في الحج، باب الوقوف بعرفة، ومسلم في الحج باب في الوقوف واللفظ له عن جبير بن مطعم قال: أضللت بعيراً لي فذهبت أطلبه يوم عرفة فرأيت رسول اللّه ﷺ واقفاً مع الناس بعرفة فقلت: واللّه إن هذا لمن الحمس فما شأنه ههنا، وكانت قريش تعد من الحمس.

السادسة: قوله: (**يطوف الرجل بالبيت ما كان حلالاً حتى يهل بـالحج**)، يعني به من كان مقيماً بمكة أو من دخلها معتمراً متمتعاً بعمرته إلى الحج فإنه يبقى حلالاً إلى يوم التروية ثم يهل منها.

السابعة: قوله (**فإذا ركب إلى عرفة فمن تيسر له هديه من الإبل أو البقر أوالغنم ما تيسر له من ذلك أي ذلك شاء**) فيه بيان بأن الهدي المنصوص عليه في قوله تعالى ﴿فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي﴾ بأنه من بهيمة الأنعام.

الثامنة: قوله (**غير أنه إن لم يتيسر له ذلك فعليه ثلاثة أيام في الحج وذلك قبل يوم عرفة فإن كان آخر يوم من الأيام الثلاثة يوم عرفة فلا جناح عليه**).

قلت:فيه **أولاً**: تقييد لما جاء مطلقاً في الآية ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج﴾.

وفيه **ثانياً**: أن من لم يجد الهدي فهو مخير بين أن يكون آخر صيامه قبل يوم عرفة إن تيسر له وإلا فيسوغ له ختمه بيوم عرفة وفي المسألة قولان حكاهما في المغني فقال (٤٧٦/٣):

«ولكل واحد من صوم الثلاثة والسبعة وقتان: وقت جواز ووقت استحباب فأما وقت الثلاثة فوقت الاختيار لها أن يصومها ما بين إحرامه بالحج ويوم عرفة ويكون آخر الثلاثة يوم عرفة.

قال طاووس: يصوم ثلاثة أيام آخرها يوم عرفة، وروي ذلك عن عطاء والشعبي ومجاهد والحسن والنخعي وسعيد بن جبير وعلقمة وعمرو بن دينار وأصحاب الرأي، وروى عن ابن عمر وعائشة أنه يصومهن ما بين إهلاله بالحج ويوم عرفة، وظاهر هذا أن يجعل آخرها يوم التروية وهو قول الشافعي، لأن صوم يوم عرفة بعرفة غير مستحب وكذلك ذكر القاضي في المحرر والمنصوص عن أحمد الذي وقفنا عليه مثل قول الخرقي أنه يكون آخرها يوم عرفة وهو قول من

سمينا من العلماء.

التاسعة: قوله (**ثم لينطلق حتى يقف بعرفات من صلاة العصر إلى أن يكون الظلام**) يعني إذا أهل من مكة بالحج، وقوله (من صلاة العصر إلى أن يكون الظلام) فيه أمران:

الأول: تحديد بدء الوقوف بعرفة وأنه من صلاة العصر وهذا يحتمل وقتها وهو من مصير ظل الشئ مثله، ويحتمل حين تصلى يوم عرفة مع الظهر جمع تقديم والأخير هو الراجح لما رواه مسلم عن جابر في حجة النبي ﷺ قال: حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرُحِّلت له فأتى بطن الوادي فخطب الناس إلى أن قال: ثم أذن ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئاً، ثم ركب رسول اللّه ﷺ حتى أتى الموقف) فهو صريح في أن رسول اللّه ﷺ ابتدأ الوقوف بعرفة بعد صلاة الظهر والعصر جمع تقديم.

وقوله (**إلى أن يكون الظلام**) قلت في حديث جابر المتقدم (فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلا حتى غاب القرص).

قلت: لعل ابن عباس أراد هذا فإنه بغروب قرص الشمس يبدأ ظلام الليل وهذا هو الأفضل لأنه وقت دفع النبي ﷺ من عرفة وإلا فإن الوقوف به يمتد إلى طلوع فجر يوم النحر لما روى أبو داود في المناسك، باب من لم يدرك عرفة عن عروة بن مضرس الطائي قال: أتيت رسول اللّه ﷺ بالموقف يعني بجمع، **قلت:** جئت يارسول اللّه من جبل طئ أكللت مطيتي واتعبت نفسي، واللّه ما تركت من جبل إلا وقفت عليه، فهل لي من حج، فقال رسول اللّه ﷺ من أدرك معنا هذه الصلاة وأتى عرفات قبل ذلك ليلاً أو نهاراً فقد تم حجة وقضى تفثه).

فقوله: (من أدرك معنا هذه الصلاة وأتى عرفات قبل ذلك ليلاً أو نهاراً فقد تم حجه وقضى تفثه) صريح الدلالة على ما قلناه من امتداد الوقوف حتى فجر يوم النحر.

قال ابن قدامة (٤١٥/٣):

«لا نعلم خلافاً بين أهل العلم في أن آخر الوقت طلوع فجر يوم النحر ».

قال جابر: (لا يفوت الحج حتى يطلع الفجر من ليلة جمع. قال أبو الزبير: فقلت له: أقال رسول اللّه ﷺ ذلك؟ قال: نعم) رواه الأثرم.

وقال النووي في المجموع (١٠١/٨):

«وقت الوقوف ما بين زوال الشمس يوم عرفة وطلوع الفجر الثاني يوم النحر هذا هو المذهب ونص عليه الشافعي وقطع به جمهور الأصحاب، وحكى جماعة من الخراسانيين وجهاً أنه لا يصح الوقوف في ليلة النحر وحكى الفوراني قولاً مثل هذا وفيه ما بين زوال الشمس وغروبها وحكى الدارمي والرافعي وجهاً آخر أنه يشترط كون الوقوف بعد الزوال وبعد مضي إمكان صلاة الظهر،وهذان الوجهان شاذان ضعيفان، والصواب ما سبق عن الجمهور » اهـ.

العاشرة: قوله (ثم ليدفعوا من عرفات إذا أفاضوا منها حتى يبلغو جمعاً الذي يُتَبرر فيه) يعني أن الإفاضة بعد غروب شمس يوم التاسع من عرفة إلى مزدلفة وسميت جمعاً لاجتماع الناس فيها بعد منصرفهم من عرفة.

وقوله (يتبرر فيه) أي يطلب فيه البر وهو يشمل جميع ما يتقرب به إلى اللّه تلك الليلة وصحت به سنة النبي ﷺ من صلاة المغرب والعشاء جمعاً والمبيت وصلاة الصبح يوم النحر وذكر اللّه عند المشعر الحرام حتى الإسفار.

الحادية عشرة: قوله (ثم أفيضوا فإن الناس كانوا يفيضون...).

فيه بيان وقت الدفع من مزدلفة إلى منى وأنه حين صبح يوم النحر، وهذا يفسره ما رواه البخاري في الحج، باب متى يدفع من جمع، عن عمرو بن ميمون قال: شهدت عمر رضي اللّه عنه صلى بجمع الصبح ثم وقف فقال: إن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ويقولون: أشرِق ثَبير، وأن

النبي ﷺ خالفهم ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس).

قلت: فهذه السنة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ فالزمها أيها المسلم ولا تنظر إلى ما عليه جماهير الناس من الغافلين عنها واعلم أنه لم يرخص في الدفع من جمع قبل ذلك الوقت إلا للضعفة لما رواه البخاري في الحج، باب من قدم ضعفة أهله بليل، ومسلم في الحج باب (استحباب تقديم دفع الضعفة) عن ابن عباس رضي اللّه عنهما أنه قال: أنا ممن قدم رسول اللّه ﷺ في ضعفة أهله.

وقوله: (**وقال اللّه: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾**) هو تفسير من ابن عباس بأن المراد بالإفاضة في الآية هي الإفاضة من مزدلفة إلى منى لرمي جمرة العقبة وهذا التفسير هو أحد القولين وبه قال الضحاك بن مزاحم فيما حكاه ابن كثير (١/٢٥٠).

وذكر أن ابن جرير أخرجه عنه وقد مضى في أول الباب شرح الآية وبيان الراجح فيها.

الثانية عشرة: قوله (**حتى ترموا الجمرة**) يعني جمرة العقبة سميت بذلك لكونها عندها. والمعنى: الجمرة ذات العقبة. وموقعها بين مكة ومنى.

قال ابن قدامة (٣/٤٢٧).

«وهي آخر الجمرات مما يلي منى وأولها مما يلي مكة وهي عند العقبة» اهـ.

قلت: وكيفية الرمي ومقداره قد جاءت به الأحاديث الصحيحة منها:

١ ـ ما رواه مسلم في الحج باب حجة النبي ﷺ (حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها مثل حصي الخذف رمي من بطن الوادي ثم انصرف إلى المنحر) ومنها:

٢ ـ ما رواه البخاري في الحج باب (من رمى جمرة العقبة فجعل البيت عن يساره)، ومسلم في الحج، باب (رمي جمرة العقبة من بطن الودي وتكون مكة عن يساره) عن عبدالرحمن بن يزيد أنه حج مع ابن مسعود رضي اللّه عنه، فرآه

يرمي الجمرة الكبرى بسبع حصيات فجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه ثم قال: هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة.

قال مقيده: اتفق الحديثان على كيفية الرمي ومقدار الحصى المرمي به وجهة الرمي وتحديد مكان جمرة العقبة وقد صح عن النبي ﷺ من غير وجه أنه لم يرم في يوم النحر بعد طلوع الشمس جمرة غيرها كما في الحديثين.

٣٨ -[باب ﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقناعذاب النار﴾].

ش / هذه الآية التي بوب عليها البخاري رحمه اللّه ضمن سلسلة من التنزيل الكريم تتألف من ثلاث آيات ولا بد من ذكرها أولاً ثم شرحها مجتمعة، إتماماً للفائدة وتوضيحاً للمعنى فنقول:

قال اللّه جل ذكره: **﴿فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا اللّه كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، أولئك لهم نصيب مما كسبوا واللّه سريع الحساب﴾.**

فيها خمسة أمور:

أولها: أمر النبي ﷺ والأمة مثله في ذلك بعد الفراغ من المناسك بالاكثار من ذكر اللّه مثلما يذكر الناس آباءهم أو أشد من ذلك وكانوا قبل الإسلام يتفاخرون بالآباء فندبهم اللّه إلى ذكره شكراً له على ما امتن به عليهم من أداء الحج الذي هو إما فريضة أو قربة ونافلة بعدها.

ثانيها: التحذير والتنفير من مسلك من يقصر همته على الدنيا، فلا يسأل اللّه غيرها وأن هذا الصنف من الناس ليس له في الآخرة من خلاق أي حظ ونصيب.

ثالثها: التنويه بشأن الجامعين في الدعاء بين حسنتي الدنيا والآخرة مع سؤالهم اللّه الوقاية من النار.

واعلم أن حسنة الدنيا شاملة لكل ما يصلح به الحال فيها من الرزق الحلال وصلاح الزوجة والأولاد، وأعظم ذلك التوفيق للهداية والثبات عليها وأن حسنة الاخرة هي الجنة وما فيها من نعيم، وأعظمه النظر إلى وجه الرب جل جلاله.

ورابعها: في قوله ﴿أولئك لهم نصيب مما كسبوا﴾ قال الشيخ ابن سعدي

رحمه اللّه:

«وكل من هؤلاء وهؤلاء لهم نصيبهم من كسبهم وعملهم وسيجازيهم تعالى على حسب أعمالهم وهِماتهم ونياتهم جزاءً دائراً بين العدل والفضل يحمد عليه أكمل حمد وأتمه». اهـ

خامسها: قوله ﴿واللّه سريع الحساب﴾ هو نظير قوله تعالى من سورة الأنعام الآية الثانية والستين﴿ثم ردوا إلى اللّه مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين﴾ قال الشيخ ابن سعدي:

«وهو أسرع الحاسبين لكمال علمه وحفظه لأعمالهم بما أثبته في اللوح المحفوظ ثم أثبتته ملائكته في الكتاب الذي بأيديهم».

٤٧ ـ حدثنا أبو معمر(١) حدثنا عبدالوارث(٢) عن عبدالعزيز(٣) عن أنس قال: (كان النبي ﷺ يقول: اللّهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار).

ش / قلت:أخرجه المصنف في الدعوات باب قول النبي ﷺ: (ربنا آتنا في الدنيا حسنة) بلفظ كان أكثر دعاء النبي ﷺ فذكره، ومسلم في الذكر والدعاء، باب (فضل الدعاء بـ اللّهم آتنا في الدنيا حسنة) عن عبدالعزيز بن صهيب قال: سأل قتادة أنساً أي دعوة كان يدعو بها النبي ﷺ أكثر؟ قال: كان أكثر دعوة يدعوا بها يقول: اللّهم.. فذكره، وفيه وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعى بها فإذا أراد أن يدعو بدعاء دعى بها فيه.

وأخرجه من رواية ثابت بلفظ: ربنا... الخ.

---

(١) عبداللّه بن عمرو بن أبي الحجاج التميمي المنقري واسم أبي الحجاج ميسرة، ثقة، ثبت، رمي بالقدر من العاشرة مات سنة أربع وعشرين ومئتين (ع).

(٢) أبو عبيدة عبدالوارث بن سعيد بن ذكوان العنبري مولاهم التنوري البصري ثقة ثبت، رمي بالقدر ولم يثبت عنه، من الثامنة، مات سنة ثمانين ومائة (ع).

(٣) عبدالعزيز بن صهيب البناني البصري ثقة من الرابعة، مات سنة ثلاثين ومائة (ع).

وأخرجه النسائي في التفسير باب ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة... بنحوه وفيه مسألتان:

الأولى: في قوله **(اللَّهم)** لفظ الجلالة منادى والأصل: يا اللَّه فحذفت الياء وعوض عنها الميم ولا يجمع بينهما إلا شاذاً كقول الشاعر:

إني إذ ما حدث ألم أقول ياللَّهم ياللَّهم

قال ابن مالك:

والأكثر اللَّهم بالتعويض وشذ ياللَّهم في قريض.

الثانية: قوله **(كان أكثر دعوة يدعو بها...)** فيه فضيلة هذا الدعاء والإرشاد إلى الاستكثار منه وذلك في فاضل الأزمنة والأمكنة كمواضع السجود، وبعد عصر يوم الجمعة، وفي الطواف والسعي، وهذا مستفاد من لفظ العموم وهو قوله: **(كان أكثر دعوة يدعو بها)** ومن فعل أنس رضي اللَّه عنه كما رأيت من رواية عبدالعزيز بن صهيب عند مسلم.

٣٩ -[باب ﴿وهو ألد الخصام﴾].

ش / قلت:الآيات ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد اللّه على ما في قلبه، وهو ألد الخصام، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل واللّه لا يحب الفساد، وإذا قيل له اتق اللّه أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد﴾.

في هذه الآيات الثلاث من هذا التنزيل الكريم وصف صنف من الناس تخالف أقوالهم أفعالهم بصفات أربع:

الأولى: حسن المقال باللسان مع إشهاد اللّه على ما في قلبه من الصدق والبر وليس كذلك؛ بل هو كاذب كما قال تعالى ﴿إذا جاءك المنفقون قالوا نشهد إنك لرسول اللّه واللّه يعلم إنك لرسوله، واللّه يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾.

الثانية: اللدد في الخصومة وهذا من فساد مقالهم مع فساد حالهم.

الثالثة: أنه حين انصرافه من عند رسول اللّه ﷺ يعمد إلى الفساد في الأرض بالمعاصي حتى يهلك بذلك الفساد ما عليها من حرث ونسل، أي من زرع وحيوان كما قال بعض المفسرين واللّه يبغض الفساد أياً كان.

الرابعة: شدة الكبرياء والأنفة والاستنكاف عن الحق حتى بلغ به ذلك أنه إذا ذكر باللّه وخوف به ازداد سواءً وإمعاناً في الإثم خلافاً لأهل الإيمان ﴿الذين إذا ذكر اللّه وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾ ثم توعده سبحانه وتعالى بأنه ﴿حسبه جهنم ولبئس المهاد﴾ أي هي كافيته ومأواه ولبئس المأوى ذلك.

والسؤال ههنا: مَنْ أولئك الذين عنى اللّه بهذه الآيات ووصفهم بتلك الصفات؟!

والجواب: اختلف أهل التأويل في ذلك على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الأخنس بن شريق قاله السدي.

وثانيها: أن اللّه عنى بها أناساً من المنافقين، تكلموا في سرية الرجيع وهذا هو قول ابن عباس.

وثالثها: أنها في المنافقين عامة وهو قول الجمهور ومنهم محمد بن كعب القرظي وقتادة وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم، أخرجها جميعاً ابن جرير.

وآخر الأقوال هو الراجح عندي لأدلة منها:

أولاً: إنه قول الجمهور وفيهم من عرفت.

ثانياً: إن القول الأول مرسل.

ثالثاً: إنه لا تعارض بين قول ابن عباس في تفسير الآيات مع قول الجمهور.

[قال عطاء: النسل: الحيوان].

ش / أخرجه ابن جرير قال: حدثنا القاسم: حدثنا الحسين: حدثني الحجاج عن ابن جريج قال. **قلت**:لعطاء ﴿ويهلك الحرث والنسل﴾. قال: الحرث الزرع والنسل: من الناس والأنعام.

وأخرج نحوه عن ابن عباس ومجاهد والضحاك والربيع وسعيد بن عبدالعزيز.

٤٨ ـ حدثنا قَبيصة[١] حدثنا سفيان عن ابن جريج[٢] عن ابن أبي مليكة[٣] عن عائشة ترفعه قال: أبغض الرجال إلى اللّه الألد الخصم.

وقال عبداللّه حدثنا سفيان حدثني ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن

---

(١) أبو عامر قبيصة بن عقبة السوائي الكوفي من التاسعة مات سنة. خمس عشرة ومئتين (ع).

(٢) عبدالملك بن عبدالعزيز الأموي مولاهم، المكي، فقيه من السادسة مات سنة خمسين ومائة أو بعدها (ع).

(٣) عبداللّه بن عبيداللّه بن أبي مليكة التيمي المدني ثقة فقيه من الثالثة مات سنة سبع عشرة ومائة (ع).

عائشة عن النبي ﷺ.

ش / فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله (**ترفعه**) يعني إلى النبي ﷺوقائل ذلك هو ابن أبي مليكة.

الثانية: قوله (**أبغض الرجال إلى اللّه**) البغض ضد المحبة وهو الكراهة قال تعالى: ﴿ولكن اللّه حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾.

وفي الحديث إثبات صفة البغض لله عزوجل على الوجه اللائق بجلاله بلا تكييف.

الثالثة: قوله (**الألد الخصم**) أي شديد الخصومة، قال ابن جرير: « الألد من الرجال الشديد الخصومة يقال في فعلت منه قد لددت يا هذا ولم تكن ألد فأنت تلد لدداً ولدادة، فأما إذا غلب من خاصمه فإنما يقال فيه: لددت يا فلان فلان فأنت تلدّه لدّا ومنه قول الشاعر:

ثم أردى وبهم من تردى تلد أقران الخصوم لدا»اهـ.

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم (٢١٩/١٦):« والألد شديد الخصومة مأخوذ من لدِيدَي الوادي وهما جانباه، لأنه كلما احتج عليه بحجة أخذ في جانب آخر وأما (الخصم) فهو الحاذق بالخصومة، والمذموم هو الخصومة بالباطل في رفع حق أو إثبات باطل».أهـ

قال مقيده: والذم مستفاد من وصف الفاعل في الحديث ببغض اللّه له وذلك صيغه نهي فرعية مقتضاها التحريم ومفهومه جواز الخصومة بالحجة والبرهان في إظهار الحق ودحض الباطل ومن ذلك رد شبه أهل الأهواء من الجهمية والمعتزلة وغيرهم من المبتدعة حماية للسنة وتصفية للعقيدة.

الرابعة: قوله (**قال عبداللّه**) يحتمل أن يكون عبداللّه بن الوليد العدني ويحتمل أن يكون عبداللّه بن محمد الجعفي المسندي شيخ البخاري فعلى الأول

فسفيان هو الثوري، وعلى الثاني فسفيان هو ابن عيينة وقد أخرجه المصنف موصولاً مصرحاً برفعه في المظالم، باب قول اللّٰه تعالى: ﴿وهو ألد الخصام﴾.

وفي الأحكام باب الألد الخصم ومسلم في العلم، باب في الألد الخصم والترمذي في التفسير باب (من سورة البقرة)، والنسائي في التفسير قوله تعالى ﴿وهو ألد الخصام﴾، وكلهم عن ابن أبي مليكة عن عائشة وقال الحافظ وهو موصول بالإسناد في جامع سفيان الثوري من رواية عبداللّٰه بن الوليد هذا.

٤٠ - [باب ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر اللّه آلا إن نصر اللّه قريب﴾].

ش / قال البغوي: قال قتادة والسدي نزلت هذه الآية في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد وشدة الخوف والبرد وضيق العيش وأنواع الأذى كما قال تعالى ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ وقيل نزلت في حرب أحد وقال عطاء: لما دخل النبي ﷺ المدينة وأصحابه اشتد عليهم الضر لأنهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين وآثروا رضا اللّه ورسوله، وأظهرت اليهود العداوة لرسول اللّه ﷺ، وأسر قوم النفاق فأنزل اللّه تعالى تطييباً لقلوبهم ﴿أم حسبتم﴾ معناه حسبتم والميم صلة. قاله الفراء.

وقال الزجاج: «بل حسبتم ومعنى الآية: أظننتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة ﴿ولما يأتكم﴾ أي ولم يأتكم، و(ما) صلة ﴿مثل الذين خلوا﴾ شبه الذين مضوا ﴿من قبلكم﴾ من النبيين والمؤمنين ﴿مستهم البأساء﴾ الفقر والشدة والبلاء ﴿والضراء﴾ المرض والزمانة ﴿وزلزلوا﴾ أي حركوا بأنواع البلايا والرزايا، وخوفوا ﴿حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر اللّه﴾ ما زال البلاء بهم حتى استبطؤوا النصر قال تعالى: ﴿ألا إن نصر اللّه قريب﴾.

قرأ نافع: ﴿حتى يقولُ الرسول﴾ بالرفع معناه: حتى قال الرسول، وإذا كان الفعل الذي يلي حتى في معنى الماضي ولفظه لفظ المستقبل، فلك فيه الوجهان الرفع والنصب، فالنصب على ظاهر الكلام لأن حتى تنصب الفعل المستقبل والرفع معناه الماضي وحتى لا تعمل في الماضي» .اهـ

قلت: فما حكاه الشيخ من الأقوال في نزول الآية داخل فيما تفيده من تسلية النبي ﷺ وأصحابه وأمر اللّه إياهم بالصبر على ما سيصيبهم في ذاته ونصرة دينه من ألوان المصائب أسوة بمن مضى من الأنبياء وأتباعهم وكان النبي

ﷺ يصبر أصحابه على ذلك فمن ذلك مـا رواه البخاري في الإكـراه بـاب مـن اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر عن خباب بن الأرت شكونا إلى رسول اللّه ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعوا لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه، واللّه ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا اللّه والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون).

٤٩ ـ حدثنا إبراهيم بن موسى[١] أخبرنا هشام[٢] عن ابن جريج قال: سمعت ابن أبي مليكة يقول: قال ابن عباس رضي اللّه عنهما: ﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا﴾ خفيفة ذهب بها هناك وتلا ﴿حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر اللّه ألا إن نصر اللّه قريب﴾ فلقيت عروة ابن الزبير فذكرت له ذلك فقال: قالت عائشة: معاذ اللّه، واللّه ما وعد اللّه رسولَه من شئ قط إلا عَلِم أنه كائن قبل أن يموت، ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا أن يكون من معهم يكذبونهم، فكانت تقرؤها ﴿وظنوا أنهم قد كذّبوا﴾ مثقلة.

ش / أخرجه الشيخ في تفسير سور يوسف وفي الأنبياء مقتصراً على سؤال عروة عائشة عن معنى قوله تعالى ﴿**حتى إذا استيأس الرسل**﴾ وأخرجه النسائي في التفسير باب قول اللّه تعالى ﴿**حتى إذا استيأس الرسل**﴾ وابن جرير في تفسير سورة يوسف أيضاً (٨٣/٨).

---

(١) إبراهيم بن موسى هو أبو غسحاق إبراهيم بن موسى بن يزيد التميمي الفراء الرازي، يلقب بالصغير، ثقة حافظ، من العاشرة، مات بعد العشرين ومئتين (ع).

(٢) أبوعبداللّه بن حسان الأزدي الفردوسي البصري ثقة من أثبت الناس في ابن سيرين، وفي روايته عن الحسن، وعطاء مقال، لأنه قيل كان يرسل عنهما من السادسة، مات سنة سبع أو ثمان وأربعين ومائة (ع).

قوله: (وتلا ﴿**حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر اللّه ألا إن نصر اللّه قريب**﴾).

(تلا): قرأ والتالي هو ابن عباس وهذه القطعة من الآية هي شاهد الترجمة، والمعنى أن ابن عباس رضي اللّه عنهما فسر آية يوسف ﴿حتى إذا استيأس الرسل﴾ بآية البقرة هذه، وهذا هو تفسير القرآن بالقرآن، وسيأتي شرح الحديث إن شاء اللّه مستوفى في تفسير سورة يوسف، ضمن الباب الرابع والثمانين بعد المائة.

٤١ ـ[باب ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم....الآية﴾].

ش / تمامها ﴿واتقوا اللّه واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين﴾

في الآية خمسة أمور:

الأول: يخبر جل ثناؤه أنه قد جعل للرجال في ازواجهم مزرعاً للذرية وسماهن حرثاً إمتناناً على عباده بذلك.

الثاني: أمر الرجل أن يأتي زوجه فيما أباحه له منها من أي وجه شاء وهو القبل وبيان ذلك في قوله ﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ ومما يفسره ما رواه ابن جرير عن ابن عباس رضي اللّه عنهما كان يقول:

«اسق نباتك من حيث نباته».

وروى أيضاً عن القرظي قال:«إيتيها مضطجعة وقائمة ومنحرفة ومقبلة ومدبرة كيف شئت إذا كان في قبلها».

الثالث: في قوله ﴿**وقدموا لأنفسكم**﴾ يتضمن أمره جل علاه العباد عامة والأزواج خاصة بتقديم كل ما يصلح حالهم ومآلهم وقد حذف المفعول ههنا وصرح به في مواضع من الكتاب الكريم، ومن تلك المواضع قوله تعالى ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند اللّه...﴾ الاية. فالمأمور بتقديمه على هذا التعميم شامل لجميع أصناف البر وأنواع الطاعات،من ذلك: طلب العفة في الزواج ،والولد الصالح مع كل ما يقرب إلى اللّه عزوجل.

الرابع: في قوله ﴿**واتقوا اللّه واعلموا أنكم ملاقوه**﴾ أمر بتقواه وهي فعل أوامره واجتناب نواهيه والوقوف عند حدوده وإحلال ما أحل وتحريم ما حرم كما أن فيه التنبيه إلى إحاطة اللّه بأعمال العباد ومجازاتهم عليها ففيه الترغيب في طلب ثوابه والتخويف من عقابه.

الخامس: قوله ﴿**وبشر المؤمنين**﴾ فيه تأنيس أهل الإيمان بذكر البشارة

وهي الإخبار بكل أمر سار تنبسط له بشرة الوجه.

٥٠ ـ حدثنا إسحاق أخبرنا النضر بن شميل أخبرنا بن عون[١] عن نافع قال: كان ابن عمر رضي اللّه عنهما إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه فأخذت عليه يوماً أقرأ سورة البقرة حتى انتهى إلى مكان. قال: تدري فيم أنزلت؟ قلت: لا. قال: أنزلت في كذا وكذا ثم مضى.

وعن عبدالصمد[٢] قال حدثني أبي حدثني أيوب[٣] عن نافع عن ابن عمر ﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ قال: يأتيها في..

رواه محمد بن يحيى بن سعيد[٤] عن أبيه عن عبيداللّه عن نافع عن ابن عمر.

٥١ ـ حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن ابن المنكدر سمعت جابراً رضي اللّه عنه قال: كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول فنزلت ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾.

ش / فيهما مسائل سبع:

الأولى: قوله (**كان ابن عمر رضي اللّه عنهما إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه**) أي احتراماً للقرآن وتعظيماً له وهذا من كمال تأدبه رضي اللّه عنه مع كتاب اللّه حين تلاوته تنزيها للكتاب الكريم عن خلطه ومقاطعته بأي نوع من كلام البشر وهذا مما يعين على التدبر الذي هو الغاية من تلاوة القرآن

---

(١) أبو عبداللّه بن عون بن أرطبان البصري ثقة، فاضل، من أقران أيوب في العلم والعمل والسن من السادسة مات سنة خمسين ومائة على الصحيح (ع).

(٢) أبو سهل عبدالصمد بن عبدالوارث بن سعيد العنبري مولاهم التنوري البصري صدوق ثبت في شعبة من التاسعة، مات سنة سبع ومئتين (ع).

(٣) هو أبو بكر أيوب بن أبي تميمة السختياني البصري ثقة ثبت حجة من كبار الفقهاء العبارد من الخامسة مات سنة إحدى وثلاثين ومائة، وله خمس وستون سنة (ع).

(٤) أبو صالح محمد بن يحيى بن سعيد القطان البصري ولد العالم الشهير، وأما هو فثقة من العاشرة مات سنة ثلاث وثلاثين ومئتين على الصحيح (خت، م، ل).

الكريم.

الثانية: قوله (**فأخذت أقرأ عليه يوماً سورة البقرة**) جاء ذلك صريحاً في رواية عبيدا لله بن عمر عن نافع قال: قال لي ابن عمر أمسك علي المصحف يا نافع فقرأ.

أخرجه الدارقطني في غرائب مالك ذكره الحافظ في الفتح (١٨٩/٨).

الثالثة: قوله (**حتى انتهى إلى مكان قال تدري فيم أنزلت؟ قلت: لا. قال: أنزلت في كذا وكذا ثم مضى**) كذا وقع ههنا مبهما في موضع التلاوة وتفسير الآية وقد جاء ذانك مفسرين فيما أخرجه ابن جرير من طريق هشيم قال أخبرنا ابن عون عن نافع قال: كان ابن عمر إذا قرئ القرآن لم يتكلم. قال: فقرأت هذه الآية ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ فقال: أتدري فيمن نزلت هذه الآية؟ **قلت**: لا. قال: نزلت في إتيان النساء في أدبارهن.

الرابعة: قوله (**يأتيها في...**) جاء مفسراً عند ابن جرير من رواية نافع قال: كنت أمسك على ابن عمر المصحف إذ تلا هذه الآية ﴿**نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم**﴾ فقال أن يأتيها في دبرها » انتهى

وما صنعه البخاري ـ رحمه اللّه ـ من حذف المجرور والاكتفاء بالجار هو من البديع الذي ألفته العرب في كلامها.

قال الحافظ (١٩٨/٨): «وهذا الذي استعمله البخاري نوع من أنواع البديع يسمى الاكتفاء ولا بد له من نكتة يحسن بسببها استعماله». انتهى.

قلت:

وهذه النكتة فيما يبدو لي هي كراهية التصريح بالذي جاء مفسراً في بعض الروايات كما أسلفنا.

وفي حديث الباب بمجموع رواياته دليل على أن ابن عمر رضي اللّه عنهما يرى جواز إتيان المرأة في دبرها يوضحه ما رواه الطبراني بسنده إلى ابن عمر قال:

«إنما نزلت على رسول اللّه ﷺ ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ رخصة في إتيان الدبر». انتهى.

فإن قلت: إن الطبراني فيما حكى الحافظ عنه قال: إن هذه الرواية شاذة؟

قلنا: ولكنه تعقبه بقوله: «كذا قال ولم يتفرد به يحيى بن سعيد وقد رواه عبدالعزيز الدراوردي عن عبيداللّه بن عمر أيضاً.. إلى أن قال: وقد روى هذا الحديث عن نافع جماعة غير من ذكرنا وروايتهم بذلك ثابتة عند ابن مردوية في تفسيره وفي فوائد الأصبهانيين لأبي الشيخ وتاريخ نيسابور للحاكم وغرائب مالك للدارقطني»

تنبيه: وإن قال قائل: لكن يعكر على حديث الباب وما في معناه ما حكاه ابن كثير في تفسيره (٢٧٢/١) عن الدارمي بسنده إلى سعيد بن يسار أبي الحباب قال: قلت لابن عمر : أيحمض لهن؟ قال: وما التحميض؟ فذكر الدبر فقال: وهل يفعل ذلك أحد من المسلمين؟ قال الحافظ ابن كثير عقبه: وكذا رواه ابن وهب وقتيبة عن الليث به وهذا اسناد صحيح ونص صريح منه بتحريم ذلك فكل ماورد عنه مما يحتمل ويحتمل فهو مردود إلى هذا المحكم.

قلت: وهذا توجيه جيد وتخريج لطيف ولفتة بديعة وفق الحافظ ابن كثير رحمه الله إليها لكن أخرج ابن جرير عن عبدالرحمن بن القاسم عن مالك ابن أنس أنه قيل له: ياأبا عبدالله إن الناس يروون عن سالم ابن عبد الله أنه قال: كذب العبد او العلج على أبي عبد الله، قال مالك: أشهد على يزيد ابن رومان أنه أخبرني عن سالم ابن عبدالله عن ابن ابن عمر مثل ما قال نافع فقيل له: فإن الحارث ابن يعقوب يروي عن أبي الحباب سعيد ابن يسار أنه سأل ابن عمر فقال له: ياأبا عبدالرحمن إنا نشتري الجواري أفانحمّض لهن؟ فقال وما التحميض ؟ فذكر له الدبر.فقال له ابن عمر: أُف أُف وهل يفعل ذلك مؤمن؟ أوقال مسلم فقال مالك: أشهد على ربيعة لأخبرني عن أبي الحباب عن ابن عمر مثل ما قال نافع.

قال مقيده: والتوجيه عندي والله أعلم أن ابن عمر رضي الله عنهما قال

أولاً ما قال في تفسير الآية وصحت به الرواية عنه، ثم تبين له بعدُ، أن الصواب خلافه فرجع إليه. وبهذا تأتلف الروايات وتتفق ورجوع ابن عمر عن قوله إلى ما هو الحق وموافقته جماهير الأئمة من الصحابة ومن بعدهم منقبة عظيمة ضمن مناقبه الجمة وا لله أعلم.

قال مقيده: والحق الذي لا مرية فيه عندنا تحريم وطء المرأة في دبرها لما استفاض من الخبر الصحيح في ذلك، من ذلك ما قدمناه في شرح الآية وحديث جابر الآتي في سبب نزولها.

وقال النووي في شرحه على مسلم (١٠/٦) :

«واتفق العلماء الذين يعتد بهم على تحريم وطء المرأة في دبرها حائضاً كانت أو طاهرة لأحاديث كثيرة مشهورة كحديث (ملعون من أتى امرأة في دبرها)» انتهى محل الغرض.

وقال ابن العربي في أحكام القرآن (١/١٧٤):

«قال القاضي: وسألت الإمام القاضي الطوسي عن المسألة فقال: «لا يجوز وطء المرأة في دبرها بحال لأن اللّه تعالى حرم الفرج حال الحيض لأجل النجاسة العارضة فأولى أن يحرم الدبر للنجاسة اللازمة » اهـ.

قلت: فهذا قياس بديع جيد ولو لم يكن في المسألة مستفيض الخبر عن رسول اللّه ﷺ ثابتاً لكان كافياً. فأمسك به، واعلم أن تحريم إتيان المرأة في دبرها هو مذهب: مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وأصحابهم قاطبة وهو قول سعيد ابن المسيب وأبي سلمة وعكرمة وطاوس وعطاء وسعيد ابن جبير وعروة ابن الزبير ومجاهد ابن جبر والحسن وغيرهم من السلف أنهم أنكروا ذلك أشد الإنكار ومنهم من يطلق على فعله الكفر وهو مذهب جمهور العلماء.

الخامسة: قوله: **(كانت اليهود)** هم الذين يزعمون من أهل الكتاب أنهم على التوراة نسبة إلى يهوذا ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ﷺ، ويهوذا هو جدهم الأكبر وقيل في نسبتهم غير ذلك والمراد بهم يهود المدينة إذ الآية مدنية فالألف واللام للعهد الحضوري.

السادسة: قوله: (**إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول**) يعني إذا أتى الرجل امرأته في قبلها من دبرها أصاب المولود الحول.

والأحول: هو من أصاب عينه عيب يجعل نظرها غير مستقيم.

قال ابن منظور في مادة حول: «والحول في العين أن يظهر البياض في مؤخرها ويكون السواد من قبل الماق وقيل الحول إقبال الحدقة على الأنف وقيل هو ذهاب حدقتها قبل مؤخرها.

وقيل : الحول أن تكون العين كأنها تنظر إلى الحجاج.

وقيل: وهو أن تميل الحدقة إلى اللحاظ» انتهى.

السابعة: قوله (**فنزلت ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾**) فيه أمران:

أحدهما: رد زعم اليهود وإبطال فريتهم في مجئ الولد أحول على الوجه المذكور في الحديث.

ثانيهما: أن ما أحله اللّه للرجل من امرأته هو إتيانها في قبلها وهو محل الحرث وفي الباب ما رواه أبو داود في النكاح، باب في جامع النكاح عن مجاهد عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: إن ابن عمر واللّه يغفر له، أوهم إنما كان هذا الحي من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من اليهود وهم أهل كتاب وكانوا يرون لهم فضلاً عليهم في العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من أمر أهل الكتاب أن لا يأتوا النساء إلا على حرف، وذلك أستر ما تكون المرأة فكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحاً منكراً ويتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات، فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار فذهب يصنع بها ذلك فأنكرته عليه وقال: إنما كنا نؤتى على حرف فاصنع ذلك وإلا فاجتنبني حتى سرى أمرهما، فبلغ ذلك رسول اللّه ﷺ فأنزل اللّه عزوجل ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾.

أي مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعني بذلك موضع الولد.

٤٢ -[باب ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن﴾]

ش / تمامها ﴿إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن باللّه واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر واللّه يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ فيها أربعة أمور:

الأول: كون المطلق طلاقاً رجعياً أحق بنكاح مطلقته بعد العدة وذلك إذا تراضى الطرفان بالمعروف.

الثاني: نهي أولياء النساء من عضلهن وهو منعهن أن ينكحن أزواجهن على هذا الوجه.

الثالث: في قوله: **﴿ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن باللّه واليوم الآخر﴾** مرجع الإشارة ما تقدم من أحقية نكاح الرجل مطلقته الرجعية بعد العدة، والمعنى أن في قبول هذا الحكم علامة على صدق الإيمان باللّه واليوم الآخر، أي إنه يتعظ به أهل الإيمان وينزجرون عن منع النساء المطلقات بعد بلوغ الأجل من نكاح أزواجهن.

الرابع: في قوله **﴿ذلكم أزكى لكم وأطهر﴾** قال الشوكاني: «وقوله **﴿ذلكم﴾** محمول على لفظ الجمع خالف سبحانه ما بين الإشارتين افتناناً.

وقوله: **﴿أزكى﴾** أي أنمى وأنفع وأطهر من الأدناس واللّه يعلم مالكم فيه من الصلاح **﴿وأنتم لا تعلمون﴾** ذلك».اهـ

وقال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي: «**﴿ذلكم أزكى لكم وأطهر﴾** وأطيب مما يظن الولي أن عدم تزويجه هو الرأي واللائق وأنه يقابل بطلاقه الأول بعدم تزويجه كما هو عادة المترفعين المتكبرين، فإن كان يظن أن المصلحة في عدم تزويجه فإن اللّه يعلم وأنتم لا تعلمون، فامتثلوا أمر من هو عالم بمصالحكم مدبر لها قادر عليها ميسر لها على الوجه الذي تعرفون وغيره».اهـ

٥٢ ـ حدثنا عبيداللّه بن سعيد[١] حدثنا أبو عامر[٢] العقدي حدثنا عباد بن راشد[٣] حدثنا الحسن[٤] قال: حدثنا معقل بن يسار[٥] قال: كانت لي أخت تخطب إلي.

وقال إبراهيم[٦] عن يونس عن الحسن حدثني معقل بن يسار.

حدثنا ابو معمر حدثنا عبدالوارث حدثنا يونس عن الحسن أن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها فتركها حتى انقضت عدتها فخطبها فأبى معقل، فنزلت ﴿فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن﴾.

ش / أخرجه المصنف في النكاح باب من قال لا نكاح إلا بولي وفيه أن معقل قال: زوّجتك وفرّشتك وأكرمتك فطلقتها ثم جئت تخطبها لا واللّه لا تعود إليك أبداً.

وفي الطلاق باب ﴿وبعولتهن أحق بردهن﴾ وفيه: فدعاه رسول اللّه ﷺ فقرأ عليه فترك الحمية واستقاد لأمر اللّه، كما أخرجه أبو داود باب في العضل والترمذي في التفسير (٢٩٨١)، والنسائي في التفسير وقوله تعالى ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن﴾ وعندهما أن معقل قال: (يا لكع)، وقد

(١) أبو قدامة عبيداللّه بن سعيد بن يحيى اليشكري السرخسي ثقة مأمون سني من العاشرة مات سنة إحدى وأربعين ومئتين (خ،م،س).

(٢) عبدالملك بن عمرو العقدي ثقة من التاسعة مات سنة أربع أو خمس ومئتين (ع).

(٣) عباد بن راشد التميمي مولاهم البصري البزار قريب داود بن أبي هند صدوق له أوهام من السابعة (خ،د،س،ق).

(٤) الحسن بن أبي الحسن البصري اسم أبيه يسار الأنصاري، مولاهم ثقة فقيه فاضل مشهور وكان يرسل كثيرا ويدلس هو رأس الطبقة الثالثة، مات سنة عشر ومائة، وقد قارب التسعين سنة (ع).

(٥) أبو علي معقل بن يسار المزني صحابي ممن بايع تحت الشجرة وهو الذي ينسب إليه نهر معقل بالبصرة، مات بعد الستين (ع).

(٦) أبو سعيد إبراهيم بن طهمان الخراساني سكن نيسابور ثم مكة، ثقة يغرب، وتكلم فيه بالارجاء، ويقال رجع عنه من السابعة، مات سنة ثمان وستين ومائة (ع).

اتفقت جميع طرق الحديث في الحسن البصري ـ رحمه اللّه ـ عن معقل كما عند المصنف ههنا.

وقول الشيخ: (وقال إبراهيم بن طهمان) كذا معلقاً ههنا وقد اسنده في النكاح. باب من قال (لا نكاح إلا بولي) فقال حدثنا أحمد بن أبي عمرو، حدثني أبي حدثني إبراهيم عن يونس عن الحسن ﴿فلا تعضلوهن﴾ قال حدثني معقل بن يسار أنها نزلت فيه.

وفي الحديث ست مسائل:

الأولى: قوله (**كانت لي أخت**) قال ابن جريج كما رواه ابن جرير: أخته جُمَيِّل بنت يسار كانت تحت أبي البداح.

قلت:هذا ابن عاصم بن عدي بن الجد البلوي حليف الأنصار يقال اسمه: عدي ويقال كنيته أبو عمرو وأبو البداح لقب، وذكر الحافظ في الفتح (١٨٩/٩) في اسم أخت معقل هذه عدة أقوال ثم جمع بينها فقال:

ويحتمل التعدد بأن يكون لها اسمان ولقب أو لقبان واسم.

الثانية: قوله (**تخطب إلي**) وقع عند أبي داود (**تخطب علي**) والمعنى واحد.

الثالثة: قوله: (**إن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها**) تقدم تسميتها في المسألةالأولى.

الرابعة: قوله (**فتركها حتى انقضت عدتها فخطبها**) فيه دليل على أن الطلاق كان رجعياً ويدل له ماجاء عند المصنف في الطلاق قال: (**فطلقها تطليقة**).

الخامسة: قوله (**فأتى معقل**) فسّره في النكاح بقوله (**إن معقلاً قال: زوجتك وفرشتك وأكرمتك، فطلقتها ثم جئت تخطبها إلي واللّه لا تعود إليك أبداً**).

السادسة: قوله فنزلت ﴿**فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن**﴾ العضل:

هو المنع والمراد به هو منع عود المرأة إلى مطلقها طلاقاً رجعياً حال تراضيهما بالمعروف وهذا هو وجه مطابقة الحديث للآية وفيه دليل على صحة ما ذهب إليه أحمد والجمهور من اشتراط الولي في النكاح وأنه لا يصح بدونه، ووجه الاستدلال في أمرين:

أحدهما: قوله ﴿**وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف**﴾ وذلك أنه نهى الأولياء عن العضل، ولو لم يكن **الولي** شرطاً ما كان للنهي فائدة، يوضحه ما وقع عند البخاري في الطلاق (**فدعاه رسول اللّه ﷺ فقرأ عليه، فترك الحميَّة يعني معقلاً**).

الثاني: ما جاء من النهي عن النكاح بغير ولي من الأحاديث ومنها عن عائشة رضي اللّه عنها عن النبي ﷺ قال: (**أيما امرأة نكحت بغير إذن مواليها فنكاحها باطل: ثلاث مرات، فإن دخل بها فالمهر لها بما أصاب منها... الحديث**).

وعن أبي موسى أن النبي ﷺ قال : (لا نكاح إلا بولي) أخرجهما أبو داود وغيره.

٤٣ -[باب ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً، فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف واللّه بما تعلمون خبير﴾].

ش / في هذه الآية ثلاثة أمور:

الأول: بيان عدة المتوفى عنها زوجها وأنها أربعة أشهر وعشراً، تترك المرأة خلالها التجمل والزينة مع الإحداد، كما جاء ذلك في السنة الثابتة عن النبي ﷺ على ما سيأتي بيانه، فالآية وإن كان خبراً إلا أن معناها الأمر.

الثاني: يستفاد من قوله: **﴿فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف﴾** شيئان:

أحدهما: أنه لولي المرأة المتوفى عنها أثناء العدة منعها من التجمل والزينة وما يرغب فيها الخطّاب.

ثانيهما: أنه لا حرج ولا إثم على المعتدة إذا انتهت عدتها من التجمل والتزين بما يرغب فيها الخطّاب وفق ما جاءت به الشريعة.

الثالث: في قوله **﴿واللّه بما تعملون خبير﴾** بيان بإحاطة اللّه علماً بأعمال العباد صغيرها وكبيرها وسرها وخفيها، وأنه مجازيهم عليها ومن ذلك ماجاء في الآية من أحكام العدة وما يسوغ للمرأة بعدها.

[﴿يعفون﴾: يهبن].

ش / قال ابو عبيدة: «هن يتركن: يهبن، عفوت لك عن كذا وكذا تركته»اهـ

والآية المشار إليها **﴿إلا أن يعفون أو يعفوا الذي بيده عقدة النكاح﴾** ولا أدري ما مناسبته هنا.

٥٣ ـ حدثني أمية بن بسطام[١] حدثنا يزيد بن زريع عن حبيب[٢] عن ابن أبي مليكة قال ابن الزبير[٣]، قلت لعثمان بن عفان ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً﴾ قال: قد نسختها الآية الآخرى فلم تكتبها أو تدعها، قال يابن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه.

٥٤ ـ حدثنا إسحاق حدثنا روح حدثنا شبل[٤] عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً﴾ قال: كانت هذه العدة تعتد عند أهل زوجها واجب فأنزل اللّه ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف﴾ قال جعل اللّه لها السنة سبعة أشهر وعشرين ليلة ﴿وصية﴾ إن شاءت سكنت في وصيتها وإن شاءت خرجت، وهوقول اللّه تعالى ﴿غير إخراج، فإن خرجن فلا جناح عليكم﴾ فالعدة كما هي واجب عليها.

زعم ذلك عن مجاهد.

وقال عطاء: قال ابن عباس: نسخت هذه الآية عدتها عند أهلها فتعتد حيث شاءت وهو قول اللّه تعالى ﴿غير إخراج﴾ قال عطاء: إن شاءت اعتدت عند أهله وسكنت في وصيتها وإن شاءت خرجت لقول اللّه تعالى

(١) أبو بكر أمية بن بسطام العيشي، بصري صدوق من العاشرة مات سنة إحدى وثلاثين ومئتين (خ،م،س).
(٢) أبو محمد حبيب بن الشهيد الأزدي البصري ثقة ثبت من الخامسة مات سنة خمس وأربعين ومائة وهو ابن ست وستين (ع).
(٣) أبو بكر عبداللّه بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي كان أول مولود في الإسلام بالمدينة من المهاجرين وولي الخلافة تسع سنين إلى أن قتل في ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين (ع).
(٤) شبل بن عباد المكي القاري ثقة رمي بالقدر، من الخامسة، قيل مات سنة ثمان وأربعين ومائة، وقيل بعد ذلك (خ، د،س،فق).

﴿فلا جناح عليكم فيما فعلن﴾ قال عطاء: ثم جاء الميراث فنسخ السكنى فتعتد حيث شاءت ولا سكنى لها.

وعن محمد بن يوسف حدثنا ورقاء[١] عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بهذا وعن ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس قال: نسخت هذه الآية عدتها في أهلها فتعتد حيث شاءت لقول اللّه ﴿غير إخراج﴾ نحوه.

٥٥ ـ حدثنا حبان[٢] حدثنا عبداللّه أخبرنا عبداللّه بن عون عن محمد بن سيرين[٣] قال جلست إلى مجلس فيه عظم من الأنصار وفيهم عبدالرحمن بن أبي ليلى فذكرت حديث عبداللّه بن عتبة في شأن سبيعة بنت الحارث فقال عبدالرحمن: ولكن عمه كان لا يقول ذلك، فقلت: إني لجرئ إن كذبت على رجل في جانب الكوفة ورفع صوته قال ثم خرجت فلقيت مالك بن عامر أو مالك بن عوف قلت: كيف كان قول ابن مسعود في المتوفى عنها زوجها وهي حامل فقال: قال ابن مسعود أتجعلون عليها التغليظ ولا تجعلون لها الرخصة؟ أنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى.

وقال أيوب عن محمد لقيت أبا عطية مالك بن عامر.

ش / فيها ثلاث عشرة مسألة:

الأولى: قوله (قلت لعثمان ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً﴾ قال: قد نسختها الآية الآخرى).

---

(١) أبو بشر ورقاء بن عمر اليشكري الكوفي، نزيل المدائن، صدوق في حديثه عن منصور لين، من السابعة (ع).

(٢) أبو محمد حبان بن مرسي بن سوار السلمي المروزي ثقة، من العاشرة، مات سنة ثلاث وثلاثين ومئتين (خ، م، ت، س).

(٣) محمد بن سيرين أبو بكر بن أبي عمرة البصري، ثقة ثبت عابد، كبير القدر كان لا يرى الرواية بالمعنى، من الثالثة، مات سنة عشر ومائة (ع).

النسخ في اللغة: يطلق على النقل والازالة فمن الأول نسخت الكتاب، أي نقلته، ومن الثاني نسخت الشمس الظل أي أزالته، وحلت محله.

وفي الشرع: رفع الحكم الشرعي بحكم شرعي آخر متراخ عنه.

والتفصيل في حكم النسخ وأدلته وشروطه وطرقه في كتب أصول الفقه وعلوم القرآن.

وقوله (**نسختها الآية الأخرى**) يأتي بيانه بعد.

الثانية: قوله (**فلم تكتبها أو تدعها**) كذا ههنا وفي رواية الإسماعيلي (**لم تكتبها وقد نسختها الآية الأخرى**) وله من رواية أخرى (قلت لعثمان هذه الآية ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾ قال: نسختها الآية الأخرى، قلت تكتبها أو تدعها.

ذكر ذلك الحافظ (١٩٤/٨).

قلت: فتحصل من هذا ثلاثة أمور:

أولاً: بيان الناسخ والمنسوخ من الآيتين.

ثانياً: أن الاستفهام في كلام ابن الزبير للإنكار، فلعله كان يظن أن ما نسخ حكمه لا يثبت رسمه في المصحف.

ثالثاً: أن (أو) للتخيير كما هو ظاهر رواية الإسماعيلي الثانية.

الثالثة: قوله: (**يابن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه**) فيه دليل على أن ترتيب الآيات توقيفي وأنه لا مجال للاجتهاد فيه.

قال الزركشي (٢٥٦/١):

«وأما ما يتعلق بترتيبه، فأما الآيات في كل سورة ووضع البسملة أوائلها فترتيبها توقيفي بلا شك ولا خلاف فيه، ولهذا لا يجوز تنكيسها.

قال مكي وغيره: «ترتيب الآيات في السور هو من النبي ﷺ، ولما لم يأمر بذلك في أول براءة تركت بلا بسملة، وقال القاضي أبو بكر ترتيب الآيات أمر

واجب وحكم لازم، فقد كان جبريل يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا، وأسند البيهقي في كتاب المدخل والدلائل عن زيد بن ثابت، قال كنا حول رسول اللّه ﷺ نؤلف القرآن إذ قال: طوبى للشام فقيل له: ولم؟ قال: لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه. زاد في الدلائل نؤلف القرآن في الرقاع». اهـ.

الرابعة: قوله ﴿**والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً**﴾ إلى قوله ﴿**فيما فعلن في أنفسهن من معروف**﴾.

قال ابن بطال كما في الفتح (٦/٤٩٣):

«ذهب مجاهد إلى أن الآية وهي قوله تعالى ﴿**يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا**﴾ نزلت قبل الآية التي قبلها ﴿**وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج**﴾ كما هي قبلها في التلاوة وكأن الحامل له على ذلك استشكال أن يكون الناسخ قبل المنسوخ، فرأى أن استعمالها ممكن بحكم غير متدافع لجواز أن يوجب اللّه على المعتدة التربص أربعة أشهر وعشرا ويوجب على أهلها أن تبقى عندهم سبعة أشهر وعشرين ليلة تمام الحول، إن أقامت عندهم» انتهى ملخصاً.

قال: «وهو قول لم يقله أحد من المفسرين غيره ولا تابعه عليها من الفقهاء أحد، وأطبقوا على أن آية الحول منسوخة، وأن السكنى تبع للعدة، فلما نسخ الحول في العدة بالأربعة أشهر وعشر نسخت السكنى أيضاً.

الخامسة: قوله (**جعل اللّه لها تمام السنة سبعة أشهر وعشرين ليلة وصية**) إلى قوله (**فالعدة كما هي واجب عليها**) مفاده أن ما عدا أربعة أشهر وعشر من الحول فيه الخيار للمرأة إن شاءت سكنت في وصيتها وإن شاءت خرجت، لكن قال ابن عبدالبر لم يختلف العلماء أن العدة بالحول نسخت إلى أربعة أشهر وعشر وإنما اختلفوا في قوله ﴿**غير إخراج**﴾ فالجمهور على أنه نُسخ أيضاً، وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد...فذكر حديث الباب قال:

«ولم يتابع علـى ذلـك، ولا قـال أحـد مـن علمـاء المسـلمين مـن الصحابـة والتابعين به في مدة العدة؛ بل روى ابن جريج عن مجاهد في قدرها مثـل مـا عليـه الناس فارتفع الخلاف واختص ما نقل عن مجـاهد وغـيره بمـدة السـكنى على أنـه أيضاً شاذ لا يعول عليه، واللّه أعلم» انتهى من الفتح (٩/٩٣).

قلت: وفي الموطأ (كتاب الطلاق، باب مقام المتوفى عنهـا زوجهـا في بيتهـا حتى تحل).

عن زينب بنت كعب بن عجرة أن الفريعة بنت مالك بن سنان وهي أخت أبي سعيد الخدري أخبرتها أنها جاءت إلى رسول اللّـه ﷺ تسأله أن ترجـع إلى أهلها في بني خدرة، فإن زوجها خـرج في طلـب أعبـد لـه أبقـوا حتـى إذا كـانوا بطرف القَدوم لحقهم فقتلوه، قالت: فسألت رسول اللّـه ﷺ أن أرجـع إلى أهلـي في بني خدرة، فإن زوجي لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة، قالت فقال رسول اللّـه ﷺ: نعم. قالت فانصرفت حتى إذا كنت في الحجرة ناداني رسول اللّـه ﷺ أو أمر بي فنوديت له، فقال: كيف قلتِ؟ فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي فقال: امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله. قالت: فاعتددت فيـه أربعة أشهر وعشرا. قالت: فلما كان عثمان بن عفان أرسل إلي فسألني عن ذلك فأخبرته فاتبعه وقضى به.

قال ابن عبدالبر في التمهيد (٢١. باب السين مـالك عـن سـعيد ص ٣١): «في هذا الحديث إيجاب العمل بخبر الواحد، ألا ترى إلى عمل عثمان بن عفان بـه وقضاءه باعتداد المتوفى عنها زوجها في بيتها من أجله في جماعة الصحابة من غـير نكير وفي هذا الحديث، وهو حديث مشهور معروف عند علماء الحجاز والعـراق أن المتوفى عنها زوجها عليها أن تعتد في بيتهـا ولا تخرج منه وهـو قـول جماعـة فقهاء الأمصار بالحجاز والشام والعراق ومصر منهم مالك والشافعي وأبو حنيفـة وأصحابهم والثوري والأوزاعي والليث بن سعد وهـو قـول عمـر وعثمـان وابـن

عمر وابن مسعود وغيرهم، وكـان داود وأصحابه يذهبـون إلى أن المتوفـى عنهـا زوجها ليس عليها أن تعتد في بيتها وتعتد حيث شاءت لأن السكنى إنمـا ورد بـه القرآن في المطلقات ومن حجته أن المسألة مسألة اختـلاف قـالوا: وهـذا الحديـث إنما ترويه امرأة غير معروفة بحمل العلم، وإيجاب السكنى، إيجاب حكم والاحكام لا تجب إلا بنص كتاب أو سنة ثابتة أو إجماع.

قال أبو عمر: أما السنة فثابتة بحمداللّه، وأمـا الإجمـاع فمستغنى عنـه مـع السنة.

لأن الاختلاف إذا نزل في مسألة كانت الحجة في قـول مـن وافقتـه السـنة. وباللّه التوفيق » انتهى.

ثم ذكر الخـلاف في المسـألة ثـم خلص إلى أن اعتـداد المرأة المتوفـى عنهـا زوجها في بيتها هو قول الشافعي وأبي حنيفة وجمهور العلماء.

قلت: وفي الإنصاف (٣٠٦/٩):«وتجب عدة الوفاة في المنزل الذي وجبـت فيه إلا أن تدعو ضرورة إلى خروجها منه بأن يحولها مالكه أو تخشى علـى نفسـها فتنتقل بلا نزاع». انتهى.

قال الشارح: «وظاهر كلام المصنف هنا أنها تنتقل حيث شاءت هـو أحـد الوجهين والمذهب منهما على ما اصطلحناه، واختاره القاضي والمصنف والشارح وجزم به في الكافي وقدمه ابن رزين في شرحه» انتهى.

وبهذا يظهر لك أن الإمام أحمد في أصح الروايات عنه مع الجمهور في هـذه المسألة.

السادسة: قوله **(زعم ذلك عن مجاهد)** القائل هو شبل وفاعل زعم هو ابن أبي نجيح راوية مجاهد.

السابعة: قوله **(جلست إلى مجلس فيه عظم من الأنصار)** في روايـة أيـوب في تفسير سورة الطـلاق ــ كمـا سيأتي إن شـاء اللّـه ــ **(كنـت في حلقـة فيهـا**

عبدالرحمن بن أبي ليلى وكان أصحابه يعظمونه).

الثامنة: قوله (**عبداللّه بن عتبة**) هو عبداللّه بن عتبة بن مسعود الهذلي ابن أخي عبداللّه بن مسعود ولد في عهد النبي ﷺ ووثقه العجلي وجماعة،من كبار الثانية، مات بعد السبعين (خ،م،د،س،ق).

التاسعة: قوله (**في شأن سبيعة بنت الحارث**) هي سبيعة بنت الحارث الأسلمية، زوج سعد بن خولة لها صحبة وحديث في عدة المتوفى عنها زوجها ويقال إنها هي سبيعة التي روى عنها ابن عمر -ديثاً في فضل المدينة وفرق بينهما العقيلي (خ،م،د،س،ق).

قلت: وحديثها في عدة المتوفى عنها زوجها مخرج عند الستة ولفظ أبي داود من رواية عبيداللّه بن عبداللّه بن عتبة أن أباه كتب إلى عمر بن عبداللّه بن الأرقم الزهري يأمره أن يدخل على سبيعة بنت الحارث الأسلمية فيسألها عن حديثها وعما قال لها رسول اللّه ﷺ حين استفتته فكتب عمر بن عبداللّه إلى عبداللّه بن عتبة يخبره أن سبيعة أخبرته أنها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لؤي وهو ممن شهد بدراً فتوفى عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته فلما طهرت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك رجل من بني عبدالدار فقال لها: مالي أراك متجملة، لعلك ترتجين النكاح، إنك واللّه ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر، قالت سبيعة: فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت فأتيت رسول اللّه ﷺ فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزويج إن بدا لي » انتهى محل الغرض.

العاشرة: قوله (**فقال عبدالرحمن**).

قلت: هو عبدالرحمن بن أبي ليلى الأنصاري المدني ثم الكوفي ثقة من الثانية، اختلف في سماعه من عمر، مات بوقعة الجماجم سنة ثلاث وثمانين قيل إنه

غرق (ع).

الحادية عشرة: قوله: (**ولكن عمه كان لا يقول ذلك**) يعني عبدالله بن مسعود.

وقوله (**قلت إني لجرئ إن كذبت علي رجل في جانب الكوفة**) القائل هو محمد بن سيرين ويريد بالذي في ناحية الكوفة عبدالله بن عتبة بن مسعود الراوي لحديث سبيعة كما صرح به في تفسير سورة الطلاق.

الثانية عشرة: قوله (**ورفع صوته، قال ثم خرجت**) الذي رفع صوته عبدالرحمن بن أبي ليلى، فكأنه يستنكر بذلك حكاية ابن سيرين في شأن سبيعة ومراجعته إياه في ذلك، والذي خرج من المجلس هو ابن سيرين وأظنه صنع ذلك توقيراً لعبدالرحمن بن أبي ليلى وكراهة للمشادة حتى يستوثق من الخبر.

الثالثة عشرة: قوله (**فلقيت مالك بن عامر أو مالك بن عوف**) كذا ههنا بالشك وسيأتي في تفسير سورة الطلاق من رواية أيوب عن محمد صريحاً بالجزم بالأول وسوف يأتي الكلام على بقية حديث ابن سيرين مستوفى هناك إن شاء الله تعالى.

٤٤ -[باب ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة والوسطى﴾].

تمامها: **﴿وقوموا للّه قانتين﴾ فيها ثلاث مسائل:**

الأولى: أمر جل ثناؤه عباده بالمحافظة على الصلوات الخمس، وهذه المحافظة تشمل جميع ما اعتبره الشارع للصلاة من شروط وأركان وواجبات مع أدائها في أوقاتها وبكامل هيئاتها.

الثانية: في قوله **﴿والصلاة الوسطى﴾** تخصيص بعد تعميم يفيد فضل هذه الصلاة التي أفردت بالذكر مع دخولها في عموم الصلوات وهذا تنويه بفضلها وعظم شأنها وسيأتي في حديث الباب تعيين هذه الصلاة.

الثالثة: قوله **﴿وقوموا للّه قانتين﴾** يأتي تفسيره في الباب بعده.

٥٦ ـ حدثنا عبداللّه بن محمد، حدثنا يزيد[١]، أخبرنا هشام، عن محمد عن عبيدة[٢] عن علي رضي اللّه عنه قال النبيﷺ...

حدثني عبدالرحمن[٣]: حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا هشام قال حدثنا محمد عن عبيدة عن علي رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ قال يوم الخندق: (حبسونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس، ملأ اللّه قبورهم وبيوتهم، أو أجوافهم ـ شك يحيى ـ ناراً »

ش / **فيه أربع مسائل:**

الأولى: قوله **(يوم الخندق)** قال ابن إسحاق كما في سيرة هشام

---

(١) هو أبو خالد يزيد بن هارون بن زاذان السلمي مولاهم، الواسطي، ثقة متقن، عابد، من التاسعة، مات سنة ست ومائتين، وقد قارب التسعين (ع).

(٢) عبيدة هو أبو عمرو عبيدة بن عمرو السلماني المرادي الكوفي، تابعي كبير مخضرم، فقيه ثبت، كان شر يح إذا أشكل عليه شئ يسأله، مات سنة أثنتين وسبعين أو بعدها، والصحيح أنه مات قبل ستت وسبعين (ع).

(٣) عبدالرحمن هو: أبو محمد عبدالرحمن بن الحكم العبدي النيسابوري، ثقة من صغار العاشرة، مات سنة ستين ومئتين، وقيل بعدها (خ،م،د،ف).

(٢/٢١٤): «ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس وساق بسنده إلى أن قال: إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق النضري، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول اللّه ﷺ خرجوا حتى قدموا على قريش مكة فدعوهم إلى حرب رسول اللّه ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه...إلى أن قال (ص ٢١٥): فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول اللّه ﷺ فاجتمعوا لذلك واتعدوا له »، ثم ذكر تحريض أولئك اليهود لغطفان وخروج الجميع متحزبين على حرب النبي ﷺ والمسلمين بالمدينة، ثم ما كان من عمل النبي ﷺ من حفر الخندق ومشاركة أصحابه معه وتسلل المنافقين إلى آخر ما جرى في تلك الغزوة»

وأخرج المصنف معلقاً عن موسى بن عقبة: أن غزوة الخندق كانت في شوال سنة أربع ويؤيده ما رواه عن ابن عمر أن النبي ﷺ عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه، وعرضه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه، ووجه ذلك أن أحداً كانت سنة ثلاث فيكون بين الغزوتين سنة واحدة.

الثانية: قوله: (**حبسونا عن صلاة الوسطى**).

قلت: في الجهاد باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، (**شغلونا عن الصلاة الوسطى**)، فتكون هذه الرواية مفسرة للحبس في حديث الباب.

وقوله: (**صلاة الوسطى**) من إضافة الموصوف إلى صفته، ولم يعين تلك الصلاة وقد فسرها عند مسلم في المساجد باب الدليل لمن قال: الصلاة الوسطى هي صلاة العصر من رواية شتير بن شكل عن علي (**شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر**) وكذا من رواية مرة عن عبداللّه بن مسعود.

قلت: وهذا هو قول الجمهور من أهل التفسير منهم ابن عباس وابن عمر وأم سلمة وسعيد بن جبير. أخرجه عنهم الطبري (٢/٥٥٤)، ثم قال بعد ذكر الأقوال في ذلك: «والصواب من القول في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول اللّه ﷺ التي ذكرناها قبل في تأويله، وهو أنها العصر» اهـ.

قال مقيده: فتحصل عندنا أمران:

أحدهما: تحديد الصلاة الوسطى بأنها صلاة العصر لقيام الدليل الصحيح الصريح عن النبي ﷺ على ذلك.

وثانيهما: فضيلة هذه الصلاة وقد استفاض به الخبر عن النبي ﷺ من ذلك ما أخرجه مسلم في المساجد باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما.

عن جرير بن عبداللّه قال: كنا جلوساً عند رسول اللّه ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: (**أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ـ يعني العصر والفجر ـ**).

الثالثة: قوله (**حتى غابت الشمس**) في حديث ابن مسعود عند مسلم في المساجد، باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر ـ (**حتى احمرت الشمس واصفرت**) فالجمع بينهما عندي محمول على تعدد القصة فكل من علي وابن مسعود روى ما اتفق له من الخبر عن النبي ﷺ في ذلك، أو يقال إن ذلك مبني على التسامح في العبارة ولم أجد في شيء من طرق حديث الباب عند المصنف متى أدى النبي ﷺ صلاة العصر يوم الخندق ولكن وقع عند مسلم (**ثم صلاها بين العشاءين بين المغرب والعشاء**).

قلت: وهذا يحتمل أمرين:

أحدهما: أنه صلاها بين الوقتين. **والآخر:** أنه صلاها بين الصلاتين.

ويؤيد الأول ما رواه البخاري في المواقيت، باب من صلى بالناس جماعة

بعد ذهاب الوقت، ومسلم في المساجد، باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر.

عن جابر رضي اللّه عنهما أن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه جاء يوم الخندق بعد ما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش. وقال: يارسول اللّه، ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب، فقال النبي ﷺ (واللّه ما صليتها) قال فقمنا إلى بطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها، فصلّى العصر، بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب).

الرابعة: قوله (**ملأ اللّه قبورهم وبيوتهم أو أجوافهم، ـ شك يحيى ـ ناراً**).

فيه جواز سب المشركين والدعاء عليهم وإن كانوا معينين لأن الحادثة كانت مع كفار قريش ومن شايعهم من اليهود والعرب.

وقوله: (**شك يحيى**) يعني به يحيى بن سعيد القطان، قاله القسطلاني.

قلت: وقد جاء الحديث من غير طريق يحيى عن علي بلفظ: (ملأ اللّه بيوتهم وقبورهم ناراً) من غير شك.

قال مقيده: وفي هذه الأحاديث مجتمعة فوائد كثيرة غير ما تقدم منها:

١ ـ تقديم الصلاة الفائتة في الترتيب على الصلاة الحاضرة.

٢ ـ جواز الحلف من المخبر وإن لم يستحلف.

٣ ـ أن تأخير النبي ﷺ صلاة العصر حتى غربت الشمس كان قبل مشروعية صلاة الخوف، وهل كان التأخير مختصاً بصلاة العصر أو وقع غير ذلك؟. قال النووي ـ رحمه اللّه ـ (١٣٠/٣): «واعلم أنه وقع في هذا الحديث هنا وفي البخاري أن الصلاة الفائتة كانت صلاة العصر وظاهره أنه لم يفت غيرها. وفي الموطأ أنها الظهر والعصر وفي غيره أنه أخر أربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء حتى ذهب هوي من الليل وطريق الجمع بين هذه الروايات أن وقعة الخندق بقيت أياماً فكان هذا في بعض الأيام وهذا في بعضها»اهـ.

ونقل هذا الجمع عن ابن العربي الحافظ في الفتح (٢/٦٩).

٤٥ -[باب ﴿وقوموا للّه قانتين﴾]

ش / قوله: ﴿**وقوموا للّه قانتين**﴾ هذه إحدى المسائل الثلاث في الآية وقد مضى في الباب قبله المسألتان الأوليان، واعلم أن أهل التفسير قد اختلفت أقوالهم في معنى (القنوت) في هذه الآية على أربعة أقوال:

أحدها: مطيعين. وهو قول ابن عباس والشعبي والضحاك في الجمهور.

وثانيها: السكوت وبه قال زيد بن أرقم والسدي.

وثالثها: الخشوع وخفض الجناح، قاله مجاهد والربيع بن أنس.

ورابعها: الدعاء وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية.

ذكرها جميعاً ابن جرير ـ رحمه اللّه (٥٦٨/٢) ثم قال: «وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله: ﴿وقوموا للّه قانتين﴾ قول من قال تأويله: مطيعين. وذلك أن أصل القنوت الطاعة، وقد تكون الطاعة لله في الصلاة بالسكوت عما نهى اللّه عنه من الكلام فيها، ولذلك وجه من وجه تأويل القنوت في هذا الموضع إلى السكوت في الصلاة، أحد المعاني التي فرضها اللّه على عباده فيها إلا عن قراءة قرآن أو ذكر له بما هو أهله » انتهى.

[﴿قانتين﴾ مطيعين].

ش / قاله الفراء في المعاني (٧٤/١).

٥٧ ـ حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن إسماعيل بن أبي خالد[1]، عن الحارث بن شبيل[2] عن ابي عمرو الشيباني[3]، عن زيد بن

---

(١) هو إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي مولاهم البجلي، ثقة، ثبت، من الرابعة، مات سنة ست وأربعين ومائة. (ع).

(٢) الحارث بن شبيل هو أبي الطفيل الحارث بن شبيل البجلي ثقة من الخامسة (خ،م،د،ت،س).

(٣) أبو عمرو الشيباني هو: سعد بن إياس الكوفي، ثقة مخضرم من الثانية، مات سنة خمس ـ أو ست ـ وتسعين، وهو ابن عشرين ومائة سنة (ع).

أرقـــم[١] قال: كنا نتكلم في الصلاة، يكلم أحدنا أخاه في حاجته، حتى نزلت هذه الآية ﴿حافظوا على الصلـوات والصـلاة والوسـطى وقومواللّـه قـانتين﴾ فأمرنا بالسكوت.

ش / فيه مسألتان:

الأولى: قوله: (**كنا نتكلم في الصـلاة، يكلـم أحدنـا أخـاه في حاجتـه**) في رواية مسلم، كتاب المساجد باب (تحريم الكلام في الصلاة ونسـخ مـا كـان مـن إباحته). (**وهو إلى جنبه في الصلاة**).

قلت: أفاد أمرين.

أحدهما: أن كلام كلاً منهم مع المجاور له. وليس معناه أن كـل المـأمومين يتحدثون في الصلاة حديثاً عاماً، فإن ذلك ينـاقض الخشـوع فيهـا ويشـوش على النبي ﷺ صلاته.

وثانيهما: أنهم لا يتكلمون في الصلاة بكل شـئ بـل بقـدر مـا تدعـوا إليـه الحاجة كرد السلام.

الثانية: قوله: (**حتى نزلت هذه الآية**) ﴿**حافظوا على الصلوات والصـلاة الوسطى وقومواللّـه قـانتين**﴾ **فأمرنـا بالسـكوت**) في روايـة مسـلم (ونهينـا عـن الكلام) يتضمن ثلاثة أمور:

أولاً: نسخ إباحة الكلام على الوجه المتقدم في الصلاة بهذه الآية وأن ذلـك كان بالمدينة إذ الآية مدنية بالاتفاق.

ثانياً: في قوله: (**أمرنا بالسكوت**) الآمر هو النـبي ﷺ إذ النـاقل لهـذه السـنة صحابي فلا ينصرف الأمر والحالة هذه إلى غير رسـول اللّـه ﷺ إلا بقرينـة، ولا صارف ها هنا.

وقوله: (**بالسكوت**) يعني به الإمساك عما كان مباحاً لهم من الكلام.

ثالثاً: في زيادة مسلم وهي (**ونهينا عن الكلام**) تأكيد وتصريح بالنهي عما

---

(١) زيد بن أرقم بن زيد بن قيـس الأنصـاري الخزرجـي صحـابي مشـهور، أول مشـاهده الخندق، وأنزل اللّـه تصديقه في سورة المنافين. مات سنة ست أو ثمان وستين (ع).

ليس من مصلحة الصلاة من الكلام، وهل تبطل الصلاة به؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٦١٥/٢٢): «الأصل في هذا الباب أن النبي ﷺ قال: «إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الآدميين» وقال: «إن الله يحدث من أمره ما يشاء، ومما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة » قال زيد بن أرقم: «فأمرنا بالسكوت، ونهينا عن الكلام، وهذا مما اتفق عليه المسلمون، قال ابن المنذر وأجمع أهل العلم على أن من تكلم في صلاته عامداً وهو لا يريد إصلاح شيء من أمرها أن صلاته فاسدة، والعامد من يعلم أنه في صلاة وأن الكلام محرم.

قلت: وقد تنازع العلماء في الناسي والجاهل والمكره والمتكلم لمصلحة الصلاة، وفي ذلك كله نزاع في مذهب أحمد وغيره من العلماء، إذا عرف ذلك فاللفظ على ثلاث درجات:

أحدها: أن يدل على معنى بالوضع إما بنفسه وإما مع لفظ غيره، كفي، وعن، فهذا الكلام مثل يد، ودم، وفم، وخذ.

الثاني: أن يدل على معنى بالطبع كالتأوه والأنين والبكاء ونحو ذلك.

الثالث: أن لا يدل على معنى، لا بالطبع ولا بالوضع، كالنحنحة فهذا القسم كان أحمد يفعله في صلاته، وذكر أصحابه عنه روايتين في بطلان الصلاة بالنحنحة.

فإن قلنا: تبطل ففعل ذلك لضرورة فوجهان فصارت الأقوال فيها ثلاثة:

أحدها أنها لا تبطل بحال وهو قول أبي يوسف وإحدى الروايتين عن مالك؛ بل ظاهر مذهبه.

والثاني: تبطل بكل حال، وهو قول الشافعي وأحد القولين في مذهب أحمد ومالك.

والثالث: إن فعله لعذر لم تبطل وإلا بطلت وهو قول أبي حنيفة ومحمد وغيرهما وقالوا إن فعله لتحسين الصوت وإصلاحه لم تبطل» انتهى ملخصاً.

[٤٦ - باب **﴿فإخفتم فرجالاً أو ركباناً، فإذا أمنتم فاذكروا اللّه كما علمكم مالم تكونوا تعلمون﴾**].

ش / «يعني تعالى ذكره بذلك وقوموا للّه في صلاتكم مطيعين له، لما قد بيناه من معناه، فإن خفتم من عدو لكم أيها الناس، تخشونهم على أنفسكم في حال التقائكم معهم، أن تصلوا قياماً على أرجلكم بالأرض قانتين لله، فصلوا رجالاً مشاة على أرجلكم، وأنتم في حربكم وقتالكم وجهاد عدوكم، أو ركباناً على ظهور دوابكم، فإن ذلك يجزؤكم حينئذ من القيام منكم قانتين.

قوله: **﴿فإذا أمنتم..﴾** الآية وتأويل ذلك: فإذا أمنتم أيها المؤمنون من عدوكم أن يقدر على قتلكم في حال اشتغالكم بصلاتكم التي فرضها عليكم، ومن غيره ممن كنتم تخافونه على أنفسكم في حال صلاتكم، فاطمأننتم، فاذكروا اللّه في صلاتكم وفي غيرها بالشكر له، والحمد والثناء عليه على ما أنعم به عليكم من التوفيق لإصابة الحق الذي ضل عنه أعداؤكم من أهل الكفر باللّه كما ذكركم بتعليمه إياكم، من أحكامه وحلاله وحرامه، وأخبار من قبلكم من الأمم السالفة، والأنباء الحادثة بعدكم في عاجل الدنيا وآجل الآخرة، التي جهلها غيركم، وبصركم من ذلك وغيره، إنعاماً منه عليكم بذلك،فعلمكم منه مالم تكونوا من قبل تعليمه إياكم تعلمون» انتهى ملخصاً من جامع البيان.

شرح جملة من الكلمات والآثار:-

١-[وقال ابن جبير : كرسيه :علمه].

ش /

في التغليق :

اخبرنا عبد القادر بن محمد بن علي أنا أحمد بن علي بن الحسن الجزري أنا محمد بن اسماعيل (خطيب مردا) أنا علي بن حمزة الكاتب أنا أبو القاسم بن الحصين أنا أبو طاالب بن غيلان أنا أبوبكر الشافعي حدثنا إسحاق بن الحسن

حدثنا أبو حذيفة حدثنا سفيان عن جعفر عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ﴾ قال : علمه . أهـ (٤/ ١٨٥)

وقال في الفتح :

وصله سفيان الثوري في تفسيره في رواية أبي حذيفة عنه بإسناد صحيح .

قلت :

وأخرجه ابن جرير قال : حدثنا أبو كريب ومسلم بن جنادة قالا حدثنا ابن إدريس عن مطرِّف عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس فذكره .وهو أحد ثلاثة أقوال حكاها في الآية .

وثانيها : أن الكرسي موضع القدمين وبه قال أبو موسى والسدي والضحاك ومسلم البطين .

وثالثها : أن الكرسي، هو العرش نفسه وبه قال الحسن البصري والذي اختاره ابن جرير.

قال مقيده:

وثاني هذه الأقوال هو الراجح عندي لما رواه الحاكم في تفسيرالآية من مستدركه عن عمار الدهني عن مسلم البطين عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي ا لله عنهما قال : الكرسي : موضع القدمين والعرش لايقدر قدره ،وقال عقبه :صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرّجاه ووافقه الذهبي .

والآية المشار إليها (آية الكرسي المعروفة) ﴿ **ا لله لاإله إلاهو الحي القيوم..**﴾ الآية.

٢-[يقال (بسطة) :زيادةوفضلاً]

ش :

قاله أبو عبيدة ، وزاد : وكثرة .

والآية المشار إليها ﴿**قال إن ا لله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم**

والجسم .. ﴾ الآية.

٣-[أفرغ : أنزِل]

ش :

قاله أبو عبيدة .

والآية المشار إليها ﴿ **ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين** ﴾

٤- [﴿لايؤوده﴾ : لايثقله]

ش :

أخرجه ابن أبي حاتم عن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال : ﴿ لايؤوده حفظهما ﴾ يقول : لايثقل عليه .

وأخرج عنه برواية الضحاك :(لايكرثه).

٥- [آدني :أثقلني ، والآد ، والأيد : القوة]

ش :

قال أبو عبيدة : ﴿ ولايؤوده ﴾ : ولايثقله ، تقول : لقد آدني هذا الأمر وما آدَك فهو لي آئِد، قال الكميت :

علينا كالنهاء مضاعفاتٌ من الماذيّ لم تؤدِ المتونا

تقول : ما أثقلك فهو لي مثقل . أهـ

٦- [السِّنة : نعاس]

ش :

أخرجه ابن أبي حاتم عن معاوية ابن أبي صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس .

وأخرج عن السدي : ﴿ لاتأخذه سنةولانوم ﴾ فهوريح النوم الذي يأخذ في الوجه فينعس الإنسان.

٧-[لم يتسنّه : لم يتغير]

ش :

أخرجه ابن أبي حاتم من وجهين عن ابن عباس، وعن السدي مثله .

قال : لم يحمض التين والعنب ولم يختمر العصير، بل هما حلوان كما هما وعلى هذا، فالهاء فيه أصلية، وقيل : هي هاء السكته، وقيل : أصله (يتسنّن) مأخوذ من الحمأ المسنون، أي المسنّن .

وفي قراءة يعقوب: (لم يتسنّ) بتشديد النون بلا هاء، أي لم تمض عليه السنون الماضية، كأنه ابن ليلة .أهـ من الفتح

٨- [﴿ فبُهِت ﴾ : ذهبت حجته]

ش :

قال أبو عبيدة : ﴿ فبهت ﴾ انقطع وذهبت حجته، وبُهِت أكثر الكلام، وبَهُت إن شئت .أهـ

والآية المشار إليها ﴿ **فبُهت الذي كفر وا لله لايهدي القوم الظالمين**﴾

٩- [﴿ **خاوية** ﴾ : **لاأنيس فيها**]

ش :

قال أبو عبيدة :﴿ خاوية ﴾ لاأنيس بها .أهـ

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة قال : ليس فيها أحد .أهـ

ولامنافاة بين العبارات الثلاث أو اختلاف في المعنى .

١٠- [﴿ عروشها ﴾ : أبنيتها]

ش :

ذكره ابن أبي حاتم عن الضحاك والسدي بمعناه .

وقال أبوعبيدة : ﴿ على عروشها ﴾ : على بيوتها وأبنيتها .أهـ

١١- [﴿ ننشزها ﴾ : نخرجها]

ش :

أخرج ابن جرير عن مجاهد وقتادة وابن زيد على هذه القراءة (ننشرها) على القراءة بالراء المهملة وضم نون أوله : نحييها .

وأخرج على القراءة بالزاي المعجمة مع ضم نون أوله ،عن ابن عباس ﴿كيف ننشزها﴾ :كيف نخرجها ، وعن السدي : نحركها .أهـ

وكلتا القراءتان صحيحة . حكاها في النشر (٢/٢٣١)

والآية المشار إليها : ﴿ **أو كالذي مرّ على قريةٍ وهي خاوية على عروشها قال أنّى يحي هذه ا لله بعد موتها فأماته ا لله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أوبعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنّه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ...**﴾

١٢- [﴿ إعصار ﴾ : ريح عاصف تهب من الأرض إلى السماء،كعمود فيه نار]

ش :

هو تفسير أبي عبيدة .

وأخرج ابن جرير عن عكرمة عن ابن عباس ﴿إعصارٌفيه نار﴾ : ريح فيها سموم شديدة ،وأخرج في المعنى عن قتادة والسدي والربيع .

وهوأحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيها: ريح فيها بردٌ شديد ، وبه قال الحسن والضحاك .

والآية المشارإليها ﴿ **أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين ا لله لكم الآيات**

لعلكم تتفكرون ﴾

١٣ـ [وقال ابن عباس ﴿ صلداً ﴾ : ليس عليه شيئ]

ش :

أخرجه ابن جرير قال : حدثني محمد ابن سعد قال : ثني أبي قال : ثني عمي قال : ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ، وذكره بلفظ : ليس عليه شيئ ، وكذلك المنافق يوم القيامة ، لايقدر على شيئ مما كسب .

وأخرج في المعنى عن قتادة والسدي .

والآية المشار إليها **﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن با لله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لايقدرون مما كسبوا على شيئ وا لله لايهدي القوم الكافرين ﴾**

١٤ـ [وقال عكرمة : ﴿ وابل ﴾: مطرٌ شديد ، الطّل : الندى وهذا مثل عمل المؤمن]

ش :

وصله عبد بن حميد عن روح بن عبادة عن عثمان بن غياث : سمعت عكرمة: بهذا . حكاه في الفتح

والآية المشار إليها **﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة ا لله وتثبيتاً من أ نفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابلٌ فأتت أُكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل وا لله بما تعملون بصير ﴾**

١٥ـ [﴿ يتسنّه ﴾ : يتغير]

ش :

أخرجه ابن جرير قال : حدثنا سفيان ثنا أبي عن النضر عن عكرمة فذكره،وأخرج عن ابن زيد مثله .

وأخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس .

وهو أحد قولين حكاهما ابن جرير في الآية .

وثانيهما : لم ينتن وبه قال مجاهد وغيره .

وقد مضت الآية المشار إليها قريباً.

٥٨ ـ حدثنا عبداللّه بن يوسف حدثنا مالك، عن نافع: أن عبداللّه بن عمر رضي اللّه عنهما: كان إذا سئل عن صلاة الخوف قال: يتقدم الإمام وطائفة من الناس، فيصلي بهم الإمام ركعة، وتكون طائفة منهم بينهم وبين العدو لم يصلوا، فإذا صلى الذين معه ركعة استأخروا مكان الذين لم يصلوا، ولا يسلمون، ويتقدم الذين لم يصلوا فيصلون معه ركعة، ثم ينصرف الإمام وقد صلى ركعتين، فيقوم كل واحد من الطائفتين فيصلون لأنفسهم ركعة بعد أن ينصرف الإمام، فيكون كل واحد من الطائفتين قد صلى ركعتين، فإن كان خوف هو أشد من ذلك، صلوا رجالاً قياماً على أقدامهم أو ركباناً، مستقبلي القبلة أو غير مستقبليها.

قال مالك: قال نافع: لا أرى عبداللّه بن عمر ذكر ذلك إلا عن رسول اللّه ﷺ.

ش / فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله: (**يتقدم الإمام وطائفة من الناس... إلى قوله: ولا يسلمون**). فيه أمران:

أولهما: وجوب صلاة الجماعة ما أمكن ذلك وهو ظاهر صريح من فعل النبي ﷺ في هذا الحديث وما ورد في روايات صلاة الخوف الثابتة عن النبي ﷺ ودليله من القرآن قوله تعالى: ﴿**وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك... الآية**﴾ فإذا كان الأمر بصلاة الجماعة

٥٩ ـ حدثني عبدالله بن أبي الأسود[١]: حدثنا حميد بن الأسود[٢]، ويزيد بن زريع[٣] قالا: حدثنا حبيب بن الشهيد، عن ابن أبي مليكة قال: قال ابن الزبير:

قلت لعثمان هذه الآية التي في البقرة: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً إلى قوله... غير إخراج﴾ قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها؟ قال تدعها يا ابن أخي، لا أغير شيئاً منه من مكانه».

قال حميد: أو نحو هذا.

ش / قلت: وشاهد الترجمة في قوله: ﴿وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾.

قوله: (**قال حميد**) هو حميد بن الأسود أحد رجال السند وهو شيخ شيخ البخاري.

وقوله: (**أو نحو هذا**): يعني نحو المذكور وهذا شك من حميد بخلاف يزيد بن زريع فقد جزم بالخبر كما سبق في الباب الثالث والأربعين وقد مضى شرحه مستوفى هناك.

---

(١) هو أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي الأسود البصري، وقد ينسب إلى جده، ثقة حافظ له سماع من أبي عوانة وهو صغير، من العاشرة، مات سنة ثلاث وعشرين ومئتين (خ،د،ت).

(٢) هو أبو الأسود حميد بن الأسود الأشقر البصري الكرابيسي، صدوق يهم قليلاً، من الثامنة (خ ٤).

(٣) هو أبو معاويةيزيد بن زريع ـ مصغرا ـ البصري، ثقة ثبت من الثامنة، مات سنة اثنتين وثمانين [ومائة] (ع).

وأما قولهم: لو كانت واجبة لكانت شرطاً في الصلاة كالجمعة فجوابه ما قاله ابن قدامة: «ولا يلزم من الوجوب الاشتراط كواجبات الحج والإحداد في العدة».

ثانيهما: في قوله: (ولا يسلمون) مفاده أن الطائفة الأولى تنصرف عن النبي ﷺ دون تسليم ثم تقف تجاه العدو، ويشكل عليه ما أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة ذات الرقاع، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الخوف، عن (صالح بن خوات عمن شهد مع رسول اللّه ﷺ يوم ذات الرقاع صلى صلاة الخوف، أن طائفة صفت معه وطائفة وجاه العدو، فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائماً وأتموا لأنفسهم، ثم انصرفوا فصفوا وجاه العدو وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته، ثم ثبت جالساً وأتموا لأنفسهم، ثم سلم بهم). ووجه الإشكال فيما أفاده، بأن الطائفة الأولى انصرفت عن النبي ﷺ بعد السلام وقضاء ما عليها وهذا يعارض حديث الباب. والجمع بينهما عندي ما قاله الشوكاني: «والحق الذي لا محيص عنه أنها جائزة على كل نوع من الأنواع الثابتة وقد قال أحمد بن حنبل: لا أعلم في هذا الباب حديثاً إلا صحيحاً فلا وجه للأخذ ببعض ما صح دون بعض إذ لا شك أن الأخذ بأحدها فقط تحكم محض» انتهى من نيل الأوطار.

المسألة الثانية: قوله: **(ويتقدم الذين لم يصلوا فيصلون معه ركعة... إلى قوله: قد صلى ركعتين)** مفاده أن كلتا الطائفتين صلت ركعتين مع النبي ﷺوأن النبي ﷺ قد صلى بكل منهما ركعة فتم له ركعتان وهذه إحدى الصفات الواردة عن النبي ﷺ في صلاة الخوف ويعارضه في الظاهر ما أخرجه الشيخان وأحمد عن جابر رضي اللّه عنه قال: **(كنا مع النبي ﷺ بذات الرقاع وأقيمت الصلاة فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين فكان للنبي ﷺ أربع وللقوم ركعتان)**.

وأخرج أحمد والنسائي وأبو داود عن أبي بكرة نحوه، قال الشوكاني في هذين الحديثين (٧/٤): «وحديث جابر وأبي بكرة يدلان على أن من صفات صلاة الخوف أن يصلي الإمام بكل طائفة ركعتين فيكون مفترضاً في ركعتين ومتنفلاً في ركعتين».

وقال الخطابي في المعالم هامش سنن أبي داود (٢/٢٨): «صلاة الخوف أنواع وقد صلاها رسول اللّه ﷺ في أيام مختلفة وعلى أشكال متباينة يتوخى في كل ما هو أحوط للصلاة وابلغ في الحراسة وهي على اختلاف صورها مؤتلفة في المعاني» انتهى محل الغرض.

قال مقيده: وبما قاله هذان الإمامان يزول الإشكال وتندفع المعارضة بين حديث الباب وحديث جابر وتتآلف جميع الروايات في كيفية صلاة الخوف وقد عرفت قريباً أنها كلها صحيحة فيصبح الاختلاف اختلاف تنوع لا تضاد، و لله الحمد والمنة وقد تبين لك مما سقناه من الروايات في هذا الباب وكذا ما في معناه أن تلك الكيفيات كانت في السفر.

والسؤال: هل تشرع صلاة الخوف في الحضر وكيف؟

قال ابن قدامة (٢/٤٠٦): «وجملة ذلك أن صلاة الخوف جائزة في الحضر إذا احتيج إلى ذلك بنزول العدو قريباً من البلد، وبه قال الأوزاعي والشافعي، وحكى عن مالك أنها لا تجوز في الحضر لأن النبي ﷺ لم يفعلها في الحضر، وخالفه أصحابه، فقالوا كقولنا، ولنا قول اللّه تعالى:﴿**وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة**﴾ الآية. وهذا عام في كل حال وترك النبي ﷺ فعلها في الحضر إنما كان لغناه عن فعلها في الحضر، وقولهم: إنما دلت الآية على ركعتين؟ قلنا: وقد يكون في الحضر ركعتان الصبح والجمعة والمغرب ثلاث، ويجوز فعلها في الخوف في السفر، ولأنها حالة خوف فجازت فيها صلاة الخوف كالسفر» انتهى محل الغرض.

قلت: وأما كيف تصلي صلاة الخوف في الحضر فالجواب إن كانت ثنائية كالصبح فإنه يصلي بهم الإمام كما جاء عن النبي ﷺ في صلاة ذات الرقاع، أو غيرها حسب ما تقضيه الحال، وأما سائر الصلوات فالظاهر أنه يجعلهم فرقتين فيصلي بالأولى ركعتين ثم يظل جالساً فتتم لنفسها ما بقي ثم يصلي بالثانية ما بقي له وينتظرهم حتى يتموا لأنفسهم ثم يسلم بهم. والله أعلم.

المسألة الثالثة: قوله: «**فإن كان خوف هو أشد من ذلك**... إلى آخره» هذا هو وجه مطابقة الحديث للباب ومفاده أنه في حال التحام جيش المسلمين وجيش العدو بحيث لا يمكن معه الصلاة على ما تقدم من الأوجه، فإن المسلم يصلي راكباً أو راجلاً ولو إلى غير القبلة وكيف ما اتفق له.

وفيه دليل على أنه لا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها في الخوف كما تقدم في حديث غزوة الخندق، يوضحه قوله عند مسلم (**فإذا كان خوف أكثر من ذلك فصل راكباً أو قائماً تومئ إيماءً**).

المسألة الرابعة: قوله: (**لا أرى عبدالله بن عمر ذكر ذلك إلا عن رسول الله ﷺ**) القائل هو نافع راوية الزهري عن سالم عن أبيه.

قلت :فقد جاء التصريح بالرفع حيث قال ابن عمر: (**غزوت مع رسول الله ﷺ قبل نجد فوازينا العدو فصاففنا لهم**) الحديث.

٤٧ -[باب ﴿**والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً**﴾].

ش / تمامها ﴿**وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج، فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف واللّه عزيز حكيم**﴾.

حاصل ما تضمنته الآية ثلاثة أمور:

الأول: استحقاق المتوفى عنها زوجها المتاع حولاً كاملاً وذلك المتاع شامل للنفقة والسكنى والكسوة كما هو ظاهر الآية، وهذا منسوخ وقد تقدم القول فيه عن مجاهد وأخرج أبو داود في الطلاق، باب (نسخ متاع المتوفى عنها زوجها بما فرض لها من الميراث)، عن ابن عباس: ﴿**والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج**﴾، فنسخ ذلك بآية الميراث، بما فرض لهن من الربع والثمن ونسخ أجل الحول بأن جعل أجلها أربعة أشهر وعشرا.

قلت:فقد دل هذا الأثر على نسخ متاع الحول بالميراث ونسخ العدة بأربعة أشهر وعشر وقد مضى القول في ذلك، وحكى ابن كثير نسخ الآية عن جماعة من أهل التأويل منهم أبو موسى الأشعري والسدي والربيع بن أنس.

الثاني: أنه لا جناح فيما تفعله المرأة في نفسها من معروف كالتجمل للأزواج، بعد الخروج من العدة كما جاء في الأخبار.

الثالث: في قوله ﴿**واللّه عزيز حكيم**﴾ قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه اللّه (١/١٩٤): «وختم الآية بهذين الاسمين العظيمين، الدالين على كمال العزة وكمال الحكمة، لأن هذه أحكام صدرت عن عزته،ودلت على كمال حكمته، حيث وضعها في مواضعها اللائقة بها».

٥٩ ـ حدثني عبدالله بن أبي الأسود[١]: حدثنا حميد بن الأسود[٢]، ويزيد بن زريع[٣] قالا: حدثنا حبيب بن الشهيد، عن ابن أبي مليكة قال: قال ابن الزبير:

قلت لعثمان هذه الآية التي في البقرة: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً إلى قوله... غير إخراج﴾ قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها؟ قال تدعها يا ابن أخي، لا أغير شيئاً منه من مكانه».

قال حميد: أو نحو هذا.

ش / قلت:وشاهد الترجمة في قوله: **﴿وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾.**

قوله: (**قال حميد**) هو حميد بن الأسود أحد رجال السند وهو شيخ شيخ البخاري.

وقوله: (**أو نحو هذا**): يعني نحو المذكور وهذا شك من حميد بخلاف يزيد بن زريع فقد جزم بالخبر كما سبق في الباب الثالث والأربعين وقد مضى شرحه مستوفى هناك.

---

(١) هو أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي الأسود البصري، وقد ينسب إلى جده، ثقة حافظ له سماع من أبي عوانة وهو صغير، من العاشرة، مات سنة ثلاث وعشرين ومئتين (خ،د،ت).

(٢) هو أبو الأسود حميد بن الأسود الأشقر البصري الكرابيسي، صدوق يهم قليلاً، من الثامنة (خ ٤).

(٣) هو أبو معاويةيزيد بن زريع ـ مصغرا ـ البصري، ثقة ثبت من الثامنة، مات سنة اثنتين وثمانين [ومائة] (ع).

٤٨ -[باب ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى﴾].

ش / تمامها: ﴿**قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي، قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن اللّه عزيز حكيم**﴾

قال الحافظ بن كثير رحمه اللّه (١/٣٢٢): «ذكروا لسؤال إبراهيم عليه السلام أسباباً منها أنه لما قال النمرود: ﴿**ربي الذي يحيي ويميت**﴾. أحبَّ أن يترقى من علم اليقين بذلك إلى عين اليقين وأن يرى ذلك مشاهدة فقال ﴿**رب أرني كيف تحي الموتى، قال أولم تؤمن؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي**﴾».

قلت:هو الثاني فيما حكاه ابن جرير (٣/٤٨) وهو قول ابن إسحاق وقال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي في تفسيره (١/٢٠٨): «وأما البرهان الآخر، فإن إبراهيم قال طالباً من اللّه، أن يريه كيف يحيي الموتى، فقال اللّه له ﴿أو لم تؤمن﴾ ليزيل الشبهة عن خليله، قال إبراهيم: بلى يارب، قد آمنت أنك على كل شي قدير، وأنك تحيي الموتى، وتجازي العباد، ولكن أريد أن يطمئن قلبي، وأصل إلى درجة عين اليقين، فأجاب اللّه دعوته، كرامة له، ورحمة بالعباد.

قال: ﴿**فخذ أربعة من الطير**﴾ ولم يبين أي الطيور هي، فالآية حاصلة بأي نوع منها، وهو المقصود، ﴿فصرهن إليك﴾ ضمهن واذبحهن ومزقهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً ﴿واعلم أن اللّه عزيز حكيم﴾ ففعل ذلك، وفرق أجزاءهن على الجبال التي حوله، ودعاهن بأسمائهن، فأقبلن إليه - أي سريعات - لأن السعي السرعة، وليس المراد أنهن جئن على قوائمهن، إنما جئن طائرات على أكمل ما يكون من الحياة، وخص الطيور بذلك، لأن إحياءهن أكمل وأوضح من غيرهن.

وأيضاً أزال في هذا كل وهم، ربما يعرض للنفوس المبطلة، فجعلهن متعددات أربعة، ومزقهن جميعاً، وجعلهن على رؤوس الجبال ليكون ذلك ظاهراً

علناً، يشاهد من قرب ومن بعد، وأنه نحاهن عنه كثيراً، لئلا يظن أن يكون عاملاً حيلة من الحيل، وأيضاً أمره أن يدعوهن، فجئن مسرعات فصارت هذه الآية أكبر برهان على كمال عزة اللّه وحكمته، وفيه تنبيه على أن البعث فيه يظهر للعباد كمال عزة اللّه وحكمته وعظمته وسعة سلطانه وتمام عدله وفضله».

[فصرهن: قطعهن].

ش / أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد وأبي مالك.

وقال أبو عبيدة: «فمن جعل من صرت تصور ضم، قال: صرهن إليك، ثم قطعهن»

٦٠ ـ حدثنا أحمد بن صالح[1]: حدثنا بن وهب: أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة وسعيد[2] عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى، قال أولم تؤمن قلى بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾.

ش / فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله (**نحن أحق بالشك من إبراهيم**) الشك هو: الريب وما أحسن ما قاله أبو سليمان الخطابي ـ رحمه اللّه ـ كما في تفسير البغوي (١/٢٤٨): «ليس في قوله: نحن أحق بالشك من إبراهيم. اعتراف بالشك على نفسه ولا على إبراهيم لكن فيه نفي الشك عنها يقول: إذا لم أشك أنا في قدرة اللّه تعالى على

---

(١) هو: أبو جعفر أحمد بن صالح المصري، ابن الطبري، ثقة حافظ من العاشرة، تكلم فيه النسائي بسبب أوهام قليلة، ونقل عن ابن معين تكذيبه وجزم ابن حبان بأنه إنما تكلم في أحمد بن صالح الشمومي، فظن النسائي أنه عنى ابن الطبري مات سنة ثمان وأربعين ومائتين، وله ثمان وسبعون سنة (خ، د).

(٢) سعيد هو ابن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن مخزوم القرشي المخذومي أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، من كبار الثانية، اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل مات بعد التسعين (ع).

إحياء الموتى فإبراهيم أولى بأن لا يشك، وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس ».

الثانية: قوله: ﴿**أرني كيف تحيي الموتى**﴾ تقدم شرحه أول الباب.

الثالثة: قوله ﴿**أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي**﴾ قال البغوي (١/٢٤٨) : «معناه: قد آمنت فلم تسأل؟ شهد له بالإيمان. كقول جرير: -

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح.

يعني أنتم كذلك ولكن ليطمئن قلبي بزيادة اليقين.

وفيه الإعلام أن المسألة من إبراهيم عليه السلام لم تعرض من جهة الشك، ولكن من قبل زيادة العلم بالعيان، فإن العيان يفيد من المعرفة، والطمأنينة ما لا يفيده الاستدلال». وسيورد المصنف الحديث في تفسير سورة يوسف بتمامه وهناك يستوفى شرحه إن شاء اللّه.

٤٩ -[باب قوله: **﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب﴾**]
إلى قوله **﴿لعلكم تتفكرون﴾** (٢٦٦).
ش / تمامها.

﴿...تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت، كذلك يبين اللّـه لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾.

قال البغوي ـ رحمه اللّـه ـ (١/٢٥٢): « يعني أيحب أحدكم أن تكون له جنة، أي بستان، **﴿من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار، له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء﴾** أولاد صغار ضعاف عجزه فأصابها إعصار، وهو الريح العاصف التي ترتفع إلى السماء كأنها عمود، وجمعه أعاصير، فيه نار فاحترقت، هذا مثل ضربه اللّـه لعمل المنافق والمرائي يقول: عمله في حسنه كحسن الجنة ينتفع به كما ينتفع صاحب الجنة بالجنة، فإذا كبر أو ضعف وصار له أولاد ضعاف وأصاب جنته إعصار فيه نار فاحترقت، فصار أحوج ما يكون إليها وضعف عن إصلاحها لكبره وضعف أولاده عن إصلاحها لصغرهم، ولم يجد هو ما يعود به على أولاده ولا أولاده ما يعودون به عليه، فبقوا جميعاً متحيرين عجزه لا حيلة بأيديهم، كذلك يبطل اللّـه عمل هذا المنافق والمرائي حين لا مغيث لهما ولا توبة ولا إقاله» اهـ.

وفي قوله: **﴿كذلك يبين اللّـه لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾** قال ابن جرير (٣/٧٩): «يعني بذلك جل ثناؤه، كما بين لكم ربكم تبارك وتعالى أمر النفقة في سبيله وكيف وجهها، ومالكم وما ليس لكم فعله فيها، كذلك يبين لكم الآيات سوى ذلك، فيعرفكم أحكامها وحلالها وحرامها، ويوضح لكم حججها إنعاماً منه بذلك عليكم لعلكم تتفكرون، يقول: لتتفكروا بعقولكم فتدبروا وتعتبروا بحجج اللّـه فيها، وتعملوا بما فيها من أحكامها، فتطيعوا اللّـه به».

وقال ابن كثير: «أي تعتبرون وتفهمون الأمثال والمعاني وتنزلونها على المراد منها كما قال تعالى ﴿**وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون**﴾».

قال مقيده:

وهذا عندي وجيه لأنه يفهم منه عود الإشارة على ما في أول الآية وهو أقرب مذكور.

٦١ ـ حدثنا إبراهيم، أخبرنا هشام[1] عن ابن جريج: سمعت عبدالله بن أبي مليكة يحدث عن ابن عباس قال: وسمعت أخاه أبا بكر بن أبي مليكة[2] يحدث عن عبيد بن عمير[3] قال: قال عمر رضي الله عنه يوماً لأصحاب النبي ﷺ: فيم ترون هذه الآية نزلت؟ ﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة﴾؟ قالوا: الله أعلم. فغضب عمر. فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس: في نفسي منها شئ يا أمير المؤمنين، قال عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك، قال ابن عباس: ضُربت مثلاً لعمل، قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لعملٍ ، قال عمر : لرجل غني يعمل بطاعة الله عزوجل، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله)

ش / فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله(**فيما ترون**) يعني في أي شئ ترون هذه الآية

---

(١) هشام هو أبو عبدالرحمن هشام بن يوسف الصنعاني القاضي، ثقة من التاسعة، مات سنة سبع وتسعين ومائة (خ ٤).

(٢) هو: أبو بكر بن عبيدالله بن أبي مليكة التيمي، المكي، أخو عبدالله، مقبول، من الثالثة، (خ).

(٣) هو أبو عاصم عبيد بن عمير بن قتادة الليثي المكي ولد على عهد النبي ﷺ قاله مسلم، وعده غيره في كبار التابعين، وكان قاص أهل مكة، مجمع على ثقته، مات قبل ابن عمر (ع).

(وتُرون) مبني للمفعول.

الثانية: قوله: **(في نفسي منها شئ يا أمير المؤمنين)** فيه توقير بن عباس لعمر وإجلاله إياه حيث لم يبدِ له ما فهمه من الاية.

الثالثة: قوله: **(يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك)** قلت هذا تلطف من عمر بابن عباس وتشجيع له على إظهار ما عنده من العلم في الآية، وهذا من أرقى الأساليب في تنشيط العالم تلميذه.

الرابعة: قوله: **(ضربت مثلاً لعمل)** في رواية عطاء عند ابن جرير أن ابن عباس قال: (هذا مثل ضربه اللّه عزوجل فقال: أيود أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة حتى إذا كان أحوج ما يكون إلى أن يختمه بخير حين في عمره، واقترب أجله ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء فافسده كله فحرقه أحوج ما كان إليه)).

وعند البغوي (٢٥٣/١): ((قال ابن عباس رضي اللّه عنهما: ضربت مثـ ؟ لعمل. فقال عمر رضي اللّه عنه أي عمل؟ قال ابن عباس رضي اللّه عنهما: لعمل منافق ومراء، قال عمر رضي اللّه عنه، لأي رجل؟ قال لرجل غني يعمل بطاعة اللّه بعث اللّه له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله)).

الخامسة: قوله: **(حتى أغرق أعماله)** أي أفسد أعماله الصالحة بما زين له الشيطان من المعاصي، واعلم أن من محبطات الأعمال من المعاصي: الرياء، قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رءاء الناس ولا يؤمن باللّه واليوم الآخر، فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شئ مما كسبوا، واللّه لا يهدي القوم الكافرين﴾** وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: فيما يرويه عن ربه عزوجل قال اللّه تعالى: **(أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه).**

ولحديث الباب طرق غير ما ذكرنا ذكرها الحافظ في الفتح (٢٠٢/٨) ثم قال مستنبطاً ما في الحديث من فوائد:

«وفي الحديث قوة فهم ابن عباس وقرب منزلته من عمر، وتقديمه له مع صغره، وتحريض العالم تلميذه على القول بحضرة من هو أسن منه إذا عرف فيه الأهلية لما فيه من تنشيط وبسط نفسه وترغيبه في العلم».

٥٠ -[باب ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾].

ش / قلت الآية: **﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل اللّه لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس إلحافاً، وما تنفقوا من خير فإن اللّه به عليم﴾.**

قال البغوي (١/٢٥٩): «اختلفوا في موضع هذه اللام، قيل: هي مردودة على موضع اللام من قوله **﴿فلأنفسكم﴾** كأنه قال: وما تنفقوا من خير فللفقراء، وإنما تنفقون لأنفسكم، وقيل معناها: الصدقات التي سبق ذكرها، وقيل: خبر لمحذوف تقديره (للفقراء الذين صفتهم كذا حق واجب للفقراء المهاجرين) كانوا نحواً من أربعمائة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر، وكانوا في المسجد يتعلمون القرآن ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول اللّه ﷺ، وهم أصحاب الصفة، فحث اللّه تعالى عليهم الناس فكان من عنده فضل أتاهم به إذا أمسى **﴿الذين أحصروا في سبيل اللّه﴾** فيه أقاويل، قال قتادة: هم هؤلاء حبسوا أنفسهم على أهل الصفة الذين ذكرناهم.

وقيل: حبسوا أنفسهم على طاعة اللّه.

وقيل: معناه: حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل اللّه.

وقيل: هؤلاء قوم أصابتهم جراحات مع رسول اللّه ﷺ في الجهاد في سبيل اللّه فصاروا زمناً أحصرهم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل اللّه للجهاد.

وقيل: معناه: من كثرة ماجاهدوا صارت الأرض كلها حرباً لهم فلا يستطيعون ضرباً في الأرض من كثرة أعدائهم.

﴿ويحسبهم﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة **﴿يحسبهم﴾** وبابه بفتح السين وقرأ الآخرون بالكسر.

﴿الجاهل﴾ بحالهم.

﴿**أغنياء من التعفف**﴾ أي من تعففهم عن السؤال وقناعتهم، يظن من لا يعرف حالهم أنهم أغنياء.

و﴿**التعفف**﴾ التفعل من العفة وهي الترك.

يقال: عف عن الشئ إذا كف عنه وتعفف إذا تكلف في الإمساك.

﴿**تعرفهم بسيماهم**﴾ السيما والسيمياء والسمة: العلامة التي يعرف بها الشيء، واختلفوا في معناها هاهنا.

فقال مجاهد: هي التخشع والتواضع.

وقال السدي: أثر الجهد من الحاجة والفقر.

وقال الضحاك: صفرة ألوانهم من الجوع والضر.

وقيل: رثاثة ثيابهم.

﴿**لا يسألون الناس إلحافاً**﴾.

قال عطاء: إذا كان عندهم غداء لا يسألون عشاء، وإذا كان عندهم عشاء لا يسألون غداءً.

وقيل: معناه ﴿**لا يسألون الناس إلحافاً**﴾ أصلاً، لأنه قال ﴿**من التعفف**﴾.

والتعفف: ترك السؤال، ولأنه قال ﴿**تعرفهم بسيماهم**﴾ ولو كانت المسألة من شأنهم لما كانت إلى معرفتهم بالعلامة حاجة فمعنى الآية: ليس لهم سؤال فيقع فيه إلحاف، والإلحاف الإلحاح واللجاج... إلى أن قال بعد أن ذكر ما ورد في فضل التعفف وذم المسألة لغير حاجة:

وقوله ﴿**وما تنفقوا من خير**﴾ من مال ﴿**فإن اللّه به عليم**﴾ وعليه مجازي)اهـ

شرح جملة من الكلمات والآثار :

١ـ [ألحف علي وألح علي وأحفاني بالمسألة]

ش / قاله أبو عبيدة في تفسير الآية السابعة والثلاثين من سورة محمد، وزاد:

قال أبو الأسود: **لن تمنع السائل الحفي بمثل المنع الحامس.**

٢- [﴿ فيحفكم ﴾ : يجهدكم]

ش :

قاله الفرّاء وزاد : ويخرج ذلك البخل عداوتكم، ويكون يخرج الله أضغانكم ، أحفيت الرجل : أجهدته . أهـ

٦٢ ـ حدثنا بن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر[١] قال حدثني شريك بن ابي نمر[٢] أن عطاء بن يسار[٣] وعبدالرحمن بن أبي عمرة الأنصاري[٤] قالا سمعنا أبا هريرة رضي اللّه عنه يقول: قال النبي ﷺ ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة ولا اللقمتان، إنما المسكين الذي يتعفف واقرؤا إن شئتم يعني قوله ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾.

ش / فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله (**ليس المسكين**) في رواية الأعرج عند مسلم في الزكاة باب :(المسكين الذي لا يجد غنى ولا يفطن له فيتصدق عليه) قال : ((ليس المسكين، بهذا الطواف الذي يطوف على الناس)) وليس فعل ماض ناقص يعمل عمل كان في رفع الإسم ونصب الخبر وهي تفيد النفي، قال ابن مالك في الخلاصة باب (كان وأخواتها):

---

(١) هو محمد بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري مولاهم المدني أخو إسماعيل وهو الأكبر، ثقة، من السابعة (ع).
(٢) هو أبو عبداللّه شريك بن عبداللّه بن أبي نمر المدني صدوق يخطئ من الخامسة، مات في حدود أربعين ومائة (خ،م،د،تم، س، ق).
(٣) هو أبو محمد عطاء بن يسار الهلالي المدني مولى ميمونة، ثقة، فاضل، صاحب مواعظ وعبادة، من صغار الثانية، مات سنة أربع وتسعين وقيل بعد ذلك (ع).
(٤) هو عبدالرحمن بن أبي عمرة الأنصاري النجاري يقال: ولد في عهد النبي صلى اللّه عليه وسلم، وقال ابن أبي حاتم: ليست له صحبة (ع).

«ترفع كان المبتدأ اسماً والخبر تنصبه ككـــان سيداً عمر
ككان ظل بات أضحى أصبح أمسى وصار ليس زال برح»

وفي معنى المسكين قال ابن الأثير مادة: سكن»: «قد تكرر في الحديث ذكر المسكين والمساكين والمسكنة والتمسكن وكلها يدور معناها على الخضوع والذلة وقلة المال، والحالة السيئة، واستكان إذا خضع، والمسكنة: فقـر النفـس، وتمسـكن إذا تشبه بالمساكين، وهـم جمع المسكين وهو الذي لا شئ له.

وقيل: هو الذي له بعض الشيء، وقد تقع المسكنة على الضعف».

الثانية: قولـه **(الـذي تـرده التمـرة والتمرتـان ولا اللقمـة ولا اللقمتـان)** الذي اسم موصـول ومحلـه النصـب خـبر ليس في أول الحديـث، و (تـرده) صلـة الموصول أي تدفعه، قال القسطلاني في شرح الحديث (٣/٦٤): «ليـس المسـكين بكسر الميم، وقد تفتح أي الكامل في المسكنة (الذي ترده الأكلة والأكلتان) عنـد طوافه على الناس للسؤال؛ لأنه قادر على تحصيل قوته، وربما يقع له زيـادة عليه، وليس المراد نفي المسكنة عن الطـواف؛ بـل نفـي كمالهـا لأنهـم أجمعـوا علـى أن السائل الطواف المحتاج مسكين» أهـ.

الثالثة: قوله **(إنما المســكين الـذي يتعفـف)** في روايـة محمـد بـن زيـاد عنـد المصنف في الزكاة باب ﴿لايسألون الناس إلحافاً﴾ (ولكن المسكين الذي ليس لـه غنى ويستحيي أو لا يسأل الناس إلحافاً) وفي رواية الأعـرج المتقدمـة عنـد مسـلم (قالوا فما المسكين يارسول اللّه؟ قـال: الـذي لا يجـد غنـى يغنيـه ولا يفطـن لـه فيتصدق عليه ولا يسأل الناس شيئاً).

قال الشـوكاني في نيـل الأوطـار (٤/٢٢٣): «وفي الحديـث دليـل علـى أن المسكين هو الجامع بين عدم الغنى وعدم تفطن الناس له لما يظن بـه لأجـل تعففـه وتظهره بصورة الغنى من عدم الحاجة ومع هذا فهو مسـتعفف عـن السـؤال وقـد استدل به من يقول: إن الفقير أسوأ حالاً من المسكين وأن المسكين الذي له شـئ لكنه لا يكفيه، والفقير الذي لا شئ له ويؤيده قوله تعالى ﴿أمـا السـفينة فكـانت

لمساكين في البحر﴾ فسماهم مساكين مع أن لهم سفينة يعملون فيها وإلى هذا ذهب الشافعي والجمهور كما قال في الفتح»اهـ.

الرابعة: قوله (**واقرؤا إن شئتم يعني قوله ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾**) عند مسلم (إقرأ) بدون واو والقائل (يعني) هو سعيد بن أبي مريم شيخ البخاري، ذكر ذلك القسطلاني (٤٦/٧) والحافظ (٢٠٣/٨).

وقوله ﴿**لايسألون الناس إلحافاً**﴾ هو شاهد الترجمة وقد تقدم معناه في شرح الآية.

٥١ -[باب ﴿وأحل اللّـه البيع وحرم الربا﴾]

ش / قلت الآية ﴿**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل اللّه البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى اللّه، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**﴾.

قال ابن كثير (١/٣٣٤): «لما ذكر تعالى الأبرار المؤدين النفقات المخرجين الزكوات المتفضلين بالبر والصدقات لذوي الحاجات والقرابات في جميع الأحوال والأوقات، شرع في ذكر أكلة الربا وأموال الناس بالباطل وأنواع الشبهات فأخبر عنهم يوم خروجهم من قبورهم وقيامهم منها إلى بعثهم ونشورهم فقال: ﴿**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس**﴾ أي لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له وذلك أنه يقوم قياماً منكراً. قال ابن عباس: آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنوناً يخنق. رواه ابن أبي حاتم. وروي عن عوف بن مالك وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومقاتل بن حيان أنهم قالوا في قوله تعالى ﴿**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس**﴾ يعني: لا يقومون يوم القيامة وكذا قال ابن أبي نجيح عن مجاهد والضحاك وابن زيد وروى ابن أبي حاتم من حديث أبي بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حنيف عن ابن عبداللّه بن مسعود عن أبيه أنه كان يقرأ ﴿**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس**﴾ **يوم القيامة** إلى أن قال وقوله: ﴿**ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل اللّه البيع وحرم الربا**﴾ أي إنما جُوزُوا بذلك لاعتراضهم على أحكام اللّه في شرعه وليس هذا قياساً منهم للربا على البيع، لأن المشركين لا يعترفون بمشروعية أصل البيع الذي شرعه اللّه في القرآن، ولو كان هذا من باب القياس لقالوا: إنما الربا مثل البيع، وإنما قالوا: إنما

البيع مثل الربا، أي هو نظيره، فلم حرم هذا وأبيح هذا، وهذا اعتراض منهم على الشرع، أي هذا مثل هذا، وقد أحل هذا وحرم هذا، يحتمل أن يكون تمام الكلام رداً عليهم أي على ما قالوه من الاعتراض مع علمهم بتفريق اللّه بين هذا وهذا حكماً، وهو الحكيم العليم، الذي لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون وهو العالم بحقائق الأمور وما ينفع عباده فيبيحه لهم وما يضرهم فينهاهم عنه، وهو أرحم بهم من الوالدة بولدها الطفل، ولهذا قال: ﴿**فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى اللّه**﴾ أي ومن بلغه نهي اللّه عن الربا فانتهى حال وصول الشرع إليه فله ما سلف من المعاملة لقوله ﴿**عفا اللّه عما سلف**﴾ وكما قال النبي ﷺ يوم فتح مكة: (وكل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين، وأول ربا أضع ربا العباس) ولم يأمرهم برد الزيادات المأخوذة في حال الجاهلية بل عفا عما سلف كما قال تعالى ﴿**فله ما سلف وأمره إلى اللّه**﴾ إلى أن قال: ثم قال تعالى: ﴿**ومن عاد**﴾ أي إلى الربا ففعله بعد بلوغه نهي اللّه عنه، فقد استوجب العقوبة وقامت عليه الحجة ولهذا قال ﴿**فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**﴾ » اهـ.

[**قوله: ﴿المس﴾: الجنون**].

ش / قال أبوعبيدة: «المس من الشيطان والجن، وهو اللمم، وهو ما ألم به، وهو الأولق والألس والزُّؤد هذا كله مثل الجنون» اهـ.

٦٣ ـ حدثنا عمر بن حفص بن غياث(١): حدثنا أبي(٢): حدثنا

---

(١) هو عمر بن حفص بن غياث بن طلق الكوفي، ثقة ربما وهم، من العاشرة، مات سنة اثنتين وعشرين ومئتين (خ م د ت س).

(٢) هو أبو عمر حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعي الكوفي القاضي، ثقة، فقيه، تغير حفظه قليلاً في الآخر، من الثامنة، مات سنة أربع أو خمس وتسعين ومائة (ع).

الأعمش: حدثنا مسلم(١) **عن مسروق**(٢) **عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: (لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة في الربا قرأها رسول اللّه ﷺ على الناس ثم حرم التجارة في الخمر).**

ش / فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله **(لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة).**

قلت:مبدؤها ﴿**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس**﴾ ونهايتها ﴿**وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾.

الثانية: قوله **(في الربا)** هو لغة: الزيادة. لقوله تعالى: ﴿**فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت**﴾ أي علت.

وشرعاً: زيادة في شئ مخصوص وهو المكيل والموزون إما بتفاضل في المكيلات بجنسها و الموزونات بجنسها أو بنسإ في المكيلات بالمكيلات ولو من غير جنسها، والموزونات بالموزونات كذلك، مالم يكن أحدهما نقداً.

واعلم أنه قد تظافر على تحريمه في الجملة الكتاب والسنة والإجماع.

الثالثة: قوله **(قرأها رسول اللّه ﷺعلى الناس)** وعند المصنف في البيوع، باب آكل الربا وشاهده وكاتبه، (قرأهن النبي ﷺ عليهم في المسجد).

قلت: هذا تنويع في العبارة مع الاتفاق في المعنى والمراد: أن رسول اللّه قرأ ﷺ آيات الربا على الناس علناً إعلاماً لهم على سبيل العموم بتحريم الربا.

الرابعة: قوله: **(ثم حرم التجارة في الخمر).**

قلت:التجارة، والاتجار بمعنى البيع والشراء، والخمر: كل ما خامر العقل،

---

(١) هو أبو الضحى مسلم بن صبيح بالتصغير الهمداني الكوفي العطار مشهور بكنيته، ثقة، فاضل، من الرابعة مات سنة مائة. (ع).

(٢) هو أبو عائشة مسروع بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي الكوفي، ثقة فقيه عابد، مخضرم، من الثانية، مات سنة اثنتين ويقال: ثلاث وستين (ع).

ولذا يسمى المسكر خمراً كما في الحديث الصحيح: (كل مسكر خمر وكل خمر حرام) وظاهره أن تحريم الخمر كان بعد نزول آيات الربا، ويشكل عليه أن تحريم الخمر كان في سورة المائدة وهي قبل آيات الربا، قال القاضي كما في شرح النووي (١١/٥): «تحريم الخمر هو في سورة المائدة وهي نزلت قبل آية الربا بمدة طويلة فإن آية الربا آخر ما نزل أو من آخر ما نزل، فيحتمل أن يكون هذا النهي عن التجارة متأخرة عن تحريمها ويحتمل أنه أخبر بتحريم التجارة حين حرمت الخمر ثم أخبر به مرة أخرى بعد نزول آية الربا توكيداً ومبالغة في إشاعته ولعله حضر المجلس من لم يكن بلغه تحريم التجارة فيها قبل ذلك. والله أعلم» اهـ.

قال مقيده: وهذا توجيه جيد ومخرج لطيف يزيل اللبس ويرفع الإشكال وقد تواترت الأحاديث في تحريم بيع الخمر وشرائها من ذلك ما رواه أبو داود في الأشربة باب: العنب يعصر للخمر، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: **(لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمول إليه)** ومنها ما رواه الترمذي في البيوع: باب النهي أن يتخذ الخمر خلاً: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **(لعن رسول الله في الخمر عشرة، عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمول إليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري لها والمشتراة له)** وفي الباب عن كيسان وعبدالرحمن بن غنم وجابر ويحيى بن عباد وغيرهم، ذكر ذلك ابن الأثير في جامع الأصول باب في الخمر وتحريمها والهيثمي في المجمع (٤/٨٧) باب في الخمر وثمنه.

٥٢ ـ [باب ﴿يمحق اللّه الربا﴾]

ش / تمامها ﴿ويربي الصدقات، واللّه لا يحب كل كفار أثيم﴾

فيها ثلاث مسائل:

الأولى: قوله ﴿**يمحق اللّه الربا**﴾ قال ابن جرير (١٠٤/٣):«يعني عزوجل بقوله ﴿**يمحق اللّه الربا**﴾ ينقص اللّه الربا فيذهبه».

وقال ابن كثير (٣٣٦/١): «يخبر اللّه تعالى أنه يمحق الربا أي يذهبه إما بأن يذهبه بالكلية من يد صاحبه أو يحرمه بركة ماله فلا ينتفع به، بل يعدمه به في الدنيا، ويعاقبه عليه يوم القيامة كما قال تعالى ﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾ وقال تعالى ﴿ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم﴾ وقال ﴿**وما أوتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عنداللّه**﴾ الاية » اهـ.

الثانية: قوله: ﴿**ويربي الصدقات**﴾ يعني ينميها ويضاعفها لأصحابها كما قال تعالى ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل اللّه كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة واللّه يضاعف لمن يشاء واللّه واسع عليم﴾.

وقال تعالى: ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة اللّه وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين﴾ الآية.

وأخرج البخاري في الزكاة باب (لا يقبل اللّه صدقة من غلول ولا يقبل إلا من كسب طيب)، عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: (من تصدق بعدل ثمرة من كسب طيب ولا يقبل اللّه إلا الطيب، فإن اللّه يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها، كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل).

الثالثة: قوله ﴿**واللّه لا يحب كل كفار أثيم**﴾ قال ابن سعدي (٢١٨/١): «وهو الذي كفر نعمت اللّه وجحد منة ربه، وأثم بإصراره على معاصيه،

ومفهوم الآيـة، إن اللّـه يحـب مـن كـان شـكوراً علـى النعمـاء، تائبـاً مـن المـآثم والذنوب».

وقال ابن كثير (٣٣٨/١): «أي لا يحب كفور القلب أثيم القـول والفعـل، ولا بد من مناسبة في ختم هذه الآية بهذه الصفة، وهـي أن المرابـي لا يرضـى بمـا قسمه اللّـه له من الحلال ولا يكتفي بما شرع له من الكسب المبـاح، فهـو يسـعى في أكل أموال الناس بالباطل بأنواع المكاسب الخبيثـة، فهـو جحـود لمـا عليـه مـن النعمة ظلوم آثم يأكل أموال الناس بالباطل ».

[﴿يمحق اللّـه الربا﴾ يذهبه].

ش / قاله أبو عبيدة وزاد. كما يمحق القمر، ويمحق الرجل إذا انتقص ماله.

٦٤ ـ حدثنا بشر بن خالد[1] أخبرنا محمـد بـن جعفـر[2] عـن شـعبة عـن سليمان: سمعت أبا الضحى يحدث عن مسـروق عـن عائشـة أنهـا قـالت: (لمـا أنزلت الآيات الأواخر من سورة البقـرة خـرج رسـول اللّـه ﷺ فتلاهـن في المسجد فحرم التجارة في الخمر).

ش / قوله: (لما نزلت الآيات الأواخر من سورة البقرة) بينها في الباب قبلـه بقوله: (في **الربا**) وقد تقدم الحديث.

---

(١) هو أبو محمد بشـر بـن خـالد العسـكري الفرائضـي، نزيـل البصـرة، ثقـة، يغـرب مـن العاشرة، مات سنة ثلاث أو خمس وخمسين ومئتين (خ م د س).

(٢) هو محمد بن جعفر الهذلي، البصري المعروف بغندر، ثقة، صحيح الكتـاب، إلا أن فيـه غفلة، من التاسعة، مات سنة ثلاث أو أربع وتسعين ومائة (ع).

٥٣ ـ باب [﴿فأذنوا بحرب﴾].

ش / قلت السياق ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللّه وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من اللّه ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون**﴾.

قال ابن كثير (٣٣٨/١) في أولاهما: «يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بتقواه، ناهياً لهم عما يقربهم إلى سخطه ويبعدهم عن رضاه فقال: يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللّه، أي خافوه وراقبوه في فيما تفعلوه ﴿وذروا ما بقي من الربا﴾ أي اتركوا مالكم على الناس من الزيادة على رؤوس الأموال، بعد هذا الإنذار ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ أي بما شرع اللّه لكم من تحليل البيع وتحريم الربا وغير ذلك».

وقوله: ﴿**فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من اللّه ورسوله**﴾ قال البغوي (٢٦٤/١): «أي إذا لم تذروا ما بقي من الربا فأذنوا بحرب من اللّه ورسوله، قرأ حمزة وعاصم برواية أبي بكر، فآذنوا بالمد على وزن آمنوا أي فأعلموا غيركم أنكم حرب لله ورسوله وأصله من الأذن، أي وقعوا في الأذان، وقرأ الآخرون (فأذنوا) مقصورة، بفتح الذال، أي فاعلموا أنتم وأيقنوا بحرب من اللّه ورسوله.

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي اللّه عنهما يقال لآكل الربا يوم القيامة: خذ سلاحك للحرب.

قال أهل المعاني: حرب اللّه النار وحرب رسول اللّه السيف.

﴿وإن تبتم﴾ أي تركتم استحلال الربا ورجعتم عنه، فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون بطلب الزيادة ولا تظلمون بالنقصان عن رأس المال.

فلما نزلت الآية قال بنو عمرو الثقفي ومن كان يعامل بالربا من غيرهم بل نتوب إلى اللّه، فإنه لا يدان لنا بحرب اللّه ورسوله فرضوا برأس المال».اهـ

قلت:وفي الآيتين وما قبلهما دليل على تحريم الربا وأنه من الكبائر وأن التوبة منه واجبة.

[فأذنوا: اعلموا]

ش / هو تفسير للآية على قراءة عامة قراء المدينة وهي قراءة مشهورة وقال أبو عبيدة: «فأذنوا أيقنوا، تقول آذنتك بحرب، فأذنت به»

٦٥ ـ حدثني محمد بن بشار: حدثنا غندر: حدثنا شعبة عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة قالت لما أنزلت الآيات من آخر سورة البقرة قرأهن النبي ﷺ في المسجد وحرم التجارة في الخمر.

ش/ تقدم.

٥٤ -[باب ﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾].

ش / قال ابن كثير (١/٣٣٩): «يأمر تعالى بالصبر على المعسر الذي لا يجد وفاء فقال ﴿**وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة**﴾ لا كما كان أهل الجاهلية يقول أحدهم لمدينه إذا حل عليه الدين إما أن تقضي وإما أن تربي، ثم يندب إلى الوضع عنه ويعد على ذلك الخير والثواب الجزيل فقال ﴿وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ أي وإن تتركوا رأس المال بالكلية وتضعوه عن المدين»اهـ.

وقال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي (١/ ٢١٩): «أي وإن كان الذي عليه الدين معسرا لا يقدر على الوفاء وجب على غريمه أن ينظره إلى ميسرة وهو يجب عليه إذا حصل له وفاء بأي طريق مباح أن يوف ما عليه، وإن تصدق عليه غريمه بإسقاط الدين كله أو بعضه فهو خير له»اهـ.

قلت:وقد جاءت الأخبار المستفيضة عن النبي ﷺ بالترغيب في إنظار المعسر والوضع عنه من ذلك ما رواه أحمد ومسلم عن أبي قتادة عن النبي ﷺ قال: (من نفس عن غريمه أو محا عنه كان في ظل العرش يوم القيامة) وروى مسلم عن أبي هريرة رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ قال: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس اللّه عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر اللّه عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره اللّه في الدنيا والآخرة واللّه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) الحديث.

٦٦ - وقال لنا محمد بن يوسف[(١)] عن سفيان عن منصور والأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة قالت: لما أنزلت الآيات من آخر سورة

---

(١) هو محمد بن يوسف بن واقد بن عثمان الضبي مولاهم الفريابي نزيل قيسارية من ساحل الشام، ثقة، فاضل، يقال أخطأ في شئ من حديث سفيان، وهو مقدم فيه، مع ذلك عندهم على عبدالرزاق، من التاسعة، مات سنة اثنتي عشرة ومئتين (ع).

البقرة قام رسول اللّـه ﷺ فقرأهن عليهم ثم حرم التجارة في الخمر).

ش / قوله: (**وقال لنا محمد بن يوسف**) قال القسطلاني (٧/٤٧): (وقال لنا) سقط (لنا) لأبي ذر ومحمد بن يوسف الفريابي مذاكرة مما هو موصول في تفسيره.

قلت: فمحمد بن يوسف هو شيخ البخاري يدل لذلك ما نقله المزي في التهذيب (٢٧/٥٢) في ترجمة محمد بن يوسف الفريابي عن البخاري قال: «رأيت قوماً دخلوا إلى محمد بن يوسف الفريابي فقيل لمحمد بن يوسف يا أبا عبداللّـه إن هؤلاء مرجئة فقال أخرجوهم فتابوا ورجعوا، وقال: استقبلنا أحمد بن حنبل وهو يريد حمص ونحن خارجون من حمص وفاته محمد بن يوسف».

وقد مضى الحديث مراراً.

ويناسب في ختام الأبواب المتعلقة بالربا أن نذكر الحكمة في تحريمه:

أولاً: الظلم الواضح فيه لا سيما في الربا، في الديون وربا القرض وذلك أنه أخذ مال بغير عوض وهذا هو عين الظلم.

ثانياً: التربية على الكسل والخمول والابتعاد عن الاشتغال بالمكاسب المباحة النافعة ومنها السعي في الأرض.

ثالثاً: انقطاع المعروف بين الناس والتعاون والتراحم والمواساة والإحسان فيما بينهم.

٥٥ -[باب ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى اللّه﴾]

ش / تمامها ﴿ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾

«يعني بذلك جل ثناؤه واحذروا أيها الناس يوماً ترجعون فيه إلى اللّه فتلقونه فيه أن تردوا عليه بسيئآت تهلككم أو بمخزيات تخزيكم أو بفضيحات تفضحكم فتهتك أستاركم أو بموبقات توبقكم فتوجب لكم من عقاب اللّه مالا قبل لكم به وأنه يوم مجازاة الأعمال لا يوم استعتاب ولا يوم استقالة وتوبة وإنابة ولكنه يوم جزاء وثواب ومحاسبة توفى فيه كل نفس أجرها على ما قدمت واكتسبت من سيئ وصالح لا يغادر فيه صغيرة ولا كبيرة من خير وشر إلا أحضر فتوفى جزاؤها بالعدل من ربها وهم لا يظلمون. كيف يظلم من جوزي بالإساءة مثلها والحسنة عشر أمثالها». انتهى محل الغرض من تفسير ابن جرير.

٦٧ - حدثنا قبيصة بن عقبة[1]: حدثنا سفيان عن عاصم عن الشعبي عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: (آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا).

ش / فيه مسألتان:

الأولى: قوله (**آخر آية نزلت على النبي ﷺ**) وقع عند النسائي في التفسير باب قوله تعالى **﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى اللّه﴾** برواية عكرمة قال: آخر شيء نزل من القرآن **﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى اللّه﴾** وكذا أخرجه ابن جرير (١١٥/٨).

قال الحافظ في الجمع بين الروايتين (٢٠٥/٨) : «وطريق الجمع بين هذين القولين أن هذه الآية هي ختام الآيات المنزلة في الربا إذ هي معطوفة عليهن» اهـ

قال مقيده: واعلم هدانا اللّه وإياك إلى مراشد أمورنا أنه قد اختلفت الروايات اختلافاً كثيراً في هذا الباب، وممن ذكر الاختلاف فيه الزركشي في

(١) هو أبو عامر قبيصة بن عقبة بن محمد بن سفيان السوائي الكوفي، صدوق ربما خالف من التاسعة مات سنة خمس عشرة ومئتين على الصحيح (ع).

البرهان (١/٢٠٩) وقد نقل كلاماً نفيساً بين اختلاف الروايات في ذلك عن القاضي أبي بكر الباقلاني حيث قال (ص ٢١٠): «قال القاضي أبو بكر في الانتصار وهذه الأقوال ليس في شئ منها ما رفع إلى النبيﷺ ويجوز أن يكون قاله قائله بضرب من الاجتهاد وتغليب الظن، وليس العلم بذلك من فرائض الدين حتى يلزم ما طعن به الطاعنون من عدم الضبط ويحتمل أن كلاً منهم أخبر عن آخر ما سمعه من رسول اللّه ﷺ في اليوم الذي مات فيه أو قبل مرضه بقليل وغيره سمع منه بعد ذلك، وإن لم يسمعه هو لمفارقته له ونزول الوحي عليه بقرآن بعده ويحتمل أيضاً أن تنزل الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول ﷺ مع آيات نزلت معها فيؤمر برسم ما نزل معها وتلاوتها عليهم بعد رسم ما نزل آخراً وتلاوته فيظن السامع ذلك أنه آخر ما نزل في الترتيب.

الثانية: في المطابقة بين الحديث وآية الترجمة، قال القسطلاني ـ رحمه اللّه ـ (٤٧/٧):«واقتضى صنيع المؤلف في هذه التراجم أن المراد بالآيات آيات الربا كلها إلى آية الدين»، وقال العيني رحمه اللّه ـ (٤٩/١٥): « قيل لا مطابقة بين الترجمة والحديث على مالا يخفى، وأجيب بأنه روي عن ابن عباس أيضاً من وجه آخر، أن آخر آية نزلت على النبي ﷺ ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى اللّه﴾ أخرجه الطبري من طرق عنه ولعله أراد أن يجمع بين قولي ابن عباس. **قلت**:يعني بالاشارة فافهم»اهـ.

٥٦ ـ[باب ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به اللّه فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء واللّه على كل شئ قدير﴾].

ش/ قلت صدر الآية ﴿ **لله ما في السموات وما في الأرض**﴾.

يخبر جل ثناؤه عن سعة ملكه وعظيم سلطانه وذلك أن كل ما في السموات والأرض ليس له شريك فيه، ثم أخبر بعد ذلك عن سعة علمه وعظيم قدرته فقال ﴿**وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به اللّه**﴾ والمعنى أنه قد توعد بالمحاسبة على كل عمل ظهر أو أخفي في النفس وبما أنه لا يسأل عما يفعل فإنه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴿**واللّه على كل شئ قدير**﴾.

٦٨ ـ حدثنا محمد[١] حدثنا النفيلي[٢]: حدثنا مسكين[٣] عن شعبة عن خالد الحذاء[٤] عن مروان الأصفر[٥] عن رجل من أصحاب النبي ﷺ وهو ابن عمر أنها قد نسخت ﴿وإن تبدوا مافي أنفسكم أو تخفوه﴾ الآية.

ش / قوله (أنها قد نسخت ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه﴾).

قلت:روى الإمام مسلم في كتاب الإيمان: باب: بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق، عن أبي هريرة قال لما نزلت على رسول اللّه ﷺ ﴿ **لله ما**

---

(١) قال القسطلاني (٧/٤٧): ((محمد غير منسوب فقيل هو ابن يحيى الذهلي، قاله الكلاباذي، وقيل ابن إبراهيم البوشنجي قاله الحاكم، وقيل ابن إدريس الرازي))اهـ.
قلت: فكل أولئك ثقات حفاظ والأول والثاني من شيوخ البخاري فمحمد هذا هو أحدهما.

(٢) هو أبو جعفر عبداللّه بن محمد بن علي بن نفيل النفيلي الحراني، ثقة حافظ من كبار العاشرة، (خ٤).

(٣) هو أبو عبدالرحمن مسكين بن بكير الحراني الحذاء صدوق يخطئ، وكان صاحب حديث من التاسعة، مات سنة ثمان وتسعين ومائة (خ م د س).

(٤) هو أبو المنازل خالد بن مهران الحذاء، ثقة، يرسل، من الخامسة، (ع).

(٥) هو أبو خليفة البصري، قيل اسم أبيه: خاقان، وقيل، سالم، ثقة من الرابعة (خ،م،د،ت).

السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به اللّه فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء واللّه على كل شئ قدير﴾ فاشتد ذلك على أصحاب رسول اللّه ﷺ فأتوه ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا أي رسول اللّه كُلفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول اللّه ﷺ أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا، بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم فأنزل اللّه في إثرها **﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن باللّه وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾** فلما فعلوا ذلك نسخها اللّه، فأنزل اللّه عزوجل **﴿لا يكلف اللّه نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾** قال نعم **﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا﴾** قال نعم **﴿ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به﴾** قال نعم **﴿واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾** قال نعم .

وأخرج في الباب نفسه عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية، **﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به اللّه﴾** قال دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شئ فقال النبي ﷺ قولوا: (سمعنا وأطعنا وسلمنا) قال فألقى اللّه الإيمان في قلوبهم، فأنزل اللّه تعالى **﴿لا يكلف اللّه نفسا إلا وسعها لها كسبت وعليها ما اكتسبت، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾** قال قد فعلت **﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا﴾** قال قد فعلت، **﴿واغفرلنا وارحمنا أنت مولانا﴾** قال قد فعلت.

وأخرج ابن جرير (١٤٦/٣) عن محمد بن كعب القرظي في جماعة من

أهل التفسير قالوا: نسخت هذه الآية ﴿**لا يكلف اللّه نفساً إلا وسعها**﴾ ﴿**إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه**﴾ الآية.

فقد دلت هذه الأخبار مجتمعة كما ترى على ثلاثة أمور:

أولاً: النص صراحة على بيان الناسخ والمنسوخ.

ثانياً: تحرج أصحاب النبي ﷺ من وعيد اللّه إياهم بالمحاسبة على ما تضمره أنفسهم من الحديث.

ثالثاً: استجابتهم لأمر النبي ﷺ إياهم بالسمع والطاعة، والحذر من التشبه لأهل الكتابين في قولهم (**سمعنا وعصينا**) واعلم أن أهل العلم بالتفسير وغيرهم قد اختلفت أقوالهم اختلافاً كثيراً في الآية من حيث النسخ وعدمه، إليك ما حكاه البغوي في ذلك (١/٢٧١): «اختلف العلماء في هذه الآية، فقال قوم: هي خاصة ثم اختلفوا في وجه خصوصها، فقال بعضهم هي متصلة بالآية الأولى نزلت في كتمان الشهادة معناه وإن تبدوا ما في أنفسكم أي الشهود من كتمان الشهادة أو تخفوا الكتمان يحاسبكم به اللّه، وهو قول الشعبي وعكرمة، وقال بعضهم: نزلت فيمن يتولى الكافرين من دون المؤمنين يعني وإن تعلنوا ما في أنفسكم من ولاية الكفار أو تسروه يحاسبكم به اللّه وهو قول مقاتل كما ذكر في سورة آل عمران، ﴿**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين**﴾ إلى أن قال ﴿**قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه اللّه**﴾ وذهب الأكثرون إلى أن الآية عامة، ثم اختلفوا فيها، فقال قوم: هي منسوخة بالآية التي بعدها » ثم ذكر حديث أبي هريرة وابن عباس المتقدمين إلى أن قال (ص ٢٧٢): «وهذا قول ابن مسعود وابن عباس رضي اللّه عنهما وابن عمر وإليه ذهب محمد بن سيرين ومحمد بن كعب وقتادة والكلبي... إلى أن قال: وقال بعضهم: الآية غير منسوخة، لأن النسخ لا يرد على الأخبار إنما يرد على الأمر والنهي، وقوله ﴿**يحاسبكم به اللّه**﴾ خبر، لا يرد عليه النسخ، ثم اختلفوا في تأويلها فقال قوم:

قد أثبت اللّـه تعالى للقلب كسباً فقال: ﴿**بما كسبت قلوبكم**﴾ فليس لله عبد أسر عملاً وأعلنه من حركة من جوارحه أو همة في قلبه إلا يخبره اللّـه به ويحاسبه عليه ثم يغفر ما يشاء ويعذب بما يشاء، وهذا معنى قول الحسن يدل عليه قوله ﴿**إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلاً**﴾ وقال الآخرون: معنى الآية. إن اللّـه عزوجل يحاسب خلقه بجميع ما أبدوا من أعمالهم أو أخفوه ويعاقبهم عليه غير أن معاقبته على ما أخفوه مما لم يعملوه بما يحدث لهم في الدنيا من النوائب والمصائب والأمور التي يحزنون عليها وهذا قول عائشة رضي اللّـه عنها ثم ذكر حديثين في ذلك ثم قال: وقال بعضهم: ﴿**وإن تبدوا ما في أنفسكم**﴾ يعني ما في قلوبكم مما عزمتم عليه أو تخفوه يحاسبكم به اللّـه ولا تبدوه وأنتم عازمون عليه ﴿**يحاسبكم به اللّـه**﴾ فأما ما حدثت به أنفسكم مما لم تعزموا فإن ذلك ممالا يكلف اللّـه نفساً إلا وسعها، ولا يؤاخذكم به دليله قوله تعالى: ﴿**لايؤاخذكم اللّـه باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم**﴾ إلى أن قال: وقيل معنى المحاسبة: الإخبار والتعريف، ومعنى الآية ﴿**وإن تبدوا ما في أنفسكم**﴾ فتعملوا به أو تخفوه مما أضمرتم ونويتم ﴿**يحاسبكم به اللّـه**﴾ ويخبركم به ويعرفكم إياه، ثم يغفر للمؤمنين إظهاراً لفضله ويعذب الكافرين إظهاراً لعدله وهذا معنى قول الضحاك، ويروى عن ابن عباس رضي اللّـه عنهما يدل عليه أنه قال: ﴿**يحاسبكم به اللّـه**﴾ ولم يقل يؤاخذكم به، والمحاسبة غير المؤاخذة. ثم استدل رحمه اللّـه بحديث: (إن اللّـه تعالى يدني المؤمن حتى يضع عليه كتفه يستره من الناس) الحديث». انتهى ملخصاً.

وقال الحافظ (٢٠٧/٨): «قوله (نسختها الآية التي بعدها) المراد بقوله (نسختها) أي أزالت ما تضمنته من الشدة وبينت أنه وإن وقعت المحاسبة به لكنها لا تقع المؤاخذة به، أشار إلى ذلك الطبري فراراً من إثبات النسخ في الأخبار، وأجيب بأنه وإن كان خبراً لكنه يتضمن حكماً، ومهما كان من

الأخبار يتضمن الأحكام، أمكن دخول النسخ فيه كسائر الأحكام، وإنما الذي لا يدخله النسخ من الأخبار ما كان خبراً محضاً لا يتضمن حكماً كالاخبار عما مضى من أحاديث الأمم وغير ذلك ويحتمل أن يكون المراد بالنسخ في الحديث التخصيص، فإن المتقدمين يطلقون لفظ النسخ عليه كثيراً، والمراد بالمحاسبة بما يخفى الإنسان، ما يصمم عليه ويشرع فيه دونما يخطر له ولا يستمر عليه. والله أعلم» اهـ.

قال مقيده عفا الله عنه وأحسن عاقبته: ونحن نرى أن النسخ هو الراجح ويدل له أمران:

أحدهما: أنه قول من مرّ ذكرهم من أهل العلم وهم الجمهور.

وثانيهما: شدة وقع الآية على أصحاب النبي ﷺ كما مر في حديثي أبي هريرة وابن عباس، وتخوف القوم منها، وما ذلك إلا أنهم فهموا من الآية أنها وإن كانت خبراً فالمراد بها الأمر بمراقبة الله وأنه مؤاخذهم على ما تضمره نفوسهم وما تعلنه على السواء، والله أعلم.

٥٧ -[باب ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾]

ش / تمامها: ﴿... **والمؤمنون كل آمن باللّه وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**﴾.

قوله ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه**﴾ قال ابن جرير (٣/١٥١): «يعني بذلك جل ثناؤه، صدق الرسول، يعني رسول اللّه ﷺ فأقر بما أنزل إليه، يعني بما أوحي إليه من ربه من الكتاب، وما فيه من حلال وحرام ووعد ووعيد وأمر ونهي، وغير ذلك من سائر ما فيه من المعاني التي حواها».

قوله ﴿**والمؤمنون...**﴾ قال ابن كثير (١/٣٥٠): «عطف على الرسول، ثم أخبر عن الجميع فقال ﴿**كل آمن باللّه وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله**﴾ فالمؤمنون يؤمنون بأن اللّه واحد أحد فرد صمد لا إله غيره ولا رب سواه، ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من السماء على عباد اللّه المرسلين والأنبياء لا يفرقون بين أحد منهم، فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، بل الجميع عندهم صادقون بارون راشدون مهديون هادون إلى سبيل الخير، وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن اللّه حتى نسخ الجميع بشرع محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تقوم الساعة على شريعته ولا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين.

وقوله ﴿**وقالوا سمعنا وأطعنا**﴾ أي سمعنا قولك يا ربنا وفهمناه وقمنا به وامتثلنا العمل بمقتضاه ﴿غفرانك﴾ سؤال للمغفرة والرحمة واللطف،... إلى أن قال ﴿**إليك المصير**﴾ إليك المرجع والمآب يوم الحساب».

شرح جملة من الكلمات والآثار:

١ - [**وقال ابن عباس ﴿إصراً﴾ عهداً**].

ش / أخرجه ابن جرير ثني المثنى ثنا عبيداللّه ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس:... فذكره. وبه قال مجاهد والسدي وابن جريج والربيع وأخرج المعنى عن

قتادة والضحاك وهو **أحد** ثلاثة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: لا تمسخنا قردة وخنازير. وهو قول عطاء وابن زيد.

وثالثها: أنه الثقل. وبه قال مالك والربيع بن أنس في الرواية الثانية عنه، واختار ابن جرير في شرحه للآية الأول وهو قول الأكثرين كما ترى.

٢ - [ويقال ﴿غفرانك﴾ مغفرتك فاغفرلنا].

ش / قاله أبو عبيدة.

٦٩ ـ حدثني إسحاق بن منصور[١] أخبرنا روح أخبرنا شعبة عن خالد الحذاء عن مروان الأصفر عن رجل من أصحاب رسول اللّه ﷺ قال أحسبه ابن عمر ﴿إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه﴾ نسختها الآية التي بعدها.

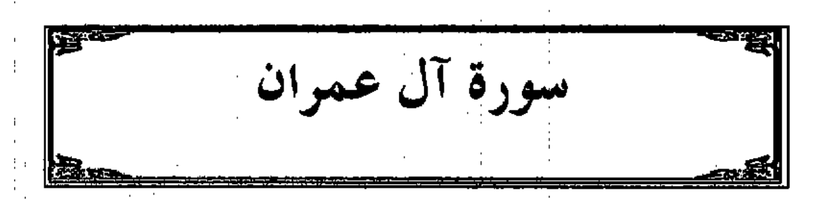
ش / قوله (أحسبه ابن عمر) أي أظنه، والقائل هو مروان ابن الأصفر. وقد قال في الرواية السابقة هو ابن عمر بالجزم.

قال القسطلاني (٧/٤٨): «قال: ـ أي الأصفر ـ أحسبه أي الرجل المبهم ابن عمر، جزم في السابقة به، فلعل قوله هنا (**أحسبه**) كان قبل جزمه وكان قد نسي ثم ذكر.

آخر تفسير سورة البقرة والحمد لله

---

(١) هو أبو يعقوب إسحاق بن منصور بن بهرام الكوسج التميمي المروزي، ثقة، ثبت، من الحادية عشرة، مات سنة إحدى وخمسين ومئتين (خ م ت س ق).



٥٨ -[باب تفسير سورة آل عمران].

ش : شاهد التسمية **﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾**.

قلت: وعمران هو ابن ماثان والد مريم أم عيسى عليهما الصلاة والسلام وأخرج مسلم والترمذي وأحمد والبخاري في تاريخه عن النواس بن سمعان قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يؤتى بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران، قال: وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما ظلتان سوداوان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما) وهي مدنية قال القرطبي: بالاجماع، وآياتها مئتا آية، وجل هذه السورة الكريمة في التوحيد والقصص.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [تقاة وتقية واحدة].

ش : قاله أبو عبيدة والآية المشار إليها ﴿**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة**﴾.

٢ - [﴿ صِر ﴾ : برد].

ش : أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وعكرمة وقتادة والربيع والسدي والضحاك وابن زيد، وقال ابو عبيدة: الصر: شدة البرد وعصوف من الريح، والآية المشار إليها ﴿**مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته**﴾.

٣ - [﴿شفا حفرة﴾ مثل شفا الركية وهو حرفها].

ش : قاله أبو عبيدة، والآية المشار إليها ﴿**وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها**﴾.

٤ - [﴿تبوء﴾ تتخذ معسكراً].

ش : قال أبو عبيدة: «متخذاً لهم مصافاً معسكراً، والآية المشار إليها ﴿**وإذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنين مقاعد للقتال**﴾».

٥ - [﴿المسوم﴾ الذي له سيماء بعلامة أو بصوفة أو بما كان].

ش : قال أبو عبيدة: «المسومة المعلمة بالسيماء ويجوز أن تكون مسومة مرعاة من أسمتها تكون هي سائمة والسائمة الراعية.وربها يسيمها» .

والآية المشار إليها ﴿**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة**﴾.

٦ - [﴿ربّيون﴾ الجموع.واحدها ربّيٌ].

ش : قال أبو عبيدة: «الربيون: الجماعة الكثيرة والواحد منها ربي»، انتهى.

وأخرج ابن جرير نحوه عن ابن عباس وعكرمة والحسن ومجاهد والربيع والضحاك والسدي وابن إسحاق. وهو أحد ثلاثة أقوال حكاها في الآية **وثانيها** أنه بمعنى علماء وفقهاء وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية والحسن، **وثالثها** : أنهم الأتباع وهو قول ابن زيد، واختار ابن جرير في شرحه أولها.

والآية المشار إليها ﴿**وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل ا لله وما ضعفوا وما استكانوا وا لله يحب الصابرين**﴾.

٧ - [﴿**تحسونهم** ﴾ **تستأصلونهم قتلا**].

ش : قاله أبو عبيدة وزاد، يقال حسسناهم من عند آخرهم أي استأصلناهم، قال رؤبة:

إذا شكونا سنة حسوسا تأكل بعد الأخضر اليبسا .

والآية المشار إليها: ﴿**ولقد صدقكم ا لله وعده إذ تحسونهم بإذنه** ﴾.

٨ - [﴿**غزاً** ﴾ **واحدها غاز**].

ش : قال أبو عبيدة: «لا يدخلها رفع ولا جر لأن واحدها غاز. فخرجت مخرج قائل وقُوَّل فُعَّل قال رؤبة:

وقول إلاده فلاده ... ...»

والآية المشار إليها ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا** ﴾ الآية.

٩ - [﴿ **سنكتب** ﴾ **سنحفظ**].

ش : قاله ابو عبيدة.

والآية المشار إليها ﴿**سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق**﴾.

١٠ - [﴿**نزلاً**﴾ **ثواباً ويجوز ومنزل من عند ا لله كقولك أنزلته**].

ش: قاله أبو عبيدة، وفي (**نزل**) قولان:**أحدهما** مصدر **والآخر** أنه جمع

نازل.

كقول الأعشى:

أو تنزلون فإنا معشر نزل: أي نزول.

وفي نصب نزلاً في الآية أقوال منها: أنه منصوب على المصدر المؤكد لأن معنى لهم جنات ننزلهم جنات نزلاً، وعلى هذا يتخرج التأويل الأول لأن تقديره ينزلهم جنات رزق وعطاء من عند الله.

ومنها: أنه حال من الضمير في فيها. أي منزلة على أن نزلاً مصدر بمعنى المفعول وعلى هذا يتخرج التأويل الثاني، قاله الحافظ، والآية المشار إليها ﴿**نزلاً من عندا لله وا لله عنده حسن الثواب**﴾.

١١ - [**وقال مجاهد ﴿والخيل المسومة﴾ المطهمة الحسان**].

ش : أخرجه ابن جرير ثنا الحسن بن يحيى: أخبرنا عبدالرزاق: أخبرنا الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن مجاهد فذكره.

١٢ - [**وقال سعيد بن جبير وعبدا لله بن عبدالرحمن بن ابزى: الراعية المسومة**].

ش : أما اثر سعيد بن جبير فأخرجه ابن جرير، ثنا الحسن بن يحيى: أخبرنا عبدالرزاق: أخبرنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير فذكره وأما أثر عبدا لله بن عبدالرحمن بن أبزى فأخرجه أيضاً ابن جرير: ثنا ابن وكيع: ثنا أبي: عن طلحة القناد: سمعت عبدا لله بن عبدالرحمن بن أبزى.

وفي الآية قولان آخران حكاهما ابن جرير أحدهما أنها المعلمة. وبه قال ابن عباس وقتادة وثانيهما أنها المعدة للجهاد، وهو قول ابن زيد واختار ابن جرير أنها المعلمة بالشياة الحسان الرائعة حسناً من رآها.

قلت: وهذا يجمع بين القولين الأول والثالث، والآية المشار إليها تقدمت في الأثر الخامس.

١٣ - [وقال ابن جبير ﴿وحصوراً﴾ لا يأتي النساء].

ش : أخرجه ابن جرير: ثنا ابن بشار: ثنا عبدالرحمن: ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير...فذكره.

وأخرجه عن مجاهد وقتادة وابن زيد والرقاش، وأخرج نحوه عن ابن عباس والضحاك والسدي والحسن والآية المشار إليها **﴿إن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين﴾**.

١٤ - [وقال عكرمة ﴿من فورهم﴾ من غضبهم يوم بدر].

ش : أخرجه ابن جرير: ثنا محمد بن المثنى: ثنا عبدالأعلى: ثنا داود عن عكرمة فذكره.

وأخرج في المعنى عن أبي صالح ومجاهد والضحاك وهو أحد قولين حكاهما في الآية **وثانيهما**: أنه بمعنى «من وجههم هذا» وبه قال ابن عباس وعكرمة وقتادة والسدي وابن زيد.

قلت: والقولان متقاربان والله أعلم والآية المشار إليها **﴿بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا﴾**.

١٥ - [وقال مجاهد ﴿يخرج الحي من الميت﴾ النطفة تخرج ميتة، ويخرج منها الحي].

ش : أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثني أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: (الناس الأحياء من النطف، والنطف ميتة، ويخرجها من الناس الأحياء والأنعام).

وأخرج في المعنى عن الضحاك وابن مسعود والسدي وإسماعيل بن أبي خالد وقتادة وابن زيد والآية المشار إليها: **﴿وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي﴾**.

١٦ - [﴿الإبكار﴾ أول الفجر].

ش : أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

١٧ - [﴿والعشي﴾ ميل الشمس، أراه إلى أن تغرب].

ش : أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

والآية المشار إليها **﴿واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والإبكار﴾**.

٥٩ -[باب ﴿منه آيات محكمات ﴾]

ش : نص الآية تامة **﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذي في قلوبهم زيغ فيتبعو[illegible] ا تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا ا لله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾.**

قوله: **﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب ﴾** قال ابن جرير (٣/ ١٧٠): «يعني بالكتاب القرآن».

وقوله **﴿منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾** قال ابن كثير (١/ ٣٥٢): « يخبر تعالى أن في القرآن **﴿آيات محكمات هن أم الكتاب﴾** أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات أ[illegible] ما اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى، ومن عكس انعكس، ولهذا قال تعالى **﴿هن أم الكتاب ﴾** أي أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه **﴿وأخر متشابهات﴾** أي تحتمل دلالتها موافقة المحكم وقد تحتمل شيئاً آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد»اهـ

وقوله **﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾** قال الشيخ عبدالرحمن السعدي (١/ ٢٣٠): «فالذين في قلوبهم مرض وزيغ وانحراف لسوء قصدهم يتبعون المتشابه منه فيستدلون به على مقالاتهم الباطلة وآرائهم الزائفة، طلباً للفتنة وتحريفاً للكتاب وتأويلاً له على مشاربهم ومذاهبهم ليضلوا ويضلوا» اهـ.

قوله **﴿وما يعلم تأويله إلا ا لله﴾** قال القنوجي في تفسيره (٢/ ١٨٤): «التأويل يكون بمعنى التفسير كقولهم تأويل هذه الكلمة على كذا أي تفسيرها ويكون بمعنى ما يؤول الأمر إليه واشتقاقه من آل الأمر إلى كذا يؤول إليه، أي

صار وأولته تأويلاً أي صيرته وهـذه الجملـة حاليـة، أي: يتبعـون المتشـابه لابتغـاء تأويله. والحال أنه ما يعلم تأويله إلا ا لله »اهـ.

وقوله ﴿**والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا...** ﴾ الخ.

قال البغوي (١/٢٨٠): «اختلف العلماء في نظم هذه الآية فقال قوم: الواو في قوله ﴿**والراسخون** ﴾ واو العطف يعني أن تـأويل المتشـابه يعلمـه ا لله ويعلمـه الراسخون في العلم وهم مع علمهم يقولون آمنـا بـه وهـذا قـول مجـاهد والربيـع، وعلى هذا يكون قوله ﴿**يقولون**﴾ حالاً معناه: والراسخون في العلـم مـع علمهـم قـائلين آمنـا بـه... إلى أن قـال وذهـب الأكـثرون إلى أن الـواو في قولـه ﴿**والراسخون**﴾ واو الاستئناف وتم الكلام عند قوله ﴿**وما يعلـم تأويلـه إلا ا لله** ﴾ وهو قول أبي بن كعب وعائشـة وعـروة بـن الزبـير رضـي ا لله عنهـم وروايـة طاووس عن ابن عباس رضي ا لله عنهما وبه قال الحسن وأكـثر التـابعين واختـاره الكسائي والفراء والأخفش، وقالوا لا يعلم تأويل المتشابه إلا ا لله ويجوز أن يكون في القرآن تأويل استأثر ا لله بعلمه ولم يطلع عليه أحداً من خلقه كما استأثر بعلـم الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخـروج الدجـال ونـزول عيسـى عليـه الصلاة والسلام ونحوها والخلق متعبدون في المتشابه بالإيمان به وفي المحكم بالإيمـان به والعمل... إلى أن قال بعـد تـأييد ذلـك، وقـال ابـن عبـاس رضـي ا لله عنهمـا ومجـاهد والسـدي بقولهـم: ﴿**آمنـا بـه**﴾، سمـاهم ا لله تعـالى راسـخين في العلـم فرسوخهم في العلم قولهـم آمنـا بـه أي بالمتشـابه ﴿**كـل مـن عنـد ربنـا**﴾ المحكـم والمتشابه والناسخ والمنسوخ، وما علمنا وما لم نعلم، ﴿**وما يذكر** ﴾ ما يتعـظ بمـا في القرآن إلا أولو الألباب ذوو العقول » اهـ.

شرح جملة من الآثار والكلمات

١- [وقال مجاهد: ﴿محكمـات﴾ الحـلال والحـرام ﴿وأخـر متشـابهات﴾ يصدق بعضه بعضاً كقوله تعالى ﴿ومـا يضـل بـه إلا الفاسـقين﴾ وكقولـه جـل

ذكره ﴿ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون﴾ وكقوله ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو، ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد فذكره.وهو **أحد** خمسة أقوال حكاها في الآية.

ثانيها: أن المحكمات المعمول بهن وهن الناسخات والمتشابهات المتروك العمل بهن وبه قال ابن عباس وابن مسعود وقتادة والربيع والضحاك.

وثالثها: أن المحكمات ما لم يحتمل من التأويل غير وجه واحد والمتشابهات ما احتمل من التأويل أوجهاً وهو قول محمد بن جعفر بن الزبير.

ورابعها: أن المحكمات ما أحكم الله فيه من آي القرآن وغيرها والمتشابهات هو ما اشتبهت الألفاظ به من آي القرآن وغيرها وهو قول ابن زيد.

وخامسها: أن المحكم ما عرف العلماء تأويله والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل، وهذا قول ذكر عن جابر بن عبد الله بن رباب.

قلت: ونحن نختار قول مجاهد؛ لأنه لا يخالف في المعنى ما قدمناه في شرح الآية.

٢- [**﴿زيغ﴾ شك**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.وأخرج في المعنى عن ابن عباس ومحمد بن جعفر وابن مسعود.

٣- [**﴿ابتغاء الفتنة﴾ المشتبهات**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ماقبله.

٤- [﴿والراسخون في العلم﴾ يعلمون ﴿يقولون آمنا به﴾].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

٧٠ـ حدثنا عبد الله بن مسلمة[(١)]، حدثنا يزيد بن إبراهيم التستري[(٢)]، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم بن محمد[(٣)]، عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذّكر إلا أولوا الألباب﴾ قالت: قال رسول الله ﷺ: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم».

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «**تلا رسول الله ﷺ** » **قلت:** وعند أبي داود «قرأ» وهما بمعنى، وعند الترمذي من رواية أبي عامر الخذاء «قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﴿**فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله**﴾» وأخرج من رواية عبد بن حميد عن أبي داود الطيالسي «قالت: سئل رسول الله ﷺ».ويمكن الجمع بأن تلاوة الآيات وتفسير النبي ﷺ لها بالحديث كان جواباً لسؤال، والسائل يمكن أن يكون مرة عائشة، ومرة غيرها.

الثانية: قوله «**فإذا رأيتِ**» كذا بكسر التاء خطاب لعائشة ووقع لمسلم في العلم باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، وأبي داود في السنة باب النهي عن

(١) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبي الحارثي، البصري أصله من المدينة وسكنها مدة، ثقة كان ابن معين وابن المديني لا يقدمّان عليه في الموطأ أحداً، من صغار التاسعة، مات في سنة إحدى وعشرين [ومائتين] بمكة. خ.م.د.ت.س.

(٢) هو أبو سعيد يزيد بن إبراهيم التستري نزيل البصرة، ثقة ثبت إلا في روايته عن قتادة ففيها لين، من كبار السابعة، مات سنة ثلاث وستين [ومائة] على الصحيح.(ع).

(٣) هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي، ثقة، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة.قال أيوب: ما رأيت أفضل منه، من كبار الثالثة، مات سنة ست ومائة على الصحيح.(ع).

الجدال «**إذا رأيتم**» مجموعاً وكذا هو عند الترمذي من طريق عبد بن حميد، والتوفيق أن رسول الله ﷺ خاطب مرة عائشة مفردة وخاطبها مرة في جماعة.

الثالثة: قوله «﴿**يتبعون ما تشابه منه**﴾» **قلت**: هذا هو وجه مطابقة الحديث للآية وقد مضى تفسيره في شرحها.

الرابعة: قوله «**فاحذروهم**» **قلت**: أخرجه الترمذي من رواية أبي عامر بلفظ «**فاعرفيهم**» والمعنى واحد فإن الحذر من أهل الأهواء بعد معرفتهم والخبرة بهم.

قال النووي في شرحه على هذا الحديث (٢١٨/١٦): «وفي هذا الحديث التحذير من مخالطة أهل الزيغ وأهل البدع ومن يتبع المشكلات للفتنة فأما من سأل عما أشكل عليه منها للإسترشاد، وتلطف في ذلك فلا بأس عليه وجوابه واجب، وأما الأول فلا يجاب بل يزجر ويعزر كما عزر عمر بن الخطاب رضي الله عنه صُبيغ بن عسل حين كان يتبع المتشابه والله أعلم».اهـ

وقال الحافظ (٢١١/٨): «والمراد التحذير من الإصغاء إلى الذين يتبعون المتشابه من القرآن، وأول ما ظهر ذلك من اليهود كما ذكره ابن إسحاق في تأويلهم الحروف المقطعة وأن عددها بالجمل مقدار مدة هذه الأمة، ثم أول ما ظهر في الإسلام من الخوارج حتى جاء عن ابن عباس أنه فسر بهم الآية ــ إلى أن قال ـ وقال الخطابي: المتشابه على ضربين:

أحدهما: ما إذا رد إلى المحكم واعتبر به عرف معناه.

والآخر: ما لا سبيل إلى الوقوف على حقيقته، وهو الذي يتبعه أهل الزيغ فيطلبون تأويله، ولا يبلغون كنهه، فيرتابون فيه فيفتنون»اهـ

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب كما في الدرر (٦/٤): «القاعدة الثالثة: أن ترك الدليل الواضح والاستدلال بلفظ متشابه هو طريق أهل الزيغ كالرافضة والخوارج، قال الله تعالى: ﴿**فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه**﴾ والواجب على المسلم اتباع المحكم فإن عرف معنى المتشابه وجده لا يخالف

المحكم بل يوافقه وإلا فالواجب عليه اتباع الراسخين في قولهم ﴿**آمنا به كل من عند ربنا**﴾»اهـ.

قال مقيده غفر الله له وأحسن عاقبته: ونزيد ههنا شيئين.

أحدهما: ما أخرجه الشيخان واللفظ للبخاري عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم.قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن.قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هدى تعرف منهم وتنكر.قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها.قلت: يا رسول الله صفهم لنا.فقال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا.قلت: يا رسول الله ما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام.قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك).

وثانيهما: ما رواه ابن الجوزي في الموضوعات (١/٥١) عن أبي الفضل الهمداني قال: «مبتدعة الإسلام والواضعون للأحاديث أشد من الملحدين؛ لأن الملحدين قصدوا لإفساد الدين من خارج، وهؤلاء قصدوا إفساده من داخل، فهم كأهل بلد سعوا في إفساد أحواله، والملحدون كالحاضرين من خارج، فالدخلاء يفتحون الحصن فهم شر على الإسلام من غير الملابسين له» اهـ.

قلت: يا ليت قومي يعلمون فيحذروا النحل الضالة والإنتماءات الفكرية المنحرفة، والدعوات الحزبية الوافدة فيغلظوا لهم القول ويشددوا عليهم النكير ذبـاً عن السنة والجماعة، ودفاعاً عن عقيدة التوحيد الخالص، ولزوماً لجماعة المسلمين التي تستمد أصولها في المعتقد ومنهج الدعوة إلى الله من الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح من الصحابة وأئمة التابعين ومن سلك سبيلهم بإحسان.

٦٠- [باب **﴿وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾**].

ش: قلت: السياق **﴿إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم، فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى وا لله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾**.

قال البغوي (١/٢٩٤): «**﴿إذ قالت امرأة عمران﴾** وهي حنة بنت فاقوذا أم مريم، وعمران هو عمران بن ماثان، وليس بعمران أبي موسى عليه السلام؛ لأن بينهما ألفاً وثمانمائة سنة، وقيل كان بين إبراهيم وموسى عليهما السلام ألف سنة، وبين موسى وعيسى عليهما السلام ألف سنة، وكان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم وملوكهم، وقيل عمران بن أشهم.

قوله تعالى **﴿رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً﴾** أي جعلت لك الذي في بطني محرراً نذراً مني لك، **﴿فتقبل مني إنك أنت السميع العليم﴾** والنذر ما يوجبه الإنسان على نفسه. محرراً أي عتيقاً خالصاً لله مفرغاً لعبادة ا لله ولخدمة الكنيسة، لا أشغله بشيء من الدنيا، وكل ما أخلص فهو محرر، يقال: حررت العبد إذا أعتقته وخلصته من الرق. قال الكلبي، ومحمد بن إسحاق وغيرهما: كان المحرر إذا حرر جعل في الكنيسة يقوم عليها يكنسها ويخدمها ولا يبرحها حتى يبلغ الحلم، ثم يخير إن أحب أقام فيها، وإن أحب ذهب حيث شاء، وإن أراد أن يخرج بعد التخيير لم يكن له ذلك، ولم يكن أحد من الأنبياء والعلماء إلا من نسله محرر لبيت المقدس، ولم يكن محرراً إلا الغلمان، ولا تصلح له الجارية، لما يصيبها من الحيض والأذى، فحررت أم مريم ما في بطنها، وكانت القصة في ذلك أن زكريا وعمران تزوجا أختين، وكانت إيشاع بنت فاقوذا أم يحيى عند زكريا، وكانت حنة بنت فاقوذا أم مريم عند عمران، وكان قد أُمسك عن حنة الولد حتى أسنّت وكانوا أهل بيت من ا لله بمكان، فبينما هي في ظل شجرة

بصرت بطائر يطعم فرخاً فتحركت بذلك نفسها للولد، فدعت أن يهب لها ولداً وقالت: اللهم لك عليّ إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس، فيكون من سدنته وخدمه، فحملت بمريم فحررت ما في بطنها، و لم تعلم ما هو، فقال لها زوجها ويحك ما صنعت؟ أرأيت إن كان ما في بطنك أنثى تصلح لذلك؟ فوقعا جميعاً في هم من ذلك.فهلك عمران وحنة حامل بمريم ﴿**فلما وضعتها**﴾ أي ولدتها، إذا هي جارية و((الهاء)) في قوله ﴿**وضعتها**﴾ راجعة إلى النذيرة لا إلى ((ما)) ولذلك أُنث.قالت حنة وكانت ترجو أن يكون غلاماً ﴿**رب إني وضعتها أنثى**﴾ إعتذاراً إلى الله عز وجل ﴿**والله أعلم بما وضعت**﴾ بجزم التاء إخباراً عن الله تعالى عز وجل وهي قراءة العامة، وقرأ ابن عامر وأبو بكر ويعقوب ﴿**وضعتُ**﴾ برفع التاء جعلوها من كلام أم مريم ﴿**وليس الذكر كالأنثى**﴾ في خدمة الكنيسة والعبّاد الذين فيها للينها وضعفها وما يعتريها من الحيض والنفاس ﴿**وإني سميتها مريم**﴾ وهي بلغتهم العابدة والخادمة، وكانت مريم من أجمل النساء في وقتها وأفضلهن ﴿**وإني أعيذها**﴾ أمنعها وأجيرها ﴿**بك وذريتها**﴾ أولادها ﴿**من الشيطان الرجيم**﴾ والشيطان الطريد اللعين، والرجيم المرمى بالشهب))اهـ.

٧١ـ حدثني عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد، فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه، إلا مريم وابنها)) ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم ﴿وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾.

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله ((**ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد**)) وفي بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده برواية الأعرج ((كل بني آدم يطعن الشيطان في

جنبيه بأصبعه حين يولد».

وعند مسلم في الفضائل باب فضائل عيسى عليه السلام برواية عبد الأعلى عن معمر «إلا نخسه الشيطان». **قلت:** وهما تفسير للمس في حديث الباب.

الثانية: قوله «**فيستهل صارخاً**» الاستهلال الصياح وصارخاً حال مؤكدة مثل «تبسم ضاحكاً».

الثالثة: قوله «**إلا مريم وابنها**» في صفة إبليس وجنوده برواية الأعرج «غير عيسى».

قال الحافظ في الجمع بينهما (٦/٤٧٠): «تقدم في باب إبليس بذكر عيسى خاصة فيحتمل أن يكون هذا بالنسبة إلى المس، وذاك بالنسبة إلى الطعن في الجنب، ويحتمل أن يكون ذاك قبل الإعلام بما زاد، وفيه بُعد؛ لأنه حديث واحد».

الرابعة: قوله «**واقرؤوا إن شئتم...الخ**» كذا في جميع الطرق غير باب صفة إبليس من بدء الخلق، وهو استدلال من أبي هريرة على أن سلامة ابن مريم وأمه من مس الشيطان كان بدعوة زوج عمران أم مريم.

قال النووي (١٥/١٢٠) عند كلامه على الحديث: «هذه فضيلة ظاهرة، وظاهر الحديث إختصاصها بعيسى وأمه، واختار القاضي عياض أن جميع الأنبياء يتشاركون فيها». انتهى

قلت: ونحن على ما أفاده ظاهر الحديث من العموم في مس الشيطان كل مولود حتى يأتي ما يخصصه من صحيح الدليل وصريحه زيادة على ما فضل الله به ابن مريم وأمه عليهما الصلاة والسلام.

واعلم أن فضائل المسيح وأمه صلى الله عليهما وسلم ليست مقصورة على هذا الحديث ففي شأن المسيح يقول جل ذكره ﴿**إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة**

ومن المقربين، ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين، ـ إلى قوله ـ إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبريء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم﴾ الآيات.

فهذه الآيات نص في جملة من خصائص عيسى ﷺ منها أنه كلمة من الله، وإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وفي شأن مريم قال جل ذكره **﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾**.

وأخرج البخاري وغيره عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».ومن أعظم خصائصها عليها السلام ولادة عيسى ﷺ تشريفاً لها من الله.

٦١- [باب **﴿إن الذين يشترون بعهـد ا لله وأيمـانهم ثمنـاً قليـلاً أولـئك لا خلاق لهم﴾**].

ش: تمامها: **﴿في الآخرة ولا يكلمهم ا لله ولا ينظر إليهم يوم القيامـة ولا يزكيهم ولهم عذاب إليم﴾**.

يعني بذلك جل ثناؤه إن الذين يستبدلون بتركهم عهد ا لله إليهم، ووصيتـه التي أوصاهم بهـا في الكتـب الـتي أنزلهـا ا لله إلى أنبيائـه باتبـاع محمـد وتصديقـه، والإقرار به، وما جاء به من عند ا لله، وبأيمانهم الكاذبة التي يستحلون بها ما حرم ا لله عليهم من أموال الناس التي اؤتمنوا عليها ثمناً يعني عوضـاً وبـدلاً خسيسـاً مـن عرض الدنيا وحطامها.قاله ابن جرير.

قوله **﴿أولئك لا خلاق لهم في الآخرة﴾**.

قال ابن كثير (٣٨٣/١): أي لا نصيب لهم فيها ولا حظ لهم منها.

قوله **﴿ولا يكلمهم ا لله يوم القيامة...﴾ الآية**.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي (٢٥٣/١): «أي قد حق عليهم سخط ا لله، ووجب عليهم عقابه، وحُرِموا ثوابه، ومنعوا من التزكية،وهي التطهـير، بـل يردون القيامة وهم متلوثون بالجرائم، متدنسون بالذنوب العظائم».

وقوله **﴿ولهم عذاب أليم﴾** أي مؤلم موجع.

من فقه الآية

أولاً: وجوب بذل العلم لمن احتاج إليه.

ثانياً: تحريم كتمان العلم وأن ذلك من خصال اليهود الذميمة.

ثالثاً: إثبات صفة النظر للرب جـل عـلاه، وأن المتصفـين بمـا تضمنتـه الآيـة محرومون منها يوم القيامة.

رابعاً: إثبات صفة الكلام لله، وحرمان أهل تلك الصفات منه.

شرح جملة من الكلمات:

١- [**﴿لا خلاق هم﴾ لا خير**].

ش: قال أبو عبيدة في قوله تعالى من سورة البقرة **﴿في الآخرة من خلاق﴾**: «من نصيب خير»، وهو قول مجاهد والسدي وسفيان وهو **أحد** أقوال أربعة حكاها ابن جرير في الآية.

وثانيها: بمعنى الحجة، وهو قول قتادة.

وثالثها: الدين وبه قال الحسن.

ورابعها: القوام وهو قول ابن عباس.

قلت: والمختار من هذه الأقوال أولها؛ لأنه هو معناه في كلام العرب.

٢- [**﴿أليم﴾ مؤلم موجع، من الألم، وهو في موضع مُفْعِل**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «قال ذو الرمة:

ونرفع في صدور شمردلات يصك وجوهها وهجٌ أليم

وألم إذا وجع، والإيلام الإيجاع، والألم الوجع، وقد ألم يألم إيلاماً، والتألم التوجع».انتهى محل الغرض.

٧٢- حدثنا حجاج بن منهال[1]، حدثنا أبو عوانة، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف يمين صبر ليقتطع بها مال امريء مسلم، لقي الله وهو عليه غضبان» فأنزل الله تصديق ذلك ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق هم في الآخرة...إلى آخر الآية قال: فدخل الأشعث بن قيس وقال: ما يحدثكم أبو عبد الرحمن؟ قلنا: كذا وكذا قال: فيّ أنزلت، كانت لي بئر في أرض ابن عم لي، قال النبي ﷺ:((بينتك أو يمينه))، فقلت:

---

(١) هو أبو محمد حجاج بن منهال الأنماطي السلمي مولاهم، البصري، ثقة فاضل، من التاسعة، مات سنة ست عشرة أو سبع عشرة [ومائتين].(ع).

إذاً يحلف يا رسول ا لله فقال النبي ﷺ: «من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امريء مسلم وهو فيها فاجر لقي ا لله وهو عليه غضبان».

٧٣ـ حدثنا عليّ[1] ـ هو ابن أبي هاشم ـ سمع هشيماً[2] أخبرنا العوام بن حوشب[3]، عن إبراهيم بن عبد الرحمن[4]، عن عبد ا لله بن أبي أوفى[5] رضي ا لله عنهما أن رجلاً أقام سلعة في السوق، فحلف فيها: لقد أعطى بها ما لم يعطه ليوقع فيها رجلاً من المسلمين فنزلت: ﴿إن الذين يشترون بعهد ا لله وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾ إلى آخر الآية.

٧٤ـ حدثنا نصر بن عليّ بن نصر[6]، حدثنا عبد ا لله بن داود[7]، عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة أن امرأتين كانتا تخرزان في بيت، أو في الحجرة، فخرجت إحداهما وقد أُنفِذ بإشفى في كفها، فادعت على الأخرى، فرفع أمرها إلى ابن عباس، فقال ابن عباس: قال رسول ا لله ﷺ: «لو يعطى الناس

---

(١) وهو علي بن أبي هاشم عبيد ا لله بن طبراخ، صدوق تكلم فيه للوقف في القرآن، من العاشرة.(خ).

(٢) هو أبو معاوية هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السُلمي، أبو معاوية بن أبي خازم الواسطي، ثقة ثبت كثير التدليس والإرسال الخفي، من السابعة، مات سنة ثلاث وثمانين [ومائة] وقد قارب الثمانين.(ع).

(٣) هو أبو عيسى العوام بن حوشب بن يزيد الشيباني الواسطي، ثقة ثبت فاضل، من السادسة، مات سنة ثمان وأربعين [ومائة].(ع).

(٤) هو أبو إسماعيل إبراهيم بن عبد الرحمن السكسي، الكوفي، مولى صُخير، صدوق ضعيف الحفظ، من الخامسة.(خ.د.س).

(٥) هو عبد ا لله بن علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمي، صحابي شهد الحديبية، وعمّر بعد النبي ﷺ مات سنة سبع وثمانين، وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة.(ع).

(٦) هو نصر بن علي بن نصر الجهضمي، ثقة ثبت، طلب للقضاء فامتنع، من العاشرة، مات سنة خمسين [ومائتين] أو بعدها.(ع).

(٧) هو أبو عبد الرحمن عبد ا لله بن داود بن عامر الهمداني الخُريبي، كوفي الأصل، ثقة عابد، من التاسعة، مات سنة ثلاث عشرة [ومائتين] وله سبع وثمانون سنة، أمسك عن الرواية قبل موته، فلذلك لم يسمع منه البخاري.(خ.٤).

بدعواهم لذهب دماء قوم وأموالهم» ذكروها با لله واقرؤوا عليها ﴿إن الذين يشترون بعهد ا لله﴾ فذكروها فاعترفت فقال ابن عباس قال النبي ﷺ: «اليمين على المدعى عليه».

ش: فيها ثلاثون مسألة

الأولى: قوله **(من حلف يمين)** قال ابن الأثير مادة حلف: «الحلف: هو اليمين، حلف يحلف حلفاً، وأصلها العقد بالعزم والنية، فخالف بين اللفظين تأكيداً لعقده، وإعلاماً أن لغو اليمين لا ينعقد تحته»

الثانية: قوله «**صبر**» قال ابن الأثير (٣/٨) في مادة صبر: «أي أُلزم بها وحُبس عليها، وكانت لازمة لصاحبها من جهة الحكم، وقيل لها مصبورة، وإن كان صاحبها في الحقيقة هو المصبور؛ لأنه إنما صُبر من أجلها أي حبس فوصفت بالصبر، وأُضيفت إليه مجازاً».

الثالثة: قوله «**ليقتطع بها**» أي يأخذه لنفسه متملكاً، وهو يفتعل من القطع. قاله ابن الأثير في مادة قطع (٤/٨٢).

الرابعة: قوله «**مال امريء مسلم**» قال الشوكاني في النيل (٨/٢١٧): «التقييد بالمسلم ليس لإخراج غير المسلم، بل كأن تخصيص المسلمين بالذكر لكون الخطاب معهم، ويحتمل أن تكون العقوبة العظيمة مختصة بالمسلمين، وإن كان أصل العقوبة لازماً في حق الكفار».اهـ

قلت: ويؤيد عدم التخصيص قوله في بعض طرق الحديث «من حلف على يمين يقتطع بها مال امريء» وقوله ﷺ «من اقتطع شبراً من الأرض ظلماً طوقه من سبع أرضين يوم القيامة» فثاني الحديثين نصٌ صريحٌ في عموم عقوبة الظالم وإن كان المظلوم غير مسلم.

الخامسة: قوله «**لقي ا لله وهو عليه غضبان**» يعني الحالف، وقوله «**وهو غضبان**» جملة حالية، وفيه إثبات صفة الغضب لله عز وجل، ويجب الإيمان به

على الحقيقة من غير تكييف.

السادسة: قوله (**فأنزل الله تصديق ذلك ﴿إن الذين يشترون﴾ إلى آخر الآية**) فيه التصريح بموافقة الوحي لقول النبي ﷺ وقد مضى تفسير الآية.

السابعة: قوله (**فدخل الأشعث بن قيس**) القائل هو أبو وائل شقيق بن سلمة، والأشعث هو أبو محمد الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي، الصحابي، نزل الكوفة، مات سنة أربعين، أو إحدى وأربعين، وهو ابن ثلاث وستين، أخرج له الجماعة.

الثامنة: قوله (**قلنا كذا وكذا**) قال ابن هشام في المغني (١/١٨٧): كذا ترد على ثلاثة أوجه.

أحدها: أن تكون كلمتين باقيتين على أصلهما، وهما «كاف التشبيه» و«ذا الإشارة» كقولك: رأيت زيداً فاضلاً ورأيت عمراً كذا ـ إلى أن قال ـ

الثاني: أن تكون كلمة واحدة مركبة من كلمتين مكنياً بها عن غير عدد كقول أئمة اللغة: قيل لبعضهم أما يمكن كذا وكذا وجذّ؟ فقال: بلى وجاذا.

ثم ذكر **الثالث** فقال: أن تكون كلمة واحدة مركبة مكنياً بها عن العدد فتوافق كأي.

قلت: وثاني هذه المعاني هو المراد في الحديث، وقد جاء في بعض طرقه في الرهن باب إذا اختلف الراهن والمرتهن «ثم إن الأشعث بن قيس خرج إلينا فقال: ما يحدثكم أبو عبد الرحمن قال: فحدثناه».

قلت: يعني خبر ابن مسعود عن النبي ﷺ السابق في يمين الصبر.

التاسعة: قوله (**فيّ أنزلت**) القائل هو الأشعث رضي الله عنه، وهذا إثبات سبب نزول آية الباب.

العاشرة: قوله «**كانت لي بئر في أرض ابن عم لي**» **قلت:** اسم ابن عمه

معدان بن الأسود بن معدي كرب الكندي، ولقبه الحفشيش بوزن فعليل.ذكره الحافظ (٥/٣٣).

قلت: وقد جاء عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن شقيق في قصة الأشعث هذه قال: «كان ذلك بيني وبين رجل من اليهود» وقد تابع أبا معاوية عند ابن ماجه وغيره وكيع بن الجراح.وفي بعض الطرق «رجل» وفي بعضها «صاحب لي» ويمكن الجمع بأن ذلك الخصم هو ابن عمه وأنه كان من اليهود.

الحادية عشرة: قوله «**بينتك أو يمينه**» بالرفع والنصب، فالأول خبر لمبتدأ محذوف، تقديره المطلوب أو الواجب، ويؤيده قوله في الرهن من رواية منصور «شاهداك أو يمينه»، وعلى الثاني مفعول لفعل محذوف تقديره أحضر، وفيه دليل على أن البينة على المدعي، واليمين عند عدمها على المدعى عليه.

واعلم أن البينة ليست مقصورة على الشهادة فحسب بل هي عامة في كل ما أوضح الحق وكشف عنه وأوصل إليه

قال ابن القيم في الطرق الحكمية (ص١٢): «وبالجملة فالبينة اسم لكل ما يبين الحق ويظهره، ومن خصها بالشاهدين أو الأربعة أو الشاهد لم يوف مسماها حقه، ولم تأت البينة قط في القرآن مراداً بها الشاهدان، وإنما أتت مراداً بها الحجة والدليل والبرهان، مفردة ومجموعة، وكذلك قوله ﷺ «البينة على المدعي» المراد به أن عليه ما يصحح دعواه ليحكم له، والشاهدان من البينة، ولا ريب أن غيرها من أنواع البينة قد يكون أقوى منها، كدلالة الحال على صدق المدعي، فإنها أقوى من دلالة إخبار الشاهد، والبينة والدلالة والحجة والبرهان والآية والتبصرة والعلامة والأمارة متقاربة في المعنى».

الثانية عشرة: قوله«**إذاًيحلف يارسول الله**» منصوب بإذن قال ابن مالك:

ونصبوا بإذن المستقبلا إن صدّرت والفعل بعد موصلا

أو قبله اليمين وانصب وارفعا إذا إذن من بعد عطف وقعا

الثالثة عشرة: قوله «**وهو فيها فاجر**» يعني كاذباً في يمينه عمداً، والجملة حال من فاعل يحلف.

واعلم بأن هذه اليمين المحذر منها والمتوعد عليها في الخبر بغضب الله هي اليمين الغموس.

الرابعة عشرة: قوله «**أن رجلاً**» لم أقف على تسميته في شيء من طرق الحديث.

الخامسة عشرة: قوله «**أقام سلعة في السوق**» أي عرضها للبيع أو روجها في السوق، و لم أقف على تعيينه.

السادسة عشرة: قوله «**فحلف فيها لقد أعطى بها ما لم يعطه**» أي دفع له فيها من المتساومين ما لم يعط بفتح الطاء، والمعنى أنه حلف كذباً على ما ادعاه من الثمن.

السابعة عشرة: قوله «**ليوقع فيها رجلاً من المسلمين**» أي ليوقع بحلفه الكاذبة على ما ادعاه من الثمن أحد المتساومين لسلعته.

الثامنة عشرة: قوله «**فنزلت ﴿إن الذين يشترون بعهد ا لله وأيمانهم ثمنا قليلاً﴾**.لا منافاة بين هذا الحديث والحديث السابق من حيث أن ذاك في البئر، وهذا في السلعة؛ لأن الآية نزلت بالسببين جميعاً، ولفظ الآية عام يتناولهما،وغيرهما.

قال في البرهان (٢٩/١): «وقد ينزل الشيء مرتين تعظيماً لشأنه،وتذكيراً به عند حدوث سببه خوف نسيانه، وهذا كما قيل في الفاتحة نزلت مرتين، مرة بمكة، وأخرى بالمدينة، وكما ثبت في الصحيحين أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبي ﷺ فأخبره فأنزل الله تعالى ﴿**وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات**﴾ فقال الرجل: ألِيّ هذا فقال: بل لجميع أمتي. فهذا كان في المدينة، والرجل قد ذكر الترمذي أو غيره أنه أبو اليسر، وسورة

هود مكية باتفاق، ولهذا أشكل على بعضهم هذا الحديث مع ما ذكرنا، ولا إشكال؛ لأنها نزلت مرة بعد مرة ـ إلى أن قال (ص٣١) ـ والحكمة في هذا كله أنه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة تقتضي نزول آية، وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها فتؤدى تلك الآية بعينها إلى النبي ﷺ تذكيراً لهم بها، وبأنها تتضمن هذه». انتهى محل الغرض.

التاسعة عشرة: قوله «**أن امرأتين**» لم أعثر لهما على تسمية.

العشرون: قوله «**كانتا تخرزان**» من خرز الخف، ونحوه، يخـُـِز بضم الراء وكسرها، قال أهل اللغة: خرزت الجلد خرزاً من باب ضرب وقتل وهو كالخياطة في الثياب.

قلت: وآلة الخرز واسمها المخرز آلة حادة معروفة.

الحادية والعشرون: قوله «**في بيت أو في الحجرة**» كذا بالشك في رواية الأصيلي وحده، والحُجْرة بضم الحاء المهملة وسكون الجيم وبالراء، قال ابن الأثير: «وهي الموضع المنفرد».

الثانية والعشرون: قوله «**فخرجت إحداهما**» من البيت أو الحجرة، وفي المصباح وللأصيلي «فجُرحت» بجيم مضمومة فراء مكسورة فحاء مهملة أي إحدى المرأتين.

الثالثة والعشرون: قوله «**وقد أُنْفِذ**» بضم الهمزة وسكون النون، وبعد الفاء المكسورة ذال معجمة، والواو للحال، وقد للتحقيق.

الرابعة والعشرون: قوله «**بإشفىً**» بكسر الهمزة وسكون الشين المعجمة وبالفاء المنونة، ولأبي ذر «بأشفى» بترك التنوين مقصوراً، آلة الخرز للإسكاف. ذكر ذلك القسطلاني (٧/٥٥).

الخامسة والعشرون: قوله «**فرفع أمرهما إلى ابن عباس**».

قلت: عند البيهقي في الدعاوى والبينات باب البينة على المدعي

(١٠/٢٥٢) برواية عبد الله بن إدريس، عن ابن جريج وعثمان بن الأسود، عن ابن أبي مليكة قال: «كنت قاضياً لابن الزبير على الطائف فذكر قصة المرأتين قال: فكتبت إلى ابن عباس» حسنه الحافظ فتحصل من هذا أن رافع أمر تينك المرأتين هو ابن أبي مليكة، وهذا إجلال وتوقير من ابن أبي مليكة لابن عباس رضي الله عنهما،وهكذا كانت منزلة أهل العلم والفضل عند السلف، فإنهم يرجعون إليهم في حل المشكلات والمعضلات.

السادسة والعشرون: قوله «**لو يعطى الناس بدعواهم لذهبت دماء قوم وأموالهم**».

قال النووي (١٢/٣): «وهذا الحديث قاعدة كبيرة من قواعد أحكام الشرع، ففيه أنه لا يقبل قول إنسان فيما يدعيه بمجرد دعواه بل يحتاج إلى بينة أو تصديق المدعى عليه، فإن طلب يمين المدعى عليه فله ذلك.وقد بين النبي ﷺ الحكمة في كونه لا يعطي بمجرد دعواه؛ لأنه لو كان أعطى بمجردها لادعى قوم دماء قوم وأموالهم، واستبيحا، ولا يمكن المدعى عليه أن يصون ماله ودمه، وأما المدعي فيمكنه صيانتهما بالبينة.

وفي هذا الحديث دلالة لمذهب الشافعي والجمهور من سلف الأمة وخلفها أن اليمين تتوجه على كل من ادعى عليه حق، سواء كان بينه وبين المدعي اختلاطٌ أم لا».اهـ

قلت: ويؤيده قوله ﷺ للأشعث بن قيس في أول أحاديث الباب «بينتك أو يمينه» وكانت بئر الأشعث في أرض ابن عمه، وهذه بعينها خلطة.

السابعة والعشرون: قوله «**ذكروها بـا لله**» أي عظوها وخوفوها بوعيده المغلظ على الكذب.

الثامنة والعشرون: قوله «**واقرؤوا عليها ﴿إن الذين يشترون بعهد الله﴾**» فيه شاهد لما تقرر في الأصول أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

التاسعة والعشرون: قوله «**فذكروها فاعترفت**» أي المرأة المدعى عليها بعد التخويف بالله، والتحذير من مغبة اليمين الكاذبة.

الثلاثون: قوله «**اليمين على المدعى عليه**» يعني في حال عدم إقامة المدعي البينة على دعواه، وقد قدمنا في المسألة السادسة والعشرين قول النووي في ذلك.وقد اتفقت هذه الأحاديث الثلاثة على قواعد هامة في الأحكام منها:

أولاً: تحريم اليمين الكاذبة وهي اليمين الغموس وشدة الوعيد على مرتكبها.

ثانياً: موعظة المنكر من الخصوم وتخويفه بالله وتحذيره من مغبة اليمين الفاجرة.

ثالثاً: لا يجوز إعطاء المدعي ما ادعاه بمجرد دعواه.

رابعاً: حفظ الأموال والدماء والأعراض من عبث العابثين.

٦٢- [باب **﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواءٍ بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا ا لله﴾**].

ش: تمامها: **﴿ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون ا لله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون﴾**.

«هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم **﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة﴾** والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال ها هنا، ثم وصفها بقوله **﴿سواء بيننا وبينكم﴾** أي عدل ونصف، نستوي نحن وأنتم فيها، ثم فسرها بقوله **﴿أن لا نعبد إلا ا لله ولا نشرك به شيئاً﴾** لا وثناً ولا صليباً ولا صنماً ولا طاغوتاً ولا ناراً ولا شيئاً، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له، وهذه دعوة جميع الرسل، قال الله تعالى **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾** وقال تعالى **﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا ا لله واجتنبوا الطاغوت﴾** ثم قال تعالى **﴿ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون ا لله﴾** وقال ابن جريج: يعني يطيع بعضنا بعضاً في معصية الله. وقال عكرمة: يسجد بعضنا لبعض». قاله ابن كثير

وقوله **﴿فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون﴾**.

قال ابن جرير(٢:٣٠٢): «يقول فإن أعرضوا عما دعوتهم إليه من الكلمة السواء التي أمرتك بدعائهم إليها، فلم يجيبوك إليها فقولوا أيها المؤمنون للمتولين عن ذلك، اشهدوا بأنا مسلمون»اهـ.

قوله **﴿سواءٍ﴾** قصد.

ش: قال أبو عبيدة: «أي النصف يقال: قد دعاك إلى السواء فأقبل منه» وفي المعنيِّ بها قولان لأهل العلم حكاهما ابن جرير:

أحدهما بمعنى العدل وهو قول قتادة والربيع بن أنس.

وثانيهما أنه لا إله إلا الله وهو قول الربيع بن أنس في الرواية الثانية عنه.

قلت: والثاني أظهر لدلالة قوله في الآية أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، كما اتفق عليه الأنبياء والمرسلون.

٧٥ـ حدثني إبراهيم بن موسى، عن هشام، عن معمر. وحدثني عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة[(١)] قال: حدثني ابن عباس قال: حدثني أبو سفيان[(٢)] من فيه إلى فيّ قال: انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله ﷺ قال: فبينا أنا بالشام إذ جيء بكتاب من النبي ﷺ إلى هرقل قال: وكان دحية الكلبي جاء به، فدفعه إلى عظيم بُصرى، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل قال: فقال هرقل: هل ها هنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقالوا: نعم قال: فدعيت في نفر من قريش، فدخلنا على هرقل، فأجلسنا بين يديه، فقال: أيكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت أنا، فأجلسوني بين يديه، وأجلسوا أصحابي خلفي، ثم دعا بترجمانه، فقال: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، فإن كذبني فكذبوه، قال أبو سفيان: وايْمُ اللهِ، لولا أن يؤثروا علي الكذب لكذبت، ثم قال لترجمانه: سله كيف حسبه فيكم؟ قال: قلت هو فينا ذو حسب، قال: فهل كان من آبائه ملك؟ قال: قلت لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: أيتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟ قال: قلت بل ضعفاؤهم، قال: يزيدون أو ينقصون؟ قال: قلت لا بل يزيدون، قال: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له؟ قال: قلت لا، قال: فهل قاتلتموه؟ قال: قلت نعم، قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قال: قلت تكون

---

(١) هو أبو عبد الله عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، المدني، ثقة فقيه ثبت، من الثالثة، مات سنة أربع وتسعين وقيل سنة ثمان، وقيل غير ذلك(ع).

(٢) هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي صحابي شهير أسلم عام الفتح، ومات سنة اثنتين وثلاثين وقيل بعدها. خ.م.د.ت.س.

الحرب بيننا وبينه سجالاً، يصيب منا ونصيب منه، قال: فهل يغدر؟ قال: قلت لا، ونحن منه في هذه المدة لا ندري ما هو صانع فيها، قال: وا لله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه، قال: فهل قال هذا القول أحد قبله؟ قلت: لا، ثم قال لترجمانه: قل له إني سألتك عن حسبه فيكم فزعمت أنه فيكم ذو حسب، وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها، وسألتك هل كان في آبائه ملك، فزعمت أن لا فقلت: لو كان من آبائه ملك، قلت رجل يطلب ملك آبائه، وسألتك عن أتباعه أضعفاؤهم أم أشرافهم فقلت: بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فزعمت أن لا، فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس، ثم يذهب فيكذب على ا لله، وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له، فزعمت أن لا، وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب، وسألتك هل يزيدون أم ينقصون، فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتمّ، وسألتك هل قاتلتموه، فزعمت أنكم قاتلتموه، فتكون الحرب بينكم وبينه سجالاً، ينال منكم وتنالون منه، وكذلك الرسل تبتلى، ثم تكون لهم العاقبة، وسألتك هل يغدر فزعمت أنه لا يغدر، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك هل قال أحد هذا القول قبله، فزعمت أن لا، فقلت: لو كان قال هذا القول أحد قبله قلت رجل ائتمّ بقول قيل قبله، قال: ثم قال: بم يأمركم؟ قال: قلت يأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصلة، والعفاف، قال: إن يك ما تقول فيه حقاً فإنه نبي.وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أك أظنه منكم، ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، وليبلغن ملكه ما تحت قدمي، قال: ثم دعا بكتاب رسول ا لله ﷺ فقرأ فإذا فيه بسم ا لله الرحمن الرحيم، من محمد رسول ا لله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم

يؤتك ا لله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا ا لله ـ إلى قوله ـ اشهدوا بأنا مسلمون﴾، فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده وكثر اللغط، وأمر بنا فأخرجنا قال: فقلت لأصحابي حين خرجنا: لقد أَمِر أَمرُ ابن أبي كبشة، إنه ليخافه ملك بني الأصفر، فما زلت موقناً بأمر رسول ا لله ﷺ أنه سيظهر حتى أدخل ا لله عليّ الإسلام.

قال الزهري: فدعا هرقل عظماء الروم، فجمعهم في دار له فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد آخر الأبد، وأن يثبت لكم ملككم؟ قال: فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت فقال: عليّ بهم، فدعا بهم فقال: إني إنما اختبرت شدتكم على دينكم، فقد رأيت منكم الذي أحببت، فسجدوا له ورضوا عنه.

أحدهما: دعوة هرقل ملأه إلى الإسلام وأنه سببٌ في بقاء ملكهم.

وثانيهما: وهو مفهومه أن رفضهم للإسلام سبباً لزوال ملكهم.

الحادية والأربعون: قوله «**فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت**» حاصوا بمهملتين أي نفروا وشبههم بالوحوش؛ لأن نفرتها أشد من نفرة البهائم الإنسية، وشبههم بالحمر دون غيرها من الوحوش لمناسبة الجهل، وعدم الفطنة بل هم أضل.

الثانية والأربعون: قوله «**علي بهم فدعاهم**» في بدء الوحي «فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال ردوهم عليّ».

الثالثة والأربعون: قوله «**إني إنما اختبرت شدتكم على دينكم فقد رأيت منكم الذي أحببت فسجدوا له ورضوا عنه**» في بدء الوحي «أي قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عنه فكان ذلك آخر شأن هرقل».

قلت: وهذا من هرقل غاية في الحرص على الملك وإيثاره على دين الله، وما جاءه من الحق والهدى، وكان قادراً حساً على الفرار بدينه خلسة ولكن نفذ فيه قدر الله.

من فقه الحديث

أولاً: وجوب العمل بخبر الواحد وقيام الحجة به.

ثانياً: قبول ما تحمله الكافر من الحديث إذا أداه بعد إسلامه.

ثالثاً: وجوب دعوة الكفار إلى الإسلام قبل قتالهم.

رابعاً: جواز السفر إلى أرض العدو بالآية والآيتين ما لم يخشى على ذلك من أيدي الكفار.

قلت: أراد هرقل بهذا السؤال الاستيثاق من خبر النبي ﷺ واختار قومه؛ لأنهم أعرف الناس بحاله.

السادسة: قوله «**فدعيت في نفر من قريش، فدخلنا على هرقل فأجلسنا بين يديه**» في الجهاد «قال أبو سفيان: فوجدنا رسول قيصر ببعض الشام فانطلق بي وبأصحابي حتى قدمنا إيليا فأدخلنا عليه».

السابعة: قوله «**أيكم أقرب نسباً من هذاالرجل الذي يزعم أنه نبي**» في الجهاد «فقال لترجمانه: سلهم أيهم أقرب نسباً إلى هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي».

قلت: ولا معارضة بين الروايتين، فإن هذه مفسرة لرواية الباب.

الثامنة: قوله «**فقلت أنا، فأجلسوني بين يديه وأجلسوا أصحابي خلفي**» في بدء الوحي «فقلت أنا أقربهم نسباً، فقال: أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره» وفي الجهاد «قال: ما قرابة ما بينك وبينه فقلت: هو ابن عمي، وليس في الركب أحد من بني مناف غيري، فقال قيصر: أدنوه، وأمر بأصحابي فجعلوا خلف ظهري عند كتفي».

التاسعة: قوله «**ثم دعا بترجمانه فقال: قل هم إني سائل هذا عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي فإن كذبني فكذبوه**» كذبني بالتخفيف، أي كذب عليّ في الجواب فكذبوه بالتشديد أي ردوا عليه قوله.

العاشرة: قوله «**وايمّ الله لو لا أن يؤثروا عليّ الكذب لكذبت**» وعند مسلم في الجهاد باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل «لو لا مخافة أن يؤثر عليّ الكذب لكذبت» وعند المصنف في الجهاد «والله لو لا الحياء يومئذ من أن يأثر أصحابي عني الكذب لكذبته حين سألني عنه، ولكني استحييت أن يأثروا الكذب عني فصدقته»، وحاصل هذه الروايات دليل على أن الكذب كان قبيحاً في الجاهلية كما هو قبيح في الإسلام.

أنصاريّ بالمدينة نخلاً وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول ا لله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ قام أبو طلحة فقال: يا رسول ا لله إن ا لله يقول ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ وإن أحب أموالي إليّ بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند ا لله، فضعها يا رسول ا لله حيث أراك ا لله، قال رسول ا لله ﷺ: بخ ذلك مال رابح، ذاك مال رابح وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين، قال أبو طلحة: أفعل يا رسول ا لله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه، وبني عمه، قال عبد ا لله بن يوسف، وروح بن عبادة: ذاك مال رابح، حدثني يحيى بن يحيى قال: قرأت على مالك: مال رايح.

حدثنا محمد بن عبد ا لله الأنصاري، حدثني أبي، عن ثمامة، عن أنس رضي ا لله عنه قال: فجعلها لحسّان وأبي، وأنا أقرب إليه ولم يجعل لي منها شيئاً.

ش : فيه ثلاث عشرة مسألة

الأولى: قوله «**كان أبو طلحة**» هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الأنصاري النجاري، مشهور بكنيته، من كبار الصحابة شهد بدراً وما بعدها، مات سنة أربع وثلاثين، وقال أبو زرعة الدمشقي: عاش بعد النبي ﷺ أربعين سنة. أخرج له الجماعة.

الثانية: قوله «**أكثر أنصاري بالمدينة نخلاً**» وفي الوكالة باب إذا قال الرجل لوكيله ضعه حيث أراك ا لله من رواية يحيى بن يحيى «أكثر الأنصار بالمدينة مالاً» فتكون رواية الباب مفسرة لتلك.

الثالثة: قوله «**بيرُحاء**» قال النووي (٨٤/٤): «اختلفوا في ضبط هذه اللفظة عن شيوخنا بفتح الراء وضمها مع كسر الباء، وبفتح الباء والراء.

التاسعة عشرة: قوله «**وا لله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه**» في بدء الوحي «ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة» وفي الجهاد «ولم يمكني كلمة أدخل فيها شيئاً أنتقصه به لأخاف أن تؤثر عني غيرها».

العشرون: قوله «**وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها**» الظاهر أن إخبار هرقل بذلك بالجزم كان عن العلم المقرر عنده في الكتب السالفة.

الحادية والعشرون: قوله «**وهم أتباع الرسل**» هذا لكون الأشراف يأنفون من تقدم مثلهم عليهم، والضعفاء لا يأنفون فيسرعون إلى الانقياد واتباع الحق.قاله النووي.

وقال الحافظ: «معناه أن اتباع الرسل في الغالب أهل الاستكانة لا أهل الإستكبار الذين أصروا على الشقاق بغياً وحسداً، كأبي جهل وأشياعه».

الثانية والعشرون: قوله «**وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب**» لأنه من دخل على بصيرة في أمر محقق لا يرجع عنه، بخلاف من دخل في أباطيل.وبشاشة الإيمان هو شرحه للقلوب التي يدخل فيها.

الثالثة والعشرون: قوله «**وكذلك الإيمان حتى يتم**» في بدء الوحي «وكذلك أمر الإيمان حتى يتم» والمعنى أنه يظهر نوراً ثم لا يزال في زيادة حتى يتم بالأمور المعتبرة فيه من صلاة وزكاة وصيام وغيرها.

الرابعة والعشرون: قوله «**وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة**» معناه يبتليهم ا لله بذلك ليعظم أجرهم بكثرة صبرهم وبذلهم وسعيهم في طاعة ا لله تعالى.ثم إن العاقبة الحميدة للرسل وأتباعهم بالنصر على أعدائهم وتمكينهم في الأرض وإظهار ا لله دينه على أيديهم ودخول الناس فيه.

الخامسة والعشرون: قوله «**وكذلك الرسل لا تغدر**» «لأن من طلب حظ الدنيا لا يبالي بالغدر، وغيره مما يتوصل به إلى ذلك، ومن طلب الآخرة لم يرتكب غدراً ولا غيره من القبائح».قاله النووي

السادسة والعشرون: قوله «**إن يك ما تقول فيه حقاً فإنه نبي**» في الجهاد «وهذه صفة النبي» قال العلماء: هذا الذي قاله هرقل أخذه من الكتب القديمة، ففي التوراة هذا أو نحوه من علامات رسول الله ﷺ فعرفه بالعلامات». حكاه النووي

السابعة والعشرون: قوله «**ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه**» في بدء الوحي «فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه» أي تكلفت الوصول إليه، وهذا يدل على أنه كان يتحقق أن لا يسلم من القتل إن هاجر إلى النبي ﷺ واستفاد ذلك بالتجربة كما في قصة ضغاطر الذي أظهر لهم إسلامه فقتلوه.

الثامنة والعشرون: قوله «**ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه**» فيه دليل على معرفته صدق النبي ﷺ وأنه حق، ولذى تمنى لقاءه وخدمته، لكن آثر على ذلك الملك والرياسة.

التاسعة والعشرون: قوله «**وليبلغن ملكه ما تحت قدمي**» أي بيت المقدس؛ لأنها عاصمة ملكه، أو الشام؛ لأنها هي دولته، وفيه بشارة بإعلاء الله دينه ونصرة نبيه على مخالفيه واتساع رقعة الإسلام.

الثلاثون: قوله «**ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه**» في بدء الوحي «ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بُصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه» وفي الجهاد «فقريء» **قلت:** والجمع بين هذه الرواية وما قبلها أن القاريء هو الترجمان ونسبة القراءة إلى هرقل؛ لأنه الآمر بها.

الحادية والثلاثون: قوله «**من محمد رسول الله إلى هرقل**» في بدء الوحي «من محمد عبد الله ورسوله».

فيه أولاً: مشروعية بدء الكتاب بالبسملة ثم اتباع ذلك بقوله من فلان إلى فلان.

وفيه ثانياً: إقرار النبي ﷺ أسوة بالأنبياء قبله أنه عبد الله وهذا غاية الخضوع والتواضع لله.

الثانية والثلاثون: قوله «**سلام على من اتبع الهدى**» **قلت:** ومعناه الدعاء بالسلامة لمن أسلم وتحيته وليس هذا بدءاً للكفار بالسلام.

الثالثة والثلاثون: قوله «**أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام**» **قلت:** «أما» حرف شرط وتفصيل، ومعناها مهما يكن من شيء، ويؤتى بها للإنتقال من أسلوب إلى أسلوب، ودعاية الإسلام من دعا يدعو دعاية، مثل شكا يشكو شكاية، والمعنى أنه يدعوه إلى الله بالكلمة الداعية إلى الإسلام وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وهذه الكلمة هي أصل الأصول وأعظم أركان الدين.

الرابعة والثلاثون: قوله «**أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين**» أي أدخل في الإسلام تسلم في الدنيا من القتل أو الجزية وفي الآخرة من النار.

قال العلماء: وفي هذا نوع من البديع وهو الجناس الإشتقاقي.وفي قوله «**يؤتك الله أجرك مرتين**» موافقة لقوله تعالى ﴿**أولئك يؤتون أجرهم مرتين**﴾ وحديث أبي موسى أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ» الحديث.

الخامسة والثلاثون: قوله «**فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين**» هو جمع أريسي، وهو منسوب إلى أريس بوزن فعيل، وقد تقلب همزته ياء كما جاءت به رواية أبي ذر والأصيلي وغيرهما هنا.

قال ابن سيده: الأريس الأكّار أي الفلاح.

قلت: والمعنى أنك إن توليت عن دين الله ولم تجب داعي الله فعليك إثم أتباعك، ومن المعلوم أن من كان سبباً في إضلال غيره فإنه يحمل مع وزره مثل أوزار من أضله.

السادسة والثلاثون: قوله «و﴿**يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله - إلى قوله ـ اشهدوا بأنا مسلمون**﴾» هكذا وقع بإثبات الواو في أوله، وذكر القاضي عياض أن الواو ساقطة من رواية الأصيلي وأبي ذر، وعلى ثبوتها فهي داخلة على مقدر معطوف على قوله «أدعوك» فالتقدير أدعوك بدعاية الإسلام وأقول لك ولأتباعك امتثالاً لقول الله تعالى ﴿**يا أهل الكتاب**﴾.

السابعة والثلاثون: قوله «**فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده وكثر اللغط، وأمر بنا فأخرجنا**» في بدء الوحي «كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا» وفي الجهاد «فلما أن قضى مقالته علت أصوات الذين حوله من عظماء الروم وكثر لغطهم فلا أدري ماذا قالوا».

قلت: والباعث على هذه الحال من عظماء الروم استنكارهم ما سمعوه من كتاب النبي ﷺ.

الثامنة والثلاثون: قوله «**فقلت لأصحابي حين خرجنا: لقد أَمِر أَمْرُ ابن أبي كبشة، إنه ليخافه ملك بني الأصفر**» في الجهاد «فلما أن خرجت مع أصحابي وخلوت بهم» وأَمِر بفتح الهمزة وكسر الميم أي عظم، وابن أبي كبشة أراد به النبي ﷺ لأن أبا كبشة أحد أجداده، وعادة العرب إذا انتقصت نسبت إلى جد غامض، وبنو الأصفر هم الروم.

التاسعة والثلاثون: قوله «**فدعا هرقل عظماء الروم فجمعهم في دار له**» في بدء الوحي «فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص ثم أمر بأبوابها فغلقت ثم اطلع».

الأربعون: قوله «**يا معشر الروم هل لكم بالفلاح والرشد آخر الأبد، وأن يثبت لكم ملككم**» زاد في بدء الوحي «فتبايعوا هذا النبي» وهذا يتضمن أمرين:

أحدهما: دعوة هرقل ملأه إلى الإسلام وأنه سببٌ في بقاء ملكهم.

وثانيهما: وهو مفهومه أن رفضهم للإسلام سببٌ لزوال ملكهم.

الحادية والأربعون: قوله «**فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت**» حاصوا بمهملتين أي نفروا وشبههم بالوحوش؛ لأن نفرتها أشد من نفرة البهائم الإنسية، وشبههم بالحمر دون غيرها من الوحوش لمناسبة الجهل، وعدم الفطنة بل هم أضل.

الثانية والأربعون: قوله «**علي بهم فدعاهم**» في بدء الوحي «فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال ردوهم عليّ».

الثالثة والأربعون: قوله «**إني إنما اختبرت شدتكم على دينكم فقد رأيت منكم الذي أحببت فسجدوا له ورضوا عنه**» في بدء الوحي «أي قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عنه فكان ذلك آخر شأن هرقل».

قلت: وهذا من هرقل غاية في الحرص على الملك وإيثاره على دين الله، وما جاءه من الحق والهدى، وكان قادراً حساً على الفرار بدينه خلسة ولكن نفذ فيه قدر الله.

من فقه الحديث

أولاً: وجوب العمل بخبر الواحد وقيام الحجة به.

ثانياً: قبول ما تحمله الكافر من الحديث إذا أداه بعد إسلامه.

ثالثاً: وجوب دعوة الكفار إلى الإسلام قبل قتالهم.

رابعاً: جواز السفر إلى أرض العدو بالآية والآيتين ما لم يخشَ على ذلك من أيدي الكفار.

٦٣- [باب **﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون - إلى - به عليم﴾**].

ش: تمامها: **﴿وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم﴾**.

قوله **﴿لن تنالواالبر﴾** يعني بذلك جل ثناؤه: «لن تدركوا أيها المؤمنون البر، وهو البر من الله الذي يطلبونه منه بطاعتهم إياه، وعبادتهم له، ويرجونه منه، وذلك تفضله عليهم بإدخالهم جنته وصرف عذابه عنهم، ولذلك قال كثير من أهل التأويل: البر الجنة؛ لأنه بر الرب بعبده في الآخرة وإكرامه إياه بإدخاله الجنة». قاله ابن جرير

وقوله **﴿حتى تنفقوا مما تحبون﴾**.

قال القنوجي (٢/٢٨٣): «أي تصدقوا «وحتى» بمعنى «إلى» **﴿مما تحبون﴾** أي حتى تكون نفقتكم من أموالكم التي تحبونها و«من» تبعيضية، وقيل بيانية، و«ما» موصولة، أو موصوفة، والمراد النفقة في سبل الخير من صدقة أو غيرها من الطاعات، وقيل المراد الزكاة المفروضة.

قال البيضاوي: أي من المال أو مما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس، والبدن في طاعة الله، والمهجة في سبيله».انتهى

قلت: وكتعليم العلم.

وقوله **﴿وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم﴾**.**قلت:** ونظيرها من سورة البقرة **﴿وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه﴾**.

قال الشيخ ابن سعدي في شرحه لآية البقرة هذه: «يخبر تعالى أنه مهما أنفق المنفقون أو تصدق المتصدقون، أو نذر الناذرون فإن الله يعلم ذلك، ومضمون الإخبار بعلمه يدل على الجزاء، وأن الله لا يضيع عنده مثقال ذرة، ويعلم ما صدرت عنه من نيات صالحة أو سيئة».

٧٦- حدثنا إسماعيل قال: حدثني مالك، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: كان أبو طلحة أكثر

أنصاريّ بالمدينة نخلاً وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ قام أبو طلحة فقال: يا رسول الله إن الله يقول ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ وإن أحب أموالي إليّ بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال رسول الله ﷺ: بخ ذلك مال رايح، ذاك مال رايح وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين، قال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه، وبني عمه، قال عبد الله بن يوسف، وروح بن عبادة: ذاك مال رابح، حدثني يحيى بن يحيى قال: قرأت على مالك: مال رايح.

حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثني أبي، عن ثمامة، عن أنس رضي الله عنه قال: فجعلها لحسّان وأبي، وأنا أقرب إليه ولم يجعل لي منها شيئاً.

ش : فيه ثلاث عشرة مسألة

الأولى: قوله «**كان أبو طلحة**» هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الأنصاري النجاري، مشهور بكنيته، من كبار الصحابة شهد بدراً وما بعدها، مات سنة أربع وثلاثين، وقال أبو زرعة الدمشقي: عاش بعد النبي ﷺ أربعين سنة. أخرج له الجماعة.

الثانية: قوله «**أكثر أنصاري بالمدينة نخلاً**» وفي الوكالة باب إذا قال الرجل لوكيله ضعه حيث أراك الله من رواية يحيى بن يحيى «أكثر الأنصار بالمدينة مالاً» فتكون رواية الباب مفسرة لتلك.

الثالثة: قوله «**بيرُحاء**» قال النووي (٨٤/٤): «اختلفوا في ضبط هذه اللفظة عن شيوخنا بفتح الراء وضمها مع كسر الباء، وبفتح الباء والراء.

قال الباجي: «قرأت هذه اللفظة على أبي ذر الهروي بفتح الراء على كل حال.قال: وعليه أدركت أهل العلم والحفظ بالمشرق، وقال لي الصوري هي بالفتح، واتفقا على أن من رفع الراء وألزمها حكم الإعراب فقد أخطأ.قال: وبالرفع قرأناه على شيوخنا بالأندلس، وهذا الموضع يعرف بقصر بني حُريلة قبلي المسجد.وذكر مسلم رواية حماد بن سلمة هذا الحرف بريحاء بفتح الباء وكسر الراء، وكذا سمعناه من أبي بحر عن العذري والسمرقندي، وكان عند ابن سعيد عن البحري من رواية حماد بريحاء بكسر الباء وفتح الراء وضبطه الحميدي من رواية حماد بيرحاء بفتح الباء والراء».انتهى محل الغرض

الرابعة: قوله «**وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب**» فيه دليل على إباحة دخول العلماء والفضلاء البساتين وما جانسها من الجنات والكروم وغيرها، طلباً للراحة والترفه والنظر إلى ما يسلي النفس، وما يوجب شكر الله عز وجل على نعمه.

وفيه إباحة استعذاب الماء وتفضيل بعضه على بعض بما فضله الله عز وجل.

وفيه إباحة الشرب من ماء الصديق بغير إذنه إذا كان يسيراً وتطيب به نفسه، وليس فيه إجحاف عليه ولا أذية.

الخامسة: قوله «**فلما نزلت ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾**» هذا هو وجه مناسبة الحديث للباب، وقد مضى تفسيره.

السادسة: قوله «**قام أبو طلحة - إلى قوله - ضعها حيث أراك الله**» فيه عدة فوائد:

الأولى: أن الرجل الفاضل العالم، قد يضاف إليه حب المال، وقد يضيفه هو إلى نفسه وليس في ذلك نقيصة عليه، ولا إلى من أضاف ذلك إليه إذا كان ذلك من وجه حله، وما أباح الله منه.

الثانية: إثبات صفة الكلام لله، وأن القرآن كلام الله حقيقة، وهذا هو

مذهب أهل السنة والجماعة.

الثالثة: إباحة كسب العقار إذا كان من وجه حلال.

الرابعة: استعمال ظاهر الخطاب وعمومه، وأن الصحابة رضي الله عنهم لم يفهموا من فحوى الخطاب غير ذلك.

الخامسة: استشارة ذوي العلم والفضل والاستئناس برأيهم.

المسألة السابعة: قوله «**بخ**» هي كلمة تقال عند المدح والرضى بالشيء، وتكرر للمبالغة، وهي مبنية على السكون، فإن وصلت جرت ونوّنت، وربما شددت.

الثامنة: قوله «**ذلك مال رابح ذلك مال رابح**» وكذا في رواية روح وعبد الله بن يوسف «رابح» في آخر الحديث وفي رواية يحيى بن يحيى قال: قرأت على مالك «مال رايح».

قال ابن عبد البر: «وأما قوله بخ ذلك مال رابح فإنه أراد مال رابح صاحبه ومعطيه، فحذف، وذلك معروف من كلام العرب يقولون: مال رابح ومتجر رابح، كما قالوا ليل نائم أي ينام فيه، وهكذا رواه يحيى «مال رابح» من الربح وتابعه على ذلك جماعة، ورواه ابن وهب وغيره بالياء المنقوطة باثنتين من تحتها وقال في تفسيره أنه يروح على صاحبه بالأجر العظيم، وحقيقته عند أهل المعرفة باللسان على أنه على النصب أي مال ذو ربح كما يقولون: هم ناصب، وعيشة راضية أي هم ذو نصب، وعيشة ذات رضى.قال الأخفش: أصله من الروحة أي هو مال يروح عليك ثمره وخيره متى شئت، والأول أولى عندي».

قال مقيده: وعندي أن الروايتين بهذا التحليل والتوجيه متفقتان في المعنى.

التاسعة: قوله «**قد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين**» القائل هو رسول الله ﷺ والمعنى أي ذا القرابة المحتاج أولى بالصدقة من غيره، وروى ابن حبان وغيره عن سلمان بن عامر عن النبي ﷺ قال: «الصدقة على المسكين

صدقة، وهي على ذي الرحم اثنتان، صدقة وصلة».

العاشرة: قوله «**افعل يا رسول ا لله**» فيه سرعة استجابة أبـي طلحـة رضـي ا لله عنه لمشورة النبي ﷺ والأخذ بها.

الحادية عشرة: قوله «**فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه**» القـائل هـو أنس بن مالك.

الثانية عشرة: قوله «**فجعلها لحسان وأبي**» **قلت:** هذا هو تفسير القسـمة وتحديد المقسوم عليهم من الأقارب، فحسان هو أبو عبد الرحمن حسان بن ثـابت بن المنذر بن حرام الأنصاري الخزرجي شاعر رسول ا لله ﷺ مشهور، مـات سـنة أربع وخمسين وله مائة وعشرون سنة، أخرج له الجماعة إلا الترمذي.

وأُبي هو أبو المنذر أُبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيـد بـن معاويـة بـن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي، سيد القـراء، ويكنـى أبـا الطفيـل أيضاً، من فضلاء الصحابة، اختلف في سنة موتـه اختلافـاً كثـيراً قيـل سـنة تسـع عشرة، وقيل سنة اثنتين وثلاثين.أخرج له الجماعة.

ووجه تخصيص أبي طلحة إياهما أن الأول يلتقي معه عند أبيه الثالث، وأما أبي فيلقاه عند أبيه السابع.ذكر ذلك ابن عبد البر في التمهيد (١/٢١٧).

الثالثة عشرة: قوله «**وأنا أقرب إليه ولم يجعل لي منها شيئاً**» **قلت:** الظـاهر أن أبا طلحة خصّ أُبي وحسّان دون أنس لما رأى أن حاجتهما إلى الصدقة أكـثر منه وهذا هو عين ما تقتضيه المصلحة.

قال مقيده: ونختم ما يسر ا لله لنا من شرح هذا الحديث ببعض ما اسـتنبطه منه أبو عمر ابن عبد البر في باب إسحاق من التمهيد، وقد أسلفت طرفاً منهـا في المسألة السادسة مع اختصار وتصرف وإضافة.قال:

١ـ وفيه أن لفظ الصدقة، يخرج الشيء المتصدق به عـن ملـك الـذي يملكـه قبل أن يتصدق به، فإن أخرجها إلى مالك، وملكه إياها استغنى بهذه اللفظة عـن

غيرها، ولم يكن له الرجوع في شيء منها؛ لأن لفظ الصدقة يدل على أنه أراد الله بها معطيها لما وعد الله ورسوله على الصدقة من جزيل الثواب، وما أريد به الله فلا رجوع فيه، وهذا مما أجمع المسلمون عليه.

فإذا قال المتصدق: مالي هذا صدقة لله عز وجل، ولم يملّكه أحداً جاز للإمام أن يصرفه في أي سبيل من سبل الله شاء، غير أن الأفضل من ذلك أولى، هذا إذا لم يبن مراد المتصدق، فإن بان مراده لم يتعد ذلك الوجه.

٢ـ وفيه أن الصدقة على الأقارب من أفضل أعمال البر؛ لأن رسول الله ﷺ لم يشر بذلك على أبي طلحة إلا وهو قد اختار ذلك له، ولا يختار له إلا الأفضل لا محالة.

٣ـ وفيه إجازة تولي المتصدق قسم صدقته، وذلك عند أصحاب مالك، إذ كان منه إخراجا لها عن ملكه، ويده، وتمليكاً لغيره.

٤ـ وفيه دليل على صحة ما ذهب إليه فقهاء الحجازيين، حيث قالوا فيمن تصدق على رجل، أو على قوم بصدقة حبس، ذكر فيها أعقابها أو لم يذكر، ولم يجعل لها بعدهم مرجعاً، مثل أن يقول على المساكين، أو على ما لا يعدم وجوده من صفات البر، فماتوا وانقرضوا أنها ترجع حبساً على أقرب الناس بالمحبس يوم ترجع لا يوم حبس، ألا ترى أن أبا طلحة إذ جعل حائطه ذاك صدقة لله، ولم يذكر وجها من الوجوه التي يتقرب بها إلى الله عز وجل أمره رسول الله ﷺ أن يجعلها في أقاربه، فكذلك كل صدقة لا يجعل لها وجه، ولا يذكر لها مرجع، تصرف على أقارب المتصدق.

٥ـ **قال أبو عمر**: وفي هذا أيضاً ما يقضي على القرابة، أنها ما كان في هذا العدد ونحوه، وما كان دونه فهو أحرى أن يلحقه اسم القرابة.

٦٤- [باب **﴿قل فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾**].

ش: **قلت:** الآية **﴿كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾**.

قوله **﴿كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة﴾**.

قال الطبري رحمه الله (٤/١): «يعني بذلك جل ثناؤه أنه لم يكن حُرم على بني إسرائيل وهم ولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن شيئاً من الأطعمة من قبل أن تنزل التوراة، بل كان ذلك كله لهم حلالاً، إلا ما كان يعقوب حرّمه على نفسه، فإن ولده حرموه استناناً بأبيهم يعقوب من غير تحريم الله ذلك عليهم في وحي ولا تنزيل، ولا على لسان رسول له إليهم من قبل نزول التوراة».اهـ

قلت: والسؤال ها هنا ما الذي حرمه إسرائيل ﷺ من الأطعمة على نفسه؟

فالجواب: أن أهل التفسير مختلفون على قولين:

أحدهما: العروق من اللحم، وهذا قول ابن عباس، وأبي مجلز لاحق بن حميد، وقتادة، ومجاهد.

ثانيهما: أنه لحوم الإبل وألبانها، وهذا قول عبد الله بن كثير، والحسن، وهو الرواية الثانية عن ابن عباس، ومجاهد، واختار ابن جرير الجمع بينهما فقال: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول ابن عباس الذي رواه الأعمش عن حبيب عن سعيد، عنه أن ذلك العروق ولحوم الإبل؛ لأن اليهود مجمعة إلى اليوم على ذلك من تحريمها كما كان عليه من ذلك أوائلها.

قوله **﴿قل فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾**.

قال البغوي (٣٢٧/١): «﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**فاتوا بالتوراة فاتلوها**﴾ حتى يتبين لكم أنه كما قلت ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ فلم يأتوا».

وقال القنوجي: «ثم أمر الله سبحانه بأن يحاجهم بكتابهم ويجعل بينه وبينهم حكماً ما أنزله الله عليهم لا ما أنزل عليه فقال: ﴿**قل فأتوا بالتوراة فاتلوها**﴾ حتى تعلموا صدق ما قصه الله في القرآن، من أنه لم يحرم على بني إسرائيل شيء من قبل نزول التوراة إلا ما حرمه يعقوب على نفسه ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ في دعواكم أنه تحريم قديم.يروى أنهم لم يجسروا على إخراج التوراة، فلم يأتوا بها وخافوا الفضيحة وبهتوا، وفي هذا من الإنصاف للخصوم ما لا يقدر قدره ولا يبلغ مرامه، وفيه من الحجة النيرة على صدق النبي، وجواز النسخ الذي يجحدونه ما لا يخفى».

٧٧ـ حدثني إبراهيم بن المنذر[١]، حدثنا أبو ضمرة[٢]، حدثنا موسى بن عقبة، عن نافع، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن اليهود جاؤوا إلى النبي ﷺ برجل منهم وامرأة قد زنيا فقال لهم: كيف تفعلون بمن زنى منكم، قالوا: نحمّمهما ونضربهما، فقال: لا تجدون في التوراة الرجم؟، فقالوا: لا نجد فيها شيئاً، فقال لهم عبد الله بن سلام: كذبتم فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فوضع مدراسها الذي يُدّرسها منهم كفه على آية الرجم فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها ولايقرأ آية الجم ، فنزع يده عن آية الرجم، فقال: ما هذه؟ فلما رأوا ذلك قالوا: هي آية الرجم فأمر بهما فرجما قريباً من حيث موضع الجنائز عند المسجد، فرأيت صاحبها يجنأ عليها يقيها الحجارة.

ش: فيه ست مسائل

---

(١) هو إبراهيم بن المنذر بن عبدالله بن المنذر بن المغيرة بن عبدالله بن خالد بن حزام الأسدي الحزامي، صدوق. تكلم فيه أحمد لأجل القرآن من العاشرة (خ،ت،س،ق).

(٢) هو أنس بن عياض بن ضمرة الليثي المدني، ثقة، من الثامنة، مات سنة مائتين، وله ست وتسعون سنة(ع).

الأولى: قوله «**برجل منهم وامرأة قد زنيا**» لم أقف لهما على تسمية، وليس في ذكر ذلك فائدة، إذ العبرة بإقامة حد الله عليهما.

وأما معنى الزنا فهو وطء الرجل للمرأة في فرجها من غير نكاح ولا شبهة نكاح، وقيل هو إيلاج فرج في فرج مشتهى طبعاً محرماً شرعاً.ذكر ذلك الشوكاني (٤/٤).

الثانية: قوله «**كيف تفعلون بمن زنى منكم**» السائل هو النبي ﷺ والمسؤول من حضر القصة من اليهود، ويفيد هذا السؤال أمرين.

الأول: صحة أصل التوراة التي بأيدي القوم.

الثاني: إقامة الحجة عليهم.

الثالثة: قوله «**نحممهما ونضربهما**» التحميم تسويد الوجه بالفحم من الحممه، وهي الفحمة، والمعنى نسوّد وجوههم تشهيراً على هذه الفعلة؛ وفي رواية عبد الله بن يوسف، عن مالك، عن نافع في المناقب باب قول الله تعالى ﴿**يعرفونه كما يعرفون أبناءهم**﴾ «نفضحهم ويجلدون» ولا منافاة، فإن رواية الباب مفسرة لتلك.

الرابعة: قوله «**لا تجدون في التوراة الرجم**» لعل العبارة استفهام، حذفت منه الهمزة فيكون التقدير: ألا تجدون، ويرشد إلى ذلك حديث البراء عند مسلم وفيه «**أهكذا تجدون**».والرجم هو الرمي بالحجارة، ورجم الزاني المحصن هو ضربه بالحجارة حتى الموت، ويظهر من السؤال أن ذينك اليهوديين محصنان.

الخامسة: قوله «**فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين**» هذا وجه مطابقة الحديث للباب، والمراد منه إظهار كذب اليهود بما أخفوه من حدود الله.

السادسة: قوله «**فرأيت صاحبها يجنأ عليها**» أي يكب ويميل عليها ليقيها الحجارة.

من فقه الحديث

في هذا الحديث فوائد عظيمة ومسائل من الفقه جمة جديرة بالعناية

استنبطها الحافظ أبو عمر ابن عبد البر،**قال**: وفي هذا الحديث من الفقه:

١ ــ سؤال أهل الكتاب عن كتابهم، وفي ذلك دليل على أن التوراة صحيحة بأيديهم، ـ **قلت**: يعني أصلها ـ ولولا ذلك ما سألهم رسول ا لله ﷺ عنها، ولا دعا بها.

٢ـ وفيه دليل على أن الكتب التي كانوا يكتبونها بأيديهم، ثم يقولون هذا من عند ا لله، هي كتب أحبارهم وفقهائهم ورهبانهم، كانوا يصنعون لهم كتباً من آرائهم وأهوائهم ويضيفونها إلى ا لله عز وجل.

٣ـ وفيه دليل على أن شرائع من قبلنا شرائع لنا، إلا بما ورد في القرآن، أو في سنة النبي محمد ﷺ نسخه وخلافه.

٤ـ وفيه إثبات الرجم والحكم به على الثيب الزاني، وهو أمر أجمع أهل الحق ـ وهم الجماعة أهل الفقه والأثر ـ عليه.

٥ـ وفيه أن أهل الكتاب وسائر أهل الذمة إذا تحاكموا إلينا ورضوا بحكم حاكمنا، حكم بينهم بما في شريعتنا، كان ذلك موافقاً لما عندهم أو مخالفاً، وأنزلهم في الحكم منزلتنا)).

تنبيه

روى مسلم وغيره عن البراء بن عازب رضي ا لله عنه قال: مر على النبي يهودي محمماً مجلوداً فدعاهم ﷺ فقال: هكذا تجدون حد الزنى في كتابكم؟ قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم فقال: أنشدك با لله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزنى في كتابكم؟ قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد.قلنا تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم... الحديث. فكيف التوفيق بينه وبين حديث الباب؟

فالجواب:أنه لا معارضة بين الحديثين إذ الجمع بينهما ممكن بجواز تعدد القصة.

٦٥ـ [باب ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾].

ش: تمامها: ﴿**تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون با لله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون**﴾.

قوله تعالى ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾.

قال ابن كثير (٣٩٩/١): «يخبرتعالى عن هذه الأمة المحمدية بأنهم خير الأمم فقال: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾ وساق خبر أبي هريرة الآتي ثم قال: وهكذا قال ابن عباس ومجاهد وعطية العوفي وعكرمة وعطاء والربيع بن أنس ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾ يعني خير الناس للناس، والمعنى أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس».

قال مقيده: فإن قال قائل: من المعني بهذه الخيرية من الأمة؟

فالجواب عندنا: ما رجحه ابن جرير وهو أحد أقوال أربعة حكاها في الآية (٤٥/٤) بقوله: «وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قال الحسن وذلك أن يعقوب بن إبراهيم حدثني قال: ثنا ابن علية، عن بهز بن حكيم، عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول ا لله ﷺ يقول:ألا إنكم وفيتم سبعين أمة، أنتم آخرها وأكرمها على ا لله»اهـ.

قلت: ويشهد لهذا الاختيار أمران:

أحدهما: ظاهر عموم الآية، والأصل في هذا وأمثاله كلية الدلالة ما لم يخصصه نص صحيح، أو إجماع، ولا شك أن من هاجر من مكة إلى المدينة بل وجميع أصحاب النبي ﷺ هم أسبق الناس إلى هذه الخيرية.

وثانيهما: ما استفاض به الخبر عن النبي ﷺ في الثناء على هذه الأمة من ذلك ما رواه أحمد وغيره عن درة بنت أبي لهب قالت: قام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر فقال: يا رسول ا لله أي الناس خير؟ قال: خير الناس أقرأهم وأتقاهم لله وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم.

ومنها: ما رواه أحمد في المسند والترمذي وحسنه عن معاوية بن حيدة أن النبي ﷺ قال: (**أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل**).

وقوله تعالى ﴿**تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾.

قال الشوكاني (٣٧١/١): «وقوله ﴿**تأمرون بالمعروف**﴾ الخ. كلام مستأنف يتضمن بيان كونهم خير أمة مع ما يشتمل عليه من أنهم خير أمة ما أقاموا على ذلك واتصفوا به، فإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر زال عنهم ذلك، ولهذا قال مجاهد: أي كنتم خير أمة حال كونكم آمرين ناهين مؤمنين بالله وبما يجب عليكم الإيمان به من كتابه ورسوله وما شرعه لعباده، فإنه لا يتم الإيمان بالله سبحانه إلا بالإيمان بهذه الأمور».

وقال ابن سعدي (٢٦٢/١): «هذا تفضيل من الله لهذه الأمة بهذه الأسباب التي تميزوا بها وفاقوا بها سائر الأمم، وأنهم خير الناس للناس نصحاً، ومحبة للخير، ودعوة وتعليماً، وإرشاداً وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، وجمعاً بين تكميل الخلق، والسعي في منافعهم بحسب الإمكان، وبين تكميل النفس بالإيمان بالله، والقيام بحقوق الإيمان».انتهى

وقوله ﴿**ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم**﴾.

قال القنوجي (٣١٢/٢): «﴿**ولو آمن أهل الكتاب**﴾ أي اليهود والنصارى إيماناً كإيمان المسلمين بالله ورسله وكتبه ﴿**لكان خيراً لهم**﴾ من الرياسة التي هم عليها، وقيل من الكفر الذي هم عليه، ولكنهم لم يفعلوا ذلك، بل قالوا نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض، وإنما حملهم على ذلك حب الرياسة واستتباع العوام، فالخيرية إنما هي باعتبار زعمهم، وفيه ضرب تهكم بهم».انتهى محل الغرض.

وقوله ﴿**منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون**﴾.

قال ابن كثير (٤٠٥/١): «أي قليل منهم من يؤمن بالله وما أنزل إليكم

وما أنزل إليهم وأكثرهم على الضلالة والكفر والفسق والعصيان».

٧٨ـ حدثنا محمد بن يوسف، عن سفيان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة رضي الله عنه: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ قال خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام.

ش: يفسره ما أخرجه المصنف في باب الأسارى في السلاسل من كتاب الجهاد من حديث أبي هريرة مرفوعاً: عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل. وعند أبي داود من رواية حماد بن سلمة عن محمد بن زياد بلفظ «يقادون إلى الجنة بالسلاسل». قال ابن المنير كما في الفتح (١٤٥/٦): «وإن كان المراد حقيقة وضع السلاسل في الأعناق فالترجمة مطابقة، وإن كان المراد المجاز عن الإكراه فليست مطابقة». وتعقبه الحافظ بقوله: **قلت:** المراد بكون السلاسل في أعناقهم مقيد بحالة الدنيا، فلا مانع من حمله على حقيقته، والتقدير يدخلون الجنة، وكانوا قبل أن يسلموا في السلاسل».

٦٦- [باب ﴿**إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا**﴾].

ش: تمامها: ﴿**وا لله وليهما وعلى ا لله فليتوكل المؤمنون**﴾.

قوله ﴿**إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا وا لله وليهما**﴾.

قال البغوي (١/٣٤٧): أي تجبنا وتضعفا وتتخلفا، والطائفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس، وكانا جناحي العسكر، وذلك أن رسول ا لله ﷺ خرج إلى أحد في ألف رجل، وقيل: في تسعمائة وخمسين رجلاً، فلما بلغوا الشوط انخذل عبد ا لله بن أبي بثلث الناس ورجع في ثلاث مائة، وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟ فتبعهم أبو جابر السلمي فقال: أنشدكم با لله في نبيكم وفي أنفسكم، فقال عبد ا لله بن أُبي: لو نعلم قتالاً لأتبعناكم، وهمت بنو سلمة وبنو حارثة بالإنصراف مع عبد ا لله بن أبي فعصمهم ا لله فلم ينصرفوا، فذكرهم ا لله عظيم نعمته فقال عز وجل ﴿**إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا وا لله وليهما**﴾ ناصرهما وحافظهما.

قوله ﴿**وعلى ا لله فليتوكل المؤمنون**﴾.أي من كان به ضعف من المؤمنين أو وهن فليتوكل عليّ وليستعن بي أعنه على أمره، وأدفع عنه، حتى أبلغ به وأقويه على نيته.قاله ابن جرير.

قلت: والتوكل في اللغة معناه التفويض وفي الشرع اعتماد القلب على ا لله في جلب النفع وكشف الضر، وهو جامع لمقام التفويض والإستعانة والرضى، لا يتصور وجوده بدونها.

قاله ابن القيم في المدارج (١/١٥٢):

٧٩- **حدثنا علي بن عبد ا لله، حدثنا سفيان قال: قال عمرو: سمعت جابر بن عبد ا لله**[١] **رضي ا لله عنهما يقول: فينا نزلت ﴿إذ همت طائفتان**

(١) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام، الأنصاري ثم السلمي، صحابي ابن صحابي، غزا تسع عشرة غزوة، ومات بالمدينة بعد السبعين، وهو ابن أربع وتسعين(ع).

منكم أن تفشلا وا لله وليهما﴾ قال: نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما نحب ـ وقال سفيان مرة ـ وما يسرني أنها لم تنزل لقول ا لله ﴿وا لله وليهما﴾.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**بنو حارثة وبنو سلمة**» بيان للطائفتين وكلتاهما من الأنصار فالأولى بنو حارثة بن النبين من الأوس والثانية بنو سلمة بن جشم بن الخزرج، وهما الجناحان. يقول تعالى ﴿**وا لله وليهما**﴾ أي المدافع عنهما ما همتا به من فشلهما وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضعف ووهن أصابهما، غير شك في دينهما فتولى دفع ذلك عنهما برحمته وعائدته، حتى سلمتا من وهنهما وضعفهما ولحقتا بنبيهما ﷺ. قاله ابن إسحاق(٢/١٠٦).

الثانية: قوله «**وما نحب ـ وقال سفيان مرة ـ وما يسرني أنها لم تنزل**»

قلت: سفيان هو ابن عيينة أحد رواة الحديث وقد صرح به في المغازي والكلمتان بمعنى واحد.

الثالثة: قوله «**لقول ا لله ﴿وا لله وليهما﴾**» تعليل لما قبله وذلك لما تضمنته الآية من وعد ا لله إياهم بالنصر والتسليم من الوهن والضعف الذي كاد يصيب القوم. وقد تقدم بسط ذلك في كلام ابن إسحاق في أول مسألة.

٦٧- [باب ﴿**ليس لك من الأمر شيء**﴾].

ش: تمامها: ﴿**أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون**﴾.

قال البغوي (١/ ٣٥٠): «أي ليس إليك، فاللام بمعنى «إلى» كقوله تعالى ﴿**ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان**﴾ وقوله تعالى ﴿**أو يتوب عليهم**﴾.

قال بعضهم: معناه حتى يتوب عليهم، أو إلى ان يتوب عليهم، وقيل: هو نسق على قوله ﴿**ليقطع طرفاً**﴾.وقوله ﴿**ليس لك من الأمر شيء**﴾ إعتراض بين الكلامين ونظم الآية (ليقطع طرفاً من الذين كفروا، أو يكبتهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم، فإنهم ظالمون، ليس لك من الأمر شيء) بل الأمر أمري في ذلك كله».

وقال ابن كثير (١/ ٤١١): «أي بل الأمر كله إليّ كما قال تعالى ﴿**فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب**﴾ وقال ﴿**ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء**﴾ وقال ﴿**إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء**﴾ وقال محمد بن إسحاق في قوله ﴿**ليس لك من الأمر شيء**﴾: أي ليس لك من الحكم شيء في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم، ثم ذكر بقية الأقسام فقال: ﴿**أو يتوب عليهم**﴾ أي مما هم فيه من الكفر فيهديهم بعد الضلالة ﴿**أو يعذبهم**﴾ أي في الدنيا والآخرة على كفرهم وذنوبهم، ولهذا قال ﴿**فإنهم ظالمون**﴾ أي يستحقون ذلك.

٨٠ـ حدثنا حبّان بن موسى، أخبرنا عبد الله، أخبرنا معمر، عن الزهري قال: حدثني سالم، عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الآخرة من الفجر يقول: اللهم العن فلاناً وفلاناً وفلاناً» بعدما يقول: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد» فأنزل الله ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ ـ

إلى قوله - ﴿فإنهم ظالمون﴾.رواه إسحاق بن راشد[1] عن الزهري.

٨١- حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن سعد، حدثنا ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع، فربما قال إذا قال سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد: اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام، وعيّاش بن أبي ربيعة، اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها سنين كسني يوسف» يجهر بذلك، وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر: اللهم العن فلاناً وفلاناً» لأحياء من العرب، حتى أنزل الله ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾.

ش : فيهما سبع مسائل

الأولى: قوله «**إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الآخرة من الفجر**» **قلت:** وعند أبي داود في الصلاة باب القنوت في الصلوات عن ابن عباس قال: «قنت رسول الله ﷺ شهراً متتابعاً في الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصلاة الصبح في دبر كل صلاة إذا قال سمع الله لمن حمده من الركعة الآخرة» فالجمع بينهما أن كلاً من الصحابيين حدّث عن النبي ﷺ بما رآه وحفظه.

الثانية: قوله «**اللهم العن فلاناً وفلاناً...**». **قلت:** اللعن من الله الطرد والإبعاد عن رحمته، ومن المخلوق هو طلب ذلك.وقوله «**فلاناً**» جاء مفسراً عند الترمذي في التفسير من رواية عمر بن حمزة بلفظ «قال رسول الله ﷺ يوم أحد: اللهم العن أبا سفيان، اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن صفوان بن أمية» ثم قال الترمذي بعد ذلك: هذا حديث حسن غريب يستغرب من حديث عمر بن حمزة عن سالم عن أبيه، وقد رواه الزهري عن سالم عن أبيه، لم يعرفه محمد

---

(١) هو أبو سليمان إسحاق بن راشد الجزري، ثقة. في حديثه عن الزهري بعض الوهم، من السابعة، مات في خلافة أبي جعفر.(خ٤).

بن إسماعيل من حديث عمر بن حمزة، وعرفه من حديث الزهري.

قلت: ويشهد للتسمية ما أخرجه المصنف في المغازي باب ﴿**ليس لك من الأمر شيء**﴾ عن سالم مرسلاً ولفظه «كان رسول الله ﷺ يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام» الحديث.

الثالثة: قوله «**بعد ما يقول سمع الله لمن حمده اللهم ربنا ولك الحمد**» فيه بيان موضع القنوت، ويأتي بسطه قريباً إن شاء الله.

الرابعة: قوله «**ليس لك من الأمر شيء**» هذا وجه الشاهد من الحديث للترجمة وقد مضى تفسيره.

الخامسة: قوله «**رواه إسحاق بن راشد**» **قلت:** هو موصول عند الطبراني في الكبير (١٢/ ٢٨٠) من رواية محمد بن جعفر ثنا عمرو بن قسط ثنا عبيد الله بن عمرو، عن إسحاق بن راشد عن الزهري عن سالم عن أبيه.

تنبيه

وقع في رواية عبد الرزاق «دعا على أناس من المنافقين» ولم يذكر ذلك ابن المبارك وهو أوثق من عبد الرزاق، وأخشى أن تكون هذه اللفظة شاذة. والله أعلم.

السادسة: قوله «**كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع**» مضى القول في القنوت في حديث عمر في المسألة الثانية قبله، وقوله «**إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد**» بيان لمضمون قنوته ﷺ في النوازل.

السابعة: قوله «**اللهم أنج الوليد بن الوليد - إلى قوله — وعياش بن أبي ربيعة**». **قلت:** «انج» من الرباعي أنجى ويقال: نجى من نجا وهما بمعنى واحد، والوليد بن الوليد هو ولد الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي، أسلم وتوفي في حياة النبي ﷺ، وسلمة بن هشام هو أبو هاشم سلمة

بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي أخو أبي جهل. كان من السابقين إلى الإسلام، إستشهد بمرج الصفر سنة أربعة عشر وقيل غير ذلك.وعياش بن أبي ربيعة هو عمرو ويلقب بذي الرمحين ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ابن عم خالد بن الوليد، وكان من السابقين الأولين، وهاجر الهجرتين، مات في خلافة عمر.

وكان الثلاثة من المستضعفين من المسلمين في مكة، فدعا لهم رسول الله ﷺ بالنجاة من الكفار.وسيأتي الكلام على بقية الحديث عند قوله تعالى ﴿**إلا المستضعفين من الرجال والنساء**﴾ في سورة النساء.

من فقه الحديثين

واعلم أن الحديثين قد اتفقا على ثلاثة أمور:

الأول: شرعية القنوت في النوازل وأن موضعه بعد الركوع وقد مضى في المسألة الأولى من حديث ابن عمر أنه الركعة الأخيرة من صلاة الفجر وجمعنا هناك بينه وبين حديث ابن عباس عند أبي داود.

ونضيف ههنا ما قاله ابن القيم في الزاد (١/٢٧٣): «وكان هديه ﷺ القنوت في النوازل خاصة، وتركه عند عدمها، ولم يكن يخصه بالفجر، بل كان أكثر قنوته فيها لأجل ما شرع فيها من التطويل، ولاتصالها بصلاة الليل، وقربها من السحر وساعة الإجابة وللتنزل الإلهي؛ ولأنها الصلاة المشهودة التي يشهدها الله وملائكته، وملائكة الليل والنهار كما روي هذا، وهذا في تفسير قوله تعالى ﴿**إن قرآن الفجر كان مشهوداً**﴾» انتهى محل الغرض

قلت: فتحصل بهذا تفسيران:

أحدهما: أن قنوت النوازل ليس خاصاً بصلاة الصبح بل هو عام في جميع الصلوات كما تقدم.

وثانيهما: فيه الرد على من قال بنسخ القنوت، وهم بعض الكوفيين

محتجين بحديث ابن عمر وهو الأول في الباب، والجواب كما قال القرطبي رحمه الله: وليس هذا موضع نسخ وإنما نبه الله تعالى نبيه على أن الأمر ليس إليه، وأنه لا يعلم من الغيب شيئاً إلا ما أعلمه، وأن الأمر كله لله يتوب على من يشاء ويعجل العقوبة لمن يشاء.

الثاني: النهي عن لعن المعين أو الدعاء عليه، ويشكل عليه حديث ابن عباس عند أبي داود وفيه «إذا قال سمع الله لمن حمده من الركعة الآخرة يدعو على أحياء من بني سليم على رعل وذكوان وعصية» ففيه كما ترى الدعاء على معين وهم بعض قبائل العرب من الكفار، وعندي والعلم عند الله أنه لا يزول هذا الإشكال إلا بحمل حديث ابن عمر وما في معناه على أنه كان في أول الإسلام ثم نسخ ذلك بحديث ابن عباس المتقدم وما في معناه.

الثالث: ظاهر الحديثين أن كلتى القصتين سبب لنزول الآية، ولا مانع من تكرير سبب النزول وقد قدمنا نظير هذه المسألة.

٦٨ - [باب **﴿والرسول يدعوكم في أخراكم﴾**].

ش : قلت الآية: **﴿إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غماً بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم، وا لله بصير بما تعملون﴾**.

قوله: **﴿إذ تصعدون ولا تلوون على أحد﴾** هذه الآية وثيقة الصلة والإرتباط بالآية قبلها أعني **﴿ثم صرفكم عنهم ليبتليكم، ولقد عفا عنكم وا لله ذو فضل على المؤمنين﴾** إذ الآيتان في قصة أحد قال ابن جرير (١٣٢/٤): «يعني بذلك جل ثناؤه: ولقد عفا عنكم أيها المؤمنون إذ لم يستأصلكم إهلاكاً منه جمعكم بذنوبكم وهربكم، **﴿إذ تصعدون ولا تلوون على أحد﴾** إلى أن قال (ص ١٣٣): «وأما قوله **﴿ولا تلوون على أحد﴾** فإنه يعني ولا تعطفون على أحد منكم، ولا يلتفت بعضكم إلى بعض هرباً من عدوكم مصعدين في الوادي».

قوله: **(والرسول يدعوكم في أخراكم)** قال ابن كثير (٤٢٣/١): «أي وهو قد خلفتموه وراء ظهوركم يدعوكم إلى ترك الفرار من الأعداء، وإلى الرجعة والكرة».

قوله **﴿فأثابكم غماً بغم﴾** يعني فجازاكم بفراركم عن نبيكم وفشلكم عن عدوكم ومعصيتكم ربكم غماً بغم، يقول غماً على غم، وسمى العقوبة التي عاقبهم بها من تسليط عدوهم عليهم حتى نال منهم ما نال ثواباً إذ كان ذلك من عملهم الذي سخطه، ولم يرضه منهم، فدل بذلك جل ثناؤه أن كل عوض كالمعوض من شئ من العمل خيراً كان أو شراً، أو العوض الذي بذله رجل لرجل، أو يد سلفت له إليه، فإنه مستحق اسم ثواب كان ذلك العوض مكرمة أو عقوبة» قاله ابن جرير.

قوله: **﴿لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم﴾** الجملة تعليلية والمعنى أن ا لله قد جازاكم بالغم على الغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الفتح

والغنيمة ﴿ولا ما أصابكم﴾ من ضد ذلك.

وقال الشيخ بن سعدي: ((يعني أنه قدر ذلك الغم والمصيبة عليكم، لكي تتوطن نفوسكم، وتتمرنوا على الصبر على المصيبات، ويخف عليكم تحمل المشقات. **قلت**: هذه نكتة لطيفة تناسب المقام ولفتة جيدة يرشد إليها السياق)).

قوله: ﴿**وا لله بصير بما تعلمون**﴾ قال الشيخ القنوجي _٢/٣٥٦): ((من الأعمال خيرها وشرها فيجازيكم عليها﴾)).

جملة من الآثار والكلمات:

١ - [﴿**أخراكم**﴾ **هو تأنيث آخركم**].

ش : قال أبو عبيدة ((﴿أخراكم﴾ آخركم)).

٢ - [**وقال ابن عباس: إحدى الحسنيين﴾ فتحاً أو شهادة**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني المثنى: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها هي الثانية والخمسون من سورة التوبة.

ووجه إيراد هذا الأثر ها هنا مع أن الآية من سورة التوبة فلعل المصنف أورده هنا للإشارة إلى أن إحدى الحسنيين، وقعت في أحد وهي الشهادة((. قاله الحافظ.

٨٢ - حدثنا عمرو بن خالد[1]: حدثنا زهير: حدثنا أبو إسحاق قال سمعت البراء بن عازب رضي ا لله عنهما قال: جعل النبي ﷺ على الرجالة يوم أحد عبدا لله بن جبير، وأقبلوا منهزمين فذاك إذ يدعوهم الرسول في أخراهم ولم يبق مع النبي ﷺ غير اثني عشر رجلاً.

ش: فيه ثلاث مسائل:

---

(١) عمرو بن خالد هو: أبو الحسن عمرو بن خالد بن فروخ بن سعيد التميمي، ويقال الخزاعي الحراني، نزيل مصر، ثقة من العاشرة، مات سنة تسع وعشرين (خ، ق).

الأولى: قوله: **(الرجالة)** هم جمع راجل وهم: المشاة ويعني بهم الرماة الذين انتدبهم النبي ﷺ لحراسة ظهور المسلمين فجعلهم على جبل أحد وهم خمسون رامياً وكان عليهم عبدا لله بن جبير وهو عبدا لله بن جبير بن النعمان بن أمية الأنصاري الأوسي وهو فيمن قتل من الرماة يوم أحد.

وكانت وقعة أحد في شهر شوال من السنة الثالثة من الهجرة وذلك أن عبدا لله بن أبي ربيعة وعكرمة بن ابي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم يوم بدر قاموا بالتحريض على غزو النبي ﷺ والمؤمنين بالمدينة انتقاماً لقتلاهم فكلموا أبا سفيان وسادات قريش فخرج أبو سفيان فيمن اجتمع له من قريش وعددهم ثلاثة آلاف رجل ومعهم بعض النسوة فنزلوا بعينين بجبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة، وخرج النبي ﷺ بمن معه من المسلمين فنزل الشعب من أحد في عُدوة الوادي إلى الجبل فجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وقال: لا يقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال، وكان معه ﷺ بعد انخذال المنافقين عنه سبعمائة رجل، وكان من أمر تلك الوقعة بعد التحام المعركة بين الجيشين أن خالف الرماة أمر النبي ﷺ اجتهاداً منهم فتركوا أماكنهم حين لاحت بوادر النصر في صف المسلمين فانقض المشركون على المسلمين وقتلوا منهم سبعين رجلاً وجرح النبي ﷺ فشج رأسه وكسرت رباعيته وكان من القتلى حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير.

الثانية: قوله **(فذاك إذ يدعوهم الرسول في أخراهم)** هذا هو وجه مطابقة الحديث للباب وهو وما بعده تفسير للأخرى في الآية.

الثالثة: قوله «**ولم يبق مع النبي ﷺ غير اثني عشر رجلاً**» يعني من الجيش ومن هؤلاء أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة والزبير، ومن الأنصار أسيد بن حضير والحباب بن المنذر.

٦٩- [باب ﴿أمنة نعاساً﴾].

ش: قلت: الآية ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون با لله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي ا لله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم وا لله عليم بذات الصدور﴾.

قوله ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً﴾ «يعني بذلك جل ثناؤه: ثم أنزل ا لله أيها المؤمنون من بعد الغم الذي أثابكم ربكم بعد غم تقدمه أمنة وهي الأمان على أهل الإخلاص منكم واليقين، دون أهل النفاق والشك، ثم بين جل ثناؤه عن الأمنة التي أنزلها عليهم ما هي؟ فقال: ﴿نعاساً﴾ بنصب النعاس على الإبدال من الأمنة».قاله ابن جرير

قوله ﴿يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم﴾.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «ولا شك أن هذا رحمة بهم، وإحسان وتثبيت لقلوبهم وزيادة طمأنينة؛ لأن الخائف لا يأتيه النعاس، لما في قلبه من الخوف، فإذا زال الخوف عن القلب أمكن أن يأتيه النعاس، وهذه الطائفة التي أنعم ا لله عليها بالنعاس هم المؤمنون الذين ليس لهم إلا إقامة دين ا لله ورضى ا لله ورسوله، ومصلحة إخوانهم المسلمين.وأما الطائفة الأخرى الذين قد أهمتهم أنفسهم فليس لهم هم في غيرها لنفاقهم، أو ضعف إيمانهم، فلهذا لم يصبهم من النعاس ما أصاب غيرهم»اهـ.

قوله ﴿يظنون با لله غير الحق ظن الجاهلية﴾.

قال الشوكاني (٣٩١/١): «هذه الجملة في محل نصب على الحال أي يظنون با لله غير الحق الذي يجب أن يظن به، وظن الجاهلية بدل منه، وهو الظن

المختص بملة الجاهلية أو ظن أهل الجاهلية، وهو ظنهم أن أمر النبي ﷺ باطل، وأنه لا ينصر ولا يتم ما دعا إليه من دين الحق»اهـ.

قوله ﴿**يقولون هل لنا من الأمر من شيء**﴾.

قال الشيخ صديق (٣٥٨/٢): «يقولون لرسول الله ﷺ ﴿**هل لنا من الأمر من شيء**﴾ أي من أمر الله نصيب، وهذا الاستفهام معناه الجحد، أي ما لنا شيء من الأمر، وهو النصر والإستظهار على العدو، وقيل هو الخروج، أي إنما أخرجنا مكرهين» اهـ.

قوله ﴿**قل إن الأمر كله لله**﴾ «الأمر يشمل الأمر القدري، والأمر الشرعي، فجميع الأشياء بقضاء الله وقدره، وعاقبتها النصر والظفر لأوليائه، وأهل طاعته، وإن جرى عليهم ما جرى».قاله ابن سعدي

قوله ﴿**يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا**﴾.

قال ابن كثير (٤٢٧/١): «أي يسرون هذه المقالة عن رسول الله ﷺ قال ابن إسحاق فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال: قال الزبير: لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ حين اشتد الخوف علينا، أرسل الله علينا النوم فما منا من رجل إلا ذقنه في صدره قال فوالله إني لأسمع قول معتّب بن قشير ما أسمعه إلا كالحلم يقول: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا فحفظتها منه وفي ذلك أنزل الله ﴿**يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا**﴾ لقول معتّب». رواه ابن أبي حاتم.

قوله ﴿**قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم**﴾.

قال ابن جرير (١٤٣/٤): «يعني بذلك جل ثناؤه قل يا محمد للذين وصفت لك صفتهم من المنافقين: لو كنتم في بيوتكم لم تشهدوا مع المؤمنين

مشهدهم، ولم تحضروا معهم حرب أعدائهم من المشركين، فيظهر للمؤمنين ما كنتم تخفونه من نفاقكم، وتكتمونه من شرككم في دينكم، **﴿لبرز الذين كتب عليهم القتل﴾** يقول لظهر للموضع الذي كتب عليه مصرعه فيه من قد كتب عليه القتل منهم، ويخرج من بيته إليه حتى يصرع في الموضع الذي كتب عليه أن يصرع فيه)).اهـ

قوله **﴿وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم﴾**.

قال القرطبي (٤/٢٤٣): ((والواو في قوله **﴿وليبتلي﴾** مقحمة كقوله **﴿وليكون من الموقنين﴾** أي ليكون، وحذف الفعل الذي مع لام كي.والتقدير: وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم، فرض الله عليكم القتال والحرب، ولم ينصركم يوم أحد ليختبر صبركم، وليمحص عنكم سيئاتكم إن تبتم وأخلصتم)).انتهى محل الغرض

وقوله **﴿وليمحص ما في قلوبكم﴾**.

قال الراغب في مفرداته مادة محص: ((أصل المحص تخليص الشيء مما فيه من عيب كالفحص، لكن الفحص يقال في إبراز شيء من أثناء ما يختلط به، وهو منفصل عنه، والمحص يقال في إبرازه عما هو متصل به.يقال محصت الذهب ومحّصته إذا أزلت عنه ما يشوبه من خبث قال **﴿وليمحص الله الذين آمنوا﴾** **﴿وليمحص ما في قلوبكم﴾** فالتمحيص ها هنا كالتزكية والتطهير ونحو ذلك من الألفاظ))

قلت: ونظيره قوله تعالى **﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب﴾** الآية.

قوله **﴿والله عليم بذات الصدور﴾**.

قال ابن سعدي (١/٢٨٣): ((أي بما فيها، وما أكنته، فاقتضى علمه وحكمته أن قدّر من الأسباب ما به يظهر مخبئات الصدور، وسرائر الأمور)).

٨٣- حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن أبو يعقوب[١]، حدثنا حسين بن محمد[٢]، حدثنا شيبان[٣]، عن قتادة، حدثنا أنس، أن أبا طلحة قال: غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد قال: فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه، ويسقط وآخذه.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**غشينا النعاس**» هذه الجملة هي مطابقة الحديث للترجمة، والنعاس الوسن وهو أول النوم، وغشيانه، مجيئه القوم وملابسته إياهم، يقال: غشيه يغشاه غشياناً إذا جاءه وغشاه تغشية إذا غطاه، وغشي الشيء إذا لابسه.

الثانية: قوله «**ونحن في مصافنا**» أي صفوف في أماكننا التي أقامنا فيها النبي ﷺ وجاه العدو، والجملة حالية.

الثالثة: قوله «**فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه**» **قلت:** هذا من شدة النعاس الذي أرسله الله على المؤمنين حينذاك؛ فإنه إذا اشتد النعاس على المرء إسترخى جسمه ولم تعد يده تمسك ما فيها، والحكمة من النعاس في هذه الحال بيّنها ابن كثير (٤٢٧/١) فقال: «يقول تعالى ممتناً على عباده فيما أنزل عليهم من السكينة والأمنة وهو النعاس الذي غشيهم وهم مشتملون السلاح في حال همهم وغمهم، والنعاس في مثل تلك الحال دليل على الأمان كما قال في سورة الأنفال في قصة بدر ﴿**إذ يغشيكم النعاس أمنة منه**﴾ الآية وساق إسناد ابن أبي حاتم إلى ابن مسعود أنه قال: النعاس في القتال من الله وفي الصلاة من الشيطان. وقد قدمنا نحو هذا الكلام في تفسير آية الترجمة عن ابن سعدي رحمه الله.

---

(١) هو أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن منيع البغوي، لقبه لؤلؤ، وقيل بُوْبُوْ بتحتانيتين، ثقة، من العاشرة، مات سنة تسع وخمسين [ومائتين].(خ).

(٢) هو أبو أحمد أو أبو علي الحسين بن محمد بن بهرام التميمي المرّوذي، نزيل بغداد، ثقة، من التاسعة، مات سنة ثلاث عشرة [ومائتين]، أو بعدها بسنة أو سنتين(ع).

(٣) هو أبو معاوية شيبان بن عبد الرحمن التميمي مولاهم النحوي البصري نزيل الكوفة، ثقة صاحب كتاب، من السابعة، مات سنة أربع وستين [ومائة](ع).

٧٠- [باب ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجرٌ عظيم﴾].

ش: قوله ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح﴾.

قال ابن جرير (٤/١٧٦): «يعني بذلك جل ثناؤه: وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين، المستجيبين لله والرسول من بعد ما أصابهم الجراح والكلوم، وإنما عنى الله تعالى ذكره بذلك الذين اتبعوا رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد في طلب العدو، أبي سفيان ومن كان معه من مشركي قريش منصرفهم عن أحد، وذلك أن أبا سفيان لما انصرف عن أحد خرج رسول الله ﷺ في إثره حتى بلغ حمراء الأسد وهي على ثمانية أميال من المدينة، ليرى الناس أن به وأصحابه قوة على عدوهم».اهـ

قلت: وذلك أن رسول الله ﷺ بلغه بأن أبا سفيان وصحبه يعدون العدة للكرة على المسلمين.

قوله ﴿للذين أحسنوا منهم واتقوا أجرٌ عظيم﴾.

﴿للذين أحسنوا منهم﴾ بطاعة رسول الله ﷺ وإجابته إلى الغزو ﴿واتقوا﴾ معصيته ﴿أجرٌ عظيم﴾.قاله البغوي

شرح جملة من الكلمات

١- [**القرح: الجراح**].

ش: قاله أبو عبيدة في مجازه (١/١٠٤) وزاد: والقتل.اهـ

والمراد به ما أصاب المسلمين يوم أحد.

٢- [﴿**استجابوا**﴾ **أجابوا، يستجيب يجيب**].

ش: قال أبو عبيدة (١/٦٧) عند قوله ﴿فليستجيبوا لي﴾ وهي الآية السادسة والثمانون بعد المائة من سورة البقرة.أي يجيبوني.قال كعب الغنوي:

وداع دعى يا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب.اهـ

فاستظهر المصنف قوله من ذلك، وهذا معلوم فإن ماضي يستجيب استجاب.

تنبيه

لم يذكر أبو عبد الله حديثاً في هذا الباب،ولا أدري ما السر في ذلك، ويناسبه ما أخرجه في المغازي باب ﴿**الذين استجابوا لله والرسول**﴾ عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ﴿**الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجرٌ عظيم**﴾ قالت لعروة: يا ابن أختي كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد، وانصرف عنه المشركون، خاف أن يرجعوا قال: من يذهب في إثرهم، فانتدب منهم سبعون رجلاً، قال: كان فيهم أبو بكر والزبير.

٧١ـ باب ﴿**إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم**﴾.

ش: قلت: الآية ﴿**الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل**﴾.

قال ابن جرير (١٧٩/٤): «يعني تعالى ذكره: وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين الذين قال لهم الناس ﴿**إن الناس قد جمعوا لكم**﴾ «والذين» في موضع خفض مردود على المؤمنين، وهذه الصفة من صفة الذين استجابوا لله والرسول، والناس الأول هم قوم فيما ذكر لنا، كان أبو سفيان سألهم أن يثبطوا رسول الله ﷺ وأصحابه الذين خرجوا في طلبه بعد منصرفه عن أحد إلى حمراء الأسد، والناس الثاني هم أبو سفيان وأصحابه من قريش، الذين كانوا معه بأُحد. يعني بقوله ﴿**قد جمعوا لكم**﴾ قد جمعوا الرجال للقائكم، والكرة إليكم لحربكم ﴿**فاخشوهم**﴾ يقول: فاحذروهم، واتقوا لقاءهم، فإنه لا طاقة لكم بهم ﴿**فزادهم إيماناً**﴾ يقول: فزادهم ذلك من تخويفِ من خوفهم أمر أبي سفيان وأصحابه من المشركين يقيناً إلى يقينهم، وتصديقاً لله ولوعده، ووعد رسوله إلى تصديقهم، و لم يثنهم ذلك عن وجههم الذي أمرهم رسول الله ﷺ بالسير فيه، ولكن ساروا حتى بلغوا رضوان الله منه، وقالوا ثقة بالله وتوكلاً عليه إذ خوفهم من خوفهم أبا سفيان وأصحابه من المشركين ﴿**حسبنا الله ونعم الوكيل**﴾ يعني بقوله ﴿**حسبنا الله**﴾ كفانا الله يعني يكفينا الله ﴿**ونعم الوكيل**﴾ يقول ونعم المولى لمن وليه وكفله، وإنما وصف تعالى نفسه بذلك؛ لأن الوكيل في كلام العرب هو المسند إليه القيام بأمر من أسند إليه القيام بأمره، فلما كان القوم الذين وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الآيات قد كانوا فوّضوا أمرهم إلى الله ووثقوا به وأسندوا ذلك إليه، وصف نفسه بقيامه لهم بذلك، وتفويضهم أمرهم إليه بالوكالة فقال: ﴿**ونعم الوكيل**﴾ الله تعالى لهم»اهـ.

٨٤ـ حدثنا أحمد بن يونس[١] أُراه قال: حدثنا أبو بكر[٢] عن أبي حصين[٣]، عن أبي الضحى، عن ابن عباس: ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا ﴿إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾.

٨٥ـ حدثنا مالك بن إسماعيل[٤]، حدثنا إسرائيل، عن أبي حصين، عن أبي الضحى، عن ابن عباس قال: كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل.

ش : فيهما سبع مسائل:

الأولى: قوله «**حسبنا الله**» أي كافينا فلا نتوكل إلا عليه، كما قال تعالى ﴿**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**﴾ أي كافيه، وقال ﴿**أليس الله بكاف عبده**﴾.

الثانية: قوله «**ونعم الوكيل**» أي الموكل إليه، المتوكل عليه كما قال تبارك وتعالى ﴿**واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير**﴾ فقد تضمنت

(١) هو أحمد بن عبد الله بن يونس بن عبد الله بن قيس التميمي اليربوعي، الكوفي، ثقة حافظ، من كبار العاشرة، مات سنة سبع وعشرين [ومائتين]، وهو ابن أربع وتسعين سنة(ع).

(٢) هو أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي، الكوفي، المقرىء الحناط، مشهور بكنيته، والأصح أنها اسمه، وقيل اسمه محمد أو عبد الله أو سالم أو شعبة أو رؤبة أو مسلم أو خداش أو مطرف أو حماد أو حبيب عشرة أقوال، ثقة عابد، إلا أنه لما كبر سنه ساء حفظه وكتابه صحيح، من السابعة، مات سنة أربع وتسعين [ومائة]، وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين وقد قارب المائة، وروايته في مقدمة مسلم(ع).

(٣) هو عثمان بن عاصم بن حصين الأسدي الكوفي، أبو حصين، ثقة ثبت سني ربما دلس من الرابعة، مات سنة سبع وعشرين [ومائة]، ويقال بعدها، وكان يقول إن عاصم بن بهدلة أكبر منه بسنة(ع).

(٤) هو أبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي الكوفي، سبط حماد بن أبي سليمان، ثقة متقن صحيح الكتاب، من صغار التاسعة، مات سنة سبع عشرة [ومائتين](ع).

هذه الكلمة العظيمة التوكل على ا لله، والإلتجاء إليه.

قال ابن القيم: «وهو حسب من توكل عليه، وكافي من لجأ إليه، وهو الذي يؤمن خوف الخائف، ويجير المستجير، وهو نعم المولى، ونعم النصير، فمن تولاه، واستنصر به، وتوكل عليه، وانقطع بكليته إليه تولاه، وحفظه وحرسه، وصانه، ومن خافه، واتقاه أمنّه مما يخاف ويحذر، وجلب إليه كل ما يحتاج إليه من المنافع» .

الثالثة: قوله «**قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار**». **قلت:** وقصة إلقاءه في النار مذكورة في سورة الأنبياء حيث قال جل ذكره ﴿**قال أفتعبدون من دون ا لله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أفٍ لكم ولما تعبدون من دون ا لله أفلا تعقلون قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم**﴾.

الرابعة: قوله «**وقالها محمد ﷺ حين قالوا إن الناس قد جمعوا لكم**».**قلت:** يعني حين بلغه أن أبا سفيان وجنده قد أعدوا للكرة عليهم بعد وقعة أحد.وقد تقدم في تفسير الآية.

الخامسة: قوله «**إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم**» هذا وجه الشاهد من الحديث وقد سبق معناه في تفسير الآية.

السادسة: قوله «**فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا ا لله ونعم الوكيل**» فيه دليل على زيادة الإيمان ونقصه، وهذا هو المذهب الحق، وشواهده من القرآن كثيرة منها قوله تعالى ﴿**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر ا لله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون**﴾.

السابعة: قوله «**كان آخر قول إبراهيم...الخ**» قال الحافظ (٨/٢٢٩): «ووقع عند النسائي من طريق يحيى بن أبي بكير عن أبي بكر كذلك، وعند أبي نعيم في المستخرج من طريق عبيد ا لله بن موسى عن إسرائيل بهذا الإسناد «**أنها**

أول ما قال» فيمكن أن يكون أول شيء قال وآخر شيء قال». والله أعلم.

قلت: وشاهد الترجمة منه قوله ﴿**حسبنا الله ونعم الوكيل**﴾ وقد تقدم معناه.

من فقه الحديثين :

أولاً: أن فيما يكره الإنسان قد يكون خيراً له.

ثانياً: وجوب التوكل على الله وأنه من أعظم الأسباب في حصول الخير ودفع الشر في الدنيا والآخرة.

٧٢- [باب **﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم ا لله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا بـه يوم القيامة و لله ميراث السموات والأرض وا لله بما تعملون خبير﴾**].

ش: قال الشيخ ابن سعدي (١/٢٩٦): «أي ولا يظن الذين يبخلون أي يمنعون ما عندهم مما آتاهم ا لله من فضله من المال، والجاه، والعلم وغير ذلك مما منحهم ا لله وأحسن إليهم به، وأمرهم ببذل ما لا يضرهم منه لعباده، فبخلوا بذلك وأمسكوه، وضنوا به على عباد ا لله، وظنوا أنه خير لهم، بل هو شر لهم في دينهم ودنياهم، وعاجلهم وآجلهم **﴿سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾** أي يجعل ما بخلوا به طوقاً في أعناقهم يعذبون به». ثم قال (ص٢٩٧): «بعد ذكر حديث الباب: فهؤلاء حسبوا أن بخلهم نافعهم ومجدٍ عليهم، فانقلب عليهم الأمر وصار من أعظم مضارهم وسبب عقابهم **﴿و لله ميراث السموات والأرض﴾** أي هو تعالى مالك الملك، وترد جميع الأملاك إلى مالكها، وينقلب العباد من الدنيا ما معهم درهم ولا دينار، ولا غير ذلك من المال. قال تعالى **﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون﴾** وتأمل كيف ذكر السبب الإبتدائي والسبب الغائي الموجب كل واحد منهما أن لا يبخل العبد بما أعطاه ا لله، أخبر **أولاً:** أن الذي عنده وفي يده فضل من ا لله ونعمه، ليس ملكاً للعبد، بل لولا فضل ا لله عليه وإحسانه لم يصل إليه منه شيء، فمنعه ذلك منع لفضل ا لله وإحسانه؛ ولأن إحسانه موجب للإحسان إلى عبيده كما قال تعالى **﴿وأحسن كما أحسن ا لله إليك﴾** فمن تحقق أن ما بيده هو فضل من ا لله، لم يمنع الفضل الذي لا يضره، بل ينفعه في قلبه وماله، وزيادة إيمانه، وحفظه من الآفات.

ثم ذكر **ثانياً:** أن هذا الذي بيد العباد كله يرجع إلى ا لله ويرثه تعالى، وهو خير الوارثين، فلا معنى للبخل بشيء هو زائل عنك منتقل إلى غيرك.

ثم ذكر **ثالثاً:** السبب الجزائي فقال: **﴿وا لله بما تعملون خبير﴾** فإذا كان

خبيراً بأعمالكم جميعاً ويستلزم ذلك الجزاء الحسن على الخيرات والعقوبات على الشر، لم يتخلف من في قلبه مثقال ذرة من إيمان عن الإنفاق الذي يجزيء به الثواب، ولا يرضى بالإمساك الذي به العقاب». انتهى

[**﴿سيطوقون﴾ كقولك طوقته بطوق**].

ش: قال أبو عبيدة (١/١١٠): «سيطوقون يلزمون، كقولك طوقته الطوق».

٨٦ـ **حدثني عبد الله بن منير، سمع أبا النضر[1]، حدثنا عبد الرحمن[2] ـ هو ابن عبد الله بن دينار ـ عن أبيه، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مُثل له ماله شجاعاً أقرع، له زبيبتان، يُطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه ـ يعني بشدقيه ـ يقول: أنا مالك أنا كنزك» ثم تلا هذه الآية ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله﴾ إلى آخر الآية.**

ش : فيه تسع مسائل:

الأولى: قوله «**من آتاه الله مالاً**» أي أعطاه الله.

الثانية: قوله «**فلم يؤد زكاته**» أي لم يخرج زكاة ذلك المال، ولا بد من تقييد المال بأنه مما تجب فيه الزكاة وذلك مفصل في كتب الفقه.

الثالثة: قوله «**مُثل له ماله شجاعاً أقرع**» أي جُعل له ماله الذي لم يخرج منه الزكاة في صورة شجاع أي حية، ومعنى أقرع أي ليس في رأسه شعر قال أهل العلم: لكثرة سمه وطول عمره.

---

(١) هو هاشم بن القاسم بن مسلم الليثي مولاهم، البغدادي، مشهور بكنيته، ولقبه قيصر، ثقة ثبت من التاسعة، مات سنة سبع ومائتين، وله ثلاث وسبعون(ع).

(٢) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، مولى ابن عمر، صدوق يخطيء، من السابعة.(خ.د.ت.س).

الرابعة: قوله «**له زبيبتان**» أي نقطتان سوداوان بين عينيه وهذا هو أخبث ما يكون من الحيات والثعابين.

الخامسة: قوله «**يطوقه يوم القيامة**» أي يجعل كالطوق في عنقه وهذا هو شاهد الترجمة.

السادسة: قوله «**يأخذ بلهزمتيه**» أي ذلك الشجاع، واللهزمتان واحدها لهزمة.

السابعة: قوله «**بشدقيه**» تفسير للهزمتين، وهما جانبا الفم.

الثامنة: قوله «**يقول أنا مالك أنا كنزك**» القائل هو الشجاع الأقرع، وقوله هذا على سبيل التهكم والسخرية.

والكنز: كل مال مجموع بعضه على بعض وسواء كان في ظاهر الأرض أو باطنها.

التاسعة: قوله «**ثم تلا**» أي النبي ﷺ هذه الآية ﴿**ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله**﴾ وذلك استشهاداً على أن منع الزكاة من البخل وتقدم تفسير الآية.

تنبيهان:

الأول: في الحديث دليل على وجوب الزكاة، وأن مانعها بخ ـ ً لا يكفر يوضحه حديث أبي هريرة الآتي وفيه «حتى يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»، وأما عقوبته في الدنيا فإنه يؤخذ منه الواجب قهراً، فقد روى أحمد وأبو داود والنسائي وصححه الحاكم عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده أن النبي ﷺ قال: «في كل سائمة إبل في أربعين بنت لبون» الحديث وفيه «ومن منعها فإنا آخذوها وشطر ماله».

قلت: وإن قاتل دون ذلك أو منعها وله شوكة فإنه يقاتل، ومن منع الزكاة جاحداً لوجوبها كان كافراً بدليل الكتاب والسنة قال تعالى ﴿**فإن تابوا وأقاموا**

الصلاة وأتواالزكاة فإخوانكم في الدين﴾ وقال في موضع آخر **﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم﴾** ووجه الدلالة منهما تعليق الأخوة في الدين في الأولى وتخلية السبيل في الثانية على ثلاثة أمور وهي:

١ـ التوبة من الشرك ٢ـ وإقام الصلاة ٣ـ وإتاء الزكاة.

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله» ووجه الدلالة منه تعليق النبي ﷺ عصمة الدم والمال على الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

الثاني: أخرج مسلم في الزكاة في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمي عليه في نار جهنم فيجعل صفائح فيكوى بها جنباه وجبينه، حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار» الحديث.فالجمع بين هذا وحديث الباب بتعدد عقوبة مانع الزكاة.

٧٣- [باب ﴿**ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً**﴾].

ش/ **قلت**: الآية ﴿**لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور**﴾.

قوله ﴿**لتبلون في أموالكم وأنفسكم - إلى قوله - ومن الذين أشركوا أذى كثيراً**﴾.

قال الشيخ صديق بن حسن القنوجي (٢/٣٩٤): «اللام لام القسم أي وا لله لتبلون، هذا الخطاب للنبي ﷺ وأمته تسلية لهم بما سيلقونه من الكفرة والفسقة ليوطنوا أنفسهم على الثبات والصبر على المكاره، والإبتلاء والامتحان والإختبار، والمعنى لتمتحنن ولنختبرن في أموالكم بالمصائب والإنفاقات الواجبة وسائر التكاليف الشرعية المتعلقة بالأموال، والإبتلاء في الأنفس بالموت والأمراض وفقد الأحباب والقتل في سبيل ا لله. ﴿**ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم**﴾ قال الزهري: الذين أوتوا الكتاب هو كعب بن الأشرف، وكان يحرض المشركين على رسول ا لله ﷺ وأصحابه في شعره، وعن ابن جريج قال: يعني اليهود والنصارى، فكان المسلمون يسمعون من اليهود عزير ابن ا لله ومن النصارى المسيح ابن ا لله. ﴿**ومن الذين أشركوا**﴾ سائر الطوائف الكفرية من غير أهل الكتاب ﴿**أذى كثيرا**﴾ من الطعن في دينكم وأعراضكم».انتهى محل الغرض

وقوله ﴿**وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور**﴾.

قال ابن جرير (٤/٢٠٠): «يقول: وإن تصبروا لأمر ا لله الذي أمركم به فيهم وفي غيرهم من طاعته ﴿**وتتقوا**﴾ يقول: وتتقوا ا لله فيما أمركم ونهاكم فتعملوا في ذلك بطاعته ﴿**فإن ذلك من عزم الأمور**﴾ يقول: فإن ذلك الصبر والتقوى مما عزم ا لله عليه وأمركم به».انتهى محل الغرض

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي (١/ ٣٠١): «وفي إخباره لعباده المؤمنين بذلك عدة فوائد:

منها: أن حكمته تعالى تقتضي ذلك، ليتميز المؤمن الصادق من غيره.

ومنها: أنه تعالى يقدر عليهم هذه الأمور لما يريده بهم من الخير ليعلي درجاتهم، ويكفر من سيئاتهم، وليزداد بذلك إيمانهم، ويتم به إيقانهم، فإنه إذا أخبرهم بذلك وقع كما أخبر ﴿**قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً**﴾.

ومنها: أنه أخبرهم بذلك لتتوطن نفوسهم على وقوع ذلك، والصبر عليه إذا وقع؛ لأنهم قد أشعروا لوقوعه، فيهون عليهم حمله، وتخف عليهم مؤنته ويلجأون إلى الصبر والتقوى.

٨٧ـ حدثنا أبو اليمان[١]، أخبرنا شعيب، عن الزهري قال: أخبرني عروة بن الزبير، أن أسامة بن زيد[٢] رضي الله عنهما أخبره أن رسول الله ﷺ ركب على حمار على قطيفة فدكية، وأردف أسامة بن زيد وراءه، يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بني الخزرج قبل وقعة بدر قال: حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان، واليهود والمسلمين، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة، خمّر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلّم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقف، فنزل فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن أبي بن سلول: أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجالسنا،

(١) هو الحكم بن نافع البهراني، ثقة ثبت، من العاشرة، مات سنة اثنتين وعشرين [ومائتين](ع).

(٢) هو أبو محمد أو أبو زيد أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، الأمير، صحابي مشهور، مات سنة أربع وخمسين، وهو ابن خمس وسبعين بالمدينة(ع).

إرجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله فاغشَنا به في مجالسنا، فإنا نحب ذلك، فاستبّ المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا. ثم ركب النبي ﷺ دابته، فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له النبي ﷺ: يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب ـ يريد عبد الله بن أبي ـ قال كذا وكذا. قال سعد بن عبادة: يا رسول الله أعف عنه، واصفح عنه، فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك، ولقد إصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوّجوه فيعصّبوه بالعصابة، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله، ويصبرون على الأذى قال الله عز وجل ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً﴾ الآية وقال الله : ﴿ودكثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم﴾ إلى آخر الآية. وكان النبي ﷺ يتأول العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم، فلما غزا رسول الله ﷺ بدراً فقتل الله به صناديد كفار قريش، قال ابن أبي ابن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمر قد توجه، فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام فأسلموا.

ش: فيه ثمان عشرة مسألة

الأولى: قوله «**أن رسول الله ﷺ ركب على حمار على قطيفة فدكية**» عند المصنف في الإستئذان باب التسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين، ومسلم في الجهاد والسير باب في دعاء النبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين برواية معمر «عليه إكاف تحته قطيفة فدكية» الإكاف بكسر الهمزة ويقال (وكاف) أيضاً والقطيفة (دثار) مخمل، جمعها قطائف وقطف، والفدكية منسوبة إلى فدك

بلدة معروفة بينها وبين المدينة يومان أو ثلاثة.

الثانية: قوله «**وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بني الخزرج**» فيه جواز الإرداف على الدابة إذا كانت تطيق ذلك، وفيه مشروعية عيادة المريض.

الثالثة: قوله «**حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي**» في المرض باب عيادة المريض راكباً وماشياً وردفاً على حمار برواية عقيل «فسار حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول» وفي الأدب باب كنية المشرك برواية شعيب «فسارا».

قلت: فالضمير في الأولى عائد على رسول الله ﷺ وفي الثانية عائد إليه مع رفيقه أسامة بن زيد.

الرابعة: قوله «**فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمّر عبد الله بن أبي أنفه بردائه**» العجاجة بفتح المهملة وجيمين الأولى خفيفة أي غبارها، وقوله خمر أي غطى وقوله أنفه وفي رواية الكشميهني «وجهه».

الخامسة: قوله «**فسلم عليهم النبي ﷺ**» فيه جواز الإبتداء بالسلام على قوم فيهم مسلمون وكفار، وهذا مجمع عليه.

السادسة: قوله «**ثم وقف فنزل**» هذا تعبير عن نهاية مسيره ﷺ.

السابعة: قوله «**أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجالسنا**» في الإستئذان وعند مسلم «أيها المرء لا أحسن من هذا إن كان ما تقول حقاً فلا تؤذنا في مجالسنا» على النصب في أحسن، وفتح أوله على أنه أفعل تفضيل، ويجوز في أحسن الرفع على أنه خبر «لا».والاسم المحذوف أي لا شيء أحسن من هذا.

ووقع في رواية الكشميهني بضم أوله وكسر السين وضم النون، ووقع في رواية أخرى (لأحسن) بحذف الألف لكن بفتح السين، وضم النون على أنها لام

القسم، كأنه قال: أحسن من هذا أن تقعد في بيتك.وحكى ابن الجوزي تشديد السين المهملة بغير نون من الحس أي لا أعلم منه شيئاً.

الثامنة: قوله «**فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون**» في الإستئذان وعند مسلم «حتى هموا أن يتثاوروا» والمعنى قاربوا أن يثب بعضهم على بعض فيقتتلوا، يقال ثار إذا قام بسرعة وانزعاج.

التاسعة: قوله «**فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا**» في المرض «حتى سكتوا» والمعنى أن النبي ﷺ عمل على تهدئة القوم وتسكينهم وتسهيل الأمر بينهم.

العاشرة: قوله «**يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب**» في الإستئذان وعند مسلم «أي سعد» وهذه الكناية من النبي ﷺ لابن أبي لكونه مشهوراً بها أو لمصلحة التألف.

الحادية عشرة: قوله «**فوالذي أنزل عليك الكتاب، لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك**» في الإستئذان وعند مسلم «فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك».

الثانية عشرة: قوله «**ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه فيعصبوه بالعصابة**» في المرض والأدب والإستئذان «ولقد اجتمع أهل هذه البحيرة».

قلت: والمراد به مدينة النبي ﷺ وقد نقل ياقوت في معجمه أن البحرة من أسمائها، وكان من عادة أهلها إذا ملكوا إنساناً أن يتوجوه ويعصبوه بالعصابة.

الثالثة عشرة: قوله «**فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك**» في الإستئذان وعند مسلم «فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شرق بذلك» والمعنى أنه غص بذلك وحسد النبي ﷺ وكان ذلك سبب نفاقه، عافانا الله الكريم.

الرابعة عشرة: قوله «**وكان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى**» هذه الجملة انفرد ابن أبي حاتم بإخراجها في تفسير الآية عن الذي قبله، وإن كان الإسناد متحدا، واقتصر مسلم والمصنف في المرض والإستئذان على ما قبلها.

الخامسة عشرة :قوله «**ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا** »

هذا وجه الشاهد من الحديث للباب وقد مضى شرحه .

السادسة عشرة : قوله « **ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم** »

تمامها : ﴿ **فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيئ قدير** ﴾.

يحذر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب ، ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر ، وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم ويأمرعباده المؤمنين بالصفح والعفو والاحتمال حتى يأتي أمر الله من النصر والفتح .قاله ابن كثير

السابعة عشرة: قوله «**وكان النبي ﷺ يتأول العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم**» أي في قتالهم، أي فترك العفو عنهم، وليس المراد أنه تركه أصلا،بل بالنسبة إلى ترك القتال أولاً ووقوعه آخراً، وإلا فعفوه ﷺ عن كثير من المشركين واليهود بالمن والفداء وصفحه عن المنافقين مشهور في الأحاديث والسير ومن ذلك عفوه ﷺ عن قريش غداة الفتح حيث قال: إذهبوا فأنتم الطلقاء.

الثامنة عشرة: قوله «**فلما غزا رسول الله ﷺ بدراً فقتل الله به صناديد كفار قريش ـ إلى قوله ـ فأسلموا**» الصناديد جمع صنديد وهو الكبير في قومه، والمعنى أن ابن أبي ومن عاش على شاكلته أدركوا من هذه الواقعة ظهور الإسلام

وأهله فدخلوا فيه خوفاً من دور الدائرة عليهم.

من فقه الحديث :

أولاً: تواضع النبي ﷺ حيث ركب الحمار.

ثانياً: أن ركوب الحمار ليس فيه نقص في حق الكبار.

ثالثاً: شجاعة عبد الله بن رواحة.

٧٤- [باب **﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا﴾**].

ش: تمامها: **﴿ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾**.

قال الشوكاني (١/٤٠٩): «قرأ الكوفيون بالتاء الفوقية، والخطاب لرسول الله ﷺ ولكل من يصلح له، وقوله **﴿بما أتوا﴾** أي بما فعلوا - إلى أن قال - والظاهر شمولها لكل من حصل منه ما تضمنته عملاً بعموم اللفظ وهو المعتبر دون خصوص السبب، فمن فرح بما فعل وأحب أن يحمده الناس بما لم يفعل فلا تحسبنه بمفازة من العذاب. وقرأ نافع وابن عامر وابن كثير وأبو عمرو **﴿لا يحسبن﴾** بالياء التحتية، أي لا **يحسبن** الفارحون فرحهم منجياً لهم من العذاب، فالمفعول الأول محذوف، وهو فرحهم، والمفعول الثاني بمفازة من العذاب، وقوله **﴿فلا تحسبنهم﴾** تأكيد للفعل الأول على القراءتين، والمفازة المنجاة مفعلة من فاز يفوز إذا نجا أي ليسوا بفائزين، سمى موضع الخوف على جهة التفاؤل.قاله الأصمعي. وقيل لأنها موضع تفويز ومضنة هلاك، تقول العرب: فوّز الرجل إذا مات قال ثعلب: حكيت لابن الأعرابي قول الأصمعي فقال: أخطأ قال لي أبو المكارم: إنما سميت مفازة؛ لأن من قطعها فاز، وقال ابن الأعرابي: بل لأنه مستسلم لما أصابه، وقيل المعنى: لا تحسبنهم بمكان بعيد من العذاب؛ لأن الفوز التباعد عن المكروه، وقرأ مروان بن الحكم والأعمش وإبراهيم النخعي آتوا بالمد: أي يفرحون بما أعطوا وقرأ جمهور القراء السبعة وغيرهم **﴿أتوا﴾** بالقصر» اهـ.

فائدة:

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي (١/٣٠٢): «ويدخل في هذه الآية الكريمة، أهل الكتاب الذين فرحوا بما عندهم من العلم، ولم ينقادوا للرسول، وزعموا أنهم المحقون في حالهم ومقالهم، وكذلك كل من ابتدع بدعة قولية أو فعلية، وفرح بها ودعا إليها وزعم أنه محق وغيره مبطل، كما هو الواقع من أهل

البدع» اهـ.

٨٨ـ حدثنا سعيد بن أبي مريم، أخبرنا محمد بن جعفر قال: حدثني زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رجالاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ فإذا قدم رسول الله ﷺ إعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا﴾ الآية.

٨٩ـ حدثني إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام، أن ابن جريج أخبرهم، عن ابن أبي مليكة، أن علقمة بن وقاص أخبره، أن مروان قال لبوابه:اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امريء فرح بما أوتي، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذبن أجمعون فقال ابن عباس: وما لكم ولهذه، إنما دعا النبي ﷺ يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ثم قرأ ابن عباس: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب﴾ كذلك حتى قوله ﴿يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا﴾.

تابعه عبد الرزاق، عن ابن جريج.

حدثنا ابن مقاتل، أخبرنا حجاج، عن ابن جريج، أخبرني ابن أبي مليكة، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أنه أخبره أن مروان: بهذا.

ش: فيهما اثنتا عشرة مسألة:

الأولى: قوله «أن رجالا من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ» المنافقون جمع منافق وهو من يظهر الإسلام ويبطن الكفر، ولم أجد لأولئك تسمية.

الثانية: قوله «وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ» قلت: ذلك ما قصه الله عنهم بقوله ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن

يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر﴾.

الثالثة: قوله «**فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه وحلفوا**» أي إذا عاد النبي ﷺ راجعاً من الغزو واعتذروا إليه، والإعتذار هو تحري الإنسان ما يمحو به ذنوبه، وقد أخبر الله عن إعتذار أولئك بقوله **﴿يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم﴾.**

قال ابن جرير (١١/١): «يقول تعالى ذكره: يعتذر إليكم أيها المؤمنون بالله هؤلاء المتخلفون خلاف رسول الله ﷺ التاركون جهاد المشركين معكم من المنافقين بالأباطل والكذب إذا رجعتم إليهم من سفركم وجهادكم، قل لهم يا محمد **﴿لا تعتذروا لن نؤمن لكم﴾** يقول: لن نصدقكم على ما تقولون **﴿قد نبأنا الله من أخباركم﴾** يقول: قد أخبرنا الله من أخباركم وأعلمنا من أمركم ما قد علمنا به كذبكم»اهـ.

قلت: فتبين بهذا كشف حال المنافقين ووضح كذبهم.

الرابعة: قوله «**وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا**» يعني أحب أولئك المنافقون مع فرحهم بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ واعتذارهم إليه كذباً وزوراً أن يحمدهم الناس بما لم يفعلوه من طاعة الله.

الخامسة: قوله «**فنزلت ﴿لا تحسبن...الخ﴾**» هذا هو وجه مطابقة الحديث للآية وقد مضى تفسيره.

السادسة: قوله «**أن مروان**» هو أبو عبد **الملك** مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الأموي المدني، ولي الخلافة في آخر سنة أربع وستين ومات سنة خمس في رمضان، وله ثلاث أو إحدى وستون سنة. لم تثبت له صحبة من الثانية.أخرج له البخاري وأصحاب السنن.وقد وقعت له هذه القصة يوم كان أميراً على المدينة.

السابعة: قوله «**قال لبوابه اذهب يا رافع إلى ابن عباس**» رافع هذا لم أر

له ذكر في كتاب الرواة إلا بما جاء في هذا الحديث والذي يظهر من سياق الحديث أنه توجه إلى ابن عباس فبلغه الرسالة ورجع إلى مروان بالجواب فلولا أنه معتمد عند مروان ما قنع برسالته. قاله الحافظ.

قلت: وفي إرسال مروان بوابه إلى ابن عباس وأمره بسؤاله يدل على توقير التابعين الصحابة وأخذهم العلم عنهم والرجوع إليهم فيما يشكل وهذا من صريح العمل بقوله جل ذكره ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾.

الثامنة: قوله «**لئن كان كل امريء فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يعمل معذّباً، لنعذبن أجمعون**» في رواية حجاج بن محمد عند مسلم في كتاب صفات المنافقين «لنعذبن أجمعين».

قلت: فيه دليل على خوفه من الوعيد في الآية وشدة وقعها على نفسه حيث ظن أن ذم من فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل على إطلاقه.

التاسعة: قوله «**إنما دعا النبي ﷺ يهوداً فسألهم عن شيء**» في رواية حجاج بن محمد «إنما نزلت هذه الآية في أهل الكتاب».

العاشرة: قوله «**فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم**» في رواية حجاج بن محمد «فخرجوا قد أروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه» وهذا أوضح.

الحادية عشرة: قوله «**بما أتوا من كتمانهم**» كذا للأكثر بالقصر بمعنى جاؤوا أي بالذي فعلوه وللحموي «بما أوتوا» بضم الهمزة بعدها واو أي أعطوا أي من العلم الذي كتموه كما قال تعالى ﴿**فرحوا بما عندهم من العلم**﴾. والأول أولى لموافقته التلاوة المشهورة على أن الأخرى قراءة السلمي وسعيد بن جبير وموافقة المشهور أولى مع موافقته لتفسير ابن عباس. قاله الحافظ.

الثانية عشرة: قوله «**ثم قرأ ابن عباس ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب﴾**» فيه إشارة إلى أن الذين أخبر الله عنهم في الآية المسؤول عنها هم

المذكورون في الآية التي قبلها وأن الله ذمهم بكتمان العلم الذي أمرهم أن لا يكتموه وتوعدهم بالعذاب على ذلك ووقع في رواية محمد ابن ثور المذكورة فقال ابن عباس: قال الله جل ثناؤه في التوراة إن الإسلام دين الله الذي افترضه على عباده وإن محمداً رسول الله» قاله الحافظ

قلت: والآية المشار إليها **﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون﴾**.

قال ابن جرير: «يعني بذلك تعالى ذكره واذكر أيضاً من هؤلاء اليهود وغيرهم من أهل الكتاب منهم يا محمد إذا أخذ الله ميثاقهم ليبينن للناس أمرك الذي أخذ ميثاقهم على بيانه للناس في كتابهم الذي في أيديهم وهو التوراة والإنجيل وأنك لله رسول مرسل بالحق ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم يقول: فتركوا أمر الله وضيعوه ونقضوا ميثاقه الذي أخذ عليهم بذلك فكتموا أمرك وكذبوا بك واشتروا به ثمناً قليلاً.يقول: وابتاعوا بكتمانهم ما أخذ عليهم الميثاق أن لا يكتمون من أمر نبوتك عوضاً منه حسياً قليلاً من عرض الدنيا ثم ذم جل ثناؤه شراءهم ما اشتروا به من ذلك فقال **﴿فبئس ما يشترون﴾**» .

تنبيه :

ذكر ابن عباس في هذا الحديث أنها في اليهود وفي حديث أبي سعيد الخدري أنها في رجال من المنافقين.ويمكن الجمع بأن الآية نزلت في الحادثتين.

٧٥ - [باب﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾]

ش : قال ابن كثير (٤/٤٤٧): «ومعنى الآية أن الله تعالى يقول **﴿إن في خلق السموات والأرض﴾** أي هذه في ارتفاعها واتساعها، وهذه في انخفاضها وكثافتها واتضاعها، وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب سيارات، وثوابت وبحار وجبال وقفار وأشجار، ونبات وزروع وثمار، وحيوان ومعدن، ومنافع مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخواص **﴿واختلاف الليل والنهار﴾** أي تعاقبهما، وتقاسمهما الطول والقصر، فتارة يطول هذا ويقصر هذا ثم يعتدلان، ثم يأخذ هذا من هذا فيطول الذي كان قصيراً ويقصر الذي كان طويلاً، وكل ذلك تقدير العزيز العليم، ولهذا قال تعالى: **﴿لآيات لأولي الألباب﴾** أي للعقول التامة الزكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون، الذين قال الله فيهم **﴿وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾**»اهـ.

٩٠ - حدثنا سعيد بن أبي مريم: أخبرنا محمد بن جعفر قال: أخبرني شريك بن عبدالله بن أبي نمر، عن كريب، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بت عند خالتي ميمونة، فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد، فنظر إلى السماء فقال: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾ ثم قام فتوضأ واستن، فصلى إحدى عشرة ركعة، ثم أذن بلال فصلى ركعتين ثم خرج فصلى الصبح).

ش: فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله: **(بت عند خالتي ميمونة)**: يقال: بات يبيت بيتوتة ومبيتا

ومباتاً، وتأتي نادراً بمعنى نام ليلاً وفي الأعم الأغلب بمعنى فعل ذلك الفعل بـالليل كما اختص الفعل في ظل بالنهار، فإذا قلت (بات يفعل كذا) فمعناه فعله بـالليل ولا يكون إلا مع سهر الليل وعليه قوله تعـالى: ﴿**والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً**﴾ » انتهى محل الغرض قاله في المصباح مادة بات.

قلت: ومعنى الحديث أنّ ابن عباس نـام عنـد خالته ليـلاً وفيـه دليـل علـى جواز نوم الغلام مع محرمه بحضرة زوجها وميمونة هـي أم المؤمنـين ميمونـة بنـت الحارث الهلالية زوج النبي ﷺ، قيل كان اسمهـا بـرة فسـماها النـبي ﷺ ميمونـة، وتزوجها بسـرف سنة سبع، ومـاتت بهـا ودفنـت سـنة إحـدى وخمسـين علـى الصحيح أخرج لها أصحاب الكتب الستة.

الثانية: قوله (**فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد**) فيه مشروعية مؤانسة الرجل أهله بالحديث بعد العشاء وهذا مستثنى من هديه ﷺ العام وهـو كراهة الحديث بعدها والساعة هي المدة من الزمن.

الثالثة: قولـه: فقـال ﴿**إن في خلق السـموات والأرض...الخ**﴾ قلـت في بعـض طرقـه ثـم قـرأ وهمـا بمعنـى، ففيـه دليـل علـى جـواز القـراءة للمحـدث واستحباب قراءة هذه الآية حين القيام من الليل.

الرابعة: قوله: (**ثم قام فتوضأ واستن**) **قلت**: هذا الوضوء للصلاة كما هـو ظاهر الحديث ولا يعارضه ما جاء في بعض طرقه أنه توضأ وضوءاً بين الوضوئـين ثم نام. لإمكان أنه توضأ مـرة للنـوم ثـم توضـأ مرة أخـرى عنـد الصـلاة وقولـه (استن) أي استاك، ففيه سنية السـواك بعـد الوضـوء عنـد الصـلاة، وفي الحديـث الصحيح (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كـل صـلاة) وفي روايـة (عند كل وضوء).

الخامسة: قوله: (**فصلى إحدى عشرة ركعة**) **قلت**: لم يبين كيف صلاهـا وسيأتي.

السادسة: قوله:(**ثم أذن بلال**).

قلت: الأذان لغة: الإعلام ومنه ﴿**وأذن في الناس بالحج**﴾ أي أعلمهم بذلك ﴿**وأذان من ا لله ورسوله**﴾ أي إعلام وإخبار.

وشرعاً: الإعلام بدخول وقت الصلاة على كيفية مخصوصة.

وبلال هو: أبو عبدا لله بلال بن رباح المؤذن وهو ابن حمامة وهي أمه كان مولى لأبي بكر من السابقين الأولين وشهد بدراً والمشاهد، مات بالشام سنة سبع عشرة أوثماني عشرة، وقيل سنة عشرين وله بضع وستون سنة (ع).

السابعة: قوله (فصلى ركعتين).

قلت هما ركعتا الفجر وكان هديه فيهما أن يصليهما في البيت وكان أحياناً يطيلهما وأحياناً يخففهما وكان مما يقرأ فيهما: قل يا أيها الكافرون في الأولى، وقل هو ا لله أحد في الثانية.

٧٦ ـ [باب ﴿**الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض**﴾]

ش : تمامها: ﴿**ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار**﴾ هذا شروع في صفات أولى الألباب الذين أدركوا العبرة في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار وما في ذلك من الدليل على وحدانية الرب جل جلاله.

قال الشوكاني (١/٤١٠): «الموصول نعت لأولي الألباب، وقيل هو مفصول عنه، خبر مبتدأ محذوف، أو منصوب على المدح، والمراد بالذكر هنا ذكره سبحانه في هذه الأحوال من غير فرق بين حال الصلاة وغيرها، وذهب جماعة من المفسرين إلى أن الذكر هنا عبارة عن الصلاة. أي لا يضيعونها في حال من الأحوال فيصلونها قياماً مع عدم العذر، وقعوداً وعلى جنوبهم مع العذر، قوله ﴿**ويتفكرون في خلق السموات والأرض**﴾ معطوف على قوله ﴿**يذكرون**﴾ وقيل إنه معطوف على الحال، أعني ﴿**قياماً وقعوداً**﴾ وقيل إنه منقطع عن الأول، والمعنى أنهم يتفكرون في بديع صنعهما واتقانهما مع عظم أجرامها فإن هذا الفكر إذا كان صادقاً أوصلهم إلى الإيمان بالله سبحانه، قوله ﴿**ربنا ما خلقت هذا باطلاً**﴾ هو على تقدير القول: أي يقولون ما خلقت هذا عبثاً ولهواً، بل خلقته دليلاً على حكمتك وقدرتك، والباطل الزائل، الذاهب، ومنه قول لبيد:

ألا كل شئ ما خلا الله باطل ... ...

وهو منصوب على أنه صفة لمصدر محذوف: أي خلقاً باطلاً، وقيل منصوب بنزع الخافض.

وقيل: هو مفعول ثاني، وخلق بمعنى جعل، أو منصوب على الحال، والإشارة بقوله ﴿**هذا**﴾ إلى السموات والأرض أو إلى الخلق على أنه بمعنى المخلوق، قوله ﴿**سبحانك**﴾ أي تنزيهاً لك عما لا يليق بك من الأمور التي من جملتها أن يكون خلقك لهذه المخلوقات باطلاً، وقوله ﴿**فقنا عذاب النار**﴾ الفاء

لترتيب هذا الدعاء على ما قبله» انتهى.

وفيه يقول الشيخ عبدالرحمن بن سعدي (١/٣٠٤) «قوله: ﴿فقنا عذاب النار﴾ بأن تعصمنا من السيئات، وتوفقنا للأعمال الصالحات لننال بذلك النجاة من النار، ويتضمن ذلك، سؤال الجنة، لأنهم إذا وقاهم الله عذاب النار حصلت لهم الجنة ولكن لما قام الخوف بقلوبهم، دعوا الله بأهم الأمور عندهم»اهـ.

فائدتان:

الأولى: فيما جاءت به السنة من فضل الذكر والأمر به والحث عليه.

والفائدة الثانية: فيما ذكره أهل العلم من فوائد الذكر.

الفائدة الأولى: إعلم أن السنة في الأمر بالذكر وبيان فضله والحث عليه متواترة ومنها ١ ـ ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون، قيل ومن المفردون يا رسول الله قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات.

قلت: فرَد برأيه وأفرد وفرَّد واستفرد بمعنى انفرد به وقيل: فرَّد الرجل إذا تفقه واعتزل الناس وخلى بمراعاة الأمر والنهي. قاله ابن الأثير مادة: فرد.

٢ ـ وفي السنن عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة). صححه الحاكم في المستدرك ووافقه الذهبي.

٣ ـ وفي صحيح مسلم عن الأغر أبي مسلم قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: لا يقعد قوم في مجلس يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده.

٤ ـ وفي صحيح البخاري عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: مثل الذي

يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت.

٥ - وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يقول الله تبارك وتعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه...) الحديث.

٦ - وعن معاذ بن جبل قال: سألت رسول الله ﷺ أي الأعمال أحب إلى الله عزوجل ؟ قال: (أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله عزوجل). رواه ابن أبي الدنيا والطبراني وابن حبان وهو حديث حسن.

الفائدة الثانية: قال أهل العلم: وفي الذكر نحو مائة فائدة ونحن نذكر بعض تلك الفوائد من الوابل الصيب مع شيء من الاختصار والتصرف:

١ - أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره.

٢ - أنه يرضي الرحمن عزوجل.

٣ - أنه يزيل الهم والغم عن القلب.

٤ - أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.

٥ - أنه يقوي القلب والبدن.

٦ - أنه ينور الوجه والقلب.

٧ - أنه يجلب الرزق.

٨ - أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة.

٩ - أنه يورث المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحى الدين ومدار السعادة والنجاة، وقد جعل الله لكل شيء سبباً وجعل سبب المحبة دوام الذكر.

١٠ - أنه يورثه المراقبة حتى يدخله في باب الإحسان فيعبد الله كأنه يراه ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول

إلى البيت.

١١ ـ أنه يورثه الإنابة وهي الرجوع إلى الله عزوجل فمتى أكثر الرجوع إليه بذكره أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله فيبقى الله عزوجل مفزعه وملجأه وملاذه ومعاذه وقبلة قلبه ومهربه عند النوازل والبلايا.

١٢ ـ أنه يورثه القرب منه فعلى قدر ذكره لله عزوجل يكون قربه منه وعلى قدر غفلته يكون بعده منه.

١٣ ـ أنه يفتح له باباً عظيماً من أبواب المعرفة وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة.

١٤ ـ أنه يورثه الهيبة لربه عزوجل وإجلاله لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تعالى بخلاف الغافل فإن حجاب الهيبة رقيق في قلبه.

١٥ ـ أنه يورثه ذكر الله تعالى له كما قال تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفاً.

١٦ ـ أنه يورثه حياة القلب. وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء.

١٧ ـ أنه قوت القلب والروح فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته.

١٨ ـ أنه يورث جلاء القلب من صدئه.

١٩ـ أنه يحط الخطايا ويذهبها فإنه من أعظم الحسنات والحسنات يذهبن السيئات.

٢٠ ـ أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى فإن الغافل بينه وبين الله عزوجل وحشة لا تزول إلا بالذكر.

٢١ ـ أنما يذكر العبد ربه عزوجل من جلاله وتسبيحه وتحميده يذكّر

بصاحبه عند الشدة.

٢٢ ـ أن العبد إذا تعرف إلى ا لله تعالى بذكره في الرخاء عرفه في الشدة.

٢٣ ـ أنه منجاة من عذاب ا لله تعالى.

٢٤ ـ أنه سبب نزول السكينة وغشيان الرحمة وحفوف الملائكة بالذاكر.

٢٥ ـ أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل، فإن العبد لا بد له أن يتكلم فإن لم يتكلم بذكر ا لله تعالى وذكر أوامره تكلم بهذه المحرمات أو بعضها.

(انظر هذه الفوائد وغيرها في الوابل الصيب من ص ٨٤).

١٩١ـ حدثنا علي بن عبد ا لله،حدثنا عبدالرحمن بن مهدي، عن مالك بن أنس، عن مخرمة[(١)]، عن كريب، عن ابن عباس رضي ا لله عنهما قال: بت عند خالتي ميمونة، فقلت لأنظرن إلى صلاة رسول ا لله ﷺ، فطرحت لرسول ا لله ﷺ وسادة، فنام رسول ا لله ﷺ في طولها، فجعل يمسح النوم عن وجهه، ثم قرأ الآيات العشر الأواخر من آل عمران حتى ختم، ثم أتى شناً معلقاً، فأخذه فتوضأ، ثم قام يصلي، فقمت فصنعت مثل ما صنع، ثم جئت فقمت إلى جنبه، فوضع يده على رأسي، ثم أخذ بأذني فجعل يفتلها، ثم صلى ركعتين، ثم صلى ركعتين، ثم صلى ركعتين، ثم صلى ركعتين، ثم صلى ركعتين، ثم صلى ركعتين، ثم أوتر).

فيه عشر مسائل:

الأولى: قوله (**فقلت لأنظرن إلى صلاة رسول ا لله ﷺ**) اللام مؤطئة للقسم أي وا لله لأنظرن والمعنى أن ابن عباس رضي ا لله عنه أراد من مبيته عند

---

(١)مخرمة بن سليمان هو مخرمة بن سليمان الأسدي الوالبي، المدني، من الخامسة، مات سنة ثلاثين [ومائة]. (ع).

خالته في ليلتها أن يرقب صنيع النبي ﷺ في صلاة الليل ليـأخذ هـذه العبـادة عنـه وهذا دليل على حرصه رضي الله عنه على التأسـي بـالنبي ﷺ وأتباعـه في سنته فريضة كانت أو نافلة، شأنه في ذلك شأن غيره من أصحاب النبي ﷺ وكيف لا يعنون بالاقتداء به وقد قال الله: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكـم الله ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور رحيم**﴾ وقال: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً**﴾.

الثانية: قوله:(**فطرحت لرسول الله ﷺ وسادة**) الوسادة: بالكسر **المخدة** والجمع وسادات ووسائد، والوسـاد، بغير هـاء كـل مـا يتوسـد بـه مـن قمـاش وتراب وغير ذلـك والجمـع وسـد. مثـل كتـاب وكتـب ويقـال: الوسـاد لغـة في الوسادة. قاله في المصباح.

الثالثة: قوله (**فجعل يمسح النوم عن وجهه**) كذا بحـذف المعطـوف عليـه، وقد صرح به في الرواية الآتية حيث قال: (ثـم استيقظ رسـول الله ﷺ فجعـل يمسح النوم عن وجهه بيديه) وقوله: (فجعل يمسح النوم عن وجهه) أي أثره.

الرابعة: قوله: (**ثم قرأ الآيات العشر الأواخر من آل عمران**).

قلت: مبدأها ﴿**إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهـار لآيـات لأولي الألبـاب**﴾ ومنتهاهـا ﴿**يـا أيهـا الذيـن آمنـوا اصبروا وصـابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**﴾ وهذا هو وجه مطابقة الحديث للترجمة.

الخامسة: قوله (**ثم أتى شناً معلقاً**)

الشن: من القرب والأسقية ما تقادم حتى صار خلقاً وهو أشـد تـبريداً مـن الجدد.

(**ومعلقاً**) وصف للشـن علـى اعتبـار معنـى السـقى وفي بعـض الروايـات: (معلقة) على اعتبار معنى القربة.

السادسة: قوله: (**فـأخذه فتوضـأ**) أي أخـذ الشـن فتوضـأ منـه وفي روايـة

سلمة بن كهيل عند النسائي: (ثم توضأ وضوءاً بين الوضوئين، ثم أتى فراشه فنام ثم قام قومة أخرى فأتى القربة فحل شناقها ثم توضأ وضوءاً هو الوضوء) وإسناده صحيح رجاله رجال الصحيح. فإن لم تكن شاذة فالجمع بينها وبين رواية الباب أن سلمة بسط القصة وغيره اختصرها.

السابعة: قوله: (**فقمت فصنعت مثل ما صنع**) يعني من الوضوء.

الثامنة: قوله (**ثم جئت فقمت إلى جنبه**) بينه في الدعوات من رواية سلمة بن كهيل فقال: (**فقام يصلي فقمت عن يساره**).

التاسعة: قوله (**فوضع يده على رأسي**)

قلت في الحديث الآتي بعد: (فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي وأخذ بيده اليمنى يفتلهما) وعند المصنف في الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه من الليل ومسلم في المسافرين من رواية سلمة بن كهيل (فأخذ بأذني فأدارني عن يمينه) فالظاهر أن النبي ﷺ وضع يده اليمنى على رأس ابن عباس بعد أن أداره عن يمينه.

العاشرة: قوله (**ثم صلى ركعتين... الخ**) بيان كيفية ما صلاه النبي ﷺ في تلك الليلة وعدده وأنه صلى مثنى ثلاث عشرة ركعة.

وإن قال قائل: كيف جزمتم أنه صلى تلك الليلة ثلاث عشرة ركعة وليس عندكم في حديث الباب إلا لفظ (أوتر) وهي مجملة؟

قلنا : دليلنا قوله في الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه بالليل من رواية سلمة (.... صلاته ثلاث عشرة ركعة) فإذا ضممت هذه الرواية إلى تلك اتضح لك أنه أوتر بواحدة وما عداها وهو اثنتا عشرة ركعة كان شفعاً من ورده ﷺ).

٧٧ - [باب ﴿ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار﴾].

ش : قلت: في هذه الآية بيان السبب الذي من أجله سأل أولوا الألباب ربهم جل جلاله الوقاية من عذاب النار وهو خزي من أدخل النار.

قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي (١/٣٠٥): « أي لحصوله على السخط من الله ومن ملائكته وأوليائه، ووقوع الفضيحة التي لا نجاة منها ولا منقذ منها، ولهذا قال: ﴿**وما للظالمين من أنصار**﴾ ينقذونهم من عذابه».

وفيه دلالة على أنهم دخلوها بظلمهم.

٩٢ - حدثنا علي بن عبدالله: حدثنا معن بن عيسى[1]: حدثنا مالك، عن مخرمة بن سليمان عن كريب مولى عبدالله بن عباس: أن عبدالله بن عباس أخبره أنه بات عند ميمونة زوج النبي ﷺ وهي خالته، قال: فاضطجعت في عرض الوسادة، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها، فنام رسول الله ﷺ حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل، ثم استيقظ رسول الله ﷺ فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران ثم قام إلى شن معلقة فتوضأ منها، فأحسن وضوءه ثم قام يصلي، فصنعت مثل ما صنع، ثم ذهبت فقمت إلى جنبه، فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي، وأخذ بيده اليمنى يفتلها، فصلى ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوتر، ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم خرج فصلى الصبح).

---

(١) معن بن عيسى: هو أبو يحيى معن بن عيسى بن يحيى الأشجعي مولاهم المدني القزاز، ثقة ثبت قال أبو حاتم هو أثبت أصحاب مالك، من كبار العاشرة، مات سنة ثمان وسبعين ومائة(ع).

ش : فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله (**فاضطجعت في عرض الوسادة**) ضجعت ضجعاً من باب نفع وضجوعاً وضجعت جنبي بالأرض واضجعت بالألف لغة فأنا ضاجع (واضجعت فلاناً بالألف لا غير ألقيته على جنبه وهو حسن)

قلت:فمعنى العبارة أن ابن عباس نام مع النبيﷺ وأهله على وسادة واحدة.

الثانية: قوله: (**حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل**).

قلت: وفي رواية شريك بن أبي نمر في الباب الخامس والسبعين، (فلما كان ثلث الليل الآخر) والجمع بينهما: أن قيامه ﷺ كان مرتين، ففي الأولى قام فنظر إلى السماء فقرأ ثم نام، وفي المرة الثانية توضأ وصلى.

قلت:وهذه الساعة إحدى الساعات التي كان يصلي فيها رسول ا للهﷺ من الليل و لم يكن مقتصراً عليها فقط، ففي الصحيحين عن عائشة رضي ا لله عنها قالت(**من كل الليل أوتر النبي ﷺ في أوله وأوسطه وآخره ثم انتهى وتره إلى السحر**).

الثالثة: قوله: (**وأخذ بيده اليمنى يفتلها**).

قلت: أي يلويها ففتل الشئ ليّه كفتل الحبل، وفي رواية بن مهدي في الباب قبله، ثم أخذ بأذني فجعل يفتلها فلعله جمع له بين الأمرين فتل الرأس مرة وفتل الأذن مرة وقد فسر سبب هذا الفتل ما في رواية الضحاك أنه قال: (فجعلت إذا أغفيت يأخذ بشحمة أذني) **قلت:** وفيه دليل على جواز تنبيه المصلي من يصلي إلى جنبه إذا نعس في الصلاة وأن هذه الحركة لا تبطل الصلاة.

الرابعة: قوله (**ثم اضطجع ...إلى قوله: فصلى ركعتين خفيفتين**) قلت في رواية عمرو بن دينار في الوضوء، باب التخفيف في الوضوء. (**ثم اضطجع فنام حتى نفخ، ثم أتاه بلال فآذنه بالصلاة**).

وفيه دليل على جواز الاضطجاع بين صلاة الليل وركعتي الفجر، وأن النوم اليسير لا ينقض الوضوء كما دل على جواز إشعار الإمام بوقت الصلاة.

٧٨ - [باب ﴿ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان﴾]

ش : تمامها ﴿أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار﴾.

قال ابن جرير (٢١٣/٤): «فتأويل الآية إذاً ربنا سمعنا داعياً يدعوا إلى الإيمان يقول إلى التصديق بك، والإقرار بوحدانيتك، واتباع رسولك وطاعته، فيما أمرنا به، ونهانا عنه، مما جاء به من عندك، فامنا ربنا، يقول فصدقنا بذلك يا ربنا، فاغفر لنا ذنوبنا، يقول: فاستر علينا خطايانا، ولا تفضحنا بها في القيامة على رؤوس الأشهاد بعقوبتك إيانا عليها، ولكن كفرها عنا، وسيئات أعمالنا فامحها بفضلك ورحمتك إيانا، وتوفنا مع الأبرار يعني بذلك، واقبضنا إليك إذا قبضتنا إليك في عداد الأبرار، واحشرنا محشرهم ومعهم.

والأبرار جمع بر وهم الذين بروا الله تبارك وتعالى بطاعتهم إياه وخدمتهم له، حتى أرضوه فرضي عنهم».

٩٣ - حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك، عن مخرمة بن سليمان عن كريب مولى ابن عباس: ان ابن عباس رضي الله عنهما أخبره أنه بات عند ميمونة زوج النبي ﷺ وهي خالته قال فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها، فنام رسول الله ﷺ حتى إذا انتصف الليل، أو قبله بقليل أو بعده بقليل، استيقظ رسول الله ﷺ فجلس يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سوة آل عمران، ثم قام إلى شن معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه، ثم قام يصلي.

قال ابن عباس: فقمت فصنعت مثل ما صنع، ثم ذهبت فقمت إلى جنبه فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي، وأخذ بأذني اليمنى يفتلها، فصلى ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوتر، ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن، فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم

خرج فصلى الصبح).

قوله: (**فأحسن وضوءه**). وكذا في رواية معن بن عيسى في الباب قبله أي أسبغه وأتمه، وقد مضى الحديث مع ما تيسر من شرحه في الأبواب الثلاثة قبله ولا بد ها هنا من إضافة أمرين:

الأول: جاء في رواية شريك بن أبي نمر في الحديث رقم (تسعين) إحدى عشرة ركعة. وسائر الروايات بعدها ما ظاهره أنه صلى ثلاث عشرة ركعة وقد استدللنا على ذلك فيما تقدم، والجمع بينها أن غالب ورده ﷺ من الليل ثلاث عشرة ركعة وفي غير الغالب إحدى عشرة ركعة ويدل للأول ما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة، يوتر من ذلك بخمس، لا يجلس في شئ إلا في آخرها.

والأمر الثاني: دل سائر الروايات لدينا أن صلاته ﷺ من الليل مثنى، وهو موافق لما في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سأل رجل النبي ﷺ وهو على المنبر ما ترى في صلاة الليل ؟ قال: مثنى مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح صلى واحدة.

ويشكل عليه في الظاهر ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: صلى رسول الله ﷺ من الليل أربعاً فلا تسل عن طولهن وحسنهن ثم صلى أربعاً فلا تسل عن طولهن وحسنهن ثم صلى ثلاثاً)، ويزيل هذا الإشكال أن رسول الله ﷺ كان يصلي هذا مرة وهذا مرة أو يقال يجوز في صلاة الليل التثنية والتربيع والأول افضل لما فيه من زيادة العمل، والله أعلم.

تنبيهان:

الأول: في اقتداء ابن عباس بالنبي ﷺ في صلاة الليل وإقراره إياه على ذلك دليل على جواز الجماعة في صلاة التطوع وهذا مستفيض عن النبي ﷺ فقد صلى بأنس واليتيم والعجوز وراءهما ركعتين كما صلى مرة بأصحابه في دار عتبان بن

مالك وأم ﷺ أصحابه في مسجده في صلاة التراويح ليالي من رمضان.

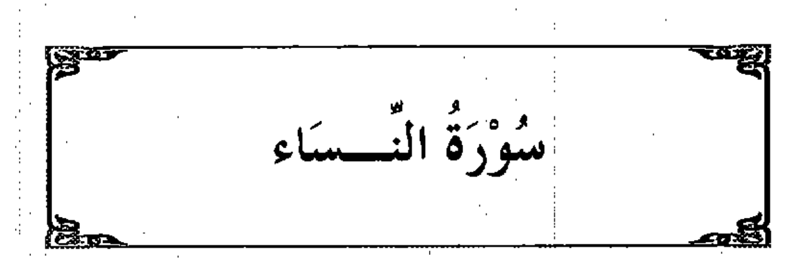
الثاني: تقدم لك من حديث ابن عباس هذا وغيره أن النبي ﷺ أوتر بواحدة وبثلاث وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ صلى من الليل بثلاث عشرة ركعة أوتر منها بخمس.. الحديث. والتوفيق بين هذه الأحاديث الصحيحة بأن النبي ﷺ أوتر بكيفيات مختلفة فأيت كيفية فعل المسلم جاز له ذلك. ومن تلك الكيفيات غيرما تقدم:

١ ـ تسع ركعات يسرد منهن ثمانياً لا يجلس إلا في الثامنة يجلس فيذكر الله ويحمده ويدعوه، ثم ينهض ولا يسلم ثم يصلي التاسعة ثم يقعد فيتشهد ويسلم ثم يصلي بعدها ركعتين بعد ما يسلم.

٢ ـ ومنها أن يصلي سبعاً كالتسع المذكورة ثم يصلي بعدها ركعتين جالساً.

٣ ـ ومنها ما رواه النسائي عن حذيفة أنه صلى مع رسول الله ﷺ في صلاة رمضان فركع فقال في ركوعه سبحان ربي العظيم مثل ما كان قائماً الحديث وفيه: فما صلى إلا أربع ركعات حتى جاء بلال يدعوه إلى الغداة.

آخر تفسير سورة آل عمران والحمد لله.



٧٩- [باب تفسير سورة النساء]

ش/ شاهد التسمية قوله تعالى ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساء**﴾.

وقد ورد في فضل هذه السورة ما أخرجه الحاكم في مستدركه عن عبد الله بن مسعود قال: إن سورة النساء الخمس آيات ما يسرني أن لي بها الدنيا وما فيها ﴿**إن الله لا يظلم مثقال ذرة**﴾ الآية، و﴿**إن تجتنبوا كبائر كا تنهون عنه**﴾ الآية، و﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به**﴾ الآية، و﴿**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم**﴾ الآية، ثم قال الحاكم: هذا إسناد صحيح إن كان عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود سمع من أبيه، وقد اختلف في ذلك.

وأخرج أحمد وابن الضريس ومحمد بن نصر والحاكم وصححه والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: من أخذ السبع فهو حبر.

وآياتها ست وسبعون ومائة آية، وهي مدنية.

قال القرطبي: «إلا آية واحدة وهي قوله ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الآمانات إلى أهلها**﴾».

قلت: وفيها كثير من الأحكام المتعلقة بالنساء كالنّكاح والصّداق والمواريث والعشرة.

شرح جملة من الكلمات:

١- **[قال ابن عباس: ﴿يستنكف﴾ يستكبر].**

ش/ أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٢٠٤ب) عن هشام بن يوسف عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس.

وقال قتادة كما أخرجه عنه ابن جرير (٣٧/٦): لن يحتشم.

ولا تنافي بين القولين في المعنى.

والآية المشار إليها: **﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون﴾.**

٢- **[﴿قواماً﴾ قوامكم من معايشكم].**

ش/ وصله ابن أبي حاتم في تفسيره عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

قال الحافظ (٣٣٧/٨): «وقوله **﴿قياما﴾** القراءة المشهورة بالتحتانية بدل الواو». **قلت:** والقراءات المشهورة في الآية اثنتان.

إحداهما: **﴿قيماً﴾** بدون الألف وهي قراءة نافع وابن عامر.

والثانية: **﴿قياماً﴾** بالألف وبها قرأ الباقون.

والآية المشار إليها: **﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً﴾.**

٣- **[﴿لهن سبيلا﴾ يعني الرجم للثيب، والجلد للبكر].**

ش/ ثبت هذا أيضاً في رواية المستملي والكشميهني وهو من تفسير ابن عباس أيضاً وصله عبد بن حميد عنه بإسناد صحيح. حكاه الحافظ.

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: **﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهنّ أربعة منكم فإن شهدوا فامسكوهنّ في البيوت حتى يتوفاهنّ الموت أو يجعل الله لهنّ سبيلاً﴾.**

٤- [وقال غيره : ﴿ مثنى وثلاث ورباع ﴾ : يعني اثنتين ، وثلاثاً وأربعاً ، ولاتجاوز العرب رُباع]

ش :

قال أبو عبيدة : ﴿ من النساء مثنى .. ﴾ أي اثنتين ولاتنوين فيها ، قال ابن غُنمة الضبي :

....   يُباعون بالبعران مثنى وموحِدا

وقال الشاعر :

ولكنما أهلي بوادٍ أنيسُه   ذئابٌ تبغّي الناسَ مثنى وموحِدا

قال النحويون : لاينون مثنى، لإنه مصروف عن حدّه، والحد أن يقولوا : اثنين، وكذلك ثُلاث ورُباع لاتنوين فيهما ، لإنه ثلاثٌ ورباعٌ في قول النحويين قال صخر ابن عمرو ابن الشرِّيد السلمي :

ولقد قتلتكم ثُناءً ومَوحِداً   وتركت مُرّة مثل أمس المدبِر

فأخرجَ اثنين مخرج ثُلاث ...

إلى أن قال .. . : ولا تجاوز العرب رُباع غير أن الكميت ابن زيد الأسدي قال:

فلم يستريثوك حتى رميـ ـ ـت فوق الرجال خِصالاً عُشارا

فجعل عُشار، على مخرج ثُلاث ورُباع . أهـ

والآية المشار إليها ﴿ **فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثُلاث ورُباع ..** ﴾ الآية.

٨٠- [باب ﴿وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى﴾].

ش/ تمامها ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث وربا ع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا﴾.

في معناها خمسة أقوال لأهل العلم حكاها ابن جرير.

أحدها: أنها بمعنى: وإن خفتم يا معشر أولياء اليتامى ألا تقسطوا في صداقهنّ فتعدلوا فيه وتبلغوا بصداقهنّ صدقات أمثالهنّ فلا تنكحوهنّ، ولكن انكحوا غيرهنّ من الغرائب اللواتي أحلهنّ الله لكم وطيبهنّ من واحدة إلى أربع، وإن خفتم أن تجوروا إذا نكحتم من الغرائب أكثر من واحدة فلا تعدلوا فانكحوا منهنّ واحدة، أو ما ملكت أيمانكم، وبه قالت عائشة، وعروة بن الزبير، وعلى هذا التأويل جواب قوله ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا﴾ قوله ﴿فانكحوا﴾.

وثانيها: أنها بمعنى النهي عن نكاح فوق الأربع حذراً على أموال اليتامى أن يتلفها أولياؤهم، وذلك أن قريشاً كان الرجل منهم يتزوج العشر من النساء والأكثر والأقل، فإذا صار معدماً مالَ على مال اليتيم الذي في حجره فأنفقه أو تزوج به، فنهوا عن ذلك، وقيل لهم: إن أنتم خفتم على أموال أيتامكم أن تنفقوها، فلا تعدلوا فيما تنكحون من عدد النساء على أربع، وإن خفتم أيضاً من الأربع ألا تعدلوا في أموالهم فاقتصروا على الواحدة، أو على ما ملكت أيمانكم، وهو قول ابن عباس وعكرمة.

وثالثها: أنها بمعنى إن خفتم أن لا تعدلوا في اليتامى، فكذلك فخافوا في النساء أن لا تعدلوا فيهنّ ولا تنكحوا منهنّ إلا من واحدة إلى الأربع ولا تزيدوا على ذلك، وإن خفتم ألا تعدلوا أيضاً في الزيادة على الواحدة، فلا تنكحوا إلا ما لا تخافون أن تجوروا فيهنّ من واحدة أو ما ملكت أيمانكم، وذلك أن القوم كانوا يتحوبون في أموال اليتامى ألا يعدلوا فيها، ولا يتحوبون في النساء ألا يعدلوا فيهن، وهذا هو قول سعيد بن جبير، والسدي، وقتادة، والضحاك، والربيع بن

أنس، والرواية الثانية عن ابن عباس.

ورابعها: أنها بمعنى فكما خفتم في اليتامى، فكذلك فتخوفوا في النساء أن تَزْنُوا بهنّ، ولكن انكحوا ما طاب لكم من النساء وبه قال مجاهد.

وخامسها: أنها بمعنى وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى اللاتي أنتم ولاتهنّ، فلا تنكحوهنّ، وانكحوا أنتم ما أحل لكم منهنّ، وهو قول الحسن، والرواية الثانية عن عائشة.

والمختار عندنا هو أول هذه الأقوال، ويؤيده حديث الباب.

فائدة في الحكمة من تعدد الزوجات.

إن الله سبحانه وتعالى لم يشرع لعباده إلا ما فيه مصلحة في عاجل الأمر وآجله، فهو الحكيم العليم اللطيف الخبير، وهو أعلم بحال خلقه وأرحم بهم من أنفسهم، وشأن المسلم الإنقياد لشرع الله والتسليم، وسواء كان ذلك الشرع أمراً أو نهياً.قال تعالى ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً**﴾.وقال جل في علاه ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**﴾ فهذه الآيات وما في معناها من الكتاب الكريم ومتواتر السنة نص صريح في وجوب التسليم لحكم الله ورسوله ﷺ وسواء في ذلك علمت الحكمة أو لم تعلم، ومما شرعه الله لعامة الأمة نكاح أربع نسوة لحكم كثيرة ومصالح جمة ذكرها أهل العلم منها:

أولاً: التركيب الجسمي للرجل أصح من المرأة في الغالب فبحكم طبيعة عمله وخلوه من الحيض والنفاس والحمل والإرضاع فيكون جسمه أصح من المرأة التي قضى الله عليها بالحمل والحيض والنفاس والولادة والإرضاع، والرجل في الغالب يتحكم بعقله وبواسطته يستطيع القيام بشؤون امرأتين وثلاث وأربع وهذا بخلاف من تتحكم فيه العاطفة التي يحتاج إليها لتربية الأطفال والحنان عليهم

ولذلك نجد النساء لا يصمدن أمام المشاهد المؤثرة وينسين سريعاً ويبكين لأتفه الأشياء.

ثانياً: أن الرجل في الغالب يتمكن من الإنجاب إلى سنة متأخرة من حياته بخلاف النساء فإنهن يتوقفن عن الإنجاب في سن مبكرة المعروف بسن اليأس.

ثالثاً: إن بعض الرجال أعطاهم ا لله قدرة جنسية زائدة ومعلوم ما يطرأ على المرأة من حيض وحمل ونفاس فالتعدد يساعد على حل المشكلة، ويرى الإمام أحمد رحمه ا لله في زمانه أن يُتَزوج أربع.

رابعاً: حسب الإحصاء أنه ثبت أن موت الرجال أكثر من النساء بسبب الحوادث والحروب التي يتعرض لها الرجال أكثر من النساء مما يترتب عليه بقاء نسبة الإناث أكثر من نسبة الرجال فلا حل لهذه المشكلة إلا بالتعدد، يضاف إلى ذلك أن نسبة مواليد الإناث أكثر من الذكور مما يضاعف المشكلة حتى يعلم أنه ليس من علاج إلا بالتعدد مع وجود نسبة قليلة من الرجال لا يتزوجون البتة بسبب ظروف النفقة وغيرها.

خامساً: أن الرجل بحكم اختلاطه بالناس قد يكون كريماً أو يبحث الناس عنه لعلمه أو كرمه أو صاحب جاه أو تكون طبيعة عمله يحتاج معها إلى من يساعده فالرجل في تلك الأحوال بحاجة إلى عدد من النساء يتكاتفن في العناية بشؤون الأولاد من جهة وتقديم الخدمة الكاملة للرجل من جهة أخرى فالتعدد يحل كثيراً من هذه المشكلات.

من فقه الآية:

أولاً: تحريم الزيادة في النكاح على أربع ومن الأدلة على ذلك من السنة ما رواه أحمد وغيره أن غيلان الثقفي أسلم وتحته عشر نسوة فأمره النبي ﷺ أن يمسك أربعاً ويفارق سائرهن، وأجمع من يعتد بقوله من الأئمة على ذلك.

ثانياً: أن الأصل في النكاح هو التعدد ولذلك بدأ ا لله به.

ثالثاً: وجوب العدل بين الزوجات.

رابعاً: يجب على من خاف عدم العدل الاقتصار على واحدة أو ما ملكت يمينه.

٩٤- حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام، عن ابن جريج قال: أخبرني هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلاً كانت له يتيمة فنكحها، وكان لها عذق وكان يمسكها عليه، ولم يكن لها من نفسه شيء، فنزلت فيه ﴿وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى﴾ أحسبه قال: كانت شريكته في ذلك العذق وفي ماله.

٩٥- حدثنا عبد العزيز بن عبد الله[1]، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى ﴿وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى﴾ فقالت: يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله، ويعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا عن أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا لهن أعلى سنتهن في الصداق، فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن، قال عروة: قالت عائشة: وإن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فأنزل الله ﴿ويستفتونك في النساء﴾ قالت عائشة: وقول الله تعالى في آية أخرى ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾ رغبة أحدكم عن يتيمته حين تكون قليلة المال والجمال. قالت: فنهوا ـ أن ينكحوا ـ عمّن رغبوا في ماله وجماله في يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال والجمال.

---

(١) هو أبو القاسم عبد العزيز بن عبد الله بن يحيى بن عمرو بن أويس بن سعد بن أبي سرح الأويسي، المدني من كبار العاشرة. خ.د.ت.كن.ق.

ش/ فيهما ثنتى عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**أن رجلاً**» ظاهره التعيين وأن الآية نزلت في ذلك المعين و لم أقف له على تسمية.

قال الحافظ (٨/٢٣٩): «هكذا قال هشام عن ابن جريج» .

قلت: يعني هشام بن يوسف الصنعاني فأوهم أنها نزلت في شخص معين، والمعروف عن هشام بن عروة التعميم.

وكذلك أخرجه الإسماعيلي من طريق حجاج بن محمد عن ابن جريج ولفظه: «أنزلت في الرجل يكون عنده اليتيمة...الخ» وكذا هو عند المصنف في الرواية التي تلي هذه من طريق ابن شهاب عن عروة.اهـ

الثانية: قوله «**كانت له يتيمة**» **قلت:** "كان" ها هنا هي كان التامة وهي التي تستغني بذكر مرفوعها ويعرب فاعلاً، واليتيم في اللغة المنفرد، وهو من بني الإنسان من فقد أباه قبل البلوغ.

الثالثة: قوله «**فنكحها وكان لها عذق**» قال في المصباح مادة عذق: «والعذق مثال فلس: النخلة نفسها، ويطلق العذق على أنواع من التمر ومنه عذق ابن الحبيق وعذق ابن طاب وعذق ابن زيد قاله أبو حاتم».اهـ

والمعنى أن ولي تلك اليتيمة تزوجها ولها نخل.

الرابعة: قوله «**وكان يمسكها عليه، ولم يكن لها من نفسه شيء**» يعني كان يمسكها من أجل عذقها لا رغبة في نكاحها، ولهذا لم يوفها حقوقها الواجبة لها عليه، وهذا من أعظم أنواع الظلم والجور والحيف.

الخامسة: قوله «**فنزلت فيه**» هذا وجه الشاهد من الحديث للترجمة ومراده أن الآية نزلت في ذلك الرجل.

السادسة: قوله «**أحسبه**» القائل هو هشام بن يوسف الصنعاني أحسبه أي عروة بن الزبير راوية عائشة.

السابعة: قوله «**كانت شريكته في ذلك العذق وفي ماله**».**قلت:** فبهذا تبين أن سبب إمساك ذلك الرجل موليته وعضلها وحيفه عليها هو الخوف أن يشركه أحد في ماله.

الثامنة: قوله «**تكون في حجر وليها**» قال في المصباح مادة حجر: «حجر عليه حجراً من باب قتل منعه التصرف فهو محجور عليه.والفقهاء يحذفون الصلة تخفيفاً لكثرة الاستعمال ويقولون محجور وهو سائغ وحجر الإنسان بالفتح وقد يكسر حضنه وهو دون إبطه إلى الكشح وهو في حجره أي كنفه وحمايته والجمع حجور».اهـ

قلت: فكلى المعنيين يصدق على ذلك الولي وذلك أن موليته في كفالته وحضانته وهي ممنوعة التصرف من قبله حين عضلها من الزواج من غيره خوفاً على ماله الذي شركته فيه.

التاسعة: قوله «**تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط صداقها**» فيه التصريح بأسباب عضل ولي اليتيمة وقسرها على الزواج من نفسه وتلك الأسباب هي: الشركة في المال، والحسن والجمال، فأدى به ذلك إلى عدم العدل في صداقها، استغلالاً لسلطته عليها.

العاشرة: قوله «**فيعطيها مثل ما يعطيها غيره**» تفسير لقوله «بغير أن يقسط في صداقها» وفيه دليل على مساواة المرأة اليتيمة في المهر بمثيلاتها تحقيقاً للعدل والإنصاف وأبرأ للذمة.

الحادية عشرة: قوله «**فنهوا عن أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا لهن أعلى سنتهن في الصداق**».

قلت: النهي في اللغة: المنع ومنه سمي العقل نُهيه لمنعه صاحبه من القبيح قولاً وفعلاً، وعند الأصوليين طلب الكف عن الفعل بالقول الدال عليه على وجه الاستعلاء.والمنهي ها هنا هم أولياء اليتامى والناهي هو الله تعالى والمنهي عنه

عضلهم إياهن وإمساكهن عن الزواج من غيرهم مع البخس في صدقاتهن، وقد أفاد النهي عن ذلك قوله تعالى ﴿**وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى**﴾ الآية.

وفيه دليل على أنه لا مانع من نكاح الرجل موليته إذا أوفى لها وبلغ بها أعلى ما تستحقه من الصداق شريطة أن يكون برضاها.

الثانية عشرة: قوله «**فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن**» **قلت:** الأمر في اللغة يطلق على شيئين أحدهما الحال والفعل والشأن، وثانيهما طلب الفعل، وعند الأصوليين طلب الفعل بالقول الدال عليه على وجه الاستعلاء، والآمر ها هنا هو الله سبحانه وتعالى والمأمور، هم أولياء اليتامى، والمأمور به نكاح غيرهن من الغرائب إذا خافوا عدم القسط مع مولياتهم من اليتامى، وأفاد الأمر على هذا الوجه قوله تعالى في الآية ﴿**وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء**﴾ الآية. وسيأتي الكلام على بقيته في الباب الثالث بعد المائة.

٨١- [باب **﴿ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى با لله حسيباً﴾**].

ش/ قلت: وأول الآية **﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن أنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا﴾**.

قوله **﴿وابتلوا اليتامى ـ إلى قوله ـ فإن أنستم منهم رشداً﴾**.

قال البغوي (١/٣٩٤): «الآية نزلت في ثابت بن رفاعة وفي عمه، وذلك أن رفاعة توفي وترك ابنه ثابتاً وهو صغير، فجاء عمه إلى النبي ﷺ وقال: إن ابن أخي يتيم في حجري فما يحل لي من ماله، ومتى أدفع إليه ماله؟ فأنزل ا لله تعالى هذه الآية **﴿وابتلوا اليتامى﴾** أي اختبروهم في عقولهم وأديانهم وحفظهم أموالهم **﴿حتى إذا بلغوا النكاح﴾** أي مبلغ الرجال والنساء **﴿فإن آنستم﴾** أبصرتم **﴿منهم رشداً﴾** قال المفسرون يعني عقلاً وصلاحاً في الدين وحفظاً للمال وعلماً بما يصلحه، وقال سعيد بن جبير ومجاهد والشعبي: لا يدفع إليه ماله وإن كان شيخاً حتى يؤنس منه رشده، والإبتلاء يختلف باختلاف أحوالهم، فإن كان ممن يتصرف في السوق فيختبره في نفقة داره، والإنفاق على عبيده وأجرائه، وتختبر المرأة في أمر بيتها وحفظ متاعها وغزلها واستغزالها فإذا رأى حسن تدبيره، وتصرفه في الأمور مراراً يغلب على القلب رشده دفع المال إليه».اهـ

قوله **﴿ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا﴾** الإسراف: في اللغة الإفراط ومجاوزة الحد، وقال النظر بن شميل: السرف التبذير، والبدار المبادرة و**﴿أن يكبروا﴾** في موضع نصب لقوله **﴿بداراً﴾** أي لا تأكلوا أموال اليتامى أكل إسراف وأكل مبادرة لكبرهم، ولا تأكلوا لأجل السرف ولأجل المبادرة، أو لا تأكلوها مسرفين ومبادرين لكبرهم وتقولوا ننفق أموال اليتامى فيما نشتهي قبل أن يبلغوا فينتزعوها من أيدينا. قاله الشوكاني (١/٤٢٧).

وقوله **﴿ومن كان غنياً فليستعفف ـ إلى قوله ـ بالمعروف﴾**.

قال القرطبي (٥/٤١): «يبين الله تعالى ما يحل لهم من أموالهم، فأمر الغني بالإمساك وأباح للوصي الفقير أن يأكل من مال وليه بالمعروف. يقال: عف الرجل عن الشيء واستعف إذا أمسك، والاستعفاف عن الشيء تركه، ومنه قوله تعالى ﴿**وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً**﴾ والعفة الامتناع عما لا يحل ولا يجب فعله».

وقال ابن كثير (١/٤٦٤): «قال الفقهاء: له أن يأكل من أقل الأمرين أجرة مثله أو قدر حاجته، واختلفوا هل يرد إذا أيسر؟ على قولين:

أحدهما: لا؛ لأنه أكل بأجرة عمله وكان فقيراً وهذا هو الصحيح عند أصحاب الشافعي؛ لأن الآية أباحت الأكل من غير بدل . . .إلى أن قال.

والثاني: نعم؛ لأن مال اليتيم على الحظر، وإنما أبيح للحاجة فيرد بدله كأكل مال الغير للمضطر لا عند الحاجة».اهـ

قوله ﴿فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى با لله حسيباً﴾

قال ابن جرير (٤/٢٦١): «يعني بذلك جل ثناؤه: وإذا دفعتم يا معشر ولاة أموال اليتامى إلى اليتامى أموالهم ﴿**فأشهدوا عليهم**﴾ يقول: فأشهدوا على الأيتام باستيفائهم ذلك منكم، ودفعكموه إليهم . . . إلى أن قال: يقول تعالى ذكره: وكفى با لله كافياً من الشهود الذين يشهِدُهم والى اليتيم على دفعه مال يتيمه إليه».اهـ

قال مقيده: وحاصل ما في الآية أن الله شرط لدفع مال اليتيم إليه أربعة شروط:

الأول: إختباره.

وثانيها: بلوغه النكاح.

وثالثها: إيناس الرشد.

ورابعها: الإشهاد عليه عند دفع ماله إليه وهذا هو بيان قوله تعالى ﴿**ولا**

تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده﴾.

شرح جملة من الكلمات

١- [**قوله ﴿وبداراً﴾ مبادرة**].

ش/ قاله أبو عبيدة وزاد: قبل أن يدرك فيؤنس منه الرشد فيأخذ منك.

٢- [**﴿أعتدنا﴾ أعددنا أفعلنا من العتاد**].

ش/ قاله أبو عبيدة وزاد: ومعناها أعددنا لهم.

ولعل الآية المشار إليها **﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات ـ إلى قوله ـ أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾.**

٩٦- حدثني إسحاق، أخبرنا عبد الله بن نمير، حدثنا هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى ﴿ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف﴾ أنها نزلت في والي اليتيم إذا كان فقيراً أنه يأكل منه مكان قيامه عليه بمعروف.

ش/ فيه بيان السبب الذي من أجله أبيح لولي اليتيم الأكل من ماله بالمعروف، والحديث دليل على صحة ما ذهب إليه الجمهور من أهل العلم بأن المخاطب بالآية هو ولي اليتيم ويزيده وضوحاً ما رواه أحمد وأبو داود وغيرهما عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن عندي يتيماً عنده مال وليس لي مال آكل من ماله؟ قال: كل بالمعروف غير مسرف.

وذهب ربيعة ويحيى بن سعيد إلى أن المخاطب بالآية هو اليتيم إن كان غنياً وسع عليه وأعف عن ماله، وإن كان فقيراً أنفق عليه بقدره.وهذا المذهب مرجوح لوجهين كما قال ابن العربي:

أحدهما: أن الخطاب لا يصلح أن يكون له؛ لأنه غير مكلف ولا مأمور بشيء من ذلك.

الثاني: أنه إن كان غنياً أو فقيراً إنما يأكل بالمعروف فسقط هذا.

٨٢- [باب **﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين﴾**].

ش/ تمامها: **﴿فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾**.

قال الشيخ ابن سعدي:

«قوله **﴿وإذا حضر القسمة﴾** أي قسمة المواريث **﴿أولوا القربى﴾** أي الأقارب غير الوارثين بقرينة قوله **﴿القسمة﴾**؛ لأن الوارثين من المقسوم عليهم **﴿واليتامى والمساكين﴾** أي المستحقون من الفقراء **﴿فارزقوهم منه﴾** أي أعطوهم ما تيسر من هذا المال الذي جاءكم بغير كد ولا تعب ولا عناء ولا نصب، فإن نفوسهم متشوقة إليه. وقلوبهم متطلعة واجبروا خواطرهم بما لا يضركم وهو نافعهم - إلى أن قال - وهذا كله مع إمكان الإعطاء فإن لم يكن ذلك لكونه حق سفهاء أو ثَمّ أهم من ذلك فليقولوا لهم **﴿قولاً معروفا﴾** يردونهم رداً جميلاً بقول حسن غير فاحش ولا قبيح».اهـ

قال مقيده: واعلم أن أهل العلم كما ذكره ابن جرير وغيره مختلفون في هذه الآية على ثلاثة أقوال:

أولها: إنها محكمة غير منسوخة وأن الخطاب فيها لورثة الميت، أمروا أن يرضخوا لمن سموا فيها قبل قسمة التركة وهذا هو قول الأكثرين.

وثانيها: أن الآية منسوخة وبه قال سعيد بن المسيب وأبو مالك وابن عباس في أحدى الروايتين وغيرهم.

والقول الثالث: أنها محكمة وليست بمنسوخة غير أنه مع ذلك **﴿وإذا حضر القسمة﴾** يعني بها قسمة الميت ماله بوصيته لمن كان يوصى له به. قالوا وأمروا بأن يجعل وصيته في ماله لمن سماه الله تعالى في هذه الآية.

والأول هو المختار عندنا ويأتي دليله في شرح حديث الباب.

٩٧- حدثنا أحمد بن حميد[١]، أخبرنا عبيد الله الأشجعي[٢]، عن سفيان، عن الشيباني، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين﴾ قال: هي محكمة، وليست بمنسوخة.تابعه سعيد عن ابن عباس .

ش/ وبه قال مجاهد ومحمد بن شهاب الزهري وسعيد بن جبير أخرجه عنهم ابن جرير في الأكثرين وعزى الحافظان ابن كثير وابن حجر العسقلاني النسخ إلى الأئمة الأربعة في جمهور أهل العلم.

قال مقيده: وعندي أن قول ابن عباس هذا ومن سمينا راجح لأمرين:

أولهما: أن ما دلت عليه الآية من الرضخ لحاضري القسمة من الأقارب غير الوارثين هو الظاهر المتبادر إلى الذهن منها ولا يصرف هذا الأصل إلا بدليل شرعي والقول بالإحكام إجراء للآية على ظاهرها.

ثانيهما: إن النسخ من الأمور التي لا مجال للاجتهاد فيها فلا يتبين بمجرد الدعوى بل بدليل شرعي وذلك الدليل إما نص صريح الدلالة عليه، أو إجماعٌ من أهل العلم المجتهدين، ولم نقف على أي منهما والله أعلم.

وقول المصنف: «**تابعه سعيد عن ابن عباس**» يعني أن سعيد بن جبير تابع عكرمة على رواية القول بالإحكام عن ابن عباس وذلك في باب قوله تعالى ﴿**وإذا حضر القسمة**﴾ من الوصايا.

---

(١) هو أبو الحسن أحمد بن حميد الطُّريثيثي ويعرف بدار أم سلمة، ثقة حافظ من العاشرة، مات سنة عشرين [ومائتين] وقيل بعدها.خ.س.

(٢) هو أبو عبد الرحمن عبيد الله بن عبيد الرحمن الأشجعي، الكوفي، ثقة مأمون أثبت الناس كتاباً في الثوري، من كبار التاسعة، مات سنة تسع [ومائتين].ع.

٨٣- [باب ﴿**يوصكم ا لله في أولادكم**﴾].

ش/ تمامها ﴿**للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً فريضة من ا لله إن ا لله كان عليماً حكيماً**﴾.

قال بعض أهل العلم: بين ا لله تعالى في هذه الآية ما أجمله في قوله ﴿**للرجال نصيب**﴾ و﴿**للنساء نصيب**﴾ فدل هذا على جواز تأخير البيان عن وقت السؤال وهذه الآية ركن من أركان الدين، وعمدة من عمد الأحكام، وأم من أمهات الآيات، فإن الفرائض عظيمة القدر حتى أنها ثلث العلم وروي نصف العلم وهو أول علم ينزع من الناس وينسى.

وقالوا: وإذا ثبت هذا فاعلم أن الفرائض كان جل علم الصحابة، وعظيم مناظرتهم ولكن الخلق ضيعوه.

وروى أبو داود والدارقطني عن عبد ا لله بن عمرو بن العاص أن رسول ا لله ﷺ قال: العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل: آية محكمة، وسنة قائمة، أو فريضة عادلة.

قلت: في إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي وهو ضعيف.

قال الخطابي أبو سليمان:« الآية المحكمة هي كتاب ا لله تعالى، واشترط فيها الإحكام؛ لأن من الآي ما هو منسوخ لا يعمل به، وإنما يعمل بناسخه، والسنة القائمة هي الثابتة مما جاء عنه ﷺ من السنن الثابتة. وقوله (أو فريضة عادلة) يحتمل وجهين من التأويل: أحدهما أن يكون من العدل في القسمة فتكون معدلة على الأنصباء والسهام المذكورة في الكتاب والسنة، والوجه الآخر أن تكون مستنبطة من الكتاب والسنة ومن معناهما، فتكون هذه الفريضة تعدل ما أخذ من

الكتاب والسنة إذ كانت في معنى ما أخذ عنهما نصا» اهـ.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي مفصلاً القول في شرحها: «هذه الآيات، والآية التي هي آخر آيات المواريث المتضمنة لها.فإنها ـ مع حديث عبد الله بن عباس الثابت في صحيح البخاري: «الحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فلأولى رجل ذكر» ـ مشتملات على جل أحكام الفرائض، بل على جميعها، كما سترى ذلك، إلا ميراث الجدات، فإنه غير مذكور في ذلك؛ لكنه قد ثبت في السنن، عن المغيرة بن شعبة، ومحمد بن مسلمة أن النبي ﷺ أعطى الجدة السدس، مع إجماع العلماء على ذلك»اهـ

بيان ميراث الأولاد

قوله ﴿**يوصيكم الله**﴾ **قلت**: والوصية في الأصل عبارة عن الأمر بالشيء والعهد به في الحياة وبعد الموت.

وقوله ﴿**في أولادكم**﴾ قال الشيخ ابن سعدي: «في أولادكم أي: أولادكم يا معشر الوالدين عندكم ودائع قد وصاكم الله عليهم، لتقوموا بمصالحهم الدينية والدنيوية.

فتعلمونهم وتؤدبونهم، وتكفونهم عن المفاسد، وتأمرونهم بطاعة الله، وملازمة التقوى على الدوام كما قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة**﴾.

فالأولاد ـ عند والديهم ـ موصى بهم.فإما أن يقوموا بتلك الوصية، فلهم جزيل الثواب.وإما أن يضيعوها، فيستحقوا بذلك الوعيد والعقاب. وهذا مما يدل على أن الله تعالى أرحم بعباده من الوالدين، حيث أوصى الوالدين مع كمال شفقتهما عليهم.

ثم ذكر كيفية إرثهم فقال: ﴿**للذكر مثل حظ الأنثيين**﴾ أي: الأولاد للصلب والأولاد للابن للذكر مثل حظ الأنثيين، إن لم يكن معهم صاحب

فرض، أو ما أبقت الفروض، يقتسمونه كذلك.

وقد أجمع العلماء على ذلك، وأنه ـ مع وجود أولاد الصلب ـ فالميراث لهم، وليس لأولاد الابن شيء، حيث كان أولاد الصلب، ذكوراً أو إناثاً.هذا مع اجتماع الذكور والإناث.وهنا حالتان: إنفراد الذكور، وسيأتي حكمها.وانفراد الإناث وقد ذكره بقوله.

أحكام البنات في الميراث:

﴿**فإن كن نساء فوق اثنتين**﴾ أي بنات صلب أو بنات ابن، ثلاثاً فأكثر ﴿**فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة**﴾ أي بنتاً أو بنت ابن ﴿**فلها النصف**﴾ وهذا إجماع.بقي أن يقال: من أين يستفاد أن للابنتين الثنتين الثلثين بعد الإجماع على ذلك؟

فالجواب: أنه يستفاد من قوله ﴿**فإن كانت واحدة فلها النصف**﴾.

فمفهوم ذلك أنه إن زادت على الواحدة انتقل الفرض عن النصف، ولا ثم بعده إلا الثلثان.

وأيضاً فقوله ﴿**للذكر مثل حظ الأنثيين**﴾ إذا خلف ابناً وبنتاً فإن الابن له الثلثان وقد أخبر الله أنه مثل حظ الأنثيين.فدل ذلك على أن للبنتين الثلثين.

وأيضاً فإن البنت إذا أخذت الثلث مع أخيها ـ وهو أزيد ضرراً عليها من أختها ـ فأخذها له ـ مع أختها ـ من باب أولى وأحرى.وأيضاً فإن قوله تعالى في الأختين: ﴿**فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك**﴾ نص في أن للأختين الثلثين.فإذا كان الأختان الثنتان ـ مع بعدهما ـ تأخذان الثلثين، فالابنتان ـ مع قربهما ـ من باب أولى وأحرى.

وقد أعطى النبي ﷺ ابنتي سعد الثلثين كما في الصحيح.بقي أن يقال: فما الفائدة في قوله: ﴿**فوق اثنتين**﴾؟ قيل: الفائدة في ذلك ـ والله أعلم ـ أنه ليعلم أن الفرض الذي هو الثلثان لا يزيد بزيادتهن على الثنتين فصاعداً.

ودلت الآية الكريمة أنه إذا وجد بنت صلب واحدة وبنت ابن أو بنات ابن فإن لبنت الصلب النصف، ويبقى من الثلثين اللذين فرضهما ا لله للبنات، أو بنات الابن السدس، فيعطى بنت الابن أو بنات الابن ولهذا يسمى هذا السدس تكملة للثلثين.ومثل ذلك بنت الابن مع بنات الابن اللاتي أنزل منها.وتدل الآية أنه متى استغرق البنات أو بنات الابن الثلثين أنه يسقط من دونهن من بنات الابن؛ لأن ا لله لم يفرض لهن إلا الثلثين، وقد تم.فلو لم يسقطن لزم من ذلك أن يفرض لهن أزيد من الثلثين، وهو خلاف النص.وكل هذه الأحكام مجمع عليها بين العلماء و لله الحمد.

ودل قوله ﴿**مما ترك**﴾ أن الوارثين يرثون كل ما خلف الميت من عقار وأثاث وذهب وفضة وغير ذلك حتى الدية التي لم تجب إلا بعد موته، وحتى الديون التي في الذمة.

أحكام الأبوين في الميراث:

ثم ذكر ميراث الأبوين فقال: ﴿**ولأبويه**﴾ أي أبوه وأمه ﴿**لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد**﴾ أي ولد الصلب أو ولد ابن، ذكراً كان أو أنثى، واحداً أو متعدداً.فأما الأم فلا تزيد على السدس مع أحد من الأولاد.

أحكام الأب في الميراث:

وأما الأب فمع الذكور منهم لا يستحق أزيد من السدس.

فإن كان الولد أنثى أو إناثاً و لم يبق بعد الفرض شيء، كأبوين وابنتين لم يبق له تعصيب.وإن بقي بعد فرض البنت أو البنات شيء، أخذ الأب السدس فرضاً والباقي تعصيباً؛ لأننا ألحقنا الفروض بأهلها، فما بقي فلأولى رجلٍ ذكر، وهو أولى من الأخ والعم وغيرهما.

﴿**فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث**﴾ أي والباقي للأب؛ لأنه أضاف المال إلى الأب والأم إضافة واحدة، ثم قدر نصيب الأم فدل ذلك على أن

الباقي للأب.

وعلم من ذلك أن الأب ـ مع عدم الأولاد ـ لا فرض له، بل يرث تعصيباً المال كله، أو ما أبقت الفروض؛ ولكن لو وجد مع الأبوين أحد الزوجين ـ ويعبر عنهما بالعمريتين ـ فإن الزوج أو الزوجة يأخذ فرضه ثم تأخذ الأم ثلث الباقي والأب الباقي.

وقد دل على ذلك قوله **﴿وورثه أبواه فلأمه الثلث﴾** ثلث ما ورثاه الأبوان، وهو في هاتين الصورتين إما سدس في زوج وأم وأب، وإما ربع في زوجة وأم وأب.فلم تدل الآية على إرث الأم ثلث المال كاملاً مع عدم الأولاد حتى يقال: إن هاتين الصورتين قد استثنيتا من هذاويوضح ذلك أن الذي يأخذه الزوج أو الزوجة بمنزلة ما يأخذه الغرماء، فيكون من رأس المال، والباقي بين الأبوين.

ولأنا لو أعطينا الأم ثلث المال لزم زيادتها على الأب في مسألة الزوج، أو أخذ الأب في مسألة الزوجة زيادة عنها نصف السدس، وهذا لا نظير له.فإن المعهود مساواتها للأب أو أخذه ضعف ما تأخذه الأم.

﴿فإن كان له إخوة فلأمه السدس﴾ أشقاء، أو لأب، أو لأم، ذكوراً أو إناثاً، وارثين أو محجوبين بالأب، أو الجد.

لكن قد يقال: ليس ظاهر قوله: **﴿فإن كان له إخوة﴾** شاملا لغير الوارثين، بدليل عدم تناولها للمحجوب بالنصف.فعلى هذا لا يحجبها عن الثلث من الإخوة إلا الإخوة الوارثين.ويؤيده أن الحكمة في حجبهم لها عن الثلث؛ لأجل أن يتوفر لهم شيء من المال وهو معدوم.ولكن يشترط كونهم اثنين فأكثر.ويشكل على ذلك إتيان لفظ " الإخوة" بلفظ الجمع بأن المقصود مجرد التعدد لا الجمع، ويصدق ذلك باثنين، وقد يطلق الجمع ويراد به الاثنين كما في قوله تعالى عن داود وسليمان **﴿وكنا لحكمهم شاهدين﴾**.وقال في الإخوة لأم

﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث﴾

فأطلق لفظ الجمع والمراد به اثنين أو أكثر بالإجماع. فعلى هذا لو خلف أماً وأباً وإخوة كان للأم السدس والباقي للأب، فحجبوها عن الثلث، مع حجب الأب إياهم، إلا على الاحتمال الآخر فإن للأم الثلث، والباقي للأب.

ثم قال تعالى **﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين﴾**

أي هذه الفروض والأنصباء والمواريث إنما ترد وتستحق بعد نزع الديون التي على الميت لله، أو للآدميين، وبعد الوصايا، التي قد أوصى الميت بها بعد موته، فالباقي عن ذلك هو التركة التي يستحقها الورثة.وقدم الوصية مع أنها مؤخرة عن الدين للاهتمام بشأنها؛ لكون إخراجها شاقاً على الورثة، وإلا فالديون مقدمة عليها، وتكون من رأس المال.وأما الوصية فإنها تصح من الثلث فأقل للأجنبي الذي هو غير وارث، وأما اغير ذلك فلا ينفذ، إلا بإجازة الورثة.

﴿آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً﴾

فلو رد تقدير الإرث إلى عقولكم واختياركم لحصل من الضرر ما ا لله به عليم، لنقص العقول، وعدم معرفتها بما هو اللائق والأحسن في كل زمان ومكان، فلا يدرون أي الأولاد أو الوالدين أنفع لهم وأقرب لحصول مقاصدهم الدينية والدنيوية.

﴿فريضة من ا لله إن ا لله كان عليماً حكيماً﴾

أي فرضها ا لله الذي قد أحاط بكل شيء علماً، وأحكم ما شرعه، وقدر ما قدره على أحسن تقدير، لا تستطيع العقول أن تقترح مثل أحكامه الصالحة الموافقة لكل زمان ومكان وحال)).اهـ

٩٨- حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا هشام أن ابن جريج أخبرهم قال:

أخبرني ابن المنكدر[1]، عن جابر رضي ا لله عنه قال: عادني النبي ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشيين فوجدني النبي ﷺ لا أعقل، فدعا بماء فتوضأ منه ثم رش علـيّ فأفقت، فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول ا لله، فنزلت ﴿يوصيكم ا لله في أولادكم﴾.

ش/ فيه ست مسائل:

الأولى: قوله «**عادني النبي ﷺ**» عدت المريض عيادة زرته فالرجل عائد وجمعه عوّاد والمرأة عائدة وجمعها عوّد بغير ألف. قاله في المصباح مادة عاد.

قلت: وعيادة المريض زيارته من أجل مواساته بالسؤال عن حاله وتسليته بالدعاء له بالشفاء، وكان من هديه ﷺ عيادته المرضى من أصحابه، فقد عاد سعد بن أبي وقاص وسعد بن عبادة وغيرهما كما صح عنه ﷺ أنه عاد عمه أبا طالب ودعاه إلى الإسلام فأبى، وقد صح مستفيض الخبر من النبي ﷺ في الحث على عيادة المريض من ذلك ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي ا لله عنه أن رسول ا لله ﷺ قال: «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا مرض فعده...» الحديث.

الثانية: قوله «**وأبو بكر**» هو عبد ا لله بن أبي قحافة التيمي القرشي المكي ثم المدني فضائله جمّة ومناقبه وافرة وحسناته على أهل الإسلام أكبر من أن تحصى، آزر النبي ﷺ في حياته أعظم مؤازرة وخلفه بعد وفاته في الأمة فأحسن الخلافة فهو أفضل الأمة وإمامها بعد نبيها وأول الخلفاء الراشدين وخير من طلعت عليه الشمس بعد الأنبياء والمرسلين، وكانت مدة خلافته سنتين وأشهر توفي في المدينة في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة رضي

(١) هو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بالتصغير التيمي، المدني ثقة فاضل من الثالثة، مات سنة ثلاثين [ومائة] أو بعدها. ع.

ا لله عنه وأرضاه وجزاه عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

الثالثة: قوله «**فوجدني النبي ﷺ لا أعقل**» أي فاقد الإدراك من شدة ما به من المرض.

الرابعة: قوله «**فدعا بماء فتوضأ منه ثم رش عليّ**» هذا الصنيع من هديه ﷺ في معالجة بعض المرضى، والظاهر أنه من خصوصياته إذ لا أحد من البشر مقطوع له بالبركة مثل النبي ﷺ حتى يتأسى به فيصنع هذا الصنيع، ولم نعلم من أهل الإمامة والفضل من صنع ذلك تبركاً وما ذلك والعلم عند ا لله إلا لأنه متقرر عندهم أن مثل هذا التطبب هو من خصائص النبي ﷺ.

الرابعة: قوله «**فأفقت**» في الوضوء، باب صب النبي ﷺ وضوءه على المغمى عليه، من رواية شعبة «فعقلت» والمعنى أنه عاد إلى ما كان عليه من الوعي والإدراك قبل أن يصيبه ما أصابه. يقال: أفاق واستفاق رجع إلى ما كان عليه من العقل والإدراك، وتستعمل هذه المادة في الصحو من شدة المرض، ومما يفقد العقل كالجنون والإغماء.

الخامسة: قوله «**فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول ا لله**» وفي الوضوء من رواية شعبة «فقلت: يا رسول ا لله لمن الميراث؟ إنما يرثني كلالة».

قلت: فهذا السؤال سؤال استرشاد وفيه دلالة على حرص جابر على موافقة السنة في تصرفه في ماله.

السادسة: قوله «**فنزلت ﴿يوصيكم ا لله في أولادكم﴾**» في رواية شعبة المذكورة «فنزلت آية الفرائض» وفي رواية سفيان في المرضى باب زيارة المغمى عليه «فلم يجبني شيء حتى نزلت آية الميراث» فتحصل من هذا أمران:

أحدهما: سكوت النبي ﷺ عن الإجابة عما يشكل حتى يوحى إليه فيه.

وثانيهما: أن هذه الآية تسمى آية الفرائض لما تضمنته من الفروض المقدرة للورثة.

تنبيه:

قال القسطلاني بعد كلام طويل في الرد على الدمياطي حين قال وهو وهم والذي نزل في جابر يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة قال: والحاصل أن المحفوظ عن ابن المنكدر أنه قال: آية الميراث أو آية الفرائض فالظاهر أنها يوصيكم الله كما صرح به في رواية ابن جريج ومن تابعه.وأما من قال أنها يستفتونك فعمدته أن جابر لم يكن له حينئذ ولد وإنما كان يورث كلالة فكان المناسب لقصته نزول يستفتونك؛ لكن ليس ذلك بلازم؛ لأن الكلالة اختلف في تفسيرها فقيل هي اسم المال الموروث وقيل اسم الميت وقيل اسم الإرث فلما لم يتعين تفسيرها بمن لا ولد له ولا والد لم يصح الاستدلال؛ لأن يستفتونك نزلت في آخر الأمر وآية المواريث نزلت قبل ذلك بمدة في ورثة سعد بن الربيع ـ إلى أن قال ـ فقد ظهر أن ابن جريج لم يهم».اهـ

تنبيه آخر

أخرج الترمذي في الفرائض باب ما جاء في ميراث البنات وصححه عن جابر قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك يوم أحد شهيداً وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالاً ولا تنكحان إلا ولهما مال، قال: يقضي الله في ذلك، فنزلت آية الميراث، فبعث رسول الله ﷺ إلى عمهما فقال: اعط ابنتي سعد الثلثين، واعط أمهما الثمن، وما بقي فهو لك. فلا يشكل هذا على حديث الباب؛ لأنه لا مانع أن تكون الآية نزلت في كلتا القصتين والله أعلم.

٨٤- [باب ﴿**ولكم نصف ما ترك أزواجكم**﴾].

ش/ تمامها ﴿**إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم**﴾.

تتضمن هذه الآية الكريمة ميراث ثلاثة أصناف من الناس وهم: الأزواج، والزوجات، والإخوة لأم، وإليك تفصيل ذلك.

أولاً: إستحقاق الزوج النصف مشروط بعدم الولد ومثله ولد الولد وكلاهما فرع الوارث وهذا الشرط عدمي، واستحقاقه الربع بشرط الولد ومثله ولده وهذا شرط وجودي.

ثانياً: ترث الزوجات الربع مع عدم الولد أو ولد الولد، كميراث الزوج النصف، ويرثن الثمن مع وجود الولد ومثله ولده.

قال صاحب الرحبية في الأول:

والربع فرض الزوج إن كان معه ... من ولد الزوجة من قد منعه
وهو لكل زوجة أو أكثرا ... مع عدم الأولاد فيما قدرا
وذكر أولاد البنين يعتمد ... حيث اعتمدنا القول في ذكر الولد

وقال في الثاني:

والثمن للزوجة والزوجات ... مع البنين أو مع البنات
أو مع أولاد البنين فاعلم ... ولا تظن الجمع شرطاً فافهم

ثالثاً: الإخوة لأم وميراث أولئك السدس للواحد، والثلث للإثنين فأكثر وبيانه في قوله ﴿**وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل**

واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث﴾.

فدل بذلك على أمور منها:

أولاً: قصر ميراث الإخوة لأم على الثلث إن كانوا اثنين فأكثر.

ثانياً: عدم تفضيل ذكورهم على إناثهم.

ثالثاً: حجبهم بأصل الوارث أو فرعه وذلك؛ لأن الراجح في الكلالة أنه من مات وليس له ولد ولا والد.والدليل على أن المراد بهذه الآية الإخوة لأم قوله في آخر السورة ﴿**يستفتونك قل ا لله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين**﴾.

رابعاً: أن الإخوة لأم أصحاب فروض ويسقطون الأشقاء في العمرية وهي زوج وأم وأشقاء وإخوة لأم فالمسألة من ستة للزوج النصف.

١/٢	الزوج	٣
١/٦	الأم	١
١/٣	الإخوة لأم	٢

وهذا أرجح القولين للحديث الصحيح ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر.

قوله ﴿**من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار**﴾ فيه مسألتان:

الأولى: تأخير الميراث بعد سداد الدين والوصية وهذا صريح ظاهر في الآية ولكن ما السر في تقديم الوصية على الدين مع أنه أوجب منها؟

أجاب أهل العلم عن ذلك بأجوبة عدة منها:

١ - أن المقصود تقديم الأمرين على الميراث ومن غير قصد إلى الترتيب

بينهما.

٢ ـ لما كانت الوصية أقل لزوماً من الدين قدمت اهتماماً بها.

٣ ـ لكثرة وقوعها فصارت كالأمر اللازم لكل ميت.

٤ ـ لكونها حظ المساكين والفقراء، وأخر الدين لكونه حظ غريم يطلبه بقوة وسلطان.

المسألة الثانية: في قوله ﴿**غير مضار**﴾ دليل على تحريم الضرر في الوصية وهو الإجحاف بها على الورثة وذلك بمجاوزة الثلث فيها، لما رواه الشيخان عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاءني رسول الله ﷺ يعودني عام حجة الوداع من وجع أشتد بي فقلت: يا رسول الله إني قد بلغ بي من الوجع ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا.قلت: فالشطر يا رسول الله؟ فقال: لا.قلت: فالثلث يا رسول الله؟ قال: الثلث والثلث كثير أو كبير.الحديث.

وقوله ﴿**وصية من الله**﴾ نصب على المصدر أي يوصيكم بذلك وصية من الله كقوله ﴿**فريضة من الله**﴾ قال ابن عطية: ويصح أن يعمل فيها مضار والمعنى أن يقع الضرر بها أو بسببها فأوقع عليها تجوزاً فتكون وصية على هذا مفعولاً بها؛ لأن اسم الفاعل قد إعتمد على ذي الحال أو لكونه منفياً معنى وقرأ الحسن ﴿**وصيةٍ من الله**﴾ بالجر على إضافة اسم فاعل إليها كقوله يا سارق الليلة أهل الدار. وفي كون هذه الوصية من الله سبحانه دليل على أنه قد وصى عباده بهذه التفاصيل المذكورة في الفرائض وأن كل وصية من عباده تخالفها فهي مسبوقة بوصية الله وذلك كالوصايا المتضمنة لتفضيل بعض الورثة على بعض أو المشتملة على الضرار بوجه من الوجوه.

وقوله ﴿**والله عليم حليم**﴾ يعني عليم بأهل الميراث حليم على أهل الجهل منكم فلا يعاجلهم بالعقوبة. فتحصل مما تقدم أربعة أحكام.

الأول: وجوب إنفاذ ما أمر الله به في هذه الآية من الميراث والدين والوصية.

الثاني: تحريم الضرر في الوصية.

الثالث: إحاطة علم الله بأحوال العباد ومصالحهم.

الرابع: سعة رحمة الله فلو يؤاخذ كل جاهل بالعقوبة ما بقي على ظهرها من دابة.

٩٩ـ حدثنا محمد بن يوسف، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان المال للولد، وكانت الوصية للوالدين، فنسخ الله من ذلك ما أحب فجعل للذكر مثل الأنثيين وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس والثلث وجعل للمرأة الثمن والربع وللزوج الشطر والربع.

ش/ فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «**كان المال للولد**» أي مال المتوفى في أول الأمر، ويعني بالولد الذكور دون الإناث يدل له ما رواه ابن جرير عن ابن عباس من وجه آخر «أنها لما نزلت قالوا يا رسول الله أنعطي الجارية الصغيرة نصف الميراث وهي لا تركب الفرس ولا تدافع العدو؟ قال: وكانوا في الجاهلية لا يعطون الميراث إلا لمن قاتل القوم».

الثانية: قوله «**وكانت الوصية للوالدين**» يعني في قوله تعالى **﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين﴾**.

قلت: والأمر في هذه الوصية راجع إلى ما يراه الموصى من المساواة أو التفضيل وذلك لأن الحق جل علاه لم يجعل لها قدراً.

الثالثة: قوله «**فنسخ الله من ذلك ما أحب**» .

قلت: وروى ابن جرير عند تفسير قوله ﴿**كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت**﴾ الآية من طريق يعقوب بن إبراهيم قال ثنا ابن علية عن يونس عن ابن سيرين عن ابن عباس أنه قام فخطب الناس ها هنا فقرأ عليهم سورة البقرة ليبين لهم منها فأتى على هذه الآية ﴿**إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين**﴾ قال نسخت هذه.

وروى عنه من طريق العوفيين قال: نسخت الفرائض التي للوالدين والأقربين الوصية.

وروى عن ابن عمر أنه قال: نسختها آية الميراث.

قلت: ويدل على نسخ الوصية للوالدين من السنة ما رواه الترمذي وصححه عن ابي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته عام حجة الوداع: إن الله قد أعطى لكل ذي حق حقه فلا وصية لوارث.الحديث.

قلت: فتبين بهذا أمران:

أحدهما: نسخ الوصية للوالدين بما فرض الله لهما من ميراث.

وثانيهما: بقاء الوصية للأقربين غير الوارثين وهل هي واجبة أو مستحبة وأكثر أهل العلم على أنها ليست بواجبة إلا لرجل عليه دين أو مال لقوم.

الرابعة: قوله «**وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس**» الخ.تقدم شرحه في أول الباب قبله.

٨٥- [باب ﴿لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن﴾].

ش/ قلت: الآية **﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل ا لله فيه خيراً كثيراً﴾**.

تشتمل هذه الآية على أربعة أمور:

الأول: النهي عن ميراث النساء كرهاً وهذا أفاده **﴿لا يحل لكم﴾**؛ لأن هذه اللفظة من صيغ النهي الفرعية كما هو معروف في علم الأصول، والنهي يقتضي التحريم، وسيأتي بيان ذلك في حديث الباب.

الثاني: النهي عن عضل الأزواج من أجل الذهاب ببعض ما أوتين إلا أن يأتين بفاحشة مبينة.وقد اختلف أهل العلم في المراد بالفاحشة ها هنا على قولين:

أحدهما: أنه الزنا وهو قول أبي قلابة والحسن والسدي وابن سيرين.

وقال ابن مسعود وابن عباس والضحاك وقتادة: البغض والنشوز.

وثمة قول ثالث: وهو البذاء باللسان وسوء العشرة قولاً وفعلاً.وهذا في معنى النشوز.

قال مقيده: ولعل جامع هذه الأقوال أن الفاحشة في المرأة ما تناهى قبحه في الأقوال والأفعال والأخلاق فإنها منافية لحسن العشرة.

الأمر الثالث: الأمر بمعاشرة الزوجات بالمعروف وبيانه في قوله تعالى من سورة البقرة **﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾**.

قلت: والمعروف هو ما تعارف الناس عليه وأقره الشرع ففي الآية إذاً أمر بحسن الصحبة وكل ما يدعو إلى الوفاق والوئام.

الرابع: تحمّل المرأة وإن بدا منها ما يكره فيها وهذا يتضمنه قوله تعالى

﴿فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ فهذا أمر بالصبر عليهن ووعد على ذلك بحسن العاقبة وهي الخيرية الكثيرة.

وفي الحديث الصحيح «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن سخط منها خلقاً رضي آخر».

شرح جملة من الكلمات:

١- [ويذكر عن ابن عباس ﴿لا تعضلوهن﴾ لا تقهروهن].

ش/ أخرجه ابن جرير ثني المثنى، ثنا عبد الله بن صالح، ثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس فذكره.

وأخرجه ابن أبي حاتم، عن أبيه بنفس الإسناد، وعبد الله بن صالح وشيخه ضعيفان. وبنحوه قال قتادة والسدي وآخرون من أهل التفسير.

٢- [﴿حوباً﴾ إثماً].

ش/ أخرجه ابن أبي حاتم ثني نصر بن علي الجهضمي، عن عبيد - يعني ابن عقيل - عن مسلم بن علقمة: سمعت داود - يعني ابن أبي هند - يحدث عن عكرمة، عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها: **﴿ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً﴾**.

٣- [﴿تعولوا﴾ تميلوا].

ش/ أخرجه ابن جرير ثني المثنى، ثنا عبد الله بن صالح، ثنا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس فذكره.

وبه قال مجاهد والسدي وقتادة والحسن وابن زيد.

والآية المشار إليها: **﴿ذلك أدنى ألا تعولوا﴾**.

٤- [﴿نحلة﴾ النحلة المهر].

ش/ أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد ما قبله. وأخرج معناه عن ابن

جريج وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها: ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾.

١٠٠ـ حدثنا محمد بن مقاتل، حدثنا أسباط بن محمد[١] حدثنا الشيباني، عن عكرمة، عن ابن عباس.قال الشيباني: وذكره أبو الحسن السوائي[٢] ولا أظنه ذكره إلا عن ابن عباس: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن﴾ قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاؤوا زوجوها، وإن شاؤوا لم يزوجوها فهم أحق بها من أهلها.فنزلت هذه الآية في ذلك.

ش/ فيه بيان لما كان عليه أولياء المتوفى من عضل امرأته بعده وأنهم أولى بها من أهلها ولا حق لغيرهم في التصرف فيها بل ولا هي تملك شيئاً من أمر نفسها وأنهم قاهروها على واحد من الأمور الثلاثة التي في الحديث.

وأخرج ابن جرير بسنده عن محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال: لما توفي أبو قيس بن الأسلت أراد ابنه أن يتزوج امرأته وكان ذلك لهم في الجاهلية فأنزل الله **﴿لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها﴾**.

قال مقيده: ولا منافاة بينه وبين حديث الباب؛ فإن ابن عباس أخبر عن الأمر العام، وأبا أمامة أخبر عن قضية من تلك القضايا التي كان الناس عليها قبل نزول الآية والله أعلم.

---

(١) هو أبو محمد أسباط بن محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن ميسرة القرشي، مولاهم، ثقة ضعّف في الثوري، من التاسعة، مات سنة مائتين.(ع).

(٢) هو عطاء أبو الحسن السوائي بضم المهملة، مقبول من الرابعة.(خ.د.س).

٨٦- [باب ﴿**ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت أيمانكم فأتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شيء شهيداً**﴾].

ش/ قوله ﴿**ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون**﴾ يعني جل وعلا لكل واحد منكم أيها الناس جعلنا له موالي أي ورثة من عصبته وأولئك مما ترك الوالدان والأقربون، والعرب تسمي ابن العم مولى. قال الفضل بن العباس:

مهلاً بني عمنا مهلاً موالينا لا تظهرن لنا ما كان مدفونا

وقال آخر:

ومولى رمينا حوله وهو مدغلٌ بأعراضنا والمندبات سروع

وقوله ﴿**والذين عقدت أيمانكم**﴾.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «أي حالفتموهم بما عقدتم معهم من عقد المحالفة على النصرة والمساعدة، والإشتراك بالأموال وغير ذلك.وكل هذا من نعم الله على عباده؛ حيث كان الموالي يتعاونون بما لا يقدر عليه بعضهم مفرداً»اهـ.

وقوله ﴿**فآتوهم نصيبهم**﴾.قال ابن جرير بعد حكايته اختلاف أهل العلم في ذلك: «فإن أولى التأويلين به ما عليه الجميع مجموعون من حكمه الثابت، وذلك أبناء أهل الحلف الذي كان في الجاهلية دون الإسلام بعضهم بعضاً أنصباؤهم من النصرة والنصيحة والرأي دون الميراث وذلك لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ قال: لا حلف في الإسلام وما كان من حلف في الجاهلية فلم يزده الإسلام إلا شدة» .

قلت: الحديث صحيح أخرجه مسلم عن جبير بن مطعم قال القاضي: قال الطبري: لا يجوز الحلف اليوم فإن المذكور في الحديث والموارثة به والمؤاخاة كله منسوخ لقوله تعالى ﴿**وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض**﴾ وقال الحسن: كان التوارث بالحلف فنسخ بآية المواريث.

قلت: «أما ما يتعلق بالإرث فيستحب فيه المخالفة عند جماهير العلماء، وأما المؤاخاة في الإسلام والمحالفة على طاعة الله تعالى والتناصر في الدين والتعاون على البر والتقوى، وإقامة الحق فهذا باق لم ينسخ وهذا معنى قوله ﷺ في هذه الأحاديث: وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة».اهـ من شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/٨٢).

قال مقيده: وقد كان بين المسلمين من المهاجرين والأنصار بالمدينة مؤاخاة وكانوا يتوارثون بها حتى نزل قوله تعالى ﴿**وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله**﴾ فنسخها، وأما المحالفة على وفق ما قاله الشيخ فإن عمل السلف عليها من ذلك أنه والى كثير من أهل البلاد المفتوحة من الأعاجم إخوانهم من العرب من غير نكير، وذلك موجود في تراجم كثير من الأئمة مثل البخاري ومن قبله عكرمة التابعي المعروف مولى ابن عباس ومحمد بن سيرين مولى أنس.

وقوله ﴿**إن الله كان على كل شيء شهيداً**﴾ يعني حافظاً ورقيباً لا يشذ عنه في الأرض ولا في السماء شاذ، وإن كان مثقال ذرة ومن ذلك ما أمر به في هذه الآية ومفاد هذه الشهادة العامة المحيطة بكل شيء مجازاة المحسن على إحسانه بالحسنى ومجازاة أهل السوء والبخس بسوء العقوبة.

[وقال معمر: أولياء موالي وأولياء ورثة ﴿عاقدت أيمانكم﴾ هو مولى اليمين وهو الحليف والمولى أيضاً ابن العم، والمولى المنعم المعتِق،والمولى المعتَق والمولى المليك والمولى مولى في الدين].

ش/ قلت: معمر هو أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة عشر بعد المائتين، وهذا القول عنده في مجاز القرآن (١/١٢٤) وزاد: وقال الشاعر:

ومولى كداء البطن لو كان قادراً على الموت أفنى الموت أهلي وماليا

يعني ابن العم.

وقال الفضل بن العباس:

مهلاً بني عمنا مهـــلاً موالينا لا تظـــهرن لـــنا مـا كان مدفونا

وقال ابن الطيفان من بني عبد الله بن دارم، والطيفان أمه:

وموليً كمولى الزبرقان أدملته كما اندملت ساق يهاض بها كسر

أدملته: أصلحته واحتملت ما جاء منه.اهـ

١٠١ـ حدثني الصلت بن محمد[١]، حدثنا أبو أسامة، عن إدريس[٢]، عن طلحة بن مصرف[٣]، عن سعيد بن جبـير، عـن ابـن عبـاس رضـي الله عنهـما ﴿ولكل جعلنا موالي﴾ قال: ورثة.﴿والذين عاقدت أيمانكم﴾ كان المهـاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجر الأنصـاري دون ذوي رحمـه للإخـوة الـتي آخـى النبي ﷺ بينهم، فلما نزلت ﴿لكل جعلنا موالي﴾ نسخت ثـم قـال: ﴿والذيـن عاقدت أيمانكم﴾ من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب المـيراث ويوصـي له.سمع أبو أسامة إدريس، وسمع إدريس طلحة.

ش/ فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**﴿ولكل جعلنا موالي﴾ ـ إلى قوله ـ نسخت**» أفـاد الحديـث أن هـذه الآيـة ناسـخة للتـوارث بـين المهـاجرين والأنصـار بموجـب المؤاخـاة بينهم.وقال الحسن وعكرمة: كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب فـيرث أحدهما الآخر فنسخ الله ذلك في الأنفال فقال **﴿وأولوا الأرحـام بعضهـم أولى ببعض في كتاب الله﴾**.وبنحوه قال جماعة من أهل العلم، وهو الرواية الثانية عـن ابن عباس ولفظها: فإن الرجل قد كان يلحق به الرجل فيكـون تابعـه فـإذا مـات

---

(١) هو والصلت بن محمد بـن عبـد الرحمـن البصـري أبـو همـام الخـاركي بخـاء معجمـة، صدوق من كبار العاشرة، مات سنة بضع عشرة [ومائتين].خ.م.

(٢) هو إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي، ثقة من السابعة.ع.

(٣) هو طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب اليامي بالتحتانية الكوفي، ثقة قارىء فاضل، من الخامسة، مات سنة اثنتي عشرة [ومائة] أو بعدها.ع.

الرجل صار لأهله وأقاربه الميراث وبقي تابعه ليس له شيء فأنزل الله **﴿والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم﴾** فكان يعطي من ميراثه فأنزل بعد ذلك **﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾**.

ويمكن الجمع بين هذين القولين بأن النسخ وقع مرتين أحدهما فيما كان من الإرث بالمؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين والناسخ آية الباب.

وثانيهما: نسخ ما بين المتعاقدين من الميراث والناسخ قوله في الأحزاب **﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً كان ذلك في الكتاب مسطوراً﴾** والله أعلم.

الثانية: قوله «**﴿والذين عاقدت أيمانكم﴾ من النصر والرفادة والنصيحة**» تقدم ضمن تفسير آية الترجمة.

الثالثة: قوله «**وقد ذهب الميراث ويوصى له**» وقع تفسير ذلك عند ابن جرير عنه: إلا أن يوصى لأوليائهم الذين عاقدوا وصية فهو لهم جائز من ثلث مال الميت.ودليله قوله تعالى **﴿إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً﴾**.

الرابعة: قوله «**سمع أبو أسامة إدريس وسمع إدريس طلحة**» يعني ان كل واحد منهما أخذ عن شيخه مباشرة ويدل لذلك ما في الفرائض باب نسخ ميراث العقد بميراث الرحم من رواية إسحاق بن إبراهيم قال: قلت لأبي أسامة حدثكم إدريس حدثنا طلحة.وعند أبي داود من رواية هارون بن عبد الله حدثنا أبو أسامة حدثني إدريس بن يزيد حدثنا طلحة بن مصرف.

٨٧- [باب **﴿إن ا لله لا يظلم مثقال ذرة﴾**].

ش/ تمامها: **﴿وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾**.

قوله **﴿إن ا لله لا يظلم مثقال ذرة﴾**

قال ابن جرير: «يعني بذلك جل ثناؤه وماذا عليهم لو آمنوا با لله واليوم الآخر، وأنفقوا مما رزقهم ا لله، فإن ا لله لا يبخس أحداً من خلقه أنفق في سبيله مما رزقه ا لله من ثواب نفقته في الدنيا ولا من أجرها يوم القيامة مثقال ذرة أي ما يزنها ويكون على قدر ثقلها في الوزن، ولكنه يجازيه به، ويثيبه عليه».اهـ

قلت: وهذا التفسير مبني على ارتباط الآية بالتي قبلها وهي **﴿وماذا عليهم لو آمنوا با لله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم ا لله وكان ا لله بهم عليماً﴾** وفي صحيح مسلم عن أنس رضي ا لله عنه قال: قال رسول ا لله ﷺ: إن ا لله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة.الحديث وهو شاهد لتفسير الطبري رحمه ا لله.

قوله **﴿وإن تك حسنة يضاعفها﴾** يعني وإن تك زنة الذرة حسنة يضاعفها وبيان هذه المضاعفة فيما أخرجه الشيخان عن ابن عباس عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل قال: إن ا لله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها ا لله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همّ بها وعملها كتبها ا لله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.الحديث

قوله **﴿ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾**

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «أي زيادة على ثواب العمل بنفسه من التوفيق لأعمال أخر، وإعطاء البر الكثير، والخير الغزير»

[قوله يعني زنة ذرة].

ش/ قاله أبو عبيدة.

١٠٢ـ حدثني محمد بن عبد العزيز[(١)]، حدثنا أبو عمر حفص بن ميسرة[(٢)]، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن أناساً في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ: نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة ضوءٌ ليس فيها سحاب.قالوا: لا قال: وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدرضوءٌ ليس فيها سحاب قالوا: لا قال النبي ﷺ: ما تضارون في رؤية الله عز وجل يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما.إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن تتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى من كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله بر أو فاجر وغبّرات أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون قالوا: كنا نعبد عزيراً ابن الله فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولدٍ فماذا تبغون؟ فقالوا: عطشنا ربنا فاسقنا فيشار ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار ثم يدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فكذلك مثل الأول حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر أو فاجر أتاهم رب العالمين في أدنى

(١) هو محمد بن عبد العزيز العمري، الرملي الواسطي، صدوق يهم وكانت له معرفة، من العاشرة، خ.تم.س.

(٢) هو حفص بن ميسرة العقيلي بالضم أبو عمر الصغاني، نزيل عسقلان، ثقة ربما وهم، من الثامنة، مات سنة إحدى وثمانين [ومائة].خ.م.مد.س.ق.

صورة من التي رأوه فيها فيقال ماذا تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا: فارقنا الناس في الدنيا على أفقر ما كنا إليه، ولم نصاحبهم ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبد فيقول أنا ربكم فيقولون: لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً.

ش/ فيه عشرون مسألة:

الأولى: قوله «**هل نرى ربنا يوم القيامة**» هذا سؤال استرشاد واستيضاح، وفي إقرار النبي ﷺ القوم عليه دليل على جوازه. وفيه دليل على سؤال أهل العلم والفضل عما يشكل، ولعل الباعث لأولئك على هذا السؤال أنهم علموا ذلك فأرادوا أن يستوثقوا من النبي ﷺ والله أعلم.

الثانية: قوله «**نعم هل تُضَارُون**» في ضبطه روايات الأولى: تضارون بضم أوله وضم رائه من غير تشديد من الضير وهو المضرة كما في قوله تعالى ﴿**قالوا لا ضير**﴾ أي ضرر ومعناه: هل يلحقكم في رؤيته ضير أي ضرر.

الثانية: (**هل تَضَّارُّون**) بفتح التاء وتشديد الضاد والراء من الضرر ومعناه: هل تضارون غيركم في حال الرؤية بزحمة ومخافة في رؤية غيرها أو لخفائه كما يفعلون أول ليلة من الشهر. وقال الخطابي: وأصله هل تتضارون أي تتزاحمون عند رؤيته حتى يلحقكم الضرر ووزنه تتفاعلون فحذفت إحدى التاءين.

الثالثة: قوله «**هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة**» هو اشتداد حر الشمس في نصف النهار ولا يقال ذلك في الشتاء.

الرابعة: قوله «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ضوء**» هو بدل مما قبله في الموضعين.

قلت: وفي هذين السؤالين أسلوب بديع وسر بلاغي لطيف وهو رد المسألة المشكلة إلى الواضحة حتى يسهل فهمها عند بيانها.

الخامسة: قوله «**إلا كما تضارون في رؤية أحدهما**» هذا التشبيه للرؤية

بالرؤية وليس تشبيها للمرئي بالمرئي؛ لأن ا لله جل وعلا لا يشبه شيئاً من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه كما قال تعالى ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾.

واعلم أن هذا الحديث دليل على رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة رؤية معاينة على الحقيقة وقد روى ذلك غير أبي سعيد عن النبي ﷺ جم غفير من أصحاب النبي ﷺ منهم أبو هريرة، وجرير بن عبد ا لله، وعبد ا لله بن قيس، وأجمع على ذلك الصحابة، والتابعون، ومن بعدهم من أهل السنة والجماعة، وأنكر ذلك الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، ومن لف لفهم من المبتدعة.

ومن شُبَهِهم قوله تعالى لموسى ﷺ حين سأله أن ينظر إليه ﴿**لن تراني**﴾ وقوله تعالى ﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار**﴾.

الجواب عن الأولى: أن ذلك النفي واقع على الرؤية في الدنيا بدليل قوله في الآية ﴿**ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني**﴾ ولما اندك الجبل حين تجلى ا لله علم أن رؤيته في الدنيا غير ممكنة.

الجواب عن الثانية: أن المنفي في الآية الإدراك وهو الإحاطة وذلك شيء غير الرؤية إذ الرؤية مجرد الإبصار. يزيده وضوحاً قوله تعالى في قصة موسى ﴿**فلما تراء الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين**﴾ فالذي نفاه موسى ﷺ إحاطة فرعون وجنده بقومه لا رؤيتهم إياهم. وإن قال أحد متى يرى المؤمنون ربهم فالجواب ما قاله شيخ الإسلام: يرونه سبحانه وهم في عرصات القيامة ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء ا لله.

قلت: فمن شواهد الأولى حديث الباب ومن شواهد الثانية قوله ﷺ: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند ا لله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون: وما هو ألم يثقل موازيننا؟ ألم يبيض وجوهنا؟ ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه

فوا لله ما أعطاهم ا لله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم.رواه أحمد ومسلم.

السادسة: قوله «**إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن**» أي ناد مناد.

السابعة: قوله «**تتبع كل أمة ما كانت تعبد**» هذا تفسير لما أذّن به وفي "تتبع" وجهان من الإعراب أحدهما الجزم على تقدير لام الأمر مثل قوله تعالى ﴿**قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة**﴾ أي ليقيموا، والآخر الرفع لتجرده من الناصب والجازم لفظاً وبكل منهما جاءت الرواية.

الثامنة: قوله «**فلا يبقى من كان يعبد غير ا لله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار**».الأصنام جمع صنم قال ابن الأثير: الصنم ما اتخذ إلها من دون ا لله وقيل ما كان له جسم أو صورة فإن لم يكن جسم أو صورة فهو وثن. والأنصاب جمع نصب بضم الصاد وسكونها وهو حجر كانوا ينصبونه في الجاهلية ويتخذونه صنماً يعبدونه وقيل هو حجر كانوا ينصبونه ويذكون عليه فيحمر بالدم. »

التاسعة: قوله «**براً أو فاجراً**» أي هو بر أو هو فاجر.والبر هو الذي يأتي بالخير ويطيع ربه يقال: فلان يبر خالقه ويتبرره أي يطيعه ويجمع على أبرار والبار يجمع على بررة، والفاجر المنهمك في المعاصي والمحارم من فجر يفجر من باب نصر ينصر فجوراً.

العاشرة: قوله «**غبارات أهلْ الكتاب**» بضم الغين المعجمة وتشديد الباء الموحدة المفتوحة بعدها فراء جمع غبر وهو جمع غابر والمعنى: بقايا أهل الكتاب من غبر الشيء يغبر غبوراً إذا مكث وبقي، والغابر هو الماضي قال الأزهري: هو من الأضداد ثم قال: والمعروف الكثير أن الغابر هو الباقي.

الحادية عشرة: قوله «**فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون**» وفي بعض الروايات "من" وهذا سؤال الغرض منه التوبيخ والتقريع وكذا قوله

للنصارى «ما كنتم تعبدون».

الثانية عشرة: قوله «**فيقال لهم كذبتم**» أي فيما زعمتم أن عزيراً ابن الله وليس النفي واقع على عبادتهم إياه وكذا قوله للنصارى.

الثالثة عشرة: قوله «**فماذا تبغون**» هذا السؤال للتهكم والسخرية وليس لاستكشاف حالهم.

الرابعة عشرة: قوله «**كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً**» أي يكسر بعضها بعضاً ومنه سميت النار الحطمة؛ لأنها تحطم كل شيء أي تكسره وتأتي عليه، والسراب هو الذي تراه نصف النهار كأنه ماء.

الخامسة عشرة: قوله «**أتاهم رب العالمين**» فيه إثبات صفة الإتيان لله عز وجل يوم القيامة للفصل بين عباده على الوجه اللائق بجلاله وهذه الصفة من الأفعال الإختيارية التي يفعلها جل ثناؤه بمقتضى مشيئته وهي ثابتة بإجماع أهل الحق من غير كيف.

السادسة عشرة: قوله «**في أدنى صورة من التي رأوه فيها**» أي أقرب صفة من التي رأوه أي عرفوه فيها بأنه لا يشبه شيئاً من المحدثات وفي التوحيد «فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة» والصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته يقال صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته وصورة كذا وكذا أي صفته. قاله ابن الأثير.

السابعة عشرة: قوله «**ماذا تنتظرون**» أي: أي شيء حبسكم وقد رأيتم أن كل أمة ذهبت تتبع ما كانت تعبد في الدنيا.

الثامنة عشرة: قوله «**فارقنا الناس في الدنيا على أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم**» أي تركنا الناس في الدنيا ونحن أحوج يعني لم نتبعهم في الدنيا مع الاحتياج إليهم ففي هذا اليوم بالطريق الأولى.

التاسعة عشرة: قوله «**ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبد**» أي في الدنيا،

وهذا إخبار منهم بأنهم ليس لهم معبود سوى ا لله عز وجل.

العشرون: قوله «**فيقول أنا ربكم فيقولون: لا نشرك بربنا شيئاً مرتين أو ثلاثاً**» وعند مسلم في الإيمان باب معرفة طريق الرؤية من رواية سويد بن سعيد «نعوذ با لله منك لا نشرك با لله شيئاً مرتين أو ثلاثاً حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب».

قلت: وهذا امتحان شديد ظهرت فيه ثمرة التوحيد على أهله وذلك أن ا لله ثبتهم عن الانقلاب عن الصواب وفائدة قولهم "لا نشرك با لله شيئاً" مع أن يوم القيامة ليس يوم التكليف استلذاذاً به وافتخاراً وتذكراً لسبب النعمة التي وجدوها.

وإن قال قائل: ما وجه مطابقة الحديث للترجمة؟

قلنا: المناسبة ها هنا معنوية وهي أن المفهوم من معناه أن ا لله تعالى يحكم يوم القيامة بين عباده المؤمنين والكافرين بعدله العظيم ولا يظلم أحداً منهم مثقال ذرة.

٨٨- [باب **﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾**].

ش/ بعد أن بين في الآية السابقة مجازاته لعباده على جميع أعمالهم صغيرها وكبيرها وأنه لا يظلم أحداً منهم مثقال ذرة أخبر عن مجيئه من كل أمة بشهيد أي شاهد لها بالتصديق وعليها بالتكذيب ومن ذلك أنه يأتي بمحمد ﷺ مستشهداً إياه على أمته كما قال تعالى **﴿إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً﴾** فأفادت الآية عظم هول يوم القيامة كما أفادت شهادة كل نبي على أمته.

شرح جملة من الكلمات:

١- [**المختال والختال واحد**].

ش/ قال أبو عبيدة: «المختال ذو الخيلاء والخال وهما واحد ويجيء مصدراً قال العجاج:

والخال ثوب من ثياب الجهال

وقال العبدي:

فإن كنت سيدنا سدتنا ... وإن كنت للخال فاذهب فخل

أي اختل».اهـ

والآية المشار إليها: **﴿إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً﴾**.

٢- [**﴿نطمس وجوها﴾ نسويها حتى تعود كأقفائهم طمس الكتاب محاه**].

ش/ قاله أبو عبيدة وزاد: «ويقال الريح طمست آثارنا أي محتها...ويقال: طمست عينه».اهـ

والآية المشار إليها: **﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها﴾** الآية.

٣- [﴿سعيراً﴾ وقوداً].

ش/ قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: **﴿فمنهم من آمن به ومنهم من صدّ عنه وكفى بجهنم سعيراً﴾.**

١٠٣- حدثنا صدقة[١]، أخبرنا يحيى، عن سفيان، عن سليمان، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبد الله قال يحيى بعض الحديث عن عمرو بن مرة قال: قال لي النبي ﷺ اقرأ عليّ.قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: فإني أحب أن أسمعه من غيري.فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ قال: أمسك فإذا عيناه تذرفان.

ش/ فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «**قال يحيى بعض الحديث عن عمرو بن مرة**» القائل هو صدقة بن الفضل، ويحيى هو ابن سعيد القطان، وعمرو بن مرة هو أبو عبد الله عمرو بن مرة بن عبد الله بن طارق الجملي بفتح الجيم والميم المرادي الكوفي الأعمى ثقة عابد كان لا يدلس ورمي بالإرجاء من الخامسة مات سنة ثماني عشرة ومائة وقيل قبلها أخرج له الجماعة.

وفي فضائل القرآن من رواية مسدد قال الأعمش: وبعض الحديث حدثني عمرو بن مرة عن إبراهيم وعن أبيه عن أبي الضحى عن عبد الله.

قال الحافظ في شرحه على هذا الحديث في الفضائل (٩/٩٨): «ثم ذكر المصنف في الباب حديث ابن مسعود المذكور في تفسير سورة النساء وساق المتن

---

(١) هو صدقة بن الفضل أبو الفضل، المروزي، ثقة من العاشرة، مات سنة ثلاث أو ست وعشرين [ومائتين].خ.

هناك على لفظ شيخه صدقة بن الفضل المروزي، وساقه هنا على لفظ شيخه مسدد كلاهما عن يحيى القطان وعرف من هنا المراد بقوله "بعض الحديث عن عمرو بن مرة" وحاصله أن الأعمش سمع الحديث المذكور من إبراهيم النخعي وسمع بعضه من عمرو بن مرة عن إبراهيم وقد وضحت ذلك في تفسير سورة النساء أيضاً ويظهر لي أن القدر الذي عند الأعمش عن عمرو بن مرة من هذا الحديث من قوله «فقرأت النساء ...إلى آخر الحديث» وأما ما قبله إلى قوله «أن أسمعه من غيري»فهو عند الأعمش عن إبراهيم كما هو في الطريق الثانية في هذا الباب»اهـ.

قلت: فهذا جمع سديد وترجيه جيد يتحد به المقال ويتضح به الحال.

الثانية: قوله «**قال لي النبي ﷺ اقرأ عليّ**».فيه دليل على استحباب سماع الإنسان قراءة القرآن من غيره، وعليه بوب المصنف في فضائل القرآن.

الثالثة: قوله «**قلت أقرأ عليك وعليك أنزل**» القائل هو عبد الله بن مسعود قال ذلك تحرجاً واستحياء من رسول الله ﷺ وفي قوله «وعليك أنزل» بيان لسبب ذلك التحرج.وفيه دليل على إثبات صفة العلو لله وأن القرآن منزل غير مخلوق.

الرابعة: قوله «**فإني أحب أن أسمعه من غيري**» ووقع عند المصنف في فضائل القرآن باب من أحب أن يسمع القرآن من غيره من رواية مسدد عن يحيى، وعند مسلم في صلاة المسافرين باب فضل استماع القرآن من رواية أبي بكر بن أبي شيبة وأبي كريب من طريق حفص بن غياث بلفظ «إني أشتهي أن أسمعه من غيري» ولا منافاة بين اللفظين في المعنى.

الخامسة: قوله «**فقرأت عليه سورة النساء**» في رواية مسدد عند المصنف وفي رواية أبي بكر بن أبي شيبة وأبي كريب عن حفص «فقرأت النساء» والمعنى واحد.وفي ذلك دليل على استعمال اللفظين معاً خلافاً لمن كره شيئاً منهما.

السادسة: قوله «**حتى بلغت ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هـؤلاء شـهيداً﴾**."**حتى**" هـا هنـا حـرف غايـة بمعنـى "**إلى**" وفي ذلـك تصريح بأن عبد الله بن مسعود لم يقرأ على النبي ﷺ شيئاً بعد الآية المذكورة.

السابعة: قوله «**قـال أمسـك**» وقـع في روايـة مسـدد وفي روايـة محمـد بـن يوسف «حسبك الآن» وكلاهما عند المصنف في فضائل القرآن.

قلت: فلا اختلاف بين هذه الكلمات فجميعها متضمنة أمـر النـبي ﷺ ابـن مسعود بالوقوف عن القراءة والاكتفاء بما وصل إليه من الآية.

تنبيه:

وقع عند مسلم من رواية أبي بكر بن أبـي شـيبة وأبـي كريـب مـن طريـق حفص «فرفعت رأسي أو غمزني رجل إلى جنبي فرفعت رأسـي» وعنـد النسـائي من رواية هناد بن السري عن علـي بـن مسـهر وعنـد الـترمذي في تفسـير سـورة النساء أيضاً من رواية هناد عن الأحوص «غمزني رسول الله» وعنـدي أن روايـة أبي بكر بن أبي شيبة وأبي كريب أرجح ويؤيد ذلـك قولـه في روايـة هنـاد عنـد مسلم والنسائي في تفسير سورة النساء «قـال لي رسـول الله ﷺ وهـو علـى المنـبر اقرأ عليّ» وعند النسائي «علينا» وعند الـترمذي «أمرنـي رسـول الله ﷺ أن أقـرأ عليه وهو على المنبر» وذلك أنه لما أمر النبي ﷺ ابن مسعود بالكف عن القـراءة لم يتنبه فغمزه بعض من حوله.

الثامنة: قوله «**فإذا عيناه تذرفان**» أي تدمعان وهذا دليـل علـى اسـتحباب البكاء من خشية الله حين سماع القرآن وإن كان يراه الناس.

٨٩- [باب ﴿**وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط**﴾].

ش/ قلت: الآية ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا، وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن ا لله كان عفواً غفوراً**﴾.

قوله ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى**﴾ ينهى جل وعلا عباده عن الصلاة في حال السكر وسواء كان ذلك السكر من شراب أو غيره من أنواع الخمر وهذا قبل تحريم الخمر يوضحه ما أخرجه ابن جرير عن علي أنه كان هو وعبد الرحمن ورجل آخر شربوا الخمر فصلى بهم عبد الرحمن فقرأ ﴿**قل يا أيها الكافرون**﴾ فخلط فيها فنزلت ﴿**لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى**﴾.

قوله ﴿**حتى تعلموا ما تقولون**﴾ هذه هي الغاية التي لا يحل للسكران قربان الصلاة دونها.والمعنى حتى تعوا ما أمرتم به في صلاتكم من الأقوال والأفعال سنة أو واجباً وخص الأقوال بالذكر لأنها الأغلب في الصلاة.

قوله ﴿**ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا**﴾ يعني ولا تقربوا مواضع الصلاة وأنتم جنب حتى تغتسلوا إلا من كان منكم عابر سبيل فإنه يحل له ذلك وهذا ما اختاره ابن جرير (٤/١٠٠) وأخرجه عن ابن مسعود وسعيد بن جبير وأبي الزبير وغيرهم وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وذهب الإمام أحمد إلى أنه متى توضأالجنب جاز له المكث في المسجد، ويشهد له ما رواه سعيد بن منصور في التفسير من سننه عن عطاء قال: رأيت رجالاً من أصحاب رسول ا لله ﷺ يجلسون في المسجد وهم مجنبون، إذا توضؤوا وضوء الصلاة. وعزاه ابن كثير إلى

الإمام أحمد وقال بعد سياقه بإسناد سعيد بن منصور: وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم.

قلت: وهذا دليل على أن أولئك الرجال فهموا من نهي الجنب عن اللبث في المسجد حتى يتوضأ وضوء الصلاة.وعندي أن هذا محمول على الكراهة والتنزه، ويؤيده ما رواه البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ لقيه في بعض طريق المدينة وهو جنب فانخنس منه فذهب فاغتسل ثم جاء فقال: أين كنت يا أبا هريرة؟ قال كنت جنباً فكرهت أن أجالسك على غير طهارة فقال: سبحان الله إن المسلم لا ينجس.

ثم شرع جل ذكره في بيان من يسوغ لهم التيمم وإليك تفصيل ذلك:

قوله ﴿**وإن كنتم مرضى**﴾ يعني إن كان بكم مرض يحول بينكم وبين التطهر بالماء فقد أباح للمريض التيمم لعلة المرض إذا كان في التطهر بالماء مشقة.

قوله ﴿**أو على سفر**﴾ أي في حال سفر.

قوله ﴿**أو جاء أحد منكم من الغائط**﴾ «وهو ما اتسع من الأودية وتصوّب، **قلت**: أي انخفض وجعل كناية عن قضاء حاجة الإنسان؛ لأن العرب كانت تعتاد قضاء حاجتها في الغيطان فكثر ذلك منها حتى غلب عليهم ذلك فقيل لكل من قضى حاجته التي كانت تقضى في الغيطان حيث قضاها من الأرض: متغوط جاء فلان من الغائط يعني به قضى حاجته التي كانت تقضى في الغائط من الأرض». انتهى محل الغرض قاله ابن جرير.

قوله ﴿**أو لامستم النساء**﴾ الملامسة هي في الأصل اللمس باليد أو بغيرها من الجسد والمراد بها هنا الجماع على التحقيق لما رواه أحمد وابن جرير وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ يتوضأ ثم يقبل ثم يصلي ولا يتوضأ. وعن أم سلمة عند ابن جرير أن رسول الله ﷺ كان يقبلها وهو صائم ثم لا يفطر ولا يحدث وضوءً.

قوله ﴿**فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً**﴾ فيه أربعة أمور:

الأول: النص على اشتراط عدم الماء في التيمم، واعلم أن ذلك ليس خاص بالمسافر ومن جاء من الغائط ولامس النساء وإنما قلنا ذلك لحديث جابر وابن عباس في صاحب الشجة فإنه مع قوله تعالى ﴿**فلا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً**﴾ دليل على إباحة التيمم لمن خاف الضرر باستعمال الماء من أجل المرض وهذا هو مذهب أحمد ومالك والشافعي وأكثر العلماء.

الأمر الثاني: في معنى التيمم فإنه في اللغة القصد يقال: تيممت الشيء ويممته أي قصدته قال ابن مالك:

... ... **وكلمة بها كلام قد يؤم.**

يعني يقصد وفي الشرع "قصد الصعيد الطاهر على هيئة مخصوصة بدلا من الماء".

الثالث: في معنى الصعيد وسيأتي بيان معناه.

الرابع: في معنى الطيب فإنه يعني به ما كان من التراب وما علا من الأرض نقياً من الأقذار والأخباث.

قوله ﴿**فامسحوا بوجوهكم وأيديكم**﴾ يعني إذا قصدتم الصعيد للتطهر به بدل الماء فيكفي في ذلك أن تمسحوا به وجوهكم وأيديكم وستأتي صفة التيمم مع شروطه في الباب العاشر بعد المائة.

قوله ﴿**إن الله كان عفواً غفوراً**﴾ أي كثير العفو والمغفرة ومن عفوه عن هذه الأمة أن شرع لها التيمم بالتراب بدلاً من الماء حال عدم وجوده أو العجز عن استعماله رحمة بهم وتيسيراً عليهم.

تفسير جملة من الكلمات:

١- [صعيداً وجه الأرض].

ش/ قاله أبو عبيدة، وفيه خمسة أقوال حكاها ابن جرير.

أحدها: أنها ليس فيها شجر ولا نبات وهو قول قتادة.

وثانيها: أنه الأرض المستوية وبه قال ابن زيد.

وثالثها: التراب وهو قول عمرو بن قيس الملائي.

ورابعها: مثل قول أبي عبيدة ولم يعزه إلى أحد.

وخامسها: أنه وجه الأرض ذات التراب والغبار ولم يعزه إلى أحد أيضاً.

واختار أن الصواب هو وجه الأرض الخالية من النبات والغروس والبناء المستوية.

٢ـ [**وقال جابر: كانت الطواغيت التي يتحاكمون إليها في جهينة واحد، وفي أسلم واحد، وفي كل حي واحد، كهانٌ ينزل عليهم الشيطان**].

ش/ أخرجه ابن أبي حاتم من طريق أبي الزبير أنه سمع جابراً فذكره.

٣ـ [**وقال عمر: الجبت السحر والطاغوت الشيطان**].

ش/ أخرجه ابن جرير ثني محمد بن المثنى، ثنا محمد بن أبي عدي، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن حسان بن فائد قال: عمر فذكره.

وبه قال مجاهد والشعبي وهو أحد أقوال تسعة حكاها في الآية.

ثانيها: أنهما صنمان كان المشركون يعبدونهما من دون الله وهو قول عكرمة.

وثالثها: أن الجبت الأصنام والطاغوت تراجمة الأصنام وبه قال ابن عباس.

ورابعها: أن الجبت الساحر والطاغوت الشيطان وهو قول زيد بن أسلم.

وخامسها: أن الجبت الساحر والطاغوت الكاهن وبه قال سعيد بن جبير ورفيع أبو العالية.

وسادسها: ان الجبت الشيطان والطاغوت الكاهن.وهو قول قتادة والسدي.

وسابعها: أن الجبت الكاهن والطاغوت الشيطان.وبه قال محمد ولعله ابن

سيرين وسعيد بن جبير في الرواية الثانية.

وثامنها: أن الجبت حيي بن أخطب والطاغوت كعب بن أشرف وهو قول الضحاك وابن عباس في الرواية الثانية عنه.

وتاسعها: أن الجبت كعب بن الأشرف والطاغوت الشيطان وبه قال مجاهد في الرواية الثانية عنه واختار ابن جرير أن الجبت والطاغوت تصدق على ذلك كله.

٤- [وقال عكرمة: الجبت بلسان الحبشة شيطان، والطاغوت الكاهن].

ش/ قال عبدٌ: ثنا أبو الوليد، ثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن عكرمة به. حكاه في التغليق (١٩٦/٤).

قلت: وهذه إحدى الروايتين عنه وقد تقدمت الأخرى في حكاية ابن جرير.

والآية المشار إليها بهذه الآثار: ﴿**ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت**﴾.

٤٠١- حدثنا محمد[1]، أخبرنا عبدة[2]، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: هلكت قلادة لأسماء فبعث النبي ﷺ في طلبها رجالاً فحضرت الصلاة وليسوا على وضوء ولم يجدوا ماء فصلوا وهم على غير وضوء فأنزل الله يعني آية التيمم.

ش/ فيه خمس مسائل:

(١) هو أبو جعفر محمد بن سلام بن الفرج السلمي مولاهم البيكندي، ثقة ثبت، من العاشرة، مات سنة سبع وعشرين [ومائتين] وله خمس وستون.(خ).

(٢) هو أبو محمد عبدة بن سليمان الكلابي الكوفي، يقال اسمه عبد الرحمن، ثقة ثبت من صغار الثامنة، مات سنة سبع وثمانين [ومائة] وقيل بعدها.(ع).

الأولى: قوله: «**هلكت قلادة لأسماء**» **قلت:** قلادة المرأة ما تحيط بـه عنقهـا من ذهب أو فضة او خرز عبر خيط مفتول أو سلسلة من ذهب أو فضة، ومعنـى (**هلكت**) سقطت أو ضاعت كما في بعض طرق الحديث، وأسماء هي بنـت أبـي بكر الصديق زوج الزبير بن العوام من كبار الصحابة عاشت مائـة سنة، ومـاتت سنة ثلاث أو أربع وسبعين.

الثانية: قوله: «**فبعث النبي ﷺ في طلبها رجالاً**» يعني أرسل في طلـب تلـك القلادة المفقودة.

وقوله: (**رجالاً**) **قلت:** روى أبو داود في التيمم من طريـق عثمـان بـن أبـي شيبة عن عبدة وعبد الله بن محمد النفيلي عن أبي معاوية كلاهما عن هشـام بـن عروة عن أبيه عن عائشة فذكر الحديث مختصراً وفيه «بعث رسول الله ﷺ أسـيد بن حضير وأناساً معه».

الثالثة: قوله «**فحضرت الصلاة**» **قلت:** بيّنها برواية ابن وهـب عـن عمـرو بن الحارث المصري، عـن عبـد الرحمـن بـن القاسـم عـن أبيـه فقـال: «فحضـرت الصبح» يعني صلاتها.

الرابعة: قوله ((**لم يجدوا ماء فصلوا وهم على غير وضوء**)) فيه دليل علـى أن التيمم لم يشرع حين ذاك ولو كان مشروعاً لتيمموا لعدم الماء.

الخامسة: قوله ((**فأنزل الله يعني آية التيمم**)) **قلت:** فيه النص على وقـت شرعية التيمم وسيأتي تفصيل ذلك.

وقوله ((**آية التيمم**)) بينها في تفسير سـورة المـائدة وسـوف يـأتي تفصيـل ذلك إن شاء الله تعالى.

٩٠- [باب قوله ﴿أطيعوا ا لله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾].

ش/ **قلت:** الآية ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا ا لله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى ا لله والرسول إن كنتم تؤمنون با لله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً**﴾.

قوله ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا ا لله وأطيعوا الرسول**﴾ يقول جل ثناؤه: يا أيها الذين صدقتم بوحدانية الرب تعالى وانقدتم لذلك أطيعوا ا لله وأطيعوا الرسول بامتثال كل أمر واجتناب كل نهي، وهذه الطاعة واجبة وجوباً عينياً على كل مسلم ومسلمة في العبادات والمعاملات، وفي هذا الأمر دليل على وجوب الإخلاص لله والمتابعة لرسوله إذ الطاعة شاملة للظاهر والباطن.

قوله ﴿**وأولي الأمر منكم**﴾ يعني وأطيعوا أولي الأمر منكم وهم الذين ولوا أموركم.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي (١/٣٦٢):« وأمر بطاعة أولي الأمر وهم الولاة على الناس من الأمراء والحكام والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعة لله ورغبة فيما عنده».انتهى محل الغرض.

قلت: واعلم أن هذه الطاعة التي أمر ا لله بها لولاة الأمور ليست مطلقة بل مقيدة، وذلك القيد هو عدم أمرهم بمعصية ا لله ومن الدليل على ذلك ما في الصحيحين عن ابن عمر رضي ا لله عنهما أن رسول ا لله ﷺ قال: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية» وإن قلت: كيف أعاد الفعل (أطيعوا) مع الرسول ولم يعده مع أولي الأمر؟

فالجواب: لأن أولي الأمر لا يفردون بالطاعة بل يطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله، وأعاد الفعل مع الرسول؛ لأن من يطع الرسول فقد أطاع ا لله، فإن الرسول لا يأمر بغير طاعة ا لله بل هو معصوم في ذلك، وأما ولي الأمر فقد يأمر

بغير طاعة ا لله فلا يطاع إلا فيما هو طاعة لله ورسوله.

قوله ﴿**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى ا لله والرسول**﴾ يعني إذا تشاجرتم وتخاصمتم في شيء يعني أي أمر وسواء كان ذلك في العبادة أو المعاملة فردوه أي ارجعوا فيه وفي حكمه إلى ا لله يعني إلى كتابه وإلى الرسول.

قال أهل العلم: الرد إلى الرسول يكون إلى شخصه في حياته وبعد مماته إلى سنته.

فتبين أن الحق جل وعلا أمر العباد برد التنازع في أصول الدين وفروعه إلى كتابه وسنة رسوله ﷺ وأنه لا حجة في قول أحد من البشر كائناً من كان إذا أخطأ النص، وعلى ذلك اتفقت كلمة أهل الحق وأئمة الإسلام المعتبرين؛ لأن النص هو أحد الميزانين اللذين عليهما مدار الحكم في الأقوال والأعمال، والميزان الآخر الإجماع فإنه حجة بنفسه فمن وافق في أقواله وأفعاله أحد هذين الميزانين فقد أصاب الحجة وسلك المحجة.

قوله ﴿**إن كنتم تؤمنون با لله واليوم الآخر**﴾ يقول جل علاه: إن كنتم مؤمنين حقاً با لله وبلقائه فردوا النزاع والخلاف إلى ا لله وإلى الرسول.ويفهم من الآية أن من لم يرد النزاع في الأحكام إلى ا لله والرسول فليس مؤمناً حقاً.

قوله ﴿**ذلك خيرٌ وأحسن تأويلاً**﴾ الإشارة بذلك راجعة إلى رد النزاع إلى ا لله ورسوله، والمعنى أن ذلك الرد المأمور به في الآية خير للعباد والبلاد في العاجل والآجل وهو أحسن عاقبة في الدنيا والآخرة؛ لأنه حكمٌ بشرع ا لله ولا يصلح للعباد والبلاد سواه؛ لأنه تنزيل من لدن حكيم خبير.

فائدة:

اعلم هديت إلى مراشد أمورك والصواب في الأقوال والأعمال أن هذه الآية متضمنة، أمر ا لله جل وعلا عباده بلزوم الجماعة ونهيه عن الفرقة ألا تراه دعاهم أولاً إلى طاعته وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر منهم، ثم أمرهم ثانياً برد ما

تنازعوا فيه إلى الله وإلى رسوله ثم أخبرهم ثالثاً أن ذلك الرد شرط في الإيمان وفي الباب قول نفيس ننقله لك مع اختصار وتصرف من كتاب «**الشريعة**» لمحمد بن الحسين الآجري ـ رحمه الله ـ حيث قال في (ص ٣):

«إن الله بمنه وفضله أخبرنا في كتابه عمن تقدم من أهل الكتابين اليهود والنصارى: أنهم إنما هلكوا بما افترقوا في دينهم، وأعلمنا مولانا الكريم: أن الذي حملهم على الفرقة عن الجماعة والميل إلى الباطل، الذي نهوا عنه: إنما هو البغي والحسد بعد أن علموا مالم يعلمه غيرهم، فحملهم شدة البغي والحسد إلى أن صاروا فرقاً فهلكوا، فحذرنا مولانا الكريم في كتابه عن ذلك . قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿**كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ـ إلى قوله ـ إلى صراط مستقيم**﴾ وقال عزوجل: ﴿**إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شئ، إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون**﴾ وقال عزوجل في سورة لم يكن ﴿**وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة، وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة**﴾ . . . فأعلمنا مولانا الكريم أنهم أوتوا علماً، فبغى بعضهم على بعض وحسد بعضهم بعضاً، حتى أخرجهم ذلك إلى أن تفرقوا فهلكوا.

فإن قال قائل: فأين المواضع من القرآن التي نهانا الله عزوجل فيها أن نكون مثلهم، حتى نحذر ما حذرنا مولانا من الفرقة، بل نلزم الجماعة ؟

قيل له: قال الله عزوجل في سورة آل عمران: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله**

لكم آياته لعلكم تهتدون، ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ . وقال عزوجل في سورة الأنعام **﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾** . وقال عزوجل في حم عسق **﴿شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه، الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾** .

فهل يكون من البيان أشفى من هذا عند من عقل عن الله عزوجل ؟ وقد مر ما حذرناه مولانا الكريم من الفرقة.

ثم اعلموا ـ رحمنا الله تعالى وإياكم ـ أن الله عزوجل قد أعلمنا في كتابه: أنه لا بد من أن يكون الاختلاف بين خلقه، ليضل من يشاء ويهدي من يشاء، جعل الله عزوجل ذلك موعظة يتذكر بها المؤمنون، فيحذرون الفرقة، ويلزمون الجماعة، ويدعون المراء والخصومات في الدين، ويتبعون ولا يبتدعون.

فإن قال قائل: أين هذا من كتاب الله عزوجل ؟

قيل له: قال الله عزوجل في سورة هود **﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك، ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾** الآية .

ثم إن الله عزوجل أمر نبيهﷺ أن يتبع ما أنزل إليه ولا يتبع أهواء من تقدم من الأمم فيما اختلفوا فيه، ففعل ﷺ وحذر أمته الاختلاف والاعجاب بالرأي، واتباع الهوى، قال الله عزوجل في سورة حم الجاثية: **﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين**

وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم، إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ ثم قال عزوجل **﴿هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون﴾** .

فإن قال قائل: أذكر لنا من سنن رسول الله ﷺ أنه حذر أمته ذلك .

قيل له: نعم . وواجب عليك أن تسمعه، وتحذر الفرقة، وتلزم الجماعة وتستعين بالله العظيم جل جلاله على ذلك .

عن زر بن حبيش عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الإثنين أبعد .

وعن الحارث الأشعري حدثه: أن النبي ﷺ قال: (إن الله تبارك وتعالى أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات، يعمل بهن، ويأمر بني إسرائيل يعملون بهن ــ وذكر الحديث بطوله ــ وقال رسول الله ﷺ وأنا آمركم بخمس، أمرني الله عزوجل بهن: الجماعة، والسمع والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله عزوجل. فمن فارق الجماعة فقد خلع ربقة الإسلام من رأسه إلا أن يراجع) . ــ **قلت:** ورواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما ـ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات فميتته جاهلية).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فقرأ **﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾** ثم خط حوله خطاً وخطّ خطوطاً، ثم قال: هذه السبل، فما منها سبيل إلا وعليه

شيطان يدعوا إليه .

وقال أبو العالية: تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تحرفوا عن الصراط يميناً ولا شمالاً، وعليكم بسنة نبيكم ﷺ والذي عليه أصحابه، فإنا قد قرأنا القرآن من قبل أن يفعلوا الذي فعلوه خمس عشرة سنة، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء/ فحدثت به الحسن فقال: صدق ونصح . وحدثت به حفصة بنت سيرين، فقالت: أحدثت بهذا محمداً ؟ **قلت**: لا . قالت: فحدثه إذن .

قال محمد بن الحسين: علامة من أراد الله عزوجل به خيراً: سلوك هذه الطريق كتاب الله عزوجل، وسنن رسول الله ﷺ وسنن أصحابه رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان رحمة الله تعالى عليهم، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان من العلماء، مثل الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والشافعي وأحمد بن حنبل والقاسم بن سلام، ومن كان مثل طريقهم، ومجانبة كل مذهب لا يذهب إليه هؤلاء العلماء».

ـ وههنا سؤال هام جدير بالإجابة وهو: عرفونا هذه الجماعة التي قام الدليل صراحة على وجوب لزومها من الكتاب والسنة والمأثور عن الأئمة.

فالجواب :

«اختلف الناس في معنى الجماعة المرادة في هذه الأحاديث على خمسة أقوال:

أحدها: أنها السواد الأعظم، ومن خالفهم في شئ من الشريعة أو في إمامهم وسلطانهم مات ميتة جاهلية.

وممن قال بهذا أبو مسعود الأنصاري وابن مسعود.

قال ابن مسعود : عليكم بالسمع والطاعة؛ فإنها حبل الله الذي أمر به ثم قبض يده وقال: إن الذي تكرهون في الجماعة خير من الذي تحبون في الفرقة.

فعلى هذا القول يدخل في الجماعة مجتهدو الأمة وعلماؤها وأهل الشريعة العاملون بها، ومن سواهم داخلون في حكمهم؛ لأنهم تابعون لهم، ومقتدون

بهم، فكل من خرج عن جماعتهم؛ فهم الذين شذّوا، وهم نهبة الشيطان، ويدخل في هؤلاء جميع أهل البدع؛ لأنهم مخالفون لمن تقدم من الأمة، لم يدخلوا في سوادهم بحال.

الثاني: أنها جماعة أئمة العلماء المجتهدين، لأن جماعة الله العلماء، جعلهم حجة على العالمين، فمعنى قوله : (لن تجتمع أمتي) : لن يجتمع علماء أمتي على ضلالة.

وممن قال بهذا عبدا لله بن المبارك وإسحاق بن راهوية وجماعة من السلف، وهو رأي الأصوليين.

فقيل لعبدا لله بن المبارك: من الجماعة الذين ينبغي أن يقتدى بهم؟ قال: أبو بكر وعمر ... فلم يزل يحسب حتى انتهى إلى محمد بن ثابت والحسين بن واقد. فقيل: هؤلاء ماتوا، فمن الأحياء؟ قال: أبو حمزة السكري.

الثالث: أن الجماعة هي الصحابة على الخصوص. وممن قال بهذا القول: عمر بن عبدالعزيز.

فعلى هذا القول؛ فلفظ (الجماعة) مطابق للرواية الأخرى في قوله عليه السلام (ما أنا عليه وأصحابي).

الرابع: أن الجماعة هي جماعة أهل الإسلام؛ إذا أجمعوا على أمر فواجب على غيرهم من أهل الملل اتباعهم، وهم الذين ضمن الله لنبيه عليه السلام ألا يجمعهم على ضلالة.

وكأن هذا القول يرجع إلى الثاني، أو يرجع إلى القول الأول، وهو الأظهر. وعند ذلك لا يكون مع اجتماعهم على هذا القول بدعة أصلاً؛ فهم إذاً الفرقة الناجية.

الخامس: ما اختاره الطبري الإمام من أن الجماعة جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير، فأمر عليه السلام بلزومه،ونهى عن فراق الأمة فيما اجتمعوا عليه من تقديمه عليه؛ لأن فراقهم لا يعدو إحدى حالتين: إما النكير عليهم في طاعة أميرهم، والطعن عليه في سيرته المرضية لغير موجب، بل بالتأويل في إحداث بدعة في الدين؛ كالحرورية التي أمرت الأمة بقتالها، وسماها (النبيﷺ) مارقة من الدين، وإما لطلب إمارة مع انعقاد البيعة لأمير الجماعة؛ فإنه نكث عهد ونقض

عقد بعد وجوبه، وقد قال ﷺ : (من جاء إلى أمتي ليفرق جماعتهم؛ فاضربوا عنقه كائناً من كان).

قال: وقد بين ذلك عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ، فروي عن عمرو بن ميمون الأودي؛ قال: قال عمر حين طعن لصهيب: صل بالناس ثلاثاً، وليدخل علي عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبدالرحمن، وليدخل(ابن) عمر في جانب البيت، وليس من الأمر شيء، فقم يا صهيب على رؤوسهم بالسيف، فإن بايع خمسة ونكص واحد؛ فاجلد رأسه بالسيف ...الخبر.

قال الشاطبي: وحاصله أن الجماعة راجعة إلى الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة، وذلك ظاهر في أن الاجتماع على غير سنة خارجة عن معنى الجماعة المذكورة في الأحاديث المذكورة؛ كالخوارج ومن جرى مجراهم». انتهى من كتاب (الاعتصام) للشاطبي مع اختصار وتصرف، فراجعه إن شئت في (٢/٧٧٠) وما بعدها.

قال مقيده :

وهذه الأقوال متفقة غير متفرقة ومؤتلفة غير مختلفة، وإن كان أجمعها عندنا ما اختاره ابن جرير ، ووصف هذه الجماعة و لله الحمد والمنة منطبق تماماً علينا أهل الحرمين ومن جاورنا من أرض الجزيرة المعروفة بـ(المملكة العربية السعودية) ـ حرسها الله وسائر بلاد المسلمين ـ فإنه منذ نشأت دولتنا وولي الأمر مبايع على الكتاب والسنة، واجتمع له على ذلك العامة والخاصة.

١٠٥ـ حدثنا صدقة بن الفضل، أخبرنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج، عن يعلى بن مسلم[١]، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ قال: نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي إذ بعثه النبي ﷺ في سرية.

---

(١) هو يعلى بن مسلم بن هرمز المكي، أصله من البصرة، ثقة من السادسة.خ.م.د.ت.س.

ش/ فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾**» هذا هو وجه الشاهد من الحديث والمطابق للترجمة وقد مضى تفسيره.

الثانية: قوله «**نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي**» **قلت:** هو أبو حذافة عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سُعَيْد بالتصغير ابن سعد بن سهم القرشي السهمي من قدماء المهاجرين، مات بمصر في خلافة عثمان. أخرج له النسائي.

الثالثة: قوله «**إذ بعثه النبي ﷺ في سرية**» قال ابن سعد (١٦٣/٢): «ثم سرية علقمة بن مجزز المدلجي إلى الحبشة في شهر ربيع الآخر سنة تسع من مهاجر رسول الله ﷺ قالوا: بلغ رسول الله ﷺ أن أناساً من الحبشة تراآهم أهل جدة فبعث إليهم علقمة بن مجزز في ثلاثمائة فانتهى إلى جزيرة في البحر وقد خاض إليهم البحر فهربوا منه، فلما رجع تعجل بعض القوم إلى أهلهم فأذن لهم فتعجل عبد الله بن حذافة السهمي فيهم فأمره على من تعجل، وكانت فيه دعابة فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا ناراً يصطلون عليها ويصطنعون فقال: عزمت عليكم إلا تواثبتم في هذه النار فقام بعض القوم فاحتجزوا حتى ظن أنهم واثبون فيها فقال: اجلسوا إنما كنت أضحك معكم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «من أمركم بمعصية فلا تطيعوه»».

وروى ابن ماجه في الجهاد باب لا طاعة في معصية الله، وغيره عن أبي سعيد الخدري: «أن رسول الله ﷺ بعث علقمة بن مجزز على بعث، وأنا فيهم، فلما انتهى إلى رأس غزاته أو كان ببعض الطريق استأذنته طائفة من الجيش فأذن لهم وأمّر عليهم عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي، فكنت فيمن غزا معه، فلما كنا ببعض الطريق أوقد القوم ناراً ليصطلوا أو ليصنعوا عليها صنيعاً فقال عبد الله وكانت فيه دعابة: أليس لي عليكم السمع والطاعة قالوا: نعم. قال: فإني أعزم

عليكم إلا تواثبتم في هذه النار، فقام ناس فتحجزوا فلما ظن أنهم واثبون قال: أمسكوا على أنفسكم فإنما كنت أمزح معكم، فلما قدمنا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «من أمركم منهم بمعصية الله فلا تطيعوه».

قلت: فتحصل بما سقناه من الأخبار أربعة أمور:

الأول: أن الأمير على تلك السرية هو علقمة المدلجي.

الثاني: أنها في ربيع الآخر من سنة تسع لنجدة أهل جدة.

الثالث: أن إمارة عبد الله بن حذافة رضي الله عنه كانت بتأمير علقمة له على المتعجلين من جنده.

الرابع: بيان السبب الذي نزلت فيه الآية وهو صنيع عبد الله بن حذافة مع جنده حين أوقدوا النار وأمرهم باقتحامها على سبيل المداعبة. وإن قال أحد من الناس يشكل على ما ذكرتم من تحديد أمير السرية وصنيع ابن حذافة ما رواه البخاري وغيره عن عليّ رضي الله: (بعث النبي ﷺ سرية فاستعمل عليها رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه فغضب فقال: أليس أمركم النبي ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلى. قال: فاجمعوا إلي حطباً. فجمعوا فقال: أوقدوا ناراً. فأوقدوها. فقال: ادخلوها. فهموا وجعل بعضهم يمسك بعضاً ويقولون: فررنا إلى النبي من النار فما زالوا حتى خمدت النار. فسكن غضبه فبلغ النبي ﷺ فقال: لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، الطاعة في المعروف).

فالجواب: أنه لا إشكال في الظاهر وذلك لجواز أن يكون كلاً من الأميرين صنع مع قومه ذلك الصنيع والله أعلم.

ومن فوائد هذه الأخبار غير ما تقدم:

أولاً: سرعة امتثال أصحاب النبي ﷺ أمر أميرهم كما هو واضح من فعل جند بن حذافة وذلك لما تقرر عندهم أنه من أصول دينهم ومعتقدهم.

ثانياً: وجوب طاعة الأمير في غير معصية الله وقد تواتر بذلك النقل عن

رسول الله ﷺ وأجمع عليه أهل الحق من أهل السنة والجماعة، وأئمة الدين من أصحاب النبي ﷺ وأئمة التابعين ومن بعدهم ففي الصحيحين عن حذيفة بن اليمان قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم.قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن...الحديث.وفيه: قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك.

وعن عوف بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم. قيل: يا رسول الله أفننابذهم بالسيف؟ فقال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة، فإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يداً من طاعة.رواه مسلم.

قال مقيده: وفي الحديثين فقه عظيم يجب على طالب السنة العمل به ومن ذلك الفقه تلخيص ما يلي.

أولاً: لزوم جماعة المسلمين وإمامهم حين فشوا الفتن وكثرة الخبث وانتشار الضلالات.

ثانياً: الكف عن الخوض في الفتن واعتزال فرق الضلال.

ثالثاً: تسمية الجماعات الضالة فرقاً «فاعتزل تلك الفرق كلها».

رابعاً: كراهية معصية الأمير مع وجوب السمع والطاعة له في طاعة الله.

قال مقيده: وهاهنا ثلاثة أسئلة جديرة بالعناية فتفطن إليها واصغ سمعك إلى جوابها.

السؤال الأول: ما حق الإمام على رعيته ؟

السؤال الثاني: ما حق الرعية على إمامها وولي أمرها؟.

السؤال الثالث: كيف تصنع الرعية إذا بخسها الإمام حقها أو منعها إياه بالكلية؟.

فللجواب على السؤال الأول نقول:

اعلم أن حقوق الإمام على رعيته عشرة:

أولها: بذل الطاعة له ظاهراً وباطناً في كل ما يأمر به أو ينهى عنه إلا أن يكون معصية، وقد أوجب الله ورسوله طاعة ولي الأمر ولم يستثن منه سوى المعصية فبقي ما عداه على الامتثال.

وثانيها: بذل النصيحة له سراً وعلانية، قال رسول الله ﷺ: الدين النصيحة قالوا لمن ؟ قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

قلت: ويوضح نصيحة الحاكم ما رواه ابن أبي عاصم وغيره عن عياض بن غنم أن رسول الله ﷺ قال: (من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فلا يبدها علانية وليأخذ بيده وليخل به فإن قبلها قبلها وإن ردها كان قد أدى ما عليه) فلا قول لأحد مع رسول الله ﷺ وكل قول خالف قوله فهو مردود .

وثالثها: القيام بنصرته باطناً وظاهراً ببذل المجهود في ذلك لما فيه نصر المسلمين وإقامة حرمة الدين وكف أيدي المعتدين .

ورابعها: أن يعرف له عظيم حقه وما يجب من تعظيم قدره فيعامل بما يجب له من الاحترام والاكرام وما جعل الله تعالى له من الإعظام ولذلك كان العلماء الأعلام من أئمة الإسلام يعظمون حرمتهم ويلبون دعوتهم مع زهدهم وورعهم وعدم الطمع فيما لديهم وما يفعله بعض المنتسبين إلى الزهد من قلة الأدب معهم فليس من السنة .

قلت: فلا تغتر بما يرويه بعض أهل الأهواء من تصرفات العز بن عبدالسلام مع الحكام المنافية لهذا .

وخامسها: إيقاظه عند غفلته وإرشاده عند هفوته، شفقة عليه، وحفظاً لدينه وعرضه وصيانة لما جعله الله إليه من الخطأ فيه.

وسادسها: تحذيره من عدو يقصده بسوء، وحاسد يرومه بأذى، أو خارجي يخاف عليه منه، ومن كل شئ يخاف عليه منه على اختلاف أنواع ذلك وأجناسه، فإن ذلك من آكد حقوقه وأوجبها.

وسابعها: إعلامه بسيرة عماله: الذين هو مطالب بهم، ومشغول الذمة بسببهم لينظر لنفسه في خلاص ذمته، وللأمة في مصالح ملكه ورعيته .

قلت: وذلك متواتر من فعل أصحاب النبي ﷺ، ومن ذلك ما أخرجه الشيخان عن عن عائشة رضي الله عنها: (أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ﴿**قل هو الله أحد**﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال سلوه: لأي شئ يصنع ذلك . فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن عزوجل فأنا أحب أن أقرأ بها). فقال رسول الله ﷺ أخبروه أنه الله تعالى يحبه .

ومن ذلك قصة عمرو بن العاص حين صلى بأصحابه الصبح وهو جنب ولم يغتسل خشية البرد وهي في السنن.

وثامنها: إعانته على ما تحمله من أعباء الأمة ومساعدته على ذلك بقدر المكنة، قال الله تعالى: ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى**﴾. وأحق من أعين على ذلك ولاة الأمور.

وتاسعها: رد القلوب النافرة عنه إليه، وجمع محبة الناس عليه؛ لما في ذلك من مصالح الأمة وانتظام أمور الملة .

وعاشرها: الذب عنه بالقول والفعل، وبالمال والنفس والأهل في الظاهر والباطن، والسر والعلانية .

وإذا وفت الرعية بهذه الحقوق العشرة الواجبة، وأحسنت القيام بمجامعها

والمراعاة لمواقعها، صفت القلوب، وأخلصت، واجتمعت الكلمة وانتصرت. انتهى ملخصاً من تحرير الأحكام، بتصرف .

أما الجواب على السؤال الثاني:

فنذكرك بأن حقوق الرعية على إمامها عشرة حقوق وهي:

الأول: حماية بيضة الإسلام والذب عنها، إما في كل إقليم إن كان خليفة، أو في القطر المختص به إن كان مفوضاً إليه، فيقوم بجهاد المشركين ودفع المحاربين والباغين، وتدبير الجيوش، وتجنيد الجنود، وتحصين الثغور بالعِدة المانعة والعُدة الدافعة، وبالنظر في ترتيب الأجناد في الجهات على حسب الحاجات وتقدير إقطاعهم، وأرزاقهم، وصلاح أحوالهم.

الحق الثاني: حفظ الدين على أصوله المقررة، وقواعده المحررة، ورد البدع والمبتدعين وإيضاح حجج الدين، ونشر العلوم الشرعية وتعظيم العلم وأهله، ورفع مناره ومحله، ومخالطة العلماء الأعلام، النصحاء لدين الإسلام ومشاورتهم في موارد الأحكام ومصادر النقض والإبرام .

الحق الثالث: إقامة شعائر الإسلام: كفروض الصلوات، والجمع والجماعات، والأذان والإقامة، والخطابة، والإمامة، ومنه النظر في أمر الصيام والفطر، وأهلَّتِه، وحج البيت الحرام وعمرته .

ومنه: الاعتناء بالأعياد، وتيسير الحجيج من نواحي البلاد، وإصلاح طرقها وأمنها في مسيرهم، وانتخاب من ينظر أمورهم.

الحق الرابع: فصل القضايا والأحكام، بتقليد الولاة والحكام لقطع المنازعات بين الخصوم، وكف الظالم عن المظلوم، ولا يولي ذلك إلا من يثق بديانته وأمانته وصيانته من العلماء والصلحاء، والكفاة النصحاء، ولا يدع السؤال عن أخبارهم والبحث عن أحوالهم، ليعلم حال الولاة مع الرعية، فإنه مسؤول عنهم، مطالب بالجناية منهم .

قال رسو ا الله ﷺ: (كل راع مسؤول عن رعيته) .

الحق الخامس: إقامة فرض الجهاد بنفسه، وبجيوشه أو سراياه وبعوثه.

الحق السادس: إقامة الحدود الشرعية على الشروط المرعية، صيانة لمحارم ا الله عن التجرئ عليها، ولحقوق العباد عن التخطي إليها .

ويسوي في الحدود بين القوي والضعيف، والوضيع والشريف.

الحق السابع: جباية الزكوات والجزية من أهلها، وأموال الفئ والخراج عند محلها، وصرف ذلك في مصارفه الشرعية، وجهاته المرضية، وضبط جهات ذلك، وتفويضه إلى الثقات من العلماء .

الحق الثامن: النظر في أوقاف البر والقربات، وصرفها فيما هي له من الجهات، وعمارة القناطر وتسهيل سبل الخيرات.

الحق التاسع: النظر في قسم الغنائم وتقسيمها، وصرف أخماسها إلى مستحقيها .

الحق العاشر: العدل في سلطانه، وسلوك موارده في جميع شأنه. قال تعالى: ﴿**إن ا الله يأمر بالعدل والإحسان**﴾ وقال تعالى ﴿**وإذا قلتم فاعدلوا**﴾ . انتهى ملخصاً من تحرير الأحكام بتصرف .

وأما جوابنا على السؤال الثالث: وهو كيف تصنع الرعية إذا بخسها الإمام حقها ...الخ.

فنقول: لا عليك فقد كفيت البيان ممن جعله ا الله معدن البيان:

فقد أخرج الشيخان عن ابن مسعود قال قال رسول ا الله ﷺ: (إنها تكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها قالوا يا رسول ا الله كيف تأمر من أدرك منا ذلك قال: تأدون الحق الذي عليكم وتسألون ا الله الذي لكم) .

قال النووي في شرحه على هذا الحديث في صحيح مسلم (١٢/٢٣٢): «هذا من معجزات النبوة، وقد وقع هذا الإخبار متكرراً ووجد مخبره متكرراً وفيه

الحث على السمع والطاعة وإن كان المتولي ظالماً عسوفاً فيعطى حقه من الطاعة ولا يخرج عليه ولا يخلع بل يتضرع إلى الله تعالى في كشف أذاه ودفع شره وإصلاحه » .

وأخرج الإمام مسلم في باب: يصبر على أذاهم وتؤدى حقوقهم من كتاب الإمارة والبيعة، عن وائل بن حجر سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعونا حقنا فماذا تأمرنا؟ فأعرض عنه ثم سأله فأعرض ثم سأله في الثانية أو الثالثة فحدثه الأشعث بن قيس قال: قال رسول الله ﷺ (اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم). قال القرطبي في المفهم (٤/٥٥): «يعني أن الله تعالى كلف الولاة العدل وحسن الرعاية وكلف المولى عليهم الطاعة وحسن النصيحة فأراد أنه إن عصى الأمراء الله فيكم ولم يقوموا بحقوقكم فلا تعصوا الله أنتم فيهم وقوموا بحقوقهم فإن الله مجاز كل واحد من الفريقين بما عمل».

تنبيه

قال الحافظ: «وقد روى الطبري أن هذه الآية - يعني آية الباب - نزلت في قصة جرت لعمار بن ياسر مع خالد بن الوليد وكان خالد أميراً فأجار عمار رجلاً بغير أمره فتخاصما فنزلت»فالله أعلم.

قلت: والحديث أخرجه ابن جرير عن السدي الكبير وهو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة عن خالد بن الوليد وفي هذا الإسناد علتان:

الأولى: الانقطاع فإن المزي لم يذكر في تهذيبه خالد بن الوليد في مشايخ السدي ولم يذكر السدي في رواة خالد وعلى هذا فهو لم يسمع منه.

والثانية: أن راوية السدي أسباط بن نصر الهمداني صدوق كثير الخطأ ويغرب ويدل على أنه وهم فيه وأخطأ أن الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/٩٠) والحاكم في المستدرك (٣/٣٨٩) والطبراني (٤/رقم٣٨٣٠) والطيالسي (رقم١١٥٦) كلهم عن عبد الرحمن بن يزيد عن الأشتر واسمه مالك بن الحارث عن خالد بن الوليد مقتصرين على ذكر القصة دون ذكر سبب نزول الآية.

٩١- [باب ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾].

ش/ تمامها: ﴿ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾.

يقسم جل ثناؤه وتعالى ذكره بذاته العلية بأنه لا يتحقق الإيمان الكامل ظاهراً وباطناً إلا بثلاثة أمور وهي:

أولاً: تحكيم النبي ﷺ وذلك بتحكيم شخصه في حياته وتحكيم سنته بعد مماته وهذا التحكيم يجب أن يكون فيصلاً في كل ما شجر بين الناس.

ثانياً: طيب النفوس واتساع الصدور رضاً بحكمه ﷺ.

ثالثاً: الإذعان التام والإنقياد المطلق تسليماً لقضائه.

١٠٦- حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا محمد بن جعفر، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة قال: خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شريج من الحرَّة فقال النبي ﷺ: اسق يا زبير ثم ارسل الماء إلى جارك. فقال الأنصاري: يا رسول الله أنْ كان ابن عمّتك فتلون وجهه ثم قال: اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجَدْر، ثم أرسل الماء إلى جارك.واستوعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري، كان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة.قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾.

ش/ فيه تسع مسائل:

الأولى: قوله «**خاصم الزبير**» المخاصمة والخصومة والمنازعة بمعنى وهي مطالبة أحد الطرفين الآخر بما يراه حقاً له.

وقوله "**الزبيرُ**" بالرفع كذا ها هنا، وفي رواية الليث في المساقاة باب شرب الأعلى قبل الأسفل «أن رجلاً من الأنصار خاصم «الزبير» بالنصب . وفيها «فقال الأنصاري: سرح الماء يمر فأبى عليه فاختصما عند النبي ﷺ».وهي ظاهرة

أن المخاصم هو الأنصاري.

الثانية: قوله «**رجل من الأنصار**» لم أجد فيما وقفت عليه من طرق الحديث تسميته لكن قال القسطلاني: هو ثابت بن قيس بن شماس وقيل حميد وقيل حاطب بن أبي بلتعة.

قلت: والثالث بعيداً جداً؛ لأن حاطب بن أبي بلتعة حليف لقريش وليس من الأنصار، وله قصة مشهورة يأتي الكلام عليها في سورة الممتحنة إن شاء الله.

الثالثة: قوله «**شريج من الحرة**» **قلت:** هو مسيل الماء من الحرة إلى السهل والحرة أرض مرتفعة تركبها حجارة سوداء و لم أجد في شيء من طرق الحديث تعيين تلك الحرة.

الرابعة: قوله «**اسق يا زبير ثم ارسل الماء إلى جارك**» فيه التنصيص على أن مرور الماء أولاً على أرض الزبير قبل أرض الأنصاري.وهذا ظاهر في قوله «اسق ثم أرسل الماء إلى جارك» والمعنى أن رسول الله ﷺ أشار على الزبير أن يُروي أرضه بشيء من الماء ثم يطلقه بعد إلى جاره حتى يسق منه.

الخامسة: قوله «**أنْ كان ابن عمتك**» بفتح الهمزة أي حكمت له بالتقديم والترجيح؛ لأن كان ابن عمتك وهي صفية بنت عبد المطلب. «ولأبي ذر عن الكشميهني "آن كان" بهمزة مفتوحة ممدودة استفهام إنكاري، وله عن الحموي والمستملي «وأن كان» بواو وفتح الهمزة، ووقع عند الطبري «فقال: اعدل يا رسول الله وأن كان ابن عمتك» أي من أجل هذا حكمت له عليّ».ذكره القسطلاني.

قلت: وهذه المقولة استنكار الأنصاري لمشورة النبي ﷺ على الزبير نحوه ظناً منه للنبي ﷺ بمحاباة الزبير لمكانته منه فقال ما قال؛ لأن أم الزبير صفية بنت عبد المطلب بن هاشم وهي عمة النبي ﷺ.

السادسة: قوله «**فتلون وجهه**» أي تغير وجهه ﷺ غضباً من مقولة

الأنصاري لما فيها من التعدي على مقام النبوة وفي هذا دليل على شدة النكير عند إظهار مخالفة السنة غيرةً لله ولرسوله ﷺ.

السابعة: قوله «**حتى يرجع إلى الجدر**» أي يصير إليه، والجَدْر بفتح الجيم وسكون الدال المهملة هو المسناه وهو ما وضع بين شربات النخل كالجدار، وقيل: المراد الحواجز التي تحبس الماء، وجزم به السهيلي، ويُروى الجدُر بضم الدال حكاه أبو موسى وهو جمع جدار. وقال ابن التين: ضبط في أكثر الروايات بفتح الدال وفي بعضها بالسكون وهو الذي في اللغة، وهو أصل الحائط. وقال القرطبي: لم يقع في الروايات إلا بالسكون، والمعنى أن يصل الماء إلى أصول النخل. حكاه الحافظ.

الثامنة: قوله «**واستوعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري**» **قلت:** استوعى: استوفى و(صريح الحكم) أي خالص الحكم المجزوم به قطعاً وأحفظه أي أغضبه وأثاره. ويستفاد من ذلك ثلاثة أمور.

الأول: استحباب عرض الحاكم الصلح على المتخاصمين.

الثاني: التغليظ على المعاند حتى يستوفى منه الحق.

الثالث: أن من مر بأرضه ماء جارٍ فهو أحق به من غيره حتى يُروي أرضه.

التاسعة: قوله «**فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك**» وقع في سكر الأنهار من المساقاة «والله إني لأحسب هذه الآية» وفي باب شرب الأعلى إلى الكعبين من رواية ابن جريج «والله إن هذه الآية أنزلت في ذلك».

قلت: وفي هذه الأخيرة نص صريح في أن تلك الحادثة سبب نزول الآية.

تنبيه

في رواية الباب «فما أحسب هذه الآيات» وفي ما عداها عند المصنف وغيره «الآية» ولم أجد توجيهاً لذلك والله أعلم.

٩٢- [باب ﴿**فأولئك مع الذين أنعم ا لله عليهم من النبيين**﴾]

ش/ قلت الآية ﴿**ومن يطع ا لله والرسول فأولئك مع الذين أنعم ا لله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً**﴾.

يخبر جل ثناؤه عن عظيم مثوبته لمن اتصف بطاعته وطاعة رسوله، وتلك المثوبة المعية لأربعة أصناف من الخليقة وهم:

أولاً: النبيون: جمع نبي وهو في **اللغة** : من النباوة وهو ما ارتفع من الأرض، أو النبأ وهو الخبر الهائل.**وشرعاً** : رجل من بني آدم أوحى ا لله إليه بشرع وأمره بتبليغه أو جاء بتقرير شريعة سابقة **فمن الأول** أولوا العزم وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى ا لله عليهم وسلم، **ومن الثاني**: يوشع بن نون عليه الصلاة والسلام وأمثاله من أنبياء بني إسرائيل المبعوثين بتقرير شريعة موسى ﷺ.

ثانياً: الصديقون: جمع صدّيق وهو المبالغ في الصدق والتصديق، وأعظم صديقي هذه الأمة بعد النبيين والمرسلين هو أبو بكر رضي ا لله عنه وقد تواتر بفضله وما يشعر بتقديمه في الخلافة والإمامة النقل عن النبي ﷺ.

ثالثاً: الشهداء: جمع شهيد وهو كل من قتل في سبيل ا لله إعلاء لكلمته، وإعزازاً لدينه سمي بذلك للشهادة له بالجنة أو لأن الملائكة تشهده.

رابعاً: الصالحون: جمع صالح وهو كل من جمع في أعماله وأقواله التعبدية بين أمرين وهما: تجريد الإخلاص لله وحده وتجريد المتابعة لرسوله ﷺ.

ثم ختم جل وعلا الآية بقوله ﴿**وحسن أولئك رفيقاً**﴾ تنبيهاً إلى أن صحبة أولئك المنعم عليهم وهم الأربعة الأصناف السابق ذكرهم بهم يطيب الأنس وتزول الوحشة حين يجد الإنسان غربة في الدين.

١٠٧ـ حدثنا محمد بن عبد الله بن حوشب[١]، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه[٢]، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من نبي يمرض إلا خيّر بين الدنيا والآخرة» وكان في شكواه الذي قبض فيه أخذته بحة شديدة فسمعته يقول: «مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين» فعلمت أنه خُيِّر.

ش/ فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «**وكان في شكواه الذي قبض فيه**» ولأبي ذر عن الكشميهني «التي قبض فيها» قاله القسطلاني.

قلت: فلا منافاة فالتذكير بالنسبة للمعنى والتأنيث بالنسبة للفظ، والمراد مرض النبي ﷺ الذي مات فيه.

الثانية: قوله «**أخذته بحة شديدة**» بضم الموحدة وتشديد الحاء المهملة: غلظ صوت وخشونة حلق.وذلك لشدة ما نزل به من المرض ﷺ.

الثالثة: قوله «**مع الذين أنعم الله عليهم...الخ**» **قلت:** وأخرج المصنف في باب آخر ما تكلم به النبي ﷺ من المغازي عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيب في رجال من أهل العلم أن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح «إنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخيّر» فلما نزل به ورأسه على فخذي غشي عليه، ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت ثم قال: «اللهم الرفيق الأعلى» فقلت: إذاً لا يختارنا.وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن حوشب بوزن جعفر الطائفي، نزيل الكوفة، صدوق من العاشرة.خ.

(٢) هو أبو إسحاق سعد بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري البغدادي، ثقة ولي قضاء واسط وغيرها، من التاسعة، مات سنة إحدى ومائتين وهو ابن ثلاث وستين.خ.س.

وهو صحيح.قالت: فكان آخر كلمة تكلم بها «اللهم الرفيق الأعلى».

قلت: فتحصل من هذا مع آية الترجمة أن هؤلاء الأصناف الأربعة هم أفضل الخليقة وهم الرفيق الأعلى.

الرابعة: قوله «**فعلمت أنه خُيّر**» يعني بين الدنيا والآخرة وأنه اختار الآخرة.بل الرفيق الأعلى منها يوضحه ما في رواية الزهري المتقدمة «فقلت: إذاً لا يختارنا فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح» وعن أبي الأسود في المغازي عن عروة: «أن جبريل نزل إليه في تلك الحالة فخيره» حكاه الحافظ في شرحه لهذا الحديث في المغازي.

قلت: ولعل عروة أخذه عن خالته عائشة فإن كان ذاك وإلا فهو مرسل والله أعلم.

٩٣- [باب ﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء﴾].

ش/ تمامها: **﴿والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً﴾.**

يقول جل ذكره نادباً أهل الإيمان: ما شأنكم ولماذا لا تقاتلون أعداء الله من أهل الكفر في سبيل الله إعزازاً لدينه وإعلاء لكلمته، **﴿والمستضعفين﴾** أي وما لكم لا تقاتلون ذباً عن إخوانكم الذين استضعفهم المشركون وفتنوهم في دينهم، كي يرتدوا على أعقابهم ويرتكسوا في الكفر وهؤلاء المستضعفين الذين يجب عليكم مناصرتهم واستنقاذهم ممن فتنهم هم من الرجال والنساء والصبيان وليس لهم حول ولا قوة إلا أنهم يدعون ربهم قائلين: ربنا أخرجنا من هذه القرية التي ظلمنا أهلها لما نالنا منهم من الإذلال والقهر، واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً.

١٠٨- حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا سفيان، عن عبيد الله[١] قال: سمعت ابن عباس قال: كنت أنا وأمي من المستضعفين.

١٠٩- حدثنا سليمان بن حرب[٢]، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة أن ابن عباس تلا: ﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾ قال: كنت أنا وأمي ممن عذر الله.

ش / فيهما مسألتان:

---

(١) هو عبيد الله بن أبي يزيد المكي، مولى آل قارظ بن شيبة، ثقة كثير الحديث، من الرابعة، مات سنة ست وعشرين [ومائة] وله ست وثمانون.(ع).

(٢) هو سليمان بن حرب الأزدي الواشحي البصري، قاضي مكة، ثقة إمام حافظ، من التاسعة، مات سنة أربع وعشرين [ومائتين] وله ثمانون سنة.ع.

الأولى: قوله «**من المستضعفين**» زاد في رواية علي بن عبد الله في الجنائز باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه «أنا من الولدان وأمي من النساء».

قلت: واسم أم ابن عباس: لبابة بنت الحارث الهلالية وهي أخت ميمونة زوج النبي ﷺ أسلمت قبل الهجرة، روت عن النبي ﷺ وروى عنها ابناها عبد الله وتمام، وعمير بن الحارث مولاها، وكريب وآخرون، توفيت في خلافة عثمان قبل زوجها العباس رضي الله عن الجميع.

الثانية: قوله «**ممن عذر الله**» يعني سقوط وجوب الهجرة.

وفي الحديث والذي قبله دليل على أن الصبي يتبع المسلم من أبويه قاله الداودي.

قلت: وسيأتي الحديث ضمن الباب المائة.

شرح جملة من الكلمات:

١- [ويذكر عن ابن عباس: حصرت ضاقت].

ش/ قلت: أخرجه ابن أبي حاتم عن السدي ثم قال: وروي عن ابن عباس من رواية علي ابن أبي طلحة مثل ذلك.

والآية المشار إليها: ﴿**إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم**﴾.

٢- [﴿**تلووا**﴾ **ألسنتكم بالشهادة**].

ش/ أخرجه ابن جرير، ثني المثنى، ثنا عبد الله بن صالح، ثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس فذكره. وأخرج في المعنى عن مجاهد وقتادة والسدي وابن زيد وعطية والضحاك.

والآية المشار إليها: ﴿**وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً**﴾.

٣- [وقال غيره: المراغم المهاجر.راغمت: هاجرت قومي].

ش/ يعني غير ابن عباس وهو أبو عبيدة في مجاز القرآن وزاد: وهي المذاهب قال النابغة الجعدي:

كطود يلاذ بأركانه   عزيز المراغم والمهرب

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: ﴿**ومن يهاجر في سبيل ا لله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة**﴾.

٤- [﴿موقوتاً﴾ موقتاً وقته عليهم].

ش/ قاله أبو عبيدة.

قلت: والكلمة من قوله تعالى ﴿**فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً**﴾.

قال ابن مسعود: إن للصلاة وقتاً كوقت الحج.وقال زيد ابن أسلم: منجماً كلما مضى نجم جاء نجم آخر.أخرجه عنهما ابن جرير.

٩٤- [باب ﴿فما لكم في المنافقين فئتين وا لله أركسهم بما كسبوا﴾].

ش/ تمامها: ﴿أتريدون أن تهدوا من أضل ا لله ومن يضلل ا لله فلن تجد له سبيلاً﴾

قوله ﴿فما لكم في المنافقين فئتين﴾ يعني تعالى ذكره ما شأنكم وما حملكم يا أهل الإيمان على النزاع والاختلاف في أمر المنافقين فصرتم إلى فئتين مختلفتين على ما سيأتي تفصيله في حديث الباب.

قوله ﴿وا لله أركسهم بما كسبوا﴾.

قال ابن جرير: «يعني بذلك وا لله ردهم إلى أحكام أهل الشرك في إباحة دمائهم، وسبي ذراريهم، والإركاس: الرد ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

فأركسوا في حميم النار أنهمُ كانوا عصاة وقالوا الإفك والزوراء

يقال منه أركسهم وركسهم»اهـ.

قلت: وهذا بناء على ما أخرجه عن مجاهد قال: قوم خرجوا من مكة حتى أتوا المدينة يزعمون أنهم مهاجرون، ثم ارتدوا بعد ذلك، فاستأذنوا النبي ﷺ إلى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها فاختلف فيهم المؤمنون. ويقرب منه ما أخرجه أيضاً عن ابن عباس وقتادة أنها كانت في اختلافهم في قوم من أهل الشرك كانوا أظهروا الإسلام بمكة، وكانوا يعينون المشركين على المسلمين.

قوله ﴿أتريدون أن تهدوا من أضل ا لله﴾ هذا سؤال استنكاري والمعنى أتبغون يا أهل الإيمان أن تكسبوا من حقت عليه الضلالة بهدايته إلى الحق فإن ذلك لا سبيل لكم إليه وقد قدر ا لله عليه الضلالة.

قوله ﴿ومن يضلل ا لله فلن تجد له سبيلاً﴾ إخبار منه جل وعلا بأنه لا سبيل إلى هداية من حقت عليه الضلالة وغلبت عليه الشقوة في علم ا لله.

من فقه الآية

أولاً: وجوب الحب في ا لله والبغض في ا لله.

ثانياً: وجوب الإيمان بالقضاء والقدر.

ثالثاً: أن هداية التوفيق لا يملكها أحد من البشر.

شرح جملة من الكلمات:

١- [قال ابن عباس: أركسهم بدّدهم].

ش/ أخرجه ابن جرير، ثنا الحسن، ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس بلفظ: ردهم.

وهو **أحد ثلاثة أقوال حكاها** في الآية.

وثانيها: بمعنى أوقعهم وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية.

وثالثها: أضلهم وأهلكهم وهو قول قتادة.

قلت: وكلها صحيحة ولا تنافي بينها.

٢- [﴿ فئة ﴾ : جماعة]

ش/ قاله أبوعبيدة عند تفسير الآية التاسعة والأربعين بعد المائتين من سورة البقرة

١١٠- حدثني محمد بن بشار، حدثنا غندر، وعبد الرحمن قالا: حدثنا شعبة، عن عدي، عن عبد الله بن يزيد، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه: ﴿فما لكم في المنافقين﴾ رجع ناس من أصحاب النبي ﷺ من أحد، وكان الناس فيهم فرقتين فريق يقول: اقتلهم وفريق يقول: لا.فنزلت ﴿فما لكم في المنافقين فئتين﴾ وقال: إنها طيبة تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة.

ش/ فيه ثلاث مسائل:

الأولى: النص على أن سبب نزول آية الترجمة هو اختلاف المسلمين في شأن من رجع من المنافقين عن القتال يوم أحد وهؤلاء المنافقون هم عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه. وقد روى ابن جرير حديث زيد هذا ضمن خمسة أقوال في الآية واختار قول من قال: نزلت هذه الآية في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ في قوم كانوا ارتدوا عن الإسلام بعد إسلامهم من أهل مكة. ثم قال: وإنما

قلنا ذلك أولى بالصواب؛ لأن اختلاف أهل ذلك إنما هو على قولين: التأويل في أحدهما أنهم قوم كانوا من أهل مكة على ما قد ذكرنا الرواية عنهم، والآخر أنهم قوم كانوا من أهل المدينة، وفي قول الله تعالى ذكره ﴿**فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا**﴾ أوضح الدليل على أنهم كانوا من غير أهل المدينة؛ لأن الهجرة كانت على عهد رسول الله ﷺ إلى داره ومدينته من سائر أرض الكفر. فأما من كان بالمدينة في دار الهجرة مقيماً من المنافقين وأهل الشرك فلم يكن عليه فرض هجرة؛ لأنه في دار الهجرة كان وطنه ومقامه.

قلت: ولا مانع أن تكون جميع الحوادث المذكورة سبباً لنزول الآية والله أعلم.

الثانية: قوله «**إنها طيبة**» يعني المدينة وطيبة بسكون الياء اسم من أسماء المدينة ومن أسمائها طابة، والدار، والمدينة النبوية.

الثالثة: قوله «**تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة**» ورواه مسلم في الحج باب المدينة تنفي شرارها من طريق عبيد الله بن معاذ ــ وهو العنبري ــ حدثنا أبي حدثنا شعبة، عن عدي بن ثابت سمع عبد الله بن يزيد، عن زيد بن ثابت. ورواه الترمذي والنسائي كلاهما عن غندر، عن شعبة به، وأخرجه المصنف في غزوة أحد من طريق ابن الوليد عن شعبة بلفظ «تنفي الذنوب» وفي فضائل المدينة باب المدينة تنفي الخبث من رواية سليمان بن حرب عن شعبة بلفظ «تنفي الرجال» ويرجح حديث الباب أمران.

أحدهما: أن غندر وهو محمد بن جعفر أثبت في شعبة.

وثانيهما: ما أخرجه المصنف عن جابر رضي الله عنه: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فبايعه على الإسلام، فجاء من الغد محموماً فقال: أقلني. فأبى ـ ثلاث مرار ـ فقال: المدينة كالكير تنفي خبثها وينعم طيبها. انتهى.

من فقه الحديث

أولاً: حماية الله للمدينة وتطهيره إياها من الأخباث كما تطهر النار الحديد من الخبث وهو الوسخ والقذر.

ثانياً: وجوب إحترام المدينة وتنزيهها من أي شكل من أشكال الفسق والفجور.

ثالثاً: أن النفاق كفر في الباطن.
رابعاً: ذم التراجع عن القتال حال المصافة.

٩٥- [باب ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به﴾].

ش/ تمامها: **﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً﴾.**

قوله **﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف﴾** - إلى قوله - **﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾.**

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي (١/٣٧٧): «هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا، غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة، والمصالح العامة، ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم، أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر؛ بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي والعلم والنصح، والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور، ويعرفون المصالح وضررها، فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطاً للمؤمنين وسروراً لهم، وتحرزاً من أعدائهم فعلوا ذلك، وإن رأوا ما فيه مصلحة، أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته لم يذيعوه، ولهذا قال **﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾** أي يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة، وفي هذا دليل **لقاعدة** أدبية وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولى من هو أهل لذلك، ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ، وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام، والنظر فيه هل هو مصلحة، فيقدم عليه الإنسان أم لا؟ فيحجم عنه».

قوله **﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾** - إلى قوله - **﴿قليلاً﴾** الخطاب للنبي ﷺ والمؤمنين وهو عام في كل من يصلح له الخطاب إذ العبرة بعموم اللفظ. والمعنى لولا ما منّ الله به عليكم ووفقكم إليه من سداد الرأي في الأقوال والأفعال ومن ذلك التثبت في نقل الأخبار وعدم نشر ما يختص بالعامة ورده إلى

أهله من أولي الأمر لاتَبَعْتُم الشيطان.ومن ذلك الاتباع ما ينتج عن إشاعة الأمن والخوف بين العامة من غير روية ﴿إلا قليلاً﴾ يقول إلا قليلاً منكم وهم من أوتوا ثاقب الفقه ونير البصيرة في استنباط الأمور فيضعون كل شيء في موضعه.

ما تفيده الآية

١ـ سعة رحمة الله بعباده وشمولهم بفضله وإنعامه.

٢ـ وجوب رد أخبار الولاية إلى أهلها وأن التسرع في نشر ذلك دون الرجوع إليهم من مداخل الشيطان.

٣ـ ليست العبرة في إصابة الحق وسداد الرأي بالكثرة.قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في مسائله على باب من حقق التوحيد: لا يجوز الزهد في القلة ولا الإغترار بالكثرة.

شرح جملة من الكلمات:

١ـ [﴿ أذاعوا به ﴾ : أفشوه]

ش/قاله أبوعبيدة وزاد، معناها أذاعوه، وقال أبو الأسود :

أذاع به في الناس حتى كأنه بعلياءَ نارٌ أُوقدت بثقوب

انتهى محل الغرض .

٢ـ [﴿يستنبطونه﴾ يستخرجونه].

ش/ قاله أبو عيدة وزاد: يقال للركيه إذا استخرجت هي نبط إذا أمهاها يعني استخرج ماءها.

٣ـ [﴿حسيباً﴾ كافياً].

ش/ قلت: تكررت هذه الكلمة في هذه السورة مرتين إحداهما في الآية السادسة والأخرى قوله تعالى **﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيباً﴾.**

وهذا التفسير هو قول أبي عبيدة وزاد: مقتدراً يقال: أحسبني هذا أي

كفاني.

٤- [﴿إلا إناثاً﴾ يعني الموات حجراً أو مدراً وما أشبهه].

قلت: عنى الشيخ به هذه الآية **﴿إن يدعون من دونه إلا إناثاً وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً﴾** وقد قال بمثل تفسيره الحسن البصري فيما أخرجه ابن جرير. ووافقه أبو عبيدة فقال: إلا الموات حجراً أو مدراً وما أشبه ذلك.

٥- [﴿مريداً﴾ متمرداً].

ش/ قلت: هذه الكلمة في تتمة الآية السابقة **﴿وإن يدعون من دونه إلا شيطاناً مريداً﴾** وهذا التفسير هو قول أبي عبيدة.

٦- [﴿فليبتكن﴾ بتكه قطعه].

ش/ قاله أبو عبيدة وقد أشار أبو عبد الله رحمه الله إلى قوله **﴿ولآمرنهن فليبتكن آذان الأنعام﴾** الآية.

٧- [﴿قيلاً﴾ وقولاً واحد].

ش/ قلت: يعني بذلك **﴿ومن أصدق من الله قيلاً﴾** وهذا هو تفسير أبي عبيدة.

٨- [﴿طبع﴾ ختم].

ش/ قلت: أشار الشيخ إلى قوله تعالى فيما قصه عن اليهود **﴿وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً﴾**. وهذا هو تفسير أبي عبيدة.

تنبيه

ذكر في هذا الباب آثاراً ولم يذكر فيه حديثاً وقد وقع عند مسلم من حديث عمر في سبب نزولها: أن النبي ﷺ لما هجر نساءه وشاع أنه طلقهن وأن عمر جاءه فقال: أطلقت نساءك؟ قال: لا.فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي لم يطلق نساءه.فنزلت هذه الآية.فكنت أنا استنبطت ذلك

الأمر. وأصل هذه القصة عند البخاري لكن بدون هذه الزيادة فليست على شرطه، فكأنه أشار إليها بهذه الترجمة. قاله الحافظ في الإيلاء من كتاب الطلاق.

قال مقيده: وذلك؛ لأن في إسنادها عند مسلم عكرمة بن عمار اليمامي الحنفي وشيخه سماك بن الوليد الحنفي أبا زميل احتج بهما مسلم والأربعة ولم يحتج بهما البخاري فبان بهذا أن الحديث ليس على شرطه ولذلك لم يخرجه.

٩٦- [باب ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم﴾].

ش/ تمامها: ﴿**خالداً فيها وغضب ا لله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً**﴾.

يخبر جل ثناؤه عن عقوبة من قتل مؤمناً عمداً قاصداً إتلافَ نفسه وتلك العقوبة التي تقشعر لها القلوب وترتعش منها الفرائص عقوبة عظيمة لم يرد في كبيرة من الكبائر فيما نعلم أعظم مما ورد فيها وهي الخلود في جهنم مع غضب ا لله ولعنته وعظيم العذاب الذي لا يقدر قدره إلا ا لله.

واعلم أن قتل المؤمن عمداً كبيرة من أعظم الكبائر، ومذهب أهل السنة والجماعة في مثل هذه الآية من النصوص إجراؤها على الظاهر من غير تأويل لتكون أوقع في النفس، وأبلغ في الزجر وإليك فائدة نقلها الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره عن ابن القيم حيث قال: «والصواب في تأويلها ما قاله الإمام المحقق شمس الدين ابن القيم رحمه ا لله في «المدارج» فإنه قال بعد ما ذكر تأويلات الأئمة في ذلك وانتقدها فقال:

وقالت فرقة: إن هذه النصوص وأمثالها مما ذكر في المقتضى للعقوبة، ولا يلزم من وجود مقتضى الحكم وجوده، فإن الحكم إنما يتم بوجود مقتضيه وانتفاء موانعه، وغاية هذه النصوص الإعلام بأن كذا سبب للعقوبة ومقتض لها، وقد قام الدليل على ذكر الموانع، فبعضها بالإجماع وبعضها بالنص، فالتوبة مانع بالإجماع، والتوحيد مانع بالنصوص المتواترة، التي لا مدفع لها، والحسنات العظيمة الماحية مانعة، والمصائب الكبار المكفرة مانعة، وإقامة الحدود في الدنيا مانع بالنص، ولا سبيل إلى تعطيل هذه النصوص، فلا بد من إعمال النصوص من الجانبين. ومن هنا قامت الموازنة بين الحسنات والسيئات، إعتباراً لمقتضى العقاب ومانعه، وإعمالاً لأرجحها.

قالوا: وعلى هذا بناء مصالح الدارين ومفاسدهما، وعلى هذا بناء الأحكام الشرعية، والأحكام القدرية، وهو مقتضى الحكمة السارية في الوجود، وبه ارتباط الأسباب ومسبباتها، خلقاً وأمراً. وقد جعل ا لله سبحانه لكل ضد ضداً

يدافعه ويقاومه ويكون الحكم للأغلب منهما، فـالقوة مقتضيـة للصحـة والعافيـة، وفسـاد الأخـلاق وبغيهـا مـانع مـن عمـل الطبيعـةوفعل القـوة، والحكـم للغـالب منهما،وكذلك قوى الأدوية والأمراض والعبد يكون فيه مقتض للصحة ومقتـض للعطب، وأحدهما يمنع كمال تأثير الآخر ويقاومه، فإذا ترجح عليه وقهـره كـان التأثير لـه، ومـن هنـا يعلـم انقسـام الخلـق إلى مـن يدخـل الجنـة ولا يدخـل النـار وعكسه. ومن يدخل النار ثم يخرج منها، ويكون مكثه فيها بحسـب مـا فيـه مـن مقتضى المكث في سرعة الخروج وبطئه، ومن له بصيرة منورة يـرى بهـا كـل مـا أخبر الله به في كتابه من أمـر المعـاد وتفاصيلـه حتـى كأنـه يشـاهده رأي العـين، ويعلم أن هذا مقتضى إلاهيته سبحانه وربوبيته، وعزته وحكمتـه، وأنـه مسـتحيل عليه خلاف ذلك، ونسبة ذلك إليه نسبة ما لا يليق به إليه، فيكون نسبة ذلك إلى بصيرته كنسبة الشمس والنجوم إلى بصره، وهذا يقين الإيمـان وهـو الـذي يحرق السيئات كما تحرق النار الحطب، وصاحب هذا المقام من الإيمان يستحيل إصراره على السيئات، وإن وقعت منه وكثرت فإن ما معه من نور الإيمان يـأمره بتجديـد التوبة كل وقـت بـالرجوع إلى الله في عـدد أنفاسـه وهـذا مـن أحـب الخلـق إلى الله)).انتهى

١١١ـ حدثنا آدم بن أبي إياس، حدثنا شعبة، حدثنا مغيرة بن النعمـان(١) قال: سمعت سعيد بن جبير قال: آية اختلف فيها أهل الكوفة فرحلت فيهـا إلى ابن عباس فسألته عنها فقـال: نزلـت هـذه الآيـة ﴿ومـن يقتـل مؤمنـاً متعمـداً فجزاؤه جهنم﴾ هي آخر ما نزل وما نسخها شيء.

ش/ فيه النص صراحة على أن آية الباب محكمة والحديث سيأتي في تفسـير سورة الفرقان ضمن الباب الرابع والخمسين بعد المائتين، وهنـاك يسـتوفى شـرحه إن شاء الله تعالى.

(١) هو المغير بن النعمان النخعي، الكوفي، ثقة من السادسة.(خ.م.د.س.ت).

٩٧- [باب ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً﴾].

ش/ قلت: الآية **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيراً﴾.**

يأمر جل ثناؤه عباده المؤمنين ويوجههم إذا خرجوا مجاهدين في سبيله أعداءه من الكفار بأن يتثبتوا ولا يستعجلوا في الحكم بالكفر ومن ثم القتل على من أشكل أمره، لا سيما إذا أظهر ما يدل على الإسلام كالسلام، طلباً لعرض الدنيا واستعجالاً عليه فعند الله خير من ذلك، ومن هنا يتبين أن الأمور على ضربين:

أحدهما: واضح جلي وهذا لا يحتاج إلى تثبت وتبين بل يعامل صاحبه بما يستحقه.

وثانيهما: ملتبس مشتبه وهذا يجب فيه التثبت قبل إصدار الحكم فيه، ثم بعد أن أمرهم بالتثبت فيما يلتبس من الأمور ذكّرهم بما تفضل به عليهم بالهداية إلى ما يعصم دماءهم وأموالهم وهو دين الإسلام الحق فقال: **﴿كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم﴾** يعني أن حالكم قبل هداية الله إياكم كانت كحال هذا الذي استعجلتم عليه فقتلتموه ضناً منكم أنه ألقى السلام عليكم متعوذاً به.وقيل: كما كان هذا الذي ألقى إليكم السلام فقلتم له: لست مؤمناً فقتلتموه كذلك أنتم من قبل يعني من قبل إعزاز الله دينه باتباعه وأنصاره تستخفون بدينكم كما استخفى هذا الذي قتلتموه وأخذتم ماله بدينه من قومه)).اهـ من تفسير ابن سعدي بتصرف واختصار.

ثم بعد هذا الإمتنان كرر الأمر بالتبين لأهميته وعظم شأنه.

وقوله **﴿إن الله كان بما تعملون خبيراً﴾** يعني ذا خبرة وعلم محيط بأعمال

عباده جميعها فيجازي كلاً على عمله ونيته.

- [السِّلْم والسَّلْم والسلام واحد].

ش/ السِّلم بكسر السين وسكون اللام وهي قراءة رويس عن عاصم بن أبي النجود، و"السَّلم" بفتحها من غير ألف وهي قراءة نافع وابن عامر وحمزة وفي الفرع و"السَّلْم" بسكون اللام بعد فتح. وروي عن عاصم الجحدري و"السّلام" بفتحهما ثم ألف وهي قراءة الباقين قاله القسطلاني.

وقوله «**واحد**» يعني أن معنى هذه الكلمات الثلاث واحد وهو الاستسلام والانقياد وهو أحد معنيي السلام في الآية.

١١٢- حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً﴾ قال: قال ابن عباس: كان رجل في غنيمة له فلحقه المسلمون فقال: السلام عليكم.فقتلوه وأخذوا غنيمته فأنزل الله في ذلك إلى قوله ﴿تبتغون عرض الحياة الدنيا﴾ تلك الغُنيمة قال: قرأ ابن عباس "السلام".

ش/ فيه ست مسائل:

الأولى: قوله «**﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً﴾**» هذا هو شاهد الترجمة وقد مضى تفسيره ضمن شرح الآية.

الثانية: قوله «**كان رجل في غنيمة له**» **قلت:** عند ابن جرير والترمذي في التفسير وحسنه والواحدي في أسباب النزول والحاكم وصححه عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: «مر رجل من بني سليم على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ومعه غنم له».

الثالثة: قوله «**فلحقه المسلمون فقال: السلام عليكم**» في رواية عكرمة المذكورة «فسلم عليهم قالوا: ما سلم عليكم إلا ليتعوذ منكم».

الرابعة: قوله «**فقتلوه وأخذوا غنيمته**» زاد في رواية عكرمة المتقدمة

«فقاموا فقتلوه وأخذوا غنمه فأتوا بها رسول ا لله ﷺ».

وروى البزار من طريق حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في سبب نزول هذه الآية قصة أخرى قال: بعث رسول ا لله ﷺ سرية فيها المقداد فلما أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا وبقي رجل له مال كثير فقال: أشهد أن لا إله إلا ا لله فقتله المقداد فقال له النبي ﷺ: كيف لك بلا إله إلا ا لله غداً.

قلت: ولا تعارض بين القصتين إذ يمكن أن تكون كلتا الحادثتين سبباً لنزول الآية وا لله أعلم.

الخامسة: قوله «**فأنزل ا لله في ذلك إلى قوله ﴿تبتغون عرض الحياة الدنيا﴾**».

قلت: وعند الترمذي من رواية عكرمة «فأنزل ا لله **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل ا لله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً﴾**» وعند الواحدي «فنزلت هذه الآية **﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا﴾**».

السادسة: قوله «**تلك الغُنيمة**» تفسير العرض المذكور في الآية والغنيمة تصغير غنم وهو اسم جمع للضأن والماعز من بهيمة الأنعام.

وقوله «**قرأ ابن عباس "السلام"**» بسين مشددة مفتوحة ولام مفتوحة بعدها ألف والقائل هو عطاء.

٩٨- [باب **﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين...والمجاهدون في سبيل الله﴾**].

ش/ كذا في الفرع وأصله وغيرهما بإسقاط **﴿غير أولي الضرر﴾** وثبت ذلك في بعضها، ولأبي ذر **﴿من المؤمنين﴾** الآية,وسقط ما بعد ذلك.قاله القسطلاني.

قلت: وإسقاط غير **﴿أولي الضرر﴾** مراعاة لأول نزول الآية دونها، وإثباتها مراعاة لنزولها آخرا كما سيأتي في سبب النزول، والآية تامة كما في المصحف **﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً﴾**.

قوله **﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم﴾** يخبر جل علاه وتعالى ذكره بأنه لا مساواة في الأجر بين من خرج مجاهداً في سبيل الله بماله ونفسه إعلاء لكلمته وإعزازاً لدينه وبين من قعد عن الجهاد إلا من كان محبوساً عن الجهاد بعذر لا طاقة له معه في الخروج ولهذا استثنى قائلاً **﴿غير أولي الضرر﴾** وهذا تسلية للمحبوسين بالعذر المقعد عن الجهاد وإرشاد إلى أنهم شركاء مع إخوانهم المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ويدل لذلك ما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: رجعنا من غزوة تبوك مع النبي ﷺ فقال: إن أقواماً خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا حبسهم العذر. وروى مسلم عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة فقال: «إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم المرض».وفي رواية «إلا شركوكم في الأجر».

قوله ﴿فضل ا لله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة﴾.

قال ابن جرير:

«فضل ا لله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين من أولي الضرر درجة واحدة يعني فضيلة واحدة، وذلك بفضل الجهاد بنفسه فأما فيما سوى ذلك فهما مستويان»

قوله ﴿وكلا وعد ا لله الحسنى﴾.

قال الشوكاني: «﴿وكـ ﴾ مفعول أول لقوله ﴿وعد ا لله﴾ قدّم عليه لإفادته القصر: أي كل واحد من المجاهدين والقاعدين وعده ا لله الحسنى أي المثوبة وهي الجنة».

وقال ابن كثير: «وفيه دلالة على أن الجهاد ليس بفرض عين بل هو فرض على الكفاية».

قوله ﴿وفضل ا لله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً﴾.

قال القنوجي: في قوله ﴿وفضل ا لله المجاهدين على القاعدين﴾ «الذين لا عذر لهم ولا ضرر ﴿أجراً عظيماً﴾ أي ثواباً جزيلاً».

١١٣ـ حدثنا إسماعيل بن عبد ا لله قال: حدثني إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان[١]، عن ابن شهاب قال: حدثني سهل بن سعد الساعدي أنه رأى مروان بن الحكم[٢] في المسجد فأقبلت حتى جلست إلى جنبه فأخبرنا أن

---

(١) هو أبو محمد أو أبو الحارث صالح بن كيسان المدني، مؤدب ولد عمر بن عبد العزيز، ثقة ثبت فقيه من الرابعة، مات بعد سنة ثلاثين [ومائة] أو بعد الأربعين.(ع).

(٢) هو أبو عبد الملك مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الأموي المدني، ولي الخلافة في آخر سنة أربع وستين، ومات سنة خمس في رمضان لا تثبت له صحبة من الثانية.(خ.٤).

زيد بن ثابت[١] أخبره أن رسول ا لله ﷺ أملى عليه: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل ا لله﴾ فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملّها علـيّ قال: يا رسول ا لله وا لله لو استطيع الجهاد لجاهدت، وكان أعمى فأنزل ا لله على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي، فثقلت عليّ حتى خفت أن ترّض فخذي ثم سرى عنه فأنزل ا لله ﴿غير أولي الضرر﴾.

١١٤ـ حدثنا حفص بن عمر[٢]، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء رضي ا لله عنه قال: لما نزلت ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين﴾ دعا رسول ا لله ﷺ زيداً فكتبها، فجاء ابن أم مكتوم فشكا ضرارته فأنزل ا لله ﴿غير أولي الضرر﴾.

١١٥ـ حدثنا محمد بن يوسف، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: لما نزلت ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين﴾ قال النبي ﷺ: ادعوا فلاناً.فجاءه ومعه الدواة واللوح، أو الكتف فقال: أكتب.﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل ا لله﴾ وخلف النبي ﷺ ابن أم مكتوم فقال: يا رسول ا لله أنا ضرير فنزلت مكانها ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل ا لله﴾.

ش/ دلت هذه الأحاديث على ثمانية أمور:

أولاً: نزول القرآن منجماً.

ثانياً: جواز وضع الرجل فخذه على فخذ الآخر ويجب أن يكون ذلك

---

(١) هو زيد بن ثابت الأنصاري صحابي مشهور كتب الوحي مات سنة خمس أو ثمان وأربعين.(ع).

(٢) هو أبو عمر حفص بن عمر بن الحارث بن سخبرة الأزدي النمري، الحوضي وهو بها أشهر، ثقة ثبت عيب بأخذ الأجرة على الحديث من كبار العاشرة، مات سنة خمس وعشرين [ومائتين].(خ.د.س).

مقيداً بعدم الإفضاء لحديث: (لا يفض الرجل إلى الرجل في الثوب الواحد وليس بينهما شيء).

ثالثاً: حرص السلف على بذل العلم والتواضع له ومذاكرتهم إياه لا سيما السنن الثابتة عن النبي ﷺ ويظهر أن مروان حدث سهلاً يوم كان أميراً على المدينة.

رابعاً: جواز كتابة القرآن، وإن قال قائل كيف تصنعون بنهيه عن ذلك فالجواب أن هذا كان أول الأمر خشية أن يلتبس القرآن بغيره فلما أمن اللبس أذن النبي ﷺ في كتابته.

خامساً: إن سبب نزول قوله ﴿**غير أولي الضرر**﴾ هو شكوى عبد الله ابن أم مكتوم حاله إلى النبي ﷺ وبيان العذر الذي حبسه عن الجهاد.

سادساً: في قول البراء «وخلف النبي ﷺ ابن أم مكتوم فقال يا رسول الله أنا ضرير فنزلت مكانها ﴿**لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله**﴾ دليل على فورية نزول الآية حال الحادثة إذ المعنى فنزلت الآية مكان الكتابة ولهذا قال بعض أهل العلم كان ذلك قبل أن يجف القلم.

سابعاً: فضيلة زيد بن ثابت إذ كان من كتاب الوحي.

ثامناً: فضيلة عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه وأنه وأمثاله من أهل الأعذار شركاء المجاهدين في الأجر.

١١٦ـ حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام، أن ابن جريج أخبرهم (ح) وحدثني إسحاق، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا ابن جريج، أخبرني عبد الكريم[١]، أن مقسماً[٢] مولى عبد الله بن الحارث أخبره أن ابن عباس رضي

---

(١) هو أبو سعيد عبد الكريم بن مالك الجزري مولى بني أمية وهو الخِضرمي نسبة إلى قرية

=

ا لله عنهما أخبره: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين﴾ عن بدر والخارجون إلى بدر.

ش/ قلت: وأخرج الترمذي في كتاب التفسير من طريق الحجاج بن محمد ابن جريج أخبرني عبد الكريم أنه سمع مقسماً مولى عبد ا لله بن الحارث يحدث عن ابن عباس مثله وزاد: «لما نزلت غزوة بدر قال عبد ا لله بن جحش وابن أم مكتوم إنا أعميان يا رسول ا لله فهل لنا رخصة؟ فنزلت **﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر﴾** ـ و**﴿فضل ا لله المجاهدين على القاعدين درجة﴾**.وكذا أخرجه النسائي إلا أنه قال عبد الرحمن بن جحش بدل عبد ا لله وإسنادهما واحد وا لله أعلم.

وقد تحصل بهذا البيان ثلاثة أمور:

أحدها: موافقة الحديث نزول الآية لما قبله وانتفاء مغايرته لها.

وثانيها: مشاركة ابن جحش لابن أم مكتوم في سبب نزول الآية وهذا ممكن جداً لجواز أن الشكوى كانت أولاً من ابن أم مكتوم وثانياً من ابن جحش ثم نزلت الآية بعد ذلك.

وثالثاً: تحديد وقت نزول الآية بغزوة بدر.

من اليمامة، ثقة متقن من السادسة، مات سنة سبع وعشرين [ومائة].(ع).

(٢) هو أبو القاسم مقسم بن بجرة ويقال نجدة، مولى عبد الله بن الحارث ويقال له مولى ابن عباس للزومه له، صدوق وكان يرسل من الرابعة مات سنة إحدى ومائة وماله في البخاري سوى حديث واحد.(خ.٤).

٩٩- [باب **﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾**].

ش/ تمامها: **﴿فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً﴾**.

يتوعد جل ثناؤه وتعالى ذكره من توفتهم الملائكة وهم ظالموا أنفسهم ببقائهم بين ظهرانيّ المشركين مكثرين سوادهم على المسلمين وذلك أنه حين تقبض أرواحهم الملائكة يقولون لهم مؤنبين **﴿فيم كنتم﴾** يعني أي حال كنتم من دينكم وإيمانكم بالله ورسوله **﴿قالوا كنا مستضعفين في الأرض﴾** يعني قهرنا المشركون وغلبونا فمنعونا من نصرة دين الله واتباع رسوله، وهذه حجة واهية ومعذرة ضعيفة بل عليلة؛ لأنهم كاذبون في دعواهم تلك، فلو كانوا صادقين مع الله ورسوله لانفلتوا إلى دار أخرى يقدرون فيها على إقامة دين الله ولهذا قيل لهم **﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾** والمعنى: أليست عندكم قدرة تمكنكم من مفاصلة تلك الدار التي زعمتم أن أهلها قهروكم، والإنتقال إلى دار أخرى تأمنون فيها على دينكم وأعراضكم وهذا دليل على أن الهجرة من دار الكفر حين يفتن المرء فيها إلى دار أخرى يجد فيها الأمن والطمأنينة واجبة، وقد أمر النبي ﷺ بعض أصحابه بالهجرة إلى الحبشة مع أنها دار كفر حينذاك؛ لأنه لا يظلم فيها من جاور ملكها النجاشي وقد أسلم فيما بعد وحسن إسلامه رضي الله عنه.

وقوله **﴿فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً﴾** يعني أن الموصوفين بظلم أنفسهم حين توفى الملائكة لهم مسكنهم جهنم وهي بئس المأوى، وبئس المصير. وفي هذا دليل على أن ترك الهجرة مع القدرة عليها والرضى بالإقامة بين ظهراني

المشركين مع الذل والهوان من كبائر الذنوب.

١١٧ـ حدثنا عبد الله بن يزيد المقريء(١)، حدثنا حيوة وغيره قالا: حدثنا محمد بن عبد الرحمن أبو الأسود(٢) قال: قُطع على أهل المدينة بعث فاكتتبت فيه فلقيت عكرمة(٣) مولى ابن عباس فأخبرته فنهاني عن ذلك أشد النهي ثم قال أخبرني ابن عباس أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على عهد رسول الله ﷺ يأتي السهم فيرمى به، فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل فأنزل الله ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ الآية.

رواه الليث عن أبي الأسود.

ش/ فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله «**قطع على أهل المدينة بعث**» أي جيش من أهالي المدينة وكان ذلك البعث في خلافة عبد الله بن الزبير والغرض منه قتال أهل الشام.

الثانية: قوله «**فاكتُتِبت فيه**» بضم المثناة الأولى وكسر الثانية بعدها موحدة ساكنة على البناء للمجهول أي جُعلت جندياً ضمن ذلك البعث.

الثالثة: قوله «**إن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين**» سمى منهم في رواية أشعث بن سوار عن عكرمة عن ابن عباس قيس

---

(١) هو عبد الله بن يزيد المقري أبو عبد الرحمن المكي، أصله من البصرة أو الأهواز ثقة فاضل أقرأ القرآن نيفاً وسبعين سنة، من التاسعة مات سنة ثلاث عشرة [ومائتين] وقد قارب المائة. ع.

(٢) هو أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزي الأسدي المدني يتيم عروة، ثقة من السادسة، مات سنة بضع وثلاثين [ومائة].(ع).

(٣) هو أبو عبد الله عكرمة مولى ابن عباس، أصله بربري، ثقة ثبت عالم بالتفسير لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ولا تثبت عنه بدعة، من الثالثة مات سنة أربع ومائة وقيل بعد ذلك. ع.

بن الوليد بن المغيرة وأبا قيس بن الفاكـه بـن المغـيرة والوليـد بـن عتبـة بـن ربيعـة وعمرو بن أمية بن سفيان وعلي بن أمية بن خلف وذكر في شأنهم أنهم خرجـوا إلى بدر، فلما رأوا قلة المسلمين دخلهم شك وقالوا غرّ هؤلاء دينهم فقتلوا ببـدر. أخرجه ابن مردويه، ولابن أبي حـاتم مـن طريـق ابـن جريـج عـن عكرمـة نحوه، وذكر فيهم الحارث بن زمعة بـن الأسـود والعـاص بـن منبـه بـن الحجـاج وكـذا ذكرهما ابن إسحاق. ذكر ذلك الحافظ.

الرابعة: قوله «**يأتي السهم فيرمى به**» قال القسطلاني: بضم التحتية وفتـح الميم مبنياً للمفعول وفي نسخة «يرمى» بإسقاط الفاء، ولأبـي ذر «يدمـى» بـالدال بدل الراء.

قوله «**فيصيب أحدهم**» نصب علـى المفعوليـة «**فيقتلـه أو يضـرب فيقتـل**» بضم حرف المضارعة من الفعلـين وفتـح ثالثهمـا قـال في (الكواكـب الـدراري): وغرض عكرمة أن الله ذم من كثر سـواد المشـركين مـع أنهـم كـانوا لا يريـدون بقلوبهم موافقتهم؛ لأنهم لا يقاتلون في سبيل الله.

قلت: وفي هذا دليل على أن السلف من أئمـة الديـن يحرصـون علـى عـدم الخوض في الفتن والبعد عنها.

الخامسـة: قولـه «**فـأنزل الله تعـالى ﴿إن الذيـن توفـاهم الملائكـة ظـالمي أنفسهم﴾ الآية**» هذا هو وجه مطابقة الحديث للترجمة، وفيـه بيـان سـبب نـزول الآية.

وروى ابن جرير من طريق محمد بـن شـريك، عـن عمـرو بـن دينـار، عـن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان قوم من أهـل مكـة أسـلموا وكـانوا يسـتخفون بالإسلام فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فـأصيب بعضهـم فقـال المسـلمون كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم فنزلت **﴿إن الذين توفـاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم﴾** الآية قال: فكتب إلى من بقي بمكـة مـن

المسلمين بهذه الآية وأنه لا عذر لهم قال: فخرجوا فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة فنزلت فيهم ﴿**ومن الناس من يقول آمنا با لله فإذا أوذي في ا لله**﴾ إلى آخر الآية فكتب المسلمون إليهم بذلك فحزنوا وأيسوا من كل خير ثم نزلت فيهم ﴿**ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم**﴾ فكتبوا إليهم بذلك: إن ا لله قد جعل لكم فرجاً فخرجوا فأدركهم المشركون فقاتلوهم حتى نجا من نجا وقتل من قتل.

وقوله «**ورواه الليث عن أبي الأسود**» **قلت:** الليث هو أبو الحارث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي المصري، ثقة ثبت فقيه إمام مشهور من السابعة مات في شعبان سنة خمس وسبعين ومائة، أخرج له الجماعة.

والخبر وصله الإسماعيلي والطبراني في الأوسط من طريق أبي صالح كاتب الليث عن الليث عن أبي الأسود عن عكرمة فذكره بدون قصة أبي الأسود.حكاه الحافظ.

من فقه الحديث

١ـ وجوب مفاصلة المشركين ومعاداتهم.قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: أصل الدين وقاعدته أمران:

الأول: الأمر بعبادة ا لله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه.

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة ا لله والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه، وتكفير من فعله.

قلت: وقد غفل الدعاة إلى وحدة الأديان والمسواة بين البشرية عن هذا الأصل الأصيل والقاعدة العظيمة في الولاء والبراء مع أن دلالة النص والإجماع متضافرة عليه.

٢ـ وجوب الهجرة من دار الكفر حال الفتنة في الدين مع القدرة عليها.

١٠٠- [باب ﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً﴾].

ش/ قال ابن جرير: ثم استثنى جل ثناؤه المستضعفين الذين استضعفهم المشركون من الرجال والنساء والولدان، وهم العجزة عن الهجرة بالعسرة وقلة الحيلة وسوء البصر والمعرفة بالطريق من أرضهم، أرض الشرك إلى أرض الإسلام من القوم الذين أخبر جل ثناؤه أن مأواهم جهنم أن تكون جهنم مأواهم للعذر الذي هم فيه، على ما بينه تعالى ذكره.

١١٨- حدثنا أبو النعمان[1]، حدثنا حماد، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إلا المستضعفين﴾ قال: كانت أمي ممن عذر الله.

ش/ يعني من الذين عذرهم الله فلم يوجب عليه الهجرة؛ لأنها من المستضعفين الذين لا حول لهم ولا قوة في التخلص من المشركين والانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام.

وقد مضى الحديث ضمن الباب رقم ثلاثةٍ وتسعين.

(١) هو محمد بن الفضل السدوسي البصري، لقبه عارم، ثقة ثبت تغير في آخر عمره من صغار التاسعة، مات سنة ثلاث أو أربع وعشرين [ومائتين].(ع).

١٠١- [باب قوله ﴿**فأولئك عسى ا لله أن يعفو عنهم وكان ا لله عفواً غفوراً**﴾].

ش/ يقول جل ثناؤه مشيراً إلى من سبق ذكرهم وهم المستضعفون في الأرض مبيناً تجاوزه عنهم لعذرهم وواعداً إياهم بالمغفرة ﴿**فأولئك عسى ا لله أن يعفو عنهم**﴾ و"عسى" من ا لله واجبة؛ لأنها للإطماع ﴿**وكان ا لله عفواً غفوراً**﴾ أي يتجاوز عن خطاياهم ويسترها عليهم، وهذا دليل على أنه لولا ما بالقوم من العذر لكانت الهجرة واجبة عليهم وكانوا واقعين تحت الوعيد الذي توعد به من تركها قادراً عليها وا لله أعلم.

١١٩- حدثنا أبو نعيم، حدثنا شيبان، عن يحيى[1]، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي ا لله عنه قال: بينا النبي ﷺ يصلي العشاء إذ قال: سمع ا لله لمن حمده.ثم قال قبل أن يسجد: اللهم نج عياش بن أبي ربيعة، اللهم نج سلمة بن هشام، اللهم نج الوليد بن الوليد، اللهم نج المستضعفين من المؤمنين، اللهم أشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف.

ش / فيه ثلاث مسائل:

الأولى: النص على أن المذكورين في الحديث هم من المستضعفين المعنيين بالآية.

الثانية: قوله «**اللهم أشدد وطأتك**» قال ابن الأثير: والوطء في الأصل الدوس بالقدم فسمى به الغزو والقتل؛ لأن من يطأ على الشيء برجله فقد استقصى في هلاكه وإهانته.

قلت: والمعنى أنه ﷺ دعا على قومه وهم قريش أولاد مضر بن نزار بن

(١) هو أبو نصر يحيى بن أبي كثير الطائي مولاهم اليمامي، ثقة ثبت لكنه يرسل ويدلس، من الخامسة، مات سنة اثنتين وثلاثين [ومائة] وقيل قبل ذلك.(ع).

معد بن عدنان بشدة الأخذ في الدنيا.

الثالثة: قوله «**اللهم اجعلها سنين كسني يوسف**» يعني اجعل وطأتك على مضر سني جدب متتابعة كسني يوسف التي ذكرها الله بقوله ﴿**ثم يأتي من بعد ذلك سبع شدادٌ يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون**﴾.

من فقه الحديث:

١ـ مشروعية الدعاء للمكروب من المسلمين بالخلاص.

٢ـ جواز الدعاء على المعين في القنوت.

تنبيه

وقع في رواية ابن شهاب عند مسلم والنسائي وابن ماجه «حين يفرغ من صلاة الفجر يقول». **قلت:** لا منافاة عندي بين هذه الرواية ورواية الباب فالظاهر أن رسول الله ﷺ كان يقنت في أوقات مختلفة.

١٠٢- [باب ﴿ولا جناح عليكم إن كان بكم أذىً من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم﴾].

ش/ قلت: الآية **﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذىً من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعدّ للكافرين عذاباً مهيناً﴾**.

قوله **﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة﴾**.

قال ابن جرير: «يعني بذلك جل ثناؤه وإذا كنت في الضاربين في الأرض من أصحابك يا محمد الخائفين عدوهم أن يفتنهم فأقمت لهم الصلاة. يقول **﴿وأقمت لهم الصلاة﴾** بحدودها وركوعها وسجودها ولم تقصرها القصر الذي أبحت لهم أن يقصروها حال تلاقيهم وعدوهم، وتزاحف بعضهم على بعض من ترك إقامة حدودها وركوعها وسجودها وسائر فروضها»اهـ.

قوله **﴿فلتقم طائفة منهم معك﴾**.

قال الشوكاني: «يعني بعد أن تجعلهم طائفتين، طائفة تقف بإزاء العدو، وطائفة تقوم منهم معك في الصلاة **﴿وليأخذوا أسلحتهم﴾** أي الطائفة التي تصلي معه، وقيل الضمير راجع إلى الطائفة التي بإزاء العدو، والأول أظهر؛ لأن الطائفة القائمة بإزاء العدو لا بد أن تكون قائمة بأسلحتها، وإنما يحتاج إلى الأمر بذلك من كان في الصلاة؛ لأنه يظن أن ذلك ممنوع منه حال الصلاة فأمره الله بأن يكون آخذاً لسلاحه أي غير واضع له، وليس المراد الأخذ باليد، بل المراد أن يكونوا حاملين لسلاحهم ليتناولوه من قرب إذا احتاجوا إليه، وليكون ذلك أقطع لرجاء عدوهم من إمكان فرصته فيهم، وقد قال بإرجاع الضمير من قوله

﴿وليأخذوا أسلحتهم﴾ إلى الطائفة القائمة بإزاء العدو ابن عباس قال: لأن المصلية لا تحارب. وقال غيره: إن الضمير راجع إلى المصلية، وجوّز الزجاج والنحاس أن يكون ذلك أمراً للطائفتين جميعاً؛ لأنه أرهب للعدو، وقد أوجب أخذ السلاح في هذه الصلاة أهل الظاهر للأمر على الوجوب، وذهب أبو حنيفة إلى أن المصلين لا يحملون السلاح وأن ذلك يبطل الصلاة، وهو مدفوع بما في هذه الآية والأحاديث الصحيحة». انتهى

وقال ابن عبد البر فيما نقله عنه القرطبي: «أكثر أهل العلم يستحبون للمصلي أخذ سلاحه إذا صلى في الخوف ويحملون قوله **﴿وليأخذوا أسلحتهم﴾** على الندب؛ لأنه شيء لولا الخوف لم يجب أخذه فكان الأمر به ندباً».

قوله **﴿فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم﴾**.

قال القرطبي: «الضمير في سجدوا للطائفة المصلية فلينصرفوا، هذا على بعض الهيئات المروية. وقيل: المعنى فإذا سجدوا ركعة القضاء وهذا على هيئة سهل بن أبي حثمة، ودلت هذه الآية على أن السجود قد يعبر به عن جميع الصلاة وهو كقوله عليه السلام: إذا دخل أحدكم المسجد فليسجد سجدتين. أي فليصل ركعتين، وهو في السنة، والضمير في قوله **﴿فليكونوا﴾** يحتمل أن يكون للذين سجدوا، ويحتمل أن يكون للطائفة القائمة أولاً بإزاء العدو». اهـ

قوله **﴿ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة﴾**.

قال ابن عطية: «الآية إخبار عن معتقد القوم وتحذير من الغفلة، لئلا ينال العدو أمله. وأسلحة جمع سلاح وفي قوله تعالى **﴿ميلة واحدة﴾** بناء مبالغة أي مستأصلة لا يحتاج معها إلى ثانية».

قوله **﴿ولا جناح عليكم إن كان بكم أذىً من مطر﴾** ـ إلى قوله ـ

﴿عذاباً مهيناً﴾.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «ثم إن ا لله عذر من له عذر من مرض أو مطر أن يضع سلاحه، ولكن مع أخذ الحذر فقال: **﴿ولا جناح عليكم إن كان بكم أذىً من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن ا لله أعد للكافرين عذاباً مهيناً﴾**ومن العذاب المهين ما أمر ا لله به حزبه المؤمنين وأنصار دينه الموحدين من قتلهم وقتالهم حيثما ثقفوهم، ويأخذوهم ويحصروهم ويقعدوا كل مرصد ويحذروهم في جميع الأحوال ولا يغفلوا عنهم، خشية أن ينال الكفار بعض مطلوبهم فيهم، فلله أعظم حمد وثناء على ما منّ به على المؤمنين وأيدهم بالمعونة وتعاليمه التي لو سلكوها على وجه الكمال لم تهزم لهم راية ولم يظهر عليهم عدو في وقت من الأوقات» اهـ.

من فقه الآية:

١ـ أمر الإمام بقسم جيشه حال مواجهة العدو إلى طائفتين إحداهما تصلي معه والأخرى تقف بإزاء العدو وهذا دليل على وجوب صلاة الجماعة.

٢ـ أمر الطائفة المصلية مع الإمام بحمل أسلحتها وأخذ الحذر.

٣ـ جواز وضع الأسلحة حال التأذي لمرض أو مطر.

١٢٠ـ حدثنا محمد بن مقاتل أبو الحسن، أخبرنا حجاج، عن ابن جريج قال: أخبرني يعلى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي ا لله عنهما: ﴿إن كان بكم أذىً من مطر او كنتم مرضى﴾ قال: عبد الرحمن بن عوف كان جريحاً.

ش/ في رواية أبي ذر «وكان» بواو، كذا وقع عنده مختصراً، ومقول ابن عباس ما ذكر عن عبد الرحمن، وقوله «**كان جريحاً**» أي فنزلت الآية فيه.

وقال الكرماني: يحتمل هذا، ويحتمل أن التقدير قال ابن عباس وعبد الرحمن بن عوف يقول من كان جريحاً فحكمه كذلك.فكان عطف الجريح على

المريض إلحاقاً به على سبيل القياس، أو لأن الجرح نوع من المرض فيكون كله مقول عبد الرحمن وهو مروي عن ابن عباس.

قلت: وسياق ما أورده غير البخاري يدفع هذا الإحتمال، فقد وقع عند أبي نعيم في "المستخرج" من طريق إبراهيم بن سعيد الجوهري عن حجاج بن محمد قال: «كان عبد الرحمن بن عوف جريحاً».وهو ظاهر في أن فاعل "قال" هو ابن عباس، وأنه لا رواية لابن عباس في هذا عن عبد الرحمن. قاله الحافظ

وروى الحاكم في التفسير من المستدرك من طريق محمد بن الفرج عن حجاج عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: «﴿**إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى**﴾ قال: نزلت في عبد الرحمن بن عوف كان جريحاً» فتبين بهذا أن سبب نزول الآية ما حصل لعبد الرحمن بن عوف من الجرح.

١٠٣- [باب ﴿ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء﴾].

ش/ تمامها: **﴿اللآتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليماً﴾**.

قوله **﴿ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن﴾**.

قال ابن جرير: «يعني جل ثناؤه بقوله **﴿ويستفتونك في النساء﴾** ويسألك يا محمد أصحابك أن تفتيهم في أمر النساء، والواجب لهن وعليهن، فاكتفى بذكر النساء من ذكر شأنهن لدلالة ما ظهر من الكلام على المراد منه **﴿قل الله يفتيكم فيهن﴾** قل لهم يا محمد الله يفتيكم فيهن يعني في النساء» اهـ.

قوله **﴿وما يتلى عليكم في الكتاب﴾** ـ إلى قوله ـ **﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾**.

قال ابن سعدي: أي ويفتيكم أيضاً بما يتلى عليكم في الكتاب في شأن اليتامى من النساء **﴿اللآتي لا تؤتونهن ما كتب لهن﴾** وهذا إخبار عن الحالة الموجودة الواقعة في ذلك الوقت، فإن اليتيمة إذا كانت تحت ولاية الرجل بخسها حقها وظلمها، إما بأكل مالها الذي لها، أو بعضه ومنعها من التزوج لينتفع بمالها خوفاً من استخراجه من يده إن زوجها أو يأخذ من صهرها الذي تتزوج به بشرط أو غيره، هذا إذا كان راغباً عنها، أو يرغب فيها وهي ذات جمال ومال، ولا يقسط في مهرها، بل يعطيها دون ما تستحق، فكل هذا ظلم يدخل تحت هذا النص، ولهذا قال **﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾** أي ترغبون عن نكاحهن، أو في نكاحهن كما ذكرنا تمثيله.

قوله **﴿والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط﴾**.

قال الشوكاني: «قوله **﴿والمستضعفين من الولدان﴾** معطوف على يتامى

النساء أي وما يتلى عليكم في يتامى النساء وفي المستضعفين من الولدان وهو قوله تعالى ﴿**يوصيكم الله في أولادكم**﴾ وقد كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا من كان مستضعفاً من الولدان كما سلف، وإنما يورثون الرجال القائمين بالقتال وسائر الأمور».

قوله ﴿**وأن تقوموا لليتامى بالقسط**﴾ معطوف على قوله ﴿**في يتامى النساء**﴾ كالمستضعفين أي وما يتلى عليكم في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي أن تقوموا لليتامى بالقسط أي العدل، ويجوز أن يكون في محل نصب أي يأمركم أن تقوموا.

قوله ﴿**وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليماً**﴾.

قال ابن سعدي: «﴿**وما تفعلوا من خير**﴾ لليتامى ولغيرهم سواء كان الخير متعدياً أو لازماً ﴿**فإن الله كان به عليماً**﴾ أي قد أحاط علمه بعمل العاملين للخير قلةً وكثرةً حسناً وضده، فيجازي كلاً بحسب عمله».

من فقه الآية:

أولاً: وجوب العدل في اليتيمة والرفق بها، وذلك بإيفائها حقوقها.

ثانياً: يحرم على ولي اليتيمة منعها من الزواج من غيره.

ثالثاً: الحث على فعل الخير وبذل الإحسان فيمن يستحقه.

١٢١ـ حدثنا عبيد بن إسماعيل[١]، حدثنا أبو أسامة، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها: ﴿ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾ قالت: هو الرجل تكون عنده اليتيمة، هو وليها ووارثها فأشركته في ماله حتى في العذق فيرغب

---

(١) هو عبيد بن إسماعيل القرشي الهبّاري ويقال اسمه عبيد الله، ثقة، من العاشرة، مات سنة خمسين [ومائتين].(خ).

أن ينكحها ويكره أن يزوجها رجلاً فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها فنزلت هذه الآية.

ش/ قوله «**فنزلت هذه الآية**» تقدم الحديث برقم خمس وتسعين برواية ابن شهاب عن عروة عن عائشة وفيه «قالت عائشة: وإن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فأنزل الله ﴿**ويستفتونك في النساء**﴾ قالت عائشة: وقول الله تعالى في آية أخرى ﴿**وترغبون أن تنكحوهن**﴾ رغبة أحدكم عن يتيمته، حيث تكون قليلة المال والجمال. قالت: فنهوا عمن رغبوا في ماله وجماله في يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال والجمال.

قلت: فاتضح بهذا التفسير من رواية عائشة رضي الله عنها المراد بقوله في حديث الباب: فنزلت هذه الآية.

١٠٤- [باب ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً﴾].

ش/ تمامها: **﴿فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾.**

قوله **﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً﴾ - إلى قوله - ﴿والصلح خير﴾.**

قال ابن جرير: يعني بذلك جل ثناؤه: **﴿وإن امرأة خافت من بعلها﴾** يقول علمت من زوجها **﴿نشوزاً﴾** يعني استعلاء بنفسه عنها إلى غيرها أثرة عليها، وارتفاعاً بها عنها، إما لبغضه وإما لكراهة منه بعض أشياء بها، إما دمامتها، وإما سنها وكبرها، أو غير ذلك من أمورها **﴿أو إعراضاً﴾** يعني انصرافاً عنها بوجهه، أو ببعض منافعه التي كانت لها منه **﴿فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً﴾** يقول: فلا حرج عليهما يعني على المرأة الخائفة نشوز بعلها أو إعراضه عنها، أن يصلحا بينهما صلحاً وهو أن تترك له يومها، أو تضع عنه بعض الواجب لها من حق عليه تستعطفه بذلك، وتستديم المقام في حباله، والتمسك بالعقد الذي بينها وبينه من النكاح يقول **﴿والصلح خير﴾** يعني والصلح بترك بعض الحق استدامة للحرمة، وتماسكاً بعقد النكاح، خير من طلب الفرقة والطلاق.

قوله **﴿وأحضرت الأنفس الشح﴾.**

قال الشوكاني: «إخبار منه سبحانه بأن الشح في كل واحد منهما بل في كل الأنفس الإنسانية كائن، وأنه جعل كأنه حاضر لها لا يغيب عنها بحال من الأحوال، وأن ذلك بحكم الجبلة والطبيعة، فالرجل يشح بما يلزمه للمرأة من حسن العشرة وحسن النفقة ونحوها. والمرأة تشح على الرجل بحقوقها اللازمة للزوج فلا تترك له شيئاً منها، وشح الأنفس بخلها بما يلزمها أو يحسن فعله بوجه من الوجوه، ومنه **﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾**» .انتهى

قوله ﴿**وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً**﴾.

قال البغوي: «أي تصلحوا وتتقوا الجور، وقيل هذا خطاب مع الأزواج أي وإن تحسنوا بالإقامة معها على الكراهة وتتقوا ظلمها ﴿**فإن الله كان بما تعملون خبيراً**﴾ فيجزيكم بأعمالكم».

وقال ابن سعدي: «أي تحسنوا في عبادة الخالق، بأن يعبد العبد ربه كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه، وتحسنوا إلى المخلوقين بجميع طرق الإحسان، من نفع بمال أو علم، أو جاه، أو غير ذلك ﴿**وتتقوا**﴾ الله بفعل جميع المأمورات، وترك جميع المحظورات، أو تحسنوا بفعل المأمور، وتتقوا بترك المحظور ﴿**فإن الله كان بما تعملون خبيراً**﴾ قد أحاط به علماً وخبراً، وبظاهره وباطنه، فيحفظه لكم ويجازيكم عليه أتم الجزاء» اهـ.

من فقه الآية:

أولاً: يجوز للمرأة التنازل عن حقوقها على زوجها في سبيل استدامة النكاح، وأنه لا حرج عليهما في ذلك.

ثانياً: الإرشاد إلى الصلح في المعاملات وأنه خير، ويجب أن يكون ذلك مقيداً بما لم يحل حراماً أو يحرم حلالاً.

ثالثاً: الأمر بالتقوى والإحسان، وهذا الأمر شامل للعبادات والمعاملات.

شرح جملة من الكلمات:

١- [**وقال ابن عباس: ﴿شقاق﴾ تفاسد**].

ش/ أخرجه ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس بلفظ: «هذا الرجل والمرأة إذا تفاسدا الذي بينهما».

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: ﴿**وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها**﴾ الآية.

٢- [﴿وأحضرت الأنفس الشح﴾ هواه في الشيء يحرص عليه].

ش/ أخرجه ابن أبي حاتم بالإسناد السابق عن ابن عباس وقد مضى شرحه في آية الترجمة.

٣- [﴿كالمعلقة﴾ لا هي أيم، ولا ذات زوج].

ش/ رواه ابن جرير من طريق عبد الله بن صالح، عن معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

ورواه ابن أبي حاتم بسنده بلفظ: «لا مطلقة ولا ذات بعل».

قلت: والآية المشار إليها هي قوله تعالى: **﴿فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة﴾**.

٤- [﴿نشوزاً﴾ بغضا]ً.

ش/ أخرجه ابن أبي حاتم ثنا أبي، عن أبي صالح كاتب الليث، ثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس فذكره.

١٢٢- حدثنا محمد بن مقاتل، أخبرنا عبد الله، أخبرنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً﴾ قالت: الرجل تكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها يريد ان يفارقها فتقول: أجعلك من شأني في حل، فنزلت هذه الآية في ذلك.

ش/ فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله «**الرجل**» كذا في جميع الطرق عند المصنف إلا في النكاح باب **﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً﴾** «هي المرأة تكون عند الرجل» وهو موافق لآية الباب في إفادة التعميم.

الثانية: قوله «**تكون عنده المرأة**» أي في حباله وعصمته و"كان" ها هنا تامة بمعنى توجد.

الثالثة: قوله «**ليس بمستكثر منها فيريد فراقها**» وفي الصلح باب **﴿أن**

يصلحا بينهما صلحاً﴾ من رواية سفيان «هو الرجل يرى من امرأته ما لا يعجبه كِبراً أو غيره فيريد فراقها» والمعنى أنه ليس بمستكثر منها في المحبة والمعاشرة والملازمة.

الرابعة: قوله «**فتقول أجعلك من شأني في حل**» وفي النكاح من رواية أبي معاوية «تقول له أمسكني ولا تطلقني ثم تزوج غيري فأنت في حل من النفقة عليّ والقسمة لي».

الخامسة: قوله «**فنزلت هذه الآية في ذلك**» زاد أبو الوقت وأبو ذر عن الحموي «**﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً﴾ الآية**».

«**في ذلك**» «فإذا تصالح الزوجان على أن تطيب له نفساً في القسمة أو عن بعضها **﴿فلا جناح عليهما﴾**».قاله القسطلاني.

قلت: وروى الترمذي في تفسير الآية من طريق سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: «خشيت سودة أن يطلقها رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله لا تطلقني، واجعل يومي لعائشة.ففعل، ونزلت هذه الآية.وقال حسن غريب.

قال الحافظ: «وله شاهد في الصحيحين من حديث عائشة بدون ذكر نزول الآية».انتهى

قلت: وأخرج قصة سودة بلفظ الترمذي ابن جرير فقال: حدثنا عمرو بن علي، وزيد بن أخرم قالا: ثنا أبو داود قال: ثنا سلمان بن معاذ، عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس فذكره.

قلت: والتنصيص على قصة سودة لا ينافي ما أفاده حديث الباب من العموم؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

١٠٥- [باب ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾].

ش/ تمامها: ﴿ولن تجد لهم نصيراً﴾.

قال ابن جرير: «يعني جل ثناؤه بقوله **﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾** إن المنافقين في الطبق الأسفل من أطباق جهنم، وكل طبق من أطباق جهنم درك، وفيه لغتان: درَك بفتح الراء، ودرْك بتسكينها فمن فتح الراء جمعه في القلة أدرك، وإن شاء جمعه في الكثرة الدروك، ومن سكن الراء قال: ثلاثة أدرك، وللكثير الدروك، وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة **﴿في الدرَك﴾** بفتح الراء، وقرأته عامة قراء الكوفة بتسكين الراء وهما قراءتان معروفتان فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، لاتفاق معنى ذلك، واستفاضة القراءة بكل واحد منهما في قراءة الإسلام، غير أني رأيت أهل العلم بالعربية يذكرون أن فتح الراء منه في العرب أشهر من تسكينها، وحكوا سماعاً منهم "اعطني دركاً أصل به حبلي" وذلك إذا سأل ما يصل به حبله الذي قد عجز عن بلوغ الركية - إلى أن قال - وأما قوله **﴿ولن تجد لهم نصيراً﴾** فإنه يعني فلن تجد لهؤلاء المنافقين يا محمد من الله إذا جعلهم في الدرك الأسفل من النار ناصراً ينصرهم منه، فينقذهم من عذابه، ويدفع عنهم أليم عقابه»اهـ.

قال مقيده أصلح الله حاله ومآله: واعلم أن من توعدهم الله بهذا الوعيد في الاية هم أهل النفاق الإعتقادي الذي هو إظهار الإسلام وإبطان الكفر، وأولئك كفار بنص الكتاب الكريم قال تعالى **﴿ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾** وقال جل ثناؤه **﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾**، ومن أنواع هذا النفاق بغض النبي ﷺ أو بغض ما جاء به ﷺ كراهية انتصار دين الإسلام والمسرة بانخفاضه.

من فقه الآية:

إذا وصلت الآية السابقة بما بعدها وهي قوله ﴿**إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا با لله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت ا لله المؤمنين أجراً عظيماً**﴾ ظهر لك جلياً أنه لا خلاص لأهل النفاق من الوعيد الذي تضمنته الآية إلا بالتوبة النصوح، واعلم أن التوبة النصوح لها شروط لا تصح إلا بتوفرها قد دل عليها الكتاب والسنة وهي:

الأول: الإسلام ظاهراً وباطناً.

ثانياً: الإخلاص.

ثالثاً: أن يكون قبل حلول الأجل، والأجل أجلان أحدهما غرغرة الروح في الحلقوم، والآخر طلوع الشمس من مغربها.

رابعاً: العزم على عدم العودة إلى الذنب.

خامساً: الإقلاع عن الذنب بالكلية وتمام ذلك أن يهجر الأسباب الموصلة إليه.

سادساً: الندم على ما فرط في جنب ا لله.

وتزيد التوبة من حقوق العباد شرطاً سابعاً وهو التخلص من المظالم.

شرح جملة من الكلمات:

[١- وقال ابن عباس: أسفل النار]

ش/ رواه ابن أبي حاتم وابن جرير موصولاً من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس بلفظ: «يعني في أسفل النار».

[٢- ﴿نفقاً﴾ سرباً].

ش/ أخرجه ابن أبي حاتم بإسناده عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس بلفظ «سرباً في الأرض» والنفق الطريق النافذ والسرب في الأرض النافذ فيه قال

﴿**فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض**﴾ ومنه نافقاء اليربوع وقد نافق اليربوع ونفق، ومنه النفاق وهو الدخول في الشرع من باب والخروج عنه من باب، وعلى ذلك نبّه بقوله ﴿**إن المنافقين هم الفاسقون**﴾ أي الخارجون من الشرع، وجعل الله المنافقين شراً من الكافرين فقال: ﴿**إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار**﴾ قاله الراغب.

ويشير أبو عبد الله إلى قوله تعالى من سورة الأنعام ﴿**وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية**﴾.

قال الحافظ: «ولعل مناسبة ذكرها هنا للإشارة إلى اشتقاق النفاق؛ لأن النفاق إظهار غير ما يبطن. كذا وجهه الكرماني، وليس ببعيد مما قالوه في اشتقاق النفاق أنه من النافقاء وهو جحر اليربوع.

وقيل: هو من النفق وهو السرب حكاه في النهاية».

١٢٣- حدثنا عمر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش قال: حدثني إبراهيم، عن الأسود[١] قال: كنا في حلقة عبد الله فجاء حذيفة حتى قام علينا فسلم ثم قال: لقد أُنزل النفاق على قوم خير منكم قال الأسود: سبحان الله إن الله يقول ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ فتبسم عبد الله وجلس حذيفة في ناحية المسجد فقام عبد الله فتفرق أصحابه فرماني بالحصا فأتيته فقال حذيفة: عجبت من ضحكه وقد عرف ما قلت لقد أنزل النفاق على قوم كانوا خيراً منكم تابوا فتاب الله عليهم.

ش/ فيه خمس مسائل

(١) هو أبو عمرو أو أبو عبد الرحمن الأسودبن يزيد بن قيس النخعي مخضرم، ثقة مكثر فقيه، من الثانية، مات سنة أربع أو خمس وسبعين (ع).

الأولى: قوله «**لقد أُنزل النفاق على قوم خير منكم**» أي ابتلوا به؛ لأنهم كانوا من طبقة الصحابة فهم خير من طبقة التابعين؛ لكن الله ابتلاهم فارتدوا ونافقوا فذهبت الخيريه منهم، ومنهم من تاب فعادت له الخيرية، فكأن حذيفة حذر الذين خاطبهم وأشار لهم أن لا يغتروا فإن القلوب تتقلب. حذرهم من الخروج من الإيمان؛ لأن الأعمال بالخاتمة، وبين لهم أنهم وإن كانوا في غاية الوثوق بإيمانهم فلا ينبغي لهم أن يأمنوا مكر الله فإن الطبقة الذين من قبلهم وهم الصحابة كانوا خيراً منهم ومع ذلك وجد بينهم من ارتد ونافق، فالطبقة التي هي من بعدهم أمكن من الوقوع في مثل ذلك.

الثانية: قوله «**فتبسم عبد الله**» كأنه تبسم تعجباً من صدق مقالته. وعبد الله هو ابن مسعود.

الثالثة: قوله «**فرماني**» أي حذيفة رمى الأسود يستدعيه إليه.

الرابعة: قوله «**عجبت من ضحكه**» أي من اقتصاره على ذلك وقد عرف ما قلت أي فهم مرادي وعرف أنه الحق.

الخامسة: قوله «**ثم تابوا فتاب الله عليهم**» أي رجعوا عن النفاق ويستفاد من حديث حذيفة أن الكفر والإيمان والإخلاص والنفاق كل بخلق الله تعالى وتقديره وإرادته. انتهى محل الغرض منقولاً من الحافظ بشيء من التصرف.

١٠٦- [باب **﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح﴾**]

ش/ تمامها: **﴿والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب وهارون وسليمان وآتينا داود زابوراً﴾**.

قال ابن جرير: «يعني جل ثناؤه بقوله **﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح﴾** إنا أرسلنا إليك يا محمد بالنبوة كما أرسلنا إلى نوح وإلى سائر الأنبياء الذين سميتهم لك من بعده، والذين لم أسمهم لك»

قلت: والوحي في اللغة: الإعلام الخفي، وشرعاً: كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه.

قوله **﴿وآتينا داود زابوراً﴾**.

قال الشيخ ابن سعدي: ولما ذكر اشتراكهم بوحيه ذكر تخصيص بعضهم فذكر أنه أتى داود الزبور، وهو الكتاب المعروف المزبور الذي خص الله به داود عليه السلام لفضله وشرفه.

من فقه الآية

أولاً: إثبات نبوة من سمى الله فيها.

ثانياً: أن أول الرسل هو نوح كما أن آخرهم هو محمد على الجميع الصلاة والسلام.

١٢٤- حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن سفيان قال: حدثني الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «ما ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى».

١٢٥- حدثنا محمد بن سنان، حدثنا فليح، حدثنا هلال، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب».

ش/ فيهما أربع مسائل

الأولى: قوله «**ما ينبغي لأحد**» أي لا يحق ولا يصلح.

الثانية: قوله «**أنا خير من يونس**» في رواية أبي نعيم في الأنبياء باب **﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾** «لا يقولن أحدكم إني خير من يونس» **قلت:** فاتفقت الروايتان على أن مراده ﷺ النهي عن تفضيله على يونس عليهما جميعاً الصلاة والسلام.

الثالثة: قوله «**ابن متى**» **قلت:** وقع عند المصنف في الأنبياء باب قوله تعالى **﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾** عن ابن عباس رضي الله عنهما: «ما ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس بن متى.ونسبه إلى أبيه». **قلت:** وهذا رد على من قال إن متى اسم لأم يونس.

الرابعة: قوله «**فقد كذب**» يعني إذا قال أن محمداً ﷺ خير من يونس عليه السلام من غير توقيف، والحديثان كما ترى نص صريح في أمرين:

أحدهما: ثبوت نبوة يونس ﷺ وهذا قد تظاهر عليه صريح الكتاب ومتواتر السنة الصحيحة وإجماع المسلمين.

ثانيهما: النهي عن تفضيل نبينا ﷺ على يونس ﷺ، ومقتضى النهي التحريم، ويشكل عليه ما تواتر به الخبر القاطع بأن نبينا ﷺ هو أفضل الخليقة، فما الذي يزيل هذا الإشكال **فالجواب:**

قال العلماء: «إنما قال ﷺ ذلك تواضعاً إن كان قاله بعد أن أُعلم أنه أفضل الخلق، وإن كان قاله قبل علمه بذلك فلا إشكال، وقيل: خص يونس بالذكر لما يخشى على من سمع قصته أن يقع في نفسه تنقيص له فبالغ في ذكر فضله لسد هذه الذريعة».حكاه الحافظ (٦/٤٥٢).

وسيأتي الحديثان في تفسير سورة الأنعام ضمن الباب السابع والعشرين بعد المئة والباب الحادي والتسعين بعد المائتين في سورة الصافات.

١٠٧- [باب ﴿**يستفتونك قل ا لله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد**﴾].

ش/ تمامها: ﴿**فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين ا لله لكم أن تضلوا وا لله بكل شيء عليم**﴾.

قوله ﴿**يستفتونك قل ا لله يفتيكم في الكلالة**﴾ يخبر حل وعلا بأن الناس يسألون نبيهم ﷺ عن الكلالة، وحذف المفعول لدلالة ما بعده عليه.

قوله ﴿**قل ا لله يفتيكم في الكلالة**﴾ أي يخبركم ويبين لكم الحق في أمر الكلالة، يعني ميراثها. والكلالة من يموت وليس له ولد ولا والد.

قوله ﴿**إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت**﴾ - إلى قوله - ﴿**وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين**﴾ هذا بيان لكيفية قسمة ميراث من مات ولم يترك ولداً ولا والد، وإنما ترك إخوة إما أشقاء وإما لأب، وأن ميراثهم كما يلي:

أولاً: للأخت النصف.

ثانياً: إذا كان الميت امرأة فيرثها أخوها.

ثالثاً: إذا كان الوارث نساءً إثنتين فأكثر فميراثهما الثلثان.

رابعاً: إذا كان الورثة إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين، سهمان للذكر وسهم للأنثى.

قوله ﴿**يبين ا لله لكم أن تضلوا وا لله بكل شيء عليم**﴾.

قال الشوكاني: «أي يبين لكم حكم الكلالة وسائر الأحكام كراهة أن تضلوا، هكذا حكاه القرطبي عن البصريين، وقال الكسائي: المعنى لئلا تضلوا، ووافقه الفراء وغيره من الكوفيين ﴿**وا لله بكل شيء**﴾ من الأشياء التي هذه الأشياء المذكورة منها ﴿**عليم**﴾ أي كثير العلم» اهـ.

من فقه الآية

١ـ لا مجال في قسمة المواريث للاجتهاد بل مردها إلى الله وإلى رسوله ﷺ.

٢ـ لطف الله بعباده بتشريع ما فيه هدايتهم من الأحكام.

٣ـ سعة علم الله عز وجل وشموله لما فيه صلاح العباد والبلاد في العاجل والآجل.

قوله «**والكلالة: من لم يرثه أب أو ابن وهو مصدر من تكلله النسب**».

ش/ قلت: هو بمعنى ما قاله أبو عبيدة وإن كان مختصراً.وقال ابن عباس: الكلالة من لا ولد له ولا والد. أخرجه ابن جرير عنه في قول جماعة من أهل العلم منهم أبو بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما في تفسير الآية الثانية عشر من هذه السورة.

١٢٦ـ حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق سمعت البراء رضي الله عنه قال: آخر سورة نزلت براءة، وآخر آية نزلت ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾.

ش/ فيه مسألتان

الأولى: قوله «**آخر سورة نزلت براءة وآخر آية نزلت ﴿يستفتونك﴾**» تقدم شرح هذه المسألة ضمن الباب الخامس والخمسين في تفسير سورة البقرة.

الثانية: قوله «**قل الله يفتيكم في الكلالة**» مضى شرحه قريباً وفيه دليل على إسناد هذا الفعل إلى الله تعالى، ومعنى الإفتاء هو البيان والإخبار.يقال: أفتاه في الأمر يفتيه إذا أبانه له،ومعناه عند الأصوليين:الإخبار بالحكم من غير إلزام.

وسيأتي الحديث في تفسير سورة براءة ضمن الباب التاسع والأربعين بعد المائة.

آخر تفسير سورة النساء والحمد لله، وتم بذلك الجزء الأول ويليه الجزء الثاني وأوله تفسير سورة المائدة.

إمداد القاري

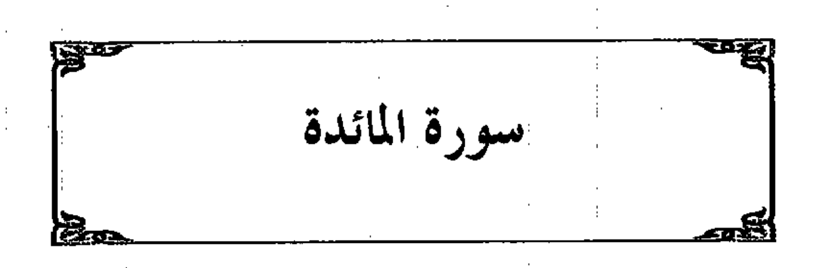
بشرح كتاب التفسير من

صحيح البخاري

تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري
المدرس بالجامعة الإسلامية سابقاً

الجزء الثاني

مكتبة الفرقان



سورة المائدة

١٠٨- [باب تفسير سورة المائدة]

ش: وشاهد التسمية قوله تعالى: **﴿إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾**.

وقد روى الترمذي عن عبد الله بن عمرو قال: «آخر سورة أنزلت سورة المائدة والفتح».ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وروى الحاكم في مستدركه عن جبير بن نفير قال: «حججت فدخلت على عائشة فقالت لي: يا جبير تقرأ المائدة؟ فقلت: نعم. فقالت: أما إنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم من حرام فحرموه».ثم قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

وآياتها عشرون ومائة.وحكى القرطبي الإجماع على أنها مدنية.وحكى ابن العربي عن أبي ميسرة قال: في المائدة ثماني عشرة فريضة.

وقال غيره: فيها يا أيها الذين آمنوا في ستة عشر موضعا.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [**﴿حرم﴾ واحدها حرام**].

ش: هو تفسير أبي عبيدة وأنشد:

«**فقلت لها فيئي إليك فإنني حرام وإني بعد ذاك لبيب**»

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين ءامنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محل الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد﴾**.

٢- [**﴿فبما نقضهم﴾ بنقضهم**].

ش: قاله أبو عبيدة: «وزاد: والعرب تستعمل "ما" في كلامها توكيداً وإن كان الذي قبلها يجر جررت الاسم الذي قبلها، وإن كان مرفوعا رفعت الاسم، وإن كان منصوباً نصبت الاسم كقولهم: ليت من العشب خوصه»اهـ

قلت: والإشارة بهذه الكلمة إلى قوله: **﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حضاً مما ذكروا به﴾ الآية.**

٣- [**﴿التي كتب الله﴾ جعل الله**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: لكم وقضاه.

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: **﴿وإذ قال موسى يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين﴾**.

٤- [**﴿تبوء﴾ تحمل**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: إثمي وتفوز به، وله موضع آخر أن تقر به، تقول: بؤت بذنبي، ويقال: قد أبأت الرجل بالرجل أي قتلته، وقد أبأ فلان بفلان إذا قتله بقتيل.قال عمرو بن حني التغلبي:

«**ألا تستحي منا ملوك وتتقي محارمنا لا يباء الدم بالدم**

ولا يباء الدم بالدم سواء في معناها، ويقال: أبأت بهذا المنزل أي نزلت»اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿**إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين**﴾.

٥- [﴿**دائرة**﴾ **دولة**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «والدوائر قد تدور وهي الدولة، والدوائل تدول، ويديل الله منه».اهـ

والآية المشار إليها: ﴿**فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة**﴾ **الآية**.

٦- [**وقال غيره: الإغراء التسليط**].

ش: قلت: لم يتبين لنا من المراد به ولعله أراد غير صاحب التفسير السابق وهو أبو عبيدة. ولم أجده بهذا اللفظ عن أحد.

وأخرج ابن جرير عن إبراهيم النخعي قال: «هذه الأهواء المختلفة، والتباغض فهو الإغراء».

وتفسير الإغراء بالتسليط يلازم معنى الإغراء؛ لأن حقيقة الإغراء كما قال أبو عبيدة (١/١٥٩): «التهييج والإفساد».

والآية المشار إليها: ﴿**فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة**﴾.

٧- [﴿**أجورهن**﴾ **مهورهن**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس.

والآية المشار إليها: ﴿**والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن**﴾.

٨- [**قال سفيان: ما في القرآن آية أشدُّ عليّ من** ﴿**لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم**﴾].

ش: يعني أن من لم يعمل بما أنزل الله في كتابه فليس على شيء ومقتضاه أن من أخل ببعض الفرائض فقد أخل بالجميع؛ ولأجل ذلك أطلق كونها أشد من غيرها، ويحتمل أن يكون هذا مما كان على أهل الكتاب من الإصر. قاله الحافظ.

قلت: وسفيان هو سفيان بن سعيد الثوري.

٩- [﴿من أحياها﴾ : يعني من حرم قتلها إلا بحق، حيي الناس منه جميعاً].

ش: قاله ابن عباس كما أخرجه عنه ابن جرير.

والآية المشار إليها هي قوله: **﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾.**

١٠- [﴿شرعة ومنهاجاً﴾ سبيلاً وسنة].

ش: قاله ابن عباس كما أخرجه عنه ابن جرير وقال أبو عبيدة: «**﴿شرعة﴾** أي سنة، **﴿ومنهاجا﴾** سبيلا واضحاً.وقال:

من يك ذا شكٍ فهذا فلج ماءٌ رواء وطريق نهج» اهـ

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: **﴿فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾.**

١١- [﴿المهيمن﴾ الأمين، القرآن أمينٌ على كل كتابٍ قبله].

ش: قاله ابن عباس كما أخرجه عنه ابن جرير من طريق المثنى، عن عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس فذكره.

وأخرج عن سعيد بن جبير والحسن نحوه.وهو **أحد** أربعة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: بمعنى الشهيد وهو قول السدي وقتادة ومجاهد وهو الرواية الثانية

عن ابن عباس.

وثالثها: بمعنى المصدق وبه قال ابن زيد.

ورابعها: أنه محمد ﷺ مؤتمن على القرآن وبه قال مجاهد في الرواية الثانية.

قلت: ولا اختلاف عندي بين الثلاثة الأولى وأما القول الرابع فليس ظاهراً من السياق والله أعلم.

والآية المشار إليها: ﴿**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه**﴾.

١٠٩ـ [باب ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾].

ش: قلت: الآية ﴿**حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم**﴾.

قوله: ﴿**حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير**﴾.

قال ابن سعدي: «واعلم أن الله تبارك وتعالى، لا يحرم ما يحرم إلا صيانة لعباده، وحماية لهم من الضرر الموجود في المحرمات، وقد يبين للعباد ذلك، وقد لا يبين، فأخبر أنه حرم «الميتة»، والمراد بالميتة ما فقدت حياته بغير ذكاة شرعية، فإنها تحرم لضررها، وهو احتقان الدم في جوفها ولحمها، المضر بآكلها، وكثيراً ما تموت بعلة تكون سبباً لهلاكها، فتضر بالآكل ويستثنى من ذلك ميتة الجراد، والسمك فإنه حلال.

قلت: لحديث: «أحل لنا ميتتان ودمان، أما الميتتان فالسمك والجراد».«والدم» أي المسفوح كما قيد في الآية الأخرى.**قلت**: وهي قوله تعالى من سورة الأنعام: ﴿**قل لا أجد فيما أوحي إليّ محرم على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً**﴾.﴿**ولحم الخنزير**﴾ وذلك شامل جميع أجزائه، وإنما نص عليه من بين سائر الخبائث من السباع؛ لأن طائفة من أهل الكتاب من النصارى يزعمون أن الله أحله لهم أي فلا تغتروا بهم، بل هو محرم من جملة الخبائث»اهـ.

قوله: ﴿**وما أهل لغير الله به**﴾.

قال ابن جرير: «فإنه يعني وما ذكر عليه غير اسم الله وأصله من استهلال

الصبي وذلك إذا صاح حين يسقط من بطن أمه، ومنه إهلال المحرم بالحج إذا لبى به ومنه قول ابن أحمر:

يُهل بالفرقد رُكبانها كما يُهل الراكب المعتمر

وإنما عنى بقوله ﴿**وما أهل لغير الله به**﴾ وما ذبح للآلهة وللأوثان يسمى عليه غير اسم الله». اهـ

قوله ﴿**والمنخنقة والموقوذة - إلى قوله - إلا ما ذكيتم**﴾.

قال الشوكاني: «﴿**والمنخنقة**﴾: هي التي تموت بالخنق، وهو حبس النفس سواء كان ذلك بفعلها كأن تدخل رأسها في حبل أو بين عودين، أو بفعل آدمي أو غيره. وقد كان أهل الجاهلية يخنقون الشاة فإذا ماتت أكلوها.

﴿**والموقوذة**﴾: هي التي تضرب بحجر أو عصا حتى تموت من غير تذكية، يقال: وقذه يقذه وقذاً فهو وقيذ. والوقذ شدة الضرب. وفلان وقيذ أي مثخن ضرباً. - **قلت**: ومن الوقذ ما يعرف اليوم بالذبح عن طريق الصعق الكهربائي في أوروبا، وأمريكا -.

وقوله ﴿**والمتردية**﴾: هي التي تتردى من علو إلى أسفل فتموت من غير فرق بين أن تتردى من جبل أو بئر أو مدفن أو غيرها والتردي مأخوذ من الردى وهو الهلاك وسواء تردت بنفسها أو ردّاها غيرها.

قوله ﴿**والنطيحة**﴾: هي فعيلة بمعنى مفعولة وهي التي تنطحها أخرى فتموت من دون تذكية.

قوله ﴿**وما أكل السبع**﴾: أي ما افترسه ذو ناب كالأسد والنمر والذئب والضبع ونحوها، والمراد هنا ما أكل منه السبع؛ لأن ما أكله السبع كله قد فنى.

قوله ﴿**إلا ما ذكيتم**﴾: في محل نصب على الاستثناء المتصل عند الجمهور، وهو راجع على ما أدركت ذكاته من المذكورات سابقاً، وفيه حياة. وأصل الذكاة في اللغة التمام أي تمام استكمال القوة، والمراد هنا: ما أدركتم ذكاته على

التمام.والتذكية في الشرع عبارة عن انهيار الدم وفري الأوداج في المذبوح والنحر في المنحور والعقر في غير المقدور، مقرونا بالقصد لله فذكر اسمه عليه». انتهى محل الغرض.

قوله ﴿**وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق**﴾.

قال ابن كثير: «قال مجاهد وابن جريج: كانت النصب حجارة حول الكعبة، قال ابن جريج: وهي ثلاثمائة وستون نصباً.وكذا ذكره غير واحد، فنهى الله المؤمنين عن هذا الصنيع وحرّم عليهم أكل هذه الذبائح التي ذبحت عند النصب حتى لو كان يذكر عليها اسم الله في الذبح عند النصب[1] من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، وينبغي أن يحمل هذا على هذا؛ لأنه قد تقدم تحريم ما أهل به لغير الله.

وقوله:﴿**وأن تستقسموا بالأزلام**﴾ أي حرم عليكم أيها المؤمنون الاستقسام بالأزلام واحدها زِلم وقد تفتح الزاي فيقال زَلم، وقد كانت العرب في جاهليتها يتعاطون ذلك وهي عبارة عن قداح ثلاثة مكتوب على أحدها افعل وعلى الآخر لا تفعل، والثالث غفل ليس عليه شيء.

قوله ﴿**ذلكم فسق**﴾ أي تعاطيه فسق وغي، وضلالة، وجهالة، وشرك، وقد أمر الله المؤمنين إذا ترددوا في أمورهم أن يستخيروه بأن يعبدوه ثم يسألوه الخير في الأمر الذي يريدونه». انتهى محل الغرض.

وقوله ﴿**اليوم يئس الذين كفروا من دينكم**﴾.

قال البغوي: «يعني أن ترجعوا إلى دينهم كفاراً، وذلك أن الكفار كانوا يطمعون في عود المسلمين إلى دينهم فلما قوي الإسلام أيسوا، ويئس وأيس بمعنى واحد»اهـ.

---

(١) قلت: كذا في الأصل ولعلها ((فإنه من الشرك الذي حرمه الله ورسوله)).

قوله: «﴿**فلا تخشوهم واخشون**﴾» أي لا تخافوهم وخافوني فإني أنا القادر على نصركم ».قاله القرطبي.

قوله «﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾» .

قال ابن سعدي: «اليوم أكملت لكم دينكم بتمام النصر وتكميل الشرائع الظاهرة والباطنة الأصول والفروع، ولهذا كان الكتاب والسنة كافيين كل الكفاية في أحكام الدين وأصوله وفروعه، فكل متكلف يزعم أنه لا بد للناس في معرفة عقائدهم وأحكامهم إلى علوم غير علم الكتاب والسنة، من علم الكلام وغيره فهو جاهل مبطل في دعواه قد زعم أن الدين لا يكمل إلا بما قاله ودعا إليه، وهذا أعظم الظلم والتجهيل لله ولرسوله.

﴿**وأتممت عليكم نعمتي**﴾ الظاهرة والباطنة ﴿**ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ أي اخترته واصطفيته لكم ديناً كما ارتضيتكم له فقوموا به شكراً لربكم، واحمدوا الذي منّ عليكم بأفضل الأديان وأشرفها وأكملها».اهـ

قوله ﴿**فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم**﴾.

قال القنوجي: «أي من دعته الضرورة في مخمصة أي مجاعة إلى أكل الميتة وما بعدها من المحرمات، والخمص ضمور البطن، ورجل خميص وخمصان، وامرأة خميصة، ومنه أخمص القدم لدقتها وهي صفة محمودة في النساء ويستعمل كثيراً في الجوع، ووقعت هذه الآية هنا وفي البقرة والأنعام والنحل ولم يذكر جواب الشرط إلا في البقرة فيقدر في غيرها وهو: فلا إثم عليه.

﴿**غير متجانف لإثم**﴾ الجنف الميل والإثم الحرام.أي حال كون المضطر في مخمصة غير مائل لإثم وهو بمعنى غير باغ ولا عاد، وكل مائل فهو متجانف وجنف ﴿**فإن الله غفور**﴾ له ﴿**رحيم**﴾ به لا يؤاخذه بما ألجأته إليه الضرورة في الجوع مع عدم ميله بأكل ما حرم عليه إلى الإثم، بأن يكون باغياً على غيره

متعدياً لما دعت إليه الضرورة حسبما تقدم».اهـ

من فقه الآية:

أولاً: عظيم لطف الله بعباده وسعة رحمته بهم ومن ذلك أنه أباح لهم ما ينفعهم وحرم عليهم ما يضرهم.

ثانياً: في إخباره المؤمنين بيأس الكفار من دينهم إرشاد إلى الثبات على دين الإسلام والتمسك به والقوة فيه.

ثالثاً: في قوله ﴿**فلا تخشوهم واخشون**﴾ دليل على بطلان دعوى الحوار بين الأديان والتقريب بينها فإن تلك الدعوى منكر وضلال إذ هي تمييع للإسلام.

رابعاً: إمتنان الله على هذه الأمة بتكميل دينها على لسان رسولها ﷺ .

خامساً: في قوله ﴿**ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ دليل على أن ما عدى الإسلام من الأديان باطل وفي هذا رد على دعاة وحدة الأديان، إذ أن تلك الدعوى كفر صريح ومصادمة لما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع الأئمة بأنه لا دين سوى الإسلام.

سادساً: نفي الحرج والإثم عن من ألجأته الضرورة إلى أكل المحرمات المذكورة في الآية.

[وقال ابن عباس: ﴿مخمصة﴾ مجاعة].

ش/ أخرجه ابن جرير: ثني المثنى، ثنا أبو صالح، ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس فذكره.

وأخرجه عن قتادة والسدي وابن زيد.

١٢٧- حدثني محمد بن بشار، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان، عن قيس، عن طارق بن شهاب: قالت اليهود لعمر: إنكم تقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً فقال عمر: إني لأعلم حيث أنزلت، وأين أنزلت، وأين رسول الله ﷺ حين أنزلت، يوم عرفة وإنا والله بعرفة.

قال سفيان: وأشك كان يوم الجمعة أم لا ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾.

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله «**قالت اليهود**» في المغازي باب حجة الوداع من طريق الثوري، عن قيس بن مسلم «أن ناساً من اليهود» وفي الإيمان باب زيادة الإيمان من رواية أبي العميس، عن قيس بن مسلم «أن رجلا من اليهود» «هذا الرجل هو كعب الأحبار. بين ذلك مسدد في مسنده والطبري في **تفسيره** والطبراني في **الأوسط** كلهم من طريق رجاء بن أبي سلمة، عن عبادة بن نُسي بضم النون، عن إسحاق بن خرشة، عن قبيصة بن ذؤيب، عن كعب الأحبار» الحديث. فيحمل على أنهم كانوا حين سؤال كعب الأحبار عن ذلك جماعة، وتكلم كعب على لسانهم». حكاه الحافظ.

الثانية: قوله «**لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً**» في زيادة الإيمان ونقصانه قال «لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً».

قلت: والعيد اسم لما يعود ويتكرر والمعنى لو كانت تلك الآية نزلت علينا لجعلنا يوم نزولها عيداً نظهر فيه الفرحة والبهجة والسرور كل عام احتفاءً بتلك الآية لعظم شأنها.

الثالثة: قوله «**إني لأعلم حيث أنزلت، وأين نزلت، وأين رسول الله حين**

نزلت» في كتاب الإيمان «قال عمر أي آية؟ قال: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة».

الرابعة: قوله «**قال سفيان: وأشك كان يوم الجمعة أم لا ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾**».

قلت: سفيان هو ابن سعيد الثوري والقائل هو عبد الرحمن بن مهدي، ويزيل الشك ما سبق من البيان وقد جاء الجزم من رواية أبي العميس.

الخامسة: قوله «﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾» هذا هو وجه الشاهد من الحديث وقد مضى شرحه ضمن تفسير آية الباب.

من فقه الحديث :

أولاً: عظم شأن هذه الآية عند المسلمين.

ثانياً: فقه عمر رضي الله عنه وذلك أنه في مطابقة جواب عمر للسؤال؛ لأنه سأله عن اتخاذه عيداً فأجاب بنزولها بعرفة يوم الجمعة.وفي بعض طرق الحديث قال رضي الله عنه:«**وكلاهما لنا عيد**».

ثالثاً: فيه دليل على أن عرفة عام حجة الوداع كان يوم الجمعة كما في بعض الروايات.

١١٠- [باب قوله ﴿فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً﴾].

ش: **قلت:** الآية ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاةفاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين، وإن كنتم جنباً فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون**﴾.

قوله ﴿**يا أيها الذين آمنوا - إلى قوله - إلى الكعبين**﴾.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «هذه آية عظيمة، قد اشتملت على أحكام كثيرة، نذكر منها، ما يسره ا لله وسهله.

أحدها: هذه المذكورات في امتثالها والعمل بها من لوازم الإيمان، الذي لا يتم إلا به؛ لأنه صدرها بقوله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ إلى آخرها.أي يا أيها الذين آمنوا اعملوا بمقتضى إيمانكم، بما شرعناه لكم.

والثاني: الأمر بالقيام بالصلاة لقوله: ﴿**إذا قمتم إلى الصلاة**﴾.

والثالث: الأمر بالنية للصلاة، لقوله: ﴿**إذا قمتم إلى الصلاة**﴾ أي بقصدها ونيتها.

الرابع: اشتراط الطهارة، لصحة الصلاة؛ لأن ا لله أمر بها عند القيام إليها، والأصل في الأمر الوجوب.

الخامس: أن الطهارة لا تجب بدخول الوقت، وإنما عند إرادة الصلاة.

السادس: أن كل ما يطلق عليه اسم الصلاة، في الفرض، والنفل، وفرض الكفاية، وصلاة الجنازة، تشترط له الطهارة، حتى السجود المجرد عند كثير من العلماء، كسجود التلاوة، والشكر.

السابع: الأمر بغسل الوجه، وهو ما تحصل به المواجهة، من منابت شعر

الرأس المعتاد، إلى ما انحدر من اللحيين والذقن، طولاً.ومن الأذن إلى الأذن، عرضاً.ويدخل فيه المضمضة والاستنشاق، بالسنة.ويدخل فيه، الشعور التي فيه.لكن إن كانت خفيفة فلا بد من إيصال الماء إلى البشرة.وإن كانت كثيفة اكتفى بظاهرها.

الثامن: الأمر بغسل اليدين، وأن حده إلى المرفقين.و"إلى" كما قال جمهور المفسرين بمعنى "مع" كقوله تعالى: ﴿**ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم**﴾ ولأن الواجب لا يتم إلا بغسل جميع المرفق.

التاسع: الأمر بمسح الرأس.

العاشر: أنه يجب مسح جميعه؛ لأن الباء ليست للتبعيض، وإنما هي للملاصقة وأنه يعم المسح بجميع الرأس.

الحادي عشر: أنه يكفي المسح كيفما كان بيديه أو إحداهما، أو خرقة، أو خشبة، أو نحوها؛ لأن الله أطلق المسح، ولم يقيده بصفة، فدل ذلك على إطلاقه.

الثاني عشر: أن الواجب المسح. فلو غسل رأسه ولم يمر بيده عليه لم يكف؛ لأنه لم يأت بما أمر الله به.

الثالث عشر: الأمر بغسل الرجلين إلى الكعبين، ويقال فيهما ما يقال في اليدين.

الرابع عشر: فيها الرد عل الرافضة على قراءة الجمهور بالنصب.وأنه لا يجوز مسحها ما دامتا مكشوفتين.

الخامس عشر: فيه الإشارة إلى مسح الخفين، على قراءة الجر في ﴿**أرجلكم**﴾.وتكون كل من القراءتين محمول على معنى.فعلى قراءة النصب فيها غسلهما، وإن كانتا مكشوفتين.وعلى قراءة الجر فيهما مسحهما إذا كانتا مستورتين بالخف.

السادس عشر: الأمر بالترتيب في الوضوء؛ لأن الله تعالى ذكرها مرتبة، ولأنه أدخل ممسوحاً - وهو الرأس - بين مغسولين، ولا يعلم لذلك فائدة غير الترتيب.

السابع عشر: أن الترتيب مخصوص بالأعضاء الأربعة المسميات في هذه الآية، وأما الترتيب بين المضمضة والاستنشاق والوجه، أو بين اليمنى واليسرى من اليدين والرجلين، فإن ذلك غير واجب، بل يستحب تقديم المضمضة على الاستنشاق على غسل الوجه.وتقديم اليمنى على اليسرى من اليدين والرجلين. وتقديم مسح الرأس على مسح الأذنين.

الثامن عشر: الأمر بتجديد الوضوء عند كل صلاة، لتوجد صورة المأمور به)).اهـ

قال مقيده: واعلم أن تجديد الوضوء مندوب وليس بواجب إلا إذا انتقض الوضوء بحدث أو بما هو في حكم الحدث كالنوم فإن الوضوء في هذه الحالة واجب ومن تركه عامداً ذاكراً لذلك الناقض لم تصح صلاته وهذا الحكم قد أفادته السنة المستفيضة عن النبي ﷺ منها ما أخرجه البخاري وغيره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ) وثمت أمران آخران جاءت بهما السنة في الوضوء غير ما تضمنته الآية الكريمة:

أحدهما: بيان لما أجمل في آية الوضوء هذه .

وثانيهما: زيادة على ما فيها وهاك أمثلة لذينك الأمرين:

فمن الأول:

١ - ما أخرجه الشيخان، عن حمران مولى عثمان بن عفان أنه رأى عثمان رضي الله عنه دعى بوضوء فأفرغ على يديه من إنائه فغسلهما ثلاث مرات ثم أدخل يمينه في الوضوء ثم تمضمض واستنشق واستنثر ثم غسل وجهه ثلاثاً ويديه

إلى المرفقين ثلاثاً ثم مسح برأسه ثم غسل كلتا رجليه ثلاثاً ثم قال: رأيت النبي ﷺ توضأ نحو وضوئي هذا وقال: (من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر الله له ما تقدم من ذنبه).

٢ ـ حديث عمرو بن يحيى المازني عن أبيه قال: شهدت عمرو بن أبي الحسن سأل عبدا لله بن زيد عن وضوء رسول الله ﷺ فدعا بتور من ماء فتوضأ لهم وضوء رسول الله ﷺ فأكفأ على يديه من التور فغسل يديه ثلاثاً ثم أدخل يديه في التور فمضمض واستنشق واستنثر ثلاثاً بثلاث غرفات ثم أدخل يده في التور فغسل وجهه ثلاثاً ثم أدخل يده فغسلهما مرتين إلى المرفقين ثم أدخل يديه فمسح بهما رأسه فأقبل بهما وأدبر مرة واحدة ثم غسل رجليه . وفي رواية: بدء بمقدم رأسه حتى ذهب بهما إلى قفاه ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه، وفي رواية أتانا رسول الله ﷺ فأخرجنا له ماء في تور من صفر .

٣ ـ ما رواه مسلم عن نعيم بن عبدا لله المجمر؛ قال: رأيت أبا هريرة يتوضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء، ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع في العضد، ثم يده اليسرى حتى أشرع في العضد، ثم مسح رأسه،ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع في الساق،ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع في الساق،ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ، وقال: قال رسول الله ﷺ: أنتم الغر المحجلون يوم القيامة، من إسباغ الوضوء، فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله .

قلت: في هذه الأحاديث الثلاثة كما ترى ثلاثة من أنواع البيان:

أحدها: عدد الغسلات وأنها ثلاث، وهذه إحدى الكيفيات الثابتة عن النبي ﷺ في الوضوء .

ثانيها: كيفية مسح الرأس ومقداره، وأنه مرة واحدة كما في حديث عبدا لله بن زيد وإن قال أحد وهل مسح الرأس مقصور على ما أفاده حديث عبدا لله بن زيد؟ قلنا: قد جاء عن عثمان وغيره من طرق يشد بعضها بعضاً

التثليث في مسح الرأس .

ثالثها: النص الصريح في حديث أبي هريرة على أن: (إلى) في قوله: (إلى المرافق) (إلى الكعبين) بمعنى: مع . ووجه الاستدلال إدخال أبي هريرة رضي الله عنه، غسل المرافق في اليدين وغسل الكعبين في الرجلين.

ومن **الثاني**: حديثا عثمان وعبدالله بن زيد المتقدمان وفيهما: أن رسول الله ﷺ غسل كفيه وتمضمض واستنشق واستنثر .

٢ - ما رواه أبو داود عن لقيط بن صبرة قال قال النبي ﷺ: اسبغ الوضوء وخلل بين الأصابع وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً .

٣ - وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان إذا توضأ أخذ كفاً من ماء فأدخل تحت حنكه فخلل به لحيته وقال: هكذا أمرني ربي عزوجل .

٤ - وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: (يارسول الله كيف الطهور ؟ فدعاء بماء في إناء فغسل كفيه ثلاثاً، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ثم غسل ذراعيه ثلاثاً، ثم مسح برأسه فأدخل إصبعيه السباحتين في أذنيه ومسح بإبهاميه على ظاهر أذنيه وبالسباحتين باطن أذنيه، ثم غسل رجليه ثلاثاً ثلاثاً).الحديث

٥ - وعن ربيع بنت معوذ بن عفراء قالت: رأيت رسو الله ﷺ يتوضأ، قالت: فمسح رأسه ومسح ما أقبل منه وما أدبر وصدغيه وأذنيه مرة واحدة .

قال مقيده: فتأمل ما تضمنته هذه الأحاديث الصحيحة من الزيادات:

فأولاً: غسل الكفين والمضمضة والاستنشاق ثلاثاً كما في حديث عثمان وعبدالله بن زيد .

ثانياً: الأمر بتخليل الأصابع، وهذا صريح في حديث لقيط .

ثالثاً: تخليل اللحية وهذا ظاهر من حديث أنس .

ورابعها: مسح الأذنين وكيفية ذلك . وهذا ما نص عليه حديث عمرو بن

شعيب عن أبيه عن جده .

خامسها:مسح الصدغين مع الأذنين وهذا ما روته عنه ﷺ الربيع بنت معوذ.

قوله ﴿**وإن كنتم جنباً فاطهروا**﴾.

قال ابن جرير: «يعني بقوله جل ثناؤه ﴿**وإن كنتم جنباً**﴾ وإن كنتم أصابتكم جنابة قبل أن تقوموا إلى صلاتكم فقمتم إليها فاطهروا، يقول: فتطهروا بالاغتسال منها قبل دخولكم في صلاتكم التي قمتم إليها، ووحد الجنب وهو خبر عن الجميع؛ لأنه اسم خرج مخرج الفعل كما قيل: رجل عدل وقوم عدل، ورجل زور وقوم زور، وما أشبه ذلك لفظ الواحد والجميع والاثنين والذكر والأنثى فيه واحد يقال منه أجنب الرجل وجنب واجتنب والفعل الجنابة والإجناب.وقد سمع في جمعه أجناب وليس ذلك بالمستفيض الفاشي في كلام العرب، بل الفصيح من كلامهم ما جاء به القرآن» .

قلت: ومن أكمل صفات غسل الجنابة ما رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل من الجنابة غسل يديه، ثم توضأ وضوءه للصلاة، ثم يغتسل ثم يخلل بيديه شعره، حتى إذا ظن أنه قد أروى بشرته، أفاض الماء عليه ثلاث مرات، ثم غسل سائر جسده».

قوله ﴿**فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه**﴾ هذه هي صفة التيمم فالآية كما ترى صريحة في أن التيمم يكون بمسح الوجه واليدين من الصعيد وقد جاء بيان ذلك فيما رواه الشيخان عن عمار رضي الله عنه قال: بعثني النبي ﷺ في حاجة فاجنبت، فلم أجد الماء، فتمرغت في الصعيد كما تمرغ الدابة، ثم أتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: «إنما كان يكفيك أن تقول بيديك هكذا».ثم ضرب بيديه الأرض ضربة واحدة، ثم مسح الشمال على اليمين، وظاهر كفيه ووجهه.

وأما قوله (**منه**) فإن مرجع الهاء هو الصعيد وهل (من) في الآية للتبعيض أو

ابتداء الغاية قولان لأهل العلم:

فالأول: قول أحمد والشافعي.

والثاني: قول مالك.

والفرق بينهما لزوم نقل التراب إلى الأعضاء على القول الأول، وعدم لزومه على القول الثاني.وجعل (من) لابتداء الغاية هو الراجح إن شاء الله؛ لأمرين:

الأول: أن كثيراً من الأرض ليس لترابها غبار.

والثاني: ما صح عن النبي ﷺ أنه تيمم على الحائط.

واعلم أن التيمم له شروط لا يصح إلا بتوفرها وهي:

أولاً: عدم الماء أو العجز عن استعماله.

ثانياً: النية لقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات».

ثالثاً: دخول الوقت ودليله في الآية ﴿**إذا قمتم إلى الصلاة**﴾.

رابعاً: طهارة الصعيد.

قوله ﴿**ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم**﴾.

قال البغوي: «بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم ﴿**من حرج**﴾ ضيق ﴿**ولكن يريد ليطهركم**﴾ من الأحداث والخبائث والذنوب».اهـ

قوله ﴿**وليتم نعمته عليكم**﴾.

قال الشوكاني: «أي بالترخيص لكم في التيمم عند عدم الماء وبما شرعه لكم من الشرائع التي عرّضكم بها للثواب ﴿**لعلكم تشكرون**﴾ نعمته عليكم فتستحقون بالشكر ثواب الشاكرين .

قال مقيده: واعلم أن أركان الشكر ثلاثة:

أحدها: الإقرار بالنعمة باطناً.

وثانيها: التحدث بها ظاهراً.

وثالثها: صرفها في مرضاة مسديها ومموليها وهو الله جل وعلا.

من فقه الآية:

أولاً: الأمر بالوضوء عند كل صلاة وهذا شامل للفريضة والنافلة ولكنه لا يجب إلا بالحدث أو بما هو في حكم الحدث كما دلت السنة الصحيحة على ذلك، فمن الأول حديث: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ».ومن الثاني حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي ﷺ: أنتوضأ من لحم الإبل قال: «نعم» الحديث.

ثانياً: الأمر بالتطهير من الجنابة وهو الغسل وقد تقدمت صفته.

ثالثاً: الأمر بشكر الله على ما من به ويسره من الأحكام في هذه الآية وقد مضت أركان الشكر.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [**تيمموا: تعمدوا**].

ش: قاله أبو عبيدة وقد ذكره عند قوله تعالى من سورة النساء ﴿**فتيمموا صعيدا طيباً**﴾ حيث قال: أي فتعمدوا ذاك.وأخرجه ابن جرير بإسناده عن سفيان بلفظ: «تحروا وتعمدوا».

٢- [﴿**آمين**﴾ **: عامدين، أممت وتيممت واحد**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «وتقديرها هممت خفيفة، وبعضهم يقول: يممت.وقال:

إني كذاك إذا ما ساءني بلد يممت صدر بعيري غيره بلدا»

والآية المشار إليها: ﴿**ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا**﴾.

٣- [**وقال ابن عباس: ﴿لمستم﴾ و﴿تمسوهن﴾ و﴿اللاتي دخلتم بهن﴾ والإفضاء النكاح**].

ش: أما قوله ﴿لمستم﴾ فروى إسماعيل القاضي في أحكام القرآن من طريق مجاهد عن ابن عباس في قوله ﴿أو لامستم النساء﴾ قال: هو الجماع، وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير بإسناد صحيح، وأخرجه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن ابن عباس قال: هو الجماع ولكن الله يعفو ويكني.

وأما قوله ﴿تمسوهن﴾ فروى ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ما لم تمسوهن﴾ أي تنكحوهن.

وأما قوله ﴿دخلتم بهن﴾ فروى ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿اللاتي دخلتم بهن﴾ قال: الدخول النكاح.

وأما قوله «والإفضاء» فروى ابن أبي حاتم من طريق بكر بن عبد الله المزني عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾ قال: الإفضاء الجماع.وروى عبد بن حميد من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: الملامسة والمباشرة.والإفضاء والرفث والغشيان والجماع كله النكاح، ولكن الله يكني.حكاه الحافظ.

١٢٨ـ حدثنا إسماعيل، قال حدثني مالك، عن عبد الرحمن بن القاسم[١]، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء، أو بذات الجيش، انقطع عقد لي فأقام رسول الله على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة، أقامت برسول الله ﷺ وبالناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء؟ فجاء أبو

(١) هو أبو محمد عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي المدني ثقة جليل كان أفضل أهل زمانه، من السادسة مات سنة ست وعشرين [ومائة] وقيل بعدها.ع.

بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة: فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي، ولا يمنعني من التحرك إلاّ مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم فقال أسيد بن الحضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فإذا العقد تحته.

١٢٩ـ حدثنا يحيى بن سليمان[1] قال: حدثني ابن وهب قال: أخبرني عمرو[2] أن عبد الرحمن بن القاسم حدثه، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها: «سقطت قلادة لي بالبيداء، ونحن داخلون المدينة، فأناخ النبي ﷺ ونزل فثنى رأسه في حجري راقداً، أقبل أبو بكر فلكزني لكزة شديدة، وقال حبست الناس في قلادة، فبي الموت لمكان رسول الله ﷺ وقد أوجعني، ثم إن النبي ﷺ استيقظ، وحضرت الصبح، فالتمس الماء فلم يوجد، فنزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة﴾ الآية.فقال أسيد بن حضير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر، ما أنتم إلا بركة لهم.

ش: فيهما تسع عشرة مسألة.

الأولى: قوله «**خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره**» قال ابن عبد البر في التمهيد: والسفر المذكور في هذا الحديث يقال أنه كان في غزاة بني المصطلق والله أعلم.

الثانية: قوله «**حتى إذا كنا بالبيداء، أو بذات الجيش**» **قلت**: البيداء المفازة

(١) هو أبو سعيد يحيى بن سليمان بن يحيى بن سعيد الجعفي، الكوفي، نزيل مصر، صدوق يخطيء من العاشرة، مات سنة سبع أو ثمان وثلاثين [ومائتين].خ.ت.

(٢) هو أبو أيوب عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري مولاهم، المصري، ثقة فقيه حافظ، مات قديما قبل الخمسين ومائة.ع.

من الأرض والجمع بيد وهو بين المدينة وخيبر كما جزم به النووي، **قلت**: وما جزم به مخالف لما جزم به ابن التين فإنه قال: البيداء هي ذو الحليفة بالقرب من المدينة من طريق مكة، قال: وذات الجيش وراء ذي الحليفة، وقال أبو عبيد البكري في معجمه: البيداء أدنى إلى مكة من ذي الحليفة، ثم ساق حديث عائشة هذا ثم ساق حديث ابن عمر قال: «بيداؤكم هذه التي تكذبون فيها، ما أهل رسول الله ﷺ إلا من عند المسجد» الحديث.قال: والبيداء هو الشرف الذي قدام ذي الحليفة في طريق مكة، وقال أيضاً: ذات الجيش من المدينة على بريد، قال: وبينها وبين العقيق سبعة أميال، والعقيق من طريق مكة لا من طريق خيبر فاستقام ما قال ابن التين.

ويؤيده ما رواه هشام بن عروة عن أبيه في هذا الحديث فقال فيه: «إن القلادة سقطت يوم الأبواء» والأبواء بين مكة والمدينة.وفي رواية علي بن مسهر في هذا الحديث عن هشام قال: «وكان ذلك المكان يقال له الصلصل» ورواه جعفر الفريابي في كتاب الطهارة له وابن عبد البر من طريقه.والصلصل: بمهملتين مضمومتين ولامين الأولى ساكنة بين الصادين.قال البكري: هو جبل عند ذي الحليفة، كذا ذكره في حرف الصاد المهملة، ووهم مغلطاي في فهم كلامه فزعم أنه ضبطه بالضاد المعجمة، وقلده في ذلك بعض الشراح وتصرف فيه فزاده وهما على وهم، وعرف من تضافر هذه الروايات تصويب ما قال ابن التين.اهـ قاله الحافظ (١/٤٣٢).

الثالثة: قوله «**انقطع عقد لي**» **قلت**: وفي رواية هشام عن أبيه «هلكت قلادة لأسماء» ولا تعارض بين الروايتين فإن إضافتها لها بإشعار استيلائها لمنفعته وإلا فهو لأسماء استعارته منها.

الرابعة: قوله «**فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه**» تعني أن رسول الله ﷺ إحتبس حيث فقد العقد للبحث عنه، واحتبس الناس معه في

ذلك المكان؛ لأنه ﷺ هو إمامهم فمعه يقيمون ومعه يرحلون.وفيه دليل على وجوب طاعة الأمير في العسر واليسر وفيه اعتناء الإمام بحفظ حقوق المسلمين وإن قلّت.

الخامسة: قوله «**وليسوا على ماء، وليس معهم ماء**» فيه دليل على جواز الإقامة في المكان الذي لا ماء فيه.وكذا سلوك الطريق التي لا ماء فيها.

السادسة: قوله «**فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق**» فيه دليل على تسمية أبي بكر بذلك وهذه منقبة عظيمة له رضي الله عنه وبها صحت الأخبار عن النبي ﷺ.

السابعة: قوله «**فقالوا ألا ترى ما صنعت عائشة، أقامت برسول الله ﷺ وبالناس وليسوا على ماء، وليس معهم ماء**» الاستفهام للإنكار وفي مقولتهم هذه دليل على شكوى المرأة على أبيها أو وليها وإن كانت ذات زوج، وفيه دليل على نسبة الفعل إلى من تسبب فيه وإن لم يصنعه لقولهم: أقامت وصنعت.

الثامنة: قوله «**فجاء أبو بكر، ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام**» فيه دليل على جواز دخول الرجل على ابنته في بيت زوجها بغير إذنه إذا علم رضاه بذلك كما يفيد ذكر الإنسان بما اشتهر به من اسم أو كنية.

التاسعة: قوله «**فعاتبني أبو بكر.وقال ما شاء الله أن يقول - إلى قوله — في خاصرتي**» فيه دليل على تأديب الرجل ابنته على خطئها بالقول والفعل وإن كان بحضرة زوجها.

العاشرة: قوله «**ولا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي**» تعني أنه لم يحل بينها وبين الحركة من شدة ما لقيته من طعن أبيها في خاصرتها إلا خوفاً من إزعاج النبي ﷺ وفي هذا دليل على جواز شدة التأديب بالفعل كما أنه يفيد حرص عائشة رضي الله عنها على راحة النبي ﷺ وطمأنينته ولذا صبرت على شدة الضرب على خاصرتها.

الحادية عشرة: قوله «**فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء**» كذا أورده هنا، وأورده في فضل أبي بكر عن قتيبة،عن مالك بلفظ: «فنام حتى أصبح» وهي رواية مسلم في الحيض باب التيمم ورواية الموطأ والمعنى فيهما متقارب؛ لأن كلاً منهما يدل على أن قيامه من نومه كان عند الصبح، وقال بعضهم: ليس المراد بقوله «حين أصبح» بيان غاية النوم إلى الصباح، بل بيان غاية فقد الماء إلى الصباح؛ لأنه قيد قوله «حتى أصبح» بقوله «على غير ماء» أي آل أمره إلى أن أصبح على غير ماء، وأما رواية عمرو بن الحارث فلفظها: «ثم إن النبي ﷺ استيقظ وحضرت الصبح» فإن أعربت الواو حالية كان دليلاً على أن الاستيقاظ وقع حال وجود الصباح وهو الظاهر، واستدل به على الرخصة في ترك التهجد في السفر إن ثبت أن التهجد كان واجباً عليه، وعلى أن طلب الماء لا يجب إلا بعد دخول الوقت لقوله في رواية عمرو بن الحارث بعد قوله: «وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد».

الثانية عشرة: قوله «**فأنزل الله آية التيمم**» هذا هو وجه الشاهد من الحديث وسيأتي بيان المراد من آية التيمم في الرواية الآتية.

الثالثة عشرة: قوله «**فقال أسيد بن حضير**» **قلت:** هو أبو يحيى أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك الأنصاري الأشهلي صحابي جليل مات سنة عشرين أو إحدى وعشرين.أخرج له أصحاب الكتب الستة.وقد قال ما قال؛ لأنه ضمن من بعثهم النبي ﷺ في طلب القلادة.

الرابعة عشرة: قوله «**ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر**» أي بل هي مسبوقة بغيرها من البركات.

الخامسة عشرة: قوله «**فبعثنا البعير الذي كنت عليه فإذا العقد تحته**» ظاهر في أن الذين توجهوا في طلبه أولا لم يجدوه، وفي رواية عروة: «فبعث ناساً من أصحابه في طلبها» ولأبي داود «فبعث أسيد بن حضير وناساً معه» وطريق

الجمع بين هذه الروايات أن أسيداً كان رأس من بعث لذلك فلذلك سمى في بعض الروايات دون غيره، وكذا أسند الفعل إلى واحد منهم وهو أسيد بن حضير. قاله الحافظ.

قلت: وهذا دليل صريح على أن رسول الله ﷺ لا يعلم من أمر الغيب إلا ما علمه الله إذ لو كان يعلم الغيب ما بعث البعث يفتش عن عقد ولما أقام بالمسلمين على ما فيهم من الجهد والمشقة وهذا وحده كافٍ في الرد على العرّافين والكهنة الذين يدّعون الغيب.

السادسة عشرة: قوله «**ونحن داخلون المدينة**» الواو للحال والمعنى أنهم كانوا على مقربة من المدينة حين وقعت تلك الحادثة.

السابعة عشرة: قوله «**فلكزني لكزة شديدة**» اللكز هو الدفع في الصدر بالكف، والمعنى أن أبا بكر رضي الله عنه دفع عائشة رضي الله عنها دفعاً شديداً. وفي الرواية السابقة قالت: «وجعل يطعنني بيده في خاصرتي» فالظاهر أنه جمع لها في تأديبه بين الأمرين.

الثامنة عشرة: قوله «**فبي الموت لمكان رسول الله ﷺ وقد أوجعني**» تعني والله أعلم أنها وجدت من شدة لكز أبيها وطعنه لها ما جعلها تستشعر الموت ولكنها صبرت؛ لأن رسول الله ﷺ كان نائماً على فخذها.

التاسعة عشرة: قوله «**فنزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة﴾**» هذا هو وجه مطابقة الحديث للباب وفيه التصريح بأن آية المائدة هذه هي آية التيمم.

١١١- [باب ﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا إنّا ها هنا قاعدون﴾].

ش: قلت الآية: **﴿قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون﴾.**

قوله **﴿قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها﴾.**

قال ابن جرير: «هذا خبر من الله جل ذكره عن قول الملإ من قوم موسى لموسى، إذ رغّبوا في جهاد عدوّهم ووعدوا نصر الله إياهم، إن هم ناهضوهم، ودخلوا عليهم باب مدينتهم أنهم قالوا له **﴿إنا لن ندخلها أبداً﴾** ويعنون إنا لن ندخل مدينتهم أبداً والهاء والألف في قوله **﴿إنا لن ندخلها﴾** من ذكر المدينة ويعنون بقولهم **﴿أبداً﴾** أيام حياتنا ما داموا فيها يعني ما كان الجبارون مقيمين في تلك المدينة التي كتبها، وأمروا بدخولها»

قوله **﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون﴾.**

قال ابن كثير: «وهذا نكول منهم عن الجهاد ومخالفة لرسولهم، وتخلف عن مقاتلة الأعداء، ويقال أنهم لما نكلوا عن الجهاد وعزموا على الانصراف والرجوع إلى مصر سجد موسى وهارون عليهما السلام قدام ملأ من بني إسرائيل إعظاماً لما هموا به وشق يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ثيابهما ولاموا قومهما على ذلك فيقال إنهم رجموهما، وجرى أمر عظيم وخطر جليل».اهـ.

وإن قال أحد من الناس ما السر في مخاطبة الله اليهود المعاصرين لرسول الله ﷺ ببيان هذا وأمثاله من المواقف المخزية والمذاهب المشينة، كيف يوبخون هذا التوبيخ وتلك المواقف والمذاهب من صنيع أسلافهم مع أنبيائهم؟.

قلنا: أجاب الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره حيث قال (٦١/١): «واعلم أن الخطاب في هذه الآيات لأمة بني إسرائيل الذين كانوا موجودين وقت نزول القرآن وهذه الأفعال المذكورة خوطبوا بها وهي فعل أسلافهم، ونسبت لهم لفوائد عديدة، منها أنهم كانوا يتمدحون ويذكرون أنفسهم ويزعمون فضلهم

على محمد ومن آمن به، فبين ا لله من أحوال سلفهم التي قد تقررت عندهم، ما يبين به لكل واحد منهم، أنهم ليسوا من أهل الصبر ومكارم الأخلاق ومعالي الأعمال.فإذا كانت هذه حالة سلفهم مع المظنة أنهم أولى وأرفع حالة ممن بعدهم فكيف الظن بالمخاطبين.

ومنها أن نعمة ا لله على المتقدمين منهم نعمة واصلة إلى المتأخرين، والنعمة على الآباء نعمة على الأبناء فخوطبوا بها؛ لأنها نعم تشملهم وتعمهم.

ومنها أن الخطاب لهم بأفعال غيرهم مما يدل على أن الأمة المجتمعة على دين تتكافل وتتساعد على مصالحها؛ حتى كأن متقدمهم ومتأخرهم في وقت واحد وكأن الحادث من بعضهم حادث من الجميع؛ لأن ما يعمله بعضهم من الخير يعود بمصلحة الجميع، وما يعمله من الشر يعود بضرر الجميع.

ومنها أن أفعالهم أكثرهم لم ينكرها، والراضي بالمعصية شريك للعاصي، إلى غير ذلك من الحكم التي لا يعلمها إلا ا لله».اهـ

١٣٠ـ حدثنا أبو نعيم، حدثنا إسرائيل، عن مخارق[1]، عن طارق بن شهاب: سمعت ابن مسعود رضي الله عنه قال: شهدت من المقداد (ح) وحدثني حمدان بن عمر[2]، حدثنا أبو النظر، حدثنا الأشجعي، عن سفيان، عن مخارق، عن طارق، عن عبد الله قال: قال المقداد يوم بدر: يا رسول الله، إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون﴾ ولكن امض ونحن معك، فكأنه سرى عن رسول الله ﷺ .ورواه وكيع، عن سفيان، عن مخارق، عن طارق، أن المقداد قال ذلك للنبي ﷺ .

---

(١) هو أبو سعيد مخارق بن خليفة وقيل ابن عبد الله الأحمسي، الكوفي، ثقة من السادسة.خ.قد.ت.س.

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن عمر الحميدي البغدادي، المخرمي، يعرف بحمدان صدوق، من الحادية عشرة، مات سنة ثمان وخمسين [ومائتين].خ.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**شهدت من المقداد**» زاد في المغازي باب قوله تعالى ﴿**إذ تستغيثون ربكم**﴾ «مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به».

قلت: والمقداد هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة البهراني ثم الكوفي، ثم الزهري، حالف أبوه كندة وتبناه الأسود بن عبد يغوث الزهري، فنسب إليه، صحابي مشهور من السابقين، لم يثبت أنه كان ببدر فارس غيره، مات سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين. ع.

الثانية: قوله «**يا رسول الله إنا لا نقول ـ إلى قوله ـ ونحن معك**» زاد النسائي في تفسير الآية بروايته «جاء المقداد على فرس يوم بدر فقال...» وذكر ابن إسحاق أن هذا الكلام قاله المقداد لما وصل النبي ﷺ إلى الصفراء، وبلغه أن قريشاً قصدت بدراً وأن أبا سفيان نجا بمن معه، فاستشار الناس، فقام أبو بكر فقال فأحسن، ثم قام عمر كذلك، ثم المقداد فذكر نحو ما في حديث الباب وزاد «فقال: والذي بعثك بالحق لو سلكت بنا برك الغماد لجاهدنا معك من دونه قال: فقال أشيروا علي قال: فعرفوا أنه يريد الأنصار، وكان يتخوف أن لا يوافقوه؛ لأنهم لم يبايعوه إلا على نصرته ممن يقصده لا أن يسير بهم إلى العدو. فقال له سعد بن معاذ: امض يا رسول الله لما أمرت به فنحن معك، قال: فسره قوله ونشطه».

قال الحافظ: «وكذا ذكره موسى بن عقبة مبسوطاً، وأخرجه بن عائذ من طريق أبي الأسود عن عروة. وعند ابن أبي شيبة من مرسل علقمة بن وقاص نحو قصة المقداد «فقال سعد بن معاذ لئن سرت حتى تأتي برك الغماد من ذي يمن لنسيرن معك ولا نكون كالذين قالوا لموسى ـ فذكره وفيه ـ ولعلك خرجت لأمر فأحدث الله غيره فامض لما شئت وصل حبال من شئت، واقطع حبال من شئت، وسالم من شئت، وعاد من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت. قال: وإنما

خرج يريد غنيمة ما مع أبي سفيان فأحدث الله له القتال».

وروى ابن أبي حاتم من حديث أبي أيوب قال: «قال لنا رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة: إني أخبرت عن عير أبي سفيان فهل لكم أن تخرجوا إليها لعل الله يغنمناها؟ قلنا نعم...الحديث» حكى ذلك وغيره الحافظ.ثم قال: ويمكن الجمع بأن النبي ﷺ استشارهم في غزوة بدر مرتين: الأولى وهو بالمدينة أول ما بلغه خبر العير مع أبي سفيان، وذلك بين في رواية مسلم ولفظه: «أن النبي ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان».

والثانية: كانت بعد أن خرج.

الثالثة: قوله «**فكأنه سرّى عن رسول الله ﷺ**» أي انكشف عنه ما كان يخشاه ويتخوفه من عدم استعداد أصحابه فحلٍ محل ذلك الفرح والبشر والسرور لما رآه من انشراح صدورهم بلقاء الكفار شداً لأزر نبيهم ﷺ .

وقوله «**رواه وكيع عن سفيان عن مخارق عن طارق...الخ**» يريد بذلك أن صورة سياقه أنه مرسل بخلاف سياق الأشجعي لكن استظهر المصنف لرواية الأشجعي الموصولة برواية إسرائيل التي ذكرها قبل.وطريق وكيع هذا وصلها أحمد وإسحاق في مسنديهما عنه وكذا أخرجها ابن أبي خيثمة من طريقه.قاله في الفتح.

من فقه الحديث:

أولاً: استشارة القائد عسكره حين نزول المعضلة.

ثانياً: شد الصحابة أزر نبيهم ﷺ مع قلة عدتهم وعتادهم.

ثالثاً: فضيلة المقداد رضي الله عنه.

رابعاً: الاستبشار بالكلمة الطيبة والسرور بها في المواقف الحرجة.

خامساً: في قول المقداد: «إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون» دليل على أن تلك الآية نزلت قبل وقعة بدر.

١١٢- [باب ﴿**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا ـ إلى قوله ـ أو ينفوا من الأرض**﴾].

ش: تمامها ﴿**أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم**﴾.

قال ابن جرير في تفسيرها: «وهذا بيان من الله عز ذكره عن حكم الفساد في الأرض الذي ذكره في قوله ﴿**من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض**﴾ أعلم عباده ما الذي يستحق المفسد في الأرض من العقوبة والنكال، فقال تبارك وتعالى: لا جزاء له في الدنيا إلا القتل والصلب، وقطع اليد والرجل من خلاف، أو النفي من الأرض خزياً لهم، وأما في الآخرة إن لم يتب في الدنيا فعذاب عظيم».

من فقه الآية:

والآية الكريمة كما هو صريح وواضح تتضمن أربع عقوبات جزاء المحاربين وهل للإمام أن يعاقب كل محارب بما يستحقه أو هو مخير بفعل ما يشاء.

فالأول: قال به جمهور الأئمة، منهم ابن عباس، والنخعي، وسعيد بن جبير، وقتادة وبه قال أحمد والشافعي، وأبو حنيفة، فقال هؤلاء مع اختلاف في عباراتهم: من أخذ المال قطع، ومن أخذ المال وقتل، قتل وصلب، وإن قتل ولم يأخذ المال قتل، وإن أخاف السبيل فقط وروع الناس نفي من الأرض.

والثاني: قاله ابن عباس والحسن، وإبراهيم النخعي في رواية، ومجاهد، وابن جريج، وسعيد بن المسيب، حكى القولين وأدلة كل منهما الطبري، والقرطبي وابن قدامة وغيرهم.

قلت: وتخيير الإمام أرجح لأمور:

أولاً: أن التخيير هو ظاهر الآية، ولا يعدل عن الظاهر إلى غيره مما يحتاج إلى تقدير إلا بحجة يجب التسليم لها، ولم يرد نص يجب المصير إليه لترجيح ما قاله

الجمهور.وما أخرجه ابن جرير عن أنس من سؤال النبي ﷺ جبريل ماذا يصنع بالمحاربين...الخ الحديث، فضعيف؛ لأن فيه ابن لهيعة، وقد اختلط لاحتراق كتبه.

الأمر الثاني: أن حماية مصالح الناس واستتباب الأمن في البلاد والعباد كثيراً ما يستدعي أقصى العقوبات الرادعة، وهذا موكول إلى نظر إمام المسلمين، وما يراه كفيلاً بذلك، وما أحسن ما قاله الإمام مالك: «إذا قطع الطريق فرآه الإمام جلداً ذا رأي قتله، وإن كان جلداً لا رأي له قطعه، و لم يغير فعله».اهـ

قلت: وما أكثر الجرائم التي تستهدف الدين والأعراض والعقول يخطط لترويجها ذوو رأي وتفكير ودهاء خبيث من أبناء المسلمين في عقر دارهم، يدفعهم عملاء لهم من خارج العالم الإسلامي، من شيوعيين وماسونيين وغيرهم، ومن أعظم تلك الجرائم المخدرات بشتى أنواعها، فلا يردع أولئك المروجين سوى أقصى العقوبات وبلا هوادة.

ثالثاً: ويرجح ما ذهبنا إليه، أنه قول جماعة من الأئمة غير من ذكرناه من أهل القول الثاني، منهم مالك، واختاره القرطبي، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

وقوله «**المحاربة لله: الكفر به**»

ش / هو قول سعيد بن جبير والحسن وصله ابن أبي حاتم عنهما حكاه الحافظ وقال: وفسره الجمهور هنا بالذي يقطع الطريق على الناس مسلماً وكافراً.

قلت: وعندي أن وصف الحرابة بالكفر في هذا الموطن مبني على أمرين:

أولهما: ما رواه ابن جرير عن سعيد بن جبير وعروة والسدي وجرير أن الآية نزلت في العرنيين.

وثانيهما: ما جاء عند مسلم من رواية عبد العزيز بن صهيب وحميد عن أنس في العرنيين قال: «ثم مالوا على الرعاة فقتلوهم، وارتدوا عن الإسلام» وعند المصنف في الوضوء باب أبوال الإبل والدواب من قول أبي قلابة: «فهؤلاء سرقوا

وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم، وحاربوا الله ورسوله».

١٣١- حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثنا ابن عون قال: حدثني سلمان أبو رجاء مولى أبي قلابة[١]، عن أبي قلابة[٢] أنه كان جالساً خلف عمر بن عبد العزيز فذكروا وذكروا، فقالوا وقالوا: قد أقادت بها الخلفاء، فالتفت إلى أبي قلابة وهو خلف ظهره فقال: ما تقول يا عبد الله بن زيد - أو قال ما تقول يا أبا قلابة؟ قلت: ما علمت نفساً حلّ قتلها في الإسلام إلا رجلٌ زنى بعد إحصان، أو قتل نفساً بغير نفس، أو حارب الله ورسوله ﷺ فقال عنبسة: حدثنا أنس بكذا وكذا. قلت: إياي حدث أنس، قال: قدم قومٌ على النبي ﷺ فكلموه فقالوا: قد استوخمنا هذه الأرض، فقال ((هذه نعَم لنا تخرج، فاخرجوا فيها، فاشربوا من ألبانها وأبوالها)) فخرجوا فيها، فشربوا من أبوالها وألبانها واستصحوا، ومالوا على الراعي فقتلوه، واطردوا النعم، فما يستبطأ من هؤلاء؟ قتلوا النفس وحاربوا الله ورسوله، وخوفوا رسول الله ﷺ فقال: سبحان الله فقلت: تتهمني؟ قال: حدثنا بهذا أنس قال: وقال يا أهل كذا إنكم لن تزالوا بخير ما أبقى هذا فيكم ومثل هذا».

ش: فيه تسع عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**كان جالساً خلف عمر بن عبد العزيز**» **قلت:** هو عمر بن عبد العزيز بن مروان أحد خلفاء بني أمية، ولي الخلافة عام تسعة وتسعين، وكان

---

(١) هو أبو رجاء سلمان مولى أبي قلابة الجرمي، البصري، صدوق من السادسة له عندهم حديث واحد، خ.م.د.س.

(٢) هو عبد الله بن زيد بن عمرو أو عامر البصري، ثقة فاضل كثير الإرسال قال العجلي: فيه نصب يسير، من الثالثة، مات بالشام هارباً من القضاء سنة أربع ومائة، وقيل بعدها. ع.

مشهوداً له بالصلاح والتقوى حتى قالوا: إنه يشبه جده من قبل أمه عمر بن الخطاب، مات في رجب سنة إحدى ومائة وله أربعون سنة، وكانت وفاته في دير سمعان.

وفي الديات باب القسامة من رواية الحجاج بن أبي عثمان عن أبي رجاء عن أبي قلابة أن عمر بن عبد العزيز أبرز سريره يوماً للناس ثم أذن لهم فدخلوا.

الثانية: قوله «**فذكروا وذكروا**» أي القسامة وشأنها، يوضحه قوله في الديات: «فقال: ما تقولون في القسامة».

الثالثة: قوله «**فقالوا وقالوا**» يوضحه في الرواية المتقدمة «نقول القسامة القود بها حق، وقد أقادت بها الخلفاء».

الرابعة: قوله «**ما تقول يا عبد الله بن زيد أو قال ما تقول يا أبا قلابة**» الشك من الراوي، والمعنى ما جوابك في هذا الأمر الذي دار الحوار فيه، وزاد في الديات «فقلت يا أمير المؤمنين عندك رؤوس الأجناد وأشراف العرب أرأيت لو أن خمسين منهم شهدوا على رجل محصن بدمشق أنه قد زنى، ولم يروه، أكنت ترجمه قال: لا. **قلت:** أرأيت لو أن خمسين منهم شهدوا على رجل بحمص أنه سرق أكنت تقطعه ولم يروه؟ قال: لا. **قلت:** فوالله ما قتل رسول الله ﷺ أحداً قط إلا في إحدى ثلاث خصال: رجل قتل بجريرة نفسه فقتل، أو رجل زنى بعد إحصان، أو رجل حارب الله ورسوله، أو ارتد عن الإسلام».

قلت: وهذا دليل على أن أبا قلابة رحمه الله كان لا يرى القسامة وقد بنى رأيه ذلك على ما علمه من سنة النبي ﷺ وقد صح القضاء في القسامة عن النبي ﷺ ففي الصحيحين عن سهل بن أبي حثمة رضي الله عنه عن رجال من كبراء قومه أن عبد الله بن سَهَل ومحيصة بن مسعود خرجا إلى خيبر من جهد أصابهم، فأتى محيصة فأخبر أن عبد الله بن سهل قد قتل وطرح في عين، فأتى يهود فقال أنتم والله قتلتموه، قالوا والله ما قتلناه، فأقبل هو وأخوه حويصة وعبد الرحمن بن

سهل فذهب محيصة ليتكلم فقال رسول الله ﷺ: «كبر كبر» يريد السن فتكلم حويصة، ثم تكلم محيصة فقال رسول الله ﷺ: «إما أن يدوا صاحبكم وإما أن يأذنوا بحرب» فكتب إليهم في ذلك، فكتبوا: إنا والله ما قتلناه، فقال لحويصة، ومحيصة، وعبد الرحمن بن سهل: «أتحلفون وتستحقون دم صاحبكم» قالوا: لا قال: «فيحلف لكم يهود؟» قالوا: ليسوا مسلمين، فوداه رسول الله ﷺ من عنده، فبعث إليهم مائة ناقة، قال سهل: فلقد ركضتني منها ناقة حمراء.

قال مقيده: وإليك فائدتين في القسامة:

الأولى: في معناها: وهي **لغة**: اسمٌ من القسم أقيم مقام المصدر من قولهم:اقسم إقساماً وقسامة.**وشرعاً**: أيمان مكررة في دعوى قتل معصوم عمداً.

الثانية: في شروط الحكم في القسامة وهي ثمانية شروط:

الأول: اللوث وهو العداوة الظاهرة كالقبائل التي يطلب بعضها بعضاً بالثأر وكما بين البغاة وأهل العدل.

الثاني: تكليف مدعى عليه القتل وذلك بأن يكون بالغاً عاقلاً.

الثالث: إمكان القتل منه.

الرابع: وصف القتل في الدعوى.

الخامس: طلب جميع الورثة القود.

السادس: اتفاقهم على دعوى القتل.

السابع: اتفاقهم على عين القاتل.

الثامن: أن يكون فيهم ذكور مكلفون.

الخامسة: قوله «**فقال عنبسة**» هو عنبسة بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي.

السادسة: قوله «**كذا وكذا**» ترد هذه الكلمة على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون كلمتين باقيتين على أصلهما وهما كاف التشبيه، وذا

الإشارة.

الثاني: أن تكون كلمة واحدة مركبة من كلمتين مكنياً بها عن غير عدد.

الثالث: أن تكون كلمة واحدة مركبة مكنياً بها عن عدد. قاله ابن هشام في المغني.

قلت: والمراد به ها هنا حديث العرنيين.

السابعة: قوله «**قدم قوم على النبي ﷺ**» وللمصنف في المحاربين من كتاب الحدود عن قتيبة عن حماد: «أن رهطاً من عكل أو قال من عرينة ولا أعلمه إلا قال من عكل» وله في الجهاد باب إذا حرق المشرك المسلم عن أيوب: «أن رهطاً من عكل» ولم يشك، وكذا في المحاربين عن يحيى بن أبي كثير، وفي الديات عن أبي رجاء كلاهما عن أبي قلابة، وله في الزكاة عن شعبة عن قتادة عن أنس: «أن ناساً من عرينة» ولم يشك أيضاً.وكذا لمسلم في القسامة باب حكم المحاربين والمرتدين من رواية معاوية بن قرة عن أنس، وفي المغازي باب قصة عكل وعرينة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة: «أن ناساً من عكل وعرينة» بالواو العاطفة وهو الصواب، ويؤيده ما رواه أبو عوانة والطبري من طريق سعد بن بشير عن قتادة عن أنس قال: «كانوا أربعة من عرينة وثلاثة من عكل» ولا يخالف هذا ما عند المصنف في الجهاد من طريق وهيب عن أيوب، وفي الديات من طريق حجاج الصواف عن أبي رجاء كلاهما عن أبي قلابة عن أنس: «أن رهطاً من عكل ثمانية» لاحتمال أن يكون الثامن من غير القبيلتين وكان من أتباعهم فلم ينسب.وغفل من نسب عدتهم ثمانية لرواية أبي يعلى وهي عند البخاري وكذا عند مسلم.

قال الحافظ: «وزعم ابن التين تبعاً للداودي أن عرينة هي عكل، وهو غلط، بل هما قبيلتان متغايرتان، عكل من عدنان، وعرينة من قحطان.وعُكل بضم المهملة، وإسكان الكاف قبيلة من تيم الرباب، وعرينة بالعين والراء

المهملتين والنون مصغراً حي من قضاعة وحي من بجيلة والمراد هنا الثاني».

الثامنة: قوله «**فكلموه**» يعني بعدما بايعوه على الإسلام.ذكروا له أنهم استوخموا المدينة فشاوروه في الخروج منها كما في الديات «أنهم استوخموا الأرض فسقمت أجسامهم، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ» وجاء في المحاربين من طريق وهيب عن أيوب أنهم كانوا في الصفة قبل أن يطلبوا الخروج إلى الإبل.

التاسعة: قوله «**فقالوا: قد استوخمنا**» قال في المصباح: وخم البلد بالضم وخامة فهو وخيم، وأرض وخمة، ووخيمة ووخام وزان سلام، ومرعى وخيم مستوبل ورجل وخيم ووخِم أي ثقيل واستوخمت البلد وهو وخم ووخم بالكسر والسكون أيضاً إذا كان غير موافق في السكن.ومنه اشتقاق التخمة وأصلها الواو؛ لأن الطعام يثقل على المعدة فتضعف عن هضمه فيحدث منه الداء.

العاشرة: قوله «**فخرجوا فيها، فشربوا من أبوالها وألبانها**» في الكلام محذوف يفسره ما جاء عند المصنف في الطب من رواية قتادة: «فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود وبراع، وأمرهم أن يخرجوا فيه» وفي الوضوء «فأمرهم النبي ﷺ بلقاح» يعني أمر لهم أو أمرهم أن يلحقوا بلقاح.

الحادية عشرة: قوله «**واستصحوا**» في السياق حذف تقديره فشربوا من أبوالها وألبانها فلما صحوا.وقد ثبت ذلك في رواية أبي رجاء، وزاد في رواية وهيب «وسمنوا».قال الحافظ: وللإسماعيلي من رواية ثابت «ورجعت إليهم ألوانهم».

الثانية عشرة: قوله «**ومالوا على الراعي فقتلوه**» يعني أنهم رجعوا بعد أن استصحوا إلى راعي النبي ﷺ فقتلوه.

قال الحافظ: «واسم راعي النبي ﷺ المقتول يسار بياء تحتانية ثم مهملة خفيفة، كذا ذكره ابن إسحاق في المغازي».

الثالثة عشرة: قوله «**واطردوا النعم**» في الوضوء «واستاقوا» وهما بمعنى السير العنيف.

الرابعة عشرة: قوله «**فمما يستبطأ هؤلاء**» بضم أوله وسكون المهملة وبعد الفوقية موحدة ساكنة فطاء مهملة فهمزة مبنياً للمفعول.استفعال من البطء الذي هو نقيض السرعة أي شيء يستبطأ بهم.

الخامسة عشرة: قوله «**قتلوا النفس، وحاربوا الله ورسوله، وخوفوا رسول الله ﷺ**» هذا هو بيان الموجب للإسراع في إقامة الحد على هؤلاء وقد قاله أبو قلابة استنباطاً والمعنى أنهم قتلوا نفساً بغير نفس وسرقوا الإبل من حرز مثلها وكان صنيعهم ذلك مخوفاً ومروعاً إذ لم يتوقع منهم ذلك.

السادسة عشرة: قوله «**فقال سبحان الله**» اسم مصدر على وزن فعلان كشكران وغفران.وفعله سبح وأصله تنزيه الله عز وجل.وقيلت في هذا المقام على سبيل التعجب والاستنكار والقائل هو عنبسة.

السابعة عشرة: قوله «**فقلت: تتهمني**» أي أتظنني أكذب فيما حدثتكم؛ لأنه خالف حديثك.والقائل هو أبو قلابة.

الثامنة عشرة: قوله «**قال حدثنا بهذا أنس**» برهان لصدقه وبعد التهمة عنه والإشارة بقوله "**هذا**" إلى ما سبق من سياق الحديث عن العرنيين.

التاسعة عشرة: قوله «**يا أهل كذا إنكم لن تزالوا...الخ**» في رواية أبي رجاء عن أبي قلابة عند مسلم في القسامة: «لن تزالوا بخير يا أهل الشام ما دام فيكم هذا».

قلت: فهذا اعتراف من عنبسة بفضل أبي قلابة وجلالة قدره.

من فقه الحديث:

أولاً: تواضع عمر بن عبد العزيز.

ثانياً: استشارة الإمام أهل العلم والفقه في النوازل وما يشكل عليه وجه الصواب فيه.

ثالثاً: في قوله «فشربوا من أبوالها وألبانها» طهارة بول البعير وجواز التداوي به.

١١٣- [باب ﴿والجروح قصاص﴾].

ش: قلت: الآية ﴿**وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون**﴾.

قوله ﴿**وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس - إلى قوله - والجروح قصاص**﴾ يخبر جل شأنه أنه كتب على اليهود في التوراة يعني فرض عليهم فيها.ثم فسر ذلك المكتوب بقوله ﴿**أن النفس بالنفس**﴾ وما بعده والمعنى أن من أحكام الله التي أعرض عنها أولئك وهي عندهم في التوراة أنه من قتل نفسا عمداً وعدواناً فجزاؤه القتل وكذا الحكم في العين والأنف والأذن والسن، وهذه هي عين المساواة بين عباد الله لا فرق فيها بينهم فالشريف والوضيع على حد سواء عدلٌ من الله بين عباده.فمن فقأ عيناً فقئت عينه، ومن جدع أنفاً جدع أنفه، ومن قطع أذناً قطع أذنه، ومن كسر سناً أو قلعه فجزاؤه مثل ما صنع، ومن جرح غيره جرحاً غير ما ذكر فهو مقتص منه مثل الجرح الذي جرحه، وقد حكى الله سبحانه وتعالى هذه الأحكام المنصوص عليها في التوراة توبيخاً لليهود وتقريعاً وبيان أنهم قد بدلوا وغيروا إعراضاً وعناداً واستنكافاً عن حكم الله.

قوله «﴿**فمن تصدق به فهو كفارة له**﴾» اختلف أهل التفسير في المراد بهذا المتصدق على قولين:

الأول: أنه المجروح، وولي القتيل، وهو قول عبد الله بن عمرو والنخعي، وابن الصامت، والحسن، وقتادة، والشعبي.

والثاني: أنه الجارح نفسه وقالوا معنى الآية فمن تصدق بما وجب له من قود أو قصاص على من وجب ذلك له عليه فعفا عنه فعفوه ذلك عن الجاني كفارة لذنب الجاني المجرم، كما القصاص منه كفارة له.

قالوا: فأما أجر العافي المتصدق فعلى الله.وهذا قول ابن عباس ومجاهد،

والشعبي في رواية، والنخعي في رواية، وزيد بن أسلم.

حكى القولين كليهما ابن جرير واختار أولهما قائلاً:

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال عنى به فمن تصدق به فهو كفارة له المجروح؛ فلأن تكون "الهاء" في قوله "له" عائدة على "من" أولى من أن تكون "من" ذكر من لم يجد له ذكر إلا بالمعنى دون التصريح وأحرى، إذ الصدقة هي المكفرة ذنب صاحبها دون المتصدق عليه في سائر الصدقات غير هذه فالواجب أن يكون سبيل هذه سبيل غيرها من الصدقات.

قال مقيده: وهذا هو الصواب إن شاء الله؛ لأدلة كثيرة منها:

أولاً: أنه هو الموافق لظاهر النص، وهذا هو الذي يتحتم المصير إليه ما لم يصرفه عنه دليل شرعي، وذلك الدليل إما نص أو إجماع.

ثانياً: قوله تعالى ﴿**فمن عفى وأصلح فأجره على الله**﴾.

وقوله ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون**﴾.

قال ابن عباس: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق، فهو ظلم كبير، عند استحلاله، وعظيمة كبيرة عند فعله غير مستحل له.

من فقه الآية:

أولاً: شرع من قبلنا شرع لنا إذا سيق مقرراً و لم ينسخ.

ثانياً: ترغيب المجني عليه أو وليه في العفو عن الجاني.

ثالثاً: وصف الحاكم بغير ما أنزل الله بالظلم وهل ذلك الظلم كفر ناقل عن الملة موجب للردة بعد الإيمان أم في ذلك تفصيل عند أهل التحقيق من العلماء والأئمة، وحتى تظهر الحجة وتستبين المحجة أمام طالب الحق وسلوك مسلك أهل السنة والجماعة ننقل تفصيل القول في هذا الباب عن أهل العلم.

١ـ قال **الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله** في شرحه هذه الآية وما بعدها «﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون**﴾ وما قبلها ﴿**ومن لم**

يحكم بما أنزل ا لله فأولئك هم الكافرون﴾ واعلم أن تحرير المقام في هذا البحث أن الكفر والظلم والفسق كل واحد منها ربما أطلق في الشرع مراداً به المعصية تارة، والكفر المخرج من الملة أخرى، ومن لم يحكم بما أنزل ا لله، معارضة للرسل وإبطالا لأحكام ا لله فظلمه وفسقه وكفره كلها كفر مخرج عن الملة، **ومن لم يحكم بما أنزل ا لله معتقداً أنه مرتكب حراماً فاعلاً قبيحاً فكفره وظلمه وفسقه غير مخرج عن الملة**، وقد عرفت أن ظاهر القرآن يدل على أن الأولى في المسلمين، والثانية في اليهود والثالثة في النصارى، والعبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب، وتحقيق أحكام الكل هو ما رأيت، والعلم عند ا لله تعالى».انظر الجزء الثاني من أضواء البيان صفحة تسعين.

٢ـ وقال **سماحة الوالد الشيخ عبد العزيز بن باز** مفتي المملكة العربية السعودية حفظه ا لله:

«**ومن حكم بغير ما أنزل ا لله فلا يخرج عن أربعة أمور:**

١ـ من قال أنا أحكم بهذا؛ لأنه **أفضل** من الشريعة الإسلامية فهذا كافر كفر أكبر.

٢ـ ومن قال أنا أحكم بهذا؛ لأنه مثل الشريعة الإسلامية، فالحكم بهذا جائز وبالشريعة جائز فهو كافر كفراً أكبر.

٣ـ ومن قال أنا أحكم بهذا والحكم بالشريعة الإسلامية أفضل؛ لكن الحكم بغير ما أنزل ا لله جائز فهو كافر كفراً أكبر.

٤ـ ومن قال أنا أحكم بهذا وهو يعتقد أن الحكم بغير ما أنزل ا لله لا يجوز ويقول الحكم بالشريعة الإسلامية أفضل ولا يجوز الحكم بغيرها؛ **ولكنه متساهل** أو يفعل هذا لأمر صادر من حكامه فهو كافر كفراً أصغر لا يخرج من الملة ويعتبر من أكبر الكبائر»

٣ـ وقال الشيخ **محمد بن صالح بن عثيمين** حفظه ا لله في (ص٨٧ من

القواعد المثلى):

«فإن قال قائل: **هل تكفرون أهل التأويل أو تفسقونهم؟**

قلنا: الحكم بالتكفير والتفسيق ليس إلينا بل هو إلى الله تعالى ورسوله ﷺ فهو من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنة فيجب التثبت فيه غاية التثبت فلا يكفر ولا يفسق إلا من دل الكتاب والسنة على كفره أو فسقه. والأصل في المسلم الظاهر العدالة بقاء إسلامه وبقاء عدالته حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي. ولا يجوز التساهل في تكفيره أو تفسيقه؛ **لأن في ذلك محذورين عظيمين:**

أحدهما: افتراء الكذب على الله تعالى في الحكم وعلى المحكوم عليه في الوصف الذي نبزه به.

الثاني: الوقوع فيما نبز به أخاه إن كان سالماً منه ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما». وفي رواية: «إن كان كما قال وإلا رجعت إليه». وفيه عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه».

وعلى هذا فيجب قبل الحكم على المسلم بكفر أو فسق أن ينظر في أمرين:

أحدهما: دلالة الكتاب أو السنة على أن هذا القول أو الفعل موجب للكفر أو الفسق.

الثاني: انطباق هذا الحكم على القائل المعين أو الفاعل المعين بحيث تتم شروط التكفير أو التفسيق في حقه وتنتفي الموانع.

ومن أهم الشروط أن يكون عالماً بمخالفته التي أوجبت أن يكون كافراً أو فاسقاً لقوله تعالى ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً**﴾ وقوله ﴿**وما كان**

ا لله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إن ا لله بكل شيء عليم إن ا لله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون ا لله من ولي ولا نصير﴾.

ولهذا قال أهل العلم: لا يكفر جاحد الفرائض إذا كان حديث عهد بإسلام حتى يبين له.

ومن الموانع أن يقع ما يوجب الكفر أو الفسق بغير إرادة منه ولذلك صور:

منها: أن يكره على ذلك فيفعله لداعي الإكراه لا اطمئناناً به فلا يكفر حينئذ لقوله تعالى **﴿من كفر با لله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من ا لله ولهم عذاب عظيم﴾**.

ومنها: أن يغلق عليه فكره فلا يدري ما يقول لشدة فرح أو حزن أو خوف أو نحو ذلك.

ودليله ما ثبت في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي ا لله عنه قال: قال رسول ا لله ﷺ: ((لَلّهُ أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك.أخطأ من شدة الفرح)).اهـ

٤- وقال الإمام **أبو عبد ا لله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن القيم رحمه ا لله** في كتاب الصلاة (ص٥٣):((...فالكفر والإيمان متقابلان إذا زال أحدهما خلفه الآخر.ولما كان الإيمان أصلاً له شعب متعددة، وكل شعبة منها تسمى إيماناً، فالصلاة من الإيمان، وكذلك الزكاة والحج والصيام، والأعمال الباطنة كالحياء، والتوكل، والخشية من ا لله، والإنابة إليه حتى تنتهي هذه الشعب

إلى إماطة الأذى عن الطريق، فإنه شعبة من شعب الإيمان، وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً، منها ما يلحق بشعبة الشهادة، ويكون إليها أقرب، ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الأذى، ويكون إليها أقرب.

وكذلك الكفر ذو أصل وشعب، فكما أن شعب الإيمان إيمان، فشعب الكفر كفر، والحياء شعبة من الإيمان، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر، والصدق شعبة من شعب الإيمان، والكذب شعبة من شعب الكفر، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان، وتركها من شعب الكفر، والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر، والمعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان.

وشعب الإيمان قسمان: قولية وفعلية، وكذلك شعب الكفر نوعان: قولية وفعلية.ومن شعب الإيمان القولية: شعبة يوجب زوالها زوال الإيمان، فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوال الإيمان.وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية، فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر اختياراً، وهي شعبة من شعب الكفر، فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، فهذا أصل.

وها هنا أصل آخر، وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل.

والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام.

والعمل قسمان: عمل القلب، وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح، فإذا زالت هذه الأربعة، زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب، لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة ـ إلى أن قال (ص ٥٥):

وها هنا أصل آخر، وهو أن الكفر نوعان: كفر عمل، وكفر جحود

وعناد.فكفر الجحود: أن يكفر بما علم أن الرسول جاء به من عند الله جحوداً وعناداً من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه، وهذا الكفر يضادُّ الإيمان من كل وجه، وأما كفر العمل، فينقسم إلى ما يضاد الإيمان، وإلى ما لايضاده، فالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، وقتل النبي وسبه يضاد الإيمان.وأما الحكم بغير ما أنزل الله، وترك الصلاة، فهو من الكفر العملي قطعاً، ولا يمكن أن ينفى عنه اسم الكفر بعد أن أطلقه الله ورسوله عليه، فالحاكم بغير ما أنزل الله كافر، وتارك الصلاة كافر بنص رسول الله ﷺ ولكن هو كفر عمل لا كفر اعتقاد، ومن الممتنع أن يسمي الله ـ سبحانه ـ الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً، ويسمي رسول الله ﷺ تارك الصلاة كافراً، ولا يطلق عليهما اسم الكفر، وقد نفى رسول الله ﷺ الإيمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر، وعمن لا يأمن جاره بوائقه، وإذا نفي عنه اسم الإيمان، فهو كافر من جهة العمل، وانتفى عنه كفر الجحود والاعتقاد، وكذلك قوله: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض».فهذا كفر عمل، وكذلك قوله: «من أتي كاهناً فصدقه أو امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد».وقوله: «إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر.فقد باء بها أحدهما» ـ إلى أن قال (ص٥٦):

وهذا التفصيل هو قول الصحابة الذين هم أعلم الأمة بكتاب الله، وبالإسلام والكفر ولوازمهما، فلا تتلقى هذه المسائل إلا عنهم، فإن المتأخرين لم يفهموا مرادهم، فانقسموا فريقين: فريقاً أخرجوا من الملة بالكبائر، وقضوا على أصحابها بالخلود في النار، وفريقاً جعلوهم مؤمنين كاملي الإيمان، فهؤلاء غلوا، وهؤلاء جفوا، وهدى الله أهل السنة للطريقة المثلى، والقول الوسط الذي هو في المذاهب كالإسلام في الملل، فها هنا كفر دون كفر، ونفاق دون نفاق، وشرك دون شرك، وفسوق دون فسوق، وظلم دون ظلم. . . إلى أن قال (ص٥٨): كذلك الشرك شركان: شرك ينقل عن الملة، وهو الشرك الأكبر، وشرك لا ينقل

عن الملة، وهو الشرك الأصغر، وهو شرك العمل كالرياء، وقال تعالى في الشرك الأكبر ﴿**إنه من يشرك با لله فقد حرم ا لله عليه الجنة، ومأواه النار**﴾ وقال ﴿**ومن يشرك با لله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق**﴾ وفي شرك الرياء ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً**﴾ ومن هذا الشرك الأصغر قوله ﷺ: «من حلف بغير ا لله فقد أشرك». رواه أبو داود وغيره، ومعلوم أن حلفه بغير ا لله لا يخرجه عن الملة، ولا يوجب له حكم الكفار. إلى أن قال (ص٦٠):

وها هنا أصل آخر، وهو أن الرجل قد يجتمع فيه كفر وإيمان، وشرك وتوحيد، وتقوى وفجور، ونفاق وإيمان، وهذا من أعظم أصول أهل السنة، وخالفهم فيه غيرهم من أهل البدع كالخوارج والمعتزلة والقدرية، ومسألة خروج أهل الكبائر من النار وتخليدهم فيها مبنية على هذا الأصل، وقد دل عليه القرآن والسنة والفطرة وإجماع الصحابة. . . إلى أن قال (ص٦١):

وها هنا أصل آخر، وهو أنه لا يلزم من قيام شعبة من شعب الإيمان بالعبد أن يسمى مؤمناً، وإن كان ما قام به إيماناً، ولا من قيام شعبة من شعب الكفر به أن يسمى كافراً، وإن كان ما قام به كفراً، كما أنه لا يلزم من قيام جزء من أجزاء العلم به أن يسمى عالماً، ولا من معرفة بعض مسائل الفقه والطب أن يسمى فقيهاً ولا طبيباً، ولا يمتنع كذلك أن تسمى شعبة الإيمان إيماناً، وشعبة النفاق نفاقاً، وشعبة الكفر كفراً.

٥- وقال شيخه **الإمام أبو العباس ابن تيمية رحمه ا لله** (ص١٨٠ ج ١٢ مجموع الفتاوى لابن القاسم):

«وأما التكفير فالصواب أن من اجتهد من أمة محمد ﷺ وقصد الحق فأخطأ لم يكفر بل يغفر له خطؤه ومن تبين له ما جاء به الرسول فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين فهو كافر، ومن اتبع هواه وقصر في

طلب الحق وتكلم بلا علم فهو عاص مذنب، ثم قد يكون فاسقاً وقد يكون له حسنات ترجح على شيئاته)).اهـ

وقال في (ص٢٢٩ ج ٣) من المجموع المذكور في كلام له: ((هذا مع أني دائماً ومن جالسني يعلم ذلك مني أني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً أخرى وعاصياً أخرى)).

وقال رحمه الله في (ص١٦٥ ج٣٥) من مجموع الفتاوى:

((وأصل ذلك أن المقالة التي هي كفر بالكتاب والسنة والإجماع يقال هي كفر قولاً يطلق كما دل على ذلك الدلائل الشرعية فإن الإيمان من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله ليس ذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم، ولا يجب أن يحكم كل شخص قال ذلك بأنه كافر حتى يثبت في حقه شروط التكفير وتنتفي موانعه مثل من قال: إن الخمر أو الربا حلال لقرب عهده بالإسلام أو لنشوئه في بادية بعيدة أو سمع كلاماً أنكره ولم يعتقد أنه من القرآن ولا أنه من أحاديث رسول الله ﷺ كما كان بعض السلف ينكر أشياء حتى يثبت عنده أن رسول الله ﷺ قالها.

وقال: فإن هؤلاء لا يكفرون حتى تقوم عليهم الحجة بالرسالة كما قال تعالى ﴿**لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**﴾ وقد عفا الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان)).اهـ كلامه.

٦ـ وقال **الإمام ابن الجوزي رحمه الله**: ((وفصل الخطاب أن من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً له وهو يعلم أن الله أنزله كما فعلت اليهود فهو كافر، ومن لم يحكم بما أنزل الله ميلاً إلى الهوى من غير جحود فهو ظالم وفاسق، وقد روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق)).اهـ (زاد المسير ٢/٣٦٦).

٧ـ وقال **الإمام أبو جعفر الطحاوي** رحمه الله: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله». (ص٣١٦).

٨ـ وقال شارحه **الإمام ابن أبي العز الحنفي** رحمه الله (ص٣٢٣): «وهنا أمر يجب أن يتفطن له وهو أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً ينقل عن الملة، وقد يكون معصية كبيرة، أو صغيرة، ويكون كفراً إما مجازياً وإما كفراً أصغر على القولين المذكورين وذلك بحسب حال الحاكم؛ فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر، وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا عاص ويسمى كافراً كفراً مجازياً أو كفراً أصغر».

قال مقيده: عليك بما قاله هؤلاء العلماء فالزمه فإن أهل السنة من الصحابة وأئمة التابعين ومن بعدهم مجمعون عليه، واعلم أنك إن خالفته وقعت في نهج الخوارج.

١٣٢ـ حدثني محمد بن سلام، أخبرنا الفزاري[1]**، عن حميد، عن أنس رضي الله عنه قال: كسرت الربيع وهي عمة أنس بن مالك ثنية جارية من الأنصار فطلب القوم القصاص، فأتوا النبي ﷺ فأمر النبي ﷺ بالقصاص، فقال أنس بن النظر، عم أنس بن مالك: لا والله لا تكسر سنها يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «يا أنس كتاب الله القصاص». فرضي القوم وقبلوا الأرش**

(١) هو أبو عبد الله مروان بن معاوية بن الحارث بن أسماء الفزاري الكوفي، نزيل مكة ودمشق، ثقة حافظ وكان يدلس أسماء الشيوخ، من الثامنة، مات سنة ثلاث وتسعين [ومائة]. ع.

فقال رسول ا لله ﷺ: «إن من عباد ا لله من لو أقسم على ا لله لأبره».

ش: فيه تسع مسائل:

الأولى: قوله «**كسرت الربيع وهي عمة أنس**» في الديات باب السن بالسن: «لطمت جارية فكسرت ثنيتها» والربيع هي الربيع بنت النظر الأنصارية الخزرجية عمة أنس بن مالك، صحابية روى عنها أنس في الجهاد من صحيح مسلم، و لم يذكرها المزي.أخرج لها مسلم.

الثانية: قوله «**تنية جارية من الأنصار**» الثنية مفرد ثنايا وهي ما يلي الرباعية من الأسنان في وسط الفم وفي رواية معتمر «امرأة» بدل جارية وهو يوضح أن المراد بالجارية المرأة الشابة لا الأمة الرقيقة.و لم أقف على اسم تلك الجارية.

الثالثة: قوله «**فطلب القوم القصاص**» في الديات «فأتوا النبي ﷺ» زاد في الصلح باب الصلح في الدين، ومثله لابن ماجه في الديات والنسائي في تفسير الآية من وجه آخر عن أنس: «فطلبوا إليهم العفو فأبوا، فعرضوا عليهم الأرش فأبوا» أي طلب أهل الربيع إلى أهل التي كسرت تنيتها أن يعفوا عن الكسر المذكور مجاناً أو على مال فامتنعوا.

الرابعة: قوله «**فأمر النبي ﷺ بالقصاص**» أي بأن يقتص من الربيع بكسر سنها لقاء كسرها سن الجارية.

الخامسة: قوله «**فقال أنس بن النظر**» هو أنس بن النظر الأنصاري الخزرجي عم أنس بن مالك صحابي استشهد يوم أحد سنة ثلاث من الهجرة.

السادسة: قوله «**لا وا لله لا تكسر سنها يا رسول ا لله**» ليس هذا القسم من أنس رداً لحكم ا لله ولا اعتراضاً عليه؛ ولكنه قال ذلك طمعاً في عدم وقوعه لما كان له عند ا لله من القرب والثقة بفضل ا لله تعالى ولطفه أنه لا يخيبه بل

يلهمهم العفو.

السابعة: قوله «**كتاب ا لله القصاص**» أي فريضة ا لله في هذا القصاص ولا بد من تقييده بعدم العفو والمطالبة من المجني عليه أو وليه كما قال تعالى: ﴿**فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان**﴾ فالآية دليل على أنه بالعفو يسقط القصاص.

الثامنة: قوله «**فرضي القوم وقبلوا الأرش**» يعني عفى أهل الجارية عن القصاص ورضوا بدية السن.

التاسعة: قوله «**إن من عباد ا لله من لو أقسم على ا لله لأبره**» أي لأبر قسمه. ووقع في رواية خالد الطحان عن حميد عن أنس في هذا الحديث عند ابن أبي عاصم: «كم من رجل لو أقسم على ا لله لأبره» ووجه تعجبه أن أنس بن النظر أقسم على نفي فعل غيره مع إصرار ذلك الغير على إيقاع ذلك الفعل فكان قضية ذلك في العادة أن يحنث في يمينه فألهم ا لله الغير العفو فبر قسم أنس.وأشار بقوله «إن من عباد ا لله» أي أن هذا الإتفاق إنما وقع إكراماً من ا لله لأنس ليبر يمينه وأنه من جملة عباد ا لله الذين يجيب دعاءهم ويعطيهم أربهم. حكاه الحافظ.

من فقه الحديث:

أولاً: وجوب القصاص إذا لم يكن عفو من المجني عليه أو وليه.

ثانياً: فضيلة أنس بن النظر رضي ا لله عنه.

فائدة:

يذكر الفقهاء شروطاً لوجوب القصاص وأخرى لاستفاءه وسنذكر كـ ؑ من الصنفين على حدة فنقول وبا لله التوفيق:

أولاً: شروط وجوب القصاص وهي أربعة:

أحدها:عصمة المقتول فلو قتل مسلم حربياً أو مرتداً لم يضمنه بقصاص ولا دية.

الثاني: التكليف فلا قصاص على صغير ولا مجنون.

الثالث: المكافأة بأن يساويه في الدين والحرية والرق فلا يقتل مسلم بكافر ولا حر بعبد وعكسه يقتل، ويقتل الذكر بالأنثى والأنثى بالذكر.

الرابع: عدم الولادة فلا يقتل أحد الأبوين وإن علا بالولد وإن سفل ويقتل الولد بكلٍ منهما.

ثانياً: شروط استيفاء القصاص وهي ثلاثة:

(**أ**): كون مستحقه مكلفاً فإن كان صبياً أو مجنوناً لم يستوفى وحبس الجاني إلى البلوغ والإفاقة.

(**ب**):إتفاق الأولياء المشتركين فيه، على استيفائه وليس لبعضهم أن ينفرد به وإن كان بقي غائباً أو صبياً أو مجنوناً انتظر القدوم والبلوغ والعقل.

(**ج**): أن يؤمن في الاستيفاء أن يتعدى الجاني فإذا وجب على حامل أو حائل فحملت لم تقتل حتى تضع الولد وتسقيه اللباء ثم إن وجد من يرضعه وإلا تركت حتى تفطمه ولا يقتص منها في الطرف حتى تضع والحد في ذلك كالقصاص.

١١٤- [باب **﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾**].

ش: تمامها **﴿وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾**.

قوله **﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾**.

قال ابن كثير: «يقول تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمد ﷺ باسم الرسالة وآمراً له بإبلاغ جميع ما أرسله الله به، وقد امتثل عليه أفضل الصلاة والسلام ذلك وقام به أتم القيام.

قوله **﴿وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾** يعني إذا لم تمتثل هذا الأمر الذي أمرك به ربك فإنك لم تكن مبلغاً الرسالة التي بعثك الله بها هداية للناس وإخراجاً لهم من الظلمات إلى النور»اهـ.

قوله **﴿والله يعصمك من الناس﴾**.

قال ابن جرير: «ويعني بقوله **﴿والله يعصمك من الناس﴾** يمنعك من أن ينالوك بسوء، وأصله من عصام القربة، وهو ما توكأ به من سير وخيط ومنه قول الشاعر:

وقلت عليكم مالكاً إن مالكاً

سيعصمكم إن كان في الناس عاصم

يعني يمنعكم».

قوله ﴿**إن ا لله لا يهدي القوم الكافرين**﴾ يعني جل وعلا بذلك نفي هداية التوفيق والقبول عمن سبق في علم ا لله عليه الكفر عليه، لا هداية البيان والإرشاد فإنها شاملة كل من بلغته الرسالة، وبها قامت عليهم الحجة وأمثال هذا النفي في القرآن كثير كقوله تعالى: ﴿**فبهت الذي كفر وا لله لا يهدي القوم الظالمين**﴾ وقوله: ﴿**لا يقدرون على شيء مما كسبوا وا لله لا يهدي القوم الكافرين**﴾.

١٣٣ـ حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن إسماعيل، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة رضي ا لله عنها قالت: من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً مما أنزل عليه فقد كذب وا لله يقول ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك﴾.

ش: سيأتي بتمامه في سورة **النجم** ضمن الباب السابع والثلاثين بعد الثلاث مائة وهناك يأتي شرحه كاملاً إن شاء ا لله.

١١٥- [باب ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾].

ش: تمامها ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون﴾.

قوله ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾ .

قال البغوي في سبب نزولها: قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت ﴿لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾ قالوا يا رسول الله كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها، وكانوا حلفوا على ما اتفقوا عليه، فأنزل الله ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾.

قلت: ونظيره من سورة البقرة ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾.

قال الشوكاني في تفسيرها: «﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ واللغو مصدر لغا يلغو لغواً.ولغى يلغى لغياً.إذا أتى بما لا يحتاج إليه في الكلام أو بما لا خير فيه، وهو الساقط الذي لا يعتد به، فاللغو من اليمين هو الساقط الذي لا يعتد به، ومنه اللغو في الدية وهو الساقط الذي لا يعتد به من أولاد الإبل.قال جرير:

ويذهب بينها المرى لغواً كما ... ألغيت في الدية الحوارا

وقال آخر:

ورب أسراب حجيج كظيم ... عن اللغا ورفث التكلم

أي لا يتكلمن بالساقط والرفث، ومعنى الآية لا يعاقبكم الله بالساقط من

أيمانكم ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم أي اقترفته بالقصد إليه، وهي اليمين المعقودة.ومثله قوله تعالى:﴿**ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان**﴾ ومثله قول الشاعر:

ولست بمأخوذ يلغو بقوله إذا لم تعمد عاقدات العزائم

وقد اختلف أهل العلم في تفسير اللغو، فذهب ابن عباس وعائشة وجمهور العلماء أيضاً أنه قول الرجل "لا وا لله" و"بلى وا لله" في حديثه وكلامه غير معتقد لليمين، ولا مريد له.

قال المروزي: ((هذا معنى لغو اليمين الذي اتفق عليه عامة العلماء)) .

وقال أبو هريرة وجماعة من السلف: ((هو أن يحلف الرجل على شيء لا يظن إلا أنه إياه فإذا ليس هو ما ظنه، وإلى هذا ذهبت الحنفية والزيدية وبه قال مالك في الموطأ.ثم ذكر أقوالاً أخرى وقال: والراجح القول الأول لمطابقته للمعنى اللغوي، ولدلالة الأدلة عليه)).اهـ

قوله ﴿فكفارته إطعام عشرة مساكين ـ إلى قوله ـ فصيام ثلاثة أيام﴾.

قلت: الكفارة من كفر ا لله عنه الذنب أي محاه، ومنه الكفارة؛ لأنها تكفر الذنب، وكفر عن يمينه إذا فعل الكفارة وأما معنى الآية فقال ابن كثير: ((قوله ﴿**عشرة مساكين**﴾ يعني محاويج من الفقراء ومن لا يجد ما يكفيه، وقوله ﴿**من أوسط ما تطعمون أهليكم**﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة: أي من أعدل ما تطعمون أهليكم.

وقال عطاء الخرساني: ((من أمثل ما تطعمون أهليكم...واختار ابن جرير أن المراد بقوله ﴿**من أوسط ما تطعمون أهليكم**﴾ أي في القلة والكثرة...))

وقوله تعالى ﴿**أو كسوتهم**﴾ قال الشافعي رحمه ا لله: ((لو دفع إلى كل واحد من العشرة ما يصدق عليه اسم الكسوة من قميص أو سراويل أو إزار أو عمامة أو مقنعة أجزأه ذلك)) .

وقوله ﴿**أو تحرير رقبة**﴾ أخذ أبو حنيفة بإطلاقها فقال: تجزي الكافرة كما تجزي المؤمنة، وقال الشافعي وآخرون: لا بد أن تكون مؤمنة وأخذ تقييدها بالإيمان من كفارة القتل لإتحاد الموجب وإن اختلف السبب ومن حديث معاوية بن الحكم السلمي الذي هو في موطأ مالك ومسند الشافعي وصحيح مسلم: أنه ذكر أن عليه عتق رقبة وجاء معه بجارية سوداء فقال لها رسول الله: أين الله.قالت: في السماء قال: من أنا. قالت: رسول الله.قال: اعتقها فإنها مؤمنة.الحديث بطوله.فهذه خصال ثلاث في كفارة اليمين أيها فعل الحانث أجزأ عنه بالإجماع وقد بدأ بالأسهل فالأسهل، فالإطعام إسهل وأيسر من الكسوة، كما أن الكسوة أيسر من العتق، فترقى فيها من الأدنى إلى الأعلى فإن لم يقدر المكلف على واحدة من هذه الخصال الثلاث كفر بصيام ثلاثة أيام كما قال تعالى ﴿**فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام**﴾.

قوله ﴿**ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم**﴾ يعني المتقدم ذكره من الخصال على ما سبق شرحه مكفرٌ للأيمان.

وقوله ﴿**إذا حلفتم**﴾ يعني إذا حلفتم فحنثتم بترك ما حلفتم على فعله أو فعل ما حلفتم على تركه»اهـ.

قوله ﴿**واحفظوا أيمانكم**﴾ الخ الآية قال ابن جرير: «واحفظوا أيها الذين آمنوا أيمانكم أن تحنثوا فيها ثم تصنعوا الكفارة فيها بما وصفته لكم ﴿**كذلك يبين الله لكم آياته**﴾ كما بين لكم كفارة أيمانكم كذلك يبين الله لكم جميع آياته يعني أعلام دينه، فيوضحها لكم لئلا يقول المضيع المفرط فيما ألزمه الله: لم أعلم حكم الله في ذلك ﴿**لعلكم تشكرون**﴾ يقول لتشكروا الله على هدايته إياكم وتوفيقه لكم»اهـ.

من فقه الآية:

أولاً: لا كفارة في لغو الأيمان.

ثانياً: وجوب الكفارة في اليمين المنعقد.

ثالثاً: الأمر بحفظ اليمين وصيانتها.

رابعاً: شكر الله على ما أولى من نعمه ومن ذلك شرعية الكفارة في اليمين.

١٣٤- حدثنا علي بن سلمة[1]، حدثنا مالك بن سعير[2]، حدثنا هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها: أنزلت هذه الآية ﴿لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ في قول الرجل "لا والله" و"بلى والله".

١٣٥- حدثنا أحمد بن أبي رجاء[3]، حدثنا النضر[4]، عن هشام قال: أخبرني أبي، عن عائشة رضي الله عنها: أن أباها كان لا يحنث في يمين حتى أنزل الله كفارة اليمين قال أبو بكر: لا أرى يميناً أرى غيرها خيراً منها إلا قبلت رخصة الله، وفعلت الذي هو خير.

ش: فيهما أربع مسائل:

---

(١) هو علي بن سلمة بن عقبة القرشي اللبقي، النيسابوري، صدوق من كبار الحادية عشرة، مات سنة اثنتين وخمسين ومائتين.خ.ق.

(٢) مالك بن سعير بالتصغير وآخره راء بن الخمس بكسر المعجمة، لا بأس به من التاسعة، مات على رأس المائتين.خ.م.ت.س.ق.

(٣) هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أيوب الهروي، ثقة من العاشرة مات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين.خ.

(٤) هو أبو الحسن النضر بن شميل المازني النحوي البصري، نزيل مرو، ثقة ثبت من كبار التاسعة، مات سنة أربع ومائتين وله اثنتان وثمانون.ع.

الأولى: قوله «**لا وا لله وبلى وا لله**» فيه دليل على ما ذهب إليه الجمهور أن لغو اليمين قول الرجل لا وا لله وبلى وا لله في حديثه وكلامه غير معتقد لليمين ولا مريد لها.والظاهر أن الخبر موقوف على عائشة رضي ا لله عنها، وهو الذي رجحه أبو داود بعد إخراجه من طريق إبراهيم الصائغ عن عطاء عن عائشة أن رسول ا لله ﷺ قال: «هو كلام الرجل في بيته لا وا لله وبلى وا لله» فقال: كان إبراهيم الصائغ رجلاً صالحاً قتله أبو مسلم بعرندس قال: وكان إذا رفع المطرقة فسمع النداء سيبها.قال أبو داود: «روى هذا الحديث داود بن أبي الفرات عن إبراهيم الصائغ موقوفاً على عائشة، وكذلك رواه الزهري وعبد الملك بن أبي سليمان ومالك بن مغول وكلهم عن عطاء عن عائشة موقوفا».اهـ

قلت: وعندي أن هذا وأمثاله مما ليس فيه مجال للإجتهاد فله حكم المرفوع.

الثانية: قوله «**أن أباها كان لا يحنث في يمين**» أخرجه ابن حبان من طريق محمد بن عبد الرحمن الطفاوي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كان رسول ا لله ﷺ إذا حلف على يمين لم يحنث» الحديث.والمحفوظ ما وقع في الصحيحين أن ذلك فعل أبي بكر وقوله.وا لله أعلم.

وحكى ابن التين عن الداودي أن الحديث الثاني يفسر الأول، وتعقبه والحق أن الأول في تفسير لغو اليمين، والثاني في تفسير عقد اليمين.قاله في الفتح.

الثالثة: قوله «**قال أبو بكر: لا أُرى يميناً غيرها خيراً منها**» بفتح الهمزة في الموضعين من الرؤية بمعنى الاعتقاد، وفي الثاني بالضم بمعنى الظن.وقد أخرجه في أول الأيمان والنذور قول ا لله تعالى ﴿**لا يؤاخذكم ا لله باللغو في أيمانكم**﴾ من رواية عبد ا لله بن المبارك عن هشام بلفظ: «لا أحلف على يمين فرأيت غيرها خيراً منها».

الرابعة: قوله «**إلا قبلت رخصة ا لله**»أي في كفارة اليمين.وفي رواية ابن

المبارك «إلا أتيت الذي هو خير منه».

من فقه الحديثين:

أولاً: في تمسك أبي بكر رضي الله عنه بإمضاء يمينه وحرصه عليه حتى نزول الكفارة مئنة من فقهه رضي الله عنه إذ كان يدور مع الدليل.

ثانياً: جواز المضي في اليمين وإنفاذه ما لم يكن في ذلك معصية كقطيعة الرحم وعلى هذا قام الدليل.

ثالثاً: أن التكفير عن اليمين وفعل ما حلف على تركه أو ترك ما حلف على فعله مندوب إليه إذا كان أتقى لله فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف على يمين ثم رأى اتقى لله منها فليأت التقوى». رواه مسلم.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: إني والله ـ إن شاء الله ـ لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها، إلا أتيت الذي هو خير منها، وتحللتها. أخرجاه.

١١٦- [باب قوله **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾**].

ش: تمامها **﴿ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾**

قوله **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾**.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به نبيهم ﷺ أنه حق من عند الله **﴿لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾** يعني بالطيبات اللذيذات التي تشتهيها النفوس، وتميل إليها القلوب، فتمنعوها إياها. كالذي فعله القسيسون والرهبان، فحرموا على أنفسهم النساء والمطاعم الطيبة، والمشارب اللذيذة، وحبس في الصوامع بعضهم أنفسهم وساح في الأرض بعضهم يقول تعالى ذكره: فلا تفعلوا أيها المؤمنون كما فعل أولئك.

قوله **﴿ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾**.

قال ابن كثير: «يحتمل أن يكون المراد منه ولا تبالغوا في التضييق على أنفسكم بتحريم المباحات عليكم كما قاله من قاله من السلف. ويحتمل أن يكون المراد كما لا تحرموا الحلال فلا تعتدوا في تناول الحلال بل خذوا منه بقدر كفايتكم وحاجتكم ولا تجاوزوا الحد فيه كما قال تعالى **﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾** الآية. وقال **﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾** فشرع الله عدل بين الغالي فيه والجافي عنه، لا إفراط ولا تفريط». اهـ

من فقه الآية:

أولاً: النهي عن تحريم ما أحل الله لما فيه من التضييق والحرج على النفوس، بل هو من تزيين الشياطين كما روى مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: (ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني، يومي هذا. كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم، عن دينهم، وحرمت

عليهم ما أحللت لهم).

ثانياً: النهي عن الاعتداء وهو شامل لتحريم الحلال وتحليل الحرام.

ثالثاً: أن التحليل والتحريم محض حق الله لا يشركه فيه أحد.

١٣٦ـ حدثنا عمرو بن عون(١)، حدثنا خالد(٢)، عن إسماعيل، عن قيس(٣)، عن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا نغزو مع النبي ﷺ وليس معنا نساء، فقلنا: ألا نختصي؟ فنهانا عن ذلك، فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب، ثم قرأ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾.

ش: فيه ست مسائل:

الأولى: قوله «**كنا نغزوا مع النبي ﷺ وليس معنا نساء**» فيه بيان أن الحامل لهم على طلبهم الآتي شدة العزوبة عليهم.

الثانية: قوله «**ألا نختصي؟**» وفي باب ما يكره من التبتل من كتاب النكاح من رواية ابن جريج «ألا نستختصي» ولا تنافي بينهما فالأولى استئذان لفعلهم الاختصاء والثانية استئذان في طلب من يفعله بهم.

الثالثة: قوله «**فنهانا عن ذلك**» قال أهل العلم: هو نهي تحريم بلا خلاف في بني آدم، وفيه أيضاً من المفاسد تعذيب النفس والتشويه مع إدخال الضرر الذي قد يفضي إلى الهلاك، وفيه إبطال معنى الرجولية وتغيير خلق الله وكفر

---

(١) هو أبو عثمان عمرو بن عون بن أوسط الواسطي البزاز البصري، ثقة من العاشرة مات سنة خمس وعشرين [ومائتين]. ع.

(٢) هو خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن الطحان الواسطي المزي مولاهم، ثقة ثبت، من الثامنة مات سنة اثنتين وثمانين ومائة وكان مولده سنة عشر ومائة. ع.

(٣) هو أبو عبد الله قيس بن أبي حازم البجلي الكوفي ثقة من الثانية مخضرم، مات بعد التسعين أو قبلها وقد جاز المائة وتغير. ع.

النعمة؛ لأن خلق الشخص رجلاً من النعم العظيمة فإذا أزال ذلك فقد تشبه بالمرأة واختار النقص على الكمال، وفيه من المفاسد قطع النسل الذي هو من أعظم منافع النكاح.

الرابعة: قوله «**فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب**» يعني وغيره مما يتم عليه التراضي وفيه إرشاد إلى تخفيف المهر وتقليله.

الخامسة: قوله «**ثم قرأ**» وقع في رواية ابن بشر عند مسلم في النكاح باب نكاح المتعة «ثم قرأ عبد الله».

السادسة: قوله «**﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ الآية**» وظاهر استشهاد ابن مسعود بهذه الآية هنا يشعر بأنه كان يرى جواز المتعة فقال القرطبي: لعله لم يكن حينئذ بلغه الناسخ، ثم بلغه فرجع بعد.

قلت: يؤيده ما ذكره الإسماعيلي أنه وقع في رواية أبي معاوية عن إسماعيل بن أبي خالد «ففعله ثم ترك بعد» قال: وفي رواية لابن عيينة عن إسماعيل «ثم جاء تحريمها بعد» وفي رواية معمر عن إسماعيل «ثم نسخ» حكاه الحافظ.

١١٧- [باب قوله ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان﴾].

ش: قلت الآية: **﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾.**

الغريب:

١- **الخمر**: يجمع الخمر على خمور مثل فلس وفلوس، ويقال هي اسم لكل مسكر خامر العقل أي غطاه.

٢- **الميسر**: قال في الصحاح: «الميسر قمار العرب بالأزلام، والياسر اللاعب بالقداح» اهـ.

وقال محمد بن كعب القرظي: «كانوا يشترون الجزور فيجعلونها أجزاء، ثم يأخذون القداح فيلقونها وينادى يا ياسر الجزور، يا ياسر الجزور، فمن خرج قدحه أخذ جزءً بغير شيء، ومن لم يخرج قدحه غرم، ولم يأخذ شيئاً».

٣- **الأنصاب**: «النصب بضمتين حجر نصب وعبد من دون الله، وجمعه أنصاب.وقيل النصب جمعها، واحدها نصاب.قيل هي الأصنام وقيل غيرها فإن الأصنام مصورة منقوشة». قاله في المصباح.

٤- **الأزلام**: الـزَلم بفتح اللام، وتضم الزاي وتفتح.القدح وجمعه أزلام.وكانت العرب في الجاهلية تكتب عليها الأمر والنهي وتضعها في وعاء فإذا أراد أحدهم أمراً أدخل يده وأخرج قدحاً فإن خرج ما فيه الأمر مضى لقصده، وإن خرج ما فيه النهي كف.قاله في المصباح.

٥- **الرجس**: «هو الشيء القذر.يقال: رجل رجس، ورجال أرجاس.والرجس يكون على أربعة أوجه، إما من حيث الطبع، وإما من جهة العقل، وإما من كل ذلك.كالميتة فإن الميتة تعاف طبعاً وعقلاً وشرعاً، والرجس من جهة الشرع الخمر والميسر».قاله الراغب في المفردات.

ومعنى الآية: يا أيها الذين آمنوا . صدقوا الله ورسوله، إن الخمر التي تشربونها، والميسر الذي تتياسرونه، والأنصاب التي تذبحون عندها، والأزلام التي تستقسمون بها ﴿**رجس**﴾ يقول: إثم ونتن، سخطه الله وكرهه لكم ﴿**من عمل الشيطان**﴾ يقول: شربكم الخمر وقماركم على الجزر وذبحكم للأنصاب واستقسامكم بالأزلام من تزيين الشيطان لكم لامن الأعمال التي ندبكم إليها ربكم ولا مما يرضاه لكم بل هو مما يسخطه لكم، ﴿**فاجتنبوه**﴾ يقول: فاتركوه وارفضوه ولا تعملوه ﴿**لعلكم تفلحون**﴾ يقول: «لكي تنجحوا فتدركوا الفلاح عند ربكم بترككم ذلك».قاله ابن جرير.

قال **مقيده:** وإذا ضممت هذه الآية إلى ما بعدها وهي ﴿**إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون**﴾ ظهر لك أعظم المفاسد التي من أجلها حرمت الخمر وهي:

أولاً: إيقاع العداوة والبغضاء.

ثانياً: الصد عن ذكر الله.

ثالثاً: الصد عن الصلاة، وذلك ما يريده الشيطان من أهل الإسلام بتزيين الخمر وسائر المسكرات لهم.

من فقه الآيتين:

أولاً: تحريم الخمر وسائر المذكورات بعده.

ثانياً: أنها من تزيين الشيطان.

ثالثاً: الوعد بالفلاح لمن ترك المذكورات في الآية.

رابعاً: يجب على أهل الإسلام سد مداخل الشيطان ومكائده.

خامساً: في الخمر وسائر المسكرات فساد العقل والعرض والدين.

شرح جملة من الكلمات:

١- [وقال ابن عباس: الأزلام القداح يقتسمون بها في الأمور. والنصب أنصاب يذبحون عليها].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق الحسن بن محمد الصباح، عن حجاج بن محمد، عن ابن جريج وعثمان بن عطاء، عن عطاء، عن ابن عباس فذكره.

٢- [وقال غيره: الزلم القدح لا ريش له. وهو واحد الأزلام].

ش: قال أبو عبيدة: «واحد الأزلام زَلَم بفتحتين، وزُلَم بضم أوله وفتح ثانيه لغتان وهو القِدْح بكسر القاف وسكون الدال».

٣- [والاستقسام: «أن يجيل القداح فإن نهته انتهى، وإن أمرته فعل ما تأمره، وقد أعلموا القداح أعلاماً، بضروب يستقسمون بها، وفعلت منه قسمت، والقسوم المصدر. يجيل: يدير].

ش: قال أبو عبيدة: «وهو من استفعلت من قسمت أمري بأن أجيل القداح لتقسم لي أمري، أأسافر أم أقيم، أم أغزو أو لا أغزو، ونحو ذلك. فتكون هي التي تأمرني وتنهاني، ولكل ذلك قدح معروف. وقال: و لم أقسم فتربثني القسوم. ويقال ريثه يريثه ريثاً إذا حبسه».

١٣٧- حدثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا محمد بن بشر[1]، حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز[2] قال: حدثني نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نزل تحريم الخمر، وإن في المدينة يومئذ لخمسة أشربة، ما فيها

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن بشر العبدي، الكوفي، ثقة حافظ من التاسعة، مات سنة ثلاث ومائتين. ع.

(٢) هو أبو محمد عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي، المدني نزيل الكوفة، صدوق يخطيء من السابعة، مات في حدود الخمسين[ومائة]. ع.

شراب العنب.

١٣٨- حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن علية، حدثنا عبد العزيز بن صهيب قال: قال أنس بن مالك رضي الله عنه: ما كان لنا خمر غير فضيخكم هذا الذي تسمونه الفضيخ، فإني لقائم أسقي أبا طلحة، وفلاناً، وفلاناً إذ جاء رجل فقال: وهل بلغكم الخبر؟ فقالوا: وما ذاك؟ قال: حرمت الخمر.قالوا: اهرق هذه القلال يا أنس.قال: فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل.

١٣٩- حدثنا صدقة بن الفضل، أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو، عن جابر قال: صبح أناس غداة أحد الخمر، فقتلوا من يومهم جميعاً شهداء، وذلك قبل تحريمها.

١٤٠- حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، أخبرنا عيسى(١) وابن إدريس(٢)، عن ابي حيان(٣)، عن الشعبي، عن ابن عمر قال: سمعت عمر رضي الله عنه على منبر النبي ﷺ يقول: أما بعد أيها الناس إنه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة: من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير، والخمر ما خامر العقل.

ش: فيها ثنتا عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**نزل تحريم الخمر**» يعني به قوله تعالى ﴿**إنما الخمر والميسر**﴾ الآية فإنها هي النص القاطع بتحريمها إذ هي آخر ما نزل في ذلك.

---

(١) هو عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي، أخو إسرائيل، كوفي نزل الشام مرابطاً، ثقة مأمون، من الثامنة، مات سنة سبع وثمانين [ومائة]. ع.

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن إدريس بن يزيد الأودي، الكوفي، ثقة فقيه عابد، من الثامنة، مات سنة اثنتين وتسعين [ومائة] وله بضع وسبعون سنة. ع.

(٣) هو يحيى بن سعيد بن حيان التيمي الكوفي، ثقة عابد، من السادسة، مات سنة خمس وأربعين [ومائة]. ع.

الثانية: قوله «**وإن في المدينة يومئذ لخمسة أشربة**» **قلت:** وهي الزبيب والتمر والحنطة والشعير والعسل، وقد جاء بيانها في الأشربة باب الخمر من العنب من رواية الشعبي، عن ابن عمر، عن أبيه.

الثالثة: قوله «**الفضيخ**» قال أهل العلم: بفتح الفاء وكسر الضاد وبالخاء المعجمتين هو شراب يتخذ من البسر وحده من غير أن تمسه النار، والفضخ الكسر؛ لأن البسر يشرخ ويترك في وعاء حتى يغلي.

الرابعة: قوله «**أسقي أبا طلحة، وفلاناً وفلاناً**» وقع تسميتهم في الأشربة باب نزول تحريم الخمر من رواية إسحاق وهم أبو عبيدة، وأبي بن كعب، وأبو طلحة، وزاد مسلم في الأشربة باب تحريم الخمر من رواية قتادة معاذ بن جبل وأبا دجانة وسهيل بن بيضاء.

الخامسة: قوله «**إذ جاء رجل**» لم نقف له على تسمية.

السادسة: قوله «**حرمت الخمر**» يعني حرمها الله بما أنزله على نبيه ﷺ في كتابه في سورة المائدة.

السابعة: قوله «**اهرق هذه القلال**» أمر بالإراقة وهي الصب والنثر، والقلال جمع قلة، وهي الجرة العظيمة، وهذا دليل على كثرتها في الدار حينئذ.

الثامنة: قوله «**فما سألوا عنها، ولا راجعوها بعد خبر الرجل**».**قلت:** فيه دليل على سرعة استجابة القوم لأمر الله ورسوله كما أن فيه النص على قبول خبر الواحد، وهذه إحدى الوقائع الكثيرة التي اشتهر فيها عن الصحابة قبول خبر الواحد من غير تردد.

التاسعة: قوله «**صبح أناس غداة أحد الخمر**» سمى جابر منهم فيما رواه وهب بن كيسان عنه: «أباه عبد الله بن عمرو» أخرجه الحاكم في «الإكليل» قاله الحافظ في شرحه لهذا الحديث في غزوة أحد.

العاشرة: قوله «**فقتلوا من يومهم جميعاً شهداء**» وعند الإسماعيلي من طريق

القواريري عن سفيان: «اصطبح قوم الخمر أول النهار، وقتلوا آخر النهار شهداء» حكاه القسطلاني.

الحادية عشرة: قوله «**وذلك قبل تحريمها**» فيه دليل على أن الخمر لم تكن محرمة حينئذ، وقد تقدم أن غزوة أحد كانت سنة ثلاث.

الثانية عشرة: قوله «**والخمر ما خامر العقل**» فيه التنبيه إلى أن اسم الخمر شامل، وليس مقصور على ما كان معهوداً حين تحريمها، وهذا دليل على فقه عمر رضي الله عنه، ومصداقه في الحديث الصحيح «كل مسكر خمر، وكل خمر حرام».

قلت: فقد دخل في هذا العموم جميع المسكرات سواء منها ما كان مشروباً أو مأكولاً أو مشموماً ما دام يخامر العقل.

تنبيه على ما كان يتخذ منه الخمر حين تحريمها:

فإن قلت: روى أحمد من رواية المختار بن فلفل قال: سألت أنساً عن الأوعية.الحديث.وفيه الخمر من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والذرة، وفي رواية أبي يعلى الموصلي: «وحرمت الخمر وهي من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والذرة» وفي رواية أبي هريرة عن النبي ﷺ «الخمر من هاتين الشجرتين النخلة والعنب» رواه مسلم.

قلت: لا تعارض بين هذه الأحاديث؛ لأن كل واحد من الرواة روى ما حفظ من الأصناف، وأيضاً فإن مفهوم العدد ليس بحجة على الصحيح وعليه الجمهور.

فإن قلت: حديث أبي هريرة يدل على الحصر.

قلت: لا نسلم ذلك؛ لأن الحصر إنما يكون إذا كان المبتدأ والخبر معرفتين كقولك: الله ربنا.ونحوه.قاله العيني في شرحه لحديث ابن عمر في أول الباب.

فائدة في الأطوار التي مر بها ذكر الخمر في القرآن:

اعلم هديت إلى الصواب وسداد الأقوال والأعمال أن الخمر في القرآن مرت بأربعة أطوار:

الأول: الإباحة وذلك في قوله ﴿**ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً**﴾ ووجه الاستدلال أنها ذكرت ضمن ما امتن الله به على عباده.

قال ابن كثير: «ولما ذكر اللبن وأنه تعالى جعله شراباً للناس سائغاً ثنى بذكر ما يتخذه الناس من الأشربة من ثمرات النخيل والأعناب، وما كانوا يصنعون من النبيذ المسكر قبل تحريمه، ولهذا امتن به عليهم فقال: ﴿**ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً**﴾ دلّ على إباحته شرعاً قبل تحريمه، ودلّ على التسوية بين السكر المتخذ من النخل والمتخذ من العنب كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء»اهـ.

الثاني: التعريض وهو أن ضررها أكثر من نفعها كما أفاده قوله تعالى: ﴿**يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس، وإثمهما أكبر من نفعهما**﴾.

الثالث: نهي من كان سكران عن قربان الصلاة، حتى يكون على وعي، وإدراك مما يقوله في صلاته، ويفعله فيها كما أفاده قوله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون**﴾.

الرابع: التحريم البتة كما أفادته آيتا المائدة أول الباب.

قال مقيده: وها هنا أمران يجب التنبه إليهما ووعيهما وعي من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد:

الأمر الأول: فيما تواتر من السنة الصحيحة عن النبي ﷺ في ذم الخمر وسائر

المسكرات، والوعيد بالعقوبات الشديدة عليها وهو مفيد قطعاً تحريمها وإليك من تلك السنة أربعة أحاديث:

الحديث الأول: عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (ثلاثة لا يدخلون الجنة العاق لوالديه، والمدمن على الخمر، والمنان بما أعطى) رواه النسائي في الزكاة باب: المنان بما أعطى، وقال فيه الألباني حفظه الله: حديث حسن صحيح.

الحديث الثاني: عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:(كل مسكر خمر وكل مسكر حرام، ومن شرب الخمر في الدنيا ومات وهو يدمنها لم يتب منها لم يشربها في الآخرة) متفق عليه .

الحديث الثالث: وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (كل مخمر خمر، وكل مسكر حرام، ومن شرب مسكراً بخست صلاته أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال، قيل وما طينة الخبال يارسول الله؟ قال: صديد أهل النار) . قال أبو السعادات في جامعه: «أخرجه أبو داود . قال محققه: وفي سنده إبراهيم بن عمر اليماني، أبو إسحاق الصنعاني وهو مستور . أقول: وللحديث شواهد بمعناه يقوى بها»اهـ .

الحديث الرابع: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة إليه، وبائعها ومبتاعها وواهبها وآكل ثمنها) أخرجه الترمذي، وقال الأرنؤط ورواه أيضاً ابن ماجة رقم (٣٣٨١) في الأشربة باب لعنة الخمر على عشرة أوجه، وهو حديث حسن .

الأمر الثاني: ويتضمن فائدة في ذكر مفاسد المسكرات والمخدرات ومضارها:

أكل المسكر الطاهر كالحشيشة والأفيون والشيكران بفتح الشين المعجمة وهو البنج وكالعنبر والزعفران وجوزة الطيب، فهذه كلها مسكرة كما صرح به النووي في بعضها وغيره في باقيها، ومرادهم بالإسكار هنا تغطية العقل لا مع الشدة المطربة لأنها من خصوصيات المسكر المائع، وبما قررته في معنى الإسكار في هذه المذكورات علم أنه لا ينافي أنها تسمى مخدرة، وإذا ثبت أن هذه كلها مسكرة أو مخدرة فاستعمالها كبيرة وفسق كالخمر، فكل ما جاء في وعيد شاربها يأتي في مستعمل شئ من هذه المذكورات لا شتراكهما في إزالة العقل المقصود للشارع بقاؤه لأنه الآلة للفهم عن الله تعالى وعن رسوله والمتميز به الإنسان عن الحيوان والوسيلة إلى إيثار الكمالات عن النقائص فكان في تعاطي ما يزيله وعيد الخمر .

ولا بد من ذكر خلاصة ذلك هنا فنقول: الأصل في تحريم كل ذلك ما رواه أحمد في مسنده وأبو داود في سننه: نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر . قال العلماء: المفتر: كل ما يورث الفتور والخدر في الأطراف، وهذه المذكورات كلها تسكر وتخدر وتفتر .

وحكى القرافي وابن تيمية الإجماع على تحريم الحشيشة، قال: ومن استحلها فقد كفر . قال: وإنما لم يتكلم فيها الإئمة الأربعة لأنها لم تكن في زمنهم، وإنما ظهرت في آخر المائة السادسة وأول المائة السابعة حين ظهرت دولة التتار .

وذكر الماوردي قولاً أن النبات الذي فيه شدة مطربة يجب فيه الحد.

قال بعض العلماء: «وفي أكلها مائة وعشرون مضرة دينية ودنيوية. منها أنها تورث الفكرة الرديئة، وتجفف الرطوبات الغريزية وتعرض البدن لحدوث الأمراض، وتورث النسيان، وتصدع الرأس وتقطع النسل، وتجفف المني، وتورث موت الفجأة واختلال العقل وفساده، والدق، والسل والاستسقاء، وفساد الفكر، ونسيان الذكر، وإفشاء السر، وإنشاء الشر، وذهاب الحياء، وكثرة المراء، وعدم المروءة، ونقض المودة، وكشف العورة، وعدم الغيرة، واتلاف الكيس، ومجالسة إبليس، وترك الصلوات، والوقوع في المحرمات، والبرص، والجذام، وتوالي الأسقام، والرعشة على الدوام، وثقب الكبد، واحتراق الدم والبخر، ونتن الفم، وفساد الأسنان، وسقوط شعر الأجفان، وصفرة الأسنان، وعشاء العين والفشل وكثرة النوم والكسل، وتجعل الأسد كالعجل، وتعيد العزيز ذليلاً والصحيح عليلا والشجاع جباناً والكريم مهاناً، إن أكل لا يشبع وإن أعطى لا يقنع، وإن كلم لا يسمع، تجعل الفيّح أبكم والذكي أبلم، وتذهب الفطنة، وتحدث البطنة، وتورث العنة واللغنة والبعد عن الجنة.

ومن قبائحها أنها تنسي الشهادتين عند الموت، بل قيل إن هذا أدنى قبائحها.

وهذه القبائح كلها موجودة في الأفيون وغيره مما سبق، بل يزيد الأفيون ونحوه بأن فيه مسخاً للخلقة كما يشاهد من أحوال آكليه وعجيب ثم عجيب ممن يشاهد من أحوال آكليه تلك القبائح التي هي مسخ البدن والعقل وصيرورتهم إلى أخس حالة وأرث هيئة وأقذر وصف وأفظع مصاب لا يتأهلون لخطاب ولا يميلون قط إلى صواب ولا يهتدون إلا إلى خوارم المروءات وهو أذم الكمالات وفواحش الضلالات، ثم مع هذه العظائم التي نشاهدها منهم يحب الجاهل أن يندرج في زمرتهم الخاسرة وفرقتهم الضالة الحائرة متعامياً عما على

وجوههم من الغبرة وما يعتريها من القترة ذلك يخشى عليه أن يكون من الكفرة الفجرة، فمن اتضحت له فيهم هذه المثالث وبان عنده ما اشتملوا عليه من كثير المعايب ثم نحا نحوهم وحذا حذوهم فهو المفتون المغبون الذي بلغ الشيطان فيه غاية أمله بعد أن كان يتربص به ريب المنون، لأنه لعنه الله إذا أحل عبداً في هذه الورطة لعب به كما يلعب الصبي بالكرة إذ ما يريد منه حينئذ شيئاً إلا وسابقه إلى فعله لأن العقل الذي هو آلة الكمال زال عن محله فصار كالأنعام بل هو أضل سبيلاً ومن أهل النيران، فبئس ما رضيه لنفسه مبيتاً ومقيـ ؟ وأف لمن باع نعيم الدنيا والآخرة بتلك الصفقة الخاسرة، وفقنا الله لطاعته وحمانا من مخالفته». آمين انتهى من (**الزواجر**) مع شيئ من الاختصار والتصرف وراجع إن شئت هذا الكتاب من (ص ٢١٢- ٢١٥) .

قال أبو عبدالعزيز: فلا تستغربن ياذوي الحجا أن تكون عقوبة مروجي المخدرات، في بلادنا ـ المملكة العربية السعودية ـ القتل تعزيراً، فإن أولئك داخلون في عموم قوله تعالى: ﴿**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم**﴾.

١١٨- [باب **﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾**].

ش: تمامها: **﴿إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا وا لله يحب المحسنين﴾**.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره للقوم الذين قالوا إذ أنزل ا لله تحريم الخمر بقوله **﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾**: كيف بمن هلك من إخواننا وهم يشربونها، وبنا وقد كنا نشربها؟ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات منكم حرج فيما شربوا من ذلك في الحال التي لم يكن ا لله تعالى حرمه عليهم، **﴿إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات﴾** يقول: إذا ما اتقوا ا لله الأحياء منهم، فخافوه وراقبوه في اجتنابهم ما حرم عليهم منه، وصدقوا ا لله ورسوله فيما أمراهم ونهياهم، فأطاعوهما في ذلك كله، وعملوا الصالحات. يقول واكتسبوا من الأعمال ما يرضاه ا لله في ذلك مما كلفهم بذلك ربهم. **﴿ثم اتقوا وآمنوا﴾** يقول: ثم خافوا ا لله وراقبوه باجتنابهم محارمه بعد ذلك التكليف أيضاً فثبتوا على اتقاء ا لله في ذلك، والإيمان به ولم يغيروا ولم يبدلوا **﴿ثم اتقوا وأحسنوا﴾** يقول: ثم خافوا ا لله فدعاهم خوفهم ا لله إلى الإحسان، وذلك الإحسان هو العمل بما لم يفرضه عليهم من الأعمال ولكنه نوافل تقربوا بها إلى ربهم طلب رضاه، وهربا من عقابه. **﴿وا لله يحب المحسنين﴾** يقول: وا لله يحب المتقربين إليه بنوافل الأعمال التي يرضاها. فالإتقاء الأول هو الإتقاء بتلقي أمر ا لله بالقبول والتصديق والدينونة به والعمل، والإتقاء الثاني الإتقاء بالثبات على التصديق، وترك التبديل والتغيير، والإتقاء الثالث هو الإتقاء بالإحسان والتقرب بنوافل الأعمال». اهـ

من فقه الآية:

أولاً: عفو ا لله عما سلف من شرب الخمر قبل تحريمها.

ثانياً: الأمر بتقوى الله عز وجل.قال بعض أهل العلم: وحقيقة التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تدع معصية الله على نور من الله تخشى عقابه.

ثالثاً: الحث على التزود من صالح الأعمال، ولا يكون العمل صالحاً حتى يتحقق فيه شرطان هما: تجريد الإخلاص لله وحده، وتجريد المتابعة لرسوله ﷺ.

رابعاً: إثبات صفة المحبة لله على الوجه اللائق به جل جلاله.

١٤١- حدثنا أبو النعمان، حدثنا حماد بن زيد(١)، حدثنا ثابت(٢)، عن أنس رضي الله عنه: إن الخمر التي أهريقت الفضيخ.وزادني محمد ، عن أبي النعمان قال: كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة، فنزل تحريم الخمر، فأمر منادياً فنادى فقال أبو طلحة: اخرج فانظر ما هذا الصوت، قال: فخرجت فقلت: هذا مناد ينادي ألا إن الخمر قد حرمت، فقال لي: اذهب فاهرقها، قال: فجرت في سكك المدينة قال: وكانت خمرهم يومئذ الفضيخ.فقال بعض القوم: قتل قوم وهي في بطونهم قال: فأنزل الله ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾.

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله «**وزادني محمد البيكندي عن أبي النعمان**» كذا ثبت لأبي ذر وسقط لغيره البيكندي.ومراده أن البيكندي سمعه من شيخه أبي النعمان بالإسناد المذكور، فزاده فيه زيادة، والحاصل أن البخاري سمع الحديث من أبي النعمان مختصراً ومن محمد بن سلام البيكندي عن أبي النعمان مطولاً.

---

(١) هو أبو إسماعيل حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي، البصري، ثقة ثبت فقيه، من كبار الثامنة، مات سنة تسع وسبعين [ومائة] وله إحدى وثمانون سنة.ع.

(٢) هو أبو محمد ثابت بن أسلم البناني، البصري، ثقة عابد من الرابعة، مات سنة بضع وعشرين [ومائة] وله ست وثمانون.ع.

الثانية: قوله «**فأمر منادياً فنادى...**» الآمر بذلك هو النبي ﷺ والمنادي لم أر التصريح باسمه، والوقت الذي وقع ذلك فيه زعم الواحدي أنه عقب قول حمزة: إنما أنتم عبيد لأبي.وحديث جابر يرد عليه ـ يعني المتقدم في الباب قبله ـ والذي يظهر أن تحريمها كان عام الفتح سنة ثمان. حكاه وما قبله الحافظ في الفتح.

الثالثة: قوله «**فقال بعض القوم...**» وعند النسائي والبيهقي من طريق ابن عباس قال: نزل تحريم الخمر في ناس شربوا فلما ثملوا عبثوا فلما صحوا جعل بعضهم يرى الأثر في وجه الآخر فنزلت، فقال ناس من المتكلفين.وعند البزار إن الذين قالوا ذلك كانوا من اليهود، وأفاد في الفتح أن في رواية الإسماعيلي عن أبي ناجية، عن أحمد بن عبدة ومحمد بن موسى، عن حماد في آخر هذا الحديث قال حماد: فلا أدري هذا يعني قوله فقال بعض القوم...الخ في حديث أبي عن أنس، أو قاله ثابت مرسلاً.قاله في إرشاد الساري.

الرابعة: قوله «**قتل قوم وهي في بطونهم**» **قلت**: قد ذكرنا من وقفنا على تسميته في المسألة التاسعة من الباب قبله.وجملة "وهي في بطونهم" حالية والمعنى: أن أولئك القوم كانوا حين قتلوا حديثي عهد بشرب الخمر.

الخامسة: قوله «**فأنزل الله ﴿ليس على الذين آمنوا...﴾**» هذه الجملة هي وجه الشاهد من الحديث وقد تقدم شرحها أول الباب.

١١٩- [باب **﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾**].

ش: **قلت:** الآية **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا ا لله عنها وا لله غفور حليم﴾**.

قوله **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾**.

قال ابن كثير: «هذا تأديب من ا لله تعالى لعباده المؤمنين ونهي لهم عن أن يسألوا عن أشياء مما لا فائدة لهم في السؤال والتنقيب عنها؛ لأنها إن أظهرت لهم تلك الأمور ربما ساءتهم وشق عليهم سماعها كما جاء في الحديث أن رسول ا لله ﷺ قال: «لا يبلغني أحد عن أحد شيئاً إني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»»اهـ.

قوله **﴿وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن ـ إلى قوله ـ وا لله غفور حليم﴾**.

قال ابن جرير: «ولكنكم إن سألتم عنها بعد نزول القرآن بها، وبعد ابتدائكم شأن أمرها في كتابي إلى رسولي إليكم أبين لكم ما أنزلته إليه من إتيان كتابي، وتأويل تنزيلي ووحيي...إلى أن قال: وأما قوله: **﴿عفا ا لله عنها﴾**؛ فإنه يعني به عفا ا لله لكم عن مسألتكم عن الأشياء التي سألتم عنها رسول ا لله ﷺ الذي كره ا لله لكم مسألتكم إياه عنها، أن يؤاخذكم بها، ويعاقبكم عليها، إن عرف منها توبتكم وإنابتكم **﴿وا لله غفور﴾** يقول: وا لله ساتر ذنوب من تاب منها، فتارك أن يفضحه في الآخرة **﴿حليم﴾** أن يعاقبه بها لتغمده التائب منها برحمته وعفوه، عن عقوبته عليها»اهـ.

١٤٢ـ حدثنا منذر بن الوليد بن عبد الرحمن الجارودي[١]**، حدثنا**

---

(١) المنذر بن الوليد بن عبد الرحمن العبدي الجارودي، البصري، ثقة من صغار

أبي[١]، حدثنا شعبة، عن موسى بن أنس[٢]، عن أنس رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط قال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً. قال: فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم لهم خنين فقال رجل: من أبي؟ قال: فلان. فنزلت هذه الآية ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾.

رواه النضر وروح بن عبادة[٣]، عن شعبة.

١٤٣- حدثنا الفضل بن سهل[٤]، حدثنا أبو النضر، حدثنا أبو خيثمة، حدثنا أبو الجويرية[٥]، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء، فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ حتى فرغ من الآية كلها.

ش: فيهما تسع مسائل:

الأولى: قوله «**خطب النبي ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط**» وقع عند مسلم في الفضائل باب توقيره ﷺ وترك سؤاله من طريق النضر بن شميل، عن شعبة في

العاشرة. خ.د.

(١) الوليد بن عبد الرحمن بن حبيب الجارودي، البصري، ثقة من كبار العاشرة، مات سنة اثنتين وثمانين [ومائتين]. خ.

(٢) موسى بن أنس بن مالك الأنصاري، قاضي البصرة، ثقة، من الرابعة، مات بعد أخيه النضر. ع.

(٣) هو أبو محمد روح بن عبادة بن العلاء ين حسان القيسي البصري، ثقة فاضل له تصانيف، من التاسعة، مات سنة خمس أو سبع ومائتين. ع.

(٤) الفضل بن سهل بن إبراهيم الأعرج البغدادي، أصله من خراسان صدوق، من الحادية عشرة، مات سنة خمس وخمسين ومائتين وقد جاوز السبعين. خ.م.د.ت.س.

(٥) حطان بن خفاف مشهور بكنيته، ثقة، من الثالثة. خ.د.س.

أوله زيادة يظهر منها سبب الخطبة ولفظه: «بلغ النبي ﷺ عن أصحابه شيء، فخطب فقال: عرضت عليّ الجنة، والنار فلم أر كاليوم في الخير والشر، ولو تعلمون ما أعلم».

الثانية: قوله «**لو تعلمون ما أعلم**» يعني من هول ما عرض عليه من أحوال الجنة والنار.

الثالثة: قوله «**لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً قال فغطى . . . الخ**» في رواية النضر بن شميل قال: «**فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم كان أشد من ذلك غطوا رؤوسهم**».

الرابعة: قوله «**لهم حنين**» بالحاء المهملة للأكثر، وللكشميهني بالخاء المعجمة،والأول الصوت الذي يرتفع بالبكاء من الصدر، والثاني من الأنف، قال الخطابي: الحنين بكاء دون الانتحاب، وقد يجعلون الحنين والخنين واحداً إلا أن الحنين من الصدر أي بالمهملة والخنين من الأنف بالمعجمة.حكاه في الفتح.

الخامسة: قوله «**فقال رجل: من أبي، قال: فلان**» **قلت:** في باب من برك على ركبتيه عند الإمام أو المحدث من كتاب العلم برواية الزهري، عن أنس «أن رسول الله ﷺ خرج، فقام عبد الله بن حذافة فقال: من أبي؟ فقال: أبوك حذافة».قال الحافظ: وفي رواية للعسكري: «نزلت في قيس بن حذافة».والأول أشهر وكلهم له صحبة.

السادسة: قوله «**فنزلت هذه الآية ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾**». **قلت:** هذا هو وجه مطابقة الحديث للباب وقد مضى شرحها.

السابعة: قوله «**كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء**» يعني تهكماً وسخرية منه ﷺ وما أظن ذلك يصدر إلا من المنافقين إذ يستحيل من مثل عبد

الله بن حذافة أن يستهزىء برسول الله ﷺ وقد عرفوا أن الاستهزاء به من الكفر بعد الإيمان.

الثامنة: قوله «**فيقول الرجل: من أبي ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي**» يعني من أولئك المستهزئين الساخرين به ﷺ.

التاسعة: قوله «**فأنزل الله فيهم هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا ...﴾ الآية**» يعني في المستهزئين بسؤالهم النبي ﷺ والجملة هي وجه الشاهد من الحديث.

تنبيه:

قد يقول قائل: بين الحديثين تعارض إذ في كل منهما خبر يغاير الآخر في سبب نزول الآية.

قلنا: لا تعارض؛ لأن الآية نزلت في النهي عن كثرة المسائل إما على سبيل الاستهزاء والامتحان، وإما على سبيل التعنت في الشيء الذي لو لم يسأل عنه لكان على الإباحة.

١٢٠ـ [باب ﴿ما جعل ا لله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾].

ش: تمامها: **﴿ولكن الذين كفروا يفترون على ا لله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾.**

قوله **﴿ما جعل ا لله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾.**

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: ما بحر ا لله بحيرة، ولا سيب سائبة، ولا وصل وصيلة، ولا حمى حامياً، ولكنكم الذين فعلتم ذلك أيها الكفرة، فحرمتموه افتراءً على ربكم»اهـ.

قوله **﴿ولكن الذين كفروا يفترون على ا لله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾** أي ما شرع ا لله هذه الأشياء ولا هي عنده قربة ولكن المشركين افتروا ذلك وجعلوه شرعاً لهم وقربة يتقربون بها إليه وليس ذلك بحاصل لهم بل هو وبال عليهم.قاله ابن كثير.

تفسير جملة من الآثار الكلمات:

١ـ [﴿وإذ قال ا لله﴾ يقول: قال ا لله، وإذ ها هنا صلة].

ش: قال أبو عبيدة: «مجازه وقال ا لله يا عيسى "وإذ" من حروف الزوائد وكذلك وإذ علمتك الكتاب والحكمة.أي علمتك» اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿وإذ قال ا لله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون ا لله﴾.**

٢ـ [المائدة: أصلها مفعولة، كعيشة راضية، وتطليقة بائنة، والمعنى ميد بها صاحبها من خير، يقال مادني يميدني].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «قال رؤبة:إلى أمير المؤمنين الممتاد.

أي المستعطى المسؤول به امتدتك ومدتني أنت» اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾.**

٣- [وقال ابن عباس: ﴿متوفيك﴾ مميتك].

ش: قال الحافظ: «هكذا ثبت هذا هنا، وهذه اللفظة إنما هي في سورة آل عمران فكأن بعض الرواة ضنها من سورة المائدة فكتبها فيها، أو ذكرها المصنف هنا لمناسبة قوله في هذه السورة ﴿**فلما توفيتني كنت أنت الرقيب**﴾» اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿**إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي**﴾ الآية.

قلت: وما أخرجه المصنف عن ابن عباس رواه عنه ابن أبي حاتم وابن جرير موصولاً من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

١٤٤- حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة: التي يمنع درها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة: كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء.

قال: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار كان أول من سيب السوائب، والوصيلة الناقة البكر، تبكر في أول نتاج الإبل، ثم تثني بعد بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم، إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر، والحام: فحل الإبل يضرب الضراب المعدود، فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل، فلم يحمل عليه شيء، وسموه الحاميَ.

وقال لي أبو اليمان: أخبرنا شعيب عن الزهري: سمعت سعيداً قال: يخبره بهذا قال: وقال أبو هريرة: سمعت النبي ﷺ نحوه.

ورواه ابن الهاد[١]، عن ابن شهاب، عن سعيد، عن أبي هريرة رضي ا لله عنه سمعت النبي ﷺ.

١٤٥ـ حدثني محمد بن أبي يعقوب أبو عبد ا لله الكرماني[٢]، حدثنا حسان بن إبراهيم[٣]، حدثنا يونس[٤]، عن الزهري، عن عروة، أن عائشة رضي ا لله عنها قالت: قال رسول ا لله ﷺ: «رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً، ورأيت عمراً يجر قصبه، وهو أول من سيب السوائب».

ش: فيهما ثمان مسائل:

الأولى: قوله «**البحيرة التي يمنع درها للطواغيت...**» هذا تفسير للأربع المذكورات في الآية، وما من واحدة منها إلا وفي معناها عدة أقوال للمفسرين ذكرها ابن كثير في تفسيره، والحافظ في الفتح فراجع تلك الأقوال إن شئت.

الثانية: قوله «**قال: قال أبو هريرة...**» قال الحافظ هكذا وقع في هذه الرواية إيراد القدر المرفوع من الحديث في أثناء الموقوف ـ إلى أن قال ـ هكذا أورده متصلاً بالحديث المرفوع، وهو يوهم أنه من جملة المرفوع، وليس كذلك بل هو بقية تفسير سعيد بن المسيب، والمرفوع من الحديث إنما هو ذكر عمرو بن عامر فقط.وتفسير البحيرة وسائر الأربعة المذكورة في الآية عن سعيد بن المسيب

---

(١) هو يزيد بن عبد ا لله بن أسامة الليثي، أبو عبد ا لله المدني، ثقة مكثر، من الخامسة، مات سنة تسع وثلاثين [ومائة]. ع.

(٢) هو أبو عبد ا لله محمد بن إسحاق بن منصور بن أبي يعقوب الكرماني، نزيل البصرة، ثقة من العاشرة، مات سنة أربع وأربعين [ومائتين]. خ.

(٣) هو أبو هشام حسان بن إبراهيم بن عبد ا لله الكرماني العنزي، قاضي كرمان، صدوق يخطيء من الثامنة، مات سنة سَت وثمانين [ومائة] وله مائة سنة خ.م.د.

(٤) هو أبو يزيد يونس بن يزيد بن أبي النجار الأيلي مولى آل أبي سفيان ثقة إلا أن في روايته عن الزهري وهماً قليلاً، وفي غير الزهري خطأً، من كبار السابعة، مات سنة تسع وخمسين [ومائة] على الصحيح وقيل سنة ستين. ع.

ووقع في رواية الإسماعيلي من طريق يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه بهذا الإسناد مثل رواية الباب، إلا أنه بعد إيراد المرفوع قال: وقال ابن المسيب: والوصيلة الناقة...فأوضح أن التفسير جميعه موقوف. وهذ هو المعتمد وهكذا أخرجه ابن مردويه من طريق يحيى بن سعيد وعبيد الله بن زياد عن ابن شهاب موصولاً» اهـ.

الثالثة: قوله «**رأيت ...الخ**» وقع في أبواب العمل في الصلاة باب إذا انفلتت الدابة في الصلاة من رواية عبد الله بن يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: خسفت الشمس فقام النبي ﷺ فقرأ سورة طويلة...الحديث.وفيه: «ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً» فذكره.فدل ذلك على أن هذه الرؤية حصلت له ﷺ حين كان يصلي صلاة الكسوف.

الرابعة: قوله «**جهنم**» وهي لفظة أعجمية وهو اسم لنار الآخرة وقيل هي عربية، وسميت بها لبعد قعرها، ومنه ركية جهنام بكسر الجيم والهاء والتشديد أي بعيدة القعر، وقيل تعريب كهنام بالعبراني. قاله ابن الأثير.

الخامسة: قوله «**يحطم بعضها بعضاً**» يعني يكسر بعضها بعضاً، والحطم الكسر ومنه سميت نار جهنم الحطمة؛ لأنها تحطم ما يلقى فيها.

السادسة: قوله «**عمراً**» **قلت**: هو عمرو بن لحي بن قمعة بن إلياس بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امريء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث الخزاعي.

السابعة: قوله «**قصبه**» القصب بالضم المعي وجمعه أقصاب، وقيل القصب اسم للأمعاء كلها، وقيل هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء. قاله ابن الأثير.

الثامنة: قوله «**وهو أول من سيب السوائب**» **قلت**: هذا من إحداثه في الناس وهو أول من غير الملة.

قال ابن هشام: «حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي خرج من مكة

إلى الشام في بعض أموره فلما قدم مآب من أرض البلقاء، وبها يومئذ العماليق ـ وهم ولد عملاق، ويقال عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح ـ رآهم يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا له: هذه أصنام نعبدها، فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم: أفلا تعطونني منها صنماً فأسير به إلى أرض العرب فيعبدوه؟ فأعطوه صنماً يقال له هبل فقدم به إلى مكة، فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه».اهـ.

قلت: وكان الرجل ذا ثراء وكرم فأكبره الناس حتى صار أمره فيهم كالشرع.

١٢١- [باب **﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم، وأنت على كل شيء شهيد﴾**].

ش: **قلت:** الآية **﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾**.

قوله **﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به - إلى قوله - ما دمت فيهم﴾**.

قال ابن كثير: «ما قلت لهم إلا ما أمرتني بإبلاغه **﴿أن اعبدوا الله ربي وربكم﴾** أي ما دعوتهم إلا إلى الذي أرسلتني به وأمرتني بإبلاغه، **﴿أن اعبدوا الله ربي وربكم﴾** أي هذا هو الذي قلت لهم وقوله **﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم﴾** أي كنت أشهد على أعمالهم حين كنت بين أظهرهم»اهـ.

قوله **﴿فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾**.

قال ابن جرير: «يقول فلما قبضتني إليك **﴿كنت أنت الرقيب عليهم﴾** يقول: كنت أنت الحفيظ عليهم دوني؛ لأني إنما شهدت من أعمالهم ما عملوه وأنا بين أظهرهم.وفي هذا تبيان أن الله تعالى إنما عرفه أفعال القوم ومقالتهم بعد ما قبضه إليه وتوفاه بقوله **﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله - إلى قوله - وأنت على كل شيء شهيد﴾** يقول: وأنت تشهد على كل شيء؛ لأنه لا يخفى عليك شيء، وأما أنا؛ فإنما شهدت بعض الأشياء، وذلك ما عاينت وأنا مقيم بين أظهر القوم، فإنما أنا أشهد على ذلك الذي عاينت ورأيت وشهدت»اهـ.

من فقه الآية:

أولاً: كفر النصارى باتخاذهم المسيح إلآها من دون الله.

ثانياً: برآءة المسيح ﷺ من هذا الصنيع وإثبات نبوته.

١٤٦ـ حدثنا أبو الوليد[١]، حدثنا شعبة، أخبرنا المغيرة بن النعمان قال: سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً، ثم قال ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾ إلى آخر الآية.ثم قال: ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصيحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾ فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم.

ش: فيه إثنتا عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**قام فينا النبي ﷺ يخطب**» وقع لمسلم في صفة الجنة بدل قوله يخطب «بموعظة» أخرجه عن محمد بن بشار شيخ البخاري فيه ومحمد بن المثنى قال واللفظ لابن المثنى قالا حدثنا محمد بن جعفر بسنده المذكور هنا، وكذا أخرجه أحمد عن محمد بن جعفر.

الثانية: قوله «**فقال إنكم**» زاد ابن المثنى «يا أيها الناس إنكم».

الثالثة: قوله «**محشورون**» في الرقاق باب الحشر برواية غندر عن شعبة «تحشرون» ولا تعارض بينهما في المعنى.

الرابعة: قوله «**حفاة**» جمع حافي وهو من ليس عليه نعل.

الخامسة: قوله «**عراة**» جمع عاري يقابل المكسي.

قال البيهقي: «وقع في حديث أبي سعيد يعني الذي أخرجه أبو داود

---

(١) هو هشام بن عبد الملك الباهلي، مولاهم الطيالسي، البصري، ثقة ثبت من التاسعة، مات سنة سبع وعشرين [ومائتين] وله أربع وتسعون.ع.

وصححه ابن حبان» .

قلت: وصححه الشيخ ناصر برقم (١٦٧١) أنه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها وقال: سمعت النبي ﷺ يقول: (إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها» ويجمع بينهما بأن بعضهم يحشر عارياً وبعضهم كاسياً، أو يحشرون كلهم عراة ثم يكسى الأنبياء، فأول من يكسى إبراهيم عليه الصلاة والسلام، أو يخرجون من القبور بالثياب التي ماتوا فيها ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر فيحشرون عراة ثم يكون أول من يكسى إبراهيم، وحمل بعضهم حديث أبي سعيد على الشهداء؛ لأنهم الذين أمر أن يزملوا في ثيابهم ويدفنوا فيها، فيحتمل أن يكون أبو سعيد سمعه في الشهيد فحمله على العموم، وممن حمله على عمومه معاذ بن جبل فأخرج ابن أبي الدنيا بسند حسن عن عمرو بن الأسود قال: دفنا أم معاذ بن جبل فأمر بها فكفنت في ثياب جدد وقال: «أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يحشرون فيها» قال: وحمله بعض أهل العلم على العمل، وإطلاق الثياب على العمل وقع في مثل قوله تعالى: ﴿**ولباس التقوى ذلك خير**﴾ وقوله تعالى: ﴿**وثيابك فطهر**﴾ على أحد الأقوال وهو قول قتادة. قال: معناه وعملك فأخلصه ويؤكد ذلك حديث جابر رفعه «يبعث كل عبد على ما مات عليه» أخرجه مسلم، وحديث فضالة بن عبيد «من مات على مرتبة من هذه المراتب بعث عليها يوم القيامة» الحديث أخرجه أحمد، ورجح القرطبي الحمل على ظاهر الخبر، ويتأيد بقوله تعالى: ﴿**ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة**﴾ وقوله تعالى: ﴿**كما بدأكم تعودون**﴾». حكاه الحافظ .

قال مقيده: وظاهر الخبر هو الذي يتحتم المصير إليه إذ لا حجة على أحد إلا بنص الكتاب وصحيح الخبر عن المعصوم ﷺ وأعدل الوجوه التي ذكرها الحافظ عندي هو الثالث لموافقته ظاهر الخبر.

السادسة: قوله «**غرلاً**» بضم المعجمة وسكون الراء جمع أغرل وهو الأقلف

وزنه ومعناه وهو من بقيت غرلته وهي الجلدة التي يقطعها الخاتن من الذكر.قال الحافظ: قال أبو هلال العسكري: لا تلتقي اللام مع الراء في كلمة إلا في أربع: أرل اسم جبل، وورل اسم حيوان معروف، وحرل ضرب من الحجارة، والغرلة.واستدرك عليه كلمتان هرل ولد الزوجة وبرل الديك الذي يستدير بعنقه والستة حوشية إلا الغرلة.قال ابن عبد البر: يحشر الآدمي عارياً ولكل من الأعضاء ما كان له يوم ولد، فمن قطع منه شيء يرد حتى الأقلف.

السابعة: قوله «**﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ الآية**».

قال ابن كثير: «يعني هذا كائن لا محالة يوم يعيد الله الخلائق خلقاً جديداً كما بدأهم هو القادر على إعادتهم وذلك واجب الوقوع؛ لأنه من جملة وعد الله الذي لا يخلف ولا يبدل وهو القادر على على ذلك ولهذا قال: **﴿إنا كنا فاعلين﴾**.ومنه **﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾** ووقع في حديث أم سلمة عند ابن أبي الدنيا «يحشر الناس حفاة عراة كما بدؤا»اهـ.

الثامنة: قوله «**ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم**».

قال القرطبي في شرح مسلم: «يجوز أن يراد بالخلائق من عدا نبينا ﷺ فلم يدخل هو في عموم خطاب نفسه، وتعقبه تلميذه القرطبي أيضاً في التذكرة فقال: هذا حسن لولا ما جاء من حديث علي يعني الذي أخرجه ابن المبارك في الزهد من طريق عبد الله بن الحارث عن علي قال: (أول من يكسى يوم القيامة خليل الله عليه السلام قبطيتين، ثم يكسى محمد ﷺ حلة حبرة عن يمين العرش»)اهـ.

قلت: «كذا أورده مختصراً موقوفاً، وأخرجه أبو يعلى مطولاً مرفوعاً، وأخرج البيهقي من طريق ابن عباس نحو حديث الباب وزاد (وأول من يكسى من الجنة إبراهيم، يكسى حلة من الجنة، ويؤتى بكرسي فيطرح عن يمين العرش، ثم يؤتى بي فأكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر، ثم يؤتى بكرسي فيطرح على ساق العرش وهو عن يمين العرش»).حكاه الحافظ.

قال مقيده عفى ا لله عنه: وما ناله إبراهيم من أولوية الكسى يوم القيامة لا يعارض خصائص نبينا ﷺ فكل نبي اختص بما لم يختص به غيره.وتفضيل نبينا ﷺ على سائر الأنبياء ثابت بالنص والإجماع، ومن ذلك إمامته بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس، ونيله مقام الشفاعة العظمى التي يعتذر عنها أولوا العزم من الرسل يوم القيامة.

التاسعة: قوله «**ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال**» أي إلى جهة النار، ووقع ذلك صريحاً في حديث أبي هريرة في آخر باب صفة النار من طريق عطاء بن يسار عنه ولفظه: (فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلت: إلى أين؟ قال: إلى النار) الحديث.وبين في حديث أنس الموضع ولفظه: (ليردن عليّ ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني) الحديث.وفي حديث أبي هريرة عند مسلم (ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم: ألا هلم).

العاشرة: قوله «**فأقول: يا رب أصيحابي**» وفي الرقاق «أصحابي».وفي رواية أحمد «فلأقولن» وفي أحاديث الأنبياء باب ﴿**واتخذ ا لله إبراهيم خليلا**﴾ «أصيحابي» بالتصغير وكذا هو في حديث أنس وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره هؤلاء.

وقوله «**فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**» وفي الرقاق «فيقول الله» وفي حديث أبي هريرة المذكور «إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى» وزاد في رواية سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أيضاً «فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً» أي بعداً بعداً والتأكيد للمبالغة.وفي حديث أبي سعيد في باب صفة النار أيضاً « فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول سحقاً سحقاً لمن غير بعدي» وزاد في رواية عطاء بن يسار «فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم».

الحادية عشرة: قوله «**فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾**» في رواية غندر في الرقاق بلفظ:**﴿وكنت عليهم شهيد ـ إلى قوله ـ الحكيم﴾**.

قلت: هذا هو شاهد الترجمة من الحديث وقد مضى شرحه أول الباب.

الثانية عشرة: قوله «**فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم**» وقع في رواية الكشميهني «لن يزالوا».

قال الخطابي: «لم يرتد من الصحابة أحد وإنما ارتد قوم من جفاة الأعراب ممن لا نصرة له في الدين، وذلك لا يوجب قدحاً في الصحابة المشهورين.ويدل قوله «أصيحابي» بالتصغير على قلة عددهم».حكاه الحافظ.

وقيل: هم قوم من جفاة الأعراب دخلوا في الإسلام رغبة ورهبة.

وقال النووي: «قيل هم المنافقون والمرتدون، فيجوز أن يحشروا بالغرة والتحجيل لكونهم من جملة الأمة فيناديهم من أجل السيما التي عليهم فيقال إنهم بدلوا بعدك، أي لم يموتوا على ظاهر ما فارقتهم عليه».

قال عياض وغيره: «وعلى هذا فيذهب عنهم الغرة والتحجيل ويطفأ نورهم».

من فقه الحديث:

أولاً: وجوب الإيمان باليوم الآخر وما فيه من البعث والجزاء.

ثانياً: فضل الخليل ﷺ.

ثالثاً: إثبات صفة الكلام لله.

رابعاً: الإيمان بحوض النبي ﷺ وأنه يكون في عرصات القيامة.

خامساً: وجوب التمسك بالسنة.

سادساً: التحذير من التبديل في الدين.

سابعا:لا يرد الحوض ويشرب منه إلا أهل الإعتقاد الصحيح والتمسك بالسنة.

ثامناً: معرفة النبي ﷺ أمته يوم القيامة.

١٢٢ـ [باب قوله ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾].

ش: قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: إن تعذب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة بإماتتك إياهم عليها، فإنهم عبادك مستسلمون لك، لا يمتنعون مما أردت بهم، ولا يدفعون عن أنفسهم ضراً ولا أمراً تنالهم به، وإن تغفر لهم بهدايتك إياهم إلى التوبة منها، فتستر عليهم، فإنك أنت العزيز في انتقامه ممن أراد الانتقام منه، لا يقدر أحد يدفعه عنه، الحكيم في هدايته من هدى من خلقه إلى التوبة، وتوفيقه من وفّق منهم لسبيل النجاة من العقاب».

من فقه الآية:

قال ابن كثير: «هذا الكلام يتضمن:

١ـ رد المشيئة إلى الله عز وجل؛ فإنه الفعال لما يشاء الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

٢ـ ويتضمن التبري من النصارى الذين كذبوا على الله وعلى رسوله وجعلوا لله نداً وصاحبة وولداً تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

٣ـ وهذه الآية لها شأن عظيم ونبأ عجيب وقد ورد في الحديث أن النبي ﷺ قام بها ليلة حتى الصباح يرددها»اهـ.

١٤٧ـ حدثنا محمد بن كثير[1]، حدثنا سفيان، حدثنا المغيرة بن النعمان قال: حدثني سعيد بن جبير، عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: إنكم محشورون، وإن ناساً يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول كما قال العبد الصالح: «﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ـ إلى قوله ـ العزيز الحكيم﴾».

ش: سبق شرحه في الباب الذي قبله.

آخر تفسير سورة المائدة والحمد لله.

---

(١) هو محمد بن كثير العبدي، البصري، ثقة لم يصب من ضعفه، من كبار العاشرة، مات سنة ثلاث وعشرين [ومائتين]، وله تسعون سنة. ع.

سورة الأنعام

١٢٣- [باب تفسير سورة الأنعام].

ش: شاهد التسمية قوله تعالى: ﴿**وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا...**﴾ الآية.

وأخرج الحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الإيمان عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: لما نزلت سورة الأنعام سبح رسول الله ﷺ ثم قال: «لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما يسد الأفق».

وآياتها خمس وستون ومائة، وهي مكية في قول الأكثرين. قال ابن عباس وقتادة: هي مكية كلها إلا آيتين منها نزلتا بالمدينة قوله تعالى ﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾ وقوله ﴿**وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات**﴾.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [قال ابن عباس: ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ ((معذرتهم))].

ش: وصله ابن أبي حاتم فقال: أخبرني إبراهيم بن موسى عن هشام بن يوسف عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس فذكره.

وهو قول قتادة، وهو **أحد** قولين حكاهما ابن جرير في الآية.

وثانيهما: بمعنى قولهم، وهو قول قتادة وابن عباس في الرواية الثانية عنهما.

٢- [معروشات ما يعرش من الكرم وغير ذلك].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس فذكره.

قلت: وأخرجه أيضاً من هذا الطريق عن ابن عباس ابن جرير كما أخرجه موصولاً عن السدي.

والآية المشار إليها: **﴿وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله﴾** الآية.

٣- [حمولة: ما يحمل عليها].

ش: قال أبو عبيدة: ((أي ما حملوا عليها)).

وروى ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح، حدثنا معاوية بن صالح عن عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: فأما الحمولة فالإبل والخيل والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه.

والآية المشار إليها: **﴿ومن الأنعام حمولة وفرشاً﴾.**

٤- [﴿وللبسنا﴾ لشبهنا].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: لشبهنا عليهم. كما أخرجه موصولاً عن شقيق.

والآية المشار إليها: **﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما**

يلبسون﴾.

٥- [**﴿ينأون﴾ يتباعدون**].

ش: قاله أبو عبيدة وأنشد:

«**فأبلغ عامراً عني رسولا   وزرعة إن دنوت وإن نأيت**

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ينأون عنه يتباعدون عنه».

والآية المشار إليها: **﴿وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾**.

٦- [**﴿تبسل﴾ تفضح**].

ش: أخرجه ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: يعني تبسل أن تفضح.

ورواه من هذا الوجه ابن جرير وهو **أحد** أربعة أقوال:

ثانيها: بمعنى أن تسلم وبه قال عكرمة والحسن ومجاهد.

وثالثها: بمعنى أن تحبس وهو قول قتادة وابن زيد.

ورابعها: بمعنى أن تجزى وبه قال الكلبي.

وليس بين هذه الأقوال تعارض وا لله أعلم.

والآية المشار إليها: **﴿وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون ا لله ولي ولا شفيع وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون﴾**.

٧- [**﴿أبسلوا﴾ أفضحوا**].

ش: رواه ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: يعني فضحوا.

وهذه الجملة من الآية السابقة.

٨- [﴿باسطوا أيديهم﴾ البسط الضرب].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: والملائكة باسطوا أيديهم قال: هذا عند الموت والبسط الضرب يضربون وجوههم وأدبارهم.

وأخرجه أيضاً من هذا الوجه ابن جرير وأخرجه عن السدي مختصراً وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أنه بمعنى العذاب وبه قال الضحاك وأبو صالح.

والآية المشار إليها: **﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم اخرجوا أنفسكم﴾**.

٩- [﴿استكثرتم من الإنس﴾ أضللتم كثيراً].

ش: وصله ابن جرير من طريق المثنى عن عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس يعني أضللتم منهم كثيراً.

ثم أخرجه عن قتادة ومجاهد والحسن.

والآية هي قوله تعالى: **﴿ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس﴾**.

١٠- [﴿مما ذرأ من الحرث﴾ جعلوا لله من ثمراتهم وما لهم نصيباً وللشيطان والأوثان نصيباً].

ش: وصله ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: جعلوا لله من ثمراتهم وما لهم نصيباً، وللشيطان والأوثان نصيباً فإن سقط من ثمرة ما جعلوه لله في نصيب الشيطان تركوه، وإن سقط مما جعلوا للشيطان في نصيب الله لقطوه وحفظوه وردوه إلى نصيب الشيطان، وإن انفجر من سقي ما جعلوه لله في نصيب

الشيطان تركوه، وإن انفجر من سقي ما جعلوه للشيطان في نصيب الله سدّوه فهذا ما جعلوا من الحروث وسقي الماء.

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿**وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون**﴾.

١١- [﴿أما اشتملت﴾ يعني هل تشتمل إلا على ذكر أو أنثى، فلم تحرّمون بعضاً وتحلّون بعضاً].

ش: رواه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: يعني هل تشتمل الرحم إلا على ذكر أو أنثى فهم يحرمون بعضاً ويحلون بعضاً.

والآية المشار إليها قوله تعالى: ﴿**ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آالذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين**﴾.

١٢- [﴿مسفوحاً﴾ مهراقاً].

ش: رواه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً يعني مهراقاً.

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: ﴿**قل لا أجد فيما أوحي إليّ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً**﴾.

١٣- [﴿صدف﴾ أعرض].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿**وصدف عنها**﴾ يقول: أعرض عنها وأخرجه ابن جرير أيضاً عن قتادة ومجاهد.

والإشارة إلى قوله تعالى: ﴿**فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها**

سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون﴾.

١٤- [**﴿أبلسوا﴾ أويسوا**].

ش: أخرجه ابن أبي حاتم من طريق ابي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله **﴿أبلسوا﴾** يقول: أيسوا.

قلت: والآية المشار إليها هي قوله: **﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾.**

١٥- [**﴿وأبسلوا﴾ أسلِموا**].

ش: تقدم في الأثر رقم ستة.

١٦- [**﴿سرمداً﴾ دائماً**].

ش: رواه ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله سرمداً يقول: دائماً.

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: **﴿قل أرءيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون﴾**

وهذه هي الآية الحادية والسبعون من سورة القصص ومناسبة ذكرها ها هنا ما قاله الكرماني: كأنه ذكرها ها هنا لمناسبة قوله تعالى في هذه السورة **﴿وجاعل الليل سكناً﴾.**

١٧- [**﴿استهوته﴾ أضلته**].

ش: رواه ابن جرير من طريق محمد بن عبد الأعلى قال: ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة **﴿استهوته الشياطين في الأرض﴾** قال: أضلته في الأرض حيران.

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: **﴿قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى**

وأمرنا لنسلم لرب العالمين﴾.

١٨- [﴿تمترون﴾ تشكون].

ش: أخرجه ابن جرير موصولاً عن السدي وابن زيد ورواه ابن أبي حاتم من طريق أحمد بن عثمان بن حكيم عن أحمد بن مفضل عن أسباط عن السدي قوله ﴿**ثم أنتم تمترون**﴾ تشكون.وكذا قال أبو عبيدة.

والآية المشار إليها قوله تعالى: ﴿**هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون**﴾.

١٩- [﴿وَقراً﴾ صمماً وأما الوِقر فإنه الحمل].

ش: أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير كلاهما عن محمد بن المفضل عن أسباط عن السدي: ﴿**وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً**﴾ أما أكنة: فالغطاء، أكن قلوبهم لا يفقهون الحق، وفي آذانهم وقراً قال: صمم.

وقال أبو عبيدة:«وفي آذانهم وقراً.مفتوح. ومجازه: الثقل والصمم، وإن كانوا يسمعون، ولكنهم صم عن الحق والخير والهدى، والوقر هو الحمل إذا كسرته»اهـ.

قلت: والآية المشار إليها: ﴿**ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً**﴾ الآية.

٢٠- [﴿أساطير﴾ واحدها أُسطُورة، وإسْطارة وهي الترهات].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: البسابس ليس له نظام، وليس بشيء.

وأشار المصنف إلى قوله تعالى: ﴿**حتى إذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين**﴾.

٢١- [﴿البأساء﴾ من البأس ويكون من البؤس].

ش: قال أبو عبيدة: «هي البأس من الخوف والشر والبؤس».

قلت: وأشار المصنف إلى قوله تعالى: ﴿**ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك**

فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون﴾.

٢٢- [**﴿جهرة﴾ معاينة**].

ش: أخرج ابن جرير من طريق محمد بن عمرو عن أبي عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد **﴿جهرة﴾** قال: وهم ينظرون.

وقال أبو عبيدة: أو جهرة: أي أو علانية وهم ينظرون.

قلت: والآية المشار إليها: **﴿قل أرءيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون﴾.**

٢٣- [**﴿الصور﴾ جماعة صورة كقوله سُورة وسُوَر**].

ش: قال أبو عبيدة: «يقال أنها جمع صورة تنفخ فيها روحها فتحيا، بمنزلة قولهم سور المدينة واحدتها سورة، وكذلك كل ما علا وارتفع.

قال النابغة:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب.

وقال العجاج:

فرب ذي سرادق محجور سرت إليه في أعالي السور.

ومنها سورة المجد أعاليه. وقال جرير:

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع».

قلت: ويشير المصنف إلى قوله تعالى: **﴿قوله الحق، وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير﴾.**

٢٤- [**﴿ملكوت﴾ ملك، مثل: رهبوت خير من رحموت، ويقول: تُرْهب خير من أن تُرحم**].

ش: قال أبو عبيدة: **﴿ملكوت السموات﴾** أي ملك السموات خرجت مخرج قولهم في المثل: رهبوت خير من رحموت: أي رهبة خير من رحمة.

قلت: وأشار المصنف إلى قوله تعالى: **﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت**

السموات والأرض وليكون من الموقنين﴾.

٢٥- [﴿**وإن تعدل**﴾ **تقسط، لا يقبل منها في ذلك اليوم**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: لأنها التوبة في الحياة.

والآية المشار إليها تقدمت في الأثر السابع.

٢٦- [﴿**جن**﴾ **أظلم**].

ش: قال أبو عبيدة: «﴿**فلما جن عليه الليل**﴾ أي غطى عليه وأظلم عليه، ومصدره جن عليه الليل جنوناً.

قال دريد بن الصمّة:

ولولا جنون الليـــــل أدرك ركـــضنا

بذي الرمث والأرض عياض بن ناشب.

وبعضهم ينشده:

ولولا جنان الليل - أي غطاؤه وسواده -

وما جنك من شيء فهو جـــنان لك.

وقال سلامة بن جندل:

ولولا جنان الليل مـــا آب عـــــامر

إلى جـــعفر ســـرباله لم يـــــمزق»انتهى.

والآية المشار إليها: ﴿**فلما جن عليه الليل رءا كوكباً قال هذا ربي، فلما أفل قال لا أحب الأفلين**﴾.

٢٧- [﴿**تعالى**﴾ **علا**].

ش: وقع في مستخرج أبي نعيم: تعالى الله: علا الله، وكذا في رواية النسفي. حكاه العيني.

قلت: وأشار أبو عبد الله إلى قوله تعالى: ﴿**وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم، وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون**﴾.

٢٨- [**يقال: على الله حسبانه أي حسابه، ويقال حسباناً. مرامي ورجوماً للشياطين**].

ش: قال أبو عبيدة: «**﴿والشمس والقمر حسباناً﴾** وهو جميع حساب فخرج مخرج شهاب والجمع شهبان» اهـ.

قلت: ويشير المصنف إلى قوله تعالى: **﴿وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسباناً﴾**.

٢٩- [**﴿مستقر﴾ في الصلب**]

٣٠- [**﴿ومستودع﴾ في الرحم**].

ش: قال أبو عبيدة: «مستقر في صلب الأب ومستودع في رحم الأم»

وفي الآية خمسة أقوال لأهل العلم بالتأويل حكاها ابن جرير

أحدها: أنها بمعنى مستقر في الرحم ومستودع في القبر وهو قول ابن مسعود، وإبراهيم النخعي، ومقسم.

وثانيها: أن المستودع ما كان في أصلاب الأباء والمستقر ما كان في بطون النساء وبطون الأرض وعلى ظهورها وبه قال سعيد بن جبير وابن عباس.

وثالثها: أن المستقر في الأرض على ظهرها ومستودع عند الله وهو قول ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير في الرواية الثانية عنهم.

ورابعها: أن المستقر في الرحم والمستودع في الصلب وبه قال عكرمة ومجاهد وعطاء والضحاك وابن عباس وسعيد بن جبير في الرواية الثالثة عنهم.

وخامسها: أن المستقر في القبر والمستودع في الدنيا وهو قول الحسن.

قلت: فهذه الأقوال كلها داخلة تحت عموم الآية ولا تنافي بينها.

والآية المشار إليها: **﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع﴾**

٣١- [(القنو) : العذق، والإثنان قنوان ، والجماعة أيضاً قنوان ، مثل صنو، وصنوان]

ش/قال أبوعبيدة : القنو هو العذق والاثنان قنوان ، النون مكسورة والجميع قنوان ، على تقدير لفظ الاثنين ، غير أن نون الاثنين مجرورة في موضع الرفع والنصب والجر ، ونو ن الجميع يدخله الرفع والجر والنصب ، ولم نجد مثله غير قولهم صنو وصنوان . أهـ

والآية المشار إليها :﴿**وهو الذي أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كلِّ شيئ فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات ..**﴾ الآية

٣٢- [﴿ أكنّة ﴾ : واحدها كنان]

ش/ قاله أبوعبيدة وزاد ، ومجازها : غطاء ، قال عمر ابن أبي ربيعة:

أينا بات ليلة بين غصنين يُوبل
تحت عين كنانها ظل برد مرحّل .أهـ

والآية المشار إليها :﴿ **ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقراً** ﴾

١٢٤- [باب ﴿**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو**﴾].

ش: تمامها: ﴿**ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين**﴾.

قوله ﴿**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو**﴾.

قال الشوكاني: «المفاتيح جمع مفتح بالفتح وهو المخزن.أي عنده مخازن الغيب، جعل للأمور الغيبية مفاتح يتوصل بها إلى ما في المخازن منها على طريق الاستعارة أيضاً ويؤيده أنها جمع مفتح بالكسر قراءة ابن السميفع (**وعنده مفاتيح الغيب**) فإن المفاتيح جمع مفتاح، والمعنى أن عنده سبحانه خاصة مخازن الغيب، أو المفاتح التي يتوصل بها إلى المخازن.

وقوله ﴿**لا يعلمها إلا هو**﴾ جملة مؤكدة لمضمون الجملة الأولى وأنه لا علم لأحد من خلقه بشيء من الأمور الغيبية التي استأثر ا لله بعلمها.

ويندرج تحت هذه الآية علم ما يستعجله الكفار من العذاب كما يرشد إليه السياق اندراجاً أولياً.

وفي هذه الآية الشريفة ما يدفع أباطيل الكهان والمنجمين والرمليين وغيرهم من المدعين ما ليس من شأنهم ولا يدخل تحت قدرتهم ولا يحيط به علمهم، ولقد ابتلى الإسلام وأهله بقوم سوء من هذه الأجناس الضالة والأنواع المخذولة، ولم يربحوا من أكاذيبهم وأباطيلهم بغير خطة السوء المذكورة في قول الصادق المصدوق ﷺ: (من أتى كاهنا أو منجماً فقد كفر بما أنزل على محمد)»اهـ

قوله ﴿**ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها**﴾.

قال ابن كثير: «أي يحيط علمه الكريم بجميع الموجودات بريّها وبحريّها لا يخفى عليه من ذلك شيء ولا مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وما أحسن ما قال الصرصري:

فلا يخفى عليه الذر إما ... تراءى للنواظر أو تواري.

وقوله ﴿**وما تسقط من ورقة إلا يعلمها**﴾ أي ويعلم الحركات حتى من الجمادات فما ظنك بالحيوانات ولا سيما المكلفون منهم من جنهم وإنسهم كما قال تعالى ﴿**يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور**﴾»اهـ

قوله ﴿**ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين**﴾.

قال الشيخ ابن سعدي: «﴿**ولا حبة في ظلمات الأرض**﴾ من حبوب الثمار والزروع وحبوب البذور التي يبذرها الخلق، وبذور النباتات البرية التي منها أصناف النباتات ﴿**ولا رطب ولا يابس**﴾ هذا عموم بعد خصوص ﴿**إلا في كتاب مبين**﴾ هو اللوح المحفوظ، قد حواها واشتمل عليها، وبعض هذا المذكور يبهر عقول العقلاء، ويذهل أفئدة النبلاء، فدل هذا على عظمة الرب العظيم وسعته في أوصافه كلها، وأن الخلق من أولهم وآخرهم، لو اجتمعوا على أن يحيطوا ببعض صفاته لم يكن لهم قدرة، ولا وسع في ذلك فتبارك الرب العظيم الواسع العليم، الحميد المجيد، الشهيد المحيط، وجل من إله لا يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده فهذه الآية دلت على علمه بجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الحوادث» انتهى

من فقه الآية:

أولاً: سعة علم الله وإحاطته بجميع الكائنات.

ثانياً: اختصاص الرب جلّ وعلا بعلم الغيب.

ثالثاً: في قوله ﴿**ويعلم ما في البر والبحر**﴾ دليل على إحصاء الرب جل وعلا أعمال العباد صغيرها وكبيرها ودقيقها وجليلها وظاهرها وخفيها ومجازاتهم عليها.

رابعاً: في قوله ﴿**كل في كتاب مبين**﴾ دليل على وجوب الإيمان باللوح المحفوظ وأن الله كتب فيه مقادير الأشياء وهذا يستلزم علمه بها قبل حدوثها.

فائدة:

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: «هذه الآية العظيمة من أعظم الآيات تفصيلا لعلمه المحيط، وأنه شامل للغيوب كلها التي يطلع منها ما شاء من خلقه وكثير منها طوى علمه عن الملائكة المقربين، والأنبياء المرسلين فضـ ً عن غيرهم من العالمين»اهـ

١٤٨ـ حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتح الغيب خمس: إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن الله عليم خبير».

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «**مفاتح الغيب**» هذا هو شاهد الترجمة وقد مضى شرحه ضمن تفسير الآية.

الثانية: قوله «**إن الله عنده علم الساعة...الخ**» بيان لما أجمل في الآية من مفاتح الغيب وسيأتي الحديث في تفسير سورة إبراهيم ضمن الباب السادس والثمانين بعد المائة، وفي تفسير سورة لقمان ضمن الباب التاسع والستين بعد المائتين.

١٢٥- [باب **﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم﴾**].

ش: تمامها: **﴿أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون﴾**.

قوله **﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم﴾**.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء العادلين بربهم غيره من الأصنام والأوثان يا محمد: إن الذي ينجيكم من ظلمات البر والبحر ومن كل كرب ثم تعودون للإشراك به هو القادر على أن يرسل عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم لشرككم به، وادعائكم معه إلها آخر غيره، وكفرانكم نعمه، مع إسباغه عليكم آلاءه ومننه».اهـ

قوله **﴿أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض﴾**.

قال البغوي: «وقال الضحاك: **﴿أو يلبسكم شيعاً﴾** أي يخلطكم فرقاً ويبث فيكم الأهواء المختلفة **﴿ويذيق بعضكم بأس بعض﴾** يعني السيوف المختلفة يقتل بعضكم بعضاً»اهـ

وقال ابن عطية في محرره: «وشيعاً منصوب على الحال وقد قال الشاعر:

لبست أناساً فأفنيتهم

فهذه عبارة عن الخلطة والمقاساة، والبأس: القتل وما أشبهه من المكاره و**﴿يذيق﴾** استعارة إذ هي من أجل حواس الاختيار، وهي استعارة مستعملة في كثير من كلام العرب وفي القرآن، وقرأ الأعمش **﴿ونذيق﴾** بنون الجماعة، وهي نون العظمة في جهة الله عز وجل.

وتقول: أذقت فلاناً العلقم تريد كراهية شيء صنعته به ونحو هذا»اهـ

قوله **﴿انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون﴾**.

قال ابـن كثـير: «أي نبينهـا ونوضحهـا ونفسـرها.﴿**لعلهـم يفقهـون**﴾ أي يفهمون ويتدبرون عن الله آياته وحججه وبراهينه».

من فقه الآية:

أولاً: إثبات اسم من أسماء الرب تعالى وهو القادر.

ثانياً: التحذير من شدة بطش الله وأليم عقابه.

ثالثاً: إن الهدى والنور فيما أنزله جل علاه على رسوله ﷺ من آي الكتـاب الكريم.

شرح جملة من الآثار الكلمات:

١- [﴿**يلبسكم**﴾ **يخلطكم من الإلتباس**].

ش: قال أبو عبيدة: «يخلطكم وهو من الإلتباس».

قلت: وأخرج البغوي عن الضحاك: «أي يخلطكم فرقاً».

٢- [﴿**يلبسوا**﴾ **يخلطوا**].

ش: رواه ابن أبي حاتم من طريق ابن لهيعة حدثني عطاء عن سعيد بن جبير قوله ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**﴾ يقول لم يخلطوا إيمانهم بشرك.

قلت: وأشار الشيخ لقوله تعالى: ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسـوا إيمـانهم بظلـم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**﴾.

٣- [﴿**شيعاً**﴾ **فرقاً**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: واحدتها شيعة.

١٤٩- حدثنا أبو النعمان، حدثنا حماد بن زيد، عن عمرو بن دينار، عن جابر رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قل هـو القـادر علـى أن يبعـث عليكم عذاباً من فوقكم﴾ قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك» قال: ﴿أو من تحت أرجلكم﴾ قال: «أعـوذ بوجهـك». ﴿أو يلبسـكم شيعاً ويذيـق بعضكـم بأس بعض﴾ قال رسول الله ﷺ: «هذا أهون أو هذا أيسر».

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «**لما نزلت هذه الآية ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم...﴾ الآية**» هذا هو الشاهد من الحديث وقد مضى شرحه.

الثانية: قوله «**أعوذ**» أي ألوذ وألتجئ وأعتصم فالاستعاذة هي الالتجاء إلى ا لله والاعتصام به من كل مكروه.

الثالثة: قوله «**بوجهك**» زاد الإسماعيلي من طريق حماد بن زيد عن عمرو «**الكريم**» في الموضعين.قاله الحافظ.

قلت:وفيه دليل على إثبات صفة الوجه لله عز وجل على الوجه اللائق بجلاله

الرابعة: قوله «**هذا أهون أو هذا أيسر**» هو شك من الراوي، والضمير يعود على الكلام الأخير.

قال القسطلاني: «لأن الفتن بين المخلوقين وعذابهم أهون من عذاب ا لله فابتليت هذه الأمة بالفتن ليكفر بها عنهم»اهـ

ووقع في الإعتصام باب كل شيء هالك إلا وجهه: «**هاتان أهون أو أيسر**» أي خصلة الإلتباس وخصلة إذاقة بعضهم بأس بعض.

قال الحافظ: «وقد روى ابن مردويه من حديث ابن عباس ما يفسر به الثنتين: دعوت ا لله أن يرفع عنهم الرجم من السماء والخسف من الأرض، وألاّ يلبسهم شيعاً ولا يذيق بعضهم بأس بعض، فرفع ا لله عنهم الخسف والرجم وأبى أن يرفع عنهم الأخريين، فيستفاد من هذه الرواية المراد بقوله ﴿**من فوقكم أومن تحت أرجلكم**﴾ - إلى أن قال - وروى ابن أبي حاتم من طريق السدي عن شيوخه أيضاً أن المراد بالعذاب من فوق الرجم ومن تحت الخسف، وأخرج من طريق ابن عباس أن المراد بالفوق أئمة السوء، وبالتحت خدم السوء.

وقيل المراد بالفوق حبس المطر، وبالتحت منع الثمرات والأول هو المعتمد»اهـ

من فقه الحديث:

أولاً: جواز التوسل إلى ا لله بأسمائه وصفاته.

ثانياً: شفقة النبي ﷺ ورحمته بأمته.

١٢٦- [باب ﴿ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾].

ش: قلت الآية: ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**﴾.

قوله ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**﴾ فيه قولان لأهل التأويل.

الأول: وهو قول احمد وابن إسحاق وابن زيد أن هذا فصل القضاء من الله بين إبراهيم خليله عليه السلام وبين من حاجه من قومه من أهل الشرك بالله، إذ قال لهم إبراهيم: وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون.فقال الله تعالى فاصلا بينه وبينهم: الذين صدقوا الله وأخلصوا له العبادةو لم يخلطوا عبادتهم إياه وتصديقهم له بظلم يعني بشرك.

والثاني: هذا جواب من قوم إبراهيم ﷺ لإبراهيم حين قال لهم أي الفريقين أحق بالأمن؟ فقالوا له: الذين آمنوا بالله فوحدوه أحق بالأمن إذ لم يلبسوا إيمانهم بظلم.وبه قال ابن جريج.حكى القولين جميعاً ابن جرير واختار القول الأول، وهو اختيار سديد.

قوله ﴿**أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**﴾.

قال ابن كثير: «أي هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له و لم يشركوا به شيئاً هم الآمنون يوم القيامة المهتدون في الدنيا والآخرة».اهـ

قلت: واعلم أن الأمن أمنان:

أحدهما: أمن تام وهذا في حق من مات موحداً غير مرتكب كبيرة.

وثانيهما: أمن ناقص وهذا في حق من مات على التوحيد مرتكب كبيرة دون توبة فالأول آمن من دخول النار، والثاني آمن من الخلود فيها.

١٥٠ـ حدثني محمد بن بشار، حدثنا ابن أبي عدي[(١)]، عن شعبة، عن سليمان، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ قال أصحابه: وأينا لم يظلم؟ فنزلت ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾.

ش: الشاهد منه **﴿ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾** وسيأتي الحديث بتمامه في تفسير سورة لقمان ضمن الباب الثامن والستين بعد المائتين وهناك يستوفى شرحه إن شاء الله.

---

(١) هو أبو عمرو محمد بن إبراهيم بن أبي عدي وقد ينسب لجده، وقيل هو إبراهيم.البصري، ثقة، من التاسعة مات ، سنة أربع وتسعين [ومائة] على الصحيح.

١٢٧- [باب **﴿ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين﴾**].

ش: قلت الآية: **﴿وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلا فضلنا على العالمين﴾**.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: وهديت أيضاً من ذرية نوح إسماعيل، وهو إسماعيل بن إبراهيم، واليسع وهو اليسع بن أخطوب بن العجوز، واختلف القراء في قراءة اسمه، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق **﴿واليسع﴾** بلام واحدة مخففة، وقد زعم قوم أنه يفعل من قول القائل وسع يسع، ولا تكاد العرب تدخل الألف واللام على اسم يكون على هذه الصورة أعني على يفعل لايقولون: رأيت اليزيد، ولا أتاني النجيب، ولا مررت باليشكر، إلا في ضرورة الشعر، وذلك أيضاً إذا تحرى به المدح كما قال بعضهم:

وجدنا الوليد بن اليزيد مباركاً شديداً بأعباء الخلافة كاهله

فأدخل في اليزيد الألف واللام وذلك لإدخاله إياهما في الوليد فأتبعه اليزيد بمثل لفظه.

وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفيين **﴿والليسع﴾** بلامين وبالتشديد وقالوا: إذا قرىء كذلك كان أنسبه بأسماء العجم، وأنكروا التخفيف وقالوا: لا نعرف في كلام العرب اسماً على يفعل فيه ألف ولام.

والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأ بلام واحدة مخفف لإجماع أهل الأخبار على أن ذلك هو المعروف من اسمه دون تشديد مع أنه اسم أعجمي فتنطق به على ما هو به، وإنما لا يستقيم دخول الألف واللام فيما جاء من أسماء العرب على يفعل، وأما الاسم الذي يكون أعجمياً فإنما ينطق به على ما سمو به، فإن غير منه شيء إذا تكلمت العرب به فإنما يغير بتقويم حرف منه من غير حذف ولا زيادة فيه ولا نقصان ـ إلى أن قال ـ **﴿ويونس﴾** هو يونس بن متى، ولوطاً وكلا فضلنا من ذرية نوح، ونوح لهم بينا الحق ووفقناهم له، وفضلنا

جميعهم على العالمين يعني على عالم أزمانهم»اهـ

١٥١ـ حدثنا محمد بن بشار، حدثنا ابن مهدي، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أبي العالية قال حدثني ابن عم نبيكم يعني ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى».

١٥٢ـ حدثنا آدم بن أبي إياس، حدثنا شعبة، أخبرنا سعد بن إبراهيم قال سمعت حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى».

ش: تقدم شرحهما في تفسير سورة النساء ضمن الباب السادس بعد المائة.

١٢٨- [باب قوله ﴿**أولئك الذين هدى ا لله فبهداهم اقتده**﴾].

ش: تمامها: ﴿**قل لا أسئلكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين**﴾

قال البغوي: ﴿**أولئك الذين هدى ا لله**﴾ أي هداهم ا لله ﴿**فبهداهم**﴾ فبسنتهم وسيرتهم ﴿**اقتده**﴾ الهاء فيها هاء وقف، وحذف حمزة والكسائي ويعقوب الهاء في الوصل والباقون بإثباتها وصلاً ووقفاً، وقرأ ابن عامر ﴿**اقتده**﴾ بإشباع الهاء كسراً ﴿**قل لا أسئلكم عليه أجراً إن هو**﴾ ما هو ﴿**إلا ذكرى**﴾ أي تذكرة وموعضة ﴿**للعالمين**﴾.

وقال الشوكاني: «وتقديم بهداهم على الفعل يفيد تخصيص هداهم بالإقتداء، والاقتداء طلب موافقة الغير في فعله، وقيل المعنى: اصبر كما صبروا، وقيل اقتد بهم في التوحيد، وإن كانت جزئيات الشرائع مختلفة، وفيها دلالة على أنه ﷺ مأمور بالاقتداء بمن قبله من الأنبياء فيما لم يرد عليه فيه نص. قوله ﴿**قل لا أسئلكم عليه أجراً**﴾ أمره ا لله بأن يخبرهم بأنه لا يسألهم أجراً على القرآن، وأن يقول لهم ما هو إلا ذكرى يعني القرآن ﴿**للعالمين**﴾ أي موعظة وتذكير للخلق كافة الموجودين عند نزوله ومن سيوجد من بعد.

من فقه الآية:

أولاً: في أمر النبي ﷺ بالإقتداء بالمذكورين في الآية قبلها دليل على أن دين الأنبياء هو الإسلام.

ثانياً: عموم رسالته ﷺ للناس كافة.

١٥٣- حدثني إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام أن ابن جريج أخبرهم قال: أخبرني سليمان الأحول[1]، أن مجاهداً أخبره أنه سأل ابن عباس: أفي ص سجدة؟ فقال: نعم.ثم تلا: ووهبنا له إسحاق ويعقوب ــ إلى قوله ــ فبهداهم

(١) هو سليمان بن أبي مسلم المكي الأحول خال ابن أبي نجيح، قيل اسم أبيه عبد الله، ثقة ثقة قاله أحمد، من الخامسة.ع.

اقتده.ثم قال: هو منهم.

زاد يزيد بن هارون ومحمد بن عبيد[١] وسهل بن يوسف[٢] عن العوام، عن مجاهد: قلت لابن عباس فقال: نبيكم ﷺ ممن أمر أن يقتدي بهم.

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله «**ثم تلا**» يعني ابن عباس رضي الله عنهما.

الثانية: قوله «**ووهبنا له إسحاق - إلى قوله ـ فبهداهم اقتده**» **قلت:** ما بينهما: ﴿**كلا هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين* وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين * وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلا فضلنا على العالمين * ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم * ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون * أولئك الذين أتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين * أولئك الذين هدى الله**﴾.

الثالثة: قوله «**زاد يزيد بن هارون**» وصلها الإسماعيلي.ذكره الحافظ.

الرابعة: قوله «**ومحمد بن عبيد**» وصلها المصنف في تفسير سورة "ص".

الخامسة: قوله «**وسهل بن يوسف**» وصلها المصنف أيضاً في باب ﴿**واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب**﴾ من كتاب الأنبياء.

وسيأتي الخبر في أول تفسير سورة (ص) وهناك يستوفى شرحه إن شاء الله.

---

(١) هو محمد بن عبيد بغير إضافة ابن أبي أمية الطنافسي الكوفي الأحدب، ثقة يحفظ.من الحادية عشرة، مات سنة أربع ومائتين.ع.

(٢) هو سهل بن يوسف الأنماطي، البصري، ثقة رمي بالقدر، من كبار التاسعة، مات سنة تسعين ومائة.بخ.٤.

١٢٩- [باب **﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما﴾**].

ش: تمامها: **﴿إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون﴾**.

قوله **﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر﴾**.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: وحرمنا على اليهود كل ذي ظفر وهو من البهائم والطير ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والأنعام والأوز والبط».اهـ

قوله **﴿ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما﴾**.

قال السدي: «يعني الثرب وشحم الكليتين وكانت اليهود تقول أنه حرمه إسرائيل فنحن نحرمه وكذا قال ابن زيد.وقال قتادة: الثرب كل شحم كان كذلك ليس في عظم».حكاه ابن كثير.

قوله **﴿إلا ما حملت ظهورهما﴾** «قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: **﴿إلا ما حملت ظهورهما﴾** يعني ما علق بالظهر من الشحوم.وقال السدي وأبو صالح الإلية مما حملت ظهورهما».حكاه ابن كثير.

قوله **﴿أو الحوايا﴾**.

قال ابن جرير: «والحوايا جمع واحدها حاويا وحاوية وحوية وهي ما تحوي من البطن فاجتمع واستدار وهي بنات اللبن وهي المباعر وتسمى المرابظ وفيها الأمعاء ومعنى الكلام ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو ما حملت الحوايا، فالحوايا رفع عطفاً على الظهور و"ما" التي بعد "إلا" نصب على الاستثناء من الشحوم».اهـ

قوله **﴿أو ما اختلط بعظم﴾**.

أخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن عباس **﴿أو ما اختلط بعظم﴾** قال الإلية اختلط شحم الإلية بالعصعص فهو حلال وكل شحم القوائم والجنب

والرأس والعين والأذن يقولون قد اختلط ذلك بعظم فهو حلال لهم.انتهى محل الغرض قاله الشوكاني.

قوله **﴿ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون﴾**.

قال ابن كثير: «أي هذا التضييق إنما فعلناه بهم وألزمناهم به مجازاة على بغيهم ومخالفتهم أوامرنا.كما قال تعالى: **﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً﴾** وقوله **﴿وإنا لصادقون﴾** أي وإنا لعادلون فيما جزيناهم به».

وقال ابن جرير: «وإنا لصادقون فيما أخبرناك به يا محمد من تحريمنا ذلك عليهم لا كما زعموا من أن إسرائيل هو الذي حرمه على نفسه».

تفسير جملة من الكلمات والآثار:

١- [وقال ابن عباس: كل ذي ظفر: البعير والنعامة].

ش: رواه ابن جرير من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله **﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر﴾** وهو البعير والنعامة.وأخرجه أيضاً عن مجاهد.

٢- [﴿الحوايا﴾ المباعر].

ش: قلت: أخرجه ابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه أيضاً ابن جرير عن مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدي.

٣- [وقال غيره: هادوا: صاروا يهوداً].

ش: قوله وقال غيره: أي غير ابن عباس.

٤- [وأما قوله ﴿هدنا﴾ (الأعراف) تبنا هائد تائب].

ش: قال أبو عبيدة: أي الذين تابوا ممن تهود أي هدنا إلى ربنا.

وأخرجه ابن جرير موصولاً عن ابن عباس وسعيد بن جبير وإبراهيم التيمي

وغيرهم.

والآية المشار إليها هي السادسة والخمسون بعد المائة من سورة الأعراف وهي قوله: ﴿**واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك**﴾ الآية.

١٥٤ـ حدثنا عمرو بن خالد ثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب(١) قال عطاء سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما سمعت النبي ﷺ قال: قاتل الله اليهود لما حرم الله عليهم شحومها جملوها ثم باعوها فأكلوها.

قال أبو عاصم(٢): حدثنا عبد بن حميد(٣) حدثنا يزيد كتب إليّ عطاء سمعت جابراً عن النبي ﷺ.

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «**قاتل الله اليهود**» أي قتلهم الله وقيل لعنهم وقيل عاداهم، وقد تكررت في الحديث ولا تخرج عن احد هذه المعاني.قاله ابن الأثير.

الثانية: قوله «**لما حرم الله عليهم شحومها**» يعني به قوله ﴿**ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم**﴾.

الثالثة: قوله «**جملوها**» جملت الشحم وأجملته أي إذا أذبته واستخرجت دهنه وجملت أفصح من أجملت. قاله ابن الأثير.

الرابعة: قوله «**ثم باعوها فأكلوها**» **قلت:** وفي باب بيع الميتة والأصنام من

---

(١) هو أبو رجاء يزيد بن أبي حبيب المصري واسم أبيه سويد واختلف في ولائه، ثقة فقيه وكان يرسل من الخامسة، مات سنة [مائة وثمان وعشرين] وقد قارب الثمانين.ع.

(٢) هو الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم الشيباني النبيل البصري، ثقة ثبت من التاسعة، مات سنة [مائتين واثنتي عشر].ع.

(٣) هو عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن الحكم بن رافع الأنصاري، صدوق، رمي بالقدر وربما وهم من السادسة، مات سنة [مائة وثلاث وخمسين].خت.م.٤.

١٣٢- [باب **﴿لا ينفع نفساً إيمانها﴾**].

ش: **قلت:** الآية **﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظروا إنا منتظرون﴾**.

قوله **﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك﴾**.

قال ابن كثير: «يقول تعالى متوعداً للكافرين والمخالفين لرسله والمكذبين بآياته والصادين عن سبيله **﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك﴾** وذلك كائن يوم القيامة».اهـ

قوله **﴿أو يأتي بعض آيات ربك ـ إلى قوله ـ خيراً﴾**.

قال ابن جرير: «يقول أو أن يأتيهم بعض آيات ربك وذلك فيما قال أهل التأويل طلوع الشمس من مغربها...ثم أخرج هذا القول عن ابن مسعود ومجاهد وقتادة وابن جريج.ثم قال في بقية الآية.

يقول تعالى ذكره يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع من كان قبل ذلك مشركاً با لله أن يؤمن بعد مجيء تلك الآية ـ إلى أن قال ـ وأما قوله **﴿أو كسبت في إيمانها خيراً﴾** فإنه يعني أو عملت في تصديقها با لله خيراً من عمل صالح تصدق قبله، وتحققه قبل طلوع الشمس من مغربها، لا ينفع كافراً لم يكن آمن با لله قبل طلوعها، كذلك إيمان با لله إن آمن وصدق با لله ورسله؛ لأنها حالة لا تمتنع نفس من الإقرار با لله العظيم للهول الوارد عليهم من أمر ا لله، فحكم إيمانها كحكم إيمانهم عند قيام الساعة، وتلك حال لا يمتنع الخلق من الإقرار بوحدانية ا لله لمعاينتهم من أهوال ذلك اليوم ما ترتفع معه حاجتهم إلى الفكر والاستدلال والبحث والاعتذار، ولا ينفع من كان با لله وبرسله مصدقاً ولفرائض ا لله مضيعاً غير مكتسب بجوارحه لله طاعة إذا هي طلعت من مغربها أعماله إن عمل وكسبه إن اكتسب، لتفريطه الذي سلف قبل طلوعها في ذلك».اهـ

١٣٠- [باب قوله ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾].

ش: قلت: الآية **﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون﴾**.

قوله «**﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم﴾** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام الزاعمين أن الله حرم عليهم ما هم محرموه من حروثهم وأنعامهم على ما ذكرت لك في تنزيلي عليك: تعالوا أيها القوم أقرأ عليكم ما حرم ربكم حقاً يقيناً لا الباطل تخرصاً كخرصكم على الله الكذب والفرية ظناً ولكن وحياً من الله أوحاه إليّ وتنزيلا أنزله عليّ». قاله ابن جرير.

قوله **﴿ألا تشركوا به شيئاً﴾**.

قال ابن سعدي: «أن لا تشركوا بالله شيئاً أي لا قليلاً ولا كثيراً وحقيقة الشرك بالله أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية، وإذا ترك العبد الشرك كله صار موحداً مخلصاً لله في جميع أحواله.فهذا حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا»اهـ.

قوله **﴿وبالوالدين إحساناً﴾**.

قال ابن كثير: «أي وأوصاكم وأمركم بالوالدين إحسانا أي أن تحسنوا إليهم كما قال تعالى **﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾** وقرأ بعضهم **﴿ووصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه والوالدين إحساناً﴾** أي احسنوا إليهم.والله تعالى كثيراً ما يقرن بين طاعته وبر الوالدين كما قال **﴿أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا**

كتاب البيوع برواية قتيبة «ثم باعوه فأكلوا ثمنه» قال ابن دقيق العيد: وقوله عليه السلام: قاتل الله اليهود...الخ. تنبيه على تعليل تحريم بيع هذه الأشياء فإن العلة تحريمها فإنه وجه اللوم على اليهود في تحريم أكل الثمن بتحريم أكل الشحوم، واستدل المالكية بهذا على تحريم الذرائع من حيث أن اليهود توجه عليهم اللوم بتحريم أكل الثمن من جهة تحريم أكل الأصل.وأكل الثمن ليس هو أكل الأصل بعينه؛ لكنه لما كان سبباً إلى أكل الأصل بطريق المعنى استحقوا اللوم.

قلت: وهذا دليل على أن ما حرم أكله حرم بيعه وثمنه.ويؤيد ذلك سياق الحديث في البيوع عند المصنف من رواية قتيبة المذكورة قريباً ولفظه: «إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام.فقيل يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن، ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال: لا هو حرام.فذكره»اهـ

وقوله «**وقال أبو عاصم حدثنا عبد الحميد**» هو ابن جعفر، وهذه الطريق وصلها أحمد عن أبي عاصم وأخرجها مسلم عن أبي موسى عن أبي عاصم ولم يسق لفظه بل قال مثل حديث الليث، والظاهر أنه أراد أصل الحديث، وإلا ففي سياقه بعض مخالفة، قال أحمد: حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد عن عبد الحميد بن جعفر أخبرني يزيد بن أبي حبيب ولفظه: «يقول عام الفتح: إن الله حرم بيع الخنازير وبيع الميتة وبيع الخمر وبيع الأصنام.قال رجل: يا رسول الله فما ترى في بيع شحوم الميتة؟ فإنها تدهن بها السفن والجلود ويستصبح بها فقال: قاتل الله اليهود» الحديث.انتهى من الفتح.

في خفاء لا تجاهرون به، فإن كل ذلك حرام.وقد قيل إنما قيل لا تقربوا ما ظهر من الفواحش وما بطن؛ لأنهم كانوا يستقبحون من معاني الزنا بعضاً وليس ما قالوا من ذلك بمرفوع غير أن دليل الظاهر من التنزيل على النهي عن ظاهر كل فاحشة وباطنها ولا خبر يقطع العذر بأنه عنى به بعضاً دون الجميع وغير جائز إحالة ظاهر كتاب الله إلى باطن إلا بحجة يجب التسليم لها»اهـ.

قوله ﴿**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق**﴾.

قال الشوكاني: «اللام في النفس للجنس و ﴿**التي حرم الله**﴾ صفة للنفس أي لا تقتلوا شيئاً من الأنفس التي حرمها الله ﴿**إلا بالحق**﴾ أي إلا بما يوجبه الحق، والاستثناء مفرغ. أي لا تقتلوه في حال من الأحوال إلا في حال الحق، أو لا تقتلوها بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق، ومن الحق قتلها قصاصاً,وقتلها بسبب زنا المحصن، وقتلها بسبب الردة، ونحو ذلك من الأسباب التي ورد الشرع بها»اهـ.

قوله ﴿**ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون**﴾.

قال ابن جرير: «يعني هذه الأمور التي عهد إلينا فيها ربنا أن لا نأتيها، وأن ندعها هي الأمور التي أوصانا والكافرين بها أن نعمل جميعاً به ﴿**لعلكم تعقلون**﴾ يقول: وصاكم بذلك لعلكم تعقلون ما وصاكم به ربكم»اهـ.

من فقه الآية:

أولاً: وجوب إخلاص العبادة لله وحده.

ثانياً: تحريم الشرك بالله وأنه أعظم الذنوب ولذلك بدأ الله به في الآية.

ثالثاً: وجوب الإحسان إلى الوالدين وأنه يأتي في المرتبة الثانية بعد حق الله.

رابعاً: وجوب الإيمان بالقضاء والقدر.

خامساً: في الآية دليل على أن فهم الأوامر والنواهي عون على الإمتثال.

تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إليّ ثم إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ فأمر بالإحسان إليهما وإن كانا مشركين بحسبهما وقال تعالى ﴿**وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا ا لله وبالوالدين إحسانا**﴾ الآية، والآيات في هذا كثيرة.

قوله ﴿**ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم**﴾.

قال ابن عطية: «الآية نهي عن عادة العرب في وأد البنات، والولد يعم الذكر والأنثى من البنين، والإملاق الفقر وعدم المال.قاله ابن عباس وغيره.

يقال أملق الرجل إذا افتقر.ويشبه أن يكون معناه أملق أي لم يبق له إلا الملق كما قالوا أترب إذا لم يبق له إلا التراب، وأرمل إذا لم يبق له إلا الرمل، والملق الحجارة السود واحدته ملقة، وذكر منذر بن سعيد أن الإملاق الإنفاق ويقال أملق ماله بمعنى أنفقه، وذكر أن علياً قال لامرأة: أملقي من مالك ما شئت.

وذكر النقاش عن مؤرخ أنه قال: الإملاق الجوع بلغة لخم»اهـ.

وقال ابن كثير: «وقوله تعالى: ﴿**من إملاق**﴾ قال ابن عباس وقتادة والسدي وغيره هو الفقر أي تقتلوهم من فقركم الحاصل.

وقال في سورة الإسراء: ﴿**ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق**﴾ أي لا تقتلوهم خوفاً من الفقر في الآجل ولهذا قال هناك ﴿**نحن نرزقهم وإياكم**﴾ فبدأ برزقهم للإهتمام بهم أي لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم فهو على ا لله وأما هنا فلما كان الفقر حاصلاً قال: ﴿**نحن نرزقكم وإياهم**﴾؛ لأنه الأهم ها هنا»وا لله أعلم.

قوله ﴿**ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن**﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: ولا تقربوا الظاهر من الأشياء المحرمة عليكم التي هي علانية بينكم، لا تناكرون ركوبها والباطن منها الذي تأتونه سراً

٣- [﴿زخرف القول﴾ كل شيء حسنته ووشيته وهو باطل فهو زخرف].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ويقال زخرف فلان كلامه وشهادته.اهـ

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: **﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً﴾.**

٤- [﴿وحرث حجر﴾ حرام، وكل ممنوع فهو حجر محجور، والحجر كل بناء بنيته، ويقال للأنثى من الخيل حجر، ويقال للعقل حجر وحجى، وأما الحجر فموضع ثمود، وما حجّرت عليه الأرض فهو حجر ومنه سمي حطيم البيت حجراً، كأنه مشتق من محطوم مثل قتيل من مقتول، وأما حجر اليمامة فهو منزل].

ش: قال أبو عبيدة: حجر أي حرام وأنشد قول المتلمس:

حنت إلى النخلة القصوى فقلت هاحجر حرام الا ثم الدهاريس اهـ.

وقوله «**وكل ممنوع فهو حجر، ومنه حجر محجور**» قال أبو عبيدة في قوله تعالى **﴿ويقولون حجر محجوراً﴾** أي حراما محرماً.

قوله «**والحجر كل بناء بنيته وما حجرت عليه من الأرض فهو حجر ومنه سمي حطيم البيت حجراً**» قال أبو عبيدة: ومن الحرام سمي حجر الكعبة وقال غيره: سمي حطيماً؛ لأنه أخرج من البيت وترك هو محطوماً.

وقيل: الحطيم ما بين الركن والباب سمي حطيماً لازدحام الناس فيه.

قوله «**كأنه مشتق من محطوم**» أي الحطيم.مثل قتيل من مقتول وهذا على رأي الأكثر، وقيل سمي حطيماً لأن العرب كانت تطرح فيه ثيابها التي تطوف

١٥٥ـ حدثنا حفص بن عمر، حدثنا شعبة، عن عمرو[1]، عن أبي وائل، عن عبد الله رضي الله عنه قال: لا أحد أغير من الله، ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شيء أحب إليه المدح من الله، ولذلك مدح نفسه، قلت: سمعته من عبد الله؟ قال: نعم.قلت: ورفعه؟ قال: نعم.

ش: يأتي في سورة الأعراف ضمن الباب الرابع والثلاثين بعد المائة.

شرح جملة من الآثار و الكلمات:

١ـ [**وكيل حفيظ ومحيط به**].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: ﴿**ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل**﴾.

٢ـ [**قبلاً جمع قبيل، والمعنى أنه ضروب للعذاب، كل ضرب منها قبيل**].

ش: هو من كلام أبي عبيدة لكنه بمعناه حيث قال: «قبلاً جميع قبيل قبيل أي صنف صنف ومن قرأها قبلاً فإنه يجعل مجازها عياناً كقولهم: من ذي قِبل بالكسر وقال آخرون: قبلا بالضم أي مقابلة كقولهم: قبل قبله وسقاها قبلاً لم يكن أعدلها الماء فاستأنفت سقيها وبعضهم يقول: من ذي قبل».اهـ

والآية المشار إليها: ﴿**ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون**﴾.

---

(١) هو أبو عبد الله عمرو بن مرة بن عبد الله بن طارق الجملي المرادي الكوفي، الأعمى ثقة عابد كان لا يدلس ورمي بالإرجاء من الخامسة، مات سنة ثماني عشرة ومائة وقيل قبلها.ع.

١٣١- [باب ﴿**هلم شهداءكم**﴾].

ش: **قلت**: الآية ﴿**قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن ا لله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم، ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون**﴾.

قوله ﴿**قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن ا لله حرم هذا**﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ قل يا محمد لهؤلاء المفترين على ربهم من عبدة الأوثان، الزاعمين أن ا لله حرم عليهم ما هم محرمون من حروثهم وأنعامهم ﴿**هلم شهداءكم**﴾ يقول: هاتوا شهداءكم الذين يشهدون على ا لله أنه حرم عليكم ما تزعمون أنه حرمه عليكم، وأهل العالية من تهامة توحد هلم في الواحد والإثنين والجمع، وتذكر في المؤنث والمذكر، فتقول للواحد: هلم يا فلان، وللإثنين والجمع كذلك، وللأنثى مثله، ومنه قول الأعشى:

وكان دعا قومه دعوة هلم إلى أمركم قد صرم

ينشد هلم وهلموا.وأما أهل السافلة من نجد فإنهم يوحدون للواحد ويثنون للإثنين، ويجمعون للجميع فيقال للواحد من الرجال: هلم، وللواحدة: هلمي، وللإثنين: هلما، وللجماعة من الرجال: هلموا، وللنساء: هلممن.

قوله ﴿**فإن شهدوا - إلى قوله - بربهم يعدلون**﴾.

قال ابن كثير: «﴿**فإن شهدوا فلا تشهد معهم**﴾ أي لأنهم إنما يشهدون والحالة هذه كذباً وزوراً.

﴿**ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون**﴾ أي يشركون به ويجعلون له عديلاً»اهـ.

[**لغة أهل الحجاز هلم للواحد والإثنين والجميع**].

ش: حكاه أبو عبيدة عن أهل العالية من تهامة وزاد: وأهل نجد يقولون للواحد هلم وللمرأة هلمي، وللإثنين هلما، وللقوم هلموا، وللنساء هلممن يجعلونها من هلممت.وأهل الحجاز لا يجعلون لها فعلاً.انتهى وتقدم حكاية اللغتين في الكلمة.

فيها وتتركها حتى تنحطم وتفسد بطول الزمان...فعلى هذا هو فعيل بمعنى فاعل، وقيل سمي حطيماً؛ لأنه كان من جملة الكعبة فأخرج عنها وكأنه كسر منها فيصح لهم فعيل بمعنى مفعول

وقوله «**مشتق**» ليس هو محمولاً على الاشتقاق الذي جرى إصطلاحه.

قوله «**ويقال للأنثى من الخيل حجر، ويقال للعقل حجر حجى**» هو قول أبي عبيدة قال في قوله تعالى ﴿**لذي حجر**﴾ أي عقل قال: ويقال للأنثى من الخيل حجر.

قوله «**وأما حجر اليمامة فهو المنزل**» ذكره استطراداً وإلا فهذا بفتح أوله هي قصبة اليمامة البلد المشهور بين الحجاز واليمن.انتهى من الفتح (١٢/٣٧٩).

قوله ﴿**قل انتظروا إنا منتظرون**﴾.

قال الشوكاني: «ثم أمره الله سبحانه أن يقول لهم انتظروا ما تريدون إتيانه إنا منتظرون له، وهذا تهديد شديد، ووعيد عظيم، وهو يقوي ما قيل في تفسير ﴿**يوم يأتي بعض آيات ربك**﴾ أنها الآيات التي اقترحوها من إتيان الملائكة وإتيان العذاب لهم من قبل الله»اهـ.

من فقه الآية:

أولاً: إثبات مجيء الله بذاته يوم القيامة للفصل بين عباده. قال الإمام ابن القيم رحمه الله: والإتيان والمجيء المضاف إليه سبحانه نوعان مطلق ومقيد، فإذا كان المراد مجيء رحمته أو عذابه ونحو ذلك قيد بذلك كما في الحديث: «حتى جاء الله بالرحمة والخير» وقوله: ﴿**ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم**﴾.

النوع الثاني: الإتيان والمجيء المطلق فهذا لا يكون إلا مجيئه سبحانه كقوله ﴿**هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام**﴾ وقوله: ﴿**وجاء ربك والملك صفاً صفاً**﴾».اهـ

ثانياً: لا ينتفع أحد بالإيمان والعمل الصالح بعد ظهور الآيات المذكورة في الآية إلا من كان على ذلك من قبل.

١٥٦ـ حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد الواحد(١)، حدثنا عمارة(٢)، حدثنا أبو زرعة(٣)، حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها

---

(١) هو عبد الواحد بن زياد العبدي مولاهم، البصري، ثقة في حديثه عن الأعمش وحده مقال، من الثامنة، مات سنة ست وسبعين [ومائة] وقيل بعدها. ع.

(٢) هو عمارة بن القعقاع بن شبرمة الضبي، الكوفي، ثقة أرسل عن ابن مسعود وهو من السادسة. ع.

(٣) هو عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي الكوفي، قيل اسمه هرم، وقيل عمرو، وقيل عبد الله، وقيل عبد الرحمن، وقيل جرير، ثقة من الثالثة. ع.

الناس آمن من عليها، فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل.

١٥٧ـ حدثني إسحاق[(١)]، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن همام، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها. ثم قرأ الآية.

ش: فيهما أربع مسائل:

الأولى: قوله «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها**» هذا بعض حديث ساقه المؤلف في أواخر كتاب الفتن الباب الخامس والعشرين بهذا الإسناد بتمامه وفي أوله: «لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان» الحديث، وذكر فيه نحو عشرة أشياء من هذا الجنس.

الثانية: قوله «**فإذا رآها الناس آمن من عليها**» في الرقاق باب حديث أبي اليمان «فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون»، وقوله «فإذا طلعت...» الخ يعني الشمس من مغربها.

الثالثة: قوله «**فذلك**» في الرقاق من رواية الأعرج «فذاك».

الرابعة: قوله «**حين لا ينفع نفساً إيمانها الآية**» كذا هنا وفي الرقاق «إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً».

قال ابن عطية: في هذا الحديث دليل على أن المراد بالبعض في قوله تعالى ﴿**يوم يأتي بعض آيات ربك**﴾ طلوع الشمس من المغرب، وإلى ذلك ذهب الجمهور. وأسند الطبري عن ابن مسعود أن المراد بالبعض إحدى ثلاث، هذه أو خروج الدابة، أو الدجال. قال: وفيه نظر؛ لأن نزول عيسى بن مريم يعقب خروج الدجال، وعيسى لا يقبل إلا الإيمان فانتفى أن يكون بخروج الدجال لا

---

(١) هو إسحاق بن إبراهيم بن نصر البخاري، أبو إبراهيم السعدي، صدوق من الحادية عشرة، مات سنة اثنتين وأربعين [ومائتين]. خ.

يقبل الإيمان ولا التوبة.

قلت: ثبت في صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الزمن الذي لايقبل فيه إيمان من طريق أبي حازم عن أبي هريرة رفعه: «ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض» قيل فلعل حصول ذلك يكون متتابعا بحيث تبقى النسبة إلى الأول منها مجازية،وهذا بعيد؛ لأن مدة لبث الدجال إلى أن يقتله عيسى ثم لبث عيسى وخروج يأجوج ومأجوج كل ذلك سابق على طلوع الشمس من المغرب، فالذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب.

قلت: وقد أخرج مسلم أيضاً كتاب الإيمان باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه إيمان من طريق أبي زرعة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رفعه: «أول الآيات طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى، فأيهما خرجت قبل الأخرى فالأخرى منها قريب».

قال الحاكم أبو عبد الله: الذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة ثم تخرج الدابة في ذلك اليوم أو الذي يقرب منه.

قلت: والحكمة في ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلا للمقصود من إغلاق باب التوبة، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة النار التي تحشر الناس كما تقدم في حديث أنس في بدء الخلق في مسائل عبد الله بن سلام ففيه «وأما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب».

قال ابن عطية وغيره ما حاصله: معنى الآية أن الكافر لا ينفعه إيمانه بعد طلوع الشمس من المغرب، وكذلك العاصي لا تنفعه قربته، ومن لم يعمل صالحاً من قبل ولو كان مؤمناً لا ينفعه العمل بعد طلوعها من المغرب.

وقال القاضي عياض: المعنى لا تنفع توبة بعد ذلك، بل يختم على عمل كل أحد بالحالة التي هو عليها.

والحكمة في ذلك أن هذا أول ابتداء قيام الساعة بتغير العالم العلوي، فإذا شوهد ذلك حصل الإيمان الضروري بالمعاينة وارتفع الإيمان بالغيب، فهو كالإيمان عند الغرغرة وهو لا ينفع، فالمشاهدة لطلوع الشمس من المغرب مثله.

آخر تفسير سورة الأنعام والحمد لله.

سورة الأعراف

١٣٣- [**باب تفسير سورة الأعراف**].

ش: شاهد التسمية: ﴿**وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم**﴾.

وأخرج ابن الضريس والنحاس في ناسخه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل من طرق عن ابن عباس قال: سورة الأعراف مكية.

وآياتها ست ومائتان، وهي مكية إلا ثمان آيات من قوله ﴿**واسئلهم عن القرية - إلى قوله - وإذ نتقنا الجبل**﴾.

شرح جملة من الكلمات والآثار:

١- [قال ابن عباس: ﴿ورياشاً﴾ المال].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما عن أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿**وريشاً**﴾ قال: المال.

وأخرجه ابن جرير عن مجاهد والسدي وعروة والضحاك، وهو **أحد** قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: بمعنى الجمال وهو قول ابن زيد.

والآية المشار إليها: ﴿**يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير**﴾ الآية.

٢- [﴿إنه لا يحب المعتدين﴾ في الدعاء وفي غيره].

ش: أخرجه ابن جرير من طريق القاسم عن الحسين عن حجاج عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس فذكره.

ورواه ابن أبي حاتم عن العباس بن الوليد عن محمد بن شعيب عن عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها: ﴿**ادعوا ربكم تضرعاً وخفية، إنه لا يحب المعتدين**﴾.

٣- [﴿عفوا﴾ كثروا وكثرت أموالهم].

ش: أخرجه ابن جرير بأسانيد متصلة عن ابن عباس ومجاهد.

قال أبو عبيدة: «مجازه حتى كثروا وكذلك كل نبات وقوم وغيره إذا كثروا فقد عفوا.

قال لبيد:

فلا تتجاوز العضلات منها ... إلى البكر المقارب والكروم

ولكنا نعض السيف منها ... بأسوق عافيات اللحم كوم

أي كثيرات اللحم» اهـ.

قلت: والآية المشار إليها: ﴿**ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء**﴾.

٤- [﴿**الفتاح**﴾ **القاضي**].

ش: أخرجه ابن جرير من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿**وهو الفتاح العليم**﴾ يقول القاضي.

قلت: والآية المشار إليها من سورة سبأ ولعل المصنف ذكره ها هنا تمهيداً لقوله تعالى ﴿**ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق**﴾.

٥- [﴿**افتح بيننا**﴾ **اقض بيننا**].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما عن أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿**ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق**﴾ يقول: اقض بيننا وبين قومنا بالحق.

وأخرجه ابن جرير عن قتادة وعن الحسن والسدي بمعناه.

والآية المشار إليها: ﴿**على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين**﴾.

٦- [﴿**نتقنا**﴾ **رفعنا**].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم واللفظ له كلاهما من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿**وإذ نتقنا الجبل فوقهم**﴾ يقول: رفعنا، وهو قوله ﴿**رفعنا فوقهم الطور بميثاقهم**﴾.

والآية المشار إليها: ﴿**وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون**﴾.

٧- [﴿**انبجست**﴾ **انفجرت**].

ش: رواه ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها: ﴿**وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً**﴾.

٨- [﴿**متبر**﴾ **خسران**].

ش: رواه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به.

وأخرج ابن جرير أيضاً عن ابن زيد والسدي نحوه.

والآية المشار إليها: ﴿**إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون**﴾.

٩- [﴿**آسى**﴾ **أحزن**].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فذكره.

وأخرجه ابن جرير أيضاً عن السدي وبه قال أبو عبيدة وزاد: أتندم وأتوجع ومصدره الأسى.

والآية المشار إليها: ﴿**فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين**﴾.

١٠- [﴿**تأس**﴾ **تحزن**].

ش: **قلت**: والآية المشار إليها هي قوله تعالى من سورة المائدة ﴿**فلا تأس على القوم الفاسقين**﴾ فلعل المصنف ذكره ها هنا على سبيل الاستطراد والاستشهاد لما قبله.

١١- [**وقال غيره**: ﴿**ما منعك ألا تسجد**﴾ **يقول: ما منعك أن تسجد**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: والعرب تضع "لا" في موضع الإيجاب وهي من حروف الزوائد قال أبو النجم:

فما ألوم البيض إلا تسخراً ... مما رأيت الشمط القفندرا

أي ما ألوم البيض أن يسخرن، القفندر القبيح السمج.

وقال الأحوص:

ويلحينني في اللهو ألا أحبه وللهوى داع دائب غير غافل

أراد في اللهو أن أحبه، قال العجاج في بئر لا حور سرى وما شعر.

الحور الهلكة وقوله أي في بئر حور و"لا" في هذا الموضع فضل.

والآية المشار إليها: **﴿قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾**.

١٢- [﴿يخصفان﴾ أخذا الخصاف من ورق الجنة، يؤلفان الورق.يخصفان الورق بعضه إلى بعض].

ش: قاله أبو عبيدة لكنه مقتصراً على الجملة الأخيرة منه.وأخرج ابن جرير من طريق إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس **﴿وطفقا يخصفان عليهما من روق الجنة﴾** قال: جعلا يأخذان من ورق الجنة فيجعلان على سوءاتهما.

والآية المشار إليها: **﴿فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾** الآية.

١٣- [﴿سوءاتهما﴾ كناية عن فرجيهما].

ش: قاله أبو عبيدة في مجازه.

١٤- [﴿ متاعٌ إلى حين ﴾ : هوهنا إلى يوم القيامة، والحين عند العرب من ساعةٍ إلى ما لايحصى عدده]

ش/ قال أبو عبيدة إلى يوم القيامة ، وقال :

وما مزاحك بعد الحلم والدين وقد علاك مشيب حين لاحين

أي وقت لاوقت .أهـ

والآية المشار إليها: **﴿ قال اهبطوا بعضكم لبعضٍ عدو ولكم في الأرض مستقرٌ ومتاعٌ إلى حين ﴾**

١٥- **[الرِّياش والرِّيش واحد، وهو ما ظهر من اللباس].**

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: والشارة وبعضهم يقول: أعطاني رجلاً بريشه أي بكسوته وجهازه وكذلك السرج بريشه والرياش أيضاً الخصب المعاش.وقد مضت الآية في الأثر الأول.

١٦- **[﴿قبيله﴾ جيله الذي هو منهم].**

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: **﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾.**

١٧- **[﴿إداركوا﴾ اجتمعوا].**

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: فيها، ويقال: تدارك لي عليه شيء أي إجتمع لي عنده شيء، وهو مدغم التاء في الدال فثقّلت الدال.انتهى

والآية المشار إليها: **﴿حتى إذا اداركوا فيها جميعاً قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار﴾.**

١٨- **[ومشاق الإنسان والدابة كلها يسمى سموماً، واحدها سم وهي عيناه ومنخراه وفمه وأذناه ودبره وإحليله].**

ش: قال أبو عبيدة في قوله تعالى **﴿في سم الخياط﴾** أي في ثقب الإبرة وكل ثقب من عين أو أنف أو أذن أو غير ذلك فهو سم والجميع سموم.

والآية المشار إليها: **﴿إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾.**

١٩- **[﴿غواش﴾ ما غُشّوا به].**

ش: قال أبو عبيدة: واحدتها غاشية وهي ما غشاهم فغطاهم من فوقهم.وأخرج ابن جرير موصولاً إلى السدي أنه قال: الغواش تغشاهم من

فوقهم.

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿**لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين**﴾.

٢٠- [﴿**نشراً**﴾ **متفرقة**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: من كل مهب وجانب وناحية.

قلت: «هذا على قراءة الحرميين وأبي عمرو وابن عامر غير أنه سكن الشين، ومثله حمزة والكسائي غير أنهما فتحا النون، والقراءة الثانية وهي قراءة عاصم بباء مضمومة وإسكان الشين ﴿**بُشْراً**﴾ ومعناه جمع بشير».اهـ من الكشف (١/٤٦٦) باختصار وتصرف.

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: ﴿**وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته**﴾.

٢١- [﴿**نكداً**﴾ **قليلا**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «عسراً في شدة.قال:

لا تنجز الوعد إن وعدت وإن أعطيت أعطيت تافهاً نكداً

تافه قليل».انتهى.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق أحمد بن المفضل عن أسباط عن السدي ﴿**لا يخرج إلا نكداً**﴾ والنكِد الشيء القليل الذي لا ينفع.

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: ﴿**والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً**﴾.

﴿**إلا نكداً**﴾ قرأ أبو جعفر بفتح الكاف، وقرأ الآخرون بكسرها أي عسراً قليلاً بعناء ومشقة، فالأول مثل المؤمن الذي إذا سمع القرآن وعاه وعقله وانتفع به والثاني مثل الكافر الذي يسمع القرآن فلا يؤثر فيه، كالبلد الخبيث الذي لا يثبت أثر المطر فيه.قاله البغوي.

٢٢- [﴿يغنوا﴾ يعيشوا].

ش: أخرجه ابن جرير موصولا من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فذكره.

وكذا قال أبو عبيدة وزاد: «قال مهلهل:

غنيت دارنا تهامة في الدهر وفيها بنو سعد حلولا

وقولهم مغاني الديار منها واحدها مغنىً قال: اتعرف مغنى دمنةٍ ورسوم».

والآية المشار إليها: **﴿الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين﴾**.

٢٣- [﴿حقيق﴾ حق].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: عليّ أن لا أقول إلا الحق، ومن قرأها **﴿حقيق على أن لا أقول﴾** ولم يضف "عليّ" إليه فإنه يجعل مجازه مجاز حريص على أن لا أقول، أو فحق أن لا أقول.انتهى

قلت: وكلا المعنيين صحيح ولا منافاة بينهما.

والآية المشار إليها: **﴿حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل﴾**.

٢٤- [﴿استرهبوهم﴾ من الرهبة].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: مجازه خوفوهم.

والآية المشار إليها هي قوله: **﴿قال القوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم﴾**.

٢٥- [﴿تلقف﴾ تلقم].

ش: قال أبو عبيدة في قوله **﴿تلقف ما يأفكون﴾**: «أي تلهم ما يسحرون ويكذبون أي تلقمه»انتهى

وأخرج ابن جرير من طريق سفيان عن أبي سعد عن عكرمة عن ابن عباس **﴿فألقى عصاه فإذا هي حية تلقف ما يأفكون﴾** لا تمر بشيء من حبالهم وخشبهم التي ألقوها إلا التقمته.انتهى محل الغرض.

والآية المشار إليها: **﴿وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون﴾**.

٢٦- [﴿طائرهم﴾ حظهم].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ونصيبهم.

وأخرج ابن جرير من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس **﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾** يقول: مصائبهم عند الله.

والآية المشار إليها هي قوله: **﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾**.

٢٧- [لُوفان: من السَّيل ويقال للموت الكثير الطوفان].

ش: قال أبو عبيدة: «مجازه من السيل: البعاق والدباش وهو دباش شديد سيله، ومن الموت الذريع المبالغ السريع»اهـ.

والآية المشار إليهاهي قوله: **﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين﴾**.

٢٨- [﴿القمل﴾ الحُمْنَان يشبه صغار الحَلَم].

ش: قال أبو عبيدة: «عند العرب هو الحمنان، والحمنان: ضرب من القردان واحدتها حمنانة».

٢٩- [﴿عروش﴾ وعريش بناء].

ش: أخرج ابن جرير من طريق عبد الله بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله **﴿وما كانوا يعرشون﴾** يقول يبنون.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق أبي زرعة عن منجاب عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله ﴿يعرشون﴾ قال: يبتنون.

وقال أبو عبيدة في قوله ﴿وما كانوا يعرشون﴾ مجازه يبنون، ويعرش ويعرُش لغتان، وعريش مكة خيامها.

والآية المشار إليها هي قوله: **﴿ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾**.

٣٠- [﴿سُقِط﴾ كلٌّ من ندم فقد سُقِط في يده].

ش: قال أبو عبيدة: يقال لكل من ندم وعجز عن شيء ونحو ذلك: سقط في يد فلان.

وقال الفراء في قوله **﴿ولما سُقِط في أيديهم﴾**: من الندامة، ويقال أسقط لغة.

والآية المشار إليها هي قوله: **﴿ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ظلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين﴾**.

٣١- [الأسباط: قبائل بني إسرائيل].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: واحدهم سبط يقال: من أي سبط أنت أي من أي قبيلة وجنس.

والاية المشارإليها :**﴿ وقطّعناهم انتي عشرة أسباطاً أُمما .. ﴾** الآية

٣٢- [﴿يعدون في السبت﴾ يتعدون: له يجاوزون].

ش: قال أبو عبيدة: إذ يتعدون فيه عما أمروا به ويتجاوزونه.

والآية المشار إليها هي قوله: **﴿واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت﴾**.

٣٣- [﴿تعد﴾ تجاوز].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «عيناك.ويقال: ما عدوت ذلك أي ما جاوزته».

والآية المشار إليها من سورة الكهف هي قوله: ﴿**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا**﴾.

٣٤- [﴿**شرعاً**﴾ **شوارع**].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿**إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم**﴾.

٣٥- [﴿**بئيس**﴾ **شديد**].

ش: أخرج ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ﴿**بعذاب بئيس**﴾ قال: شديد.

وكذا أخرجه ابن جرير عن ابن زيد.

وأخرجا من طريق عبد الرزاق عن ابن جريج قال: أخبرني رجل عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ﴿**بعذاب بئيس**﴾ أليم موجع.

وما قاله المصنف قاله أبو عبيدة وأنشد عن ذي الإصبع العدواني:

أإن رأيت بني أبيك مجمحين إليك شوسا
حنقاً عليّ وما ترى لي فيهم أثراً بئيساً

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿**فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون**﴾.

٣٦- [﴿**أخلد**﴾ **قعد وتقاعس**].

ش: قال أبو عبيدة في قوله ﴿**أخلد إلى الأرض**﴾: «لزم وتقاعس وأبطأ، يقال: فلان مخلد أي بطيء الشيب، والمخلد الذي تبقى ثنيتاه حتى تخرج رباعيتاه وهو من ذاك أيضاً»اهـ.

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿**ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى**

الأرض واتبع هواه﴾.

٣٧- [**﴿سنستدرجهم﴾ نأتيهم من مأمنهم كقوله تعالى ﴿فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾**].

ش: قال أبو عبيدة: والاستدراج أن تأتيه من حيث لا يعلم ومن حيث تلطف له حتى تغتره.

قلت: والآية المشار إليها: **﴿والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾.**

٣٨- [**﴿من جنة﴾ من جنون**].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها هي قوله: **﴿أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين﴾.**

٣٩- [**﴿فمرت به﴾ استمر بها الحمل فأتمته**].

ش: قاله أبو عبيدة.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد فمرت به قال استمر حملها.

والآية المشار إليها هي قوله: **﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفاً فمرت به﴾** الآية.

٤٠- [**﴿ينزغنّك﴾ يستخفنك**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «منه خفة وغضب وعجلة، ومنه قولهم: نزغ الشيطان بينهم أي أفسد وحمل بعضهم على بعض] اهـ.

والآية المشار إليها هي قوله: **﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾.**

٤١- [**طيف ملمّ به لمم، ويقال طائف وهو واحد**].

ش: قال أبو عبيدة:« مجازه لمم قال الأعشى:

وتصبح عن عب السرى وكأنما ألم بها من طائف الجن أولق.

وهو من طفت به أطيف طيفاً قال:

إنّي ألم بك الخيال يطيف ومطافه لك ذكرة وشغوف»اهـ

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿**طائف من الشيطان تذكروا**﴾ الطائف اللمسة من الشيطان.

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿**إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون**﴾

قلت: وقول المصنف طيف على قراءة أبي عمرو وابن كثير والكسائي مثل ضيف وقرأ الباقون طائف مثل فاعل.حكاه مكي (١/٤٨٦).

٤٢- [﴿**يمدونهم**﴾ **يزينون**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «لهم الغي والكفر ويقال: مدّ له في غيه زينه له وحسنه وتابعه عليه».انتهى

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿**وإخوانهم يمدونهم في الغيّ ثم لا يقصرون**﴾.

٤٣- [﴿**وخيفة**﴾ **خوفاً وخفية من الإخفاء**].

ش: قال أبو عبيدة: أي خوفاً وذهبت الواو بكسر الخاء.

٤٤- [﴿**والآصال**﴾ **واحدها أصيل، وهو ما بين العصر إلى المغرب.كقوله** ﴿**بكرة وأصيلا**﴾].

ش : قاله أبو عبيدة وزاد: «قال أبو ذؤيب:

لعمري لأنت البيت أكرم أهله وأقعد في فيائه بالآصال

يقال آخر النهار»اهـ.

والآية المشار إليها بالكلمتين هي قوله: ﴿**واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال**﴾.

١٣٤- [باب ﴿إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾].

ش: قلت الآية: **﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا با لله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على ا لله ما لا تعلمون﴾**.

قوله **﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾**.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يتجردون من ثيابهم للطواف بالبيت ويحرمون أكل طيبات ما أحل ا لله لهم من رزقه أيها القوم إن ا لله لم يحرم ما تحرمونه، بل أحل ذلك لعباده المؤمنين، وطيبه لهم، وإنما حرم ربي القبائح من الأشياء وهي الفواحش ما ظهر منها فكان علانية، وما بطن منها فكان سراً في خفاء» اهـ.

قوله **﴿والإثم والبغي بغير الحق...﴾** الآية.

قال ابن كثير: «قال السدّي: أما الإثم فالمعصية والبغي أن تبغي على الناس بغير الحق.وقال مجاهد: الإثم المعاصي كلها، وأخبر أن الباغي بغيه على نفسه، وحاصل ما فسر به الإثم أنه الخطايا المتعلقة بالفاعل نفسه والبغي هو التعدي على النّاس فحرم ا لله هذا وهذا.

وقوله تعالى **﴿وأن تشركوا با لله ما لم ينزل به سلطاناً﴾** أي تجعلوا له شركاء في عبادته.**﴿وأن تقولوا على ا لله ما لا تعلمون﴾** من الافتراء والكذب من دعوى أن له ولداً ونحو ذلك مما لا علم لكم به كقوله **﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾** الآية»اهـ.

فائدة:

قال ابن القيم: «فذكر سبحانه المحرمات الأربع مبتدئا بالأسهل منها ثم ما هو أصعب منه، ثم كذلك حتى ختمها بأعظمها وأشدها وهو القول عليه بلا علم، فكيف بالكذب عليه قالوا: ولأن الكذب عليه بأنه قال كذا ولم يقله نسبه

للقول المكذوب إليه بأنه قاله فالكاذب يعلم أن ما اختلقه كذب، فإذا نسبه إلى رسول الله فقد نسب إليه الكذب، وهذا المذهب كما ترى قوة وظهوراً». انتهى من بدائع التفسير.

١٥٨ـ حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي وائل، عن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت: أنت سمعت هذا من عبد الله؟ قال: نعم ورفعه قال: لا أحد أغير من الله فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله فلذلك مدح نفسه.

ش: فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله «**لا أحد**» بالنصب اسم "لا" النافية للجنس وهو بهذا اللفظ في جميع الطرق التي وقفنا عليها عند المصنف ومسلم والترمذي والنسائي في التفسير من رواية أبي وائل شقيق بن سلمة. وأخرج أحمد ومسلم عن أسماء رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ليس شيء أغير من الله عز وجل» ووقع عند أحمد (٦/٣٥٢) ومسلم عنها: «لا شيء أغير من الله عز وجل» وقد جاء القرآن مؤيداً لذلك فمن الأول قوله تعالى ﴿**قل هو الله أحد**﴾ ومن الثاني قوله ﴿**قل أي شيء أكبر شهادة قل الله**﴾ وفي سورة القصص ﴿**كل شيء هالك إلا وجهه**﴾.

الثانية: قوله «**أغير من الله**» أغير على وزن أفعل اسم تفضيل. والحديث دليل على إتصاف الرب جل ثناؤه بالغيرة، وأن غيرته أعظم من غيرة المخلوق والغيرة على وزنة فعله بفتح العين المعجمة وهي الحمية والأنفة يقال: رجل غيور وامرأة غيور بلا هاء؛ لأن فعول يشترك فيه الذكر والأنثى. يقال: غرت على أهلي أغار غيرة فأنا غائر وغيور للمبالغة. انتهى بتصرف من كلام ابن الأثير.

وقال النووي في شرحه: «قال العلماء: الغيرة بفتح الغين وأصلها المنع والرجل غيور على أهله أي يمنعهم من التعلق بأجنبي بنظر أو حديث أو غيره،

والغيرة صفة كمال»اهـ.

قال مقيده: هذا معناها في اللغة واعلم سددك الله بأن غيرة الله كسائر صفاته تمر كما جاءت بلا تكييف وموجب غيرة الرب على عباده إنتهاك محارمه ففي الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها في حديث الكسوف أن رسول الله ﷺ قال: «يا أمة محمد والله ما من أحد أغير من الله من أن يزني عبده أو تزني أمته». الحديث.

الثالثة: قوله «**فلذلك حرم**» التحريم معناه المنع وكل محرم ممنوع وهو على ضربين شرعي ومنه ﴿**حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم...الآية**﴾.وقوله ﴿**حرمت عليكم الميتة و الدم ولحم الخنزير**﴾.وقدري ومنه ﴿**وحرام على قرية أهلكناها إنهم لا يرجعون**﴾.

الرابعة: قوله «**الفواحش**» جمع فاحشة وهي كل ما تناهى قبحه شرعاً أو عقلاً أو عرفاً والمراد ها هنا عظائم الذنوب والآثام.

الخامسة: قوله «**المدحة**» المدح ذكر محاسن الممدوح والإخبار عنها على سبيل الثناء والتعظيم بذلك، فإن اقترن بالحب والإرادة فهو حمد؛ لأن الحمد هو ذكر محاسن المحمود، والإخبار عنها مع حبه، وإجلاله وتعظيمه فهو خبر يتضمن الإنشاء».انتهى من بدائع الفوائد (٢/٩٣).

وقال النووي: «حقيقة مدح العباد لله تعالى هو مصلحة للعباد؛ لأنهم يثنون عليه سبحانه فيثيبهم فينتفعون وهو سبحانه غني عن العالمين، لا ينفعه مدحهم ولا يضره تركهم ذلك، وفيه تنبيه على فضل الثناء عليه سبحانه وتسبيحه وتهليله وتحميده وتكبيره وسائر الأذكار»اهـ

قلت: ومما جاءت به السنة من مدح العباد ربهم قوله ﷺ: لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» وفي دعاء الكرب المتفق عليه: «لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات

ورب الأرض ورب العرش الكريم».

وروى أبو داود وغيره عن أنس أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يدعو في صلاته: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم» الحديث.

السادسة: قوله «**فلذلك**» تعليل لقوله «ولا أحد أحب إليه المدحة من الله».

السابعة: قوله «**مدح نفسه**» **قلت:** وفي التنزيل الكريم والسنة من مدائح الرب نفسه ما يفوق الحصر، من ذلك قوله تعالى ﴿**الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم**﴾.وقوله ﴿**إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري**﴾ وقوله ﴿**وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى**﴾ وقوله ﴿**إن بطش ربك لشديد إنه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد**﴾.

وأخرج مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمت فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم.

تنبيه:

أخرج الشيخان والنسائي في قصة التيمم أن أسيد بن حضير رضي الله عنه قال: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر.وأخرج مسلم عن المقداد أن رسول الله ﷺ قال: إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب.فالأول دليل على جواز مدح الإنسان في وجهه والثاني دليل على النهي عن ذلك والجمع بينهما كما قال العلماء:

أن النهي محمول على المجازفة في المدح، والزيادة في الأوصاف أو على من يخاف عليه الفتنة من إعجاب ونحوه إذا سمع المدح، وأما من لا تخاف عليه ذلك لكمال تقواه، ورسوخ عقله ومعرفته فلا نهي في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة.

من فقه الحديث:

أولاً: التحذير من انتهاك محارم الله وأن ذلك سبب غيرته.

ثانياً: إثبات صفة المحبة والغيرة لله عز وجل.

ثالثاً: الحث على مدح الله والثناء عليه بما هو أهله.

١٣٥-[باب **﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾**].

ش: قوله **﴿ولما جاء موسى لميقاتنا ـ إلى قوله ـ فسوف تراني﴾**.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: ولما جاء موسى للوقت الذي وعدنا أن يلقانا فيه، وكلمه ربه وناجاه، قال موسى لربه: **﴿أرني أنظر إليك﴾** قال الله مجيباً: **﴿لن تراني ولكن انظر إلى الجبل﴾**».اهـ

قوله **﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً﴾**.

قال القنوجي: «تجلى معناه ظهر من قولك جلوت العروس أي أبرزتها وجلوت السيف خلصته من الصدأ، وتجلى الشيء انكشف، والمعنى فلما ظهر ربه.

قوله **﴿للجبل جعله دكاً﴾** الدك مصدر بمعنى المفعول أي جعله مدكوكا مدقوقاً فصار تراباً، هذه قراءة أهل المدينة وأهل البصرة، والدك والدق أخوان وهو تفتيت الشيء وسحقه، وقيل تسويته الأرض، وقرأ أهل الكوفة دكاء على التأنيث، والجمع دكّاوات كحمراء وحمروات وهي اسم للرابية الناشزة من الأرض أو للأرض المستوية، فالمعنى أن الجبل صار صغيراً كالرابية أو أرضاً مستوية»اهـ.

قوله **﴿وخر موسى صعقاً ـ إلى قوله ـ وأنا أول المؤمنين﴾**.

قال البغوي: «قوله عز وجل: **﴿وخر موسى صعقاً﴾** قال ابن عباس والحسن: وغشي عليه. وقال قتادة: ميتاً إلى أن قال: فلما أفاق موسى من صعقته وثاب إليه عقله عرف أنه قد سأل أمراً عظيماً لا ينبغي له، قال: **﴿سبحانك تبت إليك﴾** عن سؤال الرؤية **﴿وأنا أول المؤمنين﴾** بأنك لا ترى في الدنيا.

وقال مجاهد والسدي: وأنا أول من آمن بك من بني إسرائيل»اهـ.

من فقه الآية:

أولاً: إثبات صفة الكلام لله عز وجل.

ثانياً: فضيلة موسى ﷺ وأن الله كلمه بلا واسطة.

ثالثاً: شدة خشية موسى ﷺ لله.

رابعاً: الحث على التوبة.

خامساً: عدم إمكان رؤية العباد ربهم في الدنيا.

سادساً: في الآية دليل على رؤية العباد ربهم يوم القيامة.

قال ابن القيم: «وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة:

أحدها: أنه لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه، بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال وهو عند فروخ اليونان والصابئة الفرعونية بمنزلة من يسأله أن يأكل ويشرب وينام ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه فيا لله العجب كيف صار أتباع الصابئة والمجوس والمشركين عباد الأصنام وفروخ الجهمية والفرعونية أعلم بالله من موسى بن عمران وبما يستحيل عليه ويجب له وأشد تنزيهاً له منه.

الوجه الثاني: أن الله لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالاً لأنكره عليه ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يريه كيف يحيي الموتى لم ينكر عليه ولما سأل عيسى بن مريم ربه إنزال المائدة من السماء لم ينكر سؤاله ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله وقال: ﴿**إني أعظك أن تكون من الجاهلين قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين**﴾.

الوجه الثالث: أنه أجاب بقوله: لن تراني ولم يقل لا تراني، ولا أني لست بمرئي، ولا تجوز رؤيتي، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله وهذا يدل على أنه

سبحانه وتعالى يرى ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى يوضحه:

الوجه الرابع: وهو قوله: ﴿**ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني**﴾ فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف.

الوجه الخامس: أن الله تعالى قادر أن يجعل الجبل مستقراً مكانه وليس هذا بممتنع في مقدوره بل هو ممكن وقد علق به الرؤية ولو كانت محالاً في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته ولو كانت الرؤية محالاً لكان ذلك نظيراً أن يقول: إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام فالأمران عندكم سواء.

الوجه السادس: قوله سبحانه وتعالى: ﴿**فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً**﴾ وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى؛ فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويريهم نفسه فأعلم سبحانه وتعالى موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف.

الوجه السابع: أن ربه سبحانه وتعالى قد كلمه منه إليه وخاطبه وناجاه وناداه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم، وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين، فأنكروا أن يكلم أحداً أو يراه أحد، ولهذا سأله موسى النظر إليه لما أسمعه كلامه وعلم نبي الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه، فلم يخبره باستحالة ذلك عليه، ولكن أراه أن ما سأله لا يقدر على احتماله كما لم يثبت الجبل لتجليه.

وأما قوله تعالى: ﴿**لن تراني**﴾ فإنما يدل على النفي في المستقبل، ولا يدل على دوام النفي، ولو قيدت بالتأبيد فكيف إذا أطلقت، قال تعالى: ﴿**ولن يتمنوه**

أبداً﴾ مع قوله تعالى ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك﴾».اهـ من بدائع التفسير.

[قال ابن عباس: أرني: أعطني].

ش: رواه ابن أبي حاتم وابن جرير كلاهما عن أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فذكره.

١٥٩- حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن عمرو بن يحيى المازني(١)، عن أبيه(٢)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاء رجل من اليهود إلى النبي ﷺ قد لطم وجهه، وقال: يا محمد إن رجلاً من أصحابك من الأنصار لطم في وجهي، قال: ادعوه.فدعوه قال: لم لطمت وجهه.قال: يا رسول الله إني مررت باليهود فسمعته يقول: والذي اصطفى موسى على البشر، فقلت: وعلى محمد ؟، وأخذتني غضبة فلطمته، قال: «لا تخيروني من بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جزي بصعقة الطور».

ش: فيه تسع مسائل:

الأولى: قوله «**جاء رجل من اليهود**» وفي باب ﴿**وواعدنا موسى ثلاثين ليلة**﴾ من أحاديث الأنبياء «استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود».ووقع في رواية عبد الله بن المفضل سبب ذلك، وأول حديثه: «بينما يهودي يعرض سلعة أعطى بها شيئاً كرهه فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر» ولم أقف

---

(١) هو عمرو بن يحيى بن عمارة بن أبي الحسن المازني المدني، ثقة من السادسة، مات بعد الثلاثين [ومائة].ع.

(٢) هو يحيى بن عمارة بن أبي الحسن الأنصاري المدني ثقة من الثالثة.ع.

على اسم هذا اليهودي في هذه القصة. قال الحافظ: وزعم ابن بشكوال أنه فنحاص بكسر الفاء وسكون النون ومهملتين وعزاه لابن إسحاق، وأجيب بأن الذي ذكره ابن إسحاق لفنحاص مع أبي بكر الصديق في لطمه إياه قصة أخرى في نزول قوله تعالى **﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾** الآية. وأما كون اللاطم في هذه القصة هو الصديق فهو مصرح به فيما أخرجه سفيان بن عيينة في جامعه وابن أبي الدنيا في كتاب البعث من طريقه عن عمرو بن دينار عن عطاء، وابن جدعان عن سعيد بن المسيب قال: «كان بين رجل من أصحاب النبي ﷺ وبين رجل من اليهود كلام في شيء» فقال عمرو بن دينار: هو أبو بكر الصديق «فقال اليهودي والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه المسلم» الحديث. اهـ من الفتح.

قلت: فمن تأمل هذا وحديث الباب يظهر له أن القصتين مختلفتان. ووقع في أحاديث الأنبياء «فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم اليهودي» أي عند سماعه قول اليهودي «والذي اصطفى موسى على العالمين.

قال الحافظ: «وإنما صنع ذلك لما فهمه من عموم لفظ العالمين فدخل فيه محمد ﷺ، وقد تقرر عند المسلم أن محمداً أفضل، وقد جاء ذلك مبيناً في حديث أبي سعيد أن الضارب قال لليهودي حين قال ذلك: «أي خبيث على محمد» فدل على أن لطمه اليهودي عقوبة له على كذبه عنده»اهـ.

الثانية: قوله «**لطم**». **قلت**: اللطم هو الضرب بباطن الكف على الوجه ولم أقف على اسم اللاطم ومن قال أنه أبو بكر الصديق فلم يصب لأمرين:

أولهما: أن لفظ الأنصار عند إطلاقه لا يسبق إلى الفهم منه غير الأوس والخزرج، فصرفه عن ذلك بغير دليل يجب التسليم له تحكم.

وثانيهما: أنه لو كان اللاطم أبو بكر الصديق أو غيره من المهاجرين وأريد اخفاء اسمه لقال الراوي رجل من المهاجرين، وفي حديث الأنبياء «فرفع المسلم

يده)).ووقع في رواية إبراهيم بن سعد ((فلطم وجه اليهودي)) ووقع عند أحمد من هذا الوجه ((فلطم على اليهودي)) وفي رواية عبد ا لله بن الفضل ((فسمعه رجل من الأنصار فلطم وجهه وقال: أتقول هذا ورسول ا لله ﷺ بين أظهرنا)) وكذا وقع في حديث أبي سعيد أن الذي ضربه رجل من الأنصار)).اهـ من الفتح

الثالثة: قوله ((**إن رجلاً من أصحابك...الخ**)) وفي رواية ابن الفضل ((فقال - أي اليهودي - يا أبا القاسم إن لي ذمة وعهداً فما بال فلان لطم وجهي؟ فقال: لم لطمت وجهه؟ - فذكره - فغضب النبي ﷺ حتى رؤى في وجهه.

الرابعة: قوله ((**لم لطمته**)) أي: أي شيء حملك على لطمه.زاد في رواية إبراهيم بن سعد ((فدعا النبي ﷺ المسلم فسأله عن ذلك فأخبره)).

الخامسة: قوله ((**لا تخيروني من بين الأنبياء**)) أي لا تفضلوني على أحد منهم وفي حديث الأنبياء من رواية ابن الفضل ((فقال لا تفضلوا بين أنبياء ا لله)).

السادسة: قوله ((**فإن الناس يصعقون**)) في حديث الأنبياء ((فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق)).

قال الحافظ: ((ولم يبين في رواية الزهري من الطريقين محل الإفاقة من أي الصعقتين. ووقع في رواية عبد ا لله بن الفضل ((فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء ا لله، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث)) وفي رواية الكشميهني ((أول من يبعث)) والمراد بالصعق غشي يلحق من سمع صوتا أو رأى شيئاً يفزع منه.وهذه الرواية ظاهرة في أن الإفاقة بعد النفخة الثانية، وأصرح من ذلك رواية الشعبي عن أبي هريرة في تفسير الزمر بلفظ: ((إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الأخيرة)) وأما ما وقع في حديث أبي سعيد ((فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض)) كذا وقع بهذا اللفظ في كتاب الإشخاص، ووقع في غيرها ((فأكون أول من يفيق)) وقد استشكل)).اهـ

ويمكن الجمع بأن النفخة الأولى يعقبها الصعق من جميع الخلق أحيائهم وأمواتهم، وهو الفزع كما وقع في سورة النمل ﴿**ففزع من في السموات والأرض**﴾ ثم يعقب ذلك الفزع للموتى زيادة فيما هم فيه وللأحياء موتاً، ثم ينفخ الثانية للبعث فيفيقون أجمعين، فمن كان مقبوراً انشقت عنه الأرض فخرج من قبره، ومن ليس بمقبور لا يحتاج إلى ذلك.وقد ثبت أن موسى ممن قبر في الحياة الدنيا، ففي صحيح مسلم عن أنس أن النبي ﷺ قال: «مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره».

السابعة: قوله «**فأكون أول من يفيق**» لم تختلف الروايات في الصحيحين في إطلاق الأولية، ووقع في رواية إبراهيم بن سعد عند أحمد والنسائي «فأكون في أول من يفيق» أخرجه أحمد عن أبي كامل، والنسائي من طريق يونس بن محمد كلاهما عن إبراهيم، فعرف أن إطلاق الأولية في غيرها محمول عليها، وسببه التردد في موسى عليه السلام.

الثامنة: قوله «**فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش**» وفي أحاديث الأنبياء «فإذا موسى باطش بجانب العرش» أي آخذ بشيء من العرش بقوة، والبطش الأخذ بقوة، وفي رواية ابن الفضل «فإذا موسى آخذ بالعرش».

التاسعة: قوله «**فلا أدري أفاق قبلي أم جزي بصعقة الطور**» في حديث الأنبياء «فلا أدري أكان ممن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى ا لله» أي فلم يكن ممن صعق، أي فإن كان أفاق قبلي فهي فضيلة ظاهرة وإن كان ممن استثنى ا لله فلم يصعق وكلا الأمرين فضيلة ظاهرة لموسى ﷺ.

قال: وبين ذلك ابن الفضل في روايته بلفظ: «أحوسب بصعقته يوم الطور» والجمع بينه وبين قوله «أو كان ممن استثنى ا لله» أن في رواية ابن الفضل وحديث أبي سعيد بيان السبب في استثنائه، وهو أنه حوسب بصعقته يوم الطور فلم يكلف بصعقة أخرى.والمراد بقوله «ممن استثنى ا لله» قوله ﴿**إلا ما شاء ا لله**﴾

قاله الحافظ.

من فقه الحديث:

أولاً: تواضع النبي ﷺ إذ نهى عن تخييره بين الأنبياء.

ثانياً: في صنيع النبي ﷺ مع اليهودي وخصمه دليل على وجوب سماع الحاكم الشكوى، وإن كانت من كافر واستدعاءه المشكو وإن كان من المسلمين.

ثالثاً: فضيلة موسى ﷺ.

رابعاً: في قوله «أم جزي بصعقة الطور» تفسير للجبل المذكور في الآية.

١٣٦- [باب ﴿المن والسلوى﴾].

ش: **قلت**: يشير إلى قوله تعالى **﴿وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾**.

قال ابن جرير: «**﴿وظللنا عليهم الغمام﴾** يكنّهم من حر الشمس وأذاها - إلى أن قال - **﴿وأنزلنا عليهم المن والسلوى﴾** طعاماً لهم **﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾** يقول: وقلنا لهم كلوا من حلال ما رزقناكم أيها الناس وطيبناه لكم **﴿وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾** وفي الكلام محذوف ترك ذكره استغناء بما ظهر عما ترك وهو فأجمعوا ذلك وقالوا: لن نصبر على طعام واحد فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير **﴿وما ظلمونا﴾** يقول: وما أدخلوا علينا نقصاً في ملكنا وسلطاننا بمسألتهم ما سألوا، وفعلهم ما فعلوا **﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾** أي ينقصونها باستبدالهم الأدنى بالخير والأرذل بالأفضل»اهـ.

١٦٠- حدثنا مسلم[١]، حدثنا شعبة، عن عبد الملك[٢]، عن عمرو بن حريث، عن سعيد بن زيد، عن النبي ﷺ قال: الكمأة من المن، وماؤها شفاء العين».

مضى في تفسير سورة البقرة برقم خمسة ضمن الباب السادس.

---

(١) هو أبو عمرو مسلم بن إبراهيم الفراهيدي، البصري، ثقة مأمون مكثر، عمي بأخرة من صغار التاسعة، مات سنة اثنتين وعشرين [ومائتين] وهو أكبر شيخ لأبي داود. ع.

(٢) عبد الملك بن عمير بن سويد اللخمي حليف بني عدي الكوفي، ثقة فصيح عالم، تغير حفظه وربما دلس، من الرابعة، مات سنة ست وثلاثين [ومائة] وله مائة وثلاث سنين. ع.

١٣٧- [باب ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾].

ش: قوله ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾.

قال ابن كثير: «يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿قل﴾ يا محمد ﴿يا أيها الناس﴾ وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي، ﴿إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ أي جميعكم وهذا من شرفه وعظمته ﷺ أنه خاتم النبيين وأنه مبعوث إلى الناس كافة كما قال الله تعالى ﴿قل الله شهيدٌ بيني وبينكم وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾ وقال تعالى ﴿ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده﴾ وقال تعالى ﴿وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ﴾ والآيات في هذا كثيرة كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى الناس كلهم». اهـ

قوله ﴿الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت﴾.

قال الشوكاني: «﴿الذي له ملك السموات والأرض﴾ إما في محل جر على الصفة للاسم الشريف أو منصوب على المدح، أو مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف، وجملة ﴿لا إله إلا هو﴾ بدل من الصلة مقرر لمضمونها مبين لها؛ لأن من ملك السموات والأرض وما فيهما هو الإله على الحقيقة، وهكذا من كان يحيي ويميت هو المستحق لتفرده بالربوبية ونفي الشركاء عنه» اهـ

قوله ﴿فآمنوا بالله ورسوله﴾ «يقول جل ثناؤه: قل لهم فصدقوا بآيات الله الذي هذه صفته وأقروا بوحدانيته وأنه الذي له الألوهية والعبادة وصدقوا برسوله محمد ﷺ أنه مبعوث إلى خلقه داعٍ إلى توحيده وطاعته». قاله ابن جرير.

قوله ﴿النبي الأمي الذي يؤمن بالله﴾ الآية.

قال ابن سعدي في قوله ﴿**الذي يؤمن بـا لله وكلماتـه**﴾: «أي آمنـوا بهـذا الرسول المستقيم في عقائده وأعماله واتبعوه لعلكم تهتدون، في مصالحكم الدينيـة والدنيوية، فإنكم إذا لم تتبعوه ضللتم ضلالاً بعيداً»

من فقه الآية:

أولاً: وجوب التمسك بسنة النبي ﷺ.

ثانياً: أنه لا رشد ولا سعادة ولا فلاح في مخالفة هديه.

١٦١ـ حدثنا عبد الله(١)، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن(٢) وموسى بن هارون(٣) قالا: حدثنا الوليد بن مسلم(٤)، حدثنا عبد الله بن العلاء بن زبر(٥) قال: حدثني بسر بن عبيد الله(٦) قال: حدثني أبو إدريس الخولاني(٧) قال: سمعت أبا الدرداء(٨) يقول: كانت بين أبي

(١) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن حماد بن أيوب الأملي وهـو تلميـذ البخـاري ووراقـه، وهو من الثانية عشرة، مات سنة تسع وتسعين [ومائتين] وقيل بعد ذلك.خ.

(٢) هو أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن التميمي الدمشـقي ابـن بنـت شـرحبيل صـدوق يخطيء من العاشرة، مات سنة ثلاث وثلاثين [ومائتين].خ.٤.

(٣) هو موسى بن هارون القيسي، البردي، الكوفي، صدوق ربما أخطأ، من العاشرة، مات سنة أربع وعشرين [ومائتين] بالفيوم من أرض مصر.خ.د.س.

(٤) هو أبو العباس الوليد بن مسلم القرشي مولاهـم الدمشـقي، ثقـة لكنـه كثـير التدليس والتسوية، من الثامنة، مات آخر سنة أربع أو أول سنة خمس وتسعين [ومائة].خ.٤.

(٥) عبد الله بن العلاء بن زبر بفتح الزاي وسكون الموحـدة، الدمشـقي الربعي، ثقـة مـن السابعة، مات سنة أربع وستين [ومائة] وله تسع وثمانون.خ.٤.

(٦) بسر بن عبيد الله الحضرمي الشامي، ثقة حافظ من الرابعة.ع.

(٧) هو عائذ الله بن عبد الله ولد في حياة النبي ﷺ يوم حنين وسمـع مـن كبـار الصحابـة، ومات سنة ثمانين.قال سعيد بن عبد العزيز: كان عالم الشام بعد أبي الدرداء.ع.

(٨) هو عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري أول مشاهده أحد وكان عابدا، مـات في أواخـر خلافة عثمان وقيل عاش بعد ذلك.ع.

بكر وعمر محاورة، فأغضب أبو بكر عمر، فانصرف عنه عمر مغضباً، فأتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له فلم يفعل، حتى أغلق بابه في وجهه، فأقبل أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال أبو الدرداء: ونحن عنده، فقال رسول الله ﷺ: أما صاحبكم هذا فقد غامر» قال: وندم عمر على ما كان منه، فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي ﷺ وقص على رسول الله ﷺ الخبر.قال أبو الدرداء: وغضب رسول الله ﷺ وجعل أبو بكر يقول: والله يا رسول الله لأنا كنت أظلم، فقال رسول الله ﷺ: هل أنتم تاركون لي صاحبي، هل أنتم تاركون لي صاحبي» إني قلت ﴿يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدقت.

ش: فيه خمس عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**محاورة**» وقع في فضائل أبي بكر من رواية زيد بن واقد «كان بيني وبين ابن الخطاب شيء».

قال الحافظ: «وفي حديث أبي أمامة عند أبي يعلى «معاتبة» وفي لفظ «مقاولة».

الثانية: قوله «**فأغضب أبو بكر عمر فانصرف عنه مغضباً**» يعني من شدة ما جرى بينهما فاتبعه أبو بكر.

الثالثة: قوله «**ثم ندمت**» زاد محمد ابن المبارك «على ما كان» وفي الفضائل «فأسرعت إليه» يعني لملاطفته واسترضائه.

الرابعة: قوله «**يسأله أن يستغفر له**» وفي الفضائل «فسألته أن يغفر لي فأبى عليّ» زاد محمد بن المبارك «فتبعته إلى البقيع حتى خرج من داره».

قال الحافظ: «وللإسماعيلي عن الحسنجاني عن هشام بن عمار «وتحرز مني بداره» وفي حديث أبي أمامة «فاعتذر أبو بكر إلى عمر فلم يقبل منه».

قلت: والجمع بينهما أن أبا بكر سأل عمر كلا الأمرين يعني المسامحة

واستغفار الله له.

الخامسة: قوله «**فأقبل أبو بكر إلى رسول الله ﷺ** » وفي الفضائل «إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته» **قلت:** وهذا الصنيع من أبي بكر دليل على شدة وقع تلك الحال على نفسه.

السادسة: قوله «**أما صاحبكم هذا**» **قلت:** وما أراه إلا يعني به أبا بكر لما رأى من صنيعه.

السابعة: قوله «**فقد غامر**» بالغين المعجمة أي خاصم، والمعنى دخل في غمرة الخصومة والمغامر الذي يرمي بنفسه في الأمر العظيم كالحربي وغيره، وقيل هو من الغمر بكسر المعجمة وهو الحقد أي صنع أمراً اقتضى له أن يحقد على من صنعه معه ويحقد الآخر عليه.

الثامنة: قوله «**وندم عمر**» يقال ندم إذا حزن أو فعل شيئاً ثم كرهه وهذا دليل على سرعة رجوع عمر رضي الله عنه إلى الحق مع ما هو معروف عنه من الشدة.

التاسعة: قوله «**فأقبل حتى سلم**» يعني أبا بكر رضي الله عنه فسلم على النبي ﷺ ومن في المجلس، وسلّم بتشديد اللام.ووقع في رواية محمد بن المبارك عن صدقة بن خالد عند أبي نعيم في الحلية «حتى سلم على النبي ﷺ» ولم يقع في الحديث ذكر الرد وهو مما يحذف للعلم به.

العاشرة: قوله «**وجلس إلى النبي ﷺ** » فسره في الفضائل بقوله «إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء».

الحادية عشرة: قوله «**وغضب رسول الله ﷺ** » في الفضائل «وجعل وجه النبي ﷺ يتمعر» ويتمعر بالعين المهملة المشددة أي تذهب نضارته من الغضب وأصله من المعر وهو الجرب يقال أمعر المكان إذا أجرب.وفي حديث أبي أمامة عند أبي يعلى في نحو هذه القصة «فجلس عمر فأعرض عنه» أي النبي ﷺ «ثم

تحول فجلس إلى الجانب الآخر فأعرض عنه ثم قام فجلس بين يديه فأعرض عنه فقال يا رسول الله: ما أرى إعراضك إلا لشيء بلغك عني فما خير حياتي وأنت معرض عني فقال:أنت الذي اعتذر إليك أبو بكر فلم تقبل منه» ووقع في حديث ابن عمر عند الطبراني في نحو هذه القصة «يسألك أخوك أن تستغفر له فلا تفعل فقال: والذي بعثك بالحق ما من مرة يسألني إلا وأنا أستغفر له وما خلق الله من أحد أحب إلي منه بعدك فقال أبو بكر: وأنا والذي بعثك بالحق كذلك».

قلت: ولعل غضب رسول الله ﷺ الشديد لما عرفه من خطأ الفاروق على الصديق رضي الله عنهما.

الثانية عشرة: قوله «**والله يا رسول الله لأنا كنت أظلم**» في الفضائل «والله أنا كنت أظلم» يعني أن ما حدث مني أشد مما كان من عمر.وهذا دليل على سلامة صدر الصديق ومحبته الصفح والمسامحة.

الثالثة عشرة: قوله «**هل أنتم تاركوا لي صاحبي**» زاد في الفضائل «فما أوذي بعدها» **قلت:** وهذا دليل على أن الاستفهام ها هنا بمعنى الأمر أي اتركوا لي صاحبي ولا تعرضوا له بسوء.يدل له قوله في آخر الحديث في الفضائل «فما أوذي بعدها».

الرابعة عشرة: قوله «**إني قلت ﴿يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾**...الخ» الحديث.**قلت:** هذا هو وجه الشاهد من الحديث للترجمة وقد مضى شرحه في الآية.

الخامسة عشرة: قوله «**فقلتم كذبت وقال أبو بكر: صدقت**» زاد في الفضائل «وواساني بنفسه وماله».

من فقه الحديث:

أولاً: فضيلة أبي بكر رضي الله عنه ومكانته من النبي ﷺ.

ثانياً: أنه أول السابقين إلى الإسلام.

ثالثاً: أحقيته في الخلافة.

١٣٨- [باب ﴿**وقولوا حطة**﴾].

ش: يشير إلى قوله تعالى ﴿**وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين**﴾.

قال ابن جرير: «يقول: وقولوا هذه الفعلة حطة تحط ذنوبنا ﴿**نغفر لكم**﴾ يتغمد لكم ربكم ذنوبكم التي سلفت منكم، فيغفر لكم عنها فلا يؤاخذكم بها ﴿**سنزيد المحسنين**﴾ منكم، وهم المطيعون لله على ما وعدتكم من غفران الخطايا».

١٦٢- حدثنا إسحاق، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: قيل لبني إسرائيل ﴿ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم﴾ فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقالوا: حبة في شعره.

مضى شرحه في تفسير سورة البقرة ضمن الباب السابع.

١٣٩- [باب **﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾**].

ش: قوله **﴿خذ العفو﴾**.

قال الشوكاني: «أمر رسوله ﷺ بأن يأخذ العفو من أخلاقهم، يقال أخذت حقي عفوا، أي سهلاً، وهذا نوع من التيسير الذي كان يأمر به رسول الله ﷺ كما ثبت في الصحيح أنه كان يقول: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا» والمراد بالعفو هنا ضد الجهد، وقيل: المراد خذ العفو من صدقاتهم ولا تشدد عليهم فيها وتأخذ ما يشق عليهم وكان هذا قبل نزول فريضة الزكاة»اهـ.

قوله **﴿وأمر بالعرف﴾**.

قال ابن سعدي: «أي بكل قول حسن وفعل جميل وخلق كامل للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك إما تعليم علم، أو حثاً على خير من صلة رحم، أو بر والدين، أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة، أو رأي مصيب، أو معاونة على بر وتقوى، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية»اهـ.

قوله **﴿وأعرض عن الجاهلين﴾**.

قال ابن جرير: «فإنه أمر من الله تعالى نبيه ﷺ أن يعرض عمن جهل، وذلك وإن كان أمراً من الله لنبيه فإنه تأديب منه عز ذكره لخلقه باحتمال من ظلمهم أو اعتدى عليهم لا بالإعراض عمن جهل الواجب عليه من حق الله، ولا بالصفح عمن كفر بالله، وجهل وحدانيته وهو للمسلمين حرب».اهـ

[**العرف: المعروف**].

ش: قاله أبو عبيدة.وأخرجه ابن جرير مسنداً عن عروة والسدي وقتادة.

وقال الحافظ: «وصله عبدالرزاق من طريق هشام بن عروة عن أبيه بهذا»

فائدة:

قال ابن القيم في المدارج (٢/٣٠٤-٣٠٦):

«ولا ريب أن للمطاع مع الناس ثلاثة أحوال:

أحدها: أمرهم ونهيهم بما فيه مصلحتهم.

الثاني: أخذه منهم ما يبذلونه مما عليهم من الطاعة.

الثالث: أن الناس معه قسمان، موافق له موال، ومعاد له معارض، وله في كل واحدة من هذه واجب؛ فواجبه في أمرهم ونهيهم: أن يأمر بالمعروف وهو المعروف الذي به صلاحهم وصلاح شأنهم، وينهاهم عن ضده وواجبه فيما يبذلونه من الطاعة أن يأخذ منهم ما سهل عليهم وطوعت له به أنفسهم سماحة واختياراً ولا يحملهم على العنت والمشقة فيفسدهم وواجبه عند جهل الجاهلين عليه، الإعراض عنهم وعدم مقابلتهم بالمثل والانتقام منهم لنفسه فقد قال ا لله تعالى لنبيه ﷺ ﴿**خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**﴾».

١٦٣ـ حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري قال: أخبرني عبيد ا لله بن عبد ا لله بن عتبة أن ابن عباس رضي ا لله عنهما قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه قال: سأستأذن لك عليه قال: ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر فلما دخل عليه قال: هيْ يا ابن الخطاب فوا لله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم به فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن ا لله تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ وإن هذا من الجاهلين، وا لله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافاً عند كتاب ا لله.

١٦٤ـ حدثنا يحيى، حدثنا وكيع، عن هشام، عن أبيه، عن عبد ا لله بن الزبير ﴿خذ العفو وأمر بالعرف﴾ قال: ما أنزل ا لله إلا في أخلاق الناس.

وقال عبد الله بن براد[(١)]: حدثنا أبو أسامة[(٢)]، حدثنا هشام، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير قال: أمر الله نبيه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس أو كما قال.

ش: فيهما ثلاث عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**عيينة بن حصن بن حذيفة**» هو أبو مالك عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري. قال ابن السكن: له صحبة وكان من المؤلفة ولم يصح له رواية. أسلم قبل الفتح وشهدها وشهد حنيناً والطائف. اهـ الإصابة (٥/٥٥).

الثانية: قوله «**الحر بن قيس**» هو الحر بن قيس بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ذكره ابن السكن في الصحابة. اهـ الإصابة (٢/٥).

الثالثة: قوله «**وكان من النفر الذين يدنيهم عمر**» يعني يقربهم من مجلسه وشوراه.

الرابعة: قوله «**وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً**» فيه إرشاد الحاكم إلى اتخاذ الشورى من أهل الفضل والعلم والصلاح فإنهم أنصح الناس وأصوبهم رأياً.

فائدة:

قال مقيده: واعلم هديت إلى مراشد أمورك وصواب الأقوال والأعمال، أن الدخول على ذوي السلطان له أقسام عدة، وممن ذكرها الإمام المجتهد العلامة محمد بن إبراهيم الوزير اليماني في كتابه النفيس (العواصم والقواصم في الذب

---

(١) هو أبو عامر عبد الله بن براد بن يوسف بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، صدوق من العاشرة. خت. م.

(٢) هو حماد بن أسامة القرشي مولاهم الكوفي، مشهور بكنيته ثقة ثبت ربما دلس وكان بأخرة يحدث من كتب غيره، من كبار التاسعة. ع.

عن سنة أبي القاسم) ونحن ننقل لك تلك الأقسام من هذا الكتاب مع اختصار وتصرف، ولك أن تراجع بعد إن شئت المصدر (٨/ ١٩٠-٢١٣):

«**القسم الأول**: المخالطة لمجرد التناول مما في أيديهم من بيوت الأموال، وحقوق المسلمين، فهذا نقص من مرتبة الزهادة وشين في أهل العلم والعبادة، ولكنه لا ينحط إلى مرتبة التحريم، فإن حب الدنيا، وإن كان مذموماً على الإطلاق، لكنه يختلف، فمنه حرام، ومنه حلال، فالحرام منه هو حب الحرام من الدنيا، والإضراب عن الدين، وأهل هذا، هم الذين ذمهم الله تعالى في القرآن، وحيث يرد الذم على حب الدنيا مطلقاً أو عاماً، فالمراد به هذا الجنس بدليل قوله تعالى ﴿**فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق، ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب**﴾.

وقد يرتقي حب الدنيا إلى مرتبة الندب والاستحباب مع حسن النية في قصد العفاف بالعفاف عن الحرام، وكفاية الأهل وصلة الأرحام والإخوان، وإعانة الضعيف وإطعام الطعام.

والذي يدل على أن المباح قد يصير مندوباً بالنية، وبإعانته على ترك الحرام أحاديث (إنما الأعمال بالنيات)...

وثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول في دعائه: (اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى) ولو كان الغنى نقصاً في الدين وحبه رذيلة لا يليق بالمؤمنين، لم يسأله رسول الله ﷺ ولا امتن الله عليه به في قوله ﴿**ووجدك عائلاً فأغنى**﴾...

القسم الثاني: المخالطة للمصالح المتعلقة بالعامة من الشفاعة للفقراء، والتبليغ بالمظلومين أو نحو ذلك، أو المصالح الخاصة بالملوك من وعظهم أو تذكيرهم وتعريفهم بما يجب للمسلمين وتعليمهم معالم الدين، وسواء كان ذلك

على جهة التصريح أو التلويح مع حسن النية، وهذا القسم يكون مستحباً غير مكروه، وسواء كان الغرض الحاصل من ذلك تركهم للباطل كله، أو تركهم لبعضه، وتخفيفهم منه، إلا أن يكون في الزمان إمام حق يدعو إلى حرب الظلمة، فإن المصير إليه هو الواجب، وإنما **قلت**: إن هذا يكون مستحباً لما ورد في ذلك من الآثار الصحيحة مثل قوله عليه السلام: (الدين النصيحة) قالوا: لمن يارسول الله ؟ قال: لله ولكتابه ورسوله، ولعامة المسلمين وأئمتهم. فالسلاطين من جملة عامة المسلمين ـ أعني أهل الملة ـ ولأن الأنبياء عليهم السلام كانوا يخالطون الكفار لمثل ذلك، ولأن الحسن عليه السلام كان يخالط معاوية، ويدخل عليه ويكاتبه لمثل ذلك.

قال عبيد: واعلم أن النصيحة للإمام يجب أن تكون سراً كما بوب ابن أبي عاصم (٥٢١/٢)، باب كيف نصيحة الرعية للولاة، وروى عن عياض بن غنم أنه قال لهشام بن حكيم ألم تسمع بقول رسول الله ﷺ: (من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية ولكن يأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه) وصححه الشيخ ناصر حفظه الله بمجموع طرقه.

قال الشيخ: **القسم الثالث**: المخالطة للتقيَّة، وهي جائزة، لنص القرآن، قال الله تعالى: ﴿**إلا أن تتقوا منهم تقاة**﴾ وسواء أظهر المخالط أنه خالط لاجل التقية، أو لم يظهر ذلك، فإن الأكثرين لا يتمكنون من إظهاره، بل التقية تقتضي كتم ذلك.

قال عبيد: وإذا استعرضت الآية تامة ﴿**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير**﴾ ظهر لك أن الآية في الكفار ـ فلعل الشيخ رحمه الله عنى بهذا القسم الحكام الكفرة ــ الذين لا يندفع شرهم إلا بمخالطة ذوي الفضل والقدر والإمامة من أهل الإسلام لهم.

القسم الرابع: المخالطة لأجل الجهاد والغزو معهم للكفار، ممن يستجيز ذلك. وقد فعل ذلك غير واحد من الصحابة والتابعين وغيرهم من خيار المسلمين، بل قد قام الجلة والفضلاء مع المختار الكذاب الذي ادعى النبوة، وكذب على الله ورسوله لما قام بثأر الحسين عليه السلام.

القسم الخامس: المخالطة لأجل القرابة والرحامة، وهذا أيضاً جائز وقد رخص الله تعالى للمسلمين في صلة المشركين على العموم إذا لم يجاهروهم بالحرب والإخراج من الديار وفي (الكشاف) أن قوله تعالى: ﴿**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين**﴾ الآية، نزلت في قتيلة بنت عبدالعزى أم أسماء بنت أبي بكر، قدمت وهي مشركة إلى بنتها، فلم تقبل هداياها، فنزلت الآية، وفي صحيح البخاري معنى هذا ولفظه.

وأصرح من هذا قوله تعالى ﴿**وإن جاهداك علىأن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا**﴾.

وقد كان رسول الله ﷺ معروفاً بين أرحامه من الكفار والمسلمين».

قال عبيد: واعلم أن المخالطة مجردة ليست موالاة والدليل على ذلك أن الموالاة هي الموادة والمحبة لا المخالطة.

الخامسة: قوله «**لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه**» يعني جاهاً ومكانة، والقائل هو عيينة بن حصن، وفيه إرشاد للإستعانة في الوصول إلى الحاكم بذوي المكانة عنده وأقربهم إليه وأن ذلك هو أفضل الطرق.

السادسة: قوله «**هيْ يا ابن الخطاب**» بكسر الهاء وسكون الياء كلمة تهديد، وقيل: هي ضمير وهناك محذوف، أي هي داهية.قاله القسطلاني.

السابعة: قوله «**فما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل**» الجزل: بفتح الجيم وسكون الزاي المعجمة بعدها لام، العطاء الكثير، والمعنى أن عيينة سامحه الله وصف الخليفة بالبخل في العطاء والظلم في الحكم.

الثامنة: قوله «**فغضب عمر حتى هم به**» يعني هم أن يوقع به عقوبة ويبطش به، جزاء مقولته النابية.

التاسعة: قوله «**يا أمير المؤمنين - إلى قوله ـ وأن هذا من الجاهلين**» فيه التلطف بالحاكم، ووعظه وتذكيره عند ثوران غضبه.

العاشرة: قوله «**وا لله ما جاوزها عمر حين تلاها**» فيه دليل على سرعة قبول الفاروق رضي ا لله عنه الموعظة.

وهذا ثناء من ابن عباس على أمير المؤمنين رضي ا لله عنه واعتراف له بالفضل وجلالة القدر والوقوف عند حدود ا لله وفي هذا رد على الرافضة الذين ينتقصون عمر ويبالغون في جفائه حتى يصلوا إلى سبه وشتمه وتكفيره.

الحادية عشرة: قوله «**ما أنزل ا لله**» يعني هذه الآية.

الثانية عشرة: قوله «**إلا في أخلاق الناس**» **قلت:** وأخرجه ابن جرير من طريق حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم عن مجاهد في قوله ﴿**خذ العفو**﴾ قال من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسس.

الثالثة عشرة: قوله «**أمر ا لله نبيه أن يأخذ العفو...**» قد اختلف عن هشام في هذا الحديث فوصله من ذكرنا عنه وتابعهم عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه من قوله موقوفاً. وقال أبو معاوية عن هشام عن وهب بن كيسان عن ابن الزبير أخرجه سعيد بن منصور عنه وقال عبيد ا لله بن عمر عن هشام عن أبيه عن ابن عمر. أخرجه البزار والطبراني وهي شاذة.وكذا رواية حماد بن سلمة عن هشام عن أبيه عن عائشة عند ابن مردويه، وأما رواية أبي معاوية فشاذة أيضاً مع احتمال أن يكون لهشام فيه شيخان.وأما رواية معمر ومن تابعه فمرجوحة بأن زيادة من خالفهما مقبولة لكونهم حفاظاً.قاله الحافظ.

آخر تفسير سورة الأعراف و لله الحمد والمنة.

سورة الأنفال

[تفسير سورة الأنفال].

ش: وشاهد التسمية: ﴿يسئلونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول﴾ الآية.

وأخرج النحاس في ناسخه وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما: سورة الأنفال نزلت بالمدينة، وهي مدنية وآياتها سبعون وست آيات وكلماتها ألف كلمة وستمائة كلمة واحدى وثلاثون كلمة. وحروفها خمسة آلاف ومئتان وأربعة وتسعون حرفاً.حكاه ابن كثير في أول تفسير السورة.

١٤٠ـ [باب قوله ﴿**يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم**﴾].

ش: تمامها: ﴿**وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين**﴾.

قوله ﴿**يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول**﴾.

قال الشوكاني: «الأنفال جمع نفل محركاً، وهو الغنيمة، ومنه قول عنترة:

إنا إذا احمر الوغى نروي القنا   ونعف عند مقاسم الأنفال

أي الغنائم، وأصل النفل الزيادة، وسميت الغنيمة به؛ لأنها زيادة فيما أحل الله لهذه الأمة مما كان محرماً على غيرهم؛ ولأنها زيادة على ما يحصل للمجاهد من أجر الجهاد ـ إلى أن قال ـ وكان سبب نزول الآية: اختلاف الصحابة رضي الله عنهم يوم بدر فنزع الله ما غنموه من أيديهم وجعله لله والرسول فقال ﴿**قل الأنفال لله والرسول**﴾ أي حكمها مختص بهما يقسمها بينكم رسول الله عن أمر الله سبحانه وليس لكم حكم في ذلك»اهـ.

قوله ﴿**فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم**﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: فخافوا الله أيها القوم، واتقوه بطاعته واجتناب معاصيه وأصلحوا الحال بينكم.

قوله ﴿**وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين**﴾ يأمر جل ثناؤه بطاعته وطاعة رسوله ﷺ وهذا عام في فعل جميع الأوامر، وأعظمها التوحيد وترك جميع النواهي وأعظمها الشرك، ثم جعل طاعته وطاعة رسوله مع ما تقدم من امتثال الأمر بتقواه وإصلاح ذات البين شرطاً في حصول الإيمان.إن كنتم مؤمنين»اهـ.

شرح جملة من الآثار:

١- **[قال ابن عباس: الأنفال المغانم].**

ش: أخرجه ابن جرير من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الغنائم.

قلت: وهذا بمعنى ما ذكره المصنف، وبه قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد وعطاء.

وهو **أحد** أقوال أربعة حكاها في الآية.

وثانيها: السرايا وبه قال علي بن صالح بن حي.

وثالثها: أنها ما شذ من المشركين إلى المسلمين من عبد أو دابة وما أشبه ذلك وهو قول ابن عباس وعطاء في الرواية الثانية عنهما.

ورابعها: أنها الخمس الذي جعله الله لأهل الخمس وبه قال مجاهد في الرواية الثانية عنه.

٢- **[قال قتادة: ﴿ريحكم﴾ الحرب].**

ش: أخرجه ابن أبي حاتم من طريق محمد بن عبد الأعلى عن محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بلفظ **﴿وتذهب ريحكم﴾** قال: ريح الحرب. وكذا أخرجه عنه ابن جرير من وجه آخر.

والآية المشار إليها هي قوله: **﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾.**

٣- **[يقال نافلة عطية].**

ش: قال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى **﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾** أي نفلاً وغنيمة لك. انتهى.

وقال العيني: وإنما ذكر هذا استطراداً؛ لأن في معنى الأنفال التي هي المغانم معنى العطية.

قال الجوهري: «النفل والنافلة عطية التطوع من حيث لا تجب، ومنه نافلة

الصلاة». انتهى من عمدة القاري (٥/٧١).

١٦٥ـ حدثني محمد بن عبد الرحيم[١]، حدثنا سعيد بن سليمان[٢]، أخبرنا هشيم، أخبرنا أبو بشر[٣]، عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: سورة الأنفال قال: نزلت في بدر.

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «**قلت لابن عباس سورة الأنفال**» يعني فيمن نزلت، والحامل لابن جبير على هذا السؤال ما تضمنته السورة من اختصاص الله ورسوله لقسمة الغنائم.

الثانية: قوله «**نزلت في بدر**» يعني في أهل بدر، وهذا هو قول عبادة بن الصامت وعكرمة. فقد روى ابن جرير (٩/١٧٣) وأحمد (٥/٣٢٢) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل، وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسول الله ﷺ وقسمه رسول الله ﷺ بين المسلمين عن سواء. يقول على سواء. فكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله ﷺ وصلاح ذات البين.

وسيأتي بلفظ أتم في تفسير سورة الحشر ضمن الباب الحادي والستين بعد الثلاثمائة.

---

(١) هو أبو يحيى محمد بن عبد الرحيم بن أبي زهير البغدادي البزار المعروف بصاعقة، ثقة حافظ، من الحادية عشرة، مات سنة خمس وخمسين [ومائتين] وله سبعون سنة. خ.د.ت.س.

(٢) هو أبو عثمان الضبي الواسطي، نزيل بغداد، البزار لقبه سعدويه، ثقة حافظ من كبار العاشرة، مات سنة خمس وعشرين [ومائتين]. ع.

(٣) هو جعفر بن إياس بن أبي وحشية، ثقة من أثبت الناس في ابن جبير، وضعفه شعبة في حبيب بن سالم وبمجاهد، من الخامسة، مات سنة خمس [ومائة] وقيل سنة عشرين ومائة. ع.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [﴿الشوكة﴾ الحد].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: يقال: ما أشد شوكة بني فلان أي حدهم.

والآية المشار إليها: **﴿وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين﴾.**

٢- [﴿مردفين﴾ فوجاً بعد فوج، ردفني وأردفني جاء بعدي].

ش: «قرأ نافع بفتح الراء، وقرأ الباقون بالكسر، وحجة من فتح أنه بناه على مالم يسم فاعله؛ لأن الناس الذين قاتلوا يوم بدر أردفوا بألف من الملائكة، أي أنزلوا إليهم لمعونتهم على الكفار، فمردفين بفتح الدال نعت لـ"ألف" من الملائكة. وحجة من كسر الدال أنه بناه على ما سمي فاعله فجعله صفة لـ"ألف" أي بألف من الملائكة جائين بعد استغاثتكم ربكم، وقيل: إن معناه بألف من الملائكة مردفين غيرهم خلفهم لنصركم، فالمفعول محذوف، وحكى أبو عبيدة إن ردفني وأردفني واحد، وكسر الدال أحب إليّ؛ لأنه قد يكون بمعنى الفتح؛ ولأن عليه أكثر القراء». انتهى من الكشف عن أوجه القراءات السبع (١/٤٨٩).

والآية المشار إليها: **﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾.**

٣- [﴿ذوقوا﴾ باشروا وجربوا، وليس هذا من ذوق الفم].

ش: هو تفسير أبي عبيدة باستثناء "باشروا".

قلت: وقد ذكره في تفسير الآية الخامسة والثلاثين من هذه السورة **﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدية، فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾** ولا أدري هل المصنف يشير إلى هذه الآية أم إلى قوله تعالى **﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا**

عذاب الحريق﴾.

٤- [**﴿فيركمه﴾ : يجمعه**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: بعضه فوق بعض أجمع.

والآية المشار إليها قوله: **﴿ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً﴾** الآية.

٥- [**﴿وإن جنحوا﴾ طلبوا**].

ش: قال أبو عبيدة: أي رجعوا إلى المسالمة وطلبوا الصلح.

٦- [**السِّلم والسَّلم والسلام واحد**].

ش: قال أبو عبيدة: «السِلم مكسورة ومفتوحة ومتحركة الحروف بالفتحة واحد.قال رجل من أهل اليمن جاهلي:

أنائل إنني سلم لأهلك فأقبلي سلمى.

فيها ثلاث لغات، وكذلك السلام أيضاً».

قلت: والآية المشار إليها بالكلمتين: **﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم﴾**.

٧- [**﴿يثخن﴾ يغلب**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «ويغالب ويبالغ».

والآية المشار إليها هي قوله: **﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض﴾**.

٨- [**وقال مجاهد ﴿مكاء﴾ إدخال أصابعهم في أفواههم، وتصدية الصفير**].

ش: وصله عبد بن حميد والفريابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.قاله الحافظ.

قلت: وأخرجه ابن جرير من طريق ابن أبي عاصم عن عيسى عن ابن أي

نجيح عن مجاهد ﴿**إلا مكاء وتصدية**﴾ قال: المكاء: إدخال أصابعهم في أفواههم والتصدية: التصفيق يخلطون بذلك على محمد ﷺ عليه صلاته.

وأخرجه أيضاً عن ابن عباس وابن عمر وعطية العوفي وأبي سلمة بن عبد الرحمن وغيرهم من أهل التفسير.

وقال أبو عبيدة: «المكاء: الصفير، قال رجل يعني امرأته:

ومكا بها فكأنما يمكو بأعصم عاقل

وتصدية: أي تصفيق بالأكف قال: تصدية بالكف أي تصفيق، التصفيق والتصفيح والتصدية شيء واحد»اهـ.

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿**وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية**﴾.

٩- [﴿ ليثبتوك ﴾ : ليحبسوك]

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عنه ، وروى أحمد والطبراني من حديث ابن عباس قال : (تشاورت قريش ، فقال بعضهم : إذا أصبح محمد فأثبتوه بالوثاق). حكاه الحافظ

وأخرج ابن جرير عن ابن جريج قال : سألت عطاء ،عن قوله ﴿ ليثبتوك﴾ قال : يسجنوك وقالها عبد ا لله ابن كثير ، وبه قال ابن زيد .

وهو أحد ثلاثة أقوال حكاها في الآية :

وثانيها : ليقيّدوك ، وبه قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقسم والسدي .

وثالثها : ليسحروك ، وأخرج فيه حديثاً مرفوعاً من طريق عبيد ابن عمير ابن المطلب بن أبي وداعة ، أن أبا طالب ، قال لرسول ا للهﷺ : ما يأتمر به قومك؟ قال : (يريدون أن يسحروني ويقتلوني ويخرجوني ...) الحديث.

قلت : ولكنه مرسلٌ وفيه نكارة ، وغرابةوالصواب عندي ما قاله ابن عباس ومن وافقه .

والآية المشار إليها: ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أويقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر ا لله وا لله خير الماكرين** ﴾

١٤١- [باب **﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾**].

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: إن شر الدواب على الأرض من خلق الله عند الله الذين يصغون عن الحق لئلا يستمعوه فيعتبروا به، ويتعظوا به وينكصون عنه إن نطقوا به، الذين لا يعقلون عن الله أمره ونهيه فيستعملوا بها أبدانهم.

١٦٦- حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ قال: هم نفر من بني عبد الدار.

ش: رواه ابن جرير من طريق شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال ابن عباس فذكره وزاد: لا يتبعون الحق.

ورواه أيضاً من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله **﴿الصم البكم الذين لا يعقلون﴾** قال: لا يتبعون الحق.

قال ابن عباس: هم نفر من بني عبد الدار.

قلت: وسواءً كانت الآية نزلت في أولئك النفر أو كانت في المنافقين فإنه لا عبرة بخصوص نزولها بل العبرة بعموم لفظها وما أحسن ما قاله ابن كثير بعد حكايته القولين جميعاً: «**قلت:** ولا منافاة بين المشركين والمنافقين في هذا؛ لأن كلاً منهم مسلوب الفهم الصحيح والقصد إلى العمل الصالح»اهـ.

١٤٢ـ [باب ﴿**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون**﴾].

ش: قوله ﴿**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**﴾.

قال ابن سعدي: «يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة لله وللرسول أي الانقياد لما أمرا به، والمبادرة إلى ذلك، والدعوة إليه، والاجتناب لما نهيا عنه والانكفاف عنه والنهي عنه وقوله ﴿**إذا دعاكم لما يحييكم**﴾ وصف ملازم لكل ما دعا الله ورسوله إليه، وبيان لفائدته وحكمته، فإن حياة القلب والروح بعبودية الله تعالى، ولزوم طاعته وطاعة رسوله على الدوام»اهـ.

قوله ﴿**واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه**﴾ قيل معناه بادروا إلى الاستجابة قبل أن لا تتمكنوا منها بزوال القلوب التي تعقلون بها بالموت الذي كتبه الله عليكم، وقيل معناه: أنه خاف المسلمون يوم بدر كثرة العدو، فأعلمهم الله أنه يحول بين المرء وقلبه بأن يبدلهم بعد الخوف أمناً ويبدل عدوهم من الأمن خوفاً وقيل هو من باب التمثيل لقربه سبحانه من العبد كقوله: ﴿**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾ ومعناه أنه مطلع على ضمائر القلوب لا تخفى عليه منها خافية.قاله الشوكاني.

وقال ابن جرير بعد حكايته الأقوال المختلفة في معناها: «وأولى الأقوال بالصواب عندي في ذلك أن يقال: إن ذلك خبر من الله عز وجل أنه أملك لقلوب عباده منهم، وأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء، حتى لا يقدر ذو قلب أن يدرك به شيئاً من إيمان أو كفر، أو أن يعي به شيئاً أو أن يفهم إلا بإذنه ومشيئته».انتهى محل الغرض.

قلت: والأدلة على صحة هذا الاختيار من السنة كثير منها: ما رواه مسلم

في صحيحه عن عبد ا لله بـن عمـرو أن النبي ﷺ قـال: «اللهـم مصـرف القلـوب صرف قلوبنا إلى طاعتك».ومنها ما رواه أحمد عن عائشة رضي ا لله عنها قـالت: دعوات كان رسول ا لله ﷺ يدعو بها «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك».

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [﴿استجيبوا﴾ أجيبوا].

ش: تقدم في تفسير آل عمران ضمن الباب السبعين.

٢ - [﴿لما يحييكم﴾ يصلحكم].

ش:قاله أبو عبيدة وزاد: للذي يهديكم وينجيكم من الكفر والعذاب.

١٦٧ـ حدثنا إسحاق، أخبرنا نوح، حدثنا شعبة، عـن خبيـب بـن عبـد الرحمن سمعت حفص بن عاصم يحدث عن أبي سعيد بن المعلى رضـي ا لله عنـه قال: كنت أصلي فمر بي رسول ا لله ﷺ فدعاني، فلم آتـه حتـى صليـت، ثـم أتيته فقال: ما منعك أن تأتيني؟ ألم يقل ا لله ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم﴾ ثم قـال: لأعلمنـك أعظـم سـورة في القـرآن قبـل أن أخرج.فذهب رسول ا لله ﷺ ليخرج فذكرت له، وقـال معـاذ[1] حدثنـا شـعبة عن خبيب سمع حفصاً سمع أبا سعيد رجلاً من أصحاب النـبي ﷺ بهـذا وقـال: هي ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ السبع المثاني.

ش: الشاهد منه قوله **﴿استجيبوا لله وللرسـول إذا دعـاكم لمـا يحييكـم﴾** وقول البخاري: وقال معاذ قد وصله الحسن بن سفيان في مسـنده عـن عبيـد ا لله بن معاذ عن أبيه وفائدة إيراده ما وقع فيه مـن تصريـح حفـص بسـماعه مـن أبـي سعيد بن المعلى.انتهى من الفتح (٨/٣٠٨).

وقد مضى الحديث مع شرحه في الباب الأول.

---

(١) هو أبو المثنى معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان العنبري البصري، القاضي، ثقـة متقـن، من كبار التاسعة، مات سنة ست وتسعين [ومائة].ع.

١٤٣- [باب **﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾**].

ش: قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد أيضاً ما حل بمن قال **﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾** إذ مكرت لهم، فأتيتهم بعذاب أليم وكان ذلك العذاب قتلهم بالسيف يوم بدر» اهـ.

[قال ابن عيينة: ما سمى الله تعالى مطراً في القرآن إلا عذاباً وتسميه العرب الغيث وهو قوله تعالى ﴿ينزل الغيث من بعد ما قنطوا﴾ الشورى].

ش: قال الحافظ في التغليق: «أخبرنا علي بن محمد مشافهة عن سليمان بن حمزة أن محمد بن عبد الواحد أنا زاهر بن أبي طاهر أنا الحسين بن عبد الملك، أنا عبد الرحمن بن الحسن، أنا أحمد بن إبراهيم، أنا أبو جعفر الديبلي، ثنا سعيد بن عبد الرحمن، ثنا سفيان هو ابن عيينة قال: ويقول ناس: ما سمى الله المطر في القرآن إلا عذاباً، ولكن سمته العرب الغيث. يريد قول الله تعالى **﴿وهو الذي ينزل الغيث﴾**.

ثم تعقب ابن عيينة فقال: وقد تعقب ابن عيينة بورود المطر بمعنى الغيث في القرآن في قوله تعالى **﴿إن كان بكم أذى من مطر﴾** فالمراد به هنا الغيث قطعاً. ومعنى التأذي به البلل الحاصل منه للثوب وغير ذلك». اهـ

وقال أبو عبيدة عند قوله **﴿فأمطر علينا حجارة من السماء﴾** «مجازه أن كل شيء من العذاب فهو أمطرت بالألف وإن كان من الرحمة فهو مطرت». اهـ

١٦٨ـ حدثني أحمد[١]، حدثنا عبيد الله بن معاذ[٢]، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن عبد الحميد ـ هو ابن كرديد صاحب الزيادي[٣] ـ سمع أنس بن مالك رضي الله عنه: قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم. فنزلت ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون، وما لهم أن لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ الآية.

ش: يأتي في الباب الذي يليه.

(١) هو أبو الفضل أحمد بن النظر بن عبد الوهاب النيسابوري، ثقة حافظ من الحادية عشرة. خ.

(٢) هو أبو عمرو عبيد الله بن معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان العنبري البصري، ثقة حافظ، رجح ابن معين أخاه المثنى عليه، من العاشرة، مات سنة سبع وثلاثين [ومائتين]. خ.م.د.س.

(٣) هو عبد الحميد بن دينار صاحب الزيادي، ثقة من الرابعة. خ.م.د.س.

١٤٤- [باب **﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾**].

ش: اختلف أهل التفسير في هذه الآية على سبعة أقوال:

أحدها: أنها أنزلت على النبي ﷺ وهو مقيم بمكة ثم خرج ﷺ من بين أظهرهم فاستغفر من بها من المسلمين.وهذا قول ابن عباس وابن أبزى والضحاك وابن زيد.

وثانيها: وهو قول أبي موسى وابن إسحاق وأبي العلاء وابن عباس في الرواية الثانية قالوا: وما كان الله ليعذب هؤلاء المشركين من قريش بمكة وأنت فيهم يا محمد، حتى أخرجك من بينهم **﴿وما كان الله معذبهم﴾** وهؤلاء المشركين يقولون: يا رب غفرانك وما أشبه ذلك من معاني الاستغفار بالقول.

وثالثها: معنى ذلك: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يا محمد، وما كان الله معذب المشركين وهم يستغفرون، أن لو استغفروا قالوا: ولم يكونوا يستغفرون.وهو قول قتادة والسدي وابن زيد في الرواية الثانية.

ورابعها: قالوا: استغفارهم كان في هذا الموضع اسلامهم وبه قال عكرمة ومجاهد.

وخامسها: قالوا: بل معنى ذلك: وفيهم من قد سبق له من الله الدخول في الإسلام وبه قال ابن عباس في الرواية الثالثة.

وسادسها: وما كان الله معذبهم وهم يصلون.وبه قال الضحاك ومجاهد في الرواية الثانية وابن عباس في الرواية الرابعة.

وسابعها: قالوا: وما كان الله ليعذب المشركين وهم يستغفرون قالوا: ثم نسخ ذلك بقوله **﴿وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾**.وقال به الحسن وعكرمة في الرواية الثانية.

أخرجها جميعها ابن جرير ثم قال: «وأولى هذه الأقوال عندي في ذلك

بالصواب هو قول من قال: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يا محمد وبين أظهرهم مقيم حتى أخرجك من بين أظهرهم لأني لا أهلك قرية وفيها نبيها، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون من ذنوبهم وكفرهم، ولكنهم لا يستغفرون من ذلك بل هم مصرون عليه، فهم للعذاب مستحقون، كما يقال: ما كنت لأحسن إليك وأنت تسيء إليّ يراد بذلك لا أحسن إليك إذا أسأت إليّ، ولو أسأت إليّ لم أحسن إليك، ولكن أحسن إليك لأنك لا تسيء إليّ، وكذلك ذلك»اهـ.

١٦٩ـ حدثنا محمد بن النضر[1]، حدثنا عبيد الله بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن عبد الحميد صاحب الزيادي، سمع أنس بن مالك قال: قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. فنزلت ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم أن لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ الآية.

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «**قال أبو جهل ـ إلى قوله ـ عذاب أليم**» فيه التصريح بأن هذه المقولة الخبيثة كانت من أبي جهل.

وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء والسدي أن قائل ذلك هو النظر بن الحارث.وقال قتادة: قال ذلك سفهة هذه الأمة وجهلتها.

قلت: ولا منافاة بين هذين القولين وما في الصحيح إذ لا مانع أن تكون هذه المقولة جاءت عن أكثر من واحد من المشركين ومن بينهم أبو جهل وهو عمرو بن هشام المخزومي رأس في كفار قريش والنظر بن الحارث.

---

(١) هو محمد بن النضر بن عبد الوهاب أخو أحمد، مقبول من الثانية عشرة.خ.

الثانية: قوله ﴿**وما هم أن لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام**﴾ تمامها: ﴿**وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون**﴾.

قال ابن كثير: «أي وكيف لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام أي الذي بمكة يصدون المؤمنين الذين هم أهله عن الصلاة فيه والطواف به، ولهذا قال ﴿**وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون**﴾ أي هم ليسوا أهل المسجد الحرام، وإنما أهله النبي ﷺ وأصحابه كما قال تعالى ﴿**ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون، إنما يعمر مساجد الله من آمن با لله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين**﴾. وقال تعالى ﴿**وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله**﴾ الآية». انتهى محل الغرض.

١٤٥- [باب ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾].

ش: تمامها: **﴿فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير﴾.**

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله: وإن يعد هؤلاء لحربك فقد رأيتم سنتي فيمن قاتلكم منهم يوم بدر، وأنا عائد بمثلها فيمن حاربكم منهم، فقاتلوهم حتى لا يكون شرك، ولا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض وهو الفتنة، ويكون الدين كله لله، يقول: حتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره - إلى أن قال - وأما قوله **﴿فإن انتهوا﴾** فإن معناه: فإن انتهوا عن الفتنة وهي الشرك بالله وصاروا إلى الدين الحق معكم **﴿فإن الله بما يعملون بصير﴾** يقول: فإن الله لا يخفى عليه ما يعملون من ترك الكفر والدخول في دين الإسلام؛ لأنه يبصرهم ويبصر أعمالهم، والأشياء كلها متجلية له، لا يغيب عنه ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين»اهـ.

١٧٠- حدثنا الحسن بن عبد العزيز(١)، حدثنا عبد الله بن يحيى(٢)، حدثنا حيوة، عن بكر بن عمرو، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً جاءه فقال: يا أبا عبد الرحمن، ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ إلى آخر الآية فما يمنعك أن لا تقاتل كما ذكر الله في كتابه؟ فقال: يا ابن أخي أغترّ بهذه الآية ولا أقاتل أحبُّ إليّ من أن أغتر بهذه الآية التي يقول الله تعالى ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً﴾ إلى آخرها. قال: فإن الله يقول ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ قال ابن عمر: قد

---

(١) هو أبو علي الحسن بن عبد العزيز بن الوزير الجروي المصري، نزيل بغداد، ثقة ثبت عابد فاضل، من الحادية عشرة، مات سنة سبع وخمسين [ومائتين]. خ.

(٢) هو عبد الله بن يحيى البُرُلّسي، لا بأس به من كبار العاشرة. خ.د.

فعلنا على عهد رسول ا لله ﷺ إذ كان الإسلام قليلا فكان الرجل يفتن في دينه إما يقتلونه وإما يوثقونه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة، فلما راى أنه لا يوافقه فيما يريد قال: فما قولك في علي وعثمان؟ قال ابن عمر: ما قولي في علي وعثمان؟ أما عثمان فكان ا لله قد عفا عنه، فكرهتم أن يعفو عنه، وأما عليّ: فابن عم رسول ا لله ﷺ وختنه ـ وأشار بيده ـ وهذه ابنته أو بنته حيث ترون.

١٧١ـ حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا زهير، حدثنا بيان[١]، أن وبرة حدثه قال: حدثني سعيد بن جبير قال: خرج علينا ـ أو إلينا ـ ابن عمر فقال رجل: كيف ترى في قتال الفتنة، فقال: وهل تدري ما الفتنة؟ كان محمد ﷺ يقاتل المشركين وكان الدخول عليهم فتنة، وليس كقتالكم على الملك.

ش: فيهما ست مسائل:

الأولى: قوله «**أعيّر**» بمهملة وتحتانية ثقيلة للكشميهني في الموضعين، ولغيره بفتح الهمزة وسكون الغين المعجمة وتخفيف المثناة الفوقانية وتشديد الراء فيهما، والحاصل أن السائل كان يرى قتال من خالف الإمام الذي يعتقد طاعته وكان ابن عمر يرى ترك القتال فيما يتعلق بالملك.قاله الحافظ.

الثانية: قوله «**فكان الرجل يفتن في دينه إما يقتلوه وإما يوثقوه**» كذا للأكثر فزعم بعض الشراح بأنه غلط وأن الصواب بإثبات النون فيهما؛ لأن "إما" التي تجزم هي الشرطية وليست هنا شرطية. **قلت:** وهي رواية أبي ذر، ووجهت رواية الأكثر بأن النون قد تحذف بغير ناصب ولا جازم في لغة شهيرة، وتقدم في تفسير البقرة ضمن الباب الثاني والثلاثين بلفظ: «إما تعذبوه وإما تقتلوه».

الثالثة: قوله «**فما قولك في عليّ وعثمان**» هذا يؤيد أن السائل كان من

(١) هو بيان بن بشر الأحمسي أبو بشر الكوفي، ثقة ثبت من الخامسة.ع.

الخوارج، فإنهم كانوا يتولون الشيخين ويحطون عثمان وعليّا، فرد عليه ابن عمر بذكر مناقبهما ومنزلتهما من النبي ﷺ والاعتذار عما عابوا به عثمان من الفرار يوم أحد فإنه تعالى صرح في القرآن بأنه عفا عنهم.وقد جاء في مناقب عثمان سؤال السائل لابن عمر «هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد قال: نعم فقال: تعلم أنه تغيب عن بدر و لم يشهدها.قال: نعم.قال: تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها.قال: نعم.قال: ا لله أكبر.فقال ابن عمر: تعال أبين لك أما فراره يوم أحد فاشهد أن ا لله عفا عنه، وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول ا لله ﷺ وكانت مريضة فقال رسول ا لله ﷺ: إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه.وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه فبعث رسول ا لله ﷺ عثمان وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة فقال رسول ا لله ﷺ بيده اليمنى: هذه يد عثمان. فضرب بها على يده، فقال: هذه لعثمان فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك.

الرابعة: قوله «**فكرهتم أن تعفو عنه**» بالمثناة الفوقانية وبصيغة الجمع، ومضى في تفسير البقرة بلفظ: «أن يعفو» بالتحتانية أوله والإفراد أي ا لله.

الخامسة: قوله «**وهذه ابنته أو بنته**» كذا للأكثر بالشك ووافقهم الكشميهني لكن قال: «أو أبيته» بصيغة جمع القلة في البيت وهو شاذ، وقد جاء في مناقب عليّ من رواية سعد بن عبيدة: «فقال هو ذاك بيته أوسط بيوت النبي ﷺ» وفي رواية النسائي «ولكن انظر إلى منزلته من نبي ا لله ﷺ ليس في المسجد غير بيته» وهذا يدل أنه تصحف على بعض الرواة بيته ببنته فقرأها بنته بموحدة ثم نون ثم طرأ له الشك فقال «بنته أو بيته» والمعتمد أنه البيت فقط.

السادسة: قوله «**فقال رجل: كيف ترى في قتال الفتنة**» وقع في رواية البيهقي من وجه آخر عن زهير بن معاوية، والحديث المذكور مختصر من الذي قبله، أو هما واقعتان.قاله الحافظ.

قال مقيده: ويناسب ها هنا ذكر ثلاث فوائد في ذكر الخوارج.

الفائدة الأولى:

في حد الخوارج:

قال الشهرستاني: «كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان»

قلت: وهذا هو أجود التعريفات وظاهر النصوص يؤيده كما سيتضح لك.

الفائدة الثانية:

ما جاء في ذم هذه الفرقة والتحذير منها بل وفي قتالها تقرباً إلى الله أكثر من أن يحصى وإليك بعض ذلك.

أولاً: فعن أبي سعيد قال: «بعث عليّ رضي الله عنه وهو باليمن إلى النبي ﷺ بذهيبة في تربتها، فقسمها بين أربعة: الأقرع بن حابس الحنظلي، ثم أحد بني مجاشع، وبين عيينة بن بدر الفزاري، وبين علقمة بن علاثة العامري، ثم أحد بني كلاب، وبين زيد الخيل الطائي، ثم أحد بني نبهان، فتغضبت قريش والأنصار، فقالوا: يعطيه صناديد أهل نجد ويدعنا؟ قال رسول الله ﷺ: إنما أتألفهم، فأقبل رجل غائر العينين، ناتيء الجبين كث اللحية، مشرف الوجنتين، محلوق الرأس، فقال: يا محمد اتق الله فقال: فمن يطع الله إذا عصيته؟ أفيأمنني على أهل الأرض، ولا تأمنوني؟ فسأل رجل من القوم قتله - أراه خالد بن الوليد - فمنعه، فلما ولّى قال: إن من ضئضيء هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد. أخرجه البخاري ومسلم.

ثانياً: ما رواه مسلم وأبو داود عن زيد بن وهب الجهني رضي الله عنه أنه كان في الجيش الذين كانوا مع عليّ، الذين ساروا إلى الخوارج، فقال عليّ: أيها

الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يخرج قوم من أمتي، يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضي لهم على لسان نبيهم ﷺ لنكلوا عن العمل.

ثالثاً: عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن بعدي من أمتي ـ أو سيكون بعدي من أمتي ـ قوم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة.

قال ابن الصامت: فلقيت رافع بن عمرو الغفاري [أخا الحكم الغفاري **قلت**: ما حديث سمعته من أبي ذر كذا وكذا؟] فذكرت له هذا الحديث فقال: وأنا سمعته من رسول الله ﷺ.أخرجه مسلم.

رابعاً: وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ينشأ نشءٌ يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم.كلما خرج قرن قطع.قال ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كلما خرج قرن قطع.أكثر من عشرين مرة.حتى يخرج في عرضهم الدجال.في الزوائد إسناده صحيح.وقد احتج البخاري بجميع رواته.

قال مقيده: ومن نظر في هذه الأحاديث وما في معناها مما جاء في ذكر هذه الفرقة الضالة المتولية غير سبيل المؤمنين ظهر له جلياً أمورٌ كثيرة تدل على خبث القوم وانحراف منهجهم وفساد مقصدهم، ومن تلك الأمور:

أولاً: قراءتهم للقرآن من غير فقه وسبب ذلك فصلهم إياه عن السنة وسيرة السلف الصالح من الصحابة وأئمة التابعين ومن بعدهم من أئمة السنة والجماعة، كالأئمة الأربعة، والأوزاعي، والسفيانين، والحمادين.

ثانياً: خفرهم ذمة الله وذمة نبيه وذلك بقتالهم أهل الإسلام وودعهم أهل

الأوثان.

ثالثاً: أنهم شر الخليقة وشر قتلى وأنهم بليةٌ على أهل الإسلام على مر العصور حتى يخرج في عراضهم الدجال.

الفائدة الثالثة:

موقف الأئمة من هذه الفرقة الضالة:

قال الآجري رحمه الله في الشريعة: «لم يختلف العلماء قديماً وحديثاً أن الخوارج قوم سوء، عصاة لله عز وجل، ولرسول الله ﷺ، وإن صاموا وصلوا واجتهدوا في العبادة؛ فليس ذلك بنافع لهم، وإن أظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس بنافع لهم؛ لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهوون، ويموهون على المسلمين، وقد حذرنا الله عز وجل منهم، وحذر رسول الله ﷺ، وحذرنا الخلفاء الراشدون بعده، وحذرنا الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان رحمة الله عليهم...».

وقال في (ص٢٨): «فلا ينبغي لمن رأى اجتهاد خارجي قد خرج على إمام عدلاً كان أو جائراً فخرج وجمع جماعة وسل سيفه واستحل قتال المسلمين؛ فلا ينبغي له أن يغتر بقراءته للقرآن، ولا بطول قيامه في الصلاة، ولا بدوام صيامه وبحسن ألفاظه في العلم، إذا كان مذهبه مذهب الخوارج».

قال مقيده: وقد نص أهل العلم على أن من أصناف الخوارج القعدية وهم من يحسنون الخروج على الإمام ويحرضون عليه من غير سل سيف في وجهه. **قلت:** وما أكثرهم اليوم؛ فإن صنيعهم غير خافٍ يعرفه من خبر الكتب الفكرية المعاصرة مثل: **معالم في الطريق**، والخطب المهيجة والمحاضرات المثيرة مثل شريط **هموم فتاة ملتزمة**، وأشرطة ما يسمى **بشرح الطحاوية**.

١٤٦- [باب **﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون﴾**].

ش: قوله **﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين - إلى قوله - يغلبوا مائتين﴾**.

قال ابن كثير: أي حثهم ومرهم عليه، ولهذا كان رسول الله ﷺ يحرض على القتال عند صفهم ومواجهة العدو كما قال لأصحابه يوم بدر حين أقبل المشركون في عددهم وعددهم: قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض. فقال عمرو بن الحمام عرضها السموات والأرض؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم. فقال: بخ بخ. فقال: ما يحملك على قولك بخ بخ. قال: رجاء أن أكون من أهلها. قال: فإنك من أهلها. فتقدم الرجل فكسر جفن سيفه وأخرج تمرات فجعل يأكل منهن ثم ألقى بقيتهن من يده وقال: لئن أنا حييت حتى آكلهن إنها لحياة طويلة ثم تقدم فقاتل حتى قتل رضي الله عنه. وقد روى سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير أن هذه الآية نزلت حين أسلم عمر بن الخطاب وكمل به الأربعون، وفي هذا نظر؛ لأن هذه الآية مدنية وإسلام عمر كان بمكة بعد الهجرة إلى أرض الحبشة، وقيل الهجرة إلى المدينة والله أعلم. ثم قال تعالى مبشراً للمؤمنين وآمراً: **﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا﴾** كل واحد بعشرة ثم نسخ هذا الأمر وبقيت البشارة». اهـ

قال مقيده: وناسخه الآية بعدها.

قوله **﴿بأنهم قوم لا يفقهون﴾** «يقول من أجل أن المشركين قوم يقاتلون على غير رجاء ثواب ولا لطلب أجر ولا احتساب؛ لأنهم لم يفقهوا أن الله موجب لمن قاتل احتساباً وطلب موعوداً لله في المعاد ما وعد المجاهدين في سبيله». قاله الطبري.

١٧٢- حدثنا عليّ بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن عمرو، عن ابن

عباس رضي الله عنهما لما نزلت ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾ فكتب عليهم أن لا يفر واحد من عشرة فقال سفيان غير مرة: أن لا يفر عشرون من مائتين، ثم نزلت ﴿الآن خفف الله عنكم﴾ الآية.فكتب أن لا يفر مائة من مائتين، زاد سفيان مرة نزلت ﴿حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون﴾.

قال سفيان: وقال ابن شبرمة: وأرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل هذا.

ش: قوله «**فقال سفيان غير مرة**» أي أن سفيان كان يرويه بالمعنى فتارة يقول باللفظ الذي وقع في القرآن محافظة على التلاوة وهو الأكثر، وتارة يرويه بالمعنى وهو أن لا يفر واحد من العشرة ويحتمل أن يكون سمعه باللفظين ويكون التأويل من غيره، ويؤيده الطريق التي بعد هذه فإن ذلك ظاهر في أنه من تصرف ابن عباس».انتهى من الفتح (٣١٢/٨).

وسيأتي شرحه في الباب بعده.

١٤٧- [باب ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً﴾ إلى قوله ﴿والله مع الصابرين﴾].

ش: تمامها: ﴿فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين﴾.

قال ابن جرير: «يعني أن في الواحد منهم عن لقاء العشرة من عدوهم ضعفاً **﴿فإن يكن منكم مائة صابرة﴾** عند لقائهم للثبات لهم **﴿يغلبوا مائتين﴾** منهم **﴿وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين﴾** منهم **﴿بإذن الله﴾** يعني بتخلية الله إياهم لغلبتهم ومعونته إياهم **﴿والله مع الصابرين﴾** لعدوهم، وعدو الله احتساباً في صبرهم، وطلباً لجزيل الثواب من ربهم، بالقوة منه لهم، والنصر عليه»اهـ.

١٧٣- حدثنا يحيى بن عبد الله السلمي[١]، أخبرنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا جرير ابن حازم[٢] قال: أخبرني الزبير بن الخريت[٣]، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهماقال: لما نزلت ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾ شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم أن لا يفر واحد من عشرة، فجاء التخفيف فقال: ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين﴾ قال: فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم.

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «**شق ذلك على المسلمين**» زاد الإسماعيلي من طريق سفيان

(١) هو يحيى بن عبد الله بن زياد البلخي، نزيل مرو، لقبه خاقان، ثقة من العاشرة.خ.

(٢) هو جرير بن حازم بن زيد بن عبد الله الأزدي، البصري، والد وهب، ثقة لكن في حديثه عن قتادة ضعف وله أوهام إذا حدث من حفظه، وهو من السادسة، مات سنة سبعين [ومائة] بعدما اختلط لكن لم يحدث في حال اختلاطه.ع.

(٣) هو الزبير بن الخريت البصري، ثقة من الخامسة.خ.م.د.ت.ق.

بن أبي شيبة عن جرير «جهد الناس ذلك وشق عليهم» قاله في الفتح.

الثانية: قوله «**نقص من الصبر**» قال الحافظ: كذا في رواية ابن المبارك وفي رواية وهب بن جرير عن أبيه عند الإسماعيلي «نقص من النصر» وهذا قاله ابن عباس توقيفاً على ما يظهر، ويحتمل أنه قاله بطريق الاستقراء.

قلت: وما أفاده الخبر هو صريح الآيتين؛ فإن الأولى متضمنة وجوب مصابرة الواحد من المسلمين لعشرة من الكفار كما تضمنت الثانية نسخ ذلك بوجوب مصابرة الواحد من المسلمين الإثنين من الكفار. وفي الحديث دليل على تحريم الفرار من أمام الكفار إذا كان عددهم ضعف عدد المسلمين.

فائدة:

«هذه الآيات صورتها صورة الإخبار عن المؤمنين بأنهم إذا بلغوا هذا المقدار المعين يغلبون ذلك المقدار المعين في مقابلته من الكفار، وأن الله يمتن عليهم بما جعل فيهم من الشجاعة الإيمانية ولكن معناها وحقيقتها الأمر، وأن الله أمر المؤمنين في أول الأمر أن الواحد لا يجوز له أن يفر من العشرة، والعشرة من المائة، والمائة من الألف، ثم إن الله خفف ذلك، فصار لا يجوز فرار المسلمين من مثليهم من الكفار، فإن زادوا على مثليهم جاز لهم الفرار ولكن يرد على هذا أمران:

أحدهما: أنها بصورة الخبر والأصل في الخبر أن يكون على بابه، وأن المقصود بذلك الإمتنان والإخبار بالواقع.

والثاني: تقييد ذلك العدد، أن يكونوا صابرين، بأن يكونوا متدربين على الصبر، ومفهوم هذا أنهم إذا لم يكونوا صابرين؛ فإنه يجوز لهم الفرار، ولو أقل من مثليهم، إذا غلب على ظنهم الضرر كما تقتضيه الحكمة الإلهية.

ويجاب عن الأول: بأن قوله ﴿**الآن خفف الله عنكم**﴾ إلى آخرها دليل على أن هذا الأمر لازم، وأمر محتم، ثم إن الله خففه إلى ذلك العدد فهذا ظاهر في أنه أمر، وإن كان في صيغة الخبر، وقد يقال: إن في إتيانه بلفظ الخبر، نكتة

بديعة لا توجد فيه، إذا كان بلفظ الأمر، وهي تقوية قلوب المؤمنين، والبشارة بأنهم سيغلبون الكافرين.

ويجاب عن الثاني: أن المقصود بتقييد ذلك بالصابرين أنه حث على الصبر وأنه ينبغي منكم أن تفعلوا الأسباب الموجبة لذلك، فإذا فعلوها صارت الأسباب الإيمانية والأسباب المادية مبشرة بحصول ما أخبر الله به من النصر لهذا العدد القليل». انتهى من تيسير الكريم الرحمن (٢/٢١٦).

آخر تفسير سورة الأنفال و لله الحمد والمنة.

سورة براءة

١٤٨ سورة براءة

ش: شاهد التسمية: ظاهر في أول السورة.﴿**براءة مّن ا لله ورسوله إلى الذين عهدتم مّن المشركين**﴾.

وتسمى أيضا سورة التّوبة، ومن شواهد ذلك ﴿**لقد تّاب ا لله على النّ ّ والمهجرين والأنصار الّذين اتّبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثمّ تاب عليهم إنّه بهم رءوف رّحيم**﴾.

ومن أسمائها الفاضحة؛ لأنه ما زال ينزل فيها: ومنهم، ومنهم. وتسمى البحوث تبحث عن أسرار المنافقين، وتسمى المبعثرة والبعثرة البحث، وتسمى المقشقشة لكونها تقشقش أي تبرء من النّفاق، والمخزية لكونها أخزت المنافقين، والمثيرة لكونها تثير أسرارهم، والحافرة لكونها تحفر عنهم.

وأخرج المصنف عن أبي هريرة وسيأتي قال: «بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى ألا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، قال حميد بن عبد الرحمن: ثم أردف رسول ا لله ﷺ بعليّ بن أبي طالب وأمره أن يؤذن ببراءة قال أبو هريرة: فأذن معنا عليّ يوم النّحر في أهل منى ببراءة» .

وآياتها ثلاثون ومائة وقيل سبع وعشرون ومائة.

قال القرطبي: وهي مدنية باتفاق.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [﴿وليجة﴾ كل شيء أدخلته في شيء].

ش:قاله أبو عبيدة وزاد: «ليس منه فهو وليجة، والرجل يكون في القوم وليس منهم فهو وليجة فيهم، ومجازه يقول: فلا تتخذوا ولياً ليس من المسلمين دون ا لله ورسوله، ومنه قول طرفة بن العبد:

فإن القوافي يَتّلجْن موالجا تضايق عنها أن تَوَلّجه الإبر»اهـ

والآية المشار إليها في قوله:**﴿أم حسبتم أن تتركوا ولّما يعلم ا لله الذين جهدوا منكم ولم يتخذوا من دون ا لله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة وا لله خبير بما تعملون﴾.**

٢- [**﴿الشّقّة﴾ السّفر**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «البعيد يقال: إنّك لبعيد الشّقة قال الأخوص الرياحي وحمل أبوه حمالة فظلع فقدما البصرة فبادر أباه فقال: إنّا من تعرفون وأبناء السّبيل وجئنا من شقة ونسأل في حق وتنطوننا ويجزيكم ا لله».اهـ

والآية المشار إليها:**﴿لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتّبعوك ولكن بعدت عليهم الشّقّة﴾.**

٣- [**﴿الخبال﴾: الفساد والخبال الموت**].

ش: قوله الخبال الفساد: قاله أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى: **﴿إلا خبالا...﴾**

وقوله الخبال الموت: كذا لهم و الصواب الموتة بضم الميم وزيادة هاء في آخره وهو ضرب من الجنون قاله الحافظ.

والآية المشار إليها:**﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سمّعون لهم﴾.**

٤-[﴿ولا تفتني﴾ لا توبخني].

ش: كذا للأكثر بالموحدة والخاء المعجمة من التوبيخ، وللمستملي والجرجاني «توهنّي» بالهاء وتشديد النون من الوهن وهو الضعف، ولابن السكن «تؤثمني» بمثلثة ثقيلة وميم ساكنة من الإثم قال عياض وهو الصواب. قاله الحافظ

قلت: وهو قول أبي عبيدة.

وأخرج ابن جرير بسنده عن قتادة في الآية **﴿ولا تؤثمني ألا في الإثم سقطوا﴾** وأخرج عن ابن عباس «ولا تفتني» يقول ائذن لي ولا تحرجني.

والآية المشار إليها: **﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتنّي ألا في الفتنة سقطوا﴾**

٥- [﴿كَرها﴾ و﴿ كُرها﴾ واحد].

ش: قال أبو عبيدة: «مفتوح ومضموم سواء» اهـ

وقرأه حمزة والكسائي بالضم وفتح الباقون ومثله في التوبة والأحقاف قاله مكي ١/٣٨٢.

والآية التي أشار إليها المصنف: **﴿قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم﴾**

٦- [﴿مدّخلاً ﴾ يدخلون فيه].

ش: قاله أبو عبيدة في قوله «ملجأ أو مغارات» وزاد ويتغيبون فيه.

٧- [﴿يجمحون﴾ يسرعون].

ش: قال أبو عبيدة: «يجمح أي يطمح، يريد أن يسرع»اهـ.

وفي المصباح جمح الفرس براكبه «يجمح» بفتحتين جماحاً بالكسر وجموحاً استعصى حتى غلبه فهو جَموح، بالفتح، وجامح يستوي فيه الذكر والأنثى، وجمح إذا عار وهو أن ينفلت فيركب رأسه فلا يثنيه شيء وربما قيل «جمح» إذا كان فيه نشاط وسرعة والجماح من الأوليين مذموم ومن الثّالث محمود لكن

الثّالث مهجور الاستعمال وإن كان منقولاً، ((وجمحت)) المرأة خرجت من بيتها غضبى بغير إذن بعلها ((فالجموح هو الرّاكب هواه)) اهـ.

والآية المشار إليها بالكلمتين: **﴿لو يجدون ملجأً أو مغارات أو مدخلاً لولو إليه وهم يجمحون﴾**.

٨ - [﴿والمؤتفكات﴾ ائتفكت، انقلبت بها الأرض].

ش: قال أبو عبيدة: ((قوم لوط ائتفكت بهم الأرض أي انقلبت بهم))اهـ.

والآية المشار إليها **﴿ألمْ يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكت أتتهم رسلهم بالبينت فما كان ا لله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾**.

٩- [﴿أهوى﴾ ألقاه في هُوّةٍ].

ش: ليست هذه اللفظة من سورة ((براءة)) وإنما هي من قوله تعالى في سورة النّجم ﴿والمؤتفكة أهوى﴾ وأظن أن المصنف رحمه ا لله ذكرها لمناسبة ما قبلها.

١٠- [﴿عَدْن﴾ خُلْد، عَدَنْتُ بأرضٍ أي أقمتُ، ومنه معْدَن، ويقال في معدَن صدق، في منبَت صدق].

ش: هو من تفسير أبي عبيدة وزاد: ((وقال الأعشى

وإن يستضيفوا إلى حلمه   يضافوا إلى راجح قد عدن.

أي رزين لا يستخف))اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿وعد ا لله المؤمنين والمؤمنت جنت تجري من تحتها الأنهر خالدين فيها ومسكن طيبة في جنّت عدن﴾**.

١١- [﴿الخوالف﴾ الخالف الذي خلفني فقعد بعدي، ومنه يَخلُفه في الغابرين ويجوز أن يكون النّساء من الخالفة، وإن كان جمع الذكور، فإنه لم يوجد على تقدير جمعه إلاّ حرفان فارس وفوارس، وهالك وهوالك].

ش: هو من تفسير أبي عبيدة وأنشد عن ابن جزل الطعان يرثي ربيعة:

فأيقنت أني ثائر ابن مكدَّم غداة إذٍ أو هالك في الهوالك

والآية المشار إليها:**﴿إنما السبيل على الذين يستئذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون﴾**.

١٢- [**﴿الخيرات﴾ واحدها خيْرة وهي الفواضل**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «ومعناها الفاضلة في كل شيء، قال رجل من بني عدي جاهلي عدي تميم:

ولقد طعنت مجامع الربلات ربلات هند خيرة الملكات»اهـ

والآية المشار إليها هي قوله تعالى:**﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونْ﴾**.

١٣- [**﴿مُرْجَوْنَ﴾ مؤخّرون**].

ش: هو قول أبي عبيدة وزاد:«يقال أرجأتك أي أخرتك»اهـ.

والآية المشار إليها:**﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾**.

١٤- [**﴿الشّفا﴾ الشّفير، وهو حدّه، والجُرف ما تجرّف من السّيول والأودية**].

ش: قال أبو عبيدة: «مجاز شفا جرف شفير والجرف ما لم يبن من الرّكايا لها جول قال: جرف هيام جُولهُ يتهدّم»اهـ.

١٥- [**﴿هارٍ﴾ هائر، يقال: تهوّرت البئر إذا انهدمت، وانهار مثله**].

ش: قال أبو عبيدة: «﴿وهار﴾ مجازه هائر والعرب تنزع هذه الياء من فاعل، قال العجاج: لاث به الأشا و العبرى.أي لائث»اهـ.

والآية المشار إليها في الكلمتين هي قوله تعالى:**﴿أفمن أسّس بنينه على تقوى من الله ورضوان خير أم مّن أسّس بنينه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنّم والله لا يهدى القوم الظّلمين﴾**.

١٦- [﴿ لأوّاه﴾شفقاً وفرقاً، وقال الشاعر:

إذا ما قمت أرحلها بليل تأوّه آهة الرجل الحزين]

ش: قال أبو عبيدة: مجازه فعّال من التأوه، ومعناه متضرع شفقاً وفرقاً ولزوماً لطاعة ربه،قال المثقب العبدي (ثم أنشد البيت الذي ذكره المصنف)

والآية المشار إليها:**﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعدة وعدها إياه فلمّا تبيّن له أنّه عدوّ لله تبرّأ منه إنّ إبراهيم لأوّاه حليم﴾.**

قلت:وقد اختلف أهل التفسير في معنى الأوّاه على ستة أقوال:

١ ـ الأوّاه، الدّعّاء قاله ابن مسعود.

٢ ـ ومنها المؤمن التواب قاله ابن عباس.

٣ ـ ومنها الرحيم بعباد ا لله قاله الحسن وقتادة.

٤ ـ ومنها الموقن قاله مجاهد.

٥ ـ ومنها الذي إذا ذكر النّار قال أوه من النّار قاله كعب الأحبار.

٦ ـ ومنها المتضرع قاله عبد ا لله بن شداد بن الهاد

حكى هذه الأقوال وغيرها غير واحد من أهل التّفسير منهم البغوي وابن كثير

وعندي أنها كلها صحيحة ولا تنافي ما اختاره البخاري وا لله أعلم.

١٤٩- [باب **﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾**].

ش: أي هذا باب في قوله عزوجل **﴿براءة من الله﴾** الآية

قال الإمام أبو الليث السّمرقندي رحمه الله: أي تَبَرُّؤٌ من الله ورسوله إلى من كان له عهد من المشركين من ذلك العهد.

ويقال هذه الآية براءة ويقال هذه السورة براءة.

وقال ابن عباس: البراءة نقض العهد إلى الذين عاهدتم من المشركين، لأنهم نقضوا عهودهم قبل الأجل فأمر الله نبيه ﷺ بأن من كان عهده إلى أربعة أشهر أن يقره إلى أن تنقضي أربعة أشهر.

وقال الثعلبي: ابتداء هذا الأجل يوم الحج الأكبر، وانقضاؤه إلى عشر من ربيع الآخر.

وقال الزهري: هي شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، لأن هذه الآية نزلت في شوال.

وقال مقاتل: نزلت في ثلاثة أحياء من العرب: خزاعة، وبني مدلج، وبني خزيمة، كان سيدنا رسول الله ﷺ عاهدهم بالحديبية لسنتين، فجعل الله أجلهم أربعة أشهر ولم يعاهد النبي ﷺ بعد هذه الآية أحداً من النّاس.

وقال النّحاس: قول من قال لم يعاهد النبي ﷺ بعد هذه الآية غير صحيح، والصحيح أنه قد عاهد بعد هذه الآية جماعة منهم أهل نجران.

قال الواقدي: عاهدهم وكتب لهم سنة عشر قبل وفاته بيسير. ذكره العيني.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [**﴿أذان﴾ إعلام**]

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «من الله وهو مصدر واسم من قولهم: آذنتهم أي أعلمتهم، يقال أيضاً«أذين، وإذن»اهـ .

والآية المشار إليها هي قوله تعالى:**﴿وأذان من الله ورسوله إلى النّاس يوم**

الحج الأكبر﴾.

٢ - [وقال ابن عباس ﴿أُذُن﴾ يُصدّق].

ش: **قلت** أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله **﴿ومنهم الذين يؤذون النـ ٍّ ويقولـون هـو أذن﴾** يسمع من كل أحد.

وأخرج من هذا الوجه عن ابن عباس في معنى قوله **﴿يؤمن با لله ويؤمن للمؤمنين﴾** يعني يؤمن با لله ويصدق المؤمنين، فظهر بهذا أن "يصدق" تفسير ليؤمن وليس لأذن كما يفهم من صنيع المصنف رحمه ا لله حيث اختصره.

والآية المشار إليها: **﴿ومنهم الذين يؤذون النّبيّ ويقولون هـو أذن قل أذن خير لكم يؤمن با لله ويؤمن للمؤمنين﴾.**

٣ـ [﴿تطهرهـم وتزكيهـم بهـا ﴾ ونحوهـا كثـير، والزكـاة الطاعـة والإخلاص].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما عن أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾** يعني بالزكاة طاعة ا لله والإخلاص.

والآية المشار إليها: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾.**

٤ - [﴿لا يؤتون الزكاة﴾ لا يشهدون أن لا اله إلا ا لله].

ش: **قلت**: والآية المشار إليها هي قوله تعالى من سورة فصلت **﴿وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكـاة وهـم بـالآخرة هـم كـافرون﴾**. وقد ذُكر تفسيرها ههنا استشهاداً لما قبله.

وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد ما قبله.

٥ـ [﴿يضاهئون﴾ يَشَبّهون].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد ما قبله

وقال أبو عبيدة: «ومجاز المضاهات مجاز التشبيه»اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿وقالت اليهود عزير ابن ا لله وقالت النّصارى المسيح ابن ا لله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل﴾**.

١٧٤ـ حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال سمعت البراء ﷺ يقول آخر آية نزلت ﴿يستفتونك قل ا لله يفتيكم في الكلالة﴾ وآخر سورة نزلت براءة.

ش: وفي المغازي من رواية إسرائيل عن أبي إسحاق بلفظ «آخر سورة نزلت كاملة براءة وآخر سورة نزلت خاتمة سورة النّساء يستفتونك قل ا لله يفتيكم في الكلالة» وقد مضى شرح الحديث في الباب السّابع بعد المائة.

١٥٠- [باب قوله ﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين﴾].

ش: قوله **﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾** هذا أمر منه سبحانه بالسياحة بعد الإخبار بتلك البراءة، والسياحة: السّير يقال ساح فلان في الأرض يسيح سياحة وسيوحاً وسيحاناً، ومنه سيح الماء في الأرض وسيح الخيل، ومنه قول طرفة بن العبد:

لو خفت هذا منك ما نلتني حتى ترى خيلاً أمامي تسيح

ومعنى الآية أن الله سبحانه بعد أن أذن بالنبذ إلى المشركين بعهدهم أباح للمشركين الضرب في الأرض والذهاب إلى حيث يريدون والاستعداد للحرب هذه الأربعة الأشهر، وليس المراد من الأمر بالسّياحة تكليفهم بها.

قال محمد بن إسحاق وغيره: إن المشركين صنفان:

- **صنف** كانت مدة عهده أقل من أربعة أشهر فأمهل تمام أربعة أشهر.

- **والآخر** كانت أكثر من ذلك فقصر على أربعة أشهر ليرتاد لنفسه، وهو حرب بعد ذلك لله ولرسوله وللمؤمنين يقتل حيث يوجد، وابتداء هذا الأجل يوم الحج الأكبر وانقضاؤه إلى عشر من ربيع الآخر، فأما من لم يكن له عهد فإنما أجله انسلاخ الأشهر الحرم، وذلك خمسون يوماً، عشرون من ذي الحجة وشهر محرم.

وقال الكلبي: «إنما كانت الأربعة الأشهر لمن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد دون أربعة أشهر ومن كان عهده أكثر من ذلك فهو الذي أمر الله أن يتم له عهده بقوله **﴿فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم﴾** ورجح هذا ابن جرير وغيره إلى أن قال في قوله **﴿واعلموا أنكم غير معجزي الله﴾**: أي اعلموا أن هذا الإمهال ليس لعجز، ولكن لمصلحة ليتوب من تاب، وفي ذلك ضرب من التهديد كأنه قيل افعلوا في هذه المدة كل ما أمكنكم من إعداد الآلات والأدوات، فإنكم

لا تفوتون الله وهو مخزيكم أي مذلكم ومهينكم في الدّنيا بالقتل والأسر، وفي الآخرة بالعذاب، وفي وضع الظاهر موضع المضمر إشارة إلى أن سبب هذا الإخزاء هو الكفر، ويجوز أن يكون المراد جنس الكافرين فيدخل فيه المخاطبون دخولاً أولياً» ذكره الشوكاني.

قوله: [**سيحوا: سيروا**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «وأقبلوا وأدبروا، والعرب تفعل هذا قال عنترة:

شطت مزار العاشقين فأصبحت عسراً عليّ طلابك ابنة مخرم»اهـ

١٧٥ـ حدثنا سعيد بن عفير[١] قال: حدثني الليث قال حدثني عقيل[٢] عن ابن شهاب وأخبرني حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة ﷺ قال: بعثني أبو بكر في تلك الحجة، في مؤذنين بعثهم يوم النحر، يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. قال حميد بن عبد الرحمن: ثم أردف رسول الله ﷺ بعلي بن أبي طالب، وأمره أن يؤذّن ببراءة، قال أبو هريرة: فأذن معنا عليّ يوم النحر في أهل منى ببراءة، وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

ش: يأتي في الباب الذي بعده.

---

(١) هو سعيد بن كثير بن عفير الأنصاري مولاهم المصري وقد ينسب إلى جده صدوق عالم بالأنساب وغيرها من العاشرة مات سنة ست وعشرين [ومئتين]، خ م قد س.

(٢) عُقيل ـ بالضم ـ ابن خالد بن عَقيل بالفتح الإيلي أبو خالد الأموي، مولاهم، ثقة ثبت، سكن المدينة ثم الشام ثم مصر من السادسة مات سنة أربع وأربعين [ومائة] على الصحيح ع.

١٥١- [باب ﴿وأذان من الله ورسوله إلى النّاس يوم الحج الأكبر أنّ الله بريء من المشركين ورسولُه، فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم﴾].

ش: قال ابن كثير: «يقول تعالى وإعلام من الله ورسوله وتقدم وإنذار إلى النّاس ﴿**يوم الحج الأكبر**﴾ وهو يوم النّحر الذي هو أفضل أيام المناسك وأطهرها وأكبرها جميعاً ﴿**أن الله بريء من المشركين ورسوله**﴾ أي بريء منهم أيضاً، ثم دعاهم إلى التوبة إليه فقال ﴿**فإن تبتم**﴾ أي مما أنتم فيه من الشرك والضلال ﴿**فهو خير لكم وإن توليتم**﴾ أي استمررتم على ما أنتم عليه ﴿**فاعلموا أنكم غير معجزي الله**﴾ بل هو قادر عليكم وأنتم في قبضته وتحت قهره ومشيئته ﴿**وبشر الذين كفروا بعذاب أليم**﴾ أي في الدّنيا بالخزي والنّكال وفي الآخرة بالمقامع والأغلال.

من فقه الآية

أولاً: عظيم قدرة الله وعظيم سلطانه.

ثانياً: سعة رحمة الله بعباده حيث لم يعاجلهم بالعقوبة قبل إنذارهم.

ثالثاً: قبول توبة المشرك.

[**آذنهم: أعلمهم**].

ش: قال أبو عبيدة: «مجازه، وعلم من الله وهو مصدر واسم من قولهم، أذنتهم أي أعلمتهم يقال أيضاً: «اذينٌ وإذنٌ».اهـ

١٧٦- حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث حدثنا عقيل قال ابن شهاب فأخبرني حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال بعثني أبو بكر ﷺ في تلك الحجة في المؤذنين، بعثهم يوم النّحر يؤذنون بمنى، أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. قال حميد: ثم أردف النبي ﷺ بعلي بن أبي طالب، فأمره أن يؤذن ببراءة قال أبو هريرة: فأذن معنا عليّ في أهل منى يوم

النحر ببراءة وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان.

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله «**بعثني أبو بكر ﷺ في تلك الحجة**» وفي رواية يونس عن ابن شهاب عن حميد «أن أبا بكر - رضي الله عنه - بعثه في الحجة التي أمّره عليها رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع»

قلت: وكانت تلك الحجة سنة تسع.

الثانية: قوله «**في المؤذنين، بعثهم يوم النّحر**» في رواية ابن أخي الزهري عن عمّه في باب ما يستر من العورة في كتاب الصلاة «في مؤذنين يوم النّحر» أي في جماعة مؤذنين.

الثالثة: قوله «**يؤذنون بمنى**» أي ينادون في النّاس ويعلمونهم بما أمر الله به من إعلامهم بالآيات من سورة براءة ومن ذلك «أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان»

وروى ابن اسحاق من طريق حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبي جعفر محمد بن علي رضوان الله عليه أنه قال: «لما نزلت براءة على رسول الله ﷺ وقد كان بعث أبا بكر الصديق ليقيم للنّاس الحج قيل له يا رسول الله لو بعثت بها إلى أبي بكر، فقال لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي، ثم دعا عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال له: أخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن في النّاس يوم النّحر إذا اجتمعوا بمنى؛ أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته، فخرج عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، على ناقة رسول الله ﷺ العضباء، حتى أدرك أبا بكر بالطّريق فلما رآه أبو بكر بالطّريق قال: أأمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم مضيا».

قلت: فالجمع بين هذين الخبرين أن المبلغ بسورة براءة هو عليّ رضي الله

عنه وأن أبا هريرة ومن معه بعثهم أبو بكر بوصفه أميراً على الحج معاونين لعليّ في التبليغ.

الرّابعة: قوله «**قال حميد: ثم أردف النبي ﷺ بعليّ بن أبي طالب، فأمره أن يؤذن ببراءة**» قلت: هذا مرسل لأن حميد رحمه الله تابعي ولم يصرح بسماعه لكن ثبت بعث الرسول ﷺ علياً في تلك الحجة للنّاس بسورة براءة، من عدة طرق.

قال الطبري: «حدثنا أحمد بن إسحاق قال: ثنا أبو أحمد قال: ثنا قيس عن مغيرة عن الشعبي قال: ثني محرر بن أبي هريرة عن أبي هريرة ﷺ قال: كنت مع عليّ رضي الله عنه حين بعثه النبي ﷺ ينادي فكان إذا صحل صوته ناديت»

وقال ابن جرير أيضاً: «حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا عفان قال: ثنا قيس بن الربيع قال: ثنا الشيباني عن الشعبي قال: أخبرنا المحرر بن أبي هريرة عن أبيه قال: كنت مع عليّ رضي الله عنه» فذكر نحوه.

قال مقيده: وينضاف إلى هذين الطريقين رواية ابن إسحاق المتقدمة في المسألة الثالثة.

الخامسة: قوله «فأذن معنا عليّ في أهل منى يوم النّحر ببراءة وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان» فيه دليل على أن المراد بيوم الحج الأكبر في الآية هو يوم النّحر خلافاً لمن فسره بيوم عرفة.

١٥٢- [باب ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين﴾.]

ش: تمامها ﴿**ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إنّ ا لله يحب المتقين**﴾. هذا استثناء من ضرب مدة التأجيل بأربعة أشهر لمن له عهد مطلق، ليس بمؤقت، فأجله أربعة أشهر، يسيح في الأرض يذهب فيها لينجو بنفسه حيث شاء، إلاّ من له عهد مؤقت فأجله إلى مدته المضروبة التي عوهد عليها ... ومن كان له عهد مع رسول ا لله ﷺ فعهده إلى مدته وذلك بشرط أن لا ينقض المعاهد عهده و لم يظاهر على المسلمين أحداً أي يمالىء عليهم من سواهم فهذا الذي يوفى له بذمته وعهده إلى مدته، ولهذا حرض تعالى على الوفاء بذلك فقال ﴿**إنّ ا لله يحب المتقين**﴾ أي الموفين بعهدهم.اهـ من ابن كثير بتصرف.

من فقه الآية:

أولاً: وجوب الوفاء لذي العهد من المشركين بعهده، وإن كانت مدته أكثر من أربعة أشهر.

ثانياً: لا وفاء لمن نقض عهده من المشركين أو ظاهر على المسلمين.

ثالثاً: إنّ الوفاء بالعهد من أعمال المتقين التي يحبها ا لله.

١٧٧- حدثنا إسحاق، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبي[1] عن صالح، عن ابن شهاب أن حميد بن عبد الرحمن أخبره أن أبا هريرة أخبره أنّ أبا بكر ﷺ بعثه في الحجة التي أمّره رسول ا لله ﷺ عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذن في النّاس، أن لا يحجن بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، فكان حميد يقول: يوم النّحر يوم الحج الأكبر، من أجل حديث أبي هريرة.

(١) يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري أبو يوسف المدني، نزيل بغداد، ثقة فاضل، من صغار التاسعة مات سنة ثمان ومائتين ع.

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «في رهط»

قلت: فيه دليل على أن المؤذنين كانوا ذوي عدد وقد سبق من رواية ابن أخي الزهري عن عمه «في مؤذنين يوم النّحر» ولم أقف على تسمية أولئك، والرهط: هم عشيرة الرجل وأهله، والرّهط من الرّجال: ما دون العشرة، وقيل إلى الأربعين ولا تكون فيهم امرأة، ولا واحد له من لفظه، ويجمع على أرهط وأرهاط، وأراهط جمع الجمع. قاله ابن الأثير.

الثانية: قوله «فكان حميد يقول: يوم النّحر يوم الحج الأكبر من أجل حديث أبي هريرة»

قلت: وبه قال عليّ وعبد الله بن أبي أوفى وعبد الله بن شدّاد ونافع بن حبيب وإبراهيم النّخعي والشّعبي ومحمد بن عليّ والمغيرة بن شعبة وابن عمر وهو قول ابن عباس ومجاهد في الرّواية الثانية عنهما، ويرجحه أمران:

أحدهما: أنه قول الأكثرين من أهل العلم كما يظهر ذلك من حكاية ابن جرير.

وثانيهما: مناداة عليّ وأبي هريرة في النّاس بسورة براءة يوم النّحر وقد مضى الحديث في البابين قبل هذا، وغرض المصنف من إيراده لبيان أنّ هذه الآية مما أُمر عليّ بإعلام النّاس به في الموسم.

١٥٣- [باب ﴿**فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم**﴾]

ش: قلت الآية ﴿**وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون**﴾.

((يقول تعالى ((وإن نكث)) هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم على مدة معينة أيمانهم أي عهودهم ومواثيقهم، ﴿**وطعنوا في دينكم**﴾ أي عابوه وانتقصوه، ومن ههنا أخذ قتل من سب الرسول صلوات الله وسلامه عليه،أومن طعن في دين الإسلام أو ذكره بنقص ولهذا قال ﴿**فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون**﴾ أي يرجعون عمّا هم فيه من الكفر والعناد والضلال)).قاله ابن كثير.

من فقه الآية

أولاً: الحذر من تنقص دين الإسلام أو الطعن فيه أو السّخرية به وأنّ ذلك كفر وردّة.

ثانياً: وجوب الموالاة في الله والمعاداة فيه.

١٧٨- حدثنا محمد بن المثنى حدثنا يحيى حدثنا اسماعيل حدثنا زيد ابن وهب[1] قال: ((كنّا عند حذيفة فقال: ما بقي من أصحاب هذه الآية إلا ثلاثة، ولا من المنافقين إلا أربعة، فقال أعرابي: إنّكم أصحاب محمد ﷺ تخبروننا فلا ندري، فما بال هؤلاء الذين يبقرون بيوتنا ويسرقون أعلاقنا؟ قال: أولئك الفسّاق، أجل لم يبقى منهم إلا أربعة، أحدهم شيخ كبير، لو شرب الماء البارد لما وجد برده.)).

ش: فيه إحدى عشرة مسألة:

---

(١)زيد بن وهب هو أبو سليمان زيد بن وهب الجهني الكوفي مخضرم ثقة جليل لم يصب من قال في حديثه خلل، مات بعد الثمانين وقيل سنة ست وتسعين ع.

الأولى: قوله «**ما بقي من أصحاب هذه الآية إلا ثلاثة**».

هكذا وقع مبهماً ووقع عند الإسماعيلي من رواية ابن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد بلفظ «ما بقي من المنافقين من أهل هذه الآية ﴿**لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء**﴾ الآية إلا أربعة نفر، إنّ أحدهم لشيخ كبير».

قال الإسماعيلي: «إن كانت الآية ما ذكر في خبر ابن عيينة فحق هذا الحديث أن يخرّج في سورة الممتحنة» انتهى .

وقد وافق البخاري على إخراجها عند آية براءة النّسائي وابن مردويه. فأخرجاه من طرق عن إسماعيل وليس عند أحد منهم تعيين الآية، وانفرد ابن عيينة بتعيينها، إلا أنّ عند الإسماعيلي من رواية خالد الطحان عن إسماعيل في آخر الحديث «قال إسماعيل: يعني الذين كاتبوا المشركين» وهذا يقوي رواية ابن عيينة» قاله الحافظ.

الثانية: قوله «**إلا ثلاثة**».

سمى ابن جرير عند تفسير الآية، منهم في رواية ابي بشر عن مجاهد، أبا سفيان بن حرب.

وفي رواية معمر عن قتادة، أبا جهل بن هشام، وعتبة ابن ربيعة، وأبا سفيان، وسهيل بن عمرو.

قلت: وهذا غريب، لإنّ أبا جهل، وعتبة قتلا ببدر، وإنما ينطبق التفسير على من نزلت الآية المذكورة وهو حي، فيصح في أبي سفيان، وسهيل بن عمرو، وقد أسلما جميعاً، فنجاهما الله من الكفر، وبقي عموم الآية فيمن غلبت عليه الشّقوة واستحب العمى على الهدى.

الثالثة: قوله: «**ولا من المنافقين إلا أربعة**» لم نقف لهم على تسمية.

الرابعة: قوله «**فقال أعرابيّ**» لم أجد له تسمية.

الخامسة: قوله «**إنّكم أصحاب محمد ﷺ**» بنصب أصحاب على النّداء مع

حذف الأداة وهو بدل من الضمير في أنّكم، أو بفعل محذوف تقديره أعني والأصحاب جمع صاحب وهو في اللغة المعاشر وفي الإصطلاح: كل من لقي النبيّ ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك.

السّادسة: «**تخبروننا فلا ندري**» كذا وقع والمعنى تخبروننا بأشياء لا نعرف معناها.

السّابعة: قوله «**فما بال هؤلاء الذين يقرون بيوتنا**» بموحدة ثم قاف أي يثقبون

قال الخطابي: «وأكثر ما يكون النّقر في الخشب والصّخور يعني بالنّون».

الثّامنة: قوله «**أعلاقنا**» بالعين المهملة والقاف أي نفائس أموالنا.

قال الحافظ: «وقال ابن التين: «وجدته في بعض الروايات مضبوطاً بالغين المعجمة ولا وجه له» انتهى ووجد في نسخة الدمياطي بخطه بالغين المعجمة أيضاً ذكره شيخنا ابن الملقن. ويمكن توجيهه بأنّ الأغلاق جمع غلق بفتحتين وهو الباب الذي يغلق على البيت ويفتح بالمفتاح، ويطلق الغلق على الحديدة التي تجعل في الباب ويعمل فيها القفل فيكون قوله «ويسرقوا أغلاقنا» إمّا على الحقيقة، فإنه إذا تمكن من سرقة الغلق توصل إلى فتح الباب، أوفيه مجاز الحذف، أي يسرقون ما في أغلاقنا». حكاه في الفتح.

التّاسعة: قوله «**أولئك الفساق أجل**». أي الذين يقرون ويسرقون لا الكفار ولا المنافقون وفي هذا تصريح بأنهم مسلمون وذلك لما تقرر عند أصحاب النّبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان من عدم تكفير صاحب الكبيرة ما لم يستحلها خلافاً للخوارج.

العاشرة: قوله «**أحدهم شيخ كبير**» لم أقف على إسمه.

الحادية عشرة: قوله «**لو شرب الماء البارد لما وجد برده**». أي لذهاب شهوته وفساد معدته، فلا يفرق بين الألوان ولا الطّعوم وهذا هو منتهى الخَرَف

وسوء الحال.

تنبيه:

أخرج ابن جرير من طريق حبيب بن حسان عن زيد بن وهب قال: كنت عند حذيفة فقرأ هذه الآية ﴿**فقاتلوا أئمة الكفر**﴾ فقال ما قوتل أهل هذه الآية بعد.

وأخرج عن الأعمش عن زيد بن وهب نحوه.

قال مقيده: ومراد حذيفة ﷺ بقوله «ما قوتل أهل هذه الآية بعد» أنّ قتالهم لم يقع لعدم وقوع الشّرط وهو المعني بقوله ﴿**وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر**﴾ فلما لم يقع منهم نكث للأيمان ولا طعن في الدّين لم يقاتلوا وهذا دليل على أنّ الإسلام يجب ما قبله من الذّنوب وإن كان أصحابها أئمة في الكفر.

١٥٤- [باب قوله ﴿**والذين يكنزون الذّهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم**﴾].

ش: قلت الآية ﴿**يا أيها الذين ءامنوا إنّ كثيراً من الأحبار والرّهبان ليأكلون أموال النّاس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذّهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم**﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، وأقروا بوحدانية ربهم، إنّ كثيراً من العلماء والقرّاء من بني إسرائيل من اليهود والنّصارى، ﴿**ليأكلون أموال النّاس بالباطل**﴾ يقول: يأخذون الرشا في أحكامهم، ويحرفون كتاب الله، ويكتبون بأيديهم كتباً، ثم يقولون هذه من عند الله، ويأخذون بها ثمناً قليلاً من سفلتهم ﴿**ويصدون عن سبيل الله**﴾ يقول: ويمنعون من أراد الدّخول في الإسلام الدّخول فيه إلى أن قال: يقول تعالى ذكره ﴿**إنّ كثيراً من الأحبار والرّهبان ليأكلون أموال النّاس بالباطل**﴾ ويأكلها أيضاً معهم ﴿**الذين يكنزون الذّهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم**﴾ يقول: بشر الكثير من الأحبار والرّهبان الذين يأكلون أموال النّاس بالباطل، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، بعذاب أليم لهم يوم القيامة، موجع من الله.

من فقه الآية:

أولاً: التحذير من مسلك الأحبار والرّهبان في أكل أموال النّاس بالباطل والصّد عن سبيل الله.

ثانياً: تحريم إكتناز الذهب والفضة منعاً من الإنفاق في سبيل الله

١٧٩- حدثنا الحكم بن نافع أخبرنا شعيب[1] حدثنا أبو الزّناد أنّ عبد الرحمن الأعرج حدثه أنّه قال: حدثني أبو هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: يكون كنز أحدكم يوم القيامة شجاعاً أقرع.

١٨٠- حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جرير عن حصين عن زيد بن وهب قال: مررت على أبي ذر بالرّبذة فقلت: ما أنزلك بهذه الأرض؟ قال كنّا بالشّام فقرأت ﴿والذين يكنزون الذّهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾ قال معاوية: ما هذه فينا ما هذه إلا في أهل الكتاب قال قلت: إنّها لفينا وفيهم.

ش: فيهما ثمان مسائل :

الأولى : قوله «**يكون كنز أحدكم يوم القيامة شجاعاً أقرع**» مضى مطولاً في تفسير سورة آل عمران برقم ستة وثمانين واستوفينا الكلام عليه هناك شرحاً.

ونرى من المناسب هاهنا إتماماً للمقصود من الترجمة ذكر مذاهب أهل العلم في هذا الكنز الذي توعد الله عليه وهي ثلاثة أقوال:

الأول: أنّه كل مال وجبت فيه الزّكاة فلم تؤد زكاته وهو قول ابن عمر وعكرمة والسّدي والشّعبي.

الثّاني: أنّه كل مال زاد على أربعة آلاف درهم أديت زكاته أم لم تؤد وهذا هو قول عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

الثالث: أنّه كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه إليه وهو قول أبي ذر حكى هذه الأقوال الثّلاثة ابن جرير واختار الأول، ويدل على صوابه

---

(١) شعيب هو أبو بشر شعيب بن أبي حمزة الأموي مولاهم، واسم أبيه دينار الحمصي ثقة عابد من أثبت النّاس في الزهري، من السّابعة مات سنة إثنتين وستين [ومائة] أو بعدها ع.

ورجحانه قوله ﷺ في الطّرف المتقدم من حديث أبـي هريـرة هـذا «مـن آتـاه ا لله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له ماله شجاع أقرع ... إلى أن قال ثـم تـلا هـذه الآيـة» الحديث.

الثانية : قوله : «**مررت على أبي ذر بالربذة**» أخرجه المصنف في بـاب مـا أُدي زكاته فليس بكنز من كتاب الزّكاة مطولاً ولفظه عن زيد بـن وهـب قـال: «مررت بالربذة فإذا أنـا بـأبي ذر ﷺ فقلـت لـه: مـا أنزلـك مـنزلك هـذا؟ ...» الحديث . وفيه قال «فكتب إلى عثمان أن أقدم المدينة، فقدمتها، فكثر علي الناس حتى كـأنهم لم يـرون قبـل ذلـك فذكـرت ذلـك لعثمـان ، فقـال لي: إن شـئت تنحيت فكنت قريباً فذاك الذي أنزلني هذا المنزل» .فبان بهذا النقل سـبب اختيـار أبي ذر ـ رضي ا لله عنه ـ الربذة.

الثالثة : قوله «**بالرّبذة**» بفتح الرّاء والموحدة والمعجمـة مكـان معـروف بـين مكة والمدينة وقال في المعجم «والرّبذة من قرى المدينة على ثلاثـة أيـام قريبـة مـن ذات عرق علي طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة».

الرابعة: قوله «**ما أنزلك بهـذه الأرض**» يعـني أي شـيء حملـك علـى تـرك المدن وألجأك إلى النّزول في هذه القرية النّائية بعيداً عن النّاس.

الخامسة : قوله «كنّا بالشّام» يعني بدمشق وكان معاويـة ﷺ إذ ذاك عـامل أمير المؤمنين عثمان ﷺ عليها، وقد بين السّبب في سكناه الشّـام مـا أخرجـه أبـو يعلى من طريق أخرى عن زيد بن وهب حدثني أبو ذر قال: قـال لي رسـول ا لله ﷺ: إذا بلغ البناء ـ أي بالمدينة ــ سـلعاً فـارتحل إلى الشّـام فلمـا بلـغ البنـاء سـلعاً قدمت الشّام فسكنت بها.

السادسة: قولـه «**فقـرأت والذيـن يكـنزون الذّهـب والفضـة إلى قولـه إن شئت تنحيت**» هذا بيان سبب إختياره ﷺ الإنعزال عن النّاس بـالرّبذة وفيـه رد على من كان يشنع على عثمان وأنه نفى أبا ذر من المدينة.

السابعة: قوله «**قال معاوية ما هذه فينا**» يعني آية براءة ﴿**والذين يكنزون الذّهب والفضة**﴾ ومستنده ﷺ قوله تعالى في أول الآية ﴿**يا أيها الذين ءامنوا إنّ كثيراً من الأحبار والرّهبان ليأكلون أموال النّاس بالبّاطل ويصدون عن سبيل الله**﴾.

الثامنة: قوله «**قلت إنّها لفينا وفيهم**» قلت وهذا فهم صحيح واستدلال سديد لأنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السّبب ولفظ الآية عام في التحذير من اكتناز الذّهب والفضة وعدم إنفاقها في سبيل الله.

من فقه هذا الخبر:

أولاً: أنّ الكفار مخاطبون بفروع الشريعة لإتفاق أبي ذر ومعاوية أنّ الآية نزلت في أهل الكتاب.

ثانياً: أنّ ما ذم الله عليه أهل الكتاب ذمٌ لهذه الأمة إذا سلكوا مسلكهم.

ثالثاً: ملاطفة الأئمة للعلماء فإنّ معاوية لم يجسر على الإنكار على أبي ذر حتى كاتب من هو أعلى منه في أمره. وعثمان لم يحنق على أبي ذر مع كونه كان مخالفاً له في تأويله.

رابعاً: التحذير من الشّقاق والخروج على الأئمة.

خامساً: الترغيب في الطّاعة لأولي الأمر.

سادساً: جواز الخلاف في المسائل الإجتهادية.

سابعاً: تقديم دفع المفسدة على جلب المصلحة لأنّ في بقاء أبي ذر بالمدينة مصلحة كبيرة من بث علمه في طالب العلم، ومع ذلك فرجح عند عثمان دفع ما يتوقع من المفسدة من الأخذ بمذهبه الشديد في هذه المسألة و لم يأمره بعد ذلك بالرّجوع عنه لأنّ كلاً منهما كان مجتهداً. انتهى من الفتح باختصار وتصرف

١٥٥- باب قوله ﴿يوم يحمى عليها في نار جهنّم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾

ش: «أي يقال لهم هذا الكلام تبكيتاً وتقريعاً وتهكماً كما في قوله **﴿ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق إنّك أنت العزيز الكريم﴾** أي هذا بذاك وهذا الذي كنتم تكنزون لأنفسكم، ولهذا يقال من أحب شيئاً وقدمه على طاعة الله عذب به وهؤلاء لمّا كان جمع هذه الأموال آثر عندهم من رضا الله عنهم عذبوا بها كما كان أبو لهب لعنه الله جاهراً في عداوة رسول الله ﷺ وامرأته تعينه في ذلك كانت يوم القيامة عوناً على عذابه أيضاً في جيدها أي عنقها حبل من مسد أي تجمع من الحطب في النّار وتلقي عليه ليكون ذلك أبلغ في عذابه ممن هو أشفق عليه في الدّنيا، كما أنّ هذه الأموال لما كانت أعز الأموال على أربابها كانت أضر الأشياء عليهم في الدّار الآخرة فيحمى عليها في نار جهنم وناهيك بحرها فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم» انتهى محل الغرض من تفسير ابن كثير رحمه الله.

١٨١- وقال أحمد بن شبيب بن سعيد[١] حدثنا أبي[٢] عن يونس عن ابن شهاب عن خالد بن أسلم[٣] قال: خرجنا مع عبد الله بن عمر فقال: هذا قبل أن تنزل الزّكاة، فلما أنزلت جعلها الله طهراً للأموال.

---

(١) أحمد هو أبو عبد الله أحمد بن شبيب بن سعيد الحَبَطي البصري صدوق من العاشرة مات سنة تسع وعشرين [ومائتين] خ خد س.

(٢) هو أبو سعيد شبيب بن سعيد التميمي الحَبَطي البصري لا باس بحديثه من رواية إبنه إحمد عنه لا من رواية ابن وهب، من صغار الثامنة مات سنة ست وثمانين [ومائة] خ خد س.

(٣) خالد بن أسلم القرشي العروي أخو زيد بن أسلم مولى عمر، صدوق من الخامسة. خ خد ق.

ش: قوله «**وقال أحمد بن شبيب**» كذا للأكثر وفي رواية أبي ذر حدثنا أحمد وقد وصله أبو داود في كتاب النّاسخ والمنسوخ عن محمد بن يحيى وهو الذهلي عن أحمد بن شبيب بإسناده، ووقع لنا بعلو في جزء الذهلي وسياقه اتم مما في البخاري وزاد فيه سؤال الأعرابي أترث العمة؟ قال ابن عمر: لا أدري فلما أدبر قبّل ابن عمر يده ثم قال: نعم ما قال أبو عبد الرحمن - يعني نفسه - سئل عما لا يدري فقال: لا أدري، وزاد في آخره بعد قوله طهرة للأموال ثم التفت إليّ فقال: ما أبالي لو كان لي مثل أحد ذهباً أعلم عدده أزكيه وأعمل فيه بطاعة ا لله تعالى وهو عند ابن ماجة من طريق عقيل عن الزّهري.قاله الحافظ.

قلت وفي الحديث ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**هذا قبل أن تنزل الزّكاة**» يعني أنّ الوعيد على الإكتناز في الآية وهو حبس ما فضل على الحاجة عن المواساة به، كان في أول الإسلام ثم نسخ ذلك بفرض الزّكاة.

الثّانية: قوله «**فلما أنزلت**» يعني فرضية الزّكاة.

الثّالثة: قوله «**جعلها الله طهراً للأموال**» يعني فيكتفى بها فلا يجب سواها من الصّدقات.

١٥٦- [باب قوله: ﴿**إنّ عدة الشّهور عند الله إثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السّموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدّين القيم**﴾].

ش: تمامها: ﴿**فلا تظلموا فيهنّ أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أنّ الله مع المتقين**﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره ﴿**إنّ عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهراً في كتاب الله**﴾ الذي كتب فيه كل ما هو كائن في قضائه الذي قضى ﴿**يوم خلق السّموات والأرض منها أربعة حرم**﴾ يقول هذه الشّهور الإثنا عشر، منها أربعة أشهر حرم كانت الجاهلية تعظمهنّ وتحرمهنّ، وتحرم القتال فيهنّ، حتى لو لقي الرّجل منهم فيهنّ قاتل أبيه لم يهيجه وهنّ: رجب مضر وثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم وبذلك تضاهرت الأخبار عن رسول ا لله ﷺ ... إلى أن قال: وأمّا قوله ﴿**ذلك الدّين القيم**﴾ فإنّ معناه: هذا الذي أخبرتكم به من أنّ عدة الشّهور عند ا لله إثنا عشر شهراً في كتاب ا لله، وأنّ منها أربعة حرماً، هو الدّين المستقيم، إلى أن قال وأمّا قوله ﴿**فلا تظلموا فيهنّ أنفسكم**﴾ فإنّ معناه: فلا تعصوا ا لله فيها ولا تحلوا فيهنّ ما حرم ا لله عليكم، فتكسبوا أنفسكم ما لا قبل لها به من سخط ا لله وعقابه.

وقوله ﴿**وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة**﴾ فإنّه يقول جل ثناؤه: وقاتلوا المشركين با لله أيها المؤمنون جميعاً غير مختلفين مؤتلفين غير متفرقين، كما يقاتلكم المشركون جميعاً، مجتمعين غير متفرقين.

وقوله ﴿**واعلموا أنّ الله مع المتقين**﴾ فإنّ معناه: واعلموا أيها المؤمنون با لله أنّكم إن قاتلتم المشركين كافة، واتقيتم ا لله فأطعتموه فيما أمركم ونهاكم، ولم تخالفوا أمره فتعصوه، كان ا لله معكم على عدوكم وعدوه من المشركين، ومن كان ا لله معه لم يغلبه شيء، لأنّ ا لله مع من اتقاه فخافه واطاعه فيما كلفه من أمره ونهيه».

من فقه الآية:

أولاً: النص الصريح على أنّ عـدة أشـهر العـام مقـررة في كتـاب الله وهـو اللوح المحفوظ.

ثانياً: تعظيم الأربعة الأشهر الحرم.

ثالثاً: الأمر باجتماع الكلمة في مواجهة المشركين وقتالهم.

رابعاً: إثبات صفة المعية لله جل وعلا.

[القيم هو القائم]

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: أي المستقيم خرج مخرج سيد وهو من ساد يسـود بمنزلة قام يقوم.

١٨٢ـ حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب[1] حدثنا حماد بن زيد عـن أيـوب عن محمد عن ابن أبي بكرة[2] عن أبي بكرة[3] عن النبي ﷺ قـال: إنّ الزّمـان قد إستدار كهيئته يوم خلـق الله السّـموات والأرض السّـنة إثنـا عشـر شـهراً، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضـر الذي بين جمادى وشعبان.

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «**إنّ الزّمان**» الزّمـان والزّمـن اسـم للوقـت قليـ ـً كالسّـاعة أو

---

(١)هو أبو محمد عبد الله بن عبد الوهاب الحجبي البصري، ثقة من العاشرة مات سنة ثمـان وعشرين [ومائتين] وقيل سنة سبع. خ. س.

(٢)هو عبد الرحمن بن أبي بكرة: نفيع بن الحارث الثقفي البصـري ثقـة مـن الثّانيـة، مـات سنة ست وتسعين ع.

(٣)هو نفيع بن الحارث بن كَلَدَة ابن عمـرو الثقفـي صحـابي مشـهور بكنيتـه وقيـل اسمـه مسـروح، اسـلم بالطـائف ثـم نـزل البصـرة، ومـات بهـا سـنة إحـدى أو إثنتـين وخمسين(ع).

كثيراً كالسّنة ويطلق على ما هو أعم من ذلك كقول الصّحابي «كنّا في زمن رسول الله ﷺ نفعل كذا كذا».

الثّانية: قوله «**استدار**» أي عاد ورجع.

الثّالثة: قوله «**كهيئته**» الهيئة الحالة والكاف بمعنى مثل صفة لمصدر محذوف تقديره استدارة والمعنى إنّ الزّمان قد استدار استدارة إلى حالته التي كان عليها يوم خلق الله السموات والأرض.

الرّابعة: قوله «**السّنة اثنا عشر شهراً**» أي السّنة العربية الهلالية وقد اتفق المسلمون في عهد عمر على أن يكون أول السّنة شهر محرم وآخرها ذو الحجة وهذه الجملة أعني قوله «**السّنة إثنا عشر شهراً**» بيان لقوله تعالى ﴿**إنّ عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهراً**﴾.

وأخرج ابن جرير في تفسير قوله تعالى ﴿**إنّما النسيء زيادة في الكفر**﴾ قال: حدثنا ابن وكيع ثنا عمران بن عيينة عن حصين عن أبي مالك ﴿**إنّما النّسيء زيادة في الكفر**﴾ قال كانوا يجعلون السّنة ثلاثة عشر شهراً، فيجعلون المحرّم صفراً، فيستحلون فيه الحرمات، فأنزل الله ﴿**إنّما النّسيء زيادة في الكفر**﴾ قلت فالحديث والآية إبطال لما كان يزعمه القوم في الجاهلية.

الخامسة: قوله «**أربعة حرم**» يعني محترمة ويحرم فيها القتال.

السّادسة: قوله «**ثلاث متواليات**» يعني متتابعات وهو شروع في تفسير للأربعة الحرم، وفيه إشارة إلى إبطال ما كانو يفعلونه في الجاهلية من تأخير بعض الأشهر الحرم فقيل كانوا يجعلون المحرم صفراً ويجعلون صفراً المحرم لئلا يتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا يتعاطون فيها القتال فلذلك قال «متواليات» وكانوا في الجاهلية على أنحاء منهم من يسمي المحرم صفراً فيحل فيه القتال، ويحرم القتال في صفر ويسميه المحرم ومنهم من كان يجعل ذلك سنة هكذا وسنة هكذا، ومنهم من يجعله سنتين هكذا وسنتين هكذا، ومنهم من يؤخر صفراً إلى ربيع الأول

وربيعاً إلى ما يليه وهكذا إلى أن يصير شوال ذا القعدة وذو القعدة ذا الحجـة، ثـم يعود فيعيد العدد على الأصل.

السّابعة: قوله «**ذو القعدة وذوالحجة والمحرم**» بيان للثلاثة المتواليات.

الثّامنة: قوله «ورجب مضر» أضافه إليهم لأنّهم كـانوا متمسـكين بتعظيمـه بخلاف غيرهم فيقال إنّ ربيعة كانوا يجعلون بدله رمضان وكـان مـن العـرب مـن يجعل رجب وشعبان ما ذكر في المحـرم وصفـر فيحلـون رجبـاً ويحرمـون شـعبان، ووصفه بقوله بين جمادى وشعبان تأكيداً، وكان أهـل الجاهليـة قـد نسـئوا بعـض الأشهر الحرم أي أخروها، فيحلون شهراً حراماً ويحرمون مكانه آخر بدلـه حتـى رفض تخصيص الأربعة بالتّحريم أحياناً ووقع تحريم الأربعة مطلقاً من السّنة وهـذا التلاعب بالأشهر الحرم وتحريفها قد ذم الله عليه بقوله ﴿**إنّما النّسـيء زيادة في الكفر**﴾.

١٥٧- [**باب قوله: ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا﴾**].

ش: قلت الآية **﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ إخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا فأنزل سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السّفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾**.

هذا إعلام من الله أصحاب رسول الله ﷺ أنه المتوكل بنصر رسوله على أعداء دينه وإظهاره عليهم دونهم، أعانوه أو لم يعينوه، وتذكير منه لهم فعل ذلك به وهو من العدد في قلة والعدو في كثرة، فكيف به وهو من العدد بكثرة والعدو في قلة.

وقوله **﴿إذ هما في الغار﴾** يقول إذ رسول الله ﷺ وأبو بكر رحمة الله عليه في الغار، والغار الثقب العظيم يكون في الجبل **﴿إذ يقول لصاحبه﴾** يقول إذ يقول رسول الله ﷺ لصاحبه أبي بكر لاتحزن وذلك أنه خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهما، فجزع من ذلك فقال له رسول الله ﷺ لا تحزن لأنّ الله معنا، والله ناصرنا فلن يعلم المشركون بنا ولن يصلوا إلينا يقول جل ثناؤه فقد نصره الله على عدوه وهو بهذه الحال من الخوف وقلة العدد فكيف يخذله ويحوجه إليكم وقد كثر الله أنصاره وعدد جنوده.

وقوله **﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾** أي تأييده ونصره عليه أي على الرسول ﷺ في أشهر القولين وقيل على أبي بكر وروي عن ابن عباس وغيره قالوا: لأنّ الرسول ﷺ لم تزل معه سكينة وهذا لا ينافي في تجدد سكينة خاصة بتلك الحال ولهذا قال **﴿وأيده بجنود لم تروها﴾** أي الملائكة **﴿وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا﴾** قال ابن عباس: يعني بكلمة الذين كفروا الشرك وكلمة الله هي لا إله إلا الله.

وقوله ﴿والله عزيز﴾ أي في انتقامه وانتصاره، منيع الجناب لا يضام من لاذ ببابه واحتمى بالتّمسك بخطابه ﴿حكيم﴾ في أقواله وأفعاله.

من فقه الآية:

أولاً: إمتنان الله على أهل الإسلام بتنجية رسوله من المشركين.

ثانياً: في تنجية الله رسوله من أهل الشرك مع كثرتهم دليل على أنه لا يجوز الإغترار بالكثرة ولا الزهد في القلة.

ثالثاً: فضيلة أبي بكر ﷺ إذ نوه الله عنه ها هنا باسم الصحبة وفي هذا إشارة إلى إمامته للأمة بعد نبيها ﷺ.

رابعاً: إثبات صفة المعية لله وهي ها هنا معية خاصة.

خامساً: في تنجية الله نبيه وصاحبه وهما في قلة حفظ لدين الله وإعزاز له.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [«إنّ الله معنا» أي ناصرنا].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وحافظنا.

٢ - [«السَّكينَة» فَعِيلَة من السّكون].

ش: قاله أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى ﴿**ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها**﴾ الآية.وزاد قال غريف الكليني:

لله قبر غالها ماذا يجن   لقد أجن سكينة ووقارا

١٨٣- حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا حيان[١] حدثنا همام[٢] حدثنا

---

(١) هو أبو حبيب حيان بن هلال البصري ثقة ثبت من التّاسعة مات سنة ست عشرة ومائتين ع.

(٢) هو أبو عبد الله همام بن يحيى بن دينار العوذي البصري ثقة ربما وهم من السّابعة مات سنة أربع - أو خمس - وستين ومائة.ع.

ثابت حدثنا أنس قال حدثني أبو بكر(١) ﷺ قال: كنت مع النبي ﷺ في الغار فرأيت آثار المشركين قلت: يا رسول الله لو أنّ أحدهم رفع قدمه رآنا قال: ما ظنك باثنين الله ثالثهما.

١٨٤- حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا ابن عيينة عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه قال حين وقع بينه وبين ابن الزّبير. قلت: أبوه الزّبير وأمّه أسماء وخالته عائشة وجده أبو بكر وجدته صفية فقلت لسفيان: إسناده؟ فقال:حدثنا فشغله إنسان ولم يقل ابن جريج.

١٨٥- حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثني يحيى بن معين حدثنا حجاج قال ابن جريج قال ابن أبي مليكة وكان بينهما شيء فغدوت على ابن عباس فقلت أتريد أن تقاتل ابن الزّبير فتحل حرم الله؟ فقال: معاذ الله إنّ الله كتب ابن الزّبير وبني أمية محلين وإنّي والله لا أحله أبداً قال: قال النّاس بايع لابن الزّبير فقلت: وأين بهذا الأمر عنه أما أبوه فحواري النّبي ﷺ يريد الزّبير وأما جده فصاحب الغار يريد أبا بكر وأما أمه فذات النّطاق يريد أسماء وأما خالته فأم المؤمنين يريد عائشة وأما عمته فزوج النّبي ﷺ يريد خديجة وأما عمة النّبي ﷺ فجدته يريد صفية ثم عفيف في الإسلام قارىء للقرآن والله إن وصلوني وصلوني من قريب وإن ربوني ربني أكفاء كرام فأثر التويتات والأسامات والحميدات يريد أبطناً من بني أسد بني تويت وبني أسامة وبني أسد إنّ ابن أبي العاص برز يمشي القدمية يعني عبد الملك بن مروان وإنّه لوى ذنبه يعني ابن الزّبير.

---

(١)هو الصّديق الأكبر عبد الله بن عثمان بن عامر التيمي بن أبي قحافة خليفة رسول الله ﷺ مات في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة ع.

١٨٦ـ حدثنا محمد بن عبيد بن ميمون[١] حدثنا عيسى بن يونس عن عمر[٢] بن سعيد قال أخبرني ابن أبي مليكة دخلنا على ابن عباس فقال: ألا تعجبون لابن الزّبير قام في أمره هذا فقلت: لأحاسبنّ نفسي له ما حاسبتها لأبي بكر ولا لعمر وهما كانا أولى بكل خير منه وقلت: ابن عمة النّبي ﷺ وابن الزّبير وابن أبي بكر وابن أخي خديجة وابن أخت عائشة فإذا هو يتعلّى عني ولا يريد ذلك فقلت: ما كنت أظنّ أنّي أعرض هذا من نفسي فيدعه وما أراه يريد خيراً وإن كان لا بد لأنّه يربُني بنو عمي أحب إلي من أن يربني غيرهم.

ش: فيها ست وثلاثون مسألة:

الأولى: قوله «**كنت مع النبي ﷺ في الغار**» قلت المراد بالغار هو غار ثور كما ذكره ابن إسحاق وغيره من المؤرخين.

الثّانية: قوله «**فرأيت آثار المشركين**» قلت الآثار جمع أثر وهو موطىء أقدام القوم في الأرض وفي رواية موسى بن إسماعيل في الهجرة باب هجرة النّبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة «فرفعت رأسي فإذا أنا بأقدام القوم».

الثّالثة: قوله «**قلت يا رسول الله لو أنّ أحدهم رفع قدمه رآنا**» وقع في المناقب برواية محمد بن سنان «قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أنّ أحدهم نضر تحت قدميه لأبصرنا» وفيه مجيء "لو" الشّرطية للإستقبال خلافاً للأكثر واستدل من جوزه بمجيء الفعل المضارع بعدها كقوله تعالى ﴿**لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم**﴾ وعلى هذا فيكون قاله حالة وقوفهم على الغار وعلى القول الأخر

---

(١) محمد بن عبيد بن ميمون المدني التبان التيمي مولاهم صدوق يخطىء من العاشرة خ.ق.

(٢) عمر بن سعيد بن أبي حسين النّوفلي المكي ثقة من السّادسة. خ.م.مد.ت.س.ق.

يكون قاله بعد مضيهم شكراً لله تعالى على صيانتهما منهم.

الرّابعة: قوله «**قال: ما ظنك باثنين الله ثالثهما**» في المناقب «فقال ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما» وفي رواية موسى «فقال أسكت يا أبا بكر إثنان الله ثالثهما» والمعنى أنّ رسول الله ﷺ يعزي رفيقه وصاحبه أبا بكر ويهون عليه أمر القوم ويطمأنه بأنّ الله حافظهما من مكر الماكرين وكيد الكائدين وفيه البشارة بأنّ الله متمّ لنبيه ﷺ ما أراد من الهجرة.

الخامسة: قوله «**أنه قال حين وقع بينه وبين ابن الزّبير**» أي بسبب البيعة وذلك أنّ ابن الزّبير حين مات معاوية امتنع من البيعة ليزيد بن معاوية وأصر على ذلك حتى أغرى يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة بالمدينة فكانت وقعة الحرة، ثم توجه الجيش إلى مكة فمات أميرهم مسلم بن عقبة وقام بأمر الجيش الشامي حصين بن نمير فحصر ابن الزّبير بمكة، ورموا الكعبة بالمنجنيق حتى احترقت ففجأهم الخبر بموت يزيد بن معاوية فرجعوا إلى الشام وقام ابن الزّبير في بناء الكعبة، ثم دعا إلى نفسه فبويع بالخلافة وأطاعه أهل الحجاز ومصر والعراق وخراسان وكثير من أهل الشّام، ثم غلب مروان على الشّام وقتل الضحاك بن قيس الأمير من قبل ابن الزّبير بمرج راهط، ومضى مروان إلى مصر وغلب عليها، وذلك كله في سنة أربع وستين، وكمل بناء الكعبة في سنة خمس، ثم مات مروان في سنة خمس وستين وقام عبد الملك ابنه مقامه، وغلب المختار ابن أبي عبيد على الكوفة ففر منه من كان من قبل ابن الزّبير، وكان محمد بن عليّ ابن أبي طالب المعروف بابن الحنفية وعبد الله بن عباس مقيمين بمكة منذ قتل الحسين، فدعاهما ابن الزّبير إلى البيعة له فامتنعا وقالا: لا نبايع حتى يجتمع النّاس على خليفة، وتبعهما جماعة على ذلك، فشدد عليهم ابن الزّبير وحصرهم، فبلغ المختار فجهز إليهم جيشاً فأخرجوهما واستأذنهما في قتال ابن الزّبير فامتنعا، وخرجا إلى الطّائف فأقاما بها حتى مات ابن عباس سنة ثمان وستين، ورحل ابن الحنفية بعده

إلى جهة رضوى جبل بينبع فأقام هناك، ثم أراد دخول الشّام فتوجه إلى نحو أيلة فمات في آخر سنة ثلاث أو سنة أربع وسبعين، وذلك عقب قتل ابن الزبير على الصحيح.وعند الواقدي أنّه مات بالمدينة سنة إحدى وثمانين.

السّادسة: قوله «**أبوه الزّبير**» هو الزّبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنّة تقدمت ترجمته.

السّابعة: قوله «**وأمه أسماء**» هي أسماء بنت أبي بكر الصّديق ذات النّطاقين التيمية ماتت سنة ثلاث أو أربع وسبعين.

الثّامنة: «**وجدته صفية**» يعني بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول الله ﷺ وهي أم الزّبير بن العوام.

التّاسعة: وقوله في الرّواية الثّانية «وأما عمته فزوج النّبي ﷺ» يعني خديجة بنت خويلد زوج النّبي ﷺ الأولى وهي عمة الزّبير أبي عبد الله فأطلق عليها عمته لأنّها عمة أبيه وهذا جائز شرعاً وعرفاً.

العاشرة: قوله «**ابن أبي بكر**» أطلق عليه ذلك لأنّه ابن بنته وقد قال ﷺ مثل ذلك في الحسن بن علي رضي الله عنهما وهو ابن فاطمة بنت محمد «إنّ ابني هذا سيد ...».الحديث.

الحادية عشرة: قوله «**فقلت لسفيان إسناده**» بالنّصب أي أذكر إسناده، أو بالرّفع أي ما إسناده.

الثانية عشرة: قوله «**فقال حدثنا فشغله إنسان ولم يقل ابن جريج**» ظاهر هذا أنّه صرح له بالتحديث لكن لما لم يقل ابن جريج احتمل أن يكون أراد أن يدخل بينهما واسطة، واحتمل عدم الواسطة، ولذلك استظهر البخاري بإخراج الحديث من وجه آخر عن ابن جريج، ثم من وجه آخر عن شيخه.قاله الحافظ.

الثالثة عشرة: قوله «**قال ابن أبي مليكة وكان بينهما شيء**» كذا أعاد الضمير بالتثنية على غير مذكور اختصاراً ومراده ابن عباس وابن الزّبير، وهو

صريح الرواية الأولى كما ترى حيث قال: قال ابن عباس حين وقع بينه وبين ابن الزّبير.

الرّابعة عشرة: قوله «**فتحل ما حرم الله**» أي من القتال في الحرم.

الخامسة عشرة: قوله «**كتب**» أي قدر.

السّادسة عشرة: قوله «**محلين**» أي أنّهم كانوا يبيحون القتال في الحرم وإنّما نسب ابن الزبير إلى ذلك وإن كان بنو أمية هم الذين ابتدؤه بالقتال وحصروه وإنما بدأمنه أولاً دفعهم عن نفسه لأنه بعد أن ردهم الله عنه حصر بني هاشم ليبايعوه، فشرع فيما يؤذن بإباحته القتال في الحرم، وكان بعض النّاس يسمي ابن الزّبير "المحل" لذلك.

السّابعة عشرة: وقوله «**لا أحله أبداً**» أي لا أبيح القتال فيه، وهذا مذهب ابن عباس أنّه لا يقاتل في الحرم ولو قوتل فيه.

الثّامنة عشرة: قوله «**قال قال النّاس بايع**» القائل هو ابن عباس وناقل ذلك عنه ابن أبي مليكة فهو متصل، والمراد بالنّاس من كان من جهة ابن الزّبير.

التّاسعة عشرة: وقوله «**وأين بهذا الأمر**» أي الخلافة أي ليست بعيدة عنه لما له من الشّرف بأسلافه الذين ذكرهم ثم صفته التي أشار إليها بقوله عفيف في الإسلام قارىء للقرآن، وفي رواية ابن قتيبة من طريق محمد بن الحكم عن عوانة ومن طريق يحيى بن سعد عن الأعمش قال «قال ابن عباس لما قيل له بايع لابن الزّبير: أين المذهب عن ابن الزّبير» قلت وفي هذا دليل على أنّ ابن عباس يرى استحقاق ابن الزّبير للخلافة.

العشرون: قوله «**والله إن وصلوني وصلوني من قريب**» أي بسبب القرابة.

الحادية والعشرون: قوله «**وإن ربوني**» بفتح الراء وضم الموحدة الثقيلة من التربية وفي رواية الكشميهني ربني بالإفراد.

الثّانية والعشرون: وقوله «**أكفاء**» أي أمثال واحدها كفء.

الثّالثة والعشرون: وقوله «**كرام**» أي في أحسابهم، وظاهر هذا أنّ مراد ابن عباس لما حضرته الوفاة بالطّائف جمع بنيه فقال. يابني إن ابن الزّبير لما خرج بمكة شددت أزره ودعوت النّاس إلى بيعته وتركت بني عمنا من بني أمية الذين إن قبلونا قبلونا أكفاء، وإن ربونا ربونا كراماً فلما أصاب ما أصاب جفاني. ويؤيد هذا ما في آخر الرواية الثّالثة حيث قال «وإن كان لا بد لأن يربني بنو عمي أحب إلي من أن يربني غيرهم» فإنّ بني عمه هم بنو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف لأنهم من بني عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فعبد المطلب جد عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم أمية جد مروان بن الحكم بن أبي العاص، وكان هاشم وعبد شمس شقيقين قال الشّاعر:

عبد شمس كان يتلو هاشما وهما بعد لأم ولأب

الرّابعة والعشرون: قوله «**فآثر علي**» بصيغة الفعل الماضي من الأثرة أي التّفضيل قال الحافظ: .ووقع في رواية الكشميهني «فأين» بتحتانية ساكنة ثم نون وهوتصحيف، وفي رواية ابن قتيبة المذكورة «فشددت على عضده فآثر علي فلم أرض بالهوان».

الخامسة والعشرون: قوله «**التّويتات والأسَامات والحُمَيدات يُريد أبطناً من بني أسد**» أما التويتات فنسبة إلى بني تويت بن أسد ويقال تويت بن الحارث بن عبد العزي بن قصي، وأما الأسامات فنسبة إلى بني أسامة بن أسد بن عبد العزي، وأما الحميدات فنسبة إلى بني حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزي، قال الحافظ قال الأزرقي: كان ابن الزّبير إذا دعا النّاس في الإذن بدأ ببني أسد على بني هاشم وبني عبد شمس وغيرهم، فهذا قول ابن عباس «فآثر علي التويتات الخ» إلى أن قال وجمع ابن عباس البطون المذكورة جمع القلة تحقيراً لها.

السّادسة والعشرون: قوله «**يريد أبطناً من بني أسد بن تويت**» كذا وقع

وصوابه يريد أبطناً من بني تويت بن أسد الخ نبه على ذلك عياض. قلت: وكذا وقع في مستخرج أبي نعيم على الصّواب، وفي رواية أبي مخنف المذكورة أفخاداً صغاراً من بني أسد بن عبد العزي، وهذا صوابه.اهـ من الفتح.

السّابعة والعشرون: قوله «**أن ابن أبي العاص**» يعني عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص.

الثّامنة والعشرون: قوله «**برز**» أي ظهر أمره وعلا شأنه يعني بالغلبة على أكثر الأقطار.

التّاسعة والعشرون: قوله «**يمشي القُدَمية**» بضم القاف وفتح الدال وقد تضم أيضاً وقد تسكن وكسر الميم وتشديد التحتانية، قال الخطابي وغيره: معناه التبختر وهو مَثَلٌ يريد أنه برز يطلب معالي الأمور. قال ابن الأثير: الذي في البخاري «القدمية» وهي التقدمية في الشّرف، وقيل التقدم بالهمة والفعل.

الثلاثون: قوله «**وأنه لوى ذنَبه**» يعني ابن الزّبير لوى بتشديد الواو وبتخفيفها أي ثناه، وكنى بذلك عن تأخره وتخلفه عن معالي الأمور.قال الحافظ: وكان الأمر كما قال ان عباس، فان عبد الملك لم يزل في تقدم من أمره إلى أن استنقذ العراق من ابن الزّبير في تأخر إلى أن قتل رحمه الله تعالى.

الحادية والثلاثون: وقوله «**لأحاسبن نفسي**»أي لأناقشنها في معونته ونصحه، قاله الخطابي. وقال الدّاودي: معناه لأذكرن من مناقبه ما لم أذكر من مناقبهما، وإنما صنع ابن عباس ذلك لأشتراك النّاس في معرفة مناقب أبي بكر وعمر، بخلاف ابن الزّبير فما كانت مناقبه في الشّهرة كمناقبهما فأظهر ذلك ابن عباس وبيّنه للنّاس إنصافاً منه له.

الثّانية والثلاثون: قوله «**فإذا هو يتعلى عني**» أي يرتفع علي متنحياً عني.

الثالثة والثلاثون: قوله «**ولا يريد ذلك**» أي لا يريد أن أكون من خاصته.

الرّابعة والثلاثون: قوله «**ما كنت أظن أني أعرض هذا من نفسي**» أي

أبدؤه بالخضوع له ولا يرضى مني بذلك.

الخامسة والثلاثون: وقوله «**وما أراه يريد خيراً**» أي لا يريد أن يصنع بي خيراً، قال الحافظ وفي رواية الكشميهني «وإنما أراه يريد خيراً» وهو تصحيف.

السّادسة والثلاثون: وقوله «**لأن يربني**» أي يكون عليَّ رباً أي أميراً، أو ربه بمعنى رباه وقام بأمره وملك تدبيره، قال التيمي: معناه لأن أكون في طاعة بني أمية أحب إلي من أن أكون في طاعة بني أسد، لأن بني أمية أقرب إلى بني هاشم من بني أسد.

١٥٨- [باب ﴿والمؤلفة قلوبهم﴾].

ش: قلت الآية ﴿**إنّما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرّقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم**﴾.

لما ذكر الله تعالى اعتراض المنافقين الجهلة على النّبي ﷺ ولمزهم إياه في قسم الصّدقات بيّن تعالى أنه هو الذي قسمها وبين حكمها وتولى أمرها بنفسه و لم يكل ذلك إلى أحدٍ غيره فجزأه لهؤلاء المذكورين. وقد اختلف العلماء في هذه الأصناف الثّمانية هل يجب استيعاب الدّفع لها أو إلى ما أمكن منها؟ على قولين:

أحدهما: أنه يجب ذلك وهو قول الشّافعي وجماعة.

والثّاني: أنه لا يجب استيعابها بل يجوز الدّفع إلى واحد منها ويعطى جميع الصّدقة مع وجود الباقين وهو قول مالك وجماعة من السّلف والخلف منهم عمر وحذيفة وابن عباس وأبو العالية وسعيد بن جبير وميمون بن مهران.قال ابن جرير وهو قول عامة أهل العلم: وعلى هذا فإنما ذُكرت الأصناف ههنا لبيان المصرف لا لوجوب استيعابها.

قلت: وحديث الباب وسيأتي شاهد لهذا القول وإنما قدم الفقراء ههنا على البقية لأنهم أحوج من غيرهم على المشهور ولشدة فاقتهم وحاجتهم، وعند ابي حنيفة أن المسكين أسوأحالاً من الفقير وهو كما قال أحمد، وقال عمر ﷺ: الفقير ليس بالذي لا مال له، ولكن الفقير الأخلق الكسب، قال ابن علية: الأخلق المحارف عندنا، والجمهور على خلافه، وروي عن ابن عباس ومجاهد والحسن البصري وابن زيد. واختار ابن جرير وغير واحد أن الفقير هو المتعفف الذي لا يسأل النّاس شيئاً، والمسكين هو الذي يسأل ويطوف ويتبع النّاس، وقال قتادة: الفقير من به زمانة، والمسكين الصحيح الجسم.

وأما العاملون عليها فهم الجباة والسّعاة يستحقون منها قسطاً على ذلك ولا

يجوز أن يكونوا من أقرباء رسول الله ﷺ الذين تحرم عليهم الصّدقة لما ثبت في صحيح مسلم عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث أنه انطلق هو والفضل بن العباس يسألان رسول الله ﷺ ليستعملهما على الصّدقة فقال: «إن الصّدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد إنما هي أوساخ النّاس».

وأما المؤلفة قلوبهم فأقسام:

الأول: من يعطى ليسلم كما أعطى النبي ﷺ صفوان بن أمية من غنائم حنين وقد كان شهدها مشركاً، قال فلم يزل يعطيني حتى صار أحب النّاس إليّ بعد أن كان أبغض النّاس إليّ.

الثّاني: من يعطى ليحسن إسلامه ويثبت قلبه كما أعطى يوم حنين أيضاً جماعة من صناديد الطلقاء وأشرافهم مائة من الإبل وقال: «إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يكبه الله على وجهه في نار جهنم».

الثالث: من يعطى لما يرجى من إسلام نظرائه.

الرابع: من يعطى ليجبي الصّدقات ممن يليه أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد.

وهل تعطى المؤلفة على الإسلام بعد النبي ﷺ ؟ فيه خلاف، فروي عن عمر وعامر والشّعبي وجماعة أنهم لا يعطون بعده لأن الله قد أعز الإسلام وأهله ومكن لهم في البلاد، وأذل لهم رقاب العباد. وقال آخرون: بل يعطون لأنه عليه الصلاة والسلام قد أعطاهم بعد فتح مكة وكسر هوازن وهذا أمر قد يحتاج إليه فصرف إليهم.

قلت: وهذا هو الصحيح لعموم الآية.

وأما **الرّقاب** فروي عن الحسن البصري ومقاتل بن حيان وعمر بن عبد العزيز وسعيد بن جبير والنّخعي والزّهري وابن زيد أنهم المكاتبون، وروي عن أبي موسى الأشعري نحوه وهو قول الشّافعي والليث رضي الله عنهما. وقال ابن

عباس: والحسن لا بأس أن تعتق الرّقبة من الزكاة وهو مذهب أحمد ومالك وإسحاق أي أن الرّقاب أعم من أن يعطي المكاتب أو يشتري رقبة فيعتقها استقلالاً.

وأما **الغارمون** فهم أقسام فمنهم من تحمل حمالة أو ضمن ديناً فلزمه فأجحف بماله أو غرم في أداء دينه أو في معصية ثم تاب فهؤلاء يدفع إليهم، والأصل في هذا الباب حديث قبيصة بن مخارق الهلالي قال: تحملت حمالة فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فقال: أقم حتى تأتيني الصّدقة فنأمر لك بها قال ثم قال يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك. الحديث.

وأما في **سبيل الله** فمنهم الغزاة الذين لا حق لهم في الديوان، وعند الإمام أحمد والحسن وإسحاق الحج في سبيل الله للحديث، وكذلك ابن السّبيل وهو المسافر المجتاز في بلد ليس معه شيء يستعين به على سفره فيعطى من الصّدقات ما يكفيه إلى بلده وإن كان له مال، وهكذا الحكم فيمن أراد إنشاء سفر من بلده وليس معه شيء فيعطى من مال الزكاة كفايته في ذهابه وإيابه.

وقوله ﴿**فريضة من الله**﴾ أي حكما مقدراً بتقدير الله وفرضه وقَسمه. ﴿**والله عليم حكيم**﴾ أي عليم بظواهر الأمور وبواطنها وبمصالح عباده. ﴿**حكيم**﴾ فيما يقوله ويفعله ويشرعه ويحكم به لا إله إلا هو ولا رب سواه»اهـ من تفسير ابن كثير بتصرف.

[قال مجاهد: يتألفهم بالعطية]

أخرجه ابن جرير من طريق محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نَجيح عن مجاهد قال: ناس كان يتألفهم بالعطيّة، عيينةَ بنَ بدرٍ ومن كان معه.

١٨٧ـ حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن أبيه[١] عن ابن أبي نُعْـم[٢] عن أبي سعيد ﷺ قـال: بُعث إلى النبي ﷺ بشيء فقسمه بين أربعة وقال: أتألفهم فقال رجل: ما عدلت فقال: يخرج من ضئضىء هذا قوم يمرقون من الدّين.

ش: فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله «**بعث إلى النبي ﷺ بشيء**» وقع في بعث عليّ في المغازي من رواية عمارة بن القعقاع بن شبرمة بعث عليّ ﷺ إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهيبة في أديم مقروط لم تحصل من ترابها. وعند مسلم في الزّكاة باب ذكر الخوارج «بعث عليّ ﷺ وهو باليمن بذهبة في تربتها إلى رسول الله ﷺ.».

الثّانية: قوله «**فقسمه بين أربعة**» وقع تسميتهم في رواية عمارة المتقدمة بلفظ «بين عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرّابع إما علقمة وإما عامر بن الطّفيل» وعند مسلم بلفظ بين أربعة نفر «الأقرع بن حابس الحنظلي وعيينة بن بدر الفزاري وعلقمة بن علاثة العامري ثم أحد بني كلاب، وزيد الخير الطائي ثم أحد بني نبهان.»

الثّالثة: قوله «**أتألفهم**» وقع عند مسلم «قال فغضبت قريش فقالوا أيعطي صناديد نجد ويدعنا فقال رسول الله ﷺ: إني إنما فعلت ذلك لأتألفهم.» قلت فبان بهذا أن رسول الله ﷺ قال هذه المقالة لما بلغه من اعتراض القوم ومعنى التألف: المداراة والإيناس بترغيب هؤلاء القوم بما نالهم من العطية ليثبتوا على الإسلام.

الرابعة: قوله «**فقال رجل**» قلت في علامات النّبوة من المناقب عن أبي

(١) هو سعيد بن مسروق الثوري والد سفيان ثقة من السّادسة مات سنة ست وعشرين ومائة وقيل بعدها. ع.

(٢)هو عبد الرحمن بن أبي نعم بضم النون وسكون المهملة البجلي أبو الحكم الكوفي العابد صدوق من الثالثة مات قبل المائة. ع.

سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم. وقد وصفه في المغازي، وعند مسلم في الزّكاة «فقال: فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة كث اللحية محلوق الرأس مشمّر الإزار».

الخامسة: قوله «**ما عدلت**» عند المصنف في المغازي وعند مسلم في الزّكاة بلفظ «**اتق الله**» وفي علامات النبوة من المناقب «يا رسول الله اعدل» **قلت** وهذا اختلاف في اللفظ وحاصله إتهام ذو الخويصرة التميمي نبي الله ﷺ بالحيف والجور في القسمة وهذا دليل على فرط جهله وقلة فقهه وسوء أدبه مع رسول الله ﷺ.

السّادسة: قوله «**يخرج من ضئضيء**» كذا للأكثر بضادين معجمتين مكسورتين بينهما تحتانية مهموزة ساكنة وفي آخره تحتانية مهموزة أيضاً، وفي رواية الكشميهني بصادين مهملتين، فأما بالضاد المعجمة فالمراد به النّسل والعقب وفي رواية سعيد بن مسروق في حديث الأنبياء، «**إنه من ضئضيء هذا أومن عقب هذا**» انتهى من الفتح.

السّابعة: قوله «**قوم يمرقون من الدّين**» في المغازي «قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدّين كما يمرق السّهم من الرّمية» وعند مسلم «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية» وفيه رد على من أول الدّين هنا بالطّاعة وقال: إن المراد أنهم يخرجون من طاعة الإمام كما يخرج السهم من الرمية، وهذه صفة الخوارج الذين كانوا لا يطيعون الخلفاء، والذي يظهر أنّ المراد بالدّين الإسلام كما فسرته الرواية الأخرى، وخرج الكلام مخرج الزجر وأنهم بفعلهم ذلك يخرجون من الإسلام الكامل وهو مما أخبر به ﷺ من المغيبات فوقع كما قال.قاله الحافظ.

من فقه الحديث

أولاً: تخصيص الإمام بعض جنده دون بعض في قسمة ما يأتيه من الأموال تألفاً لهم ولمصلحة راجحة.

ثانياً: حلم النبي ﷺ وسعة صدره.

ثالثاً: في قوله ﷺ يخرج من ضئضيء هذا . . .الخ الحديث علم من أعلام النبوة وذلك بإخباره بظهور الخوارج فوقع كما قال وأول ظهورهم كان في عهد عليّ ﷺ.

١٥٩- [باب قوله ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين﴾]

ش: تمامها ﴿**في الصّدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم**﴾.

يقول تعالى ذكره: الذين يلمزون المطوعين في الصّدقة على أهل المسكنة والحاجة بما لم يوجبه الله عليهم في أموالهم، ويطعنون فيها عليهم بقولهم: إنما تصدقوا رياء وسمعة، ولم يريدوا وجه الله ويلمزون الذين لا يجدون ما يتصدقون به إلا جهدهم، وذلك طاقتهم، فيتنقصونهم ويقولون لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنياً سخرية منهم بهم ﴿**فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم**﴾. يقول ولهم من عند الله يوم القيامة عذاب موجع مؤلم.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [﴿يلمزون﴾ : يعيبون].

ش: قاله أبو عبيدة عند قوله تعالى: ﴿**ومنهم من يلمزك بالصّدقات**﴾.

وزاد قال الزّياد الأعجم:

إذا لقيتك تبدي لي مكاشرة وإن أغيب فأنت العائب اللّمزه

٢- [« جُهدهم» و « جَهدهم» طاقتهم].

ش: قال أبو عبيدة: مضموم ومفتوح سواء ومجازه طاقتهم،ويقال جهد.

١٨٨- حدثني بشر بن خالد أبو محمد أخبرني محمد بن جعفر عن شعبة عن سليمان عن أبي وائل عن أبي مسعود[1] قال:لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل، فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رياء، فنزلت ﴿الذين

(١) عقبة بن عامر بن ثعلبة الأنصاري أبو مسعود البدري صحابي جليل مات قبل الأربعين وقيل بعدها. ع.

يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصّدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم﴾.

١٨٩ـ حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: قلت لأبي أسامة أحدثكم زائدة[1] عن سليمان عن شقيق عن أبي مسعود الأنصاري قال: كان رسول الله ﷺ يأمر بالصّدقة فيحتال أحدنا حتى يجيء بالمد، وإن لأحدهم اليوم مائة ألف، كأنه يعرض بنفسه.

ش: فيهما عشر مسائل:

الأولى: قوله «**لما أمرنا بالصّدقة**» في رواية أبي النّعمان بلفظ «لما نزلت آية الصّدقة» قلت ولعله يعني قوله تعالى: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾**.

الثّانية: قوله «**كنا نتحامل**» وقع في الزّكاة باب اتقوا النار ولو بشق تمرة «كنا نحامل» أي نحمل على ظهورنا بالأجرة وقال صاحب المحكم: تحامل في الأمر أي تكلفه على مشقة ومنه تحامل على فلان أي كلفه ما لا يطيق.

الثّالثة: قوله «**فجاء أبو عقيل بنصف صاع**» اسم أبي عقيل هذا هو بفتح أوله الحبحاب بمهملتين بينهما موحدة ساكنة وآخرها مثلها أخرجه ابن جرير من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال في قوله **﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصّدقات﴾**. قال جاء رجل من الأنصار يقال له الحبحاب أبو عقيل فقال يا نبي الله بت أجز الجريد على صاعين من تمر فأما صاع فأمسكته لأهلي وأما صاع فهو هذا فقال المنافقون: إن كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبي عقيل فنزلت الخ. وعزاه الحافظ إلى عبد بن حميد وابن مندة وقال وهذا مرسل.

قلت: وأخرج ابن جرير من طريق موسى بن عبيدة عن خالد بن يسار عن

---

(١) هو أبو الصلت زائدة بن قدامة الثقفي الكوفي ثقة ثبت صاحب سنة من السّابعة مات سنة ستين ومائة وقيل بعدها. ع.

ابن أبي عقيل عن أبيه بهذا و لم يسمه.

وقال الحافظ: «وذكر السّهيلي أنه رآه بخط بعض الحفاظ مضبوطاً بجيمين».

الرّابعة: قوله «**وجاء إنسان بأكثر منه**» في الزّكاة «فجاء رجل فتصدق بشيء كثير».

الخامسة: قوله «**فقال المنافقون**» سمى الواقدي في مغازيه معتب بن قشير وعبد الرحمن بن نبتل.

السّادسة: قوله «**فنزلت الذين يلمزون المطوعين...**» فيه دليل على أن تلك المقولة سبب نزول هذه الآية وفي ذلك ذم للآمزين وثناء على أولئك المتصدقين الذين جادوا بما في وسعهم وطاقتهم.

السّابعة: قوله «**فيحتال**» وقع في الزّكاة «إذا أمرنا بالصّدقة انطلق أحدنا إلى السّوق فتحامل».

الثّامنة: قوله «**حتى يجيء بالمد**» المد هو ملىء اليدين المتوسطتين وهو ربع صاع النبي ﷺ والمعنى أن أحدهم من قلة ما في يده يأتي بهذا المقدار قربة إلى الله وامتثال لأمر النبي ﷺ.

التّاسعة: قوله «**وإن لأحدهم اليوم مائة ألف**» مائة بالنّصب على أنها إسم (إنّ) والخبر لأحدهم أو لبعضهم واليوم ظرف و لم يذكر مميز المائة ألف فيحتمل أن يريد الدراهم أو الدنانير أو الأمداد.

العاشرة: قوله «كأنه يعرض بنفسه» القائل هو شقيق الراوي عن أبي مسعود قال الحافظ في معنى هذه العبارة: ويحتمل أن يكون مراده أن الحرص على الصّدقة الآن لسهولة مأخذها بالتوسع الذي وسع عليهم أولى من الحرص عليها مع تكلفهم، أو أراد الإشارة إلى ضيق العيش في زمن الرسول وذلك لقلة ما وقع من الفتوح والغنائم في زمانه وإلى سعة عيشهم بعده بكثرة الفتوح والغنائم.قلت: وهذا توجيه جيد ومأخذ لطيف يناسب لفظ الخبر.

١٦٠ـ باب ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾.

ش: تمامها **﴿ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾**

قوله **﴿استغفر لهم﴾** إلى قوله **﴿فلن يغفر الله لهم﴾** يخبر تعالى نبيه ﷺ بأنّ هؤلاء المنافقين ليسوا أهلاً للإستغفار وأنه لو استغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وقد قيل أنّ السبعين إنما ذكرت حسماً لمادة الإستغفار لهم لأن العرب في أساليب كلامها تذكر السبعين في مبالغة كلامها ولا تريد التحديد بها ولا أن يكون ما زاد عليها بخلافها. ويؤيد عدم مفهوم العدد ههنا قوله تعالى في موضع آخر **﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم إنّ الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾**.

وقوله **﴿ذلك بأنهم كفروا﴾** إلى قوله **﴿الفاسقين﴾** أي ذلك الإمتناع بسبب كفرهم بالله ورسوله، **﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾** أي المتمردين الخارجين عن الطّاعة المتجاوزين لحدودها، والمراد هنا الهداية الموصلة إلى المطلوب لا الهداية التي بمعنى الدلالة وإراءة الطريق.

من فقه الآية

أولاً: قطع رجاء من مات من أهل النفاق الإعتقادي من المغفرة.

ثانياً: الجزاء من جنس العمل، فمن كان أهلاً للهداية يسر الله له سبيلها.

ثالثاً: إنّ النّفاق الإعتقادي مانع من هداية التوفيق والقبول.

١٩٠ـ حدثنا عبيد بن إسماعيل عن أبي أسامة عن عبيدالله[1] عن نافع

(١) عبيد الله هو أبو بكر عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي المدني شقيق سالم ثقة من الثالثة مات سنة ست ومائة. ع.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما توفي عبد الله جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفّن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه، فقال رسول الله ﷺ: إنما خيرني الله فقال ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة﴾ وسأزيده على السبعين قال:إنه منافق قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾.

١٩١- حدثنا يحيى بن بكير[1] حدثنا الليث عن عقيل وقال غيره حدثني عقيل عن ابن شهاب قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: لما مات عبد الله بن أبي بن سلول دعي له رسول الله ﷺ ليصلي عليه ، فلما قام رسول الله ﷺ وثبت إليه فقلت يا رسول الله أتصلي على ابن أُبي؟ وقد قال يوم كذا :كذا وكذا، قال: أُعَدِّد عليه قولَه، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: أخّر عنّي ياعمر، فلما أكثرت عليه قال: إني خُيِّرتُ فاخترت، لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها. قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً﴾ إلى قوله ﴿وهم فاسقون﴾. قال: فعجبتُ بعدُ من جرأتي على رسول الله ﷺ والله ورسوله أعلم.

(١) هو يحيى بن عبد الله بن بكير المخزومي مولاهم المصري ثقة في الليث وتكلموا في سماعه من مالك، من كبار العاشرة مات سنة إحدى وثلاثين [ومائتين]. وله سبع وسبعون. خ. م. ق.

ش: فيهما أربع عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**لما توفي عبد الله بن أبي**» ذكر الواقدي ثم الحاكم في «الإكليل» أنه مات بعد منصرفهم من تبوك وذلك في ذي القعدة سنة تسع وكانت مدة مرضه عشرين يوماً إبتداؤها من ليال بقيت من شوال قالوا: وكان قد تخلف هو ومن تبعه عن غزوة تبوك وفيهم نزلت ﴿**لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً**﴾. حكاه في الفتح.

الثّانية: قوله «**جاء ابنه عبد الله بن عبد الله**» وقع في رواية الطبري في تفسير قوله ﴿**استغفر لهم أو لا تستغفر**﴾. من طريق الشّعبي لما احتضر عبد الله جاء ابنه عبد الله إلى النبي ﷺ فقال يا نبي الله إن أبي قد احتضر فأحب أن تشهده وتصلي عليه قال ما إسمك؟ قال الحباب يعني بضم المهملة وموحدتين مخففاً قال: قال بل أنت عبد الله، الحباب اسم للشيطان ، ــ قلت: وهذه القصة مرجوحة لأمرين:

أحدهما: أنها مرسلة ضعيفة الإسناد.

وثانيهما: أنها معارضة بما وجد في عهد النبي ﷺ بمن اسمه الحباب من الصحابة وهم تسعة ومنهم ، الحباب بن المنذر بن الجموح ، وعلى فرض ثبوت صحتها فإن النهي فيها عن التسمية بالحباب للكراهة . والله أعلم ــ.

وكان عبد الله بن عبد الله بن أبي هذا من فضلاء الصّحابة وشهد بدراً وما بعدها واستشهد يوم اليمامة في خلافة أبي بكر الصّديق قال الحافظ: ومن مناقبه أنه بلغه بعض مقالات أبيه فجاء إلى النبي ﷺ يستأذنه في قتله، قال: بل أحسن صحبته. أخرجه ابن مندة من حديث أبي هريرة بإسناد حسن.

الثّالثة: قوله «**فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه**» السّائل هو عبد الله بن عبد الله بن أبي والمسؤول هو رسول الله ﷺ وأراد عبد الله بن عبد الله بن أبي بذلك التبرك بثوب رسول الله ﷺ.

الرّابعة: قوله «**ثم سأله أن يصلي عليه**» ثم حرف عطف تفيد الترتيب مع التراخي وعلى هذا فإن ولد عبد الله بن أبي سأل النبي ﷺ أن يصلي على أبيه بعد سؤاله قميصه وقد أطمعه في هذه المسائل كريم خلق النبي ﷺ وشفقته بأمته ومحبته الخير لهم.

الخامسة: قوله «**فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه**» في حديث ابن عباس عن عمر ثاني حديثي الباب «فلما قام رسول الله ﷺ» وعند الترمذي في تفسير الآية من هذا الوجه «فقام إليه فلما وقف عليه يريد الصّلاة عليه وثبت إليه فقلت يا رسول الله أتصلي على ابن أبي وقد قال يوم كذا: كذا وكذا أعدد عليه قوله» يشير بذلك إلى مثل قوله ﴿**لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا**﴾ وإلى مثل قوله ﴿**ليخرجن الأعز منها الأذل**﴾ وهاتان الآيتان من سورة إذا جاءك المنافقون.

السّادسة: قوله «**فقال يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه**» كذا في هذه الرواية إطلاق النّهي عن الصلاة، وقد استشكل جداً حتى أقدم بعضهم فقال: هذا وهم من بعض رواته، وعاكسه غيره فزعم أن عمر اطلع إلى نهي خاص في ذلك. قال الحافظ: وقال القرطبي لعل ذلك وقع في خاطر عمر فيكون من قبيل الإلهام ويحتمل أن يكون فهم ذلك من قوله ﴿**ما كان للنبي والذين ءامنوا أن يستغفروا للمشركين**﴾ قلت: الثّاني يعني ما قاله القرطبي أقرب من الأول لأنه لم يتقدم النهي عن الصلاة على المنافقين بدليل أنه قال في آخر هذا الحديث «قال فأنزل الله ولا تصلي على أحد منهم، والذي يظهر أن في رواية الباب تجوزاً بينته الرواية التي في الباب بعده من وجه آخر قلت: ولفظها عن عبيد الله بن عمر «فقال تصلي عليه وقد نهاك الله أن تستغفر لهم» وأخرج ابن جرير من طريق الشّعبي عن ابن عمر عن عمر قال أراد رسول الله ﷺ أن يصلي على عبد الله بن أبي فأخذت بثوبه فقلت: والله ما أمرك الله بهذا لقد قال إن

تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم. قلت وعزاه الحافظ إلى عبد بن حميد. قلت: ما أحسن هذا الإستنباط فإن النهي عن الإستغفار للمنافقين يستلزم عدم الصّلاة عليهم لتضمن الصّلاة الدّعاء والإستغفار له.

السّابعة: قوله «**إنما خيرني الله فقال**» وفي حديث ابن عباس عن عمر من الزيادة «فتبسم رسول الله ﷺ وقال أخر عني يا عمر فلما أكثرت عليه قال إني خيرت فاخترت» أي خيرت بين الإستغفار وعدمه وقد بين ذلك حديث ابن عمر حيث ذكر الآية المذكورة.

الثّامنة: قوله «**إنه منافق**» يعني مظهراً للإسلام مبطناً للكفر وقد قال ذلك عمر تعليلاً لمشورته على النبي ﷺ بعدم الصّلاة على ابن أبي.

التّاسعة:قوله: «**فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله ﴿ولا تصلي على أحد منهم﴾** الآية في حديث ابن عباس «فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة **﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً﴾** إلى قوله **﴿وهم فاسقون﴾** وسيأتي شرحها.في الباب الذي يليه.

العاشرة: قوله «**أخر عني يا عمر**» أي أخر عني مقولتك ومشورتك. وقوله إني خيرت فاخترت تعليل لأمره ﷺ عمر بالسّكوت عن مشورته.

الحادية عشرة: قوله «فصلى عليه ثم انصرف» زاد ابن إسحاق في المغازي قال: حدثني الزهري بسنده في ثاني حديثي الباب قال فما صلى رسول الله ﷺ على منافق بعده حتى قبضه الله، ومن هذا الوجه أخرجه ابن أبي حاتم وأخرجه ابن جرير من وجه آخر عن ابن إسحاق فزاد فيه «**ولا قام على قبره**».

الثّانية عشرة: قوله «**فعجبت بعد**» بضم داله لإنقطاعه عن الإضافة والمضاف إليه محذوف تقديره بعد ذلك.

الثّالثة عشرة: قوله «**من جرأتي على رسول الله ﷺ**» يعني من شدة الإقدام على رسول الله ﷺ.

الرّابعة عشرة: قوله «**والله ورسوله أعلم**» ظاهره أنه قول عمر ويحتمل أن يكون قول ابن عباس والأول أظهر لمناسبته ظاهر الخبر.

من فقه الحديثين:

أولاً: جواز تكفين الميت في القميص. وفي المغني (٣/٣٨٣) قال: «الأفضل عند إمامنا ـ رحمه الله ـ أن يكفن الرجل في ثلاث لفائف بيض ليس فيها قميص ولا عمامة، لا يزيد عليها ولا ينقص منها، قال الترمذي: والعمل عليها عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم وهو مذهب الشافعي ويستحب كون الكفن أبيض لأن النبي ﷺ كفن في ثلاثة أثواب بيض ولقول رسول الله ﷺ إلبسو من ثيابكم البيض فإنه أطهر وأطيب وكفنوا فيه موتاكم . رواه النسائي وحكي عن أبي حنيفة أن المستحب أن يكفن في إزار ورداء وقميص لما روي عن ابن المغفل أن النبي ﷺ كفن في قميصه ولأن النبي ﷺ ألبس عبدا لله بن أبي قميصه وكفنه به رواه النسائي»انتهى محل الغرض

ثانياً: كريم خلق النبي ﷺ وسعة صدره.

ثالثاً: عظيم شفقته على أمته.

رابعاً: فقه عمر ﷺ.

خامساً: نهي الإمام عن الصّلاة على المنافقين نفاقاً اعتقادياً.

١٦١- [باب **﴿ولا تصل على أحدٍ منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾**].

ش: تمامها، **﴿إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾**. يأمر ا لله تعالى رسوله ﷺ أن يبرأ من المنافقين وأن لا يصلي على أحد منهم إذا مات وأن لا يقوم على قبره ليستغفر له أو يدعو له لأنهم كفروا با لله ورسوله وماتوا عليه وهذا حكم عام في كل من عرف نفاقه وإن كان سبب نزول الآية في عبد ا لله بن أبي بن سلول رأس المنافقين.

قلت: فالآية نص صريح على كفر من مات على النّفاق الإعتقادي.

١٩٢- حدثني إبراهيم بن المنذر حدثنا أنس بن عياض عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فأعطاه قميصه، وأمره أن يكفنه فيه، ثم قام يصلي عليه فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال: تصلي عليه وهو منافق، وقد نهاك الله أن تستغفر لهم قال: إنما خيرني الله ـ أو أخبرني ـ فقال: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾. فقال: سأزيده على سبعين قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ وصلينا معه، ثم أنزل الله عليه ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾.

مضى شرحه في الباب قبله.

١٦٢- [باب قوله ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون﴾].

ش: يقول تعالى ذكره سيحلف أيها المؤمنون با لله لكم هؤلاء المنافقون الذين فرحوا بمقعدهم خلاف رسول ا لله **﴿إذا انقلبتم إليهم﴾** يعني إذا انصرفتم إليهم من غزوكم لتعرضوا عنهم فلا تأنبوهم فأعرضوا عنهم يقول جل ثناؤه للمؤمنين، فدعوا تأنيبهم وخلوهم وما اختاروا لأنفسهم من الكفر والنّفاق **﴿إنهم رجس ومأواهم جهنم﴾** يقول: إنهم نجس ومأواهم جهنم، يقول ومصيرهم إلى جهنم وهي مسكنهم الذي يأوونه في الآخرة **﴿جزاء بما كانوا يكسبون﴾**. يقول: ثواباً بأعمالهم التي كانوا يعملونها في الدّنيا من معاصي ا لله.

١٩٣- حدثنا يحيى حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن[١] بن عبد الله أن عبد الله[٢] بن كعب بن مالك قال: سمعت كعب[٣] ابن مالك حين تخلف عن تبوك: والله ما أنعم الله عليّ من نعمة بعد إذ هداني أعظم من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته، فأهلك كما هلك الذين كذبوا حين أُنزل الوحي ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم﴾ ـ إلى ـ ﴿الفاسقين﴾.

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى:قوله «**والله ما أنعم الله عليّ من نعمة بعد إذ هداني**» يعني هداني

(١) هو أبو الخطاب عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري المري ثقة عالم من الثالثة مات في خلافة هشام. خ. م. د. س.

(٢) هو عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري المدني ثقة يقال له رؤية مات سنة سبع أو ثمان وتسعين. خ. م. د. س. ق.

(٣) هو كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري السَّلمي بالفتح المدني صحابي مشهور وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا، مات في خلافة عليّ. ع.

للإسلام وفيه التحدث بالنعمة ظاهراً وهو أحد أركان الشكر.

الثّانية: قوله «**أعظم من صدقي رسول الله ﷺ**» يعني حين يسألني عن سبب تخلفي عن غزوة تبوك فلا أكتمه شيئاً من خبري، يوضحه قوله كما أخرجه عنه المصنف في المغازي باب حديث كعب.«فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي: ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك فقلت: بلى إني وا لله ـ يا رسول ا لله ـ لو جلست عند غيرك من أهل الدّنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ولقد أعطيت جدلاً ولكني وا لله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن ا لله أن يسخطك عليّ ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه إني لأرجو فيه عفو ا لله، لا وا لله، ما كان لي من عذر، وا لله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك فقال رسول ا لله ﷺ أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي ا لله فيك.

الثّالثة: قوله «**أن لا أكون كذبته**» بدل من قوله «من صدقي» أي ما أنعم ا لله عليّ من نعمة أعظم من عدم كذبي ثم عدم هلاكي قال النووي رحمه ا لله: قالوا: لفظة «لا» زائدة ومعناه أن أكون كذبته نحو ما منعك أن لا تسجد.

الرّابعة: قوله «**فأهلك كما هلك الذين كذبوا**» ما أُراه إلا يشير إلى ما نزل في المتخلفين من المنافقين من الوعيد والفضيحة ومن ذلك آية الباب.

١٦٣- [باب قوله ﴿**يحلفون لكم لترضوا عنهم**﴾ إلى قوله ﴿**الفاسقين**﴾].

ش: قلت الآية ﴿**يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين**﴾.

يقول تعالى ذكره يحلف لكم أيها المؤمنون با لله هؤلاء المنافقون إعتذاراً بالباطل والكذب ﴿**لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين**﴾ يقول فإن أنتم أيها المؤمنون رضيتم عنهم وقبلتم معذرتهم إذ كنتم لا تعلمون صدقهم من كذبهم فإن رضاكم عنهم غير نافعهم عند ا لله لأن ا لله يعلم من سرائر أمرهم ما لا تعلمون ومن خفيّ إعتقادهم ما تجهلون وأنهم على الكفر با لله يعني أنهم الخارجون من الإيمان إلى الكفر با لله ومن الطاعة إلى المعصية.

تنبيه

لم يذكر المصنف ههنا حديثاً وقد أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره لهذه الآية قال: أخبرنا حجاج بن حمزة عن شبابة عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يحلفون لكم لترضوا إلى قوله الفاسقين قال في المنافقين.

قلت: وهذا خبر مرسل كما هو ظاهر الإسناد فلا تقوم به الحجة وأظن أن البخاري رحمه ا لله لم يخرجه في الباب لهذه العلة.

١٦٤- [باب قوله ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾].

لما بين الله تعالى حال المنافقين المتخلفين عن الغزاة رغبة عنها وتكذيباً وشكاً شرع في بيان حال المذنبين الذين تأخروا عن الجهاد كسلاً وميلاً إلى الراحة مع إيمانهم وتصديقهم بالحق فقال ﴿**وآخرون اعترفوا بذنوبهم**﴾ أي أقروا بها واعترفوا فيما بينهم وبين ربهم ولهم أعمال أخر صالحة خلطوا هذه بتلك فهؤلاء تحت عفو الله وغفرانه وهذه الآية وإن كانت نزلت في أُناس معينين وهم أبو لبابة وجماعة من أصحابه كما قال ابن عباس إلا أنها عامة في كل المذنبين الخطائين المتلوثين.

وقوله ﴿**عسى الله أن يتوب عليهم**﴾ دليل على أنه قد وقع منهم مع الإعتراف ما يفيد التوبة أو أن مقدمة التوبة وهي الإعتراف قامت مقام التوبة، وحرف الترجي وهو عسى هو في كلام الله سبحانه يفيد تحقق الوقوع لأن الإطماع من الله سبحانه إيجاب لكونه أكرم الأكرمين.

وقوله ﴿**إن الله غفور رحيم**﴾ أي يغفر الذنوب ويتفضل على عباده.

من فقه الآية

أولاً: سعة فضل الله وسعة رحمته بقبول التوبة.

ثانياً: الحث على التوبة والإستغفار.

ثالثاً: إثبات صفتي الرحمة والمغفرة لله.

١٩٤ـ حدثنا مؤمل هو ابن هشام[١] حدثنا إسماعيل بن إبراهيم[٢] حدثنا عوف[٣] حدثنا أبو رجاء[٤] حدثنا سمرة بن جندب[٥] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لنا: أتاني الليلة آتيان، فابتعثاني، فانتهيا بي إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة، فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطر كأقبح ما أنت راء، قالا لهم إذهبوا فقعوا في ذلك النّهر، فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السّوء عنهم فصاروا في أحسن صورة قالا لي: هذه جنة عدن، وهذاك منزلك قالا: أما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح، فإنهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم.

ش: فيه إحدى عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**أتاني الليلة**» في تفسير الرؤية بعد صلاة الصبح من هذا الوجه «**أنه أتاني**» والليلة منصوب على الظرفية.

الثانية: قوله «**آتيان**» في رواية هوذة عن عوف عند ابن أبي شيبة «اثنان أو آتيان» بالشّك وفي رواية جرير «رأيت رجلين أتياني» وفي حديث عليّ «رأيت

(١) هو أبو هشام مؤمل بن هشام اليشكري البصري ثقة من العاشرة مات سنة ثلاث وخمسين.ومائتين خ. د. س.

(٢) هو أبو بشر إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي مولاهم البصري المعروف بابن علية ثقة حافظ من الثامنة مات سنة ثلاث وتسعين [ومائة] وهو ابن ثلاث وثمانين ع.

(٣) هو عوف بن أبي جميلة الأعرابي العبدي البصري، ثقة رمي بالقدر وبالتشيع من السّادسة مات سنة ست أو سبع وأربعين ومائة وله ست وثمانون. ع.

(٤) هو عمران بن ملحان ويقال ابن تيم العطاردي مشهور بكنيته مخضرم ثقة معمر مات سنة خمس ومائة وله مائة وعشرون سنة. ع.

(٥) هو سمرة بن جندب بن هلال الفزاري حليف الأنصار صحابي مشهور له أحاديث مات بالبصرة سنة ثمان وخمسين. ع.

ملكين».

الثّالثة: قوله «**ابتعثاني**» في التعبير «وأنهما ابتعثاني بموحدة ثم مثناة وبعد العين المهملة مثلثة كذا للأكثر، ومعنى ابتعثاني أرسلاني، كذا قال في الصحاح بعثته وابتعثته أرسلته، يقال ابتعثه إذا أثاره وأذهبه، وقال ابن هبيرة معنى ابتعثاني أيقظاني، ويحتمل أن يكون رأى في المنام أنهما أيقظاه فرأى ما رأى في المنام ووصفه بعد أن أفاق على أن منامه كاليقظة.

الرابعة: قوله «**فانتهيا بي**» في التعبير «واني انطلقت معهما» زاد جرير ابن حازم في روايته إلى الأرض المقدسة و عند احمد إلى أرض فضاء أو أرض مستوية، وفي حديث عليّ «فانطلقا بي إلى السماء» قال مقيده والجمع بينهما وا لله أعلم أن ذينك الآتيين انطلقا برسول ا لله ﷺ أولاً إلى الأرض المقدسة وهي الأرض المستوية وفي فضاء ثم انطلقا به بعد إلى السماء حيث رأى ما رأى.

الخامسة: قوله «**فانتهيا بي إلى مدينة مبينة بلبن ذهب ولبن فضة**» وفي التعبير «فانتهيا إلى روضة عظيمة لم أر روضة قط أعظم منها ولا أحسن قال: قالا لي إرق فيها» وفي رواية أحمد والنسائي في التفسير وأبي عوانة «إلى دوحة» بدل «روضة» والدوحة الشجرة الكبيرة، وفيه «وصعدا في الشجرة» وهي التي تناسب الرقي والصعود واللبن بفتح اللام وكسر الموحدة جمع لبنة وأصلها ما يبنى به من طين وفي رواية جرير بن حازم «فأدخلاني داراً لم أر قط أحسنَ منها، فيهارجالٌ شيوخٌ وشباب ونساءٌ وفتيان، ثم أخرجاني منها فأدخلاني داراً هي أحسن منها.

السادسة: قوله «**فتلقانا رجالٌ، شطرٌ مِن خَلْقهم كأحسن ما أنت راء، وشطر كأقبح ما أنت راءٍ** » بفتح الخاء وسكون اللام بعدها قاف أي هيئتهم، وقوله شطر مبتدأ وكَأحسن الخبر والكاف صلة والجملة صفة رجال وهذا الإطلاق يحتمل أن يكون المراد أن نصفهم حسن كله ونصفهم قبيح كله ويحتمل أن يكون كل واحد منهم نصفه حسن ونصفه قبيح، والثاني هو الأظهر

ويؤيده قولهم في صفتهم «هؤلاء قوم خلطوا» أي عمل كل منهم عمـ ؛ وخلطه بعمل سيء.

السابعة: قوله «**فقعوا في ذلك النهر**» بصيغة فعل الأمر بالوقوع والمراد أنهم ينغمسون فيه ليغسل تلك الصفة بهذا الماء الخاص.

الثامنة: قوله «**ذهب ذلك السوء عنهم**» أي صار القبيح كالشطر الحسن فلذلك قال «فصاروا في أحسن صورة».

التاسعة: قوله «**قالا لي هذه جنة عدن**» يعني المدينة التي رآها مبنية من ذهب وفضة.

العاشرة: قوله «**وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح**» كذا في الموضعين بالرفع على أن كان تامة وفي التعبير بالنصب فيهما على أن كان ناقصة.

الحادية عشرة: قوله «**فإنهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً**» هذا وجه الشاهد من الحديث وفيه دليل على ما قدمناه في تفسير الآية بأنها عامة وإن كانت في معينين كما أن فيه دليل على عفو الله عن من تساوت حسناته وسيئاته.

تنبيه:

أورد المصنف هذا الحديث بتمامه من هذا الوجه في كتاب التعبير وفيه من الفقه والفوائد.

أولاً: أن بعض العصاة يعذبون في البرزخ.

ثانياً: فيه نوع من تلخيص العلم وهو أن يجمع القضايا جملة ثم يفسرها على الولاء ليجتمع تصورها في الذهن.

ثالثاً: التحذير من النوم عن الصلاة المكتوبة ورفض القرآن لمن يحفظه وعن الزنا وأكل الربا وتعمد الكذب.

رابعاً: أن الذي له قصر في الجنة لا يقيم فيه وهو في الدنيا بل إذا مات حتى النبي والشهيد.

ذكر هذه الفوائد وغيرها الحافظ في الفتح.١٢/٤٤٥.

١٦٥- [باب **﴿ما كان للنبي والذين ءامنوا أن يستغفروا للمشركين﴾**].

ش:تمامها **﴿ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾**.

يقول تعالى ذكره: ما كان ينبغي للنبي محمد ﷺ والذين ءامنوا به أن يستغفروا يقول أن يدعوا بالمغفرة للمشركين ولو كان المشركون الذين يستغفرون لهم أولي قربى، ذوي قرابة لهم **﴿من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾** يقول من بعد ما ماتوا على شركهم با لله وعبادة الأوثان وتبين لهم أنهم من أهل النار لأن ا لله قد قضى أن لا يغفر لمشرك، فلا ينبغي لهم أن يسألوا ربهم أن يفعل ما قد علموا أنّه لا يفعله.

من فقه الآية

أولاً: وجوب المعاداة والبغض في ا لله.

ثانياً: النهي عن الدعاء للمشرك والإستغفار له.

١٩٥- حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه[1] قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال النبي ﷺ أي عم قل لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال النبي ﷺ «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فنزلت ﴿ما كان للنبي والذين ءامنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾.

ش: سيأتي الحديث بتمامه في تفسير سورة القصص ضمن الباب رقم ثلاث وستين ومائتين وهناك يأتي الكلام عليه إن شاء ا لله.

---

(١) هو المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي أبو سعيد له ولأبيه صحبة عاش إلى خلافة عثمان.خ. م. د. س.

١٦٦- [باب **﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ماكاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم﴾**].

ش: يقول تعالى ذكره لقد رزق الله الإنابة إلى أمره وطاعته نبيه محمد ﷺ والمهاجرين ديارهم وعشيرتهم إلى دار الإسلام وأنصار رسوله في الله الذين اتبعوا رسول الله في ساعة العسرة منهم من النفقة والظهر والزاد والماء **﴿من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم﴾** يقول من بعد ما كاد يميل قلوب بعضهم عن الحق ويشك في دينه ويرتاب بالذي ناله من المشقة والشدة في سفره وغزوه **﴿ثم تاب عليهم﴾** يقول ثم رزقهم جل ثناؤه الإنابة والرجوع إلى الثبات على دينه وإبصار الحق الذي كان قد كاد يلتبس عليهم **﴿إنه بهم رؤوف رحيم﴾** يقول إن ربكم بالذي خالط قلوبهم ذلك لما نالهم في سفرهم من الشدة والمشقة رؤوف رحيم أن يهلكهم فينزع منهم الإيمان بعد ما قد أبلوا في الله ما أبلوا مع رسوله وصبروا عليه من البأساء والضراء.

فائدة:

قال الشوكاني في تفسيره ٢/٤١٣ «قوله لقد تاب الله على النبي» فيما وقع منه ﷺ من الإذن في التخلف أو فيما وقع منه من الإستغفار للمشركين وليس من لازم التوبة أن يسبق الذنب ممن وقعت منه أو له لأن كل العباد محتاج إلى التوبة والإستغفار وقد تكون التوبة منه تعالى على النبي من باب أنه ترك ما هو الأولى والأليق كما في قوله **﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾** ويجوز أن يكون ذكر النبي ﷺ لأجل التعريض للمذنبين بأن يتجنبوا الذنوب ويتوبوا عما قد لابسوه منها».

فائدة أخرى:

قال ابن القيم: «وتأمل تكريره سبحانه توبته عليهم مرتين في أول الآية وآخرها فإنه تاب عليهم أولاً بتوفيقهم للتوبة فلما تابوا تاب عليهم، ثانيا بقبولها

منهم، وهو الذي وفقهم لفعلها وتفضل عليهم بقبولها فالخير كله منه وبه، وله وفي يده يعطيه من يشاء إحساناً وفضلاً ويحرمه من يشاء حكمة وعدلاً» انتهى من بدائع التفسير ٢/٣٨١

١٩٦ـ حدثنا أحمد بن صالح قال حدثني ابن وهب قال أخبرني يونس قال أحمد وحدثنا عنبسة[1] حدثنا يونس عن ابن شهاب قال أخبرني عبد الرحمن بن كعب قال أخبرني عبد الله بن كعب وكان قائد كعب من بنيه حين عمي قال سمعت كعب بن مالك في حديثه ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ قال في آخر حديثه إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله فقال النبي ﷺ «أمسك بعض مالك فهو خير لك».

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**إن من توبتي أن أنخلع من مالي**» يعني من كامل توبة الله عليّ أن أخرج من مالي كله فرحاً بالتوبة التي جاءت فضلاً من الله بعد ضيق الأرض عليّ بما رحبت وإظهاراً لشكر الله إذ منّ بالتوبة

الثانية: قوله «**صدقة**» مصدر جاء في موضع الحال.

الثالثة: قوله «**امسك بعض مالك فهو خير لك**» في رواية أبي داود عن كعب أنه قال «من توبتي أن أخرج من مالي كله إلى الله ورسوله صدقة قال لا قلت نصفه قال لا قلت فثلثه قال نعم».

قلت: وفي هذا جواز الصدقة عند تجدد النعم أو اندفاع النقم وفيه مشورة أهل الفضل في ذلك وفيه أن إمساك بعض المال خير من إنفاقه كله وذلك حتى لا يكون الرجل وأهله عالة على الناس.

---

(١) هو عنبسة بن خالد بن يزيد الأموي مولاهم الأيلي صدوق من التاسعة مات سنة ثمان وتسعين ومائة. خ. د.

فائدة إسنادية:

في قوله حدثنا أحمد بن صالح حدثني ابن وهب أخبرني يونس قال أحمد ثنا عنبسة حدثنا يونس مراده أن أحمد بن صالح روى هذا الحديث عن شيخين عن يونس لكن فرقهما لاختلاف الصيغة ثم إن ظاهره أن السند عنهما متحد وليس كذلك بل هو في رواية ابن وهب عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب كذلك أخرجه النسائي عن سليمان بن داود المهري عن ابن وهب ولعل البخاري بناه على أن عبد الرحمن نسب لجده فتتحد الروايتان نبه على ذلك الحافظ أبو عليّ الصدفي فيما قرأته بخطه بهامش نسخته

قلت: قد أفرد البخاري رواية ابن وهب بهذا الإسناد في النذر فوقع في رواية أبي ذر «عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب» وإنما أخرج النسائي بعض الحديث وقد وجدت بعض الحديث أيضاً في سنن أبي داود عن سليمان بن داود شيخ البخاري فيه كما في النسائي وعن ابن طاهر بن السرح عن ابن وهب كذلك» انتهى من الفتح ٣٤٢/٨

١٦٧- [باب **﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم﴾**].

ش: يقول تعالى ذكره: لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا وهؤلاء الثلاثة الذين وصفهم الله في هذه الآية بما وصفهم به فيما قيل هم الآخرون الذين قال جل ثناؤه **﴿وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم﴾** فتاب عليهم عز ذكره وتفضل عليهم ...إلى أن قال: فتأويل الكلام إذاً ولقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفهم الله عن التوبة فأرجأهم عمن تاب عليه ممن تخلف عن رسول الله ﷺ.اهـ من جامع البيان.

وقوله **﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾** إلى **﴿وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾** معناه أخروا عن قبول التوبة إلى هذه الغاية وهي وقت أن ضاقت عليهم الأرض بما رحبت و«ما» مصدرية أي برحبها لإعراض الناس عنهم وعدم مكالمتهم من كل أحد لأن النبي ﷺ نهى الناس أن يكالموهم والرحب الواسع يقال منزل رحب ورحيب ورحاب وفي هذه الآية دليل على جواز هجران أهل المعاصي تأديباً لهم لينزجروا عن المعاصي ومعنى ضيق أنفسهم عليهم أنها ضاقت صدورهم بما نالهم من الوحشة وبما حصل لهم من الفجوة وعبر بالظن في قوله **﴿وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾** عن العلم أي علموا أن لا ملجأ يلجئون إليه قط إلا الله سبحانه بالتوبة والإستغفار» قاله الشوكاني ٢/٤١١.

قوله **﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾** فأخبر سبحانه أن توبته عليهم سبقت توبتهم وأنها هي التي جعلتهم تائبين فكانت سبباً مقتضياً لتوبتهم فدل على أنهم ما تابوا حتى تاب الله تعالى عليهم والحكم ينتفي لانتفاء موانعه قاله في بدائع التفسير نقلاً عن ابن القيم.

وقوله ﴿إن الله هو التواب﴾. أي الكثير القبول لتوبة التائبين ﴿الرحيم﴾ أي الكثير الرحمة لمن طلبها من عباده.

١٩٧- حدثني محمد[(١)] حدثنا احمد بن أبي شعيب[(٢)] حدثنا موسى ابن أعين[(٣)] حدثنا إسحاق بن راشد ان الزهري حدثه قال أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال سمعت أبي كعب بن مالك وهو أحد ثلاثة الذين تيب عليهم انه لم يتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط غير غزوتين غزوة العسرة وغزوة بدر قال: فأجمعت صدق رسول الله ﷺ ضحى وكان قلما يقدم من سفر سافره إلا ضحى وكان يبدأ بالمسجد. فيركع ركعتين ونهى النبي ﷺ عن كلامي وكلام صاحبي ولم ينه عن كلام أحد من المتخلفين غيرنا، فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال عليّ الأمر وما من شيء أهم إليّ من أن أموت فلا يصلي عليّ النبي ﷺ أو يموت رسول الله ﷺ فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني أحد منهم ولا يصلى عليّ، فأنزل الله توبتنا على نبيه ﷺ حين بقي الثلث الأخر من الليل ورسول الله ﷺ عند أم سلمة وكانت أم سلمة محسنة في شأني معنية في أمري فقال رسول الله ﷺ «يا أم سلمة تيب على كعب» قالت أفلا أرسل إليه فأبشره قال: إذاً يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليلة حتى إذا صلى رسول الله ﷺ

---

(١) اختلف في محمد فقال الحاكم: ((هو محمد بن النظر النيسابوري)) يعني الذي تقدم ذكره في تفسير الأنفال وقال مرة: ((هو محمد بن إبراهيم البوشنجي)) لأن هذا الحديث وقع له من طريقه وقال أبو علي الغساني هو الذهلي)) قاله الحافظ.

(٢) هو أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن أبي شعيب مسلم الحراني مولى قريش ثقة من العاشرة مات سنة ثلاث وثلاثين [ومائتين] وقيل غير ذلك.خ.د.ت.س.

(٣) هو أبو سعيد موسى بن أعين الجزري مولى قريش، ثقة عابد من الثامنة مات سنة خمس أو سبع وسبعين [ومائة].خ.م.د.س.ق.

صلاة الفجر آذن بتوبة الله علينا، وكان إذا استبشر إستنار وجهه حتى كأنه قطعة من القمر وكنّا أيها الثلاثة الذين خلفوا عن الأمر الذي قبل من هؤلاء الذين إعتذروا حين أنزل الله لنا التوبة فلما ذكر الذين كذبوا رسول الله ﷺ من المتخلفين واعتذروا بالباطل ذكروا بشرٍّ ما ذكر به أحد، قال الله سبحانه ﴿يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله﴾ الآية.

ش: فيه تسع عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**إنه لم يتخلف عن رسول الله ﷺ**» في باب حديث كعب من المغازي من رواية عقيل «لم أتخلف» ولا منافاة فأحدهما بالتكلم من لفظ كعب والآخر بضمير الغائب من لفظ الراوي.

الثانية: قوله «**غير غزوتين**» في رواية عقيل بين سبب تخلفه عن بدر فقال: «غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحداً تخلف عنها إنما خرج رسول ا لله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع ا لله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد.

الثالثة: قوله «**فأجمعت صدق رسول الله ﷺ ضحى**» أي لما بلغه أنه عليه الصلاة والسلام توجه قافلاً من الغزو واهتم لتخلفه من غير عذر وتفكر فيما يخرج به من سخط الرسول فطفق يتذكر الكذب لذلك فأزاح ا لله عنه الباطل فأجمع على الصدق أي جزم به وعقد عليه قصده وأصبح رسول ا لله ﷺ قادماً في رمضان ضحى. قاله القسطلاني.

الرابعة: قوله «**قلّما يقدم من سفر سافره إلا ضحى**» يعني أن قدوم رسول ا لله ﷺ من سفره في غير الضحى قليل ومفهومه أن غالب قدومه ضحى وهذا وا لله أعلم حتى لا يطرق أهله ليلاً خشية أن يرى منهم ما يكره.

الخامسة: قوله «**وكان يبدأ بالمسجد**» فيه دليل على أن الأفضل في حق القادم من السفر أن يبدأ بالمسجد فيصلي فيه.

السادسة: قوله «**ونهى النبي ﷺ عن كلامي وكلام صاحبي**» يعني منع الناس من كلامي وكلام صاحبي وهما مرارة بن الربيع وهلال بن أمية الواقفي وذلك بعد إعترافهم أنهم تخلفوا عن غزوة تبوك بغير عذر وهذا من قبيل الزجر.

السابعة: قوله «**ولم ينه عن كلام أحد من المتخلفين غيرنا**» أي لم يمنع عن كلام أحد من المتخلفين سوانا فامتثل النّاس نهي رسول الله ﷺ فتركوا كلامنا وهذا دليل على مكانة كعب وصاحبيه من أصحاب رسول الله ﷺ وفيه دليل على أن القوي في دينه يعامل في الغلظة بما لا يعامل به غيره.

الثامنة: قوله «**فلبثت كذلك حتى طال عليّ الأمر**» في رواية يونس عند مسلم «فلبثنا على ذلك خمسين ليلة».

التاسعة: قوله «**وما من شيء أهم إليّ من أن أموت فلا يصلي علىّ النبي ﷺ أو يموت رسول الله ﷺ فأكون من الناس بتلك المنزلة**».

قلت: الباعث على هذا الخوف وهذه الخشية شدة ما لقيه من عقوبة الهجر والزجر وفيه دليل على قوة إيمان كعب ﷺ.

العاشرة: قوله «**فأنزل الله توبتنا على نبيه ﷺ حين بقي الثلث الآخر من الليل**» يعني بعد أن كملت المدة وهي خمسون ليلة ولم أقف على تاريخ نزول توبته.

الحادية عشرة: قوله «**ورسول الله ﷺ عند أم سلمة**» يعني وقت نزول توبتهم من الله والجملة حالية.

الثانية عشرة: قوله «**وكانت أم سلمة محسنة في شأني معنية في أمري**» يعني مهتمة بأمري. قلت ولعل من اهتمامها قولها «أفلا أرسل إليه فأبشره» حين قال الرسول ﷺ «يا أم سلمة تيب على كعب».

الثالثة عشرة: قوله «**إذاً يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليلة**» من الحطم وأصله التكسير ومراده أن الناس يدوسونكم ويتزاحمون عليكم وقوله

«فيمنعونكم النوم سائر الليلة» أي بقيتها وذلك لفرحهم بما من ا لله من توبة كعب وصاحبيه.

الرابعة عشرة: قوله «**حتى إذا صلى رسول الله ﷺ صلاة الفجر آذن بتوبة الله علينا**» هذا بيان الوقت الذي أعلم النبي ﷺ الناس بتوبة ا لله على أولئك الرهط.

الخامسة عشرة: قوله «**وكان إذا استبشر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر**» يعني أن وجهه يتلالأ من شدة السرور والفرح حتى كأنه يعلوه نور وفيه دليل على فرح النبي ﷺ بتوبة ا لله على أصحابه وهذا من كمال شفقته وكريم خلقه.

السادسة عشرة: قوله «**وكنا أيها الثلاثة**» بلفظ النداء ومعناه الإختصاص.

السابعة عشرة: قوله «**الذين خلفوا عن الأمر الذي قبل**» بضم أوله مبنياً للمفعول أي إعتذارهم وقوله «من هؤلاء الذين اعتذروا» ووكل رسول ا لله ﷺ سرائرهم إلى ا لله عز وجل وليس المراد التخلف عن الغزو بل التخلف عن حكم أمثالهم من المتخلفين وهو قبول عذرهم.

الثامنة عشرة: قوله «**فلما ذكر الذين كذبوا رسول الله ﷺ من المتخلفين واعتذروا بالباطل ذكروا بشر ما ذكر به أحد**» فسره بعد بقوله ﴿**يعتذرون إليكم**﴾ الآية.

التاسعة عشرة: قوله «**يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله**». تمام السياق ﴿**ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين**﴾.

فتأمل ما تضمنته هذه الآيات الثلاث من فضح حال المنافقين والكشف عن باطلهم وبيان كذبهم على رسول الله ﷺ.

تنبيه:

في هذا الحديث فقه عظيم وفوائد جمة منها:

اولاً: جواز طلب أموال الكفار من ذوي الحرب.

ثانياً: جواز الغزو في الشّهر الحرام.

ثالثاً: التصريح بجهة الغزو إذا لم تقتضي المصلحة ستره.

رابعاً: أن الإمام إذا استنفر الجيش عموماً لزمهم النفير ولحق اللوم بكل فرد تخلف.

خامساً: أن العاجز عن الخروج بنفسه أو بماله لا لوم عليه.

سادساً: ترك قتل المنافقين ومنه ترك قتل الزّنديق إذا أظهر التوبة.

سابعاً: أن القوي في الدّين يؤاخذ بأشد مما يؤاخذ الضعيف في الدّين.

ثامناً: جواز مدح المرء بما فيه من الخير إذا أمن الفتنة.

تاسعاً: الحلف للتأكيد من غير إستحلاف.

عاشراً: أن المرء إذا لاحت له فرصة في الطاعة فحقه أن يبادر إليها ولا يسوف بها لئلا يحرمها.

حادي عشر: جواز تمني ما فات من الخير.

ثاني عشر: جواز هجر العاصي أكثر من ثلاث وأما النهي عن الهجر فوق الثلاث فمحمول على من لم يكن هجرانه شرعياً.

ثالث عشر: سقوط رد السّلام على المهجور عمن سلم عليه إذ لو كان واجباً لم يقل كعب: هل حرك شفتيه برد السّلام.

ذكر هذه الفوائد وغيرها الحافظ في الفتح جزء ثمانية صفحة مائة وثلاث وعشرين فراجعها إن شئت.

قال مقيده: واعلم هدانا الله وإياك إلى مراشد أمورنا وصواب الأقوال والأعمال أن هذه القصة نص صريح في بطلان بدعة العصر التي يسمونها (الموازنة) ويعنون به غمر السيئات بالحسنات ، ووجه الاستدلال على ما قلنا في صنيع النبي ﷺ من هجر كعب وصاحبيه رضي الله عنهم نحواً من خمسين يوماً عقوبة على تخلفهم عن غزوة تبوك غير ناظر إلى فضلهم وسابقتهم في الإسلام ويزيد هذا المعنى وضوحاً وجلاءً هذه القاعدة الشريفة التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في مجموع الفتاوى (٣٧٣/١٠) حيث قال:

«وهنا قاعدة شريفة ينبغي التفطن لها: وهو أن ما عاد من الذنوب بإضرار الغير في دينه ودنياه فعقوبتنا له في الدنيا أكبر ، وأما ما عاد من الذنوب بمضرة الإنسان في نفسه فقد تكون عقوبته في الآخرة أشد ، وإن كنا نحن لا نعاقبه في الدنيا.

وإضرار العبد في دينه ودنياه هو ظلم الناس؛ فالظلم للغير يستحق صاحبه العقوبة في الدنيا لا محالة لكف ظلم الناس بعضهم عن بعض ، ثم هو نوعان:

أحدهما: منع ما يجب لهم من الحقوق ، وهو التفريط .

والثاني: فعل ما يضر بهم وهو العدوان .

ولهذا يعاقب الداعية إلى البدع بما لا يعاقب به الساكت، ويعاقب من أظهر المنكر بما لا يعاقب به من استخفى به، ونمسك عن عقوبة المنافق في الدين وإن كان في الدرك الأسفل من النار .

وهذا لأن الأصل أن تكون العقوبة من فعل الله تعالى ، فإنه الذي يجزي الناس على أعمالهم في الآخرة ، وقد يجزيهم أيضاً في الدنيا، وأما نحن فعقوبتنا للعباد بقدر ما يحصل به أداء الواجبات وترك المحرمات بحسب إمكاننا، كما قال ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله)

وقال تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ وقال: ﴿والفتنة أكبر من القتل﴾ .

ولهذا من تاب من الكفار والمحاربين وسائر الفساق قبل القدرة عليه سقطت عنه العقوبة التي لحق ا لله .

فإذا أسلم الحربي قبل القدرة عليه عصم دمه وأهله وماله، وكذلك قاطع الطريق والزاني والسارق والشارب إذا تابوا قبل القدرة عليهم لحصول المقصود بالتوبة ، وأما إذا تابوا بعد القدرة لم تسقط العقوبة كلها ؛ لأن ذلك يفضي إلى تعطيل الحدود وحصول الفساد؛ ولأن هذه التوبة غير موثوق بها؛ ولهذا إذا أسلم الحربي عند القتال صح إسلامه لأنه أسلم قبل القدرة عليه ؛ بخلاف من أسلم بعد الأسر فإنه لا يمنع استرقاقه وإن عصم دمه .

ويبنى على هذه القاعدة: أنه قد يقر من الكفار والمنافقين بلا عقوبة من يكون عذابه في الآخرة أشد إذا لم يتعد ضرره إلى غيره: كالذين يؤتون الجزية عن يد وهم صاغرون، والذين أظهروا الإسلام والتزموا شرائعه ظاهراً مع نفاقهم؛ لأن هذين الصنفين كفوا ضررهم في الدين والدنيا عن المسلمين ، ويعاقبون في الآخرة على ما اكتسبوه من الكفر والنفاق، **وأما من أظهر ما فيه مضرة فإنه تدفع مضرته ولو بعقابه وإن كان مسلماً فاسقاً أو عاصياً أو عدلاً مجتهداً مخطئاً ؛ بل صالحاً أو عالماً ، سواء في ذلك المقدور عليه والممتنع ...**

وكذلك يجوز قتال البغاة وهم الخارجون على الإمام أو غير الإمام بتأويل سائغ مع كونهم عدولاً، ومع كوننا ننفذ أحكام قضائهم ونسوّغ ما قبضوه من جزية أو خراج أو غير ذلك ... فتدبر كيف عوقب أقوام في الدنيا على ترك واجب أو فعل محرم بين في الدين أو الدنيا، وإن كانوا معذورين فيه لدفع ضرر فعلهم في الدنيا ، كما يقام الحد على من تاب بعد رفعه إلى الإمام وإن كان قد تاب توبة نصوحاً، .... فهذا أصل عظيم أن عقوبة الدنيا المشروعة من الهجران

إلى القتل لا يمنع أن يكون المعاقب عدلاً أو رجلاً صالحاً كما بينت من الفرق بين عقوبةالدنيا المشروعة والمقدورة؛ وبين عقوبة الآخرة ، وا لله سبحانه أعلم . انتهى ملخصاً .

تنبيه:

وإن قال قائل: ألا يشكل على حديث الباب ما أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم عن أبي أيوب الأنصاري رضي ا لله عنه أن رسول ا لله ﷺ قال: (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام) وذلك في تحديد النبي ﷺ هجر المسلم أخاه بثلاث ليال وتحريمه مازاد على ذلك .

فالجواب كما قاله البغوي رحمه ا لله في (شرح السنة) (١/٢٢٤) تعليقاً على حديث أبي هريرة: (سيكون في آخر أمتي ناس يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم) . «والنهي عن الهجران فوق الثلاث فيما يقع بين الرجلين من التقصير في حقوق الصحبة والعشرة دون ما كان ذلك في حق الدّين فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة إلى أن يتوبوا».

قلت: فالزم هذا فإنه جمع حسن يندفع به التعارض ويزول به الإشكال.

١٦٨- [باب ﴿يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾].

أي أصدقوا وألزموا الصدق تكونوا من أهله وتنجوا من المهالك ويجعل لكم فرجاً من أموركم ومخرجاً.

وفي الصحيحين وغيرهما عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً.

١٩٨- حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب بن مالك قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك فوالله ما أعلم أحداً أبلاه الله في صدق الحديث أحسن مما أبلاني ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً وأنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وكونوا مع الصادقين﴾.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**فوالله ما أعلم أحداً أبلاه الله**» أي أنعم عليه وفي قوله «في صدق الحديث أحسن مما أبلاني» وفي المغازي «في صدق الحديث مذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني وكذلك قوله بعد ذلك في المغازي فوالله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد أن هداني إلى الإسلام أعظم من صدقي لرسول الله ﷺ ففي قوله «أحسن وأعظم» شاهد على أن هذا السياق يورد ويراد به نفي الأفضلية لا المساواة لأن كعباً شاركه في ذلك رفيقان وقد نفى أن يكون أحد حصل له أحسن مما حصل له وهو كذلك لم ينف المساواة.

الثانية: قوله «**ما تعمدت مذ ذكرت ذلك لرسـول الله ﷺ إلى يومي هـذا كذباً**» وقع لأبي ذر بدل قوله «منذ» «مذ ذكرت ذلك» أي القول الصدق قلت: وفيه جواز إظهار المرء ما من الله عليه من حسن الحال بعدمـا أصابه مـن مصيبـة تحدثاً بنعمة الله عليه واعترافاً بفضله ولا يجـوز أن يفهـم منـه عـن كعـب عكـس ذلك قبل المصيبة بدليل قوله والله ما أنعم الله عليّ من نعمة بعد إذ هداني أعظـم من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته».

الثالثة: قوله «**وأنزل الله عز وجل علـى رسـوله ﷺ ﴿لقـد تـاب الله علـى النبي ...الخ﴾**.

قلت: الشاهد من الحديث الأخيرة وما بينهـا وبـين سـابقتها قولـه **﴿وعلـى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضـاقت عليهـم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثـم تـاب عليهـم ليتوبـوا إن الله هـو التواب الرحيم﴾**.

١٦٩ـ [باب قوله ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾].

ش: يقول تعالى ممتناً على المؤمنين بما أرسل إليهم رسولاً من أنفسهم أي من جنسهم وعلى لغتهم كما قال إبراهيم عليه السلام ﴿**ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم**﴾ وقال تعالى ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم**﴾ أي منكم وبلغتكم كما قال جعفر بن أبي طالب ﷺ للنجاشي والمغيرة بن شعبة لرسول كسرى: إن الله بعث فينا رسولاً منا نعرف نسبه وصفته ومدخله ومخرجه وصدقه وكذبه.

وقوله تعالى ﴿**عزيز عليه ما عنتم**﴾ أي يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها ولهذا جاء في الحديث المروي من طرق عنه أنه قال: بعثت بالحنفية السمحة. وفي الصحيح «إن الدين يسر» وشريعته كلها سهلة سمحة كاملة يسيرة على من يسرها الله تعالى عليه ﴿**حريص عليكم**﴾ أي على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم وقوله ﴿**بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾ كقوله ﴿**واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم**﴾.

[قوله من الرأفة]

ش: قال أبو عبيدة: فعول من الرأفة وهي أرق الرحمة قال كعب بن مالك الأنصاري:

نطيع نبينا ونطيع ربنا ... هو الرحمن كان بنا رؤوفا

وقال:

ترى للمسلمين عليك حقاً ... كفعل الوالد الرؤوف الرحيم.

١٩٩ـ حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني ابن

السّباق[1] أن زيد بن ثابت الأنصاري ﷺ وكان ممن يكتب الوحي قال: أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: أن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه وإني لأرى أن تجمع القرآن قال أبو بكر قلت لعمر: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري ورأيت الذي رأى عمر قال زيد بن ثابت وعمر عنده جالس لا يتكلم فقال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال أبو بكر هو والله خير فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم﴾إلى آخرهما وكانت الصحف التى جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه ا لله، ثم عند حفصة بنت عمر.

تابعه عثمان بن عمر والليث عن يونس عن ابن شهاب وقال الليث حدثني عبد الرحمن بن خالد[2] عن ابن شهاب وقال مع أبي خزيمة الأنصاري

---

(١) هو أبو سعيد بن السباق بمهملة وموحدة شديدة المدني الثقفي ثقة من الثالثة. ع.

(٢) هو عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي أمير مصر صدوق من السابعة مات سنة سبع وعشرين و[مائة]. خ. م. مد. ت. س.

وقال موسى عن إبراهيم:حدثنا ابن شهاب مع أبي خزيمة وتابعه يعقوب بن إبراهيم عن أبيه وقال أبو ثابت حدثنا إبراهيم وقال مع خزيمة أو أبي خزيمة.

ش: فيه عشرون مسألة:

الأولى: قوله «**أرسل إليّ أبو بكر الصّديق**» لم يعرف اسم ذلك الرسول ولم يترتب على ذكره فائدة كما لم يترتب على إغفاله ضرر.

الثانية: قوله «**مقتل أهل اليمامة**» أي عقب قتل أهل اليمامة والمراد بأهل اليمامة هنا من قتل بها من الصحابة في الوقعة مع مسيلمة الكذاب، وكانت تلك الوقعة سنة إحدى عشرة وكان من شأنها أن مسيلمة إدعى النبوة وقوي أمره بعد موت النبي ﷺ بارتداد كثير من العرب، فجهز أبو بكر الصديق خالد بن الوليد في جمع كثير من الصحابة فحاربوه أشد المحاربة، إلى أن خذله الله وقتله، وقتل في غضون ذلك من الصحابة جماعة كثيرة قيل سبعمائة وقيل أكثر.

الثالثة: قوله «**قد استحر**» بسين مهملة ساكنة ومثناة مفتوحة بعدها حاء مهملة مفتوحة ثم راء ثقيلة، أي اشتد وكثر، وهو استفعل من الحر لأن المكروه غالباً يضاف إلى الحر، كما أن المحبوب يضاف إلى البرد يقولون: أسخن الله عينه وأقر عينه.

الرّابعة: قوله «**بالقراء في المواطن**» أي الأماكن التي يقع فيها القتال مع الكفار، وفي رواية سفيان «وأنا أخشى أن لا يلقى المسلمون زحفاً آخر إلا استحر القتل بأهل القرآن» وهذه الجملة الأخيرة من عزو الحافظ ولم أقف عليها.

الخامسة: قوله «**فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه**» هذا وما قبله من الأسباب التي دعت عمر إلى أن يشير على أبي بكر بجمع القرآن.

السادسة: قوله «**قلت لعمر كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ**» هو خطاب أبي بكر لعمر، حكاه ثانيا لزيد بن ثابت لما أرسل إليه، وهو كلام يؤثر الاتباع وينفر من الابتداع وفي رواية سفيان بن عيينة تصريح زيد بن ثابت

بذلك، وفي رواية عمارة بن غزية «فنفر منها أبو بكر وقال: أفعل ما لم يفعل رسول الله ﷺ» ؟. كذا حكاه الحافظ. قال الخطابي وغيره: يحتمل أن يكون ﷺ إنما لم يجمع القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته ﷺ ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء لوعد الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة المحمدية زادها الله، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق رضي الله عنه بمشورة عمر» اهـ.

قلت: وأما ما أخرجه مسلم في الزهد باب التثبت في الحديث من حديث أبي سعيد قال «قال رسول الله ﷺ: لا تكتبوا عني شيئا غير القرآن الحديث. فلا ينافي ذلك، لأن الكلام في كتابة مخصوصة على صفة مخصوصة، وقد كان القرآن كله في عهد النبي ﷺ لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور، وقد تسول لبعض الروافض أنه يوجه الاعتراض على أبي بكر بما فعله من جمع القرآن في المصحف فقال: كيف جاز أن يفعل شيئا لم يفعله الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ؟ والجواب: أنه لم يفعل ذلك إلا بطريق الاجتهاد السائغ الناشيء عن النصح منه لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وقد كان النبي ﷺ أذن في كتابة القرآن ونهى أن يكتب معه غيره، فلم يأمر أبو بكر إلا بكتابة ما كان مكتوبا، ولذلك توقف عن كتابة الآية من آخر سورة براءة حتى وجدها مكتوبة، مع أنه كان يستحضرها هو ومن ذكر معه. وإذا تأمل المنصف ما فعله أبو بكر من ذلك جزم بأنه يعد في فضائله وينوه بعظيم منقبته، لثبوت قوله ﷺ «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها» فما جمع القرآن أحد بعده إلا وكان له مثل أجره إلى يوم القيامة. قاله الحافظ

قلت ويرد على اعتراض الرافضة جمع أبي بكر القرآن إجماع الأمة على ذلك وتلقيها إياه بالقبول فكانت حجتهم داحضة.

السّابعة: قوله «**فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله بذلك صدري**»

فيه دليل على أن أبا بكر لم يقبل مشورة عمر بكتب القرآن وجمعه حتى استبان له أن ذلك من النصيحة لله ولكتابه وأنه ليس من الإحداث في دين ا لله.

الثّامنة: قوله «**قال زيد بن ثابت وعمر عنده جالس لا يتكلم وقال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي**» ذكر له أربع صفات مقتضية خصوصيته بذلك: كونه شابا فيكون أنشط لما يطلب منه، وكونه عاقلا فيكون أوعى له، وكونه لا يتهم فتركن النفس إليه، وكونه كان يكتب الوحي فيكون أكثر ممارسة له وفي قول زيد: «وعمر عنده جالس لا يتكلم» دليل على توقير أهل الفضل إذ لم يتفوه عمر بكلمة مع الخليفة وتركه يقول لزيد ما قال.

فائدة: قال الحافظ: «وقال ابن بطال: إنما نفر أبو بكر أولاً ثم زيد بن ثابت ثانيا لأنهما لم يجدا رسول ا لله ﷺ فعله فكرها أن يحلا أنفسهما محل من يزيد إحتياطاً للدين على احتياط الرسول فلما نبههما عمر على فائدة ذلك وأنه خشية أن يتغير الحال في المستقبل إذا لم يجمع القرآن فيصير إلى حالة الخفاء بعد الشهرة، رجعا إليه» اهـ.

ودل ذلك على أن فعل الرسول إذا تجرد عن القرائن ـ وكذا تركه ـ لا يدل على وجوب ولا تحريم انتهى نقله الحافظ.

التّاسعة: قوله «**فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به**» وقع في الفضائل «كلفوني» فأفرد أولاً باعتبار أنّ أبا بكر هو الآمر وحده وجمع ثانيا باعتبار من وافقه.وإنما قال زيد بن ثابت ذلك لما خشيه من التقصير في إحصاء ما أمر بجمعه، لكن ا لله تعالى يسر له ذلك كما قال تعالى ﴿**ولقد يسرنا القرآن للذكر**﴾.

العاشرة: قوله «**فقمت فتتبعت القرآن أجمعه**» أي من الأشياء التي عندي وعند غيري.

الحادية عشرة: قوله «**من العسب**» بضم المهملتين ثم موحدة جمع عسيب وهو جريد النخل، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض. وقيل العسيب طرف الجريدة العريض الذي لم ينبت عليه الخوص، والذي ينبت عليه الخوص هو العسف.

الثّانية عشرة: قوله «**من الرقاع**» جمع رقعة، وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد.

الثّالثة عشرة: قوله «**الأكتاف**» جمع كتف وهو العظم الذي للبعير أو الشاة، كانوا إذا جف كتبوا فيه.

الرّابعة عشرة: قوله «**وصدور الرجال**» أي حيث لا أجد ذلك مكتوبا.أو الواو بمعنى مع أي أكتبه من المكتوب الموافق للمحفوظ في الصدر.

الخامسة عشرة: قوله «**حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع أبي خزيمة الأنصاري**».في الفضائل «وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة» فتكون مفسرة لرواية الباب.

السّادسة عشرة: قوله «**لم أجدها مع أحد غيره**» أي مكتوبة، لما تقدم من أنه كان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة. ولا يلزم من عدم وجدانه إياها حينئذ أن لا تكون تواترت عند من لم يتلقها من النبي ﷺ، وإنما كان زيد يطلب التثبت عمن تلقاه بغير واسطة، ولعلهم لما وجدها زيد عند أبي خزيمة تذكروها كما تذكرها زيد. وفائدة التتبع المبالغة في الإستظهار، والوقوف عندما كتب بين يدي النبي ﷺ

قال الخطابي: هذا مما يخفى معناه ويوهم أنه كان يكتفي في إثبات الآية بخبر الشخص الواحد وليس كذلك، فقد اجتمع في هذه الآية زيد بن ثابت وأبوخزيمة وعمر.

السّابعة عشرة: قوله ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما**

عنتم حريص عليكم﴾ إلى آخرها.

قلت: هذه إحدى الآيتين والأخرى **﴿فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾.**

الثّامنة عشرة: قوله «**عند أبي بكر حتى توفاه الله**» في موطأ ابن وهب عن مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: «جمع أبو بكر القرآن في قراطيس، وكان سأل زيد بن ثابت في ذلك فأبى حتى استعان عليه بعمر ففعل»، وعند موسى بن عقبة في المغازي عن ابن شهاب قال: «لما أصيب المسلمون باليمامة فزع أبو بكر وخاف أن يهلك من القراء طائفة، فأقبل الناس بما كان معهم وعندهم، حتى جمع على عهد أبي بكر في الورق فكان أبو بكر أول من جمع القرآن في الصحف وهذا كله أصح مما وقع في رواية عمارة بن غزية «أن زيد بن ثابت قال: فأمرني أبو بكر فكتبت في قطع الأديم والعسب، فلما هلك أبو بكر وكان عمر كتبت ذلك في صحيفة واحدة فكانت عنده» وإنما كان في الأديم والعسب أولاً قبل أن يجمع في عهد أبي بكر، ثم جمع في الصحف في عهد أبي بكر كما دلت عليه الأخبار الصحيحة المترادفة انتهى من الفتح.

التّاسعة عشرة: قوله «**ثم عند حفصة بنت عمر**» أي بعد عمر في خلافة عثمان، إلى أن شرع عثمان في كتابة المصحف. وإنما كان ذلك عند حفصة لأنها كانت وصية عمر فاستمر ما كان عنده عندها حتى طلبه منها من له طلب ذلك.

العشرون: قوله «**تابعه عثمان بن عمر**» يعني تابع شعيب بن أبي حمزة عن ابن شهاب عثمان بن عمر بن فارس العبدي بصري أصله من بخارى ثقة من التاسعة مات سنة تسع ومائتين. ع.

وهذه المتابعة وصلها أحمد في مسنده قال: حدثنا عثمان بن عمر قال أخبرنا يونس عن الزهري.

وقوله «**والليث**» قلت هذه المتابعة وصلها المصنف في فضائل القرآن باب

كاتب النبي ﷺ وفي التوحيد باب وكان عرشه على الماء.

وقوله «**وتابعه يعقوب بن إبراهيم عن أبيه**» إبراهيم بن سعد المذكور على قوله ابي خزيمة بالكنية وهذه وصلها أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف وغيره. قاله القسطلاني.

وقوله «**وقال أبو ثابت**» قلت هذه المتابعة وصلها المصنف في الأحكام باب يستحب للكاتب أن يكون أمينا عاقلاً.

وقوله «**مع خزيمة أو أبي خزيمة**» بالشك والأرجح كما قال الحافظ ٩/١٥: أن الذي وجد معه آخر سورة التوبة أبو خزيمة بالكنية والذي وجد معه الآية من الأحزاب خزيمة.

من فقه الحديث.

أولاً: فقه عمر ﷺ وشدة نصحه لله ولكتابه.

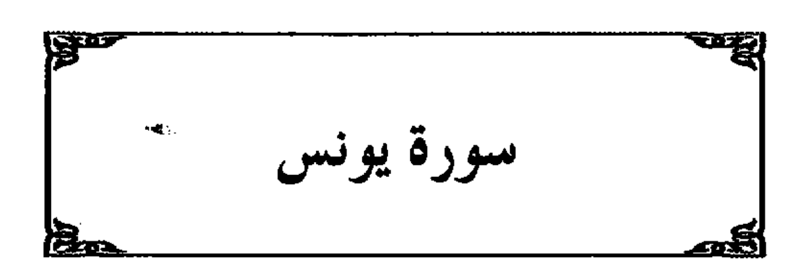
ثانياً: حرص أبي بكر وزيد رضي الله عنهما على إيثار الإتباع والنفرة من الإبتداع.

ثالثاً: يسوغ للإمام قبول الشورى من واحد إذا علم منه سداد الرأي وخالص النصيحة وأنه لا عبرة بجمع الأصوات.

رابعاً: في قول أبي بكر ﷺ لزيد إنك شاب ... الخ جواز الثناء على المرء ومدحه بما هو فيه للمصلحة العامة.

خامساً: شدة تحري زيد ﷺ إذ جمع القرآن من المكتوب والصدور.

آخر تفسير سورة براءة والحمد لله.



١٧٠ـ بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يونس

ش: قد تقدم معنى البسملة، وشاهد التسمية قوله تعالى ﴿فلولا كانت قرية ءامنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما ءامنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين﴾.

وأخرج ابن الضريس عن ابن عباس في قوله ﴿ولقد ءاتيناك سبعا من المثاني﴾ قال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس.

وهي مكية إلا ثلاث آيات وهي من قوله ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك﴾ إلى قوله ﴿ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم﴾.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [وقال ابن عباس: ﴿فاختلط به نبات الأرض﴾ فنبت بالماء من كل لون].

ش: أخرجه ابن جرير من طريق القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس فذكره.ورواه ابن أبي حاتم من طريق العباس بن الوليد بن يزيد البيروتي قراءة أخبرني محمد بن شعيب أخبرني عثمان بن عطاء عن أبيه قال: أما ما اختلط به نبات الأرض فاختلط فنبت بالماء من كل لون.

والآية المشار إليها هي قوله تعالى ﴿**إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام...**﴾ الآية.

٢- [﴿قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني﴾].

ش: تمام الآية ﴿**له ما في السموات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون**﴾.

ولم يذكر المصنف ههنا حديثاً ولا أثراً ولعله يشير إلى ما أخرجه عن ابن عباس في التفسير وقد مضى ولفظه «قال الله كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان وأما شتمه إياي فقوله لي ولد فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً»

٣- [وقال زيد بن أسلم: ﴿أن لهم قدم صدق﴾ محمد ﷺ].

ش: رواه ابن جرير قال حدثني المثنى قال ثنا إسحاق قال ثنا عبد الله بن الزّبير عن ابن عيينة عن زيد بن أسلم فذكره.

كما أخرجه عن الحسن وقتادة بزيادة «شفيع لهم» وهو أحد ثلاثة أقوال حكاها في الأية

ثانيها: بمعنى أن لهم أجراً حسناً بما قدموا من صالح الأعمال وبه قال الضحاك وابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس وابن زيد

وثالثها: بمعنى سابق صدق في اللوح المحفوظ من السعادة وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية.اهـ

قلت:وثاني هذه الأقوال وثالثها أرجح عندي لموافقتهما ظاهر الآية ولا حجة في صرفه.

٤- [وقال مجاهد خير].

ش:رواه ابن جرير حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو غاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

٥- [يقال ﴿تلك ءايات﴾ يعني هذه أعلام القرآن].

ش:قال أبو عبيدة: مجازها هذه آيات الكتاب الحكيم أي القرآن قال الشاعر:

ـ مافهم من الكتاب أم آي القرآن ـ

وقال الحافظ: «وفي تفسير السدي: آيات الكتاب الأعلام».

والآية المشار إليها هي **﴿الـــر تلك ءايت الكتب الحكيم﴾**.

قال قتادة: الكتب التي كانت قبل القرآن.

وقال مجاهد: التوراة والإنجيل.

وقال آخرون: آيات القرآن.

أخرج القولين ابن جرير ورجح ثانيهما.

٦- [ومثله ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم﴾ المعنى بكم].

ش: قال الحافظ: «و الجامع بينهما أن في كل منهما صرف الخطاب عن الغيبة إلى الحضور وعكسه»

والآية المشار إليها **﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في**

الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنّوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدّين...﴾ الآية

٧- [﴿دعواهم﴾ دعاؤهم].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: أي قولهم وكلامهم.

والآية المشار إليها هي قوله: **﴿دعواهم فيها سبحانك اللّهمّ وتحيتهم فيها سلام وءاخر دعواهم أن الحمد لله رب العلمين﴾.**

٨- [أ﴿أحيط بهم﴾ دنوا من الهلكة ﴿أحاطت به خطيئته﴾].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ويقال إنه محاط بك والإدراك أي إنك مدرك فمهلك.

والآية المشار إليها مضت في الأثر السادس.

٩- [﴿فاتبعهم﴾ وأتبعهم واحد].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه تبعهم وهما سواء.

والآية المشار إليها: **﴿وجاوزنا ببني إسراءيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا﴾.**

١٠- [﴿عدوا﴾ من العدوان].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه عدواناً.

١١- [وقال مجاهد: ﴿ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير﴾ قول الإنسان لولده وماله إذا غضب: اللّهمّ لا تبارك فيه والعنه ﴿لقضى إليهم أجلهم﴾ لأهلك من دعي عليه ولأماته].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وقال قتادة: هو دعاء الرجل على نفسه وماله بما يكره أن يستجاب له.

والآية المشار إليها ﴿**ولو يعجل ا لله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم**﴾.

١٢- [﴿للذين أحسنوا الحسنى﴾ مثلها حسنى ﴿وزيادة﴾ مغفرة].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وزاد «ورضوان».

وفي الآية ثلاثة أقوال أخرى:

أحدها: الحسنى الجنة و الزيادة عليها النظر إلى ا لله تعالى قاله أبو بكر الصديق وعامر بن سعد وحذيفة وأبو إسحاق وأبو موسى وعبد الرحمن بن أبي ليلى والحسن وعبد الرحمن بن مهدي وقتادة وعبد الرحمن بن سابط وعليّ.

وثانيها: أن الحسنى واحدة من الحسنات بواحدة والزيادة التضعيف إلى تمام العشر قاله ابن عباس وعلقمة بن قيس والحسن في رواية.

ثالثها: أن الزيادة ما أعطوا في الدنيا وهو قول ابن زيد وابن عباس في رواية.

حكاها جميعا ابن جرير ورجح أوّلها.

قال مقيده: ونحن نرجح ما قاله الصديق ومن وافقه لما رواه أحمد ومسلم وغيرهما عن صهيب رضي ا لله عنه (أن رسول ا لله ﷺ تلى هذه الآية ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** ﴾ وقال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند ا لله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون وما هو ألم يثقل موازيننا؟، ألم يبيض وجوهنا ؟ ويدخلنا الجنة ؟ ويجرنا من النار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه، فوا لله ما أعطاهم ا لله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم). والآية المشار إليها هي ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة**﴾.الآية.

١٣- [﴿الكبرياء﴾ الملك].

ش: رواه ابن جرير حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿**وتكون لكما الكبرياء في الأرض**﴾ قال: الملك.وأخرج عن الضحاك قال الطاعة ثم قال بعد ذلك وهذه الأقوال كلها متقاربات المعانى وذلك أن الملك سلطان والطاعة ملك غير أن معنى الكبرياء هو ما ثبت في كلام العرب ثم يكون ذلك عظمة بملك وسلطان وغير ذلك.

والآية المشار إليها:﴿**قالوا أجئتنا لتلفتنا عمّا وجدنا عليه ءاباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض**﴾.

١٧١- [باب ﴿وجاوزنا ببني إسراءيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال ءامنت أنه لا إله إلا الذي ءامنت به بنوا إسراءيل وأنا من المسلمين﴾].

ش: يقول تعالى ذكره وقطعنا ببني إسراءيل البحر حتى جاوزوه **﴿فأتبعهم فرعون﴾** يقول فتبعهم فرعون **﴿وجنوده﴾** يقال منه أتبعته وتبعته بمعنى واحد **﴿بغيا﴾** على موسى وهارون ومن معهما من قومهما من بني إسراءيل **﴿وعدوا﴾** يقول واعتداء عليهم وهو مصدر من قولهم عدا فلان على فلان في الظلم يعدو عليه عدواً، مثل غزا يغزو غزواً **﴿حتى إذا أدركه الغرق﴾** يقول حتى إذا أحاط به الغرق وفي الكلام متروك قد ترك ذكره بدلالة ما ظهر من الكلام عليه وذلك فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا فيه فغرقناه حتى إذا أدركه الغرق.

وقوله **﴿ءامنت أنه لا إله إلا الذي ءامنت به بنو إسراءيل وأنا من المسلمين﴾** يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل فرعون حين أشرف على الغرق وأيقن بالهلكة **﴿ءامنت﴾** يقول أقررت **﴿أنه لا إله إلا الذي ءامنت به بنو إسراءيل﴾**.اهـ

[﴿ننجيك﴾ نلقيك على نجوة من الأرض وهو النشز المكان المرتفع].

ش:قال أبو عبيدة مجازه نلقيك على نجوة أي ارتفاع ليصير علَماً أنه قد غرق.وقال ابن جرير: «والنجوة الموضع المرتفع على ما حوله من الأرض ومنه قول أوس بن حجر:

فمن بعقوته كمن بنجوته والمستكن كمن يمشي بقرواح»اهـ

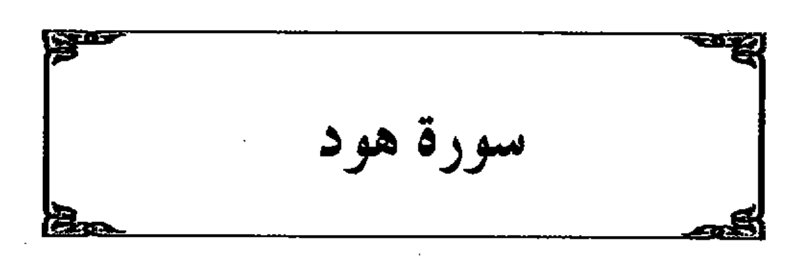
والآية المشار إليها:**﴿فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك ءاية وإن كثيرا من الناس عن ءايتنا لغافلون﴾**.

٤٠٠- حدثني محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن

سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قدم النبي ﷺ المدينة واليهود تصوم عاشورا فقالوا هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون فقال النبي ﷺ لأصحابه: أنتم أحق بموسى منهم فصوموا.

سيأتي في تفسير سورة طه ضمن الباب رقم تسع وعشرين ومائتين.

آخر سورة يونس و لله الحمد والمنة.



سورة هود

١٧٢- بسم الله الرحمن الرحيم

سورة هود.

ش: شاهد التّسمية قوله تعالى **﴿وإلى عاد أخاهم هود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾**.

قال بعض أهل العلم هو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن العوص بن أرم بن سام بن نوح

قلت: فهو نبي من نسل نبي ﷺ.

وأخرج الطبراني وابن مردويه عن عقبة بن عامر أن رجلاً قال يا رسول الله شبت قال: شيبتني هود وأخواتها قال في المجمع رجاله رجال الصحيح وقال السيوطي رواه الطبراني وابن مردويه بسند صحيح.

وعن ابن عباس قال: قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - سألت النبي ﷺ ما شيبك قال سورة هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت.أخرجه الحاكم والبيهقي في الشعب والدارقطني في العلل.

وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقتادة إلا آية وهي قوله **﴿أقم الصلاة طرفي النهار...﴾** وآياتها ثلاث وعشرون ومائة.

شرح جملة من الآثار والكلمات

١- [قال ابن عباس ﴿عصيب﴾ شديد].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثني عليّ قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن عليّ عن ابن عباس فذكره. كما أخرجه أيضاً عن قتادة ومجاهد

والآية المشار إليها: **﴿ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب﴾.**

٢- [﴿لا جرم﴾ بلى].

ش: أخرجه ابن أبي حاتم: حدثني أبي عن أبي صالح كاتب الليث حدثني معاوية بن صالح عن عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها: **﴿لاجرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون﴾.**

٣- [وقال غيره ﴿وحاق﴾ نزل].

ش: **قلت:** يعني غير ابن عباس والقائل هو أبو عبيدة وزاد «بهم وأصابهم»

والآية المشار إليها: **﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون﴾.**

٤- [﴿يحيق﴾ : ينزل].

ش: **قلت:** والآية المشار إليها: **﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾**. وقد ذكرها المصنف رحمه الله استشهادا لما قبلها.

٥- [﴿يؤوس﴾ فعول من يئست].

ش: قاله أبو عبيدة والآية المشار إليها: **﴿ولئن أذقنا الإنسن منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤوس كفور﴾.**

٦- [وقال مجاهد: ﴿تبتئس﴾ تحزن].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: فلا تبتئس قال لا تحزن. كما أخرجه عن ابن

عباس وقتادة

والآية المشار إليها﴿**وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد ءامن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون**﴾.

٧- [﴿يثنون صدورهم﴾ شك وامتراء في الحق ﴿ليستخفوا منه﴾ من الله إن استطاعوا].

ش:رواه ابن جرير: حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها:﴿**ألا إنّهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرّون وما يعلنون إنّه عليم بذات الصّدور**﴾.

٨- [وقال أبو ميسرة الأوّاه الرحيم بالحبشية].

ش: أخرجه ابن جرير عند تفسير الآية الرابعة عشرة بعد المائة من سورة براءة: حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن زكريا عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة قال: الأوّاه الرحيم.

والآية المشار إليها:﴿**إنّ إبراهيم لحليم أوّاه منيب**﴾.

٩- [وقال ابن عباس: ﴿بادئ الرأي﴾ ما ظهر لنا].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا القاسم قال ثنا الحسين ثنا حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس فذكره.

وقال أبو عبيدة ﴿بادئ الرأي﴾ مهموز لأنه من بدأت عن أبي عمرو. ومعناه أول الرأي، ومن لم يهمز جعله ظاهر الرأي من بدا يبدو وقال الراجز وقد علتني ذراة بادي بدي فلم يهمز جعلها من بدا الذارة الشّمط القليل في السّواد، ملح ذراني الكثير البياض وكبش اذرأ، ونعجة ذرعاء في أذنها بياض شبه النمش.

والآية المشار إليها ﴿**فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلاّ بشراً**

مِّثْلنا وما نراك اتبعك إلاّ الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنّكم كاذبين﴾.

١٠- [وقال مجاهد ﴿الجودى﴾ جبل بالجزيرة].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثنا أبن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.وبه قال سفيان وقال قتادة هو جبل بالموصل وقال ابن عباس: على الجبل واسمه الجودي.

قلت: وهذه الأقوال قد اتفقت كما ترى على أن الجودي اسم جبل وإنما اختلفت في موضعه ولعل البخاري اختار قول مجاهد لأنه قول الأكثر.

والآية المشار إليها:**﴿وقيل يأرض ابلعى ماءك ويسماء أقلعى وغيض المآء وقضى الأمر واستوت على الجودىّ وقيل بعداً لّلقوم الظّلمين﴾.**

١١- [وقال الحسن ﴿إنّك لأنت الحليم ﴾ يستهزؤون به].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق أبي المليح عن الحسن البصري بهذا وأراد الحسن أنهم قالوا له ذلك على سبيل الإستعارة التهكمية قاله في الفتح ٦/ ٤٥٠.

والذي وجدته عند ابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية حدثنا المنذر بن شاذان عن زكريا بن عدي عن أبي المليح عن ميمون بن مهران في قول الله **﴿إنك لأنت الحليم الرّشيد﴾** قال هزواً.

وأخرجه ابن جرير عن ابن جريج وابن زيد.

والآية المشار إليها:**﴿قالوا يشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد ءاباؤنا أو أن نّفعل فى أموالنا ما نشؤا إنّك لأنت الحليم الرشيد﴾.**

١٢- [وقال ابن عباس ﴿اقلعى﴾ امسكي].

ش: وصله ابن أبي حاتم:حدثني أبي عن أبي صالح حدثني معاوية بن صالح عن عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله **﴿وياسماء اقلعي﴾** يقول أمسكي.

وروى عن قتادة نحو ذلك.

والآية المشار إليها قد مضت ضمن الأثر رقم عشرة.

١٣- [﴿وفار التنور﴾ نبع الماء].

ش: أخرجه ابن أبي حاتم ثني أبي عن أبي صالح حدثنا معاوية بن صالح عن عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله **﴿وفار التنور﴾** يقول نبع.

وأخرجه ابن جرير عنه من وجه آخر قال: التنور وجه الأرض قيل له إذا رأيت الماء على وجه الأرض فاركب أنت ومن معك.

١٤- وقال عكرمة: وجه الأرض.

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن إدريس قال أخبرنا الشيباني عن عكرمة في قوله **﴿وفار التنورْ﴾** قال وجه الأرض.

وقال الحسن ومجاهد وهو رواية عن ابن عباس هو التنور الذي يختبز فيه أخرجه عنهم ابن جرير واختاره.

والآية المشار إليها: **﴿حتىإذا جآء أمرنا وفار التّنّور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن ءامن ومآ ءامن معه إلا قليل﴾.**

١٧٣- [باب ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور﴾.

ش: في معنى قوله تعالى **﴿ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم﴾** خمسة أقوال لأهل التفسير:

أولها: أنه من فعل بعض المنافقين كان إذا مر برسول الله ﷺ غطى وجهه وثنى ظهره وبه قال عبد الله بن شدّاد.

وثانيها: أنهم يفعلون ذلك جهلا منهم بالله وظنا أن الله يخفى عليه ما تضمره صدورهم إذا فعلوا ذلك وبه قال مجاهد والحسن وأبو رزين.

وثالثها: إنما كانوا يفعلون ذلك لئلا يسمعوا كلام الله وهو قول قتادة.

ورابعها: إنما هذا إخبار من الله نبيه ﷺ عن المنافقين الذين كانوا يضمرون له العداوة والبغضاء ويبدون له المحبة والمودة.

وخامسها: وهو قول ابن زيد وابن عباس أنهم كانوا يفعلون ذلك إذا ناجى بعضهم بعضاً.

حكاها ابن جرير واختار تأويل من قال أنهم كانوا يفعلون ذلك جهلاًمنهم بالله.

قوله **﴿يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾** يقول جل ثناؤه يعلم ما يسر هؤلاء الجهلة بربهم الظانون أن الله يخفى عليه ما أضمرته صدورهم إذا حنوها على ما فيها وثنوها وما تناجوه بينهم فأخفوا وما يعلنون سواء عنده سرائر عباده وعلانيتهم.

قوله **﴿إنه عليم بذات الصدور﴾** وجملة إنه عليم بذات الصدور تعليل لما قبلها وتقرير له وذات الصدور هي الضمائر التي تشتمل عليها الصدور وقيل هي القلوب والمعنى أنه عليم بجميع الضمائر أو عليم بالقلوب وأحوالها في الإسرار والإظهار فلا يخفى عليه شيء من ذلك.

٢٠١ـ حدثنا الحسن بن محمد بن صباح[١] حدثنا حجاج قال: قال ابن جريج:أخبرني محمد بن عباد بن جعفر[٢] أنه سمع ابن عباس يقرأ (ألا إنهم تثنوني صدورهم) قال: سألته عنها فقال: أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء فنزل ذلك فيهم.

٢٠٢ـ حدثني إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام عن ابن جريج وأخبرني محمد بن عباد بن جعفر أن ابن عباس قرأ (ألا إنهم تثنوني صدورهم) قلت يا أبا العباس ما تثنوني صدورهم ؟ قال: كان الرجل يجامع امرأته فيستحي أو يتخلى فيستحي فنزلت (ألا إنهم تثنوني صدورهم).

٢٠٣ـ حدثنا الحميدي[٣] حدثنا سفيان حدثنا عمرو[٤] قال قرأ ابن عباس ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم﴾ وقال غيره عن ابن عباس يستغشون يغطون رؤوسهم.

ش: قلت اتفق الخبر الأول والثاني على أن نزول الآية فيمن كانوا يستحيون أن يفضوا بعوراتهم إلى السّماء حين التّخلي أو حين الجماع وعليه فإن الآية دليل على أنه لا حرج من الإفضاء بالعورة إلى السّماء في هذين الحالين وقوله تثنوْني على وزن تفعوْلل وإعراب الصدور فاعلا هو قراءة عكرمة أيضاً أخرج ذلك ابن جرير واختار قراءة العامة وهي يثنون.

---

(١) الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني أبو علي البغدادي صاحب الشافعي وقد شاركه في الطبقة الثانية من شيوخه ثقة من العاشرة مات سنة ستين ومائتين أو قبلها بسنة.خ. ٤.

(٢) محمد بن عباد بن جعفر بن مخزوم المخزومي المكي ثقة من الثالثة.ع.

(٣) الحميدي هو أبو بكر عبد الله بن الزّبير بن عيسى القرشي الأسدي ثقة حافظ فقيه من العاشرة مات بمكة سنة تسع عشرة [ومائتين] وقيل بعدها. خ.م.د.ت.س.فق.

(٤) أبو محمد عمرو بن دينار المكي الأثرم الجمحي مولاهم ثقة ثبت من الرابعة مات سنة ست وعشرين ومائة.ع.

وقوله في الخبر الثالث «وقال غيره» أي غير عمرو بن دينار. وقد أخرجه ابن أبي حاتم ثنا أبي عن أبي صالح حدثني معاوية بن صالح عن عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿يستغشون ثيابهم﴾ يقول يغطون رؤوسهم.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [﴿سيء بهم﴾ ساء ظنه بقومه ﴿وضاق بهم﴾ بأضيافه].

ش: اخرجه ابن جرير ثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله **﴿ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً﴾**.يقول ساء ظنا بقومه وضاق ذرعا بأضيافه.

والآية المشار إليها سبق ذكرها في الباب قبله ضمن الأثر رقم واحد.

٢- [﴿بقطع من الليل﴾ بسواد].

ش: رواه ابن أبي حاتم: حدثني أبي عن أبي صالح حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله بقطع من الليل سواد من الليل.

وأخرجه عن قتادة قال: بطائفة من الليل أي سواده.

والآية المشار إليها:**﴿قالوا يالوط إنّا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب﴾**.

٣- [وقال مجاهد: ﴿أنيب﴾ أرجع].

ش: اخرجه ابن جرير ثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد **﴿وإليه أنيب﴾** قال: أرجع.

والآية المشار إليها:**﴿وما توفيقى إلا با لله عليه توكلت وإليه أنيب﴾**.

١٧٤ـ باب قوله ﴿وكان عرشه على الماء﴾.

ش: قلت الآية **﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إنْ هذا إلا سحر مبين﴾**.

قوله **﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء﴾**.يخبر تعالى عن قدرته على كل شيء وأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام وأن عرشه كان على الماء قبل ذلك وأخرج الإمام أحمد والشيخان واللفظ للبخاري عن عمران ابن حصين رضي الله عنهما قال: دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب فأتاه ناس من بني تميم فقال: اقبلوا البشرى يابني تميم قالوا: قد بشرتنا فأعطنا مرتين ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم قالوا: قد قبلنا يا رسول الله قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر قال: كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض وفي رواية أنهم قالوا جئناك نسألك عن أول هذا الأمر فقال: كان الله ولم يكن شيء قبله وفي رواية معه وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض.

قوله **﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾** اللام متعلقة بخلق أي خلق هذه المخلوقات ليبتلي عباده بالإعتبار والتفكر والإستدلال على كمال قدرته وعلى البعث والجزاء أيهم أحسن عملا فيما أمر به ونهى عنه فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ويوفر الجزاء لمن كان أحسن عملا من غيره ويدخل في العمل الإعتقاد لأنه من أعمال القلب.

قوله **﴿ولئن قلت إنكم مبعوثون﴾** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ولئن

قلت لهؤلاء المشركين من قومك إنكم مبعوثون أحياء من بعد مماتكم فتلوت عليهم بذلك تنزيلي ووحيي ليقولن إن هذا إلا سحر مبين أي ما هذا الذي تتلوه علينا مما تقول إلا سحر لسامعه مبين حقيقته أنه سحر.

من فقه الآية:

أولاً: عظيم قدرة الله عزوجل.

ثانياً: سبق العرش في الخلق للسموات والأرض كما دلت عليه السنة التي ذكرناها في معنى الآية.

ثالثاً: ليست العبرة بكثرة العمل وحدها بل بإحسانه وهو أن يكون خالصا لله صوابا على سنة رسوله ﷺ.

رابعاً: وجوب الإيمان بالبعث والجزاء وأن منكر ذلك كافر.

٢٠٤ـ حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: قال الله ﷻ: أَنفق أُنفق عليك وقال يد الله ملأى لا تغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماءَ والأرض؟ فإنه لم يغض ما في يده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع.

ش / فيه إحدى عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**قال الله عزوجل**» في رواية سفيان قال «قال الله تبارك وتعالى يا ابن آدم» وفي رواية همام بن منبه «إن الله قال لي» وكلتاهما عند مسلم في الزكاة باب الحث على النفقة، والجامع بينهما أن توجيه الخطاب للنبي ﷺ لكونه الواسطة في التشريع وتوجيه الخطاب لغيره من بني آدم لكونهم المأمورين.

الثانية: قوله «**أَنفق أُنفق عليك**» فيه التحريض على النفقة، واجبة كانت أو مندوبة ووعد الله على ذلك بالإنفاق على المنفق يتضمن الخلف له وهو في الدنيا بالزيادة والبركة في ماله وفي الآخرة بالأجر، وفي الحديث الصحيح «ما من يوم

يصبح فيه العباد إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم اعـط منفقـاً خلفـا...» الحديث.

الثالثة: قوله «**يد ا لله ملأى**» بفتح الميم وسكون اللام وهمزة مع القصر تأنيث ملآن ووقع بلفظ «ملآن» في رواية لمسلم في الزكاة ووجّهها بعضهم بإرادة اليمين فإنها تذكر وتؤنث وكذلك الكف

الرابعة: قوله «**لايغيضها**» بالمعجمتين بفتح أوله أي لا ينقصها، يقال غاض الماء يغيض إذا نقص

الخامسة: قوله «**سَحَّاء**» بفتح المهملتين مثقل ممدود أي دائمة الصب يقال سح بفتح أوله مثقل يسح بكسر السين في المضارع ويجوز ضمها وضبط عند مسلم «سحاً» بلفظ المصدر.

السادسة: قوله «**الليل والنهار**» بالنصب على الظرف أي فيهما ويجوز الرفع ووقع في رواية لمسلم «**سحَ الليلِ والنهار**» بالإضافة وفتح الحاء ويجوز ضمها.

السابعة: قوله «**أرأيتم ما أنفق**» أي أخبروني والمراد به التنبيه على وضوح ذلك لمن له بصيرة.

الثامنة: قوله «**منذ خلق السموات والأرض**» في التوحيد من هذا الوجه «**منذ خلق ا لله**» وكذا في رواية همام.

التاسعة: قوله «**فإنه لم يغض**» أي ينقص ووقع في رواية همام عند مسلم «لم ينقص ما في يمينه قال الحافظ: قال الطيبي: يجوز أن تكون ملأى ولا يغيضها «وسحاء وأرأيت» أخبارا مترادفة ليد ا لله ويجوز أن تكون الثلاثة أوصافا لملأى ويجوز أن يكون «أرأيتم» استئنافا فيه معنى الترقي كأنه لما قيل ملأى أوهم جواز النقصان فأزيل بقوله لا يغيضها شيء وقد يمتلىء الشيء ولا يغيض فقيل سحاء

إشارة إلى الغيض وقرنه بما يدل على الإستمرار من ذكر الليل والنهار ثم أتبعه بما يدل على أن ذلك ظاهر غير خاف على ذي بصر وبصيرة بعد أن اشتمل من ذكر الليل والنهار بقوله أرأيتم على تطاول المدة لأنه خطاب عام والهمزة فيه للتقرير قال وهذا الكلام إذا أخذته بجملته من غير نظر إلى مفرداته أبان زيادة الغنى وكمال السّعة والنّهاية في الجود والبسط في العطاء.

العاشرة: قوله «**كان عرشه على الماء**» مناسبة ذكر العرش هنا أن السّامع يتطلع من قوله «خلق السموات والأرض» ما كان قبل ذلك فذكر ما يدل على أن عرشه قبل خلق السموات والأرض كان على الماء كما وقع في حديث عمران بن حصين المتقدم في شرح الآية بلفظ «كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض».

الحادية عشرة: قوله «**وبيده الميزان**» في التوحيد وبيده الأخرى وفيه دليل على أن الرب له يدان وقوله الميزان قال الخطابي: الميزان مثل والمراد القسمة بين الخلق وإليه الإشارة بقوله يخفض ويرفع وقال الداودي معنى الميزان أنه قدر الأشياء ووقتها وحددها فلا يملك أحد نفعا ولا ضرا إلا منه وبه وعند المصنف في رواية همام «وبيده الأخرى الفيض أو القبض» بالشك وعند مسلم «القبض» بالجزم.

قال مقيده: فتحصل عندنا من هذه الروايات أن الله جل علاه ينفق كيف يشاء وأنه يخفض ويرفع ويعطي ويمنع وكل ذلك منه بحكمة وعدل، ويحتمل أن يكون المراد بالقبض المنع لأن الإعطاء قد ذكر في قوله قبل ذلك سحاء الليل والنهار، فيكون مثل قوله تعالى ﴿**والله يقبض ويبسط**﴾ ووقع في حديث النواس بن سمعان عند مسلم «الميزان بيد الرحمن يرفع أقواما ويضع آخرين» وفي حديث أبي موسى عند مسلم في الإيمان باب إن الله لا ينام «إن الله لا ينام ولا ينبغي أن ينام يخفض القسط ويرفعه» وظاهره أن المراد بالقسط الميزان، وهو مما يؤيد أن

الضمير المستتر في قوله يخفض ويرفع للميزان قال المازري: ذكر القبض والبسط وإن كانت القدرة واحدة لتفهيم العباد أنه يفعل بها المختلفات.

من فقه الحديث:

أولاً: سعة فضل الله وكثرة جوده.

ثانياً: كمال قدرته.

ثالثاً: إثبات اليدين لله ﷻ وهما صفتا ذات حقيقيتان.

رابعاً: أن خلق العرش قبل خلق السماوات والأرض.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [﴿اعتراك﴾ افتعلك من عروته أي أصبته ومنه يعروه واعتراني].

ش: قاله أبو عبيدة وأنشد

«تذكر دخلاً عندنا وهو فاتك من القوم يعروه اجتراء ومأثم»اهـ

والآية المشار إليها: **﴿إن نقول إلاّ اعتراك بعض ءالهتنا بسوء قال إنى أشهد الله واشهدوا أنّي بريء مّمّا تشركون﴾**.

٢- [﴿ءاخذ بناصيتها﴾ أي في ملكه وسلطانه].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: إلا هو في قبضته.

والآية المشار إليها: **﴿إنّي توكلت على الله ربي وربكم ما من دآبة إلا هو ءاخذ بناصيتهآ إنّ ربي على صراط مستقيم﴾**.

٣- [﴿عنيد﴾ وعنود وعاند واحد هو تأكيد التجبر].

ش: قال أبو عبيدة: «وهو العنود أيضاً والعاند سواء وهو الجائر العادل عن الحق قال الراجز: إني كبير لا أطيق العنّدا.

يعني الإبل ويقال عرق عاند أي ضار لا يرقأ قال العجاج مما ضرى العرق به الضري»اهـ

والآية المشار إليها:﴿**وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد**﴾.

٤- [﴿استعمركم﴾جعلكم عمارا أعمرته الدار فهي عمرى جعلتها له].

ش: قال أبو عبيدة: «مجازه جعلكم عمار الأرض يقال أعمرته الدار أي جعلتها له أبداً وهي العمرى وأرقبته أسكنته إياها إلى موته»اهـ

والآية المشار إليها:﴿**وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب**﴾.

٥- [﴿نَكِرَهم﴾ وانكرهم واستنكرهم واحد].

ش: قال أبو عبيدة: «نكرهم وانكرهم سواء قال الأعشى:

فأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا»اهـ

والآية المشار إليها:﴿**فلما رءا أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة**﴾.

٦- [﴿حميد مجيد﴾ كأنه فعيل من ماجد محمود من حمد].

ش: قال أبو عبيدة في الآية: «أي محمود ماجد».

وقال ابن جرير: «يقول إن الله محمود في تفضله عليكم بما تفضل به من النعم عليكم وعلى سائر خلقه ﴿**مجيد**﴾ يقول ذو مجد ومدح وثناء كريم يقال في فعل منه مجد الرجل يمجد مجادة إذا صار كذلك وإذا أردت أنك مدحته قلت مجدته تمجيداً».

والآية المشار إليها:﴿**قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد**﴾.

٧- [﴿سجيل﴾ الشديد الكبير سجيل وسجين ،اللام والنون أختان وقال تميم ابن مقبل:

ورجْلةٍ يضربون البِيْضَ ضاحيةً ضربا تَواصى به الأبطالُ سجِّينا .أهـ

ش: قال أبو عبيدة في الآية: «وهو الشديد من الحجارة الصلب ومن الضرب قال ضربا تواصى به الأبطال سجيلا.

وبعضهم يحول اللام نونا كقول النابغة:

بكل مدجج كالليث يسمو على أوصال ذيّال رفن

يريد رفل»اهـ.

والآية المشار إليها:﴿**فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود**﴾.

٨- [﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا﴾ إلى أهل مدين لأن مدين بلد ومثله ﴿واسأل القرية﴾ واسأل العير يعني أهل القرية وأصحاب العير].

ش: قال أبو عبيدة: «مدين لا ينصرف لأنه إسم مؤنث ومجازه مجاز المختصر الذي فيه ضمير وإلى أهل مدين وفي القرآن مثله قال ﴿**وسئل القرية**﴾ أي أهل القرية ﴿**وسئل العير**﴾ أي من في العير»اهـ.

وأخرج ابن جرير عند تفسير الآية الخامسة والثمانين من سورة الأعراف عن ابن إسحاق: «أن مدين قبيلة كتميم وزعم أيضا ابن إسحاق أن شعيبا الذي ذكر الله أنه أرسله إليهم من ولد مدين هذا وأنه شعيب ين ميكيل بن يشجر قال واسمه بالسريانية بثرون»اهـ.

والآية المشار إليها:﴿**وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان**﴾.

٩- [﴿ورآءكم ظهريا﴾ يقول لم تلتفتوا إليه ويقال إذا لم يقض الرجل حاجته ظهرتَ بحاجتي وجعلتني ظهريا والظهري ههنا أن تأخذ معك دابة أو وعاء تستظهر به].

ش: قال أبو عبيدة: «مجازه ألقيتموه خلف ظهوركم فلم تلتفتوا إليه ويقال للذي لا يقضي حاجتك ولا يلتفت إليها ظهرت بحاجتي وجعلتها ظهرية أي خلف ظهرك وقال:

وجدنا بني البرصاء من ولد الظهر.

أي من الذين يظهرون بهم ولا يلتفتون إلى أرحامهم»اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿قال يقوم أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه ورآءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط﴾.

١٠- [﴿أراذلنا﴾ سقاطنا].

ش: قال ابن جرير في الآية يقول: «وما نراكك اتبعك إلا الذين هم سفلتنا من الناس دون الكبراء والأشراف».

والآية المشار إليها مضت ضمن الأثر العاشر من الباب الثاني والسبعين بعد المائة.

١١- ﴿إجرامي﴾ هو مصدر من أجرمت وبعضهم يقول جرمت

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «تجرم وقال الهيردان السعدي أحد لصوص بني سعد:

طريد عشيرة ورهين ذنب بما جرمت يدي وجنى لساني».

والآية المشار إليها: ﴿أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا برىء مما تجرمون﴾.

١٢- [﴿الفلك﴾ والفَلَك واحد وهي السّفينة والسّفن].

ش: «قال أبو عبيدة: «الفلك واحد وجميع وهي السفينة والسفن مثل السلام واحدها السلامة مثل نعام ونعامة وقتاد وقتادة» إنتهى.

وقال ابن جرير: «والفلك هو السفن واحده وجمعه بلفظ واحد ويذّكر ويؤنّث».

والآية المشار إليها:﴿**واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون**﴾.

١٣- [﴿مجراها﴾ مَدْفعها وهو مصدر أجريتُ وأرسيتُ حبستُ ويُقرأ مَرْسَاهامن رستْ هي ومَجراها من جرَت هي، ومجرِيها ومرسِيها من فعل بها].

ش: قوله ومجراها قرأ حفص وحمزة والكسائي بفتح الميم والإمالة بنون على جريت فهو مصدر جرت دليله قوله تجري بهم ولو حمل على الضم لقال تجريهم وقرأ الباقون بضم الميم وأمال أبو عمرو وقرأ ورش بين اللفظين بنون مصدرا من أجرى وهما لغتان يقال جريت به وأجريته مثل ذهبت به وأذهبته وقد أجمعوا على الضم في مرساها من رسيت وهم يقولون رست وقد أجمعوا على ﴿**الجبال أرساها**﴾ النازعات وعلى الضم في ﴿**أيان مرساها**﴾ الأعراف والضم في الميم في ﴿**مجراها**﴾ الإختيار لأن الأكثر عليه». قاله مكي في الكشف.

والآية المشار إليها:﴿**وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم**﴾.

١٤- [﴿راسيات﴾ : ثابتات].

ش: قال أبو عبيدة في قوله تعالى من سورة سبأ «﴿**وقدور راسيات**﴾ عظام ويقال ثابتات دائمات قال زهير:

وأين الذين يحضرون جفانه إذا قدمت ألقوا عليها المراسيا.

أي أثبتوا عليها»انتهى.

قلت: وليست الكلمة من سورة هود بل هي الآية الثالثة عشرة من سورة سبأ وقد ذكر ذلك استطرادا واستشهادا لما قبله.

١٧٥ـ باب ﴿ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة ا لله على الظالمين﴾.

ش: قلت: الآية ﴿ومن أظلم ممن افترى على ا لله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلآء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة ا لله على الظالمين﴾.

يقول تعالى ذكره: وأي الناس أشد تعذيبا ممن اختلق على ا لله كذبا فكذب عليه أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين يكذبون على ربهم يعرضون يوم القيامة على ربهم فيسألهم عما كانوا في دار الدنيا يعملون.

وقوله **﴿ويقول الأشهاد﴾** يعني الملائكة والأنبياء الذين شهدوهم وحفظوا عليهم ما كانوا يعملون وهم جمع شاهد مثل الأصحاب الذي هو جمع صاحب **﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم﴾** يقول شهد هؤلاء الأشهاد في الآخرة على هؤلاء المفترين على ا لله في الدنيا فيقولون هؤلاء الذين كذبوا في الدنيا على ربهم.

يقول ا لله **﴿ألا لعنة ا لله على الظالمين﴾** وهذا بيان بسوء مصيرهم يوم القيامة وذلك أنّ عليهم من ا لله اللعنة واللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة ا لله ولازم هذا شدة غضبه وسخطه عليهم.

[واحد الأشهاد شاهد مثل صاحب وأصحاب].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «ويقول بعضهم شهيد في معنى شاهد بمنزلة شريف والجميع أشراف». اهـ

٢٠٥ـ حدثنا مسدد حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد وهشام قالا حدثنا قتادة عن صفوان بن محرز[1] قال: بينا ابن عمر يطوف إذ عرض رجل فقال:

---

(١) صفوان بن محرز بن زياد المازني أو الباهلي ثقة عابد من الرابعة مات سنة أربع وسبعين.[ومائة] خ.م.ت.س.ق.

يا أبا عبد الرحمن أو قال: يا ابن عمر سمعت النبي ﷺ في النجوى؟ فقال سمعت النبي ﷺ يقول:((يُدْني المؤمنُ من ربه وقال هشام يدنو المؤمن حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، تعرف ذنب كذا؟ يقول: أعرف، يقول: ربِّ أعرف مرتين فيقول: سترتها في الدنيا وأغفرها لك اليوم ثم تُطوى صحيفة حسناته وأما الآخرون أو الكفار فينادى على رؤوس الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين)).

وقال شيبان عن قتادة حدثنا صفوان.

ش: فيه عشر مسائل:

الأولى: قوله «**بينا ابن عمر يطوف إذ عرض رجل**» في المظالم باب قوله تعالى ﴿**ألا لعنة الله على الظالمين**﴾ من رواية همام عن قتادة عن صفوان قال «بينما أنا أمشي مع ابن عمر آخذ بيده» وفي الأدب باب ستر المؤمن على المؤمن «أن رجلا سأل ابن عمر» ولم يعرف السائل قال الحافظ: لكن يمكن أن يكون هو سعيد بن جبير فقد أخرج الطبراني من طريقه قال «قلت لابن عمر حدثني» فذكر الحديث.

الثانية: قوله «**سمعت النبي ﷺ في النجوى؟**» وفي الأدب «كيف سمعت؟» والنجوى هي ما تكلم به المرء يُسمع نفسه ولا يُسمع غيره أو يُسمع غيره سرا دون من يليه قال الراغب: «ناجيته إذا ساررته وأصله أن تخلو في نجوة من الأرض وقيل أصله من النجاة وهي أن تنجو بسرك من أن يطلع عليه والنجوى أصله المصدر وقد يوصف بها فيقال هو نجوى وهم نجوى»، والمراد بها هنا المناجاة التي تقع من الرب سبحانه وتعالى يوم القيامة مع المؤمنين.

الثالثة: قوله «**يدني المؤمن من ربه**» وفي الأدب «يدنو أحدكم من ربه» وفي رواية سعيد بن أبي عروبة «يدنو المؤمن من ربه» والمعنى يقرب منه وهذا

القرب على حقيقته والمقرب هو ا لله سبحانه وتعالى كما هو مصرح به في المظالم من رواية همام «إن ا لله يدني المؤمن».

الرابعة: قوله «**حتى يضع عليه كنفه**» وفي الأدب «حتى يضع كَنَفه» والكنف بفتحتين الجانب، والجمع أكناف مثل سبب وأسباب واكتنفه القوم كانوا منه يمنة ويسرة والكنيف الساتر وسمي الترس كنيفا لأنه يستر صاحبه قاله في المصباح.

قلت: ويبدو لي أن الكنف في الحديث شيء يستر ا لله به عبده المؤمن حين مناجاته له حتى لا يراه الناس يوضحه ما وقع في رواية سعيد بن جبير بلفظ «يجعله في حجابه» زاد في رواية همام «وستره».

الخامسة: قوله «**فيقرره بذنوبه**» وفي الأدب «فيقول عملت كذا وكذا» وفي رواية همام فيقول «أتعرف ذنب كذا وكذا» وفي رواية سعيد بن جبير عند الطبراني «فيقول له إقرأ صحيفتك فيقرأ ويقرره بذنب ذنب ويقول أتعرف أتعرف».

السادسة: قوله «**يقول رب أعرف**» وفي الأدب «فيقول نعم» وفي رواية همام «أي رب».

السابعة: قوله «**فيقول سترتها في الدنيا**» وفي الأدب «ثم يقول إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم» وفي رواية سعيد بن جبير «فيلتفت يمنة ويسرة فيقول: لا بأس عليك إنك في ستري لا يطلع على ذنوبك غيري.

الثامنة: قوله «**ثم تطوى صحيفة حسناته**» وفي المظالم «فيعطى كتاب حسناته» وفي رواية سعيد بن جبير «اذهب فقد غفرتها لك».

التاسعة: قوله «**وأما الآخرون أو الكفار**» ووقع عند الثلاثة «وأما الكافر والمنافق» ولبعضهم «الكفار والمنافقون» قال المهلب: في الحديث تفضل ا لله على عباده بستره لذنوبهم يوم القيامة وأنه يغفر ذنوب من شاء منهم بخلاف قول من

أنفذ الوعيد على أهل الإيمان لأنه لم يستثن في هذا الحديث ممن يضع عليه كنفه وستره أحدا إلا الكفار والمنافقين فإنهم الذين ينادى عليهم على رؤوس الأشهاد باللعنة حكاه الحافظ.

قلت: واعلم أن هذا فيما بين العبد وربه أما ما كان بين العباد فإنه لا بد فيه من المقاصة فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء» رواه مسلم.

العاشرة: قوله «**هؤلاء الذين كذبوا على ربهم**» **قلت**: هذا هو الشاهد من الحديث وقد تقدم شرحه في تفسير الآية

وقول البخاري: «**وقال شيبان عن قتادة...الخ**» ليثبت سماع قتادة من صفوان.

من فقه الحديث:

أولاً: فضل الله على أهل الإيمان بستر ذنوبهم عن الناس يوم القيامة ومغفرتها.

ثانياً: إثبات الكَنَف لله سبحانه وتعالى.

ثالثاً: فضح الكفار والمنافقين يوم القيامة بذنوبهم.

١٧٦- باب [قوله ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه اليم شديد﴾].

ش: يقول تعالى ذكره: وكما أخذت أيها الناس أهل هذه القرى التي اقتصصت عليك نبأ أهلها بما أخذتها به من العذاب، على خلافهم أمري، وتكذيبهم رسلي، وجحودهم آياتي، فكذلك أخذي القرى وأهلها إذا أخذتهم بعقابي وهم ظلمة لأنفسهم بكفرهم با لله وإشراكهم به غيره وتكذيبهم رسله **﴿إن أخذه أليم﴾** يقول إن أخذ ربكم بالعقاب من أخذه أليم يقول موجع شديد الإيجاع وهذا أمر من ا لله وتحذير لهذه الأمة أن يسلكوا في معصيته طريق من قبلهم من الأمم الفاجرة، فيحل بهم ما حل بهم من المثلات.اهـ.من ابن جرير.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [﴿الرفد المرفود﴾ العون المعين، رفدته أعنته].

ش: قال أبو عبيدة: «مجازه مجاز العون المعان يقال رفدته عند الأمير أي أعنته وهو من كل خير وعون وهو مكسور الأول وإذا فتحت أوله فهو القدح الضخم قال الأعشى:

رب رفد» اهـ.

وقال ابن جرير: وأصل الرفد العون يقال منه رفد فلان فلاناً عند الأمير يرفده رِفداً بكسر الراء، ويقال رفد فلان حائطه وذلك إذا أسنده بخشبة لئلا يسقط والرفد بفتح المصدر يقال منه رفده يرفده رفداً، والرفد إسم الشيء الذي يعطاه الإنسان وهو المرفد.

والآية المشار إليها: **﴿وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة بئس الرفد المرفود﴾.**

٢- [﴿تركنوا﴾ تميلوا]

ش: قال أبو عبيدة: «أي لا تعدلوا ولا تنزعوا إليهم ولا تميلوا، ويقال

ركنت إلى قولك أي أردته وأحببته وقبلته».اهـ.

والآية المشار إليها:﴿**ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون**﴾.

٣- [﴿فلولا كان﴾ فهلا كان].

ش: قاله أبو عبيدة والآية المشار إليها:﴿**فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا مآ أترفوا فيه وكانوا مجرمين**﴾.

٤- [﴿أترفوا﴾ اهلكوا].

ش: قلت هذا تفسير باللازم لأن لازم إتراف القوم وإسرافهم على أنفسهم إهلاكهم وقال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿**ما أترفوا فيه**﴾ أي ما تجبروا وتكبروا عن أمر الله وصدوا عنه وكفروا قال:

تُهدي رؤوس المترفين الصدّاد ... إلى أمير المؤمنين الممتاد

الممتاد من ماد يميد.اهـ.

قلت: وهو قول مجاهد وقال ابن عباس وقتادة «ما أنظروا فيه»

أخرج القولين كليهما ابن جرير ١٣٩/٧

والآية المشار إليها تقدمت في الأثر الثالث.

٥- [وقال ابن عباس: ﴿زفير وشهيق﴾ شديد وصوت ضعيف].

ش: قلت أخرج ابن جرير: حدثنا المثنى قال ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وكذا ابن أبي حاتم عن أبي صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس به وقال أبو العالية: الزفير في الحلق والشهيق في الصدر وقال قتادة: صوت الكافر في النار صوت الحمار أوله زفير وآخره شهيق.أخرجه عنهما ابن جرير.

والآية المشار إليها:﴿**فأما الذين شقوا ففي النار هم فيها زفير وشهيق**﴾.

٢٠٦ـ حدثنا صدقة بن الفضل أخبرنا أبو معاوية حدثنا بريد ابن أبي بردة[١] عن أبي بردة[٢] عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته.قال ثم قرأ ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾.

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله «**إن الله ليملي**» في رواية ابن نمير عند مسلم في البر والصلة باب تحريم الظلم «إن الله عزوجل يملي» وعند الترمذي في تفسير الآية من رواية أبي كريب «إن الله تبارك وتعالى يملي وربما قال يمهل» **قلت:** ولا يضر الشك ههنا لأن الإملاء والإمهال بمعنى واحد.

الثانية: قوله «**للظالم**» يحتمل أن المراد به عموم الظلمة كفارا كانوا أو فساقاً لكن ظاهر الإستشهاد بالآية يؤيد الأول.

الثالثة: قوله «**حتى إذا أخذه لم يفلته**» وعند مسلم من رواية ابن نمير «فإذا أخذه» وقوله «لم يفلته» لم يخلصه وفي الحديث دليل على أنه لا خلاص للظالم ولا نجاة له من عقوبة الله إذا وقعت عليه.

الرابعة: قوله «**ثم قرأ**» هو النبي ﷺ كما هو الظاهر من لفظ الحديث وفيه جواز الإستشهاد للسنة من القرآن تأكيداً للمعنى.

الخامسة: قوله «**وكذلك أخذ ربك**» هذا هو محل الشاهدمن الحديث وقد مضى شرحه ضمن تفسير الآية.

---

(١) هو بريد بن عبد الله بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري الكوفي ثقة يخطىء قليلا من السادسة.ع.

(٢) أبو بردة بن أبي موسى الأشعري قيل اسمه عامر وقيل الحارث ثقة من الثالثة مات سنة أربع ومائة وقيل غير ذلك جاز الثمانين.ع.

١٧٧ـ [باب قوله ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾].

ش: قوله «﴿**وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل**﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ وأقم الصلاة يا محمد يعني صل طرفي النهار يعني الغداة والعشي وأما قوله ﴿**وزلفا من الليل**﴾ فإنه يعني ساعات من الليل وهي جمع زلفة والزلفة الساعة والمنزلة والقربة».اهـ من ابن جرير.

قوله ﴿**إن الحسنات يذهبن السيئات**﴾ أي إن الحسنات على العموم ومن جملتها بل عمادها الصلاة يذهبن السيئات على العموم وقيل المراد بالسيئات الصغائر ومعنى يذهبن السيئات أي يكفرنها حتى كأنها لم تكن.

قال مقيده: وهذا الأخير هو الذي ينبغي المصير إليه لقوله تعالى ﴿**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم**﴾ فالآية نص في أن تكفير الصغائر مشروط باجتناب الكبائر وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر».

قوله ﴿**ذلك ذكرى للذاكرين**﴾ يعني به ما ذكر قبله وهو يتضمن شيئين

أولهما: الأمر بإقام الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل

وثانيهما: الإخبار أن الحسنات يذهبن السيئات فيه موعظة لمن تذكر واتعظ.

[﴿وزلفا﴾ ساعات بعد ساعات ومنه سميت المزدلفة، الزُّلَف منزلة بعد منزلة، وأما ﴿زلفى﴾ فمصدر من القربى، إزدلفوا اجتمعوا، أزلفنا جمعنا].

ش: قال نحوه أبو عبيدة وزاد قال العجاج:

ناج طواه الأين مما وجفا طيّ الليالي زلفاً فزلفا.

وقول البخاري «**زلفى**» هي من سورة ص و «أزلفنا» من سورة الشعراء

وقد ذكر الكلمتين على سبيل الإستطراد.

٢٠٧- حدثنا مسدد حدثنا يزيد - هو ابن زريع - حدثنا سليمان التيمي عن أبي عثمان[١] عن ابن مسعود ﷺ أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فأنزلت عليه ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾ قال الرجل: ألي هذه؟ قال لمن عمل بها من أمتي.

ش: فيه ست مسائل:

الأولى: قوله «إن رجلاً» ليس له تسمية في هذا الحديث وعند ابن جرير في تفسير الآية من طريق الأعمش عن إبراهيم النخعي قال: جاء فلان ابن معتب الأنصاري فقال: يا رسول الله دخلت على امرأة فنلت منها ما ينال الرجل من أهله إلا أني لم أجامعها.

الثانية: قوله «**أصاب من امرأة قبلة**» في رواية معتمر بن سليمان التيمي عن أبيه عند مسلم في التوبة باب قوله تعالى ﴿**إن الحسنات يذهبن السيئات**﴾ «فذكر أنه أصاب من امرأة قبلة أو مساً بيد أو شيئا كأنه يسأل عن كفارة ذلك». وعند عبد الرزاق في التفسير عن معمر عن سليمان التيمي بإسناده «ضرب رجل على كفل امرأة» الحديث.وفي رواية مسلم وأصحاب السنن من طريق سماك بن حرب عن إبراهيم النخعي عن علقمة و الأسود عن ابن مسعود «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني وجدت امرأة في بستان ففعلت بها كل شيء غير أني لم أجامعها، قبلتها ولزمتها، فافعل بي ما شئت» الحديث.

قال الحافظ: «وذكر بعض الشراح في اسم هذا الرجل نبهان التمار، وقيل

---

(١) هو عبد الرحمن بن مل بلام مثقلة والميم مثلثة أبو عثمان النهدي مشهور بكنيته مخضرم من كبار الثانية، ثقة ثبت عابد، مات سنة خمس وتسعين وقيل بعدها وعاش مائة وثلاثين سنة، وقيل أكثر.ع.

عمرو بن غزية وقيل أبو عمرو زيد بن عمرو بن غزية وقيل عامر بن قيس وقيل عباد».

الثالثة: قوله «فأتى رسول ا لله ﷺ» في رواية عبد الرزاق في تفسيره أنه أتى أبا بكر وعمر أيضاً، وقال فيها «فكل من سأله عن كفارة ذلك قال: أمعزبة هي؟ قال نعم.قال لا أدري.حتى أنزل» فذكر بقية الحديث.وهذه الزيادة وقعت في حديث يوسف بن مهران عن ابن عباس عند أحمد في المسند بمعناه دون قوله لا أدري.

الرابعة: قوله «**فأنزلت عليه ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار...﴾**» قلت هذا هو محل الشاهد من الحديث وقد تقدم في تفسير الآية أول الباب.

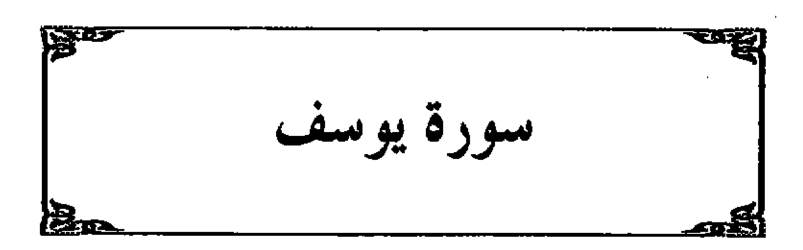
الخامسة: قوله «**قال الرجل ألي هذه؟**» أي الآية يعني خاصة بي بأن صلاتي مذهبة لمعصيتي.وظاهر هذا أن صاحب القصة هو السائل عن ذلك.ولأحمد والطبراني من حديث ابن عباس «قال يا رسول ا لله ألي خاصة أم للناس عامة؟ فضرب عمر صدره وقال: لا ولا نعمة عين، بل للناس عامة، فقال النبي ﷺ صدق عمر» وفي حديث أبي اليسر عند الترمذي والنسائي في تفسير الآية «فقال إنسان: يا رسول ا لله له خاصة» وفي رواية إبراهيم النخعي عند مسلم «فقال معاذ يا رسول ا لله أله وحده أم للناس كافة» والجمع بينهما بتعدد السائلين عن ذلك وقوله «ألي» بفتح الهمزة استفهاماً، وقوله «هذا» مبتدأ تقدم خبره عليه، وفائدته التخصيص.

السادسة: قوله «قال لمن عمل بها من أمتي» في الصلاة من هذا الوجه بلفظ «قال لجميع أمتي كلهم» قلت وفيه دليل على أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وتمسك بظاهر قوله **﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾**المرجئة وقالوا: إن الحسنات تكفر كل سيئة كبيرة كانت أو صغيرة، وحمل الجمهور هذا المطلق على المقيد في الحديث الصحيح «أن الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت

الكبائر».

قال الحافظ: وقال ابن عبد البر: ذهب بعض أهل العصر إلى أن الحسنات تكفر الذنوب، واستدل بهذه الآية وغيرها من الآيات والأحاديث الظاهرة في ذلك قال: ويرده الحث على التوبة في أي كبيرة، فلو كانت الحسنات تكفر جميع السيئات لما احتاج إلى التوبة. واستدل بهذا الحديث على عدم وجوب الحد في القبلة واللمس ونحوهما، وعلى سقوط التعزير عمن أتى شيئا منها وجاء تائبا نادما.انتهى من الفتح.

آخر سورة هود والحمد لله.



١٧٨- بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يوسف.

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿**إذ قال يوسف لأبيه يا أبتي إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين**﴾ وهي مكية كلها، وقال ابن عباس في رواية عنه وعن قتادة إلا أربع آيات، وعدد آياتها أحد عشرة ومائة آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [وقال فضيل عن حصين عن مجاهد «متّكأ» الأترج قال فضيل الأترج بالحبشية متكاً].

ش: رواه ابن أبي حاتم: ثنا أبي عن أحمد بن عبد الله بن يوسف عن فضيل بن عياض عن حصين عن مجاهد عن ابن عباس في قوله ﴿**وأعتدت لهن متكأ**﴾ قال: الأترج.

وأخرج ابن جرير: «ثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال: من قرأ ﴿**متكئا**﴾ فهو الطعام ومن قرأ ﴿**متكاً**﴾ فخفضها فهو الأترج».

وأخرج عن عطية والحسن وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة وابن زيد قالوا المتكأ الطعام.

٢- [وقال ابن عيينة عن رجل عن مجاهد:متكأ كل شيء قطع بالسكين]

قال الحافظ: هكذا رويناه في تفسير ابن عيينة رواية سعيد بن عبد الرحمن المخزومي بهذا.

والآية المشار إليها:﴿**فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ..**﴾ الآية.

٣- [وقال قتادة: ﴿لذو علم لما علمناه﴾ عاملٌ بما علم].

ش: رواه ابن جرير: ثني المثنى ثنا إسحاق ثنا عبد الله بن الزّبير عن سفيان عن ابن أبي عروبة عن قتادة فذكره.

وأخرجه ابن أبي حاتم عن سفيان عن ابن أبي عروبة عن قتادة به.

والآية المشار إليها:﴿**ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾.

٤- [وقال سعيد بن جبير ﴿صواع﴾ مَكّوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه كانت تشرب به الأعاجم].

ش: رواه ابن جرير: ثني المثنى ثنا الحجاج بن منهال ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير فذكره.

وأخرجه ابن أبي حاتم من وجه آخر عن أبي عوانة عن أبي بشر عن سعيد ابن جبير به

والآية المشار إليها: **﴿قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم﴾**.

٥- [وقال ابن عباس: ﴿تفنّدون﴾ تجهّلون].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني المثنى وعلي بن داود قالا: ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وهذا أحد أقوال ثلاثة.

ثانيها: معناه لولا أن تكذبون وبه قال سالم والسدي وهو الرواية الثانية عن مجاهد والضحاك وعطاء وابن عباس.

وثالثها: معناه تهرمون وبه قال مجاهد في الرواية الثالثة. والحسن. واختار ابن جرير أنه الإفساد فقال: وقد بينا أن أصل التفنيد الإفساد، وإذا كان ذلك كذلك فالضعف والهرم والكذب وذهاب العقل وكل معاني الإفساد تدخل في التفنيد، لأن أصل ذلك كله الفساد، والفساد في الجسم الهرم وذهاب العقل والضعف وفي الفعل الكذب واللوم بالباطل.

والآية المشار إليها: **﴿ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون﴾**.

٦- [وقال غيره ﴿غيابة﴾ كل شيء غيب عنك شيئا فهو غيابة، والجب الركية التي لم تطو].

ش: قاله أبو عبيدة «وزاد في الأول قال المنخل بن سبيع العنبري:

فإن أنا يوم غيبتني غيابتي فسيروا مسيري في العشيرة والأهل.

وزاد في الثاني: قال الأعشى:

لئن كنت في جب ثمانين قامة ورقيت أسباب السماء بسلم»اهـ

والآية المشار إليها: **﴿قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين﴾.**

٧- [﴿بمؤمن لنا﴾ بمصدق].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد ولا مقر لنا أنه صدق.

والآية المشار إليها: **﴿قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين﴾.**

٨- [﴿أشده﴾ قبل أن يأخذ في النقصان يقال بلغ أشده وبلغوا أشدهم، وقال بعضهم: واحدها شَدّ].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه إذا بلغ منتهى شبابه وحده وقوته من قبل أن يأخذ في النقصان وليس له واحد من لفظه.وقوله «وقال بعضهم واحدها شد» قلت هو الكسائي.

والآية المشار إليها: **﴿ولما بلغ أشده ءاتيناه حكما وعلما﴾.**

٩- [والمُتّكأ: ما اتكأت عليه لشراب أو لحديث أو لطعام، وأبطل الذي قال الأترج، وليس في كلام العرب الأترج، فلما احتج عليهم بأن المتكأ من نمارق، فروا إلى شر منه فقالوا: إنما هو المتْك ساكنة التاء، وإنما المتك طرف البظر، ومن ذلك قيل لها متكاء وابن المتكاء، فإن كان ثمّ أترج فإنه بعد المتكأ].

ش: **قلت**: مضت الكلمة برقم واحد وكان حق هذا التفسير أن يقع هناك.وأما المتكأ فقال أبو عبيدة في الآية **﴿وأعتدت لهن متكأ﴾** أفعلت من العتاد

ومعناه: اعدت له متكأ أي نمرقا تتكيء عليه وزعم قوم أنه الأترج وهذا أبطل باطل في الأرض، ولكن عسى أن يكون مع المتكأ أترج يأكلونه ويقال: ألق له متكئاً.

وقوله «**ليس في كلام العرب الأترج**» يريد أنه ليس في كلام العرب تفسير المتكأ بالأترج قال صاحب المطالع: وفي الأترج ثلاث لغات، ثانيها بالنون وثالثها مثلها بحذف الهمزة وفي المفرد كذلك،وعند بعض المفسرين اعتدت لهن البطيخ والموز، وقيل كان مع الأترج عسل، وقيل كان للطعام المذكور بزماورد لكن ما نفاه المؤلف رحمه الله تبعا لأبي عبيدة،قد أثبته غيره، وقد روى عبد بن حميد من طريق عوف الأعرابي حديث ابن عباس أنه كان يقرأها متكا مخففة ويقال هو الأترج، وقد حكاه الفراء وتبعه الأخفش وأبو حنيفة الدينوري والقالي وابن فارس وغيرهم كصاحب «المحكم» و «الجامع» و «الصحاح» وفي الجامع المتكأ ما تبقيه الخاتنة بعد الختان من المرأة، والمتكاء التي لم تختن، وعن الأخفش المتكأ الأترج.

تنبيه:

«مُتْكاً بضم أوله وسكون ثانيه وبالتنوين على المفعولية هو الذي فسره مجاهد وغيره بالأترج أو غيره وهي قراءة، وأما القراءة المشهورة فهو ما يتكأ عليه من وسادة وغيرها كما جرت به عادة الأكابر عند الضيافة، وبهذا التقرير لا يكون بين النقلين تعارض».انتهى من الفتح ٣٥٩/٨.

١٠- [﴿ شغفها ﴾ : يقال بلغ شغفها ، وهو غلاف قلبها ، وأما شعفها فمن المشعوف]

ش/قال أبو عبيدة : ﴿ قد شغفها حباً ﴾ أي قد وصل الحب إلى شغاف قلبها وهو غلافه ، قال النابغة الذبياني :

ولكنّ هماً دون ذلك والِجٌ   مكان الشغاف تبتغيه الأصابع

ويقرؤه قوم (قد شعفها) : وهو من المشعوف .أهـ

وفي الفتح : أي وصل الحب إلى شغاف قلبها وهو غلافه ، قال ويقرأه قوم (شعفها) أي بالعين المهملة وهو من الشعوف .أهـ

والذي قرأهابالمهملة : أبو رجاء والأعرج وعوف .رواه الطبري

ورويت عن علي والجمهور بالمعجمة ، يقال : فلان مشغوف بفلان إذا بلغ الحب أقصى المذاهب ، وشعاف الجبال أعلاها ، والشغاف بالمعجمة : حبة القلب ، وقيل علقة سوداء في صميمه ، وروى عبد بن حميد من طريق قرّة عن الحسن قال : الشغف ـ يعني بالمعجمة ـ : أن يكون قُذف في بطنها حبه ، والشعف بالعين المهملة البغض وبالمعجمة الحب ، وغلّطه الطبري ،وقال : إن الشعف بالعين المهملة بمعنى عموم الحب أشهرُمن أن يجهله ذو علم بكلامهم .أهـ

١١- [﴿أصْبُ﴾: أمِل صبا مال].

ش: قال أبو عبيدة: «أي أهواهن وأميل إليهن قال يزيد بن ضبه:

إلى هند صبا قلبي وهند مثلها تصبى.

وقال:

صبا صبوة بل لج وهو لجوج وزالت له بالأنعمين حدوج» انتهى.

والآية المشار إليها:**﴿قال رب السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين﴾.**

١٢- [﴿أضغاث أحلام﴾ ما لا تأويل له، والضِّغث مل اليد من حشيش وما أشبهه، ومنه ﴿وخذ بيدك ضغثاً﴾ لا من قوله أضغاث أحلام واحدها ضغث].

ش: قاله أبو عبيدة مع اختلاف يسير وزاد:قال عوف بن الجزع التيمي:

وأسفل مني نهدة قد ربطنها وألقيت ضغثا من خلى متطيب.

أي تطيب لها أطايب الحشيش.

والآية المشار إليها:**﴿قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام**

بعالمين﴾.

١٣- [﴿نمير﴾ من الميرة].

ش: قال أبو عبيدة: من مرت تمير ميرأوهي الميرة أي نأتيهم ونشتري لهم طعومهم قال أبو ذؤيب:

أتى قرية كانت كثيراً طعامها كرفع التراب كل شيء يميرها.

والآية المشار إليها: **﴿ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير﴾**

١٤- [﴿ونزداد كيل بعير﴾ ما يحمل بعير].

ش: قال أبو عبيدة: أي حمل بعير يكال له ما حمل بعير.

١٥- [﴿آوى إليه﴾ ضم إليه].

ش: قال أبو عبيدة وهو يؤوي إليه إيواء أي ضمه إليه.اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿ولما دخلوا على يوسف ءاوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون﴾.**

١٦- [﴿السقاية﴾ مكيال].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: يكال به ويشرب فيه.اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون﴾.**

١٧- [﴿تفتأ﴾ لا تزال].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: تذكره قال أوس بن حجر:

فما فتئت خيلٌ تثوب وتدّعي ويلحق منها لاحق وتقطع.

أي فما زالت قال خداش بن زهير:

وأبرح ما أدام الله قومي بحمد الله منتطقاً مُجيداً .اهـ

والآية المشار إليها: ﴿قالوا تا لله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين﴾.

١٨- [﴿حرضاً﴾ محرضاً يذيبك الهم].

ش: قال أبو عبيدة: والحرض الذي أذابه الحزن أو العشق وهو في موضع محرض قال: كأنك صم بالأطباء محرض.

وقال العرجي:

إني امرؤ لج بي حبٌ فأحرضني حتى بكيت وحتى شفني السقم.

أي أذابني فتبقى محرضا.اهـ

١٩- [﴿تحسّسوا﴾ تخبروا].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: والتمسوا في المضان.اهـ

والآية المشار إليها: **﴿يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح ا لله إنه لا ييأس من روح ا لله إلا القوم الكافرون﴾**.

٢٠- [﴿مزجاة﴾ قليلة].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وحاجة غير مزجاة من الحاج اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن ا لله يجزي المتصدقين﴾**.

٢١- [﴿غاشية من عذاب ا لله﴾ عامة مجلّلة].

ش: قال أبو عبيدة الكلمة الأخيرة منه وفي المصباح يقال جللت الشيء إذا غطيته والجُلي فعلى الأمر الشديد والخطب القطيع.اهـ

والآية المشار إليها: **﴿أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب ا لله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون﴾**.

٢٢- [﴿استيأسوا﴾ يئسوا].

ش: قال أبو عبيدة: استفعلوا من يئست.

وستأتي الآية المشار إليها ضمن الباب رقم أربعة وثمانين ومائة.

٢٣- [﴿لا تيأسوا من روح الله﴾ معناه الرجاء].

ش: روى ابن أبي حاتم عن قتادة «ولا تيأسوا من روح الله أي من رحمة الله».

وأخرج ابن جرير عن السدّي وابن زيد «من روح الله» من فرج الله

قلت: وليس بين هذه العبارات وبين عبارة المصنف إختلاف في المعنى.

٢٤- [﴿خلصوا نجيا﴾ اعتزلوا نجيا، والجميع أنجيةٌ].

ش: قال أبو عبيدة: أي اعتزلوا نجياً يتناجون، والنجي يقع لفظه على الواحد والجميع أيضاً وقد يجمع، فيقال نجيّ وأنجية قال لبيد:

وشهدت أنجية الأفاقة عاليا كعبى وأرداف الملوك شهود.

وستأتي الآية المشار إليها ضمن الباب رقم أربعة وثمانين ومائة.

١٧٩- [باب قوله **﴿ويتم نعمته عليك وعلى ءال يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق﴾**].

ش: قلت الآية **﴿وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى ءال يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم﴾**.

قوله **﴿وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾** يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل يعقوب لابنه يوسف، لما قص عليه رؤياه **﴿وكذلك يجتبيك ربك﴾** وهكذا يجتبيك ربك، يقول: كما أراك ربك الكواكب والشمس والقمر لك سجوداً فكذلك يصطفيك ربك.

وقوله : **﴿ويتم نعمته عليك﴾** فيجمع لك بين النبوة والملك كما تدل عليه هذه الرؤيا التي أراك الله، أو يجمع لك بين خيري الدنيا والآخرة **﴿وعلى ءال يعقوب﴾** وهم قرابته من إخوته وأولاده ومن بعدهم، وذلك أن الله سبحانه أعطاهم النبوة كما قاله جماعة من المفسرين، ولا يبعد أن يكون إشارة إلى ما حصل لهم بعد دخول مصر من النعم التي من جملتها كون الملك فيهم مع كونهم أنبياء. **﴿ كما أتمها على أبويك ﴾** أي إتماماً مثل إتمامها على أبويك، وهي نعمة النبوة عليهما مع كون إبراهيم اتخذه الله خليلاً، ومع كون إسحاق نجاه الله سبحانه من الذبح ـ قلت والتحقيق أن الذبيح هو إسماعيل ﷺ ـ وصار لهما الذرية الطيبة وهم يعقوب ويوسف وسائر الأسباط ومعنى «من قبل» من قبل هذا الوقت الذي أنت فيه أو من قبلك، وإبراهيم وإسحاق عطف بيان لأبويك، وعبر عنهما بالأبوين مع كون أحدهما جداً، وهو إبراهيم، لأن الجد أب. **﴿ إن ربك عليم﴾** بكل شيء. **﴿ حكيم ﴾**. في كل أفعاله، والجملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها وتعليلاً له، أي فعل ذلك لأنه عليم حكيم وكان هذا كلام من يعقوب مع ولده يوسف تعبيراً لرؤياه على طريق الإجمال، أو علم ذلك من الوحي أو عرفه

بطريق الفراسة.

من فقه الآية

أولاً: إثبات نبوة إسحاق ويعقوب عليهما الصلاة والسلام.

ثانياً: جواز عرض الرؤية الطيبة على أهل الصلاح والفضل لتعبيرها.

ثالثاً: التحدث بنعمة الله ظاهراً وهو أحد أركان الشكر.

٢٠٨ـ حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الصمد عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم،يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

ش: فيه الثناء على هؤلاء الأنبياء الأربعة ووصفهم بالكرم وكل نبي، الكرم من أبرز صفاته، فمن كرم يوسف ﷺ عفوه عن إخوته وقوله **لهم** ﴿**لاتثريب عليكم**﴾ وقد أمكنه الله منهم، ومن كرم أبيه يعقوب ﷺ عفوه عن بنيه مع كيدهم ومكرهم ووعده إياهم بالإستغفار لهم، ومن كرم الخليل ﷺ ما قصه الله عنه مع أضيافه إذ راغ إلى أهله وجاء بعجل سمين.

١٨٠- [باب ﴿لقد كان في يوسف وإخوته ءايات للسآئلين﴾].

ش: يقول تعالى لقد كان في قصة يوسف وخبره مع إخوته آيات أي عبرة ومواعظ للسائلين عن ذلك المستخبرين عنه فإنه خبر عجيب يستحق أن يخبر عنه.

٢٠٩- حدثني محمد أخبرنا عبدة عن عبيد الله[1] عن سعيد بن أبي سعيد[2] عن أبي هريرة ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم؟ قال: أكرمهم عند الله أتقاهم. قالوا: ليس عن هذا نسألك قال: فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله. قالوا ليس عن هذا نسألك قال: فعن معادن العرب تسألوني؟ قالوا: نعم قال: فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا.

تابعه أبو أسامة عن عبيد الله.

ش:فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله «**سئل رسول الله ﷺ**» في الأنبياء باب قوله تعالى ﴿**واتخذ الله إبراهيم خليلا**﴾ من رواية المعتمر «قيل للنبي ﷺ» ولم نقف على تسمية السائل.

الثانية: قوله «**أي الناس أكرم**» وفي رواية المعتمر المذكورة «من أكرم الناس» يعني في الأصل والنسب.

الثالثة: قوله «**قال: أكرمهم عند الله أتقاهم**» قلت وهذا موافق لقوله تعالى ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ ولقوله ﷺ «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» فالحديث مع الآية دليل على أن الناس يتفاضلون عند الله على قدر إيمانهم بالله وتقواهم له.

---

(١) هو أبو عثمان عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العمري المدني ثقة ثبت من الخامسة مات سنة بضع وأربعين [ومائة].ع.

(٢) هو أبو سعد سعيد بن أبي سعيد كيسان المقبري المدني ثقة من الثالثة تغير قبل موته بأربع سنين وروايته عن عائشة وأم سلمة مرسلة مات في حدود العشرين [ومائة] وقيل قبلها وقيل بعدها.ع.

الرابعة: قوله «**قالوا ليس عن هذا نسألك**» في الأنبياء «قالوا يا نبي ا لله ليس عن هذا نسألك».

الخامسة: قوله «**فأكرم الناس يوسف نبي ا لله ابن نبي ا لله ابن نبي ا لله ابن خليل ا لله**».قلت لا منافاة بين الجوابين فإن أولهما من جهة الشرف بالأعمال الصالحة والثاني من جهة الشرف بالنسب الصالح فأنعم بهذين الشرفين وأكرم بهما

السادسة: قوله «**فعن معادن العرب تسألوني**» قلت المعادن المواضع التي تستخرج منها جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس وغير ذلك واحدها معدن فأراد ﷺ أصولهم التي ينسبون إليها ويتفاخرون بها وإنما جعلت معادن لما فيها من الاستعدان المتفاوت، أو شبههم بالمعادن لكونهم أوعية الشرف كما أن المعادن أوعية للجواهر.

السابعة: قوله «**فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا**» في رواية أبي أسامة في الأنبياء «الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا» يحتمل أن يريد بقوله «خياركم» جمع خير، ويحتمل أن يريد أفعل التفضيل تقول في الواحد خير وأخير ثم القسمة رباعية فإن الأفضل من جمع بين الشرف في الجاهلية والشرف في الإسلام وكان شرفهم في الجاهلية بالخصال المحمودة من جهة ملائمة الطبع ومنافرته خصوصا بالإنتساب إلى الآباء المتصفين بذلك، ثم الشرف في الإسلام بالخصال المحمودة شرعاً ثم أرفعهم مرتبة من أضاف إلى ذلك التفقه في الدين، ومقابل ذلك من كان مشروفا في الجاهلية واستمر مشروفا في الإسلام فهذا أدنى المراتب، والقسم الثالث من شرف في الإسلام وفقه ولم يكن شريفا في الجاهلية، ودونه من كان كذلك لكن لم يتفقه، والقسم الرابع من كان شريفا في الجاهلية ثم صار مشروفا في الإسلام فهذا دون الذي قبله فإن تفقه فهو أعلى رتبة من الشريف الجاهل .اهـ من الفتح (٦/٤١٥).

وقال النووي ١٥/١٣٥: «ومعناه أن أصحاب المروءات ومكارم الخلائق في الجاهلية إذا أسلموا وفقهوا فهم خيار الناس قال القاضي: وقد تضمن الحديث في الأجوبة الثلاثة أن الكرم كله عمومه وخصوصه ومجمله ومبينه إنما هو الدين ومن التقوى والنبوة والأعراف فيها والإسلام مع الفقه».اهـ

وقوله تابعه يعني تابع عبدة بن سليمان أبو أسامة في عبيد الله وهذه المتابعة وصلها المصنف في الأنبياء: حدثني عبيد بن إسماعيل عن أبي أسامة عن عبيد الله.

١٨١- [باب قوله ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً﴾].

ش: قلت الآية **﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل وا لله المستعان على ما تصفون﴾**

يقول تعالى ذكره **﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب﴾** وسماه ا لله كذباً لأن الذين جاءوا بالقميص وهو فيه كذبوا فقالوا ليعقوب هو دم يوسف ولم يكن دمه، وإنما كان دم سخلة وقوله **﴿بل سولت لكم أنفسكم أمرا﴾** يقول تعالى ذكره قال يعقوب لبنيه الذين أخبروه أن الذئب أكل يوسف مكذباً لهم في خبرهم ذلك ما الأمر كما تقولون بل سولت لكم أنفسكم أمراً يقول بل زينت لكم أنفسكم أمرا في يوسف وحسنته ففعلتموه

وقوله **﴿فصبر جميل﴾** يقول فصبري على ما فعلتم بي في أمر يوسف صبر جميل أو فهو صبر جميل وقوله **﴿وا لله المستعان على ما تصفون﴾** يقول وا لله أستعين على كفايتي شر ما تصفون من الكذب وقيل إن الصبر الجميل هو الصبر الذي لا جزع فيه.اهـ من ابن جرير.

[سولت زينت].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وحسنت وتابعتكم على ذلك.

٢١٠- حدثنا عبد العزيز بن عبد ا لله حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال وحدثنا الحجاج قال: حدثنا عبد ا لله بن عمر النميري حدثنا يونس بن يزيد الأيلي قال: سمعت الزهري سمعت عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد ا لله بن عبد ا لله عن حديث عائشة زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها ا لله، كلّ حدثني طائفة من الحديث قال النبي ﷺ إن كنت بريئة فسيبرؤك ا لله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري ا لله وتوبي إليه.قلت: إني وا لله لا أجد مثلاً إلا أبا يوسف فصبر جميل وا لله المستعان على ما تصفون وأنزل ا لله ﴿إن الذين جاءوا بالإفك﴾

العشر الآيات.

٢١١ـ حدثنا موسى حدثنا أبـو عوانـة عـن حصـين عـن أبـي وائـل قـال حدثني مسروق بن الأجدع قال حدثتني أم رومـان[١] وهـي أم عائشـة قـالت: بينا أنا وعائشة أخذتها الحمى فقال النبي ﷺ: لعـل في حديـث تحـدّث؟ قـالت: نعم وقعدت عائشة قالت: مثلي ومثلكم كيعقوب وبنيه وا لله المستعان على ما تصفون.

ش: قوله «**كل حدثني طائفة من الحديث**» القائل هذه العبارة هو محمد بـن شهاب الزهري وقد عنى بقوله كلٌ من سمى وهـم عـروة وابـن المسـيب وعلقمـة وعبيد ا لله ومراده أن كل واحد منهم حدثه بعضاً من قصة الإفك وكلا الحديثـين متضمن لقطعة من تلك القصة وسيأتي شرحها إن شاء ا لله في تفسير سورة النـور ضمن الباب الرابع والأربعين بعد المائتين.

(١) أم رومان الفراسية زوج أبي بكر الصديق وأم عائشة وعبد الرحمن صحابية يقال اسمها زينب وقيل دعد والصحيح أنها عاشت بعد النبي ﷺ.خ.

١٨٢- [باب ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك﴾].

ش: تمامها ﴿قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون﴾.

«يخبر تعالى عن امرأة العزيز التي كان يوسف في بيتها بمصر وقد أوصاها زوجها به وبإكرامه فراودته عن نفسه أي حاولته على نفسه ودعته إليها وذلك أنها أحبته حباً شديداً لجماله وحسنه وبهائه فحملها ذلك على أن تجملت له وغلقت عليه الأبواب ودعته إلى نفسها ﴿وقالت هيت لك﴾ فامتنع من ذلك أشد الامتناع و﴿قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي﴾ أي منزلي وأحسن إليّ فلا أقابله بالفاحشة في أهله».اهـ من ابن كثير.

وقوله ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ تعليل آخر للامتناع منه عن إجابتها، والفلاح الظفر، والمعنى أنه لا يظفر الظالمون بمطالبهم، ومن جملة الظالمين الواقعون في مثل هذه المعصية التي تطلبها امرأة العزيز من يوسف.

شرح جملة من الكلمات والآثار:

١- [وقال عكرمة: هَيْت لك بالحورانية هلم].

ش: أما قول عكرمة فوصله عبد بن حميد من طريقه، وأخرج من وجه آخر عن عكرمة قال: هيئت لك، يعني بضم الهاء وتشديد التحتانية بعدها أخرى مهموزة. قاله في الفتح. وفي تفسير عبد الرزاق قال معمر قال قتادة قال عكرمة: تهيأت لك.

٢- [وقال ابن جبير: تعاله].

ش: وصله الطبري وأبو الشيخ من طريقه قاله في الفتح.

٢١٢ـ حدثني أحمد بن سعيد[١] حدثنا بشر بن عمر[٢] حدثنا شعبة عن سليمان عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال: «هيت لك» قال:وإنما نقرؤها كما علمناها.

ش: أورده المصنف ههنا مختصراً وفي تفسير عبد الرزاق عن الثوري عن الأعمش عن أبي وائل قال: قال ابن مسعود: قد تسمعت القراءة فسمعتهم مقاربين فاقرؤوا كما علمتم وإياكم والتنطع والإختلاف فإنما هو كقول أحدهم هلم وتعال ثم قرأ عبد الله ﴿**هيت لك**﴾ قال: فقلت يا أبا عبد الرحمن إنّ ناسا يقرؤونها «هيتُ لك» فقال عبد الله: إني إن أقرأها كما علمت أحب إلي.

وقال مكي حاكياً القراءات في الآية: قوله «هِيْتَ لك» قرأه نافع وابن عامر بكسر الهاء وفتح التاء، غير أن هشاماً همز موضع الياء ساكنة. وقرأ الباقون بفتح التاء والهاء، من غير همز، غير أن ابن كثير ضم التاء. وفتح الهاء وكسرها لغتان. وفتح التاء على المخاطبة من المرأة ليوسف على معنى الدعاء له والاستجلاب له إلى نفسها، على معنى: هلم لك، أي تعالى يا يوسف إلي، فأما من ضم التاء فعلى الإخبار عن نفسها بالإتيان إلى يوسف، ودل على ذلك قراءة من همز، لأنه يجعله من «تهيأت لك» تخبر عن نفسها أنها متصنعة له متهيأة. وقد تحتمل قراءة من لم يهمز أن تكون على إرادة الهمز، لكن خفف الهمزة، فيكون من «تهيأت» فيكون فعلاً، ولا يحسن ذلك ويتمكن إلا على قراءة من ضم التاء، لأنها تخبر عن نفسها بذلك.والتاء مضمومة، ويبعد الهمز في قراءة من فتح التاء لأنه إذا فتح التاء فإنه يخاطب، وتاء المخاطب مفتوحة، فيصير المعنى أنها تخبره أنه تهيأ لها، والمعنى على

---

(١) هو أبو جعفر أحمد بن سعيد بن صخر الدارمي السرخسي ثقة حافظ من الحادية عشر، مات سنة ثلاث وخمسين ومائتين.خ.م.د.ت.ق.

(٢) هو أبو محمد بشر بن عمر بن الحكم الزهراني الأزدي البصري ثقة من التاسعة مات سنة سبع وقيل تسع ومائتين.ع.

خلاف ذلك، لأنها هي التي دعته وتهيأت له، ولم يدعها هو ولا تهيأ لها يعيذه الله من ذلك.

شرح جملة من الكلمات والآثار:

١- [«مثواه» مقامه].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «الذي ثواه ومنه قولهم هي أم مثوى وهو أبو مثوى إذا كنت ضيفا عليهم».

والآية المشار إليها: **﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً﴾.**

٢- [«وألفيا» وجدا].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: قال:

«**فألفيته غير مستعتب** **ولا ذاكرا الله إلا قليلاً.**

أي وجدته»

والآية المشار إليها: **﴿واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدا الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم﴾.**

٣- [«ألفوا ءاباءهم» ألفينا].

ش: ذكره استشهاداً لما قبله والآية المشار إليها هي التاسعة والستون من سورة الصافات.

٤- [وعن ابن مسعود: «بل عجبت ويسخرون»]

ش: قال الكرماني: «أورد البخاري هذه الكلمة وإن كانت في الصافات هنا إشارة إلى أن ابن مسعود كان يقرؤها بالضم كما يقرأ هيت بالضم. وقد أخرجه ابن مردويه من طريق شيبان وزائدة عن الأعمش عن أبي وائل عن ابن

مسعود» . حكاه في الفتح.

وقراءة الكسائي بضم التاء وقرأ الباقون بفتح التاء حكاه مكي.

٢١٣ـ حدثنا الحميدي حدثنا سفيان عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبد الله ﷺ: أن قريشاً لما أبطؤوا على النبي ﷺ بالإسلام قال: اللهم اكفنيهم بسبع كسبع يوسف، فأصابتهم سنة حصّت كل شيء، حتى أكلوا العظام، حتى جعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها مثل الدخان، قال الله ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾، قال الله ﴿إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون﴾ أفيكشف عنهم العذاب يوم القيامة وقد مضى الدخان ومضت البطشة.

سيأتي شرحه في تفسير سورة الدخان ضمن الباب العاشر بعد الثلاثمائة.

١٨٣- [باب قوله ﴿فلما جاءه الرسول قال أرجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاشى لله﴾].

ش: قلت الآيتان **﴿وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله﴾**.- إلى قوله.**﴿قلن حاشى لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصدقين﴾**

قوله **﴿وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن﴾** يقول تعالى إخبارا عن الملك لما رجعوا إليه بتعبير رؤياه التي كان رآها بما أعجبه وأيقنه عرف فضل يوسف عليه السلام وعلمه وحسن إطلاعه على رؤياه وحسن أخلاقه على من ببلده من رعاياه فقال **﴿ائتوني به﴾** أي أخرجوه من السجن وأحضروه فلما جاءه الرسول بذلك إمتنع من الخروج حتى يتحقق الملك ورعيته ببراءة ساحته ونزاهة عرضه مما نسب إليه من جهة امرأة العزيز وأن هذا السجن لم يكن على أمر يقتضيه بل كان ظلما وعدوانا فقال **﴿إرجع إلى ربك﴾** الآية اهـ من ابن كثير.

قوله **﴿إن ربي بكيدهن عليم﴾** وقد إكتفى هنا بالإشارة الإجمالية بقوله: إن ربي بكيدهن عليم فجعل علم ا لله سبحانه بما وقع عليه من الكيد منهن مغنيا عن التصريح.اهـ من الشوكاني.

قوله **﴿قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه﴾** وفي هذا الكلام متروك قد استغني بدلالة ما ذكر عليه عنه وهو فرجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برسالته فدعى الملك النسوة اللاتي قطعن أيديهن وامرأة العزيز فقال لهن **﴿ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه﴾** ويعني بقوله ما خطبكن ما كان أمركن وما كان شأنكن إذ راودتن يوسف عن نفسه فأجبنه فقلن حاشى لله ما علمنا عليه من سوء.

قوله ﴿**قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصدقين**﴾ أي قالت امرأة العزيز منزهة لجانبه مقرة على نفسها بالمراودة له ﴿**الآن حصحص الحق**﴾ أي تبين وظهر وأصله حص فقيل حصحص كما قيل في كُبُّوا كبكبوا قاله الزجاج وأصل الحص إستئصال الشيء يقال حص شعره إذا استأصله ومنه قول أبي قيس بن الأسلت:

قد حصت البيضة رأسي فما أطعم نوماً غير تهجاع

والمعنى أنه إنقطع الحق عن الباطل بظهوره وبيانه ومنه:

فمن مبلغ عني خداشا فإنه كذوب إذا ما حصحص الحق ظالم.

وقيل هو مشتق من الحصة والمعنى: بانت حصة الباطل قال الخليل: معناه ظهر الحق بعد خفائه.اهـ من الشوكاني.

شرح جملة من الكلمات والآثار:

١- [وحاش وحاشي: تنزيه واستثناء].

ش: قال أبو عبيدة: «الشين مفتوحة ولا ياء فيه وبعضهم يدخل الياء في آخره كقوله:

حاشي أبي ثوبان إنّ به ظناً عن الملحاة والشتم.

ومعناه معنى التنزيه والإستثناء من الشر ويقال حاشيته أي استثنيته»اهـ.

٢- [﴿حصحص﴾:وضح].

ش: قال أبو عبيدة: أي الساعة وضح الحق وتبين.

٢١٤- حدثنا سعيد بن تليد[1] حدثنا عبد الرحمن بن القاسم عن بكر بن مضر عن عمرو بن الحارث عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

(١) هو سعيد بن عيسى بن تليد الرعيني القتباني ثقة فقيه من قدماء العاشرة مات سنة تسع عشرة ومائتين.خ.س.

رسول الله ﷺ: يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي ونحن أحق من إبراهيم إذ قال له ﴿أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾.

ش: مضى الحديث في تفسير سورة البقرة ضمن الباب الثامن والأربعين وفيه ههنا ثلاث مسائل.

الأولى: قوله «**يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد**» في باب ﴿**ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة**﴾ من أحاديث الأنبياء برواية الأعرج «يغفر الله للوط إن كان ليأوي إلى ركن شديد» أي إلى الله سبحانه وتعالى يشير ﷺ إلى قوله تعالى ﴿**لو أن لي بكم قوة أو ءاوي إلى ركن شديد**﴾ قال النووي: «يجوز أنه لما اندهش بحال الأضياف قال ذلك أو أنه التجأ إلى الله في باطنه وأظهر هذا القول للأضياف اعتذاراً وسمى العشيرة ركنا لأن الركن يستند إليه ويمتنع به فشبههم بالركن من الجبل لشدتهم ومنعتهم».

الثانية: قوله «**ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي**» في رواية ابن وهب في الأنبياء «ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي» أي لأسرعت الإجابة في الخروج من السجن ولما قدمت طلب النزاهة فوصفه بشدة الصبر حيث لم يبادر بالخروج وإنما قاله ﷺ تواضعا والتواضع لا يحط مرتبة الكبير بل يزيده رفعة و إجلالاً

الثالثة: قوله «**ونحن أحق من إبراهيم**» في تفسير سورة البقرة من رواية ابن وهب المذكورة «نحن أحق بالشك من إبراهيم» وقد مضى شرحه.

١٨٤- [باب قوله ﴿حتى إذا استيأس الرسل﴾].

ش: تمامها ﴿وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾

قوله ﴿**حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا**﴾ «يخبر تعالى أن نصره ينزل على رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عند ضيق الحال وانتظار الفرج من الله تعالى في أحوج الأوقات إلى ذلك كما في قوله تعالى ﴿وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين ءامنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾». اهـ من ابن كثير.

وفي قوله ﴿**كذبوا**﴾ قراءتان حكاهما مكي فقال: قرأه الكوفيون بالتخفيف وشدد الباقون وحجة من شدد أنه حمله على معنى أن الرسل تلقاهم قومهم بالتكذيب، فالظن بمعنى اليقين وفي ظنوا ضمير الرسل فالهاء والميم في «أنهم» للرسل فعطفوه على استيأس الرسل والتقدير وأيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم فيما جاؤوهم به من عند الله جل ذكره ودليله قوله تعالى ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك...﴾ وحجة من خفف أنه حمله على معنى أن المرسل إليهم ظنوا أنهم قد كذبوا فيما أتتهم به الرسل، فالظن بمعنى الشك أو بمعنى اليقين وفي ظنوا ضمير المرسل إليهم، والهاء والميم في أنهم للمرسل إليهم أي وظن المرسل إليهم أنهم لم يصدَقوا فيما قيل لهم وما توعدوا به من إتيان العذاب على كفرهم أي ظنوا أنهم لم يصدقهم الرسل فيما أتوهم به من عند الله جل ذكره من إتيان العذاب إليهم أو من الأمر بالإيمان والتوحيد.

قوله ﴿**جاءهم نصرنا فنجي من نشاء**﴾ أي فجاء الرسل نصر الله سبحانه فجأة، أو جاء قوم الرسل الذين كذبوهم نصر الله لرسله بإيقاع العذاب على المكذبين ﴿**فننجي من نشاء**﴾ قرأ عاصم ﴿**فنجي**﴾ بنون واحدة وقرأ الباقون ﴿**فننجي**﴾ بنونين واختار أبو عبيدة القراءة الأولى لأنها في مصحف عثمان

كذلك وقرأ ابن محيص ﴿فنجا﴾ على البناء للفاعل فتكون "من" على القراءة الأولى في محل رفع على أنها نائب فاعل وتكون على القراءة الثانية في محل نصب على أنها مفعول وعلى القراءة الثالثة في محل رفع على أنها فاعل، والذين نجاهم الله هم الرسل ومن آمن معهم وهلك المكذبون ﴿**ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين**﴾ عند نزوله بهم وفيه بيان من يشاء الله نجاته من العذاب وهم أعداء هؤلاء المجرمين.اهـ من الشوكاني.

٢١٥ـ حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزّبير عن عائشة رضي الله عنها قالت له وهو يسألها عن قول الله تعالى ﴿حتى إذا استيأس الرسل﴾ قال قلت: أكذبوا أم كذّبوا؟ قالت عائشة: كذّبوا قلت: فقد استيقنوا أنّ قومهم كذّبوهم، فما هو بالظنّ قالت: أجل لعمري، لقد استيقنوا بذلك، فقلت لها: وظنوا أنهم قد كذبوا؟ قالت: معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها قلت: فما هذه الآية؟ قالت: هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدّقوهم، فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر، حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم، جاءهم نصر الله عند ذلك.

٢١٦ـ حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني عروة فقلت: لعلها كذبوا مخففة قالت: معاذ الله.نحوه.

ش: فيهما ست مسائل:

الأولى: قوله «**قالت له وهو يسألها**» في باب قول الله تعالى ﴿**لقد كان في يوسف وإخوته ءايات للسائلين**﴾ من أحاديث الأنبياء «أنه سأل عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ».

الثانية: قوله «**أكذبوا أم كذّبوا**» في أحاديث الأنبياء «أرأيت قوله «حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا أو كذّبوا».

الثالثة: قوله «**قالت عائشة كذّبوا**» يعني بالتثقيل وهو تشديد الذال المعجمة قال الحافظ وفي رواية الإسماعيلي مثقلة.

قلت: وقد تقدم في أول الباب حكاية القراءتين في الآية وتوجيه كل منهما.

الرابعة: قوله «**فما هو بالظن؟ قالت أجل**» زاد الإسماعيلي قلت فهي مخففة قالت معاذ الله.اهـ من الفتح

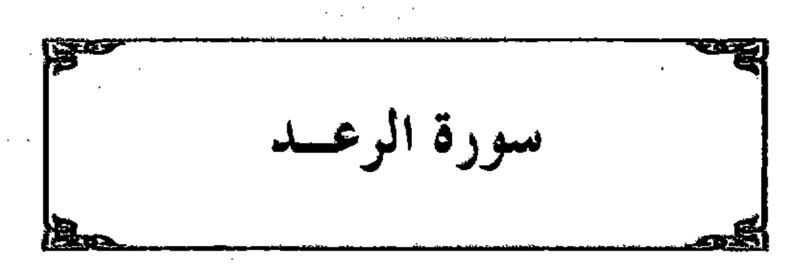
قلت: وهذا ظاهر في إنكارها قراءة التخفيف ولعلها لم يبلغها سوى قراءة التشديد وقد عرفت في أول الباب أن كلتا القراءتين صحيحة وعرفت من قرأ بكل منهما.

الخامسة: قوله «**لعمري لقد استيقنوا بذلك**» فيه إشعار بحمل عروة الظن على حقيقته وهو رجحان أحد الطرفين ووافقته عائشة لكن روى ابن جرير في تفسيره عن قتادة أن المراد بالظن هنا اليقين.

قلت: وعلى هذا فهي نظير قوله تعالى ﴿**وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه**﴾.

السادسة: قوله «**أخبرني عروة فقلت لعلها كذبوا مخففة قالت معاذ الله**» وقد ساقه أبو نعيم في المستخرج بتمامه ولفظه «عن عروة أنه سأل عائشة» فذكر نحو حديث صالح بن كيسان.انتهى من الفتح.

آخر تفسير سورة يوسف والحمد لله.



١٨٥- [بسم الله الرحمن الرحيم سورة الرعد]

ش: شاهد التسمية قوله تعالى **﴿ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾**.

قد وقع الخلاف هل هي مكية أو مدنية فروى النحاس في ناسخه عن ابن عباس أنها نزلت بمكة، وروى أبو الشيخ وابن مردويه عنه أنها نزلت بالمدينة وممن ذهب أنها مكية سعيد بن جبير والحسن البصري وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وممن ذهب إلى أنها نزلت بالمدينة ابن الزبير والكلبي ومقاتل، وقول ثالث أنها مدنية إلا آيتين منها وهما قوله **﴿ولو أن قرءانا سيرت به الجبال﴾** إلى قوله **﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب﴾** وآياتها ثلاث وأربعون آية.

شرح جملة من الكلمات والآثار:

١- [وقال ابن عباس ﴿كباسط كفيه﴾ مثل المشرك الذي عبد مع الله إلها غيره كمثل العطشان الذي ينظر إلى خياله في الماء من بعيد، وهو يريد أن يتناوله ولا يقدر].

ش: رواه ابن جرير: حدثني المثنى ثنا عبد الله بن صالح ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فذكره.وروى هذا المعنى عن علي بن أبي طلحة ومجاهد وابن زيد وقتادة.

والآية المشار إليها:﴿**له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال**﴾.

٢- [وقال غيره: ﴿سخّر﴾ ذلّل].

ش: قوله «قال غيره» يعني غير ابن عباس وفي تفسير أبي عبيدة «ذللهما فانطاعا».

والآية المشار إليها:﴿**الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الأيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون**﴾.

٣- [﴿متجاورات﴾ متدانيات].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: متقاربات غير جنات ومنهن جنات.

والآية المشار إليها:﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنت من أعنب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لأيات لقوم يعقلون﴾.

٤- [﴿المثلات﴾ واحدها مثلة وهي الأشباه والأمثال وقال «إلا مثل أيام الذين خلوا»].

ش: قال أبو عبيدة: واحدتها مثلة ومجازها مجاز الأمثال.

والآية المشار إليها:﴿ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب﴾.

قلت: وأشاربقوله(مثل أيام الذين خلوا) إلى الآية الثانية بعد المائة من سورة يونس وقد ذكره استطرادا واستشهادا لما قبله.

٥- [﴿بمقدار﴾ بقدر].

ش: قال أبو عبيدة: أي مقدر وهو مفعال من القدر.

والآية المشار إليها:﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار﴾.

٦- [﴿معقّبات﴾ ملائكة حفظة تَعْقُبُ الأولى منها الأخرى ومنه قيل العقيب يقال عقبت في إثره].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه ملائكة تعقب بعد ملائكة، وحفظة تعقب بالليل حفظة النهار وحفظة النهار تعقب حفظة الليل ومنه قولهم: فلان عقبني وقولهم عقبت في إثره.

وأخرج ابن جرير: ثنا ابن وكيع ثنا أبي عن إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس **﴿يحفظونه من أمر الله﴾** قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فإذا جاء قدره خلوا عنه.

والآية المشار إليها:**﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾.**

٧- [﴿المِحال﴾ العقوبة].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: والمكر والنكال قال الأعشى:

فرع نبع يهتز في غصن المجد غزير الندى شديد المحال.

والآية المشار إليها:﴿ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل

الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال﴾.

٨- [﴿كباسط كفيه إلى الماء﴾ ليقبض على الماء].

ش: قال أبو عبيدة: «مجازه إن الذي يبسط كفه ليقبض على الماء حتى يؤديه إلى فيه لا يتم له ذلك ولا تسقه أنامله أي تجمعه قال صابيء بن الحارث:

فإني وإياكم وشوقا إليكم كقابض ماء لم تسقه أنامله»

وقد تقدمت الآية المشار إليها في الأثر الأول.

٩- [﴿رابيا﴾ من ربا يربو].

ش: قال أبو عبيدة: «مجازه فاعل من ربا يربو أي ينتفخ.

والآية المشار إليها: ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا﴾».

١٠- [﴿أو متاع زبد مثله﴾ المتاع ما تمتعتَ به].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد قال المشعث:

تمتع يا مشعث إن شيئاً سبقت به الممات هو المتاع

والآية: ﴿ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله﴾.

١١- [﴿جُفاء﴾ أجفأت القدر إذا غلت فعلاها الزَبَد ثم تسكن فيذهب الزبد بلا منفعة فكذلك يميزُ الحقُّ من الباطل].

ش: قال أبو عبيدة: [قال أبو عمرو بن العلاء: يقال قد أجفأت القدر وذلك إذا غلت فانصب زبدها أو سكنت فلا يبقى منه شيء».

والآية المشار إليها: ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء﴾.

١٢- [﴿المِهاد﴾ الفِراش].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «والبساط»

والآية المشار إليها: ﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب

ومأواهم جهنم وبئس المهاد﴾.

١٣- [﴿يدرؤون﴾ يدفعون درأته عني دفعته].

ش: قال أبو عبيدة: «أي يدفعون السيئة بالحسنة، درأته عني أي دفعته.

والآية المشار إليها:﴿والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار﴾»

١٤- [﴿سلامٌ عليكم﴾ أي يقولون سلام عليكم].

ش: قال أبو عبيدة: «مجازه مجاز المختصر الذي فيه ضمير كقولك يقولون سلام عليكم».

والآية المشار إليها:**﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾.**

١٥- [﴿وإليه متاب﴾ توبتي].

ش: قال أبو عبيدة: «مصدر تبت إليه وتوبتي إليه سواء».

والآية المشار إليها:﴿قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب﴾.

١٦- [﴿أفلم ييأس﴾ أفلم يتبين].

ش: قال أبو عبيدة: «ألم يعلم ويتبين قال سحيم بن وثيل اليربوعي:

أقول لهم بالشعب إذ يأسرونني ألم تيأسوا إني ابن فارس زهدم».

والآية المشار إليها:﴿أفلم ييأس الذين ءامنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا﴾.

١٧- [﴿قارعة﴾ داهية].

ش: قاله أبو عبيدةوزاد مهلكة ويقال: قرعت عظمه أي صدعته.

والآية المشار إليها:**﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد﴾.**

١٨- [﴿فأمليت﴾ أطلت من الملي والملاوة ومنه «مليا» ويقال للواسع

الطويل من الأرض ملى من الأرض].

ش: قال أبو عبيدة: «أي أطلت لهم ومنه الملى والملاوة من الدهر ومنه تمليت حينا ويقال لليل والنهار الملوان لطولهما وقال ابن مقبل:

ألا يا ديار الحي بالسبعان ... ألح عليها بالبلى الملوان

ويقال للخرق الواسع من الأرض ملاً مقصور».اهـ.

والآية المشار إليها:**﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب﴾.**

١٩- [﴿أشق﴾ أشد من المشقة].

ش: **قلت**: أشار الشيخ إلى قوله تعالى ﴿لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق﴾ الشاهد منها ولعذاب الآخرة أشق.قال ابن جرير: «يقول ولتعذيب الله إياهم في الدار الآخرة أشد من تعذيبه إياهم في الدنيا، وأشق إنما هو أفعل من المشقة».

٢٠- [﴿معقّب﴾ مغيّر].

ش: قال أبو عبيدة: أي لا راد له ولا مغير له عن الحق.

والآية المشار إليها:**﴿أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب﴾.**

٢١- [وقال مجاهد ﴿متجاورات﴾ طيبها عذبها وخبيثها السباخ].

ش: أخرجه ابن جرير: «ثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره».

والآية المشار إليها مضت في الأثر الثالث.

٢٢- [﴿صنوان﴾ النخلتان أو أكثر في أصل واحد.﴿وغير صنوان﴾ وحدها].

ش: أخرجه ابن جرير: «ثنا الحسن بن محمد ثنا شبابة ثنا ورقاء عن ابن أبي

نجيح عن مجاهد فذكره».

وقال أبو عبيدة: «وواحده صنو والإثنـان صنـوان النـون مجـرورة في موضـع الرفع والنصب والجر كنون الإثنين فإذا جمعتـه قلـت صنـوان كثـير والإعـراب في نونه يدخله النصـب والرفـع والجـر ولم نجـد جمـع يجـري مجـراه غـير قنـو وقنـوان والجميع قنوان».

٢٣- [بماء واحد﴾ كصالح بني آدم وخبيثهم أبوهم واحد].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا الحسن بن محمد ثنا شبابة ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

٢٤- [﴿السحاب الثقال﴾ الذي فيه الماء].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا الحسن بن محمد ثنا شبابة ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآيـة المشـار إليهـا:**﴿هـو الـذي يريكـم الـبرق خوفـاً وطمعـاً وينشــيء السحاب الثقال﴾**.

٢٥- [﴿كباسط كفيه﴾ يدعو المـاء بلسـانه ويشـير إليـه بيـده فـلا يأتيـه أبداً].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا الحسن بن محمد ثنا شبابة ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

٢٦-]﴿سالت أودية بقدرها﴾ تملأُ بطنَ كلِّ وادٍ بحسَبه].

ش: قال ابن جرير: «ثنا الحسن بن محمد الزعفراني ثنا حجاج بن محمد قال ابن جريج أخبرني عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهداً يقول: ﴿أنزل من السماء مـاء فسالت أودية بقدرها﴾ قال ما أطاقت ملأها».

والآية تقدمت في الأثر الحادي عشر.

٢٧- [﴿زبدا رابيا﴾ الزبد زبد السيل].

ش: أخرجه ابن جرير قال ثني المثنى ثنا أبو حذيفة ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: الزبد السيل.

٢٨- [﴿زبد مثله﴾ خبث الحديد والحلية].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

١٨٦- [باب قوله ﴿ا لله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام﴾].

ش: تمامها:**﴿وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار﴾**.

«قوله **﴿ا لله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾** يخبر تعالى عن تمام علمه الذي لا يخفى عليه شيء وأنه محيط بما تحمله الحوامل من كل إناث الحيوانات كما قال تعالى:**﴿ويعلم ما في الأرحام﴾** أي ما حملت من ذكر أو أنثى أو حسن أوقبيح أو شقي أو سعيد أو طويل العمر أو قصيره كما قال تعالى: **﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن إتقى﴾** وقال تعالى:**﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾** أي خلقكم طوراً بعد طور كما قال تعالى: **﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك ا لله أحسن الخالقين﴾**».اهـ من ابن كثير.

قوله «**﴿وما تغيض الأرحام وما تزداد﴾**والتحقيق في معنى الآية أنه يعلم مدة الحمل، وما يعرض فيها من الزيادة والنقصان فهو العالم بذلك دونكم كما هو العالم بما تحمل كل أنثى هل هو ذكر أو أنثى وهذا أحد أنواع الغيب التي لا يعلمها إلا ا لله تعالى».اهـ.من ابن القيم.

قوله **﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾** لا يجاوز شيء من قدره عن تقديره ولا يقصر أمر أراده، فدبره عن تدبيره، كما لا يزداد حمل أنثى على ما قدر له من الحمل، ولا يقصر عما حد له من القدر، والمقدار مفعال من القدر.اهـ من ابن جرير.

[غيض: نُقص].

ش: قال أبو عبيدة: غاضت الأرض والماء، وغاض الماء يغيض أي ذهب وقل.

والآية المشار إليها هي الرابعة والأربعون من سورة هود وإنما ذكره هنا لمناسبة تفسير قوله تعالى ﴿تغيض الأرحام﴾ لأن مادة الكلمتين واحدة.

٢١٧- حدثني إبراهيم بن المنذر حدثنا معن حدثني مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطرُ أحدٌ إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله

ش: سيأتي الحديث في تفسير سورة لقمان ضمن الباب التاسع والستين بعد المائتين ويأتي هناك شرحه إن شاء الله.

آخر تفسير سورة الرعد والحمد لله.

سورة إبراهيم

١٨٧- بسم ا لله الرحمن الرحيم سورة إبراهيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿**وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد ءامنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام**﴾.

وهي مكية كما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس وعن الزبير وحكاه القرطبي عن الحسن البصري وعكرمة وجابر بن زيد وقتادة إلا آيتين منها وقيل إلا ثلاث آيات وهي من قوله تعالى ﴿**ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة ا لله كفرا**﴾ إلى قوله ﴿**قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار**﴾.وعدد آياتها ثنتان وخمسون آية

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ـ [قال ابن عباس ﴿هاد﴾ داع].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني المثنى ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

قلت: وهذه الكلمة من الآية السابعة من سورة الرعد ويبدو لي أن ذكرها ههنا من بعض النساخ والله أعلم.

٢ـ [وقال مجاهد: ﴿صديد﴾ قيحٌ ودم].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثنا الحسن بن محمد ثنا شبابة ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره

قلت: وبه قال أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: **﴿من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد﴾**.

٣ـ [وقال ابن عيينة ﴿اذكروا نعمة الله عليكم﴾ أياديَ الله عندكم وأيامَه].

ش: رواه ابن جرير: ثنا المثنى ثنا إسحاق ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة فذكره.

والآية المشار إليها: **﴿وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من ءال فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾**.

٤ـ [وقال مجاهد: ﴿من كل ما سألتموه﴾ رغبتم إليه فيه].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها: **﴿وءاتكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾**.

٥- [﴿يبغونها عوجاً﴾ يلتمسون لها عوجا].

ش: قال أبو عبيدة: يلتمسون ويحتالون لها، وعِوَجاً مكسور الأول مفتوح الثاني وذلك في الدين وغيره وفي الأرض مما لم يكن قائما وفي الحائط وفي الرمح وفي السن عَوَج وهو مفتوح الحروف.

والآية المشار إليها: **﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً أولئك في ضلال بعيد﴾.**

٦- [﴿وإذ تأذن ربكم﴾ أعلمكم آذنكم].

ش: قال أبو عبيدة: «مجازه وأذنكم ربكم و"إذ" من حروف الزوائد، وتأذن تفعل من قولهم آذنته».

والآية المشار إليها: **﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾.**

٧- [﴿ردّوا أيديَهم في أفواههم﴾ هذا مثل كَفُّوا عما أُمِروا به].

ش: قال أبو عبيدة: «مجازه مجاز المثل وموضعه موضع كفوا عما أمروا بقوله من الحق ولم يؤمنوا به ولم يسلموا، ويقال رد يده في فمه أي أمسك إذا لم يجب». اهـ.

وفي الآية أربعة أقوال أخرى.

أحدها: عضوا على أصابعهم تغيضا عليهم في دعائهم إياهم إلى ما دعوهم إليه وبه قال ابن مسعود وابن زيد.

وثانيها: وضعوا أيديهم على أفواههم تعجباً من سماع كتاب الله، وبه قال ابن عباس.

وثالثها: كذبوهم بأفواههم، وبه قال مجاهد وقتادة.

ورابعها: أنهم يضعون أيديهم على أفواه الرسل رداً عليهم قولهم.

حكاها ابن جرير واختار قول ابن مسعود واستدل له بقوله تعالى عن

المنافقين ﴿**وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ**﴾.

وقال ابن كثير: «ويؤيد قول مجاهد تفسير ذلك بتمام الكلام ﴿**وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب**﴾»اهـ.

قلت والآية المشار إليها: ﴿**ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب**﴾.

٨- [﴿**مقامي**﴾ **حيث يقيمه الله بين يديه**].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه حيث أقيمه بين يديّ للحساب.

والآية المشار إليها: ﴿**ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد**﴾.

٩- [﴿من ورائه﴾ قدامه].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «وأمامه يقال إن الموت من ورائك أي قدامك وقال:

أتوعدني وراء بني رياح كذبت لتقصرن يداك دوني

أي قدام بني رياح وأمامهم وهم دوني أي بيني وبينك».اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿**من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد**﴾.

١٠- [﴿**لكم تَبعاً**﴾ **واحدها تابِع، مثل غَيَبَ وغائِب**].

ش: قال أبو عبيدة: جمع تابع، خرج مخرج غائب والجمع غيب.اهـ

والآية المشار إليها: ﴿**وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء**﴾.

١١- [﴿**بمصرخكم**﴾ **استصرَخني استغاثني**].

ش: قال أبو عبيدة: «أي بمغيثكم ويقال: استصرخني فأصرخته أي استعانني فأعنته واستغاثني فأغثته»اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾**.

١٢- [يستصرخه من الصراخ].

ش: قال ابو عبيدة: وهو من الصارخ يقال: يا آل بني فلان يا صاحباه

قلت: وليست هذه الكلمة من سورة إبراهيم بل هي من الآية الثامنة عشرة من سورة القصص ولعل المصنف رحمه الله ذكرها استطراداً.

١٣- [﴿ولا خِلال﴾ مصدر خاللته خِلالاً، ويجوز أيضاً جمع خُلة وخلال].

ش: قال أبو عبيدة: «أي مخالة خليل وله موضع آخر تجعلها جمع خلة بمنزلة جلة والجميع جلال وقلة والجميع قلال وقال:

فيخبره مكان النون مني ... وما أعطيته عرق الخلال

أي المخالة» اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿قل لعبادي الذين ءامنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال﴾**.

١٤- [﴿اجتُثّت﴾ استؤصلت].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «يقال اجتث الله دابرهم أي أصلهم».

والآية المشار إليها: **﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾**.

١٨٨- [باب قوله **﴿كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين﴾**].

ش: قلت: الآية **﴿ألم تر كيف ضرب ا لله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب ا لله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾**

«قوله **﴿ألم تر كيف ضرب ا لله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة﴾** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ألم تر يا محمد بعين قلبك فتعلم كيف مثل ا لله مثلاً وشبه شبهاً كلمة طيبة ويعني بالطيبة الإيمان به جل ثناؤه كشجرة طيبة الثمرة، وترك ذكر الثمرة استغناء بمعرفة السامعين عن ذكرها بذكر الشجرة

وقوله **﴿أصلها ثابت وفرعها في السماء﴾** يقول عز ذكره: أصل هذه الشجرة ثابت في الأرض وفرعها وهو أعلاها في السماء يقول: مرتفع علو نحو السماء.

وقوله **﴿تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾** يقول تطعم ما يأكل منها من ثمرها **﴿كل حين بإذن ربها ويضرب ا لله الأمثال للناس﴾** يقول: ويمثل ا لله الأمثال للناس ويشبه لهم الأشياء **﴿لعلهم يتذكرون﴾** يقول: ليتذكروا حجة ا لله عليهم، فيعتبروا بها ويتعظوا فينزجروا عما هم عليه من الكفر به إلى الإيمان».اهـ من ابن جرير.

فائدة:

قال ابن القيم: «فشبه سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين يقولون: الكلمة الطيبة: هي شهادة أن لا إله إلا ا لله.فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة، الظاهرة والباطنة، فكل عمل صالح مرضي لله فهو ثمرة هذه الكلمة.

وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: كلمة طيبة: شهادة أن لا إله إلا الله. كشجرة طيبة: وهو المؤمن. ﴿**أصلها ثابت**﴾ قول: لا إله إلا الله في قلب المؤمن ﴿**وفرعها في السماء**﴾ يقول: يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء.

وقال الربيع بن أنس: كلمة طيبة: هذا مثل الإيمان، فالإيمان: الشجرة الطيبة، وأصلها الثابت الذي لا يزول: الإخلاص فيه. وفرعه في السماء: خشية الله.

والتشبيه على هذا القول أصح وأظهر وأحسن. فإنه سبحانه شبه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل، الباسقة الفرع في السماء علواً، التي لا تزال تؤتي ثمرتها كل حين.

وإذا تأملت هذا التشبيه رأيته مطابقاً لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب التي فروعها من الأعمال الصالحة صاعدة إلى السماء.

ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت، بحسب ثباتها في القلب، ومحبة القلب لها، وإخلاصه فيها، ومعرفته بحقيقتها، وقيامه بحقوقها، ومراعاتها حق رعايتها» انتهى محل الغرض من بدائع التفسير.

٢١٨ـ حدثني عبيد بن إسماعيل عن أبي أسامة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: أخبروني بشجرة تشبه أو كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا، ولا، ولا، تؤتي أكلها كل حين. قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم. فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله ﷺ: هي النخلة. فلما قمنا قلت لعمر يا أبتاه والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة فقال: ما منعك أن تكلم؟ قال: لم أركم تكلمون فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئا. قال عمر: لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا.

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «**أخبروني بشجرة تشبه أو كالرجل المسلم**» في طرح الإمام المسألة على أصحابه من كتاب العلم برواية عبد الله بن دينار «إن من الشجر شجرة» وزاد في رواية مجاهد في باب الفهم في العلم «قال: صحبت ابن عمر إلى المدينة فقال: كنا عند النبي ﷺ، فأتى بجمار وقال: إن من الشجر» وله عنه في البيوع باب بيع الجمار وأكله قال: «كنت عند النبي ﷺ وهو يأكل جُماراً»

الثانية: قوله «**لا يتحات ورقها**» في رواية ابن دينار المذكورة «لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم» قال الحافظ: ووجه الشبه بين النخلة والمسلم من جهة عدم سقوط الورق ما رواه الحارث بن أبي أسامة في هذا الحديث من وجه آخر عن ابن عمر ولفظه: «قال: كنا عند رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: إن مثل المؤمن كمثل شجرة لا تسقط لها أنملة أتدرون ما هي؟ قالوا لا قال: هي النخلة لاتسقط لها أنملة ولا تسقط لمؤمن دعوة».

ووقع عند المصنف في الأطعمة من طريق الأعمش قال: حدثني مجاهد عن ابن عمر قال: بينا نحن عند النبي ﷺ إذ أتي بجمار فقال: إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم» وهذا أعم من الذي قبله وبركة النخلة موجودة في جميع أجزائها مستمرة في جميع أحوالها فمن حين تطلع إلى أن تيبس تأكل أنواعاً ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها حتى النوى في علف الدواب والليف في الحبال وغير ذلك مما لا يخفى، وكذلك بركة المسلم عامة في جميع الأحوال ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد الممات.

الثالثة: قوله «**ولا، ولا، ولا**» كذا ذكر النفي ثلاث مرات على طريق الاكتفاء فقيل في تفسير ولا ينقطع ثمرها ولا يعدم فيؤها ولا يبطل نفعها. ووقع في رواية مسلم ذكر النفي مرة واحدة فظن إبراهيم بن سفيان الراوي عنه أنه متعلق بما بعده وهو قوله «تؤتي أكلها» فاستشكله وقال: لعل "لا" زائدة ولعله «وتؤتي

أكلها» وليس كما ظن بل معمول النفي محذوف على سبيل الاكتفاء.قاله الحافظ.

الرابعة: قوله «**تؤتي أكلها كل حين**» أي تعطي ثمرها كل وقت وهذه صفة خامسة للنخلة.

الخامسة: قوله «**فوقع في نفسي أنها النخلة**» وفي رواية ابن دينار «فوقع الناس في أشجار البوادي ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت».قال الحافظ: بيّن أبو عوانة في صحيحه من طريق مجاهد عن ابن عمر وجه ذلك قال: «فظننت أنها النخلة من أجل الجمار الذي أتي به» وفيه إشارة إلى أن الملغز له ينبغي أن يتفطن لقرائن الأحوال الواقعة عند السؤال وأن الملغز ينبغي له أن لا يبالغ في التعمية بحيث لا يجعل للملغز باباً يدخل منه بل كلما قربه كان أوقع في نفس سامعه.)».

السادسة: قوله «**ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم**» في طرح المسألة «فاستحييت» وزاد في رواية مجاهد في باب الفهم في العلم «فأردت أن أقول هي النخلة فإذا أنا أصغر القوم» وله في الأطعمة «فإذا أنا عاشر عشرة أنا أحدثهم».

السابعة: قوله «**فلما لم يقولوا شيئاً قال رسول الله ﷺ: هي النخلة**» في رواية ابن دينار «قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله قال: هي النخلة»

الثامنة: قوله «**فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة**» في رواية ابن دينار «قال عبد الله: فحدثت أبي بما وقع في نفسي فقال: لأن تكون قلتها أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا» زاد ابن حبان في الإيمان باب ذكر الأخبار عن وصف ما يشبه المسلم من الشجر «أحسبه قال حمر النعم».

من فقه الحديث:

أولاً: امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفى مع بيانه لهم إن لم يفهموا.

ثانياً: التحريض على الفهم في العلم كما بوب عليه المؤلف باب الفهم في العلم.

ثالثاً: استحباب الحياء ما لم يؤد إلى تفويت مصلحة ولهذا تمنى عمر أن يكون ابنه لم يسكت.

رابعاً: فيه دليل على بركة النخلة وما تثمره وفضلها.

خامساً: توقير الأصاغر للأكابر.

١٨٩- [باب ﴿يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت﴾].

ش: تمامها **﴿في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾.**

يعني تعالى ذكره بقوله **﴿يثبت الله الذين آمنوا﴾** يحقق الله أعمالهم وإيمانهم **﴿بالقول الثابت﴾** يقول بالقول الحق وهو فيما قيل شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وأما قوله **﴿في الحياة الدنيا﴾** فإن أهل التأويل اختلفوا فيه والصواب منه القول في ذلك ما ثبت به الخبر عن رسول الله ﷺ في ذلك وهو أن معناه يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وذلك تثبيته إياهم في الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله محمد ﷺ وفي الآخرة بمثل الذي ثبتهم به في الحياة الدنيا، وذلك في قبورهم حيث يُسألون عن الذي هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله ﷺ.

وأما قوله **﴿ويضل الله الظالمين﴾** فإنه يعني أن الله لا يوفّق المنافق والكافر في الحياة الدنيا وفي الآخرة عند المسألة في القبر لما هدى له من الإيمان المؤمن بالله ورسوله ﷺ.

وقوله **﴿ويفعل الله ما يشاء﴾** يعني تعالى ذكره بذلك: وبيد الله الهداية والإضلال، فلا تنكروا أيها الناس قدرته، ولا اهتداء من كان منكم ضالاً ولا ضلال من كان منكم مهتدياً فإن بيده تصريف خلقه، وتقليب قلوبهم، يفعل فيهم ما يشاء.اهـ من ابن جرير بتصرف.

فائدة:

قال ابن القيم: «تحت هذه الآية كنز عظيم، من وُفِّق لمظنته وأحسن استخراجه واقتنائه وأنفق منه، فقد غنم، ومن حرمه فقد حُرم.

وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين.فإن لم يثبته، وإلا

زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما...إلى أن قال: فالخلق كلهم قسمان: موفق بالتثبيت، ومخذول بترك التثبيت.

ومادة التثبيت أصله ومنشؤه من القول الثابت، وفعل ما أُمر به العبد، فبهما يثبت الله عبده.فكل من كان أثبت قولاً وأحسن فعلاً كان أعظم تثبيتاً.قال تعالى **﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً﴾**.

فأثبت الناس قلباً: أثبتهم قولاً.

والقول الثابت: هو القول الحق والصدق، وهو ضد القول الباطل الكذب.

فالقول نوعان: ثابت له حقيقة، وباطل لا حقيقة له.

وأثبت القول: كلمة التوحيد ولوازمها، فهي أعظم ما يثبت الله بها عبده في الدنيا والآخرة، ولهذا ترى الصادق من أثبت الناس وأشجعهم قلباً، والكاذب من أمهن الناس وأخبثهم وأكثرهم تلوناً، وأقلهم ثباتاً.» انتهى مختصراً من بدائع التفسير.

٢١٩ـ حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة قال أخبرني علقمة بن مرثد[1] قال سمعت سعد بن عبيدة[2] عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال: المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله ﴿يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**المسلم إذا سئل في القبر**» في الجنائز برواية حفص بن عمر «إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد»

الثانية: قوله «يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» في الجنائز «ثم

(١) هو أبو الحارث علقمة بن مرثد الحضرمي الكوفي، ثقة من السادسة.ع.

(٢) هو أبو حمزة سعد بن عبيدة السلمي، الكوفي، ثقة من الثالثة، مات في ولاية عمر بن هبيرة على العراق.ع.

شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» وقد أخرجه الإسماعيلي عن أبي خليفة عن حفص بن عمر شيخ البخاري فيه بلفظ أبين من لفظه قال: «إن المؤمن إذا شهد أن لا إله إلا الله وعرف محمداً في قبره فذلك قوله الخ.» وأخرجه ابن مردويه من هذا الوجه وغيره بلفظ «إن النبي ﷺ ذكر عذاب القبر فقال: إن المسلم إذا شهد أن لا إله إلا الله وعرف أن محمداً رسول الله» الحديث. حكاه الحافظ (٣/٢٣٤).

الثالثة: قوله «**فذلك قوله ﴿يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾**» في رواية غندر في الجنائز بهذا وزاد «**﴿يثبت الله الذين آمنوا﴾** نزلت في عذاب القبر» وعند مسلم في كتاب الجنة باب عرض مقعد المؤمن «فيقال له من ربك فيقول ربي الله ونبيي محمد ﷺ فذلك قوله ﷻ **﴿يثبت الله...﴾** الآية» وعند أحمد ٤/٢٨٧ وأبي داود في السنة باب المسألة في القبر عن البراء بن عازب من حديث طويل وفيه قال «فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك فيقول ديني الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله ﷺ فيقولان له وما علمك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي مناد في السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة» الحديث.

فائدة:

قال مقيده: فاعلم هديت إلى صواب الأقوال والأعمال والسداد في صحة العقيدة والمنهج، أن نعيم القبر وعذابه، قد جاءت به السنة المتواترة عن النبي ﷺ وأجمع عليه أهل الحق، فلا تغتر بمن خالف في ذلك، كالمعتزلة وأتباع المدرسة الفلسفية العقلية الذين لا يؤمنون إلا بالمحسوسات ولا يقرون من النصوص إلا بما يوافق عقولهم ونحن سنذكر لك ثلاثة أحاديث إضافة على ما تقدم:

الأول: حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الميت إذا وضع في قبره يسمع خفق نعالهم إذا ولوا عنه مدبرين، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، وكانت الصدقةعن شماله، وكان فعل الخير من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان عند رجليه، فيأتيه الملكان من قبل رأسه، فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل. ثم يؤتى عن يمينه، ويقول الصيام: ما قبلي مدخل. ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل. ثم يؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة، والمعروف والإحسان: ما قبلي مدخل !! فيقول له: اجلس. فيجلس قد مثلت له الشمس، وقد أصغت للغروب، فيقول: دعوني حتى أصلي. فيقولون: إنك ستصلي. أخبرنا عما نسألك عنه، أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقولون فيه؟ وماذا تشهد به عليه؟ فيقول: محمد نشهد أنه رسول الله، جاء بالحق من عندا لله فيقال له: على ذلك حييت، وعلى ذلك تبعث إن شاء الله، ثم يفتح له باب إلى الجنة، فيقال: هذا مقعدك، وما أعد الله لك فيها؛ فيزداد غبطة وسروراً؛ ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً، وينور له فيه، ويعاد الجسد لما بدئ منه، وتجعل روحه نسم طير يعلق في شجر الجنة. قال: فذلك قوله تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾.

وإن كان كافراً أتي من قبل رأسه فلا يوجد شيء، ويؤتى عن يمينه فلا يوجد شيء، ثم يؤتى عن يساره فلا يوجد شيء، ثم يؤتى من قبل رجليه فلا يوجد شيء، فيقال له: اقعد فيقعد خائفاً مرعوباً فيقال له: ما تقول في هذا الرجل الذي كان فيكم وماذا تشهد به عليه؟ فيقول: أي رجل؟ فيقولون: الرجل الذي كان فيكم. قال: فلا يهتدى له. قال. فيقولون: محمد. فيقول: سمعت الناس قالوا فقلت كما قالوا. فيقولون على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث إن شاء الله ثم يفتح له باب من قبل الجنة. فيقال له انظر إلى منزلك وإلى ما أعد

ا لله لك لو كنت أطعته فيزداد حسرة وثبوراً، قال: ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، قال وذلك قوله تبارك وتعالى **﴿فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى﴾**.

أخرجه عبدالرزاق وابن أبي شيبة في مصنفيهما وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وجميعهم من طريق محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة.

الثاني: حديث أنس بن ماللك رضي ا لله عنه أن رسول ا لله ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم، إذا انصرفوا: أتاه الملكان، فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل، محمد؟ فأما المؤمن، فيقول: أشهد أنه عبدا لله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك ا لله به مقعداً من الجنة، قال النبي ﷺ: فيراهما جميعاً، قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح له في قبره ـ ثم رجع إلى حديث أنس ـ وأما الكافر ــ أو المنافق ــ وفي رواية: وأما الكافر والمنافق ـ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس فيه، فيقال: لا دريت، ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين»

أخرجه الشيخان وغيرهما، وقال ابن الأثير في جامعه: «ولفظ الحديث للبخاري».

الثالث: حديث أبي هريرة رضي ا لله عنه أن رسول ا لله ﷺ قال: «إذا قبر الميت ـ أو قال أحدكم ـ أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول، هو عبدا لله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا ا لله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم ينور له فيه،ثم يقال له: نم، فيقول: ارجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان: نم كنومة

العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولان قولاً، فقلت مثله، لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجه ذلك.

رواه الترمذي وحسنه.

١٩٠- باب ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾.

ش: تمام السياق ﴿وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار﴾.

«يقول تعالى ذكره ألم تنظر يا محمد ﴿إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾ يقول غيروا ما أنعم الله به عليهم من نعمة، فجعلوها كفراً به، وكان تبديلهم نعمة الله كفراً في نبي الله محمد ﷺ، أنعم الله به على قريش، فأخرجه منهم وابتعثه فيهم رسولاً رحمة لهم، ونعمة منه عليهم، فكفروا به وكذبوه، فبدلوا نعمة الله عليهم به كفراً.

وقوله ﴿وأحلوا قومهم دار البوار﴾ يقول وأنزلوا قومهم من مشركي قريش دار البوار وهي دار الهلاك، يقال منه: بار الشيء يبور بوراً إذا هلك وبطل، ومنه قول ابن الزبعرى، وقد قيل أنه لأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:

يا رسول المليك إن لساني   راتق ما فتقت إذ أنا بور

ثم ترجم عن دار البوار وما هي؟ فقيل ﴿جهنم يصلونها وبئس القرار﴾ يقول وبئس المستقر هي جهنم لمن صلاها».اهـ من ابن جرير.

شرح جملة من الآثار:

١- [﴿ألم تر﴾ ألم تعلم؟ كقوله ﴿ألم تر كيف﴾ ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا﴾].

ش: قاله أبو عبيدة عند قوله تعالى ﴿ألم تر أن الله خلق...﴾ وزاد: ليس رؤية عين.

٢- [﴿البوار﴾ الهلاك، بار يبور بوراً].

ش:قاله أبوعبيدة وزاد:«والفناء،ويقال باريبورومنه قول عبدا لله بن الزبعري:

يا رسول المليك إن لساني   راتق ما فتقت إذ أنا بور

البور والبوار واحد».اهـ

٣- [﴿قوما بوراً﴾ هالكين].

ش: قلت هذه الكلمة في سورة الفرقان ضمن الآية الثامنة عشرة وفي سورة الفتح ضمن الآية الثانية عشرة وقد ذكرها الشيخ ههنا للإستشهاد.

٢٢٠- حدثنا علي بن عبد ا لله حدثنا سفيان عن عمرو عن عطاء سمع ابن عباس: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة ا لله كفراً﴾ قال هم كفار أهل مكة.

ش: في غزوة بدر من رواية الحميدي «**﴿الذين بدلوا نعمة ا لله كفراً﴾** قال هم وا لله كفار قريش قال عمرو هم قريش ومحمد ﷺ نعمة ا لله ﴿وأحلوا قومهم دار البوار﴾ قال النار يوم بدر».

وأخرج عبد الرزاق في تفسيره من طريق معمر عن وهب بن عبد ا لله عن أبي الطفيل أن ابن الكواء سأل علياً قال: من الذين **﴿بدلوا نعمة ا لله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار﴾**؟ قال: الأفجران، وقال: قريش أو قال أهل مكة بنو مخزوم، وبنو أمية وكفيتهم يوم بدر.

وروى ابن جرير من طريق ابن بشار وأحمد بن إسحاق قالا: ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن علي بن زيد عن يوسف بن سعد عن عمر بن الخطاب في قوله **﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة ا لله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار﴾** قال: هما الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر، وأما

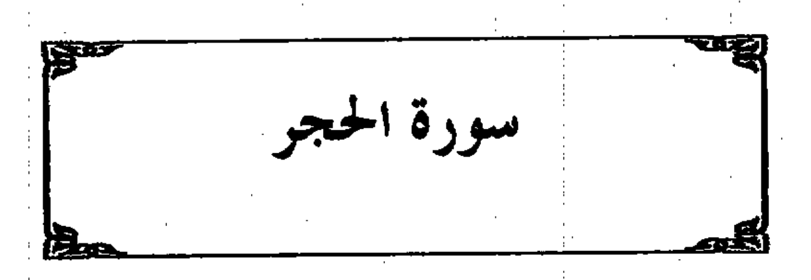
بنو أمية فمتعوا إلى حين.

قلت: ولا منافاة عندي بين هذه التفاسير لأن كفار بني مخزوم وبني أمية من كفار قريش ومن المعلوم أن هذين الحيين من قريش كانوا من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ، وإن كان تفسير ابن عباس أولى لموافقته ظاهر الآية وهو العموم.

وفي تفسير ابن كثير: «وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية هو جبلة بن الأيهم والذين اتبعوه من العرب، فلحقوا بالروم».

قلت: وهذا خبر ضعيف لا تقوم به حجة وثمت سبب آخر وهو أن جبلة إرتد في خلافة عمر.

آخر تفسير سورة إبراهيم والحمد لله.



١٩١- [تفسير سورة الحجر بسم ا لله الرحمن الرحيم]

ش: شاهد التسمية قوله تعالى:﴿ولقد كذّب أصحاب الحجر المرسلين﴾.

قلت: والحجر وادي القرى وهي منازل ثمود وتقع شمال مدينة العلا وتعرف اليوم بمدائن صالح وأصحاب الحجر هم ثمود.

وهي مكية باتفاق حكاه القرطبي، وعدد آياتها تسع وتسعون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [وقال مجاهد ﴿صراطٌ عليّ مستقيم﴾ الحق يرجع إلى الله وعليه طريقه].

ش: رواه ابن جرير من طرق جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وزاد لا يعرِّج على شيء.

والآية المشار إليها: **﴿قال هذا صراط عليّ مستقيم﴾.**

٢- [﴿وإنهما لبإمام مبين﴾ الإمام كل ما ائتممت واهتديت به إلى الطريق].

ش: قاله أبو عبيدة دون الجملة الأخيرة وقال ابن جرير في قوله لبإمام: يقول لبطريق يأتمون به في سفرهم، ويهتدون به **﴿مبين﴾** يقول يبين لمن ائتم به استقامته، وإنما جعل الطريق إماماً لأنه يؤم ويُتبع.

ثم أخرج المعنى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك.

والآية المشار إليها: **﴿فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين﴾.**

٣- [وقال ابن عباس: ﴿لعمرك﴾ لعيشك].

ش: رواه ابن جرير من طريق المثنى ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها: **﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾.**

٤- [﴿قوم منكرون﴾ أنكرهم لوط].

ش: رواه ابن جرير من طرق جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها: **﴿قال إنكم قوم منكرون﴾.**

٥- [وقال غيره ﴿كتاب معلوم﴾ أجل].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ومدّه معلوم مؤقت معروف.

والآية المشار إليها: **﴿وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم﴾.**

٦- [﴿لو ما تأتينا﴾ هلاّ تأتينا].

ش: قال أبو عبيدة: «لو ما فعلت كذا، وهلاّ ولولا وألا، معناهن واحد، هلا تأتينا وقال الأشهب بن عبلة وقال في غير هذا الموضع ابن رميلة:

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم بني ضوطرى لولا الكمي المقنّعا

أي هلا تعدون قتل الكماة «لو ما» مجازها ومجاز «لو لا» واحد».اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين﴾**.

٧- [**﴿شيع﴾ أمم، وللأولياء أيضاً شيعٌ**].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: **﴿ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين﴾**.

٨- [**وقال ابن عباس: ﴿يهرعون﴾ مسرعين**].

ش: أخرجه ابن جرير من طريق علي بن داود ثنا عبد الله بن صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها هي الثامنة والسبعون من سورة هود وأظن وقوعها هنا من قبيل بعض النساخ.

٩- [**﴿للمتوسمين﴾ للناظرين**].

ش: أخرجه ابن جرير من طريق المثنى ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره، كما رواه بهذا اللفظ عن الضحاك وأخرج عن مجاهد «المتفرسين» وعن قتادة «المعتبرين» وعن ابن زيد «المتفكرين» وهذه العبارات متفقة في المعنى وإن كانت مختلفة في اللفظ.

والآية المشار إليها: **﴿إن في ذلك لآيت للمتوسمين﴾**.

١٠- [**﴿سُكِّرَت﴾ غُشِّيت**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «سمادير فذهبت وخبا نظرها قال:

جاء الشتاء واجثأل القنبر واستخفت الأفعى وكانت تظهر

وطلعت شمس عليها مغفر وجعلت عين الحرور تسكر

أي يذهب حرها ويخبو»اهـ

قال مقيده: واعلم أن أهل التفسير إختلفوا في معنى هذه الكلمة على أربعة أقوال:

أحدها: بمعنى سدت وهو قول مجاهد وابن كثير وهو المقرىء والضحاك.

وثانيها: بمعنى أخذت وهو قول ابن عباس وقتادة.

وثالثها: بمعنى غشي على أبصارنا كما يفعل السكر بصاحبه وهو قول ابن زيد.

ورابعها: بمعنى عميت وهو قول الكلبي.

أخرجها ابن جرير واختار ثالثها وهو موافق لقول البخاري.

والآية المشار إليها:**﴿لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾**.

١١- [**﴿بروجاً﴾ منازل للشمس والقمر**].

ش: قاله ابو عبيدة.

«والآية المشار إليها:﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين﴾»

١٢- [**﴿لواقح﴾ ملاقح ملقحة**].

ش: قال أبو عبيدة مجازها مجاز ملاقح لأن الريح ملقحة للسحاب والعرب قد تفعل هذا فتلقي الميم لأنها تعيده إلى أصل الكلام كقول نهشل بن حري يرثي أخاه:

ليبكي يزيد بائساً لضراعة وأشعث ممن طوحته الطوائح

فحذف الميم لأنها المطاوح».اهـ.

والآية المشار إليها:**﴿وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماءً فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾**.

١٣- [﴿حمأ﴾ جماعة حمأة وهو الطين المتغير والمسنون المصبوب].

ش: قاله أبو عبيدة مع إختلاف يسير.

والآية المشار إليها:﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون﴾.

١٤- [﴿تَوْجَل﴾ تَخَف].

ش: قال ابن جرير: قال الضيف لإبراهيم لا توجل لا تخف إنا نبشرك بغلام عليم.

والآية المشار إليها:﴿**قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم**﴾.

١٥- [﴿دابر﴾ آخر].

ش: زاد أبو عبيدة: مجتذ مقطوع مستأصل.

والآية المشار إليها:﴿**وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين**﴾.

١٦- [﴿الصيحة﴾ الهلكة].

ش: زاد أبو عبيدة: ويقال صيح بهم أي أهلكوا.اهـ

قلت: والكلمة جاءت في هذه السورة مرتين أولاهما في قوم لوط ﴿**فأخذتهم الصيحة مشرقين**﴾ وثانيهما في أصحاب الحجروهم ثمود ﴿**فأخذتهم الصيحة مصبحين**﴾ ولا أدري أيتهما عنى الشيخ بهذه الإشارة.

١٩٢- [باب قوله ﴿إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين﴾].

ش: قلت السياق: ﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين﴾.

يقول تعالى ذكره: وحفظنا السماء الدنيا من كل شيطان لعين قد رجمه الله ولعنه ﴿إلا من استرق السمع﴾ يقول لكن قد يسترق من الشياطين السمع مما يحدث في السماء بعضها، فيتبعه شهاب من النار مبين، يبين أثره فيه إما بإخباله وإفساده أو بإحراقه.اهـ من ابن جرير.

فائدة:

قال ابن كثير بعد ذكره خلق السماء وما جعل الله فيها من بروج وزينة: «وجعل الشهب حرساً لها من مردة الشياطين، لئلا يسمعوا إلى الملأ الأعلى فمن تمرد منهم لاستراق السمع جاءه ﴿شهاب مبين﴾ فأتلفه فربما يكون قد ألقى الكلمة التي سمعها قبل أن يدركه الشهاب إلى الذي هو دونه فيأخذها الآخر، ويأتي بها إلى وليه». اهـ

٢٢١- حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال: إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة على صفوان، قال علي وقال غيره: صفوان ينفذهم ذلك، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير.فيسمعها مسترقوا السمع، ومسترقوا السمع هكذا واحد فوق آخر ووصف سفيان بيده وفرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها فوق بعض، فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه، فيحرقه.وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه، إلى الذي هو أسفل منه، حتى يلقوها إلى الأرض ـ وربما قال سفيان: حتى تنتهي إلى

الأرض - فتلقى على فم الساحر، فيكذب معها مائة كذبة، فيصدق، فيقولون: ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقاً؟ للكلمة التي سمعت من السماء.

حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا عمرو عن عكرمة عن أبي هريرة: إذا قضى الله الأمر، وزاد: ... (والكاهن).

وحدثنا سفيان فقال قال عمرو سمعت عكرمة حدثنا أبو هريرة قال: إذا قضى الله الأمر وقال على فم الساحر قلت لسفيان: أأنت سمعت عمراً قال سمعت عكرمة قال سمعت أبا هريرة؟ قال: نعم قلت لسفيان: إن إنساناً روى عنك عن عمرو عن عكرمة عن أبي هريرة ويرفعه أنه قرأ ﴿فُرِّغ﴾ قال سفيان: هكذا قرأ عمرو، فلا أدري سمعه هكذا أم لا قال سفيان: وهي قراءتنا.

ش: قوله «**حدثنا عمرو**» ليثبت سماع سفيان من عمرو.

وقوله «**قال عمرو سمعت عكرمة**» القائل هو سفيان وأراد به إثبات سماع عمرو من عكرمة.

قوله «**حدثنا أبو هريرة**» فيه النص على سماع عكرمة من أبي هريرة.

قوله «**قال أبو هريرة إذا قضى الله الأمر...إلخ**» مفاده أن الحديث موقوف على أبي هريرة ولكن صرح في سورة سبأ كما سيأتي برفعه إلى النبي ﷺ قال عكرمة سمعت أبا هريرة قال إن نبي الله ﷺ قال.

قوله «**قلت لسفيان أأنت سمعت عمرواً...إلخ**» القائل هو علي بن عبد الله المديني شيخ البخاري ومراده الإستثبات.

قوله «**نعم**» القائل هو سفيان جواباً لتلميذه علي بن المديني.

قوله «**إن إنسانا روى عنك**» لم نقف على تسميته.

قوله «**أنه قرأ فرغ**» بضم الفاء وتشديد الراء المكسورة فغين معجمة مفتوحة.

قوله «**وهي قراءتنا**»

قلت: وهي قراءة الحسن أيضاً حكاها ابن جرير والمعنى على هذه القراءة أي حتى إذا أفنى الله الوجل عن قلوبهم.

وسيأتي الحديث في تفسير سورة سبأ ضمن الباب الخامس والثمانين بعد المائتين وهناك يستوفى الكلام عليه.

١٩٣- [باب قوله ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾].

ش: يخبر جل ثناؤه أن أصحاب الحجر وهم ثمود الذين كذبوا صالحاً نبيهم، ومن كذب برسول فقد كذب بجميع المرسلين ولهذا أطلق عليهم تكذيب المرسلين.

قلت: والدليل على أن تكذيب واحد من الرسل هو تكذيب بالجميع وكفر بهم قوله تعالى: **﴿إن الذين يكفرون با لله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين ا لله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾**.

٢٢٢- حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا معن قال حدثني مالك عن عبد ا لله بن دينار عن عبد ا لله بن عمر رضي ا لله عنهما أن رسول ا لله ﷺ قال لأصحاب الحجر: لا تدخلوا على هؤلاء القوم إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، أن يصيبكم مثل ما أصابهم.

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «**لأصحاب الحجر**» يعني لأصحابه الذين قدموا معه الحجر وهو وادي القرى حين مروا به قاصدين تبوك.

الثانية: قوله «**لا تدخلوا على هؤلاء القوم إلا أن تكونوا باكين**» في باب قوله تعالى **﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾** من أحاديث الأنبياء برواية سالم «أن النبي ﷺ لما مر بالحجر قال: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا» وفيه من رواية ابن دينار «**لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من بئرها**».

قلت: فتحصل من مجموع هذه الروايات أن هذا النهي كان حين توجه رسول ا لله ﷺ إلى غزوة تبوك.

الثالثة: قوله «**فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم**» ليس المراد الاقتصار في ذلك على ابتداء الدخول، بل دائما عند كل جزء من الدخول، وأما الاستقرار

فالكيفية المذكورة مطلوبة فيه بالأولوية.

قال مقيده: وفي باب نزول النبي ﷺ الحجر من المغازي برواية سالم أيضاً «ثم قنع رأسه، وأسرع السير حتى أجاز الوادي» فهذه الرواية نص صريح على أنه ﷺ لم ينزل في وادي الحجر. وهذا دليل على أنه لا تصح فيه الصلاة.

الرابعة: قوله «**أن يصيبكم مثل ما أصابهم**» وكذا في الأنبياء وفي الصلاة «لا يصبكم ما أصابهم» والمعنى خشية أن يصيبكم، وهو نهي بمعنى الخبر ووجه هذه الخشية أن البكاء يبعثه على التفكر والاعتبار، فكأنه أمرهم بالتفكر في أحوال توجب البكاء من تقدير الله تعالى على أولئك بالكفر مع تمكينه لهم في الأرض وإمهالهم مدة طويلة.انتهى من الفتح ٥٣١/١.

١٩٤- [باب ﴿ولقد ءاتينك سبعا من المثاني والقرءان العظيم﴾].

ش: إختلف أهل التفسير في هذه السبع المثاني التي أخبر تعالى ذكره أنه أتاها نبيه ﷺ على أقوال أربعة:

أولها: أنها السبع السور من أول القرآن اللواتي يعرفن بالطول وبه قال ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك.

وثانيها: أنها آيات فاتحة الكتاب لأنهن سبع آيات وبه قال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد في الرواية الثانية عنهم وعمر وعلي وأبو فاختة وأبيّ بن كعب وأبو العالية وعبد الله بن عبيد بن عمير وأبو مليكة وشهر بن حوشب والحسن وقتادة وخالد الحنفي.

وثالثها: أنها معاني القرآن وبه قال زياد بن أبي مريم.

ورابعها: أنه القرآن العظيم وبه قال أبو مالك وطاووس وابن عباس في الرواية الثالثة والضحاك في الرواية الثانية.

حكاها ابن جرير واختار القول الثاني منها وحديث الباب دليل على رجحان هذا القول

٢٢٣- حدثني محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد بن المعلى قال: «مر بي النبي ﷺ وأنا أصلي، فدعاني فلم آته حتى صليت، ثم أتيت فقال: ما منعك أن تأتي فقلت: كنت أصلي، فقال: ألم يقل الله ﴿يا أيها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ ثم قال: ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد؟ فذهب النبي ﷺ ليخرج من المسجد فذكّرته، فقال: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته.»).

٢٢٤- حدثنا آدم حدثنا ابن أبي ذئب حدثنا سعيد المقبري عن أبي

هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم.».

ش: مضى حديث أبي سعيد بن المعلى في الباب الأول وأما قوله في حديث أبي هريرة «أم القرآن» فعند الترمذي من رواية أبي علي الحنفي «الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني» وعند ابن جرير من طريق سعيد المقبري «هي أم الكتاب وهي أم القرآن وهي السبع المثاني».

قال الخطابي: «في الحديث رد على ابن سيرين حيث قال: إن الفاتحة لا يقال لها أم القرآن وإنما يقال لها فاتحة الكتاب».

١٩٥- [**باب قوله ﴿الذين جعلوا القرءان عضين﴾**].

ش: وقبلها ﴿كما أنزلنا على المقتسمين﴾.

يقول مثل الذي أنزل الله تعالى من البلاء والعقاب على الذين اقتسموا القرآن فجعلوه عضين.اهـ من ابن جرير.

واعلم أن أهل التأويل إختلفوا فيمن عنى بقوله ﴿**المقتسمين**﴾ على ستة أقوال:

أولها: أنهم اليهود والنصارى فأمنوا ببعضه وكفروا ببعضه وبه قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن.

وثانيها: أنهم اليهود والنصارى أيضاً لكن سموا المقتسمين لأن بعضهم قال استهزاء بالقرآن هذه السورة لي وقال بعضهم هذه لي وبه قال عكرمة.

وثالثها: أنهم أيضاً اليهود والنصارى لكن سموا المقتسمين لاقتسامهم كتبهم وتفريقهم بينها بالإيمان ببعضها والكفر ببعضها وبه قال مجاهد.

ورابعها: أنهم رهط من كفار قريش بأعيانهم وهو قول قتادة.

وخامسها: أنهم رهط من قوم صالح الذين تقاسموا على تبييته وأهله وبه قال ابن زيد.

وسادسها: أنهم قوم اقتسموا طرق مكة أيام قدوم الحاج عليهم ليشيعوا لمن سألهم عن النبي ﷺ أنه مجنون وشاعر وساحر.

قال ابن جرير بعد حكايته لهذه الأقوال: وجائز أن يكون عنى بالمقتسمين أهل الكتابين التوراة والإنجيل لأنهم اقتسموا كتاب الله فأقرت اليهود ببعض التوراة وكذبت ببعضها وكذبت بالإنجيل والفرقان، وأقرت النصارى ببعض الإنجيل وكذبت ببعضه وبالفرقان.

وجائز أن يكون عنى بذلك المشركين من قريش لأنهم اقتسموا القرآن فسماه بعضهم شعراً وبعضهم كهانة وبعضٌ أساطير الأولين.

وجائز أن يكون عنى به الفريقين، وممكن أن يكون عنى به المقتسمين على صالح من قومه، فإذا لم يكن في التنزيل دلالة على أنه عنى به أحد الفرق الثلاثة دون الآخرين، ولا في خبر عن الرسول ﷺ ولا في فطرة عقل، وكان ظاهر الآية محتملاً ما وصفت، وجب أن يكون مقضياً بأن كل من اقتسم كتاب الله بتكذيب بعض وتصديق بعض، واقتسم على معصية الله ممن حل به عاجل نقمة الله في الدار الدنيا قبل نزول هذه الآية،فداخل في ذلك لأنهم لأشكالهم من أهل الكفر بالله كانوا عبرة وللمتعظين بهم منهم عظة.اهـ من ابن جرير.

وقوله ﴿**الذين جعلوا القرآن عضين**﴾ جمع عضة،وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة إذا جعلها أجزاء فيكون المعنى على هذا: الذين جعلوا القرآن أجزاء متفرقة، بعضه شعر وبعضه سحر وبعضه كهانة ونحو ذلك.اهـ من الشوكاني.

قلت: وهذا **أحد** قولين لأهل العلم بالتأويل في الآية وبه قال ابن عباس وعطاء والضحاك وقتادة وابن زيد.

وثانيهما: أنه عنى بالعضة في هذا الموضع نسبتهم إياه أنه سحر خاصة دون غيره من معاني الذم وبه قال عكرمة وقتادة في الرواية الثانية ومجاهد.

حكاهما ابن جرير واختار أولهما وهو عندي متعين لأمرين:

أولهما: ظاهر الآية فإنه نص في القرآن كما ترى.

وثانيهما: أنه قول أكثر المفسرين.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [﴿المقتسمين﴾ الذين حلفوا ومنه ﴿لا أقسم﴾ أي أقسم وتقرأ ﴿لأقسم﴾، ﴿قاسمهما﴾ حلف لهما ولم يحلفا له].

ش: قوله «**الذين حلفوا**» جعله من الحلف وهوالذي إختاره ابن جرير وقد قدمناه في شرح الآية أنه من القسمة بمعنى التفرق.

قوله «**ومنه لا أقسم أي أقسم وتقرأ لأقسم**» قلت الثانية قراءة قنبل

والأولى قراءة بقية السبعة كما حكاه في الكشف ٢/٣٤٩.

قوله «**وقاسمهما**» أشار إلى قوله ﴿**وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين**﴾ من سورة الأعراف وقد أخرج ابن جرير في الآية عن قتادة «فحلف لهما بالله حتى خدعهما»

٢- [**وقال مجاهد: تقاسموا تحالفوا**].

ش: أخرجه ابن جرير من طريق محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد تقاسموا بالله قال تحالفوا على إهلاكه.

والآية المشار إليها هي التاسعةوالأربعون من سورة النمل.

٢٢٥- حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿الذين جعلوا القرءان عضين﴾ قال: (هم أهل الكتاب جزؤوه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه).

٢٢٦- حدثني عبيد الله بن موسى عن الأعمش عن أبي ضبيان[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿كما أنزلنا على المقتسمين﴾ قال: آمنوا ببعض وكفروا ببعض، اليهود والنصارى.

ش: فيهما مسألتان:

الأولى: قوله «**هم أهل الكتاب**» فسره في الرواية الثانية فقال اليهود والنصارى.

الثانية: قوله «**جزؤوه أجزاء**» فسره في الرواية الثانية فقال آمنوا ببعض وكفروا ببعض.

قلت: وبقول ابن عباس هذا قال سعيد بن جبير والحسن وعكرمة ومجاهد أخرجه عنهم ابن جرير.

---

(١) هو حصين بن جندب بن الحارث الجنبي الكوفي ثقة من الثانية مات سنة تسعين وقيل غير ذلك ع.

١٩٦- [باب ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾].

ش: يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ واعبد ربك حتى يأتيك الموت الذي هو موقن به وقيل يقين وهو موقن به كما قيل خمر عتيق وهي معتقة.

فائدة:

قال ابن القيم: «واليقين هنا الموت باتفاق أهل الإسلام فجاءه ﷺ إذ جاءه وإرادته وقصده، ونيته في الذروة العليا، ونهاية كمالها وتمامها».اهـ.

قوله: **[قال سالم اليقين الموت]**.

ش: قلت هو سالم بن رافع الغطفاني المشهور بابن أبي جعد وهذا الخبر وصله الفريابي وعبد بن حميد وغيرهما من طريق طارق بن عبد الرحمن عن سالم بن أبي الجعد بهذا قاله الحافظ.

وأخرجه ابن جرير عن مجاهد وقتادة والحسن وابن زيد ويشهد له من السنة ما رواه مسلم في الإمارة باب فضل الجهاد والرباط، والنسائي في التفسير قوله ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ عن بعجة بن عبد الله بن بدر عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «خير ما عاش الناس له رجل يمسك بعنان فرسه في سبيل الله كلما سمع هيعة أو فزعة، طار على متن فرسه فالتمس الموت في مضانه، أو رجل في شعبة من هذه الشعاب، أو في بطن واد من هذه الأودية في غنيمة له يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، ويعبد الله، حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلا في خير».

آخر تفسير سورة الحجر والحمد لله

سورة النحـل

بسم الله الرحمن الرحيم

١٩٧- [باب تفسير سورة النحل]

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿**وأوحى ربك إلى النحل أن إتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون**﴾.

وهي مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر ورواه ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزّبير.

وتسمى هذه السورة، سورة النعم بسبب ما عدد الله فيها وعدد آياتها ثمان وعشرون ومائة آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [﴿روح القدس﴾ جبريل ﴿نزل به الروح الأمين﴾].

ش: أخرجه ابن جرير من طريق عبد الأعلى بن واصل ثنا جعفر بن عون العمري عن موسى بن عبيدة الربذي عن محمد بن كعب قال: روح القدس جبريل.

قلت: ورواه ابن أبي حاتم في تفسير قوله تعالى من سورة المائدة ﴿**إذ قال ا لله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس . . .الآية**﴾ عن عبدا لله وأظنه ابن مسعود ثم قال: وكذا روي عن محمد بن كعب القرظي وقتادة وعطية العوفي والسدي والربيع بن أنس وإسماعيل بن أبي خالد مثل ذلك .

قلت: ويشهد له قوله تعالى من سورة البقرة ﴿**قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن ا لله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين**﴾.

والآية المشار إليها: ﴿**قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين ءامنوا وهدى وبشرى للمسلمين**﴾.

وقوله ﴿**نزل به الروح الأمين**﴾ هي الآية الثالثة والتسعون بعد المائة من سورة الشعراء وقد ذكرها المصنف ههنا استشهاداً.

٢- [﴿في ضيق﴾ : يقال أمر ضَيْق وضَيِّق مثل هيْن وهَيِّن ولَيْن ولَيِّن وميْت ومَيِّت].

ش: قال أبو عبيدة: «مفتوح الأول وهو تخفيف ضيِّق بمنزلة ميِّت وهيّن وليّن وإذا خففتها قلت ميت وهين ولين وإذا كسرت أول ضِيق فهو مصدر الضيّق».اهـ

والآية المشار إليها: ﴿**واصبر وما صبرك إلا با لله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون**﴾.

٣- [**قال ابن عباس: ﴿تتفيأ ظلاله﴾ تتهيأ**].

ش: **قلت**: كذا في الصحيح والذي أخرجه ابن جرير من طريق المثنى أخبرنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ﴿**يتفيأ ظلاله**﴾ يقول تتميل.

والآية المشار إليها: ﴿**أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون**﴾.

تنبيه:

وقع في رواية المصنف ههنا تتفيأ بالمثناة الفوقية وقراءة الجمهور يتفيأ بالمثناة التحتية وكلتا القراءتين صحيحة مشهورة.

٤- [**﴿سبل ربك ذللا﴾ لا يتوعر عليها مكان سلكته**].

ش:رواه ابن جرير من طريق القاسم ثنا الحسين ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ﴿**فاسلكي سبل ربك ذللا**﴾ قال طرقاً ذللاً قال: لا يتوعر عليها مكان سلكته.

والآية المشار إليها: ﴿**ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لأية لقوم يتفكرون**﴾.

٥- [**وقال ابن عباس ﴿في تقلبهم﴾ اختلافهم**].

ش: أخرجه ابن جرير حدثني المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله بن صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها: ﴿**أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين**﴾.

٦- [**وقال مجاهد:﴿تميد﴾ تكفّأ**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿**أن تميد بكم**﴾ أن تكفأ بكم.

والآية المشار إليها: ﴿**وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون**﴾.

٧- [**﴿مفرطون﴾ منسيّون**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿**وأنهم مفرطون**﴾ قال منسيّون.

والآية المشار إليها: ﴿**ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أنّ لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون**﴾.

٨- [**وقال غيره ﴿فإذا قرأت القرءان فاستعذ با لله﴾ هذا مقدم ومؤخر وذلك أن الاستعاذة قبل القراءة ومعناها الاعتصام با لله**].

ش: يعني غير مجاهد وهو أبو عبيدة فإن هذا التفسير منقول عنه، وقوله « ومعناها الاعتصام با لله » قاله أبو عبيدة كما في الفتح.

والآية المشار إليها: ﴿**فإذا قرأت القرءان فاستعذ با لله من الشيطن الرجيم**﴾.

٩- [**وقال ابن عباس: ﴿تُسيمون﴾ ترعون**].

ش: أخرجه ابن جرير حدثنا ابن وكيع ثنا أبي عن سفيان عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس فذكره. كما أخرجه أيضاً عن عكرمة والضحاك وغيرهما.

والآية المشار إليها: ﴿**هو الذي أنزل من السماء ماءً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون**﴾.

١٠- [**﴿قصد السبيل﴾ البيان**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني المثنى أخبرنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها: ﴿**وعلى ا لله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين**﴾.

١١- [« **الدِّفء** » **ما استدفأت**].

ش: قال أبو عبيدة: أي ما استدفيء به من أوبارها.

والآية المشار إليها: **﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون﴾**.

١٢- [**﴿تريحون﴾ بالعشي**].

١٣- [**﴿تسرحون﴾ بالغداة**].

ش: قاله أبو عبيدة.والآية المشار إليها: **﴿ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾**.

١٤-[**﴿بشق﴾ يعني المشقة**].

ش: قال أبو عبيدة: يكسر أوله ويفتح ومعناه بمشقة الأنفس وقال النمر بن تولب:

وذي إبل يسعى ويحسبها له أخي نصب من شقها ودؤوب

أي مشقتها.اهـ

والآية المشار إليها: **﴿وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم﴾**.

١٥- [**﴿على تخوُّف﴾ تنقص**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد:

قال ألام على الهجاء وكل يوم يلاقيني من الجيران غول
تخوف غدرهم مالي وأهدى سلاسل في الحلوق لها صليل

أي تنقص غدرهم مالي.اهـ

والآية المشار إليها: **﴿أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرءوف رحيم﴾**.

١٦- [**﴿الأنعام لعبرة﴾ وهي تؤنث وتذكر وكذلك الأنعام جماعة النعم**].

ش: قال أبو عبيدة: يذكر ويؤنث وقال آخرون: المعنى على النعم لأن النعم

يذكر ويؤنث قال:

أكل عام نعمٌ تحوونه ... يلقحه قوم وتشجونه

أربابه نوكى ولا يحمونه.اهـ

والآية المشار إليها: **﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين﴾**.

١٧- [﴿أكناناً﴾ واحدها كن مثل حمل وأحمال].

ش: قاله أبو عبيدة بدون قوله مثل حمل وأحمال.

والآية المشار إليها: **﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون.﴾**.

١٨- [**﴿سرابيل﴾ قمص ﴿تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم﴾ فإنها الدروع**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد:وقال كعب بن زهير:

شَمُّ العرانين أبطالٌ لبوسُهم ... من نسجِ داودَ في الهيجاء سرابيل

وتقدم الإشارة إلى الآية في الأثر قبله

١٩- [﴿دخلا بينكم﴾ كل شيء لم يصح فهو دخل].

ش: قاله أبو عبيدة

والآية المشار إليها مذكورة برقم اثنين وتسعين وأربعة وتسعين ولا أدري أيتهما عنى المصنف.

٢٠- **[قال ابن عباس: ﴿حفدة﴾ من ولد الرجل].**

ش: أخرجه ابن جرير ثنا محمد بن المثنى ثنا عبد الصمد ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس **﴿وحفدة﴾** قال: هم الولد وولد الولد.

وهو أحد أقوال أربعة:

ثانيها: أنهم الأختان وهو قول ابن مسعود وأبي الضحى والنخعي وابن عباس في الرواية الثانية عنه.

وثالثها: أنهم أعوان الرجل وخدمه وهو قول ابن عباس في الرواية الثالثة عنه وعكرمة والحسن ومجاهد وقتادة.

ورابعها: أنهم بنو امرأة الرجل من غيره وبه قال ابن عباس في الرواية الرابعة عنه.

ذكر هذه الأقوال ابن جرير واختار أولها.

والآية المشار إليها: **﴿وا لله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات﴾**.

٢١- [**« السكَر » ما حرِّم من ثمرتها والرزق الحسن ما أحل ا لله**]

ش: أخرجه ابن جرير ثني المثنى أخبرنا العباس بن أبي طالب ثنا أبو عوانة عن الأسود عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس فذكره.

وهو قول سعيد بن جبير وابي رزين والشعبي وإبراهيم النخعي والحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وهو **أحد** ثلاثة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: أن السكر بمنزلة الخمر في التحريم وليس بخمر وقالوا هو نقيع التمر والزبيب إذا إشتد وصار يسكر شرابه وبه قال ابن مسعود وأبو عبد الرحمن بن أبي ليلى وابن زيد وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وإبراهيم والضحاك.

وثالثها: أن السكر هو كل ما كان حلالاً شربه، فالنبيذ الحلال والخل والرطب والرزق الحسن: التمر والزبيب وهو قول الشعبي ومجاهد في الرواية الثانية عنهما.واختار ابن جرير هذا القول قال: وذلك أن السكر في كلام العرب على أحد أوجه أربعة أحدها ما أسكر من الشراب، والثاني ما طعم من الطعام والثالث السكون والرابع المصدر.

قال مقيده: وعندي أن معنى الآية امتنان ا لله على عباده بإباحة المسكر من

ثمرات النخل وذلك أول الأمر كما تقدم التفصيل في ذلك.

والآية المشار إليها: **﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخـذون منـه سـكراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لأية لقوم يعقلون﴾**.

٢٢- [**وقال ابن عيينة عن صدقة ﴿أنكاثاً﴾ هي خرقاء كانت إذا أبرمـت غزلها نقضته**].

ش: قوله عن صدقة هو أبو الهذيل والأثر وصله ابن أبي حاتم حكاه الحـافظ وغيره.

والآية المشار إليها: **﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قـوة أنكاثـاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمّة هي أربى من أمّة﴾**.

٢٣- [**وقال ابن مسعود: الأمّة معلّم الخير والقانت المطيع**].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا محمد بن بشار ثنا أبو أحمد ثنا سفيان عـن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبي العبيدين أنه سـأل عبـد ا لله بـن مسـعود عـن الأمة القانت قال: الأمة معلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله.

والآية المشار إليهـا: **﴿إن إبراهيـم كـان أمـة قانتـا لله حنيفـاً ولم يـك مـن المشركين﴾**.

١٩٨- [باب ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾].

ش: قلت: الآية **﴿وا لله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئاً إن ا لله عليم قدير﴾.**

يقول تعالى ذكره: وا لله خلقكم أيها الناس وأوجدكم، ولم تكونوا شيئاً لا الآلهة التي تعبدون من دونه، فاعبدوا الذي خلقكم دون غيره **﴿ثم يتوفاكم﴾** يقول ثم يقبضكم **﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾** يقول: ومنكم من يهرم فيصير إلى أرذل العمر، وهو أردؤه يقال منه: رذل الرجل وفسل، يرذله رذالة ورذولة، ورذلته أنا وقيل: إنه يصير كذلك في خمس وسبعين سنة.

وقوله **﴿لكي لا يعلم بعد علم شيئاً﴾** يقول إنما نرده إلى أرذل العمر ليعود جاهلاً كما كان في حال طفولته وصباه، **﴿بعد علم شيئاً﴾** يقول لئلا يعلم شيئا بعد علم كان يعلمه في شبابه، فذهب ذلك بالكبر ونسي، فلا يعلم منه شيئا، وانسلخ من عقله، فصار من بعد عقل كان له، لا يعقل شيئا **﴿إن ا لله عليم قدير﴾** يقول: إن ا لله لا ينسى، ولا يتغير علمه، عليم بكل ما كان ويكون، قدير على ما شاء لا يجهل شيئا، ولا يعجزه شيء أراده.اهـ من ابن جرير.

٢٢٦- حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا هارون بن موسى أبو عبد ا لله الأعور[1] عن شعيب[2] عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول ا لله ﷺ كان يدعو: « أعوذ بك من البخل والكسل، وأرذل العمر، وعذاب القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات ».

---

(١) هو هارون بن موسى الأزدي العتكي مولاهم النحوي البصري ثقة مقرىء إلا أنه رمي بالقدر من السابعة.خ.م.د.ت.س.

(٢) هو أبو صالح شعيب بن الحبحاب الأزدي مولاهم البصري ثقة من الرابعة مات سن إحدى وثلاثين ومائة أو قبلها.خ.م.د.ت.س.

ش : فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله « **أعوذ بك** » في باب ما يتعوذ من الجبن من كتاب الجهاد برواية معتمر عن أبيه عن أنس « اللهم إني أعوذ بك » والاستعاذة با لله هي الالتجاء إليه والاعتصام به من كل مكروه.

الثانية: قوله « **من البخل** » في الشرع منع الواجب وعند العرب منع السائل مما يفضل عنده.اهـ من المصباح.

الثالثة: قوله « **والكسل** » وهو التثاقل عن الأمر وبابه طرب فهو كسلان.اهـ من الصحاح.

قلت: ومنه قوله تعالى في المنافقين ﴿**وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى**﴾ يعني متثاقلين متبرمين.

الرابعة: قوله «**وأرذل العمر**» رذل الشيء بالضم رذالة ورذولة بمعنى رذؤ فهو رذل والجمع أرذل ثم يجمع على أراذل مثل كلب وأكلب وأكالب والأنثى رذلة والرُّذال بالضم والرذالة بمعناه وهو الذي إنتقى جيده وبقي أرذله.اهـ من المصباح.

الخامسة: قوله «**وعذاب القبر**» **قلت:** هذا نص صريح في ثبوت عذاب القبر ولولا ذلك ما استعاذ منه النبي ﷺ.

قال الطحاوي: وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول ا لله ﷺ وعن الصحابة رضوان ا لله عليهم، والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران.

قال الشارح:فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا تتكلم في كيفيته إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول.

السادسة: قوله «**وفتنة الدجال**» **قلت:** فيه دليل على خروج الدجال

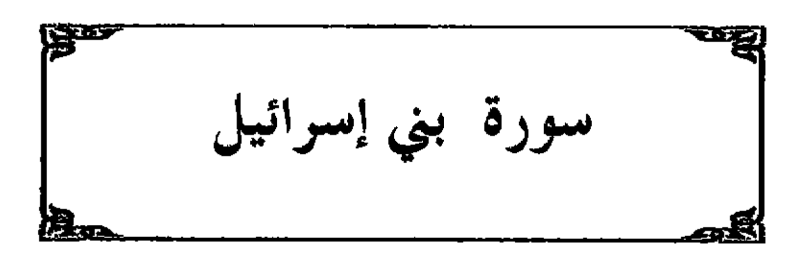
والخبر في ذلك متواتر عن النبي ﷺ ومن أحاديثه ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «يأتي الدجال وهو محرّم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فينتهي إلى بعض السباخ التي بالمدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول أشهد أنك الدجال الذي حدثنا عنك رسول الله ﷺ حديثه، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر؟ فيقولون لا، فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحييه والله ما كنت قط أشد بصيرة مني اليوم فيقول الدجال: أقتله ولا يسلط عليه»

وعن حذيفة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن مع الدجال إذا خرج ماءً وناراً، فأما الذي يرى الناس أنه نار فماء بارد، وأما الذي يرى الناس أنه ماء فنار تحرق، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يرى أنه نار فإنه ماء عذب بارد» متفق عليهما. كما في جامع الأصول [ج١٠].

السابعة: قوله «**وفتنة المحيا والممات**» .

قال ابن بطال: «هذه كلمة جامعة لمعان كثيرة، وينبغي للمرء أن يرغب إلى ربه في رفع ما نزل ودفع ما لم ينزل ويستشعر الإفتقار إلى ربه في جميع ذلك وكان ﷺ يتعوذ من جميع ما ذكر دفعاً عن أمته وتشريعاً لهم ليسنّ لهم صفة المهم من الأدعية».

آخر تفسير سورة النحل والحمد لله.



سورة بني إسرائيل

١٩٩ـ بسم الله الرحمن الرحيم

سورة بني إسرائيل

ش: شاهد التسمية قوله تعالى: ﴿**وءاتينا موسى الكتاب وجعلنه هدىً لبني إسراءيل ألاّ تتخذوا من دوني وكيلاً**﴾ وتسمى الإسراء وشاهد التسمية واضح.

وأخرج أحمد، والترمذي وحسنه، والنسائي، والحاكم، وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر».

وأخرج المصنف عن ابن مسعود أنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم: «إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي»

قال ابن عباس: «نزلت سورة بني إسرائيل بمكة» أخرجه النحاس وابن مردويه.

وعدد آياتها إحدى عشرة ومائة آية.

٢٢٧ـ حدثنا آدم حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد قال سمعت ابن مسعود ﷺ قال في بني إسرائيل والكهف ومريم: «إنهن من العتاق الأول وهنّ من تلادي».

يأتي شرحه في تفسير سورة الأنبياء ضمن الباب الحادي والثلاثين بعد المائتين.

شرح جملة من الآثار والكلمات :

١ـ **[قال ابن عباس: ﴿فسينغضون إليك رؤوسهم﴾ يهزون].**

ش: أخرجه ابن جرير من طريق علي ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها: **﴿فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا﴾.**

٢ـ **[وقال غيره: نَغَضَتْ سِنُّك أي تَحَرَّكَت].**

ش: قال أبو عبيدة: ويقال: قد نغضت سن فلان إذا تحركت وارتفعت من أصلها قال:

ونغضت من هرم أسنانها.اهـ

٣ـ **[﴿وقضينا إلى بني إسراءيل﴾ أخبرناهم أنهم سيفسدون].**

ش: أخرج هذا المعنى ابن جرير موصولا عن ابن عباس ومجاهد.

والآية المشار إليها: **﴿وقضينا إلى بني إسراءيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيراً﴾.**

٤ـ **[والقضاء على وجوه: ﴿وقضى ربك﴾ أمر ربك].**

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي بن داود ثنا عبد الله بن صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس يقول أمر. كما أخرجه عن قتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها: **﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين**

إحساناً﴾.

٥- [**ومنه الحكم ﴿إنّ ربك يقضي بينهم﴾**].

ش: قاله أبو عبيدة كما في الفتح.

والآية هي الثالثة والتسعون من سورة يونس والثامنة والسبعون من سورة النحل والسابعة عشرة من سورة الجاثية.

٦- [**ومنه الخلق ﴿فقضاهن سبع سموات﴾ خلقهن**].

ش: كذا قال الدامغاني في قاموس القرآن [مادة ق ض ي].

والآية المشار إليها هي الثانية عشرة من سورة فصلت وقد ذكرها المصنف ضمن الشواهد على أن القضاء وجوه متعددة.

٧- [**﴿نفيراً﴾ من ينفر معه**].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه من الذين نفروا معه.

والآية المشار إليها: **﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً﴾.**

٨- [**﴿وليُتبِّروا﴾ يُدمِّروا ﴿ما علوا﴾**].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: **﴿فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً﴾.**

٩- [**﴿حصيراً﴾ محبساً محصراً**].

ش: أخرجه ابن جرير عن قتادة .

والآية المشار إليها: **﴿عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾.**

١٠- [**﴿حق﴾ وجب**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: عليها العذاب.

والآية المشار إليها: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً﴾.

١١- [﴿ميسوراً﴾ ليناً].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: هيناً وهو من اليسر.

والآية المشار إليها: ﴿وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً﴾.

١٢- [﴿خِطْئاً﴾ إثماً وهو اسمٌ من خَطِئْتُ والخطأ مفتوح مصدره من الإثم خطئت بمعنى أخطأت].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: كقول أوس بن غلفاء الهجيمي:

دعيني إنما خطئي وصوبي علي وإنما أهلكت مالي

يريد إصابتي)).اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إنَّ قتلهم كان خطئاً كبيراً﴾.

١٣- [﴿لن تخرق﴾ لن تقطع].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ((الأرض وقال رؤبة:

وقاتم الأعماق خاوي المخترق

أي المقطّع)).اهـ

والآية المشار إليها: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً﴾.

١٤- [﴿وإذ هم نجوى﴾ مصدر من ناجيت، فوصفهم بها والمعنى يتناجون].

ش: قال أبو عبيدة: ((وهي مصدر من ناجيت أو اسم منها فوصف القوم بها والعرب تفعل ذلك كقولهم: إنما هم عذاب وأنتم غم فجاءت في موضع

متناجين)). اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿**نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً**﴾.

١٥- [**﴿رفاتاً﴾ حطاماً**].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها هي التاسعة والأربعون والثامنة والتسعون.

١٦- [**﴿واستفزز﴾ استخف**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ((واستجهل)). اهـ.

١٧- [**﴿بخيلك﴾ الفرسان**].

ش: قال ابن جرير: يقول واجمع عليهم من ركبان جندك.

١٨- [**((والرجل)) الرجّالة واحدها راجل مثل صاحب وصحب وتاجر وتَجْرٍ**].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها بالثلاث الكلمات: ﴿**واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورَجِلِك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً**﴾.

١٩- [**﴿حاصباً﴾ الريح العاصف، والحاصب أيضاً ما ترمي به الريح ومنه حصب جهنم يُرمى به في جهنم وهو حصبها ويقال حصب في الأرض ذهب، والحصب مشتق من الحصباء والحجارة**].

ش: قال الأزهري في تهذيبه: ((قال الليث الحصب: الحطب الذي يلقى في تنور أو في وقوده،.. والحصب رميك بالحصباء والحصباء صغارها وكبارها...وقال الفراء: ذكر أن الحصب في لغة أهل اليمن الحطب)).

قلت: ويقال: ((حصبته أحصبه حصباً إذا رميته بالحصباء والحجر المرمي به

حصب كما يقال نفضت الشيء نفضاً...ويقال للريح التي تحمل التراب والحصى حاصب وللسحاب يرمي بالبرد والثلج حاصب لأنه يرمي بها رمياً». اهـ

والآية المشار إليها: ﴿**أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً**﴾.

٢٠- [﴿**تارة**﴾ **مَرّة وجماعته تِيَرة وتارات**].

ش: قال أبو عبيدة: «مرة أخرى والجميع تارات وتير».

والآية المشار إليها: ﴿**أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً**﴾.

٢١- [﴿**لأحتنكن**﴾ **لأستأصلنهم يقال: إحتنك فلان ما عند فلان من علم إستقصاه**].

ش: قال أبو عبيدة: «مجازه لأستميلنهم ولأستأصلنهم، يقال: أحتنك فلان ما عند فلان أجمع من مال أو علم أو حديث أو غيره أخذه كله واستقصاه، قال:

نشكو إليك سنة قد أجحفت جهداً إلى جهد بنا فأضعفت

واحتنكت أموالنا وجلفت. اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿**قال أرءيتك هذا الذي كرمت عليّ لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً**﴾.

٢٢- [﴿**طائره**﴾ **حظه**].

ش: قاله أبو عبيدة. وقال ابن جرير: مثل لما كانت العرب تتفاءل به أو تتشاءم من سوانح الطير وبوارحها. ثم أخرج هذا المعنى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة.

والآية المشار إليها: ﴿**وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه**﴾.

٢٣- [**وقال ابن عباس: كل سلطان في القرآن فهو حجة**].

ش: وصله ابن عيينة في تفسيره عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن

عباس. حكاه في الفتح.

والكلمة جاءت في هذه السورة مرتين أولاهما في الآية الثالثة والثلاثين وثانيتهما في الآية الثمانين.

٢٤- [**﴿ولي من الذل﴾ لم يحالف أحداً**].

ش: أخرجه ابن جرير حدثنا محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وزاد «ولا يبتغي نصر أحد».

والآية المشار إليها: **﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً﴾**.

٢٠٠- [باب قوله ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام﴾].

ش: تمامها: **﴿إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من ءايتنا إنه هو السميع البصير﴾.**

يعني تعالى ذكره بقوله تعالى **﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾** تنزيها للذي أسرى بعبده وتبرءة له مما يقول فيه المشركون من أن له من خلقه شريكا وأن له صاحبة وولداً وعلواً له وتعظيماً عما أضافوه إليه، ونسبوه من جهالاتهم وخطأ أقوالهم.

ويعني بقوله **﴿ليلاً﴾** من الليل.

وأما قوله **﴿من المسجد الحرام﴾** فإنه إختلف فيه وفي معناه فقال بعضهم يعني من الحرم وقال: الحرم كله مسجد.

وقوله **﴿إلى المسجد الأقصى﴾** يعني مسجد بيت المقدس وقيل له الأقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار ويبتغى في زيارته الفضل بعد المسجد الحرام.

وقوله **﴿الذي باركنا حوله﴾** يقول تعالى ذكره: الذي جعلنا حوله البركة لساكنه في معايشهم وأقواتهم وحروثهم وغروسهم.

وقوله **﴿لنريه من ءايتنا﴾** يقول تعالى ذكره: كي نري عبدنا محمداً من آياتنا يقول:من عبرنا وأدلتنا وحججنا.

وقوله **﴿إنه هو السميع البصير﴾** يقول تعالى ذكره: إن الذي أسرى بعبده هو السميع لما يقول هؤلاء المشركون من أهل مكة في مسرى محمد ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، ولغير ذلك من قولهم وقول غيرهم، البصير بما يعملون من الأعمال، لا يخفى عليه شيء من ذلك ولا يعزب عنه علم شيء منه، بل هو محيط بجميعه علماً، ومحصيه عدداً وهو لهم بالمرصاد، ليجزي جميعهم بما هم أهله.اهـ من ابن جرير.

٢٢٨ـ حدثنا عبدان حدثنا عبد الله أخبرنا يونس.ح.وحدثنا أحمد بن صالح حدثنا عنبسة حدثنا يونس عن ابن شهاب قال ابن المسيب قال أبو هريرة: أتي رسول الله ﷺ ليلة أسري به بإيلياء بقدحين من خمر ولبن، فنظر إليهما، فأخذ اللبن.قال جبريل: الحمد لله الذي هداك للفطرة، لو أخذت الخمر غوت أمتك.

٢٢٩ـ حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب قال: أخبرني يونس عن ابن شهاب قال أبو سلمة: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: لما كذبني قريش قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه.

زاد يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن أخي ابن شهاب(1) عن عمه: لما كذبني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس.نحوه.

ش: فيهما سبع مسائل:

الأولى: قوله «**أتي رسول الله ﷺ ليلة أسري به بإيلياء**» **قلت:**إيلياء بكسر أوله واللام وياء وألف ممدودة اسم مدينة ببيت المقدس قيل معناه بيت الله.

قلت: وبيت المقدس اليوم بدولة فلسطين من أرض الشام وتقع تحت اليهود نسأل الله لها الخلاص. وظاهر الحديث أن ما أتى به النبي ﷺ المفسر فيما بعد كان ببيت المقدس وفي حديث مالك بن صعصعة عند المصنف في الإسراء بعد مروره بالسموات السبع ووصوله سدرة المنتهى «ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل» نصٌّ بأن إتيانه بهذه الأشربة كان في السماء ويجمع بين الروايتين بأن العرض كان مرتين إحداهما في بيت المقدس والأخرى في السماء وسبب ذلك ما ناله من العطش في هذه السفرة، ويؤيد هذا الجمع ما وقع عند

---

(1) محمد بن عبد الله بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري المدني، صدوق له أوهام، من السابعة، مات سنة اثنتين وخمسين [ومائة] وقيل بعدها.(ع)

مسلم في الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس عن ثابت عن أنس قال: «ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاء جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن».

الثانية: قوله «**بقدحين من خمر ولبن**» في حديث مالك المشار إليه زيادة العسل وعند ابن إسحاق من حديث أبي سعيد الخدري زيادة «وإناء فيه ماء» ويجمع بين هذا الاختلاف بأن الأشربة كانت أربعة وأن كل راوي ذكر ما لم يذكره غيره.

الثالثة: قوله «**الحمد لله الذي هداك للفطرة**» في حديث مالك «هي الفطرة التي أنت عليها» وهذا دليل على فرح الروح الأمين بما وفق إليه سيد المرسلين من إصابة الفطرة السليمة والملة القويمة.

قال القرطبي: «يحتمل أن يكون سبب تسمية اللبن فطرة لأنه أول شيء يدخل بطن المولود ويشق أمعاءه، والسر في ميل النبي ﷺ إليه دون غيره لكونه كان مألوفاً له، ولأنه لا ينشأ عن جنسه مفسدة».

الرابعة: قوله «**لو أخذت الخمر غوت أمتك**» وعند البيهقي عن أنس قال: «ولو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك، ولو شربت الخمر لغويت وغوت أمتك».

الخامسة: قوله «**لما كذبني**» في بعض الألفاظ «كذبتني» بزيادة مثناة وكلاهما جائز وقد وقع بيان ذلك في طرق أخرى فروى البيهقي في «الدلائل» من طريق صالح بن كيسان عن الزهري عن أبي سلمة قال «افتتن ناس كثير ـ يعني عقب الإسراء ـ فجاء ناس إلى أبي بكر فذكروا له فقال: أشهد أنه صادق، فقالوا: وتصدقه بأنه أتى الشام في ليلة واحدة ثم رجع إلى مكة؟ قال نعم، إني أصدقه بأبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء قال فسمي بذلك الصديق» قال سمعت جابراً يقول فذكر الحديث، وفي حديث ابن عباس عند أحمد والبزار

بإسناد حسن قال: «قال رسول ا لله ﷺ: لما كان ليلة أسري بي وأصبحت بمكة مر بي عدو ا لله أبو جهل فقال: هل كان من شيء؟ قال رسول ا لله ﷺ: إني أسري بي الليلة إلى بيت المقدس، قال: ثم أصبحت بين أظهرنا؟ قال: نعم، قال فإن دعوت قومك أتحدثهم بذلك؟ قال: نعم قال: يا معشر بني كعب بن لؤي.قال فانفضت إليه المجالس حتى جاءوا إليهما فقال: حدث قومك بما حدثتني فحدثتهم، قال فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً، قالوا: وتستطيع أن تنعت لنا المسجد» الحديث.

السادسة: قوله «**فجلّى ا لله لي بيت المقدس**» قيل معناه كشف الحجب بيني وبينه حتى رأيته، وعن أم سلمة عند مسلم «قال فسألوني عن أشياء لم أثبتها، فكربت كربا لم أكرب مثله قط، فرفع ا لله لي بيت المقدس أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا نبأتهم به».

السابعة: قوله «**فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه**» يعني شرعت في ذكر أوصاف بيت المقدس.

قلت: وهذا من تأييد ا لله نبيه وإظهار صدقه.

فائدة:

قال سماحة الوالد الشيخ عبدالعزيز بن عبدا لله بن باز مفتي المملكة العربية السعودية بارك ا لله في عمره وعلمه وأمتع به وأعظم له الأجر والمثوبة:

«فلا ريب أن الإسراء والمعراج من آيات ا لله العظيمة الدالة على صدق رسوله محمد ﷺ وعلى عظم منزلته عند ا لله عزوجل ، كما أنهما من الدلائل على قدرة ا لله الباهرة، وعلى علوه سبحانه على جميع خلقه، قال ا لله تعالى ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير**﴾ وتواتر عن رسول ا لله ﷺ أنه عرج به إلى السماوات وفتحت له أبوابها حتى جاوز السماء السابعة فكلمه

ربه سبحانه بما أراد وفرض عليه الصلوات الخمس، وكان الله سبحانه فرضها أولاً خمسين صلاة فلم يزل نبينا محمد ﷺ يراجعه ويسأله التخفيف حتى جعلها خمساً فهي خمس في الفرض وخمسون في الأجر، لأن الحسنة بعشر أمثالها، فلله الحمد والشكر على جميع نعمه.

وهذه الليلة التي حصل فيها الإسراء والمعراج لم يأت في الأحاديث الصحيحة تعيينها، وكل ما ورد في تعيينها فهو غير ثابت عن النبي ﷺ عند أهل العلم بالحديث ولله الحكمة البالغة في إنساء الناس لها، ولو ثبت تعيينها لم يجز للمسلمين أن يخصوها بشيء من العبادات فلم يجز لهم أن يحتفلوا بها؛ لأن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم لم يحتفلوا بها ولم يخصوها بشيء، ولو كان الاحتفال بها أمراً مشروعاً لبينه الرسول ﷺ للأمة إما بالقول أو الفعل، ولو وقع شيء من ذلك لعرف واشتهر ولنقله الصحابة رضي الله عنهم إلينا فقد نقلوا عن نبيهم ﷺ كل شيء تحتاجه الأمة ولم يفرطوا في شيء من الدين؛ بل هم السابقون إلى كل خير فلو كان الاحتفال بهذه الليلة مشروعاً لكانوا أسبق الناس إليه، والنبي ﷺ هو أنصح الناس للناس وقد بلغ الرسالة غاية البلاغ، وأدى الأمانة، فلو كان تعظيم هذه الليلة والاحتفال بها من دين الإسلام لم يغفله النبي ﷺ ولم يكتمه، فلما لم يقع شيء من ذلك علم أن الاحتفال بها وتعظيمها ليس من الإسلام في شيء، وقد أكمل الله لهذه الأمة دينها وأتم عليها النعمة وأنكر على من شرع في الدين ما لم يأذن به الله، قال سبحانه وتعالى في كتابه المبين من سورة المائدة: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾ وقال عزوجل في سورة الشورى ﴿**أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم**﴾ وثبت عن رسول الله ﷺ في الأحاديث الصحيحة التحذير من البدع والتصريح بأنها ضلالة تنبيهاً للأمة على عظم خطرها وتنفيراً لهم من اقترافها، ومن ذلك ما ثبت في

الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) وفي رواية لمسلم: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يقول في خطبته يوم الجمعة (أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة) وفي السنن عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، فقال: (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بهاوعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) والأحاديث في هذا المعنى كثيرة». انتهى محل الغرض من (فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء) (٣/٤٥) .

قال مقيده: عرفت فالزم وسمعت فافهم ولا يستهوينك ما عليه أكثر الناس فإنه من زخرف القول واعلم بأن الأصل في العبادات الحظر إلا بنص .

- [**﴿قاصفا﴾ ريح تقصف كل شيء**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: أي تحطم يقال: بعث الله عليهم ريحاً عاصفاً قاصفاً لم تبق لهم ثاغية ولا راغية

وتقدم الإشارة إلى الآية ضمن الأثر الحادي والعشرين في الباب قبله.

٢٠١- [باب ﴿ولقد كرمنا بني ءادم﴾].

ش: تمامها ﴿**وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**﴾.

«يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات، وأكملها، كما قال: ﴿**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**﴾ أي يمشي قائماً منتصباً على رجليه، ويأكل بيديه، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع، ويأكل بفمه، وجعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً، يفقه بذلك كله وينتفع به، ويفرق بين الأشياء ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدنيوية والدينية.

﴿**وحملناهم في البر**﴾ أي على الدواب من الأنعام والخيل والبغال «وفي البحر» أيضاً على السفن الكبار والصغار.

﴿**ورزقناهم من الطيبات**﴾ أي من زروع وثمار، ولحوم وألبان، من سائر أنواع الطعوم والألوان، المشتهاة اللذيذة، والمناظر الحسنة، والملابس الرفيعة من سائر الأنواع، على أصنافها وألوانها وأشكالها مما يصنعونه لأنفسهم، ويجلبه إليهم غيرهم من أقطار الأقاليم والنواحي.

﴿**وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً**﴾ أي من سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات». اهـ من ابن كثير.

شرح جملة من الكلمات والآثار:

١- [﴿كرّمنا﴾: وأكرمنا واحد].

ش: قال أبو عبيدة: أي أكرمنا إلا أنها أشد مبالغة في الكرامة

٢- [﴿ضعف الحياة﴾ عذاب الحياة ﴿وضعف الممات﴾ عذاب الممات].

ش: قال أبو عبيدة: مختصر كقولك ضعف عذاب الحياة وعذاب الممات فهما عذابان، عذاب الممات به ضوعف عذاب الحياة.

والآية المشار إليها: ﴿**إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد**

لك علينا نصيراً﴾.

٣- [**﴿خلافك﴾ وخلفك سواء**].

ش: قال أبو عبيدة: أي بعدك قال:

عفت الديار خلافها فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيرا

أي بعدهن ويقرؤه آخرون خلفك والمعنى واحد».اهـ

قلت: وكلتا القراءتين سبعية صحيحة حكاهما مكي.

٤- [**﴿ونأى﴾ تباعد**].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: **﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه﴾.**

٥- [**﴿شاكلته﴾ ناحيته وهي من شكلته**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وخليقته ومنها قولهم هذا من شكل هذا وبه قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وهو أحد قولين حكاهما ابن جرير في الآية

وثانيهما بمعنى الدين وهو قول ابن زيد، والأول هو ما اختاره ابن جرير في تفسير الآية.

والآية المشار إليها: **﴿قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً﴾.**

٦- [**﴿صرّفنا﴾ وجّهنا**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وبينّا.

وهذه الكلمة وقعت في الآية الحادية والأربعين والتاسعة والثمانين من السورة.

٧- [**﴿قبيلاً﴾ معاينة ومقابلة، وقيل القابلة لأنها مقابلتها وتقبل ولدها**].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه مقابلة أي معاينة قال:

نصالحكم حتى تبوؤوا بمثلها كصرخة حبلى بشرتها قبيلها

أي قابلتها.اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾**.

٨- [**﴿خشية الإنفاق﴾ أنفَق الرجل أملَق، ونفِق الشيءُ ذهبَ**].

ش: قال أبو عبيدة: من ذهاب ما في أيديكم يقال أملق فلان أي ذهب ماله واحتاج وأفقر مثلها.

والآية المشار إليها: **﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق﴾**.

٩- [**﴿قتوراً﴾ مُقَتِّراً**].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: **﴿وكان الإنسان قتوراً﴾**.

١٠- [**﴿للأذقان﴾ مجتمع اللحيين والواحد ذقن**].

ش: قاله أبو عبيدة.

وقد ذكرت الكلمة في السورة مرتين في الآية السابعة والتاسعة بعد المائة.

١١- [**وقال مجاهد ﴿موفوراً﴾ وافر**].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا القاسم ثنا الحسين ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها: **﴿قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفوراً﴾**.

١٢- [**﴿تبيعاً﴾ ثائراً**].

ش: أخرجه ابن جرير بالإسناد السابق عن مجاهد.

والآية المشار إليها: **﴿أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم**

قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً﴾.

١٣- [**وقال ابن عباس نصيراً**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

١٤- [**﴿خبت﴾ طَفِئت**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس والضحاك **﴿خبت﴾** سكنت وبه قال أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: **﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً﴾.**

١٥- [**وقال ابن عباس ﴿لا تبذر﴾ لا تنفق في الباطل**].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا القاسم ثنا الحسين ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس فذكره وزاد المبذر هو المسرف في غير حق.

وأخرج نحوه عن ابن مسعود ومجاهد وقتادة.

والآية المشار إليها: **﴿وءات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً﴾.**

١٦- [**﴿ابتغاء رحمة﴾ رزق**].

ش: أخرجه ابن جرير بالإسناد السابق عن ابن عباس.وأخرج نحوه عن إبراهيم النخعي وعكرمة ومجاهد وعبيدة السلماني وسعيد بن المسيب وغيرهم.

والآية المشار إليها:**﴿وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً﴾.**

١٧- [**﴿مثبوراً﴾ ملعوناً**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا عبد الله ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره وهو أحد أقوال خمسة في الآية.

وثانيها: أي مغلوباً وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية والضحاك.

وثالثها: أي هالكاً وبه قال مجاهد وقتادة.

ورابعها: بمعنى مبدلاً مغيراً وبه قال عطية.

وخامسها: مخبولاً لا عقل له وبه قال ابن زيد.

حكاها ابن جرير ويظهر من صنيعه في شرح الآية أنه اختار قول ابن عباس.

والآية المشار إليها: **﴿قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً﴾**.

١٨- [**﴿لا تقْفُ﴾ لا تقل**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي بن داود ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.وهو أحد أقوال ثلاثة في الآية.

وثانيها: بمعنى لا ترم وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية ومجاهد.

وثالثها: بمعنى لا تتبع ما لا تعلم.وبه قال بعض أهل العربية من أهل الكوفة.

أخرجها ابن جرير واختار أولها.

والآية المشار إليها: **﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾**.

١٩- [**﴿فجاسوا﴾ تيمموا**].

ش: قال ابن جرير في الآية وقوله **﴿فجاسوا خلال الديار﴾** يقول فترددوا بين الدور والمساكن وذهبوا وجاؤوا ثم أخرج عن ابن عباس **﴿فجاسوا خلال الديار﴾** قال مشوا.

وقال ابن كثير: « أي تملكوا بلادكم وسلكوا خلال بيوتكم أي بينها ووسطها».اهـ وظاهر الآية يرشد إلى هذين المعنيين وا لله أعلم.

والآية المشار إليها: ﴿فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً﴾.

٢٠- [﴿يزجي الفلك﴾ يجري الفلك].

ش: أخرجه ابن جرير حدثني علي بن داود ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.وأخرجه أيضاً عن ابن زيد وأخرج عن قتادة قال يسيّرها في البحر.

والآية المشار إليها: ﴿ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنّه كان بكم رحيماً﴾.

٢١- [﴿يخرون للأذقان﴾ للوجوه].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا علي ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.وبه قال قتادة وهو أحد قولين للمفسرين في الآية

وثانيهما: أنه عنى بذلك اللحى وبه قال الحسن.

أخرجهما ابن جرير واختار ثانيهما.

والآية المشار إليها: ﴿قل ءامنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً﴾.

٢٠٢ـ [باب قوله ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها﴾].

ش: تمامها **﴿ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً﴾**.

اختلفت القراء في قراءة قوله **﴿أمرنا مترفيها﴾** فقرأت ذلك عامة قراء الحجاز والعراق **﴿أمرنا﴾** بقصر الألف وغير مدها وتخفيف الميم وفتحها...وقرأ ذلك أبو عثمان النهدي **﴿أمّرنا﴾** بتشديد الميم من الإمارة...وذكر عن الحسن البصري أنه قرأ **﴿آمرنا﴾** بمد الألف من أمرنا بمعنى أكثرنا فسقتها...وأولى القراءات في ذلك قراءة من قرأ **﴿أمرنا مترفيها﴾** بقصر الألف من أمرنا وتخفيف الميم منها لإجماع الحجة من القراء على تصويبها دون غيرها.وإذا كان ذلك هو الأولى بالصواب بالقراءة فأولى التأويلات به تأويل من تأوله: أمرنا أهلها بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها فحق عليها القول لأنّ الأغلب من معنى أمرنا الأمر الذي هو خلاف النهي دون غيره.

قلت: والذي رجحه ابن القيم وهو عندي سديد، أن الأمر في الآية أمر تقديري كوني لا أمر ديني شرعي، فإن الله لا يأمر بالفحشاء.والمعنى قضينا ذلك وقدرناه.

وقالت طائفة: بل هو أمر ديني، والمعنى: أمرناهم بالطاعة فخالفونا وفسقوا والقول الأول أرجح لوجوه:

أحدها: أن الإضمار على خلاف الأصل فلا يصار إليه إلا إذا لم يمكن تصحيح الكلام بدونه.

الثاني: أن ذلك يستلزم إضمارين:

أحدهما: أمرنا بطاعتنا.

الثاني: فخالفونا أو عصونا، ونحو ذلك.

الثالث: أن ما بعد الفاء في مثل هذا التركيب هو المأمور به نفسه كقولك أمرته ففعل وأمرته فقام وأمرته فركب لا يفهم المخاطب غير هذا.

الرابع: أنه سبحانه جعل سبب هلاك هذه القرية أمره المذكور. ومن المعلوم أن أمره بالطاعة والتوحيد لا يصلح أن يكون سبب الهلاك بل هو سبب للنجاة والفوز فإن قيل: أمره بالطاعة مع الفسق هو سبب الهلاك.

قيل: هذا يبطل بالوجه:

الخامس: وهو أن هذا الأمر لا يختص بالمترفين بل هو سبحانه يأمر بطاعته واتباع رسله المترفين وغيرهم فلا يصح تخصيص الأمر بالطاعة بالمترفين يوضحه.

الوجه السادس: أن الأمر لو كان بالطاعة لكان هو نفس إرسال رسله إليهم ومعلوم أنه لا يحسن أن يقال: أرسلنا رسلنا إلى مترفيها ففسقوا فيها، فإن الإرسال لو كان إلى المترفين لقال من عداهم نحن لم يرسل إلينا.

الوجه السابع: أن إرادة الله سبحانه لإهلاك القرية إنما يكون بعد إرسال الرسل إليهم وتكذيبهم، وإلا فقبل ذلك هو لا يريد إهلاكهم لأنهم معذورون بغفلتهم وعدم بلوغ الرسالة إليهم، قال تعالى ﴿**ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون**﴾ . فإذا أرسل الرسل فكذبوهم أراد إهلاكها فأمر رؤساءها ومترفيها أمراً كونياً قدرياً لا شرعياً دينياً بالفسق في القرية، فاجتمع أهلها على تكذيبهم وفسق رؤسائهم فحينئذ جاءها أمر الله وحق عليها قوله بالإهلاك.اهـ من بدائع التفسير.

ومعنى قوله ﴿**ففسقوا فيها**﴾ فخالفوا أمر الله فيها وخرجوا عن طاعته ﴿**فحق عليها القول**﴾ يقول فوجب عليهم بمعصيتهم الله وفسوقهم فيها وعيد الله الذي أوعد من كفر به، وخالف رسله من الهلاك بعد الإعذار والإنذار بالرسل والحجج.

﴿**فدمرناها تدميراً**﴾ يقول فخربنا عند ذلك تخريباً وأهلكنا من كان فيها من أهلها إهلاكاً كما قال الفرزدق:

وكان لهم كبكر ثمود لّما رغا ظهراً فدمرهم دماراً»

انتهى من كلام ابن جرير بتصرف.

٢٣٠ـ حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان أخبرنا منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال: «كنا نقول للحي إذا كثروا في الجاهلية أَمِر أَمْرُ بنو فلان».

حدثنا الحميدي حدثنا سفيان وقال: أَمَرَ.

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «**إمر بنو فلان**» بكسر الهمزة وكسر الميم.

قال في المصباح: «وأمر الشيء يأمر من باب تعب كثر».

قلت: ومنه قول أبي سفيان في قصة هرقل المشهورة «لقد أمر أمر ابن أبي كبشة» يعني به النبي ﷺ أي شاع أمره وانتشر وعظم.

الثانية: قوله «**أَمَر**» بفتح الهمزة والميم هي قراءة ابن عباس وابن جبير وعامة قراء الحجاز والعراق. حكاها ابن جرير.

قلت: وقرأ يعقوب بمد الهمزة . حكاه ابن الجزري في النشر .

٢٠٣- [باب ﴿ذرية من حملنا مع نوح إنّه كان عبداً شكوراً﴾].

ش: في الكلام محذوف تقديره يا ذرية من حملنا مع نوح، فيه تهييج وتنبيه على المنّة أي يا سلالة من نجينا فحملنا مع نوح في السفينة تشبهوا بأبيكم ﴿إنه كان عبداً شكوراً﴾.فاذكروا أنتم نعمتي عليكم بإرسالي إليكم محمد ﷺ.اهـ من ابن كثير.

٢٣١- حدثنا محمد بن مقاتل أخبرنا عبد الله أخبرنا أبو حيان التيمي عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة ﷺ قال:« أُتي رسول الله ﷺ بلحم، فرُفع إليه الذّراع - وكانت تعجبه - فنهس منها نهسة ثم قال: أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون ممَّ ذلك؟ يجمع الله الناس - الأولين والآخرين - في صعيد واحد، يُسمعهم الداعي، ويَنفذهم البصر، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون.فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا فيقول آدم: إنّ ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري،اذهبوا إلى نوح.فيأتون نوحاً فيقولون: .يا نوح، إنّك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سمّاك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي ﷻ قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله.وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم.فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي قد

غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات ـ فذكرهن أبو حيان في الحديث ـ نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى.فيأتون موسى فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفساً لم أُومر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى.فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبياً، اشفع لنا، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله قط، ولن يغضب بعده مثله ـ ولم يذكر ذنباً ـ نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ.فيأتون محمداً ﷺ فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأَنطلقُ، فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ﷻ، ثم يفتح الله عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي.ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع.فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقال: يا محمد، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب.ثم قال: والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحِمْير، أو كما بين مكة وبُصرَى.)).

ش: فيه ست عشرة مسألة:

الأولى: قوله ((**أُتي رسول الله ﷺ بلحم**)) في رواية محمد بن عبيد في الأنبياء باب قوله تعالى ﴿**ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه**﴾ ((كنا مع النبي ﷺ في

دعوة)).

الثانية: قوله ((**فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه**)) فيه دليل على التخيير في الأطعمة وتفضيل بعضها على بعض واستحسان ذلك من قبل الشخص نفسه.

الثالثة: قوله ((**فنهس منها نهسة**)) بنون ومهملة أي أخذ منها بأطراف أسنانه.

الرابعة: قوله ((**أنا سيد الناس يوم القيامة**)) في رواية محمد بن عبيد المشار إليها ((أنا سيد القوم يوم القيامة)).

الخامسة: قوله ((**وهل تدرون ممّ ذاك**)) في الأنبياء ((هل تدرون بم)) والمعنى هل تعلمون ما سبب ذلك.

السادسة: قوله ((**يجمع الناس الأولين والآخرين**)) في حديث أنس في الرقائق، باب صفة الجنة والنار (يجمع الله الناس يوم القيامة) . قال الحافظ: ووقع في رواية معبد بن هلال ((إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض)).

السابعة: قوله ((**في صعيد واحد**)) قلت يعنى في مكان واحد وذلك المكان أرض المحشر.

الثامنة: قوله ((**يسمعهم الداعي وينفذهم البصر**)) في الأنبياء ((فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي)).

قلت: وهذا دليل على إلتفاف بعضهم حول بعض من شدة الهول والكرب والمعنى أنه يحيط بهم لا يخفى عليه منهم شيء لاستواء الأرض وعدم الحجاب.

التاسعة: قوله ((**وتدنو منهم الشمس ـ إلى قوله ـ ولا يحتملون**)) زاد في رواية إسحاق بن راهويه عن جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة ((وتدنو الشمس من رؤوسهم فيشتد عليهم حرها ويشق عليهم دنوها فينطلقون من الضجر والجزع مما هم فيه)).

وقد أخرج مسلم من حديث المقداد ((أن الشمس تدنو حتى تصير من

الناس قدر ميل» وفي حديث سلمان «تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ثم تدنو من جماجم الناس فيعرقون حتى يرشح العرق في الأرض قامة، ثم يرتفع الرجل حتى يقول عق عق» وفي رواية النظر بن أنس «لغمّ ما هم فيه والخلق ملجمون بالعرق، فأما المؤمن فهو عليه كالزكمة، وأما الكافر فيغشاه الموت» انتهى من الفتح بتصرف (١١/٤٣٢).

العاشرة: قوله «**ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم**» في حديث أبي سعيد الخدري المتقدم في تفسير سورة البقرة «لو استشفعنا إلى ربنا».

الحادية عشرة: قوله «**فيأتون آدم**» في رواية شيبان «فينطلقون حتى يأتوا آدم» وعند مسلم في الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة «يا آدم أنت أبو البشر» وفي رواية همام وشيبان «أنت أبو البشر» وفي حديث حذيفة «فيقولون يا أبانا».

الثانية عشرة: قوله «**فيقول آدم إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله**» قلت هذا بعض عذر أبي البشر ﷺ وفيه إثبات صفة الغضب لله سبحانه وتعالى ومعناه معروف ولا تعلم كيفيته ومن آثار ذلك الغضب ما يصيب الناس من الكرب يوم القيامة.

الثالثة عشرة: قوله «**وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي**» **قلت:** وتلك الدعوة هي قوله ﴿**رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً**﴾ وهذا من بيان السنة بالقرآن.

الرابعة عشرة: قوله «**وكلمت الناس في المهد**» بيانه في قوله تعالى ﴿**فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً**﴾.

الخامسة عشرة: قوله «**أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب**

الأيمن - إلى قوله - فيما سوى ذلك من الأبواب» فيه دليل على فضل أمة محمد ﷺ وكثرة من يدخل منهم الجنة.

السادسة عشرة: قوله «**أو كما بين مكة وبصرى**» كذا بالشك فيما وقفت عليه من طرق الحديث فلعل أو بمعنى "بل".

تنبيه:

ما لم نتكلم عليه من هذا الحديث فقد مضى في شرح الحديث الثالث في تفسير سورة البقرة.

٢٠٤- [باب ﴿وءاتينا داود زبوراً﴾].

ش: قلت: الآية ﴿**وربك أعلم بمن في السموات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وءاتينا داود زبوراً**﴾.

قوله ﴿**وربك أعلم بمن في السموات والأرض**﴾ أي بمراتبهم في الطاعة والمعصية ﴿**ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض**﴾ كما قال ﴿**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات**﴾...ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء، وأن أولي العزم منهم أفضلهم وهم الخمسة المذكورون نصاً في آيتين من القرآن في سورة الأحزاب ﴿**وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم**﴾ وفي الشورى ﴿**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**﴾ ولا خلاف أن محمد ﷺ أفضلهم ثم بعده إبراهيم ثم موسى على المشهور.

وقوله ﴿**وءاتينا داود زبوراً**﴾ تنبيه على فضله وشرفه.اهـ من ابن كثير.

٢٣٢- حدثني إسحاق بن نصر حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «خفف على داود القراءة فكان يأمر بدابته لتسرج فكان يقرأ قبل أن يفرغ - يعني القرآن -»

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**خفف على داود القراءة**» بالبناء للمفعول والمُخَفِف هو الله سبحانه وتعالى.

الثانية: قوله «**فكان يقرأ قبل أن يفرغ**» يعني المسرج الذي يضع السرج على الدابة كما صرح به في الأنبياء باب قوله تعالى ﴿**ولقد ءاتينا داود زبورا**﴾ وهذه الخفة في القراءة خصيصة لداود عليه الصلاة والسلام تفضل الله بها عليه في هذا الزمن اليسير.

الثالثة: قوله «**القرآن**» المراد به القراءة كما في بعض روايات الصحيح والمراد بالقرآن مصدر القراءة لا القرآن المعهود لهذه الأمة.

٢٠٥- [باب ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً﴾].

ش: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ قل يا محمد لمشركي قومك الذين يعبدون من دون الله من خلقه، أدعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم أرباب وآلهة من دونه عند ضر ينزل بكم فانظروا هل يقدرون على دفع ذلك عنكم أو تحويله عنكم إلى غيركم، فتدعوهم آلهة، فإنهم لا يقدرون على ذلك ولا يملكونه، وإنما يملكه ويقدر عليه خالقكم وخالقهم.اهـ من ابن جرير.

٢٣٣- حدثني عمرو بن علي حدثنا يحيى حدثنا سفيان حدثني سليمان عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبد الله ﴿إلى ربهم الوسيلة﴾ قال: « كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن، فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم ».

زاد الأشجعي عن سفيان عن الأعمش ﴿قل ادعوا الذين زعمتم﴾.

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «**كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن**» **قلت:** وعند النسائي في تفسير الآية «كان نفر من الإنس يعبدون الجن».

الثانية: قوله «**فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم**» عند النسائي «فأسلم الجن وثبت الإنس على عبادتهم، فأنزل الله ﷻ ﴿**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة**﴾» وعند ابن جرير من طريق عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن مسعود نحو حديث الباب وفيه «والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم» وأخرج أيضاً: ثني الحسين بن علي الصدائي، ثنا يحيى بن السكن: أخبرنا أبو العوام، أخبرنا قتادة عن عبد الله بن معبد الزماني عن عبد الله بن مسعود قال: «كان قبائل من العرب يعبدون صنفاً من الملائكة يقال لهم الجن، ويقولون هم بنات الله فأنزل الله ﷻ ﴿**أولئك الذين يدعون**﴾ معشر العرب ﴿**يبتغون إلى ربهم الوسيلة**﴾».لكن قال الحافظ فيه: إن ثبت فهو محمول على

أنها نزلت في الفريقين.

من فقه الحديث.

أولاً: تسمية الجن بأناس كالبشر.

ثانيا: فيه دليل على أن الجن عقلاء مكلفون وأن رسالة محمد ﷺ قد شملتهم كما شملت الإنس.

ثالثاً: لا تثريب على من عُبد من دون الله وهو غير راض بذلك.

رابعاً: فيه دليل على أن مطيع الجن موعود بالثواب.

٢٠٦- [باب ﴿**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة**﴾].

ش: تمامها ﴿**أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً**﴾.

يقول تعالى: هؤلاء الذين تدعونهم من دوني هم عبادي يتقربون إلي بطاعتي، ويرجون رحمتي، ويخافون عذابي، فلماذا تدعونهم من دوني؟ فأثنى عليهم بأفضل أحوالهم ومقاماتهم من الحب والخوف والرجاء، فجمع بين المقامات الثلاثة، فإن ابتغاء الوسيلة إليه هو التقرب إليه بحبه وفعل ما يحبه، ثم يقول ﴿**ويرجون رحمته ويخافون عذابه**﴾ فذكر الحب والخوف والرجاء.والمعنى: إن الذين تدعونهم من دون الله من الملائكة والأنبياء والصالحين يتقربون إلى ربهم ويخافونه ويرجونه، فهم عبيده كما أنكم عبيده فلماذا تعبدونهم من دونه وأنتم وهم عبيد له ».انتهى من بدائع التفسير.

وقوله ﴿**إن عذاب ربك كان محذوراً**﴾ تعليل لقوله يخافون عذابه أي إن عذابه سبحانه حقيق بأن يحذره العباد من الملائكة والأنبياء وغيرهم.اهـ من الشوكاني.

٤٢٣٤- حدثنا بشر بن خالد: أخبرنا محمد بن جعفر، عن شعبة عن سليمان عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبد الله ﷺ في هذه الآية ﴿الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ قال: كان ناس من الجن يعبدون، فأسلموا.

مضى في الباب قبله.

٢٠٧- [باب ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾].

ش: قلت الآية: ﴿وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرءيا التي أرينك إلا فتنة للنّاس والشّجرة الملعونة في القرءان ونخوّفهم فما يزيدهم إلاّ طُغْيَناً كبيراً﴾.

قوله **﴿وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس﴾** يقول جل ثناؤه: واذكر يا محمد إذ قلنا لك إن ربك أحاط بالنّاس قدرة فهم في قبضته لا يقدرون على الخروج من مشيئته ونحن مانعوك منهم فلا تتهيب منهم أحداً، وامض لما أمرناك به من تبليغ رسالتنا.

وقوله **﴿وما جعلنا الرءيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾** اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم: هو رؤيا عين وهي ما رأى النبي ﷺ لما أسري به من مكة إلى بيت المقدس، وبه قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وأبو مالك ومسروق وإبراهيم وقتادة وابن جريج وابن زيد والضحاك ومجاهد.

وقال آخرون: هي رؤياه التي رأى أنه يدخل مكة وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية عنه.

وقال آخرون: إنما كان رسول الله ﷺ رأى في منامه قوماً يعلون منبره وبه قال سهل بن سعد.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال عنى به رؤيا رسول الله ﷺ ما رأى من الآيات والعبر في طريقه إلى بيت المقدس.

وأما قوله **﴿والشجرة الملعونة في القرءان﴾** فإن أهل التأويل اختلفوا فيها.

فقال بعضهم: هي شجرة الزقوم وبه قال ابن عباس ومسروق والحسن وأبو مالك وابن المبارك وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد.

وقال آخرون: هي الكشوث[١] وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بها شجرة الزقوم.اهـ من ابن جرير بتصرف.

وقوله ﴿**ونخوفهم**﴾ أي الكفار بالوعيد والعذاب والنّكال ﴿**فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً**﴾ أي تماديا فيما هم فيه من الكفر والضلال وذلك من خذلان الله لهم.اهـ من ابن كثير.

٢٣٥ـ حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ قال: هي رؤيا عين، أُرِيَها رسول الله ﷺ ليلة أسري به.﴿والشجرة الملعونة في القرءان﴾ : شجرة الزقوم.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**هي رؤيا عين**» لم يصرح بالمرئي ههنا ومن بيانه فيما أخرجه المصنف من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة في الإسراء كتاب مناقب الأنصار باب المعراج «أن نبي الله ﷺ حدثه عن ليلة أسري به قال: بينما أنا في الحطيم ـ وربما قال في الحجر ـ مضطجعاً إذ أتاني آت فقد قال وسمعته يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه.فقلت للجارود وهو إلى جنبي: ما يعني به؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته، وسمعته يقول: من قصّه إلى شعرته، فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض».الخ الحديث.وفيه ذكر عروجه إلى السموات ومروره بمن فيها من الأنبياء ومجاوزته سدرة المنتهى وفرض الصلاة عليه.

---

(١) الكشوث والأكشوث والكشوثي كل ذلك نبات مجتث مقطوع الأصل ، وقيل: لا أصل له ، وهو اصفر يتعلق بأطراف الشوك وغيره ويجعل في النبيذ سوادية يقولون كشوثاء .(اللسان . مادة: كشث) .

الثانية: قوله «**أُرِيها رسول الله ﷺ ليلة أسري به**» زاد سعيد بن منصور عن سفيان في آخر الحديث «وليست رؤية منام».وأخرج ابن جرير ثني محمد بن سعد ثني أبي ثني عمي ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله: ﴿**وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس**﴾ قال: «يقال أن رسول الله ﷺ أري أنه دخل مكة هو وأصحابه...الخ».

قلت: هذا قول آخر في الرؤية التي أريها النبي ﷺ ولكن لا تقوم به حجة لأنه مسلسل عن العوفيين.

الثالثة: قوله «**شجرة الزقوم**» هذا هو قول أكثر المفسرين كما قدمنا حكايته أول الباب واختيار ابن جرير له.

٢٠٨- [باب ﴿إنّ قرءان الفجر كان مشهوداً﴾].

ش: قلت: الآية **﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرءان الفجر إن قرءان الفجر كان مشهوداً﴾.**

يقول تعالى لرسوله ﷺ آمراً له بإقامة الصلوات المكتوبات في أوقاتها **﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾** قيل لغروبها.قاله ابن مسعود ومجاهد وابن زيد وقال هشيم عن مغيرة عن الشعبي عن ابن عباس: «دلوكها» زوالها...

وقد ثبتت السنة عن رسول الله ﷺ تواتراً من أفعاله وأقواله، بتفاصيل هذه الأوقات على ما عليه عمل أهل الإسلام اليوم، مما تلقوه خلفاً عن سلف وقرناً بعد قرن.

قوله **﴿إن قرءان الفجر كان مشهوداً﴾** قال الأعمش: عن إبراهيم عن ابن مسعود في هذه الآية قال: تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار.

[قال مجاهد: صلاة الفجر].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثنا ابن حميد ثنا جرير عن منصور عن مجاهد بلفظ في قوله **﴿وقرءان الفجر إن قرءان الفجر كان مشهوداً﴾** قال: صلاة الفجر تجتمع فيها ملائكة الليل وملائكة النهار.

قلت: وهو قول ابن مسعود وابن عباس وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وأبي هريرة وقتادة وأبي عبيدة وإبراهيم النخعي والضحاك وابن زيد.

٢٣٦- حدثني عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة وابن المسيب عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: « فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح» يقول أبو هريرة: إقرؤوا إن شئتم ﴿وقرءان الفجر إن قرءان الفجر كان مشهوداً﴾.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**خمس وعشرون درجة**» في باب فضل صلاة الفجر في الجماعة من كتاب الجماعة والإمامة برواية شعيب «تفضل صلاة الجميع صلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين جزءً» وفيه من رواية أبي صالح «صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه، خمسة وعشرين ضعفاً وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد، لا يخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة» الحديث.

فقوله «**وذلك...الخ**» بيان سبب التفضيل كما ترى؛ ومن فضل صلاة الجماعة ما جاء عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة».

ويجمع بينهما بأن الدرجة أقل من الجزء فتكون الخمس وعشرون جزءً سبعاً وعشرين درجة.

وقيل: بل هي تختلف باختلاف الجماعات وأوصاف الصلاة، فما كثرت فضيلته عظم أجره، وقيل: يحتمل أن يختلف باختلاف الصلوات فما عظم فضله منها عظم أجره، وما نقص عن غيره نقص أجره، ثم قيل بعد ذلك: الزيادة للصبح والعصر. وقيل: للصبح والعشاء، وقيل: يحتمل أن يختلف باختلاف الأماكن كالمسجد مع غيره » انتهى من إحكام الأحكام.

الثانية: قوله «**وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح**» فيه تفضيل صلاة الصبح وهذا يقتضي الأمر بها وزيادة الحث عليها ومما جاء في ذلك ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر» الحديث.

الثالثة: قوله «**إقرؤوا إن شئتم...الخ**» هذا من مقول أبي هريرة ﷺ استفاده مما قبله وهو تفسير منه بأنّ المراد بقرآن الفجر صلاة الصبح وقد قدمنا من قال به غيره في الكلام على قول مجاهد.

٢٠٩- [باب ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾].

ش: **قلت**: الآية **﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾**.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ومن الليل فاسهر بعد نومة يا محمد بالقرآن، نافلة لك خالصة دون أمتك، والتهجد: التيقظ والسهر بعد نومة من الليل، وأما الهجود نفسه، فالنوم. كما قال الشاعر:

ألا طرقتنا والرفاق هجود   فباتت بعلّات النّوال تجود

وقوله **﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾** وعسى من الله واجبة. وإنما وجه قول أهل العلم: عسى من الله واجبة، لعلم المؤمنين أن الله لا يدع أن يفعل بعباده ما أطمعهم فيه من الجزاء على أعمالهم والعوض على طاعتهم إياه وليس من صفته الغرور.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى ذلك المقام المحمود على قولين.

أولهما: أنّه ذلك المقام الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه. وبه قال حذيفة وابن عباس، والحسن ومجاهد وسلمان الفارسي وقتادة.

وثانيهما: هو أن يقاعده معه على عرشه وبه قال مجاهد في الرواية الثانية عنه. أخرج هذين القولين ابن جرير واختار أولهما ويشهد له حديث ابن عمر الآتي.

٢٣٧- حدثني إسماعيل بن أبان[1] حدثنا أبو الأحوص[2]، عن آدم بن

---

(١) هو أبو إسحاق إسماعيل بن أبان الوراق الأزدي، كوفي ثقة تكلم فيه للتشيع مات سنة ست عشرة [ومائتين] من التاسعة. خ. صد. ت.

(٢) هو سلام بن سليم الحنفي مولاهم الكوفي، ثقة متقن صاحب حديث، من السابعة مات سنة تسع وسبعين [ومائة]. ع.

علي[1] قال سمعت ابن عمر رضي ا لله عنهما يقول: « إنّ النّاس يصيرون يوم القيامة جثاً، كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه ا لله المقام المحمود.».

٢٣٨ـ حدثنا علي بن عياش[2]حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد ا لله رضي ا لله عنهما أن رسول ا لله ﷺ قال: « من قال حين يسمع النّداء: اللهم رب هذه الدّعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة».

رواه حمزة بن عبد ا لله عن أبيه عن النبي ﷺ.

ش: فيهما ثنتى عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**إن النّاس يصيرون يوم القيامة جثاً**» **قلت:** جثاً بضم أوله والتنوين جمع جثوة كخطوة وخطاً، بمعنى جماعات، وحكى ابن الأثير أنه روي «جثي » بكسر المثلثة وتشديد التحتانية جمع جاث وهو الذي يجلس على ركبته **قلت:** وفي التنزيل العزيز ﴿**وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها**﴾ الآية.

الثانية: قوله «**كل أمة تتبع نبيها**» **قلت:** يفسره ما في صحيح البخاري وغيره عن ابن عباس رضي ا لله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «عرضت عليَّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد،إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه...الخ الحديث».

---

(١) آدم بن علي العجلي الشيباني، صدوق من الثالثة.خ.س.
(٢) علي بن عياش الألهاني الحمصي، ثقة ثبت من التاسعة مات سنة تسع عشرة [ومائتين].خ.٤.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب في مسائله على هذا الحديث:

«الثانية عشرة: أنّ كل أمة تحشر وحدها مع نبيها».

الثالثة: قوله «**يقولون يا فلان اشفع، يا فلان اشفع**» قد جاء بيانه في غير ما حديث ومنها حديث أبي هريرة المتقدم ضمن الباب الثالث بعد المائتين.

الرابعة: قوله «**حتى تنتهي الشفاعة إلي النبي ﷺ**» في حديث أبي هريرة المشار إليه «فيأتون محمد ﷺ فيقولون: يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك».

وفي حديث أنس وهو عند المصنف في الرقاق باب صفة الجنة والنار «فيأتوني فأستأذن على ربي فإذا رأيته وقعت ساجداً» الحديث.

الخامسة: قوله «**فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود**» **قلت:** هذا هو وجه الشاهد من الحديث وفيه تفسير المقام المحمود بأنه الشفاعة العظمى وهي الشفاعة في الفصل بين أهل الموقف يوم القيامة وهو مرجح لما قاله حذيفة وابن عباس ومن سمينا من أهل التفسير أول الباب.

السادسة: قوله «**من قال حين يسمع النداء**» **قلت:** النداء هو الأذان و"**ال**" فيه للعهد وظاهره أن الدعاء المذكور بعدُ يقال حين سماع الأذان لكن روى مسلم في باب استحباب القول مثل قول المؤذن من الصلاة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لي الوسيلة» الحديث.فهو نص في الأمر بهذا الدعاء بعد الأذان والمصير إليه متعين لأن حديث الباب مطلق وحديث عبد الله بن عمرو مقيد.

السابعة: قوله «**اللهم رب هذه الدعوة التامة**» **قلت:** المراد بالدعوة التامة دعوة التوحيد كقوله ﴿**له دعوة الحق**﴾.

قال ابن التين: «وصفت بالتامة لأن فيها أتم القول وهو لا إله إلا الله».

الثامنة: قوله «**والصلاة القائمة**» المراد بالصلاة المعهودة المدعو إليها حينئذ ويؤيده أن الله سبحانه وتعالى أثنى على خاصة أوليائه بإقام الصلاة في مواضع كثيرة من كتابه ومنها قوله تعالى ﴿**هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة**﴾.

التاسعة: قوله «**آت محمداً الوسيلة**» أي اعطه المنزلة العالية الرفيعة وفي حديث عبد الله بن عمرو المشار إليه قبل قليل «ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو».

العاشرة: قوله «**والفضيلة**» أي المرتبة الزّائدة على سائر الخلائق، ويحتمل أن تكون منزلة أخرى أو تفسيراً للوسيلة.

الحادية عشرة: قوله «**وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته**» **قلت:** هذا هو محل الشاهد من الحديث وقد تقدم شرح المقام المحمود أول الباب.

الثانية عشرة: قوله «**حلت له شفاعتي يوم القيامة**» أي استحقت ووجبت وفيه الحث على هذا الدعاء وأنّه من أفضل القرب.

فائدة:

شرع النبي ﷺ عند الأذان خمسة أنواع:

أحدها: أن يقولوا كما يقول المؤذن إلا في الحيعلة فأبدلها بـ (لا حول ولا قوة إلا بالله).

قلت: دليله ما رواه مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر، فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله. قال: أشهد أن لا إله إلا الله. ثم قال: أشهد أن محمداً رسول الله. قال: أشهد أن محمداً رسول الله. ثم قال: حي على الصلاة قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. ثم قال: حي على الفلاح. قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. ثم قال: الله أكبر الله أكبر. قال: الله أكبر الله

أكبر . ثم قال: لا إله إلا ا لله . قال: لا إله إلا ا لله ، من قلبه - دخل الجنة) .

وهذا مخصص لما أخرجه الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي ا لله عنه قال قال رسول ا لله ﷺ: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول المؤذن .

وثانيها: أن يقول: (رضيت با لله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً) .

ويشهد له ما في صحيح مسلم: عن سعد بن أبي وقاص أن رسول ا لله ﷺ قال: من قال حين يسمع المؤذن أشهد أن لا إله إلا ا لله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله: رضيت با لله رباً وبالإسلام ديناً غفر له ذنبه ..

وثالثها: أن يصلي على النبي ﷺ بعد فراغه من إجابة المؤذن ، وأكملها ما علمه أمته ، وإن تحذلق المتحذلقون .

ويشهد له ما في صحيح مسلم عن عبدا لله بن عمر بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى ا لله عليه بها عشراً ثم سلو ا لله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد ا لله وأرجوا أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة .

رابعها: أن يقول بعد الصلاة عليه: (اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً) .

قلت: وحديث حابر في الباب شاهد له .

خامسها: أن يدعو لنفسه بعد ذلك .

وفي السنن عنه ﷺ: (الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة ، قالوا: فما نقول يارسول ا لله؟ قال: سلوا ا لله العافية في الدنيا والآخرة) حديث صحيح . انتهى مختصراً من زاد المعاد.

٢١٠- [باب **﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾**].

ش: هذا تهديد ووعيد لكفار قريش، فإنه قد جاءهم من الله الحق الذي لا مرية فيه ولا قبل لهم به، وهو ما بعثه الله به من القرآن والإيمان والعلم النافع.

وزهق باطلهم، أي اضمحل وهلك، فإن الباطل لا ثبات له مع الحق ولا بقاء **﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾**.اهـ من ابن كثير.

- [**يزهق: يهلك**].

ش: قال أبو عبيدة في الآية الخامسة والخمسين من سورة التوبة وهي قوله تعالى: **﴿وتزهق أنفسهم﴾**: «أي تخرج وتموت وتهلك ويقال: زهق ما عندك أي ذهب كله».

وقال ابن جرير في آية الباب: «يقال منه زهق الباطل يزهق زهوقاً وأزهقه الله أي أذهبه» وأخرج بسنده عن ابن عباس: «زهوقاً يقول ذاهباً».

٢٣٩- حدثنا الحميدي،حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «دخل النبي ﷺ مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: ﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾، ﴿جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾».

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «**دخل النبي ﷺ مكة**» في المغازي باب أين ركز النبي ﷺ رايته يوم الفتح من هذا الوجه «دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح».

قلت: وهذه الغزوة في رمضان سنة ثمان من الهجرة كما ذكره ابن إسحاق وغيره.

الثانية: قوله «**وحول البيت**» وفي المظالم باب هل تكسر الدنان التي فيها خمر «**وحول الكعبة**» الجملة حالية.

الثالثة: قوله «**ستون وثلاثمائة**» في المظالم «ثلاثمائة وستون» وفيه دليل على جواز كلتا العبارتين.

الرابعة: قوله «**نُصُب**» بضم النون والمهملة وقد تسكن، بعدها موحدة هي واحدة الأنصاب وهو ما ينصب للعبادة من دون الله تعالى، كما وقع في رواية ابن أبي شيبة عن ابن عيينة «صنماً». بدل «نصباً».

واعلم أن النصب يطلق على معنيين آخرين وليس مرادين ههنا.

أحدهما: الحجارة التي كانوا يذبحون عليها للأصنام.

وثانيهما: أعلام الطريق.

الخامسة: قوله «**فجعل يطعنها**» بضم العين وبفتحها، والأول أشهر والمعنى يدقها ويضربها حتى يكسرها.

السادسة: قوله «**بعود في يده**» وأخرج مسلم في الجهاد والسير باب فتح مكة عن أبي هريرة ﷺ «ثم طاف بالبيت قال: فأتى على صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه قال: وفي يد رسول الله ﷺ قوس، وهو آخذ بسية القوس، فلما أتى على الصنم جعل يطعنه في عينه».

وفي حديث ابن عمر عند الفاكهي وصححه ابن حبان «فيسقط الصنم ولا يمسه» وللفاكهي والطبراني من حديث ابن عباس « فلم يبق وثن استقبله إلا سقط على قفاه، مع أنها كانت ثابتة بالأرض، وقد شد لهم إبليس أقدامها بالرصاص».

قلت: ولا منافاة بين هذه الأخبار فكلٌّ من هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم وصف ما شاهده من أحوال تلك الأصنام حين طعن رسول الله ﷺ إياها.

السابعة: قوله «**ويقول ﴿جاء الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً﴾**» هذا محل الشاهد من الحديث وقد مر شرحه

الثامنة: قوله **﴿جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾** أي جاء الحق من

ا لله والشرع العظيم، وذهب الباطل وزهق واضمحل كقوله تعالى: ﴿**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق**﴾.قاله ابن كثير.

قلت: وقد صنع رسول ا لله ﷺ هذا الصنيع إظهاراً لما منّ ا لله به عليه من النصر بفتح مكة وجعلها دار إسلام، وإذلالاً للشرك وأهله، وتطهيراً لبيت ا لله بإزالة أنكر المنكرات حين أظهره ا لله على ذلك وأمكنه ا لله منه وأمن الفتنة.

قال ابن القيم في الصفحة الرابعة من الجزء الثالث من إعلام الموقعين وهو يذكر أمثلة على أنّ مبنى الشريعة على مصالح العباد في المعاش والمعاد: « فإنكار المنكر أربع درجات:

الأولى: أن يزول ويخلفه ضده.

الثانية: أن يقل وإنْ لم يزل بجملته.

الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله.

الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه.

فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة».اهـ

٢١١- [باب ﴿**ويسألونك عن الروح**﴾].

ش: تمامها ﴿**قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً**﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ويسألك الكفار با لله من أهل الكتاب عن الروح ما هي؟ قل لهم الروح من أمر ربي، وما أوتيتم أنتم وجميع النّاس من العلم إلا قليلاً.

وأما قوله ﴿**من أمر ربي**﴾ فإنه يعني أنه من الأمر الذي يعلمه ا لله ﷻ دونكم، فلا تعلمونه ويعلم ما هو.

وقوله ﴿**وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً**﴾

اعلم أنّ أهل العلم بالتفسير قد اختلفوا في المعنى به على قولين.

أحدهما: أنّه عنى بذلك الذين سألوا رسول ا لله ﷺ عن الروح وجميع النّاس غيرهم، ولكن لما ضم غير المخاطب إلى المخاطب خرج الكلام على المخاطبة لأن العرب كذلك تفعل إذا اجتمع في الكلام مخبر عنه غائب ومخاطب أخرجوا الكلام خطاباً للجمع.وبه قال عطاء بن يسار وابن جريج.

وثانيهما: أنه عنى بذلك الذين سألوا الرسول ﷺ عن الروح خاصة دون غيرهم وبه قال قتادة.

حكى القولين ابن جرير واختار الأول.

٤٢٤٠- حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش قال: حدثني إبراهيم، عن علقمة، عن عبد ا لله ؓ قال: «بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث ـ وهو متكيء على عسيب ـ إذ مر اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال: ما رابكم إليه ـ وقال بعضهم لا يستقبلكم بشيء تكرهونه ـ فقالوا: سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً، فعلمتُ أنه يوحى إليه، فقمت مقامي.فلما نزل الوحي قال: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربِّي وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً﴾».

ش: فيه ثلاث عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**في حرث**» بفتح المهملة وسكون الراء بعدها مثلثة، ووقع في كتاب العلم من وجه آخر بخاء معجمة وموحدة، وضبطوه بفتح أوله وكسر ثانيه وبالعكس، والأول أصوب. ويدل له ما أخرجه مسلم من طريق مسروق عن ابن مسعود بلفظ «كان في نخل» وزاد في رواية العلم «بالمدينة». قال الحافظ: «ولابن مردويه من وجه آخر عن الأعمش «في حرث للأنصار» وهذا يدل على أنّ نزول الآية وقع بالمدينة، لكن روى الترمذي من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: «قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فسألوه فأنزل الله تعالى ﴿**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمري ربيٰ**﴾ ورجاله رجال مسلم، وهو عند ابن إسحاق من وجه آخر عن ابن عباس نحوه، ويمكن الجمع بأن يتعدد النزول بحمل سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك».

الثانية: قوله «**وهو متكىء على عسيب**» أي معتمد عليه والعسيب بمهملتين وآخره موحدة بوزن عظيم وهي الجريدة التي لا خوص فيها، ووقع في رواية ابن حبان «ومعه جريدة» قال ابن فارس: «العسبان من النخل كالقضبان من غيرها».

الثالثة: قوله «**إذ مر اليهود**» كذا فيه اليهود بالرفع على الفاعلية، وفي بقية الرّوايات في العلم والاعتصام والتوحيد، وعند مسلم «إذ مر بنفر من اليهود» وعند ابن جرير من وجه آخر عن الأعمش «إذ مررنا على يهود» ويحمل هذا الاختلاف على أنّ الفريقين تلاقوا فيصدق أن كلاً منهم مر بالآخر، ولم أقف في شيء من الطرق على تسمية أحد من هؤلاء اليهود.

الرابعة: قوله «**ما رابكم إليه**» كذا للأكثر بصيغة الفعل الماضي من الريب، ويقال فيه رابه كذا وأرابه كذا بمعنى وقال أبو زيد: رابه إذا علم منه الريب،

وأرابه إذا ظن ذلك به.

الخامسة: قوله «**وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه**» في العلم «لا يجيء فيه بشيء تكرهونه» وفي الاعتصام «لا يسمعكم ما تكرهون» وهي بمعنى، وكلها على الرفع نهي بلفظ الخبر.

السادسة: قوله «**فقالوا: سلوه**» في التوحيد «فقال بعضهم لنسألنه» واللام في جواب قسم محذوف تقديره وا لله ونحوه.

السابعة: قوله «**فسألوه عن الروح**» في التوحيد «فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم ما الروح؟» وفي رواية العوفي عن ابن عباس عند ابن جرير «فقالوا أخبرنا عن الروح».

قال ابن القيم:

«والروح في القرآن على عدة أوجه:

أحدها: الوحي كقوله تعالى ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا**﴾.[الشورى: ٥٢].

وقوله تعالى: ﴿**يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده**﴾ [غافر:١٥].

وسمى الوحي روحاً لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح.

الثاني: القوة والثبات والنصرة التي يؤيد بها من يشاء من عباده المؤمنين كما قال: ﴿**أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه**﴾ [المجادلة: ٢٢].

الثالث: جبريل كقوله تعالى: ﴿**نزل به الروح الأمين على قلبك**﴾.

وقال تعالى: ﴿**من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن ا لله**﴾.

وهو روح القدس قال تعالى: ﴿**قل نزله روح القدس**﴾ [النحل:١٠٢].

الرابع: الروح التي سأل عنها اليهود فأجيبوا بأنها من أمر ا لله.وقد قيل إنها الروح المذكورة في قوله تعالى: ﴿**يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون**﴾ وأنها الروح المذكورة في قوله: ﴿**تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم**﴾.

الخامس: المسيح بن مريم قال تعالى: ﴿**إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه**﴾.

وأما أرواح بني آدم فلم تقع تسميتها في القرآن إلا بالنفس قال تعالى: ﴿**يا أيتها النفس المطمئنة**﴾ . وقال تعالى: ﴿**ولا أقسم بالنفس اللوامة**﴾ وقال تعالى ﴿**إن النفس لأمارة بالسوء**﴾ وقال تعالى: ﴿**أخرجوا أنفسكم**﴾ وقال تعالى:﴿**ونفس وما سواها فألهما فجورها وتقواها**﴾ .وقال تعالى:﴿**كل نفس ذائقة الموت**﴾، وأما في السنة فجاءت بلفظ النفس والروح والمقصود أن كونها من أمر الله لا يدل على قدمها وأنها غير مخلوقة».اهـ من بدائع التفسير.

الثامنة: قوله «**فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم**».

قلت: لأنه ﷺ لا يتكلم في مثل هذه الأمور الغيبية من تلقاء نفسه بل ينتظر الوحي كما قال تعالى: ﴿**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى**﴾.

التاسعة: قوله «**فعلمت أنه يوحى إليه**» في التوحيد «فظننت أنه يوحى إليه» وفي الاعتصام «فقلت إنه يوحى إليه» وهي متقاربة، وإطلاق العلم على الظن مشهور، وكذا إطلاق القول على ما يقع في النفس إذا كان بقرينة.

العاشرة: قوله «**فقمت مقامي**» في الاعتصام «فتأخرت عنه» أي أدباً معه لئلا يتشوش بقربي منه.

الحادية عشرة: قوله «**فلما نزل الوحي قال**» في الاعتصام «حتى صعد الوحي فقال» وفي العلم «فقمت فلما انجلى».

الثانية عشرة: قوله «**من أمر ربي**» تقدم شرحه في تفسير الآية.

وقال ابن القيم: «ليس المراد هنا بالأمر الطلب اتفاقاً، وإنما المراد به المأمور، والأمر يطلق على المأمور كالخلق على المخلوق، ومنه ﴿**لما جاء أمر ربك**﴾».اهـ.

الثالثة عشرة: قوله «**فلما نزل الوحي قال ﴿ويسألونك عن الروح...الخ﴾**».

قلت: هذا هو الشاهد من الحديث وقد مضى شرحه أول الباب.

٢١٢- [باب **﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾**].

ش: قلت: الآية **﴿قل ادعوا ا لله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾**.

قوله **﴿قل ادعوا ا لله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾**.

قال ابن القيم كما في بدائع التفسير: «فهذا الدعاء المشهور وأنه دعاء المسألة وهو سبب النزول قالوا كان النبي ﷺ يدعو ربه فيقول مرة: «يا ا لله» ومرة «يا رحمن» فظن الجاهلون من المشركين أنه يدعو إلهين فأنزل ا لله تعالى هذه الآية.

قال ابن عباس: سمع المشركون النبي ﷺ يدعو في سجوده يا رحمن يا رحيم فقالوا هذا يزعم أنه يدعو واحداً وهو يدعو مثنى مثنى فأنزل ا لله هذه الآية. **﴿قل ادعوا ا لله أو ادعوا الرحمن﴾**.

وقيل إنّ الدعاء هاهنا بمعنى التسمية كقولهم دعوت ولدي سعيداً وادعه بعبد ا لله ونحوه.

والمعنى سموا ا لله أو سموا الرحمن فالدعاء ههنا بمعنى التسمية وهذا قول الزمخشري والذي حمله على هذا قوله: **﴿أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾** فإنّ المراد بتعدده معنى أي: وعمومها هاهنا تعدد الأسماء ليس إلا.

والمعنى أي الأسماء سميتموه به من أسماء ا لله تعالى إما ا لله وإما الرحمن فله الأسماء الحسنى، أي فللمسمى سبحانه الأسماء الحسنى والضمير في "له" يعود إلى المسمى فهذا الذي أوجب له أن يحمل الدعاء في هذه الآية على التسمية.وهذا الذي قاله هو من لوازم المعنى المراد بالدعاء في الآية وليس هو عين المراد.بل المراد بالدعاء معناه المعهود المطرد في القرآن وهو دعاء السؤال ودعاء الثناء ولكنه متضمن معنى التسمية فليس المراد مجرد التسمية الخالية عن العبادة والطلب، بل

التسمية الواقعة في دعاء الثناء والطلب فعلى هذا المعنى يصح أن يكون في «تدعوا» معنى تسموا فتأمله.

والمعنى أياً ما تسموا في ثنائكم ودعائكم وسؤالكم وا لله أعلم».اهـ.

قوله ﴿**ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها**﴾.

اختلف أهل العلم بالتفسير في معناه على قولين:

أولهما: أنّ المعنى به الدعاء وبه قال ابن عباس وعائشة وأبو عياض وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وعروة ومكحول.

وثانيهما: أنه عنى بذلك الصلاة.ثم اختلف أهل هذا القول على أربعة أقوال:

أحدها: أنّ المنهي عنه الجهر بالقراءة وبه قال ابن عباس والضحاك وسعيد بن جبير وعطاء في الرواية الثانية عنهم وكذا قال قتادة.

وثانيها: أنّ المنهي عنه الجهر بالتشهد وهو قول عائشة في الرواية الثانية وكذا قال ابن سيرين.

وثالثها: قالوا بل كان رسول ا لله ﷺ يصلي بمكة جهاراً فأمر بإخفائها وبه قال الحسن البصري.

ورابعها: أن معنى ذلك ولا تجهر بصلاتك تحسنها من إتيانها في العلانية ولا تخافت بها تسيؤها في السريرة وبه قال الحسن في الرواية الثانية وابن عباس في الرواية الثالثة. حكى هذا الاختلاف ابن جرير واختار أول القولين.

قوله ﴿**وابتغ بين ذلك**﴾ أي الجهر والمخافتة المدلول عليها بالفعلين.﴿**سبيلاً**﴾ أي طريقاً متوسطاً بين الأمرين فلا تكون مجهورة ولا مخافتاً بها.

٢٤١ـ حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم حدثنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي ا لله عنهما: في قوله تعالى ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ قال: نزلت ورسول ا لله ﷺ مختف بمكة، كان إذا صلى

بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال ا لله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ أي بقراءتك، فيسمع المشركون فيسبوا القرآن.﴿ولا تخافت بها﴾ عن أصحابك فلا تُسْمِعهم ﴿وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾.

٢٤٢ـ حدثني طلق بن غنّام[1] حدثنا زائدة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي ا لله عنها قالت: أنزل ذلك في الدعاء.

ش: فيهما أربع مسائل:

الأولى: قوله «**نزلت ورسول ا لله ﷺ مختف بمكة**» **قلت:** والجملة حالية ومراده أنّ ذلك كان في أول الإسلام.

الثانية: قوله «**رفع صوته بالقرآن**» وأخرج ابن جرير من طريق أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس «كان رسول ا لله ﷺ إذا جهر بالصلاة بالمسلمين بالقرآن شق ذلك على المشركين إذ سمعوه فيؤذون رسول ا لله ﷺ بالشتم والعيب به».

قلت: وهذا مخرج على أنّ المراد بالصلاة في الآية القراءة وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وبه قال سعيد ابن جبير والضحاك وآخرون وقد أسلفناه أول الباب.

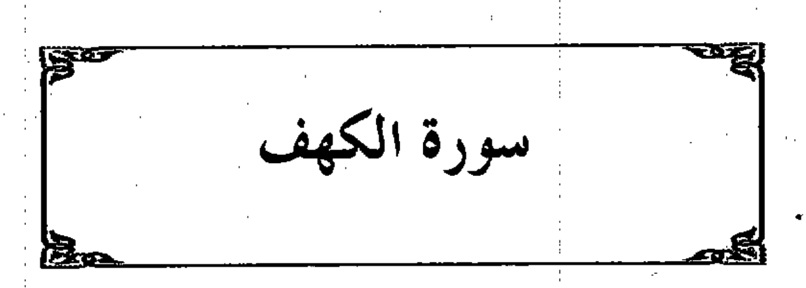
الثالثة: قوله **﴿ولا تجهر بصلاتك﴾** هذا هو الشاهد من الحديث وقد مضى شرحه أول الباب.

الرابعة: قوله «**أنزل ذلك في الدعاء**» **قلت:** هو الرواية الأولى عنها أخرجه ابن جرير من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بلفظ «نزلت في الدعاء» وبه قال ابن عباس وعطاء في الرواية الثانية ومجاهد وبه قال آخرون وقد مضى أول الباب حكاية القولين.

آخر تفسير سورة بني إسرائيل و لله الحمد والمنة .

---

(١) هو أبو محمد طلق بن غنام بن طلق بن معاوية النخعي الكوفي ثقة من كبار العاشرة مات في رجب سنة إحدى عشرة ومائتين.خ.٤.



٢١٣ـ سورة الكهف بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿**أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً**﴾.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: « من قرأ سورة الكهف كما أنزلت ثم أدرك الدجال لم يسلط عليه، ومن قرأ سورة الكهف يوم الجمعة كان له نوراً يوم القيامة، من حيث قرأها ما بينه وبين مكة ».رواه النسائي.والدارمي وغيرهما وصححه الحاكم، وقال الهيثمي في المجمع: رجاله رجال الصحيح. وأخرج مسلم وأحمد والترمذي وغيرهم عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال، ومن حفظ خواتم سورة الكهف كانت له نوراً يوم القيامة ».

قلت: والأحاديث في فضلها كثيرة.قال القرطبي: وهي مكية في قول جميع المفسرين وعدد آياتها عشر ومائة.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- **[وقال مجاهد: ﴿تقرضهم﴾ تتركهم].**

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرج نحوه عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة.

والآية المشار إليها: **﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه﴾.**

٢- **[﴿وكان له ثمر﴾ ذهب وفضة].**

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق، وهو **أحد** أقوال ثلاثة في الآية.

وثانيها: أنه عنى به المال الكثير من صنوف الأموال وبه قال ابن عباس وقتادة.

وثالثها: أنّه عنى به جماعة الثمر وبه قال ابن زيد.

أخرجها جميعاً ابن جرير واختار ثالثها، وإياه نختار لأنّ الثمر لا يتبادر من ذكره عند الإطلاق سوى ما قال ابن زيد.

والآية المشار إليها: **﴿وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وولداً﴾.**

٣- **[وقال غيره: جماعة الثمر].**

ش: قاله أبو عبيدة

وأخرج ابن جرير ثني يونس، أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله **﴿وكان له ثمر﴾** الثمر الأصل.

٤- **[﴿باخع﴾ مُهلِك].**

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: قال ذو الرمة:

ألا أيّهذا الباخع الوجد نفسه لشيء نحته عن يديه المقادر

أي نحّته مشددة ويقال بخعت له نفسي ونصحي أي جهدت له.اهـ.

وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: قاتل نفسك.

والآية المشار إليها: ﴿**فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً**﴾.

٥- [﴿**أسفاً**﴾ **ندماً**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وتلهفاً وأسى.

وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: جزعاً وفي رواية غضباً وفي رواية حزناً.

٦- [﴿**الكهف**﴾: **الفتح في الجبل**].

ش: هو قول الضحاك، أخرجه ابن أبي حاتم كما حكاه في الفتح.٦/٥٠٣.

٧- [﴿**الرقيم**﴾ **الكتاب**].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا علي ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.وأخرج نحوه عن سعيد بن جبير وابن زيد وهو **أحد** أقوال ثلاثة.

ثانيها: أنّه اسم جبل أصحاب الكهف، وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية وبه قال شعيب الجبئي.

وثالثها: أنّه اسم قرية أو وادٍ وهو قول ابن عباس في الرواية الثالثة وقتادة ومجاهد والضحاك، واختار ابن جرير القول الأول.

والآية المشار إليها:﴿**أم حسبت أنّ أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً**﴾.

٨- [﴿**مرقوم**﴾ **مكتوب من الرقم**].

ش: قال أبو عبيدة الجملة الأولى منه، وهذه الجملة وقعت في الآية التاسعة، والآية العشرين من سورة المطففين، وذكرها هنا استشهاداً.

٩- [﴿ربطنا على قلوبهم﴾: ألهمناهم صبراً].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه صبّرناهم، وألهمناهم الصبر، وقال ابن جرير يقول عزّ ذكره: وألهمناهم الصبر وشددنا قلوبهم بنور الإيمان.

١٠- [﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾].

ش: قلت: هذه الجملة ضمن الآية العاشرة من سورة القصص، ومناسبتها ها هنا الاستشهاد لما قبلها.

١١- [﴿شططاً﴾ إفراطاً].

ش: قال أبو عبيدة: أي جوراً وغلواً، قال:

ألا يا القوم قد أشطيت عواذلي ويزعمن أنّ أودي بحق باطل

وقال ابن جرير: « يعني عالياً من الكذب مجاوزاً مقداره في البطول والغلو».

ثم أخرج المعنى عن قتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها: **﴿وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً﴾**.

١٢- [**﴿الوصيد﴾ الفِناء، جَمعُه وصائِد، ووُصُدٌ ويقال الوصيدُ: الباب**].

ش: قال أبو عبيدة: « على الباب، وبفناء الباب جميعاً لأن الباب يوصد أي يغلق والجميع وصائد ووصد » أهـ.

واعلم أنّ أهل التفسير مختلفون فيه على ثلاثة أقوال:

أولها: أنّه الفناء وبه قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة.

وثانيها: أنّه الصعيد، وهو قول ابن عباس وابن جبير في الرواية الثانية وبه قال عمرو بن مرة.

وثالثها: أنّه الباب وهو قول ابن عباس في الرواية الثالثة.

أخرجها ابن جرير واختار أنّه الباب، أو فناء الباب حيث يغلق.

والآية المشار إليها:﴿**وتحسبهم أيقاضاً وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد**﴾.

١٣- [﴿**مؤصدة**﴾ : **مطبَقة.آصد الباب وأوصد**].

ش: قال أبو عبيدة: « مطبقة آصدت وأوصدت وهو أطبقت.».اهـ.

وقد أشار الشيخ رحمه الله إلى الآية الأخيرة من سورة البلد، والآية الثامنة من سورة الهمزة، ولعله أراد بالتفسير المذكور ها هنا ترجيح أنّ الوصيد الباب.

١٤- [﴿**بعثناهم**﴾ **أحييناهم**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وهو من يوم البعث.

قال مقيده: وهذا قول غريب فإنّ أصحاب الكهف لم يكونوا أمواتاً بل نُوَّم بدليل قوله تعالى ﴿**وتحسبهم أيقاضاً وهم رقود**﴾.

١٥- [﴿**أزكى**﴾ **أكثر ويقال أحلُّ، ويقال أكثر ريعاً**].

ش: **قلت**: وبكلٍ من القولين الأوليين قال طائفة من أهل العلم بالتفسير.

فأولها: قول عكرمة.

وثانيها: قول سعيد بن جبير.

وقال قتادة: خير طعاماً.أخرجها ابن جرير واختار ثانيها.

والآية المشار إليها:﴿**وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً**﴾.

١٦- [**قال ابن عباس**: ﴿**أُكُلَها**﴾ **وقال غيره**: ﴿**ولم تظلِم**﴾ **لم تنقص**].

ش: كذا لأبي ذر ولغيره، وقال ابن عباس فذكره.وقد وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس حكاه في الفتح.

قلت: وأخرجه ابن جرير حدثنا بشر: حدثنا يزيد: حدثنا سعيد عن قتادة

قوله ﴿**ولم تظلم منه شيئاً**﴾ أي لم تنقص.

والآية المشار إليها: ﴿**كلتا الجنتين ءاتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً**﴾.

١٧- [**وقال سعيد عن ابن عباس: ﴿الرقيم﴾ اللوح من رصاص. كتب عاملهم أسماءهم ثم طرحه في خزانته فضرب الله على آذانهم فناموا**].

ش: وصله عبد بن حميد من طريق يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير مطولاً وإسناده صحيح على شرط البخاري. قاله في الفتح.

وقد تقدم الكلام على الآية في الأثر السابع.

١٨- [**وقال غيره: وألت تئل تنجو**].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه منجى وهو من قولهم:

فلا وألت نفس عليها تحذر

أي لا نجت. اهـ.

١٩- [**وقال مجاهد: ﴿موئلاً﴾ محرزاً**].

ش: رواه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى. ح وثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرج نحوه عن ابن عباس وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها: ﴿**وربك الغفور ذو الرحمة لو يآخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً**﴾.

٢٠- [﴿**لا يستطيعون سمعاً**﴾ **لا يعقلون**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق. وأخرج عنه من طريق حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال: لا يعلمون. وأخرج نحوه عن ابن زيد.

والآية المشار إليها: ﴿**الذين كانت أعينهم في غطاءٍ عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعاً**﴾.

٢١٤- [باب ﴿**وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً**﴾].

ش: قلت الآية ﴿**ولقد صرفنا في هذا القرءان للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً**﴾.

يقول عزّ ذكره ولقد مثلنا في هذا القرآن للناس من كل مثل، ووعظناهم فيه من كل عظة، واحتججنا عليهم فيه بكل حجة ليتذكروا فينيبوا ويعتبروا فيتعظوا وينزجروا عما هم عليه مقيمون من الشرك با لله وعبادة الأوثان ﴿**وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً**﴾ يقول: وكان الإنسان أكثر شيء مراءً، وخصومة لا ينيب لحق ولا ينزجر لموعظة.

٤٤٢- حدثنا علي بن عبد ا لله، حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، حدثنا أبي، عن صالح، عن ابن شهاب قال: أخبرنا علي بن حسين، أن حسين بن علي أخبره عن علي ﷺ: « **أن رسول ا لله ﷺ طرقه وفاطمة قال: ألا تصليان** ».

ش: هكذا أورده الشيخ رحمه ا لله هنا مختصراً وليس فيه محل الشاهد، ولم أعرف مقصوده من ذلك، وقد رواه في كتاب التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل، والنوافل من غير إيجاب، بتمامه عن علي، ولفظه « أن رسول ا لله ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي ﷺ ليلة فقال: ألا تصليان فقال يا رسول ا لله أنفسنا بيد ا لله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلنا ذلك ولم يرجع إليّ شيئاً، ثم سمعته وهو مولٍ، يضرب فخذه وهو يقول: وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً ».

وفيه بهذا السياق ست مسائل:

الأولى: قوله «**أن رسول ا لله ﷺ طرقه وفاطمة**» قلت فاطمة بالنصب معطوف على المفعول في طرقه، والطروق: الإتيان بالليل، وعلى هذا فقوله ليلة للتأكيد. وحكى ابن فارس أن معنى طرق أتى، فعلى هذا يكون قوله «**ليلة**» لبيان

وقت المجيء فنصبها على الظرفية.

الثانية: قوله «**ألا تصليان**» وعند النسائي في تفسير الآية من رواية حكيم بن حكيم قال: « دخل عليّ رسول الله ﷺ وعلى فاطمة من الليل فأيقضنا للصلاة، ثم رجع إلى بيته فصلى هوياً من الليل فلم يسمع لنا حساً، فرجع إلينا فأيقضنا فقال: قوما فصليا ».

الثالثة: قوله «**فقلت يا رسول الله، أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا**» ووقع في رواية حكيم المذكورة آنفاً « قال فجلست وأنا أعرك عيني وأقول: إنا والله ما نصلي إلا ما كتب الله لنا إنما أنفسنا بيد الله فإن شاء بعثنا، بعثنا » واقتبس عليّ رضي الله عنه ذلك من قوله تعالى ﴿**الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها**﴾.

الرابعة: قوله «**فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إليّ شيئاً**» في رواية كريمة «حين قلنا» وفيه أن السكوت يكون جواباً والإعراض عن القول الذي لا يطابق المراد وإن كان حقاً في نفسه.

الخامسة: قوله «**ثم سمعته وهو مولّ يضرب فخذه**» فيه جواز ضرب الفخذ عند التأسف.

السادسة: قوله «**وهو يقول ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾**».فيه جواز الإنتزاع من القرآن وترجيح قول من قال إن اللام في قوله ﴿**وكان الإنسان**﴾ للعموم لا لخصوص الكفار.

تنبيه:

(فإن قيل فقد احتج عليّ بالقدر في ترك قيام الليل وأقره النبي ﷺ كما في الصحيح عن عليّ أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة ليلاً فقال لهم: « ألا تصلون؟ قال: فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثها بعثها.فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت له ذلك، ولم يرجع إليّ شيئاً، ثم سمعته وهو مدبر

يضرب فخذه وهو يقول ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾، قيل: عليّ لم يحتج بالقدر على ترك واجب ولا فعل محرم، وإنما قال: إن نفسه، ونفس فاطمة بيد الله، فإذا شاء أن يوقظهما ويبعث أنفسهما بعثهما. وهذا موافق لقول النبي ﷺ ليلة ناموا في الوادي: إن الله قبض أرواحنا حيث شاء وردها حيث شاء، وهذا احتجاج صحيح صاحبه يعذر فيه، فالنائم غير مفرط، واحتجاج غير المفرط بالقدر صحيح. انتهى من شفاء العليل (ص٣٢).

من فقه الحديث:

أولاً: فيه منقبة لعليّ ﷺ حيث لم يكتم ما فيه عليه أدنى غضاضة، فقدم مصلحة نشر العلم وتبليغه.

ثانياً: فيه أنه ليس للإمام أن يشدد في النوافل.

شرح جملة من الكلمات:

١- [﴿**رجماً بالغيب**﴾ : **لم يستبن**].

ش: قال أبو عبيدة: والرجم ما لم تستيقنه وقال: ظن مرجم لا يدرى أحق هو أم باطل. قال زهير:

وما الحرب إلا ما رأيتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم

وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: أي قذفاً بالغيب وفي رواية بالظن، وهذه المعاني الثلاثة متقاربة.

والآية المشار إليها: ﴿**سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب**﴾.

٢- [﴿**فرطاً**﴾ **ندماً**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا محمد بن المثنى: حدثنا بدل ابن المحبر: ثنا عباد بن راشد عن داود ﴿**فرطاً**﴾ قال: ندامة.

قلت: يعني داود بن أبي هند وهو **أحد** أقوال أربعة حكاها في الآية.

وثانيها: بمعنى ضياعاً وبه قال مجاهد.

وثالثها: بمعنى هلاكاً وبه قال خباب.

ورابعها: بمعنى خلافاً للحق وبه قال ابن زيد.

واختار ابن جرير بعد حكاية هذه الأقوال قول من قال معناه ضياعاً وهلاكاً.

وقال أبو عبيدة: سرفاً وتضييعاً.

والآية المشار إليها:﴿**ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً**﴾.

٣- [﴿سرادقها﴾ : مثل السرادق والحجرة التي تطيف بالفساطيط].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: قال رؤبة:

يا حكم بن المنذر بن الجارود — أنت الجواد بن الجواد المحمود

سرادق المجد إليك ممدود

وقال ابن عباس: هي حائط من نار، أخرجه عنه ابن جرير.

والآية المشار إليها: ﴿**إنّا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها**﴾.

٤- [﴿يحاوره﴾ من المحاورة].

ش: قال أبو عبيدة أي يكلمه، ومعناه من المحاورة.

والآية المشار إليها هي الرابعة والثلاثون والسابعة والثلاثون من السورة.

٥- [﴿لكن هو الله ربي﴾ : أي لكن أنا هو الله ربي.ثم حذف الألف وأدغم إحدى النونين في الأخرى].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: فشددت، والعرب تفعل ذلك.

والآية المشار إليها: ﴿**لكن هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً**﴾.

٦- [﴿وفجرنا خلالهما نهراً﴾ يقول بينهما].

ش: قال أبو عبيدة: أي وسطهما وبينهما وبعضهم يسكن "هاء" النهر.

والآية المشار إليها:﴿**كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً**﴾.

٧- [﴿**زلقا**﴾ **لا يثبت فيه قدم**].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار:﴿**فعسى ربي أن يؤتيني خيراً من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيداً زلقاً**﴾.

٨- [﴿**هنالك الولاية**﴾ **مصدر الولي**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: فإذا كسرت الواو فهي مصدر وليت العمل، والأمر تليه.

٩- [﴿**عقباً**﴾ **عاقبة وعقبى عقبه، واحد.وهي الآخرة**].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها:﴿**هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقباً**﴾.

١٠- [﴿**قِبلاً**﴾ **وقِبلاً، وقَبلاً، استئنافاً**].

ش: قال أبو عبيدة: يقال من ذي قبل فإن فتحوا أولها فالمعنى استئنافاً قال:

لن يغلب اليوم جباكم قبلي

أي استئنافي.وإن ضموا أولها فالمعنى مقابله، يقال: اقبل قُبُل فلان إنكسر، وله موضع آخر أن يكون جميع قبيل فمعناه أو يأتيهم العذاب قبلا، أي قبيلاً قبيلاً أي ضرباً ضرباً، ولوناً لوناً.اهـ.

والآية المشار إليها:﴿**وما منع النّاس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنّة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا**﴾.

١١- [﴿ليدحضوا﴾ : ليزيلوا، الدحض الزلَق].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: يقال مكان دحض أي مزل مزلق، لا يثبت فيه خف، ولا قدم ولا حافر. قال طرفة:

وردت ونحى اليشكري حذاره … وحاد كما حاد البعير عن الدحض.

والآية المشار إليها: **﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزواً﴾.**

٢١٥- [باب ﴿وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقباً﴾].

ش: يقول عز ذكره لنبيه ﷺ واذكر يا محمد إذ قال موسى بن عمران لفتاه يوشع: لا أبرح يقول: لا أزال أسير.

وقوله ﴿**حتى أبلغ مجمع البحرين**﴾ أي ملتقاهما. وقيل المراد بالبحرين، فارس والروم، وقيل بحر الأردن، وقيل غيرها.

قوله ﴿**أو أمضي حقباً**﴾ أي أسير زماناً طويلاً.

[﴿حقبا﴾ زمانا وجمعه أحقاب].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ويقال في معناه مضت له حقبة والجميع حقب، على تقدير كسرة والجميع كسر كثيرة.

٢٤٥- حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو بن دينار قال: أخبرني سعيد بن جبير قال: «قلت لابن عباس: إن نوفاً البكالي يزعم أنّ موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل، فقال ابن عباس: كذب عدوّ الله، حدثني أبيّ بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إنّ موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أيّ النّاس أعلم؟ فقال: أنا. فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: إنّ لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال موسى: يا ربّ فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكتل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثمَّ. فأخذ حوتاً فجعله في مكتل ثم انطلق، وانطلق معه بفتاه يوشع بن نون، حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سرباً، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً. قال: ولم

يجد موسى النصب حتى جاوزا المكان الذي أمر ا لله به، فقال له فتـاه: أرأيـت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسـانيه إلا الشـيطان أن أذكـره، واتخـذ سـبيله في البحـر عجبـاً.قـال فكـان للحـوت سـرباً، ولموسـى ولفتـاه عجباً.فقال موسى: ذلك ما كنا نبغي، فارتدّا على آثارهما قصصاً، قال: رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجلٌ مسـجّى ثوبـاً، فسـلّم عليـه موسى فقال الخضر: وأنّى بأرضك السلام.قال: أنا موسـى. قـال: موسـى بـني إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك لتعلّمني مما علمت رشـدا.قـال: إنـك لـن تسـتطيع معيَ صبرا.يا موسى إني على علم من علم ا لله علّمنيه لا تعلمـه أنـت، وأنـت على علم من علم ا لله علّمكه ا لله لا أعلمه.فقـال موسـى: ستجدني إن شـاء ا لله صابراً ولا أعصي لك أمراً.فقال له الخضر: فـأن اتبعتـني فـلا تسـألني عـن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً.فانطلقا يمشـيان علـى سـاحل البحـر، فمـرت سفينة، فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول.فلما ركبـا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بـالقدوم.فقـال لـه موسى: قوم حملونا بغير نول، عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلهـا، لقـد جئت شيئاً إمرا.قال: ألم أقل: إنك لن تستطيع معي صـبرا؟ قـال: لا تؤاخذنـي بما نسيت ولا ترهقني من أمـري عسـرا.قـال: وقـال رسـول ا لله ﷺ: وكـانت الأولى من موسى نسياناً.قال: وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقـر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم ا لله إلا مثل مـا نقـص هذا العصفور من هذا البحر.ثم خرجا مـن السـفينة، فبينـا همـا يمشـيان علـى الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمـان، فـأخذ الخضـر رأسـه بيـده فاقتلعه بيده فقتله، فقال له موسى: أقتلت نفساً زاكية بغير نفـس؟ لقـد جئـت شيئاً نكراً.قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا؟ قـال وهـذا أشـد مـن الأولى.قال: إن سألتك عن شيء بعدها فـلا تصـاحبني، قـد بلغـت مـن لدنّـي

عذرا.فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض.قال: مائل.فقام الخضر فأقامه بيده.فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه أجرا.قال: هذا فراق بيني وبينك ـ إلى قوله ـ ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً.فقال رسول الله ﷺ: وددنا أنّ موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما.قال سعيد بن جبير: فكان ابن عباس يقرأ، ﴿وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً﴾.وكان يقرأ (وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين).

ش: **فيه تسع وأربعون مسألة:**

الأولى: قوله «**إن نوفاً البكالي**» في رواية ابن جريج الآتية « إنا لعند ابن عباس في بيته قال: سلوني **قلت:** أي أبا العباس، جعلني الله فداك، بالكوفة رجل قاص يقال له نوف ».

قلت: وصاحب هذا القول هو سعيد بن جبير راوية ابن عباس، ونوف هذا هو نوف بن فضالة ابن امرأة كعب الأحبار، مستور من الثانية، قد كذبه ابن عباس فيما رواه عن أهل الكتاب، مات بعد التسعين.

الثانية: قوله «**يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل**» وعند النسائي في تفسير سورة الكهف من رواية أبي إسحاق عن سعيد بن جبير قال: «كنت عند ابن عباس وعنده قوم من أهل الكتاب فقال بعضهم: يا أبا عباس إن نوفاً يزعم عن كعب الأحبار أن موسى الذي طلب العلم إنما هو موسى بن ميشا قال: أسمعته يا سعيد قال نعم ».

الثالثة: قوله «**كذب عدو الله**» يعني فيما قال وذلك لمخالفته صريح القرآن كما هو مبسوط في سورة الأعراف وغيرها، وهذا القول محمول على إرادة المبالغة في الزجر والتنفير عن تصديق تلك المقالة.

الرابعة: قوله «**إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل**» في رواية ابن جريج

«موسى رسول الله عليه السلام قال ذكر الناس يوماً حتى إذا فاضت العيون ورقت القلوب ولى» وعند مسلم في الفضائل، باب فضل الخضر، والنسائي في التفسير «أنه بينا موسى عليه السلام في قومه يذكرهم بأيام الله وأيام الله نعماؤه، وبلاؤه».

الخامسة: قوله «**فسئل أي الناس أعلم**» في رواية ابن جريج «فأدركه رجل فقال: أي رسول الله هل في الأرض أحد أعلم منك».

السادسة: قوله «أنا» في رواية ابن جريج «قال لا» وعند مسلم والنسائي «ما أعلم في الأرض رجلا خيراً وأعلم مني».

السابعة: قوله «**فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه**» وفي رواية ابن جريج «إذ لم يرد العلم إلى الله» وعند مسلم والنسائي «فأوحى الله إليه إني أعلم بالخير عند من هو».

قلت: فبان بهذا أمران.

أحدهما: سبب عتاب موسى ﷺ وهو عدم رده العلم إلى الله.

وثانيهما: نوع العتاب وذلك في قوله فأوحى الله إليه...الخ.

الثامنة: قوله «**فأوحى الله إليه أن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك**» في رواية ابن جريج «قيل بلى قال أي رب فأين قال بمجمع البحرين» وعند مسلم والنسائي «إن في الأرض رجلاً هو أعلم منك».

التاسعة: قوله «**قال موسى: يا رب فكيف لي به؟**».في رواية ابن جريج «قال أي رب اجعل لي علماً أعلم ذلك منه» وعند مسلم والنسائي «قال يا رب فدلني عليه».

العاشرة: قوله «**تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكتل**» في رواية ابن جريج «فقال لي عمرو: قال حيث يفارقك الحوت» وقال لي يعلى «قال خذ نوناً ميتاً حيث ينفخ فيه الروح» وعند مسلم والنسائي «فقيل له تزود حوتاً مالحاً فإنه

حيث تفقد الحوت».

الحادية عشرة: قوله «**فأخذ حوتاً فجعله في مكتل**».

قلت: والمكتل هو بكسر الميم الزبيل الكبير قيل أنه يسع خمسة عشر صاعاً كأن فيه كتلاً من التمر أي قطعاً مجتمعة.قاله ابن الأثير.

الثانية عشرة: قوله «**ثم انطلق وانطلق معه بفتاه يوشع بن نون**» وعند مسلم والنسائي «فانطلق هو وفتاه حتى انتهيا إلى الصخرة».

الثالثة عشرة: قوله «**حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما**» في رواية ابن جريج «فقال لفتاه: لا أكلفك إلا أن تخبرني بحيث يفارقك الحوت، قال ما كلفت كثيراً، فذلك قوله جل ذكره « وإذ قال موسى لفتاه يوشع بن نون» ليست عند سعيد.

الرابعة عشرة: قوله «**واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر**» في رواية قتيبة وستأتي: قال سفيان وفي حديث غير عمرو قال: «وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شيء إلا حيي، فأصاب الحوت من ماء تلك العين، قال فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر» وفي رواية ابن جريج «إذ تَضَرَّب الحوت وموسى نائم» وعند مسلم «فاضطرب الحوت في الماء» ولا مغايرة بين هاتين الروايتين فإن الحوت اضطرب أولاً في المكتل حين أحس الحياة واضطرب ثانياً في البحر.

الخامسة عشرة: قوله «**وامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق**» في رواية ابن جريج « فأمسك الله عنه جرية البحر حتى كأن أثره في حجر قال لي عمرو هكذا كان أثره في حجر وحلق بين إبهاميه واللتين تليانهما » وعند مسلم والنسائي «وجعل لا يلتئم عليه إلا صار مثل الكوة».

قلت: والمعنى أن الله أمسك عن الحوت جريان الماء حتى صار كعقد البناء أو كالكوة كما في رواية مسلم وهي الفتحة في الجدار.

السادسة عشرة: قوله «**فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت**» عند مسلم والنسائي «فقال فتاه ألا ألحق بنبي الله ﷺ فأخبره، قال فنسي».

السابعة عشرة: قوله «**فانطلقا بقية يومهما وليلتهما**» يعني أن موسى ﷺ وفتاه سار من حين استيقاضهما هذه المسافة ويوضحه ما يأتي في المسألة:

الثامنة عشرة: قوله «**حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا**» وعند مسلم والنسائي «فلما تجاوزا».

التاسعة عشرة: قوله «**ولم يجد موسى النصب حتى جاوزا المكان الذي أمر الله به**» في رواية ابن جريج «قال قد قطع الله عنك النصب» ليست هذه عن سعيد» وعند مسلم والنسائي «فلما تجاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يصبه نصب حتى تجاوزا».

العشرون: قوله «**فقال له فتاه أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، واتخذ سبيله في البحر عجباً**».عند مسلم والنسائي «فتذكر فقال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة...الخ الآية».

سيأتي شرحها في أول الباب السابع عشر بعد المائتين.

الحادية والعشرون: قوله «**فكان للحوت سرباً، ولموسى ولفتاه عجباً**» في رواية قتيبة «فكان لفتاه عجبا وللحوت سربا» وإيضاح ذلك ما رواه ابن أبي حاتم من طريق قتادة «قال: عجب موسى أن تسرب حوت مملح في مكتل».

الثانية والعشرون: قوله «**فقال موسى ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا**» سيأتي شرحها ضمن الأثر الرابع من الباب السابع عشر بعد المائتين.

الثالثة والعشرون: قوله «**قال رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة**» والمعنى عاد موسى وفتاه قافلين من حيث أتيا متتبعين أثرهما وهذا يقتضي أن رجوعهما كان من نفس الطريق الذي سلكاه حتى عادا إلى مجمع

البحرين، ويزيده وضوحاً ما عند النسائي ومسلم «فأراه مكان الحوت فقال ها هنا وصف لي».

الرابعة والعشرون: قوله «**فإذا رجل مسجى ثوباً**» في رواية ابن جريج «فرجعا فوجدا خضراً قال لي عثمان بن أبي سليمان: على طنفسه خضراء على كبد البحر قال سعيد بن جبير مسجى بثوبه قد جعل طرفة تحتُ رجليه وطرفة تحت رأسه» وعند مسلم والنسائي «فإذا هو بالخضر مسجى ثوباً مستلقياً على القفا».

الخامسة والعشرون: قوله «**فسلم عليه موسى**» وعند مسلم والنسائي «فقال: السلام عليكم» وفيه دليل على أن ابتداء السلام من القادم على صاحب المكان، وأنه أعني السلام من السنن المتفق عليها بين شريعة محمد ﷺ وشرائع من قبله من الأنبياء.

السادسة والعشرون: قوله «**فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام**» في رواية ابن جريج «فكشف عن وجهه وقال: هل بأرضي من سلام» وعند مسلم والنسائي «فكشف الثوب عن وجهه فقال: وعليكم السلام من أنت».

قلت: وهذا الإستفهام دليل على استغراب الخضر السلام وأنه لم يعتد ذلك من أهل أرضه لأنهم قوم كفار.

السابعة والعشرون: قوله «**أنا موسى**» في رواية ابن جريج «من أنت؟ قال: أنا موسى» وكذا عند مسلم والنسائي.

قلت: فيه دليل على أن الخضر لم ير موسى من قبل ولم يعرف صفته.

الثامنة والعشرون: قوله «**قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم**» عند مسلم النسائي «ما جاء بك» وفي رواية ابن جريج «قال نعم، فما شأنك».

قلت: وسؤال الخضر هذا يقتضي أنه عنده علم بخبر موسى عليه الصلاة والسلام وأنه نبي بني إسرائيل وإنما استغرب مجيئه إليه في أرضه.

التاسعة والعشرون: قوله «**أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً**» في رواية قتيبة «هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً» ولا تعارض بينهما لجواز أن كلتا العبارتين قالها موسى واحدة بعد الأخرى، وذلك مبالغة في الطلب وإظهار الحاجة إلى ما عند الخضر.

الثلاثون: قوله «**يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه**» في رواية ابن جريج «أما يكفيك أن التوراة بيدك، وأن الوحي يأتيك...الخ».

قلت: فيه دليل على اعتراف الخضر بما اختص الله به موسى من الوحي والرسالة، وأن كلاً منهما قد أتاه الله من الخصائص ما ليس عند الآخر وأن الخضر ليس على شريعة موسى.

الحادية والثلاثون: قوله «**قال موسى: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً**» عند مسلم والنسائي «شيء أمرت أن أفعله إذا رأيتني لم تصبر».

قلت: ولهذا قطع موسى على نفسه الوعد بالصبر على اتباعه معلقاً وعده على مشيئة الله.

الثانية والثلاثون: قوله «**فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا**» وعند ابن جرير من طريق العوفيين عن ابن عباس «حتى أبين لك شأنه».

قلت: وهذا الخبر معناه صحيح وإن كان إسناده مسلسلاً عن الضعفاء.

الثالثة والثلاثون: قوله «**فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول**» في رواية قتيبة «فحملوهم في سفينتهم بغير نول ـ يقول بغير أجر ـ» وفي رواية ابن جريج «فقالوا عبد الله الصالح ـ قال قلنا لسعيد: خضر؟ قال نعم لا نحمله بأجر».

الرابعة والثلاثون: قوله «**فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد**

قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم» وفي رواية ابن جريج «فخرقها ووتد فيها وتداً» والجامع بين هذه ورواية الباب أنه قلع اللوح وجعل مكانه وتدا».

قال الحافظ: عند عبد بن حميد من رواية ابن المبارك عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم «جاء بود حين خرقها والود بفتح الواو وتشديد الدال لغة في الوتد» نقله في الفتح.

الخامسة والثلاثون: قوله «**قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً**» في رواية ابن جريج «قال مجاهد: منكراً» وفي رواية الربيع بن أنس عند ابن أبي حاتم «أن موسى لما رأى ذلك امتلأ غضباً وشدّ ثيابه وقال: أردت إهلاكهم، ستعلم أنك أول هالك، فقال له يوشع: ألا تذكر العهد، فأقبل عليه الخضر فقال: ألم أقل لك؟ فأدرك موسى الحلم فقال: لا تؤاخذني، وإن الخضر لما خلصوا قال لصاحب السفينة، إنما أردت الخير فحمدوا رأيه، وأصلحها الله على يده». حكاه الحافظ.

السادسة والثلاثون: قوله «**وكانت الأولى من موسى نسياناً**» في رواية ابن جريج «كانت الأولى نسياناً، والوسطى شرطاً، والثالثة عمداً».

قلت: الأولى قوله أخرقتها لتغرق أهلها ـ إلى قوله ـ لا تؤاخذني بما نسيت، والثانية قوله أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً ـ إلى قوله ـ إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً، والثالثة قوله في قصة الجدار لو شئت لاتخذت عليه أجراً قال هذا فراق بيني وبينك.

وعند ابن أبي حاتم من طريق الربيع بن أنس قال «قال الخضر لموسى إن عجلت عليّ في ثلاث فذلك حين أفارقك».

السابعة والثلاثون: قوله «**وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة**» في رواية ابن جريج أن الطائر نقر في البحر عقب قول الخضر لموسى ما يتعلق بعلمهما ولفظه «**فأخذ طائر بمنقاره من البحر فقال: وا لله ما**

علمي وما علمك...الخ».

والجمع بينهما بأن قوله «فأخذ طائر بمنقاره» متعقب بمحذوف وهو ركوبهما السفينة لتصريح رواية الباب بذلك، ويؤيده ما عند النسائي في التفسير من وجه آخر عن ابن عباس أن الخضر قال لموسى: «أتدري ما يقول هذا الطائر؟ قال: لا، قال: يقول: ما علمكما الذي تعلمان في علم الله إلا كمثل ما نقص بمنقاري من جميع هذا البحر».

الثامنة والثلاثون: قوله «**فبينا هما يمشيان على الساحل، إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله**» عند مسلم والنسائي «فانطلق إلى أحدهم بادي الرأي فقتله» وفي رواية ابن جريج «وجد غلماناً يلعبون، فأخذ غلاماً كافراً ظريفاً فأضجعه ثم ذبحه بالسكين».

قلت: فلا تعارض بين هذه الروايات لإمكان الجمع في قتل الغلام بين حز رأسه وقلعه.

التاسعة والثلاثون: قوله «**أقتلت نفسا زاكية بغير نفس...الخ الآية**» في رواية ابن جريج «**قال: أقتلت نفساً زكية لم تعمل بالحنث**» وكان ابن عباس يقرؤها "زكية زاكية مسلمة" كقولك غلاماً زكياً» وعند مسلم والنسائي «فقال رسول الله ﷺ عند هذا المكان: «رحمة الله علينا وعلى موسى، لولا عجل لرأى العجب، ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة».والذمامة هي الحياء والإشفاق من الذم واللوم.

الأربعون: قوله «**وهذا أشد من الأولى**» يعني هذا الأمر الذي هو قتل الغلام أشد من سابقته وهي خرق السفينة.

الحادية والأربعون: قوله «**فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها**».

قلت: فيه دليل على جواز السؤال عند الحاجة، وإنه لا غضاضة فيه، وإن

كان السائل شريفاً، كريماً.

الثانية والأربعون: قوله «**فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض**». يقول وجدا في القرية حائطاً يريد أن يسقط، ويقع. يقال منه انقضت الدار إذا انهدمت وسقطت.

الثالثة والأربعون: قوله «**مائل فقام الخضر فأقامه بيده**» في رواية ابن جريج «قال سعيد: بيده هكذا، ورفع يده فاستقام قال يعلى: حسبت أن سعيداً قال فمسحه بيده فاستقام».

الرابعة والأربعون: قوله «**قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا، لو شئت لاتخذت عليه أجراً**». في رواية ابن جريج «قال سعيد: أجراً نأكله».

قلت: وقوله «**ولم يطعمونا ولم يضيفونا**» سببان لاستحقاق مطالبة القوم بالأجرة على البناء. وقد عرفت آنفاً بخلهم ولؤمهم.

الخامسة والأربعون: قوله «**هذا فراق بيني وبينك - إلى قوله - ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً**».

قلت السياق: **﴿قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنزٌ لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك ان يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا﴾**.

قلت: وقد تبين من خلال هذه الآيات الخمس ما حمل الخضر على صنيعه في كل حادثة من هذه الحوادث الثلاث، وأنه لم يفعل ذلك من تلقاء نفسه بل بأمر الله.

السادسة والأربعون: قوله «**وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص ا لله علينا من خبرهما**».وددنا بفتح الواو وكسر الدال الأولى وسكون الثانية، أي أحببنا وتمنينا.

وقوله «**صبر حتى يقص ا لله علينا من خبرهما**» يعني إذ لو صبر نبي ا لله موسى على ما رأى من فعل صاحبه لرأى العجب من علم الخضر.

السابعة والأربعون: قوله «**قال سعيد بن جبير: فكان ابن عباس يقرأ: وكان أمامهم ملك**».

قلت: وكذا أخرجه ابن جرير عن ابن عيينة عن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: «أنه قرأ ذلك وكان أمامهم ملك».

قال ابن جرير بعد ذلك: وقد حمل بعض أهل المعرفة بكلام العرب "وراء" من حروف الأضداد، وزعم أنه يكون لما هو أمامه ولما خلفه، واستشهد لصحة ذلك بقول الشاعر:

أيرجوا بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا

بمعنى أمامي.

وقد قدمنا تفسير الوراء في سورة إبراهيم في الأثرالتاسع ضمن الباب السابع والثمانين بعد المائة.

الثامنة والأربعون: قوله «**يأخذ كل سفينة غصباً**».

قلت: عند النسائي في تفسير سورة الكهف من رواية عبد ا لله بن عبيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس «وفي قراءة أبي بن كعب: يأخذ كل سفينة صالحة غصباً».

وأخرج عبد الرزاق عن قتادة قال: «وفي حرف ابن مسعود: وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً» وفي رواية إبراهيم بن يسار عن سفيان «وكان ابن مسعود يقرأ: كل سفينة صحيحة غصباً».حكاها الحافظ في شرحه

للباب الذي بعده.

قلت: وقد اتفقت هذه الروايات على أن ذلك الملك الغاصب لا يأخذ إلا كل سفينة سليمة من العيوب.

التاسعة والأربعون: قوله «**وكان يقرأ: وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين**» وفي رواية ابن جريج «كان أبواه مؤمنين وكان كافراً».وعند مسلم والنسائي من رواية إبي إسحاق «وأما الغلام فطبع يوم طبع كافراً كان أبواه قد عطفا عليه».

من فقه الحديث:

أولاً: يجب على من سئل عن شيء لا يعلمه أن يرد علمه إلى ا لله.

ثانياً: فضيلة موسى ﷺ.

ثالثاً: فضيلة الخضر.

رابعاً: تواضع كل منهما لصاحبه.

خامساً: لا يعلم أحدٌ من الغيب حتى الأنبياء إلا ما علمه ا لله.

سادساً: أن الواعظ إذا أثّر وعظه في السامعين فخشعوا وبكوا ينبغي أن يخفف لئلا يملوا.

٢١٦ ـ باب ﴿فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا﴾].

ش: قوله ﴿**فلما بلغا مجمع بينهما**﴾ يعني تعالى ذكره: فلما بلغ موسى وفتاه مجمع البحرين.

قال مجاهد: بين البحرين.

وقوله ﴿**نسيا حوتهما**﴾ يعني بقوله نسيا، تركا.

وقوله ﴿**فاتخذ سبيله في البحر سربا**﴾.انتصاب سربا على أنه المفعول الثاني لاتخذ، أي اتخذ سبيلاً سرباً، والسرب النفق الذي يكون في الأرض للضب ونحوه من الحيوانات.

[مذهبا، سَرَبا يسرُب ويسلُكُ ومنه وساربٌ بالنهار].

ش: قاله أبو عبيدة.

٢٤٦ـ حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف، أن ابن جريج أخبرهم، قال: أخبرني يعلى بن مسلم وعمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير ـ يزيد أحدهما على صاحبه، وغيرهما قد سمعته يحدثه عن سعيد بن جبير ـ قال: « إنّا لعند ابن عباس في بيته إذ قال سلوني.قلت: أي أبا عبّاس، جعلني الله فداءك، بالكوفة رجل قاصٌ يقال له نوف يزعم أنه ليس بموسى بني إسرائيل.أما عمرو فقال لي: قال قد كذب عدوُّ الله: وأما يعلى فقال لي: قال ابن عباس حدثني أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: موسى رسول الله عليه السلام قال ذكّر الناس يوماً، حتى إذا فاضت العيون ورقت القلوب وَلّى، فأدركه رجل فقال: أي رسول الله، هل في الأرض أحدٌ أعلم منك؟ قال: لا.فعتب عليه إذ لم يَرُدَّ العلمَ إلى الله.قيل: بلى.قال: أي ربِّ فأينَ؟ قال: بمجمع البحرين.قال: أي ربِّ اجعلْ لي عَلَماً أعلمُ ذلك به.فقال لي عمرو: قال حيث يفارقك الحوت.وقال لي يعلى قال: خُذ نُوناً ميِّتاً حيث يُنفَخُ فيه

الرُّوح.فأخذ حوتاً فجعله في مِكْتَل، فقال لفتاه: لا أُكلّفكَ إلا أن تخبرني بحيث يفارقكَ الحوتُ.قال: ما كلفت كثيرا.فذلك قوله جل ذكره ﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾ يوشع بن نون ـ ليست عن سعيد ـ قال: فبينا هو في ظلّ صخرة في مكان ثَرْيانَ إذ تَضرَّب الحوتُ وموسى نائم؛ فقال فتاه: لا أوقظهُ.حتى إذا استيقظ نسي أن يخبره، وتضرب الحوت حتى دخل البحر، فأمسك ا لله عنه جرية البحر حتى كأنّ أثره في حجر.قال لي عمرٌو:هكذا كأن أثره في حجَر ـ وحلق بين إبهامَيه واللتين تَليانهما ـ ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾ قال قد قطع ا لله عنك النصب ـ ليست هذه عن سعيد ـ أخبره، فرجعا، فوجدا خضِراً.قال لي عثمان بن أبي سليمان: على طنفسة خضراء على كبد البحر، قال سعيدُ بن جبير: مُسَجًّى بثوبه قد جعل طَرَفهُ تحتَ رِجليه وطرفه تحتَ رأسِه، فسلّم عليه موسى، فكشف عن وجهه وقال: هل بأرضي من سلام؟ من أنت؟ قال: أنا موسى.قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم.قال: فما شأنك؟ قال: جئتُ لتعلّمني مما علّمت رشداً.قال: أما يكفيك أنَّ التوراةَ بيدَيك، وأنّ الوحي يأتيك؟ يا موسى إنَّ لي علماً لا ينبغي لك أن تَعْلَمَهُ، وإنَّ لك علماً لا ينبغي لي أن أعلمه.فأخذ طائرٌ بمنقارهِ من البحر، فقال: وا لله ما علمي وما علمك في جنب علم ا لله إلا كما أخذ هذا الطائرُ بمنقارهِ من البحر.حتى إذا ركبا في السفينة وَجدا مَعابرَ صغاراً تحملُ أهلَ هذا الساحلِ إلى أهل الساحل الآخر عرفوه، فقالوا: عبد ا لله الصالح ـ قال: قلنا لسعيد: خَضِرٌ؟ قال: نعم ـ لا نحمله بأجر، فخرقها ووتدَ فيها وتدا.قال موسى: أخرقتها لتغرق أهلها؟ لقد جئت شيئاً إمراً ـ قال مجاهد: منكراً ـ قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً؟ كانت الأولى نسياناً والوسطى شرطاً والثالثة عمداً.قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عُسرا.لقيا غلاماً فقتله.قال يعلى قال سعيد: وجد غلماناً يلعبون، فأخذ غلاماً كافراً ظريفا فأضجعه ثم ذبحه بالسكّين.قال: أقتلت نفساً

زكيةً بغير نفس لم تعمل بالحنث.وكان ابن عباس قرأها زَكيةً زاكية مسلمة كقولك غلاماً زَكيا فانطلقا فوجدا جداراً يريد أن ينقضَّ فأقامه، قال سعيد بيده هكذا ورفع يده فاستقام، قال يعلى حسبتُ أنّ سعيداً قال فمسحه بيده فاستقام.لو شئت لاتخذت عليه أجراً.قال سعيد: أجراً نأكلهُ.وكان وراءهم، وكان أمامهم ـ قرأها ابن عباس أمامهم ـ مَلِكٌ.[يزعمون عن غير سعيد أنه هُدَد بن بُدَد، والغلام المقتول اسمه يزعمون جيسور] مَلِكٌ يأخذ كل سفينة غصبا.فأردتُ إذا هي مرَّت به أن يدعها لعيبها، فإذا جاوزوا أصلحوها فانتفعوا بها.ومنهم من يقول سَدُّوها بقارورة، ومنهم من يقول بالقار.كان أبواه مؤمنين وكان كافراً، فخشينا أن يرهقهما طُغياناً وكفرا: أن يحملَهما حبّه على أن يُتابعاه على دينه، فأردنا أن يبدِّلهما ربُّهما خيراً منه زكاةً لقوله أقتلت نفساً زكية ـ وأقرب رُحما.:هما به أرحمُ منهما بالأول الذي قتلَ خَضِرٌ.وزعم غير سعيد أنهما أُبدِلا جارية.وأما داود بن أبي عاصم فقال عن غير واحد: إنها جارية ».

ش:فيه تسع مسائل:

الأولى: قوله «**وكان ابن عباس قرأها زكية زاكية مسلمة**»

قلت: هما قراءتان صحيحتان فالأولى قراءة الأكثر، والثانية قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

وقوله «**مسلمة**» تفسير لزكية زاكية ومراده أن تلك النفس معصومة.

الثانية: قوله «**يزعمون عن غير سعيد أنه هدد بن بدد**» القائل ذلك هو ابن جريج ومراده أن تسمية الملك الذي كان يأخذ السفن لم تقع في رواية سعيد وقد عزاه ابن خالويه في كتاب "ليس" لمجاهد.

وهدد في الروايات بضم الهاء وحكى ابن الأثير فتحها والدال مفتوحة، اتفاقاً.ووقع عند ابن مردويه بالميم بدل الهاء، وأبوه بدد بفتح الموحدة، وجاء في

تفسير مقاتل أن اسمه منولة بن الجلندي بن سعيد الأزدي، وقيل هو الجلندي وكان بجزيرة الأندلس.قاله في الفتح.

الثالثة: قوله «**والغلام المقتول اسمه يزعمون جيسور**» وكذا أخرجه ابن جرير عن وهب بن سليمان عن شعيب الجبئي » وفيه أقوال أخرى ذكرها الحافظ.

الرابعة: قوله «**فأردنا أن يبدّلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحما**» اختلفت القرّاء في قراءة ذلك فقرأه جماعة من قراء المكيين والمدنيين والبصريين ﴿**فأردنا أن يبدّلهما ربهما**﴾ بتشديد الدال، وقرأها عامة قراء الكوفة ﴿**فأردنا أن يبدلهما**﴾ بتخفيف الدال، وكان بعض من قرأ ذلك كذلك من أهل العربية يقول: أبدل يبدل بالتخفيف، وبدّل يبدّل بالتشديد بمعنى واحد، والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان متقاربتا المعنى قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.قاله ابن جرير.

الخامسة: قوله «**خير منه زكاة**» أي خيراً من الغلام الذي قتله صلاحاً وديناً.

السادسة: قوله «**وأقرب رحماً**» فسره بقوله هما به أرحم منهما بالأول الذي قتل الخضر وأخرج ابن جرير عن ابن جريج نحوه.

السابعة: قوله «**زعم غير سعيد أنهما أبدلا جارية**» في رواية الإسماعيلي من هذا الوجه، قال ويقال أيضاً عن سعيد بن جبير: أنها جارية، وللنسائي من طريق أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس «فأبدلهما ربهما خيرا منه زكاة قال: أبدلهما جارية فولدت نبيا من الأنبياء».

الثامنة: قوله «**داود بن أبي عاصم**» هو داود بن أبي عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي المكي، ثقة من الثالثة.أخرج له البخاري تعليقاً، وأبو داود، والنسائي.

التاسعة: قوله «**قال عن غير واحد أنها جارية**» **قلت:** هو قـول عمـرو بـن قيس ويعقوب بن عاصم وسعيد بن جبير وقال ابن جريج وقتادة: هو غلام مسلم أخرجهما ابن جرير.

فائدة في ترجمة الخضر ﷺ.

والخضر قد اختلف في اسمه وفي اسم أبيه وفي نسبه وفي نبوته وفي تعميره، فقال وهب بن منبه: هو **بليا** بفتح الموحدة وسكون اللام بعدها تحتانية، ووجد بخط الدمياطي في أول الاسم بنقطتين، وقيل كالأول بزيادة ألف بعد الباء، وقيل اسمه إلياس، وقيل اليسع، وقيل عامر، وقيل خضرون ـ والأول أثبت ـ ابن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ ابن أرفشخذ بن سام بن نوح، فعلى هذا فمولده قبل إبراهيم الخليل لأنه يكون ابن عم جد إبراهيم،.وقيل اسمه خضرون بن عاييل بن معمر بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم، وقيل كان أبوه فارسياً رواه الطبري من طريق عبد الله بن شوذب، وحكى ابن المظفر في تفسيره أنه كان من ذرية بعض من آمن بإبراهيم.

وحكى ابن عطية والبغوي عن أكثر أهل العلم أنه نبي، ثم اختلفوا هل هو رسول أم لا؟ وقالت طائفة منهم القشيري هو ولي.

وقال الطبري في تاريخه: كان الخضر في أيام أفريدون في قول عامة علماء الكتاب الأول، وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر.

وأخرج النقاش أخباراً كثيرة تدل على بقائه لا تقوم بشيء منها حجة قاله ابن عطية، قال: ولو كان باقياً لكان له في ابتداء الإسلام ظهور، ولم يثبت شيء من ذلك.

وقال القرطبي: هو نبي عند الجمهور والآية تشهد بذلك، لأن النبي ﷺ لا يتعلم ممن هو دونه، ولأن الحكم بالباطن لا يطلع عليه إلا الأنبياء.

والذي جزم بأنه غير موجود الآن البخاري، وإبراهيم الحربي، وأبو جعفر

بن المنادى، وأبو يعلى بن الفـراء، وأبـو طـاهر العبـادي، وأبـو بكـر بـن العربـي، وطائفة، وعمدتهم الحديث المشهور عن ابن عمر وجابر وغيرهما أن النبي ﷺ قال في آخر حياته: «لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم أحد» قال ابن عمر: أراد بذلك انخرام قرنه.

ومن حجج من أنكر ذلك قوله تعالى ﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلـد**﴾ وحديث ابن عباس «ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئـن بعـث محمـد وهـو حي ليؤمنن به ولينصرنه» أخرجه البخاري ولم يأت في خبر صحيح أنـه جـاء إلى النبي ﷺ ولا قاتل معه، وقد قال ﷺ: «رحم الله موسى لوددنا لو كان صبر حتـى يقص علينا من خبرهما» فلو كان الخضر موجوداً لما حسن هذا التمني ولأحضـره بين يديه وأراه العجائب وكان أدعى لإيمان الكفرة لا سيما أهل الكتاب.

٢١٧- [باب ﴿فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا، قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت﴾].

ش: تمامها ﴿**وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، واتخذ سبيله في البحر عجبا**﴾.

يقول تعالى ذكره ﴿**فلما جاوزا**﴾ موسى وفتاه مجمع البحرين قال موسى لفتاه يوشع: ﴿**آتنا غداءنا**﴾ يقول: جئنا بغدائنا واعطنا وقال ءاتنا غداءنا كما يقال أتى الغداء وأتيت مثل ذهب وأذهبته ﴿**لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً**﴾ يقول: لقد لقينا من سفرنا هذا عناءً وتعبا.وقال ذلك موسى فيما ذكر بعدما جاوز الصخرة حين ألقي عليه الجوع ليتذكر الحوت ويرجع إلى موضع مطلبه وقوله ﴿**أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت**﴾ يقول تعالى ذكره قال فتى موسى لموسى حين قال له أتنا غداءنا لنطعم أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت هنالك ﴿**وما أنسانيه إلا الشيطان**﴾ يقول وما أنساني الحوت إلا الشيطان أن أذكره "فأن" في موضع نصب رداً على الحوت وقوله ﴿**واتخذ سبيله في البحر عجبا**﴾ انتصاب عجبا على أنه المفعول الثاني كما مرّ في سربا والظرف في محل نصب على الحال يحتمل أن يكون هذا من كلام يوشع أخبر موسى أن الحوت اتخذ سبيله عجبا للناس وموضع التعجب أن يحيا حوت قد مات وأكل شقه، ثم يثب إلى البحر ويبقى أثر جريته في الماء لا يمحو أثرها جريان ماء البحر ويحتمل أن يكون من كلام ا لله سبحانه لبيان طرف آخر من أمر الحوت فيكون ما بين الكلامين إعتراضاً.اهـ من ابن جرير.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [﴿**صنعا**﴾ **عملا**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: والصنع والصنعة والصنيع واحد.

والآية المشار إليها: ﴿**قل هل أنبؤكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل**

سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾

٢- [**﴿حِوَلا﴾ تحولا**].

ش: قال أبو عبيدة: أي لا يريدون ولا يحبون عنها تحولاً.

والآية المشار إليها: **﴿خالدين فيها لا يبغون عنها حولا﴾**.

٣- [**﴿قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثرهما قصصا﴾**].

ش: يقول تعالى ذكره فقال موسى لفتاه **﴿ذلك ﴾** يعني بذلك نسيانك الحوت **﴿ما كنا نبغ﴾** يقول الذي كنا نلتمس ونطلب، لأن موسى كان قيل له صاحبك الذي تريده حيث تنسى الحوت.

وقوله **﴿فارتدا على أثارهما قصصا﴾** يقول: فرجعا في الطريق الذي كانا قطعاه ناكصين على أدبارهما يقصان آثارهما التي كانا سلكاها.

٤- [**﴿إمرا﴾ و ﴿نكرا﴾ داهية**].

ش: قاله أبو عبيدة وأشار بالكلمةالأولى إلى الآية الحادية والسبعين وبالكلمة الثانية إلى الآية الرابعة والسبعين.

٥- [**﴿ينقض﴾ ينقاض كما تنقاض السن**].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه يقع يقال نقضت الدار إذا انهدمت وسقطت وقرأ قوم أن ينقاض ومجازه أن يتقلع من أصله ويتصدع بمنزلة قولهم انقاضت السِّن أي: انصدعت وتقلعت من أصلها.اهـ.

قلت: وحكى هذه القراءة ابن جرير عن يحيى بن يعمر.

٦- [**﴿لَتخِذْتَ﴾ ﴿واتّخذت﴾ واحد**].

ش: حكى القراءتين ابن جرير فقال: قرأته عامة قراء أهل المدينة والكوفة **﴿لو شئت لتخذت﴾**، وقرأه بعض أهل البصرة **﴿لو شئت لتخذت﴾** بتخفيف التاء وكسر الخاء.

والآية المشار إليها: **﴿فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا**

أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لتخذت عليه أجرا﴾.

٧- [﴿رُحْما﴾ من الرحم وهي أشد مبالغة من الرحمة ونظن أنه من الرحيم وتدعى مكة أم رُحم أي الرحمة تنزل بها].

ش: حاصل كلامه أن رحماً من الرحم التي هي القرابة وهي أبلغ من الرحمة التي هي رقة القلب لأنها تستلزمها غالبا من غير عكس.

وقوله ويظن مبني للمجهول، وقوله مشتق من الرحمة أي التي أشتق منها الرحيم وقوله أم الرحم بضم الراء والسكون وذلك لتنزل الرحمة بها ففيه تقوية لما اختاره من أن الرحم من القرابة لا من الرقة.أهـ من الفتح.

٢٤٧- حدثني قتيبة بن سعيد، حدثني سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير، قال: « قلت لابن عباس إنّ نوفاً البكالي يزعم أن موسى بني اسرائيل ليس بموسى الخضر، فقال: كذب عدو ا لله، حدثنا أبيّ بن كعب عن رسول ا لله ﷺ قال: قام موسى خطيباً في بني إسرائيل، فقيل له: أيُّ الناس أعلم؟ قال: أنا، فعتب ا لله عليه إذ لم يرد العلم إليه، وأوحى إليه: بلى عبدٌ من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال : أي ربِّ كيف السبيل إليه؟ قال: تأخذ حوتاً في مكتل، فحيثما فقدت الحوت فاتبعه قال: فخرج موسى ومعه فتاه يوشع بن نون ومعهما الحوت، حتى انتهيا إلى الصخرة فنزلا عندها، قال فوضع موسى رأسه فنام.قال سفيان: وفي حديث غير عمرو قال: وفي أصل الصخرة عينٌ يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شيء إلا حَيي، فاصاب الحوت من ماء تلك العين، قال: فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر، فلما استيقظ موسى قال لفتاه: آتنا غداءنا.الآية.قال ولم يجد النصب حتى جاوز ما أمر به.قال له فتاه يوشع بن نون: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت...الآية.قال فرجعا يقصان في آثارهما، فوجدا في البحر

كالطاق ممر الحوت، فكان لفتاه عجبا، وللحوت سرباً.قال: فلما انتهيا إلى الصخرة إذ هما برجل مسجًّى بثوب، فسلم عليه موسى، قال: وأنى بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم.قال: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا؟ قال له الخضر: يا موسى، إنك على علم من علم ا لله علّمكه ا لله لا أعلمه، وأنا على علم من علم ا لله علمنيه ا لله لا تعلمه.قال: بل أتبعك.قال: فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا.فانطلقا يمشيان على الساحل، فمرت بهما سفينة، فعُرف الخضر، فحملوهم في سفينتهم بغير نول ـ يقول بغير أجر ـ فركبا السفينة، قال ووقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقاره في البحر، فقال الخضر لموسى: ما علمك وعلمي وعلم الخلائق في علم ا لله إلا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره.قال: فلم يفجأ موسى إذ عمد الخضر إلى قدوم فخرق السفينة، فقال له موسى: قومٌ حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها، لقد جئت..الآية.فانطلقا، إذا هما بغلام يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر برأسه فقطعه، قال له موسى: أقتلت نفساً زكية بغير نفس؟ لقد جئت شيئاً نكراً قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ـ إلى قوله ـ فأبوا أن يضيفوهما، فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض، فقال بيده هكذا فأقامه، فقال له موسى: إنا دخلنا هذه القرية فلم يضيفونا ولم يطعمونا، لو شئت لاتخذت عليه أجراً.قال: هذا فراق بيني وبينك، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً.فقال رسول ا لله ﷺ: وددنا أن موسى صبر حتى يقص علينا من أمرهما. قال وكان ابن عباس يقرأ: وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً، وأما الغلام فكان كافراً».

تقدم شرحه مستوفى في البابين قبله.

٢١٨- [باب ﴿**قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً**﴾].

ش: تمام السياق ﴿**الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً**﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿قل﴾ يا محمد لهؤلاء الذين يبغون عنتك ويجادلونك بالباطل، ويحاورونك بالمسائل من أهل الكتابين: اليهود والنصارى ﴿**هل ننبئكم**﴾ أيها القوم ﴿**بالأخسرين أعمالا**﴾ يعني بالذين أتعبوا أنفسهم في عمل يبغون به ربحا وفضلاً، فنالوا به عطباً وهلاكاً ولم يدركوا طلباً كالمشتري سلعة يرجو بها فضلا وربحا فخاب رجاؤه وخسر بيعه ووكس في الذي رجا فضله.

وقوله ﴿**الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا**﴾ يقول هم الذين لم يكن عملهم الذي عملوه في حياتهم الدنيا على هدى واستقامة بل كان على جور وضلال وذلك أنهم عملوا بغير ما أمرهم الله به بل على كفر منهم به.

وقوله ﴿**وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا**﴾ يقول وهم يظنون أنهم بفعلهم ذلك لله مطيعون. وفيما ندب عباده إليه مجتهدون وهذا من أدل الدلائل على خطأ قول من زعم أنه لا يكفر بالله أحد إلا من حيث يقصد إلى الكفر. بعد العلم بوحدانيته وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآية أن سعيهم الذي سعوا في الدنيا ذهب ضلالة وقد كانوا يحسبون أنهم يحسنون في صنعهم ذلك وأخبر عنهم أنهم هم الذين كفروا بآيات ربهم ولو كان القول كما قال الذين زعموا أنه لا يكفر بالله أحد إلا من حيث يعلم لوجب أن يكون هؤلاء القوم في عملهم الذي اخبر الله عنهم أنهم كانوا يحسبون فيه أنهم يحسنون صنعاً كانوا مثابين مأجورين ولكن القول بخلاف ما قالوا. فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم بالله كفرة وأن أعمالهم حابطة. قاله أبن جرير.

فائدة:

قال ابن القيم: «وهذا حال أرباب الأعمال التي كانت لغير الله عزوجل، أو على غير سنة رسول الله ﷺ، وحال أرباب العلوم والأنظار التي لم يتلقوها عن مشكاة النبوة، ولكن تلقوها عن زبالة أذهان الرجال وكناسة أفكارهم، فاتبعوا قواهم وأفكارهم وأذهانهم في تقرير أراء الرجال، والانتصار لهم، وفهم ما قالوه وبثه في المجالس والمحاضر، وأعرضوا عما جاء به الرسول ﷺ صفحاً، ومن به رمق منهم يعيره أدنى التفات طلبا للفضيلة، وأما تجريد اتباعه وتحكيمه وتفريغ قوى النفس في طلبه وفهمه، وعرض آراء الرجال عليه ورد ما يخالفه منها وقبول ما وافقه، ولا يلتفت إلى شيء من آرائهم وأقوالهم إلا إذا أشرقت عليها شمس الوحي، وشهد لها بالصحة، فهذا أمر لا تكاد ترى أحداً منهم يحدث به نفسه، فضلا عن أن يكون أخيته ومطلوبه، وهذا الذي لا ينجى سواه فوارحمتا لعبد شقي في طلب العلم، واستفرغ فيه قواه، واستنفد فيه أوقاته، وآثره على ما الناس فيه، والطريق بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسدود، وقلبه عن المرسل سبحانه وتعالى وتوحيده والإنابة إليه والتوكل عليه والتنعم بحبه والسرور بقربه مطرود، ومصدود، وقد طاف عمره كله على أبواب المذاهب فلم يفز إلا بأخس المطالب. سبحان الله وإن هي والله إلا فتنة أعمت القلوب عن مواقع رشدها، وحيرت العقول عن طرق قصدها».

٢٤٨ـ حدثني محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن مصعب[١] بن سعد قال: «سألت أبي[٢] ﴿قل هل ننبئكم

---

(١) هو أبو زرارة مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني، ثقة من الثالثة أرسل عن عكرمة بن أبي جهل مات سنة ثلاث ومائة.ع.

(٢) هو أبو إسحاق سعد بن مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري أحد العشرة وأول من رمي بسهم في سبيل الله، ومناقبه كثيرة، مات بالعقيق سنة خمس وخمسين على المشهور وهو آخر العشرة وفاة.ع.

بالأخسرين أعمالا﴾ هم الحرورية؟ قال: لا..هم اليهود والنصارى، أما اليهود فكذّبوا محمد ﷺ وأما النصارى: كفروا بالجنة وقالوا: لا طعام فيها ولا شراب، والحرورية: الذين ينقضون عهد ا لله من بعد ميثاقه ».وكان سعد يسميهم الفاسقين.

ش: فيه ست مسائل:

الأولى: قوله «**سألت أبي**» كذا أخرجه ابن جرير من هذا الوجه، وعند النسائي في تفسير سورة الكهف من رواية يزيد بن هارون عن شعبة «سأل رجل أبي»، ويبدو لي والعلم عند ا لله أن سؤال سعد عن هذه الآية وقع مرتين أحداهما من ولده مصعب والأخرى من غيره وحكاهما مصعب.

الثانية: قوله «**هم الحرورية**» نسبة إلى حروراء وهي قرية قرب الكوفة ظهر فيها الخوارج على عليّ ثم صار هذا الوصف لازماً لكل خارجي.

قال الحافظ: «ولابن مردويه من طريق حصين بن مصعب: «لما خرجت لحرورية...» ولعل هذا هو السبب في سؤال مصعب أباه عن ذلك، وليس الذي قاله عليّ ببعيد لأن اللفظ يتناوله وإن كان السبب مخصوصاً» انتهى من الفتح.

قلت: وخسران الخوارج واقع بمجانبتهم النص والإجماع في تكفير الفاسق المللّي وإشهار السيف على من ولي أمر المسلمين لفسقه.

الثالثة: قوله: «**لا.. هم اليهود والنصارى**» **قلت:** واعلم أن أهل العلم بالتأويل اختلفوا في المعنيّ بهذه الآية من هم على أقوال ثلاثة:

أحدها: أنهم الرهبان والقسس، وبه قال علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص.

وثانيها: أنهم جميع أهل الكتابين، وبه قال علي وسعد في الرواية الثانية عنهما وهو موافق لرواية الباب.

وثالثها: أنهم الخوارج وبه قال علي في الرواية الثالثة عنه.

حكى هذه الأقوال ابن جرير واختـار أنها عامة في كل من عمل عملاً يحسبه فيه مصيباً وهو بفعله ذلك مسخطاً لله.

الرابعة: قوله «**أما اليهود فكذبوا محمدا ﷺ**».

قلت: من ذلك ما أخبر الله عنهم بقوله ﴿**ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، فلعنة الله على الكافرين**﴾.

قال ابن عباس وأبو العالية، وسعيد بن جبير وغير واحد من أهل التفسير قالوا إنها في اليهود.

قلت: والآيات في تكذيب اليهود رسول الله ﷺ أشهر من أن تذكر ومتواتر السنة أشهر من أن يحصر.

الخامسة: قوله «**وأما النصارى كفروا بالجنة وقالوا ليس فيها طعام ولا شراب**» في رواية ابن أبي حاتم من طريق عمرو بن مرة عن مصعب قال هم عباد النصارى قالوا ليس في الجنة طعام ولا شراب.

السادسة: قوله: «**والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه وكان سعد يسميهم الفاسقين**».

قلت: هذا دليل على أن سعداً رضي الله عنه لا يرى كفر الخوارج وعلى ذلك أجمع أهل السنة والجماعة وعدوهم في أهل الأهواء.

قال ابن المبارك: أصل اثنين وسبعين هوى، أربعة أهواء: فمن هذه الأربعة أهواء إنشعبت هذه الاثنان وسبعون هوى، القدرية والمرجئة والشيعة والخوارج نقله البربهاري في شرح السنة.

٢١٩- [باب ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم﴾].

ش: تمامها **﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾**.

قوله **﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه﴾** أي جحدوا آيات الله في الدنيا وبراهينه التي أقام على وحدانيته، وصدق رسله وكذبوا بالله والآخرة.

وقوله **﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾** أي لا نثقل موازينهم لأنها خالية عن الخير.اهـ من ابن كثير.

٢٤٩- حدثنا محمد بن عبد الله، حدثنا سعيد بن أبي مريم، أخبرنا المغيرة، قال: حدثني أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا إن شئتم ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾.

وعن يحيى بن بكير، عن المغيرة بن عبد الرحمن، عن أبي الزناد مثله.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين**» قال الحافظ وعند ابن مردويه من وجه آخر عن أبي هريرة «**الطويل العظيم الأكول الشروب**» حكاه في الفتح.

الثانية: قوله «**لا يزن عند الله جناح بعوضة**» فيه دليل على وقوع الوزن على الأشخاص، وفي المسند عن ابن مسعود ﷺ: أنه كان يجني سواكاً من الآراك وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه فقال رسول الله ﷺ: مم تضحكون؟ قالوا يا نبي الله من دقة ساقيه، فقال: والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد»

واعلم أن الميزان يوم القيامة ثابت بالكتاب والسنة، وإجماع أهل الحق قال الله تعالى:**﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً، وإن كان**

مثقال حبة من خردل أتينا بها، وكفى بنا حاسبين﴾.

وقال تعالى: ﴿**فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون**﴾.

وأحاديثه متواترة ومنها غير حديث الباب، وحديث ابن مسعود المتقدم، ما رواه أحمد والحاكم وغيرهما عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مد البصر».الحديث وفيه «فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم».

قلت: ولا تعارض بين هذه الأخبار وما في معناها فإن الوزن يكون للعمل والعامل وصحيفة العمل.ولم ينكره إلا المعتزلة وفسروا الميزان بالعدل وما تقدم من الأدلة وما في معناها حجة عليهم.والنصوص صريحة بأنه ميزان على حقيقته وله كفتان.

وما أحسن ما قاله ابن أبي العز وهو يشرح قول الطحاوي: «ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان»اهـ.

حيث قال ابن أبي العز ـ رحمه الله ـ (ص ٤١٩):

«فعلينا الإيمان بالغيب، كما أخبرنا الصادق ﷺ من غير زيادة ولا نقصان ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع لخفاء الحكمة عليه ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزنا، ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله لجميع عباده فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك

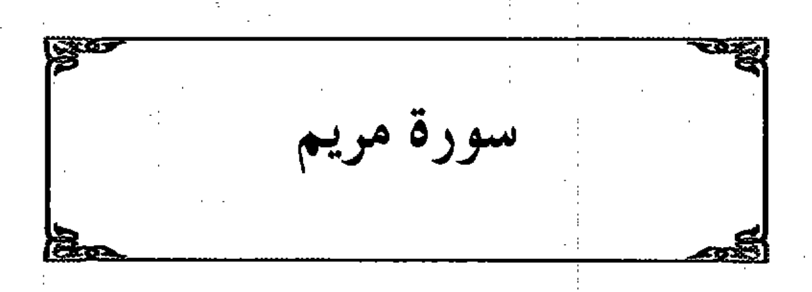
من حكم مالا اطلاع عليه»اهـ.

الثالثة: قوله «**اقرؤوا إن شئتم ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾**».

هذا يحتمل أن يكون من كلام النبي ﷺ، ويحتمل أن يكون من كلام الصحابي، فهو على الأول نص بأن ذلك الموزون من الكفار وعلى الثاني فهو استدلال من الصحابي بالآية على ما فهمه من أنه الكافر.وظاهر الآية يقتضي ذلك وا لله أعلم.

وقول البخاري «**وعن يحيى بن بكير، عن المغيرة بن عبد الرحمن، عن أبي الزناد مثله**» هو معطوف على سعيد بن أبي مريم والتقدير حدثنا محمد بن عبد ا لله عن سعيد بن أبي مريم وعن يحيى بن بكير، وبهذا جزم أبو مسعود، ويحيى بن بكير هو ابن عبد ا لله بن بكير نسب لجده وهو من شيوخ البخاري أيضاً، وربما أدخل بينهما واسطة كهذا، وجوَّز غير أبي مسعود أن تكون طريق يحيى هذه معلقة، وقد وصلها مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، حدثني أبو بكر بن إسحاق، حدثنا يحيى بن بكير، حدثني المغيرة يعني الحزامي، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة فذكره.

آخر تفسير سورة الكهف والحمد لله.



سورة مريم

٢٢٠ـ باب سورة مريم بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿**واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً**﴾.

وقد روى محمد بن إسحاق في السيرة من حديث أم سلمة وأحمد بن حنبل عن ابن مسعود في قصة الهجرة إلى أرض الحبشة من مكة أن جعفر بن أبي طالب ﷺ قرأ هذه السورة على النجاشي وأصحابه وحديث ابن مسعود المتقدم في سورة بني إسرائيل.

قال ابن عباس: أنزلت بمكة سورة كهيعص، أخرجه النحاس وابن مردويه.

عدد آياتها ثمان وتسعون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ـ [قال ابن عباس ﴿أسمع بهم وأبصر﴾ الله يقوله، وهم اليوم لا يسمعون ولا يبصرون].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس. حكاه في الفتح.

قلت: وأخرجه ابن جرير عن قتادة بلفظ «ذاك والله يوم القيامة، سمعوا حين لا ينفعهم السمع وأبصروا حين لا ينفعهم البصر».

وعن ابن زيد بلفظ «هذا يوم القيامة، فأما الدنيا فلا. كانت على أبصارهم غشاوة، وفي آذانهم وقر في الدنيا، فلما كان يوم القيامة أبصروا وسمعوا فلم ينتفعوا».

٢ـ [﴿في ضلال مبين﴾ يعني قوله ﴿أسمع بهم وأبصر﴾ الكفار يومئذ أسمع شيء وأبصره].

ش: وصله ابن أبي حاتم من الطريق السابق، وأخرجه عبد الرزاق قال: أنا معمر عن قتادة «في قوله تعالى **﴿أسمع بهم وأبصر﴾** قال: أسمع قوم وأبصرهم».

والآية المشار إليها: **﴿أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين﴾**.

٣ـ [﴿لأرجمنك﴾ لأشتمنك].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن جريج قال بالقول لأشتمنك.

وأخرج عن السدي نحوه.

ووصله ابن أبي حاتم بالإسناد السابق عن ابن عباس بلفظ المصنف.

والآية المشار إليها: **﴿قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا﴾**.

٤ـ [﴿ورئيا﴾ منظراً].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وقال الحسن «الرئي» المال، وقال قتادة: أكثر أموالاً.أخرجهما ابن جرير أيضاً.

والآية المشار إليها: **﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورءياً﴾**.

٥- [**وقال أبو وائل: علمت مريم أن التقي ذو نهيه حتى قالت ﴿إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا﴾**].

ش: وصله عبد بن حميد من طريق عاصم قال: «قرأ أبو وائل **﴿إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا﴾** قال لقد علمت...الخ» فذكره.حكاه في الفتح.

وأخرجه ابن جرير عن ابن زيد كلفظ المصنف.

والآية المشار إليها: **﴿قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً﴾**.

٦- [**وقال ابن عيينة: ﴿تؤزهم أزا﴾ تزعجهم إلى المعاصي إزعاجاً**].

ش: كذا هو في تفسير ابن عيينة.

وأخرجه ابن جرير عن قتادة وقال ابن عباس والضحاك: تغريهم إغراء.أخرجه عنهم ابن جرير.

والآية المشار إليها: **﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً﴾**.

٧- [**وقال مجاهد: ﴿لداً﴾ عوجاً**].

ش: وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله.قاله الحافظ.

قلت: وأخرج ابن جرير حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم، ثنا عيسى، وحدثني الحارث، ثنا الحسن، ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله **﴿لداً﴾** قال: لا يستقيمون.والعبارتان متفقتان في المعنى.

وأخرج عنه من طريق ليث قال: فجاراً ظلمة».وأخرج هذا المعنى أيضاً عن ابن عباس وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها: ﴿**فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً**﴾.

٨- [**قال ابن عباس: ﴿وردا﴾ عطاشاً**].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثني علي، ثني عبد الله، ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس فذكره.

كما أخرجه عن أبي هريرة والحسن وسفيان، وأخرج عن قتادة نحوه.

والآية المشار إليها: ﴿**ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً**﴾.

٩-[**﴿أثاثاً﴾ مالاً**].

ش: أخرجه ابن جرير بهذا اللفظ عن ابن عباس، وأخرج عن الحسن: الأثاث أحسن المتاع.

وقال مجاهد: المتاع، وقال أبو عبيدة مثل قول الحسن ومجاهد، وزاد: وهو جيد المتاع.

وقد سبقت الآية المشار إليها ضمن الأثر الرابع.

١٠- [**﴿إداً﴾ قولاً عظيماً**].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثني علي، ثنا عبد الله، ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس فذكره.وأخرجه أيضاً عن مجاهد وقتادة.

والآية المشار إليها: ﴿**وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إداً**﴾.

١١- [**﴿ركزاً﴾ صوتاً**].

ش: أخرجه ابن جرير بالإسناد السابق عن ابن عباس.وأخرجه أيضاً عن قتادة والضحاك.

والآية المشار إليها: ﴿**وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد**

أو تسمع لهم ركزاً﴾.

١٢- [**وقال مجاهد: ﴿فليمدد﴾ فليدعه**].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثني محمد بن عمرو، ثنا أبو عاصم، ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد بلفظ «فليدعه الله في طغيانه».

والآية المشار إليها: **﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً﴾.**

١٣- [**﴿غياً﴾ خسراناً**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي، ثنا عبد الله، ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس فذكره.

وهو **أحد** أقوال ثلاثة حكاها عن أهل التفسير.

وثانيها: أنه اسم واد من أودية جهنم، أو بئر من آبارها وهو قول عبد الله بن عمرو وابن مسعود.

وثالثها: أنه بمعنى الشر وبه قال ابن زيد.ثم قال ابن جرير بعد حكاية هذه الأقوال: وكل هذه الأقوال متقاربات المعاني، وذلك أن من ورد البئرين اللتين ذكرهما النبي ﷺ والوادي الذي ذكره ابن مسعود في جهنم، فقد لاقى خسراناً وشراً حسبه به شراً.

والآية المشار إليها: **﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً﴾.**

١٤- [**﴿بُكِيّاً﴾ جماعة باك**].

ش: قال أبو عبيدة: جمع باك.

والآية المشار إليها: **﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً﴾.**

١٥- [﴿صِلِيّا﴾ صَلَي يصلَى].

ش: قال أبو عبيدة: «مصدر صليت تصلي، خرج مخرج فعلت فعولا، ولا يظهرون في هذا أيضاً الواو».اهـ

قلت: فعلى هذا فأصل الكلمة «صلوى»، اجتمعت الواو والياء في كلمة واحدة فسبقت أحداهما بالسكون فقلبت الواو ياءً.

والآية المشار إليها: **﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا﴾**.

١٦- [**﴿ندياً﴾ والنادي واحد مجلساً**].

ش: قاله أبو عبيدة مع تقديم وتأخير.

قلت: وفسر الندي بالمجلس كل من ابن عباس ومجاهد وقتادة.أخرجه عنهم ابن جرير.

والآية المشار إليها: **﴿وإذا تتلى عليهم ءاياتنا بينات قال الذين كفروا للذين ءامنوا أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً﴾**.

٢٢١- [باب ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾].

ش: تمامها: ﴿إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾.

قوله ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وأنذر يا محمد هؤلاء المشركين بالله يوم حسرتهم وندمهم، على ما فرطوا في جنب الله، وأورثت مساكنهم من الجنة أهل الإيمان بالله والطاعة له، وأدخلوهم مساكن أهل الإيمان بالله من النار، وأيقن الفريقان بالخلود الدائم، والحياة التي لا موت بعدها، فيا لها حسرة وندامة» اهـ من ابن جرير.

وقوله ﴿إذ قضي الأمر﴾ الآية أي فصل بين أهل الجنة وأهل النار، ودخل كل إلى ما صار إليه فخلد فيه. ﴿وهم﴾ أي اليوم. ﴿في غفلة﴾ عما أنذروا به. ﴿وهم لا يؤمنون﴾ أي لا يصدقون به».اهـ من ابن كثير.

٤٥٠- ثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش،حدثنا أبو صالح، عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة - (وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا) - وهم لا يؤمنون﴾.

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «**يؤتى بالموت**» وعند النسائي في باب ﴿**وأنذرهم يوم الحسرة**﴾ من طريق الأعمش «إذا دخل أهل النار، النار وأدخل أهل الجنة، الجنة يجاء بالموت» فبان بهذا بأن الإتيان به بعد دخول كل من الفريقين مأواه، ويدل له ما رواه المصنف في باب صفة الجنة والنار من الرقاق عن ابن عمر أن النبي ﷺ

قال: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت».

الثانية: قوله «**كهيئة كبش أملح**» عند مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها من رواية أبي معاوية، والترمذي من رواية النضر بن إسماعيل، والنسائي من رواية محمد ـ غير منسوب ـ «كأنه كبش أملح» وزاد الترمذي «حتى يوقف على السور»، والأملح قيل هو الأبيض الخالص، وقيل هو الذي فيه بياض وسواد، وبياضه أكثر.

الثالثة: قوله «**فينادي مناد**» وعند المصنف في باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب من الرقاق «ثم يقوم مؤذن بينهم».

الرابعة: قوله «**فيشرئبون**» أي يرفعون رؤوسهم إلى المنادي.

الخامسة: قوله «**وكلهم قد رآه**» أي عاين الموت وأبصره ويظهر أن ذلك كان قبل النداء بدليل قوله قبل «هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم هذا الموت».

السادسة: قوله «**فيذبح**» عند الترمذي «فيضجع فيذبح».

قلت: ويظهر أن مكان هذا الذبح على سور بين الجنة والنار ويدل له ما قدمناه من رواية الترمذي في المسألة الثانية «حتى يوقف على السور بين الجنة والنار».

السابعة: قوله «**يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت**» عند المصنف في الرقاق من حديث ابن عمر «يا أهل الجنة لا موت، يا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم». وعند الترمذي من رواية النضر بن إسماعيل «فلولا أن الله قضى لأهل الجنة الحياة فيها والبقاء لماتوا فرحاً، ولولا أن الله قضى لأهل النار الحياة فيها والبقاء لماتوا ترحا».

قال مقيده: واعلم هدانا الله وإياك إلى صواب الأقوال والأعمال أن المقضي عليه بالخلود في النار هم الكفار وليس عموم العصاة، ويؤيده ما رواه

أحمد ومسلم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس - أو كما قال - تصيبهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فيميتهم إماتة حتى إذا صاروا فحماً أذن في الشفاعة».

قلت: والأخبار في هذا الباب متواترة وهي حجة على أن الفاسق الملي لا يخلد في النار إذا دخلها.

الثامنة: قوله «**ثم قرأ ﴿وأنذرهم﴾**»

قلت: القارئ هو النبي ﷺ، ويؤيده ما جاء عند الترمذي وفيه «قرأ رسول الله ﷺ **﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾**».

فائدة:

قال ابن القيم رحمه الله:

«وهذا الكبش والإضجاع، والذبح ومعاينة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحاً.وقال: الموت عرض والعرض لا يتجسم فضلاً عن أن يذبح وهذا لا يصح؛ فإن الله سبحانه ينشئ من الموت صورة كبش يذبح كما ينشئ من الأعمال صوراً معاينة يثاب بها ويعاقب والله تعالى ينشئ من الأعراض أجساماً تكون الأعراض مادة لها وينشئ من الأجسام أعراضاً، كما ينشئ سبحانه من الأعراض أعراضاً ومن الأجسام أجساماً.

فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرب تبارك وتعالى ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين ولا شيئاً من المحال ولا حاجة إلى تكلف من قال: إن الذبح لملك الموت.فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله والتأويل الباطل الذي لا يوجبه عقل ولا نقل، وسببه قلة الفهم لمراد الرسول ﷺ من كلامه، فظن هذا القائل أن لفظ الحديث يدل على أن نفس العرض تذبح.

وظن غالط آخر أن العرض يعدم ويزول ويصير مكانه جسم يذبح، ولم

يهتد الفريقان إلى هذا القول الذي ذكرناه وأن ا لله سبحانه ينشئ من الأعراض أجساماً يجعلها مادة لها، كما في الصحيح عنه ﷺ «تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان» الحديث.فهذه هي القراءة التي ينشئها ا لله سبحانه غمامتين.

وكذلك قوله في الحديث الآخر: «إن ما تذكرون من جلال ا لله من تسبيحه وتحميده وتهليله يتعاطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل يذكرن بصاحبهن».ذكره أحمد.

وكذلك قوله في حديث عذاب القبر ونعيمه للصورة التي يراها: «فيقول من أنت؟ فيقول أنا عملك الصالح وأنا عملك السيء».وهذا حقيقة لا خيال، ولكن ا لله أنشأ له من عمله صورة حسنة وصورة قبيحة، وهل النور الذي يقسم بين المؤمنين يوم القيامة إلا نفس إيمانهم أنشأ ا لله سبحانه لهم منه نوراً يسعى بين أيديهم فهذا أمر معقول لو لم يرد به النص، فورود النص به من باب تطابق السمع والعقل.

وقال سعيد عن قتادة: بلغنا أن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة وبشارة حسنة فيقول له: من أنت؟ فوا لله إني لأراك امرأ الصدق فيقول له: أنا عملك، فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة.وأما الكافر إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة وبشارة سيئة فيقول: ما أنت؟ فوا لله إني لأراك امرأ السوء فيقول له: أنا عملك فينطلق به حتى يدخل النار» وقال مجاهد مثل ذلك وقال ابن جريج: يمثل له عمله في صورة حسنة وريح طيبة، يعارض صاحبه ويبشره بكل خير، فيقول له: من أنت؟ فيقول له: أنا عملك فيجعل له نوراً بين يديه حتى يدخله الجنة فذلك قوله: ﴿**يهديهم ربهم بإيمانهم**﴾.

والكافر يمثل له عمله في صورة سيئة وريح منتنة فيلازم صاحبه ويلاده حتى

يقذفه في النار.

وقال ابن المبارك: ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن أنه ذكر هذه الآية ﴿**أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين**﴾ قال: علموا أن كل نعيم بعده الموت أنه يقطعه فقالوا: أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين؟ قيل: لا، قالوا: إن هذا لهو الفوز العظيم.

وكان يزيد الرقاشي يقول في كلامه: أمن أهل الجنة من الموت فطاب لهم العيش، وأمنوا من الأسقام فهناهم في جوار الله طول المقام ثم يبكي حتى تجري دموعه على لحيته.اهـ من بدائع التفسير.

٢٢٢- [باب ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾].

ش: تمامها: ﴿له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً﴾.

المعنى لا تستبطئنا يا محمد في تخلفنا عنك فإنا لا نتنزل من السماء إلى الأرض إلا بأمر ربك لنا بالنزول إليها، لله ما هو حادث من أمور الأخرى التي لم تأت وهي آتية، وما قد مضى فخلفناه من أمر الدنيا، وما بين وقتنا هذا إلى قيام الساعة، بيده ذلك كله، وهو مالكه ومصرّفه، لا يملك ذلك غيره، فليس لنا أن نحدث في سلطانه أمراً إلا بأمره إيانا به.

وقوله ﴿وما كان ربك نسيا﴾ يقول: لم يكن ربك ذا نسيان فيتأخر نزولي إليك بنسيانه إياك بل هو الذي لا يعزب عنه شيء في السماء ولا في الأرض فتبارك وتعالى ولكنه أعلم بما يريده ويقضي في خلقه جل ثناؤه.

٢٥١- حدثنا أبو نعيم، حدثنا عمر بن ذر[١] قال: سمعت أبي[٢] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا﴾».

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا**» في بدء الخلق باب ذكر الملائكة «ألا تزورنا أكثر مما تزورنا».

---

(١) هو أبو ذر عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة الهمداني المرهبي الكوفي، ثقة رمي بالإرجاء من السادسة، مات سنة ثلاث وخمسين ومائة وقيل غير ذلك.خ.م.ت.س.فق.

(٢) هو ذر بن عبد الله المرهبي.ثقة عابد رمي بالإرجاء من السادسة مات قبل المائتين.ع

الثانية: في سبب هذا السؤال روى ابن جرير من طريق العوفيين وحكاه الحافظ عن ابن مردويه من طريق سماك بن حرب عن سعيد بن جبير كلاهما عن ابن عباس قال: «احتبس جبريل عن النبي ﷺ فوجد رسول الله ﷺ من ذلك وحزن.فأتاه جبريل فقال: يا محمد ﴿**وما نتنزل إلا بأمر ربك**﴾ الآية.

الثالثة: قوله «**فنزلت**» كذا هو عند المصنف في جميع الطرق وبهذا اللفظ.أخرجه الترمذي والنسائي.

٢٢٣ـ [باب ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً﴾].

ش: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ أفرأيت يا محمد الذي كفر بآياتنا حججنا فلم يصدّق بها، وأنكر وعيدنا من أهل الكفر وقال وهو بالله كافر وبرسوله ﴿لأوتين﴾ في الآخرة مالاً وولداً.

٢٥٢ـ حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: سمعت خباباً قال: «جئت العاص بن وائل السهمي أتقاضاه حقاً لي عنده، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمدﷺ فقلت: لا، حتى تموت ثم تبعث قال: وإني لميت ثم مبعوث؟ قلت: نعم، قال: إن لي هناك مالاً وولداً فأقضيكَه، فنزلت هذه الآية ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً﴾».

رواه الثوري وشعبة وحفص وأبو معاوية ووكيع عن الأعمش.

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «**جئت العاص بن وائل السهمي**» هو والد عمرو بن العاص الصحابي المشهور، وكان له قدر في الجاهلية و لم يوفق للإسلام.

الثانية: قوله «**أتقاضاه حقاً لي عنده**» في البيوع باب ذكر القين والحداد «كنت قيناً في الجاهلية وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه» وفي رواية سفيان الآتية في الباب بعد هذا «فعملت للعاص بن وائل السهمي سيفاً فجئت أتقاضاه» فتبين من هذه الروايات الدين ووقته.

الثالثة: قوله «**فقال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد**» وعند مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح، من رواية وكيع «لن أقضيك حتى تكفر بمحمد» وعند النسائي في تفسير الآية من رواية أبي معاوية «والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد» وفيه دليل أن مطالبة خباب العاص بدينه كانت في الإسلام.

الرابعة: قوله «**فقلت: لا حتى تموت ثم تبعث**» عند مسلم «إني لن أكفر» وعند النسائي «لا وا لله لا أكفر» وقوله «حتى تموت ثم تبعث» مفهومه أنه يكفر حينئذ لكنه لم يرد ذلك لأن الكفر حينئذ لا يتصور فكأنه قال لا أكفر أبداً.

الخامسة: قوله «**وإني لميت ثم مبعوث**» في البيوع «دعني حتى أموت وأبعث» وعند مسلم «وإني لمبعوث من بعد الموت».

قلت: والحاصل أن عدو ا لله قال ما قال على سبيل التهكم والإستبعاد للبعث وسخرية بخباب لعلمه أنه مسلم.

السادسة: قوله «**قلت نعم**» أي ستموت وتبعث من بعد الموت وفي هذا تقريع وتوبيخ لعدو ا لله.

السابعة: قوله «**إن لي هناك مالاً وولداً فأقضيكه**» في رواية وكيع الآتية وعند مسلم «فسوف أقضيك إذا رجعت إلي مالٍ وولدٍ» وعند النسائي «فإني إذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال وولد فأعطيك».

قلت: ليس بين هذه الروايات مغايرة، فإنها كلها متفقة على ما انطوى عليه قلب عدو ا لله من الكفر با لله ولقائه، واستهزائه بالدين وأهله وإنكاره البعث.

الثامنة: قوله «**فنزلت هذه الآية ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا﴾ إلى آخر الآية**» في رواية سفيان الآتية وعند النسائي «فأنزل ا لله» وفي رواية وكيع الآتية، وعند الترمذي من رواية سفيان «فنزلت **﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا﴾** إلى آخر الآية».

قلت: هذا هو وجه الشاهد من الحديث وفيه كما ترى التصريح بأن سبب نزول الآية هو مقولة العاص بن وائل.

٢٢٤- [باب قوله ﴿أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾].

قوله **﴿أطلع الغيب﴾** إنكار على هذا القائل **﴿لأوتين مالاً وولداً﴾** يعني يوم القيامة أي أعلم ما له في الآخرة حتى تألى وحلف على ذلك، أم اتخذ عند الرحمن عهداً، أم له عند الله عهدٌ سيؤتيه ذلك.اهـ من ابن كثير.

٢٥٣- حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن خباب قال: كنت قيناً بمكة، فعملت للعاص بن وائل السهمي سيفاً، فجئت أتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد، قلت: لا أكفر بمحمد ﷺ حتى يميتك الله ثم يحييك قال: إذا أماتني الله ثم بعثني ولي مال وولد، فأنزل الله ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ قال: موثقاً.

لم يقل الأشجعي عن سفيان سيفاً، ولا موثقاً.

ش: قوله «**لم يقل الأشجعي عن سفيان سيفاً ولاموثقاً** ».

قلت: الأشجعي هو عبيد الله بن عبد الرحمن وقد تقدمت ترجمته وقد قالهما غيره وهو محمد بن كثير كما ترى.

وقد مضى شرحه في الباب قبله.

٢٢٥ـ [باب ﴿كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مداً﴾].

ش: قوله ﴿**كلا**﴾ هي حرف ردع لما قبلها وتأكيد لما بعدها ﴿**سنكتب ما يقول**﴾ أي من طلبه ذلك وحكمه لنفسه بما تمناه، وكفره بالله العظيم، ﴿**ونمد له من العذاب مداً**﴾ أي في الدار الآخرة، على قوله ذلك وكفره في الدنيا.اهـ من ابن كثير.

٤٥٤ـ حدثنا بشر بن خالد، حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن سليمان، سمعت أبا الضحى يحدث عن مسروق، عن خباب قال: كنت قينا في الجاهلية، وكان لي دين على العاص بن وائل، قال: فأتاه يتقاضاه فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ﷺ فقال: والله لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث قال: فذرني حتى أموت ثم أبعث فسوف أوتى مالاً وولداً فأقضيك، فنزلت هذه الآية ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً﴾.

مضى شرحه.

٢٢٦ـ [باب قوله عزوجل ﴿ونرثه ما يقول ويأتينا فردا﴾].

ش: قوله **﴿ونرثه ما يقول﴾** أي من مال وولد نسلبه منه، عكس ما قال أنه يؤتى في الدار الآخرة مالاً وولداً، زيادة على الذي له في الدنيا بل في الآخرة يسلب من الذي كان له في الدنيا ولهذا قال **﴿ويأتينا فردا﴾** أي من المال والولد.اهـ من ابن كثير.

[وقال ابن عباس ﴿الجبال هداً﴾ هدماً].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.وفي رواية ابن جريج عنه قال: الهد: الإنقضاض.

٢٥٥ـ حدثنا يحيى، حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن خباب قال: كنت رجلاً قيناً، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه، فقال لي: لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، قال: قلت لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث، قال: وإني لمبعوث من بعد الموت فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال وولد، قال فنزلت ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مداً ونرثه ما يقول ويأتينا فرداً﴾.

آخر تفسير سورة مريم و لله الحمد والمنة، وتم بذلك الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث وأوله تفسير سورة طه.

إحداد القاري

بشرح كتاب التفسير من

صحيح البخاري

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري

المدرس بالجامعة الإسلامية سابقاً

الجزء الثالث

مكتبة الفرقان

سورة طــه

٢٢٧- [سورة طه بسم ا لله الرحمن الرحيم]

ش: شاهد التسمية واضح في أول السورة.

وأخرج المصنف في تفسير الأنبياء عن ابن مسعود أنه قال: «بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء هن من العتاق الأول، وهن من تلادي.

قال القرطبي: مكية في قول الجميع.

عدد آياتها خمس وثلاثون ومائة.

شرح جملة من الآثار والكلمات :

١- [**قال ابن جبير: بالنبطية ﴿طه﴾ يا رجل**].

ش: أخرجه ابن أبي شيبة في ما فسر بالنبطية، كتاب فضائل القرآن حدثنا وكيع عن سفيان عن سالم عن سعيد بن جبير قال: طه بالنبطية أيطه يا رجل.

وأخرجه ابن جرير عن سعيد بن جبير من طريق القاسم ثنا الحسين: ثني حجاج عن ابن جريج أخبرني عبد الله بن مسلم أو يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير أنه قال: (طه يا رجل بالسريانية).

وأخرج عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والحسن مثل ما حكاه المصنف وابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير.

وأخرج عن ابن عباس أنه اسم من أسماء الله. وفي إسناده عبدا لله بن صالح ومعاوية بن صالح وكلاهما ضعيف.

٢- [**قال مجاهد ﴿ألقى﴾ صنع**].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا القاسم ثنا الحسين ثني الحجاج عن ابن جريج عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها:**﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري﴾**.

٣- [**يقال: كل ما لم ينطق بحرف أو فيه تمتمة أو فأفأة فهي عقدة**].

ش: قال أبو عبيدة: مجاز العقدة في اللسان كل ما لم ينطلق بحرف أو كانت منه مسكة من تمتمة أو فأفأة.

والآية المشار إليها:**﴿واحلل عقدة من لساني﴾**.

٤- [**﴿أزري﴾ ظهري**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس من طريق العوفيين، وكذا قال أبو عبيدة وزاد: معناه صار مثلي، وعاونني على من يكفله، ويقال قد أزرني، أي

كان لي ظهراً، وآزَرَني أي صار لي وزيراً.

والآية المشار إليها:﴿**أشدد به أزري**﴾.

٥- [﴿**فيُسحتَكم**﴾ **يهلِككم**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس والسدي وابن زيد وكذا قال أبو عبيدة وزاد: وفيه لغتان سحت الدهر، والجدب بني فلان، وقوم يقولون: أسحته بالألف، وقال الفرزدق:

وعض زمان يابن مروان لم يدع   من المال إلا مسحت أو مجلف

والمسحت المهلك، والمجلّف الذي قد بقي منه بقية، ولم يدع أي لم يبقى.

وقال سويد بن أبي كاهل:

أرق العين خيال لم يدع   من سليمي ففؤادى منتذع

لم يدع أي لم يستقر.اهـ.

والآية المشار إليها:﴿**قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على ا لله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى**﴾.

٦- [﴿**المثلى**﴾ **تأنيث الأمثل، يقول بدينكم يقال خذ المثلى خذ الأمثل**].

ش: قال أبو عبيدة: تأنيث الأمثل، يقال خذ المثلى منهما، للأنثى وخذ الأمثل منهما إذا كان ذكراً.

واعلم أن أهل العلم بالتفسير مختلفون في معنى قوله تعالى ﴿**ويذهبا بطريقتكم المثلى**﴾ على ثلاثة أقوال:

أحدها: أي يغلبوا سادتكم وأشرافكم وبه قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي.

وثانيها: بمعنى يغيروا سنتكم ودينكم الذي أنتم عليه وبه قال ابن زيد.

وثالثها: بمعنى يصرفوا وجوه الناس إليهما وبه قال علي بن أبي طالب ﷺ.

حكاها جميعها ابن جرير واختار أولها.

والآية المشار إليها: ﴿قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾.

٧- [﴿ثم اءتوا صفا﴾ يقال هل أتيت الصف اليوم يعني المصلى الذي يصلى فيه].

ش: قال أبو عبيدة: أي صفوفاً وله موضع آخر من قولهم هل أتيت الصف اليوم يعنى المصلي الذي يصلى فيه قال أبو العرب الكليبي: ما استطعت أن آتي الصف أمس يعني المصلى.

والآية المشار إليها: ﴿فأجمعوا كيدكم ثم اءتوا صفاً وقد أفلح اليوم من استعلى﴾.

٨- [﴿فأوجس﴾ أضمر خوفاً فذهبت الواو من خيفة لكسرة الخاء].

ش: قال أبو عبيدة: أي أضمر وأحس منهم خيفة أي خوفاً فذهبت الواو وصارت ياء من أجل كسرة الخاء.

والآية المشار إليها: ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾.

٩- [﴿في جذوع﴾ أي على جذوع].

ش: قاله أبو عبيدة وأنشد:

هم صلبوا العبدي في جذع نخلة   فلا عطست شيبان إلا بأجدعا

والآية المشار إليها: ﴿فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى﴾.

١٠- [﴿خطبك﴾ بالك].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وشأنك وأمرك واحد قال رؤبه:

والعبد حيّان بن ذات القنب   يا عجباً ما خطبه وخطبي

والآية المشار إليها: ﴿قال فما خطبك يا سامري﴾.

١١- [﴿مِساس﴾ مصدر ماسَّه مساساً].

ش: قال أبو عبيدة: إذا كسرت الميم دخلها النصب والجر والرفع بالتنوين في مواضعهن وهي ها هنا منفية فلذلك نصبتها بغير تنوين قال الجعدي:

فأصبح من ذاك كالسامري إذ قال موسى له لا مساسا

وقال القلاخ بن حزن المنقري:

ووتّر الأساور القياسا صفدية تنتزع الأنفاسا

حتى يقول الأزد لا مساسا

وهو المماسة والمخالطة، ومن فتح الميم جعله اسماً منه فلم يدخلها نصب ولا رفع وكسر آخرها بغير تنوين كقوله:

تميم كرهط السامري وقوله ألا لا يريد السامري مساس

جر بغير تنوين وهو في موضع نصب لأنه أجرى مجرى قطام وحذام ونزال إذا فتحوا أوله، وقال زهير:

ولنعم الدرع أنت إذا دعيت نزال ولج في الذعر

وإن كسروا أوله دخله الرفع والنصب والجر والتنوين في مواضعها وهو المنازلة.اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس﴾**.

١٢- [**﴿لننسفنه﴾ لنذرينه**].

ش: هو قول ابن عباس كما أخرجه عنه ابن جرير وقال أبو عبيدة: مجازه لنقذفنه ولنذرينه، وكل شيء وضعته في منسف ثم طيرت عنه غباره بيديك أو قشوره فقد نسفته أيضاً.

والآية المشار إليها: **﴿وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً﴾**.

١٣- [﴿قاعاً﴾ يعلوه الماء، والصفصف المستوى من الأرض].

ش: قال ابن جرير: قاعاً يعني أرضاً ملساء، صفصفاً يعني مستوياً، لا نبات فيه ولا نشز ولا ارتفاع.ثم أخرج المعنى عن ابن عباس وابن زيد ومجاهد. ثم قال بعد ذلك: وكان بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل الكوفة يقول: القاع مستنقع الماء، والصفصف الذي لا نبات فيه.

قلت: وهذا نحو ما اختاره البخاري.

والآية المشار إليها:﴿**فيذرها قاعاً صفصفاً**﴾.

١٤- [وقال مجاهد: ﴿أوزاراً﴾ أثقالاً ﴿من زينة القوم﴾ وهي الحلي التي استعاروا من آل فرعون].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثني عيسى وحدثني الحارث عن الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

١٥- [﴿**فقذفناها**﴾ **فألقيناها**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله، وأخرج عن قتادة نحوه.

والآية المشار إليها :﴿ **قالوا ماأخلفْنا موعِدَك بمَلْكِنا ولكنا حُمِّلنا أوزاراً من زِينة القوم فقذفناها وكذلك ألقى السَّامري** ﴾

١٦- [﴿**ألقى**﴾ **صنع**].

ش: **قلت**: تقدم شرحه برقم اثنين وكذلك الآية المشار إليها.

١٧- [﴿ **فنسي** ﴾ موساهم، يقولونه أخطأ الرب].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق ولفظه فنسي موسى قال: هم يقولونه أخطأ الرب العجل.

وأخرج عن قتادة قال السامري: موسى نسي ربه عندكم.

والآية المشار إليها: ﴿**فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي**﴾.

١٨- [﴿لا يرجع إليهم قولاً﴾ العجل].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق.وأخرجه أيضاً عن قتادة.

والآية المشار إليها:**﴿أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً﴾.**

١٩- [﴿همساً﴾ حِس الأقدام].

ش: أخرج ابن جرير عن مجاهد من طريق ابن علية عن ابن أبي نجيح قال: تهافتاً وقال: تخافت الكلام.ومن طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح قال: خفض الصوت.وكذا من طريق ابن جريج.وعن ابن عباس وعكرمة وابن زيد قالوا: وطء الأقدام. وعن ابن عباس في رواية والحسن قالا: همس الأقدام. وقال أبو عبيدة: أي صوتاً خفياً وهو مثل الذكر.

والآية المشار إليها: **﴿وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً﴾.**

٢٠- [﴿حشرتني أعمى﴾ عن حجتي].

ش: أخرجه ابن جرير من طريق عبد الرزاق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ «لا حجة لي».

٢١- [﴿وقد كنت بصيراً﴾ في الدنيا].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها:**﴿قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً﴾.**

٢٢- [قال ابن عباس: ﴿بقبس﴾ ضلوا الطريق، وكانوا شاتين، فقال إن لم أجد عليها من يهدي الطريق آتكم بنار توقدون].

ش: وصله ابن عيينة من طريق عكرمة عنه وفي آخره «آتكم بنار توقدون» ووقع في رواية أبي ذر «تدفئون» حكاه في الفتح.

وأخرج ابن جرير عن وهب بن منبه قال: بقبس تصطلون.

والآية المشار إليها:﴿**إذ رءا ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى**﴾.

٢٣- [**وقال ابن عيينة: ﴿أمثلهم﴾ أعدلهم طريقة**].

ش: عزاه الحافظ إلى تفسير ابن عيينة.وأخرجه ابن جرير عن شعبة بلفظ «أوفاهم عقلاً».

والآية المشار إليها:﴿**نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما**﴾.

٢٤- [**وقال ابن عباس: ﴿هضماً﴾ لا يظلم فيهضم من حسناته**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وأخرج نحوه عن مجاهد وحبيب بن أبي ثابت وغيرهما.وقال أبو عبيدة: ولا نقيصه قال لبيد:

ومقسم يعطي العشيرة حقها ومغذمر[1] لحقوقها هضامها.

والآية المشار إليها:﴿**ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً**﴾.

٢٥- [**﴿عوجاً﴾ وادياً**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بالإسناد الذي قبله.

وقال أبو عبيدة: مجازه مصدر ما اعوج من المحاني والمسايل والأودية، والإرتفاع يميناً وشمالاً إذا كسرت أوله، وإن فتحته فهو في كل رمح وسن وحائط.اهـ

---

(١) المغذمر من الرجال: الذي يركب الأمور فيأخذ من هذا ويعطي هذا ويدع لهذا من حقه ويكون ذلك في الكلام أيضاً إذا كان يخلط في كلامه. اهـ من اللسان، مادة: غذمر.

٢٦- [﴿أمتا﴾ رابية].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بالإسناد السابق.

والآية المشار إليها:﴿**لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً**﴾.

٢٧- [﴿سيرتها﴾ حالتها الأولى].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بالإسناد السابق.

وأخرج عن مجاهد وقتادة نحوه.وقال أبو عبيدة: أي خلقتها التي كانت عليها قبل ذلك.

قلت: وهذه العبارات الثلاث متفقة المعنى.

والآية المشار إليها:﴿**قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى**﴾.

٢٨- [﴿النهى﴾ التقى].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وأخرج عن قتادة نحوه.وقال أبو عبيدة: مجازه لذوي الحجى واحدتها نهيه، أي أحلام وعقول وانتهى إلى عقول أمرهم ورأيهم.اهـ.

وهذه العبارات كلها صحيحة ولا منافاة بينها.

وقد وقعت الكلمة في هذه السورة مرتين إحداهما في الآية الرابعة والخمسين والأخرى في الآية الثامنة والعشرين بعد المائة.

٢٩- [﴿ضنكاً﴾ الشقاء].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد الذي قبله.

وأخرج عن مجاهد وقتادة قالا: ضيقة.وكذا قال أبو عبيدة وزاد: والضنك توصف به الأنثى، والمذكر بغير الهاء وكل عبس أو منزل أو مكان ضيق فهو ضنك.قال عنترة:

إن المنية لو تمثل مثلت   مثلي إذ نزلوا بضنك المنزل

والآية المشار إليها: ﴿**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً**﴾.

٣٠- [﴿**هوى**﴾ **شقى**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد الذي قبله.

والآية المشار إليها: ﴿**ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى**﴾.

٣١- [﴿**بالواد المقدس**﴾ **المبارك**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره، وأخرجه أيضاً عن ابن زيد.

٣٢- [﴿**طوى**﴾ **اسم الوادي**].

ش: أخرجه ابن جرير بإسناد الذي قبله، عن ابن عباس وبه قال مجاهد وابن زيد.وهو **أحد** أقوال خمسة حكاها في الآية.

وثانيها: أنه مصدر خرج من غير لفظه كأنه قال طويت الوادي المقدس طوى به.قاله ابن عباس في الرواية الثانية.

وثالثها: أنه وادٍ قدس مرتين وبه قال الحسن.

ورابعها: بمعنى «**على ثنى**» أي مرة بعد أخرى وقالوا طوى وثنى بمعنى واحد، وبه قال قتادة.

وخامسها: أنه أمر من الله لموسى أن يطأ الوادي بقدميه وهو قول ابن عباس في الرواية الثالثة،وبه قال عكرمة وسعيد بن جبير وهو الرواية الثانية عن مجاهد.

والذي اختاره ابن جرير أنه اسم الوادي كما قال أصحاب القول الأول.

والآية المشار إليها: ﴿**إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى**﴾.

٣٣- [﴿**بملكنا**﴾ **بأمرنا**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد الذي قبله.وأخرجه أيضاً عن

مجاهد وهو **أحد** ثلاثة أقوال حكاها.

ثانيها: بمعنى طاقتنا وهو قول قتادة والسدي.

وثالثها: أي بهوانا وبه قال ابن زيد.

والذي يبدو لي أن هذه الأقوال متقاربة كما قال ابن جرير.

والآية المشار إليها:﴿**قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري**﴾.

٣٤- [﴿**مكانا سوى**﴾ **مَنْصَفٌ بينهم**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد وبنحوه قاله قتادة والسدي وابن زيد.

وقال أبو عبيدة: يضم أوله ويكسر وهو منقوص يجري مجرى عُدًى وعدى، والمعنى النصف، والوسط فيما بين القريتين وقال موسى بن جابر الحنفي:

وإن إيانا كان حـــل ببلدة سوى بين قيس قيس عيلان والفزر

والفزر سعد بن زيد مناة.اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿**فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى**﴾.

٣٥- [﴿**يبساً**﴾ **يابساً**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد وقال أبو عبيدة: متحرك الحروف بالفتحة والمعنى يابساً ويقال: شاة يَبَس بفتح الباء أي يابسة ليس لها لبن وبعضهم يسكن الباء.اهـ.

والآية المشار إليها :﴿ **ولقد أوحينا إلى موسىأن أسربِعِبادي فاضرِب لهم طريقاً في البحر يبساً لاتخاف درَكاً ولاتخشى** ﴾

٣٦- [﴿**على قدر**﴾ **موعد**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد وأخرج نحوه عن ابن عباس وقتادة.

والآية المشار إليها:﴿**فلبثت في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى**﴾.

٣٧- [﴿لا تنياً﴾ تضعُفا].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك.

والآية المشار إليها: **﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري﴾**.

٢٢٨- [باب قوله ﴿واصطنعتك لنفسي﴾].

ش: «يقول تعالى ذكره: واصطنعتك لنفسي أنعمت عليك يا موسى هذه النعم ومننت عليك هذه المنن، اجتباء مني لك واختيارا لرسالتي والبلاغ عني، والقيام بأمري ونهيي.

والإصطناع في الأصل: إتخاذ الصنيعة وهي الخير تسديه إلى غيرك.

قال الشاعر:

وإذا اصطنعت صنيعة فاقصد بها وجه الذي يولي الصنائع أودع

قال ابن عباس: اصطنعتك لوحيي ورسالتي.

وقال الكلبي: اخترتك بالرسالة لنفسي، لكي تحبني وتقوم بأمري، وقيل: اخترتك بالإحسان إليك لإقامة حجتي وجعلتك بيني وبين خلقي حتى صرت في الخطاب والتبليغ عني بالمنزلة التي أكون أنا بها لو خاطبتهم». انتهى محل الغرض من كلام ابن القيم كما في بدائع التفسير (٣/١٥٤).

قلت: وفي الآية دليل على إثبات النفس لله تعالى وهي نفس حقيقية لائقة بجلاله.

٢٥٦- حدثنا الصلت بن محمد[١] حدثنا مهدي بن ميمون[٢] حدثنا محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «التقى آدم وموسى فقال موسى لآدم: آنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة؟ قال له آدم: آنت الذي اصطفاك الله برسالته، واصطفاك لنفسه، وأنزل عليك التوراة؟ قال: نعم، قال: فوجدتها كتب عليّ قبل أن يخلقني؟ قال نعم، فحج آدم موسى».

ش: سيأتي في الباب الثلاثين بعد المائتين.

(١) هو أبو همام الصلت بن محمد بن عبد الرحمن البصري الخاركي صدوق، من كبار العاشرة مات سنة بضع عشرة ومائتين. خ.م.

(٢) هو أبو يحيى مهدي بن ميمون الأزدي المعولي البصري، ثقة من صغار السادسة مات سنة اثنتين وسبعين [ومائة]. ع.

قوله [**اليم : البحر**]

ش: قال ابو عبيدة : ﴿ فاقذفيه في اليم ﴾ أي ارم به في البحر ، واليم معظم البحر ، قال العجّاج :

.... **كباذخ اليمِّ سقاه اليمُّ** .أهـ

٢٢٩- [باب قوله ﴿**ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى**﴾].

ش: قوله ﴿**ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى**﴾ يقول تعالى ذكره ﴿**ولقد أوحينا إلى**﴾ نبينا ﴿**موسى**﴾ إذ تابعنا له الحجج على فرعون، فأبى أن يستجيب لأمر ربه، وطغى وتمادى في طغيانه ﴿**أن أسر**﴾ ليلاً ﴿**بعبادي**﴾ يعني بعبادي من بني إسرائيل ﴿**فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً**﴾ يقول: فاتخذ لهم في البحر طريقاً يابساً.واليَبَس واليَبْس: يجمع أيباس، تقول: وقفوا في أيباس من الأرض.واليَبْس المخفف: يجمع يبوس.

وقوله ﴿**فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى**﴾.يقول تعالى ذكره: فسرى موسى ببني إسرائيل إذ أوحينا إليه أن أسر بهم، فأتبعهم فرعون بجنوده حين قطعوا البحر، فغشي فرعون وجنده من اليم ما غشيهم، فغرقوا جميعاً ﴿**وأضل فرعون قومه وما هدى**﴾ يقول جل ثناؤه: وجاوز فرعون بقومه عن سواء السبيل، وأخذ بهم على غير استقامة، وذلك أنه سلك بهم طريق أهل النار، بأمرهم بالكفر با لله، وتكذيب رسله ﴿**وما هدى**﴾ يقول: وما سلك بهم الطريق المستقيم، وذلك أنه نهاهم عن اتباع رسول ا لله موسى، والتصديق به، فأطاعوه، فلم يهدهم بأمره إياهم بذلك، ولم يهتدوا باتباعهم إياه.

٢٥٧- حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا روح حدثنا شعبة حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي ا لله عنهما قال: «لما قدم رسول ا لله ﷺ المدينة، واليهود تصوم عاشوراء، فسألهم فقالوا: هذا اليوم الذي ظهر فيه موسى على فرعون، فقال النبي ﷺ: نحن أولى بموسى منهم، فصوموه».

ش: فيه خمس مسائل.

الأولى: قوله «**لما قدم رسول الله ﷺ المدينة واليهود تصوم عاشوراء**» في الصيام، باب صيام يوم عاشوراء من رواية عبد الله بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس «قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء».

الثانية: قوله «**فسألهم**» في رواية عبد الله بن سعيد المذكورة «فقال: ما هذا» وعند مسلم في الصيام باب صوم يوم عاشوراء «فسئلوا».

قلت: وهذا اختلاف تنوع في العبارة.

الثالثة: قوله «**هذا اليوم الذي ظهر فيه موسى على فرعون**» في الصيام «هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم» وعند مسلم من رواية عبد الله بن سعيد «هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرّق فرعون وقومه».

الرابعة: قوله «**نحن أولى بموسى منهم**» وفي الصيام «فأنا أحق بموسى منكم» وعند مسلم «ونحن أحق وأولى بموسى منكم» وفي قوله «**أولى**» تعريض باليهود إذ لم يكونوا على شريعة موسى وكانوا قوماً كفار.

الخامسة: قوله «**فصوموه**» عند المصنف في الصيام ومسلم «فصامه وأمر بصيامه» وفيه دليل على جواز التعبد بالصيام شكراً لله.

وقد سبق في الباب السادس والعشرين بيان حكم صيام عاشوراء والجمع بين حديث الباب وحديث عائشة «كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية» فراجعه إن شئت.

٢٣٠- [باب ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾].

ش: قلت الآية: ﴿فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾.

قوله ﴿فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك﴾ يعني حوّاء عليهما السلام، ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ أي إياك أن يسعى في إخراجك منها فتتعب وتعنى وتشقى في طلب رزقك، فإنك ها هنا في عيش رغيد هنيء، لا كلفة ولا مشقة.

فائدة:

كيف شرك بينهما في الخروج، وخص آدم بالشقاء؟

فالجواب: لاشتغاله بالكسب والمعاش والمرأة في خدرها.

٢٥٨- حدثنا قتيبة حدثنا أيوب بن النجار عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «حاج موسى آدم فقال له: أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم، قال، قال آدم: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، أتلومني على أمر كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني أو قدره عليّ قبل أن يخلقني؟ قال رسول الله ﷺ فحج آدم موسى».

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله «حاج موسى آدم» في رواية همام ومالك «تحاج» وفي رواية أيوب بن النجار ويحيى بن كثير «حج آدم موسى».

قال الطيبي: معنى قوله حج آدم موسى: غلبه بالحجة، وفي رواية يزيد بن هرمز عند مسلم باب حجاج آدم موسى «عند ربهما» وفي رواية ابن سيرين «التقى آدم وموسى» وفي رواية عمار والشعبي «لقي آدم موسى» وفي حديث عمر عند أبي داود «لقي موسى آدم».وكذا عند أبي عوانة وعند أبي داود في

السنة باب القدر عن عمر «قال موسى يا رب أرني آدم».

قلت: فتحصل من مجموع هذه الروايات بيان مكان تخاصم هاذين النبيين عليهما الصلاة والسلام وأن الله جمع بينهما وأما وقتها فلم أجد حتى هذه الساعة من النصوص ما يحدده والله أعلم.

الثانية: قوله «**أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم**» وفي رواية طاوس «أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة» وفي رواية يحيى بن أبي كثير «أنت الناس» وفي رواية الشعبي «أنت آدم أبو البشر» وفي الأنبياء باب وفاة موسى من رواية حميد بن عبد الرحمن «أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة» وفي التوحيد باب قوله ﴿**وكلم الله موسى تكليما**﴾ «أخرجت ذريتك» وفي رواية مالك «أنت الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة» وفي رواية ابن سيرين «أشقيت» بدل «أغويت» ومعنى أغويت كنت سبباً لغواية من غوى منهم. وعند أحمد من طريق أبي سلمة «أنت الذي أدخلت ذريتك النار».

قلت: فكل هذه الروايات مجتمعة على أن موسى ﷺ عاتب أباه آدم على ما اقترفه من خطيئته، وأنه بتلك الخطيئة كان السبب في إخراج ذريته من الجنة، ويجمع بين إختلاف هذه الروايات بأنها كلها محفوظة عند الأئمة وأن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر.

الثالثة: قوله «**يا موسى أنت الذي إصطفاك الله برسالته وبكلامه**» في باب تحاج آدم وموسى عند الله من القدر «يا موسى إصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده» وفي رواية الأعرج عند مسلم «أنت موسى الذي أعطاك الله علم كل شيء واصطفاك على الناس برسالته» وعند مسلم باب حجاج آدم موسى من رواية يزيد بن هرمز «وقربك نجيا وأعطاك الألواح فيها بيان كل شيء» وعند المصنف من رواية ابن سيرين «إصطفاك الله برسالته واصطفاك لنفسه وأنزل عليك التوراة» وفي حديث عمر قال «أنت موسى نبي بني إسرائيل؟ قال: نعم،

قال أنت الذي كلمك الله من وراء حجاب ولم يجعل بينك وبينه رسولاً من خلقه؟ قال: نعم».

قلت: والحاصل أن آدم عليه الصلاة والسلام إعترض على موسى ﷺ إذ إحتج عليه بما عرفه فيما آتاه الله من العلم لأن خطيئة آدم مقدّرة عليه وأنه لا ينبغي له لومه على ذلك.

الرابعة: قوله «**أتلومني على أمر كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني، أو قدره عليّ قبل أن يخلقني**» في القدر «أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة».وفي رواية محمد بن عمرو عن أبي سلمة «فكم تجد في التوراة أنه كتب عليّ العمل الذي عملته قبل أن أخلق؟ قال بأربعين سنة».وفي رواية الشعبي «أفليس تجد فيما أنزل الله عليك أنه سيخرجني منها قبل أن يدخلنيها؟ قال: بلى» وفي حديث عمر قال: «فلم تلومني على شيء سبق من الله تعالى فيه القضاء».

قلت: فبان بهذا دفع آدم احتجاج موسى عليه، ويجمع بين الرواية المقيدة بأربعين سنة بحملها على ما يتعلق بالكتابة وحمل الأخرى على ما يتعلق بالعلم.

الخامسة: قوله «**فحج آدم موسى**» في الأنبياء «فحج آدم موسى» مرتين وفي القدر «فحج آدم موسى، فحج آدم موسى» ثلاثاً، وكذا عند مسلم من رواية ابن سيرين وكذا في حديث جندب عند أبي عوانة، وفي حديث عمر «فاحتجا إلى الله فحج آدم موسى قالها ثلاث مرات»، وفي رواية عمرو بن أبي عمرو عن الأعرج «لقد حج آدم موسى، لقد حج آدم موسى، لقد حج آدم موسى» وعند النسائي في تفسير الآية من رواية الشعبي «فخصم آدم موسى، فخصم آدم موسى».

فائدة:

قال ابن عبد البر: «هذا الحديث أصل جسيم لأهل الحق في إثبات القدر وأن الله قضى أعمال العباد، فكل أحد يصير لما قدر له بما سبق في علم الله.

قال: وليس فيه حجة للجبرية».

قال مقيده: لقد إفترق الناس في فهم محاجة آدم و موسى صلى الله عليهما وسلم إلى خمس فرق، وقد ذكر هذا الإختلاف ابن القيم في شفاء العليل (ص٢٥) ورد على كل فرقة قولها.

فقال رحمه الله:«ثم إختلف الناس في فهم هذا الحديث ووجه الحجة التي توجهتْ لآدمَ على موسى.

١ ـ فقالت فرقة: إنما حَجَّه لأن آدم أبوه، فحجّه كما يحجّ الرجل ابنَه وهذا الكلام لا محصَّل فيه البتة، فإنّ حجة الله يجب المصير إليها مع الأب كانت أو الابن أو العبد أو السيد، ولو حجَّ الرجل أباه بحق وجب المصير إليه.

٢ ـ وقالت فرقة: إنما حجّه لأن الذنب كان في شريعة، واللوم في شريعة.وهذا من جنس ما قبله، إذ لا تأثير في الحجة بوجه، وهذه الأمة تلوم الأمم المخالفة لرسلها المتقدمة عليها وإن كان لم تجمعهم شريعة واحدة، ويقبلُ الله شهادتهم عليهم وإن كانوا من غير أهل شريعتهم.

٣ ـ وقالت فرقة أخرى: إنما حجّه لأنه كان قد تاب من الذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ولا يجوز لومه.وهذا وإن كان أقرب مما قبله فلا يصح لثلاثة أوجه: **أحدها:** أن آدم لم يذكر ذلك الوجه، ولا جعله حجة على موسى، ولم يقل أتلومني على ذنب قد تبت منه.الثاني: أن موسى أعرف بالله سبحانه وبأمره ودينه من أن يلوم على ذنب قد أخبره سبحانه أنه قد تاب على فاعله واجتباه بعده وهداه، فإن هذا لا يجوز لآحاد المؤمنين أن يفعله فضلاً عن كليم الرحمن.الثالث: أن هذا يستلزم إلغاء ما علّق به النبي ﷺ وجه الحجة واعتبار ما ألغاه فلا يلتفت إليه.

٤ ـ وقالت فرقة أخرى: إنما حجّه لأنه لامه في غير دار التكليف ولو لامه في دار التكليف لكانت الحجة لموسى عليه، وهذا أيضاً فاسد من

وجهين.أحدهما: أن آدم لم يقل له لُمتني في غير دار التكليف وإنما قال أتلومني على أمر قُدرعليّ قبل أن أخلق، فلم يتعرض للدار وإنما احتج بالقدر السابق.والثاني: أن الله سبحانه يلوم الملومين من عباده في غير دار التكليف، فيلومهم بعد الموت ويلومهم يوم القيامة.

٥ ـ وقالت فرقة أخرى: إنما حجّه لأن آدم شهد الحكمَ وجريانَه على الخليقة وتفرُّدَ الرب سبحانه بربوبيته وأنه لا تُحرَّك ذرة إلا بمشيئته وعلمه وأنه لا رادّ لقضائه وقدره وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، قالوا: ومشاهدة العبد الحكمَ لا يدع له استقباح سيئة لأنه شهد نفسه عدماً محضاً، والأحكام جارية عليه معروفة له وهو مقهور مربوب مدبر لا حيلة له ولا قوة له، قالوا: ومن شهد هذا المشهد سقط عنه اللوم.وهذا المسلك أبطل مسلك سلك في هذا الحديث، وهو شرّ من مسلك القدرية في ردّه، وهم إنما ردوه إبطالاً لهذا القول ورداً على قائليه، وأصابوا في ردهم عليهم وإبطال قولهم، وأخطأوا في رد حديث رسول الله ﷺ، فإن هذا المسلك لو صح لبطلت الديانات جملة وكان القدر حجة لكل مشرك وكافر وظالم، ولم يبق للحدود معنى، ولا يلام جانٍ على جنايته ولا ظالم على ظلمه، ولا يُنكر منكر أبداً، ولهذا قال شيخ الملحدين ابن سينا في إشاراته: العارف لا ينكر منكراً لاستبصاره بسر الله تعالى في القدر، وهذا كلامٌ منسلخ من الملل ومتابعة الرسل، وأعرف خلق الله به رسله وأنبياؤه، وهم أعظم الناس إنكار للمنكر، وإنما أُرسلوا لإنكار المنكر، فالعارف أعظم الناس إنكاراً للمنكر لبصيرته بالأمر والقدر، فإن الأمر يوجب عليه الإنكار، والقدر يعينه عليه وينفذه له، فيقوم في مقام: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ وفي مقام ﴿**فاعبده وتوكل عليه**﴾ فنعبده بأمره وقدره ونتوكل عليه في تنفيذ أمره بقدره، فهذا حقيقة المعرفة وصاحب هذا المقام هو العارف بالله، وعلى هذا أجمعت الرسل من أولهم إلى خاتمهم.

ثم قال رحمه الله في صفحة إحدى وثلاثين بعد نقله ملخصاً من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إذا عرفت هذا فموسى أعرف بالله وأسماءه وصفاته من أن يلوم على ذنب قد تاب منه فاعله فاجتباه ربه بعده وهداه واصطفاه، وآدم أعرف بربه من أن يحتجّ بقضائه وقدره على معصيته، بل إنما لام موسى آدم على المعصية التي نالت الذرية بخروجهم من الجنة ونزولهم إلى دار الابتلاء والمحنة بسبب خطيئة أبيهم فذكر الخطيئة تنبيها على سبب المعصية والمحنة التي نالت الذرية، ولهذا قال له «أخرجتنا ونفسك من الجنة» وفي لفظ «خيبتنا» فاحتج آدم بالقدر على المصيبة، وقال إن هذه المصيبة التي نالت الذرية بسبب خطيئتي كانت مكتوبة بقدره قبل خلقي، والقدر يحتج به في المصائب دون المعائب، أي أتلومني على مصيبة قدرت عليّ وعليكم قبل خلقي بكذا وكذا سنة».

من فقه الحديث:

أولاً: فضيلة آدم ﷺ.

ثانيا: فضيلة موسى ﷺ.

ثالثاً: وجوب الإيمان بالقدر.

آخر تفسير سورة طه والحمد لله.

سورة الأنبياء

٢٣١ ـ سورة الأنبياء بسم ا لله الرحمن الرحيم

ش: وسر تسميتها بهذا إشتمالها على ذكر كثير من الأنبياء وقد تقدم ما ورد في فضلها من حديث ابن مسعود المتقدم في سورة طه وسيأتي:

قلت: وهي من المئين التي أوتيها النبي ﷺ مكان الزبور، فعن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول ا لله ﷺ: (أعطيت مكان التوراة السبع الطوال ومكان الزبور المئين، ومكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل) أخرجه أبوداود الطيالسي وأحمد وابن جرير والبيهقي في الشعب وغيرهم.

قال القرطبي مكية في قول الجميع.

وعدد آياتها ثنتى عشرة ومائة آية.

٢٥٩ـ حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله قال: «بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء هن من العتاق الأول وهن من تلادي».

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «**بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء**» فيه دليل على أن هذه السور معروفة بهذه الأسماء لدى أصحاب النبي ﷺ وهذا شاهد للقول بأن أسماء السور توقيفية.

الثانية: قوله «**هن من العتاق**» يعني هذه السور المذكورة في الخبر، وجاء بضمير الفصل للتأكيد، والعتاق: جمع عتيقة ومعناه بكسر المهملة وتخفيف المثناة جمع عتيق وهو القديم أو هو كل ما بلغ الغاية في الجودة.

الثالثة: قوله «**الأول**» بتخفيف الواو جمع أولى مؤنث أول وهو تأكيد لسابقه على أول المعنيين.

الرابعة: قوله «**وهن من تلادي**» بكسر المثناة وتخفيف اللام أي مما حفظ قديماً، والتلاد قديم الملك وهو بخلاف الطارق، ومراد ابن مسعود أنهن من أول ما تعلم من القرآن وأن لهن فضلاً لما فيهن من القصص وأخبار الأنبياء والأمم.

شرح جملة من الكلمات:

١ـ [قال قتادة: ﴿جذاذاً﴾ قطّعَهُن].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا بشر ثنا يزيد ثنا سعيد عن قتادة قوله **﴿فجعلهم جذاذاً﴾** أي قطعاً.وأخرج عن ابن عباس قال «حطاماً».وأخرج عن مجاهد قال: كالصريم والعبارات الثلاث متقاربات المعنى.

والآية المشار إليها:**﴿فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون﴾**.

٢ـ [وقال الحسن: ﴿في فلك﴾ مثل فلكة المغزل].

ش: وصله ابن عيينة عن عمرو عن الحسن.ذكره الحافظ وحكاه ابن جرير

بقوله: «وذكر عن الحسن أنه يقول: الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل»اهـ. وبه قال قتادة وابن زيد. وهو **أحد** خمسة أقوال حكاها عن أهل التفسير.

وثانيها: أنه كهيئة حديدة الرحى وبه قال مجاهد وابن جريج وابن عباس.

وثالثها: أنه سرعة جري الشمس والقمر والنجوم وغيرها وبه قال الضحاك.

ورابعها: أنه موج مكفوف تجري الشمس والقمر والنجوم فيه.

وخامسها: أنه القطب الذي تدور به النجوم. ولم يذكر قائلاً لهذين القولين.

والآية المشار إليها: **﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون﴾**.

٣- [﴿يسبحون﴾ يدورون].

ش: وصله ابن المنذر من طريق على بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله **﴿كل في فلك يسبحون﴾** يدورون حوله. حكاه الحافظ.

وأخرج ابن جرير عن مجاهد وابن زيد قالا: يجرون. وكلتا العبارتين بمعنى واحد.

٤- [وقال ابن عباس: ﴿نفشت﴾ رعت ليلاً].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس بهذا. حكاه في الفتح.

وقال أبو عبيدة: النفش أن تدخل ليلاً فتأكله. وقالت: نفشت في جدّادي، الجداد من نسج الثوب تعني الغنم. اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين﴾**.

٥- [﴿يصحبون﴾ يمنعون].

ش: وصله ابن المنذر من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. حكاه في الفتح.

وفي الآية ثلاثة أقوال حكاها ابن جرير عن المفسرين:

أحدها: أنها لا تصحب من الله بخير وهو قول قتادة.

وثانيها: بمعنى لا ينصرون وبه قال مجاهد وابن عباس وهو بمعنى ما حكاه المصنف عنه.

وثالثها: بمعنى يجارون. وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية.

ثم قال بعد حكاية هذه الأقوال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال هذا القول الذي حكيناه عن ابن عباس، وأن "هم" من قوله "ولا هم" من ذكر الكفار، وأن قوله «يصحبون» بمعنى يجارون يصحبون بالجوار لأن العرب محكي عنها أنا لك جار من فلان وصاحب بمعنى أجيرك وأمنعك. اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿أم هم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون﴾**.

٦- [**﴿أمتكم أمة واحدة﴾ قال دينكم دين واحد**].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا علي ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره. وأخرجه أيضاً عن مجاهد.

والآية المشار إليها: **﴿إن هذه أمتكمُ أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾**.

٧- [**وقال عكرمة: ﴿حصب﴾ حطب بالحبشية**].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق عبد الملك بن أبجر سمعت عكرمة بهذا. حكاه في الفتح (٦/٣٣٢).

وأخرج ابن جرير ثنا ابن بشار ثنا عبد الرحمن ثنا سفيان عن ابن أبجر عن عكرمة قوله **﴿حصب جهنم﴾** قال: حطب جهنم. وأخرجه أيضاً عن مجاهد

وقتادة.

والآية المشار إليها: ﴿**إنكم وما تعبدون من دون ا لله حصب جهنم أنتم لها واردون**﴾.

٨- [**وقال غيره ﴿أحسوا﴾ توقعوا، من أحسست**].

ش: قال أبو عبيدة: أي لقوه ورأوه يقال: هل أحسست فلاناً، أي هل وجدته، ورأيته ولقيته، ويقال: هل أحسست مني ضعفاً، وهل أحسست من نفسك براً.اهـ.

قلت: وهذا أولى مما ذهب إليه المصنف رحمه ا لله لدلالة ظاهر الأية عليه.

والآية المشار إليها: ﴿**فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون**﴾.

٩- [**﴿خامدين﴾ هامدين**].

ش: قال أبو عبيدة: مجاز الخامد مجاز الهامد كما يقال للنار إذا أطفئت خمدت النار.وقال ابن جرير هالكين قد انطفئت شرارتهم، وسكنت حركتهم فصاروا هموداً.كما تخمد النار فتطفأ.ثم أخرج في المعنى عن ابن عباس وقتادة ومجاهد.

والآية المشار إليها: ﴿**فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين**﴾.

١٠- [**﴿حصيداً﴾ مستأصل، يقع على الواحد والاثنين والجمع**].

ش: قال أبو عبيدة: والحصيد مجازه مجاز المستأصل وهو يوصف بلفظ الواحد والاثنين والجميع من الذكر والأنثى سواء كأنه أُجري مجرى المصدر الذي يوصف به الذكر والأنثى والاثنان والجميع منه على لفظه.اهـ.

١١- [**﴿لا يستحسرون﴾ لا يَعْيُون ومنه ﴿حسير﴾ وحسرت بعيري**].

ش: قال أبو عبيدة: أي لا يفترون ولا يعيون ولا يملون ويقال حسرت البعير.

وأخرج ابن جرير عن ابن زيد لا يفترون ولا يسأمون.وليس بين العبارتين اختلاف في المعنى.

والآية المشار إليها: **﴿وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾**.

١٢- [**﴿عميق﴾ بعيد**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «يقطعن بعد النازح العميق».

والآية المشار إليها هي الآية السابعة والعشرون من سورة الحج، ومناسبة ذكرها ها هنا لما وقع في هذه السورة فجاجاً وجاء في التي بعدها من كل فج عميق.كأنه استطرد من هذه لهذه أو كان في طرة فنقلها الناسخ إلى غير موضعها.كذا وجهه الحافظ.

١٣- [**﴿نكسوا﴾ ردوا**].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه قلبوا ويقال نكست فلاناً على رأسه إذا قهره وعلاه ونحو ذلك.

وحكى ابن جرير في الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: غلبوا في الحجة وبه قال قتادة وابن إسحاق.

وثانيها: بمعنى نكسوا في الفتنة وهو قول السدي.

وثالثها: بمعنى ثم رجعوا عما عرفوا من حجة إبراهيم وبه قال بعض أهل العربية.

قلت: واختلاف هذه العبارات لفظي.

والآية المشار إليها: **﴿ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء**

ينطقون﴾.

١٤- [**﴿صنعة لبوس﴾ الدروع**].

ش: قال أبو عبيدة: «اللبوس السلاح كلها من درع إلى رمح وقال الهذلي:

ومعنى لبوس للبئيس كأنه روقة بجبهة ذي نعاج مجفل»

وقال ابن جرير: «وأما في هذا الموضع فإن أهل التأويل قالوا: عنى الدروع. ثم أخرج المعنى عن قتادة».

والآية المشار إليها: **﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون﴾**.

١٥- [**﴿تقطعوا أمرهم﴾ اختلفوا**].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه واختلفوا وتفرقوا.

وأخرج ابن جرير عن ابن زيد اختلفوا في الدين.

والآية المشار إليها: **﴿وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون﴾**.

١٦- [**الحَسيس والحس والجَرْس والهَمْس واحد، وهو من الصوت الخفي**].

ش: قال أبو عبيدة: أي صوتها والحسيس والحس واحد قال عبيد بن الأبرص:

فاستثال وارتاع من حسيسها وفعله يفعل المذؤوب

والآية المشار إليها: **﴿لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون﴾**.

١٧- [**﴿أذناك﴾ أعلمناك**].

ش: الآية المشار إليها هي السابعة والأربعون من سورة فصلت حم السجدة.

وقد ذكره ها هنا استطراداً وتمهيدا لما بعدها.

١٨- [﴿آذنتكم﴾ إذا أعلمته فأنت وهو على سواء لم تغدر].

ش: قال أبو عبيدة: إذا أنذرت عدوك وأعلمته ذلك ونبذت إليه الحرب حتى تكون أنت وهو على سواء وحذر فقد آذنته على سواء.اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون﴾.**

١٩- [وقال مجاهد: ﴿لعلكم تسألون﴾ تفهمون].

ش: وصله الفريابي من طريقه.قاله في الفتح.

وأخرج ابن جرير: ثنا الحسين ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال: تفقهون.

وهذا هو أحد القولين عنده في الآية.وثمة قول آخر وهو لعلكم تسئلون من دنياكم شيئاً على وجه السخرية والإستهزاء وبه قال قتادة.

والآية المشار إليها: **﴿لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون﴾.**

٢٠- [﴿ارتضى﴾ رضي].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله.

والآية المشار إليها: **﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾.**

٢١- [﴿التماثيل﴾ الأصنام].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله.

والآية المشار إليها: **﴿إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون﴾.**

٢٢- [﴿السجل﴾ الصحيفة].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق وأخرجه أيضاً عن ابن

عباس. وهو **أحد** ثلاثة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: أنه اسم ملك من الملائكة وبه قال ابن عمر والسدي.

وثالثها: أنه اسم رجل كان يكتب لرسول الله ﷺ وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية.

واختار ابن جرير قول مجاهد ومن وافقه. قال: «لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب ولا يعرف لنبينا ﷺ كاتب كان اسمه السجل، ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه». اهـ.

قلت: ولا يجوز العدول عما هو معروف في لغة العرب عند الاطلاق في القرآن إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها.

والآية المشار إليها: ﴿**يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين**﴾.

٢٣٢- [باب **﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا﴾**].

ش: **قلت**: الآية: **﴿يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾**.

يقول تعالى: هذا كائن يوم القيامة يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب كما قال تعالى **﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾**.

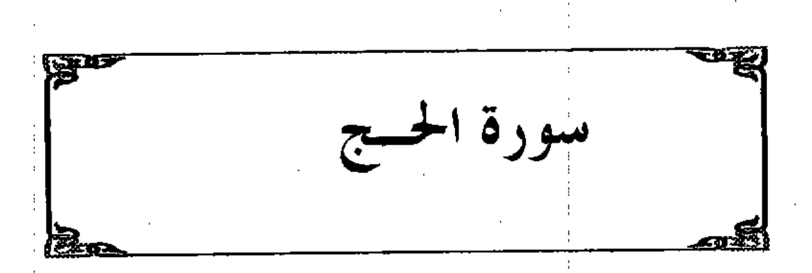
وقوله **﴿كطي السجل للكتب﴾** المراد بالسجل: الكتب كذا قرأه حفص وحمزة والكسائي وقرأ الباقون بالتوحيد.

وقوله **﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾** يعني هذا كائن لا محالة، يوم يعيد الله الخلائق خلقاً جديداً كما بدأهم هو القادر على إعادتهم، وذلك واجب الوقوع لأنه من جملة وعد الله الذي لا يخلف ولا يبدل، وهو القادر على ذلك ولهذا قال **﴿إنا كنا فاعلين﴾**.

٢٦٠- حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة، عن المغيرة بن النعمان شيخ من النخع، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب النبي ﷺ فقال: «إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً ﴿كما بدأنا اول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾ ثم إن أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم ألا إنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح ﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت - إلى قوله - شهيد﴾ فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم».

سبق شرحه في تفسير سورة المائدة ضمن الباب الحادي والعشرين بعد المائة.

آخر تفسير سورة الأنبياء و لله الحمد والمنة.



سورة الحـــج

٢٣٣- سورة الحج بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية هـو قولـه تعـالى **﴿وأذن في النـاس بـالحج يـأتوك رجـالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾**.

وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم وابـن مردويـه والبيهقـي في سـننه عن عقبة بن عامر قال: «**قلت**: يا رسول الله أفضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدتين؟ قال: نعم فمن لم يسجدها فلا يقرأها».

وأخرج أبو داود في المراسيل والبيهقي عن خالد بن مهران أن رسول الله ﷺ قال: «فضلت سورة الحج على القرآن بسجدتين».

والسورة مختلطة منها مكي ومنها مدني حكاه القرطبي عن الجمهور.

قال العزيزي: وهي من أعاجيب السور نزلت ليـ ؟ ونهـاراً، سـفراً وحضـراً، مكياً ومدنياً، سلمياً وحربياً، ناسخاً ومنسوخاً، محكماً ومتشابهاً.

وعدد آياتها ثمان وسبعون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [**وقال ابن عيينة: ﴿المخبتين﴾ المطمئنين**].

ش: هو كذلك في تفسير ابن عيينة.

قلت: وأخرجه ابن جرير عن مجاهد قال: المطمئنين.

وأخرجه عن قتادة قال: المتواضعين.

والآية المشار إليها: **﴿ولكل أمة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾**.

٢- [**وقال ابن عباس: ﴿في أمنيته﴾ إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه فيبطل الله ما يلقي الشيطان ويحكم آياته**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

واعلم أن أهل التفسير مختلفون في معنى قوله "تمنى" في هذا الموضع على قولين وكلاهما حكاهما ابن جرير:

أحدهما: أن ذلك التمني من النبي ﷺ ما حدثته نفسه من محبته مقاربة قومه، في ذكر آلهتهم ببعض ما يحبون ومن قال ذلك محبة منه في بعض الأحوال أن لا تذكر بسوء وهذا هو قول محمد بن كعب القرضي ومحمد بن قيس وأبي العالية وسعيد بن جبير والضحاك.

وثانيهما: أنه بمعنى إذا قرأ وتلا أو حدّث وبه قال ابن عباس وقد قدمناه لك قبل قليل وهو قول مجاهد والضحاك في الرواية الثانية عنه.

٣- [**ويقال أمنيته قراءته**].

ش: **قلت:** هذا هو قول الضحاك في الرواية الثانية عنه كما تقدم قبل قليل.

والآية المشار إليها: **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾**.

٤- [**﴿إلا أماني﴾ يقرؤون ولا يكتبون**].

ش: قلت: أشار به إلى الآية الثامنة والسبعين من سورة البقرة

قال الفراء في تفسيرها: والأمنية في المعنى التلاوة كقول الله ﷻ: **﴿إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾** أي تلاوته، والأماني أيضاً أن يفتعل الرجل الأحاديث المفتعلة.اهـ محل الغرض.

٥- [**وقال مجاهد: ﴿مشيد﴾ بالقصة**].

ش: أخرجه ابن جرير حدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرج نحوه عن عكرمة وعطاء وسعيد بن جبير وهو **أحد** قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: معناه قصر رفيع طويل وهو قول قتادة والضحاك واختار ابن جرير أولهما ومعناه مشيد بالجص أو الكلس.

والآية المشار إليها:**﴿فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد﴾**.

٦- [**وقال غيره ﴿يسطون﴾ يفرطون من السطوة ويقال يسطون يبطشون**].

قلت: الأول هو قول أبي عبيدة وبالثاني قال ابن عباس ومجاهد فيما أخرجه ابن جرير.

والآية المشار إليها: **﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا﴾**.

٧- [**﴿وهدوا إلى الطيب من القول﴾ ألهموا**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وأخرج عن ابن زيد «هدوا إلى الكلام الطيب لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله» وكلا المعنيين صحيح ولا تنافي بينهما.

والآية المشار إليها: ﴿**وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد**﴾.

٨- [قال ابن عباس ﴿بسبب﴾ بحبل إلى سقف البيت].

ش: أخرجه ابن جرير حدثنا أبن حميد ثنا حكام بن عنبسة عن أبي إسحاق الهمداني عن التميمي قال: «سألت ابن عباس...الأثر وفيه «والسبب الحبل والسماء سقف البيت».وأخرج نحوه عن قتادة ومجاهد والضحاك وعكرمة.

والآية المشار إليها:﴿**من كان يظن أن لن ينصره ا لله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع**﴾.

٩- [﴿وهدوا إلى الطيب﴾ ألهموا إلى القرآن].

ش: روى ابن المنذر من طريق سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد في قوله ﴿**إلى الطيب من القول**﴾ قال: القرآن.ذكره الحافظ.

١٠- [﴿تذهل﴾ تشغل].

ش: أخرجه البغوي عن ابن عباس وقال أبو عبيدة في الآية: أي تسلوا وتنسى قال كثيِّر عزه:

صحا قلبه يا عزا وكاد يذهل: أي يصحوا ويسلوا.

وأخرج ابن جرير عن ابن زيد: تترك ولدها للكرب الذي نزل.

والآية المشار إليها: ﴿**يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها**﴾.

٢٣٤- [باب ﴿وترى الناس سكارى﴾].

ش: قلت الآية: **﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾**.

قال تعالى: **﴿يوم ترونها﴾** هذا من باب ضمير الشأن ولهذا قال مفسراً له **﴿تذهل كل مرضعة عما أرضعت﴾** أي تشتغل لهول ما ترى عن أحب الناس إليها، والتي هي أشفق الناس عليه، تدهش عنه في حال إرضاعها له، ولهذا قال **﴿كل مرضعة﴾** ولم يقل كل مرضع وقال **﴿عما أرضعت﴾** أي عن رضيعها قبل فطامه.

وقوله **﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾** أي قبل تمامه لشدة الهول. **﴿وترى الناس سكارى﴾** وقرئ **﴿سكرى﴾** أي من شدة الأمر الذي صاروا فيه قد دهشت عقولهم، وغابت أذهانهم، فمن رآهم حسب أنهم سكارى **﴿وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾**.اهـ من ابن كثير.

٢٦١- حدثنا عمر بن حفص، حدثنا الأعمش، حدثنا أبو صالح، عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله ﷻ يوم القيامة يا آدم يقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار، قال: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف - أراه قال - تسعمائة وتسعة وتسعين، فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم فقال النبي ﷺ: من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد، ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبرنا ثم قال: ثلث أهل الجنة، فكبرنا ثم قال: شطر أهل الجنة فكبرنا».

قال أبو أسامة، عن الأعمش: «﴿ترى الناس سكارى وما هم بسكارى﴾ وقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين».

وقال جرير وعيسى بن يونس وأبو معاوية ﴿سكرى وما هم بسكرى﴾.

ش: فيه أربع عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**قال النبي ﷺ: قال الله ﷻ**» كذا في الأنبياء باب قصة ياجوج وماجوج وفي آخرها تعالى بدل عزوجل. وفي التوحيد باب قول الله تعالى **﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾** «قال النبي ﷺ يقول الله» بلا زيادة. وفي الرقاق «قال رسول الله ﷺ يقول الله» وعند مسلم في الإيمان باب قوله «يقول الله لآدم اخرج بعث النار» «قال رسول الله ﷺ يقول الله ﷻ» وعند النسائي في تفسير السورة «قال رسول الله ﷺ يقول الله تبارك وتعالى» فقد إتفقت هذه الروايات جميعها كما ترى على أن الحديث مرفوع.

الثانية: قوله «**لبيك ربنا وسعديك**» في الأنبياء والرقاق باب قوله عز وجل **﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾** وعند مسلم «فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك» وفي التوحيد «لبيك وسعديك» فقط. وفي الإقتصار على الخير نوع تعطيف ورعاية للأدب، وإلا فالشر أيضاً بتقدير الله كالخير.

قلت: وفي التنزيل الكريم **﴿وإنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا﴾**.

الثالثة: قوله «**فينادى بصوت**» كذا في التوحيد وفي الأنبياء «يقول» وفي الرقاق وعند مسلم «قال يقول» وعند النسائي «يقول الله تبارك وتعالى لآدم يوم القيامة: يا آدم».

قلت: وفي هذا دليل على أن المنادي هو الله جل وعلا وأنه يخاطب عبده آدم ﷺ بلا واسطة بكلام يسمعه آدم وذلك الكلام هو حرف وصوت وهذا هو مذهب العقلاء.

قال **السجزي** ـ رحمه الله ـ في رسالته إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت: «اعلموا أرشدنا الله وإياكم أنه لم يكن خلاف بين الخلق على اختلاف نحلهم من أول الزمان إلى الوقت الذي فيه ابن كلاب والقلانسي والصالحي والأشعري وأقرانهم الذين يتظاهرون بالرد على المعتزلة وهم معهم بل أخس حالاً منهم في الباطن في أن الكلام لا يكون إلا حرفاً وصوتاً ذا تأليف واتساق وإن اختلفت له اللغات...ـ إلى أن قال ـ فالإجماع منعقد بين العقلاء على كون الكلام حرفاً وصوتاً» .اهـ

الرابعة: قوله «**إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار**» وكذا في التوحيد وفي الأنبياء والرقاق وعند مسلم «أخرج بعث النار» وعند النسائي «قم فابعث من ذريتك بعث النار» وعند أحمد «نصيب» بدل «بعث» والبعث بمعنى المبعوث وأصلها في السرايا التي يبعثها الأمير إلى جهة من الجهات للحرب وغيرها، ومعناه هنا ميّز أهل النار من غيرهم، وإنما خص بذلك آدم لكونه والد الجميع ولكونه كان قد عرف أهل السعادة من أهل الشقاء فقد رآه النبي ﷺ ليلة الأسراء وعن يمينه أسودة وعن شماله أسودة.

الخامسة: قوله «**يا رب وما بعث النار**» في الأنبياء والرقاق وعند مسلم والنسائي قال: «وما بعث النار» بدون «يا رب» وفي حديث أبي هريرة في باب كيف الحشر من الرقاق «فيقول كم أخرج» والواو عاطفة على شيء محذوف تقديره سمعت وأطعت وما بعث النار.

السادسة: قوله: «**من كل ألف ـ أراه قال ـ تسعمائة وتسعة وتسعين**» في الأنبياء والرقاق وعند مسلم والنسائي «من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين» بالجزم.وفي حديث أبي هريرة المشار إليه قبل قليل «من كل مائة تسعة وتسعين».

قال الكرماني: «إن مفهوم العدد لا اعتبار له فالتخصيص بعدد لا يدل على نفي الزائد والمقصود من العددين واحد وهو تقليل عدد المؤمنين وتكثير عدد

الكافرين)).

السابعة: قوله ((**فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد**)) في الأنبياء والرقاق وعند مسلم والنسائي ((فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى...الخ ففي الحديث رد على القائلين إن زلزلة الساعة المذكورة في قوله تعالى ﴿**إن زلزلة الساعة شيء عظيم**﴾ واقعة في الدنيا وهم علقمة والشعبي وابن جريج ومحمد بن كعب القرظي. أخرجه عنهم ابن جرير في تفسير الآية.

الثامنة: قوله ((**فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم**)) في الأنبياء ((قالوا يا رسول الله وأينا ذلك الواحد)) وفي الرقاق وعند مسلم ((فاشتد ذلك عليهم)) وعند النسائي ((فشق ذلك على الصحابة)) وفي حديث ابن عباس ((فشق ذلك على القوم ووقعت عليهم الكآبة والحزن)) وعند الترمذي والنسائي في تفسير سورة الحج والحاكم في الإيمان وصححه من حديث عمران بن حصين ((فأبلس القوم حتى ما أبدوا بضاحكة)).

التاسعة: قوله ((**من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد**)) في الأنبياء ((أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً)) وفي الرقاق وعند مسلم ((فقال: أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفاً ومنكم رجل)) وعند النسائي ((فدخل منزله ثم خرج عليهم فقال من يأجوج ومأجوج ألف ومنكم واحد)) وعند الترمذي من حديث عمران ((فقال اعملوا وابشروا)).

قال الحافظ: ((وقد فتح الله تعالى بأجوبة أخر وهو حمل حديث أبي سعيد ومن وافقه على جميع ذرية آدم فيكون من كل ألف عشرة، ويقرب ذلك أن يأجوج ومأجوج ذكروا في حديث أبي سعيد دون حديث أبي هريرة)). قاله في شرحه لهذا الحديث في الرقاق بعد نقله كلام الكرماني المتقدم في المسألة السادسة.

العاشرة: قوله ((**ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور**

الأبيض» في الأنبياء «ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود» وفي الرقاق «إن أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود» وعند مسلم «إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالرقمة في ذراع الحمار» وعند النسائي «ما أنتم في الأمم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض» وفي باب كيف الحشر من الرقاق من حديث ابن مسعود قال: «وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر» وفي حديث عمران عند الترمذي والنسائي «ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة».

قال مقيده: والذي يظهر لي من مجموع هذه الروايات إخباره ﷺ بأن أتباعه على دينه أقل الناس ويؤيده رواية ابن مسعود المتقدمة «ما أنتم في أهل الشرك».

الحادية عشرة: قوله «**فإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة**» وكذا عند النسائي وفي الأنبياء والرقاق وعند مسلم «والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة» وفي الرقاق وعند مسلم «إني لأطمع» وفي حديث ابن مسعود «أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة».

قلت: واختلاف الروايات محمول على تعدد القصة ويؤيد ذلك أنه في حديث ابن مسعود قال: «كنا مع النبي ﷺ في قبة» وفي حديث عمران بن حصين وهو عند الترمذي والنسائي قال: «كنا مع النبي ﷺ في مسير فتفاوت بين أصحابه في السير» فذكر نحو حديث أبي سعيد.

الثانية عشرة: قوله «**فكبرنا**» وكذا في الأنبياء وفي الرقاق وعند مسلم «فحمدنا الله وكبرنا» وعند النسائي «فكبروا وحمدوا الله».

الثالثة عشرة: قوله «**ثلث أهل الجنة فكبرنا**» في الأنبياء «أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة» وفي الرقاق وعند مسلم «والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا

ثلث أهل الجنة» وعند النسائي «إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبروا وحمدوا».

الرابعة عشرة: قوله «**شطر أهل الجنة فكبرنا**» في الأنبياء «أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبرنا» وفي الرقاق وعند مسلم «والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة» وعند النسائي «إني لأرجو الله أن تكونوا نصف أهل الجنة».

وقوله «**قال أبو أسامة عن الأعمش: سكارى وما هم بسكارى**» يعني أنه وافق حفص بن غياث في رواية هذا الحديث عن الأعمش بإسناده ومتنه وقد أخرجه أحمد عن وكيع عن الأعمش كذلك.

وقوله «**وقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين**» تقدم في المسألة السادسة.

قوله «**وقال جرير وعيسى ويونس وأبو معاوية ﴿سكرى وما هم بسكرى﴾**» بمعنى أنهم رووه عن الأعمش بإسناده هذا ومتنه لكنهم خالفوا في هذه اللفظة.

قلت: وبهذه الأخيرة قرأ حمزة والكسائي وبالأولى قرأ الباقون كما في **الكشف.**

فأما رواية جرير فوصلها المصنف في الرقاق.

وأما رواية عيسى ويونس فوصلها إسحاق بن راهوية عنه كذلك.

وأما رواية أبي معاوية فاختلف عليه فيها، فرواها بلفظ «سكرى» أبو بكر بن أبي شيبة عنه، وقد أخرجها سعيد بن منصور عن أبي معاوية والنسائي عن أبي كريب عن أبي معاوية فقالا في روايتهما «سكرى وما هم بسكارى» وكذا عند الإسماعيلي من طريق أخرى عن أبي معاوية، وأخرجها مسلم عن أبي كريب عنه مقرونة برواية وكيع وأحال بهما على رواية جرير.

وروى ابن مردويه من طريق محاضر، والطبري من طريق المسعودي كلاهما عن ابن مسعود «سكرى وما هم بسكرى» قال: وهو جيد في العربية.انتهى.

ونقله الإجماع عجب مع أن أصحابه الكوفيين يحيى بن وثاب وحمزة والأعمش والكسائي قرؤوا بمثل ما نقل عن ابن مسعود، ونقلها أبو عبيد أيضاً عن حذيفة وأبي زرعة بن عمرو واختارها أبو عبيد.انتهى قاله الحافظ في الفتح (٨/٤٤٢).

من فقه الحديث.

أولاً: فضيلة آدم ﷺ وشرفه

ثانياً: في نداء الله إياه إثبات صفة الكلام لله فإنه جل وعلا يكلم من شاء متى شاء وكيف شاء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

ثالثاً: كثرة أهل النار.

رابعاً: كثرة يأجوج ومأجوج.

خامساً: إن أكثر أهل الجنة من أمة محمد ﷺ وهذا دليل على أنها تفضل سائر الأمم.

٢٣٥- [باب **﴿ومن الناس من يعبد ا لله على حرف فإن أصابه خيرٌ اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة﴾ - إلى قوله - ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾**].

ش: تمام السياق **﴿ذلك هو الخسران المبين يدعوا من دون ا لله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد﴾**.

يعني جل ذكره بقوله **﴿ومن الناس من يعبد ا لله على حرف﴾** أعراباً كانوا يقدمون على رسول ا لله ﷺ مهاجرين من باديتهم فان نالوا رخاء من عيش بعد الهجرة و الدخول في الأسلام أقاموا على الأسلام و ألا ارتدوا على أعقابهم فقال ا لله**﴿ومن الناس من يعبد ا لله﴾** على شك **﴿فان أصابه خير اطمأن به﴾** وهو السعه من العيش وما يشبهه من أسباب الدنيا اطمأن به يقول استقر بالأسلام وثبت عليه **﴿وإن أصابته فتنة﴾** وهو الضيق في العيش وما يشبهه من أسباب الدنيا **﴿انقلب على وجهه﴾** يقول ارتد فانقلب على وجهه الذي كان عليه من الكفر با لله

وقوله **﴿يدعو من دون ا لله ما لا يضره وما لا ينفعه﴾** يقول تعالى ذكره وإن أصابت هذا الذي يعبد ا لله على حرف فتنة، إرتد عن دين ا لله، يدعو من دون ا لله آلهة لا تضره إن لم يعبدها في الدنيا، ولا تنفعه في الآخرة إن عبدها **﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾** يقول: ارتداده ذلك داعيا من دون ا لله هذه الآلهة هو الأخذ على غير استقامة، والذهاب عن دين ا لله ذهاباً بعيداً.

[**﴿أترفناهم﴾ وسعناهم**].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه وسعنا عليهم فأترفوا فيها وبغوا وبطروا فكفروا وأعجبوا قال العجاج:

وقد رآني بالديار مترفاً

قلت: وهذه الكلمة من الآية الثالثة والثلاثين من قد أفلح المومنون و لم تظهر

لنا المناسبة لذكرها ها هنا ولعله تصرف من الناسخ.

٢٦٢ـ حدثني إبراهيم بن الحارث[١] حدثنا يحيى بن أبي بكير[٢] حدثنا إسرائيل، عن حصين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ قال كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته غلاماً ونتجت خيله قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء».

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**كان الرجل يقدم المدينة**» وعند ابن أبي حاتم من رواية جعفر بن أبي المغيرة «كان الناس من الأعراب يأتون النبي ﷺ فيسلمون» ساق إسنادها ابن كثير.

الثانية: قوله «**فإن ولدت امرأته غلاماً، ونتجت خيله قال: هذا دين صالح**» وفي رواية جعفر المذكورة «فإن وجدوا عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن قالوا: إن ديننا هذا لصالح فتمسكوا به» وأخرج ابن المنذر من طريق الحسن «قال لنعم الدين هذا» حكاه الحافظ.

الثالثة: قوله «**وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال: هذا دين سوء**» وفي رواية جعفر المتقدمة «فإن وجدوا عام جدوبة وعام ولاد سوء وعام قحط قالوا: ما في ديننا هذا خير».

---

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن الحارث بن إسماعيل البغدادي نزيل نيسابور، صدوق من الحادية عشرة مات سنة خمس وستين ومائتين.خ.كد.

(٢) هو يحيى بن أبي بكير واسمه نسر الكرماني كوفي الأصل، نزل بغداد ثقة من التاسعة، مات سنة ثمان أو تسع ومائتين.ع.

٢٣٦- [باب **﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾**].

ش: تمامها **﴿فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾**.

قوله **﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾** أي هذان خصمان اختصموا في دين ربهم، واختصامهم في ذلك معاداة كل فريق منهما الفريق الآخر، ومحاربته إياه على دينه.

وقوله **﴿فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار﴾** يقول تعالى ذكره فأما الكافر با لله منهما فإنه يقطع له قميص من نحاس من نار.

وقوله **﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾** يقول يصب على رؤوسهم ماء مغلي.

٢٦٣- حدثنا حجاج بن منهال حدثنا هشيم أخبرنا أبو هاشم[1] عن أبي مجلز[2] عن قيس بن عباد[3] عن أبي ذر[4] رضي ا لله عنه «أنه كان يقسم فيها أن هذه الآية ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ نزلت في حمزة وصاحبيه، وعتبة وصاحبيه، يوم برزوا في يوم بدر».

رواه سفيان عن أبي هاشم وقال عثمان عن جرير عن منصور عن أبي هاشم عن أبي مجلز قوله.

---

(١) هو يحيى بن دينار الرماني الواسطي وقيل ابن الأسود وقيل ابن نافع ثقة من السادسة مات سنة اثنتين وعشرين [ومائة] وقيل سنة خمس وأربعين. ع.

(٢) هو لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي البصري مشهور بكنيته ثقة من كبار الثالثة، مات سنة ست وقيل تسع ومائة وقيل قبل ذلك. ع.

(٣) هو أبو عبد ا لله قيس بن عباد البصري، ثقة من الثانية مخضرم مات بعد الثمانين ووهم من عده في الصحابة. خ.م.د.س.ق.

(٤) هو جندب بن جنادة الغفاري الصحابي المشهور، تقدم إسلامه وتأخرت هجرته فلم يشهد بدراً ومناقبه كثيرة جداً مات سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان. ع.

٢٦٤ـ حدثنا حجاج بن منهال حدثنا معتمر بن سليمان قال: سمعت أبي قال: حدثنا أبو مجلز عن قيس بن عباد عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: «أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، قال قيس: وفيهم نزلت ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ قال: هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة».

ش: فيهما سبع مسائل:

الأولى: قوله «**كان يقسم فيها**» وفي المغازي باب قتل أبي جهل وعند مسلم في التفسير «سمعت أبا ذر يقسم قسماً» وعند ابن جرير من رواية سفيان عن أبي هاشم «سمعت أبا ذر يقسم با لله قسماً»

الثانية: قوله «**إن هذه الآية ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾**» في المغازي «**﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾**» وعند مسلم «إن **﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾** إنها نزلت» وعنده أيضاً وعند المصنف في المغازي من طريق سفيان «لنزلت هؤلاء الآيات».

الثالثة: قوله «**في حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه**» فسره في المغازي وعند مسلم «حمزة وعلي وعبيد بن الحارث وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة.

الرابعة: قوله «**يوم برزوا في يوم بدر**» لم يقع في هذه الرواية تفصيل المبارزين وذكر ابن إسحاق أن عبيدة بن الحارث وعتبة بن ربيعة كانا أسن القوم فبرز عبيدة لعتبة، وحمزة لشيبة، وعلي للوليد.

قال الحافظ: وعند موسى بن عقبة: برز حمزة لعتبة وعبيدة لشيبة وعلي للوليد ثم اتفقا فقتل علي الوليد وقتل حمزة الذي بارزه واختلف عبيدة ومن بارزه بضربتين فوقعت الضربة في ركبة عبيدة فمات منها لما رجعوا بالصفراء، ومال حمزة وعلي إلى الذي بارز عبيدة فأعاناه على قتله.

وعند الحاكم من طريق عبد خير عن علي مثل قول موسى بن عقبة، وعند

أبي الأسود عن عروة مثله، وأورد ابن سعد من طريق عبيدة السلماني أن شيبة لحمزة وعبيدة لعتبة وعلياً للوليد ثم قال الليث إن عتبة لحمزة وشيبة لعبيدة.اهـ

قال بعض من لقيناه: اتفقت الروايات على أن علياً للوليد وإنما اختلفت في عتبة وشيبة أيهما لعبيدة وحمزة، والأكثرون على أن شيبة لعبيدة.

قلت: وفي دعوى الإتفاق نظر، فقد أخرج أبو داود من طريق حارثة بن مضرب عن علي قال: «تقدم عتبة وتبعه ابنه وأخوه فانتدب له شباب من الأنصار فقال لا حاجة لنا فيكم إنما أردنا بني عمنا، فقال رسول الله ﷺ قم يا حمزة، قم يا علي، قم يا عبيدة.فأقبل حمزة إلى عتبة وأقبلت إلى شيبة واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان فأثخن كل واحد منهما صاحبه، ثم ملنا على الوليد فقتلناه واحتملنا عبيدة».

قلت: وهذا أصح الروايات لكن الذي في السير من أن الذي بارزه علي هو الوليد هو المشهور وهو اللائق بالمقام، لأن عبيدة وشيبة كانا شيخين كعتبة وحمزة بخلاف علي والوليد فكانا شابين.

وقد روى الطبراني بإسناد حسن عن علي قال: «أعنت أنا وحمزة وعبيدة بن الحارث على الوليد بن عتبة فلم يعب النبي ﷺ ذلك علينا».وهذا موافق لرواية أبي داود والله أعلم.اهـ من الفتح (٧/٢٩٤).

الخامسة: قوله «أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة» يجثو بالجيم والمثلثة أي يقعد على ركبتيه مخاصماً، والمراد بهذه الأولية تقييده بالمجاهدين من هذه الأمة لأن المبارزة المذكورة أول مبارزة وقعت في الإسلام.اهـ من الفتح.

السادسة: قوله «**وفيهم نزلت**» في المغازي من رواية سليمان التيمي قال علي رضي الله عنه: «فينا نزلت هذه الآية».

قلت: وهذا تصريح بوصل الخبر عن علي ﷺ ويجوز عندي أن قيساً ذكره مرة مرسلاً وذكره مرة عن علي.

السابعة: قوله «﴿**هذان خصمان**﴾ **الخ**».تقدم الكلام عليه في المسألة الثانية وما بعدها.

وفي الحديثين النص على أن المراد بالخصمين هم المؤمنون والكفار المتبارزون يوم بدر وهذا هو قول هلال بن يساف وعطاء وقيس بن عباد وهو **أحد** أقوال أربعة حكاها ابن جرير.

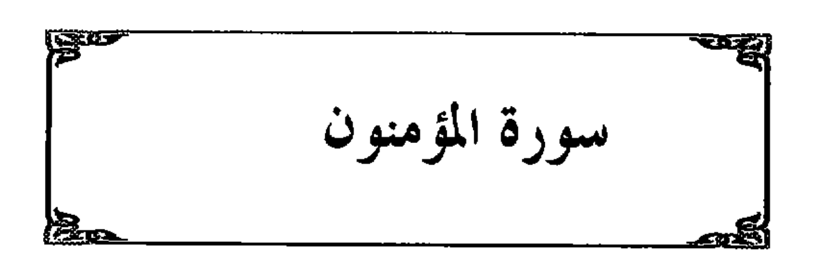
وثانيها: أن الفريق الآخر أهل الكتاب وبه قال ابن عباس.

وثالثها: أن الفريق الآخر هم الكفار كلهم من أي ملة كانوا قاله الحسن بن علي وعاصم والكلبي ومجاهد.

ورابعها: أن الخصمين هما الجنة والنار وهو قول عكرمة.

وإن قلت أي هذه الأقوال ترى أنه يشمله عموم الآية **قلت:** نختار قول مجاهد ومن وافقه لأنه لا ينافي القولين قبله وظاهر الآية يؤيده.

آخر تفسير سورة الحج و لله الحمد والمنة.



سورة المؤمنين

بسم ا لله الرحمن الرحيم

ش: وفي نسخة أخرى برواية الهروي المؤمنون، وشاهد التسمية ظاهر في أول آية.

وعن عبد ا لله بن السائب قال: «صلى النبي ﷺ بمكة الصبح فاستفتح سورة المؤمنين حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون، أو ذكر عيسى أخذته سعلة فركع» أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم.

وقال القرطبي: كلها مكية في قول الجميع، وآياتها تسع عشرة ومائة.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [**قال ابن عيينة: ﴿سبع طرائق﴾ سبع سموات**].

ش: هو في تفسير ابن عيينة من رواية سعيد بن عبد الرحمن عنه، وأخرجه ابن جرير عن ابن زيد.

والآية المشار إليها: **﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين﴾**.

٢- [**﴿لها سابقون﴾ سبقت لهم السعادة**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس، وأخرج عن ابن زيد «فتلك الخيرات».

والآية المشار إليها: **﴿أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾**

٣- [**﴿قلوبهم وجلة﴾ خائفين**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بلفظ «يعملون خائفين».

والآية المشار إليها: **﴿والذين يؤتون ما ءاتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون﴾**.

٤- [قال ابن عباس: **﴿هيهات هيهات﴾ بعيد بعيد**].

ش: أخرجه ابن جرير حدثني علي ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها: **﴿هيهات هيهات لما توعدون﴾**.

٥- [**﴿فاسأل العادّين﴾ الملائكة**].

ش: أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير كلاهما عن ابن أبي نجيح عن مجاهد.

وهو **أحد** قولين في الآية.

وثانيهما: أنهم الحسّاب وهو قول قتادة وأخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة.

والآية المشار إليها: **﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين﴾**.

٦- [**﴿لناكبون﴾ لعادلون**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وكذا قال أبو عبيدة وزاد:: يقال نكب عنه ويقال نكب عن فلان أي عدل عنه ويقال نكب عن الطريق أي عدل عنه.

والآية المشار إليها: **﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون﴾**.

٧- **[﴿كالحون﴾ عابسون]**.

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس.

والآية المشار إليها: **﴿تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون﴾**.

٨- **[وقال غيره ﴿من سلالة﴾ الولد والنطفة السلالة]**.

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وقالت بنت النعمان بن بشير الأنصارية:

وهل كنت إلا مهرة عربية سلالة أفراس تجللها بغل

فإن نتجت مهرا كريما فبالحري وإن يك إقراف فمن قبل الفحل

تقول لزوجها روح بن زنباع الجذامي.اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾**.

٩- **[والجنة والجنون واحد]**.

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: **﴿إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين﴾**.

١٠- **[والغثاء الزبد وما ارتفع عن الماء وما لا ينتفع به]**.

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: في شيء.

والآية المشار إليها: **﴿فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاءً فبعداً للقوم الظالمين﴾**.

١١- **[﴿يجأرون﴾ : يرفعون أصواتهم كما تجأر البقرة]**.

ش: قاله أبو عبيدة إلا أنه قال الثور بدل البقرة وزاد: قال عدي بن زيد:

إنني والله فاسمع حلفي بأبيل كلما صلى جأر

والآية المشار إليها: ﴿**حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجئرون**﴾.

١٢- [﴿**على أعقابكم**﴾ **رجع على عقبيه**].

ش: قال أبو عبيدة: يقال لمن رجع من حيث جاء: نكص فلان على عقبيه.

والآية المشار إليها: ﴿**قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون**﴾.

١٣- [﴿**سامراً**﴾ **من السَّمَر، والجميع السُّمَّار والسامر ها هنا في موضع الجمع**].

ش: قال أبو عبيدة: «وهو من سمر الليل قال ابن أحمر:

من دونهم إن جئتهم سمراً عزف القيان ومجلس عمر

وسامر في موضع «سمّار» بمنزل طفل في موضع أطفال». اهـ

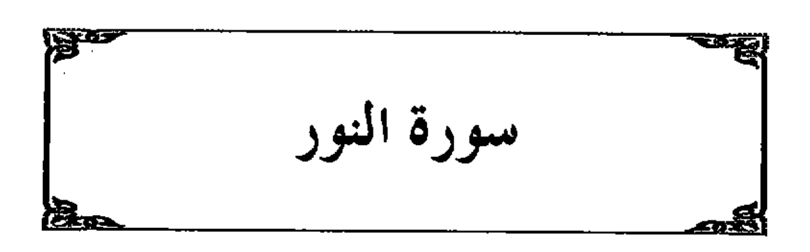
والآية المشار إليها: ﴿**مستكبرين به سامراً تهجرون**﴾.

١٤- [﴿**تسحرون**﴾ **تعمون من السحر**].

ش: قال أبو عبيدة: أي فكيف تعمون عن هذا وتصدون عنه ونراه من قوله «سحرت أعيننا عنه فلم نبصره».

والآية المشار إليها : ﴿ **قل من بيده ملكوت كلِّ شيئ وهو يجير ولايُجار عليه إن كنتم تعلمون ، سيقولون لله قل فأنى تُسحرون** ﴾

آخر تفسير سورة قد أفلح المؤمنون و لله الحمد والمنة.



٢٣٨- بسم ا لله الرحمن الرحيم سورة النور.

ش/ شاهد التسمية : قوله تعالى ﴿**ا لله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح...**﴾ الآية.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزبير قالا: أنزلت سورة النور بالمدينة.

وآياتها أربع وستون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات :

١- [﴿من خلاله﴾ من بين أضعاف السحاب].

ش/ قال أبو عبيدة: أي من بين السحاب يقال: من خلاله ومن خلله قال زيد الخيل:

ضربن بغمرة فخرجن منها خروج الودق من خلل السحاب

وأخرج ابن جرير بسنده عن ابن عباس أنه قرأها ﴿**من خلله**﴾ بفتح الخاء من غير ألف قال هارون ـ أحد رواته ـ فذكرت ذلك لأبي عمرو فقال إنها لحسنة، ولكن خلاله أعم.

والآية المشار إليها:﴿**ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله**﴾.

٢- [﴿سنا برقه﴾ الضياء].

ش/ قال أبو عبيدة: منقوص أي ضوء البرق و"سناء" الشرف ممدود.اهـ.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس وابن زيد "ضوء" وقال قتادة "لمعان".

والآية المشار إليها:﴿**وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار**﴾.

٣- [﴿مذعنين﴾ يقال للمستخذي مذعن].

ش/ قال أبو عبيدة: أي مقرين مستخذين منقادين، يقال أذعن لي إنقاد لي.

وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: "سراعاً".

قلت: وليس بين العبارتين إختلاف في المعنى.

والآية المشار إليها:﴿**وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين**﴾.

٤- [﴿أشتاتاً﴾ وشتى وشتات وشتٌ واحد].

ش/ قاله أبو عبيدة دون قوله شتٌ.

وقال في المصباح: شت شتاً من باب ضرب إذا تفرق والاسم الشتات،

وشتى شتيت وزان كريم متفرق وقوم شتى على فعل فعلى متفرقون وجاءوا أشتاتا كذلك.وشتان ما بينهما أي بعد.اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿**ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً**﴾.

٥- [**وقال ابن عباس: ﴿سورة أنزلناها﴾ بيناها**].

ش/ أخرجه ابن جرير حدثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وأخرج عن ابن زيد نحوه.

٦- [**وقال غيره: سمي القرآن لجماعة السور وسميت السورة لأنها مقطوعة من الأخرى، فلما قرن بعضها إلى بعض سمي قرآناً**].

ش/ قال أبو عبيدة عند قوله تعالى ﴿**فأتوا بسورة من مثله**﴾ وهي الآية الثالثة والعشرون من سورة البقرة أي من مثل القرآن، وإنما سميت سورة لأنها مقطوعة من الأخرى وسمي القرآن قرآناً لجماعة السور.اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿**سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها أيات بينات لعلكم تذكرون**﴾.

٧- [**وقال سعد بن عياض الثمالي: المشكاة الكوة بلسان الحبشة**].

ش/ سعد بن عياض الثمالي بضم المثلثة وتخفيف الميم نسبة إلى ثمالة قبيلة من الأزد وهو كوفي تابعي، ذكر مسلم أن أبا إسحاق تفرد بالرواية عنه، وزعم بعضهم أن له صحبة و لم يثبت، وما له في البخاري إلا هذا الموضع، وله حديث عن ابن مسعود عند أبي داود والنسائي قال ابن سعد: كان قليل الحديث وقال البخاري: مات غازياً بأرض الروم وقوله «المشكاة الكوة بلسان الحبشة» وصله ابن شاهين من طريقه ووقع لنا بعلو في فوائد جعفر السراج.اهـ قاله في الفتح.

قلت: وفيه لأهل العلم بالتأويل ستة أقوال:

أولها: أنها كل كوة لا منفذ لها وبه قال كعب الأحبار وابن عباس وابن

جريج.

ثانيها: أنها صَدْرُ المؤمن وهو قول أبي بن كعب والرواية الثانية عن ابن عباس.

وثالثها: أنها جوف المؤمن قاله مجاهد وهو الرواية الثالثة عن ابن عباس.

ورابعها: أنها قلب المؤمن وبه قال الحسن وابن زيد.

وخامسها: أنها القنديل وهو قول مجاهد في الرواية الثانية عنه.

وسادسها: أنها الحديد الذي يعلق به القنديل قاله مجاهد في الرواية الثالثة عنه.

أخرجها ابن جرير ثم قال: مثل مشكاة وهي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة وذلك هو نظير الكوة التي في الحيطان التي لا منفذ لها.

والآية المشار إليها:﴿ **لله نور السموات والآرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح**﴾.

٨- [**وقوله تعالى ﴿إن علينا جمعه وقرآنه﴾ تأليف بعضه إلى بعض ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ فإذا جمعناه وألفناه فاتبع قرآنه أي ما جمع فيه فاعمل بما أمرك وانته عما نهاك ا لله ويقال: ليس لشِعْره قرآن أي تأليف، وسمي الفرقان لأنه يفرِّق بين الحق والباطل ويقال للمرأة ما قرَأَتْ بِسَلاً قط، أي لم تجْمَع في بطنها ولداً**].

ش/ قال أبو عبيدة في الآية الثامنة عشرة من سورة القيامة: «اتبع جمعه فإذا قرأناه : جمعناه وهي من قول العرب ما قَرَأَتْ هذه المرأةُ سلى قط.قال عمرو بن كلثوم: لم تقرأ جنيناً».اهـ.

وهذا التفسير شاهد لما ذكره في الأثر السادس عند قوله "وقال غيره...الخ".وكان حقه أن يليه كما في النسخة التي اعتمدها الحافظ.

والآية المشار إليها هي الثامنة عشرة من سورة القيامة وسيأتي تفسيرها.

٩- [**وقال ﴿فَرّضْنَاها﴾ أنزلنا فيها فرائض مختلفة، ومن قرأ ﴿فَرَضْناها﴾**

يقول فرضنا عليكم وعلى من بعدكم].

ش/ قال الفراء في تفسيره: ومن قال فرضناها يقول أنزلنا فيها فرائض مختلفة وإن شاء فرضناها عليكم وعلى من بعدكم إلى يوم القيامة، والتشديد لهذين الوجهين حسن.

قلت: وكلتا القراءتين سبعية صحيحة فبالتشديد قرأ ابن كثير وأبو عمرو وبالتخفيف قرأ بقية السبعة. حكاه مكي.

والآية المشار إليها مضت في الأثر السادس .

١٠- [**قال مجاهد: ﴿أو الطفل الذين لم يظهروا﴾ لم يدروا، لِما بِهِم من الصِّغَر]**.

ش/ أخرجه ابن جرير حدثني محمد ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: «لم يدروا ما ثم من الصغر قبل الحلم».

والآية المشار إليها: **﴿أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾**.

١١- [**وقال الشعبي ﴿غير أولي الإربة﴾ من ليس له أَرب]**.

ش/ أخرجه ابن جرير حدثنا ابن بشار ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن المغيرة عن الشعبي قال: الذي لا أرب له في النساء.

١٢- [**وقال طاوس: هو الأحمق الذي لا حاجة له في النساء]**.

ش/ أخرجه ابن جرير ثنا الحسن أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال: الأحمق الذي ليست له همة في النساء.

١٣- [**وقال مجاهد: لا يهمه إلا بطنه ولا يُخاف على النساء]**.

ش/ أخرجه ابن جرير حدثنا ابن بشار ثنا عبد الرحمن ثنا إسماعيل بن علية عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ قال: الذي يريد الطعام ولا يريد النساء.

وأخرج من طريق شريك عن منصور عن مجاهد قال الأبله.

وهذه الثلاثة الأقوال متقاربة.

٢٣٩- [باب قوله عزوجل ﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات با لله إنه لمن الصادقين﴾].

ش: يقول تعالى ذكره: **﴿والذين يرمون﴾** من الرجال **﴿أزواجهم﴾** بالفاحشة فيقذفونهن بالزنا، ولم يكن لهم شهداء يشهدون لهم بصحة ما رموهن به من الفاحشة.

ويعني بقوله **﴿فشهادة أحدهم أربع شهادات با لله﴾** فحلف أحدهم أربع أيمان با لله من قول القائل: أشهد با لله إنه لمن الصادقين فيما رمى زوجته به من الفاحشة.اهـ من ابن جرير.

وقال ابن كثير: «هذه الآية الكريمة فيها فرج للأزواج وزيادة مخرج إذا قذف أحدهم زوجته وتعسر عليه إقامة البينة أن يلاعنها كما أمر ا لله ﷻ وهو أن يحضرها إلى الإمام فيدعي عليها بما رماها به فيحلفه الحاكم أربع شهادات با لله في مقابلة أربعة شهداء إنه لمن الصادقين.

٢٦٥- حدثنا إسحاق حدثنا محمد بن يوسف حدثنا الأوزاعي حدثني الزهري عن سهل بن سعد أن عويمراً أتى عاصماً بن عديّ وكان سيد بني عجلان فقال: «كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلاً، أيقتله فتقتلونه، أم كيف يصنع؟ سل لي رسول ا لله ﷺ عن ذلك.فأتى عاصمٌ النبيَ ﷺ فقال: يا رسول ا لله فكره رسول ا لله ﷺ المسائل، فسأله عويمر، فقال: إن رسول ا لله ﷺ كره المسائل وعابها، قال عويمر: وا لله لا أنتهي حتى أسأل رسول ا لله ﷺ عن ذلك فجاء عويمر فقال: يا رسول ا لله، رجل وجد مع امرأته رجلاً، أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع؟ فقال رسول ا لله ﷺ: قد أنزل ا لله القرآن فيك وفي صاحبتك فأمرهما رسول ا لله ﷺ بالملاعنة بما سمى ا لله في كتابه فلاعنها ثم قال: يا رسول ا لله إن حبستها فقد ظلمتها فطلقها، فكانت سنة لمن كان بعدهما في المتلاعنين.ثم قال رسول ا لله ﷺ: انظروا، فإن جاءت به أسحم

أدعج العينين، عظيم الأليتين، خدلج الساقين فلا أحسب عويمراً إلا قد صدق عليها، وإن جاءت به أحيمر، كأنه وحرة فلا أحسب عويمراً إلا قد كذب عليها».فجاءت به على النعت الذي نعت به رسول ا لله ﷺ من تصديق عويمر، فكان بعد ينسب إلى أمه».

ش: فيه خمس عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**أن عويمر**» في رواية القعنبي عن مالك «عويمر بن أشقر» وكذا أخرجه أبو داود، وأبو عوانة من طريق عياض بن عبد ا لله الفهري عن الزهري، ووقع في "الإستيعاب" «عويمر بن أبيض» وعند الخطيب في "المبهمات" «عويمر بن الحارث»، وهذا هو المعتمد؛ فإن الطبري نسبه في "تهذيب الآثار" فقال: «هو عويمر بن الحارث بن زيد بن الجد بن عجلان،فلعل أباه كان يلقب أشقر، أو أبيض».اهـ من الفتح.

الثانية: قوله «**أتى عاصم بن عدي وكان سيد بني عجلان**» أي ابن الجد بن العجلان العجلاني، وهو ابن عم والد عويمر.والجد بفتح الجيم وتشديد الدال، والعجلان بفتح المهملة وسكون الجيم، هو: ابن حارثة بن ضبيعة من بني بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، وكان العجلان حالف بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس من الأنصار في الجاهلية وسكن المدينة فدخلوا في الأنصار؛ وقد ذكر ابن الكلبي أن امرأة عويمر هي بنت عاصم المذكور وأن اسمها خولة. وقال ابن مندة في كتابه "الصحابة": «خولة بنت عاصم التي قذفها زوجها فلاعن النبي ﷺ بينهما، لها ذكر ولا تعرف لها رواية» وتبعه أبو نعيم ولم يذكرا سلفهما في ذلك وكأنه ابن الكلبي.حكاه الحافظ.

الثالثة: قوله «**كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلاً**» عند مسلم في اللعان «أرأيت يا عاصم لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً» وعند المصنف في الطلاق باب من جوز الطلاق لثلاث من رواية مالك «أرأيت رجلاً».وفي

المساجد باب القضاء واللعان في المسجد من رواية ابن جريج «أن رجلاً قال يا رسول الله أرايت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً» وفي التلاعن في المسجد من الطلاق وعند مسلم من رواية ابن جريج «أن رجلاً من الأنصار جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله» وفي حديث ابن مسعود عند مسلم في اللعان «قال: إنا ليلة الجمعة في المسجد إذا جاء رجل من الأنصار فقال: لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً فتكلم جلدتموه، أو قتل قتلتموه، وإن سكت سكت على غيظ...الخ الحديث».

قلت: فلا تعارض لجواز تعدد القصة وإن كانت واحدة فيجوز أن صاحبها سأل رسول الله ﷺ وسأل غيره.

الرابعة: قوله «**أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع**» أي قصاصاً لتقدم علمه بحكم القصاص لعموم قوله تعالى: ﴿**النفس بالنفس**﴾ لكن قال ذلك لاحتمال أن يخص من ذلك ما يقع بالسبب الذي لا يقدر على الصبر عليه غالباً من الغيرة التي في طبع البشر، ولأجل هذا قال: «أم كيف يفعل»؟ وفي أول باب الغيرة استشكل سعد بن عبادة مثل ذلك وقال «لو رأيته لضربته بالسيف غير مصفح» وذلك قبل أن ينزل اللعان

الخامسة: قوله «**فأتى عاصم النبي ﷺ فقال: يا رسول الله فكره رسول الله ﷺ المسائل**» في الطلاق «فكره رسول الله ﷺ المسائل وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله ﷺ».

السادسة: قوله «**فسأله عويمر فقال: إن رسول الله ﷺ كره المسائل وعابها**» في الطلاق وعند مسلم في اللعان «فلما رجع عاصم إلى أهله جاءه عويمر فقال: يا عاصم ماذا قال لك رسول الله ﷺ؟ قال عاصم لعويمر: لم تأتني بخير قد كره رسول الله ﷺ المسألة التي سألته عنها».

السابعة: قوله «**والله لا أنته حتى أسأل رسول الله ﷺ عن ذلك**» في

الطلاق وعند مسلم في اللعان «فقال عويمر: وا لله لا أنتهي حتى أسأله عنها».

الثامنة: قوله «**فجاء عويمر فقال: يا رسول ا لله رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع؟**» في الطلاق وعند مسلم في اللعان «فأقبل عويمر حتى جاء رسول ا لله ﷺ وسط الناس فقال: يا رسول ا لله ..» الحديث.

التاسعة: قوله «**قد أنزل ا لله القرآن فيك وفي صاحبتك**» في الطلاق وعند مسلم في اللعان «فقال رسول ا لله ﷺ قد أُنزل فيك وفي صاحبتك فاذهب فات بها» وفي الإعتصام «فأنزل ا لله القرآن خلف عاصم» وفي رواية ابن جريج في الطلاق «فأنزل ا لله في شأنه ما ذكر في القرآن من أمر الملاعنة» وفي رواية إبراهيم بن سعد «فأتاه فوجده قد أنزل ا لله عليه» ويمكن الجمع بأن نزول القرآن في عويمر وزوجه فور انصراف عاصم من عند النبي ﷺ وأن عويمراً لم يعلم بذلك حتى أتى رسول ا لله ﷺ فأعلمه.

العاشرة: قوله «**فأمرهما رسول ا لله ﷺ بالملاعنة بما سمى ا لله في كتابه فلاعنها**» في الطلاق وعند مسلم في اللعان «قال سهل: فتلاعنا وأنا مع الناس عند رسول ا لله ﷺ» وعند المصنف في الطلاق وعند مسلم في اللعان من رواية ابن جريج «فتلاعنا في المسجد وأنا شاهد» ولم يذكر هاهنا ولا في غيره من الطرق كيفية ملاعنة عويمر وزوجه؛ لكن في حديث ابن عمر عند مسلم «فبدأ بالرجل فشهد أربع شهادات با لله أنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة ا لله عليه إن كان من الكاذبين ثم ثنى بالمرأة فشهدت أربع شهادات با لله أنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب ا لله عليها إن كان من الصادقين» الحديث.

قلت: فهذا بيان صريح في كيفية تلك الملاعنة وهو من بيان السنة بالسنة.

الحادية عشرة: قوله «**يا رسول ا لله إن حبستها فقد ظلمتها، فطلقها**» في الطلاق وعند مسلم في اللعان «قال عويمر: كذبت عليها يا رسول ا لله إن أمسكتها، فطلقها ثلاثاً قبل أن يأمره رسول ا لله ﷺ» وفي حديث ابن عمر عند

المصنف في الطلاق «ففرق بينهما» والجمع بينهما أن عويمر طلق زوجه بعد الملاعنة ثم فرق بينهما ﷺ تفريقاً أبدياً بعدها، ويؤيده قوله بعد «لا مال لك، إن كنت صادقاً فقد دخلت بها، وإن كنت كاذباً فهو أبعد منك».

الثانية عشرة: قوله «**فكانت سنة لمن كان بعدهما في المتلاعنين**» في الطلاق وعند مسلم في اللعان قال ابن شهاب: «فكانت سنة المتلاعنين».زاد أبو داود عن القعنبي عن مالك «فكانت تلك» وهي إشارة إلى الفرقة.

الثالثة عشرة: قوله «**انظروا فإن جاءت به أسحم، أدعج العينين، عظيم الأليتين، خدلج الساقين فلا أحسب عويمرا إلا قد صدق عليها**» وعند المصنف في الطلاق «إن جاءت به أحمر قصيراً كأنه وحرة فلا أراها إلا قد صدقت وكذب عليها، وإن جاءت به أسود أعين ذا إليتين فلا أراه إلا قد صدق عليها» ومعنى قوله «أسحم» أي شديد السواد وقوله «أدعج» أي أكحل أو شديد سواد العينين وقوله «خدلج الساقين» أي ممتلئان باللحم.

الرابعة عشرة: قوله «**فجاءت به على النعت الذي نعت به رسول الله ﷺ**» عند المصنف في الطلاق «فجاءت به على المكروه من ذلك».

الخامسة عشرة: قوله «**فكان بعد ينسب إلى أمه**» عند مسلم في اللعان وعند المصنف في الطلاق من رواية ابن عمر «وألحق الولد بالمرأة».

من فقه الحديث:

أخرج الحديث الإمام أبو عمر ابن عبد البر في باب ابن شهاب عن سهل بن سعد من كتابه التمهيد (١٨٨/٦) واستنبط منه أكثر من عشرين فائدة ونحن ننقل بعضها مع تصرف واختصار. ـ قال ـ في هذا الحديث من الفقه:

١ـ السؤال عن الإشكال

٢ـ وفيه أن الاستفهام بـ "أرأيت" عن المسائل كان قديماً في عصر رسول الله ﷺ.

٣ـ وفيه أن يتولى السؤال عن مسألتك غيرك وإن كانت مهمة.

٤ـ وفيه قبول خبر الواحد؛ لأنه لو لم يجب قبول خبره عنده ما أرسله يسأل له.

٥ـ وفيه كراهية سماع الكلام إذا فيه تعريض بقبيح.

٦ـ فيه أن طباع البشر أن تكون الغيرة تحمل على سفك الدماء إلا أن يعصم الله عن ذلك بالعلم والتثبت والتقى.

٧ـ وفيه أن العالم إذا كره السؤال له أن يعيبه وينجه[1].صاحبه.

٨ـ وفيه أن من لقي شيئاً من المكروه بسبب غيره كان له أن يؤنب ذلك الذي لقي المكروه بسببه ويعاتبه، لقول عاصم لعويمر: لم تأتني بخير.

٩ـ وفيه أن المحتاج إلى المسألة من مسائل العلم لا يردعه عن تفهمها غضب العالم وكراهيته لها حتى يقف على الثلج منها.

١٠ـ وفيه أن السؤال عما يلزم علمه من أمر الدين واجب في المحافل وغير المحافل، وأنه لا حياء يلزم فيه؛ ألا ترى إلى قوله: فأقبل عويمر حتى أتى رسول الله ﷺ ـ وهو وسط الناس ـ فقال: يا رسول الله أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل؟.

١١ـ وفيه أن الملاعنة لا تكون إلا عند السلطان وأنها ليست كالطلاق الذي للرجل أن يوقعه حيث أحب وهذا ما لا خلاف فيه.

---

(١) نجه صاحبه ينجهه كمنع: زجره وانتهره.انظر اللسان والتاج (مادة نجه).

٢٤٠- [باب ﴿والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين﴾].

ش/ يقول: والشهادة الخامسة **﴿أن لعنة الله عليه﴾** يقول: إن لعنة الله له واجبة وعليه حاله إن كان فيما رماها به من الفاحشة من الكاذبين.

٢٦٦- حدثني سليمان بن داود أبو الربيع[1]: حدثنا فليح، عن الزهري، عن سهل بن سعد: أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت رجلاً رأى مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل؟ فأنزل الله فيهما ما ذكر في القرآن من التلاعن فقال له رسول الله ﷺ: «قد قضى الله فيك وفي امرأتك» قال: فتلاعنا وأنا شاهد عند رسول الله ﷺ ففارقها فكانت سنة أن يفرق بين المتلاعنين، وكانت حاملاً فأنكر حملها وكان ابنها يدعى إليها ثم جرت السنة في الميراث أن يرثها وترث منه ما فرض الله لها».

ش : سبق شرحه في الباب قبله وفيه هنا ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**وكانت حاملاً فأنكر حملها**» فيه التصريح بأن اللعان وقع والمرأة حاملاً ويؤيده ما في رواية العباس بن سهل بن سعد عن أبيه عند أبي داود «فقال النبي ﷺ لعاصم بن عدي: أمسك المرأة عندك حتى تلد».

الثانية: قوله «**وكان ابنها يدعى إليها**» عند المصنف في الطلاق وعند مسلم في اللعان من رواية ابن عمر: «وألحق الولد بالمرأة».

قلت: فيه دليل على أن ولد الملاعنة ينسب إليها لا إلى زوجها الذي لاعنها.

الثالثة: قوله «**ثم جرت السنة في الميراث أن يرثها وترث منه ما فرض الله لها**» هذه الأقوال كلها أقوال ابن شهاب وهو موصول إليه بالسند المبدأ به وقد وصله سويد بن سعيد عن مالك عن ابن شهاب عن سهل بن سعد.

---

(١) هو سليمان بن داود العتكي، الزهراني البصري، نزيل بغداد، ثقة لم يتكلم فيه أحد بحجة، من العاشرة، مات سنة أربع وثلاثين [ومائتين]. خ.م.د.س.

قال الدارقطني في (غرائب مالك) : «لا أعلم أحداً رواه عن مالك غيره».قاله الحافظ في الفتح (٤٥٣/٩).

فائدة في كيفية إرث ولد اللعان:

قال الخرقي (١٢٢/٧): «وابن الملاعنة ترثه أمه وعصبتها، فإن خلف أماً وخالاً، فلأمه الثلث، وما بقي فللخال».

قال الشارح: «وجملته أن الرجل إذا لاعن امرأته ونفى ولدها، وفرق الحاكم بينهما انتفى ولدها عنه، وانقطع تعصيبه من جهة الملاعن فلم يرثه هو ولا أحد من عصباته، وترث أمه وذووا الفروض منه فروضهم وينقطع التوارث بين الزوجين، ولا نعلم بين أهل العلم في هذه الجملة خلافاً».

٢٤١- [باب ﴿ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات با لله إنه لمن الكاذبين﴾].

ش/ يعني حل ذكره بقوله ﴿**ويدرأ عنها العذاب**﴾ وهو الحد أن تحلف با لله أربع أيمان أن زوجها الذي رماها بما رماها به من الفاحشة لمن الكاذبين فيما رماها به من الزنا.

٢٦٧- حدثني محمد بن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، عن هشام بن حسان، حدثنا عكرمة، عن ابن عباس: أنّ هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء، فقال النبي ﷺ: «البينة أو حدٌّ في ظهرك». فقال: يا رسول ا لله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي ﷺ يقول: «البينة وإلا حدٌّ في ظهرك». فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، فلَينزلنَّ ا لله ما يبرّئ ظهري من الحدِّ، فنزل جبريل وأنزل عليه: ﴿والذين يرمون أزواجهم - فقرأ حتى بلغ - إن كان من الصادقين﴾. فانصرف النبي ﷺ فأرسل إليها. فجاء هلال فشهد، والنبي ﷺ يقول: «إن ا لله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب». ثم قامت فشهدت، فلما كانت عند الخامسة وقّفوها وقالوا: إنها موجبة. قال ابن عباس: فتلكأت ونكصت، حتى ظننّا أنها ترجع، ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم، فمضت، فقال النبي ﷺ: «أبصروها، فإن جاءت به أكحل العينين، سابغ الأليتين، خدلّج الساقين، فهو لشريك بن سحماء». فجاءت به كذلك، فقال النبي ﷺ: «لولا ما مضى من كتاب ا لله، لكان لي ولها شأن».

ش : فيه خمس عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ**» هو هلال بن أمية بن عامر بن قيس الواقفي الأنصاري شهد بدراً وما بعدها، وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك، وتيب عليهم.

الثانية: قوله «**شريك بن سحماء**» **قلت:** سحماء هي أمه وأبوه عبدة بن معتب بن الجد بن العجلان بن حارثة البلوي من حلفاء الأنصار قيل شهد أحد مع أبيه وهو أخو البراء بن مالك لأمه. حكاه في أسد الغابة.

الثالثة: قوله «**البينة أو حد في ظهرك**» قال ابن مالك: «ضبطوا البينة بالنصب على تقدير عامل أي: أحضر البينة».وقال غيره: «روي بالرفع والتقدير: إما البينة، وإما حد».وقوله في الرواية المشهورة «أو حد في ظهرك» قال ابن مالك: «حذف منه فاء الجواب وفعل الشرط بعد إلا والتقدير: وإلا تحضرها فجزاؤك حد في ظهرك».

قلت: ومراده أن يحضر أربعة شهود على ما ادعى به أو أن يجلد ثمانين جلدة كما قال تعالى: ﴿**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة**﴾.

الرابعة: قوله «**إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة**» **قلت:** وهذا سؤال استغراب ومعناه كيف للرجل في هذه الحال طلب البينة وأين يجدها.

الخامسة: قوله «**فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد**».كذا في هذه الرواية أن آيات اللعان نزلت في قصة هلال بن أمية، وفي حديث سهل الماضي أنها نزلت في عويمر ولفظه: «فجاء عويمر فقال: يا رسول الله رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه، أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك».فأمرهما بالملاعنة» وقد اختلف الأئمة في هذا الموضع فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر، ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال، ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال وصادف مجيء عويمر أيضاً فنزلت في شأنهما معاً في وقت واحد.

ويؤيد التعدد أن القائل في قصة هلال سعد بن عبادة كما أخرجه أبو داود

والطبري من طريق عباد بن منصور، عن عكرمة، عن ابن عباس مثل رواية هشام بن حسان بزيادة في أوله «لما نزلت ﴿**والذين يرمون أزواجهم**﴾ الآية قال سعد بن عبادة: لو رأيت لكاعا قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه حتى آتي بأربعة شهداء، ما كنت لآتي بهم حتى يفرغ من حاجته، قال فما لبثوا إلا يسيراً حتى جاء هلال بن أمية».والقائل في قصة عويمر، عاصم بن عدي كما في حديث سهل ابن سعد في الباب الذي قبله.وأخرج الطبراني من طريق الشعبي مرسلاً قال: «لما نزلت ﴿**والذين يرمون أزواجهم**﴾ الآية قال عاصم بن عدي إن أنا رأيت فتكلمت جلدت، وإن سكت سكت على غيظ» الحديث.ولا مانع أن تتعدد القصص ويتحد النزول.قاله الحافظ.

قلت: وهذا جمع حسن ونظائره أكثر من أن تحصى ويشهد لتعدد القصة ما رواه مسلم عن ابن عمر: «أن هلال بن أمية قذف امرأته» الحديث وفيه «وكان أول رجل لاعن في الإسلام».

السادسة: قوله «**فنزل جبريل - إلى قوله - ﴿كان من الصادقين﴾**».وعند أبي داود في اللعان من كتاب الطلاق عن الحسن بن علي «فنزلت ﴿**والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم**﴾ الآيتين كلتيهما فسرى عن رسول الله ﷺ فقال: «أبشر يا هلال، قد جعل الله عز وجل لك فرجاً ومخرجاً».

السابعة: قوله «**فأرسل إليها**» في حديث الحسن المذكور «فقال رسول الله ﷺ: أرسلوا إليها» فجاءت».

الثامنة: قوله «**فجاء هلال فشهد**» أي فشهد على نفسه أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن عليه لعنة الله إن كان من الكاذبين.

التاسعة: قوله «**والنبي ﷺ يقول: إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما من تائب**» عند أبي داود من حديث الحسن «فتلاها عليهما رسول الله ﷺ وذكرهما وأخبرهما إن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا» ويجمع بينهما

بأن الوعظ كان قبل بدء الملاعنة وهذه العبارة أثناءها.

العاشرة: قوله «**ثم قامت فشهدت**» في حديث الحسن المذكور «ثم قيل لها: اشهدي، فشهدت أربع شهادات با لله إنه لمن الكاذبين».

الحادية عشرة: قوله «**فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا إنها الموجبة**» عند أبي داود «فلما كانت الخامسة قيل لها: اتق ا لله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب».

الثانية عشرة: قوله «**فتلكأت، ونكصت حتى ظننا أنها ترجع** - إلى قوله - **فمضت**».وعند أبي داود من رواية عباد بن منصور «فتلكأت ساعة، ثم قالت: وا لله لا أفضح قومي، فشهدت الخامسة أن غضب ا لله عليها إن كان من الصادقين».

الثالثة عشرة: قوله «**أبصروها** - إلى قوله - **فهو لشريك بن سحماء**».عند أبي داود «إن جاءت به أصيهب أريصح أثيبج حمش الساقين، فهو لهلال، وإن جاءت به أورق جعداً جمالياً خدلج الساقين سابغ الإليتين فهو للذي رميت به».

الرابعة عشرة: قوله «**فجاءت به كذلك**».في رواية عباد عند أبي داود «فجاءت به أورق جعداً جمالياً خدلج الساقين سابغ الأليتين».

الخامسة عشرة: قوله «**لولا ما مضى من كتاب ا لله لكان لي ولها شأن**».عند أبي داود «لولا الأيمان لكان لي ولها شأن».

قلت: ومراده بالأيمان: ما شهد به كل منهما على نفسه.والمعنى أنه لولا ما مضى من أيمانهما لرجم المرأة لأنها جاءت بالولد على النعت المكروه.

من فقه الحديث:

أولاً: فيه دليل أن آيات اللعان مخصصة لعموم قوله تعالى: ﴿**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة**﴾.

ثانياً: البدء في اللعان بالرجل ثم التثنية بالمرأة.

ثالثاً: تذكير المتلاعنين ووعظهما أثناء اللعان.

رابعاً: في مجيء الولد على النعت المكروه علم من أعلام نبوته ﷺ.

٢٤٢- [باب قوله ﴿**والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين**﴾].

ش/ قوله ﴿**والخامسة أن غضب الله عليها ...**﴾ الآية.يقول: والشهادة الخامسة أن غضب الله عليها إن كان زوجها فيما رماها به من الزنا من الصادقين.

٢٦٨- حدثنا مقدم بن محمد بن يحيى[1]: حدثنا عمي القاسم بن يحيى[2] عن عبيد الله، وقد سمع منه، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن رجلاً رمى امرأته، فانتفى من ولدها، في زمان رسول الله ﷺ فأمر بهما رسول الله ﷺ فتلاعنا كما قال الله، ثم قضى بالولد للمرأة، وفرّق بين المتلاعنين».

ش: فيه ست مسائل:

الأولى: قوله «**أن رجلاً**».في الطلاق من رواية جويرية «أن رجلا من الأنصار».وفيه من رواية عبيد الله «لاعن النبي ﷺ بين رجل وامرأة من الأنصار».

الثانية: قوله «**رمى امرأته**».في الطلاق من رواية جويرية المذكورة «قذف امرأته».

قلت: والمعنى على كلتا الروايتين أنه ادعى على امرأته عند رسول الله ﷺ بفعل فاحشة الزنا.

الثالثة: قوله «**فانتفى من ولدها في زمان رسول الله ﷺ**».في الحديث السادس والستين بعد المائتين برواية سهل بن سعد «وكانت حاملاً، فأنكر حملها».

قلت: والحاصل أنه تبرأ من هذا الولد، وكره أن يلحق به في النسب فأقره

(١) هو مقدم بن محمد بن يحيى بن عطاء بن مقدم الهلالي المقدمي، الواسطي، صدوق ربما وهم من العاشرة.خ.

(٢)هو أبو محمد القاسم بن يحيى بن عطاء بن مقدم بن مطيع الهلالي المقدمي، الواسطي، ثقة من التاسعة مات سنة سبع وتسعين ومائة.خ.

النبي ﷺ على ذلك، وهي السنة في ولد الملاعنة، كما تقدم بيانه في حديث سهل.

الرابعة: قوله «**فتلاعنا كما قال ا لله**».

قلت: وبيانه ﴿**والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات با لله إنه لمن الصادقين، والخامسة أن لعنة ا لله عليه إن كان من الكاذبين.ويدرؤا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات با لله إنه لمن الكاذبين.والخامسة أن غضب ا لله عليها إن كان من الصادقين**﴾.

الخامسة: قوله «**ثم قضى بالولد للمرأة**».عند مسلم في اللعان والمصنف في الطلاق من رواية ابن عمر «وألحق الولد بالمرأة».

السادسة: قوله «**وفرق بين المتلاعنين**».في الطلاق «وفرق النبي ﷺ بين أخوي عجلان».وعند أبي داود من حديث سهل: قال حضرت هذا عند رسول ا لله ﷺ فمضت السنة بعد في المتلاعنين أن يفرق بينهما ثم لا يجتمعان أبداً».

قلت: فتحصل من هذا أمران:

أحدهما: أن المتلاعنين: عويمر العجلاني، وزوجه.

وثانيهما: أن الفرقة باللعان أبدية.

فائدة:

ونرى من المناسب ختم الكلام على هذه الأحاديث الثلاثة، وهي في اللعان كما رأيت بعدة مباحث.

الأول: في تعريف اللعان: فهو مصدر: لاعن يلاعن لعاناً، وملاعنة، مشتق من اللعن؛ لأن كل واحد من الزوجين يلعن نفسه في الخامسة.

الثاني: في صفته، أن يبدأ الزوج قائلاً أربع مرات: أشهد با لله لقد زنت زوجتي هذه ويشير إليها إن كانت حاضرة، ويسميها، وينسبها إن كانت غائبة، ويزيد في الخامسة أن لعنة ا لله عليه إن كان من الكاذبين.ثم تقول هي أربع مرات: أشهد با لله لقد كذب فيما رماني به من الزنا ثم تقول في الخامسة: وإن

غضب الله عليها إن كان من الصادقين.

الثالث: الحكمة من مشروعيته، أن الرجل إذا رأى الفاحشة في زوجه فلا يتمكن من السكوت كما لو رآه من الأجنبية؛ لأن هذا عار عليه، وفضيحة له، وانتهاك لحرمته. ولا يقدم على قذف زوجته إلا من تحقق؛ لأنه لن يقدم على هذا إلا بدافع من الغيرة الشديدة إذ أن العار واقع عليهما فيكون هذا مقوياً لصحة دعواه.

الرابع: وقد اختلف العلماء فيمن وجد مع امرأته رجلا فتحقق الأمر فقتله هل يقتل به؟ فمنع الجمهور الاقدام وقالوا يقتص منه إلا أن يأتي ببينة الزنى أو على المقتول بالاعتراف أو يعترف به ورثته، فلا يقتل القاتل به بشرط أن يكون المقتول محصناً وقيل بل يقتل به لأنه ليس له أن يقيم الحد بغير إذن الإمام، وقال بعض السلف بل لا يقتل أصلاً ويعزر في ما فعله إذا ظهرت أمارات صدقه وشرط أحمد وإسحاق ومن تبعهما أن يأتي بشاهدين أنه قتله بسبب ذلك، ووافقهم ابن القاسم وابن حبيب من المالكية لكن زاد أن يكون المقتول قد أحصن.قال القرطبي: ظاهر تقرير عويمر على ما قال يؤيد قولهم كذا قال والله أعلم.

٢٤٣ـ [باب قوله ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾].

ش/ يقول تعالى ذكره: إن الذين جاؤوا بالكذب والبهتان **﴿عصبة منكم﴾** يقول: جماعة منكم أيها الناس.**﴿لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم﴾** يقول: لا تظنوا ما جاؤوا به من الإفك شراً لكم عند الله، وعند الناس، بل ذلك خير لكم عنده وعند المؤمنين، وذلك أن الله يجعل ذلك كفارة للمدعى به، ويظهر براءته مما رمي به، ويجعل له منه مخرجاً.

وقوله **﴿لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم﴾** يقول: لكل امرئ من الذين جاؤوا بالإفك جزاء ما اجترم من الإثم، بمجيئه بما جاء به.

وقوله **﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾** يقول: والذي تحمل معظم ذلك الإثم والإفك منهم هو الذي بدأ بالخوض فيه، له من الله عذاب عظيم يوم القيامة.

[أفّاك: كذاب].

ش/ قاله أبو عبيدة وزاد: بهّات.

والكلمة وقعت في الآية الثانية والعشرين بعد المائتين من الشعراء، وفي الآية السابعة من الجاثية، وأظن الشيخ ذكرها ها هنا لمناسبة الإفك.

٢٦٩ـ حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها: ﴿والذي تولى كبره﴾ قالت: عبد الله بن أبي بن سلول.

ش : فيه مسألتان:

الأولى: قوله « **﴿والذي تولى كبره﴾** تقدم شرحه في الآية.

الثانية: قوله «**عبد الله بن أبي بن سلول**» وبه قال ابن عباس، وهشام بن

عروة، ومجاهد، وابن زيد.وهو أحد قولين لأهل العلم في الآية.

والقول الآخر: أنه حسان بن ثابت وهو الرواية الثانية عن عائشة.

أخرجهما ابن جرير، واختار أنه عبد الله بن أبي فقال: وذلك أنه لا خلاف بين أهل العلم بالسير أن الذي بدأ بذكر الإفك، وكان يجمع أهله ويحدثهم عبد الله بن أبي بن سلول، وفعله ذلك على ما وصفت كان توليه كبر ذلك الأمر.

قلت: ويؤيده أيضاً أنه قول من سمينا من أهل العلم مع احدى الروايتين عن عائشة وهي صاحبة القصة.

٢٤٤- [باب قوله ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين، لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾].

ش: هذا عتاب من الله تعالى ذكره أهل الإيمان به، فيما وقع في أنفسهم من إرجاف من أرجف في أمر عائشة بما أرجف به، يقول لهم تعالى ذكره: هلا أيها الناس إذ سمعتم ما قال أهل الإفك في عائشة، ظن المؤمنون منكم والمؤمنات بأنفسهم خيراً.يقول ظننتم بمن قرف بذلك منكم خيراً، ولم تظنوا به أنه أتى الفاحشة، وقال ﴿**بأنفسهم**﴾؛لأن أهل الإسلام كلهم بمنزلة نفس واحدة؛ لأنهم أهل ملة واحدة.

وقوله ﴿**وقالوا هذا إفك مبين**﴾ يقول: وقال المؤمنون والمؤمنات هذا الذي سمعناه من القول الذي رمي به عائشة من الفاحشة: كذب وإثم، يبين لمن عقل وفكر فيه، أنه كذب وإثم وبهتان.

وقوله ﴿**لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء...**﴾ الآية.أي هلا جاءوا عليه، أي على ما قالوا بأربعة شهداء يشهدون على صحة ما جاءوا به ﴿**فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون**﴾ أي في حكم الله كاذبون فاجرون.

٢٧٠- حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله مما قالوا - وكلٌّ حدثني طائفة من الحديث، وبعض حديثهم يصدِّقُ بعضاً، وإن كان بعضهم أوعى له من بعض - الذي حدثني عروةُ عن عائشة رضي الله عنها أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: « كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه، فأيتهنَّ خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه.قالت عائشة:

فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي، فخرجت مع رسول ا لله ﷺ بعد ما نزل الحجاب، فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه.فسرنا حتى إذا فرغ رسول ا لله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي، فإذا عقدٌ لي من جَزْع ظِفَار قد انقطع، فالتمست عقدي وحبسني ابتغاؤه.وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبت وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلهن اللحم، إنما تأكلُ العُلْقة من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب.فأممت منزلي الذي كنت فيه، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إليّ.فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السّلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأدلج، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقضت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، وا لله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتُها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك، وكان الذي تولى الإفك عبد ا لله بن أبيّ بن سلول؛ فقدمنا المدينة، فاشتكيت حين قدمت شهراً، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك، لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول ا لله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليّ رسول ا لله ﷺ فيسلم ثم يقول: كيف تيكم، ثم ينصرف، فذاك الذي يريبني ولا أشعر حتى خرجت بعد ما نقهت، فخرجت معي أمُّ مسطح قبل المناصع، وهو متبرزنا

وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط، فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا.فانطلقت أنا وأمُّ مسطح - وهي ابنة أبي رُهم بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة - فأقبلت أنا وأم مسطح قِبَل، بيتي قد فرغنا من شأننا، فعثرت أمُّ مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح.فقلت لها: بئس ما قلتِ، أتسُبِّين رجلاً شهد بدراً؟.قالت: أي هنتاه، أو لم تسمعي ما قال؟.قالت قلت: وما قال؟.فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً على مرضي.فلما رجعت إلى بيتي ودخل علي رسول الله ﷺ تعني سلم ثم قال: كيف تيكم؟ فقلت: أتأذن لي أن آتي أبويَّ - قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما - قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ، فجئت أبويّ، فقلت لأمي: يا أمتاه ما يتحدث الناس؟.قالت: يا بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كَثَّرن عليها.قالت فقلت: سبحان الله، أو لقد تحدث الناس بهذا؟.قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي.فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما حين استلبث الوحي يستأمرهما في فراق أهله.قالت: فأما أسامة ابن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود فقال: أهلك يا رسول الله، وما نعلم إلا خيراً.وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك.قالت: فدعا رسول الله بريرة، فقال: أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك؟.قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت عليها أمراً أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله.فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذ من عبد

ا لله بن أبي بن سلول، فقالت: فقال رسول ا لله ﷺ وهو على المنبر: يـا معشـر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟.فـوا لله مـا علمـت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجـلاً مـا علمـت عليـه إلا خـيراً.ومـا كـان يدخل على أهلي إلا معي.فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يـا رسـول ا لله، أنا أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربـت عنقـه، وإن كـان مـن إخواننـا مـن الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك.قالت: فقام سعد بن عبـادة ــ وهـو سـيد الخـزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية ـ فقال لسعد: كذبت لعمر ا لله، لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضير ـ وهو ابن عـم سـعد ــ فقـال لسـعد بـن عبـادة: كذبـت لعمـر ا لله لنقتلنـه، فـإنك منـافق تجـادل عـن المنافقين.فتثاور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلـوا ورسـول ا لله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول ا لله ﷺ يُخفضهم حتى سكتوا وسكت.قالت: فمكثت يومي ذلك لا يرقـأ لي دمـع ولا أكتحـل بنـوم.قـالت: فـأصبح أبـواي عندي وقد بكيـت ليلتـين ويومـا لا أكتحـل بنـوم ولا يرقـأ لي دمـع يظنـان أن البكاء فالق كبدي، قالت : فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي ، فاسـتأذنت عليّ امرأةٌ من الأنصار فأذِنت لها، فجلست تبكي معي .قالت: فبينا نحـن علـى ذلك دخل علينا رسول ا لله ﷺ فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عنـدي منـذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني.قالت: فتشهد رسـول ا لله ﷺ حين جلس ثم قال: أما بعد، يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكـذا، فإن كنت بريئة فسيبرؤك ا لله، وإن كنت ألممت بذنب فاسـتغفري ا لله وتوبـي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تـاب إلى ا لله تـاب ا لله عليـه.قـالت: فلمـا قضى رسول ا لله مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي أجب رسول ا لله ﷺ فيما قال.قال: وا لله ما أدري مـا أقـول لرسـول ا لله ﷺ.فقلـت لأمي: أجيبي رسول ا لله ﷺ.قالت: ما أدري ما أقـول لرسـول ا لله ﷺ.قـالت:

فقلت ـ وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن ـ:إني وا لله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة ـ وا لله يعلم أني بريئة ـ لا تصدقونني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر ـ وا لله يعلم أني منه بريئة ـ لتصدقُنّي.وا لله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف، قال ﴿فصبر جميل وا لله المستعان على ما تصفون﴾.قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي.قالت: وأنا حينئذ أعلم أني بريئة وأن ا لله مبرئي ببراءتي، ولكن وا لله ما كنت أظن أن ا لله منزل في شأني وحيا يتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم ا لله فيّ بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول ا لله ﷺ في النوم رؤيا يبرؤني ا لله بها.قالت: فوا لله ما رام رسول ا لله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أُنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدّر منه مثل الجمان من العرق وهو في يوم شات من ثقل القول الذي ينزل عليه.قالت: فلما سرّي عن رسول ا لله ﷺ سرّي عنه وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها: يا عائشة، أما ا لله عزوجل فقد برأك.فقالت أمي: قومي إليه.قالت: فقلت: وا لله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا ا لله عز وجل.وأنزل ا لله ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه...﴾ العشر الآيات كلها.فلما أنزل ا لله في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي ا لله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: وا لله لا أنفق على مسطح شيئاً أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال.فأنزل ا لله ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل ا لله، وليعفوا وليصفحوا، ألا تحبون أن يغفر ا لله لكم وا لله غفور رحيم﴾.قال أبو بكر: بلى وا لله، إني أحب أن يغفر ا لله لي.فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال: وا لله لا أنزعها منه أبداً.قالت عائشة: وكان رسول ا لله يسأل زينب ابنة جحش عن أمري فقال: يا زينب، ماذا علمت أو

رأيت؟.فقالت: يا رسول ا لله، أحمي سمعي وبصري.ما علمت إلا خيراً.قالت ــ وهي الـتي كـانت تسـاميني مـن أزواج رسـول ا لله ﷺ فعصمهـا ا لله بـالورع، وطفقت أختها حمنة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك».

ش : فيه إحدى وستون ومائة مسألة:

الأولى: قوله «**كان رسول ا لله ﷺ إذا أراد أن يخرج**» زاد معمر « سـفراً» أي إلى السفر، فهو منصوب بنزع الخافض أو ضمن يخـرج معنـى ينشـئ فيكـون سفراً نصباً على المفعوليـة، وفي روايـة فليـح وصـالح بـن كيسـان « كـان إذا أراد سفراً».

الثانية: قوله «**قرع بين أزواجه**» القرعة: السهمة، والمقارعة المساهمة، وقـد اقترع القوم وتقارعوا وقارع بينهم، وأقرع أعلى وأقرعت بين الشـركاء في شـيء يقتسمونه، وقارعه فقرعه يقرعه أي أصابته القرعة دونه.

قلت: هذا في اللغة وفي الاصطلاح: ما ثبت فيه الحـق لاثنـين فـأكثر وتقـع المشاحاة فيه، فيقرع لفصل النزاع.

والقرعة مما اختلف في مشـروعيته، والجمهـور علـى القـول بهـا في الجملـة، وأنكرها بعض الحنفية.وحكى ابن المنذر عن أبي حنيفة القول بها.

الثالثة: قوله «**فأيتهن خـرج سـهمها خـرج بهـا رسـول ا لله ﷺ**».وقـع في رواية الأصيلي من طريق فليح « فأيهن» بغير مثناة والأولى أولى.

قلت: والمعنى أن من أصابتها القرعة كان حقاً عليها مصاحبـة النبي ﷺ في سفره ولها حق الاستئثار به في ذلك السفر.

الرابعة: قوله «**في غزوة غزاها**» هــي غـزوة بـني المصطلـق، وصـرح بذلـك محمد بن إسحاق في روايته، وكذا أفلــح بـن عبـد ا لله عنـد الطـبراني، وعنـده في رواية أبي أويس « فخرج سهم عائشة في غزوة بني المصطلق من خزاعـة».وعنـد البزار من حديث أبي هريرة « فأصابت عائشة القرعة في غزوة بني المصطلق».

الخامسة: قوله «**فخرج سهمي**» هذا يشعر بأنها كانت في تلك الغزوة وحدها، لكن عند الواقدي من طريق عباد بن عبد الله عنها أنها خرجت معه في تلك الغزوة أيضاً أم سلمة، وكذا في حديث ابن عمر، وهو ضعيف، ولم يقع لأم سلمة في تلك الغزوة ذكر.ويدل على انفرادها أنه في رواية ابن إسحاق في السيرة قالت: « فخرج سهمي عليهن، فخرج بي معه».

السادسة: قوله «**بعد ما نزل الحجاب**».أي بعد ما نزل الأمر بالحجاب، والمراد حجاب النساء عن رؤية الرجال لهن، وكن قبل ذلك لا يمنعن، وهذا قالته كالتوطئة للسبب في كونها كانت مستترة في الهودج حتى أفضى ذلك إلى تحميله وهي ليست فيه، بخلاف ما كان قبل الحجاب، فلعل النساء حينئذ كن يركبن ظهور الرواحل بغير هودج، أو يركبن الهوادج غير مستترات، فما كان يقع لها الذي يقع، بل كان يعرف الذي كان يخدم بعيرها إن كانت ركبت أم لا.

السابعة: قوله «**فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه**».في رواية ابن إسحاق في السيرة « فكنت إذا رحلوا بعيري جلست في هودجي ثم يأخذون بأسفل الهودج فيضعونه على ظهر البعير.والهودج بفتح الهاء والدال بينهما واو ساكنة وآخره جيم: محمل له قبة تستر بالثياب ونحوه، يوضع على ظهر البعير يركب عليه النساء ليكون أستر لهن.

الثامنة : قوله : « **فسرنا حتى إذا فرغ**» كذا اقتصرت القصة، لأن مراد سياق الإفك خاصة وإنما ذكرت ما ذكرت ذلك كالتوطئة لما أرادت اقتصاصه، ويحتمل أن تكون ذكرت جميع ذلك فاختصره الراوي للغرض المذكور، ويؤيده أنه قد جاء عنها في قصة غزوة بني المصطلق أحاديث غير هذا، ويؤيد الأول أن في رواية الواقدي عن عباد « قلت لعائشة: يا أمتاه حدثينا عن قصة الإفك، قالت: نعم».وعنده « فخرجنا فغنمه الله أموالهم وأنفسهم ورجعنا».

التاسعة: قوله «**وقفل**» بقاف وفاء أي: رجع من غزوته، وفي السيرة « فلما

فرغ رسول ا لله ﷺ من سفره ذلك وجه قافلا».

العاشرة: قوله «**ودنونا من المدينة قافلين**» أي: راجعين، أي أن قصتها وقعت حال رجوعهم من الغزوة قرب دخولهم المدينة كما عند ابن إسحاق « حتى إذا كنا قريبا من المدينة».

الحادية عشرة: قوله «**آذن** » بالمد والتخفيف، وبغير مد والتشديد، والمعنى اعلم بالرحيل، وفي رواية ابن إسحاق « فنزل منزلاً فبات به بعض الليل ثم آذن بالرحيل» .

الثانية عشرة : قوله : «**بالرحيل**» في رواية بعضهم «الرحيل» بغير موحدة وبالنصب وكأنه حكاية قولهم بالنصب على الإغراء.

الثالثة عشرة: قوله «**فمشيت حتى جاوزت الجيش**» وعند ابن إسحاق «وخرجت لبعض حاجتي» والمعنى لتقضي حاجتها منفردة.

الرابعة عشرة : قوله «**فلما قضيت شأني**» أي الذي توجهت بسببه، ووقع في حديث ابن عمر خلاف ما في الصحيح، وأن سبب توجهها لقضاء حاجتها أن رحل أم سلمة مال فأناخوا بعيرها ليصلحوا رحلها قالت عائشة: « فقلت إلى أن يصلحوا رحلها قضيت حاجتي، فتوجهت و لم يعلموا بي فقضيت حاجتي، فانقطعت قلادتي فأقمت في جمعها ونظامها، وبعث القوم إبلهم ومضوا و لم يعلموا بنزولي.حكاه الحافظ، وقال هذا شاذ منكر.

الخامسة عشرة: قوله «**فإذا عقد**» بكسر العين قلادة تعلقها النساء في العنق للتزين بها.

السادسة عشرة: قوله «**من جزع أظفار**» بفتح الجيم وسكون الزاي بعدها مهملة: خرز معروف في سواده بياض كالعروق، قال ابن القطاع: هو واحد لا جمع له، وقال ابن سيده: هو جمع واحده جزعة وهو بالفتح، قال التيفاشي: يوجد في معادن العقيق ومنه ما يؤتى به من الصين، قال: وليس في الحجارة

أصلب جسما منه، ويزداد حسنه إذا طبخ بالزيت.وقوله « أظفار» كذا في هذه الرواية بزيادة ألف، وكذا في رواية فليح، ولكن في رواية الكشميهني من طريقه « ظفار» وكذا في رواية معمر وصالح، وقال ابن بطال: الرواية « أظفار» بألف، وأهل اللغة لا يعرفونه بألف ويقولون ظفار.قال ابن قتيبة: جزع ظفاري.وقال القرطبي: وقع في بعض روايات مسلم « أظفار» وهي خطأ.قال الحافظ: لكنها في أكثر روايات أصحاب الزهري، حتى أن رواية صالح بن أبي الأخضر عند الطبراني « جزع الأظافير».

السابعة عشرة: قوله «**ولما قضيت شأني**» أي فرغت من قضاء حاجتي كما عند ابن إسحاق « فلما فرغت».

الثامنة عشرة : قوله « **أقبلت إلى رحلي**» أي رجعت إلى المكان الذي كانت نازلة فيه.

التاسعة عشرة: قوله «**فإذا عقد لي**» في رواية فليح « فلمست صدري فإذا عقدي».

العشرون : قوله « قد انقطع» في رواية ابن إسحاق « قد انسل من عنقي وأنا لا أدري».

قلت: فتحصل من هذا أن انقطاع عقدها بغير علمها.

الحادية والعشرون : قوله «**فالتمست عقدي**» في رواية فليح « فرجعت فالتمست وحبسني ابتغاؤه» أي طلبه، في رواية ابن إسحاق « فرجعت عودي على بدئي إلى المكان الذي ذهبت إليه».وفي رواية الواقدي « وكنت أظن أن القوم لو لبثوا شهرا لم يبعثوا بعيري حتى أكون في هودجي.

الثانية والعشرون: قوله «**وأقبل الرهط**» هو عدد من ثلاثة إلى عشرة وقيل غير ذلك.ولم أقف على تسمية أحد منهم لكن قال الحافظ:إلا أن في رواية الواقدي أن أحدهم أبو موهوية مولى رسول الله ﷺ.

الثالثة والعشرون : قوله «**يرحلون لي**» بفتح أوله والتخفيف، رحلت البعير إذا شددت عليه الرحل.ووقع في رواية أبي ذر بالتشديد في هذا وفي « فرحلوه».وقوله « لي» في رواية معمر « بي» وحكى النووي عن أكثر نسخ صحيح مسلم « يرحلون لي».قال وهو أجود، وقال غيره بالباء أجود لأن المراد وضعها وهي في الهودج فشبهت الهودج الذي هي فيه بالرحل الذي يوضع على البعير.

الرابعة والعشرون: قوله «**فرحلوه**» أي وضعوه، وفيه تجوز وإنما الرحل هو الذي يوضع على ظهر البعير ثم يوضع الهودج فوقه.

الخامسة والعشرون: قوله «**وكان النساء إذ ذاك خفافا**» قالت هذا كالتفسير لقولها « وهم يحسبون أني فيه».

السادسة والعشرون : قوله «**لم يثقلهن اللحم**» في رواية فليح « لم يثقلهن و لم يغشهن اللحم».وعند مسلم « لم يهبلن و لم يغشهن اللحم».وعند ابن إسحاق « إنما يأكلن العلق» وهو البلغة من الطعام.

قال ابن أبي جمرة: ليس هذا تكراراً؛ لأن كل سمين ثقيل من غير عكس، لأن الهزيل قد يمتلئ بطنه طعاما فيثقل بدنه، فأشارت إلى أن المعنيين لم يكن في نساء ذلك الزمان.

وقال الخطابي: معنى قولها: «لم يغشهن» أي لم يكثر عليهن فيركب بعضه بعضاً.

وقوله «**يهبلهن**» قال النووي: يقال هبله اللحم وأهبله إذا أثقله، وأصبح فلان مهبلاً أي كثير اللحم، أو وارم الوجه.

السابعة والعشرون: قوله «**فلم يستنكر القوم خفة الهودج**» وقع في رواية فليح ومعمر «ثقل الهودج» والأول أوضح؛ لأن مرادها إقامة عذرهم في تحميل هودجها وهي ليست فيه فكأنها تقول: لخفة جسمها بحيث أن الذين يحملون

هودجها لا فرق عندهم بين وجودها فيه وعدمها، ولهذا أردفت ذلك بقولها: «وكنت جارية حديثة السن، أي أنها مع نحافتها صغيرة السن فذلك أبلغ في خفتها.

وقد وجهت الرواية الأخرى بأن المراد لم يستنكروا الثقل الذي اعتادوه؛ لأن ثقله في الأصل إنما هو مما ركب الهودج منه خشب وحبال وستور وغير ذلك، وأما هي فلشدة نحافتها كان لا يظهر بوجودها فيه زيادة ثقل، والحاصل أن الثقل والخفة من الأمور الإضافية فيتفاوتان بالنسبة، ويستفاد من ذلك أيضاً أن الذين كانوا يرحلون بعيرها كانوا في غاية الأدب معها والمبالغة في ترك التنقيب عما في الهودج بحيث أنها لم تكن فيه وهم يظنون أنها فيه.

الثامنة والعشرون: قوله «**وكنت جارية حديثة السن**» هو كما قالت؛ لأنها أدخلت على النبي ﷺ بعد الهجرة في شوال ولها تسع سنين، وأكثر ما قيل في المريسيع كما عند ابن إسحاق كانت في شعبان سنة ست فتكون لم تكمل خمس عشرة، فإن كانت المريسيع قبل ذلك فتكون أصغر من ذلك، ويحتمل أن تكون أشارت بذلك إلى بيان عذرها فيما فعلته من الحرص على العقد الذي انقطع، ومن استقلالها بالتفتيش عليه في تلك الحال وترك إعلام أهلها بذلك وذلك لصغر سنها وعدم تجاربها للأمور.

التاسعة والعشرون: قوله «**فبعثوا الجمل**» أي أثاروه.

الثلاثون: قوله «**بعد ما استمر الجيش**» أي ذهب ماضياً، وهو استفعل من مر.

الحادية والثلاثون: قوله «**فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب**» في رواية فليح «وليس فيها أحد» فإن قيل: لِمَ لَمْ تستصحب عائشة معها غيرها فكان أدعى لأمنها مما يقع للمنفرد ولكانت لما تأخرت للبحث عن العقد ترسل من رافقها لينتظروها إن أرادوا الرحيل؟. والجواب أن هذا من جملة ما يستفاد من قوله

حديثة سن؛ لأنها لم يقع لها تجربة مثل ذلك، وقد صارت بعد ذلك إذا خرجت لحاجتها تستصحب كما ذكر في قصتها مع أم مسطح.

الثانية والثلاثون : قوله «**فأممت منزلي**» بالتخفيف أي قصدت، وفي رواية أبي ذر هنا بتشديد الميم الأولى، قال الداودي: ومنه قوله تعالى:﴿**ولا آمين البيت الحرام**﴾.وفي رواية صالح بن كيسان « فتيممت».

الثالثة والثلاثون: قوله «**وظننت أنهم سيفقدوني**» في رواية فليح، وعند مسلم «سيفقدوني» بنون واحدة، وعند ابن إسحاق «وعرفت أن لو افتقدت لرجع إلي».

الرابعة والثلاثون : قوله «**فيرجعون إلي**» وقع في رواية معمر «فيرجعوا» بغير نون وكأنه على لغة من يحذفها مطلقاً، قال عياض: الظن هنا العلم.وأرادت بمن يفقدها من هو منها بسبب كزوجها أو أبيها.

الخامسة والثلاثون : قوله «**فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت**» وعند ابن إسحاق «فتلففت بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني». يحتمل أن يكون سبب النوم شدة الغم الذي حصل لها في تلك الحالة، ومن شأن الغم ـ وهو وقوع ما يكره ـ غلبة النوم، بخلاف الهم ـ وهو توقع ما يكره ـ فإنه يقتضي السهر، أو لما وقع من برد السحر لها مع رطوبة بدنها وصغر سنها.أو أن الله سبحانه وتعالى لطف بها فألقى عليها النوم لتستريح من وحشة الانفراد في البرية بالليل.

السادسة والثلاثون: قوله «**وكان صفوان بن معطّل**» بفتح الطاء المهملة المشددة «السلمي ثم الذكواني» منسوب إلى ذكوان بن ثعلبة بن بهثة ــ بضم الموحدة وسكون الهاء بعدها مثلثة ـ ابن سليم، وذكوان بطن من بني سليم، وكان صحابياً فاضلاً أول مشاهده عند الواقدي الخندق وعند ابن الكلبي المريسيع، قتل شهيدا في سبيل الله وقد ذكر ابن إسحاق أنه استشهد في غزاة أرمينية في خلافة عمر سنة تسع عشرة، وقيل بل عاش إلى سنة أربع وخمسين فاستشهد بأرض

الروم في خلافة معاوية.

السابعة والثلاثون : قوله «**من وراء الجيش**» في رواية معمر « قد عرس من وراء الجيش» وعرس بمهملات مشدداً أي نزل، قال أبو زيد: التعريس: النزول في السفر في أي وقت كان، وقال غيره: أصله النزول من آخر الليل في السفر للراحة.

الثامنة والثلاثون: قوله «**فأدلج فأصبح عند منزلي**».

قال ابن الأثير: هو سير الليل. يقال إذا أدلج بالتخفيف إذا سار من أول الليل، وادّلج بالتشديد إذا سار من آخره، والاسم منهما الدلجة، والدلجة: بالضم والفتح. اهـ.

وكأنه تأخر في مكانه حتى قرب الصبح فركب ليظهر له ما يسقط من الجيش مما يخفيه الليل.

وفي رواية أبي أسامة عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة في قصة الإفك قالت: «فبلغ الأمر ذلك الرجل فقال: سبحان الله، والله ما كشفت كنف أنثى قط»، أي ما جامعتها، والكنف بفتحتين الثوب الساتر، ومنه قولهم أنت في كنف الله أي في ستره.

والجمع بينه وبين حديث أبي سعيد على ما ذكره القرطبي أن مراده بقوله ما كشفت كنف أنثى قط أي بزنا. **قلت**: وفيه نظر؛ لأن في رواية سعيد بن أبي هلال عن هشام بن عروة في قصة الإفك «أن الرجل الذي قيل فيه ما قيل لما بلغه الحديث قال: والله ما أصبت امرأة قط حلالاً ولا حراماً» وفي حديث ابن عباس عند الطبراني «وكان لا يقرب النساء» فالذي يظهر أن مراده بالنفي المذكور ما قبل هذه القصة ولا مانع أن يتزوج بعد ذلك.

قلت: وهذا جمع حسن وبه يجتمع شمل هذه الأخبار فلله در الحافظ.

التاسعة والثلاثون: قوله «**فرأى سواد إنسان نائم**» وعند ابن إسحاق

«فرأى سوادي»».

قلت: السواد ضد البياض يطلق على الشخص أي شخص كان، فكأنها قالت رأى شخص آدمي، لكن لا يظهر أهو رجل أو امرأة.

الأربعون : قوله «**فعرفني حين رآني**» هذا يشعر بأن وجهها انكشف لما نامت؛ لأنها تلففت بجلبابها ونامت، فلما انتبهت باسترجاع صفوان بادرت إلى تغطية وجهها.

الحادية والأربعون : قوله «**وكان يراني قبل الحجاب**» عند مسلم « قبل أن يضرب الحجاب» أي قبل نزول آية الحجاب، وهذا يدل على قدم إسلام صفوان، فإن الحجاب كان في قول أبي عبيدة وطائفة في ذي القعدة سنة ثلاث، وعند آخرين فيها سنة أربع وصححه الدمياطي.

الثانية والأربعون : قوله «**فاستيقضت باسترجاعه حين عرفني**» عند ابن إسحاق «فلما رآني قال: إنا لله وإنا إليه راجعون».وكأنه شق عليه ما جرى لعائشة أو خشي أن يقع ما وقع، أو أنه اكتفى بالاسترجاع رافعاً به صوته عن مخاطبتها بكلام آخر صيانة لها عن المخاطبة في الجملة، وقد كان عمر يستعمل التكبير عند إرادة الإقاظ، وفيه دليل على فطنة صفوان وحسن أدبه.

الثالثة والأربعون : قوله «**فخمرت**» أي غطيت «**وجهي بجلبابي**» أي الثوب الذي كان عليها.وفي هذا دليل على أنه متقرر عندهم ستر المرأة وجهها عن الأجانب.

الرابعة والأربعون : قوله «**وا لله ما كلمني كلمة**» عبرت بهذه الصيغة إشارة إلى أنه استمر منه ترك المخاطبة، وأنما اقتصر على الاسترجاع.

الخامسة والأربعون : قوله «**ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته**» في رواية الكشميهني «حين أناخ راحلته» ووقع في رواية فليح « حتى».وللأصيلي والباقين وكذا عند مسلم عن معمر.وعلىالتقديرين فليس فيه

نفي أنه كلمها بغير استرجاع؛ لأن النفي على رواية «حين» مقيد بحال إناخه الراحلة فلا يمنع ما قبل الإناخة ولا ما بعدها، وعلى رواية «حتى» معناه بجميع حالاته إلى أن أناخ ولا يمنع ما بعد الإناخة.ويؤيده ما في رواية ابن إسحاق أنه قال لها: « ما خلفك»؟ وأنه قال لها: «اركبي» واستأخر.وفي رواية أبي أويس «فاسترجع وأعظم مكاني - أي حين رآني وحدي - وقد كان يعرفني قبل أن يضرب الحجاب، فسألني عن أمري فسترت وجهي عنه بجلبابي وأخبرته بأمري فقرب بعيره فوطئ على ذراعه فولاني قفاه فركبت».

قلت: ليس المراد من العبارة الأولى نفي المكالمة البتة بل نفي الاسترسال والتمادي في الكلام وفيه دليل على أنه سلك مع أم المؤمنين غاية الحياء والأدب والحفاوة والتكريم.

السادسة والأربعون : قوله «**حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها**» أي ليكون أسهل لركوبها ولا يحتاج إلى مسها عند ركوبها.

السابعةوالأربعون : قوله «**فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش**» هكذا وقع في جميع الروايات قاله الحافظ.

وعند ابن إسحاق « فأخذ برأس البعير فانطلق سريعا».

الثامنة والأربعون: قوله «**بعدما نزلوا موغرين**» بضم الميم وكسر الغين المعجمة والراء المهملة أي: نازلين في وقت الوَغْرة بفتح الواو وسكون الغين وهي شدة الحر لما تكون الشمس في كبد السماء.

وقد وقع عند مسلم عن عبد بن حميد قال: « قلت لعبد الرزاق: ما قوله موغرين؟.قال: الوغرة: شدة الحر. والتغوير النزول وقت القائلة، ووقع في رواية فليح « معَرّسين» بفتح العين المهملة وتشديد الراء ثم سين مهملة، والتعريس نزول المسافر في آخر الليل، وقد استعمل في النزول مطلقاً كما تقدم وهو المراد هنا.

التاسعة والأربعون : قوله «**في نحر الظهيرة**» تأكيد لقوله موغرين، فإن نحر الظهيرة أولها وهو وقت شدة الحر، ونحر كل شيء أوله كأن الشمس لما بلغت غايتها في الارتفاع كأنها وصلت إلى النحر الذي هو أعلى الصدر، ووقع في رواية ابن إسحاق « فوا لله ما أدركنا الناس ولا افتقدت حتى نزلوا واطمأنوا طلع الرجل يقودني.

الخمسون: قوله «**فهلك من هلك**» زاد صالح في روايته « في شأني» وفي رواية أبي أويس « فهنالك قال فيّ وفيه أهل الإفك ما قالوا» وفي رواية ابن إسحاق « فقال أهل الإفك ما قالوا» فأبهمت القائل وما قال.وأشارت بذلك إلى الذين تكلموا بالإفك وخاضوا في ذلك.

وأما أسماؤهم فالمشهور في الروايات الصحيحة: عبد الله بن أبي، ومسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش.وقد وقع في المغازي من طريق صالح بن كيسان، عن الزهري قال: قال عروة لم يسم من أهل الإفك أيضاً غير عبد الله بن أبي إلا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علم لي بهم غير أنهم عصبة كما قال الله تعالى.انتهى.

الحادية والخمسون : قوله «**وكان الذي تولى كبره**» أي تصدى لذلك وتقلده، وكبره أي كبر الإفك، وكبر الشيء معظمه وهو قراءة الجمهور بكسر الكاف، وقرأ حميد الأعرج بضمها.

قال الفراء: وهي قراءة جيدة في العربية، وقيل المعنى الذي تولى إثمه.

ووقع في المغازي من طريق صالح بن كيسان وفي رواية ابن إسحاق «وكان الذي تولى كبر ذلك عبد الله بن أبي في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحمنة بنت جحش».

الثانية والخمسون : قوله «**فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهراً والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك**» وفي رواية

ابن إسحاق «وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبوي ولا يذكرون لي شيئاً من ذلك» وفيها أنها مرضت بضعاً وعشرين ليلة.

وقوله «**والناس يفيضون**» بضم أوله أي يخوضون، من أفاض في قولٍ إذا أكثر منه.

الثالثة والخمسون : قوله «**وهو يريبني في وجعي**» بفتح أوله من الريب ويجوز الضم من الرباعي يقال: رابه وأرابه.

الرابعة والخمسون : قوله «**اللطف**» بضم أوله وسكون ثانيه وبفتحهما لغتان، والمراد الرفق.وفي رواية ابن إسحاق « أنكرت بعض لطفه».

الخامسة والخمسون : قوله «**الذي كنت أرى منه حين أشتكي**» أي حين أمرض، والمعنى أنها اشتكت في هذه الشكوى معاملة النبي ﷺ لها.

السادسة والخمسون : قوله «**إنما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم**» وفي رواية ابن إسحاق «فكان إذا دخل قال لأمي وهي تمرضني كيف تيكم» بالمثناة المكسورة وهي للمؤنث مثل ذاكم للمذكر.

قلت: وفي الخلاصة:

بذا لمفرد مذكر أشر   بذي وذه تي تا على الأنثى اقتصر

واستدلت عائشة بهذه الحالة على أنها استشعرت منه بعض جفاء، ولكنها لما لم تكن تدري السبب، لم تبالغ في التنقيب عن ذلك حتى عرفته.ويدل له ما في رواية أبي أويس: «إلا أنه يقول وهو مار كيف تيكم ولا يدخل عندي ولا يعودني ويسأل عن أهل البيت» وفي حديث ابن عمر «وكنت أرى منه جفوة ولا أدري».

السابعة والخمسون : قوله «**نقهت**» بفتح القاف وقد تكسر، والأول أشهر، والناقه بكسر القاف الذي أفاق من مرضه و لم تتكامل صحته.وقد أطلق الجوهري وغيره أنه بفتح القاف وكسرها لغتان في برأ من المرض وهو قريب

العهد لم يرجع إليه كمال الصحة.

الثامنة والخمسون: قوله «**فخرجت مع أم مسطح**» في روايةأبي أويس « فقلت يا أم مسطح خذي الإداوة فاملئيها ماء فاذهبي بنا إلى المناصع».

التاسعة والخمسون : قوله «**قبل المناصع**» أي جهتها والمناصع صعيد أفيح خارج المدينة.

الستون : قوله «**متبرزنا**» بفتح الراء قبل الزاي موضع التبرز وهو الخروج إلى البراز وهو الفضاء، وكله كناية عن الخروج إلى قضاء الحاجة.

وقوله : «**والكنف**» بضمتين جمع كنيف وهو الساتر، والمراد به هنا المكان المتخذ لقضاء الحاجة يوضحه رواية ابن إسحاق الكنف التي يتخذها الأعاجم.

الحادية والستون : قوله «**وأمرنا أمر العرب الأول**» بضم الهمزة وتخفيف الواو صفة العرب، وبفتح الهمزة وتشديد الواو صفة الأمر.

قال النووي: كلاهما صحيح تريد أنهم لم يتخلقوا بأخلاق العجم.

الثانية والستون : قوله «**في التبرز قبل الغائط**» في رواية فليح « في البرية» بفتح الموحدة وتشديد الراء ثم التحتانية « أو في التنزه» بمثناة ثم نون ثم زاي ثقيلة هكذا على الشك، والتنزه: طلب النزاهة، والمراد البعد عن البيوت.

الثالثة والستون : قوله «**فانطلقت أنا وأم مسطح**» بكسر الميم وسكون السين وفتح الطاء بعدها حاء مهملات.اسمها سلمى وهي بنت أبي رهم بضم الراء وسكون الهاء ابن عبد مناف كذا هنا و لم ينسبه فليح، وفي رواية صالح «بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف» وهو الصواب.واسم أبي رهم أنيس.قاله الحافظ.

الرابعة والستون : قوله «**وأمها بنت صخر بن عامر**» أي ابن كعب بن سعد بن تيم من رهط أبي بكر.« خالة أبي بكر الصديق» اسمها رائطة حكاه أبو نعيم.

الخامسة والستون : قوله «وابنها مسطح بن أثاثة» بضم الهمزة ومثلثتين الأولى خفيفة بينهما ألف، ابن عباد بن المطلب فهو المطلبي من أبيه وأمه، والمسطح عود من أعواد الخباء، وهو لقب واسمه عوف وقيل عامر والأول هو المعتمد.

وقد أخرج الحاكم من حديث ابن عباس قال: « قال أبو بكر يعاتب مسطحاً في قصة عائشة:

يا عوف ويحك هل لا قلت عارفة من الكلام ولم تتبـغ به طمعا

وكان هو وأمه من المهاجرين الأولين، وكان أبوه مات وهو صغير فكفله أبو بكر لقرابة أم مسطح منه، وكانت وفاة مسطح سنة أربع وثلاثين وقيل سنة سبع وثلاثين بعد أن شهد صفين مع علي.حكاه في الفتح.

السادسة والستون : قوله «فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي وقد فرغنا من شأننا فعثرت» بالمهملة والمثلثة، « أم مسطح في مرطها» بكسر الميم، وفي رواية مقسم عن عائشة أنها وطئت على عظم أو شوكة، وهذا ظاهره أنها عثرت بعد أن قضت عائشة حاجتها ثم أخبرتها الخبر بعد ذلك، لكن في رواية هشام بن عروة الآتية قريباً أنها عثرت قبل أن تقضي عائشة حاجتها، وأنها لما أخبرتها الخبر رجعت كأن الذي خرجت له لا تجد منه لا قليلاً ولا كثيراً، وكذا وقع في رواية ابن إسحاق قالت: «فوا لله ما قدرت أن أقضي حاجتي» وفي رواية أبي أويس «فذهب عني ما كنت أجد من الغائط، ورجعت عودي على بدئي».

ويجمع بينها بأن معنى قولها «وقد فرغنا من شأننا» أي من شأن المسير، لا قضاء الحاجة.

السابعة والستون : قوله «فقالت تعس مسطح» بفتح المثناة وكسر العين المهملة وبفتحها أيضاً بعدها سين مهملة أي كب لوجهه أو هلك ولزمه الشر أو بعد.

الثامنة والستون : قوله «**فقلت لها بئس ما قلت، أتسبين رجلاً شهد بدراً**» في رواية هشام بن عروة أنها عثرت ثلاث مرات كل ذلك تقول: « تعس مسطح» وأن عائشة تقول لها: «أي أم أتسبين ابنك» وأنها انتهرتها في الثالثة فقالت: « وا لله ما أسبه إلا فيك» وعند الطبراني « فقلت: أتسبين ابنك وهو من المهاجرين الأولين» وفي رواية ابن حاطب عن علقمة بن وقاص « فقلت: أتقولين هذا لابنك وهو صاحب رسول ا لله ﷺ؟. ففعلت مرتين فأعدت عليها فحدثتني بالخبر فذهب عني الذي خرجت له حتى ما أجد منه شيئاً».

قال أبو محمد بن أبي جمرة: يحتمل أن يكون قول أم مسطح هذا عمداً لتتوصل إلى إخبار عائشة بما قيل فيها وهي غافلة، ويحتمل أن يكون اتفاقاً أجراه ا لله على لسانها لتستيقظ عائشة من غفلتها عما قيل فيها.

قلت: وهذا توجيه حسن يتم به التوفيق ويزول به التعارض.

التاسعة والستون : قوله «**قالت أي هنتاه**» أي حرف نداء للبعيد وقد يستعمل للقريب حيث ينزل منزلة البعيد، والنكتة فيه هنا أن أم مسطح نسبت عائشة إلى الغفلة عما قيل فيها لإنكارها سب مسطح فخاطبتها خطاب البعيد، وقوله «وهنتاه» بفتح الهاء وسكون النون وقد تفتح بعدها مثناة وآخرها ساكنة وقد تضم أي هذه وقيل امرأة وقيل «بلهى»، كأنها نسبتها إلى قلة المعرفة بمكائد الناس.وهذه اللفظة تختص بالنداء وهي عبارة عن كل نكرة، وإذا خوطب المذكر قيل يا هنة، وقد تشبع النون فيقال يا هناه، وحكى بعضهم تشديد النون فيه ه الأزهري.

السبعون : قوله «**قالت: قلت وما قال**» في رواية أبي أويس «فقالت لها إنك لغافلة عما يقول الناس» وفيها «أن مسطحا وفلانا وفلانا يجتمعون في بيت عبد ا لله بن أبي يتحدثون عنك وعن صفوان يرمونك به» وفي رواية مقسم عن عائشة «أشهد أنك من الغافلات المؤمنات» وفي رواية هشام بن عروة الآتية

«فنقرت لي الحديث» وهي بنون وقاف ثقيلة أي شرحته، ولبعضهم بموحدة وقاف خفيفة أي أعلمتنيه.

الحادسة والسبعون : قوله «**فازددت مرضاً على مرضي**» عند سعيد بن منصور من مرسل أبي صالح «فقالت: وما تدرين ما قال؟.قالت: لا وا لله، فأخبرتها بما خاض فيه الناس، فأخذتها الحمى» وعند الطبراني عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قالت: «لما بلغني ما تكلموا به هممت أن آتي قليباً فأطرح نفسي فيه.صححه الحافظ.

وأخرجه أبو عوانة أيضاً.

قلت: وفي رواية ابن إسحاق «فوا لله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي».

الثانية والسبعون : قوله «**فلما رجعت إلى بيتي ودخل علي رسول ا لله** ﷺ» وفي رواية معمر « فدخل» قيل الفاء زائدة والأولى أن في الكلام حذفا تقديره: فلما دخلت بيتي استقريت فيه فدخل.

الثالثة والسبعون : قوله «**فقلت أتأذن لي أن آتي أبوي**» في رواية هشام بن عروة المعلقة «فقلت أرسلني إلى بيت أبي، فأرسل معي الغلام».

قال الحافظ: «ولم أقف على اسم هذا الغلام».

الرابعة والسبعون : قوله «**فقلت لأمي يا أمتاه ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هوني عليك**» عند ابن إسحاق « قلت لأبي يغفر ا لله لك تحدث الناس بما تحدثوا به ولا تذكر لي من ذلك شيئاً» وفي رواية هشام بن عروة: « فقالت يا بنية خففي عليك الشأن».

ويجمع بينها أنها سألت أباها مرة، وأمها مرة.

الخامسة والسبعون : قوله «**فوا لله لقلما كانت امرأة قط وضيئة...الخ**» عند ابن إسحاق «فوا لله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا

كثرنا وكثر الناس عليها.

و«**وضيئة**» بوزن عظيمة من الوضاءة أي حسنة جميلة وعند مسلم من رواية ابن ماهان «حظية» بمهملة ثم معجمة من الحظوة أي رفيعة المنزل.

السادسة والسبعون : قوله «**ضرائر**» جمع ضرة وقيل للزوجات ضرائر؛ لأن كل واحدة يحصل لهاالضرر من الأخرى بالغيرة.

السابعة والسبعون : قوله «**أكثرن عليها**» في رواية الكشميهني «كثرن» بالتشديد أي القول في عيبها، وفي رواية ابن حاطب «لقلما أحب رجل امرأته إلا قالوا لها نحو ذلك» وفي رواية هشام «إلا حسدنها وقيل فيها» وفي هذا الكلام من فطنة أمها وحسن تأتيها في تربيتها ما لا مزيد عليه، فإنها علمت أن ذلك يعظم عليها فهونت عليها الأمر بإعلامها بأنها لم تنفرد بذلك، لأن المرء يتأسى بغيره فيما يقع له، وأدمجت في ذلك ما تطيب به خاطرها من أنها فائقة في الجمال والحظوة، وذلك مما يعجب المرأة أن توصف به، مع ما فيه من الإشارة إلى ما وقع من حمنة بنت جحش، وأن الحامل لها على ذلك كون عائشة ضرة أختها زينب بنت جحش، وعرف من هذا أن الاستثناء في قولها إلا أكثرن عليها متصل لأنها لم تقصد قصتها بعينها بل ذكرت شأن الضرائر.

وأما ضرائرها هي فإنهن وإن كن لم يصدر منهن في حقها شيء مما يصدر من الضرائر لكن لم يعدم ذلك ممن هو منهن بسبيل كما وقع من حمنة؛ لأن ورع أختها منعها من القول في عائشة كما منع بقية أمهات المؤمنات، وإنما اختصت زينب بالذكر؛ لأنها التي كانت تضاهي عائشة في المنزلة.

الثامنة والسبعون : قوله «**فقلت: سبحان الله، أو لقد تحدث الناس بهذا**» زاد ابن جرير من طريق معمر عن الزهري «وبلغ رسول الله ﷺ؟ قالت: نعم».وفي رواية هشام «فقلت: وقد علم به أبي؟ قالت: نعم.قلت: ورسول الله؟ قالت: ورسول الله ﷺ».وفي رواية ابن حاطب عن علقمة «ورجعت إلى أبوي

فقلت: أما اتقيتما الله في، وما وصلتما رحمي، يتحدث الناس بهذا ولم تعلماني» وفي رواية هشام بن عروة «فاستعبرت فبكيت، فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ فقال لأمي: ما شأنها؟ فقالت: بلغها الذي ذكر من شأنها، ففاضت عيناه فقال: أقسمت عليك يا بنية إلا رجعت إلى بيتك، فرجعت».وفي رواية معمر عند الطبراني «فقالت أمي: لم تكن علمت ما قيل لها فأكبّت تبكي ساعة ثم قال: اسكتي يا بنية». ومعنى قولها : «فقلت : سبحان الله»: استغاثت بالله تعجباً من وقوع مثل ذلك في حقها مع براءتها المحققة عندها .

التاسعة والسبعون : قوله «**فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع**» بالقاف بعدها همزة أي لا ينقطع.

الثمانون : «**ولا أكتحل بنوم**» كناية عن السهر. ووقع في باب حديث الإفك من المغازي من رواية مسروق عن أم رومان «فخرت مغشيا عليها، فما استفاقت إلا وعليها حمى بنافض، فطرحت عليها ثيابها فغطيتها».وفي رواية الأسود عن عائشة «فألقت علي أمي كل ثوب في البيت.

قال الحافظ: تنبيه: طرق حديث الإفك مجتمعة على أن عائشة بلغها الخبر من أم مسطح، لكن وقع في حديث أم رومان ما يخالف ذلك ولفظه «بينا أنا قاعدة أنا وعائشة إذ ولجت علينا امرأة من الأنصار فقالت: فعل الله بفلان وفعل، فقلت وما ذاك؟ قالت: ابني ومن حدث الحديث، قالت وما ذاك؟ قالت كذا وكذا».هذا لفظ المصنف في المغازي، ولفظه في قصة يوسف «قالت: إنه نمى الحديث، فقالت عائشة: أي حديث؟ فأخبرتها، قالت: فسمعه أبو بكر؟ قالت: نعم.قالت: ورسول الله ﷺ؟ قالت: نعم. فخرت مغشيا عليها».

وطريق الجمع بينهما أنها سمعت ذلك أولا من أم مسطح، ثم ذهبت لبيت أمها لتستيقن الخبر منها فأخبرتها أمها بالأمر مجملا كما مضى من قولها هوني عليك وما أشبه ذلك، ثم دخلت عليها الأنصارية فأخبرتها بمثل ذلك بحضرة

أمها فقوى عندها القطع بوقوع ذلك، فسألت هل سمعه أبوها وزوجها؟ ترجيا منها أن لا يكونا سمعا ذلك ليكون أسهل عليها، فلما قالت لها إنهما سمعاه غشي عليها. ولم أقف على اسم هذه المرأة الأنصارية ولا على اسم ولدها.اهـ

قلت: وهذا جمع جيد يزول به الإشكال وينتفي فيه التعارض في الظاهر.

الحادية والثمانون : قوله «**فدعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي**».

قلت: واختصهما بالدعوة لمكانتهما منه فعلي ابن عمه وصهره، وأسامة هو حبه وابن حبه. هذا ظاهر بالقصة لأنها عقبت بكاءها تلك الليلة بهذا ثم عقبت هذا بالخطبة. وفي أول رواية هشام عن أبيه عن عائشة «لما ذكر من شأني الذي ذكر وما علمت به قام رسول الله ﷺ خطيباً».فذكر قصة الخطبة الآتية.

والجمع كما قال الحافظ بأن "الفاء" في قوله «فدعا» عاطفة على شيء محذوف تقديره: وكان رسول الله ﷺ قبل ذلك قد سمع ما قيل فدعا علي».

وقوله «**حين استلبث الوحي**» بالرفع أي طال لبث نزوله، وبالنصب أي استبطأ النبي ﷺ نزوله.

الثانية والثمانون : قوله «**يستأمرهما في فراق أهله**» أي يستشيرهما في فراقها وظاهره أن الاستشارة وقعت بعد ما علمت بالقصة لأنها عدلت عن قولها في فراقي إلى قولها فراق أهله لكراهتها التصريح بإضافة الفراق إليها.

الثالثة والثمانون : قوله «**أهلك ولا نعلم إلا خيرا**» بالرفع كما صرح به في رواية معمر «هم أهلك» ويجوز النصب أي أمسك ومعناه هم أهلك أي العفيفة اللائقة بك، ويحتمل أن يكون قال ذلك متبرئا من المشورة ووكل الأمر إلى رأي النبي ﷺ، ثم لم يكتف بذلك حتى أخبر بما عنده فقال: «ولا نعلم إلا خيراً» وإطلاق الأهل على الزوجة شائع، قال ابن التين: أطلق عليها أهلا وذكرها بصيغة الجمع حيث قال «هم أهلك» إشارة إلى تعميم الأزواج بالوصف

المذكور.انتهى. ويحتمل أن يكون جمع لإرادة تعظيمها.

الرابعة والثمانون : قوله «**وأما على بن أبي طالب فقال: يا رسول ا لله لم يضيق ا لله عليك، والنساء سواها كثير**» كذا للجميع بصيغة التذكير كأنه أراد الجنس مع أن لفظ فعيل يشترك فيه المذكر والمؤنث إفرادا وجمعاً.والمعنى كما قال النووي: رأى على أن ذلك هو المصلحة في حق النبي ﷺ واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه، فبذل جهده في النصيحة لإرادة راحة خاطره ﷺ.

قال الحافظ: وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: لم يجزم علي بالإشارة بفراقها؛ لأنه عقب ذلك بقوله «وسل الجارية تصدقك» ففوض الأمر إلى أن تطلع على براءتها؛ لأنه كان يتحقق أن بريرة لا تخبره إلا بما علمته، وهي لم تعلم من عائشة إلا البراءة المحضة.

الخامسة والثمانون : قوله «**وسل الجارية تصدقك**» في رواية مقسم عن عائشة «أرسل إلى بريرة خادمها فسلها، فعسى أن تكون قد اطلعت على شيء من أمرها».

السادسة والثمانون : قوله «**فدعا رسول ا لله ﷺ بريرة**» بفتح الموحدة وكسر الراء.وفي رواية مقسم «فأرسل إلى بريرة فقال لها أتشهدين أني رسول ا لله؟ قالت: نعم.قال: فإني سائلك عن شيء فلا تكتمينه.قالت: نعم.قال: هل رأيت من عائشة ما تكرهينه؟ قالت: لا».

السابعة والثمانون : قوله «**أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك**» في رواية هشام بن عروة «فانتهرها بعض أصحابه فقال: اصدقي رسول ا لله» وفي رواية أبي أويس «إن النبي ﷺ قال لعلي: شأنك بالجارية، فسألها علي وتوعدها فلم تخبره إلا بخير، ثم ضربها وسألها فقالت: وا لله ما علمت على عائشة سوء» وفي رواية ابن إسحاق «فقام إليها علي فضربها ضرباً شديداً يقول: اصدقي رسول ا لله ﷺ».ووقع في رواية هشام «حتى أسقطوا لها به».يقال أسقط الرجل

في القول إذا أتى بكلام ساقط، والضمير في قوله "به" للحديث أو الرجل الذي اتهموها به.وفي رواية حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عند الطبراني «فقال: لست عن هذا أسألك.قالت: فعمه؟ فلما فطنت قالت: سبحان ا الله.ووقع في رواية ابن جرير من طريق أبي أسامة «قال عروة: فعيب ذلك على من قاله».

وقال ابن بطال: يحتمل أن يكون من قولهم: سقط إلى الخبر إذا علمته، قال الشاعر:

إذا هن ساقطن الحديث وقلن لي

قال: فمعناه ذكروا لها الحديث وشرحوه.

الثامنة والثمانون : قوله «**إن رأيت عليها أمراً**» أي ما رأيت فيها مما تسألون عنه شيئاً أصلاً وأما من غيره ففيها ما ذكرت من غلبة النوم لصغر سنها ورطوبة بدنها.

التاسعة والثمانون : قوله «**أغمصه**» بغين معجمة وصاد مهملة أي أعيبه.

التسعون : قوله «سوى أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها» في رواية ابن إسحاق «ما كنت أعيب عليها إلا أني كنت أعجن عجيني وآمرها أن تحفظه فتنام عنه».وفي رواية مقسم «ما رأيت مذ كنت عندها إلا أنني عجنت عجينا لي فقلت: احفظي هذه العجينة حتى أقتبس ناراً لأخبزها، فغفلت فجاءت الشاة فأكلتها» وهو يفسر المراد بقوله في رواية الباب «حتى تأتي الداجن» وهي بدال مهملة ثم جيم: الشاة التي تألف البيت ولا تخرج إلى المرعى، وقيل هي كل ما يألف البيوت مطلقاً شاة أو طيرا.وفي رواية هشام بن عروة «ما علمت منها إلا ما يعلم الصائغ على الذهب الأحمر» أي كما لا يعلم الصائغ من الذهب الأحمر إلا الخلوص من العيب فكذلك أنا لا أعلم منها إلا الخلوص من العيب.وفي رواية ابن حاطب عن علقمة «فقالت الجارية الحبشية: وا الله لعائشة أطيب من الذهب، ولئن كانت صنعت ما قال الناس ليخبرنك ا الله.قالت: فعجب الناس من فقهها».

الحادية والتسعون : قوله «**فقام رسول الله ﷺ**» في رواية أبي أويس «ثم خرج حين سمع من بريرة ما قالت» وفي رواية هشام بن عروة «قام فينا خطيباً فتشهد وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد» وفي رواية ابن إسحاق «فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي».

الثانية والتسعون : قوله «**فاستعذر من عبد الله بن أبيّ**» أي طلب من يعذره منه، أي ينصفه.

قال الخطابي: يحتمل أن يكون معناه من يقوم بعذره فيما رمى به أهلي من المكروه، ومن يقوم بعذري إذا عاقبته على سوء ما يصدر منه؟ ورجح النووي هذا الثاني. فقال: «ومعنى من يعذرني من يقوم بعذري إن كافأته على قبيح فعاله ولا يلومني».

الثالثة والتسعون : قوله «**بلغني أذاه في أهل بيتي**» في رواية هشام بن عروة «أشيروا عليّ في أناس أبنوا أهلي» وهو بفتح الموحدة الخفيفة والنون المضمومة.

وحكى عياض أن في رواية الأصيلي بتشديد الموحدة وهي لغة، ومعناه عابوا أهلي أو اتهموا أهلي، وهو المعتمد؛ لأن الأبن بفتحتين التهمة.

وقال ابن الجوزي: المراد رموا أهلي بالقبيح.

الرابعة والتسعون : قوله «**ولقد ذكروا رجلاً**» زاد ابن جرير في روايته «صالحا» وفي رواية ابن إسحاق «ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً».

الخامسة والتسعون : قوله «**فقام سعد بن معاذ الأنصاري**» كذا هنا وفي رواية معمر وأكثر أصحاب الزهري، ووقع في رواية صالح بن كيسان «فقام سعد أخو بني عبد الأشهل» وفي رواية فليح «فقام سعد» ولم ينسبه، وقد تعين أنه سعد بن معاذ لما وقع في رواية الباب وغيره.وترجمته: هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن عبد الأشهل الأوسي الأنصاري الأشهلي، شهد بدراً باتفاق رمي

بسهم يوم الخندق فعاش بعد ذلك شهراً حتى حكم في بني قريضة وأحسن دعوته في ذلك ثم انتقض جرحه فمات.

تنبيه:

اتفق الشيخان على أن المتكلم أولاً في هذه الحادثة هو سعد بن معاذ ويشكل عليه أن غزوة بني المصطلق والإفك سنة ست، وكان موت سعد بعد الخندق وهي سنة أربع باتفاق أهل السير.

قال القاضي: وقد ذكر موسى بن عقبة أن غزوة المريسيع كانت سنة أربع وهي سنة الخندق.

قال القاضي: فيحتمل أن غزوة المريسيع وحديث الإفك كانا في سنة أربع قبل قصة الخندق.

وذكر الطبري عن الواقدي أن المريسيع كانت سنة خمس.قال: وكانت الخندق وقريضة بعدها. انتهى ملخصاً من الفتح.

وقال ابن القيم: «وقد أشكل هذا على كثير من أهل العلم فإن سعد بن معاذ لا يختلف أحد من أهل العلم أنه توفي عقيب حكمه في بني قريضة عقيب الخندق وذلك سنة خمس على الصحيح وحديث الإفك لا شك أنه في غزوة بني المصطلق هذه وهي المريسيع والجمهور عندهم أنها كانت بعد الخندق سنة ست فاختلفت طرق الناس عن هذه الإشكال . . . إلى أن قال بعد حكايته الخلاف المتقدم: وفي حديث الإفك ما يدل على خلاف ذلك أيضاً، لأن عائشة قالت إن القضية كانت بعد ما أنزل الحجاب وآية الحجاب نزلت في شأن زينب بنت جحش وزينب إذ ذاك كانت تحته فإنه ﷺ سألها عن عائشة فقالت : أحمي سمعي وبصري. قال عائشة : وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ وقد ذكر أرباب التواريخ أن تزويجه بزينب كان في ذي القعدة سنة خمس وعلى هذا فلا يصح قول موسى بن عقبة . وقال محمد بن إسحاق إن غزوة بني المصطلق كانت

في سنة ست بعد الخندق وذكر فيها حديث الإفك إلا أنه قال عن الزهري عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة عن عائشة . . .فذكر الحديث : فقال : فقام أسيد بن الحضير فقال : أنا أعذرك منه . فرد عليه سعد بن عبادة ولم يذكر سعد بن معاذ . قال أبو محمد بن حزم وهذا هو الصحيح الذي لا شك فيه وذكر سعد بن معاذ وهم لأن سعد بن معاذ مات إثر فتح بني قريظة بلا شك ، وكانت في آخر ذي القعدة من السنة الرابعة وغزوة بني المصطلق في شعبان من السنة السادسة بعد سنة وثمانية أشهر من موت سعد وكانت المقاولة بين الرجلين المذكورين بعد الرجوع من غزوة بني المصطلق بأزيد من خمسين ليلة» انتهى محل الغرض من زاد المعاد (٣/٢٦٥).

السادسة والتسعون : قوله «**أنا أعذرك منه**» في رواية فليح «أنا والله أعذرك منه».ووقع في رواية معمر «أعذرك منه» بحذف المبتدأ.

السابعة والتسعون : قوله «**إن كان من الأوس ضربتُ عنقه**» يعني قبيلة أُسيد ابن الحضير. في رواية صالح بن كيسان «ضربت» بضم المثناة.وإنما قال ذلك؛ لأنه كان سيدهم فجزم بأن حكمه فيهم نافذ.

الثامنة والتسعون : قوله «**وإن كان من إخواننا من الخزرج**»، "من" الأولى تبعيضية والأخرى بيانية.

التاسعة والتسعون : قوله «**أمرتنا ففعلنا أمرك**» في رواية ابن جريج «أتيناك به ففعلنا فيه أمرك».

المائة : قوله: «**فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج**» في رواية صالح بن كيسان «فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بن ثابت بنت عمه من فخذه وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج».انتهى.

الحادية ومائة : قوله «**وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً**» في رواية ابن إسحاق «وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحا» أي كامل الصلاح، في رواية الواقدي

«وكان صالحاً لكن الغضب بلغ منه ومع ذلك لم يغمص عليه في دينه».

الثانية بعد المائة : قوله «**لكن احتملته الحمية**» كذا للأكثر «احتملته» بمهملة ومثناة ثم ميم أي أغضبته، وفي رواية معمر عند مسلم وكذا يحيى بن سعيد عند الطبراني «اجتهلته» بجيم ثم مثناة ثم هاء.وصوبها الوقشي، أي حملته على الجهل.

الثالثة بعد المائة : قوله «**فقال لسعد**» أي ابن معاذ «كذبت لعمر الله لا تقتله» العمر بفتح العين المهملة هو البقاء، وهو العمر بضمها.لكن لا يستعمل في القسم إلا بالفتح.

الرابعة بعد المائة : قوله «**ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل**» فسر قوله لا تقتله بقوله «ولا تقدر على قتله» إشارة إلى أن قومه يمنعونه من قتله.

وأما قوله «**ولو كان من رهطك**» فهو من تفسير قوله «كذبت» أي في قولك «إن كان من الأوس ضربت عنقه» فنسبه إلى الكذب في هذه الدعوى وأنه جزم أن يقتله إن كان من رهطه مطلقاً، وأنه إن كان من غير رهطه إن أمر بقتله قتله وإلا فلا، فكأنه قال له: بل الذي نعتقده على العكس مما نطقت به، وأنه لو إن كان من رهطك ما أحببت أن يقتل، ولكنه من غير رهطك فأنت تحب أن يقتل.وهذا بحسب ما ظهر له في تلك الحالة.

قال الحافظ: ونقل ابن التين عن الداودي أن معنى قوله كذبت لا تقتله أن النبي ﷺ لا يجعل حكمه إليك فلذلك لا تقدر على قتله، وهو حمل جيد، وقد بينت الروايات الأخرى السبب الحامل لسعد بن عبادة على ما قال، ففي رواية ابن إسحاق «فقال سعد بن عبادة: يا ابن معاذ والله ما بك نصرة رسول الله ﷺ، ولكنها قد كانت بيننا ضغائن في الجاهلية وإحن لم تحلل لنا صدوركم، فقال ابن معاذ: الله أعلم بما أردت».

قال ابن التين: قول ابن معاذ «إن كان من الأوس ضربت عنقه» إنما قال ذلك؛ لأن الأوس قومه وهم بنو النجار، ولم يقل ذلك في الخزرج لما كان بين الأوس والخزرج من التشاحن قبل الإسلام ثم زال بالإسلام وبقي بعضه بحكم الأنفة، ونفى أن يحكم فيهم سعد بن معاذ وهو من الأوس.قال: ولم يرد سعد بن عبادة الرضا بما نقل عن عبد الله بن أبي، وإنما معنى قول عائشة «وكان قبل ذلك رجلا صالحاً» أي لم يتقدم منه ما يتعلق بالوقوف مع أنفة الحمية، ولم ترد أنه ناضل عن المنافقين، وهو كما قال.

الخامسة بعد المائة : قوله «**فقام أسيد بن حضير**» بالتصغير فيه وفي أبيه، وأبوه بمهملة ثم معجمة وهو ابن عم سعد بن معاذ أي من رهطه، ولم يكن ابن عمه لحا؛ لأنه سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، وأسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن امرئ القيس، إنما يجتمعان في امرئ القيس وهما في التعدد إليه سواء.

السادسة بعد المائة : قوله «**فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه**» أي ولو كان من الخزرج إذا أمر رسول الله ﷺ بذلك، وليست لكم قدرة على منعنا من ذلك.

السابعة ومائة : قوله «**فإنك منافق تجادل عن المنافقين**» أطلق أسيد ذلك مبالغة في زجره عن القول الذي قاله.

قال الحافظ: وقال المازَري: إطلاق أسيد لم يرد به نفاق الكفر وإنما أراد أنه كان يظهر المودة للأوس ثم ظهر منه في هذه القصة ضد ذلك فأشبه حال المنافق؛ لأن حقيقته إظهار شيء وإخفاء غيره، ولعل هذا هو السبب في ترك إنكار النبي ﷺ عليه.

الثامنة ومائة : قوله «**فتثاور الحيان**» بمثناة ثم مثلثة: تفاعل من الثورة، والحيان بمهملة ثم تحتانية تثنية حي والحي كالقبيلة، أي نهض بعضهم إلى بعض

من الغضب.وعند ابن إسحاق «تساور الحيان من الأوس والخزرج».

التاسعة ومائة : قوله «**حتى هموا أن يقتتلوا**» زاد ابن جريج في روايته في قصة الإفك هنا «قال: قال ابن عباس: فقال بعضهم لبعض موعدكم الحرة» أي خارج المدينة لتتقاتلوا هناك.

العاشرة ومائة : قوله «**فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا**» وفي رواية ابن حاطب «فلم يزل يومىء بيده إلى الناس ههنا حتى هدأ الصوت» وفي رواية فليح «فنزل فخفضهم حتى سكتوا».ويحمل على أنه سكتهم وهو على المنبر ثم نزل إليهم أيضاً ليكمل تسكيتهم.ووقع في رواية عطاء الخراساني عن الزهري «فحجز بينهم».

الحادية عشرة ومائة : قوله «**فمكثت يومي ذلك**» في رواية الكشميهني «فبكيت» وهي في رواية فليح وصالح وغيرهما.

الثانية عشرة ومائة : قوله «**فأصبح أبواي عندي**» أي أنهما جاءا إلى المكان الذي هي به من بيتهما، لا أنها رجعت من عندهما إلى بيتها.ووقع في رواية محمد بن ثور عن معمر عند ابن جرير «وأنا في بيت أبوي».

الثالثة عشرة ومائة : قوله «**وقد بكيت ليلتين ويوما**» أي الليلة التي أخبرتها فيها أم مسطح الخبر واليوم الذي خطب فيه النبي ﷺ الناس والليلة التي تليه.ووقع في رواية فليح «وقد بكيت ليليّ ويوما» وكأن الياء مشددة ونسبتهما إلى نفسها لما وقع لها فيهما.

الرابعة عشرة ومائة : قوله «**فبينا هما**» وفي رواية الكشميهني «فبينما هما».

الخامسة عشرة ومائة : قوله «**يظنان أن البكاء فالق كبدي**» في رواية فليح «حتى أظن».

ويجمع بأن الجميع كانوا يظنون ذلك.

السادسة عشرة ومائة : قوله «**فاستأذنت**» كذا فيه وفي الكلام حذف تقديره جاءت امرأة فاستأذنت، وفي رواية فليح «إذ استأذنت».

السابعة عشرة ومائة : قوله «**امرأة من الأنصار**» لم يعرف اسمها.

الثامنة عشرة ومائة : قوله «**فبينا نحن على ذلك**» في رواية الكشميهني «فبينا نحن كذلك» وهي رواية فليح، والأول رواية صالح.

التاسعة عشرة وما ئة : قوله «**دخل علينا رسول ا لله ﷺ**» في رواية هشام بن عروة بلفظ «فأصبح أبواي عندي فلم يزالا حتى دخل علي رسول ا لله ﷺ وقد صلى العصر،وقد اكتنفني أبواي عن يميني وعن شمالي» وفي رواية ابن حاطب «وقد جاء رسول ا لله ﷺ حتى جلس على سرير وجاهي» وفي حديث أم رومان «أن عائشة في تلك الحالة كانت بها الحمى النافض، وأن النبي ﷺ لما دخل فوجدها كذلك قال: ما شأن هذه؟ قالت: أخذتها الحمى بنافض، قال: فلعله في حديث محدث؟ قالت: نعم.فقعدت عائشة».

العشرون بعد المائة : قوله «**ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، ولقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني**» حكى السهيلي أن بعض المفسرين ذكر أن المدة كانت سبعاً وثلاثين يوماً فألغى الكسر في هذه الرواية، وعند ابن حزم أن المدة كانت خمسين يوماً أو أزيد.

ويجمع بأن المدة التي كانت بين قدومهم المدينة ونزول القرآن في قصة الإفك، وأما التقييد بالشهر فهو المدة التي أولها إتيان عائشة إلى بيت أبويها حين بلغها الخبر.قاله الحافظ.

الحادية والعشرون ومائة : قوله «**فتشهد**» في رواية هشام بن عروة «فحمد ا لله وأثنى عليه».

الثانية والعشرون ومائة : قوله «**أما بعد يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا**» هو كناية عما رميت به من الإفك، فلعل الكناية من لفظ النبي ﷺ، ووقع

في رواية ابن إسحاق «فقال: يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول الناس، فاتق الله، وإن كنت قارفت سوء فتوبي».

الثالثة والعشرون ومائة : قوله «**فإن كنت بريئة فسيبرئك الله**» أي بوحي ينزله بذلك قرآناً أو غيره.

الرابعة والعشرون ومائة : قوله : «**وإن كنت ألممت بذنب**» أي وقع منك ذنب على خلاف العادة، وهذا حقيقة الإلمام ، ومنه «ألمت بنا والليل مرخ ستوره».

الخامسة والعشرون ومائة : قوله «**فاستغفري الله وتوبي إليه**» في رواية معمر «ثم توبي إليه» وفي رواية أبي أويس «إنما أنت من بنات آدم إن كنت أخطأت فتوبي».

السادسة والعشرون ومائة : قوله «**فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه**».

قال الداودي: أمرها بالاعتراف ولم يندبها إلى الكتمان للفرق بين أزواج النبي ﷺ وغيرهن، فيجب على أزواجه الاعتراف بما يقع منهن ولا يكتمنه إياه؛ لأنه لا يحل لنبي إمساك من يقع منها ذلك، بخلاف نساء الناس فإنهن ندبن إلى الستر.

السابعة والعشرون ومائة : قوله «**قلص دمعي حتى ما أحس**» بفتح القاف واللام ثم مهملة أي استمسك نزوله فانقطع ومنه قلص الظل وتقلص إذا شمر.

قال القرطبي: سببه أن الحزن والغضب إذا أخذ أحدهما فقد الدمع لفرط حرارة المصيبة.

وقوله «**حتى ما أحس**» بضم الهمزة وكسر المهملة أي أجد.

الثامنة والعشرون ومائة : قوله «**فقلت لأبي: أجب رسول الله ﷺ فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول**» قيل إنما قالت عائشة لأبيها ذلك مع أن

السؤال إنما وقع عما في باطن الأمر، وهو لا اطلاع له على ذلك، لكن قالته إشارة إلى أنها لم يقع منها شيء في الباطن يخالف الظاهر الذي هو يطلع عليه فكأنها قالت له: برئني بما شئت وأنت على ثقة من الصدق فيما تقول، وإنما أجابها أبو بكر بقوله لا أدري؛ لأنه كان كثير الاتباع لرسول الله ﷺ، فأجاب بما يطابق السؤال في المعنى؛ ولأنه وإن كان يتحقق براءتها لكنه كره أن يزكي ولده. وكذا الجواب عن قول أمها لا أدري. ووقع في رواية هشام بن عروة الآتية «فقال: ماذا أقول». وفي رواية أبي أويس «فقلت لأبي أجب فقال: لا أفعل، هو رسول الله والوحي يأتيه».

التاسعة والعشرون ومائة : قوله «قالت: قلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن» قالت هذا توطئة لعذرها؛ لكونها لم تستحضر اسم يعقوب عليه السلام كما سيأتي، ووقع في رواية هشام بن عروة الآتية «فلما لم يجيباه تشهدت فحمدت الله وأثنيت عليه بما هو أهله ثم قلت: أما بعد» وفي رواية ابن إسحاق «فلما استعجما علي استعبرت فبكيت ثم قلت: والله لا أتوب مما ذكروا أبداً».

الثلاثون بعد المائة : قوله «لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به» في رواية فليح «وقر» بالتخفيف أي ثبت وزنا ومعنى.

الحادية والثلاثون بعد المائة : قوله «وصدقتم به» في رواية هشام بن عروة «لقد تكلمتم به وأشربته قلوبكم» قالت هذا وإن لم يكن على حقيقته على سبيل المقابلة لما وقع من المبالغة في التنقيب عن ذلك، وهي كانت لما تحققته من براءة نفسها ومنزلتها تعتقد أنه كان ينبغي لكل من سمع عنها ذلك أن يقطع بكذبه، لكن العذر لهم عن ذلك أنهم أرادوا إقامة الحجة على من تكلم في ذلك، ولا يكفي فيها مجرد نفي ما قالوا والسكوت عليه، بل تعين التنقيب عليه لقطع شبههم، أو مرادها بمن صدق به أصحاب الإفك، لكن ضمت إليه من لم يكذبهم

تغليباً.

الثانية والثلاثون بعد المائة : قوله «**ولا تصدقوني بذلك**» أي لا تقطعون بصدقي.وفي رواية هشام بن عروة «ما ذاك بنافعي عندكم» وقالت في الشق الآخر «لتصدقني» وهو بتشديد النون والأصل تصدقونني فأدغمت إحدى النونين في الأخرى، وإنما قالت ذلك؛ لأن المرء مؤاخذ بإقراره.ووقع في حديث أم رومان «لئن حلفت لا تصدقوني، ولئن قلت لا تعذروني».

الثالثة والثلاثون بعد المائة : قوله «**وا لله ما أجد لكم مثلاً**» في رواية صالح وفليح ومعمر «ما أجد لك ولي مثلا».

الرابعة والثلاثون بعد المائة : قوله «**إلا قول أبي يوسف**» زاد ابن جريج في روايته «واختلس مني اسمه» وفي رواية هشام بن عروة «والتمست اسم يعقوب فلم أقدر عليه» وفي رواية ابن إسحاق «فلم أذكره» وفي رواية أبي أويس «نسيت اسم يعقوب لما بي من البكاء واحتراق الجوف» ووقع في حديث أم رومان «مثلي ومثلكم كيعقوب وبنيه» وهي بالمعنى للتصريح في حديث هشام وغيره بأنها لم تستحضر اسمه.

الخامسة والثلاثون بعد المائة: قوله «**ثم تحولت فاضطجعت على فراشي**» زاد ابن جريج «ووليت وجهي نحو الجدر».

السادسة والثلاثون بعد المائة : قوله «**وأنا حينئذ أعلم أني بريئة، وأن ا لله مبرئي ببراءتي**» والمعنى أن ا لله سبحانه وتعالى سينزل في ما يبرئني به من وحيه.

السابعة والثلاثون بعد المائة: قوله «**ولكن وا لله ما كنت أظن أن ا لله منزل في شأني وحياً يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم ا لله فيّ بأمر**» في رواية فليح «من أن يتكلم بالقرآن في أمري» وفي رواية ابن إسحاق «يقرأ به في المساجد ويصلى به» والمعنى أنها كانت تتوقع شيئاً غير القرآن ويفسره رواية ابن إسحاق «ولكني قد كنت أرجو أن يرى رسول ا لله ﷺ في

نومه شيئاً يكذب به ا لله عني».

الثامنة والثلاثون بعد المائة: قوله «**فوا لله ما رام رسول ا لله ﷺ**» أي فارق، ومصدره الريم بالتحتانية، بخلاف رام بمعنى طلب فمصدره الروم، ويفترقان في المضارع: يقال رام يروم روما، ورام يريم ريما. وفي رواية صالح وفليح ومعمر وغيرهم «مجلسه» وهي مفسرة لما حذف من الأولى أي ما فارق مجلسه.وفي رواية ابن إسحاق «**ما برح**» والمعنى واحد.

التاسعة والثلاثون بعد المائة : قوله «**ولا خرج أحد من أهل البيت**» أي الذين كانوا حينئذ حضوراً.ووقع في رواية أبي أسامة «وأنزل ا لله على رسول ا لله ﷺ من ساعته».

الأربعون بعد المائة: قوله «**فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء**».بضم الموحدة وفتح الراء ثم مهملة ثم مد: هي شدة الحمى، وقيل شدة الكرب، وقيل شدة الحر، ومنه برح بي الهمّ إذا بلغ مني غايته.ووقع في رواية إسحاق بن راشد «وهو العرق» وبه جزم الداودي، وهو تفسير باللازم غالباً؛ لأن البرحاء شدة الكرب ويكون عنده العرق غالباً، وفي رواية ابن حاطب «وشخص بصره إلى السقف» وفي رواية عمر بن أبي سلمة عن أبيه، عن عائشة عند الحاكم «فأتاه الوحي، وكان إذا أتاه الوحي أخذه السبل» وفي رواية ابن إسحاق «فسجى بثوب ووضعت تحت رأسه وسادة من أدم».

الحادية والأربعون بعد المائة: قوله «**حتى أنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي ينزل عليه**» الجُمان بضم الجيم وتخفيف الميم اللؤلؤ، وقيل حب يعمل من الفضة كاللؤلؤ.

وقال الداودي: خرز أبيض، والأول أولى، فشبهت قطرات عرقه ﷺ بالجمان لمشابهتها في الصفاء والحسن.وزاد ابن جريج في روايته «قال أبو بكر: فجعلت أنظر إلى رسول ا لله ﷺ أخشى أن ينزل من السماء ما لا مرد له، وأنظر

إلى وجه عائشة فإذا هو منبق، فيطمعني ذلك فيها» وفي رواية ابن إسحاق «فأما أنا فوا لله ما فزعت قد عرفت أنـي بريئة، وأن ا لله غير ظالمي.وأما أبواي فما سرى عن رسول ا لله ﷺ حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقاً من أن يأتي من ا لله تحقيق ما يقول الناس».

الثانية والأربعون بعد المائة: قوله «**فلما سُرِّي**» بضم المهملة وتشديد الراء المكسورة أي كشف.

الثالثة والأربعون بعد المائة : قوله «**وهو يضحك**» في رواية هشام بن عروة «فرفع عنه وإني لأتبين السرور في وجهه يمسح جبينه» وفي رواية ابن حاطب «فوالذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما زال يضحك حتى أنـي لأنظر إلى نواجذه سروراً، ثم مسح وجهه».

الرابعة والأربعون بعد المائة: قوله «**فكان أول كلمة تكلم بها: يا عائشة أما ا لله عز وجل فقد برأك**» في رواية صالح بن كيسان «قال يا عائشة» وفي رواية فليح «أن قال لي: يا عائشة احمدي ا لله، فقد برأك».أي بما أنزل من القرآن.

الخامسة والأربعون بعد المائة: قوله «**فقالت أمي: قومي إليه، فقلت: وا لله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا ا لله**» وفي رواية صالح «فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: وا لله لا أقوم إليه ولا أحمده ولا أحمد إلا ا لله الذي أنزل براءتي» وعند ابن جرير من هذا الوجه «أحمد ا لله لا إياكما» وفي رواية أبي أويس «نحمد ا لله ولا أحمدكم» وفي رواية أم رومان وكذا في حديث أبي هريرة «فقالت نحمد ا لله لا نحمدك» ومثله في رواية عمر بن أبي سلمة، وكذا عند الواقدي، وفي رواية ابن حاطب «وا لله لا نحمدك ولا نحمد أصحابك» وفي رواية مقسم والأسود وكذا في حديث ابن عباس «ولا نحمدك ولا نحمد أصحابك» وزاد في رواية الأسود عن عائشة «وأخذ رسول ا لله ﷺ بيدي فانتزعت يدي منه، فنهرتـي أبو

بكر» وعذرها في إطلاق ذلـك مـا ذكرتـه مـن الـذي خامرهـا مـن الغضـب مـن كونهم لم يبادروا بتكذيب من قال فيها ما قال مع تحققهم حسن طريقتها.

قال ابن الجوزي: إنما قالت ذلك إدلالاً كما يدل الحبيب على حبيبـه.وقيـل أشارت إلى إفراد ا لله تعالى بقولها «فهو الذي أنزل براءتي» فناسب إفراده بـالحمد في الحال.ولا يلزم منه ترك الحمد بعد ذلك.ويحتمل أن تكون مـع ذلـك تمسكت بظاهر قوله ﷺ لهـا «احمـدي ا لله» ففهمـت منـه أمرهـا بـإفراد ا لله تعـالى بـالحمد فقالت ذلك.وما أضافته إليه من الألفاظ المذكورة كان من باعث الغضب.

قال ابن القيم : «ومن تـأمل قـول الصديقـة وقـد نزلـت براءتهـا فقـال لهـا أبواها قومي إلى رسول ا لله ﷺ فقالت : وا لله لا أقوم إليه ولا أحمـد إلا ا لله علـم معرفتها وقوة إيمانها وتوليتها النعمة لربها وإفراده بالحمد في ذلك المقام وتجريدهـا التوحيد وقوة جأشها وإدلالها ببراءة ساحتها وأنها لم تفعـل مـا يوجـب قيامهـا في مقام الراغب في الصلح الطالب له ، وثقتهـا بمحبـة رسـول ا لله ﷺ لهـا قـالت مـا قالت إدلالاً للحبيب على حبيه ولا سـيما في مثـل هـذا المقـام الـذي هـو أحسـن مقامات الإدلال فوضعته موضعه و لله ما كان أحبها إليه حين قالت : لا أحمد إلا ا لله فإنه هو الذي أنزل براءتي ، و لله ذلك الثبات والرزان منها وهو أحـب شـئ إليها ولا صبر لها عنه وقد تنكر قلب حبيبها لها شـهراً ثـم صـادفت الرضـى منـه والإقبال فلم تبادر إلى القيام إليه والسرور برضاه وقربه مع شدة محبتهـا لـه وهـذا غاية الثبات والقوة». انتهى من الزاد (٣/٢٦٤) .

السادسة والأربعون بعد المائة: قوله «**فأنزل ا لله تعالى:﴿إن الذين جـاءوا بالإفك عصبة منكم﴾ العشر آيات كلها**».

قلت: آخر العشر قوله تعالى:﴿**وا لله يعلم وأنتم لا تعلمون**﴾ لكن وقع في رواية عطاء الخراساني عن الزهري «فـأنزل ا لله تعـالى:﴿**إن الذيـن جـاءوا** ــ إلى قوله ـ **أن يغفر ا لله لكم وا لله غفور رحيم**﴾.وعدد الآي إلى هذا الموضـع ثـلاث

عشرة آية، فلعل في قولها العشر الآيات بطريق إلغاء الكسر. وفي رواية الحكم بن عتبة مرسلاً عند ابن جرير «لما خاض الناس في أمر عائشة ـ فذكر الحديث مختصراً وفي آخره ـ فأنزل الله تعالى خمس عشرة آية من سورة النور حتى بلغ ـ الخبيثات للخبيثين».وهذا فيه تجوز، وعدة الآي إلى هذا الموضع ست عشرة.وفي مرسل سعيد بن جبير عند ابن أبي حاتم والحاكم في "الإكليل" فنزلت ثماني عشرة آية متوالية كذبت من قذف عائشة ﴿**إن الذين جاءوا** ـ إلى قوله ـ **رزق كريم**﴾ وفيه ما فيه أيضاً.وتحرير العدة سبع عشرة.

قلت: فعلى هذا فنهاية الآيات ﴿**ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون**﴾.

قال الزمخشري: لم يقع في القرآن من التغليظ في معصية ما وقع في قصة الإفك بأوجز عبارة وأشبعها، لاشتمالها على الوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف، واستعظام القول في ذلك واستشناعه بطرق مختلفة وأساليب متقنة، كل واحد منها كاف في بابه، بل ما وقع منها من وعيد عبدة الأوثان إلا بما هو دون ذلك، وما ذلك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله ﷺ وتطهير من هو منه بسبيل.وعند أبي داود من طريق حميد الأعرج، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة «جلس رسول الله ﷺ وكشف الثوب عن وجهه ثم قال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ﴿**إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم**﴾ وفي رواية ابن إسحاق: « ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم».ويجمع بأنه قرأ هذه الآيات مرتين أولاهما عند عائشة وأبويها، والثانية على الناس في المسجد.

السابعة والأربعون بعد المائة: قوله «**فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر: والله لا أنفق على مسطح شيئاً**» يؤخذ منه مشروعية ترك المؤاخذة بالذنب ما دام احتمال عدمه موجوداً؛ لأن أبا بكر لم يقطع نفقة مسطح إلا بعد تحقق ذنبه فيما وقع منه.

الثامنة والأربعون بعد المائة : قوله «**لقرابته منه**» تقدم بيانه في المسألة

الخمسين والحادية والخمسين.

التاسعة والأربعون بعد المائة : قوله «**وفقره**» علة أخرى للإنفاق عليه.

الخمسون بعد المائة : قوله «**بعد الذي قال لعائشة**» أي عن عائشة، وفي رواية هشام بن عروة «فحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحاً بنافعة أبداً».

الحادية والخمسون بعد المائة : قوله «**ولا يأتل**» سيأتي شرحها في الباب الخمسين بعد المائتين.

الثانية والخمسون بعد المائة : قوله «**وليعفوا وليصفحوا**» قال مسلم حدثنا حبان بن موسى أنبأنا عبد الله بن المبارك قال: «هذه أرجى آية في كتاب الله»انتهى، وإلى ذلك أشار القائل:

فإن قدر الذنب من مسطح … يحط قدر النجم من أفقه

وقد جرى منه الذي قد جرى … وعوتب الصديق في حقه

الثالثة والخمسون بعد المائة: قوله «**قال أبو بكر: بلى والله، إني أحب أن يغفر الله لي**».في رواية هشام بن عروة «بلى والله يا ربنا، إنا لنحب أن تغفر لنا».

الرابعة والخمسون بعد المائة : قوله «**فرجع إلى مسطح النفقة**» أي ردها إليه، وفي رواية فليح «فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه» وفي رواية هشام بن عروة «وعاد له بما كان يصنع» ووقع عند الطبراني أنه صار يعطيه ضعف ما كان يعطيه قبل ذلك.حكاه الحافظ.

الخامسة والخمسون بعد المائة : قوله «**يسأل زينب بنت جحش**» أي أم المؤمنين.

السادسة والخمسون بعد المائة : قوله «**أحمي سمعي وبصري**» أي من الحماية فلا أنسب إليهما ما لم أسمع ولا أبصر.

السابعة والخمسون بعد المائة: قوله «**وهي التي كانت تساميني**» أي

تعاليني من السمو وهو العلو والارتفاع أي تطلب من العلو والرفعة والحظوة عند النبي ﷺ ما أطلب، أو تعتقد أن الذي لها عنده مثل الذي لي عنده.

الثامنة والخمسون بعد المائة : قوله «**فعصمها الله**» أي حفظها ومنعها «**بالورع**» أي بالمحافظة على دينها ومجانبه ما تخشى سوء عاقبته.وفي هذا ثناء من عائشة على ضرتها زينب رضي الله عنهما.

التاسعة والخمسون بعد المائة : قوله «**وطفقت أختها حمنة**» بكسر الفاء وحكي فتحها أي جعلت أو شرعت، وحمنة بفتح المهملة وسكون الميم بنت جحش الأسدية كانت تحت مصعب بن عمير ثم طلحة، وكانت تستحاض ولها صحبة.

الستون بعد المائة : قوله «**تحارب لها**» أي تجادل لها وتتعصب وتحكي ما قال أهل الإفك لتنخفض منزلة عائشة وتعلو مرتبة أختها زينب.

الحادية والستون بعد المائة: قوله «**فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك**» أي حدثت فيمن حدث أو أثمت مع من أثم، زاد صالح بن كيسان وفليح ومعمر وغيرهم «قال ابن شهاب: فهذا الذي بلغنا من حديث هؤلاء الرهط» زاد صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن عروة «قالت عائشة: والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان الله، والذي نفسي بيده ما كشفت كنف أنثى قط».قالت عائشة «ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله».وعند أصحاب السنن من طريق محمد ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم، عن عمرة، عن عائشة «أن النبي ﷺ أقام حد القذف على الذين تكلموا بالإفك» لكن لم يذكر فيهم عبد الله بن أبي، وكذا في حديث أبي هريرة عند البزار، وبنى على ذلك صاحب "الهدي" فأبدى الحكمة في ترك الحد على عبد الله بن أبي، وفاته أنه ذكر أيضاً فيمن أقيم عليه الحد، ووقع ذلك في رواية أبي اويس، وعن حسن بن زيد، عن عبد الله بن أبي بكر أخرجه الحاكم في "الإكليل" وفيه رد على

الماوردي حيث صحح أنه لم يحدهم مستنداً إلى أن الحد لا يثبت إلا ببينة أو إقرار، ثم قال: وقيل أنه حدهم.وما ضعفه هو الصحيح المعتمد.قاله الحافظ

من فقه الحديث:

وفي هذا الحديث فوائد غير ماتقدم:

١ـ جواز الحديث عن جماعة ملفقاً مجملاً.

٢ـ وفيه مشروعية القرعة حتى بين النساء وفي المسافرة بهن والسفر بالنساء حتى في الغزو.

٣ـ وجواز حكاية ما وقع للمرء من فضل ولو كان فيه مدح ناس وذم ناس.

٤ـ وفيه استعمال التوطئة فيما يحتاج إليه من كلام.

٥ـ وأن الهودج يقوم مقام البيت في حجب المرأة.

٦ـ وفيه خدمة الأجانب للمرأة من وراء الحجاب.

٧ـ وتوجه المرأة لقضاء حاجتها وحدها وبغير إذن خاص من زوجها.

٨ـ وجواز تحلي المرأة في السفر بالقلادة ونحوها.

٩ـ وصيانة المال ولو قل للنهي عن إضاعة المال.

١٠ـ توقف رحيل العسكر على إذن الأمير.

١١ـ واستعمال بعض الجيش ساقة يكون أميناً، ليحمل الضعيف ويحفظ ما يسقط وغير ذلك من المصالح.

١٢ـ والاسترجاع عند المصيبة.

١٣ـوتغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي.

١٤ـ وإطلاق الظن على العلم.

١٥ـ وإغاثة الملهوف، وعون المنقطع، وإنقاذ الضائع، وإكرام ذوي القدر وإيثارهم بالركوب وتجشم المشقة لأجل ذلك.

١٦- وحسن الأدب مع الأجانب خصوصاً النساء لا سيما في الخلوة.

١٧- والمشي أمام المرأة ليستقر خاطرها وتأمن مما يتوهم من نظره لما عساه ينكشف منها في حركة المشي.

١٨- وفيه ملاطفة الزوجة وحسن معاشرتها والتقصير من ذلك عند إشاعة ما يقتضي النقص وإن لم يتحقق.

١٩- وأنه لا ينبغي لأهل المريض أن يعلموه بما يؤذي باطنه لئلا يزيد ذلك في مرضه.

٢٠- وفيه السؤال عن المريض.

٢١- وفيه أن المرأة إذا خرجت لحاجة تستصحب من يؤنسها أو يخدمها ممن يؤمن عليها.

٢٢- وفيه الذب عن المسلمين خصوصاً من كان من أهل الفضل، وردع من يؤذيهم ولو كان منهم بسبيل.

٢٣- وفيه البحث عن الأمر القبيح إذا أشيع وتعرف صحته وفساده بالتنقيب على ما قيل فيه هل وقع منه ما يشبهه أو يقرب منه واستصحاب حال من اتهم بسوء إذا كان قبل ذلك معروفاً بالخير إذا لم يظهر عنه بالبحث ما يخالف ذلك. ذكر هذه الفوائد الحافظ رحمه الله.

٢٤٥- [باب قوله ﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم**﴾].

ش/ يقول تعالى ذكره ﴿**ولولا فضل الله عليكم**﴾ أيها الخائضون في أمر عائشة، المشيعون فيها الكذب والإثم، بتركه تعجيل عقوبتكم ﴿**ورحمته**﴾ إياكم لعفوه عنكم ﴿**في الدنيا والآخرة**﴾ بقبول توبتكم مما كان منكم في ذلك ﴿**لمسكم فيما**﴾ خضتم فيه من أمرها عاجلا في الدنيا ﴿**عذاب عظيم**﴾.

شرح جملة من الآثار والكلمات :

١- [وقال مجاهد: ﴿تلقونه﴾ يرويه بعضكم عن بعض].

ش/ أخرجه ابن أبي حاتم بلفظ المصنف، قال حدثنا أبو سعيد الأشج ثنا أبو أسامة، عن شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد فذكره.

وأخرجه ابن جرير:ثنا الحسين، ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد بلفظ:«تروونه بعضكم عن بعض» والمعنى واحد.

والآية المشار إليها ستأتي.

٢- [﴿تفيضون﴾ تقولون].

ش/ هو قول مجاهد وسيأتي في تفسير سورة الأحقاف ضمن الباب السابع عشر بعد الثلاثمائة.وذكره ها هنا استشهاداً لقوله ﴿**فيما أفضتم فيه عذاب عظيم**﴾.

٢٧١- حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سليمان[١] عن حصين، عن أبي وائل، عن مسروق، عن أم رومان[٢] أم عائشة أنها قالت: «لما رميت عائشة خرت مغشياً عليها».

مضى في المسألة الثالثة والستين من الباب الذي قبله.

---

(١) هو أبو داود أو أبو محمد سليمان بن كثير العبدي، البصري، لا بأس به في غير الزهري، من السابعة.مات سنة ثلاث وثلاثين [ومائة].ع.

(٢) هي أم رومان الفراسية، زوج أبي بكر الصديق، وأم عائشة، وعبد الرحمن، صحابية يقال اسمها زينب وقيل دعد.عاشت بعد النبي ﷺ.خ.

٢٤٦ـ [باب ﴿إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم، وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم﴾].

ش: يعني بقوله **﴿تلقونه﴾** تتلقون الإفك الذي جاءت به العصبة من أهل الإفك فتقبلونه، ويرويه بعضكم عن بعض. يقال: تلقيت هذا الكلام عن فلان بمعنى أخذته منه وقيل ذلك؛ لأن الرجل منهم فيما ذكر يلقى آخر فيقول: أو ما بلغك كذا وكذا عن عائشة؟ ليشيع عليها بذلك الفاحشة.

وذكر أنها في قراءة أُبي «إذ تتلقونه» بتاءين، وعليها قراءة الأمصار غير أنهم قرءوها «تلقونه» بتاء واحدة؛ لأنها كذلك في مصاحفهم. اهـ من ابن جرير.

وقوله **﴿وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم﴾** أي تقولون ما لا تعلمون ثم قال تعالى **﴿وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم﴾** أي تقولون ما تقولون في شأن أم المؤمنين وتحسبون ذلك يسيراً سهلاً، ولو لم تكن زوجة النبي ﷺ لما كان هيناً فكيف وهي زوجة النبي الأمي خاتم الأنبياء، وسيد المرسلين، فعظيم عند الله أن يقال في زوجة نبيه ورسوله ما قيل، فإن الله سبحانه وتعالى يغار لهذا وهو سبحانه وتعالى لا يُقدر على زوجة نبي من الأنبياء ذلك حاشا وكلا، ولما لم يكن ذلك فكيف يكون هذا في سيدة نساء الأنبياء وزوجة سيد ولد آدم على الإطلاق في الدنيا والآخرة، ولهذا قال تعالى **﴿وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم﴾** وفي الصحيحين «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يدري ما تبلغ يهوي بها في النار أبعد مما بين السماء والأرض» وفي رواية «لا يلقي لها بالاً».

٢٧٢ـ حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا هشام أن ابن جريج أخبرهم: قال ابن أبي مليكة: سمعت عائشة تقرأ: ﴿إذ تلقونه بألسنتكم﴾».

ش: فيه مسألتان:

الأولى: تفسير تلقونه. قال ابن الأثير: الولق والألق الاستمرار في

الكذب.يقال: ولق يلق، وألق يألق، إذا أسرع في مرّه.وقيل: الولق الكذب.اهـ.

قلت: والحديث عند المصنف في حديث الإفك من المغازي برواية نـافع بـن عمر الجمحي، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة رضي الله عنها «كانت تقرأ: ﴿**إذ تلقونه بألسنتكم**﴾ وتقول: الولق: الكذب».

الثانية: هذه القراءة ﴿**تلِقّونه**﴾ بكسر الـلام وتشـديد القـاف لم أجـد هـذه القراءة فيما وقفت عليه عن غير عائشة رضـي الله عنهـا ولعلهـا سـيقت للتفسـير وقد قدمنا المعنى قبل قليل والله أعلم.

٢٤٧ــ باب ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم﴾.

ش/ هذا تأديب آخر بعد الأول الآمر بظن الخير أي إذا ذكر ما لا يليق من القول في شأن الخيرة فأولى ما ينبغي أن يظن بهم خيراً، وأن لا يشعر نفسه سوى ذلك، ثم إن علق بنفسه شيء من ذلك ـ وسوسة أو خيالا ـ فلا ينبغي أن يتكلم به، فإن رسول ا لله ﷺ قال: «إن ا لله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل» أخرجاه في الصحيحين.

وقال ا لله تعالى: **﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا﴾** أي ما ينبغي لنا أن نتفوه بهذا الكلام ولا نذكره لأحد **﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾** أي سبحان ا لله أن يقال هذا الكلام على زوجة رسول ا لله وحليلة خليله.

٢٧٣ـ حدثنا محمد بن المثنى حدثنا يحيى، عن عمر بن سعيد بن أبي حسين قال: حدثني ابن أبي مليكة قال: استأذن ابن عباس قبل موتها على عائشة، وهي مغلوبة قالت: «أخشى أن يثنى عليّ فقيل ابن عم رسول ا لله ﷺ ومن وجوه المسلمين؟ قالت: ائذنوا له، فقال: كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتقيت قال: فأنت بخير إن شاء ا لله، زوجة رسول ا لله ﷺ ولم ينكح بكرا غيرك، ونزل عذرك من السماء، ودخل ابن الزبير خلافه فقالت: دخل ابن عباس، فأثنى عليّ، ووددت أني كنت نسياً منسياً».

حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد حدثنا ابن عون، عن القاسم أن ابن عباس رضي ا لله عنهما استأذن على عائشة.نحوه ولم يذكر نسياً منسياً.

ش: فيه عشر مسائل:

الأولى: قوله «**وهي مغلوبة**» هذه الجملة حالية ومعناها كناية عما تعانيه

عائشة رضي ا الله عنها من شدة مرض الموت وكربه.

الثانية: قوله «**أخشى أن يثنى علي**» فيه دليل على شدة ورعها وتواضعها.

الثالثة: قوله «**فقيل ابن عم رسول ا الله ﷺ ومن وجوه المسلمين**» كأن القائل فهم عنها أنها تمنعه من الدخول للمعنى الذي ذكرته وهو ما كانت تكرهه من الثناء فذكرّها بمنزلته، والذي راجع عائشة في ذلك هو ابن أخيها عبد ا الله بن عبد الرحمن، والذي استأذن لابن عباس هو ذكوان مولى عائشة، وقد بين ذلك كله أحمد في فضائل الصحابة (٨٧٣/٢) وابن سعد (٧٤/٢) في الطبقات من طريق عبد ا الله بن عثمان هو ابن خثيم عن ابن أبي مليكة عن ذكوان مولى عائشة أنه استأذن لابن عباس على عائشة وهي تموت فذكر الحديث. وفيه «فقال لها عبد ا الله يا أمتاه إن ابن عباس من صالح بيتك يسلم عليك ويودعك، قالت: ائذن له إن شئت».

قلت: وفيه فائدتان:

إحداهما: جواز عيادة المرأة في مرضها لا سيما إن كانت من أهل الفضل والصلاح.

وثانيتهما: تذكير المريض بفضل القادم عليه إذا تردد في الإذن له.

الرابعة: قوله «**ائذنوا له فقال: كيف تجدينك**» في الكلام محذوف تقديره فأذن له فدخل عليها وفيه دليل على سؤال المريض عن حاله.

وعند أحمد من رواية ذكوان «فلما جلس قال أبشري قالت وأيضاً قال: ما بينك وبين أن تلقي محمداً والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد».

قلت: ولا منافاة بين الروايتين لجواز جمعه في محادثتها بين السؤال عن حالها وهذه البشارة.

الخامسة: قوله «**بخير إن اتقيت**» أي إن كنت من أهل التقوى.

السادسة: قوله «**فأنت بخير إن شاء ا الله تعالى**» وفي باب فضل عائشة من الفضائل برواية القاسم بن محمد «يا أم المؤمنين تقدمين على فرط صدق على

رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر».

السابعة: قوله «**زوجة رسول الله ﷺ**» في رواية ذكوان «كنت أحب نساء رسول الله ﷺ ولم يكن يحب إلا طيباً».

الثامنة: قوله «**ونزل عذرك من السماء**» يشير إلى قصة الإفك، ووقع في رواية ذكوان «وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات جاء به الروح الأمين، فليس في الأرض مسجد إلا وهو يتلى فيه أناء الليل وأطراف النهار» وزاد في آخره «وسقطت قلادتك ليلة الأبواء فنزل التيمم فوا لله إنك لمباركة».

التاسعة: قوله «**ودخل ابن الزبير خلافه**» أي على عائشة بعد أن خرج ابن عباس فتخالفا في الدخول والخروج.

العاشرة: قوله «**وددت أني كنت نسياً منسياً**» هو على عادة أهل الورع في شدة الخوف على أنفسهم أن يصيبهم من المديح والثناء العجب والغرور.وفي رواية ذكوان أنها قالت لابن عباس هذا الكلام قبل أن يقوم ولفظه: «فقالت دعني منك يا ابن عباس، فوالذي نفسي بيده لوددت أني كنت نسياً منسياً».

ويمكن الجمع بأنها قالت ذلك مرتين إحداهما لابن عباس والأخرى لابن الزبير ومطابقة هذا الحديث للترجمة في قول ابن عباس «ونزل عذرك من السماء».فإن الآية من أعظم ما جاء في عذرها وبراءتها وتكذيب أصحاب الإفك.

وقوله عن القاسم نحوه.أخرجه الإسماعيلي وأبو نعيم في المستخرج من طريق حماد بن زيد، عن عبد الله بن عون ولفظه: «عن القاسم بن محمد، عن عائشة أنها اشتكت، فاستأذن ابن عباس عليها وأتاها يعودها فقالت الآن يدخل عليّ فيزكيني فأذنت له فقال: أبشري يا أم المؤمنين، تقدمين على فرط صدق، وتقدمين على رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر، قالت:أعوذ با لله أن تزكيني»حكاه الحافظ هنا.

وفي مناقب عائشة عند المصنف قال: حدثنا محمد بن بشار ثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد ثنا ابن عون عن القاسم بن محمد أن عائشة اشتكت فجاء ابن عباس فقال: يا أم المؤمنين تقدمين على فرط صدق، على رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر».

٢٤٨- [باب ﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً﴾].

ش/ تمامها: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾.

يقول تعالى ذكره: يذكركم الله وينهاكم بآي كتابه لئلا تعودوا لمثل فعلكم الذي فعلتموه في أمر عائشة، من تلقيكم الإفك الذي روي عليها بألسنتكم وقولكم بأفواهكم ما ليس لكم به علم فيها أبداً.

﴿إن كنتم مؤمنين﴾ يقول: إن كنتم تتعظون بعظات الله وتأتمرون لأمره، وتنتهون عما نهاكم عنه.

٢٧٤- حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «جاء حسان بن ثابت يستأذن عليها، قلت: أتأذنين لهذا؟ قالت: أوليس قد أصابه عذاب عظيم، قال سفيان: تعني ذهاب بصره. فقال:

حَصانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بريبة وتُصبِحُ غرثى من لحوم الغوافِل

قالت: لكن أنت».

ش : فيه عشر مسائل:

الأولى: قوله «**جاء حسان بن ثابت يستأذن عليها**» في رواية شعبة عند المصنف في المغازي «دخلنا على عائشة رضي الله عنها، وعندها حسان بن ثابت» وعند مسلم «دخلت» بدل «دخلنا». ويمكن الجمع بينهما بأن مسروق فهم من حال عائشة رضي الله عنها أنه لم يدخل عليها حسان إلا بإذن وهذا هو ما جرت به عادتهم واستقر عندهم شرعاً.

الثانية: قوله «**أتأذنين لهذا**» في رواية شعبة السابقة أن هذا القول وقع بعد إنشاد حسان الشعر. فلعل مسروق قال ذلك مرتين مرة حين رآه ومرة بعد سماعه شعره.

الثالثة: قوله «**أوليس قد أصابه عذاب عظيم**» في المغازي قال مسروق «لم تأذنين له أن يدخل عليك وقد قال الله تعالى: ﴿**والذي تولى كبره منهم له**

تأذنين له أن يدخل عليك وقد قال الله تعالى: ﴿**والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم**﴾».

وفي قول مسروق هذا وإقرار عائشة ما يفيد أن حسان هو ممن تولى كبر الإفك وهذا معارض في الظاهر لما رجحناه في المسألة الثانية من الحديث التاسع والستين بعد المائتين أن من تولى كبره هو عبد الله بن أبي ويزيل هذا الإشكال ما حكاه الحافظ عن المستخرج من رواية أبي حذيفة عن سفيان بلفظ «وهو ممن تولى كبره».

الرابعة: قوله «**تعني ذهاب بصره**» في المغازي «وأي عذاب أكثر من العمى» تعني في الدنيا.وزاد أبو حذيفة في المستخرج «وإقامة الحدود».

الخامسة: قوله «**حصان**» بفتح المهملة قال السهيلي: هذا الوزن يكثر في أوصاف المؤنث وفي الأعلام منها كأنهم قصدوا بتوالى الفتحات مشاكله خفة اللفظ لخفة المعنى. و«حصان» من الحصين والتحصين يراد به الامتناع على الرجال ومن نظرهم إليها.

السادسة: قوله «**رزان**» يقال امرأة رَزان بالفتح، ورزينة، إذا كانت ذات ثبات ووقار وسكون، والرزانة في الأصل الثقل.قاله ابن الأثير.

السابعة: قوله «**ما تزن بريبة**» أي تتهم يقال: زنه بكذا أو أزنه إذا أتهمه به وظنه فيه والريب هو بمعنى الشك وقيل هو الشك مع التهمة، يقال رابني الشيء وأرابني بمعنى شككني.

الثامنة: قوله «**تصبح غرثى**» بفتح المعجمة وسكون الراء ثم مثلثة أي خميصة البطن أي لا تغتاب أحداً أو هي استعارة فيها تلميح بقوله تعالى في المغتاب ﴿**أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا**﴾.

التاسعة: قوله «**من لحوم الغوافل**» جمع غافلة وهي العفيفة الغافلةعن الشر، والمراد تبرئتها من اغتياب الناس بأكل لحومهم من الغيبة ومناسبة تسمية الغيبة

بأكل اللحم، أن اللحم ستر على العظم فكأن المغتاب يكشف ما على مـن اغتابـه من ستر.

العاشرة: قوله «**لكن أنت**» في المغازي «**لست كذاك**» وعند مسلم «لكنك لست كذلك» فتحصل من هذا أن عائشة رضي الله عنها تعـني بهـذا أن حسـان ممن تكلم في ذلك الإفك.

٢٤٩- [باب قوله ﴿ويبين ا لله لكم الآيات وا لله عليم حكيم﴾].

ش/ قوله ﴿ويبين ا لله لكم الآيات﴾ الآية.ويفصل ا لله لكم حججه عليكم، بأمره ونهيه، ليتبين المطيع له منكم من العاصي وا لله عليم بكم وبأفعالكم، لا يخفى عليه شيء، وهو مجاز المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته، حكيم بتدبير خلقه، وتكليفه ما كلفهم من الأعمال، وفرضه ما فرض عليهم من الأفعال.اهـ من ابن جرير.

٢٧٥- حدثني محمد بن بشار حدثنا ابن أبي عدي أنبأنا شعبة، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: دخل حسان بن ثابت على عائشة فشبب وقال:

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

قالت: لست كذاك.قلت: تدعين مثل هذا يدخل عليك وقد أنزل ا لله ﴿والذي تولى كبره منهم﴾ فقالت: وأي عذاب أشد من العمي، وقالت: وقد كان يرد عن رسول ا لله ﷺ».

ش : فيه مسألتان:

الأولى: قوله «**فشبب**» بمعجمة وموحدتين الأولى ثقيلة.في المصباح: شبب الشاعر بفلانة تشبيباً قال فيها الغزل وعرض بحبها.وشبب قصيدته حسنها وزينها بذكر النساء.وفي النهاية: تشبيب الشعر: ترقيقه بذكر النساء.

قلت: ومراد حسان رضي ا لله عنه الثناء على أم المؤمنين رضي ا لله عنها بذكر بعض محاسنها الشخصية ومزاياها الخلقية.

الثانية: قوله «**وقد كان يرد عن رسول ا لله ﷺ**».في المغازي باب حديث الإفك من رواية شعبة بلفظ «إنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول ا لله ﷺ».وفي قصة الإفك من رواية صالح بن كيسان عن الزهري قال عروة: كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول إنه الذي قال:

فإن أبي ووالدتي وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء

٢٥٠- [باب قوله ﴿**إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة وا لله يعلم وأنتم لا تعلمون، ولولا فضل ا لله عليكم ورحمته وأن ا لله رؤوف رحيم**﴾ . ﴿**ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل ا لله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر ا لله لكم وا لله غفور رحيم**﴾].

ش/ قوله ﴿**إن الذين يحبون** - إلى قوله — **وأنتم لا تعلمون**﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين يحبون أن يذيع الزنا في الذين صدقوا با لله ورسوله ويظهر ذلك فيهم لهم عذاب أليم يقول: لهم عذاب وجيع في الدنيا بالحد.الذي جعله ا لله حداً لرامي المحصنات والمحصنين إذا رموهم بذلك وفي الآخرة عذاب جهنم إن مات مصراً على ذلك غير تائب.وا لله يعلم كذب الذين جاءوا بالإفك من صدقهم، وأنتم أيها الناس لا تعلمون ذلك؛ لأنكم لا تعلمون الغيب، وإنما يعلم ذلك علام الغيوب.يقول فلا ترووا ما لا علم لكم به من الإفك على أهل الإيمان با لله، ولا سيما على حلائل رسول ا لله ﷺ فتهلكوا.اهـ من ابن جرير.

وقوله ﴿**ولولا فضل ا لله عليكم ورحمته وأن ا لله رؤوف رحيم**﴾ أي لولا هذا لكان أمر آخر ولكنه تعالى رؤوف بعباده رحيم بهم، فتاب على من تاب إليه من هذه القضية، وطهر من طهر منهم بالحد الذي أقيم عليه.اهـ من ابن كثير.

وقوله ﴿**ولا يأتل أولوا الفضل** - إلى قوله - **غفور رحيم**﴾ يقول جل ثناؤه: ولا يحلف من كان ذا فضل من مال وسعة منكم أيها المؤمنون با لله ألا يعطوا ذوي قرابتهم، فيصلوا به أرحامهم.﴿**والمساكين**﴾ يقول وذوي خلة الحاجة.﴿**والمهاجرين في سبيل ا لله**﴾ وهم الذين هاجروا من ديارهم وأموالهم في جهاد أعداء ا لله ﴿**وليعفوا**﴾ يقول وليعفوا عما كان منهم إليهم من جرم.﴿**وليصفحوا**﴾ يقول وليتركوا عقوبتهم على ذلك بحرمانهم ما كانوا

يؤتونهم قبل ذلك؛ ولكن ليعودوا لهم إلى مثل الذي كانوا لهم عليه من الإفضال عليهم. ﴿ألا تحبون أن يغفر ا لله لكم﴾ يقول: ألا تحبون أن يستر ا لله عليكم ذنوبكم بأفضالكم عليهم، فيترك عقوبتكم عليها. ﴿وا لله غفور﴾ لذنوب من أطاعه، واتبع أمره. ﴿رحيم﴾ بهم أن يعذبهم مع اتباعهم أمره، وطاعتهم إياه على ما كان لهم من زلة وهفوة، قد استغفروه منها، وتابوا إليه من فعلها. اهـ من ابن جرير.

٢٧٦- وقال أبو أسامة، عن هشام بن عروة قال: أخبرني أبي، عن عائشة قالت: لما ذُكر من شأني الذي ذُكر، وما علمت به، قام رسول ا لله ﷺ فيَّ خطيباً، فتشهد، فحمد ا لله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد أشيروا عليَّ في أُناس أبنوا أهلي، وايْمُ ا لله ما علمت على أهلي من سوء، وأبنوهم بمن وا لله ما علمت عليه من سوء قط، ولا يدخل بيتي قط إلا وأنا حاضر، ولا غبت في سفر إلا غاب معي. فقام سعد بن معاذ فقال: ائذن لي يا رسول ا لله أن نضرب أعناقهم، وقام رجل من بني الخزرج، وكانت أم حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل، فقال: كذبت، أما وا لله أن لو كانوا من الأوس ما أحببت أن تضرب أعناقهم. حتى كاد أن يكون بين الأوس والخزرج شرٌّ في المسجد، وما علمت. فلما كان مساء ذلك اليوم خرجت لبعض حاجتي ومعي أم مسطح، فعثرت وقالت: تعس مسطح، فقلت: أي أمِّ تسبين ابنك، وسكتت ثم عثرت الثانية فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: تسبين ابنك، ثم عثرت الثالثة فقالت: تعس مسطح، فانتهرتها، فقالت: وا لله ما أسبه إلا فيك، فقلت: في أي شأني؟ قالت: فبقرت لي الحديث، فقلت: وقد كان هذا؟ قالت: نعم وا لله، فرجعت إلى بيتي، كأن الذي خرجت له لا أجد منه قليلا ولا كثيراً. ووُعِكْت، فقلت لرسول ا لله ﷺ: أرسلني إلى بيت أبي، فأرسل معي الغلام، فدخلت الدار فوجدت أم رومان في السفل وأبا بكر فوق البيت يقرأ،

فقالت أمي: ما جاء بك يا بنية؟ فأخبرتها وذكرتُ لها الحديث، وإذا هو لم يبلغ منها مثل ما بلغ مني، فقالت: يا بنية، خفضي عليك الشأن، فإنه ـ وا لله ـ لقلما كانت امرأة حسناء، عند رجل يحبها، لها ضرائر إلا حسدنها، وقيل فيها، وإذا هو لم يبلغ منها ما بلغ مني، قلت: وقد علم به أبي؟ قالت: نعم، قلت: ورسول ا لله ﷺ؟ قالت: نعم ورسول ا لله ﷺ ، فاستعبرت وبكيت، فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ فنزل، فقال لأمي: ما شأنها؟ قالت: بلغها الذي ذكر من شأنها، ففاضت عيناه، قال: أقسمت عليك أي بنية إلا رجعت إلى بيتك، فرجعتُ.

ولقد جاء رسول ا لله ﷺ بيتي فسأل عني خادمتي فقالت: لا وا لله ما علمت عليها عيباً، إلا أنها كانت ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل خميرها، أو عجينها، وانتهرها بعض أصحابه فقال: اصدقي رسول ا لله ﷺ ، حتى أسقطوا لها به، فقالت: سبحان ا لله وا لله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر، وبلغ الأمر إلى ذلك الرجل الذي قيل له، فقال: سبحان ا لله، وا لله ما كشفت كَنَف أنثى قط.قالت عائشة: فقتل شهيداً في سبيل ا لله.قالت: وأصبح أبواي عندي فلم يزالا حتى دخل عليّ رسول ا لله ﷺ وقد صلى العصر، ثم دخل وقد اكتنفني أبواي عن يميني وعن شمالي، فحمد ا لله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، يا عائشة إن كنت قارفت سوء، أو ظلمت، فتوبي إلى ا لله، فإن ا لله يقبل التوبة من عباده.قالت: وقد جاءت امرأة من الأنصار، فهي جالسة بالباب، فقلت: ألا تستحي من هذه المرأة أن تذكر شيئاً، فوعظ رسول ا لله ﷺ فالتفت إلى أبي، فقلت: أجبه، قال: فماذا أقول، فالتفت إلى أمي، فقلت: أجيبيه، فقالت: أقول ماذا، فلما لم يجيباه، تشهدت فحمدت ا لله وأثنيت عليه بما هو أهله، ثم قلت: أما بعد، فوا لله لئن قلت لكم إني لم أفعل، وا لله عز وجل يشهد إني لصادقة، ما ذاك بنافعي عندكم، لقد تكلمتم به

وأُشْرِبَتْه قلوبكم، وإن قلت: إني فعلت، وا لله يعلم أني لم أفعل، لتقولن قد باءت به على نفسها، وإني وا لله ما أجد لي و لكم مثلا، والتمست اسم يعقوب فلم أقدر عليه، إلا أبا يوسف حين قال: ﴿فصبر جميل وا لله المستعان على ما تصفون﴾.وأُنزل على رسول ا لله ﷺ من ساعته، فسكتنا، فرفع عنه وإني لأتبين السرور في وجهه، وهو يمسح جبينه ويقول: أبشري يا عائشة، فقد أنزل ا لله براءتك.قالت: وكنت أشد ما كنت غضبا، فقال لي أبواي: قومي إليه، فقلت: وا لله لا أقوم إليه ولا أحمده ولا أحمدكما، ولكن أحمد ا لله الذي أنزل براءتي، لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه.

وكانت عائشة تقول: أما زينب بنت جحش فعصمها ا لله بدينها، فلم تقل إلا خيراً، وأما أختها حمنة فهلكت فيمن هلك، وكان الذي يتكلم فيه مسطح، وحسان بن ثابت، والمنافق عبد ا لله بن أبي، وهو الذي كان يستوشيه ويجمعه، وهو الذي تولى كبره منهم هو وحمنة، قالت: فحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحا بنافعة أبدا، فأنزل ا لله عز وجل: ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم... ـ إلى آخر الآية يعني أبا بكر ـ ... وا لسعة أن يؤتوا أولي القربىوالمساكين ـ يعني مسطحاً ـ إلى قوله ... ألا تحبون أن يغفر ا لله لكم وا لله غفور رحيم﴾.حتى قال أبو بكر: بلى وا لله يا ربنا، إنا لنحب أن تغفر لنا، وعاد له بما كان يصنع.

ش: مضى شرحه ضمن الباب الرابع والأربعين ومائتين وفيه ههنا أربع مسائل:

الأولى: قوله «**وقام رجل من بني الخزرج**» في رواية الزهري «فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج».

الثانية: قوله «**وا لله ما كشفت كنف أنثى قط**» بفتح الكاف والنون أي ثوبها يريد ما جامعتها في حرام.

الثالثة: قوله «**بنافعة أبداً**» في المصباح النفع الخير وهو ما يتوصل به الإنسان إلى مطلوبه يقال نفعني كذا ينفعني نفعاً...وانتفعت بالشيء ونفعني الله به، والمنفعة اسم منه.

قلت: فعلى هذا يكون أبو بكر رضي الله عنه قد حلف على أن لا يصيب مسطحا منه أي خير من نفقة وغيره.

الرابعة: قوله «**وعاد له بما كان يصنع**» في رواية الزهري «فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه.

٢٥١- [باب ﴿**وليضربن بخمرهن على جيوبهن**﴾].

ش/ قلت الآية: ﴿**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**﴾.

هذا أمر من الله تعالى للنساء المؤمنات وغَيرة منه لأزواجهن عباده المؤمنين وتمييزا لهن عن صفة نساء الجاهلية وفعال المشركات، وكان سبب نزول هذه الآية ما ذكره مقاتل بن حيان قال: بلغنا ـ والله أعلم ـ أن جابر بن عبد الله الأنصاري حدث أن أسماء بنت مرشدة كانت في محل لها في بني حارثة، فجعل النساء يدخلن عليها غير متزرات فيبدوا ما في أرجلهن من الخلاخل، وتبدو صدورهن وذوائبهن فقالت أسماء: ما أقبح هذا فأنزل الله ﴿**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن**﴾ الآية.اهـ من ابن كثير.

وقال ابن جرير: وقوله ﴿**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن**﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿**وقل**﴾ يا محمد ﴿**للمؤمنات**﴾ من أمتك ﴿**يغضضن من أبصارهن**﴾ عما يكره الله النظر إليه مما نهاكم عن النظر إليه ﴿**ويحفظن فروجهن**﴾ يقول: ويحفظن فروجهن عن أن يراها من لا يحل له رؤيتها بلبس ما يسترها عن أبصارهم.اهـ

وقوله تعالى ﴿**ولا يبدين زينتهن**﴾ يعني لا يظهرن زينتهن لغير محرم، وأراد بها الزينة الخفية، والزينة زينتان خفية وظاهرة، فالخفية مثل الخلخال والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط والقلائد، فلا يجوز لها إظهارها، ولا للأجنبي

النظر إليها، والمراد من الزينة موضع الزينة.وقوله تعالى ﴿**إلا ما ظهر منها**﴾.

واختلف أهل العلم في هذه الزينة الظاهرة التي استثناها ا لله تعالى.

قال سعيد بن جبير والضحاك والأوزاعي: هو الوجه والكفان.

وقال ابن مسعود: هي الثياب بدليل قوله تعالى: ﴿**خذوا زينتكم عند كل مسجد**﴾ وأراد بها الثياب.

وقال الحسن: الوجه والثياب.وقال ابن عباس: الكحل والخاتم والخضاب في الكف، فما كان من الزينة الظاهرة جاز للرجل الأجنبي النظر إليه إذا لم يخف فتنة وشهوة، فإن خاف شيئاً منها غض البصر وإنما رخص في هذا القدر أن تبديه المرأة من بدنها؛ لأنه ليس بعورة وتؤمر بكشفه في الصلاة، وسائر بدنها عورة يلزمها ستره. اهـ من البغوي.

قوله ﴿**وليضربن بخمرهن على جيوبهن**﴾يقول تعالى ذكره: وليلقين خمرهن وهي جمع خمار على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وقرطهن وقوله ﴿**ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن**﴾ يقول تعالى ذكره : ﴿**ولا يبدين زينتهن**﴾ التي هي غير ظاهرة بل الخفية منها وذلك كالخلخال والقرط والدمالج وما أمرت بتغطيته بخمارها من فوق الجيب، وما وراء ما أبيح لها كشفه وإبرازه في الصلاة وللأجنبيين من الناس، والذراعين إلى فوق ذلك ﴿**إلا لبعولتهن**﴾ يقول تعالى ذكره قل للمؤمنات الحرائر لا يظهرن هذه الزينة الخفية التي ليست بالظاهرة، إلا لبعولتهن وهم أزواجهن، واحدهم بعل، ﴿**أو لأبائهن، أو لأباء بعولتهن**﴾ يقول: أو لأباء أزواجهن أو لأبنائهن أو لأبناء بعولتهن أو لإخوانهن أو لبني إخوانهن ويعني بقوله ﴿**أو لإخوانهن**﴾ أو لأخواتهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن قيل عنى بذلك نساء المسلمين.

وقوله ﴿**أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال**﴾ يقول تعالى ذكره: والذين يتبعونكم لطعام يأكلونه عندكم ممن لا أرب له في النساء من الرجال ولا

حاجة به إليهن، ولا يريدهن.اهـ من ابن جرير.

وقال ابن كثير: «وقوله **﴿أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾** يعني لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهن الرخيم، وتعطفهن في المشية وحركاتهن وسكناتهن، فإذا كان الطفل صغيرا لا يفهم ذلك فلا بأس بدخوله على النساء، فأما إن كان مراهقاً أو قريبا منه، بحيث يعرف ذلك ويدريه ويفرق بين الشوهاء والحسناء فلا يمكن من الدخول على النساء.

وقوله **﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾** كانت المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشي في الطريق وفي رجلها خلخال صامت ـ لا يسمع صوتها ـ ضربت برجلها الأرض فيعلم الرجل طنينه، فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك إذا كان شيء من زينتها مستورا فتحركت بحركة لتظهر ما هو خفي دخل في هذا النهي لقوله تعالى **﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾** ومن ذلك أيضاً أنها تنهى عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها ليشم الرجال طيبها». اهـ من ابن كثير.

وقوله **﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون﴾** يقول تعالى ذكره: وارجعوا أيها المؤمنون إلى طاعة الله فيما أمركم ونهاكم، من غض البصر وحفظ الفرج، وترك دخول بيوت غير بيوتكم من غير استئذان ولا تسليم وغير ذلك من أمره ونهيه **﴿لعلكم تفلحون﴾** يقول: لتفلحوا وتدركوا طلباتكم لديه إذا أنتم أطعتموه فيما أمركم ونهاكم.اهـ من ابن جرير.

٢٧٧ـ وقال أحمد بن شبيب، حدثنا أبي، عن يونس، قال ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله: ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ شققن مروطهن فاختمرن بها.

٢٧٨ـ حدثنا أبو نعيم، حدثنا إبراهيم بن نافع[١]، عن الحسن بن مسلم[٢]، عن صفية بنت شيبة[٣] أن عائشة رضي ا لله عنها كانت تقول: لما نزلت هذه الآية ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ أخذن أزرهن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها.

ش: فيهما خمس مسائل:

الأولى: قوله «**يرحم ا لله نساء المهاجرات**» فيه دعاء يتضمن المدح والثناء على أولئك النسوة بسرعة امتثالهن أمر ا لله ونهيه في الآية.

وقوله «**نساء المهاجرات**» من إضافة الموصوف إلى صفته أي النساء المهاجرات مثل هذا دين الحق أي الدين الحق، وكقولهم شجر الأراك أي الشجر الأراك.

الثانية: قوله «**الأُوَل**» بضم الهمزة وفتح الواو جمع أولى، أي السابقات إلى الهجرة والإسلام.

الثالثة: قوله «**مروطهن**» جمع مرط قال في المصباح: وهو كساء من صوف أو خز يؤتزر به وتتلفع المرأة به.وأخرج الشيخان عن عائشة رضي ا لله عنها: «لقد كان رسول ا لله ﷺ يصلي الفجر فيشهد معه نساء من المؤمنات متلفعات بمروطهن».

قال أهل العلم: متلفعات أي متلففات.والمروط أكسية يمنية غليظة.

الرابعة: قوله «**فاختمرن بها**» أي غطين وجوههن وصفة ذلك أن تضع الخمار على رأسها وترميه من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر وهو التقنع.

---

(١) هو إبراهيم بن نافع المخزومي المكي ثقة حافظ من السابعة.ع.

(٢) هو الحسن بن مسلم بن يناق المكي، ثقة من الخامسة ومات قديما بعد المائة بقليل.خ.م.د.س.ق.

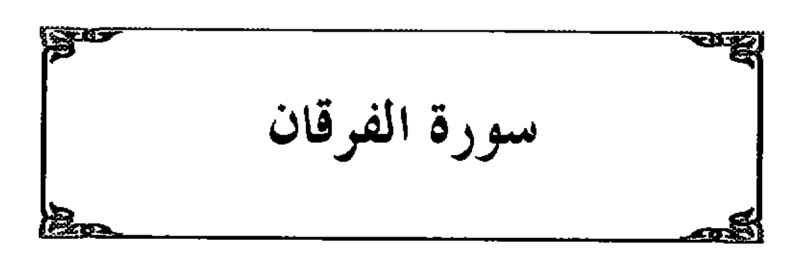
(٣) هي صفية بنت شيبة بن عثمان بن أبي طلحة العبدرية، لها رؤية، وحدثت عن عائشة وغيرها من الصحابة، وفي البخاري التصريح بسماعها من النبي ﷺ .ع.

قال الفـراء في معـاني القـرآن (٢/٢٤٩): «وذلـك أن نسـاء الجاهليـة كـن يسدلن خمرهن من ورائهن فينكشف ما قدامها، فأمرنا بالاستتار».

الخامسة: قوله «**أخذن أزرهن**» هكذا وقع عند المصنف الفاعل ضميراً وهو نون النسوة كما ترى.وأخرجه النسائي في تفسير الآية من رواية ابن المبارك بلفظ «أخذن النساء» وأخرجه الحاكم في التفسير من المستدرك سورة النور من طريق زيد بن الحباب بلفظ «أخذ نساء الأنصار» وأخرج ابن أبي حـاتم في تفسـيره مـن طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم عن صفية ما يوضح ذلك ولفظه «ذكرنـا عنـد عائشة نساء قريش وفضلهن فقـالت: إن لنسـاء قريـش لفضـلاً، ولكـني والله مـا رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقاً بكتاب الله ولا إيمانـاً بـالتنزيل، لقـد أنزلت سورة النـور عليهـن مـا أنـزل فيهـا مـا منهـن امـرأة إلا قـامت إلى مرطهـا فأصبحن يصلين الصبح معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان».

ويمكن الجمع بين الروايتين بأن كلا من المهاجرات والأنصاريات بادرن إلى سرعة الاختمار وتغطية الوجوه امتثالا لهذه الآية ولكن كان نساء الأنصار أسـرع إلى المبادرة.

آخر تفسير سورة النور والحمد لله.



٢٥٢ـ سورة الفرقان

بسم ا لله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر في أول آية.

وعن عمر بن الخطاب قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول ا لله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول ا لله ﷺ فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ قال أقرأنيها رسول ا لله ﷺ فقلت: كذبت فإن رسول ا لله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول ا لله ﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنها فقال رسول ا لله ﷺ:أرسله.اقرأن هشام.فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول ا لله ﷺ كذلك أنزلت، ثم قال: اقرأن يا عمر.فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول ا لله ﷺ كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه.متفق عليه.

وهي مكية كلها في قول الجمهور.آياتها سبع وسبعون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [وقال ابن عباس ﴿هباء منثورا﴾ ما تسفي به الريح].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا القاسم ثنا الحسين ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس بلفظ: «ما تسفي الريح وتبثه».

وأخرجه أيضاً عن قتادة وابن زيد وهو أحد ثلاثة أقوال عنده في الآية.

وثانيها: أنه الذي يرى كهيئة الغبار إذا دخل ضوء الشمس من كوه وهو قول عكرمة والحسن ومجاهد.

وثالثها: أنه الماء المهراق وبه قال ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة عنه.

والذي اختاره ابن جرير من هذه الأقوال هو الثاني.

والآية المشار إليها: **﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾**.

٢- [﴿مَدَّ الظِل﴾ ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس فذكراه.

وأخرجه ابن جرير عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك.

٣- [﴿ساكنا﴾ دائماً].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس فذكره.

وأخرجه ابن جرير عن مجاهد وابن زيد.

٤- [﴿عليه دليلا﴾ طلوع الشمس].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما عن أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي، عن ابن عباس.

وبه قال مجاهد وابن زيد أخرجه عنهما ابن جرير.

والآية المشار إليها بالكلمات الثلاث: **﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا﴾.**

٥- [**﴿خلفه﴾ من فاته من الليل عملٌ أدركه بالنهار، أو فاته بالنهار أدركه بالليل**].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي، عن ابن عباس.

وأخرجه ابن جرير عن عمر بن الخطاب والحسن وهو **أحد** ثلاثة أقوال عنده في الآية.

ثانيها: أنه جعل كل واحد منهما مخالفاً صاحبه فجعل هذا أسود وهذا أبيض وهو قول مجاهد.

وثالثها: أن كل واحد منهما يخلف صاحبه إذا ذهب هذا جاء هذا وإذا جاء هذا ذهب هذا، وبه قال مجاهد في رواية قيس عنه، وابن زيد.

والآية المشار إليها: **﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا﴾.**

٦- [**وقال الحسن ﴿هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾ في طاعة الله وما شيءٌ أقرُّ لعين المؤمن من أن يرى حبيبَه في طاعة الله**].

ش: وصله سعيد بن منصور: ثنا جرير بن حازم سمعت الحسن وسأله رجل عن قوله **﴿هب لنا من أزواجنا﴾** ما القرة في الدنيا أم في الآخرة قال بل في الدنيا هي والله أن يرى العبد من ولده في طاعة الله.

وأخرجه عبد الله بن المبارك في كتاب "البر والصلة" عن حزم القطعي، عن الحسن وسمى الرجل السائل كثير بن زياد.

وفي رواية سعيد بن منصور «أن يرى حميمه» حكاه الحافظ.

وأخرجه ابن جرير: ثني أحمد بن المقدام، ثنا حزم، سمعت كثيراً سأل الحسن قال: يا أبا سعيد قول الله ﴿**هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين**﴾ في الدنيا والآخرة قال: لا بل في الدنيا قال: وما ذاك؟ قال المؤمن يرى زوجته وولده يطيعون الله.وأخرج عن ابن عباس قال: من يعمل لك بالطاعة، فتقر بهم أعيننا في الدنيا والآخرة.وأخرج عن ابن الحضرمي وابن جريج وابن زيد نحوه.

والآية المشار إليها:﴿**والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً**﴾.

٧ـ [**وقال ابن عباس ﴿ثبورا﴾ ويلا**].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

وهو **أحد** قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أنه الهلاك وبه قال الضحاك.

قال ابن جرير بعد حكايته القولين: والثبور في كلام العرب أصله انصراف الرجل عن الشيء يقال منه: ما ثبرك عن هذا الأمر: أي ما صرفك عنه، وهو في هذا الموضع دعاء هؤلاء القوم بالندم على انصرافهم عن طاعة الله في الدنيا والإيمان بما جاءهم به نبي الله ﷺ حتى استوجبوا العقوبة منه، كما يقول القائل: واندمتاه واحسرتاه على ما فرطت في جنب الله، وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول في قوله: ﴿**دعوا هنالك ثبورا**﴾ أي هلكة ويقول هو مصدر من ثبر الرجل أي هلك ويستشهد لقيله في ذلك ببيت ابن الزبعري:

إذا أجاري الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مثبورا

والآية المشار إليها:﴿**وإذا ألقوا منها مكانا ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبورا**﴾.

٨- **[وقال غيره: السعير مذكّر، والتَسَعُّر الاضطرام التوقد الشديد].**

ش: قال أبو عبيدة: والسعير مذكر، وهو ما تسعر من سعار النار.

والآية المشار إليها:**﴿بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا﴾**.

٩- **[﴿تُملى عليه﴾ تُقرأ عليه، من أمليتُ وأمللت].**

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وهي في موضع آخر أمللت عليه.

وقول المصنف أمللت يشير إلى قوله من سورة البقرة **﴿فليكتب وليملل الذي عليه الحق﴾**.

والآية المشار إليها هنا:**﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا﴾**.

١٠- **[﴿الرس﴾ المعدن جمعه رِسَاس].**

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: قال النابغة الجعدي:

سبقت إلى فرط ناهل تنابلة يحفرون الرساسا

والرساس المعدن.اهـ.

قلت: وفي الآية أربعة أقوال.

أحدها: أنهم أصحاب الرس من ثمود وهو قول ابن عباس.

وثانيها: أنها قرية من اليمامة يقال لها الفلج وبه قال قتادة وعكرمة.

وثالثها: أنهم قوم رسوا نبيهم في بئر وهو قول عكرمة في الرواية الثانية عنه.

ورابعها: أنها بئر كانت تسمى الرس وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية عنه ومجاهد.

وهذا الأخير هو اختيار ابن جرير.

والآية المشار إليها: ﴿**وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً**﴾.

١١- [﴿**ما يعبأ**﴾ **يقال ما عبأت به شيئا أي لم تعتد به**].

ش: قال أبو عبيدة: ومنه قولهم ما عبأتُ بك شيئاً أي ما عددتك شيئا.

والآية المشار إليها:﴿**قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما**﴾.

١٢- [﴿**غراما**﴾ **هلاكا**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ولزاما لهم ومنه رجل مغرم بالحب حب النساء من الغرم والدين قال الأعشى:

إن يعاقب يكن غراما وإن يعـ ـط جزيلا فإنه لا يبالي

والآية المشار إليها:﴿**والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما**﴾.

١٣- [**وقال مجاهد** ﴿**وعتوا**﴾ **طغوا**].

ش: وصله عبد بن حميد من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قال طغوا. ذكره الحافظ.

وأخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة قال التجبر، والمعنى واحد.

والآية المشار إليها:﴿**لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً**﴾.

١٤- [**وقال ابن عيينة:** ﴿**عاتية**﴾ **عتت عن الخُزّان**].

ش: كذا في تفسيره وهذه الكلمة هي من الآية السادسة من سورة الحاقة وإنما ذكرها استطراداً.

٢٥٣- [باب قوله ﴿**الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلاً**﴾].

ش: يخبر تعالى عن سوء حال الكفار في معادهم يوم القيامة وحشرهم إلى جهنم في أسوأ الحالات وأقبح الصفات.﴿**الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلاً**﴾ ومعنى يحشرون على وجوههم: يسحبون عليها إلى جهنم ﴿**أولئك شر مكانا**﴾ أي منزلا ومصيراً ﴿**وأضل سبيلا**﴾ وأخطأ طريقاً، وذلك لأنهم قد صاروا في النار.

٢٧٩- حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا يونس بن محمد البغدادي[1]، حدثنا شيبان، عن قتادة، حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه:أن رجلاً قال: يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة».قال قتادة: بلى وعزة ربنا.

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله «**أن رجلا**» لم نقف له على تسمية.

الثانية: قوله «**يا نبي الله**» وعند مسلم باب يحشر الكافر على وجهه من كتاب صفة المنافقين برواية زهير وعبد بن حميد «يا رسول الله».

قلت: وهذا ما اعتاده أصحابه ﷺ معه، يخاطبونه بالنبوة والرسالة ولم يعهد منهم مخاطبته باسمه، وهذا غاية في تأدبهم معه.

الثالثة: قوله «**كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة**» وكذا عند مسلم، وعند المصنف في الرقاق باب كيف الحشر «يحشر الكافر على وجهه» بحذف الاستفهام» ولفظة يوم القيامة.ولا غرابة فإن ذلك جائز في العربية.قال في الألفية:

---

(١) هو أبو محمد يونس بن محمد بن مسلم البغدادي، المؤدب، ثقة ثبت، من صغار التاسعة.مات سنة سبع ومائتين.ع.

وحذف ما يعلم جائز كما تقول زيد بعد من عندكما
وفي جواب كيف زيد قل دنف فزيد استغنى عنه إذ عرف

وعند الحاكم في تفسير سورة الفرقان من رواية أبي داود السبيعي عن أنس «كيف يحشر أهل النار».

الرابعة: قوله «**أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة**» وكذا في الرقاق وعند مسلم «على رجليه» وعند الحاكم «إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم» وفي حديث أبي هريرة عند ابن جرير «يحشر الناس على ثلاثة أصناف، صنف على الدواب، وصنف على أقدامهم، وصنف على وجوههم.فقيل فكيف يمشون على وجوههم» الحديث.

قلت: ولا منافاة بين هذه الأحاديث فيمكن الجمع بينها بأن المقربين يحشرون ركباناً ومن عداهم من المسلمين على أرجلهم والكفار على وجوههم.

الخامسة: قوله «**قال قتادة...الخ**» قال الحافظ وغيره: هذه الزيادة موصولة بالإسناد المذكور.

قلت: ويظهر من هذا أن قائل «قال قتادة» هو شيبان راوية قتادة ومعناها التصديق لقوله ﷺ: «أليس الذي أمشاه...الخ».

تنبيه:

أخرج هذا الحديث النسائي: أنا الحسين بن منصور نا حسين بن محمد، عن شيبان، عن قتادة، عن أنس: أن رجلا قال: يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم» الحديث.

قلت: وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري لكن لم أجد هذا الحرف فيما وقفت عليه عن أصحاب شيبان إلا برواية الحسين بن محمد راويه، فأخشى أن تكون شاذة.

٢٥٤ـ [باب قوله ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما﴾].

ش: يقول تعالى ذكره: والذين لا يعبدون مع الله إلها آخر، فيشركون في عبادتهم إياه ولكنهم يخلصون له العبادة ويفردونه بالطاعة ﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله﴾ قتلها ﴿إلا بالحق﴾ إما بكفر بالله بعد إسلامها أو زنا بعد إحصانها أو قتل نفس فتقتل بها.﴿ولا يزنون﴾ فيأتون ما حرم الله عليهم إتيانه من الفروج.﴿ومن يفعل ذلك﴾ يقول ومن يأت هذه الأفعال فدعا مع الله إلها آخر، وقتل النفس التي حرم الله بغير حق، وزنى ﴿يلق أثاما﴾ يقول: يلق من عقاب الله عقوبة ونكالا.

[أثاما: العقوبة].

ش: كذا قاله أبو عبيدة.

٢٨٠ـ حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن سفيان قال: حدثني منصور وسليمان، عن أبي وائل، عن أبي ميسرة، عن عبد الله قال: وحدثني واصل[1]، عن أبي وائل، عن عبد الله رضي الله عنه قال: سألت أو سئل رسول الله ﷺ أي الذنب عند الله أكبر؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قلت: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك».قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني بحليلة جارك» قال: ونزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله ﷺ ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾.

(١) هو واصل بن حيان الأحدب الأسدي الكوفي، ثقة ثبت من السادسة مات سنة عشرين ومائة.ع.

٢٨١- حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف، أن ابن جريج أخبرهم قال: أخبرني القاسم بن أبي بزة[1]: أنه سأل سعيد بن جبير هل لمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة؟ فقرأت عليه: ﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ فقال سعيد: قرأتها على ابن عباس كما قرأتها عليّ فقال: هذه مكية نسختها آية مدنية، التي في سورة النساء.

٢٨٢- حدثني محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة، عن المغيرة بن النعمان، عن سعيد بن جبير قال: اختلف أهل الكوفة في قتل المؤمن فرحلت فيه إلى ابن عباس فقال: نزلت في آخر ما نزل ولم ينسخها شيء.

٢٨٣- حدثنا آدم، حدثنا شعبة، حدثنا منصور، عن سعيد بن جبير قال: سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن قوله تعالى: ﴿فجزاؤه جهنم﴾ قال: لا توبة له، وعن قوله جل ذكره ﴿ولا يدعون مع الله إلها آخر﴾ قال كانت هذه في الجاهلية.

ش: فيها خمس مسائل:

الأولى: قوله «ونزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله ﷺ **﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر﴾** الآية فيه التصريح بأن رسول الله ﷺ وافق في جوابه الوحي وهذا دليل على أن تلك الأمور المذكورة في الحديث هي أعظم الذنوب.

الثانية: قوله «هل لمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة» في رواية منصور عن سعيد بن جبير في آخر الباب «قال: لا توبة له».

الثالثة: قوله «قرأتها على ابن عباس» في الرواية التي بعدها من طريق المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير: «اختلف أهل الكوفة في قتل المؤمن فرحلت فيه إلى ابن عباس.

(١) هو القاسم بن أبي بزة المكي مولى بني مخزوم، القارئ، ثقة من الخامسة مات سنة خمس عشرة ومائة وقيل قبلها. ع.

الرابعة: قوله «هذه مكية نسختها آية مدنية التي في سورة النساء» يعني آية الفرقان نسختها آية مدنية التي في سورة النساء يعني قوله ﴿**ومن يقتل مؤمنا متعمدا**﴾ الآية.

قال الحافظ: «وروى ابن مردويه من طريق خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال: «نزلت سورة النساء بعد سورة الفرقان بستة أشهر».

الخامسة: قوله «إختلف أهل الكوفة في قتل المؤمن» يعني عمداً. كذا وقع ها هنا مختصراً ووقع في باب ﴿**ومن يقتل مؤمنا متعمداً**﴾ من سورة النساء أتم قال: «آية اختلف فيها أهل الكوفة فرحلت فيها إلى ابن عباس فسألته عنها فقال: نزلت هذه الآية ﴿**ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم**﴾ هي آخر ما نزل وما نسخها شيء». وأخرجه مسلم في التفسير من طرق عن شعبة بلفظ: «اختلف أهل الكوفة في هذه الآية ﴿**ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم**﴾ فرحلت إلى ابن عباس فسألته عنها فقال: لقد أنزلت آخر ما أنزل ثم ما نسخها شيء». وقد بينها في رواية منصور التالية عن سعيد بن جبير: «سألت ابن عباس عن قوله ﴿**فجزاؤه جهنم**﴾ فقال: لا توبة له، وعن قوله: ﴿**لا يدعون مع الله إلها آخر**﴾ قال: كانت هذه في الجاهلية». ويأتي في الباب السادس والخمسين بعد المائتين أوضح ولفظه: أمرني عبد الرحمن بن أبزى أن أسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين: ﴿**ومن يقتل مؤمنا متعمدا**﴾ فسألته فقال: لم ينسخها شيء، وعن ﴿**والذين لا يدعون مع الله إلها آخر**﴾ قال: نزلت في أهل الشرك».

٢٥٥ـ [باب ﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا﴾].

ش: قوله ﴿**يضاعف له العذاب يوم القيامة**﴾ أي يكرر عليه ويغلظ ﴿**ويخلد فيه مهانا**﴾ أي حقيراً ذليلا.

٢٨٤ـ حدثنا سعد بن حفص، حدثنا شيبان، عن منصور، عن سعيد بن جبير قال: قال ابن أبزى[1]: سئل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم﴾ وقوله: ﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ــ حتى بلغ ـ إلا من تاب﴾ فسألته فقال: لما نزلت قال أهل مكة فقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التي حرم الله إلا بالحق وأتينا الفواحش فأنزل الله: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ـ إلى قوله ـ غفوراً رحيماً﴾.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**سئل ابن عباس**» كذا في رواية أبي ذر بصيغة الفعل الماضي، ومثله للنسفي، وهو يقتضي أنه من رواية سعيد بن جبير عن ابن أبزى عن ابن عباس وفي رواية الأصيلي «سل» بصيغة الأمر وهو المعتمد، ويدل عليه قوله بعد سياق الآيتين «فسألته» فإنه واضح في جواب قوله «سل» قاله في الفتح.

قلت: ويأتي في الباب الذي يليه عن سعيد بن جبير قال: «أمرني عبد الرحمن بن أبزى أن أسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين ﴿**ومن يقتل مؤمنا متعمدا**﴾ فسألته فقال: لم ينسخها شيء وعن ﴿**والذين لا يدعون مع الله إلها آخر**﴾ قال: نزلت في أهل الشرك.

(١) هو عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي مولاهم، صحابي صغير وكان في عهد عمر رجلاً وكان على خرسان لعلي. ع.

ويمكن الجمع بينهما بأن سؤال ابن عباس وقع أولاً من سعيد بن جبير بـأمر من عبد الرحمن ثم وقع ثانياً من عبد الرحمن نفسه,وا لله أعلم.

الثانية: قوله «**قال أهل مكة**» لم أقف على تسمية القائل وعند مسلم فقال المشركون وما يغنى عنا الإسلام...» الحديث.

الثالثة: قوله «**عدلنا با لله**» أي أشركنا بـه غيره وفي التنزيل الكريم ﴿**ثم الذين كفروا بربهم يعدلون**﴾ أي يشركون.

٢٥٦- [باب ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك يبدل ا لله سيئاتهم حسنات وكان ا لله غفوراً رحيماً﴾].

ش: قوله **﴿إلا من تاب﴾** يقول إلا من راجع طاعة ا لله تبارك وتعالى بتركه ذلك، وإنابته إلى ما يرضاه ا لله، **﴿وآمن﴾** يقول: وصدق بما جاء به محمد نبي ا لله **﴿وعمل عملا صالحاً﴾** يقول: وعمل بما أمره ا لله من الأعمال، وانتهى عما نهاه ا لله عنه.

وفي قوله **﴿فأولئك يبدل ا لله سيئاتهم حسنات﴾** قولان لأهل العلم:

أحدهما: بمعنى فأولئك يبدل ا لله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام وبه قال ابن عباس، وابن زيد، وهذا هو الذي رجحه ابن جرير.

وثانيهما: أنه بمعنى فأولئك يبدل ا لله سيئاتهم في الدنيا حسنات لهم يوم القيامة، وهو قول سعيد بن المسيب.

قوله **﴿وكان ا لله غفوراً رحيما﴾** يقول تعالى ذكره: وكان ا لله ذا عفو عن ذنوب من تاب من عباده، وراجع طاعته، وذا رحمة به أن يعاقبه على ذنوبه بعد توبته منها.

فائدة:

قال ابن القيم: «وهذا من عظم البشارة للتائبين إذا اقترن بتوبتهم إيمان وعمل صالح وهو حقيقة التوبة قال ابن عباس رضي ا لله عنهما: ما رأيت النبي ﷺ فرح بشيء قط فرحه بهذه الآية لما أنزلت، وفرحه بنزول **﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر ا لله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾**».انتهى من بدائع التفسير.

٢٨٥- حدثنا عبدان، أخبرنا أبي، عن شعبة، عن منصور، عن سعيد بن جبير قال: أمرني عبد الرحمن بن أبزى أن أسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين

﴿ومن يقتل مؤمنا متعمداً﴾ فسألته فقال: لم ينسخها شيء، وعن ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر﴾ قال: نزلت في أهل الشرك.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**أمرني عبد الرحمن بن أبزى أن أسأل ابن عباس**» وكذا عند مسلم من رواية منصور وعنده من رواية ابن جريج: حدثني القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس ألمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة؟ قال: لا، قال: فتلوت عليه هذه الآية التي في الفرقان **﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق...﴾** إلى آخر الآية.قال: هذه آية مكية نسختها آية مدنية **﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالداً﴾**.وعند المصنف في فضائل الصحابة من رواية الحكم عن سعيد بن جبير قال: «أمرني عبد الرحمن بن أبزى قال: سل ابن عباس عن هاتين الآيتين ما أمرهما **﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾**، **﴿ومن يقتل مؤمنا متعمداً﴾** فسألت ابن عباس فقال: لما أنزلت التي في الفرقان...» الحديث.

الثانية: قوله «**لم ينسخها شيء**» روى أحمد وابن جرير من طريق يحيى الجاري والنسائي وابن ماجة من طريق عمار الذهبي كلاهما عن سالم بن أبي الجعد قال: «كنت عند ابن عباس بعدما كف بصره، فأتاه رجل فقال: ما ترى في رجل قتل مؤمنا متعمداً؟ قال: جزاؤه جهنم خالداً فيها» وساق الآية إلى عظيماً.قال: لقد نزلت في آخر ما نزل وما نسخها شيء حتى قبض رسول الله ﷺ وما نزل وحي بعد رسول الله ﷺ قال: أفرأيت إن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ثم اهتدى؟ قال: وأنى له التوبة والهدى».

فائدة:

قال الحافظ: «وحاصل ما في هذه الروايات أن ابن عباس كان تارة يجعل الآيتين في محل واحد فلذلك يجزم بنسخ إحداهما، وتارة يجعل محلهما مختلفاً، ويمكن الجمع بين كلاميه بأن عموم التي في الفرقان خص منها مباشرة المؤمن القتل متعمداً، وكثير من السلف يطلقون النسخ على التخصيص وهذا أولى من حمل كلامه على التناقض، وأولى من دعوى أنه قال بالنسخ ثم رجع عنه.

قال مقيده: وهذا توجيه جيد تتآلف به الروايات ويزول ما يظن بينها من تعارض، ويظهر المقصود منها لذي البصيرة.

قال النووي (١٨/١٥٩): «هذا هو المشهور عن ابن عباس رضي الله عنهما وروي عنه أن له توبة وجواز المغفرة له لقوله تعالى: ﴿**ومن يعمل سوء أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما**﴾ وهذه الرواية الثانية هي مذهب جميع أهل السنة والصحابة والتابعين ومن بعدهم وما روي عن بعض السلف مما يخالف هذا محمول على التغليظ والتحذير من القتل والتورية في المنع منه وليس في هذه الآية التي احتج بها ابن عباس تصريح بأنه يخلد وإنما فيها أنه جزاؤه ولا يلزم منه أنه يجازى».

قال مقيده: ويؤيد قبول توبة قاتل المؤمن عمداً أمران:

أولهما: آيات الفرقان المتقدمة وذلك أن الحق جل ثناؤه ظمنها عقوبة المشرك والقاتل والزاني استثنى التائب فقال:﴿**إلا من تاب**﴾ الآية.ولا صارف لهذا النص عن ظاهره الذي هو العموم فيما نعلم.

وثانيهما: ما رواه الشيخان: «فيمن قتل مائة نفس أنه سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال أنه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال: نعم

ومن يحول بينه وبين التوبة». فإنه نص صريح في المسألة ولا يصرفه عن ظاهره إلا نص مثله أو إجماع.

وعلى هذا فيحمل قول ابن عباس وما ماثله على التغليظ والزجر وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

الثالثة: قوله «**نزلت في أهل الشرك**» في الفضائل برواية الحكم عن سعيد بن جبير: «لما أنزلت التي في الفرقان قال مشركوا أهل مكة: فقد قتلنا النفس التي حرم الله، ودعونا مع الله إلها آخر، وقد أتينا الفواحش فأنزل الله ﴿**إلا من تاب وآمن**﴾ الآية. فهذه لأولئك».

٢٥٧- [باب **﴿فسوف يكون لزاما﴾**].

ش: قلت الآية: **﴿قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما﴾**.

قوله **﴿قل ما يعبؤ بكم ربي﴾** أي لا يبالي ولا يكترث بكم إذا لم تعبدوه، فإنه إنما خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه ويسبحوه بكرة وأصيلا.

وقوله **﴿فقد كذبتم﴾** أي أيها الكافرون **﴿فسوف يكون لزاما﴾** أي فسوف يكون تكذيبكم لزاماً لكم، يعني مقتضياً لهلاككم وعذابكم ودماركم في الدنيا والآخرة ويدخل في ذلك يوم بدر.

واعلم أن أهل العلم قد اختلفوا في معنى قوله **﴿فسوف يكون لزاما﴾** على ثلاثة أقوال حكاها ابن جرير وهي:

أولاً: بمعنى عذاباً لكم ملازماً ففعل الله ذلك بهم وصدقهم وعده وقتلهم يوم بدر بأيدي أوليائه، وبه قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة وإبراهيم ومجاهد والضحاك.

وثانياً: بمعنى القتال وهو قول ابن زيد.

وثالثاً: الموت وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية.

[**لزاماً: هلكه**].

ش: قال أبو عبيدة: أي جزاءً وهو الفيصل وله موضع آخر فسوف يكون هلاكاً. قال أبو ذؤيب:

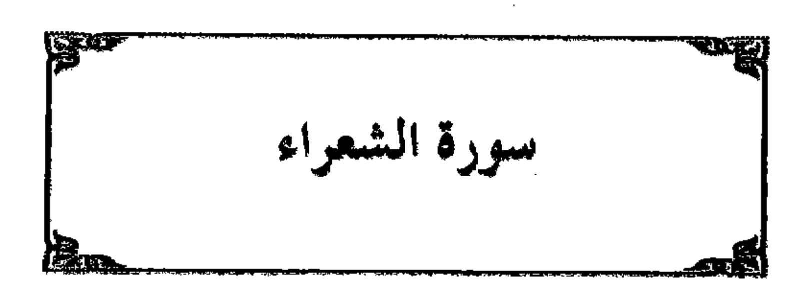
ففاجئه بعادية لزامٍ   كمن يتفجر الحوض اللقيف

الحوض اللقيف الذي قد تهدمت حجارته سقط بعضها على بعض .أهـ

٢٨٦- حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا مسلم، عن مسروق قال: قال عبد الله: خمسٌ قد مضين، الدخان، والقمر، والروم، والبطشة، واللزام، فسوف يكون لزاماً.

يأتي في تفسير سورة الروم ضمن الباب السادس والستين بعد المائتين.

آخر تفسير سورة الفرقان ولله الحمد والمنة.



٢٥٨ - سورة الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ وهي مكية عند الجمهور وآياتها سبع وعشرون ومائتا آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**وقال مجاهد:﴿تعبثون﴾ تبنون**].

ش: أخرجه ابن أبي حاتم:حدثنا على بن الحسين عن المقدسي عن أسيد بن حبيب عن العلاء بن عبد الكريم عن مجاهد فذكره. وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس والضحاك بلفظ تلعبون. **قلت:** وهو الموافق لظاهر الآية، وعليه مشى ابن جرير في تفسيره.

والآية المشار إليها **﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون﴾**.

٢ - [**﴿هضيم﴾ يتفتت إذا مُسّ**].

ش: أخرجه بهذا اللفظ ابن أبي حاتم: حدثنا الحبيب بن الحبيب عن إبراهيم بن عبد الله عن ابن جريج عن مجاهد،وأخرجه ابن جرير: حدثنا القاسم،ثنا الحبيب: ثني حجاج عن ابن جريج: سمعت عبد الكريم يقول سمعت مجاهد يقول في قوله **﴿ونخل طلعها هضيم﴾** حيث تطلع يفيض عليه فيهضمه،قال ابن جرير قال مجاهد: إذا مس تهشم و تفتت)

والآية المشار إليها: **﴿وزروع ونخل طلعها هضيم﴾**.

٣ - [**﴿مسَحَّرِين﴾ المسحورين**].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد به وأخرجه بن جرير عن قتادة

والآية المشار إليها: **﴿قالوا إنما أنت من المسحرين﴾**.

٤ - [**﴿ليكة﴾ والأيكة جمع أيكه وهى جمع الشجر**].

ش: أخرجه ابن أبى حاتم من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: **﴿كذب أصحاب الأيكة﴾** كذا قراها وهي قراءة أهل مكة ابن كثير وغيره وأما الشطر الثاني فقال أبو عبيدة:جمعها أيك وهي جماع الشجر

والآية المشار إليها: **﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين﴾**.

٥ - [﴿يوم الظلة﴾ إظلالُ العذابِ إياهم].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث؛ ثنا الحبيب:ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وأخرجه عن ابن عباس والضحاك وابن زيد.

واخرج عن ابن عباس في صفته قال:بعث ا لله عليهم ومرة وحراً شديداً فأخذ بأنفاسهم، فدخلوا البيوت، فدخل عليهم أجواف البيوت،فأخذ بأنفاسهم فخرجوا من البيوت هرباً إلى البرية،فبعث ا لله عليهم سحابة، فأضلتهم من الشمس،فوجدوا لها برداً ولذة،فنادى بعضهم بعضاً حتى إذا اجتمعوا تحتها، أرسلها ا لله عليهم ناراً.

والآية المشار إليها : ﴿ **فكذّبوه فأخذهم عذابُ يومِ الظُلّة، إنه كان عذاب يوم عظيم** ﴾

٦ - [﴿موزون﴾ معلوم].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا القاسم: ثنا الحبيب: ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بلفظ مقدور بقدر

والكلمة من الآية التاسعة عشرة من سورة الحجر ولعلها وقعت هنا سهواً من بعض النساخ وا لله أعلم

٧ - [﴿كالطود ﴾ الجبل].

ش: كذا وقع وقد وجدته عند ابن أبي حاتم: ثنا أبي عن أبي صالح: حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فذكره، وقال الحافظ وقع هذا لأبي ذر منسوباً إلى ابن عباس،ولغيره منسوباً إلى مجاهد والأول أظهر.

والآية المشار إليها ﴿**فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم**﴾.

٨ - [**وقال غيره: ﴿لشرذمة﴾ طائفة قليلة**].

ش: قال أبو عبيدة:(أي طائفة وكل بقية قليلة فهي شرذمة قال: يحذين في شراذم النعال.

أي قطع النعال وبقاياها، وهي هاهنا في موقع الجماعات ألا ترى أنه قال شرذمة قليلون)اهـ.

والآية المشار إليها **﴿إن هؤلاء لشرذمة قليلون﴾**.

٩ - [**﴿في الساجدين﴾ المصلين**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿وتقلبك في الساجدين﴾**.

١٠ - [**قال ابن عباس: ﴿لعلكم تخلدون﴾ كأنكم**].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما عن أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فذكره، وقال الفراء: معناه كيما تخلدوا.

قلت: وظاهر الآية صالح لكلا المعنيين.

والآية المشار إليها **﴿وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون﴾**.

١١ - [**﴿الريع﴾ الأيفاع من الأرض وجمعه ريعة وأرياع واحده ريعه**].

ش: قال أبو عبيدة:(وهو الارتفاع من الأرض والطريق والجميع أرياع وريعة قال ذو الرمة:

طراق الخوافي مشرف فوق ريعة ... ندى ليله في ريشة يترقرق

وقال الشماخ:

تعن له بمذنب كل واد ... إذا ما الغيث أخضل كل ريع

والآية المشار إليها تقدمت في الأثر الأول.

١٢ - [**﴿مصانع﴾ كل بناءٍ فهو مصنعة**].

ش: قاله أبو عبيدة.

وقال مجاهد هي القصور المشيدة، وقال قتادة هي مآخذ للماء أخرج هذين القولين ابن جرير واختار تفسير أبي عبيدة لجمعه القولين كما ترى.وتقدمت الآية في الأثر الأول.

١٣ - [**﴿فرهين﴾ مرحين ﴿فارهين﴾ بمعناه، ويقال: «فآرهين» حاذقين**].

ش: قال أبو عبيدة أي حاذقين وقال آخرون فارهين أي مرحين. وقال عدي بن وداع العقوي من العقاة بن عمرو بن مالك ابن فهم من الأزد:

لا أستكين إذا ما أزمة أزمت ... ولن تراني بخير فاره اللبب

أي مدح اللبب ويجوز فرهين في معنى فارهين ا.هـ

وقال مكي قرأه الكوفيون وابن عامر بألف على معنى حاذقين،وقرأ الباقون بغير ألف على معنى أشرين أي بطرين، وكلا القراءتين حسن محتمل.

والآية المشار إليها **﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين﴾**.

١٤ - [**﴿تعثوا﴾ هو أشد الفساد، وعاث يعيث عيثاً**].

قال أبو عبيدة: يقال عثيت تعثي عثواً، وهي أشد الفساد والخراب.

والآية المشار إليها **﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾**.

١٥ - [**﴿الجِبِلَّة﴾ الخَلق. جُبِل: خُلق، ومنه جُبلا وجِبِلاً، وجُبْلاً يعني الخلق قاله ابن عباس**].

ش:قال الحافظ: كذا لأبي ذر وليس عند غيره قال ابن عباس، وهو أولى فإن هذا كله كلام أبي عبيدة قال في قوله **﴿والجبلة الأولين﴾** أي الخلق هو من جبل على كذا أي تخلق.اهـ.

قلت: والذي أخرجه ابن جرير: ثنا علي: ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ﴿**والجبلة الأولين**﴾ يقول: خلق الأولين.

والآية المشار إليها: ﴿**واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين**﴾.

٢٥٩ - [باب: ﴿ولا تخزني يوم يبعثون﴾]

ش: يقول: ولا تذلني بعقابك إياي يوم تبعث عبادك من قبورهم لموقف القيامة. ا.هـ من ابن جرير.

٢٨٩ – وقال إبراهيم بن طهمان، عن ابن أبي ذئب عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام يرى أباه يوم القيامة عليه الغبرة والقترة» الغبرة هي القترة.

٢٩٠ – حدثنا إسماعيل: حدثنا أخي[1] عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يلقى إبراهيم أباه فيقول: يارب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون فيقول الله: إني حرمت الجنة على الكافرين.

ش: فيهما ثمان مسائل:

الأولى: قوله «**وقال إبراهيم بن طهمان**... الخ» وصله النسائي في تفسير الشعراء عن أحمد بن حفص بن عبد الله عن أبيه عن إبراهيم بن طهمان وساق الحديث بتمامه.

الثانية:قوله «**عن سعيد المقبري عن أبي هريرة**»كذا قال إسماعيل ابن أبي أويس، وأورد البخاري هذه الطريق معتمدا عليها وأشار إلى الطريق الأخرى في الحديث الأول التي زيد فيها بين سعيد وأبي هريرة رجل فذكرها معلقة،وسعيد قد سمع من أبي هريرة وسمع من أبيه عن أبي هريرة، فلعل هذا مما سمعه من أبيه عن أبي هريرة ثم سمعه من أبي هريرة،أو سمعه من أبي هريرة مختصراً ومن أبيه عنه تاما، أو سمعه من أبي هريرة ثم ثبته فيه أبوه، وكل ذلك لا يقدح في صحة

(١) هو أبو بكر عبد الحميد بن عبد الله بن عبد الله بن أويس الأصبحي مشهور بكنيته إلى أبيه ثقة من التاسعة، مات سنة اثنتين ومائتين خ،م،د،ت،س.

الحديث. وقد وجد للحديث أصل عن أبي هريرة من هذا الوجه أخرجه الحاكم في التفسير من المستدرك (٢ /٢٣٨).

الثالثة: قوله «**إن إبراهيم يرى أباه يوم القيامة وعليه الغبرة والقترة، والغبرة هي القترة**» كذا أورده مختصراً،وعند المصنف في الأنبياء باب واتخذ ا لله إبراهيم خليلاً وألم أقل لك لا تعصني فيقول أبوه فاليوم لا أعصيك،وعند النسائي في التفسير " وعليه الغبرة والقترة، فقال له:قد نهيتك عن هذا فعصيتني، قال: لكني لا أعصيك اليوم " الحديث، فعرف من هذا أن قوله والغبرة هي القترة من كلام المصنف وأخذه من كلام أبي عبيدة وأنه قال في تفسير سورة يونس ﴿**ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة**﴾ القتر الغبار، أنشد الأخطل:

يعلو القناطر بينها ويهدمها مسوماً حوقة الرايات والقتر

قال الحافظ: قال ابن التين: وعلى هذا فقوله في سورة عبس ﴿**غبرة ترهقها قترة**﴾ تأكيد لفظي، كأنه قال غبرة فوقها غبرة.

الرابعة: قوله: «يلقى إبراهيم أباه فيقول: يارب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فيقول ا لله: إني حرمت الجنة على الكافرين» هكذا أورده هنا مختصراً وأورده في أحاديث الأنبياء وتمامه "ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك ؟ فينظر، فإذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار. قلت والذيخ هو ذكر الضباع والأنثى ذيخه وأراد بالتلطخ التلطخ برجيعه أو بالطين. وهذا موافق لظاهر قوله تعالى ﴿ **وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر..الآية**﴾ ونسبته هو آزر واسمه شارخ بن ناحور بن شاروخ بن راغوء بن فالخ بن عبيد ويقال عابد بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح.

الخامسة: قوله «**وعلى وجه آزر قترة وغبرة**» هذا موافق لظاهر القران ﴿**وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة** ﴾ أي يغشاها قترة فالذي يظهر أن الغبرة الغبار من التراب والقترة السواد الكائن عن الكآبة.

السادسة: قوله «**فيقول لـه إبراهيـم:ألم أقـل لـك لا تعصـني ؟ فيقـول أبـوه فاليوم لا أعصيك**» في رواية إبراهيم بن طهمان عند النسائي في التفسـير فقـال لـه قد نهيتك عن هذا فعصيتني قال: لكني لا أعصيك واحدة "

السابعة: قوله «**فيقول يارب إنك وعدتني أن لا تخزيَني يوم يبعثـون**»، زاد في الأنبياء (فأي خزي أخزى من أبي الأبعد) ووصف نفسه بـالأبعد علـى طريـق الفرض إذا لم تقبل شفاعته في أبيه وقيل الأبعد صفة أبيه أي أنه شـديد البعـد مـن رحمة الله لأن الفاسق بعيد منها فالكافر أبعـد وقيـل الأبعـد بمعنـى البعيـد والمـراد الهالك ويؤيد الأول أن في رواية إبراهيم بن طهمـان عنـد النسـائي "وإن أخزيـت أبي فقد أخزيت الأبعد".

الثامنة: "قوله «**فيقول الله إني حرمت الجنـة علـى الكـافرين**» في حديـث أبي سعيد "فينادي: أن الجنة لا يدخلها مشرك".

٢٦٠-[باب ﴿**وانذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك**﴾]

ش: تمام السياق ﴿**لمن اتبعك من المؤمنين،فإن عصوك فقل إني بريئ مما تعملون** ﴾.

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: وانذر عشيرتك من قومك الأقربين إليك قرابة وحذرهم من عذابنا أن ينزل بهم لكفرهم " ا.هـ من ابن جرير

قلت: وخص الأقربين لأن الاهتمام بشأنهم أولى وهدايتهم إلى الحق أقدم.

وقوله ﴿**واخفض جناحك**...الخ﴾، أمره أن يلين جانبه لمن اتبعه من عباد ا لله المؤمنين، ومن عصاه من خلق ا لله كائناً من كان فليتبرأ منه ولهذا قال: ﴿**فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون**﴾ وهذه النذارة الخاصة لا تنافي العامة بل هي فرد من أجزائها كما قال:﴿**وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم**﴾ وقال: ﴿**لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً**﴾ وقال: ﴿**لأنذركم به ومن بلغ**﴾ كما قال ﴿**ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده**﴾.

من فقه الآيتين

أولاً: مشروعية البدء في الدعوة بالأقربين وأنهم أولى من غيرهم.

ثانياً: على الداعية إلى ا لله على بصيرة لين الجانب لإخوانه من أهل الإيمان والتواضع لهم.

ثالثاً: البراءة من الشرك و أهله.

[﴿**واخفض جناحك**﴾: **ألن جانبك**]

ش: قاله أبو عبيدة وزاد وكلامك.

٢٩١-حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا الأعمش حدثني عمرو بن مرة عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي ا لله عنهما قال "لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي:يا بني فهر،يا بني عدي -لبطون قريش- حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج

أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم،ألهذا جمعتنا؟ فنزلت ﴿تبت يدا أبي لهب وتب. ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾"

٢٩٢ حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال:" قام رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم حين أنزل ا لله ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ قال:يا معشر قريش -أو كلمة نحوها-اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من ا لله شيئاً. يا بني عبد مناف، لا أغني عنكم من ا لله شيئاً يا عباس بن عبد المطلب،لا أغني عنك من ا لله شيئاً. ويا صفية عمة رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم،لا أغني عنك من ا لله شيئاً. ويا فاطمة بنت محمد صلى ا لله عليه وسلم، سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من ا لله شيئاً ".

تابعه أصبغ عن ابن و هب عن يونس عن ا بن شهاب.

ش: فيهما تسع مسائل:

الأولى: أن هذين الحديثين من مراسيل الصحابة وحكمه حكم الموصول على الراجح.

قال الحافظ العراقي في ألفيته:

"أما الذي أرسله الصحابي فحكمه الوصل على الصواب"

وقال في الشرح:أي أما مراسيل الصحابة فحكمها حكم الموصول قال ابن الصلاح:ثم إنا لم نعد في أنواع المرسل ونحوه ما يسمى في أصول الفقه مرسل الصحابي مثل ما يرويه ابن عباس وغيره من أحداث الصحابة عن رسول ا للهﷺ ولم يسمعوه منه لأن ذلك في حكم الموصول المسند لأن روايتهم عن الصحابة

والجهالة بالصحابة غير قادحة لأن الصحابة كلهم عدول، قلت:قوله لأن روايتهم عن الصحابة فيه نظر والصواب أن يقال لأن غالب روايتهم إذ قد سمع جماعة من الصحابة بعض التابعين" إ.هـ

قلت: والظاهر من حالهم أنهم لا يروون إلا عن تابعي عدل.

الثانية: قوله «**لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾**» زاد في تفسير تبت من رواية أبي أسامة عن الأعمش بهذا السند "ورهطك منهم المخلصين "وهذه الزيادة وصلها ابن جرير من وجه آخر عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يقرؤها كذلك، قال القرطبي: لعل هذه الزيادة كانت قرآناً فنسخت تلاوتها، ثم استشكل ذلك بأن المراد إنذار الكفار، والمخلص صفة المؤمن، والجواب عن ذلك أنه لا يمتنع عطف الخاص على العام،فقوله ﴿**وأنذر عشيرتك**﴾ عام فيمن آمن منهم ومن لم يؤمن،ثم عطف عليه الرهط المخلصين تنويهاً بهم وتأكيداً، قاله في الفتح.

الثالثة: قوله «**فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون قريش**» في حديث أبي هريرة قال: "يا معشر قريش، أو كلمة نحوها" قال الحافظ: ووقع عند البلاذري من وجه آخر عن ابن عباس أبين من هذا ولفظه "فقال: يا بني فهر، فاجتمعوا. ثم قال: يا بني غالب، فرجع بنو محارب والحارث ابنا فهر. فقال: يا بني لؤي، فرجع بنو الأدرم بن غالب. فقال: يا آل كعب، فرجع بنو عدي وسهم وجمح فقال: يا آل كلاب، فرجع بنو مخزوم وتيم. فقال: يا آل قصي، فرجع بنو زهرة، فقال: يا آل عبد مناف، فرجع بنو عبد الدار وعبد العزى.فقال له أبو لهب: هؤلاء بنو عبد مناف عندك "حكاه في الفتح.

الرابعة:قوله «**أرأيتكم لو أخبرتكم... الخ**» أراد بذلك تقريرهم بأنهم يعلمون صدقه إذا أخبر عن الأمر الغائب. ووقع في حديث علي "ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة".

الخامسة: قوله «**كنتم مصدقي**» بتشديد التحتانية. وقوله (قال فإني نذير لكم) أي منذر. ووقع في حديث قبيصة بن مخارب وزهير بن عمرو عند مسلم باب ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ وأحمد "فجعل ينادي:إنما أنا نذير، وإنما مثلي ومثلكم كرجل رأى العدو فجعل يهتف: يا صباحاه" يعني ينذر قومه. وفي رواية موسى بن وردان عن أبي هريرة عند أحمد قال "أنا النذير،والساعة الموعد" وعند ابن جرير من مرسل قسامة ابن زهير قال "بلغني أنه صلى ا لله عليه وسلم وضع أصابعه في أذنه ورفع صوته وقال: يا صباحاه، ووصله مرة أخرى عن قسامة عن أبي موسى الأشعري، وأخرجه الترمذي، موصولاً أيضاً باب ومن سورة الشعراء.

السادسة: قوله فنزلت ﴿**تبت يدا أبي لهب وتب**﴾ في رواية أبي أسامة عند المصنف وابن جرير في تفسير سورة المسد ﴿**تبت يدا أبي لهب وقد تب**﴾ وزاد "هكذا قرأها الأعمش يومئذ ". قال الحافظ: وليست هذه القراءة فيما نقل الفراء عن الأعمش،فالذي يظهر أنه قرأها حاكيا لا قارئاً، ويؤيده قوله في هذا السياق "يومئذ" فإنه يشعر بأنه كان لا يستمر على قراءتها كذلك،والمحفوظ أنها قراءة ابن مسعود وحده.

السابعة: قوله «اشتروا أنفسكم من ا لله» أي باعتبار تخليصها من النار فهناك المؤمن بائع باعتبار تحصيل الثواب والثمن الجنة،وفيه إشارة إلى أن النفوس كلها ملك لله تعالى،وأن من أطاعه حق طاعته في امتثال أوامره واجتناب نواهيه وفى ما عليه من الثمن، وبا لله التوفيق.

الثامنة:قوله «**يا بني عبد مناف،اشتروا أنفسكم من ا لله،يا عباس...الخ**» في رواية موسى بن طلحة عن أبي هريرة عند مسلم وأحمد "دعا رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قريشا فعم وخص فقال: يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني كعب كذلك يا معشر بني هاشم كذلك يا معشر بني عبد المطلب كذلك "الحديث.

التاسعة: قوله «**يا صفية عمة رسول ا لله ﷺ** » بنصب عمة،ويجوز في صفية الرفع والنصب وكذا القول في قوله يا فاطمة بنت محمد.

قال ابن مالك:

ونحو زيد ضم وافتحن من … نحــــو أزيدُ بن سعيد لا تهن

قال ابن عقيل: أي إذا كان المنادى مفرداً علماً ً ووصـف بـابن مضافـاً إلى علم و لم يفصل بين المنادى وبين ابن جاز لك في المنادى وجهان البناء على الضـم نحو يا زيد ابن عمرو والفتح إتباعاً نحو يا زيد بن عمرو. ا.هـ

وقوله تابعه أصبغ يعني أن أبا اليمان تابعه أصبغ وقال الحافظ:وصله الذهلـي في الزهريات عن أصبغ.

من فقه الحـديثين:

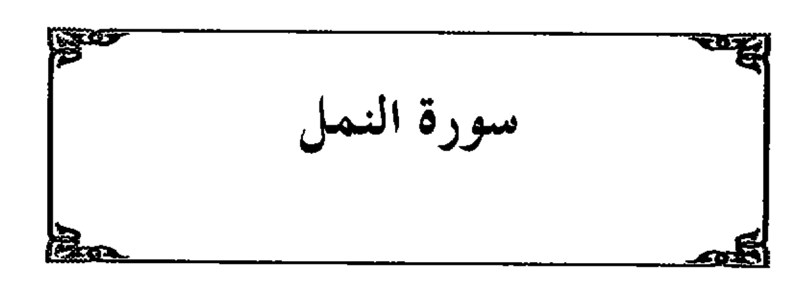
أولاً: كمال شفقته صلى ا لله عليه وسلم على قومه وحرصه على هدايتهم.

ثانياً: مبادرته صلى ا لله عليه وسلم إلى إنذارهم فـور نـزول الآيـة ألا تـرى ابن عباس قال "لما نزلت: وانذر عشيرتك الأقربين"

ثالثـاً: في البـدء بالقرابـة سـر وهـو أن الحجـة إذا قـامت عليهـم تعـدت إلى غيرهم وإلا فكانوا علـة للأبعديـن في الامتنـا ع وأن لا يـأخذه مـا يـأخذ القريـب للقريب من العطف والرأفة فيحابيهم في الدعوة والتخويف.

رابعاً: إذا صرح صلى ا لله عليه وسلم وهو سيد المرسـلين لأقاربـه المؤمنـين وغيرهم خصوصاً سيدة نساء العالمين وعمه وعمته وآمن الإنسان أنه لا يقـول إلا الحق ثم نظر إلى ما وقع في قلوب كثير من الناس من الإعتقـاد فيـه وفي غـيره مـن الأنبياء والصالحين أنهم ينفعون ويضرون ويغنون من عذاب ا لله تبين لـه التوحيـد وعرف غربة الدين. فأين هذا من قول صـاحب الـبردة والـبرعي واضرابهمـا مـن المادحين له حتى بما هو يتبرأ منه ليلاً ونهاراً.

آخر تفسير سورة الشعراء و لله الحمد والمنّة.



٢٦١ - سورة النمل

بسم ا لله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى: ﴿**حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مسكنكم**﴾ **الآية**.

قال القرطبي: وهي مكية كلها في قول الجميع، واخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: أنزلت سورة النمل بمكة.وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله،وآياتها ثلاث وتسعون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [﴿الخَبْء﴾ ما خبأت].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد في نفسك أي ما أسررت، وقال ابن جرير: يخرج المخبوء في السموات والأرض من غيث في السماء والنبات في الأرض ونحو ذلك.وأخرج المعنى عن مجاهد وابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿ألا يسجدو لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون﴾.**

٢ - [﴿لا قِبَل﴾ لا طاقة].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد لهم بها ولا يدين.

والآية المشار إليها **﴿ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون﴾.**

٣ - [﴿الصَّرْح﴾ كل مِلاطِ اتخِذ من القوارير، والصَّرح القَصْر، وجماعته صروح].

ش: قال أبو عبيدة "الصرح" القصر وكان من قوارير قال أبو ذؤيب:

بهن نعام بناها الرجـــال تشبه أعلامهن الصروحا

كل بناء بنيته من حجارة فهو نعامه والجماع نعام وإذا كان من شجر فهو ثاية اهـ.

والآية المشار إليها **﴿قيل لها ادخلي الصرح،فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير.قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾.**

٤ - [وقال ابن عباس ﴿ولها عرش عظيم﴾ سريرٌ كريمٌ، حُسْنُ الصنعة وغلاءُ الثَّمَن].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا القاسم: ثنا الحسين: ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس بلفظ: سرير كريم قال: حسن الصنعة وعرشها سرير من ذهب قوائمه من جوهر ولؤلؤ.

والآية المشار إليها: **﴿إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم﴾.**

٥ - [﴿مسلمين﴾ طائعين].

ش: أخرجه ابن جرير:ثني علي:ثنا أبو صالح:ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره. وهو أحد قولين عنده في الآية والقول الثاني بمعنى قبل أن يأتوني مسلمين الإسلام الذي هو دين الله،وبه قال ابن جريج واختار ابن جرير قول ابن عباس.

والآية المشار إليها **﴿قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين﴾.**

٦ - [﴿رَدِفَ﴾ أقترب].

ش: أخرجه ابن جرير عن الضحاك واخرج عن مجاهد نحوه.

والآية المشار إليها **﴿قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون﴾.**

٧ - [﴿جامدة﴾ قائمة].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما عن أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به،وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة: ثابتة، وليس بين العبارتين خلاف في المعنى.

والآية المشار إليها **﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب.**

٨ - [﴿أوزعني﴾ اجعلني].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة بلفظ "ألهمني" والمعنى واحد.

والآية المشار إليها ﴿فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾.

٩ - [وقال مجاهد ﴿نكّروا﴾ غيّروا].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ غيروه،وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال:تنكيره أن يجعل أسفله أعلاه ومقدمه مؤخره ويزاد فيه أو ينقص منه.

والآية المشار إليها ﴿قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون﴾.

١٠ - [﴿وأوتينا العلم﴾ يقوله سليمان].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ سليمان يقوله.

والآية المشار إليها ﴿فلما جاءت قيل أهكذا عرشك، قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين﴾.

١١- [الصرح بركة ماء ضرب عليها سليمان قوارير ألبسها إياها].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من الطريق الذي قبله بلفظ "بركة من ماء ضرب عليها سليمان قوارير ألبسها".

والآية المشار إليها تقدمت في الأثر الثالث وكان حق هذا أن يذكر هناك.

آخر تفسير سورة النمل والحمد لله.

سورة القصص

٢٦٢ - سورة القصص

بسم ا لله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿**فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين**﴾

وأخرج أحمد عن معد يكرب قال أتينا عبد ا لله فسألناه أن يقر أعلينا طسم المائتين فقال: ما هي معي ولكن عليكم بمن أخذها من رسول ا لله ، خباب بن الأرت قال:فأتينا خباب بن الأرت فقرأها علينا رضي ا لله عنه،وهي مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وآياتها ثمان وثمانون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**﴿كل شئ هالك إلا وجهه﴾ إلا ملكه. ويقال إلا ما أريد به وجه الله**].

ش: قال مقيده: وبهذه الحكاية يظهر لك أن في الآية قولين أما أولهما: فلم أجد من قال به فيما وقفت عليه؛نعم قال الحافظ في الكلام على هذا الأثر: (في رواية النسفي وقال معمر فذكره،ومعمر هذا هو أبو عبيدة بن المثنى، وهذا كلامه في كتابه "مجاز القران" لكن بلفظ إلا هو وكذا نقله الطبري عن بعض أهل العربية،وكذا ذكره الفراء.ا.هـ

قلت: وبهذا يتبين أن البخاري رحمه الله قال ذلك حاكياً لا مفسراً وأما القول الثاني فقد أخرجه ابن أبي حاتم من طريق أبي سعيد عن خصيف عن مجاهد مثله.

وأخرج عن سفيان الثوري نحوه، فإذا عرفت هذا فاعلم أن الآية من الأدلة الصريحة على إثبات الوجه لله والوجه صفة ذاتية له جل ثناؤه فكما أنه الأول فليس قبله شئ والأخر فليس بعده شئ فكذلك صفاته أزلية أبدية كذاته وعلى هذا فالآية أفادت بقاءه جل ثناؤه بعد فناء خلقه، ولا يجوز أن يفهم من الوجه أنه هو الذات كما لا يجوز اتهام البخاري بالتأويل كيف وهو من أئمة الحديث وهم على ما عليه أهل السنة والجماعة بعد أصحاب النبي ﷺ والله أعلم.

٢ - [**وقال مجاهد ﴿الأنباء﴾ الحجج**].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد به، وكذا قال الفراء، وقال أبو عبيدة: "الأخبار " يقال عمى علي خبر القوم والأول أظهر. والآية المشار إليها **﴿فعميت عليهم الأنباء يؤمئذ فهم لا يتسألون﴾**.

٢٦٣- [باب ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾

ش: تمامها ﴿**وهو أعلم بالمهتدين**﴾].

يقول تعالى ذكره: لنبيه محمد ﷺ إنك يا محمد لا تهدي من أحببت هدايته، ولكن الله يهدي من يشاء أن يهديه من خلقه، بتوفيقه للإيمان به وبرسوله، ولو قيل: معناه إنك لا تهدي من أحببته لقرابته منك ولكن الله يهدي من يشاء، كان مذهباً.

وقوله: ﴿**وهو أعلم بالمهتدين**﴾ أي هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية. ا.هـ

فإن قلت كيف التوفيق بين هذه الآية وبين آية الشورى ﴿**وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم**﴾ قيل: الهداية نوعان:

١ - مثبتة كما في آية الشورى وهذه هداية الإرشاد والدلالة.

٢ - منفية كما في آية الباب وهي هداية التوفيق وهذه خاصة بالله ولا يملكها أحد.

٢٩٣- حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب، عن الزهري قال: أخبرني سعيد ابن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال: أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال: أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية أترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيدانه بتلك المقالة حتى قال أبو طالب أخر ما كلمهم: على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، قال: قال رسول الله ﷺ والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك" فأنزل الله ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن

يستغفروا للمشركين﴾ وانزل ا لله في أبي طالب، فقال لرسول ا لله ﷺ ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن ا لله يهدي من يشاء﴾.

ش: فيه إحدى عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**لما حضرت أبا طالب الوفاة**» قال الكرماني المراد حضرت علامات الوفاة، وإلا فلو كان انتهى إلى المعاينة لم ينفعه الإيمان لو آمن، ويدل له ما وقع من المراجعة بينه وبينهم؛ قلت: وفي القران الكريم ﴿**إنما التوبة على ا لله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب ا لله عليهم وكان ا لله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذاباً أليماً**﴾ وروى الترمذي وحسنه عن ابن عمر أن رسول ا لله ﷺ قال: "إن ا لله يقبل توبة العبد ما لم يغر غر".

الثانية: قوله «**جاءه رسول ا لله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد ا لله بن أبي أمية**» ظاهره أن يكون المسيب حضر هذه القصة، فإن المذكورين من بني مخزوم وهو من بني مخزوم أيضاً، وكان الثلاثة يومئذ كفارا فمات أبو جهل على كفره وأسلم الآخران.

الثالثة: قوله «**أي عم**» أما "أي" فهو بالتخفيف حرف نداء، وأما "عم" فهو منادى مضاف، لكن حذفت منه ياء المتكلم وهذا جائز في صريح اللغة.

الرابعة: قوله «**كلمة أحاج لك بها عند ا لله**»: بالنصب على البدل من لا إله إلا ا لله أو الاختصاص. ويجوز الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي هي. وقوله (أحاج) بتشديد الجيم من المحاجة وهي مفاعله من الحجة والجيم مفتوحة على الجزم جواب الأمر، والتقدير إن تقل أحاج، ويجوز الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره أنا ووقع في رواية معمر عن الزهري بهذا الإسناد في الجنائز "أشهد" بدل "أحاج" وفي رواية مجاهد عند ابن جرير في تفسير هذه الآية قل

كلمة الإخلاص "أجادل عنك بها" وعنده في تفسير الآية الثالثة عشرة بعد المائة من سورة التوبة من طريق سفيان بن حسين عن الزهري قال: "أي عم، إنك أعظم الناس علي حقا، وأحسنهم عندي يدا، فقل كلمة تجب لي بها الشفاعة فيك يوم القيامة ".

الخامسة: قوله «**فلم يزل يعرضها**»: بفتح أوله وكسر الراء أي يكررها كما وقع عند ابن جرير في تفسير آية الباب من رواية الشعبي "فقال له ذلك مراراً".

السادسة: قوله «**ويعيدانه بتلك المقالة**» أي ويعيدانه إلى الكفر بتلك المقالة، كأنه قال كان قارب أن يقولها فيردانه. ووقع في رواية معمر فيعودان له بتلك المقالة وهي أوضح، ووقع عند مسلم في الإيمان (باب صفة إيمان من حضره الموت "فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويقول له تلك المقالة"؛ قال القرطبي في "المفهم" كذا في الأصول وعند أكثر الشيوخ، والمعنى أنه عرض عليه الشهادة وكررها عليه. ووقع في بعض النسخ "ويعيدان له بتلك المقالة " والمراد قول أبي جهل ورفيقه له "ترغب عن ملة عبد المطلب".

السابعة: قوله «**آخر ما كلمهم: على ملة عبد المطلب**»: خبر مبتدأ محذوف أي (هو على ملة) كما توضحه رواية معمر "هو على ملة عبد المطلب" وأراد بذلك نفسه، ويحتمل أن يكون قال "أنا" فغيرها الراوي أنفة أن يحكي كلام أبي طالب استقباحا للفظ المذكور؛ وهي من التصرفات الحسنة، ووقع في رواية مجاهد قال "يا ابن أخي ملة الأشياخ أوسنة الأشياخ" ووقع في حديث أبي حازم عن أبي هريرة عند مسلم في الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت والترمذي في تفسير سورة القصص "قال لولا أن تعيرني قريش يقولون ما حمله عليه إلا جزع الموت لأقررت بها عينك" قال الحافظ: وفي رواية الشعبي عند الطبراني "قال لولا أن يكون عليك عار لم أبال أن أفعل".

الثامنة: قوله «**أبى أن يقول لا إله إلا ا لله**» هو تأكيد من الراوي في نفي وقوع ذلك من أبي طالب، وكأنه استند في ذلك إلى عدم سماعه ذلك منه في تلك الحال، وهذا القدر كاف في نفي قول أبي طالب كلمة الإخلاص.

التاسعة: قوله «**وا لله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك**» **قلت:** هذا وعد من رسول ا لله ﷺ لعمه بالاستغفار له ولا ينصرف إلا إلى طلب المغفرة العامة وسوغ له ذلك إقتداءه بأبيه إبراهيم حين وعد أباه بالاستغفار له كما قص ا لله عنه بقوله ﴿**سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا**﴾.

العاشرة: قوله «**فأنزل ا لله: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾**»: تقدم شرحه في تفسير سورة التوبة من الباب الخامس والستين بعد المائة.

الحادية عشرة: قوله «**وأنزل ا لله في أبي طالب فقال لرسول ا لله ﷺ ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾**» هذا يشعر بأن الآية الأولى نزلت في أبي طالب وفي غيره والثانية نزلت فيه وحده، ويؤيد تعدد السبب ما أخرجه أحمد من طريق أبي إسحاق عن أبي الخليل عن علي قال "سمعت رجلاً يستغفر لوالديه وهما مشركان، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأنزل ا لله: ﴿**ما كان للنبي... الآية**﴾.

من فقه الحديث:

أولاً: في الحديث أن من لم يعمل خيراً قط إذا ختم عمره بشهادة أن لا إله إلا ا لله حكم بإسلامه وأجريت عليه أحكام المسلمين.

ثانياً: أن أبا طالب لو قال كلمة الإخلاص حين أمره النبي ﷺ لنفعته.

ثالثاً: خطر التقليد وأنه من أعظم الصوارف عن قبول الحق.

رابعاً: مضرة تعظيم الأسلاف من الكفار.

خامساً: أنه لا يقدر أحد من الخلق على هداية التوفيق والقبول.

سادساً: جواز عيادة المريض من الكفار مع دعوته إلى الإسلام.

سابعاً: تحريم الاستغفار لمن مات على الشرك.

شرح جمله من الآثار والكلمات:

١ - [قال ابن عباس ﴿أولي القوة﴾ لا يرفعها العصبة من الرجال].

ش: قلت لم أجده فيما وقفت عليه، وأعلم أنه قد اختلف أهل العلم في عدد العصبة فقال مجاهد: ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقال قتادة: ما بين العشرة إلى الأربعين، وقيل: أربعون رجلاً، وقيل: سبعون؛ حكاها البغوي.

٢ - [﴿لتنوء﴾ لتثقل].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق أبي صالح: ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به.

والآية المشار إليها بالكلمتين **﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم، وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة﴾**.

٣ - [﴿فارغاً﴾ إلا من ذكر موسى].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس به، وأخرج ابن جرير نحوه عن مجاهد ومطر وقتادة والضحاك.

والآية المشار إليها **﴿واصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين﴾**.

٤ - [﴿الفرحين﴾ المرحين].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس به. وأخرجه أيضاً عن قتادة، وأخرج نحوه عن مجاهد.

والآية المشار إليها **﴿إذ قال له قومه لا تفرح إن ا لله لا يحب الفرحين﴾**.

٥ - [﴿قصيه﴾ اتبعي أثره، وقد يكون أن يقص الكلام ﴿نحن نقص عليك﴾].

ش: أخرجه ابن أبي حاتم: ثنا أبي: ثنا أبو صالح: حدثني معاوية بن صالح عن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس فذكره، وأخرجه ابن جرير عن مجاهد وابن إسحاق وأخرج نحوه عن قتادة والسدي.

والآية المشار إليها: **﴿وقالت لأخته قصيه، فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون﴾**.

٦ - [**﴿عن جُنُبٍ﴾ عن بُعد، عن جنابة واحد، وعن اجتناب أيضاً**].

ش: قوله «**عن جنب**» عن بعد: أخرجه ابن جرير عن مجاهد.

وقوله «**عن جنابة واحد**» وعن اجتناب أيضاً؛ قال أبو عبيدة "تجنب ويقال ما تأتينا إلا عن جنب وعن جنابة، قال علقمة بن عبيدة:

فلا تحرمني نائلاً عن جنابة فإني امرؤ وسط القباب غريب.

٧ - [**﴿يبطِش﴾ ويبطُش**].

ش: قال أبو عبيدة: الطاء مكسورة ومضمومة لغتان

والآية المشار إليها **﴿فلما أراد أن يبطش بالذي هو عدوهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس﴾**.

٨ - [**﴿يأتمرون﴾ يتشاورون**].

ش: قال أبو عبيدة: "مجازه يهمون بك ويتوامرون فيك، ويتشاورون فيك ويرتئون قال النمر بن ثولب:

أرى الناس قد أحدثوا شيمة وفي كل حادثة يؤتمر

والآية المشار إليها **﴿وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾**.

٩ - [**﴿العُدوان﴾ والعَداء والتَعَدّي واحد**].

ش: قال أبو عبيدة: وهو من العدا والتعدي والعدو واحد كله وهو الظلم.

والآية المشار إليها ﴿**قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي**﴾.

١٠ - [﴿**آنَس**﴾ **أبصر**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد:

آنس خربان فضاء فانكدر داني جناحيه من الطور فمر

والآية المشار إليها ﴿**فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً**﴾.

١١- [﴿**الجَذوة**﴾ **قطعةٌ غليظة من الخشب ليس فيها لهب، والشهّاب فيه لهب**].

ش: قال أبو عبيدة: "أي قطعه غليظة من الحطب ليس فيها لهب وهي مثل الجذمه من أصل الشجرة وجماعها الجذا" ا.هـ

والشهاب فيه لهب قال الراغب: الشهاب الشعلة الساطعة من النار الموقدة.

والآية المشار إليها ﴿**لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون**﴾.

وكلمة الشهاب هي من الآية السابعة من سورة النمل وقد ذكرها الشيخ استطراداً.

١٢ - [﴿**كأنها جانٌّ**﴾ **وهي في آية أخرى "كأنها حيَّةٌ تسعى" والحيات أجناس الجان والأفاعي والأساود**].

ش: قال أبو عبيدة: وفي آية أخرى ﴿**فإذا هي حية تسعى**﴾ فالحيات أجناس فيها الجان وغير ذلك والأفعى والحفاة ومجازها كأنها جان من الحيات ومجاز الأخرى فإذا هي حية من الجان"

والآية المشار إليها ﴿**فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب**﴾ الآية، وأما الآية الأخرى فهي الآية العشرون من سورة طه.

١٣ - [﴿رِدْأً﴾ مُعيناً].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ويقال قد أردأت فلاناً على عدوه وعلى ضيعته أي أكنفته وأعنته أي صرت له كنفاً.

١٤ - **[قال ابن عباس: لكي ﴿يُصدِّقَني﴾]**.

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا عبد الله: ثني معاوية، عن علي عن ابن عباس بلفظ "كي يصدقني"، وأخرجه من طريق العوفيين بلفظ "كيما يصدقني".

والآية المشار إليها بالكلمتين **﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردأً يصدقني﴾**.

١٥ - **[وقال غيره: ﴿سَنَشُدُّ﴾ سنُعينُك، كلما عزَّزت شيئاً فقد جعلت له عَضُداً]**.

ش: قال أبو عبيدة: أي سنقويك به ونعينك به يقال إذا أعز رجل رجلاً ومنعه قد شد فلان على عضد فلان وهو من عاضدته على أمره أي عاونته وآزرته عليه.

والآية المشار إليها **﴿قال سنشد عضدك بأخيك﴾**.

١٦ - **[﴿مقبوحين﴾ مهلكين]**.

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها **﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾**

١٧ - **[﴿وصَّلْنَا﴾ بيناه وأتممناه]**.

ش: أخرج ابن جرير عن سفيان بن عيينة قال: وصلنا، بينا.

وقال أبو عبيدة: أي أتممناه قال: جعلت عمامتي صلة لحبلي.

وقال الأخطل:

فقل لبني مروان ما بال ذمة وحبل ضعيف لا يزال يوصل

والآية المشار إليها **﴿ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون﴾**.

١٨ - [﴿يُجبَى﴾ يُجلَب].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه يجمع كما يجبى الماء في الجابية فيجمع للواردة، **قلت:** وهذا بمعنى ما قاله المصنف.

والآية المشار إليها **﴿أولم نمكن لهم حرماً آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً﴾**.

١٩ - [**﴿بطِرت﴾ أشِرت**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وطغت وبغت.

والآية المشار إليها **﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً﴾**.

٢٠ - [**﴿في أمها رسولاً﴾ أم القرى مكة وما حولها**].

ش: قال أبو عبيدة: أم القرى مكة وأم الأرضين في قول العرب، وفي آية أخرى **﴿لتنذر أم القرى ومن حولها﴾**.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة قال أم القرى مكة.

والآية المشار إليها **﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلوا عليهم آياتنا﴾**.

٢١ - [**﴿تكن﴾ تخفي، أكننت الشيء أخفيته، وكننته أخفيته وأظهرته**].

ش: قوله تخفي: أكننت الشيء أخفيته، قال أبو عبيدة: أي تخفي ويقال أكننت ذلك في صدري وكننت الشيء بغير ألف: صنته.

وقوله «**وكننته أخفيته وأظهرته**» من الثلاثي، ومعناه خفيته بدون الهمزة في أوله أي أظهرته، وهو من الأضداد، ووقع في الأصول أخفيته في الموقعين بالهمزة في أوله، ولأبي ذر بحذف الألف في الثاني، وكذا قال ابن فارس قاله العيني (١٥/٣٦٦).

والآية المشار إليها **﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون﴾**.

٢٢ - [﴿ويكأن الله﴾ مثل: ﴿ألم تر أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ يوسع عليه، ويضيق عليه].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه: ألم تر أن الله يبسط الرزق، قال الشاعر:

وي كأن من يكن له نشب يحب ومن يفتقر يعش عيش ضر

والآية المشار إليها ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾.

٢٦٤- [باب ﴿إن الذي فرض عليك القرآن﴾].

ش: تمامها **﴿لرادك إلى معاد، قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين﴾**.

يقول تعالى آمراً رسوله صلوات الله وسلامه عليه ببلاغ الرسالة وتلاوة القرآن على الناس، ومخبراً له بأنه سيرده إلى معاد، وهو يوم القيامة، فيسأله عما استرعاه من أعباء النبوة ولهذا قال: **﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾** أي افترض عليك أداءه إلى الناس **﴿لرادك إلى معاد﴾** أي إلى يوم القيامة فيسألك عن ذلك كما قال تعالى **﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين﴾** وقال **﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم﴾** **﴿وجئ بالنبيين والشهداء﴾**.ا.هـ من ابن كثير.

وقوله **﴿قل ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين﴾** يقول تعالى ذكره لنبيه محمدﷺ قل يا محمد لهؤلاء المشركين: ربي اعلم من جاء بالهدى الذي من سلكه نجا و من هو في جور عن قصد السبيل منا و منكم وقوله **﴿مبين﴾** يعني أنه يبين للمفكر الفهم إذا تأمله وتدبره أنه ضلال وجور عن الهدى.اهـ من ابن جرير.

٢٩٤- حدثنا محمد بن مقاتل: أخبرنا يعلى[(١)]: حدثنا سفيان العصفري[(٢)] عن عكرمة عن ابن عباس: ﴿لرادك إلى معاد﴾ قال: إلى مكة.

ش: فيه تفسير **المعاد** الذي وعد الله رسوله برده إليه في الآية بأنه مكة وبه قال مجاهد بن جبر والحجاج وهو **أحد** ثلاثة أقوال في الآية أخرجها ابن جرير:

ثانيها: إلى الجنة وهو قول أبي سعيد الخدري وأبي مالك وأبي صالح وعكرمة والحسن و الزهري و قتادة ومجاهد وابن عباس في الرواية الثانية عنهما.

---

(١) هو أبو يوسف يعلى بن عبيد بن أبي أمية الكوفي الطنافسي، ثقة إلا في حديثه عن الثوري ففيه لين من كبار التاسعة، مات سنة بضع ومائتين وله تسعون سنه. ع,

(٢) هو أبو سعيد سفيان بن دينار التمار، الكوفي، ثقة من السادسة. خ، س.

ثالثها: إلى الموت وبه قال سعيد بن جبير وابن عباس في الرواية الثالثة عنه.

قال مقيده: والراجح عندنا ما قدمناه في تفسير الآية وهو ما مشى عليه ابن كثير في تفسيره وهو يوم القيامة فيسأله عما استرعاه من أعباء النبوة وذلك أنه لا يتبادر من ظاهر الآية إلى الذهن غيره، وقول من قال ﴿**لرادك إلى معاد**﴾ إلى الجنة لا ينافي ذلك.

آخر تفسير سورة القصص و لله الحمد والمنة.

سورة العنكبوت

٢٦٥ - سورة العنكبوت

بسم ا لله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى **﴿مثل الذين اتخذوا من دون ا لله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾**.

وقد اختلف في كونها مكية أو مدنيه، أو بعضها مكيا وبعضها مدنيا على ثلاثة أقوال:

الأول: أنها مكية كلها أخرجه ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس وأخرجه ابن مردويه عن عبد ا لله بن الزبير، وبه قال الحسن وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد.

الثاني: أنها مدنيه كلها، قال القرطبي: وهو أحد قولي ابن عباس وقتادة.

الثالث: أنها مكية إلا عشر آيات من أولها، قال القرطبي: وهو أحد قولي ابن عباس وقتادة، وهو قول يحيى بن سلام.

وحكي عن علي بن أبي طالب أنها نزلت بين مكة والمدينة وهذا قول رابع.

وأخرج الدار قطني في السنن عن عائشة أن رسول ا للهﷺ كان يصلي في كسوف الشمس والقمر أربع ركعات وأربع سجدات، يقرأ في الركعة الأولى العنكبوت أو الروم و في الثانية يس.

وآياتها تسع وستون آيه.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [قال مجاهد: ﴿وكانوا مستبصرين﴾ ضَلَلَة].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ في الضلالة.

والآية المشار إليها **﴿وزَيَّن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين﴾**

٢ - [وقال غيره ﴿الحيوان﴾ والحي واحد].

ش: قال أبو عبيدة: مجاز الحيوان والحياة واحد ومنه قولهم نهر الحيوان أي نهر الحياة ويقال حييت حياً على تقدير عييت عياً فهو مصدر. ا.هـ

والآية المشار إليها **﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾.**

٣ - [﴿وليعلمن الله﴾ علم الله ذلك إنما هي بمنزلة فليميز الله كقوله ﴿لِيَمِيزَ الله الخبيثَ من الطيب﴾].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه وليميزن الله هؤلاء من هؤلاء. ا.هـ

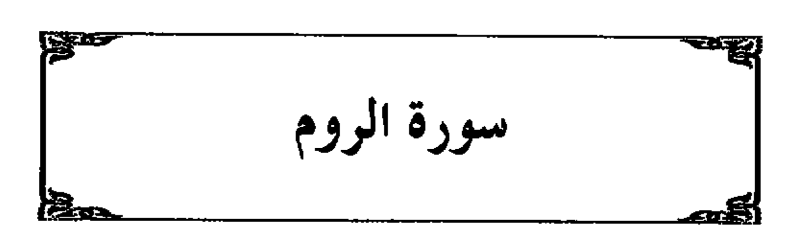
والآية المشار إليها **﴿ وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين﴾.**

٤ - [﴿أثقالاً مع أثقالهم﴾ أوزاراً مع أوزارهم].

ش: قال أبو عبيدة: «مجازها وليحملن أوزارهم وخطاياهم وأوزاراً وخطايا مع أوزارهم وخطاياهم». اهـ

والآية المشار إليها **﴿وليحملن أثقالهم و أثقالاً مع أثقالهم﴾.**

آخر سورة العنكبوت والحمد لله.



٢٦٦ - سورة ألم، غلبت الروم

بسم الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل من طرق عن ابن عباس قال: نزلت سورة الروم بمكة، وأخرج ابن مردوية عن ابن الزبير مثله.

وأخرج عبدالرزاق وأحمد وحسنه السيوطي عن رجل من الصحابة أن رسول ا لله ﷺ صلى بهم الصبح فقرأ فيها سورة الروم، قال القرطبي: كلها مكية بلا خلاف.

وعدد آياتها ستون آيه.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**قال مجاهد: ﴿يحبَرون﴾ يُنعَّمون**].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: فذكره.

وأخرجه عن قتادة وهو **أحد** ثلاثة أقوال حكاها في الآية:

ثانيها: يكرمون وهو قول ابن عباس.

وثالثها: يلذذون بالسماع والغناء وبه قال يحيى بن أبي كثير، وهذه الأقوال متقاربة.

والآية المشار إليها: **﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون﴾**.

٢ - [**﴿فلا يربوا عند الله﴾ من أعطى عطية يبتغي أفضل منه فلا أجر له فيها**].

ش: أخرجه ابن جرير بإسناد الذي قبله ولفظه " يعطي ماله يبتغي أفضل منه "

وأخرجه أيضا عن ابن عباس وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وطاووس وقتادة والضحاك.

والآية المشار إليها **﴿وما ءآتيتم من رباً ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله﴾**.

٣ - [**﴿يمهدون﴾ يسوّون المضاجع**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني الحارث: ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره، وعلى هذا التفسير مشى ابن جرير في معنى الآية.

والآية المشار عليها **﴿من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون﴾**.

٤ - [﴿الودق﴾ المطر].

ش: قال الفريابي ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره قاله الحافظ.

قلت وأخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال القطر؛ والمعنى واحد.

والآية المشار إليها **﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله﴾**.

٥ - [قال ابن عباس: ﴿هل لكم مما ملكت أيمانكم﴾ في الآلهة وفيه تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضاً].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثت عن حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس فذكره وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

ثانيهما: بمعنى تخافون هؤلاء الشركاء مما ملكت أيمانكم أن يقاسموكم أموالكم كما يقاسم بعضكم بعضاً وبه قال أبو مجلز، ورجح ابن جرير هذا القول لأنه أشبههما بما دل عليه ظاهر الكلام.

والآية المشار إليها **﴿ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم﴾**

٦ - [**﴿يَصَّدَّعون﴾ يتفرقون**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره، وأخرج نحوه عن قتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون﴾**.

٧ - [﴿فاصدع﴾]

ش: قال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ أي أفرق و أمضه قال أبو ذؤيب:

وكأنهن ربابة وكأنه يسر يفيض على القداح ويصدع

أي يفرق على القداح أي بالقداح. اهـ

قلت: وبهذا التفسير ظهرت مناسبته لما قبله.

والآية المشار إليها هي الرابعة والتسعون من سورة الحجر.

٨ - [**وقال غيره: ﴿ضَعْفٍ﴾ وضُعْفٍ لغتان**].

ش: قرأه أبو بكر وحمزة بفتح الضاد في ثلاثة مواضع في هذه السورة، وقد ذكر عن حفص أنه رواه عن عاصم واختار الضم لرواية قويت عنده، وهو ما رواه ابن عمر قال: فرد علي النبيﷺ من ضَعف يعني بالفتح، قال فرد علي النبيﷺ من ضُعف يعني بالضم في الثلاثة، وروى عنه أنه قال ما خالفت عاصما في شئ مما قرأت به عليه إلا في ضم همزة الثلاث كلمات وقرأ الباقون فيهن بالضم، وهما لغتان كالفَقر والفُقر. ا.هـ قاله مكي.

والآية المشار إليها **﴿ا لله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبه يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾**.

٩ - [**وقال مجاهد: ﴿السُّوآى﴾ الإساءة جزاء المسيئين**].

ش: وصله الفريابي عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد به ذكره في التغليق (٢٧٩/٤) وقال ابن جرير: السوآى يعني الخلة التي هي أسوأ من فعلهم، أما في الدنيا فالبوار والهلاك وأما في الآخرة فالنار لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون. اهـ

وأخرج المعنى عن ابن عباس وقتادة. والآية المشار إليها: **﴿ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوآى أن كذبوا بآيات ا لله وكانوا بها يستهزؤون﴾**

٢٩٥- حدثنا محمد بن كثير حدثنا سفيان حدثنا منصور والأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال: بينما رجل يحدث في كنده فقال: يجيء دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم يأخذ المؤمن كهيئة الزكام ففزعنا فأتيت ابن مسعود وكان متكئاً، فغضب فجلس فقال: من علم فليقل، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم لا أعلم فإن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾ وإن قريشاً أبطئوا عن الإسلام، فدعا عليهم النبي ﷺ فقال: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها، وأكلوا الميتة والعظام، ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان، فجاءه أبو سفيان فقال: يا محمد جئت تأمرنا بصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا فادع الله، فقرأ: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين - إلى قوله - عائدون﴾ أفيكشف عنهم عذاب الآخرة إذا جاء ثم عادوا إلى كفرهم، فذلك قوله تعالى ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ يوم بدر ولزاماً يوم بدر ﴿الم غلبت الروم - إلى - سيغلبون﴾ والروم قد مضى.

ش: قلت: الشاهد منه **﴿الم غلبت الروم - إلى - سيغلبون﴾** والروم قد مضى، وسيأتي في تفسير سورة ص ضمن الباب الرابع والتسعين بعد المائتين.

٢٦٧ - [باب **﴿لا تبديل لخلق ا لله﴾**].

ش: قلت: الآية **﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً، فطرت ا لله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق ا لله، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾**.

يقول تعالى ذكره: فسدد وجهك نحو الوجه الذي وجهك إليه ربك يا محمد لطاعته وهي الدين حنيفاً: يقول مستقيماً لدينه وطاعته، فطرة ا لله التي فطر الناس عليها، يقول صبغة ا لله التي خلق الناس عليها. ا.هـ من ابن جرير.

وقال ابن القيم: «فبين سبحانه أن إقامة الوجه وهو إخلاص القصد، وبذل الوسع لدينه المتضمن محبته وعبادته حنيفاً مقبلاً عليه معرضاً عما سواه؛ هو فطرته التي فطر الناس عليها عباده، فلو خلوا ودواعي فطرهم لما رغبوا عن ذلك ولا اختاروا سواه، ولكن غيرت الفطر وأفسدت». اهـ من بدائع التفسير.

وقوله **﴿لا تبديل لخلق ا لله﴾** فيه قولان لأهل العلم:

أحدهما: لا تغيير لدين ا لله وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة وسعيد بن جبير والضحاك وابن زيد وإبراهيم النخعي.

وثانيهما: لا تغيير لخلق ا لله وبه قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد في الرواية الثانية عنهما، أخرجهما ابن جرير.

وقال ابن كثير: «قال بعضهم معناه لا تبدلوا خلق ا لله فتغيروا الناس عن فطرهم التي فطرهم ا لله عليها فيكون خبراً بمعنى الطلب كقوله تعالى: **﴿ومن دخله كان آمناً﴾** وهذا معنى حسن صحيح وقال آخرون هو خبر على بابه ومعناه أنه تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة».

وقوله **﴿ذلك الدين القيم﴾** أي ذلك الدين المأمور بإقامة الوجه له هو الدين القيم، أو لزوم الفطرة هو الدين القيم.

﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ذلك حتى يفعلوه ويعملوا به.

من فقه الآية

أولاً: وجوب اتباع دين الله وشرعه.

ثانياً: وجوب الإخلاص في عبادة الله.

ثالثاً: إ الإسلام هو أصل ما فطر الناس عليه كما يشهد له حديث الباب الآتي.

رابعاً: إن أكثر الناس في ضلال وجهل بالدين.

خامساً: ليس العبرة بمجرد الكثرة بل العبرة بإصابة الحق وموافقته.

ش: شرح جمله من الآثار والكلمات:

١ - [**﴿لخلق الله﴾: لدين الله**].

ش: هو قول مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة وابن زيد وإبراهيم النخعي.

٢ - [**﴿خلق الأولين﴾: دين الأولين**].

ش: قلت: كذا فسرها ابن عباس وقتادة.

والآية المشار إليها هي السابعة والثلاثون بعد المائة من سورة الشعراء، وقد ذكرها هنا استشهاداً على تفسير الخلق بالدين.

٣ - [**والفطرة : الإسلام**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد وعكرمة.

٢٩٦- حدثنا عبدان: أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس عن الزهري قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء، ثم يقول ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾.

ش: فيه ست مسائل:

الأولى: قوله «**ما من مولود**» في الجنائز إذا اسلم الصبي فمات هل يصلى عليه من رواية ابن أبي ذئب، (كل مولود) أي من بني آدم، وصرح به جعفر بن ربيعه عن الأعرج عن أبي هريرة بلفظ "كل بني آدم يولد على الفطرة" وكذا رواه خالد الواسطي عن عبد الرحمن ابن إسحاق عن أبي الزناد عن الأعرج ذكرها ابن عبد البر، قال الحافظ: واستشكل هذا التركيب بأنه يقتضي أن كل مولود يقع له التهويد وغيره مما ذكر، والفرض أن بعضهم يستمر مسلما ولا يقع له شئ، والجواب أن المراد من التركيب أن الكفر ليس من ذات المولود ومقتضى طبعه، بل إنما حصل بسبب خارجي، فإن سلم من ذلك السبب استمر على الحق، وهذا يقوي المذهب الصحيح في تأويل الفطرة.

الثانية: قوله (يولد على الفطرة) ظاهرة تعميم الوصف المذكور في جميع المولودين ومثله ما في باب إذا اسلم الصبي فمات من رواية يونس أيضاً ولمسلم من طريق أبي صالح عن أبي هريرة بلفظ "ليس من مولود يولد إلا على هذه الفطرة يعبّر عنه لسانه " وفي رواية له من هذا الوجه " ما من مولود إلا وهو على الملة " وحكى ابن عبد البر عن قوم أنه لا يقتضي العموم، وإنما المراد أن كل من ولد على الفطرة وكان له أبوان على غير الإسلام نقلاه إلى دينهما،فتقدير الخبر على هذا: كل مولود على الفطرة وأبواه يهوديان مثلاً فإنهما يهودانه ثم يصير عند بلوغه إلى ما يحكم به عليه. ويكفي في الرد عليهم رواية أبي صالح المتقدمة. وأصرح منها رواية جعفر بن ربيعه بلفظ "كل بني آدم يولد على الفطرة" وقد اختلف السلف في المراد بالفطرة في هذا الحديث على أقوال كثيرة، وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة الإسلام وهو قول مجاهد وعكرمة، قال ابن عبد البر: وهو المعروف عند عامة السلف وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى ﴿**فطرة ا لله التي فطر الناس عليها**﴾ الإسلام، واحتجوا بقول أبي هريرة في

آخر حديث الباب: اقرؤا إن شئتم **﴿فطرة ا لله التي فطر الناس عليها﴾** وبحديث عياض بن حمار، قلت هذا الحديث عند مسلم وغيره عن النبيﷺ فيما يرويه عن ربه "إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم" الحديث قال الحافظ: وقد رواه غيره فزاد فيه "حنفاء مسلمين" ورجحه بعض المتأخرين بقوله تعالى **﴿فطرة ا لله﴾** لأنها إضافة مدح، وقد أمر نبيه بلزومها، فعلم أنها الإسلام، ونقله أبو يعلى بن الفراء عن إحدى الروايتين عن أحمد، وهو ما حكاه الميموني عنه وذكره ابن بطة، وقد سبق في "باب إسلام الصبي" في آخر حديث الباب من طريق يونس ثم يقول **﴿فطرة ا لله التي فطر الناس عليها - إلى قوله - القيم﴾** وظاهره أنه من الحديث المرفوع، وليس كذلك بل هو من كلام أبي هريرة أدرج في الخبر، بينه مسلم من طريق الزبيدي عن الزهري ولفظه " ثم يقول أبو هريرة اقرءوا إن شئتم" قال الطيبي: ذكر هذه الآية عقب هذا الحديث يقوي ما أوله حماد بن سلمة من أوجه:

أحدها: أن التعريف في قوله «على الفطرة» إشارة إلى معهود وهو قوله تعالى **﴿فطرة ا لله﴾** ومعنى المأمور في قوله **﴿فأقم وجهك﴾** أي اثبت على العهد القديم.

ثانيها: ورود الرواية بلفظ «الملة» بدل الفطرة و الدين. في قوله **﴿للدين حنيفاً﴾** هو عين الملة، قال تعالى **﴿دينا قيما ملة إبراهيم حنيفاً﴾** ويؤيده حديث عياض المتقدم.

ثالثها: التشبيه بالمحسوس المعاين ليفيد أن ظهوره يقع في البيان مبلغ هذا المحسوس، قال: والمراد تمكن الناس من الهدى في أصل الجبلة، والتهيؤ لقبول الدين، فلو ترك المرء عليها لاستمر على لزومها و لم يفارقها إلى غيرها، لأن حسن هذا الدين ثابت في النفوس، وإنما يعدل عنه لآفة من الآفات البشرية كالتقليد انتهى، وإلى هذا مال القرطبي في "**المفهم**" فقال: المعنى أن ا لله خلق قلوب بني آدم

مؤهلة لقبول الحق، كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات، فما دامت باقية على ذلك القبول وعلى تلك الأهلية أدركت الحق، ودين الإسلام هو الدين الحق، وقد دل على هذا المعنى بقية الحديث حيث قال "كما تنتج البهيمة" يعني أن البهيمة تلد الولد كامل الخلقة، فلو ترك كذلك كان بريئاً من العيب، لكنه تصرفوا فيه بقطع أذنه مثلاً فخرج عن الأصل، وهو تشبيه واقع ووجهه واضح. وا لله أعلم.

وقال ابن القيم: «ليس المراد بقوله «**يولد على الفطرة**» أنه خرج من بطن أمه يعلم الدين، لأن ا لله يقول ﴿**وا لله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً**﴾ ولكن المراد أن فطرته مقتضية لمعرفة دين الإسلام ومحبته، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار والمحبة، وليس المراد مجرد قبول الفطرة لذلك، لأنه لا يتغير بتهويد الأبوين مثلا بحيث يخرجان الفطرة عن القبول، وإنما المراد أن كل مولود يولد على إقراره بالربوبية، فلو خلي وعدم المعارض لم يعدل عن ذلك إلى غيره، كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من إرتضاع اللبن حتى يصرفه عنه الصارف، ومن ثم شبهت الفطرة باللبن بل كانت إياه في تأويل الرؤيا». وا لله أعلم.

وفي المسألة أقوال أخر ذكرها ابن عبد البر وغيره:

منها: قول ابن المبارك أن المراد أنه يولد على ما يصير إليه من شقاوة أو سعادة، فمن علم ا لله أنه يصير مسلماً وُلِد على الإسلام، ومن علم ا لله أنه يصير كافراً ولد على الكفر، فكأنه أول الفطرة بالعلم؛ وتعقب بأنه لو كان كذلك لم يكن لقوله "فأبواه يهودانه الخ" معنى لأنهما فعلا به ما هو الفطرة التي ولد عليها فينافي في التمثيل بحال البهيمة.

ومنها أن المراد أن ا لله خلق فيهم المعرفة والإنكار، فلما أخذ الميثاق من الذرية قالوا جميعاً ﴿**بلى**﴾ أما أهل السعادة فقالوها طوعاً، وأما أهل الشقاوة فقالوها كرها، وقال محمد بن نصر: سمعت إسحاق بن راهويه يذهب إلى هذا

المعنى ويرجحه، وتعقب بأنه يحتاج إلى نقل صحيح، فإنه لا يعرف هـذا التفصيل عند أخذ الميثاق إلا عن السدي و لم يسنده، وكأنه أخذه من الإسرائيليات، حكاه ابن القيم عن شيخه.

ومنها أن المراد بالفطرة الخلقة أي يولد سالماً لا يعرف كفـراً ولا إيمانـاً، ثـم يعتقد إذا بلغ التكليف، ورجحه ابن عبد البر وقال: إنـه يطـابق التمثيـل بالبهيمـة ولا يخالف حديث عياض لأن المراد بقوله ﴿حنيفاً﴾ أي علـى استقامة، وتعقـب بأنـه لـو كـان كذلـك لم يقتصـر في أحـوال التبديـل على ملـل الكفـر دون ملـة الإسلام، و لم يكن لاستشهاد أبي هريرة بالآية معنى.

ومنها قول بعضهم: أن اللام في الفطرة للعهد أي فطرة أبويه، وهو متعقـب بما ذكر في الذي قبله، ويؤيد المذهب الصحيح أن قوله "فأبواه يهودانـه الخ" ليـس فيه لوجود الفطرة شرط بل ذكر ما يمنع موجبها كحصول اليهودية مثلاً متوقـف على أشياء خارجة عن الفطرة، بخلاف الإسلام، وقال ابن القيـم سـبب اختـلاف العلماء في معنى الفطره في هذا الحديـث أن القدريـة كـانوا يحتجّـون بـه علـى أن الكفر والمعصية ليسا بقضاء الله بـل ممـا ابتـدأ النـاس إحداثـه فحـاول جماعـةٌ مـن العلماء مخالفتهم بتأويل الفطره على غير معنى الإسلام ولا حاجة لذلك لأن الآثار المنقولة عن السلف تدل على أنهم لم يفهموا من لفظ الفطرة إلا الإسلام ولا يلزم من حملها على ذلك موافقة مذهب القدريـة، لأن قولـه "فـأبواه يهودانـه... الخ" محمول على أن ذلك يقع بتقدير الله تعالى، ومن ثم احتج عليهم مـالك بقولـه في آخر الحديث "الله أعلم بما كانوا عاملين".ا.هـ من الفتح.

الثالثة: قوله «**فأبواه**» أي المولود، قال الطيبي: الفاء إما للتعقيـب أو السـببية أو جزاء شرط مقدر، أي إذا تقرر ذلك فمن تغير كان بسبب أبويه إما بتعليمهما إيـاه أو بترغيبهمـا فيـه، وكونـه تبعـاً لهمـا في الديـن يقتضـي أن يكـون حكمـه

حكمهما، وخص الأبوين بالذكر للغالب، فلا حجة فيه لمن حكم بإسلام الطفل الذي يموت أبواه كافرين.

الرابعة: قوله «**كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء**» وفي رواية ابن أبي ذئب "كمثل البهيمة تنتج البهيمة" أي تلدها فالبهيمة الثانية بالنصب على المفعولية، قال الطيبي: قوله "كما" حال من الضمير المنصوب في "يهوّدانه" أي يهودان المولود بعد أن خلق على الفطرة تشبيها بحال البهيمة التي جدعت بعد أن خلقت سليمة، أو هو صفة مصدر محذوف أي يغيرانه تغييراً مثل تغييرهم البهيمة السليمة.

وقوله «**تنتج**» بفتح المثناة وأنتج الرجل ناقته ينتجها إنتاجاً.

وقوله «**جمعاء**» أي لم يذهب من بدنها شيء، سميت بذلك لاجتماع أعضائها.

الخامسة: قوله «**هل ترى فيها جدعاء**»؟ قال الطيبي: هو في موضع الحال أي سليمة مقولا في حقها ذلك، وفيه نوع التأكيد أي إن كل من نظر إليها قال ذلك لظهور سلامتها، والجدعاء المقطوعة الأذن، ففيه إيماء إلى أن تصميمهم على الكفر كان بسبب صممهم عن الحق، وقوله "هل تحسون فيها من جدعاء" هو من الإحساس والمراد به العلم بالشيء يريد أنها تولد لا جدع فيه وإنما يجدعها أهلها بعد ذلك.

السادسة: قوله «**ثم يقول ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل...﴾** الخ» الآية، قلت وفي رواية، شعيب ويونس في الجنائز عن الزهري عن أبي سلمة "ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه **﴿فطرة الله التي...﴾** الخ الآية، وكذا عند مسلم في القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة من رواية الزبيدي عن الزهري عن ابن المسيب.

من فقه الحديث

أولاً: في قوله «ما من مولود إلا يولد على الفطرة» شاهد لقول مجاهد وعكرمة وغيرهم أن فطرة الله هي الإسلام.

ثانياً: أن الأصل في الإنسان هو الإسلام وأن الكفر طارئ عليه.

ثالثاً: خطورة البيئة الفاسدة على الناشئ.

تنبيه

وإذا سأل سائل عن حكم أولاد المشركين في الآخرة فجوابه أن أهل العلم قد اختلفوا في هذه المسألة على أقوال:

أحدها: أنهم في مشيئة الله تعالى، وهو منقول عن الحمادين وابن المبارك وإسحاق، ونقله البيهقي في "**الاعتقاد**" عن الشافعي في حق أولاد الكفار خاصة، قال ابن عبدا لبر: وهو مقتضى صنيع مالك، وليس عنده في هذه المسألة شئ منصوص، إلا أن أصحابه صرحوا بأن أطفال المسلمين في الجنة وأطفال الكفار خاصة في المشيئة، والحجة فيه حديث "الله أعلم بما كانوا عاملين".

ثانيها: أنهم تبع لآبائهم، فأولاد المسلمين في الجنة وأولاد الكفار في النار، وحكاه ابن حزم عن الأزارقة من الخوارج، واحتجوا بقوله تعالى ﴿**رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا**﴾ وتعقبه بأن المراد قوم نوح خاصة، وإنما دعا بذلك لما أوحى الله إليه ﴿**أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن**﴾ وأما حديث "هم من آبائهم أو منهم" فذاك ورد في حكم الحربي، وروى أحمد من حديث عائشة " سألت رسول الله ﷺ عن ولدان المسلمين، قال: في الجنة، وعن أولاد المشركين، قال: في النار فقلت: يا رسول الله لم يدركوا الأعمال، قال: ربك أعلم بما كانوا عاملين، لو شئت أسمعتك تضاغيهم في النار" وهو حديث ضعيف جداً لأن في إسناده أبا عقيل مولى بهية وهو متروك.

ثالثها: أنهم يكونون في برزخ بين الجنة والنار، لأنهم لم يعملوا حسنات يدخلون بها الجنة، ولا سيأت يدخلون بها النار.

رابعها: خدم أهل الجنة، وفيه حديث عن أنس ضعيف أخرجه أبو داود الطيالسي وأبو يعلى، وللطبراني والبزار من حديث سمرة مرفوعاً "أولاد المشركين خدم أهل الجنة" وإسناده ضعيف.

خامسها: أنهم يصيرون تراباً، روي عن ثمامة بن أشرس.

سادسها: هم في النار حكاه عياض عن أحمد، وغلطه ابن تيميه بأنه قول لبعض أصحابه ولا يحفظ عن الإمام أصلاً.

سابعها: أنهم يمتحنون في الآخرة بأن ترفع لهم نار، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن أبى عذب، أخرجه البزار من حديث أنس وأبي سعيد، وأخرجه الطبراني من حديث معاذ بن جبل، وقد صحت مسألة الامتحان في حق المجنون ومن مات في الفترة من طرق صحيحة، وحكى البيهقي في "كتاب الاعتقاد" أنه المذهب الصحيح، وتعقب بأن الآخرة ليست دار تكليف فلا عمل فيها ولا ابتلاء، وأجيب بأن ذلك بعد أن يقع الاستقرار في الجنة أو النار، وأما في عرصات القيامة فلا مانع من ذلك، وقد قال تعالى ﴿**يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون**﴾ وفي الصحيحين "أن الناس يؤمرون بالسجود، فيصير ظهر المنافق طبقاً، فلا يستطيع أن يسجد".

ثامنها: أنهم في الجنة، قال النووي: وهو المذهب الصحيح المختار الذي صار إليه المحققون، لقوله تعالى ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً**﴾ وإذا كان لا يعذب العاقل لكونه لم تبلغه الدعوة فلأن لا يعذب غير العاقل من باب الأولى، ولحديث سمرة المذكور في هذا الباب، قلت يعني باب ما قيل في أولاد المشركين ولعل الشاهد منه قوله "والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام والصبيان حوله فأولاد الناس" ولحديث عمة خنساء المتقدم، ولحديث عائشة الآتي قريباً.

تاسعها: الوقف.

عاشرها: الإمساك. وفي الفرق بينهما دقة. انتهى من الفتح.

آخر تفسير سورة الروم و لله الحمد والمنة.

سورة لقمان

سورة لقمان

بسم ا لله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿**ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله**﴾ وهي مكية إلا ثلاث آيات وهي قوله ﴿**ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام**﴾ إلى تمام الآيات الثلاث قاله ابن عباس فيما أخرجه النحاس عنه، وأخرج ابن الضريس وابن مردوية و البيهقي في الدلائل عنه أنها مكية ولم يستثن، وحكى القرطبي عن قتادة أنها مكية إلا آيتين وأخرج النسائي وابن ماجة عن البراء قال: كنا نصلي خلف النبيﷺ الظهر نسمع منه الآية بعد الآية من سورة لقمان والذاريات، وعدد آياتها أربع وثلاثون آية.

٢٦٨ - [باب **﴿لا تشرك با لله إن الشرك لظلم عظيم﴾**].

قلت الآية: **﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك با لله إن الشرك لظلم عظيم﴾**.

يقول تعالى ذكره، لنبيه محمدﷺ: واذكر يا محمد **﴿إذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك با لله﴾**، ثم قال محذراً له **﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾** أي هو أعظم الظلم. ا.هـ من ابن كثير.

«ووجه كونه ظلماً عظيماً أنه لا أفظع ولا أبشع ممن سوى المخلوق من تراب بمالك الرقاب، وسوى الذي لا يملك من الأمر شيئاً بمالك الأمر كله وسوى الناقص الفقير من جميع الوجوه، بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوى من لا يستطيع أن ينفع بمثقال ذرة من النفع، بالذي ما بالخلق نعمة في دينهم ودنياهم وأخراهم وقلوبهم وأبدانهم إلا منه ولا يصرف السوء إلا هو فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟!» اهـ من تفسير ابن سعدي.

من فقه الآية

أولاً: فضيلة لقمان.

ثانياً: وجوب تربية الناشئة على عبادة ا لله الخالصة.

ثالثاً: تسمية الشرك با لله ظلماً عظيماً.

٢٩٧- حدثنا قتيبة بن سعيد: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد ا لله رضي ا لله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ شق ذلك على أصحاب رسول ا لله ﷺ، وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول ا للهﷺ: (إنه ليس بذاك، ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾).

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله: «**لما نزلت هذه الآية**» وفي الإيمان باب ظلم دون ظلم من رواية شعبة (لما نزلت ﴿**الذين آمنوا**﴾) قلت وعليها بوب المصنف في تفسير سورة الأنعام وتقدم شرحها هناك.

الثانية: قوله: «شق ذلك على أصحاب رسول ا للهﷺ » في الإيمان قال أصحاب رسول ا للهﷺ دون لفظ شق.

الثالثة: قوله: «**أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟**» قلت لقد شق وقع آية الأنعام على قلوب القوم وفهموا من عمومها نفي الأمن عمن خالط إيمانه ظلم صغيراً كان أو كبيراً وهذا فهم صحيح إذ الأصل في العموم أنه كلي الدلالة لولا أن نبههم النبيﷺ على مراد ا لله منها كما سيأتي.

الرابعة: قوله: «**إنه ليس بذاك**» في رواية وكيع (فقال ليس كما تظنون) وفي رواية عيسى بن يونس إنما هو الشرك ألم تسمعوا إلى ما قال لقمان) قلت وهذا ظاهر في أن نزول آية لقمان هذه قبل آية الأنعام ولذلك نبههم عليها، وفيه دليل آخر وهو أن عموم آية الأنعام ليس على إطلاقه بل هو عام يراد به الخصوص وذلك الخصوص هو الشرك الأكبر.

الخامسة: قوله: «**ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾**».

إن قيل لا يلزم من قوله ﴿**إن الشرك لظلم عظيم**﴾ أن غير الشرك لا يكون ظلماً فالجواب أن التنوين في قوله لظلم للتعظيم، وقد بين ذلك استدلال الشارع بالآية الثانية فالتقدير لم يلبسوا إيمانهم بظلم عظيم أي بشرك، إذ لا ظلم أعظم منه، وقد ورد ذلك صريحاً في قصة إبراهيم الخليل من طريق حفص بن غياث عن الأعمش ولفظه (قلنا يا رسول ا لله أينا لم يظلم نفسه؟ قال ليس كما تقولون لم يلبسوا إيمانهم بظلم بشرك، أو لم تسمعوا إلى قول لقمان) فذكر الآية.

٢٦٩ - [باب ﴿إن ا لله عنده علم الساعة﴾

ش: تمامها **﴿وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن ا لله عليم خبير﴾.**

هذه مفاتيح الغيب التي استأثر ا لله تعالى بعلمها، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى له بها، فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا يجليها لوقتها إلا هو وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا ا لله، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك، وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غداً في دنياها وأخراها، **﴿وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾** في بلدها أو غيره من أي بلاد ا لله كان، لا علم لأحد بذلك، وهذه شبيهة بقوله تعالى **﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو...الآية﴾.**

وقوله **﴿إن ا لله عليم خبير﴾** يقول إن الذي يعلم ذلك كله، هو ا لله دون كل أحد سواه، إنه ذو علم بكل شئ لا يخفى عليه شئ، خبير بما هو كائن وما قد كان.

من فقه الآية:

أولاً: اختصاص الرب جل وعلا بعلم هذه الأشياء.

ثانياً: هذه الآية بيان لما أجمل في آية الأنعام **﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾.**

ثالثاً: سعة علم ا لله سبحانه وتعالى وأنه لا يعزب عنه شئ.

٢٩٨- حدثني إسحاق، عن جرير، عن أبي حيان، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة رضي ا لله عنه: أن رسول ا لله ﷺ كان يوماً بارزاً للناس، إذ أتاه رجل يمشي، فقال: يا رسول ا لله ما الإيمان؟ قال: (الإيمان: أن تؤمن با لله وملائكته ورسله ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر). قال: يا رسول ا لله ما الإسلام؟ قال: (الإسلام: أن تعبد ا لله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة،

وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان). قال يا رسول ا لله ما الإحسان؟ قال: (الإحسان: أن تعبد ا لله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك). قال: يا رسول ا لله متى الساعة؟ قال: (ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت المرأة ربتها، فذاك من أشراطها، وإذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس، فذاك من أشراطها، في خمس لا يعلمهن إلا ا لله: ﴿إن ا لله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام﴾). ثم انصرف الرجل، فقال: (ردوا علي). فأخذوا ليردوا فلم يروا شيئاً، فقال: (هذا جبريل، جاء ليعلم الناس دينهم).

٢٩٩- حدثنا يحيى بن سليمان قال: حدثني ابن وهب قال: حدثني عمر بن محمد بن زيد بن عبد ا لله بن عمر: أن أباه حدثه: أن عبد ا لله بن عمر رضي ا لله عنهما قال: قال النبيﷺ: (مفاتيح الغيب خمس، ثم قرأ: ﴿إن ا لله عنده علم الساعة﴾).

ش: فيهما خمس وعشرون مسألة:

الأولى: قوله: «**أن رسول ا لله ﷺ كان يوماً بارزاً للناس**» في الإيمان باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان (كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس) أي ظاهراً لهم غير محتجب عنهم ولا ملتبس بغيره، والبروز الظهور، وقد وقع في رواية أبي فروه بيان ذلك، فإن أوله: كان رسول ا لله ﷺ يجلس بين أصحابه فيجئ الغريب فلا يدري أيهم هو، فطلبنا إليه أن نجعل له مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه، قال: فبنينا له دكانا من طين كان يجلس عليه. ا.هـ

واستنبط منه القرطبي استحباب جلوس العالم بمكان يختص به ويكون مرتفعاً إذا احتاج لذلك لضرورة تعليم ونحوه.

الثانية: قوله: «**إذ أتاه رجل يمشي**» في الإيمان (أتاه رجل) أي ملك في صورة رجل، ولأبي فروه: (فإنا لجلوس عنده إذ أقبل رجل أحسن الناس وجهاً

وأطيب الناس ريحاً كأن ثيابه لم يمسها دنس) ولمسلم في الإيمان باب الإسلام والإيمان والإحسان من طريق كهمس في حديث عمر: بينما نحن ذات يوم عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، وفي رواية ابن حبان سواد اللحية، لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه، وفي رواية لسليمان التيمي عند ابن مندة في كتاب الإيمان (١/ ١٤٦): ليس عليه سحناء السفر، وليس من البلد، فتخطى حتى برك بين يدي النبي ﷺ كما يجلس أحدنا في الصلاة، ثم وضع يده على ركبتي النبي ﷺ، فأفادت هذه الرواية أن الضمير في قوله على فخذيه يعود على النبي ﷺ، وبه جزم البغوي وإسماعيل التيمي لهذه الرواية ورجحه الطيبي بحثاً لأنه نسق الكلام، وهذا وإن كان ظاهراً من السياق لكن وضعه يديه على فخذ النبي ﷺ صنيع منبه للإصغاء إليه، وفيه إشارة لما ينبغي للمسؤول من التواضع والصفح عما يبدو من جفاء السائل، والظاهر أنه أراد بذلك المبالغة في تعمية أمره ليقوى الظن بأنه من جفاة الأعراب، ولهذا تخطى الناس حتى انتهى إلى النبي ﷺ كما تقدم، ولهذا استغرب الصحابة صنيعه، ولأنه ليس من أهل البلد وجاء ماشياً ليس عليه أثر سفر، فإن قيل: كيف عرف عمر أنه لم يعرفه أحد منهم؟ أجيب بأنه يحتمل أن يكون استند في ذلك إلى ظنه، أو إلى صريح قول الحاضرين؛ والثاني أولى كما في رواية عثمان بن غياث فإن فيها: فنظر القوم بعضهم إلى بعض فقالوا: ما نعرف هذا. وسبب ورود هذا الحديث كما عند مسلم في رواية عمارة ابن القعقاع: قال رسول ﷺ: سلوني، فهابوا أن يسألوه، قال فجاء رجل.

الثالثة: قوله «**فقال يا رسول الله**» فإن قيل: فكيف بدأ بالسؤال قبل السلام؟ أجيب بأنه يحتمل أن يكون ذلك مبالغة في التعمية لأمره، أو ليبين أن ذلك غير واجب، أو سلم فلم ينقله الراوي، وهذا الثالث هو الصحيح كما ثبت

في رواية أبي فروه، ففيها بعد قوله كأن ثيابه لم يمسها دنس حتى سلم من طرف البساط فقال: السلام عليك يا محمد، فرد عليه السلام؛ قال: أدنو يا محمد؟ قال: أدن؛ فما زال يقول أدنو مراراً ويقول له أدن، ونحوه في رواية عطاء عن ابن عمر، لكن قال: السلام عليك يا رسول الله، وفي رواية مطر الوراق فقال: يا رسول الله أدنو منك؟ قال أدن، ولم يذكر السلام؛ فاختلفت الروايات هل قال له يا محمد أو يا رسول الله، هل سلم أو لا، فأما السلام فمن ذكره مقدم على من سكت عنه، وقال القرطبي بناء على أنه لم يسلم وقال يا محمد: إنه أراد بذلك التعمية فصنع صنيع الأعراب، ويجمع بين الروايتين بأنه بدأ أولا بندائه باسمه لهذا المعنى، ثم خاطبه بقوله يا رسول الله، ووقع عند القرطبي أنه قال: السلام عليكم يا محمد، فاستنبط منه أنه يستحب للداخل أن يعمم بالسلام ثم يخصص من يريد تخصيصه» ا.هـ

قال الحافظ والذي وقفت عليه من الروايات إنما فيه الإفراد وهو قوله: السلام عليك يا محمد.

الرابعة: قوله «**ما الإيمان؟**» قيل قدم السؤال عن الإيمان لأنه اصل، وثنى بالإسلام لأنه يظهر مصداق الدعوى، وثلث بالإحسان لأنه متعلق بهما، وفي رواية عمارة بن القعقاع: بدأ بالإسلام لأنه بالأمر الظاهر، وثنى بالإيمان لأنه بالأمر الباطن، ورجح هذا الطيبي لما فيه من الترقي، ولا شك أن القصة واحدة اختلف الرواة في تأديتها، وليس في السياق ترتيب، ويدل عليه رواية مطر الوراق فإنه بدأ بالإسلام وثنى بالإحسان وثلث بالإيمان، فالحق أن الواقع أمر واحد، والتقديم والتأخير وقع من الرواة والله أعلم. قاله الحافظ، قلت وفيه دليل على صحة الرواية بالمعنى.

الخامسة: قوله «**قال: الإيمان أن تؤمن بالله...الخ**» دل الجواب أنه علم أنه سأله عن متعلقاته لا عن معنى لفظه، وإلا لكان الجواب: الإيمان التصديق،

قلت وهذا في اللغة أما في الشرع فهو قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وقال الطيبي: هذا يوهم التكرار، وليس كذلك، فإن قوله أن تؤمن با لله مضمن معنى أن تعترف به، ولهذا عدّاه بالباء، أي أن يصدق معترفاً بكذا، قال الحافظ: والتصديق أيضاً يعدى بالباء فلا يحتاج إلى دعوى التضمين، وقال الكرماني: ليس هو تعريفاً للشيء بنفسه، بل المراد من المحدود الإيمان الشرعي، ومن الحد الإيمان اللغوي، قال الحافظ: والذي يظهر أنه إنما أعاد لفظ الإيمان للاعتناء بشأنه تفخيماً لأمره، وفيه قوله تعالى **﴿قل يحيها الذي أنشأها أول مرة﴾** في جواب **﴿من يحيي العظام وهي رميم﴾**، يعني أن قوله أن تؤمن إيماناً يحصل منه الإيمان فكأنه قال: الإيمان الشرعي تصديق مخصوص، وإلا لكان الجواب: الإيمان التصديق، والإيمان با لله هو التصديق بوجوده وأنه متصف بصفات الكمال منزه عن صفات النقص، كما يتضمن الإيمان بربوبيته وأنه رب كل شيء ومليكه وخالقه وبألوهيته وهي عبادته وحده دون من سواه.

السادسة: قوله «**وملائكته**» الإيمان بالملائكة هو التصديق بوجودهم وأنهم كما وصفهم ا لله تعالى **﴿عباد مكرمون﴾** وقدم الملائكة على الكتب والرسل نظراً للترتيب الواقع، لأنه سبحانه وتعالى أرسل الملك بالكتاب إلى الرسول، ولأن الملائكة موجودون قبل الرسل في الخلق، واعلم أن الملائكة مخلوقون من نور كما في صحيح مسلم (وخلقت الملائكة من نور)

السابعة: قوله «**ورسله**» الرسل جمع رسول وهو في اللغة من بعث برسالة وشرعاً هو من أوحى ا لله إليه بشرع وأمره بتبليغه، ووقع في حديث أنس وابن عباس (والملائكة والكتاب والنبيين)، وكل من السياقين في القرآن و في سورة البقرة خاصة، والإيمان بالرسل التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن ا لله، ودل الإجمال في الملائكة والرسل على الاكتفاء بذلك في الإيمان بهم من غير تفصيل، إلا من ثبت تسميته فيجب الإيمان به على التعيين، وفي الكتاب العزيز

﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾ فالواجب الإيمان بجميع رسل الله من سمى الله منهم مثل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ومن لم يسم، قال تعالى ﴿ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك﴾.

الثامنة: قوله «**وبلقائه**» وفي الإيمان وقعت بين الكتب والرسل، وكذا لمسلم من الطريقين، ولم تقع في بقية الروايات، وقد قيل إنها مكررة لأنها داخلة في الإيمان بالبعث، والحق أنها غير مكررة، فقيل المراد بالبعث القيام من القبور، والمراد باللقاء ما بعد ذلك، وقيل اللقاء يحصل بالانتقال من دار الدنيا، والبعث بعد ذلك، ويدل على هذا رواية مطر الوراق فإن فيها (وبالموت وبالبعث بعد الموت)، وكذا في حديث أنس وابن عباس، وقيل المراد باللقاء رؤية الله، ذكره الخطابي، وتعقبه النووي بأن أحداً لا يقطع لنفسه برؤية الله، فإنها مختصة بمن مات مؤمنا، والمرء لا يدري بم يختم له، فكيف يكون ذلك من شروط الإيمان؟ وأجيب بأن المراد الإيمان بأن ذلك حق في نفس الأمر، وهذا من الأدلة القوية لأهل السنة في إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة إذ جعلت من قواعد الإيمان.

التاسعة: قوله «**وتؤمن بالبعث الآخر**» ولمسلم في حديث عمر (واليوم الآخر) فأما البعث الآخر فقيل ذكر الآخر تأكيداً كقولهم أمس الذاهب، وقيل لأن البعث وقع مرتين:

الأولى: الإخراج من العدم إلى الوجود أو من بطون الأمهات بعد النطفة والعلقة إلى الحياة الدنيا.

والثانية: البعث من بطون القبور إلى محل الاستقرار، وأما اليوم الآخر فقيل له ذلك لأنه آخر أيام الدنيا أو آخر الأزمنة المحدودة، والمراد بالإيمان به التصديق بما يقع فيه من الحساب والميزان والجنة والنار والحوض والصراط والقنطرة التي يوقف عليها أهل الجنة لتنقيتهم وتهذيبهم.

فوائد :

الفائدة الأولى:

في حديث عمر عند مسلم في باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان من كتاب الإيمان برواية كهمس (وتؤمن بالقدر خيره وشره) وفيه برواية عمارة بن القعقاع (وتؤمن بالقدر كله) وفي حديث ابن عباس وهو في رواية عطاء عن ابن عمر بزيادة (وحلوه ومره من ا لله).

الفائدة الثانية:

قال مقيده واعلم أن معنى القدر كما دل عليه الكتاب والسنة هو تقدير كل شئ تقديراً مسبقاً على خلقه وحدوثه أي تحديده ماهية وخاصية وصفة كماً وكيفاً زمانا ومكاناً.

فمن دليل تقدير الخلق قوله ﴿**وخلق كل شئ فقدره تقديراً**﴾.

ومن دليل تقدير الماهية والخاصية للمخلوق قوله ﴿**إنا كل شئ خلقناه بقدر**﴾.

ومن دليل تقديره سبحانه للمخلوقات زماناً وأجلاً قوله ﴿**ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**﴾.

وأما مراتب القدر فأربع:

الأولى: العلم وهو إن ا لله قد علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

الثانية: الكتابة وهي أن ا لله كتب مقادير الأشياء إلى قيام الساعة وفق علمه في اللوح المحفوظ.

الثالثة: المشيئة فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فكل شئ خاضع لسلطانه مقهور به.

الرابعة: الخلق فإنه سبحانه وتعالى خالق كل شئ.

هذا هو القدر العام أو الإجمالي وينقسم من حيث العلم والكتابة تفصيلاً إلى ثلاث مراتب:

الأولى: التقدير العمري كما في حديث الصادق المصدوق، قال: (**ثم يرسل ا لله إليه الملك فينفخ في الروح، ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد**).

الثانية: التقدير الحولي وهو تقدير ما يحصل في السنة من أرزاق وآجال وغير ذلك من ليلة القدر في رمضان إلى مثلها كما قال تعالى ﴿**إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين، فيها يفرق كل أمر حكيم، أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين**﴾ فالشاهد في قوله يفرق، قال أهل العلم: معناه يفصل.

الثالثة: التقدير اليومي وهو تقدير ما يكون في كل يوم بحسبه قال تعالى ﴿**كل يوم هو في شأن...** ﴾ قال أهل العلم: من إعزاز وإذلال وإحياء وإماتة وغير ذلك.

الفائدة الثالثة:

اعلم أن أركان الإيمان الستة قد جاءت في القرآن فقد ذكرت الخمسة الأولى منها في آية من سورة البقرة وهي ﴿**ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن با لله واليوم الآخر و الملائكة و الكتاب و النبيين**﴾، وذكر السادس في قوله تعالى من سورة القمر ﴿**إنا كل شئ خلقناه بقدر**﴾.

العاشرة: قوله: «**أن تعبد ا لله ولا تشرك به شيئاً**» قال النووي: «يحتمل أن يكون المراد بالعبادة معرفة ا لله فيكون عطف الصلاة وغيرها عليها لإدخالها في الإسلام، ويحتمل أن يكون المراد بالعبادة الطاعة مطلقاً، فيدخل فيه جميع الوظائف، فعلى هذا يكون عطف الصلاة وغيرها من عطف الخاص على العام وتعقبه الحافظ فقال: أما الاحتمال الأول فبعيد، لأن المعرفة من متعلقات الإيمان،

وأما الإسلام فهو أعمال قوليه وبدنية، وقد عبر في حديث عمر هنا بقوله (أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله) فدل على أن المراد بالعبادة في حديث الباب النطق بالشهادتين، وبهذا تبين دفع الاحتمال الثاني، ولما عبر الراوي بالعبادة إحتاج أن يوضحها بقوله"(ولا تشرك به شيئاً) ولم يحتج إليها في رواية عمر لإستلزامها ذلك» ا.هـ من الفتح (١/١١٩)، قلت وفي هذا دليل على أنه لا يكفي العبادة بل لابد من إخلاصها لله وحده.

وقد تبين ذلك بقول النبي ﷺ في آخر الحديث (هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم) فإن قيل: لم لم يذكر الحج؟ أجاب بعضهم باحتمال أنه لم يكن فرض، وهو مرجوح بما رواه ابن مندة في كتاب الإيمان بإسناده الذي على شرط مسلم من طريق سليمان التيمي في حديث عمر أوله (أن رجلا في آخر عمر النبي ﷺ جاء إلى رسول الله ﷺ) فذكر الحديث بطوله، وآخر عمره يحتمل أن يكون بعد حجة الوداع فإنها آخر سفراته، ثم بعد قدومه بقليل دون ثلاثة أشهر مات، وكأنه إنما جاء بعد إنزال جميع الأحكام لتقرير أمور الدين ـ التي بلّغها متفرقة ـ في مجلس واحد، لتنضبط، ويستنبط منه جواز سؤال العالم ما لا يجهله السائل ليعلمه السامع، وأما الحج فقد ذكر لكن بعض الرواة إما ذهل عنه وإما نسيه، والدليل على ذلك اختلافهم في ذكر بعض الأعمال دون بعض، ففي رواية كهمس (وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً) وكذا في حديث أنس، وفي رواية عطاء الخراساني لم يذكر الصوم، وفي حديث أبي عامر ذكر الصلاة والزكاة فقط، ولم يذكر في حديث ابن عباس مزيداً على الشهادتين، وذكر سليمان التيمي في روايته الجميع، وزاد بعد قوله وتحج (وتعتمر وتغتسل من الجنابة وتتمم الوضوء) وقال مطر الوراق في روايته (وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة) قال فذكر عرى الإسلام، فتبين أن بعض الرواة ضبط ما لم يضبطه غيره.

الحادية عشرة: قوله «**وتقيم الصلاة**» زاد مسلم في الإيمان (المكتوبة) أي المفروضة، وإنما عبر بالمكتوبة للتفنن في العبارة، فإنه عبر في الزكاة بالمفروضة، ولإتباع قوله تعالى ﴿**إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتاً**﴾ واعلم بأن إقامة الصلاة يكون بالإتيان بها تامة بشروطها وأركانها وواجباتها وكامل هيئاتها مع المحافظة عليها في أوقاتها.

الثانية عشرة: قوله (وتؤتى الزكاة المفروضة) في الإيمان (وتؤدي الزكاة المفروضة) والزكاة **لغة:** النماء والزيادة، يقال زكى يزكوا إذا نمى وزاد.

وفي **الشرع:** واجب مالي مخصوص في مال مخصوص.

الثالثة عشرة: قوله «وتصوم رمضان» استدل به على قول رمضان من غير إضافة شهر إليه، وأما ما رواه ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرضي وسعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (لا تقولوا رمضان فإن رمضان اسم من أسماء الله ولكن قولوا شهر رمضان) فمردود من وجهين:

الأول: في اسناده أبو معشر وهو ضعيف.

الثاني: معارضة هذا النص بالسنة الصحيحة عن النبي ﷺ التي جاء فيها تسمية شهر الصوم المعروف برمضان ومنها حديث الباب، فإن قال قائل كيف تصنع بزواية هذا الخبر عند البيهقي في السنن الكبرى مرفوعاً عن النبي ﷺ، قلنا الجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه:

أولها: لم يثبت في أثر أن اسم رمضان أطلق على الله جل وعلا.

ثانيها: أن مدار الخبر كما في سنن البيهقي على أبي معشر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

ثالثها: في كلام البيهقي رحمه الله ما يدل على توهين الخبر حيث قال: «وهذا رواه الحارث عن عبد الله الخازن عن أبي معشر وأبو معشر هو نجيح السندي ضعفه يحيى بن معين، وكان يحيى القطان لا يحدث عنه، وكان عبد

الرحمن بن مهدي يحدث عنه وا لله أعلم، وقد قيل عن أبي معشر عن محمد بن كعب من قوله وهو أشبه» اهـ

الرابعة عشرة: قوله «**الإحسان**» هو مصدر، تقول أحسن يحسن إحساناً، ويتعدى بنفسه وبغيره تقول أحسنت كذا إذا أتقنته، وأحسنت إلى فلان إذا أوصلت إليه النفع، والأول هو المراد لأن المقصود إتقان العبادة، وقد يلحظ الثاني بأن المخلص مثلاً محسن بإخلاصه إلى نفسه، وإحسان العبادة الإخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها ومراقبة المعبود، وأشار في الجواب إلى حالتين:

أرفعهما: أن يغلب عليه مشاهدة الحق بقلبه حتى كأنه يراه بعينه وهو قوله (كأنك تراه) أي وهو يراك.

والثانية: أن يستحضر أن الحق مطلع عليه يرى كل ما يعمل، وهو قوله (فإنه يراك).

وهاتان الحالتان يثمرهما معرفة ا لله وخشيته، وقد عبر في رواية عمارة بن القعقاع بقوله (أن تخشى ا لله كأنك تراه) وكذا في حديث أنس.

قال النووي: معناه أنك إنما تراعي الآداب المذكورة إذا كنت تراه ويراك، لكونه يراك لا لكونك تراه فهو دائما يراك، فأحسن عبادته وإن لم تره، فتقدير الحديث: فإن لم تكن تراه فاستمر على إحسان العبادة فإنه يراك، قال: وهذا القدر من الحديث أصل عظيم من أصول الدين، وقاعدة مهمة من قواعد المسلمين، وهو عمدة الصديقين وبغية السالكين وكنز العارفين ودأب الصالحين، وهو من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ، وقد ندب أهل التحقيق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعاً من التلبس بشيء من النقائص احتراماً لهم واستحياء منهم.

تنبيه:

في قوله أن تعبد الله فيه دليل على أن رؤية الله في الدنيا بالأبصار غير واقعة، وقد صرح مسلم في روايته من حديث أبي أمامه بقولهﷺ (واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا).

فائدة:

زاد مسلم في الإيمان في رواية عمارة بن القعقاع قول السائل (صدقت) عقب كل جواب من الأجوبة الثلاثة، وزاد أبو فروه في روايته (فلما سمعنا قول الرجل صدقت أنكرناه) وفي رواية كهمس (فعجبنا له يسأله ويصدقه) وفي رواية مطر (انظروا إليه كيف يسأله وانظروا إليه كيف يصدقه)وفي حديث أنس (انظروا وهو يسأله ويصدقه كأنه أعلم منه) وفي رواية سليمان بن بريده (قال القوم: ما رأينا رجلا مثل هذا، كأنه يعلم رسول اللهﷺ، يقول له: صدقت صدقت) قال القرطبي: إنما عجبوا من ذلك لأن ما جاء به النبيﷺ لا يعرف إلا من جهته، وليس هذا السائل ممن عرف بلقاء النبيﷺ ولا بالسماع منه، ثم هو يسأل سؤال عارف بما يسأل عنه لأنه يخبره بأنه صادق فيه، فتعجبوا من ذلك تعجب المستبعد لذلك.

الخامسة عشرة: قوله «متى الساعة» أي متى تقوم الساعة؟ وصرح به في رواية عمارة بن القعقاع، واللام للعهد، والمراد يوم القيامة.

السادسة عشرة: قوله «**ما المسؤل عنها بأعلم من السائل**» "ما" نافية، وزاد في رواية أبي فروه (فنكس فلم يجبه، ثم أعاد فلم يجبه ثلاثاً، ثم رفع رأسه فقال، ما المسؤل)، وقوله (بأعلم) الباء صلة واقعة في خبر ما لتأكيد النفي، وهذا وإن كان مشعراً بأن كلاً منهما ليس له علم بوقتها كما يوضحه قوله بعد (خمس لا يعلمها إلا الله)، وفي حديث ابن عباس فقال (سبحان الله، خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله) ثم تلا الآية.

قال النووي: يستنبط منه أن العالم إذا سئل عما لا يعلم يصرح بأنه لا يعلمه، ولا يكون في ذلك نقص من مرتبته، بل يكون ذلك دليلا على مزيد ورعه.

وقال القرطبي: مقصود هذا السؤال كف السامعين عن السؤال عن وقت الساعة، لأنهم قد أكثروا السؤال عنها كما ورد في كثير من الآيات والأحاديث، فلما حصل الجواب بما ذكر هنا حصل اليأس من معرفتها، بخلاف الأسئلة الماضية فإن المراد بها استخراج الأجوبة ليتعلمها السامعون ويعملوا بها، ونبه بهذه الأسئلة على تفصيل ما يمكن معرفته مما لا يمكن، وقال (من السائل) ولم يقل منك، لسر لطيف وهو العدول إلى لفظ يشعر بالتعميم تعريضاً للسامعين، أي أن كل مسئول وكل سائل فهو كذلك لا يعلم وقت قيام الساعة.

السابعة عشرة: قوله «**سأحدثك بأشراطها**» في الإيمان وفي رواية أبي فروه (ولكن لها علامات تعرف بها)، وفي رواية كهمس (قال فأخبرني عن أماراتها فأخبره بها فترددنا) فحصل التردد هل ابتداه بذكر الأمارات أو السائل سأله عن الأمارات، ويجمع بينهما بأنه ابتدأ بقوله وسأخبرك، فقال له السائل: فأخبرني، ويدل على ذلك رواية سليمان التيمي ولفظها (ولكن إن شئت نبأتك عن أشراطها، قال أجل) ونحوه في حديث ابن عباس وزاد (فحدثني) وقد حصل تفصيل الأشراط من الرواية الأخرى وأنها العلامات، وهي بفتح الهمزة جمع شرط بفتحتين كقلم وأقلام، ويستفاد من اختلاف الروايات أن التحديث والإخبار والإنباء بمعنى واحد، وإنما غاير بينها أهل الحديث اصطلاحاً.

قال القرطبي: علامات الساعة على قسمين:

ما يكون من نوع المعتاد، أو غيره، والمذكور هنا الأول، وأما الغير مثل طلوع الشمس من مغربها فتلك مقاربة لها أو مضايقة والمراد هنا العلامات السابقة على ذلك. وا لله أعلم.

الثامنة عشرة: قوله «**إذا ولدت**» التعبير بإذا للإشعار بتحقق الوقوع، ووقعت هذه الجملة بياناً للأشراط نظراً إلى المعنى، والتقدير ولادة المرأة وترؤس الحفاة العراة، وفي الإيمان بلفظ (وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان) فتحصل أن الأشراط ثلاثة، وإنما بعض الرواة اقتصر على اثنين منها كما تراه هنا وفي الإيمان، وفي رواية محمد بن بشر التي أخرج مسلم إسنادها وساق ابن خزيمة لفظها عن أبي حيان ذكر الثلاثة، وكذا في مستخرج الإسماعيلي من طريق ابن علية، وكذا ذكرها عمارة بن القعقاع، ووقع مثل ذلك في حديث عمر، ففي رواية كهمس ذكر الولادة والتطاول فقط ووافقه عثمان بن غياث، وفي رواية سليمان التيمي ذكر الثلاثة، ووافقه عطاء الخراساني، وكذا ذكرت في حديث ابن عباس وأبي عامر.

التاسعة عشرة: قوله «**المرأة ربتها**» بتاء التأنيث، وكذا في حديث عمر، ولمحمد بن بشر مثله وزاد (يعني السراري)، وفي الإيمان (ربها) وفي رواية عمارة بن القعقاع (إذا رأيت المرأة تلد ربها) ونحوه لأبي فروة، وفي رواية عثمان بن غياث (الإماء أربابهن) بلفظ الجمع، والمراد بالرب المالك أو السيد، وقد اختلف العلماء فيه على أقوال كثيرة لخصها الحافظ في أربعة أقوال وهي:

أولاً: قال الخطابي: معناه اتساع الإسلام واستيلاء أهله على بلاد الشرك وسبي ذراريهم، فإذا ملك الرجل الجارية واستولدها كان الولد منها بمنزلة ربها لأنه ولد سيدها، قال النووي وغيره: إنه قول الأكثرين، قلت: لكن في كونه المراد نظر، لأن استيلاد الإماء كان موجوداً حين المقالة، والاستيلاء على بلاد الشرك وسبي ذراريهم واتخاذهم سراري وقع أكثره في صدر الإسلام، وسياق الكلام يقتضي الإشارة إلى وقوع ما لم يقع مما سيقع قرب قيام الساعة، وقد فسره وكيع في رواية ابن ماجه بأخص من الأول قال: أن تلد العجم العرب، ووجهه بعضهم بأن الإماء يلدن الملوك فتصير الأم من جملة الرعية والملك سيد

رعيته، وهذا لإبراهيم الحربي، وقربه بأن الرؤساء في الصدر الأول كانوا يستنكفون غالباً من وطء الإماء ويتنافسون في الحرائر، ثم انعكس الأمر ولا سيما في أثناء دولة بني العباس، ولكن رواية ربتها بتاء التأنيث قد لا تساعد على ذلك, وخصه بعضهم بأن السبي إذا كثر فقد يسبى الولد أولاً وهو صغير ثم يعتق ويكبر ويصير رئيساً بل ملكاً ثم تسبى أمه فيما بعد فيشتريها عارفاً بها، أو وهو لا يشعر أنها أمه، فيستخدمها أو يتخذها موطوءة أو يعتقها ويتزوجها، وقد جاء في بعض الروايات (أن تلد الأمة بعلها) وهي عند مسلم فحمل على هذه الصورة، وقيل المراد بالبعل المالك وهو أولى لتتفق الروايات.

الثاني: أن تبيع السادة أمهات أولادهم ويكثر ذلك فيتداول الملاك المستولدة حتى يشتريها ولدها ولا يشعر بذلك، وعلى هذا فالذي يكون من الأشراط غلبة الجهل بتحريم بيع أمهات الأولاد أو الاستهانة بالأحكام الشرعية، فإن قيل: هذه المسألة مختلف فيها فلا يصلح الحمل عليها، لأنه لا جهل ولا استهانة عند القائل بالجواز، قلنا: يصلح أن يحمل على صورة اتفاقية كبيعها في حال حملها، فإنه حرام بالإجماع.

الثالث: وهو من نمط الذي قبله، قال النووي: لا يختص شراء الولد أمه بأمهات الأولاد، بل يتصور في غيرهن بأن تلد الأمة حراً من غير سيدها بوطء شبهة، أو رقيقاً بنكاح أو زناً ثم تباع الأمة في الصورتين بيعاً صحيحاً ويدور في الأيدي حتى يشتريها ابنها أو ابنتها، ولا يعكر على هذا تفسير محمد بن بشر بأن المراد السراري لأنه تخصيص بغير دليل.

الرابع: أن يكثر العقوق في الأولاد فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة بالسب والضرب والاستخدام، فأطلق عليه ربها مجازاً لذلك، أو المراد بالرب المربي فيكون حقيقة، قال وهذا أوجه الأوجه عندي لعمومه، ولأن المقام يدل على أن المراد حالة تكون مع كونها تدل على فساد الأحوال مستغربة،

ومحصله الإشارة إلى أن الساعة يقرب قيامها عند انعكاس الأمور بحيث يصير المربَّى مربياً والسافل عالياً، وهو مناسب لقوله في العلامة الأخرى أن يصير الحفاة ملوك الأرض.

تنبيه:

يجمع بين ما في هذا الحديث من إطلاق الرب على السيد المالك في قوله (ربها) وبين ما في الحديث الآخر وهو في الصحيح (لا يقل أحدكم أطعم ربك وضئ ربك اسق ربك وليقل سيدي ومولاي) بأن اللفظ هنا خرج على سبيل المبالغة أو المراد بالرب هنا المربي، وفي المنهي عنه السيد، أو أن النهي عنه متأخر، أو مختص بغير الرسول ﷺ.

العشرون: قوله «**وإذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس**» زاد الإسماعيلي، وفي رواية أبي فروه مثله، والمراد بهم أهل البادية كما صرح به في رواية سليمان التيمي وغيره، قال: ما الحفاة العراة؟ قال: العريب، وهو بالعين المهملة على التصغير.

قال الحافظ: وفي الطبراني من طريق أبي حمزة عن ابن عباس مرفوعاً (من انقلاب الدين تفصح النبط واتخاذهم القصور في الأمصار)، قال القرطبي: المقصود الإخبار عن تبدل الحال بأن يستولي أهل البادية على الأمر ويتملكوا البلاد بالقهر فتكثر أموالهم وتنصرف هممهم إلى تشييد البنيان والتفاخر به، وقد شاهدنا ذلك في هذه الأزمان، ومنه الحديث الآخر (لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع) ومنه (إذا وسد الأمر - أي أسند - إلى غير أهله فانتظروا الساعة) وكلاهما في الصحيح.

الحادية والعشرون: قوله «**في خمس لا يعلمهن إلا الله**» وكذا في الإيمان، أي علم وقت الساعة داخل في جملة خمس، وحذف متعلق الجار سائغ كما في قوله تعالى ﴿**في تسع آيات**﴾ أي اذهب إلى فرعون بهذه الآية في جملة تسع

آيات، وفي رواية عطاء الخراساني (قال فمتى الساعة؟ قال: هي في خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله).

قال القرطبي: «لا مطمع لأحد في علم شئ من هذه الأمور الخمسة لهذا الحديث، وقد فسر النبيﷺ قول الله تعالى ﴿**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو**﴾ بهذه الخمس وهو في الصحيح، إلى أن قال: فمن ادعى علم شئ منها غير مسندة إلى رسول اللهﷺ كان كاذباً في دعواه، وقد نقل ابن عبد البر الإجماع على تحريم أخذ الأجرة والجعل وإعطائها في التنجيم وجاء عن ابن مسعود قال: أوتي نبيكمﷺ علم كل شئ سوى هذه الخمس، وعن ابن عمر مرفوعاً نحوه أخرجهما أحمد، وأخرج حميد بن زنجويه عن بعض الصحابة أنه ذكر العلم بوقت الكسوف قبل ظهوره فأنكر عليه فقال: إنما الغيب خمس - وتلا هذه الآية - وما عدا ذلك غيب يعلمه قوم ويجهله قوم» .

الثانية والعشرون: قوله ﴿**إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام**﴾ وفي الإيمان ﴿**إن الله عنده علم الساعة...**﴾ أي تلا الآية إلى آخر السورة، وصرح بذلك الإسماعيلي، وكذا في رواية عمارة، ولمسلم إلى قوله ﴿**خبير**﴾ وكذا في رواية أبي فروه.

الثالثة والعشرون: قوله: «**ثم انصرف الرجل فقال: ردوا علي**» في الإيمان (ثم أدبر فقال: ردوه) وفيه أن الملك يجوز أن يتمثل لغير النبيﷺ فيراه ويتكلم بحضرته وهو يسمع كما ثبت عن عمران بن حصين أنه كان يسمع كلام الملائكة. والله أعلم.

الرابعة والعشرون: قوله: «**هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم**» وكذا في الإيمان دون لام التعليل، وللإسماعيلي (أراد أن تعلموا إذ لم تسألوا) ومثله لعمارة، وفي رواية أبي فروه (والذي بعث محمداً بالحق ما كنت بأعلم به من رجل منكم، وإنه لجبريل) وفي حديث أبي عامر (ثم ولّى فلما لم نر طريقه قال النبيﷺ:

سبحان الله، هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم، والذي نفس محمد بيده ما جاءني قط إلا وأنا أعرفه، إلا أن تكون هذه المرة) وفي رواية التيمي (ثم نهض فولى، فقال رسول الله ﷺ: عليّ بالرجل، فطلبناه كل مطلب فلم نقدر عليه، فقال: هل تدرون من هذا؟ هذا جبريل أتاكم ليعلمكم دينكم، خذوا عنه، فوالذي نفسي بيده ما شبه عليّ منذ أتاني قبل مرتي هذه، وما عرفته حتى ولى) قال ابن حبان تفرد سليمان التيمي بقوله (خذوا عنه) فتعقبه الحافظ بقوله: وهو من الثقات الأثبات، وفي قوله (جاء ليعلم الناس دينهم) إشارة إلى هذه الزيادة فما تفرد إلا بالتصريح، واتفقت هذه الروايات على أن النبي ﷺ أخبر الصحابة بشأنه بعد أن التمسوه فلم يجدوه، وأما ما وقع عند مسلم وغيره من حديث عمر في رواية كهمس (ثم انطلق، قال عمر: فلبثت ملياً ثم قال: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل)فقد جمع بين الروايتين بعض الشراح بأن قوله (فلبثت ملياً) أي زماناً بعد انصرافه، فكأن النبي ﷺ أعلمهم بذلك بعد مضي وقت، ولكنه في ذلك المجلس؛ لكن يعكر على هذا الجمع قوله في رواية النسائي والترمذي (فلبثت ثلاثاً) لكن ادعى بعضهم فيها التصحيف، وأن (ملياً) صغرت ميمها فأشبهت (ثلاثاً) لأنها تكتب بلا ألف، وهذه الدعوى مردودة، فإن في رواية أبي عوانة (فلبثنا ليالي، فلقيني رسول الله ﷺ بعد ثلاث) ولابن حبان (بعد ثالثة) ولابن مندة (تعد ثلاثة أيام) حكاه الحافظ.

وجمع النووي بين الحديثين بأن عمر لم يحضر قول النبي ﷺ في المجلس، بل كان ممن قام إما مع الذين توجهوا في طلب الرجل أو لشغل آخر ولم يرجع مع من رجع لعارض عرض له، فأخبر النبي ﷺ الحاضرين في الحال، ولم يتفق الإخبار لعمر إلا بعد ثلاثة أيام، ويدل عليه قوله (فلقيني) وقوله (فقال لي يا عمر) فوجه الخطاب له وحده، بخلاف إخباره الأول، وهو جمع حسن.

تنبيهان :

الأول: قال ابن المنير: في قوله (يعلمكم دينكم) دلالة على أن السؤال الحسن يسمى علما وتعليما، لأن جبريل لم يصدر منه سوى السؤال، ومع ذلك فقد سماه معلماً، وقد اشتهر قولهم: حسن السؤال نصف العلم، ويمكن أن يؤخذ من هذا الحديث لأن الفائدة فيه انبنت على السؤال والجواب معاً.

الثاني: قال القرطبي: هذا الحديث يصلح أن يقال له أم السنة، لما تضمنه من جمل علم السنة.

وقال الطيبي: لهذه النكتة استفتح به البغوي كتابيه (المصابيح) و (شرح السنة) إقتداء بالقرآن في افتتاحه بالفاتحة، لأنها تضمنت علوم القرآن إجمالاً.

وقال القاضي عياض: اشتمل هذا الحديث على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان ابتداء وحالاً ومآلاً ومن أعمال الجوارح، ومن إخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال، حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه.

الخامسة والعشرون: قوله «**قال النبي ﷺ مفاتيح الغيب خمس ثم قرأ: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾**» هكذا وقع مختصراً هنا، وفي رواية أبي عاصم (مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله: **﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث﴾**) يعني الآية كلها، وفي باب الله يعلم ما تحمل كل أنثى من تفسير سورة الرعد وكذا في باب لا يدرى متى يجئ المطر إلا الله من الاستسقاء من طريق عبد الله بن دينار عن ابن عمر بلفظ (مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله) الحديث، هذا السياق في الخمس، وفي باب وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو؛ من تفسير الأنعام من طريق الزهري عن سالم عن أبيه بلفظ مفاتح الغيب خمس: إن الله عنده علم الساعة إلى آخر السورة، وأخرج أبو داود الطيالسي: ثنا شعبة: أخبرني عمرو بن مرة سمع عبد الله بن مسلمة سمع

عبد الله بم مسعود قال قلت: سمعته منه قال نعم، أكثر من خمسين مرة، قال: أعطي نبيكم حتى مفاتيح الغيب إلا الخمسة ﴿**إن الله عنده علم الساعة**﴾ إلى آخر السورة.

قال الحافظ: وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: عبر بالمفاتح لتقريب الأمر على السامع لأن كل شئ جعل بينك وبينه حجاب فقد غيب عنك، والتوصل إلى معرفته في العادة من الباب فإذا أغلق الباب احتيج إلى المفتاح، فإذا كان الشيء الذي لا يطلع على الغيب إلا بتوصيله لا يعرف موضعه فكيف يعرف المغيب. ا.هـ ملخصاً.

آخر تفسير سورة لقمان.

سورة الم السجدة

٢٧٠ - بسم الله الرحمن الرحيم

سورة تنزيل السجدة

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿**إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون**﴾.

وأخرج المصنف عن أبي هريرة قال: كان النبيﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة ﴿**ألم تنزيل**﴾ السجده و﴿**هل آتى على الإنسان**﴾، ورواه مسلم أيضاً من حديث سفيان الثوري به.

وهي مكية كما رواه ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس، ورواه ابن مردويه عن ابن الزبير وأخرج ابن النجار عن ابن عباس قال: هي مكية سوى ثلاث آيات ﴿**أفمن كان مؤمناً**﴾ إلى تمام الآيات الثلاث، وكذا قال الكلبي ومقاتل وقيل إلا خمس آيات من قوله ﴿**تتجافى جنوبهم**﴾ إلى قوله ﴿**الذي كنتم به تكذبون**﴾.

وعدد آياتها ثلاثون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿مهين﴾ ضعيف نطفة الرجل].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث: ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وكذا قال أبو عبيدة وزاد: مايع رقيق، قال:

فجاءت به غضب الأديم غظنفراً سلالة فرج كان غير حصين.

ا.هـ

والآية المشار إليها **﴿ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾**.

٢ - [﴿ضَلَلْنا﴾ هلكنا].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، فذكره.

وأخرج نحوه عن الضحاك وقتادة.

والآية المشار إليها **﴿وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون﴾**.

٣ - [وقال ابن عباس ﴿الجرز﴾ التي لا تمطر إلا مطراً لا يغني عنها شيئاً].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث: ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن رجل عن ابن عباس فذكره وزاد (إلا ما يأتيها من السيول).

قلت: وهذا إسناد فيه مبهم.

وأخرج في تفسيره عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال: هي أرض باليمن.

وقال أبو عبيدة: أي الغليظة اليابسة التي لم يصبها مطر وهـذا أوفق لظاهر الآية وا لله أعلم.

والآية المشار إليها ﴿**أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج بـه زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون**﴾

٤ - [﴿**يَهْدِ**﴾ **يبين**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وكذا قال أبو عبيدة وزاد: لهم وهو من الهدى.

والآية المشار إليها ﴿**أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون**﴾.

٢٧١ - [باب قوله **﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾**

ش: تمامها: **﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾**.

أي فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم، واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد، لما أخفوا أعمالهم أخفى الله لهم من الثواب جزاء وفاقاً، فإن الجزاء من جنس العمل.

وقال ابن القيم: وتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم حيث يقومون إلى صلاة الليل بقرة الأعين في الجنة. ا.هـ من بدائع التفسير

قلت وهذا مستنبط من ارتباط الآية بما قبلها وهي قوله **﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون﴾**.

٣٠٠- حدثنا علي بن عبد الله: حدثنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: (قال الله تبارك وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين: ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر).

قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾.

وحدثنا سفيان: حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال الله، مثله، قيل لسفيان: رواية؟ قال: فأي شيء، قال أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح: قرأ أبو هريرة: قرات أعين.

٣٠١- حدثني إسحاق بن نصر: حدثنا أبو أسامة، عن الأعمش: حدثنا أبو صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: (يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين: ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على

قلب بشر ذخراً، بله ما أطلعتم عليه). ثم قرأ: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾.

ش: فيهما ست مسائل:

الأولى: قوله «**يقول الله تعالى أعددت لعبادي**» وأخرج مسلم في باب أدنى أهل الجنة منزلة من كتاب الإيمان عن الشعبي قال سمعت المغيرة بن شعبة على المنبر يرفعه إلى النبي ﷺ قال: سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة قال: هو رجل يجيء بعد ما ادخل أهل الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة، فيقول أي رب كيف؟ وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا آخذاتهم فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت ربِّ، فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت ربِّ، فيقول هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذة عينك، فيقول رضيت ربِّ، قال ربِّ، فأعلاهم منزلة؟ قال أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر) قال ومصداقه في كتاب الله عز وجل: **﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾**.

وأخرجه الترمذي في تفسير هذه السورة دون قوله (رب فأعلاهم منزلة الخ)

الثانية: قوله «**ولا خطر على قلب بشر أي ما دخل بباله وزاد ابن مسعود في حديثه (ولا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل)**» أخرجه ابن أبي حاتم، قلت فبمجموع الحديثين يتبين أن من نعيم الجنة ما يخفى حتى على الملائكة وليس خاصاً بالبشر.

الثالثة: قوله «**ذخراً**» بضم الذال المعجمة ونصبه على الحالية، قال في المصباح: ذخرته ذخراً من باب نفع والاسم الذخر بالضم إذا أعددته لوقت الحاجة إليه.

الرابعة: قوله « **بله ما أطلعتم عليه**» قال الخطابي: كأنه يقول دع ما أطلعتم عليه فإنه سهل في جنب ما ادخر لهم. وتعقبه الحافظ بقوله: وهذا لائق بشرح (بله) بغير تقدم (من) عليها، وأما إذا تقدمت من عليها فقد قيل هي بمعنى كيف ويقال بمعنى أجل ويقال بمعنى غير أو سوى وقيل بمعنى فضل لكن قال الصغاني اتفقت نسخ الصحيح على (من بله) والصواب إسقاط كلمة (من) وتعقب بأنه لا يتعين إسقاطها إلا إذا فسرت بمعنى دع، وأما إذا فسرت بمعنى من أجل أومن غير أو سوى فلا، وقد ثبت في عدة مصنفات خارج الصحيح بإثبات من.

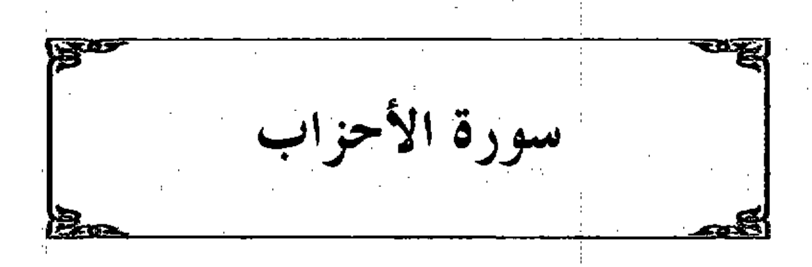
وأخرجه سعيد بن منصور ومن طريقه ابن مردوية من رواية أبي معاوية عن الأعمش كذلك، والمعنى من أين إطلاعكم على هذا القدر الذي تقصر عقول البشر عن الإحاطة به، ودخول من على بله إذا كانت بهذا المعنى جائز كما أشار إليه الشريف في (شرح الحاجبيه) فإنها بمعنى غير وذلك بين لمن تأمله. اهـ. من الفتح بتصرف.

الخامسة: قوله «وقال أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح قرأ أبو هريرة، قُرّات أعين)»

قلت: أخرجه ابن جرير: ثنا أبو كريب: ثنا أبو معاوية وابن نمير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة فذكر الحديث وفيه قال أبو هريرة يقرؤها: (قرّات أعين).

السادسة: قوله «**قرت أعين**» يقال قرّت عينه تقر سرت قال ﴿**كي تقر عينها**﴾ وقيل لمن يسر به قرة عين قال ﴿**قرة عين لي ولك**﴾ وقوله ﴿**هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين**﴾ قيل أصله من القر، أي البرد فقرت عينه، قيل معناه بردت فصحّت وقيل بل لأن للسرور دمعه باردة قارة وللحزن دمعة حارة، قاله الراغب.

آخر تفسير سورة ألم السجدة و لله الحمد والمنة.



٢٧٢ - سورة الأحزاب

بسم ا لله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى **﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا﴾**.

روى الإمام أحمد عن زر قال: قال لي أبي بن كعب كأين تقرأ سورة الأحزاب أو كأين تعدها؟ قال: قلت: ثلاثاً وسبعين آية فقال: قط لقد رأيتها وإنها لتعدل سورة البقرة ولقد قرأنا فيها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من ا لله وا لله عزيز حكيم ورواه النسائي من وجه آخر عن عاصم وهو ابن أبي النجود ابن بهدلة به.

قال ابن كثير إسناد حسن.

وهي مدنية، وآياتها ثلاث وسبعون.

[**وقال مجاهد: ﴿صياصيهم﴾ قصورهم**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم، ثنا عيسى وحدثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وقال ابن جرير في معنى الآية **﴿من صياصيهم﴾** يعني من حصونهم ثم أخرج المعنى عن يزيد بن رومان وعكرمة وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً﴾**.

٢٧٣ - [باب ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾

ش: تمامها: ﴿وأزواجه أمهاتهم، وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً كان ذلك في الكتاب مسطوراً﴾.

قوله ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ قد علم الله تعالى شفقة رسوله ﷺ على أمته ونصحه لهم، فجعله أولى بهم من أنفسهم، وحكمه فيهم مقدماً على اختيارهم لأنفسهم كما قال تعالى ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾.

وفي الصحيح (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين)ا.هـ من ابن كثير.

وقوله ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ وهو لهم وهن أمهات المؤمنين في تعظيم حقهن وتحريم نكاحهن على التأبيد، لا في النظر إليهن والخلوة بهن، فإنه حرام في حقهن كما في حق الأجانب قال الله تعالى ﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب﴾ا.هـ من البغوي.

وقوله ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ المراد بأولي الأرحام القرابات أي هم أحق ببعضهم بعضاً في الميراث.

وقوله ﴿في كتاب الله﴾ يجوز أن يتعلق بأفعل التفضيل في قوله ﴿أولى ببعض﴾ لأنه يعمل في الظرف، ويجوز أن يتعلق بمحذوف هو حال من الضمير: أي كائناً في كتاب الله والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ أو القرآن أو آية المواريث.

قال أهل العلم: وهذه الآية ناسخة لما كان بين المسلمين من الميراث بالمؤاخاة.

وقوله ﴿إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً﴾ اختلف أهل العلم فيه على ثلاثة أقوال حكاها ابن جرير:

فأولها: بمعنى إلا أن توصوا لذوي قرابتكم من غير أهل الأيمان والهجرة وهو قول ابن الحنفية وقتادة وعكرمة وعطاء.

وثانيها: بمعنى إلا أن تمسكوا بالمعروف بينكم بحق الإيمان والهجرة والحلف فتؤتوهم حقهم من النصرة والعقل عنهم قاله مجاهد.

وثالثها: بمعنى أن توصوا إلى أوليائكم من المهاجرين وصية وبه قال ابن زيد، ثم قال ابن جرير بعد حكاية هذه الأقوال: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: معنى ذلك إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين كان رسول ا لله آخى بينهم وبينكم من المهاجرين والأنصار، معروفاً من الوصية لهم، والنصرة والعقل عنهم وما أشبه ذلك، لأن كل ذلك من المعروف الذي قد حث ا لله عليه عباده.

قال مقيده وهذا اختيار حسن يجمع القولين الثاني والثالث وأما القول الأول فإنه بعيد جداً ومردود إذ لا موالاة بين مؤمن وكافر وإن كان بينهما نسب.

وقوله ﴿كان ذلك في الكتاب مسطوراً﴾ أي كان الذي ذكرت من أن أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض في اللوح المحفوظ مسطوراً مكتوباً.

من فقه الآية

أولاً: في قوله ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ دليل على أن من لم يكن الرسول أولى به من نفسه فليس من المؤمنين، وهذه الأولوية تتضمن أموراً:

منها: أن يكون أحب إلى العبد من نفسه لأن الأولوية أصلها الحب.

ومنها: أن لا يكون للعبد حكم على نفسه أصلاً، بل الحكم على نفسه للرسول ﷺ يحكم عليها أعظم من حكم السيد على عبده أو الوالد على ولده.

ثانياً: تحريم نكاح أزواج النبيﷺ ووجوب توقيرهن واحترامهن.

ثالثاً: فيها دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن.

رابعاً: الحث على بذل المعروف بين القرابات.

٣٠٢- حدثني إبراهيم بن المنذر: حدثنا محمد بن فليح[1]: حدثنا أبي عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرءوا إن شئتم ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ فأيما مؤمن ترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا فإن ترك ديناً، أو ضياعاً فليأتني وأنا مولاه)

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «**ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة**» وفي باب قول النبي ﷺ من ترك مالاً فلأهله من الفرائض برواية أبي سلمة بن عبد الرحمن وكذا في القرض، وقد ورد سببه في باب الدين من كتاب الكفالة من طريق عقيل عن ابن شهاب بذكره ولفظه (أن رسول اللهﷺ كان يؤتى بالرجل المتوفى عليه الدين فيقول هل: ترك لدينه قضاء؟ فإن قيل نعم صلى عليه، وإلا قال: صلوا على صاحبكم، فلما فتح الله عليه الفتوح قال: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم) الحديث، وعند أبي داود في ميراث ذوي الأرحام عن المقدام الكندي قال: قال رسول اللهﷺ:(أنا أولى بكل مؤمن من نفسه) وكذا عند مسلم عن جابر، قلت وقد تطابق الحديثان مع الآية في الدلالة على أن من ليس رسول اللهﷺ أولى به ليس من أهل الإيمان وقد قدمنا في فقه الآية ما تستلزمه هذه الولاية.

الثانية: قوله «اقرءوا إن شئتم **﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾**» وكذا في الاستقراض باب الصلاة على من ترك ديناً.

---

(١) هو محمد بن فليح بن سليمان الأسلمي أو الخزاعي المدني، صدوق يهم من التاسعة مات سنة سبع وتسعين ومائتين خ س ق.

قال ابن التين عن الداودي قوله ﴿**اقرءوا إن شئتم**﴾ أحسبه من كلام أبي هريرة.

قال مقيده: و لم أجد هذا الحرف في طرق حديث أبي هريرة إلا من رواية عبد الرحمن بن أبي عمرة وقد روى الحديث أحمد ومسلم وابن حبان عن جابر وليس فيه (فاقرءوا إن شئتم).

الثالثة: قوله «فأيما مؤمن ترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا» في الكفالة باب الدين (ومن ترك مالاً فلورثته) وكذا في الفرائض باب قول النبي ﷺ (من ترك مالاً فلأهله).

الرابعة: قوله: «فإن ترك ديناً، أو ضياعاً فليأتني وأنا مولاه» في الكفالة (فمن توفي من المؤمنين فترك ديناً فعلي قضاؤه) وفي الفرائض (فمن مات وعليه دين و لم يترك وفاءً فعلينا قضاؤه) فبان بهذا تخصيص القضاء بمن لم يترك وفاءً لدينه، وقوله فليأتني أي من يقوم مقامه في السعي في وفاء دينه أو المراد صاحب الدين.

وقوله «**ضياعاً**» بفتح الضاد المعجمة أي عيالاً ضائعين ولا شئ لهم ولا قيم.

من فقه الحديث

أولاً: ثبوت ولاية النبيﷺ على كل مؤمن وهذا يستلزم إتباعه والتمسك بسنته ومحبته.

ثانياً: كمال شفقته ﷺ على أهل الإيمان من أمته.

ثالثاً: قضاء الدين عمن مات وهو معسر وهل كان ذلك من خصائصهﷺ أو يجب على ولاة الأمر بعده، والراجح الاستمرار لأن على ولي الأمر من المسلمين ما لرسول اللهﷺ من الأحكام فهو نائب عنه وهذا من مال المصالح.

٢٧٤ - [باب ﴿أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾].

ش: تمامها: **﴿فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم، وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم، وكان الله غفوراً رحيماً﴾.**

قوله: **﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾** يقول تعالى ذكره انسبوا أدعياءكم الذين ألحقتم أنسابهم بكم لآبائهم، يقول لنبيه محمدﷺ: الحق نسب زيد بأبيه حارثه، ولا تدعه زيداً ابن محمد وقوله **﴿هو أقسط عند الله﴾** يقول دعاؤكم إياهم لآبائهم هو أعدل عند الله، وأصدق وأصوب من دعائكم إياهم لغير آبائهم ونسبتكموهم إلى من تبناهم وادعاهم وليسوا له بنين. اهـ من ابن جرير.

وقوله **﴿فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم﴾** أمر تعالى برد أنساب الأدعياء إلى آبائهم، إن عرفوا، فإن لم يعرفوا آباءهم فهم إخوانهم في الدين ومواليهم، أي عوضاً عما فاتهم من النسب.

وقوله **﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به﴾** أي لا إثم عليكم فيما وقع منكم من ذلك خطأ من غير عمد ولكن الإثم فيما تعمدت قلوبكم وهو ما قلتموه على طريقة العمد من نسبة الأبناء إلى غير آبائهم مع علمكم بذلك. ا.هـ من الشوكاني.

قوله **﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾** يخبر تعالى أنه ذو ستر على ذنب من ادعى ولد غيره ابناً له، إذا تاب وراجع أمر الله.

من فقه الآية

أولاً: وجوب نسبة المرء إلى أبيه إذا كان أبوه معلوماً.

ثانياً: ملاطفة من لم يعلم آباءهم من المسلمين ومواساتهم وذلك باعتبارهم اخوة في الدين وموالي.

ثالثاً: تحريم انتساب المرء إلى غير أبيه وفي الحديث الصحيح (من ادعي لغير أبيه وهو يعلمه كفر) قال أهل العلم: وهذا تشديد وتهديد ووعيد أكيد في التبرئ من النسب المعلوم.

٣٠٣- حدثنا معلى بن أسد[١]: حدثنا عبد العزيز بن المختار[٢] حدثنا موسى بن عقبة قال: حدثني سالم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد، حتى نزل القران ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**إن زيد بن حارثة**» هو أبو أسامة زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي مولى رسول الله ﷺ صحابي جليل مشهور من أول الناس إسلاماً، استشهد يوم مؤته في حياة النبي ﷺ سنة ثمان وهو ابن خمس وخمسين.

الثانية: قوله «**ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد**» قلت لتبني رسول الله ﷺ إياه قصة وهي: أن سعدى أم زيد بن حارثة زارت قومها وزيد معها فأغارت خيل لبني القين بن جسر في الجاهلية على أبيات بني معن فاحتملوا زيداً وهو غلام يفقه فأتوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجه بأربعمائة درهم فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له فحج ناس من كلب فرأوا زيداً فعرفهم وعرفوه، فانطلقوا فأعلموا أباه ووصفوا له موضعه فخرج حارثة وكعب أخوه بفدائه فقدما مكة فسألا عن النبي ﷺ فقيل هو في المسجد فدخلا عليه فقالا يا ابن عبد المطلب يا ابن سيد قومه انتم حرم الله تفكون العاني

---

(١) هو أبو الهيثم معلى بن أسد العمي البصري، أخو بهز ثقة ثبت، من كبار العاشرة مات سنة ثماني عشرة [ومائتين] على الصحيح، خ م قد ت س ق.

(٢) هو عبد العزيز بن المختار الدباغ البصري مولى حفصة بنت سيرين، ثقة من السابعة، ع.

وتطعمون الأسير جئناك عن ولدنا عندك فأمنن علينا وأحسن في فدائه فإنا سنرفع لك قال وما ذاك قالوا زيد بن حارثة فقال أو غير ذلك ادعوه فخيروه فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي اختار على من اختارني فداء قالوا: فدعاه فقال هل تعرف هؤلاء قال: نعم هذا أبي وهذا عمي قال فأنا من قد علمت وقد رأيت صحبتي لك فاخترني أو اخترهما فقال: زيد ما أنا بالذي أختار عليك أحداً أنت مني بمكان الأب والعم فقالا ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك قال قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر فقال اشهدوا أن زيداً ابني يرثني وأرثه، فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما وانصرفا فدعي زيد بن محمد حتى جاء الإسلام).

الثالثة: قوله «**حتى نزل القرآن ﴿ادعوهم لآبائهم...﴾**» الآية فيه دليل على أن النهي عن نسبة الرجل إلى من تبناه واعتباره ابناً له كان بالمدينة لأن سورة الأحزاب مدنية وقوله **﴿ادعوهم لآبائهم...﴾** الآية هو وجه الشاهد من الحديث وقد تقدم شرحه أول الباب.

٢٧٥ - [باب ﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾

ش: قلت الآية: **﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾**.

يقول تعالى ذكره:

﴿من المؤمنين﴾ با لله ورسوله.

﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ يقول أوفوا بما عاهدوه عليه من الصبر على البأساء والضراء وحين البأس.

﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ يقول فمنهم من فرغ من العمل الذي كان نذره لله وأوجبه له على نفسه، فاستشهد بعض يوم بدر وبعض يوم أحد، وبعض في غير ذلك من المواطن ومنهم من ينتظر قضاءه والفراغ منه كما قضي من مضى منهم على الوفاء لله بعهده والنصر من الله والظفر على عدوه.

وقوله **﴿وما بدلوا تبديلاً﴾** أي وما غيروا عهدهم وبدلوا الوفاء بالغدر، بل استمروا على ما عاهدوا الله عليه، وما نقضوه كفعل المنافقين الذين قالوا **﴿إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً، ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار﴾**.

شرح جملة من الآثار والكلمات

١ - [﴿نَحْبَه﴾: عهده].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد، وأخرج عن يزيد بن رومان والحسن نحوه.

وقال أبو عبيدة: أي نذرة الذي كان نحب أي نذر والنحب أيضاً النفس أي الموت وجعله جرير الخطر العظيم فقال:

بطخفة جالدنا الملوك وقبلنا عشية بسطام حديث على نحب. اهـ

٢ - [﴿أقطارها﴾ جوانبها].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ونواحيها واحدها قطر.

والآية المشار إليها **﴿ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لأتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا﴾.**

٣ - [﴿ الفتنة لآتوها﴾ لأعطوها].

ش: قاله أبو عبيدة.

وأخرجه ابن جرير عن قتادة وأخرج عن ابن زيد قال:لو سئلوا أن يكفروا لكفروا وهذا التفسير على قراءة بعض المكيين وعامة الكوفيين والبصريين.

وقرأت عامة قراء المدينة وبعض قراء مكة **﴿لأتوها﴾** بقصر الألف بمعنى جاءوها.

٣٠٤- حدثني محمد بن بشار: حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري قال: حدثني أبي عن ثمامة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النضر ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾.

٣٠٥- حدثنا أبو اليمان: أخبرنا شعيب، عن الزهري قال: أخبرني خارجة بن زيد بن ثابت[١]: أن زيد بن ثابت قال: لما نسخنا الصحف في المصاحف فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأها لم أجدها عند أحد إلا مع خزيمة الأنصاري الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾.

ش: فيهما ست مسائل:

(١) هو أبو زيد خارجةبن زيد بن ثابت الأنصاري المدني، ثقة فقيه، من الثالثة مات سنة مائه وقيل قبلها، ع.

الأولى: قوله «**نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النضر**» وأخرج ابن جرير عن أنس بن مالك أن أنس بن النضر تغيب عن قتال بدر فقال: تغيبت عن أول مشهد شهده رسول الله ﷺ، لئن رأيت قتالاً ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد، وهزم الناس، لقي سعد بن معاذ فقال: والله إني لأجد ريح الجنة، فتقدم فقاتل حتى قتل، فنزلت هذه الآية ﴿**من المؤمنين رجال صدقوا...الخ**﴾.

وأخرج عن موسى وعيسى ابني طلحة أن أعرابياً أتى رسول الله ﷺ قال: وكانوا لا يجرؤن على مسألته فقالوا للأعرابي سله (من قضى نحبه؟) من هو؟ فسأله فأعرض عنه،ثم سأله فأعرض عنه، ثم دخلت من باب المسجد وعليّ ثياب خضر، فلما رآني رسول الله ﷺ قال: أين السائل عمن قضى نحبه؟ قال الأعرابي: أنا يا رسول الله قال: هذا ممن قضى نحبه.

ويجمع بينهما أن هذه الآية نزلت في قوم لم يشهدوا بدراً، فعاهدوا الله أن يفوا قتالاً للمشركين مع رسول الله ﷺ، فمنهم من أوفى فقضى نحبه، ومنهم من أوفى ولم يقضى نحبه وكان منتظراً، وكان أنس وطلحة كلاهما ممن نزلت فيه الآية.

الثانية: قوله ﴿**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**﴾ هذا هو الشاهد من الحديث وقد مضى شرحه أول الباب.

الثالثة: قوله ﴿ **فقدت آية من سورة الأحزاب**﴾ في فضائل القرآن باب جمع القران فقدت آية من الأحزاب حيث نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها.

وقوله «فقدت»: فقداً من باب ضرب و"فقداناً" عدمته فهو مفقود وفقيد.

الرابعة: قوله «خزيمة الأنصاري» هو أبو عمارة خزيمة بن ثابت بن الفاكه الأنصاري الأوسي ثم الخطمي وأمه كبشة بنت أوس الساعدية من السابقين

الأولين شهد بدراً وما بعدها وقيل أول مشاهده أحد وكانت راية خطمة بيده يوم الفتح قتل يوم صفين.

الخامسة: قوله ((الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين)) أخرج أبو داود والنسائي عن عمارة بن خزيمة عن عمه وكان من أصحاب النبي ﷺ، أن النبي ﷺ ابتاع من أعرابي فرساً، فاستتبعه ليقضيه ثمن الفرس فأسرع النبي ﷺ المشي وأبطأ الأعرابي، فطفق رجال يعترضون الأعرابي يساومونه في الفرس حتى زادوه على ثمنه ـ فذكر الحديث ـ قال فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أني قد بعتك، فمن جاء من المسلمين يقول: ويلك إن النبي ﷺ لم يكن ليقول إلا الحق، حتى جاء خزيمة بن ثابت فاستمع المراجعة فقال: أنا أشهد أنك قد بايعته، فقال له النبي ﷺ بم تشهد؟ قال بتصديقك، فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين).

قلت: وفيه فضيلة خزيمة وفضيلة الفطنة في الأمور وأنها ترفع منزلة صاحبها.

السادسة: قوله: ﴿**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**﴾ هذا هو الشاهد الثاني من الحديث للترجمة وقد سبق شرحه وفي الفضائل زيادة: (فالحقناها في سورتها في المصحف.

٢٧٦ - [باب قوله ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً**﴾].

ش: يقول تعالى ذكره لنبيه محمدﷺ قل يا محمد لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن، يقول فإني أمتعكن ما أوجب الله على الرجال للنساء من المتعة عند فراقهم إياهن بالطلاق بقوله ﴿**ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره، متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين**﴾.

وقوله ﴿**أسرحكن سراحاً جميلاً**﴾ يقول: أطلقكن على ما أذن الله به وأدب به عباده بقوله ﴿**إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن**﴾.

شرح جملة من الآثار والكلمات

١ - [**وقال معمر: ﴿التبرج﴾: أن تخرج محاسنها**].

ش: قلت ومعمر هذا هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي صاحب مجاز القرآن، والذي وجدته في تفسيره "وهو من التبرج وهو أن يبرزن محاسنهن فيظهرنها.

وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: كانت لهن مشيه وتكسر وتغنج" وعن ابن أبي نجيح قال: التبختر.

والآية المشار إليها ﴿**وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى**﴾.

٢ - [**﴿سنة الله﴾ استنها جعلها**].

ش: نصب بنزع الخافض، وقيل فعل سنة الله، وقيل على الإغراء أي اتبعوا سنة الله.

وقال أبو عبيدة: "سنة الله" منصوبة لأنها في موضع مصدر من غير لفظها.

وقال ابن جرير: ونصب قوله "سنة الله" على معنى حقاً من الله كأنه قال: فعلنا ذلك سنة منا.

قلت: وقد وردت الكلمة منصوبة في هذه السورة مرتين:

إحداهما: في الآية الثامنة والثلاثين.

والأخرى في الآية الثانية والستين ولا ندري أيتهما عنى المصنف.

٣٠٦- حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة رضي الله عنها زوج النبيﷺ أخبرته أن رسول اللهﷺ جاءها حين أمر الله أن يخير أزواجه، فبدأ بي رسول اللهﷺ فقال: إني ذاكر لك أمراً، فلا عليك أن لا تستعجلي، حتى تستأمري أبويك، وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه. قالت ثم قال: إن الله قال ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ إلى تمام الآيتين، فقلت له: ففي أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة)

سيأتي شرحه في الباب الذي بعده.

٢٧٧ - [باب ﴿وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً﴾].

ش: قوله **﴿وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة﴾** أي الجنة ونعيمها.

﴿فإن الله أعد للمحسنات منكن﴾ أي اللاتي عملن عملاً صالحاً.

﴿أجراً عظيماً﴾ لا يمكن وصفه ولا يقادر قدره وذلك بسبب إحسانهن وبمقابلة صالح عملهن.

فاختار أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وأرضاهن الله ورسوله والدار الآخرة، فجمع الله لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة.

وكن يؤمئذ تسع نسوة وهن خمس من قريش: عائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وأم سلمة بنت أبي أمية، وسودة بنت زمعه وغير القرشيات: زينت بنت جحش الأسدية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية.

[وقال قتادة: واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة، القرآن والسنة].

ش: أخرجه عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن قتادة فذكره.

والآية المشار إليها **﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً﴾**.

٣٠٧ ـ وقال الليث حدثني يونس عن ابن شهاب قال: أخبرني أبو سلمة ابن عبدالرحمن أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك، قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم

قال: إن ا لله جل ثناؤه قال: ﴿يا أيها النبي قل أزواجك إن كنـتن تـردن الحيـاة الدنيا وزينتها...إلى أجراً عظيماً﴾ قالت: فقلت: ففـي أي هـذا أستأمر أبـوي فإني أريد ا لله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل مـا فعلت.

تابعه موسى بن أعين عن معمر عـن الزهـري قـال: أخـبرني أبـو سـلمة. وقال عبدالرزاق وأبو سفيان المعمري عن معمر عـن الزهـري عـن عـروة عـن عائشة.

ش: قوله «**قال الليث حدثني يونس**» أخرجـه ابـن جريـر في تفسـير هـاتين الآيتين والنسائي في الطلاق كلاهما عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عـن يونس بن يزيد وموسى بن علي عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضي ا لله عنها فذكره، وقال الحافظ وصله الذهلي عن أبي صالح عنه.

قلت: وفي الحديث خمس مسائل:

الأولى: قوله «**لما أمر رسول ا لله ﷺ بتخيير أزواجـه**» في روايـة شـعيب في الباب قبله (حين أمر ا لله أن يخير أزواجه)، ورد في سبب هذا التخيير مـا أخرجـه مسلم من حديث جابر قال (دخل أبو بكر يستأذن على رسول ا لله ﷺ) الحديـث وفيه قوله ﷺ (هن حولي كما ترى يسألنني النفقة) يعني نساءه، وفيـه أنـه اعـتزلهن شهراً ثم نزلت عليه هذه الآية ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك ـ حتـى بلـغ ـ أجـراً عظيماً**﴾ قال فبدأ بعائشة فذكر نحو حديث الباب، وفي المظالم باب الغرفة والعلية المشرفة في السطوح وغيرها، من طريق عقيل وفي النكاح أيضاً من طريـق شـعيب كلاهما عن ابن شهاب عن عبيد ا لله بن عبد ا لله بن أبي ثور عن ابن عباس عـن عمر في قصة المرأتين اللتـين تظاهرتـا بطولـه وفي آخـره (حـين أفشـته حفصـة إلى عائشة) وكان قد قال: «ما أنا بداخل عليهن شهراً مـن شـدة مـا وجدتـه عليهـن حتى عاتبه ا لله، فلما مضت تسع وعشرون» دخل على عائشة فبدأ بهـا، فقـالت

له: إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً، وقد أصبحنا لتسع وعشرين ليلة أعدها عداً، فقال النبي ﷺ: «الشهر تسع وعشرون». وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين قالت عائشة (فأنزلت آية التخيير، فبدأ بي أول امرأة فقال: إني ذاكر لك أمراً، فلا عليك أن لا تعجلي) الحديث، وهذا سياق ظاهره أن الحديث كله من رواية ابن عباس عن عمر، وأما المروي عن عائشة فمن رواية ابن عباس عنها.

قال الحافظ: وقد وقع التصريح بذلك فيما أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق أبي صالح عن الليث بهذا الإسناد إلى ابن عباس قال (قالت عائشة: أنزلت آية التخيير، فبدأ بي، الحديث، لكن أخرج مسلم الحديث من رواية معمر عن الزهري ففصله تفصيلا حسناً، وذلك أنه أخرجه بطوله إلى آخر قصة عمر في المتظاهرتين إلى قوله (حتى عاتبه) ثم عقبه بقوله (قال: الزهري فأخبرني عروة عن عائشة قالت: لما مضى تسع وعشرون) فذكر مراجعتها في ذلك ثم عقبه بقوله(قال: يا عائشة إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك) الحديث، فعرف من هذا أن قوله (فلما مضت تسع وعشرون الخ) في رواية عقيل هو من رواية الزهري عن عائشة بحذف الواسطة، ولعل ذلك وقع عن عمد من أجل الاختلاف على الزهري في الواسطة بينه وبين عائشة في هذه القصة بعينها كما بينه المصنف هنا، وكأن من أدرجه في رواية ابن عباس مشى على ظاهر السياق و لم يفطن للتفصيل الذي وقع في رواية معمر، وقد أخرج مسلم أيضاً من طريق سماك بن الوليد عن ابن عباس (حدثني عمر بن الخطاب قال: لما اعتزل النبيﷺ نساءه دخلت المسجد) الحديث بطوله وفي آخره (قال وأنزل الله آية التخيير) فاتفق الحديثان على أن آية التخيير نزلت عقب فراغ الشهر الذي اعتزلهن فيه، ووقع ذلك صريحاً في رواية عمرة عن عائشة قالت (لما نزل النبيﷺ إلى نسائه أمر أن يخيرهن) الحديث أخرجه الطبري والطحاوي، واختلف الحديثان في سبب الاعتزال، ويمكن الجمع بأن يكون القضيتان جميعاً

سبب الاعتزال فإن قصة المتظاهرتين خاصة بهمـا، وقصة سؤال النفقة عامة في جميع النسوة، ومناسبة آية التخيير بقصة سؤال النفقة أليق منها بقصة المتظاهرتين». اهـ

واختلف العلماء في كيفية تخيير النبي ﷺ أزواجه على قولين:

القول الأول: أنه خيرهن بأذن الله في البقاء على الزوجية أو الطلاق فاخترن البقاء وبهذا قالت عائشة ومجاهد وعكرمة والشعبي والزهري وربيعه.

والقول الثاني: أنه إنما خيرهن بين الدنيا فيطلقهن وبين الآخرة فيمسكهن ولم يخيرهن في الطلاق وبهذا قال علي والحسن وقتادة.

والراجح الأول ويشهد له حديث الباب.

الثانية: قوله (فلا عليك أن لا تعجلي) في رواية شعيب (أن لا تستعجلي) والمعنى أي فلا بأس عليك في التأني وعدم العجلة حتى تشاوري أبويك.

الثالثة: قوله (حتى تستأمري أبويك) وكذا في رواية شعيب، أي تطلبي منهما أن يبينا لك رأيهما في ذلك، ووقع في حديث جابر (حتى تستشيري أبويك) زاد ابن جرير من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن عائشة (إني عارض عليك أمراً فلا تفتاتي فيه بشيء حتى تعرضيه على أبويك أبي بكر وأم رومان)، ويستفاد من مجموع هذه الروايات أمر النبي ﷺ عائشة بعرض الموضوع على أبويها واستشارتها إياهما فيه.

الرابعة: قوله «**قالت فقلت: ففي أي هذا أستأمر أبوي؟**» في رواية محمد بن عمرو (فقلت فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، ولا اؤامر أبوي أبا بكر وأم رومان، فضحك) وعند ابن جرير من رواية عمر بن أبي سلمة عن أبيه (ففرح) فدل ذلك على إقرار النبي ﷺ في عدم استشارتها أبويها في هذا الأمر لأنها أصابت الأرضى لها وهو اختيار الله ورسوله والدار الآخرة.

الخامسة: قوله «**ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت**» في رواية عقيل (ثم خير نساءه فقلن مثل ما قالت عائشة) زاد ابن وهب عن يونس في روايته (فلم يكن ذلك طلاقاً حين قاله لهن فاخترنه) أخرجه ابن جرير وعنده من رواية محمد بن عمرو المذكورة (ثم استقرى الحجر - يعني حجر أزواجه — فقال: إن عائشة قالت كذا، فقلن: ونحن نقول مثل ما قالت)، وقوله (استقرى الحجر) تعني بيوته وهي مساكن أزواجه والمعنى أنه تتبع نسائه واحدة واحدة في التخيير، وفي حديث جابر المذكور أن عائشة لما قالت (بل أختار ا لله ورسوله والدار الآخرة) قالت (يا رسول ا لله وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت، فقال لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها، إن ا لله لم يبعثني متعنتاً وإنما بعثني معلماً ميسراً).

من فقه الحديث

١ - في الحديث ملاطفة النبي ﷺ لأزواجه وحلمه عنهن وصبره على ما كان يصدر منهن من إدلال وغيره مما يبعثه عليهن الغيرة.

٢ - فضيلة عائشة فقد بدأ بها.

٣ - وفيه أن صغر السن مظنة لنقص الرأي، قال العلماء: إنما أمر النبي ﷺ عائشة أن تستأمر أبويها خشية أن يحملها صغر السن على اختيار الشق الآخر.

٤ - وفيه منقبة عظيمة لعائشة وبيان كمال عقلها وصحة رأيها مع صغر سنها.

فائدة:

وإن خير الرجل زوجه بين نفسه والطلاق فاختارت زوجها أوردت الخيار، نص أحمد في رواية الجماعة عنه وهو مروي عن عمر وعلي وزيد وابن مسعود وابن عباس وعمر بن عبد العزيز وابن شبرمة وابن أبي ليلى والثوري والشافعي وابن المنذر بأنه لم يقع شئ.

وعن الحسن تكون واحدة رجعية وروي ذلك عن علي ورواه إسحاق بن منصور عن أحمد قال: فإن اختارت زوجها فواحدة يملك الرجعة وإن اختارت نفسها فثلاث. اهـ. من المغني بتصرف.

قال مقيده: وأول القولين هو الراجح ويؤيده حديث الباب فإنه لم يرد في شئ من طرقه أن النبي ﷺ عد تخييره أزواجه طلاقاً بل صرح بن وهب في روايته عند ابن جرير عن عائشة بعدم ذلك فقال فلم يكن ذلك طلاقاً حين قاله لهن فاخترنه وا لله أعلم.

قوله (تابعه موسى بن أعين عن معمر عن الزهري أخبرني أبو سلمة) يعني عن عائشة، وصله النسائي من طريق محمد بن موسى بن أعين حدثنا أبي فذكره.

وقوله (وقال عبد الرزاق وأبو سفيان المعمري عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة) أما رواية عبد الرزاق فوصلها مسلم وابن ماجه من طريقه وأخرجها أحمد وإسحاق في مسنديهما عنه، وقصر من قصر تخريجها على ابن ماجه، وأما رواية أبي سفيان المعمري فأخرجها الذهلي في الزهريات وتابع معمراً على عروة جعفر بن برقان، ولعل الحديث كان عند الزهري عنهما فحدث به تارة عن هذا وتارة عن هذا، وإلى هذا مال الترمذي، وقد رواه عقيل وشعيب عن الزهري عن عائشة بغير واسطة) ا.هـ من الفتح.

٢٧٨ - [باب ﴿وتخفي في نفسك ما ا الله مبديه وتخشى الناس وا لله أحق أن تخشاه﴾].

ش: قلت الآية: **﴿وإذ تقول للذي أنعم ا لله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق ا لله وتخفي في نفسك ما ا لله مبديه وتخشى الناس وا لله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعياءهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر ا لله مفعولاً﴾.**

يقول تعالى مخبراً عن نبيه صلوات ا لله وسلامه عليه أنه قال لمولاه زيد بن حارثة وهو الذي أنعم ا لله عليه أي بالإسلام ومتابعة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام.

﴿وأنعمت عليه﴾ أي بالعتق من الرق وكان سيداً كبير الشأن جليل القدر، حبيباً إلى النبيﷺ يقال له الحب، ويقال لابنه أسامة الحب ابن الحب قالت عائشة رضي ا لله عنها: ما بعثه رسول ا للهﷺ في سرية إلا أمره عليهم، ولو عاش بعده لاستخلفه، رواه أحمد عن سعيد بن محمد الوراق ومحمد بن عبيد، عن وائل بن داود عن عبد ا لله البهي عنها.

وقوله (وتخفي في نفسك ما ا لله مبديه) والذي أخفاه أنه لو طلقها زيد لتزوجهاﷺ.

﴿وتخشى الناس﴾ في عدم إبداء ما في نفسك.

﴿وا لله أحق أن تخشاه﴾ فإن خشيته جالبة لكل خير، مانعة من كل شر.

وقال ابن القيم في زاد المعاد: وأما ما زعمه بعض من لم يقدر رسول ا للهﷺ حق قدره، أنه ابتلي به في شأن زينب بنت جحش وأنه رآها فقال: سبحان مقلب القلوب، وأخذت بقلبه وجعل يقول لزيد بن حارثة امسكها حتى انزل ا لله عليه **﴿وإذ تقول للذي أنعم ا لله عليه وأنعمت عليه، أمسك عليك**

زوجك واتق ا لله، وتخفي في نفسك ما ا لله مبديه وتخشى الناس وا لله أحق أن تخشاه﴾، فظن هذا الزاعم أن ذلك في شأن العشق، وصنف بعضهم كتاباً في العشق، وذكر فيه عشق الأنبياء، وذكر هذه الواقعة، وهذا من جهل هذا القائل بالقرآن وبالرسل وتحميله كلام ا لله مالا يحتمله ونسبته رسول ا للهﷺ إلى ما برأه ا لله منه، فإن زينب بنت جحش كانت تحت زيد بن حارثة وكان رسول ا للهﷺ، قد تبناه وكان يدعى زيد بن محمد وكانت زينب فيها شمم وترفع عليه، فشاور رسول ا للهﷺ في طلاقها فقال له رسول ا للهﷺ (أمسك عليك زوجك واتق ا لله) وأخفى في نفسه أن يتزوجها إن طلقها زيد، وكان يخشى من قالة الناس، أنه تزوج امرأة ابنه لأن زيداً كان يدعى ابنه فهذا هو الذي أخفاه في نفسه، وهذه هي الخشية من الناس التي وقعت له.

وقال ابن كثير: «ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم هاهنا آثاراً عن بعض السلف رضي ا لله عنهم، أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها».

قال مقيده: ونحن نورد لك بعض تلك الآثار مع التعقيب عليها لكي تعرف سبب إعراض ابن كثير وغيره من المحققين عنها:

١ - ما أخرجه ابن جرير عن عبد ا لله بن وهب قال: قال ابن زيد كان النبيﷺ قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش، ابنة عمته، فخرج رسول ا للهﷺ يوماً يريده، وعلى الباب ستر من شعر فرفعت الريح الستر فانكشف، وهي في حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي ﷺ فلما وقع ذلك كرّهت إلى الأخر، فجاء فقال يا رسول ا لله إني أريد أن أفارق صاحبتي، قال مالك، أرأيت منها شيء، قال لا وا لله ما رابني منها شئ يا رسول ا لله ولا رأيت إلا خيراً فقال رسول ا للهﷺ: **﴿أمسك عليك زوجك واتق ا لله، وتخفي في نفسك ما ا لله مبديه﴾** تخفي في نفسك إن فارقها تزوجتها.

قلت: فهذا الخبر مع إرساله منكر وآفته ابن زيد وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم قال الحافظ عنه في التقريب ضعيف، وقال ابن حبان في المجروحين: كان ممن يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوف فاستحق الترك، ونقل عن ابن معين قال: عبد الرحمن وعبد الله وأسامة بنو زيد ابن أسلم ليسوا بشيء.

٢ - واخرج ابن جرير عن علي بن حسين قال: كان الله تبارك وتعالى أعلم نبيه ﷺ أنّ زينب ستكون من أزواجه، فلما أتاه زيد يشكوها قال: اتق الله وأمسك عليك زوجك، قال الله ﴿**وتخفي في نفسك ما الله مبديه**﴾.

قلت: وهذا فيه علّتان:

إحداهما: الإرسال فإن علي بن الحسين لم يلق النبيﷺ.

والأخرى: أن علي بن زيد بن جدعان أحد رجال إسناده ضعيف.

ولك أن تقول ما الحق في هذه المسألة ﴿**وتخفي في نفسك ما الله مبديه**﴾ فإنها مسألة مبهمة فالجواب ما قاله الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في كتابه أضواء البيان (٥٨٢/٦) بعد نقله كلاماً لأهل العلم في الآية: والتحقيق إن شاء الله في هذه المسألة هو ما ذكرنا أن القرآن دل عليه وهو أن الله أعلم نبيه ﷺ بأن زيداً سيطلق زينب وأنه يزوجها إياه ﷺ وهي في ذلك الوقت تحت زيد... والدليل على هذا أمران:

الأول: هو ما قدمنا من أن الله جل وعلا قال ﴿**وتخفي في نفسك ما الله مبديه**﴾ وهذا الذي أبداه الله جل وعلا هو زواجه إياها في قوله ﴿**فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها**﴾ ولم يبد جل وعلا شيئاً مما زعموه أنه أحبها، ولو كان ذلك هو المراد أبداه الله تعالى كما ترى.

الأمر **الثاني:** أن الله جل وعلا صرح بأنه هو الذي زوجه إياها، وأن الحكمة الإلهية في ذلك التزويج هي قطع تحريم أزواج الأدعياء... وكون الله هو

الذي زوجه إياها لهذه الحكمة العظيمة صريح في أن سبب زواجه إياها ليس هو محبته لها التي كانت سبباً في طلاق زيد لها كما زعموا ويوضحه قوله تعالى **﴿فلما قضى زيد منها وطراً﴾** الآية، لأنه يدل على أن زيد قضى وطره منها، ولم تبق له بها حاجة، فطلقها باختياره والعلم عند الله تعالى. اهـ.

قال مقيده: عليك بهذا فالزمه وضم معه ما قدمناه عن ابن القيم فإنه هو اللائق بعصمة رسول اللهﷺ ولا تغتر بسواه فإن منشأه إما خطأ وإما جهل وإما سوء قصد، فالأول مأجور إن شاء الله على اجتهاده، والثاني ليس معدوداً في أهل العلم أو لا يسوغ الأخذ عنهم، وأما الثالث فإنهم أئمة الضلال.

قوله **﴿فلما قضى زيد منها وطراً...﴾** الخ الآية، قضاء الوطر في اللغة: بلوغ منتهى ما في النفس من الشيء، يقال قضى وطراً منه إذا بلغ ما أراد من حاجته فيه، ومنه قول عمر بن أبي ربيعه:

أيها الرائح المجد ابتكارا قد قضى من تهامة الأوطارا

أي فرغ من أعمال الحج وبلغ ما أراد منه، والمراد هنا أنه قضى وطره منها بنكاحها والدخول بها بحيث لم يبق له فيها حاجة، وقيل المراد به الطلاق، لأن الرجل إنما يطلق امرأته إذا لم يبق له فيها حاجة وقال المبرد: الوطر الشهوة والمحبة وأنشد:

وكيف ثوائي بالمدينة بعدما قضى وطراً منها جميل بن معمر

فلما أعلمه الله بذلك دخل عليها بغير إذن ولا عقد ولا تقدير صداق ولا شئ مما هو معتبر في النكاح في حق أمته، وبه جاءت الأخبار الصحيحة، ثم علل سبحانه ذلك بقوله **﴿لكيلا يكون على المؤمنين حرج﴾** أي ضيق ومشقة في أزواج أدعيائهم أي في التزوج بأزواج من يجعلونه ابناً كما كانت تفعله العرب فإنهم كانوا يتبنون من يريدون وكان النبيﷺ قد تبنى زيد بن حارثة فكان يقال

زيد بن محمد حتى نزل قوله سبحانه ﴿**أدعوهم لآبائهم**﴾ وكانت العرب تعتقد أنه يحرم عليهم نساء من تبنوه كما تحرم عليهم نساء أبنائهم حقيقة.

والأدعياء جمع دعي، وهو الذي يدعى ابناً من غير أن يكون ابناً على الحقيقة، فأخبرهم الله أن نساء الأدعياء حلال لهم إذا قضوا منهن وطراً، بخلاف ابن الصلب فإن امرأته تحرم على أبيه بنفس العقد عليها، ﴿**وكان أمر الله مفعولاً**﴾ أي كان قضاء الله في زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ قضاءاً ماضياً مفعولاً لا محالة.

٣٠٨- حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا معلى بن منصور عن حماد بن زيد حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه (أن هذه الآية ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة).

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «أن هذه الآية ﴿**وتخفي في نفسك ما الله مبديه**﴾» هذا هو الشاهد من الحديث وقد تقدم شرحه أول الباب.

الثانية: قوله «**في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة**» هكذا اقتصر على هذا القدر من هذه القصة، وفي التوحيد: ثنا أحمد ثنا محمد بن أبي بكر المقدمي: ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال (جاء زيد بن حارثة يشكو، فجعل النبي ﷺ يقول: اتق الله وأمسك عليك زوجك، قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه الآية) قال (وكانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات) وأخرجه أحمد (١٥٠/٣) عن مؤمل بن إسماعيل: ثنا حماد بن زيد: عن ثابت عن أنس قال (أتى رسول الله ﷺ منزل زيد بن حارثة فجاءه زيد يشكوها إليه، فقال له: أمسك عليك زوجك واتق الله، فنزلت إلى قوله ﴿**زوجناكها**﴾ قال: يعني زينب بنت جحش).

وقد أخرج الترمذي في باب ومن سورة الأحزاب من كتاب التفسير، من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي عن عائشة قالت (لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية ﴿**وإذ تقول للذي أنعم الله عليه ـ يعني بالإسلام ـ وأنعمت عليه ـ بالعتق ـ أمسك عليك زوجك**﴾ إلى قوله ﴿**قدراً مقدوراً**﴾ وإن رسول الله ﷺ لما تزوجها قالوا تزوج حليلة ابنه، فأنزل الله تعالى ﴿**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم**﴾ الآية، وكان تبناه وهو صغير.

قال مقيده: ولازال زيد يدعى زيد بن محمد حتى نزل قوله تعالى ﴿**أدعوهم لآبائهم**﴾.

٢٧٩ - [باب قوله **﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾**].

ش: تمامها: **﴿ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن وا لله يعلم ما في قلوبكم وكان ا لله عليماً حليماً﴾**.

قوله **﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء﴾** اختلف أهل العلم في تأويله على **ثلاثة أقوال:**

أولها: عنى بقوله ترجي تؤخر وبقوله تؤوي: تضم وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبي رزين والضحاك.

وثانيها: معنى ذلك تطلق وتخلي سبيل من شئت من نسائك، وتمسك من شئت منهن فلا تطلق وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية عنه.

وثالثها: معنى ذلك تترك نكاح من شئت، وتنكح من شئت من نساء أمتك وبه قال الحسن.

قال ابن جرير بعد حكاية هذه الأقوال الثلاثة: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال إن ا لله تعالى ذكره، جعل لنبيه أن يرجي من النساء اللواتي أحلهن له من يشاء ويؤوي إليه منهن من يشاء، وذلك أنه لم يحصر معنى الإرجاء والإيواء على المنكوحات اللواتي كن في حباله، عندما نزلت هذه الآية دون غيرهن فمن يستحدث إيواؤها أو إرجاؤها منهن: وإذا كان كذلك فمعنى الكلام تؤخر من تشاء فمن وهبت نفسها لك، وأحللت لك نكاحها فلا تقبلها ولا تنكحها، أو ممن هن في حبالك، فلا تقربها وتضم إليك من تشاء فمن وهبت نفسها لك أو أردت من النساء التي أحللت لك نكاحهن فتقبلها أو تنكحها، وممن هي في حبالك فتجامعها إذا شئت وتتركها إذا شئت بغير قسم.

قوله «**﴿ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾**» فيه قولان:

أولهما: بمعنى ومن نكحت من نسائك فجامعت ممن لم تنكح، فعزلتـه عـن الجماع فلا جناح عليك وهو قول قتادة وابن زيد.

وثانيهما: بمعنى من استبدلت ممن أرجيت، فخليت سبيله من نسائك وممـن مات منهن ممن أحللت لك فلا جناح عليك، وبه قال ابن عباس.

قال ابن جرير بعد حكايتهما: وأولى التأويلين بالصواب في ذلك، تأويل من قال: معنى ذلك ومن ابتغيت إصابته من نسائك ممن عزلت عـن ذلـك منهـن فـلا جناح عليك لدلالة قوله ذلك أدنى أن تقر أعينهن.

وقولـه «﴿**ذلـك أدنـى أن تقـر أعينهـن ولا يحـزن ويرضـين بمـا آتيتهـن كلهـن**﴾» أي إذا علمـن أن الله قـد وضـع عنـك الحـرج في القسـم، فـإن شـئت قسمت، وإن شئت لم تقسم، لا جناح عليك في أي ذلك فعلت ثم مع هذا أنـت تقسم لهن اختياراً منك لا أنه على سبيل الوجـوب فرحـن بذلـك واستبشـرن بـه وحملـن جميلـك في ذلـك، واعـترفن بمنتـك عليهـن في قسـمك وتسـويتك بينهـن وإنصافك لهن وعدلك فيهن.

وقوله ﴿**والله يعلم ما في قلوبكـم...**﴾ الخ الآيـة، يقـول والله يعلـم مـا في قلوب الرجال من ميلها إلى بعض من عنده من النساء دون بعض بـالهوى والمحبـه، يقول فلذلك وضع عنك الحرج يا محمد فيما وضع عنك مـن ابتغـاء مـن ابتغيـت منهن، ممن عزلت تفضلاً منه عليك بذلك وتكرمه.

﴿**وكان الله عليما**﴾ يقول وكان الله ذا علم بأعمال عباده وغير ذلك من الأشياء كلها.

﴿**حليما**﴾ يقول ذو حلم وأناة عنهم، ليتوب من تـاب منهـم، وينيـب مـن ذنوبه من أناب منهم.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**قال ابن عباس: ﴿ترجي﴾ تؤخر**].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

٢ - [﴿أرجئه﴾ أخره].

ش: ذكره استشهاداً والإشارة به إلى الآية الحادية عشرة بعد المائة من سورة الأعراف والآية السادسة والثلاثين من سورة الشعراء.

٣٠٩- حدثنا زكريابن يحيى[1] حدثنا أبو أسامة قال هشام حدثنا عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها.

قالت(كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وأقول: أتهب المرأة نفسها؟ فلما أنزل الله تعالى ﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء، ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾ قلت: ما أرى ربّك إلا يُسارعُ في هَواكَ).

٣١٠ - حدثنا حبان بن موسى أخبرنا عبد الله أخبرنا عاصم الأحول عن معاذه[2] عن عائشة رضي الله عنها (أن رسول الله ﷺ كان يستأذن في يوم المرأة منا بعد أن أنزلت هذه الآية ﴿ترجئ من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء، ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾ فقلت لها: ما كنتِ تقولين؟ قالت كنت أقول له: إن كان ذاك إلي فإني لا أريد يا رسول الله أن أوثر عليك أحد).

تابعه عباد بن عباد[3] سمع عاصماً.

ش: فيهما ثمان مسائل:

---

(١) هو أبو السُكين زكريا بن يحيى بن عمر بن حصن الطائي: الكوفي الخزاز صدوق له أوهام لينه بسببها الدار قطني من العاشرة مات سنة إحدى وخمسين ومائتين خ.

(٢) هي أم الصهباء معاذة بنت عبد الله العدويه البصرية ثقة من الثالثة ع.

(٣) هو أبو معاويه عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبي صُفرة الأزدي البصري ثقة ربما وهم من السابعة مات سنة تسع وسبعين ومائة أو بعدها بسنه ع.

الأولى: قوله «**كنت أغار**» كذا وقع هنا بالغين المعجمة من الغيرة وهي الحمية والأنفة يقال رجل غيور وامرأة غيور بلا هاء لأن فعول يشترك فيه الذكر والأنثى ووقع عند الإسماعيلي من طريق محمد بن بشر عن هشام بن عروة بلفظ (كانت تعير اللاتي وهبن أنفسهن) بعين مهملة وتشديد، قاله الحافظ قلت وفي المصباح (عيرته به قبحته عليه ونسبته إليه يتعدى بنفسه وبالباء، قلت والمستفاد من الروايتين أن عائشة رضي الله عنها غارت على أولئك النسوة وعيرتهن بصنيعهن.

الثانية: قوله «**وهبن أنفسهن**» هذا ظاهر في أن الواهبة أكثر من واحدة، ويؤيده ما أخرجه المصنف في باب تزويج المعسر من حديث سهل بن سعد (أن امرأة قالت: يا رسول الله، إني وهبت نفسي لك) وفيه قصة الرجل الذي قال يا رسول الله زوجنيها قال: (التمس ولو خاتماً من حديد)

ثانيا: وأخرج أبو يعلى وأحمد في مسنديهما من حديث أنس (أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت له: أن لي ابنة فذكرت من حسنها وجمالها فآثرتك بها، فقال: قد قبلتها، فلم تزل تذكر حتى قالت: لم تصدع ولم تشتك قط، فقال: لا حاجة لي في ابنتك) وهذه امرأة أخرى بلا شك.

ثالثاً: قال الحافظ: وعند ابن أبي حاتم من حديث عائشة: التي وهبت نفسها للنبي ﷺ هي خوله بنت حكيم، ومن طريق الشعبي قال: من الواهبات أم شريك، وأخرجه النسائي من طريق عروة.

رابعاً: وعند أبي عبيدة معمر بن المثنى أن من الواهبات فاطمة بنت شريح.

خامساً: وخوله بنت حكيم كما أخرجه ابن جرير عن هشام بن عروة عن أبيه عن خوله بنت حكيم بن الأوقص من بني سليم كانت من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وهو أيضاً عند المصنف في باب هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد من النكاح.

قلت فثبت من مجموع هذه الأخبار أن من وهبت نفسها للنبيﷺ خمس من نساء المسلمات لكنه لم يدخل بواحدة منهن ودليله ما رواه ابن جرير من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس (لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له) قلت وإسناده حسن.

الثالثة: قوله «**أتهب المرأة نفسها**» في النكاح باب هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد (ما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل) وهذا استفهام واستنكاراً والباعث عليه الغيرة والمعنى كيف تهب المرأة نفسها فكأنها تعيب عليهن ذلك.

الرابعة: قوله «فلما أنزل الله تعالى ﴿**ترجي من تشاء منهن... إلى قوله فلا جناح عليك**﴾» هذا هو الشاهد من الحديث وقد شرحناه أول الباب.

الخامسة: قوله «**ما أرى ربك إلا يسارع في هواك**» أي ما أرى الله إلا موجداً لما تريد بلا تأخير، منزلا لما تحب وتختار.

قوله «**تابعه عباد بن عباد سمع عاصماً** » يعني تابع عبد الله بن المبارك عباد بن عباد وصله ابن مردويه في تفسيره من طريق يحيى بن معين عن عباد بن عباد، ورويناه في الجزء الثالث من حديث يحيى بن معين رواية أبي بكر المروزي عنه من طريق المصريين إلى المروزي قاله الحافظ.

السادسة: قوله «**أن رسول الله ﷺ كان يستأذن في يوم المرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية ﴿ترجي من تشاء منهن...﴾** الخ الآية» فيه دليل على أنهﷺ كان يقسم بين نسائه وذلك بجعله يوماً لكل واحدة منهن وفي ذلك أحاديث منها:

ما رواه مسلم عن أنس قال (كان للنبيﷺ تسع نسوة وكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلى تسع فكن يجتمعن كل ليلة في بيت التي يأتيها.

ثانيها: وعن عائشة قالت كان رسول ا للهﷺ ما من يوم إلا وهو يطوف علينا جميعاً امرأة امرأة فيدنوا ويلمس من غير مسيس حتى يفضي إلى التي هو يومها فيبيت عندها. رواه أحمد ورواه أبو داود بنحوه.

ثالثها: في الصحيحين عن عائشة رضي ا لله عنها كان إذا انصرف من صلاة العصر دخل على نسائه فيدنوا من إحداهن.

فقد اتفقت هذه الأحاديث الثلاثة على أربعة أمور:

أولاً: القسمة بين نسائه ﷺ وأن كل واحدة منهن لها يوم يبيت عندها فيه.

ثانيا: جواز مرور الرجل على غير صاحبة النوبة من نسائه ومجالستها لمؤانستها وتفقد أحوالها من غير مبيت.

ثالثاً: وجوب المبيت عند صاحبة النوبة.

رابعاً: جواز اجتماع الرجل مع نسائه عند صاحبة النوبة من غير مبيت.

تنبيه:

في حديث أنس «**وكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلى تسع**».

قلت: والمشهور انه ﷺ كان يقسم بين ثمان من نسائه ويجعل ليلة سوده لعائشة فيبيت عندها ليلتين لأن سوده تنازلت عن ليلتها لعائشة كما رواه أبو داود.

وهنا سؤال هل كان هذا القسم واجباً عليه أو مخيراً فيه؟

وصواب القول عندي أنه يجب القسم عليه ﷺ بين نسائه شأنه في ذلك شأن سائر الأمة، كما هو مقرر في الأصول من أن الأصل في الخطاب شموله ﷺ إلا فيما ثبت فيه خصوصيته، ويدل على وجوب القسمة في حقه ﷺ أدلة كثيرة منها:

أولاً: قول عائشة في حديث الباب «كان يستأذن في يوم المرأة منا» فلو كان له التخيير بين القسم وعدمه ما احتاج إلى الاستئذان.

ثانيا: ما رواه أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها في شأن سودة وفيه قالت (يا ابن أختي كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا جمعاً، فيدنوا من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها ولقد قالت سوده بنت زمعة حين أسنت وفرقت أن يفارقها رسول الله ﷺ يا رسول الله يومي لعائشة فقبل ذلك رسول الله منها.

قلت: ويستفاد من هذا الحديث أمران:

الأول: أن دنوه عليه الصلاة والسلام من نسائه حين طوافه عليهن حتى ينتهي بصاحبة النوبة، هو تفسير الإيواء في الآية.

الثاني: لو كان مخيراً ما أحوج الأمر سوده أن تهب نوبتها لعائشة.

ثالثاً: ومن الأدلة على وجوب القسم ما رواه البخاري من حديث عائشة أنه ﷺ كان يسأل أين أنا غداً وذلك في مرضه الذي مات فيه، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة، حتى مات عندها... الحديث، فلو كان له ﷺ التخيير في القسم ما احتاج إلى إذن أزواجه في هذه الحال مع أنه ليس على المريض حرج، والله أعلم.

السابعة: قوله «**ما كنت تقولين**» القائل راوية عائشة معاذه بنت عبد الله العدويه البصرية، وفيه جواز السؤال عن الخصوصيات إذا ترتب عليه مصلحة شرعية ولهذا أجابتها عائشة رضي الله عنها.

الثامنة: قوله «**إن كان ذاك إلي فإني لا أريد يا رسول الله أن أوثر عليك أحداً**» وعند مسلم في الطلاق باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً (إن كان ذاك إلي لم أوثر أحداً على نفسي) قال النووي: هذه المنافسة فيه ﷺ ليست لمجرد

الاستمتاع ولمطلق العشرة وشهوات النفوس وحظوظها التي تكون من بعض الناس بل هي منافسة في أمور الآخرة والقرب من سيد الأولين والآخرين والرغبة فيه وفي خدمته ومعاشرته والاستفادة منه وفي قضاء حقوقه وحوائجه وتوقع نزول الرحمة والوحي عليه عندها ونحو ذلك ومثل هذا حديث ابن عباس وقوله في القدح لا أوثر بنفسي منك أحداً ونظائر ذلك كثيرة. ا.هـ

٢٨٠ - [باب قوله **﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه، ولكن إذا دعيتم فادخلوا، وإذا طعمتم فانتشروا، ولا مستأنسين لحديث، إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم وا لله لا يستحي من الحق، وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن، وما كان لكم أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا، إن ذلكم كان عند ا لله عظيما﴾**].

ش: **قلت**: وأول الآية **﴿يا أيها الذين آمنوا...الخ﴾**.

قوله **﴿يا أيها الذين آمنوا... إلى قوله ناظرين إناه﴾** يقول تعالى ذكره لأصحاب رسول ا للهﷺ: يا أيها الذين آمنوا با لله ورسوله، لا تدخلوا بيوت نبي ا لله إلا أن تدعوا إلى طعام تطعمونه.

﴿غير ناظرين إناه﴾ يعني غير منتظرين إدراكه وبلوغه قاله ابن جرير، ثم أخرج هذا المعنى أعني في قوله غير ناظرين إناه عن مجاهد وابن عباس وقتادة.

قوله **﴿ولكن إذا دعيتم فادخلوا وإذا طعمتم فانتشروا، ولا مستأنسين لحديث﴾** بين لهم سبحانه ما ينبغي لهم إذا دعوا فقال **﴿ولكن إذا دعيتم فادخلوا﴾** وفيه تأكيد للمنع، وبيان الوقت الذي يكون فيه الدخول وهو عند الأذن قال ابن العربي: وتقدير الكلام: ولكن إذا دعيتم وأذن لكم فادخلوا، وإلا فنفس الدعوة لا تكون إذناً كافياً في الدخول، وقيل إن فيه دلالة بينة على أن المراد بالإذن إلى الطعام هو الدعوة إليه.

﴿فإذا طعمتم فانتشروا﴾ أمرهم سبحانه بالانتشار بعد الطعام وهو التفرق، والمراد الإلزام بالخروج من المنزل الذي وقعت الدعوة إليه عند انقضاء المقصود من الأكل.

﴿ولا مستأنسين لحديث﴾ عطف على قوله غير ناظرين أو على مقدر أي ولا تدخلوا ولا تمكثوا مستأنسين والمعنى النهي لهم عن أن يجلسوا بعد الطعام يتحدثون مستأنسين بالحديث. ا.هـ من كلام الشوكاني.

قوله ﴿**إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم وا لله لا يستحيي من الحق**﴾ بين سبحانه حكمة النهي وفائدته فقال ﴿**إن ذلكم** ﴾ أي انتظاركم الزائد على الحاجة ﴿**كان يؤذي النبي**﴾ أي يتكلف منه ويشق عليه حبسكم إياه عن شئون بيته وانتقاله فيه ﴿**فيستحيي منكم**﴾ أن يقول لكم اخرجوا كما هو جاري العادة أن الناس وخصوصاً أهل الكرم منهم يستحيون أن يخرجوا الناس من مساكنهم، ولكن ا لله لا يستحيي من الحق فالأمر الشرعي، ولو كان يتوهم أن في تركه أدباً وحياء، فإن الحزم كل الحزم اتباع الأمر الشرعي وأن يجزم أن ما خالفه ليس من الأدب في شئ، وا لله لا يستحي أن يأمركم بما فيه الخير لكم والرفق لرسوله كائناً ما كان. ا.هـ من تفسير ابن سعدي.

قوله ﴿**وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب**﴾ أي وكما نهيتكم عن الدخول عليهن، كذلك لا تنظروا إليهن بالكلية، ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن، ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب.

وقوله ﴿**وما كان لكم أن تؤذوا رسول ا لله**﴾ يقول تعالى ذكره وما ينبغي لكم أن تؤذوا رسول ا لله، وما يصلح ذلك لكم.

﴿**ولا تنكحوا أزواجه من بعده أبداً**﴾ يقول: وما ينبغي لكم أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً لأنهن أمهاتكم، ولا يحل للرجل أن يتزوج أمه.

وقوله ﴿**إن ذلكم كان عند ا لله عظيماً**﴾ والإشارة بقوله ﴿**إن ذلكم**﴾ إلى أذيته ﷺ ونكاح أزواجه من بعده ﴿**كان عند ا لله عظيماً**﴾ أي ذنباً عظيماً وخطباً هائلاً شديداً.

من فقه الآية

أولاً: أمر المؤمنات عامة ونساء النبيﷺ خاصة بالحجاب من غير ذوي المحارم.

ثانياً: على من دعي إلى وليمة إجابة الدعوى تطيباً لخاطر الداعي، ومن ثم المغادرة بعد أن يطعموا، دون إطالة المكث إلى حد يتأذى به صاحب الوليمة.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [يقال: إناه إدراكه أني يأنى أناة فهو آن].

ش: قال أبو عبيدة: أناه أي إدراكه وبلوغه ويقال أنى لك أن تفعل يأنى أنياً والاسم إنى وأنى أبلغ أدرك قال:

تمحضت المنون له بيوم أنى ولكل حاملة تمام اهـ.

٢- [**﴿لعل الساعة تكون قريباً﴾ إذا وصفت صفة المؤنث قلت: قريبه وإذا جعلته ظرفاً وبدلاً ولم ترد الصفة، نزعت الهاء من المؤنث، وكذلك لفظها في الواحد والاثنين والجميع، للذكر والأنثى**].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه مجاز الظرف هاهنا ولو كان وصفاً للساعة لكان قريبه، وإذا كان ظرفاً فإن لفظها في الواحد والاثنين والجميع من المذكر والمؤنث واحد بغير الهاء وبغير تثنية وبغير جمع.

والآية المشار إليها **﴿يسئلك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً﴾**.

٣١١ - حدثنا مسدد عن يحيى عن حميد عن أنس قال (قال عمر رضي الله عنه: قلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب).

٣١٢ - حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشي[1] حدثنا معتمر بن سليمان قال سمعت أبي يقول حدثنا أبو مجلز عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال (لما تزوج رسول الله ﷺ زينب ابنة جحش دعا القوم فطعموا، ثم جلسوا يتحدثون، وإذا هو كأنه يتهيأ للقيام، فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس ثم إنهم قاموا فانطلقت فجئتُ فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد قاموا ، فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي﴾ الآية.

٣١٣ - حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة قال أنس بن مالك (أنا أعلم الناس بهذه الآية آية الحجاب: لما أهديت زينب بنت جحش إلى رسول الله ﷺ كانت معه في البيت، صنع طعاماً ودعا القوم، فقعدوا يتحدثون، فجعل النبي ﷺ يخرج ثم يرجع، وهم قعود يتحدثون، فأنزل الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه - إلى قوله ـ من وراء حجاب﴾ فضرب الحجاب، وقام القوم.

٣١٤ - حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس رضي الله عنه قال (بني على النبي ﷺ بزينب بنت جحش بخبز ولحم، فأرسلت على الطعام داعياً فيجئ قوم فيأكلون ويخرجون ثم يجئ قوم فيأكلون ويخرجون، فدعوت حتى ما أجد أحداً أدعو، فقلت: يا نبي الله ما أجد أحداً أدعوه، قال: ارفعوا طعامكم، وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت، فخرج النبي ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة فقال: السلام عليكم أهل

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن مسلم الرقاشي البصري ثقة من كبار العاشرة مات سنة تسع عشرة ومائتين على الصحيح خ م س ق.

البيت ورحمة الله، فقالت: وعليك السلام ورحمة الله، كيف وجدت أهلك، بارك الله لك، فتقرى حجر نسائه كلهن، يقول لهن كما يقول لعائشة، ويقلن له كما قالت عائشة، ثم رجع النبيﷺ فإذا ثلاثة من رهط في البيت يتحدثون وكان النبيﷺ شديد الحياء فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة، فما أدري أخبرته أو أخبر أن القوم خرجوا، فرجع حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب داخلة وأخرى خارجة أرخى الستر بيني وبينه، وأنزلت آية الحجاب).

٣١٥ - حدثنا إسحاق بن منصور أخبرنا عبد الله بن بكر السهمي حدثنا حميد عن أنس رضي الله عنه قال (أولم رسول اللهﷺ حين بنى بزينب بنت جحش فأشبع الناس خبزاً ولحماً، ثم خرج إلى حجر أمهات المؤمنين كما كان يصنع صبيحة بنائه فيسلم عليهن، ويسلمن عليه، ويدعو لهن، ويدعون له، فلما رجع إلى بيته رأى رجلين جرى بهما الحديث، فلما رآهما رجع عن بيته، فلما رأى الرجلان نبي اللهﷺ رجع عن بيته وثبا مسرعين، فما أدري أنا أخبرته بخروجهما أم أخبر، فرجع حتى دخل البيت، وأرخى الستر بيني وبينه، وأنزلت آية الحجاب).

وقال ابن أبي مريم أخبرنا يحيى حدثنا حميد سمع أنساً عن النبيﷺ.

٣١٦ - حدثني زكريا بن يحيى، حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت (خرجت سوده ـ بعدما ضرب الحجاب ـ لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر بن الخطاب فقال: يا سوده، أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين قالت: فانكفأت راجعة، ورسول اللهﷺ في بيتي، وإنه ليتعشى وفي يده عرق، فدخلت فقالت: يا رسول الله، إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا، قالت: فأوحى الله إليه، ثم رفع عنه وإن العرق في يده ما وضعه فقال: إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن).

ش / فيها ثمان عشرة مسألة:

الأولى: قوله: «**يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر**» **قلت:** البر هو الصادق التقي وعكسه الفاجر وهو كل كذوب أثيم والمعنى أنه لمكانتك يدخل عليك أخلاط من الناس.

الثانية: قوله «**فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب**» لو ها هنا للعرض وهو الطلب برفق ومنه قولك، لو تنزل عندنا فتصيب خيراً والمعنى أن في عبارة عمر هذه الطلب من رسول الله ﷺ أن يأمر نساءه بالاحتجاب وهو التستر وقد قدم العلة قبل ذلك.

الثالثة: قوله: «**فأنزل الله آية الحجاب**» **في رواية أبي مجلز** «فألقى الحجاب بيني وبينه فأنزل الله ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي... الآية**﴾» وفي رواية أبي قلابة بعدها (فأنزل الله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه - إلى قوله - من وراء حجاب**﴾ فضرب الحجاب وقام القوم).

الرابعة: قوله «**لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش**» هي أم المؤمنين زينب بنت جحش بن رئياب بن يعمر الأسدية أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث وقيل سنة خمس وتوفيت سنة عشرين في خلافة عمر عن ثلاث وخمسين سنة وقيل عن خمسين.

الخامسة: قوله «**دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون**» وفي رواية أبي قلابة (صنع طعاماً ودعا القوم فقعدوا يتحدثون) وفي رواية عبد العزيز بن صهيب (فأرسلت على الطعام داعياً فيجيء قوم فيأكلون ثم يخرجون) وفي رواية حميد (فأشبع الناس خبزاً ولحماً)، وفي رواية الجعد (فقال ادع فلاناً وفلاناً وذهبت فدعوتهم زهاء ثلاثمائة رجل، وفي رواية الجعد بن عثمان عن أنس عند مسلم في النكاح باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب قال (تزوج النبي ﷺ

فدخل بأهله فصنعت له أم سليم حيساً) ويمكن الجمع بأن طعام وليمته ﷺ كان من صنعه وصنع أم سليم.

السادسة: قوله «**وإذا هو يتأهب للقيام فلم يقوموا**» في رواية أبي قلابة (فجعل النبيﷺ يخرج ثم يرجع وهم قعود) وفي رواية ابن صهيب (فخرج النبيﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة... إلى قوله فتقرى حجر نسائه كلهن يقول لهن كما يقول لعائشة، ويقلن له كما قالت عائشة، ثم رجع النبيﷺ فإذا ثلاثة من رهط في البيت يتحدثون) وفي رواية حميد «فلما رجع إلى بيته رأى رجلين» ووافقه بيان بن عمرو عن أنس عند الترمذي، وأصله عند المصنف أيضا، قال الحافظ: ويجمع بين الروايتين بأنهم أول ما قام وخرج من البيت كانوا ثلاثة وفي آخر ما رجع توجه واحد منهم في أثناء ذلك فصاروا اثنين، وهذا أولى من جزم ابن التين بأن إحدى الروايتين وهم.

وجوز الكرماني أن يكون التحدث وقع من اثنين منهم فقط والثالث كان ساكتاً، فمن ذكر الثلاثة لحظ الأشخاص ومن ذكر الاثنين لحظ سبب القعود، قلت وقول أنس (فإذا ثلاثة من رهط في البيت يتحدثون) يرد هذا التأويل.

السابعة: قوله «**فجئت فأخبرت النبيﷺ أنهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل**» كذا بالجزم، وفي رواية حميد (فلا أدري أنا أخبرته بخروجهما أم أخبر) وفي رواية عبد العزيز عن أنس (فما أدري أخبرته أو أخبر) وهو مبني للمجهول أي أخبر بالوحي، وهذا الشك قريب من شك أنس في تسمية الرجل الذي سأل الدعاء بالاستسقاء، فإن بعض أصحاب أنس جزم عنه بأنه الرجل الأول وبعضهم ذكر أنه سأله عن ذلك فقال لا أدري، وهو محمول على أنه كان يذكره ثم عرض له الشك فكان يشك فيه ثم تذكر فجزم.

الثامنة: قوله «**فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي﴾** الآية» زاد أبو قلابة في روايته **﴿إلا أن**

يؤذن لكم ـ إلى قوله ـ من وراء حجاب﴾ فضرب الحجاب، وفي رواية عبد العزيز (حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب داخلة والأخرى خارجة أرخى الستر بيني وبينه وأنزلت آية الحجاب) وعند الترمذي من رواية عمرو بن سعيد عن أنس (فلما أرخى الستر دوني ذكرت ذلك لأبي طلحة فقال: إن كان كما يقول لينزلن فيه قرآن، فنزلت آية الحجاب).

التاسعة: قوله «**أنا أعلم الناس بهذه الآية آية الحجاب**» وعند المصنف في باب آية الحجاب من الاستئذان ومسلم في النكاح باب زواج زينب بنت جحش من رواية الزهري عن أنس قال (أنا أعلم الناس في شأن الحجاب وكان في مبنى رسول الله ﷺ بزينب).

العاشرة: قوله «**لما أهديت زينب إلى رسول الله ﷺ**» في رواية أبي مجلز (لما تزوج رسول الله ﷺ) وفي رواية عبد العزيز بن صهيب (بني على النبي ﷺ بزينب بنت جحش، فقوله (لما أهديت) أي لما زينتها الماشطة وبعثتها إلى رسول الله ﷺ.

قال الجوهري: (والهداء مصدر قولك: هديت المرأة إلى زوجها هداء وقد هديت إليه وهي مهدية، وقوله (بني على النبي ﷺ بصفة المجهول من البناء وهو الدخول بالزوجة، والأصل فيه أن الرجل كان إذا تزوج امرأة بنى عليها قبه ليدخل بها فيها، فيقال بنى الرجل على أهله).

الحادية عشرة: قوله «**فيجيء قوم فيأكلون الثلاث**» في رواية الجعد وقال لي رسول الله ﷺ (يا أنس هات التور)قال: فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة فقال رسول الله ﷺ (ليتحلق عشرة عشرة، وليأكل إنسان مما يليه)قال فأكلوا حتى شبعوا.

الثانية عشرة: قوله «**فخرج النبي ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله، فقالت وعليك السلام ورحمة الله، كيف**

وجدت أهلك بارك ا لله لك، فخرج رسول ا لله ﷺ واتبعته، فتقرى حجر نسائه كلهن» وفي رواية ثابت عند مسلم (فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن).

الثالثة عشرة: قوله «**وقال ابن أبي مريم...الخ**» قلت ابن أبي مريم اسمه سعيد بن الحكم الجمحي شيخ البخاري ويحيى ابن أيوب الغافقي المصري ومراد المصنف رحمه ا لله بهذا إثبات سماع حميد من أنس.

الرابعة عشرة: قوله «**سوده**» هي أم المؤمنين سوده بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس العامرية القرشية، تزوجها النبي ﷺ بعد خديجة وهو بمكة وماتت سنة خمس وخمسين على الصحيح، في خلافة معاوية رضي ا لله عنهما.

الخامسة عشرة: قوله «**لحاجتها**» عند المصنف في الوضوء باب خروج النساء إلى البراز (أن أزواج النبي ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع وهو صعيد أفيح).

السادسة عشرة: قوله «**وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على أحد**» عند المصنف في الوضوء ومسلم في السلام (وكانت امرأة طويلة).

السابعة عشرة: قوله: «**فرأها عمر فقال: يا سوده وا لله ما تخفين علينا**» وفي رواية ابن شهاب (فناداها عمر ألا قد عرفناك يا سوده، حرصاً على أن ينزل الحجاب، فأنزل ا لله آية الحجاب).

قال مقيده: وهذا يخالف في ظاهره رواية الباب كما ترى.

قال الكرماني (١٨/٥٤): «لعله وقع مرتين، وتعقبه الحافظ بقوله: بل المراد بالحجاب الأول غير الحجاب الثاني».

الثامنة عشرة: قوله «**أنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن**» أذن بضم الهمزة مبنياً للمفعول قال القسطلاني: دفعاً للمشقة ورفعاً للحرج وفيه التنبيه على

أن المراد بالحجاب التستر حتى لا يبدوا من جسدهن شئ لا حجب أشخاصهن في البيوت.

من فقه الأحاديث

أولاً: في إشارة عمر رضي ا لله عنه على النبي ﷺ بحجاب أمهات المؤمنين وإقرار النبي ﷺ ذلك فضيلة ومنقبة لعمر رضي ا لله عنه.

ثانياً: بذل المشورة لأهل الفضل وتنبيههم إلى مصالحهم.

ثالثاً: مشروعية الوليمة للعرس وهل هي واجبة أو مستحبة قولان لأهل العلم: فالأكثرون على الثاني وقال بعض أصحاب الشافعي بالوجوب قالوا لأن النبي ﷺ أمر بها عبد الرحمن بن عوف ولأن الإجابة إليها واجبة فكانت واجبة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه في الفتاوى (٣٢/٢٠٦): «أما وليمة العرس فهي سنة».

وقال ابن قدامه في المغني كتاب الوليمة (٨ /١٠٦): «ولنا أنها طعام لسرور حادث فأشبه سائر الأطعمة والخبر محمول على الاستحباب».

رابعاً: مشروعية الدعوة إلى الوليمة والتوسعة فيها بما أمكن وهذا مستفاد من أمر النبي ﷺ بذلك وقوله في بعض طرق الحديث (ادع فلان وفلان) وفي بعض طرقه (ومن لقيت) فدعى أنس حتى بلغ المدعوون نحو ثلاثمائة رجل.

خامساً: إجابة الدعوة إلى وليمة العرس، قال ابن عبد البر: «لا خلاف في وجوب الإجابة إلى الوليمة لمن دعي إليها إذا لم يكن فيها لهو، وبه يقول مالك والشافعي والعنبري وأبو حنيفة وأصحابه، ومن أصحاب الشافعي من قال هو من فروض الكفايات لأن الإجابة إكرام وموالاة فهي كرد السلام»، حكاه في المغني كتاب الوليمة (٨/ ١٠٧).

قال مقيده: وعندي أن الإجابة إلى وليمة العرس واجبة على الأعيان لورود الأمر بذلك في السنة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ منها: عن ابن عمر رضي ا لله

عنهما عن النبي ﷺ قال (إذا دعا أحدكم أخاه فليجب عرساً كان أو نحوه) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إذا دعى أحدكم فليجب، فإن كان صائماً فليصل وإن كان مفطراً فليطعم. رواهما مسلم.

٢٨١ - [باب قوله **﴿إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإن ا لله كان بكل شئ عليماً لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن، واتقين ا لله إن ا لله كان على كل شئ شهيداً﴾**].

ش: قوله **﴿إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإن ا لله كان بكل شئ عليماً﴾** يقول تعالى ذكره إن تظهروا بألسنتكم شيئاً أيها الناس من مراقبة النساء وغير ذلك مما نهاكم عنه أو أذى لرسول ا لله ﷺ يقول: لأتزوجن زوجته بعد وفاته، أو تخفوه: يقول أو تخفوا ذلك في أنفسكم.

﴿فإن ا لله كان بكل شئ عليما﴾ يقول فإن ا لله بكل ذلك وبغيره من أموركم وأمور غيركم، عليم لا يخفى عليه شئ وهو يجازيكم على جميع ذلك.

وقوله **﴿لا جناح عليهن في آبائهن... إلى قوله: ولا ما ملكت أيمانهن﴾** بين تعالى أن هؤلاء الأقارب لا يجب الاحتجاب منهم كما استثناهم في سورة النور عند قوله **﴿ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن﴾** ... إلى أخرها وفيها زيادات على هذه.

وقوله «**﴿ولا نسائهن﴾**» يعني بذلك عدم الاحتجاب من النساء المؤمنات.

وقوله «**﴿وما ملكت أيمانهن﴾**» يعني به أرقاء هن من الذكور والإناث.

ثم أمرهن سبحانه بالتقوى التي هي ملاك الأمر كله والمعنى اتقين ا لله في كل الأمور التي من جملتها ما هو مذكور هنا.

﴿إن ا لله كان على كل شئ شهيداً﴾ لم يغب عنه شئ من الأشياء كائناً ما كان، فهو مجاز المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

٣١٧ - حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري حدثنا عروة بن الزبير أن عائشة رضي ا لله عنها قالت (استأذن علي افلح أخو أبي القعيس

بعد ما أنزل الحجاب، فقلت: لا آذن له حتى أستأذن فيه النبي ﷺ فإن أخاه أبا القعيس ليس هو أرضعني، ولكن أرضعتني امرأة أبي القعيس، فدخل علي النبي ﷺ فقلت له: يا رسول الله إن أفلح أخا أبي القعيس استأذن؛ فأبيت أن آذن له حتى أستأذنك فقال النبي ﷺ وما منعك أن تأذني، عمك، قلت يا رسول الله، إن الرجل ليس هو أرضعني ولكن أرضعتني امرأة أبي القعيس فقال ائذني له، فإنه عمك تربت يمينك).

قال عروة: فلذلك كانت عائشة تقول: حرموا من الرضاعة، ما تحرمون من النسب.

ش: فيه تسع مسائل:

الأولى: قوله «استأذن علي أفلح أخو أبي القعيس» في النكاح باب لبن الفحل (أن أفلح أخا أبي القعيس جاء يستأذن عليها) وفي الشهادات باب الشهادة على الأنساب من طريق الحكم عن عروة (استأذن علي أفلح فلم آذن له) وعند مسلم أفلح بن قعيس قال الحافظ: والمحفوظ أفلح أخو أبي القعيس، ويحتمل أن يكون اسم أبيه قعيس أو اسم جده فنسب إليه فتكون كنية أبي القعيس وافقت اسم أبيه أو اسم جده، ويؤيده ما وقع في الأدب من طريق عقيل عن الزهري بلفظ (فإن أخا بني القعيس) وكذا وقع عند النسائي من طريق وهب بن كيسان عن عروة، وكذا لمسلم من طريق يونس ومعمر عن الزهري، وهو المحفوظ عن أصحاب الزهري، لكن وقع عند مسلم من رواية ابن عيينة عن الزهري أفلح بن أبي القعيس، وكذا لأبي داود من طريق الثوري عن هشام بن عروة عن أبيه، ولمسلم من طريق ابن جريج عن عطاء (أخبرني عروة أن عائشة قالت استأذن علي عمي من الرضاعة أبو الجعد) قال فقال لي هشام: إنما هو أبو القعيس)، وكذا وقع عند مسلم من طريق أبي معاوية عن هشام (استأذن عليها أبو القعيس) وسائر الرواة عن هشام قالوا افلح أخو أبي القعيس كما هو

المشهور، وكذا قال سائر أصحاب عروة، ووقع عند سعيد بن منصور من طريق القاسم بن محمد (أن أبا قعيس أتى عائشة يستأذن عليها) وأخرجه الطبراني في الأوسط من طريق القاسم عن أبي قعيس، والمحفوظ أن الذي استأذن هو أفلح وأبو القعيس هو أخوه، قال القرطبي: كل ما جاء من الروايات وهم إلا من قال أفلح أخو أبي القعيس أو قال أبو الجعد لأنها كنية أفلح، **قلت**: وإذا تدبرت ما حررت عرفت أن كثيراً من الروايات لا وهم فيه ولم يخطئ عطاء في قوله أبو الجعد فإنه يحتمل أن يكون حفظ كنية أفلح، وأما ابن أبي القعيس فلم اقف عليه إلا في كلام الدار قطني فقال: هو وائل بن أفلح الأشعري، وحكى هذا ابن عبد البر ثم حكى أيضاً أن اسمه الجعد، فعلى هذا يكون أخوه وافق اسمه اسم أبيه، ويحتمل أن يكون أبو القعيس نسب لجده ويكون اسمه وائل بن قعيس بن أفلح بن القعيس، وأخوه أفلح بن قعيس بن أفلح أبو الجعد، قال ابن عبد البر في الاستيعاب: لا أعلم لأبي القعيس ذكراً إلا في هذا الحديث) ا.هـ من الفتح.

قال مقيده: وأما أبو القعيس فنقل الحافظ عن ابن خزيمة وابن مندة حديث الباب وفيه (أن أبا قعيس وائل بن أفلح استأذن الخ) الحديث ثم قال بعد: (الذي يصح من رواية شعبة وغيره أن أفلح أخا أبي القعيس فأبو القعيس إن كان اسمه وائلاً صحت هذه الترجمة) قلت فعليه فالرجل رضي الله عنه مختلف في اسمه.

الثانية: قوله «**بعد ما انزل الحجاب**» في النكاح (وهو عمها من الرضاعة، بعد ما أنزل الحجاب) وعند مسلم في الرضاع (أتاني عمي من الرضاعة) فيجمع بينها بأن قوله وهو عمها من كلام عروة وبقية الألفاظ من كلام عائشة والله أعلم.

الثالثة: قوله «**لا آذن له حتى استأذن النبي ﷺ**» وعند مسلم في رواية يونس في الرضاع (والله لا آذن لأفلح) وفي النكاح (فأبيت أن آذن له) وكذا عند مسلم في رواية مالك.

الرابعة: قوله «**فإن أخاه أبا القعيس ليس هو أرضعني ولكن أرضعتني امرأة أبي القعيس**» وفي رواية يونس عند مسلم (فإن أبا القعيس ليس هو أرضعني، ولكن أرضعتني امرأته) هذه الجملة تعليل لما سبق من عدم إذنها له بالدخول عليها ومرادها أنها لم تكن رضيعة لأفلح بل لأخيه أبي القعيس ولهذا قال لها كما في الشهادات (أتحتجبين مني وأنا عمك).

الخامسة: قوله «**إن أفلح أخا أبي القعيس استأذن**» وفي رواية يونس يستأذن عليها، فلما جاء رسول الله ﷺ أخبرته بالذي صنعت.

السادسة: قوله «**ما منعك أن تأذني، عمك**» وفي رواية مالك (فأمرني أن آذن له عليّ) وعند المصنف من رواية عراك (استأذن عليّ أفلح فلم آذن له فقال: أتحتجبين مني وأنا عمك، فقلت: وكيف ذلك، قال: أرضعتك امرأة أخي بلبن أخي فقالت: سألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: صدق أفلح، ائذني له) وفي رواية مالك في النكاح (إنه عمك فليلج عليك) أي ليدخل عليك، فبان بهذا دفع ما كانت تظنه عائشة من عدم محرمية أفلح لها وعبرت عنه بأنها لم ترضع بلبنه.

السابعة: قوله «**إن الرجل ليس هو أرضعني ولكن أرضعتني امرأة أبي القعيس**» في رواية يونس (فإن أبا القعيس ليس هو أرضعني، ولكن أرضعتني امرأته) وهذه علة أخرى أوضحت بها لرسول الله ﷺ السبب في عدم إذنها لأفلح بالدخول عليها.

الثامنة: قوله «**قال عروة**» يظهر أن القائل هو ابن شهاب وعليه فليس بمعلق.

التاسعة: قوله «**حرموا من الرضاعة، ما تحرمون من النسب**» وفي رواية عراك عند مسلم (فأخبرت رسول الله ﷺ فقال لها (لا تحتجبي منه، فإنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب) فتحصل من هذا أن التحريم بالرضاعة مثل التحريم من النسب ثابت عن عائشة مرة من قولها ومرة بروايتها عن النبي ﷺ.

من فقه الحديث

أولاً: أن احتجاب النساء من الرجال لم يكن في أول الإسلام، وإنهم كانوا يرون النساء، ولا تستتر نساؤهم عن رجالهم إلا بمثل ما كان تستتر رجالهم عن رجالهم حتى نزلت آيات الحجاب.

ثانياً: أن ذوي المحارم من النسب والرضاع لا يحتجب منهم، ولا يستتر عنهم إلا العورات.

ثالثاً: إذا رضع طفل من امرأة صارت أماً له وزوجها الذي رضع بلبنه أباه وأولادهما اخوة له وكذلك أولادها من ذلك الرجل أو غيره كما أن اخوة من رضع بلبنه أعمامه واخوة المرأة أخواله وأبو الرجل وأبو المرأة وإن علوا أجداده ودليل ذلك كله حديث ((يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب)).

تنبيه

أخرج الشيخان واللفظ للبخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها رجل، فكأنه تغير وجهه، كأنه كره ذلك، فقالت: إنه أخي فقال: انظرن من إخوانكن فإنما الرضاعة من المجاعة).

قال الحافظ في شرحه لهذا الحديث (١٤٨/٩): «والمعنى تأملن ما وقع من ذلك هل هو رضاع صحيح شرطه من وقوعه في زمن الرضاعة، ومقدار الإرضاع فإن الحكم الذي ينشأ من الرضاع إنما يكون إذا وقع الرضاع المشترط... وقوله (فإنما الرضاعة من المجاعة) فيه تعليل الباعث على إمعان النظر والفكر لأن الرضاعة تثبت النسب وتجعل الرضيع محرماً، وقوله (من المجاعة) أن الرضاعة التي تثبت بها الحرمة وتحل بها الخلوة هي: حيث يكون الرضيع طفلاً لسد اللبن جوعته، لأن معدته ضعيفة يكيفها اللبن وينبت بذلك لحمه فيصير كجزء من المرضعة فيشترك في الحرمة مع أولادها»اهـ

قال مقيده: فلتحذر كل مسلمة من بذل نفسها في الإرضاع بدافع العاطفة أو المحبة ولتتنبه إلى ما أفاده هذا الحديث.

فوائد في الرضاعة:

الأولى: في معنى الرضاع، قال أهل العلم وهو لغة: مص اللبن من الثدي.

وشرعاً: مص من دون الحولين لبناً ثاب عن حمل أو شربه ونحوه.

قال مقيده: وعموم النصوص من الكتاب والسنة ومنها حديث الباب وحديث عائشة في التنبيه قبل هذا التعريف تفيد أن الحرمة بالرضاعة حاصلة بمجرد اللبن سواء كان عن حمل أو غيره.

الثانية: في القدر المحرم من الرضعات وفيه ثلاثة أقوال لأهل العلم:

الأول: أن القدر المحرم من الرضاع خمس مصات وهذا هو الصحيح في مذهب أحمد رحمه الله وبه قال الشافعي وروي هذا عن عائشة وابن مسعود وابن الزبير وعطاء وطاوس ومن أدلتهم ما رواه مسلم عن عائشة قالت: أنزل في القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن فنسخ من ذلك خمس وصار إلى خمس رضعات معلومات يحرمن فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك، وروى مالك عن الزهري عن عروة عن عائشة عن سهلة بنت سهيل أن النبي ﷺ قال لها: (ارضعي سالماً خمس رضعات فيحرم بلبنها).

القول الثاني: أنه يحرم قليل الرضاع وكثيره وهو الرواية الثانية عن أحمد وبه قال مالك وحماد وقتادة ومكحول والحسن والزهري وسعيد بن المسيب والأوزاعي والثوري والليث وأصحاب الرأي وروي هذا عن علي وابن عباس، ودليلهم قوله تعالى ﴿**وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة**﴾ وقوله ﷺ (يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب) **قالوا:** أن ذلك فعل يتعلق به تحريم مؤبد فلم يعتبر فيه العدد كتحريم أمهات النساء.

القول الثالث: أنه لا يحرم إلا ثلاث رضعات فما فوق وهو الرواية الثالثة عن الإمام أحمد وبه قال أبو ثور وأبو عبيد وابن المنذر وداود بن علي الظاهري، واحتجوا بقوله ﷺ (لا تحرم المصة ولا المصتان) وعن أم الفضل بنت الحارث قالت: قال النبي ﷺ (لا تحرم الإملاجة ولا الإملاجتان) رواهما مسلم، قالوا: ولأن ما يعتبر فيه العدد والتكرار يعتبر فيه الثلاث.

والأول هو الراجح ويجاب عن أدلة القول الثاني بأن ما استدلوا به مجمل بينته السنة كما يجاب عن أدلة الفريق الثالث بأن ما استدلوا به مفهوم وصريح أدلة القول الأول منطوق وهو مقدم على المفهوم.

الثالثة: وأعلم أنه لا تكون الحرمة بالرضاعة إلا بشرطين:

أولهما: أن يكون في الحولين لقوله تعالى ﴿**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة**﴾ ولحديث (لا يحرم من الرضاع إلا ما أفتق الأمعاء وكان قبل الفطام) رواه الترمذي وصححه.

وثانيهما: أن يكون خمس رضعات معلومات وتقدير الرضعة يكون بإمساك الطفل الثدي وإطلاقه باختياره.

فإن قال قائل: فكيف الجواب عن قصة رضاع سالم مولى أبي حذيفة من امرأة أبي حذيفة ألم ترضعه وهو كبير قلنا الحديث في ذلك صحيح ولفظة كما رواه مسلم عن سهلة بنت سهيل أنها جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن سالماً مولى أبي حذيفة معنا في بيتنا وقد بلغ ما يبلغ الرجال فقال: (أرضعيه تحرمي عليه) قلت ولكن كان إرضاع سالم لضرورة كما هو ظاهر من لفظ الحديث فلا يعترض به على ما قدمناه قبل والله أعلم.

٢٨٢ - [باب ﴿إن ا لله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾].

ش: المقصود من هذه الآية أن ا لله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي من أهل الإيمان بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً فقال تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا ادعوا لنبي ا لله محمد ﷺ وسلموا عليه تسليماً يقول: وحيوه تحية الإسلام.

شرح جملة من الآثار

١ - [قال أبو العالية: صلاة ا لله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء].

ش: قال ابن كثير: وقد رواه أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية كذلك وروي مثله عن الربيع أيضاً.

قلت وأبو العالية هو رفيع بن مهران الرياحي البصري تابعي مخضرم أدرك الجاهلية وأسلم بعد موت النبي ﷺ بسنتين ودخل على أبي بكر الصديق رضي ا لله تعالى عنه وصلى خلف عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه مات سنة تسعين،(ع).

٢ - [وقال ابن عباس: يصلون يبرّكون].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس بلفظ (يباركون على النبي).

٣ - [﴿لنغرينك﴾ لنسلطنك].

ش: أخرجه ابن جرير بإسناد الذي قبله ولفظه (لنسلطنك عليهم).

وأخرج عن قتادة (لنحرشنك بهم)، والعبارتان متقاربتان في المعنى.

والآيـة المشـار إليهـا ﴿لئن لم ينته المنـافقون والذيـن في قلوبهـم مـرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً﴾.

٣١٨ - حدثني سعيدبن يحيى[١] حدثنا أبي[٢] حدثنا مسعر عن الحكم عن ابن أبي ليلى عن كعب بن عجرة[٣] رضي الله عنه (قيل يا رسول الله، أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد).

٣١٩ - حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث قال حدثني ابن الهاد عن عبد الله[٤] بن خباب عن أبي سعيد الخدري قال: (قلنا يا رسول الله هذا التسليم، فكيف نصلي عليك؟ قال قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم) قال أبو صالح عن الليث (على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم)، حدثنا إبراهيم بن حمزة حدثنا ابن أبي حازم والدراوردي عن يزيد وقال (كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم).

ش / فيهما ست مسائل:

---

(١) هو أبو عثمان سعيد بن يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص الأموي البغدادي ثقة ربما أخطأ من العاشرة، مات سنة تسع وأربعين [ومائتين] خ،م، د، ت، س.

(٢) هو أبو سعيد يحيى بن سليمان بن يحيى بن سعيد الجعفي الكوفي، نزيل مصر، صدوق يخطئ من العاشرة، مات سنة سبع أو ثمان وثلاثين ومائتين خ، ت.

(٣) هو أبو محمد كعب بن عجرة الأنصاري المدني، صحابي مشهور مات بعد الخمسين وله نيف وسبعون، ع.

(٤) هو عبد الله بن خباب الأنصاري النجاري مولاهم المدني، ثقة من الثالثة مات بعد المائة، ع.

الأولى: قوله «**قيل: يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه**» في حديث أبي سعيد بعده (قلنا يا رسول الله هذا التسليم) والمراد بالسلام ما علمهم إياه في التشهد من قولهم (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) قال الحافظ: والسائل عن ذلك هو كعب بن عجرة نفسه، أخرجه ابن مردويه من طريق الأجلح عن الحكم بن أبي ليلى عنه.

قلت: وقد وقع السؤال عن ذلك أيضاً لبشير بن سعد والد النعمان بن بشير، كذا وقع في حديث أبي مسعود عند مسلم بلفظ (أتانا رسول الله في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله تعالى أن نصلي عليك فكيف نصلي عليك؟) وروى الترمذي في الصلاة باب ما جاء في صفة الصلاة على النبي ﷺ من طريق يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال (لما نزلت ﴿**إن الله وملائكته**﴾ الآية، قلنا: يا رسول الله قد علمنا السلام فكيف الصلاة؟). ولا مانع من تعدد السائلين.

الثانية: قوله «**فكيف الصلاة عليك؟**» في حديث أبي سعيد (فكيف نصلي عليك؟) زاد أبو مسعود في روايته كما أخرج أبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان (إذا نحن صلينا عليك في صلاتنا) وفي هذا دليل على أن العبادات توقيفية.

الثالثة: قوله «**قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد**» في حديث أبي سعيد (على محمد عبدك ورسولك).

الرابعة: قوله: «**كما صليت على آل إبراهيم**» أي تقدمت منك الصلاة على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فنسأل منك الصلاة على محمد وعلى آل محمد فكل من النبيين عبدك ورسولك وخليلك.

فائدة

أورد ابن القيم في جلاء الأفهام (ص٢١٤) سؤالاً: «وهو أن النبي ﷺ أفضل من إبراهيم، فكيف طلب له من الصلاة ما لإبراهيم مع أن المشبه به أصله أن يكون فوق المشبه فكيف الجمع بين هذين الأمرين المتنافرين؟»

فذكر أن الناس اختلفوا في هذا تسع طوائف ونحن نذكر ذلك مع اختصار وتصرف:

أولاً: قالت طائفة: هذه الصلاة علمها النبي ﷺ أمته قبل أن يعرف أنه سيد ولد آدم، ولو سكت قائل هذا، لكان أولى به وخيراً له، فإن هذه الصلاة التي علمهم النبي ﷺ إياها لما سألوه عن تفسير ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً**﴾، فعلمهم هذه الصلاة وجعلها مشروعة في صلوات الأمة إلى يوم القيامة، والنبي ﷺ لم يزل أفضل ولد آدم قبل أن يعلم بذلك وبعده، وبعد أن علم بذلك، لم يغير نظم الصلاة التي علمها أمته، ولا أبدلها بغيرها، ولا روى عنه أحد خلافها، فهذا من أفسد جواب يكون.

ثانياً وقالت طائفة أخرى: هذا السؤال والطلب شرع ليتخذه الله خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً.

وقد أجابه إلى ذلك كما ثبت عنه في الصحيح: (ألا وإن صاحبكم خليل الرحمن يعني نفسه، وهذا الجواب من جنس ما قبله فإن مضمونه أنه بعد أن اتخذه الله خليلاً لا تشرع الصلاة عليه على هذا الوجه، وهذا من أبطل الباطل.

ثالثاً: وقالت طائفة أخرى: إنما هذا التشبيه راجع إلى المصلي فيما يحصل له من طلب الصلاة عليه، فطلب من ربه ثواباً وهو أن يصلي عليه كما صلى على آل إبراهيم، لا بالنسبة إلى النبي ﷺ، فإن المطلوب لرسول الله ﷺ من الصلاة أجل وأعظم مما هو حاصل لغيره من العالمين.

وهذا من جنس ما قبله أو أفسد، فإن التشبيه ليس فيما يحصل للمصلي، بل فيما يحصل للمصلى عليه وهو النبي ﷺ وآله، فمن قال: إن المعنى اللهم أعطني من ثواب صلاتي عليه كما صليت على آل إبراهيم فقد حرف الكلم وأبطل في كلامه.

رابعاً: وقالت طائفة أخرى: التشبيه عائد إلى الآل فقط، وتم الكلام عند قوله: ((اللهم صل على محمد)) ثم قال: ((وعلى آل محمد كما صليت على آل

إبراهيم)) فالصلاة المطلوبة لآل محمد هي المشبهة بالصلاة الحاصلة لآل إبراهيم، وهذا نقله العمراني عن الشافعي وهو باطل عليه قطعاً، فإن الشافعي أجل من أن يقول مثل هذا، ولا يليق هذا بعلمه وفصاحته، فإن هذا في غاية الركاكة والضعف.

خامساً: وقالت طائفة أخرى: لا يلزم أن يكون المشبه به أعلى من المشبه، بل يجوز أن يكونا متماثلين وأن يكون المشبه أعلى من المشبه به. قال هؤلاء: والنبي ﷺ أفضل من إبراهيم من وجوه غير الصلاة، وإن كانا متساويين في الصلاة. قالوا: والدليل على أن المشبه قد يكون أفضل من المشبه به قول الشاعر:

بنونا بنو أبنائنا، وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

وهذا القول أيضاً ضعيف من وجوه:

أحدها: أن هذا خلاف المعلوم من قاعدة تشبيه الشيء بالشيء، فإن العرب لا تشبه الشيء إلا بما هو فوقه.

الثاني: أن الصلاة من الله تعالى من أجل المراتب وأعلاها، ومحمد ﷺ أفضل الخلق، فلا بد أن تكون الصلاة الحاصلة له أفضل من كل صلاة تحصل لكل مخلوق، فلا يكون غيره مساوياً له فيها.

الثالث: أن الله سبحانه أمر بها بعد أن أخبر أنه وملائكته يصلون عليه، وأمر بالصلاة والسلام عليه، وأكده بالتسليم، وهذا الخبر والأمر لم يثبتهما في القرآن لغيره من المخلوقين.

سادساً: وقالت طائفة أخرى: إن النبي ﷺ له من الصلاة الخاصة به التي لا يساويها صلاة ما لم يشركه فيها أحد، والمسئول له إنما هو صلاة زائدة على ما أعطيه مضافاً إليه، ويكون ذلك الزائد مشبهاً بالصلاة على إبراهيم، وليس بمستنكر أن يسأل للفاضل فضيلة أعطيها المفضول منضماً إلى ما اختص به هو من الفضل الذي لم يحصل لغيره.

قالوا: ومثال ذلك: أن يعطي السلطان رجلاً مالاً عظيماً ويعطي غـيره دون ذلك المال، فيسأل السلطان أن يعطي صاحب المال الكثير مثل ما أعطـى مـن هـو دونه لينضم ذلك إلى ما أعطيه، فيحصل له من مجموع العطاءين اكـثر مما يحصل من الكثير وحده.

وهذا أيضاً ضعيف؛ لأن الله تعالى أخبر أنه وملائكته يصلون عليه، ثم أمـر بالصلاة عليه، ولا ريب أن المطلوب من الله هـو نظير الصـلاة المخبر بهـا لا مـا دونها، وهو أكمل الصلاة عليه وأرجحها، لا الصلاة المرجوحة المفضولة.

وعلى قول هؤلاء: إنما يكون الطلب لصلاة مرجوحة لا راجحة، وإنما تصير راجحة بانضمامها إلى صلاة لم تطلب، ولا ريب في فساد ذلك، فإن الصلاة الـتي تطلبها الأمة له من ربه هي أجل صلاة وأفضلها.

سابعاً: وقالت طائفة أخرى: التشبيه المذكور إنما هو في أصل الصلاة، لا في قدرها، ولا في كيفيتها، فالمسئول إنما هو راجع إلى الهيئـة، لا إلى قـدر الموهـوب، وهذا كما تقول للرجل أحسن إلى ابنك كما أحسنت إلى فـلان، وأنـت لا تريـد بذلك قدر الإحسان، وإنما تريد به أصل الإحسان، وقد يحتج لذلك بقوله تعـالى: ﴿**وأحسن كما احسن الله إليك**﴾، ولا ريب أنه لا يقدر أحد أن يحسـن بقـدر ما احسن الله إليه، وإنما أريد به أصل الإحسان لا قدره، ومنها قوله تعالى: ﴿**إنـا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيـين مـن بعـده**﴾ وهـذا التشبيه في أصـل الوحي لا في قدره وفضل الموحى به.

وقوله تعالى: ﴿**فليأتنا بآية كما أرسل الأولون**﴾ إنما مرادهم جنس الآية لا نظيرها.

وقولـه تعـالى: ﴿**وعـد الله الذيـن آمنـوا منكـم وعملـوا الصالحـات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين مـن قبلهـم وليمكنـن لهـم دينهـم الذي ارتضى لهم**﴾ ومعلـوم أن كيفيـة الاسـتخلاف مختلفـة، وأن مـا لهـذه الأمـة

أكمل مما لغيرهم. وقال النبي ﷺ: ((لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا)) فالتشبيه هنا في أصل الرزق لا في قدره ولا كيفيته ونظائر ذلك.

وهذا الجواب ضعيف أيضاً لوجوه:

منها أن ما ذكروه يجوز أن يستعمل في الأعلى والأدنى والمساوي. فلو قلت: أحسن إلى أبيك وأهلك كما أحسنت إلى مركوبك وخادمك ونحوه، جاز ذلك. ومن المعلوم أنه لو كان التشبيه في أصل الصلاة، لحسن أن تقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل أبي أوفى، أو كما صليت على آحاد المؤمنين ونحوه، أو كما صليت على آدم، ونوح، وهود، ولوط، فإن التشبيه عند هؤلاء إنما هو واقع في أصل الصلاة لا في قدرها ولا صفتها، ولا فرق في ذلك بين كل من صلى عليه، وأي ميزة وفضيلة في ذلك لإبراهيم وآله، وما الفائدة حينئذ في ذكره وذكر آله؟ وكان الكافي في ذلك أن يقال: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد فقط.

الثاني: أن ما ذكروه من الأمثلة ليس بنظير الصلاة على النبي ﷺ، فإن هذه الأمثلة نوعان: خبر، وطلب؛ فما كان منها خبراً فالمقصود بالتشبيه به الاستدلال والتقريب إلى الفهم وتقرير ذلك الخبر، وأنه مما لا ينبغي لعاقل إنكاره كنظير المشبه به، فكيف تنكرون الإعادة وقد وقع الاعتراف بالبداءة وهي نظيرها، وحكم النظير حكم نظيره.

وأما في قسم الطلب والأمر فالمقصود منه التنبيه على العلة وأن الجزاء من جنس العمل.

الثالث: أن قوله: (كما صليت على آل إبراهيم) صفة لمصدر محذوف، وتقديره: صلاة مثل صلاتك على آل إبراهيم، وهذا الكلام حقيقته أن تكون الصلاة مماثلة للصلاة المشبهة بها فلا يعدل عن حقيقة الكلام ووجهه.

ثامناً: وقالت طائفة أخرى: إن هذا التشبيه حاصل بالنسبة إلى كل صلاة من صلوات المصلين، فكل مصل صلى على النبي ﷺ بهذه الصلاة فقد طلب من الله أن يصلي على رسوله صلاة مثل الصلاة الحاصلة لآل إبراهيم، ولا ريب أنه إذا حصل من كل مصل طلب من الله له صلاة مثل صلاته على آل إبراهيم حصل له من ذلك أضعاف مضاعفة من الصلاة لا تعد ولا تحصى، ولم يقاربه فيها أحد، فضلاً عن أن يساويه أو يفضلهﷺ.

ونظير هذا أن يعطي ملك لرجل ألف درهم، فيسأله كل واحد من رعيته أن يعطي لرجل آخر أفضل منه نظير تلك الألف، فكل واحد قد سأله أن يعطيه ألفاً، فحصل له من الألوف بعدد كل سائل.

وأورد أصحاب هذا القول على أنفسهم سؤالاً: وهو أن التشبيه حاصل بالنسبة إلى أصل هذه الصلاة المطلوبة، وكل فرد من أفرادها، فالإشكال وارد كما هو.

وتقريره أن العطية التي يعطاها الفاضل لا بد أن تكون أفضل من العطية التي يعطاها المفضول، فإذا سئل له عطية دون ما يستحقه لم يكن ذلك لائقاً بمنصبه.

وأجابوا عنه بان هذا الإشكال إنما يراد إذا لم يكن الأمر للتكرار، فأما إذا كان الأمر للتكرار فالمطلوب من الأمة أن يسألوا الله سبحانه له صلاة بعد صلاة، كل منها نظير ما حصل لإبراهيم ﷺ فيحصل له من الصلوات ما لا يحصى مقداره بالنسبة إلى الصلاة الحاصلة لإبراهيم عليه السلام.

وهذا أيضاً ضعيف، فإن التشبيه هنا إنما هو واقع في صلاة الله عليه لا في معنى صلاة المصلي، ومعنى هذا الدعاء: اللهم أعطه نظير ما أعطيت إبراهيم، فالمسئول له صلاة مساوية للصلاة على إبراهيم، وكلما تكرر هذا السؤال كان هذا معناه، فيكون كل مصل قد سأل الله أن يصلي عليه صلاة دون التي يستحقها، وهذا السؤال والأمر به متكرر، فهل هذا إلا تقوية لجانب الإشكال؟.

ثم إن التشبيه وقع في أصل الصلاة وأفرادها، ولا يغني جوابكم عنه بقضية التكرار شيئاً، فإن التكرار لا يجعل جانب المشبه به أقوى من جانب المشبه، كما هو مقتضى التشبيه، فلو كان التكرار يجعله كذلك، لكان الاعتذار به نافعاً، بل التكرار يقتضي زيادة تفضيل المشبه وقوته، فكيف يشبه حينئذ بما هو دونه؟ فظهر ضعف هذا الجواب.

تاسعاً: وقالت طائفة أخرى: آل إبراهيم فيهم الأنبياء الذين ليس في آل محمد مثلهم، فإذا طلب للنبي ﷺ ولآله من الصلاة مثل ما لإبراهيم وآله وفيهم الأنبياء حصل لآل النبي ﷺ من ذلك ما يليق بهم، فإنهم لا يبلغون مراتب الأنبياء، وتبقى الزيادة التي للأنبياء وفيهم إبراهيم لمحمد ﷺ، فيحصل له بذلك من المزية ما لم يحصل لغيره.

وتقرير ذلك: أن يجعل الصلاة الحاصلة لإبراهيم ولآله وفيهم الأنبياء جملة مقسومة على محمد ﷺ وآله، ولا ريب أنه لا يحصل لآل النبي ﷺ مثل ما حصل لآل إبراهيم وفيهم الأنبياء، بل يحصل لهم ما يليق بهم، فيبقى قسم النبي ﷺ والزيادة المتوفرة التي لم يستحقها آله مختصة به ﷺ، فيصير الحاصل له من مجموع ذلك أعظم وأفضل من الحاصل لإبراهيم، وهذا أحسن من كل ما تقدمه.

وأحسن منه أن يقال: محمد ﷺ هو من آل إبراهيم، بل هو خير آل إبراهيم.

الخامسة: قوله «**قال أبو صالح عن الليث**» يعني بالإسناد المذكور قبل.

قوله «**على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم**» يعني أن عبد الله بن يوسف لم يذكر آل إبراهيم عن الليث وذكرها أبو صالح عنه في الحديث المذكور.

قال الحافظ: وهكذا أخرجه أبو نعيم من طريق يحيى بن بكير عن الليث.

قوله: «حدثنا ابن أبي حازم» هو عبد العزيز بن سلمة بن دينار، قوله (والدراوردي) هو عبد العزيز بن محمد.

السادسة: قوله «**عن يزيد**» هو ابن عبد الله بن شداد بن الهاد شيخ الليث فيه، ومراده أنهما روياه بإسناد الليث، فذكر آل إبراهيم كما ذكره أبو صالح عن الليث.

قال الحافظ: وقد روى إسماعيل بن إسحاق في كتاب أحكام القرآن له بإسناد حسن عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب (أما بعد فإن ناساً من الناس التمسوا عمل الدنيا بعمل الآخرة، وإن ناساً من القصاص أحدثوا في الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدل الصلاة على النبي، فإذا جاءك كتابي هذا فمرهم أن تكون صلاتهم على النبيين ودعاؤهم للمسلمين، ويدعوا ما سوى ذلك) ثم أخرج عن ابن عباس بإسناد صحيح قال (لا تصلح الصلاة على أحد إلا على النبي ﷺ، ولكن للمسلمين والمسلمات الاستغفار) وذكر أبو ذر أن الأمر بالصلاة على النبي ﷺ كان في السنة الثانية من الهجرة، وقيل من ليلة الإسراء. ا.هـ من الفتح.

فائدتان

الأولى: في حكم الصلاة عليه ﷺ حكى الحافظ في شرحه لباب الصلاة على النبي ﷺ من كتاب الدعوات من هذا الصحيح عشرة أقوال وهي:

أولها: قول ابن جرير الطبري أنها من المستحبات وادعى الإجماع على ذلك.

ثانيها: مقابله وهو نقل ابن القصار وغيره الإجماع على أنها تجب في الجملة بغير حصر لكن أقل ما يحصل به الإجزاء مرة.

ثالثها: تجب في العمر في صلاة أو في غيرها وهي مثل كلمة التوحيد قاله أبو بكر الرازي من الحنفية وابن حزم وغيرهما.

وقال القرطبي المفسر: لا خلاف في وجوبها في العمر مـرة وأنهـا واجبـة في كل حين وجوب السنن المؤكدة، وسبقه ابن عطية.

رابعها: تجب في القعود آخر الصلاة بين قول التشـهد وسـلام التحلـل قالـه الشافعي ومن تبعه.

خامسها: تجب في التشهد وهو قول الشعبي وإسحاق بن راهويه.

سادسها: تجب في الصلاة من غير تعيـين المحـل نقـل ذلـك عـن أبـي جعفـر الباقر.

سابعها: يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد قاله أبو بكـر بـن بكـير مـن المالكية.

ثامنها: كلما ذكر قاله الطحاوي وجماعة من الحنفية والحليمي وجماعـة مـن الشافعية، وقال ابن العربي من المالكية أنه الأحوط، وكذا قال الزمخشري.

تاسعها: في كل مجلس مرة ولو تكرر ذكره مراراً حكاه الزمخشري.

عاشرها: في كل دعاء حكاه أيضاً.

الثانية: فيما صح عن النبي ﷺ من صيغ الصلاة عليه وهي كثيرة منها:

١ ـ ما رواه أحمد، والطحاوي في المشكل وغيرهما عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول: (اللهم صل على محمد، وعلى أهل بيته، وعلى أزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل بيته، وعلى أزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم، إنـك حميد مجيد).

٢ ـ ما رواه مسلم عن أبي حميد الساعدي قال ﷺ: (قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجـه و ذريتـه كمـا بـاركت علـى آل إبراهيـم إنـك حميـد مجيـد) وإن شـئت الوقوف على المزيد في هذا الباب فانظر جلاء الأفهام لابن القيـم مـن (ص ٢٩)، وصفة الصلاة للألباني من (ص ١٤٦).

٢٨٣ - [باب قوله **﴿لا تكونوا كالذين آذوا موسى﴾**].

ش: قلت الآية: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً﴾**.

يقول تعالى ذكره لأصحاب نبي الله ﷺ: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تؤذوا رسول الله بقول يكرهه منكم، ولا بفعل لا يحبه منكم، ولا تكونوا أمثال الذين آذوا موسى نبي الله، فرموه بعيب كذباً وباطلاً.

واعلم أن أهل العلم اختلفوا في الأذى الذي ناله من قومه وبرأه الله منه على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه آدر يعني كبير الخصيتين، وبه قال ابن عباس وابن زيد.

ثانيها: أنه أبرص وهو قول سعيد بن جبير.

ثالثها: أنهم ادعوا عليه قتل أخيه هارون، وبه قال علي بن أبي طالب والذي اختاره ابن جرير بعد حكايته هذه الأقوال أن بني إسرائيل آذوا نبي الله ببعض ما كان يكره أن يؤذى به، فبرأه الله مما آذوه به، وجائز أن يكون ذلك كان ادعاؤهم أنه أبرص، وجائز أن يكون كان ادعاؤهم عليه قتل أخيه هارون وجائز أن يكون كل ذلك.

قلت: وأول الأقوال وثانيها من تفسير النبي ﷺ كما سيأتي بعد في شرح حديث الباب وما كان من تفسير النبي ﷺ لكتاب ربه فلا يعدل عنه إلى سواه من الأقوال.

وقوله: **﴿فبرأه الله مما قالوا﴾** أي فيه من الكذب والزور بما أظهر من البرهان على كذبهم.

وقوله: **﴿وكان عند الله وجيهاً﴾** يقول وكان موسى عند الله مشفقاً فيما يسأل ذا وجه ومنزلة عنده بطاعته إياه.

٣٢٠ - حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا روح بن عبادة حدثنا عوف عن الحسن ومحمد وخلاس[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قال رسول اللهﷺ: إن موسى كان رجلاً حيياً، وذلك قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا، وكان عند الله وجيهاً﴾.

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «**إن موسى كان رجلاً حيياً**» يعني كثير الحياء وهكذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، زاد في الأنبياء باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام من هذا الوجه (ستيراً، لا يرى من جلده شئ استحياءً منه).

الثانية: قوله وذلك «قوله تعالى **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً﴾**» هذا هو وجه الشاهد من الحديث وقد قدمنا شرحه متبوعاً باختلاف أهل العلم فيما نال موسى من آذى قومه وبرأه الله منه وقد ذكر المصنف الحديث في الأنبياء بأتم من هذا ولفظه (إن موسى كان رجلاً حيياً ستيراً، لا يرى من جلده شئ استحيا منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا ما تستر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برص وإما آدر وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يوماً وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله، وأبرأه الله مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربا بعصاه، فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه، ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً، فذلك قوله **﴿يا**

---

(١) هو خلاس بن عمرو الهجري البصري ثقة وكان يرسل من الثانية وكان على شرطة علي وقد صح أنه سمع من عمار، ع.

أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذو موسى فبرأه ا لله مما قالوا وكان عند ا لله وجيهاً﴾.

من فقه الحديث

١ ـ كمال خلق الأنبياء وخلقهم.

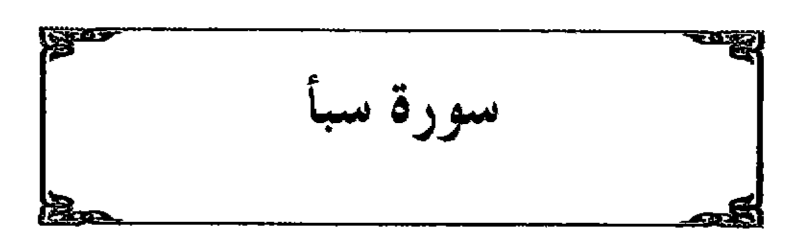
٢ ـ تحريم عيب الأنبياء في شئ من خلقهم أو خلقهم وأنه يخشى على فاعل ذلك من الكفر.

٣ ـ فيه معجزة لموسى وذلك أنه خاطب الحجر ففهم عنه.

٤ ـ سوء معاملة بني إسرائيل لنبيهم موسىﷺ.

٥ ـ نهي المؤمنين عن التشبه بقوم موسى في أذية نبيهم.

آخر تفسير سورة الأحزاب والحمد لله.



٢٨٤ - سورة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله ﴿**لقد كان لسبأ في مسكنهم آية...**﴾ وهي مكية في قول الجميع حكاه القرطبي، وآياتها أربع وخمسون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات

١ - **[يقال ﴿معاجزين﴾ مسابقين]**.

ش: قاله أبو عبيدة، والكلمة وقعت في هذه السورة في الآية الخامسة والآية الثامنة والثلاثين.

٢ - **[﴿بمعجزين﴾ بفائتين]**.

ش: قاله أبو عبيدة وزاد ويقال أعجز فلان فاتني وغلبني وسبقني، واعجز مني وهما سواء.

والآية المشار إليها هي الآية الرابعة والثلاثون بعد المائة من سورة الأنعام.

٣ - **[﴿سبقوا﴾ فاتوا]**.

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها هي الآية التاسعة والخمسون من سورة الأنفال.

٤ - **[﴿لا يعجزون﴾ لا يَفُوتون]**.

ش: قاله أبو عبيدة.

٥ - **[﴿يسبقونا﴾ يُعْجِزونا]**.

ش: أخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد.

والآية المشار إليها هي الآية الرابعة من سورة العنكبوت.

٦ - **[ومعنى ﴿معاجزين﴾ مغالبين يُريدُ كلٌّ واحدٍ منهما أن يُظهِر عَجْز صاحبِه]**.

ش: **قلت**: وما بين هذا وما نقله أولاً في تفسير السورة استطراد وأظنه والعلم عند الله أراد به بيان أن ما نقله أولاً خلاف المختار ويوافق ما قاله المصنف ما أخرجه ابن جرير في تفسير الآية الخامسة من هذه السورة عن ابن زيد قال "جاهدين ليحبطوها أو يبطلوها"

والكلمة جاءت في هذه السورة في الآية الخامسة والآية الثامنة والثلاثين.

٧ - [**﴿معشار﴾ عشر**].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها **﴿وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي، فكيف كان نكير﴾**.

٨ - [**الأكل، الثمر**].

ش: قال أبو عبيدة في قوله "أكلها" والأكل هو الجني.

والآية المشار إليها **﴿وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل﴾**.

٩ - [**﴿باعد﴾ وبعّد واحد**].

ش: قال ابن جرير: اختلف القراء في قراءة **﴿ربنا باعد بين أسفارنا﴾** فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة **﴿ربنا باعد بين أسفارنا﴾** على وجه الدعاء والمسألة بالألف، وقرأ ذلك بعض أهل مكة والبصرة، **﴿بعّد﴾** بتشديد العين على الدعاء أيضاً.

والآية المشار إليها **﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق﴾**.

١٠ - [**وقال مجاهد ﴿لا يعزب﴾ لا يغيب**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره، وأخرجه أيضاً عن ابن عباس وقتادة.

والآية المشار إليها **﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم علم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾**.

١١- [﴿العرم﴾: السد، ماء أحمر أرسله الله في السد فشقه وهدمه، وحفر الوادي، فارتفعت على الجنتين، وغاب عنهما الماء فيبستا، ولم يكن الماء الأحمر من السد، ولكن كان عذاباً أرسله الله عليهم من حيث شاء].

ش: قوله سيل العرم السد كذا للأكثر بضم المهملة وتشديد الدال، ولأبي ذر عن الحموي الشديد بمعجمة وزن عظيم.

وقوله فشقه كذا للأكثر بمعجمة قبل القاف الثقيلة وذكر عياض أن في رواية أبي ذر فبثقه بموحدة ثم مثلثة قبل القاف الخفيفة قال: وهو الوجه تقول بثقت النهر إذا كسرته لتصرفه عن مجراه.

وقوله «**فارتفعتا عن الجنتين**» كذا للأكثر بفتح الجيم والنون الخفيفة بعدها موحدة ثم مثناه فوقانية، ثم تحتانية ثم نون، ولأبي ذر عن الحموي بتشديد النون بغير موحدة تثنية جنه، واستشكل هذا الترتيب لأن السياق يقتضي أن يقول: ارتفع الماء على الجنتين وارتفعت الجنتان عن الماء، وأجيب بأن المراد من الارتفاع الزوال أي ارتفع اسم الجنة منهما فالتقدير فارتفعت الجنتان عن كونهما جنتين.

وقوله «**ولم يكن الماء الأحمر من السد**» كذا للأكثر بضم المهملة وتشديد الدال، وللمستملي من السيل، وعند الإسماعيلي من السيول، وهذا الأثر عن مجاهد وصله الفريابي أيضاً وقال: السد في الموضعين فقال فشقه بالمعجمة والقاف الثقيلة، وقال على الجنتين تثنية جنه كما للأكثر في المواضع كلها. ا.هـ من الفتح.

١٢ ـ [وقال عمرو بن شرحبيل: ﴿العرم﴾ المسناه[١] بلحن أهل اليمن].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا أحمد بن عمر البصري ثنا أبو صالح بن زريق أخبرنا شريك عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة فذكره.

قلت وأبو ميسرة هو عمرو بن شرحبيل الهمداني كما في التقريب.

---

(١) ـ في المصباح مادة: سنن، والمسناة حائط يبنى في وجه الماء ويسمى السد.

١٣ - [**وقال غيره: ﴿العرم﴾ الوادي**].

ش: قلت أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وقتادة والضحاك.

فتحصل بهذا أن في العرم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه السد وبه قال مجاهد.

ثانيها: أنه المسناة بضم الميم و فتح السين المهملة بعدها نون مشددة مفتوحة وهو قول أبي ميسرة وهو عمرو بن شرحبيل.

وثالثها: أنه الوادي وهو قول ابن عباس وقتادة والضحاك.

والآية المشار إليها **﴿فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل﴾**.

١٤ - [**السابغات الدروع**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد واسعة طويلة.

والآية المشار إليها **﴿ أن اعمل سابغات وقدر في السرد﴾**.

١٥ - [**وقال مجاهد: ﴿يجازي﴾ يعاقب**].

ش: حكاه عن مجاهد بهذا اللفظ البغوي، وأخرجه ابن جرير ثنا محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ نعاقب.

وفي الآية قراءتان:

إحداهما: قراءة عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة وهي ﴿وهل يجازى﴾ بالياء مضمومة، وبفتح الزاي على وجه ما لم يسم فاعله.

ثانيهما: ما قرأه بعض قراء الكوفة "وهل نجازي" بالنون وبكسر الزاي.

والآية المشار إليها **﴿ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور﴾**.

١٦ - [**﴿أعظكم بواحدة﴾ بطاعة ا لله**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله.

١٧ - [**﴿مثنى وفرادى﴾ واحد واثنين**].

ش: أخرجه ابن جرير بالإسناد السابق عن مجاهد.

والآية المشار إليها بالكلمتين **﴿قل إنما أعظكم بواحدة، أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾**.

١٨ - [**﴿التناوش﴾ الرد من الآخرة إلى الدنيا**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الرد.

وأخرج بالإسناد نفسه عنه في قوله **﴿من مكان بعيد﴾** قال من الآخرة إلى الدنيا.

والآية المشار إليها **﴿وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد﴾**.

١٩ - [**﴿وبين ما يشتهون﴾ من مال أو ولد أو زهرة**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله.

وأخرج نحوه عن ابن زيد وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: حيل بينهم وبين الإيمان با لله وهو قول الحسن وقتادة وهو اختيار ابن جرير وعلل ذلك بقوله: لأن القوم إنما تمنوا حين عاينوا من عذاب ا لله ما عاينوا ما أخبر ا لله عنهم تمنوه وقالوا آمنا به فقال ا لله وأنى لهم التناوش... الخ الآية.

قلت: وهذا اختيار جيد وظاهر السياق يؤيده وذلك بارتباط هذه الآية بالآيتين قبلها فإن الحق جل علاه بدأ السياق بقوله **﴿وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش﴾** وختمه بقوله **﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾**.

٢٠ - [**﴿بأشياعهم﴾ بأمثالهم**].

ش: يبدو من سياق المصنف أنه تفسير مجاهد ولم أقف عليه بهذا اللفظ وأخرجه ابن جرير بالإسناد السابق عن مجاهد بلفظ قال الكفار من قبلهم.

والآية المشار إليها بالكلمتين ﴿**وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل**﴾.

٢١ - [**وقال ابن عباس: ﴿كالجواب﴾ كالجوبة من الأرض**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وقال ابن جرير: وهي جمع جابية والجابية الحوض الذي يجبى فيه الماء كما قال الأعشى:

تروح على نادي المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق

ثم أخرج في المعنى عن الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك.

والآية المشار إليها ﴿**يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور رآسيات**﴾.

٢٢ - [**الخمط: الأراك**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد الذي قبله، وبه قال الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك.

٢٣ - [**والأثل: الطرفاء**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بالإسناد السابق والآية المشار إليها بالكلمتين ﴿**وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل**﴾.

٢٤ - [**العرم الشديد**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد الذي قبله.

والآية تقدمت في الأثر الحادي عشر.

٢٨٥ - [باب ﴿**حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير**﴾].

ش: قلت الآية: ﴿**ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير**﴾.

قوله ﴿**ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له**﴾ أي لعظمته وكبريائه لا يجترئ أحد أن يشفع عنده تعالى في شئ إلا بعد إذنه له في الشفاعة كما قال تعالى ﴿**من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه**﴾ وقال ﴿**وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى**﴾ وقال ﴿**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون**﴾.

وقوله ﴿**حتى إذا فزع عن قلوبهم...الخ الآية**﴾ يقول حتى إذا جلي عن قلوبهم وكشف عنها الفزع وذهب قالوا ماذا قال ربكم؟ قالت الملائكة الحق وهو العلي على كل شئ الكبير الذي لا شئ دونه.

وقد اختلف المفسرون في من الموصوف بالفزع في هذه الآية وسبب ذلك على أقوال **أربعة**:

أحدها: أنهم الملائكة وسبب ذلك سماعهم الوحي قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق وسعيد والضحاك وعبد الله بن القاسم وهذا القول يشهد له حديث الباب.

ثانيها: أنهم الملائكة وسبب ذلك فزعهم من قضاء الله الذي يقضيه حذراً أن يكون ذلك قيام الساعة وبه قال قتادة.

وثالثها: أنهم الملائكة وسبب ذلك فزعاً بمرور المعقبات أن يكون حدث أمر الساعة وهو قول الضحاك في الرواية الثانية عنه.

ورابعها: أنهم المشركون إنما يفزع الشياطين عن قلوبهم وبه قال ابن زيد حكى هذه الأقوال الأربعة ابن جرير واختار الأول وإيراد حديث الباب يدل على اختيار البخاري له.

٣٢١ - حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال سمعت عكرمة يقول سمعت أبا هريرة يقول (إن نبي الله ﷺ قال: إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا، فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء).

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «**إذا قضى الله الأمر في السماء**» وعند ابن جرير في تفسير سورة سبأ عن النواس بن سمعان قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي) وعند أبي داود باب في القران من كتاب السنة عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا تكلم الله بالوحي).

الثانية: قوله «**ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً**» بفتحتين من الخضوع، وفي رواية بضم أوله وسكون ثانيه وهو مصدر بمعنى خاضعين.

الثالثة: قوله «**كأنه**» أي القول المسموع سلسلة على صفوان هو مثل قوله في بدء الوحي صلصلة كصلصلة الجرس وهو صوت الملك بالوحي وفي حديث النواس (أخذت السموات منه رجفة أوقال رعده شديدة خوف أمر الله، وفي حديث ابن مسعود (سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون)، وقد روى ابن مردويه من حديث ابن مسعود رفعه (إذا تكلم الله

بالوحي يسمع أهل السماوات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان فيفزعون، ويرون أنه من أمر الساعة، وقرأ: حتى إذا فزع الآية.

قلت فتحصل من هذا شدة ما يقضيه الله من أمره على السماء وأهلها.

الرابعة: قوله «على صفوان» وهو الحجر الأملس زاد في سورة الحجر ضمن الباب الثاني والتسعين بعد المائة عن علي بن عبد الله (قال غيره - يعني غير سفيان - ينفذهم ذلك) وفي حديث ابن عباس عند ابن مردوية من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عنه (فلا ينزل على أهل سماء إلاصعقوا)، وعند مسلم واللفظ له في كتاب السلام باب تحريم الكهانة من طريق علي بن الحسين بن علي عن ابن عباس عن رجال من الأنصار انهم كانوا عند النبيﷺ، فرمى بنجم فاستنار، فقال: ما كنتم تقولون لهذا إذا رمي به في الجاهلية؟ قالوا: كنا نقول مات عظيم أو يولد عظيم، فقال: إنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا إذا قضى أمراً سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح سماء الدنيا، ثم يقولون لحملة **العرش**: ماذا قال ربكم) الحديث، وليس عند الترمذي عن رجال من الأنصار.

الخامسة: قوله «ومسترقوا السمع» في رواية علي عند أبي ذر (ومسترق) بالإفراد وهو فصيح، وقوله (هكذا بعضه فوق بعض وصفه سفيان) أي ابن عيينة (بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه) أي فرق، وفي رواية علي (ووصف سفيان بيده ففرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها فوق بعض) وفي حديث ابن عباس عند ابن مردوية (كان لكل قبيل من الجن مقعد من السماء يسمعون منه الوحي) يعني يلقيها، زاد علي عن سفيان (حتى ينتهي إلى الأرض فيلقى).

السادسة: قوله «على لسان الساحر أو الكاهن» في رواية الجرجاني (على لسان الآخر) بدل الساحر وهو تصحيف، وفي رواية علي (الساحر والكاهن) وكذا قال سعيد بن منصور عن سفيان، والمعنى أي: يسمع المسترق الآخر على

من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر والكاهن، وحينئذ يقع الرجم، والساحر من يعمل السحر والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل وقيل الذي يخبر عما في الضمير.

السابعة: قوله «**فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها**» الشهاب: هو النجم الذي يرمى به، أي: ربما أدرك المسترق الشهاب إذا رمى به قبل أن يلقي الكلمة إلى من تحته، وربما ألقاها المسترق قبل أن يدركه الشهاب، وهذا يدل على أن الرجم بالنجوم كان قبل المبعث، كما يؤيده حديث ابن عباس المذكور في المسألة الرابعة؛ وفيه قال معمر: قلت للزهري: أكان يرمى بها في الجاهلية؟ قال: نعم، قال: أرأيت (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً) قال: غلظت، وشدد أمرها حين بعث رسول الله ﷺ.

ووقع في رواية سعيد بن منصور عن سفيان في هذا الحديث (فيرمى هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى يلقى على فم ساحر أو كاهن.

الثامنة: قوله «**فيكذب معها مائة كذبة، فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء**» زاد علي بن عبد الله عن سفيان في تفسير الحجر (**فيقولون ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقاً للكلمة التي سمعت من السماء فما جاءوا به على وجهه حق ولكنهم يحرفون فيه ويزيدون**) وفي حديث ابن عباس وذكر فيه الحافظ زيادة (فيقول يكون العام كذا وكذا فيسمعه الجن فيخبرون به الكهنة فتخبر الكهنة الناس فيجدونه).

من فقه الحديث

أولاً: شدة خوف الملائكة من الله وشدة خشيتهم له.

ثانياً: أن الكهان والسحرة يستعينون بالشياطين.

ثالثاً: كون الكاهن يصدق بعض الأحيان.

رابعاً: أنه لم يصدق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء.

خامساً: قبول النفوس للباطل، كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة؟.

سادساً: الرد على المنجمين الذين ينسبون الخير والشر والإعطـاء والمنـع إلى الكواكب بحسب السعود منها والنحوس وعلى حسب كونها في الـبروج الموافقـة أو المنافرة، ونحو ذلك.

٢٨٦ - [**باب قوله ﴿إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾**].

ش: قلت الآية: **﴿قل إنما أعظكم بواحدة، أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة، إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾**.

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك إنما أعظكم أيها القوم بواحدة وهي طاعة الله.

وقوله «**﴿أن تقوموا لله مثنى وفرادى﴾**» يقول وتلك الواحدة التي أعظكم بها هي أن تقوموا لله اثنين اثنين، وفرادى فرادى.

وقوله «**﴿ثم تتفكروا﴾**» أي في أمر النبي ﷺ وما جاء به من الكتاب، فإنكم عند ذلك تعلمون أن ما بصاحبكم من جنة وذلك لأنهم كانوا يقولون إن محمداً مجنون.

وقوله «**﴿إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾**» يقول ما محمد إلا نذير لكم ينذركم على كفركم بالله عقابه أمام عذاب جهنم قبل أن تصلوها.

وقوله **﴿هو﴾** كناية اسم محمد ﷺ.

فائدة

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: «فلو قبلوا هذه الموعظة، واستعملوها، لتبين لهم أكثر من غيرهم، أن رسول الله ﷺ ليس بمجنون، لأن هيئته ليست كهيئة المجانين في حنقهم واختلاجهم، ونظرهم، بل هيئته أحسن الهيئات، وحركاته، أجل الحركات وهو أكمل الخلق أدباً، وسكينة، وتواضعاً، ووقاراً، لا يكون إلا لأرزن الرجال عقلاً، ثم إذا تأملوا كلامه الفصيح، ولفظه المليح، وكلماته، التي تملأ القلوب، أمناً وإيماناً، وتزكي النفوس، وتطهر القلوب، وتبعث على مكارم الأخلاق، وتحث على محاسن الشيم، وتزجر عن مساوئ

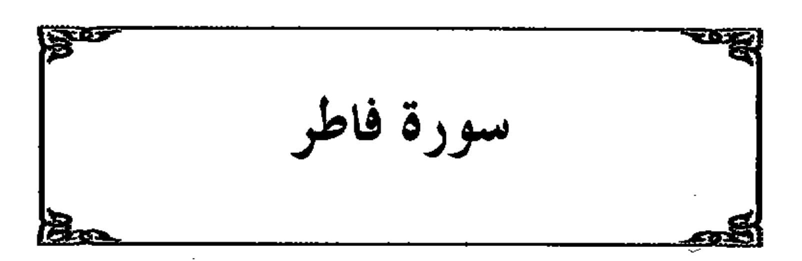
الأخلاق ورذائلها إذا تكلم رمقته العيون، هيبة وإجلالاً وتعظيماً فهل هذا يشبه هذيان المجانين، وعربدتهم، وكلامهم الذي يشبه أحوالهم ؟

فكل مَن أحواله وقصده استعلامٌ ، هل هو رسول الله ؟ أم لا ؟ سواء تفكر وحده ، أم معه غيره، جزم بأنه رسول الله حقاً، ونبيه صدقاً، خصوصاً المخاطبين وهو صاحبهم يعرفون أول أمره وآخره ». انتهى من تيسير الكريم الرحمن (١٩٩/٤)

٣٢٢ - حدثنا علي بن عبد الله حدثنا محمد بن خازم حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (صعد النبي ﷺ الصفا ذات يوم فقال: يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش، قالوا: مالك؟ قال: أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم أو يمسيكم أما كنتم تصدقوني؟ قالوا: بلى قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله ﴿تبت يدا أبي لهب﴾.

ش: سيأتي في تفسير سورة تبت ضمن الباب السادس والستين بعد الأربعمائة.

آخر تفسير سورة سبأ ولله الحمد والمنة.



بسم الله الرحمن الرحيم

٢٨٧ – سورة الملائكة

ش: والمعتمد في المصحف سورة فاطر وشاهد التسـمية لكليهمـا ظـاهر في أول آية من السورة.

وأخرج البخاري وابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عـن ابـن عباس قال: أنزلت سورة فاطر بمكة وقال القرطبي: مكية في قول الجميع.

وآياتها خمس وأربعون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**وقال مجاهد: القطمير لفافة النواة**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وزاد كسحاة البيضة.

والآية المشار إليها ﴿**والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير**﴾.

٢ - [﴿ **مُثْقَلة**﴾ **مثقّلة**].

ش: كذا في تفسير مجاهد برواية عبد الرحمن ثنا إبراهيم ثنا آدم ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ﴿**وإن تدع مثقلة**﴾ أي مثقلة ذنوباً.

والآية المشار إليها ﴿ **وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى**﴾.

٣ - [**وقال غيره** ﴿**الحرور**﴾ **بالنهار مع الشمس**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وكان رؤبة يقول: الحرور بالليل والسموم بالنهار.

ونسجت لوامع الحرور برقرقان آلها المسجور
سبائباً كسرق الحرير.

٤ - [**وقال ابن عباس و**﴿**الحرور**﴾ **بالليل والسموم بالنهار**].

ش: لم أقف عليه موصولاً بهذا اللفظ وقد حكى البغوي عند تفسير هذه الآية عن ابن عباس قال: الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار.

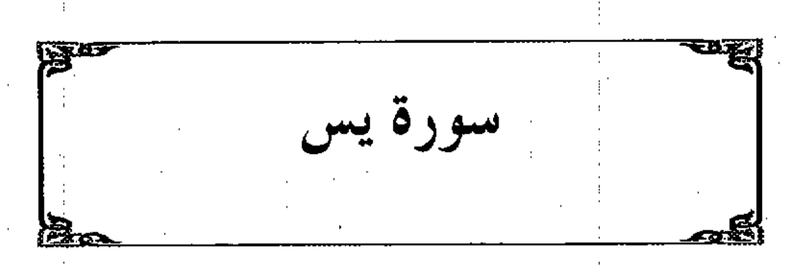
والآية المشار إليها ﴿**ولا الظل ولا الحرور**﴾.

٥ - [﴿وغرابيب﴾ أشد سواد، الغربيب: الشديد السواد].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ (الغربيب الأسود الشديد السواد) حكاه الحافظ، وقال أبو عبيدة مقدم ومؤخر لأنه يقال: أسود غربيب.

والآية المشار إليها **﴿ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود﴾**.

آخر تفسير سورة الملائكة والحمد لله.



٢٨٨ – سورة يس

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وأخرج الحافظ أبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي : من قرأ يس في ليلة أصبح مغفوراً له ومن قرأ حم التي يذكر فيه الدخان أصبح مغفوراً له) إسناده جيد قاله ابن كثير.

قال القرطبي: مكية بالإجماع، وعدد آياتها ثمانون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**وقال مجاهد: ﴿فعززنا﴾ شددنا**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرج عن ابن زيد قال التعزز القوة والمعنى واحد.

والآية المشار إليها **﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون﴾**.

٢ - [**﴿يا حسرة على العباد﴾ كان حسرة عليهم استهزاؤهم بالرسل**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله، وأخرج عن قتادة قال: أي يا حسرة العباد على أنفسها على ما ضيعت من أمر الله وفرطت في جنب الله ومعناهما واحد.

والآية المشار إليها **﴿يا حسرة على العباد، ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن﴾**

٣ - [**﴿أن تدرك القمر﴾ لا يستر ضوء أحدهما ضوء الآخر ولا ينبغي لهما ذلك**].

ش: وصله الفريابي في تفسيره من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بتمامه، حكاه الحافظ.

وأخرج ابن جرير من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ (لا يشبه ضوء أحدهما ضوء الآخر ولا ينبغي ذلك لهما).

٤ -[**﴿ سابق النهار ﴾ : يتطالبان حثيثين**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وزاد: ينسلخ أحدهما من الآخر.

والآية المشار إليها بالكلمتين: ﴿**لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون**﴾.

٥ - [﴿**نسلخ**﴾ **نخرج أحدهما من الآخر، ويجري كل واحد منهما**].

ش: وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ (يخرج أحدهما من الآخر) حكاه الحافظ.

والآية المشار إليها ﴿**وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون**﴾

٦ - [﴿**من مثله**﴾ **من الأنعام**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره؛ ضمن القائلين بأن المعنى في الآية الإبل وهم ابن عباس وعكرمة وعبد الله بن شداد والحسن وثمة قول آخر أن المعنى به السفن وهذا قول ابن عباس والحسن في الرواية الأخرى عنهما وبه قال أبو مالك وأبو صالح والضحاك وقتادة وابن زيد، أخرجه أيضاً ابن جرير.

والآية المشار إليها ﴿**وخلقنا لهم من مثله ما يركبون**﴾.

٧ - [﴿**فكهون**﴾ **معجبون**].

ش: وصله الفريابي عن مجاهد بلفظ فاكهون معجبون، حكاه الحافظ.

قلت: وكذا حكاه عنه البغوي وحكاه عن الضحاك أيضاً، وأخرج ابن جرير عن مجاهد والحسن أي في نعمة وليس بين العبارتين اختلاف في المعنى.

والآية المشار إليها ﴿**إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون**﴾

٨ - [﴿**جند محضرون**﴾ **عند الحساب**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره، وهو أحد

قولين عنده في الآية والقول الآخر وهو الذي رجحه أنهم في الدنيا يقضون عليهم، وهو قول قتادة.

والآية المشار إليها ﴿لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون﴾.

٩ - [**ويذكر عن عكرمة ﴿المشحون﴾ الموقر**].

ش: لم أقف على من أخرجه لكن أخرج ابن جرير من طريق عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله وأخرجه أيضاً عن الضحاك.

وقال أبو عبيدة «المملوء» ومعناهما واحد.

والآية المشار إليها **﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون﴾**.

١٠ - [**وقال ابن عباس ﴿طائركم﴾ مصائبكم**].

ش: وصله الفريابي من طريق علي بن أبي طلحة عنه به حكاه الحافظ (٤٦٧/٦)، وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس وقتادة وكعب ووهب بن منبه بلفظ: أي أعمالكم معكم.

والآية المشار إليها **﴿قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون﴾**.

١١- [**﴿ينسلون﴾ يخرجون**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وأخرج مثله عن قتادة.

والآية المشار إليها **﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون﴾**.

١٢ - [**﴿مرقدنا﴾ مخرجنا**].

ش: لم أجد من أخرجه عن ابن عباس، وأخرج ابن جرير عن أبي بن كعب قال: ناموا نومة قبل البعث وأخرج عن قتادة ما بين النفحتين.

والآية المشار إليها ﴿**قالوا يا ويلينا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون**﴾.

١٣ - [﴿**أحصيناه**﴾ **حفظناه**].

ش: لم أجد من أخرجه عن ابن عباس، وأخرج ابن جرير عن قتادة كل شئ محصى عند الله.

والآية المشار إليها ﴿**وكل شئ أحصيناه في إمام مبين**﴾.

١٤ - [﴿**مكانتهم**﴾ **ومكانهم واحد**].

ش: قال أبو عبيدة: المكان والمكانة واحد.

والآية المشار إليها ﴿**ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون**﴾.

٢٨٩ - [باب ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾]

ش: يقول تعالى ذكره: والشمس تجري لموضع قرارها بمعنى إلى موضع قرارها.

﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾ يقول هذا الذي وضعنا من جري الشمس لمستقرها تقدير العزيز في انتقامه ممن عاداه، العليم بمصالح خلقه وغير ذلك من الأشياء كلها لا يخفى عليه خافية.

٣٢٢ - حدثنا أبو نعيم حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبي ذر رضي الله عنه قال: (كنت مع النبي في المسجد عند غروب الشمس فقال: يا أبا ذر، أتدري أين تغرب الشمس؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فذلك قوله تعالى ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾).

٣٢٣ - حدثنا الحميدي حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال: (سألت النبي عن قوله تعالى ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ قال: مستقرها تحت العرش).

ش: فيهما سبع مسائل:

الأولى: قوله «**كنت مع النبي في المسجد**» في التوحيد باب **﴿وكان عرشه على الماء﴾ ﴿وهو رب العرش العظيم﴾** من رواية أبي معاوية (دخلت المسجد ورسول الله جالس) والظاهر أنه مسجده بالمدينة إذ لا يتبادر إلى الذهن غيره عند الإطلاق.

الثانية: قوله «**عند غروب الشمس**» في بدء الخلق باب صفة الشمس والقمر بحسبان برواية سفيان (حين غربت) وفي رواية أبي معاوية (فلما غربت الشمس) والجمع بينهما بحمل الحينية على العندية في رواية الباب فيكون من

التجوز في العبارة أو يقال: أن سؤال النبي عند غروب الشمس وإخباره بذلك كان مرتين مرة عند غروب الشمس ومرة حين الغروب وا لله أعلم.

الثالثة: قوله « **أتدري أين تغرب الشمس**» هذا استفهام والغرض منه تشويق السامع لما يلقى إليه من الكلام وهذا أسلوب بديع من أساليب التعليم ونظائره في كلام النبي كثيرة منها: أتدرون ماذا قال ربكم.

الرابعة: قوله «ا لله ورسوله أعلم» هذا هو غاية الأدب والورع إذ رد أبو ذر هذا الأمر الذي لا سبيل إلى علمه إلا بالوحي إلى ا لله وإلى رسوله وينبغي التنبيه إلى أن هذا القول خاص في حياة النبي أما بعد موته فيقول المسؤل عما لا يعلم ا لله أعلم.

الخامسة: قوله «**فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى:﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾**».

زاد في بدء الخلق (فتستأذن فيوذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله ﴿والشمس تجري... الآية﴾ وعند النسائي في تفسير الآية (ارتفعي فاطلعي من مغربك).

السادسة: قوله «**سألت النبي عن قوله ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾**» وفي رواية أبي نعيم وهي الأولى في الباب أن النبي هو السائل لأبي ذر والجمع بينهما أن أبا ذر سأل النبي عن الآية وأن رسول ا لله أجابه في صورة سؤال بقوله أتدري الخ).

السابعة: قوله «**مستقرها تحت العرش**»: فسره بقوله (فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش: وهذا نص صريح في أن السجود يقع من الشمس تحت العرش على الحقيقة فلو كان سجودها بمحاذاته لقال (عند العرش: وإن قلت

يشكل على هذا قوله (وجدها تغرب في عين حمئة) فالجواب أن المـراد بهـا نهايـة مدرك البصر إليها حال الغروب وسجودها تحت العرش إنما هو بعد الغروب.

من فقه الحديث

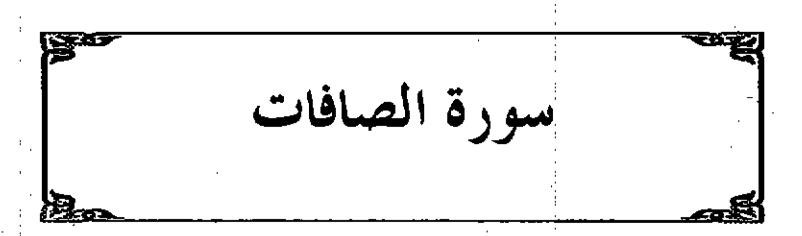
أولاً: الإرشاد إلى الملاطفة في التعليم.

ثانياً: أدب أبي ذر مع النبي وذلك في قوله (ا لله ورسـوله أعلـم) وهـذا ما درج عليه أصحابه معه في حياته.

ثالثاً: أن الشـمس تعقـل ألا تـراه أخـبر عـن سـجودها تحـت العـرش واستئذانها.

رابعاً: في قوله (مسـتقرها تحـت العـرش: رد علـى مـن زعـم أن المـراد بمستقرها غاية ما تنتهي إليه في الارتفاع، وذلك أطول أيام السنة.

آخر تفسير سورة يس و لله الحمد والمنة.



٢٩٠ - سورة والصافات بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وأخرج النسائي والبيهقي في سننه عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا بالتخفيف ويأمنا بالصافات.

قال القرطبي: مكية في قول الجميع.

وآياتها اثنتان وثمانون ومائة آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**وقال مجاهد ﴿ويقذفون بالغيب من مكان بعيد﴾ من كل مكان**].

ش: لم أجده مخرجاً فيما وقفت عليه وهو تفسير الآية الثالثة والخمسين من سورة سبأ وقد ذكره هنا استشهاداً لما بعده.

٢ - [**﴿ويقذفون من كل جانب﴾ يرمون**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله (ويقذفون) يرمون قال: من كل مكان.

والآية المشار إليها **﴿لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب﴾**.

٣ - [**﴿واصب﴾ دائم**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله ضمن القائلين بأن معناه دائم وهم ابن عباس وقتادة وعكرمة وابن زيد وهو أحد قولين أخرجهما في الآية والقول الثاني أنه بمعنى موجع وبه قال أبو صالح والسدي واختار ابن جرير الأول.

والآية المشار إليها **﴿دحوراً ولهم عذاب واصب﴾**.

٤ - [**﴿لازب﴾ لازم**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق، وأخرج في المعنى عن ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿فاستفتهم أهم أشد خلقاً أمن خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب﴾**.

٥ - [**﴿تأتوننا عن اليمين﴾ يعني الحق، الكفار تقوله للشياطين**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق بلفظ عن الحق الكفار تقوله للشياطين، واخرج عن قتادة من قبل الخير فتنهوننا عنه وتبطئوننا عنه، وأخرج عن ابن زيد (تحولون بيننا وبين الخير، ورددتمونا عن الإسلام والإيمان والعمل بالخير الذي أمر الله به) **قلت:** وهاتان العبارتان أوضح من عبارة مجاهد.

والآية المشار إليها **﴿قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين﴾**.

٦ - [**﴿غول﴾ وجع بطن**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وبه قال ابن عباس وابن زيد وقتادة وهو **أحد** أقوال خمسة عنده في الآية.

ثانيها: بمعنى ليس فيها صداع وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية عنه.

وثالثها: بمعنى لا تغول عقولهم وبه قال السدي.

ورابعها: بمعنى ليس فيها أذى ولا مكروه وهو قول سعيد بن جبير.

وخامسها: بمعنى ليس فيها أثم و لم يخرجه عن أحد وحكاه البغوي عن الكلبي واختار ابن جرير أن ذلك يعم نفي كل معاني الغول عنه وأعم من ذلك أن يقال: لا أذى فيها ولا مكروه على شاربيها في جسم ولا عقل.

قال مقيده: وهذا الاختيار في غاية الحسن ويشهد له سياق الآيات **﴿يطاف عليهم بكأس من معين، بيضاء لذة للشاربين، لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون﴾** ووجه الاستدلال عد الحق تبارك وتعالى هذه الشراب في نعيم الجنة.

٧ - [**﴿ينزفون﴾ لا تذهب عقولهم**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وهو قول ابن عباس والسدي وابن زيد وقتادة.

٨ - [**﴿قرين﴾ شيطان**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق وهذا أحد القولين عنده.

ثانيهما: أنه شريك كان له من بني آدم أو صاحب وهو قول ابن عباس وفرات بن ثعلبة وليس بينهما عندي مغايرة لأن القرين يكون من شياطين الجن والإنس.

والآية المشار إليها ﴿**قال قائل منهم إني كان لي قرين**﴾.

٩ - [﴿**يهرعون**﴾ **كهيئة الهرولة**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما مضى وهو قول قتادة والسدي وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿**فهم على آثارهم يهرعون**﴾.

١٠ - [﴿**يزفون**﴾ **النّسَلان في المشي**].

أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما مضى دون قوله (في المشي) والنسلان كما في المصباح (نسل في مشيه ينسل نسلاناً أسرع) وهو **أحد** أقوال ثلاثة حكاها ابن جرير في الآية.

وثانيها: يجرون وهو قول ابن عباس.

وثالثها: يستعجلون وبه قال زيد بن أسلم وهذه الأقوال ليست بمختلفة في المعنى.

والآية المشار إليها ﴿**فأقبلوا إليه يزفون**﴾.

١١- [﴿وبين الجِنّة نسباً﴾ قال كفار قريش الملائكة بنات الله، وأمهاتهم بنات سروات الجن].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله، وأخرج نحوه عن قتادة والسدي وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿**وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً، ولقد علمت الجنة أنهم لمحضرون**﴾.

١٢ - [**وقال الله تعالى ﴿ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾ ستحضر للحساب**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق وهو **أحد** قولين عنده في الآية.

وثانيهما: معناه أن قائلي هذا القول سيحضرون العذاب في النار وبه قال السدي واختار ابن جرير إنهم لمحضرون العذاب فقال: لأن سائر الآيات التي ذكر فيها الإحضار في هذه السورة إنما عنى به الإحضار في العذاب فكذلك في هذا الموضع.

١٣ - [**وقال ابن عباس: ﴿لنحن الصافون﴾ الملائكة**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن سعد ثني أبي ثني عمي ثني أبي عن ابن عباس فذكره وزاد في قوله **﴿إنا لنحن المسبحون﴾** الملائكة صافون تسبح لله عز وجل وهو قول عمر وابن مسعود والضحاك ومجاهد وقتادة.

١٤ - [**﴿صراط الجحيم﴾ سواء الجحيم، ووسط الجحيم**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره، وكذا أخرجه بإسناد الذي قبله، وبه قال الحسن وقتادة والسدي.

والآية المشار إليها هي الثالثة والعشرون والخامسة والخمسون من السورة.

١٥ - [**﴿لشوباً﴾ يُخلَط طعامُهم، ويُساط بالحميم**].

ش: لم أجده بهذا اللفظ والذي أخرجه ابن جرير من طريق علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس بلفظ (**لمزيجاً**)، ومن طريق العوفيين قال شرب الحميم على الزقوم وهو قول قتادة والسدي وابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم﴾**.

١٦ - [**﴿مدحوراً﴾ مطروداً**].

ش: هذه الكلمة في الآية الثامنة عشرة من سورة الأعراف والآية الثامنة عشرة والتاسعة والثلاثين من سورة الإسراء، ولا وجه لذكرها ها هنا وأخشى أن يكون من فعل بعض النساخ.

١٧ - [﴿بيض مكنون﴾ اللؤلؤ المكنون].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره، وهو **أحد** ثلاثة أقوال أخرجها في الآية.

وثانيها: أنهن شبهن ببطن البيض في البياض وهو الذي داخل القشر وبه قال سعيد بن جبير والسدي وقتادة.

وثالثها: أنهن شبهن بالبيض الذي يحضنه الطائر وهو قول ابن زيد والذي اختاره ابن جرير أنه بياض البيض الذي هو داخل القشر قال وذلك هو الجلدة الملبسة المخ قبل أن تمسه يدا أو شئ غيرها وذلك لا شك هو المكنون.

قلت: وهذا هو قول سعيد بن جبير ومن وافقه.

والآية المشار إليها **﴿كأنهن بيض مكنون﴾**.

١٨ - [﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ يذكر بخير].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد الذي قبله وهو قول مجاهد وقتادة والسدي وهذه الآية جاءت في ثلاث مواضع من السورة:

الأول: الثامنة والسبعون.

الثاني: الآية الثامنة بعد المائة.

والثالث: الآية التاسعة والعشرون بعد المائة.

١٩ - [﴿يستسخرون﴾ يسخرون].

ش: لم أجده عن ابن عباس وإنما قال أبو عبيدة: يستسخرون: ويسخرون سواء.

والآية المشار إليها **﴿وإذا رأوا آية يستسخرون﴾**.

٢٠ - [﴿بعلاً﴾ رباً].

ش: وصله إبراهيم الحربي في غريب الحديث عن ابن عباس كما حكاه الحافظ.

وأخرجه ابن جرير عن مجاهد وأخرج نحوه عن عكرمة وقتادة وهو أحد ثلاثة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: اسم لصنم وبه قال الضحاك وابن زيد.

وثالثها: اسم لامرأة كانوا يعبدونها وهو قول ابن إسحاق.

والآية المشار إليها **﴿أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين﴾**.

٢٩١ - [باب ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾]

ش: هذا ثناء منه تعالى، على عبده ورسوله، يونس بن متى، كما أثنى على إخوانه المرسلين بالنبوة والرسالة والدعوة إلى الله، وذكر تعالى عنه أنه عاقبه عقوبة دنيوية أنجاه منها بسبب إيمانه وأعماله الصالحة قاله ابن سعدي.

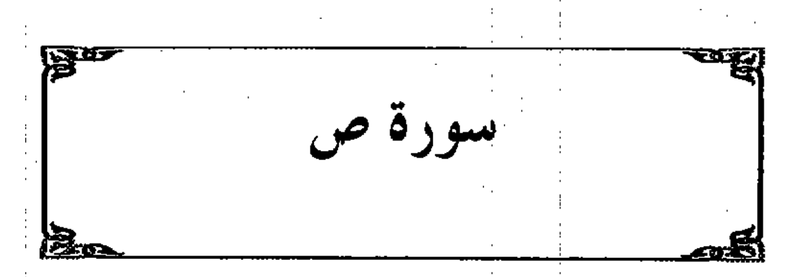
قلت: وهذا إيجاز جيد لمضمون ما احتوته هذه العشر الآيات في شأن نبي الله وعبده ورسوله يونس بن متى ﷺ وبه نستغني عن التفصيل.

٣٢٤ - حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (ما ينبغي لأحد أن يكون خيراً من يونس ابن متى).

٣٢٥ - حدثني إبراهيم بن المنذر ثنا محمد بن فليح ثني أبي عن هلال بن علي من بني عامر بن لؤي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:(من قال أنا خير من يونس ابن متى فقد كذب).

ش: تقدم شرحهما في تفسير سورة النساء ضمن الباب السادس بعد المائة.

آخر تفسير سورة الصافات و لله الحمد والمنة.



٢٩٢ - سورة ص بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر، وهي مكية في قول الجميع حكاه القرطبي. وآياتها ثمان وثمانون آية.

٣٢٦ - حدثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن العوام قال: سألت مجاهداً عن السجدة في ص قال: سئل ابن عباس فقال: أولئك الذين هدى ا لله فبهداهم اقتده وكان ابن عباس يسجد فيها.

٣٢٧ - حدثني محمد بن عبد ا لله حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي عن العوام قال: سألت مجاهداً عن سجدة ص فقال: سألت ابن عباس من أين سجدت؟ فقال: أو ما تقرأ ﴿ومن ذريته داود وسليمان﴾ ﴿أولئك الذين هدى ا لله فبهداهم اقتده﴾ فكان داود ممن أمر نبيكم ﷺ أن يقتدي به، فسجدها داود عليه السلام فسجدها رسول ا للهﷺ.

ش: فيهما ست مسائل:

الأولى: قوله «**سألت مجاهداً عن السجدة في ص**» السائل هو العوام بن حوشب بن يزيد الواسطي، راوية مجاهد، وفي تفسير سورة الأنعام عن سليمان الأحول أن مجاهداً أخبره أنه سأل ابن عباس ولا تعارض بينهما لجواز أن يكون كلا من الرجلين سأل مجاهداً وأخبره بجواب ابن عباس له,

الثانية: قوله «**سئل ابن عباس**» في رواية محمد بن عبيد قال مجاهد سألت ابن عباس.

الثالثة: قوله «**من أين سجدت**» وفي رواية سليمان الأحول أفي ص سجدة؟ فقال نعم ومراد مجاهد معرفة دليل ابن عباس على سجوده في سورة ص ويظهر أنه لم يرى أحداً سجد فيها قبل ابن عباس.

الرابعة: قوله «**وكان ابن عباس يسجد فيها**» هذا تصريح بسجود ابن عباس في سورة ص وهو الذي حمله على السؤال.

الخامسة: قوله «أو ما تقرأ **﴿ومن ذريته داود وسليمان﴾**» أولئك الذين هدى ا لله فبهداهم اقتده) في تفسير سورة الأنعام حين قال مجاهد أفي ص سجده

(قال نعم ثم تلا ﴿**ووهبنا له إسحاق ويعقوب**...إلى قوله: **فبهداهم اقتده**﴾ ثم قال هو منهم) وفي رواية العوام (فقال نبيكم ﷺ ممن أمر أن يقتدى بهم).

السادسة: قوله «فكان داود ممن أمر نبيكم ﷺ أن يقتدى به، فسجدها داود عليه السلام، فسجدها رسول الله ﷺ» وفي باب سجدة ص من سجود القرآن برواية عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت النبي ﷺ يسجد فيها.

قلت: فاجتمع لابن عباس دليلان:

أحدهما: ما فهمه من أمر الله نبيه بالإقتداء بتلك الصفوة من الأنبياء وداود ﷺ منهم وقد سجد يعني في قوله ﴿**وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب**﴾.

والدليل الآخر ما حفظه في هذه السجدة من السنة الفعلية عن النبي ﷺ.

تنبيهات

الأول: في موضع السجدة في سورة ص هو عند قوله تعالى: ﴿**فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب**﴾ فقد روى النسائي في تفسيره أخبرني إبراهيم بن الحسن ثنا حجاج بن محمد عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي ﷺ سجد في ص وقال (**سجدها داود عليه السلام توبة ونسجدها شكراً**) ورواه أيضاً في كتاب الافتتاح من السنن باب السجود في ص من هذا الوجه به وقال ابن كثير حين ساق هذا الحديث في تفسيره: تفرد بروايته النسائي ورجال إسناده كلهم ثقات.

الثاني: مذاهب الأئمة في سجدات القرآن:

ذهب أبو حنيفة في إحدى الروايتين والشافعي في أحد القولين وهو المشهور في مذهب الإمام أحمد إلى أن عزائم سجود القرآن أربع عشرة سجدة ليست

منها سجدة ص، وفي الرواية الثانية عن أحمد وبه قال عقبة بن نافع وإسحاق بن راهوية أنها خمس عشرة سجدة منها سجدة ص.

وذهب مالك في رواية الشافعي إلى أن عزائم السجود إحدى عشرة، وقال ابن عبد البر هذا قول ابن عمر وابن عباس وسعيد بن المسيب وابن جبير والحسن وعكرمة ومجاهد وعطاء وطاوس ومالك وطائفة من أهل المدينة.

والراجح عندنا أن سجدة ص مشروعة لما قدمناه قريباً من قوله ﷺ (سجدها داود توبة ونسجدها شكراً) ولما رواه البخاري وقدمناه في المسألة السادسة عن ابن عباس.

الثالث: يسن سجود التلاوة في حق التالي والمستمع القاصد وهذا مما لا خلاف فيه ومن الأدلة على ذلك ما رواه الشيخان وأبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ علينا السورة في غير الصلاة فيسجد ونسجد معه حتى لا يجد أحدنا مكاناً لموضع جبهته.

وأما من سمع غير قاصد فلا يستحب له السجود روي ذلك عن عثمان وابن عباس وعمران وبه قال مالك، وذهب أصحاب الرأي وهو مروي عن ابن عمر والنخعي وابن جبير ونافع وإسحاق أن عليه السجود والله أعلم.

شرح جملة من الآثار والكلمات

١ - [﴿عجاب﴾ عجيب].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد وقد تحول العرب فعيلا إلى فعال قال عباس بن مرداس:

إنك عين حذلت مضاعه　　　تبكي على جار بني جداعة
أين دريد وهو ذو براعه　　　حتى تروه كاشفاً قناعه
تعدو به سلهبة سراعه

أي سريعة.

والآية المشار إليها ﴿اجعل الآلهة إلهاً واحداً، إن هذا لشيء عجاب﴾.

٢ - [﴿**القط**﴾ **الصحيفة هو هنا صحيفة الحسنات**].

ش: قاله الفراء وزاد المكتوبة وقال أبو عبيدة: القط الكتاب، وفي الآية خمسة أقوال حكاها ابن جرير:

أحدها: العذاب وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة.

وثانيها: منازلهم في الجنة وبه قال السدي.

وثالثها: نصيبهم من الجنة وهو قول سعيد بن جبير.

ورابعها: رزقهم وبه قال إسماعيل بن أبي خالد.

وخامسها: كتبهم التي قال الله: ﴿**فأما من أوتي كتابه بيمينه**﴾ حكاه البغوي عن ابن عباس والكلبي واختار ابن جرير أنهم سألوا ربهم تعجيل صكاكهم بحظوظهم من الخير أو الشر استهزاءاً بوعيد الله.

والآية المشار إليها ﴿**وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب**﴾.

٣ - [**وقال مجاهد** ﴿**في عزة**﴾ **مُعَازِّين**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره، وأخرج نحوه عن قتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿**بل الذين كفروا في عزة وشقاق**﴾.

٤ - [﴿**الملة الآخرة**﴾ **ملة قريش**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وبه قال قتادة وابن زيد وهو أحد قولين عنده في الآية.

وثانيهما: النصرانية وهو قول ابن عباس والقرضي والسدي.

والراجح عندي هو القول الثاني لأمرين:

الأول: أن دين عيسى هو آخر الأديان السماوية قبل رسالة محمد ﷺ وهذا معروف لدى المشركين كما أنهم يعلمون أن اليهود هم أتباع موسى عليه السلام.

الثاني: أن في قريش بعض معتنقي دين عيسى ﷺ مثل ورقة بن نوفل.

والآية المشار إليها ﴿**ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق**﴾.

٥ - [**الاختلاق: الكذب**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد.

٦ - [﴿**الأسباب**﴾ **طرق السماء في أبوابها**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وهو قول ابن عباس وقتادة وغير واحد.

والآية المشار إليها ﴿**أم هم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب**﴾.

٧ - [﴿**جند ما هنالك مهزوم**﴾ **يعني قريشاً**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق وبه قال قتادة.

والآية المشار إليها ﴿**جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب**﴾.

٨ - [﴿**أولئك الأحزاب**﴾ **القرون الماضية**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما مضى.

والآية المشار إليها ﴿**وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة، أولئك الأحزاب**﴾.

٩ - [﴿**فواق**﴾ **رجوع**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق وهو قول ابن عباس وهو أحد ثلاثة أقوال حكاها في الآية.

ثانيها: بمعنى ليس لهم إفاقة ولا رجوع إلى الدنيا وبه قال السدي.

ثالثها: بمعنى العذاب وهو قول ابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق﴾**.

١٠ - [**﴿قطنا﴾ عذابنا**].

ش: تقدم برقم اثنين.

١١- [**﴿اتخذناهم سخرياً﴾ أحطنا بهم**].

ش: لم أجده بهذا اللفظ وقد أخرج ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق قال "أخطأنا هم" فلعله وقع تصحيف من بعض النساخ وا لله أعلم.

والآية المشار إليها **﴿اتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار﴾**.

١٢ - [**﴿أتراب﴾ أمثال**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما مضى، وأخرج نحوه عن قتادة والسدي.

والآية المشار إليها **﴿وعندهم قاصرات الطرف أتراب﴾**.

١٣ - [**وقال ابن عباس ﴿الأيد﴾ القوة في العبادة**].

ش: أخرجه بهذا اللفظ البغوي وأخرجه ابن جرير ثني محمد بن سعد ثني أبي ثني عمي ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس بلفظ (ذا القوة) وكذا أخرجه عن ابن زيد وأخرج نحوه عن قتادة والسدي ومجاهد.

والآية المشار إليها **﴿اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب﴾**.

١٤ - [**﴿الأبصار﴾ البصر في أمر ا لله**].

ش: لم أجده بهذا اللفظ وأخرج ابن جرير ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس بلفظ (الفقه في الدين) وأخرج عن قتادة قال: بصراً في الدين.

والآيـة المشـار إليهـا ﴿**واذكـر عبادنـا إبراهيـم وإسـحاق ويعقـوب أولي الأيدي والأبصار**﴾.

١٥ - [**﴿حب الخير عن ذكر ربي﴾ من ذكر**].

ش: لم أجد فيه شيئاً عن ابن عباس وأخرج ابن جرير عن قتادة والسدي في قوله عن ذكر ربي عن صلاة العصر.

والآية المشار إليها ﴿**فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب**﴾.

١٦ - [**﴿طفق مسحاً﴾ يمسح أعراف الخيل وعراقيبها**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره، وهو **أحد** قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أنه عقرها وضرب أعناقها وبه قال قتادة والسدي والحسن وحكاه البغوي عن ابن عباس.

والآية المشار إليها ﴿**ردوها علي فطفق مسحاً بالسوق والأعناق**﴾.

١٧ - [**﴿الأصفاد﴾ الوَثاق**].

ش: لم أجده عن ابن عباس وأخرج ابن جرير عن السدي تجمع اليدين إلى عنقه، وأخرج عن الضحاك في السلاسل وقال أبو عبيدة: الأغلال واحدها صفد.

والآية المشار إليها ﴿**وآخرين مقرنين في الأصفاد**﴾.

٢٩٣ - [باب قوله ﴿**هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب**﴾]

ش: قلت: الآية ﴿**قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب**﴾.

يقول تعالى ذكره قال سليمان راغباً إلى ربه رب استر علي ذنبي الذي أذنبت بيني وبينك فلا تعاقبني به.

وقوله ﴿**وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي**﴾ قال ابن عطية في تفسيره (٣٤/١٤) «واختلف المتأولون في معنى قوله ﴿**لا ينبغي لأحد من بعدي**﴾ فقال جمهور الناس أراد أن يفرده بين البشر لتكون خاصة له وكرامة وهذا هو الظاهر من قول النبي ﷺ في خبر العفريت الذي عرض له في صلاته فأخذه وأراد أن يوثقه بسارية من سواري المسجد، قال ثم ذكرت قول أخي سليمان ﴿**رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي**﴾فأرسلته» وقال قتادة وعطاء بن أبي رباح إنما أراد سليمان ﴿**لا ينبغي لأحد من بعدي**﴾ مدة حياتي أي لا أسلبه ويصير إلى أحد كما صار إلى الجن... وسليمان عليه السلام مقطوع بأنه إنما قصد بذلك قصداً براً جائزاً، لأن للإنسان أن يرغب من فضل الله فيما لا يناله أحد، لا سيما بحسب المكانة والنبوة، وانظر أيضاً أن قوله عليه السلام ﴿**لا ينبغي**﴾ إنما هي لفظة محتملة ليس يقطع في أنه لا يعطى الله نحو ذلك الملك لأحد.

وقوله ﴿**إنك أنت الوهاب**﴾ يقول إنك وهاب ما تشاء لمن تشاء بيدك خزائن كل شئ تفتح من ذلك ما أردت لمن أردت.

تنبيه

ما نقله ابن عطية رحمه الله في معنى الآية عن قتادة وعطاء بن أبي رباح أي لا أسلبه ويصير إلى أحد كما صار إلى الجن جرى عليه كثير من المفسرين

وعمدتهم في ذلك قصة مشهورة معروفة بقصة صخر المارد، رواها ابن جرير وغيره عند قوله تعالى ﴿**وألقينا على كرسيه جسداً**﴾ وفي تلك القصة أن سليمان دخل الحمام يوماً وكان إذا أراد دخول الحمام لا يدخل بخاتمه فأعطاه الشيطان صخراً فألقاه في البحر فالتقمته سمكة، ونزع ملك سليمان منه وألقى على الشيطان شبه سليمان فجاء فقعد على كرسيه وسريره وسلط على ملك سليمان كله غير نسائه، قال فجعل يقضي بينهم وجعلوا ينكرون منه أشياء حتى قالوا لقد فتن نبي الله فبينا هو كذلك أربعين ليلة حتى وجد نبي الله خاتمه في بطن سمكة، فأقبل فجعل لا يستقبله جني ولا طير إلا سجد له حتى انتهى إليهم.

قال مقيده: هذا ملخص لفظها والنكارة فيه ظاهرة وأما إسنادها فإنها من قول قتادة وليست من خبر النبي ﷺ وعلى هذا فإنها من الإسرائيليات وأمثالها لا يقبل في الإخبار عن المعصومين عليهم الصلاة والسلام.

٣٢٨ - حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا روح ومحمد بن جعفر عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن عفريتاً من الجن تفلت علي البارحة أو كلمة نحوها ليقطع علي الصلاة، فأمكنني الله منه، وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد، حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان ﴿رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ قال روح فرده خاسئاً.

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «إن عفريتاً من الجن» والعفريت هو من كل جن وإنس أو شيطان الفائق المبالغ الرئيس، يقال عفريت نفريت وعفاريت وهما مثل عفريت قال جرير:

قرنت الظالمين بمرمريس يذل له العفارية المريد

المرمريس: الداهية الشديدة، قال ذو الرمة.

كأنه كوكب في إثر عفرية مسوم في سواد الليل منقضب ا.هـ

قاله أبو عبيدة: عند تفسير الآية التاسعة والثلاثين من سورة النمل.

وقال الزمخشري العفر والعفرية، والعفارية القوي المتشيطن الذي يعفر قرنه.

قلت: الثاني هو المراد في الحديث ويؤيده ما وقع عند المصنف في العمل في الصلاة من رواية شبابه (إن الشيطان) بدل إن عفريتاً.

الثانية: قوله «**تفلت علي البارحة**» وفي العمل في الصلاة (عرض لي فشد علي) وفي رواية النضر عند مسلم في المساجد باب جواز لعن الشيطان: (جعل يفتك علي) والفتك هو الأخذ في غفلة وخديعة، وعند النسائي في تفسير الآية (انفلت البارحة) والبارحة هي الليلة الماضية.

الثالثة: قوله «**ليقطع علي الصلاة**» وعند النسائي من هذا الوجه (ليقطع علي صلاتي).

الرابعة: قوله «**فأمكنني الله منه**» وعند مسلم (وإن الله أمكنني منه فذعته) يعني خنقته كما يوضحه ما عند النسائي في تفسير سورة ص من حديث عائشة (فأخذه فصرعه فخنقه قال رسول الله ﷺ حتى وجدت برد لسانه على يدي).

الخامسة: قوله «**وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد**» وعند مسلم (فلقد هممت أن أربطه إلى جنب سارية من سواري المسجد) وعند النسائي (فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد).

السادسة: قوله «**حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم**» وعند مسلم (حتى تصبحوا تنظرون إليه أجمعون أو كلكم) وعند النسائي (حتى تنظرون إليه).

السابعة: قوله (فذكرت قول أخي سليمان) وعند النسائي (دعوة أخي سليمان) وفي حديث أبي الدرداء عند مسلم في المساجد باب جواز لعن الشيطان (والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة) وفيه دليل على أن نبي الله سليمان سأل ربه ملكاً خاصاً به يكون له فيه معجزه

وكرامة وفيه رد على من قال أن معنى قوله ﴿رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد بعدي﴾ أي مدة حياتي لا أسلبه ويصير إلى أحد كما صار إلى الجني.

الثامنة: قوله «**﴿رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾**» هذا هو الشاهد من الحديث وقد مضى تفسيره أول الباب.

تنبيه

ليس حديث الباب وحديثا أبي الدرداء وعائشة في قصة واحدة بل الظاهر أن كلاً منها في قصة وما صنعناه من ضم روايات الأخيرين إلى حديث الباب في بعض المسائل فلتوضيح المعنى.

من فقه الحديث

أولاً: أن الشياطين قد تعرض للأنبياء ولكن يردهم ا لله مخذولين كما رد كيدهم عن النبي ﷺ.

ثانياً: أن دفع المار بين يدي المصلي لا يبطل الصلاة وإن كان بقوة.

٢٩٤ – [باب قوله ﴿وما أنا من المتكلفين﴾]

ش: قلت: الآية ﴿قل ما أسألكم عليه من أجرٍ وما أنا من المتكلفين﴾.

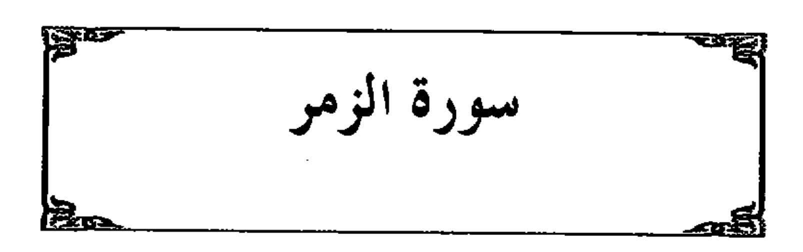
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ما أسألكم على هذا الذكر وهو القرآن الذي أتيتكم به من عند الله أجراً، يعني ثواباً وجزاءً.

﴿وما أنا من المتكلفين﴾ يقول وما أنا ممن يتكلف تخرصه وافتراءه فتقولون ﴿إن هذا إلا إفك افتراه﴾ و﴿إن هذا إلا اختلاق﴾.

٣٢٩ – حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال: (دخلنا على عبد الله بن مسعود قال: يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم. قال الله عز وجل لنبيه ﷺ ﴿قل ما أسألكم عليه من اجر وما أنا من المتكلفين﴾ وسأحدثكم عن الدخان، إن رسول الله ﷺ دعا قريشاً إلى الإسلام، فأبطئوا عليه، فقال: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف، فأخذتهم سنة فحصت كل شئ، حتى أكلوا الميتة والجلود، حتى جعل الرجل يرى بينه وبين السماء دخاناً من الجوع. قال الله عز وجل ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين، يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾ قال فدعوا ﴿ ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون. أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين. ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون. إنا كاشفو العذاب قليلاً. إنكم عائدون﴾ أفيكشف العذاب يوم القيامة قال فكشف، ثم عادوا في كفرهم فأخذهم الله يوم بدر. قال الله تعالى ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى، إنا منتقمون﴾.

ش: يأتي في تفسير سورة الدخان ضمن الباب الحادي عشر بعد الثلاثمائة.

آخر تفسير سورة ص والحمد لله.



٢٩٥ - سورة الزمر بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿**وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً...الآية**﴾

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول ما يريد أن يفطر ويفطر حتى نقول ما يريد أن يصوم، وكان ﷺ يقرأ في كل ليلة بني إسرائيل والزمر.

وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وجابر بن زيد، وآياتها خمس وسبعون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿أفمن يتقي بوجهه﴾ يجر على وجهه في النار وهو قوله تعالى ﴿أفمن يلقى في النار خير أمن يأتي أمناً يوم القيامة﴾].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها **﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة، وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون﴾**.

٢ - [﴿ذي عوج﴾ لَبْس].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله.

والآية المشار إليها **﴿قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون﴾**.

٣ - [﴿ورجلاً سلماً لرجل﴾ مَثَلٌ لألهتهم الباطل والإله الحق].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق، وبه قال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿ضرب ا لله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً... الآية﴾**.

٤ - [﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ بالأوثان].

ش: وصله الفريابي عن مجاهد قاله الحافظ، وأخرج ابن جرير نحوه عن قتادة والسدي وابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿أليس ا لله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه﴾** الآية.

٥ - [﴿خَوّلْنا﴾ أعطينا].

ش: أخرجه ابن جرير من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها ﴿**فإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم**﴾.

٦ - [﴿**والذي جاء بالصدق**﴾ **القرآن**، ﴿**وصدق به**﴾ **المؤمن يجيء يوم القيامة يقول هذا الذي أعطيتني عملت بما فيه**].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا ابن حميد ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فذكر نحوه، وأخرجه أيضاً عن حكام عن عمرو عن منصور عن مجاهد، وهو أحد خمسة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: الرسول ﷺ والذي جاء به لا إله إلا الله والذي صدق به أيضاً الرسول ﷺ

وهو قول ابن عباس.

وثالثها: الذي جاء بالصدق الرسول ﷺ والذي صدق به أبو بكر وبه قال علي رضي الله عنه.

ورابعها: الذي جاء بالصدق الرسول ﷺ والصدق القرآن والمصدقون به هم المؤمنون وهو قول قتادة وابن زيد.

خامسها: الذي جاء بالصدق جبريل والصدق القرآن وصدق به رسول الله ﷺ وبه قال السدي.

والذي اختاره ابن جرير أن الصدق هو القرآن وشهادة أن لا إله إلا الله والمصدق به المؤمنون بالقرآن من جميع خلق الله كائناً من كان من نبي الله وأتباعه.

قلت: وهذا اختيار حسن وبه تجتمع الأقوال.

والآية المشار إليها ﴿**والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون**﴾.

٧ - [﴿**متشاكسون**﴾ **الشَّكِس: العَسِر لا يرضى بالإنصاف**].

ش: قال الحافظ: سقط "وقال غيره" لأبي ذر فصار كأنه من بقايا كلام مجاهد، وللنسفي "وقال" بغير ذكر الفاعل والصواب ما عند الأكثر وهو كلام عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال الشكس العسر لا يرضى بالإنصاف أخرجه الطبري. ا.هـ

قلت: والذي وقفت عليه عند الطبري عن ابن زيد قال متشاكسون كلهم سيئ الخلق، ليس منهم واحد إلا تلقاه آخذاً بطرف من مال لإستخدامه اسواؤهم.

والآية المشار إليها تقدمت في الأثر الثالث.

٨ - [﴿**ورجلاً سلماً**﴾ **ويقال سالماً: صالحاً**].

ش: قال أبو عبيدة: خالصاً وسلماً لرجل أي صالحاً.

٩ - [﴿**اشمأزت**﴾ **نفرت**].

ش: أخرجه ابن جرير عن السدي وقتادة وأخرج عن مجاهد قال انقبضت.

والآية المشار إليها ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾.

١٠ - [﴿**بمفازتهم**﴾ **من الفوز**].

ش: قال أبو عبيدة: بنجاتهم من الفوز، وأخرج ابن جرير عن السدي قال بفضائلهم وعن ابن زيد قال بأعمالهم وهذه المعاني متقاربة.

والآية المشار إليها ﴿وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون﴾.

١١- [﴿**حافين**﴾ **أطافوا به، مطيفين بحفافيه، بجوانبه**].

ش: قال أبو عبيدة: طافوا به بحفافيه، وأخرج ابن جرير عن قتادة والسدي قالا: محدقين حول العرش.

والآية المشار إليها ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم﴾.

١٢ - [**﴿متشابهاً﴾ ليس من الاشتباه، ولكن يشبه بعضه بعضاً في التصديق**].

ش: قال أبو عبيدة: يصدق بعضه بعضاً ويشبه بعضه بعضاً.

وأخرج ابن جرير هذا المعنى عن قتادة والسدي وسعيد بن جبير.

قلت: وهذا هو التشابه العام.

والآية المشار إليها ﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً**﴾الآية.

٢٩٦ - [باب ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾]

ش: قلت: الآية **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم...الخ﴾**الآية.

هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر.

قوله **﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً... الخ الآية﴾** لما نهاهم عن القنوط أخبرهم بما يدفع ذلك ويرفعه ويجعل الرخاء مكان القنوط.

فائدة: روى الطبراني من طريق الشعبي عن بشير بن شكل أنه قال سمعت ابن مسعود يقول: إن أعظم آية في كتاب الله **﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾** وإن أجمع آية في القرآن بخير وشر، **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾** وإن أكثر آية في القرآن فرحاً في سورة الزمر **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾** وإن أشد آية في كتاب الله تفويضاً **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾**.ابن كثير (٤/٦٤).

واعلم أن هذه الآية أرجأ آية في كتاب الله سبحانه لا شتمالها على أعظم بشارة فإنه أولاً أضاف العباد إلى نفسه لقصد تشريفهم ومزيد تبشيرهم، ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي والاستكثار من الذنوب فالنهي عن القنوط للمذنبين غير المسرفين من باب الأولى، وبفحوى الخطاب، ثم جاء بما لا يبقى بعده شك ولا يتخالج القلب عند سماعه ظن فقال **﴿إن الله يغفر الذنوب﴾** فالألف واللام قد صيرت الجمع الذي دخلت عليه للجنس الذي يستلزم استغراق أفراده، فهو في قوة إن الله يغفر كل ذنب كائناً ما كان، إلا ما أخرجه النص القرآني وهو الشرك **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾** ثم لم يكتف بما أخبر عباده به من مغفرة كل ذنب بل أكد ذلك بقوله

﴿جميعاً﴾ فيالها من بشارة ترتاح لها قلوب المؤمنين المحسنين ظنهم بربهم الصادقين في رجائه الخالعين لثياب القنوط الرافضين لسوء الظن بمن لا يتعاظمه ذنب ولا يبخل بمغفرته ورحمته على عباده المتوجهين إليه في طلب العفو الملتجئين به في مغفرة ذنوبهم وما أحسن ما علل سبحانه هذا الكلام قائلاً إنه هو الغفور الرحيم أي كثير المغفرة والرحمة عظيمهما بليغهما واسعهما فمن أبى هذا الفضل العظيم والعطاء الجسيم، وظن أن تقنيط عباد الله وتيئيسهم من رحمته أولى بهم مما بشرهم الله به، فقد ركب أعظم الشطط وغلط أقبح الغلط، فإن التبشير وعدم التقنيط الذي جاءت به مواعيد الله في كتابه العزيز والمسلك الذي سلكه رسوله ﷺ كما صح عنه من قوله (يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا)اهـ. من تفسير الشوكاني.

تنبيه

لا تعارض بين هذه الآية وبين قوله تعالى ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك**﴾ وذلك أن كل ذنب كائناً ما كان ما عدا الشرك بالله مغفور لمن شاء الله أن يغفر له.

من فقه الآية

أولاً: سعة رحمة الله عز وجل وعظيم لطفه.

ثانياً: قبول الله التوبة من جميع الذنوب.

ثالثاً: تحريم القنوط من رحمة الله.

رابعاً: إثبات الغفور والرحيم اسمين لله عز وجل.

٣٣٠ - حدثني إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف، أن ابن جريج أخبرهم: قال يعلى إن سعيد بن جبير أخبره عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعوا إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا

كفارة، فنزل ﴿والذين لا يدعون مع ا لله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم ا لله إلا بالحق ولا يزنون﴾ ونزل ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة ا لله﴾.

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى قوله (**أن ناساً من أهل الشرك**) وعند النسائي في تحريم الدم من رواية عبد الأعلى الثعلبي (إن قوماً) ولم نقف على تعيين هؤلاء.

الثانية: قوله (**لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة**) روى الطبراني في الكبير (١١/١٩٧) من طريق أبين بن سفيان عن عطاء عن ابن عباس (بعث رسول ا لله ﷺ إلى وحشي قاتل حمزة يدعوه إلى الإسلام فأرسل إليه يا محمد كيف تدعوني إلى دينك وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنا يلق آثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً وأنا قد صنعت ذلك فهل تجد لي من رخصة؟ فأنزل ا لله عز وجل ﴿**إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل ا لله سيئاتهم حسنات وكان ا لله غفوراً رحيماً**﴾ فقال وحشي يا محمد هذا شرط شديد إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فلعلي لا أقدر على هذا، فأنزل ا لله عز وجل ﴿**إن ا لله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم**﴾ قال وحشي هذا، فجاء فأسلم فقال الناس يا رسول ا لله إذا أصبنا ما أصاب وحشي قال: (هي للمسلمين عامة).

قلت: ولكن أبين وهو أبين بن سفيان المقدسي ضعف الذهبي في الميزان روايته عن التابعين وهذه الرواية كما ترى منها، وفي سيرة ابن هشام في ذكر حرم المدينة (١/٤٧٤) قال ابن إسحاق فحدثني نافع مولى عبد ا لله بن عمر عن عبد ا لله بن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب قال: اتعدت أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص ان نهاجر إلى المدينة... إلى أن قال وحدثني نافع عن عبدا لله بن عمر عن عمر في حديثه قال: فكنا نقول ما ا لله بقابل ممن افتتن صرفاً ولا

عدلاً ولا توبة، قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم... إلى قوله وانتم لا تشعرون﴾**.

قلت: وهذه الرواية صحيحة ولا تعارض بينها وبين حديث الباب لإمكان أن يكون كلاً من الحادثتين سبب لنزول الآية ونظائر هذا كثير جداً.

الثالثة: قوله فأنزل **﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾** وفي تفسير سورة الفرقان ضمن باب يضاعف له العذاب يوم القيامة من رواية ابن أبزى **﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق... حتى بلغ إلا من تاب﴾** فسألته فقال: لما نزلت قال أهل مكة، فقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التي حرم الله إلا بالحق وآتينا الفواحش فأنزل الله **﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً إلى قوله غفوراً رحيماً﴾**.

الرابعة: قوله (وأنزل **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾**.

قلت: هذا هو محل الشاهد وقد تقدم شرحه أول الباب.

٢٩٧ - [باب ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾]

ش: تمامها: ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.

يقول تبارك وتعالى﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ أي ما قدر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه غيره وهو العظيم الذي لا أعظم منه القادر على كل شئ المالك لكل شئ وكل شئ تحت قهره وقدرته.

وقوله ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ يقول تعالى ذكره: والأرض كلها قبضته في يوم القيامة والسموات كلها مطويات بيمينه.

وقوله «﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾» يقول تعالى ذكره تنزيهاً وتبرئة لله وعلوا وارتفاعاً عما يشرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد القائلون لك أعبد الأوثان من دون الله، واسجد لآلهتنا.

فائدة

قال ابن القيم: «هذا رد على المشركين والمعطلين الجاحدين لتوحيده ولصفاته كما كان ذلك رداً على منكري كتبه ورسله، وهذان اصلا الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وهذا الذي وصف به نفسه ها هنا يتضمن من اقتداره على تغيير العالم وتبديله ما يبطل قول أعدائه من الملاحدة المكذبين بالمبدأ والمعاد أئمة هؤلاء المعارضين للوحي بالعقل والرأي».

٣٣١ - حدثنا آدم ثنا شيبان عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله رضي الله عنه قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع وسائر الخلائق على إصبع، فيقول أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر، ثم

قرأ رسول ا لله ﷺ ﴿وما قدروا ا لله حق قدره، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.

ش: فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله «**جاء حبر من الأحبار إلى رسول ا لله ﷺ**» في رواية سفيان في التوحيد باب قوله تعالى ﴿**لما خلقت بيدي**﴾، (أن يهودياً جاء إلى النبي ﷺ) وفيه من رواية علقمة (جاء رجل إلى النبي ﷺ من أهل الكتاب).

الثانية: قوله «**يا محمد**» وفي رواية علقمة (يا أبا القاسم) وعند مسلم في صفات المنافقين من رواية فضيل (يا محمد أو يا أبا القاسم) بالشك.

الثالثة: قوله «**إنا نجد ان ا لله يجعل السموات على إصبع**» وفي رواية سفيان (إن ا لله يمسك السموات على إصبع) وكذا في رواية علقمة وفضيل، وفي رواية جرير عند النسائي في تفسير سورة الزمر (إذا كان يوم القيامة جعل ا لله السماوات على إصبع).

الرابعة: قوله «**والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلائق على إصبع**» زاد في رواية سفيان (والجبال على إصبع) وعند المصنف في التوحيد من رواية الأعمش (والشجر والأنهار على إصبع).

وفيه دليل على إثبات عظمة ا لله وعظيم قدرته وأنه جل وعلا له يد وأصابع وهي من الصفات اللائقة به ويجب إثباتها له إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل ومن غير تحريف ولا تأويل نؤمن بمعناها مع العلم به، ونفوض كيفيتها إلى ا لله عز وجل شأنها شأن الصفات التي دل عليها الكتاب والسنة الصحيحة.

الخامسة: قوله «**فيقول أنا الملك**» في رواية جرير (ثم يهزهن ثم يقول أنا الملك أنا الملك) وفي رواية الأعمش ثم يقول (بيده أنا الملك) وزاد ابن خزيمة عن محمد بن خلاد عن يحيى بن سعيد القطان عن الأعمش فذكر الحديث قال محمد عدها علينا يحيى بإصبعه وقال عبد ا لله بن الإمام أحمد رحمهما ا لله كما في السنة

(٢٦٤/١) قال أبي رحمه الله جعل يشير بأصابعه، وأراني أبي كيف جعل يشير بأصبعه يضع أصبعاً أصبعاً حتى أتي على آخرها، ورواه أبو بكر الخلال من كتاب السنة عن أبي بكر المروزي عن أحمد وقال رأيت أبا عبد الله يشير بأصبع أصبع.

واخرج الترمذي وصححه في تفسير سورة الزمر عن ابن عباس وفيه (إذا وضع الله السموات على ذه، والأرض على ذه، والماء على ذه، والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه، وأشار أبو جعفر محمد بن الصلت بخنصره أولاً ثم تابع حتى بلغ الإبهام).

قلت: أخذ السلف الصالح بهذه الأحاديث وأمثالها من نصوص الصفات وأجروها على ظاهرها واتبعوا ما دلت عليه إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل و لم يحرفوا و لم يكيفوا قال الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد (ص٧٤٠) معلقاً على جملة أحاديث أوردها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ومنها حديث الباب: «وتأمل ما في هذه الأحاديث الصحيحة من تعظيم النبي ﷺ ربه بذكر صفات كماله على ما يليق بعظمته وجلاله وتصديقه اليهود فيما أخبروا به عن الله من الصفات التي تدل على عظمته، وتأمل ما فيها من إثبات علو الله تعالى على عرشه، و لم يقل النبي ﷺ في شئ منها إن ظاهرها غير مراد وأنها تدل على تشبيه صفات الله بصفات خلقه فلو كان هذا حقاً بلغه أمينه امته فإن الله كمل به الدين واتم به النعمة فبلغ البلاغ المبين.. وتلقى أصحابه رضي الله عنهم عن نبيهم ﷺ ما وصف به ربه من صفات كماله ونعوت جلاله، فآمنوا به، وآمنوا بكتاب الله وما تضمنه من صفات ربهم جل وعلا... وكذلك التابعون لهم بإحسان وتابعوهم والأئمة من المحدثين والفقهاء كلهم وصف الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ و لم يجحدوا شيئاً من الصفات.. وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها، ومن خالف بعد ثبوت

الحجة عليه كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بـالجهل، ونثبـت هـذه الصفـات وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه **فقال ﴿ليـس كمثلـه شئ وهـو السـميع البصير﴾**»اهـ.

السادسة: قوله «**فضحك النبي ﷺ حتـى بـدت نواجـذه تصديقـاً لقـول الحبر**» في رواية الأعمش (فرأيت النبي ﷺ يضحـك حتـى بـدت نواجـذه تعجبـاً وتصديقاً لقوله) وفي رواية فضيل عند مسلم (فضحك رسول الله ﷺ تعجبـاً مما قال الحبر تصديقاً له).

قلت: فيه الرد على من زعم أن رسول الله ﷺ ضحك إسـتنكاراً لما قالـه اليهودي فإن الصحابي المشاهد للتنزيل أعلم الناس بمراد النبي ﷺ فإن قلـت لم لا يكون قول ابن مسعود (تصديقاً لقول الحبر) ظناً منه ذلك فالجواب أنـه لـو كـان الأمر على ما فهمه الراوي بالظن للزم منه تقرير النبي ﷺ علـى البـاطل وسـكوته عن الإنكار وحاشاه ﷺ من ذلك.

السابعة: قوله (**ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وما قدروا الله حق قـدره... الخ الآية﴾**).

هذا هو وجه الشاهد من الحديث وقد تقدم شرح الآية كاملـة أول البـاب، والظاهر والعلم عند الله أن النبي ﷺ قـرأ هـذه الآيـة تصديقـاً للحـبر فيمـا قـال وتعريضاً باليهود إذ لم يؤمنوا بالله وبرسوله وهذا العلم عندهم.

من فقه الحديث

أولاً: إثبات اليدين لله وإثبات الأصابع وذلك على الحقيقـة وإيـاك أن تغـتر بقول الخطابي: (لم يقع ذكر الإصبع في القرآن ولا في حديـث مقطـوع بـه، وقـد تقرر أن اليد ليست بجارحة حتى يتوهم من ثبوتها ثبوت الأصابع بل هـو توقيـف اطلقه الشارع فلا يكيف ولا يشبه، ولعل ذكر الأصابع من تخليـط اليهـود) اهـ فإنه بعيد كل البعد عن الصواب فقد ثبتت اليدان بما يفـوق الحصـر مـن نصـوص

الكتاب والسنة الصحيحة وخرج حديث الباب في أصح الكتب بعد كتاب الله وهما صحيح البخاري وصحيح مسلم وكذا أخرجه الأئمة المشهود لهم بالفضل وجلالة القدر مثل ابن خزيمة.

وروى مسلم في كتاب القدر باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله يقول (ان قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء) ثم قال رسول الله ﷺ (اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك).

وقال الإمام أبو بكر عمرو بن أبي عاصم في كتابه السنة باب: (إن القلوب بن أصبعين من أصابع الرحمن ماشاء أقامه منها وماشاء أن يزيغه أزاغه) وضمنه أحد عشر حديثاً مختلفة الطرق برواية عدد من أصحاب النبي ﷺ. وكلها صحيحة صريحة الدلالة على ثبوت الأصابع للرب جل وعلا وهاك خمسة من تلك الأحاديث:

١ ـ عن النواس بن سمعان الكلابي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه).

٢ ـ عن سبرة بن فاكه قال: قال رسول الله ﷺ: (قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه).

٣ ـ عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: (يا أم سلمة ما من آدمي إلا قلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن ما شاء أقامه وما شاء أزاغه).

٤ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن فإذا أراد أن يقلب قلب عبد قلبه).

٥ - وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (إنما قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن).

فصار حديث الأصبع مقطوعاً به. و لله الحمد والمنة. وقد قدمت في المسألة الخامسة من شرح حديث الباب موقف السلف من نصوص الصفات فالزمه ولا تحد عنه يمنة ولا يسرة.

ثانياً: قبول الحق ممن جاء به وإن كان من أشد أعداء الدين ألا تراه لما سمع قول الحبر ضحك حتى بدت نواجذه.

ثالثاً: عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى.

٢٩٨ - [**باب قوله ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾**].

ش: تقدم شرحه أول الباب الذي قبله.

٣٣٢ - **حدثنا سعيد بن عفير قال حدثني الليث قال حدثني عبد الرحمن بن خالد ابن مسافر عن ابن شهاب عن أبي سلمة أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يقبض الله الأرض، ويطوي السماوات بيمينه ثم يقول، أنا الملك، أين ملوك الأرض).**

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «**يقبض الله الأرض، ويطوي السماوات بيمينه**» في حديث ابن عمر باب قول الله تعالى ﴿**لما خلقت بيدي**﴾ من كتاب التوحيد (إن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السماوات بيمينه) وفي رواية عمر بن حمزة التي وصلها مسلم في صفة القيامة والجنة والنار، وأبو داود في باب الرد على الجهمية من السنة كلاهما من طريق أبي أسامة عن عمر بن حمزة عن صالح عن ابن عمر (يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى، ويطوي الأرض ثم يأخذهن بشماله) وعند أبي داود بدل قوله بشماله بيده الأخرى قال الحافظ وزاد في رواية ابن وهب عن أسامة بن زيد الليثي عن نافع وأبي حازم عن ابن عمر (فيجعلهما في كفه ثم يرمي بهما كما يرمي الغلام بالكرة).

الثانية: قوله (أنا الملك، أين ملوك الأرض) زاد في رواية عمر بن حمزة (أين الجبارون أين المتكبرون).

من فقه الحديث

أولاً: إثبات اليدين لله عز وجل وهما يدان حقيقيتان لائقتان بجلاله ومن تأولهما بالنعمة أو القدرة فقد جانب الصواب.

ثانياً: ما في هذا الحديث من القبض والطي لا يعارض ما تضمنه حديث ابن مسعود في الباب قبله من الإمساك والوضع فكل ذلك حق على حقيقته.

ثالثاً: عظيم قدرة ا لله عز وجل.

رابعاً: فيه إثبات اسم الملك لله.

خامساً: فيه إنفراد الرب بالآخريه التي ليس بعدها شئ كما أنه منفرد بالأولية التي ليس قبلها شئ.

٢٩٩ - [باب ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾].

ش: يقول تبارك وتعالى مخبراً عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة، فقوله تعالى **﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾** هذه هي نفخة الصعق وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السماوات والأرض.

وقوله «**إلا من شاء الله**» إختلف أهل العلم فيه على أربعة أقوال حكاها ابن جرير:

أحدها: انه عنى به جبريل وميكائيل وإسرافيل، وملك الموت، قاله السدي.

وثانيها: أنه عنى به الشهداء وهو قول سعيد بن جبير.

وثالثها: أنه عنى بالإستثناء في الفزع الشهداء وفي الصعق جبريل وملك الموت، وحملة العرش ولم يذكر قائله هنا ولا عند قوله تعالى من سورة النمل **﴿ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾** ولم أقف عليه.

ورابعها: أنه يستثنى الله وما يدع أحداً من أهل السموات ولا أهل الأرض إلا أذاقه الموت وهو قول الحسن.

وقوله «**ثم نفخ فيه أخرى... الخ**» هذه النفخة الثانية وهي نفخة البعث من القبور وهي التي يجمع الله بها الأولين والأخرين للجزاء والحساب ومن نظائرها قوله تعالى **﴿فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة﴾** وقوله **﴿يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً﴾** وقوله **﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾**.

فائدة

أخرج الحاكم في التفسير من المستدرك (٢/٤٣٦) وصححه ووافقه الذهبي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ في قوله **﴿ونفخ**

في الصور﴾ قال النبي ﷺ **(هو قرن ينفخ فيه)**، قال مقيده: فهذا نص صريح في بيان الصور الذي ذكره الله تعالى في كثير من آي كتابه ومنها هذه الآية.

٣٣٣ - ثني الحسن ثنا إسماعيل بن خليل[١]**: أخبرنا عبد الرحيم**[٢]**، عن زكريا ابن أبي زائدة**[٣]**، عن عامر، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة، فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش فلا أدري، أكذلك كان، أم بعد النفخة).**

٣٣٤ - ثنا عمر بن حفص ثنا أبي ثنا الأعمش سمعت أبا صالح: سمعت أباهريرة عن النبي ﷺ قال: (بين النفختين أربعون)،قالوا يا أبا هريرة، أربعون يوماً، قال أبيت قال أربعون سنة؟ قال أبيت قال أربعون شهراً؟ قال أبيت (ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه فيه يركب الخلق.

ش: فيهما سبع مسائل:

الأولى: قوله **«إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الأخرة»** في باب ما يذكر في الأشخاص من كتاب الخصومات برواية أبي سلمة والأعرج (فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأصعق معهم، فأكون أول من يفيق) وكذا في باب وفاة موسى من أحاديث الأنبياء برواية أبي سلمة وابن المسيب عن أبي هريرة والمراد بالصعق غشي يلحق من سمع صوتاً أو رأى شيئاً يفزع منه.

وللحديث قصة أخرجها المصنف في الموضعين وغيرهما وأخرجها مسلم في باب من فضائل موسى عليه السلام من كتاب الفضائل واللفظ له برواية الأعرج

---

(١) هو أبو عبد الله، إسماعيل بن الخليل الخزاز، الكوفي، ثقة من العاشرة مات سنة خمس وعشرين ومائتين، خ، م، مد.

(٢) هو أبو علي، عبد الرحيم بن سليمان الكناني أو الطائي الأشل المروزي، نزيل الكوفة، ثقة له تصانيف، من صغار الثامنة، مات سنة سبع وثمانين ومائة، ع.

(٣) هو أبو يحيى، زكريا بن أبي زائدة خالد ويقال هبيرة بن ميمون بن فيروز الهمداني، الوادعي، الكوفي، ثقة وكان يدلس وسماعه من أبي إسحاق بأخرة من السادسة مات سنة سبع، أو ثمان أو تسع واربعين ومائة، ع.

عن أبي هريرة قال بينما يهودي يعرض سلعة له أعطي بها شيئاً كرهه أو لم يرضه ـ شك عبد العزيز ـ قال: لا والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر، قال فسمعه رجل من الأنصار فلطم وجهه، قال تقول والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، قال فذهب اليهودي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا أبا القاسم إن لي ذمة وعهداً، وقال فلان لطم وجهي فقال رسول الله ﷺ : (لم لطمت وجهه؟قال: قال يا رسول الله والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر وأنت بين أظهرنا قال فغضب رسول الله ﷺ حتى عرف الغضب في وجهه ثم قال: لا تفضلوا بين أنبياء الله فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله قال: ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث أو في أول من بعث...الحديث).

الثانية: قوله «**فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش**»: في الأنبياء (فإذا موسى باطش بجانب العرش: وعند مسلم في فضائل موسى (فإذا موسى عليه السلام آخذ بالعرش): وفي حديث أبي سعيد (آخذ بقائمة من قوائم العرش): أخرجه المصنف في باب ﴿**وواعدنا موسى ثلاثين ليلة**﴾ من أحاديث الأنبياء وهو كذا عند الترمذي في تفسير سورة الزمر برواية محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة، والجمع بين هذه الروايات أن إمساك موسى ﷺ بالعرش كان بشدة وقوة.

الثالثة: قوله «**فلا أدري أكذلك كان، أم بعد النفخة**» في الأنبياء (فلا أدري أكان ممن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله) ووقع في حديث أبي سعيد (فلا أدري كان فيمن صعق أم حوسب بصعقته الأولى) وفي رواية عبد الله بن الفضل (فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور، أم بعث قبلي) أخرجها المصنف في باب ﴿**إن يونس لمن المرسلين**﴾ من أحاديث الأنبياء، قال الحافظ: ووقع في رواية محمد بن عمرو عن أبي سلمة عند ابن مردويه (أنا اول من تنشق

عنه الأرض يوم القيامة فأنفض التراب عن رأسي، فآتي قائمة العرش فأجد موسى قائماً عندها فلا أدري انفض التراب عن رأسة قبلي أو كان ممن استثنى ا لله).

الرابعة: قوله «**بين النفختين**» وفي باب ﴿**يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا**﴾ من سورة النبأ،(ما بين النفختين) وكذا عند مسلم في باب ما بين النفختين من الفتن وأشراط الساعة.

قلت: فيه دليل على ان النفخ في الصور نفختان وهاتان النفختان هما نفخة الصعق ونفخة القيام للبعث والحساب، فإن سأل سائل: كيف تصنع بآية النمل المتضمنة الفزع مع النفخ، وآية الزمر التي تضمنت نفختين وهما نفخة الصعق ونفخة القيام فإذا أنضم الآيتان إلى بعضهما ظهر أن النفخ ثلاث مرات كما هو ظاهر.

فالجواب أنه لا تعارض بين الآيتين فنفخة الصعق هي التي يصحبها الفزع، يوضحه ما رواه مسلم من حديث عبد ا لله بن عمرو الطويل وفيه ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا اصغى ليتاً ورفع ليتاً، قال وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال فيصعق ويصعق الناس معه) انتهى محل الشاهد فقد نص الحديث كما ترى، على أن الفزع والصعق بنفخة واحدة.

الخامسة: قوله «**قالوا يا أبا هريرة أربعون يوماً**» لم يعرف السائل واللفظ يشعر أنه ممن سمع أبا هريرة يحدث به.

السادسة: قوله «**أبيت**» بموحدة والمعنى امتنعت عن القول في ذلك لأنه ليس عندي فيه خبر عن النبيﷺ، قال الحافظ: ولإبن مردوية من طريق أبي بكر بن عياش عن الأعمش في هذا الحديث فقال اعييت من الإعياء وهو التعب وكأنه أشار إلى كثرة من يسأله عن تبيين ذلك فلا يجيبه وزعم بعض الشراح أنه وقع عند مسلم أربعين سنة ولا وجود له، نعم أخرج ابن مردويه من طريق سعيد بن الصلت عن الأعمش في هذا الإسناد (اربعون سنة) وهو شاذ، ومن وجه ضعيف عن ابن عباس قال (ما بين النفخة والنفخة أربعون سنة) ذكره في آواخر سورة ص.

السابعة: قوله «**ويبلى كل شئ من الإنسان إلا عجب ذنبه**» وعند مسلم (وليس من الإنسان شئ إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب) وفي تفسير النبأ (ثم ينزل الله من السماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شئ إلا يبلى... الحديث) وعند مسلم برواية همام بن منبه عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: (إن في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً، فيه يركب يوم القيامة) قالوا أي عظم هو يا رسول الله قال: عجب الذنب) وفي حديث أبي سعيد عند الحاكم وأبي يعلى قيل يا رسول الله ما عجب الذنب؟ قال: مثل حبة خردل)، والعجب بفتح المهملة وسكون الجيم بعدها موحدة تحتية ويقال له عجم بالميم أيضاً عوضاً عن الباء وهو عظم لطيف في أصل الصلب وهو رأس العصعص وهو مكان رأس الذنب من ذوات الأربع.

قال مقيده: واعلم أن الحكمة في بقاء عجب الذنب مما استأثر الله بعلمه ولا سبيل إلى معرفته إلا بخبر المعصوم ﷺ ولا نص في ذلك.

تنبيه

واعلم أن قوله ﷺ في حديث أبي هريرة هذا (ويبلى كل شئ من الإنسان...الخ) ليس على عمومه بل خص منه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإن أجسادهم محرمة على الأرض كما جاءت الأحاديث الصحيحة بذلك.

من فقه الحديثين

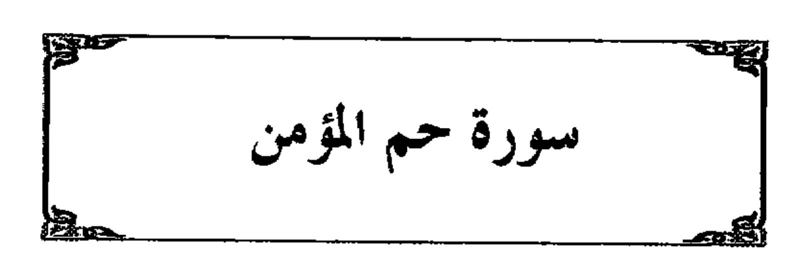
أولاً: ثناء النبي ﷺ على أخيه موسى ﷺ.

ثانياً: وجوب الإيمان برسالة موسى عليه الصلاة والسلام.

ثالثاً: فضيلة نبينا ﷺ وتشريفه بأنه أول من يبعث.

رابعاً: وجوب الإيمان بالنفخ في الصور.

آخر تفسير سورة الزمر والحمد لله.



٣٠٠ - سورة حم المؤمن بسم ا لله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول رب ا لله...﴾.

والمعتمد في المصحف غافر وشاهد التسمية ظاهر.

أخرج أبو عبيد وابن الضريس وابن المنذر والحاكم وغيرهم عن ابن مسعود قال: الحواميم ديباج القرآن.

واخرج أبو عبيد في فضائله عن ابن عباس قال: إن لكل شئ لباباً وإن لباب القرآن آل حم.

وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وآياتها خمس وثمانون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**قال مجاهد ﴿حم﴾ مجازها مجاز أوائل السور، ويقال بل هو اسم لقول شريح بن أبي أوفى العبسي:**

يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم]

ش: **قلت:** لم أجده عن مجاهد بل وجدته لأبي عبيدة وزاد وقال الكميت بن زيد الأسدي وجدنا لكم في ال حاميم آية... تأولها منا تقي ومعرب.

وقوله «**ويقال بل هو اسم...الخ**» إعلم أن أهل العلم مختلفون في معنى حاميم على خمسة أقوال حكاها ابن جرير وهي:

الأول: أنها حروف مقطعة من اسم الله الذي هو الرحمن الرحيم وهو الحاء والميم منه وبه قال ابن عباس.

الثاني: أنه قسم اقسمه الله وهو اسم من أسماء الله وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية عنه وبه قال مجاهد.

الثالث: أنه اسم من أسماء القرآن قاله قتادة.

الرابع : أنه حروف هجاء، ولم يذكر قائله.

الخامس: أنه اسم واحتج أصحاب هذا القول بقول أبي شريح المتقدم، ولم يذكر ابن جرير قائله، وقد قدمت الخلاف في هذه الحروف في أول تفسير سورة طه عند كلامنا على الأثر الأول ضمن الباب السابع والعشرين بعد المائتين.

٢ - [**﴿الطَّوْل﴾ التفضل**].

ش: قاله ابو عبيدة وزاد تقول العرب للرجل إنه لذو طول على قومه أي ذو فضل عليهم وفيه قولان آخران أخرجهما ابن جرير:

أحدهما: ذو السعة والغنى والنعم وبه قال ابن عباس ومجاهد وقتادة.

وثانيهما: ذو القدرة وهو قول ابن زيد.

وليس عندي اختلاف في المعنى بين هذه الأقوال فإنه جل وعلا ذو تفضل وغنى وقدرة.

والآية المشار إليها ﴿**غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول**﴾.

٣ - [﴿**داخرين**﴾ **خاضعين**].

ش: قال أبو عبيدة في الجزء الثاني (ص٩٦) عند الآية السابعة والثمانين من سورة النمل: أي صاغرين خاضعين.

وأخرج ابن جرير عن السدي قال: صاغرين.

والآية المشار إليها ﴿**إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين**﴾.

٤ - [**وقال مجاهد:** ﴿**إلى النجاة**﴾ **الإيمان**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ (الإيمان با لله).

والآية المشار إليها ﴿ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار﴾.

٥ - [﴿**ليس له دعوة**﴾ **يعني الوثن**].

ش: أخرجه أبن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وزاد "ليس شئ"

والآية المشار إليها ﴿**لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة، وأن مردنا إلى ا لله**﴾.

٦ - [﴿**يُسْجَرون**﴾ **توقد بهم النار**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله ولفظه (يوقد بهم النار) ولا تغاير في المعنى، وأخرج عن السدي وابن زيد نحوه.

والآية المشار إليها ﴿**في الحميم ثم في النار يسجرون**﴾.

٧ - [﴿تمرحون﴾ تبطرون].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق وزاد "وتأشرون" وهو قول السدي.

والآية المشار إليها :﴿ **ذلك بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون** ﴾

٨ - [**وكان العلاء بن زياد يذكر النار، فقال رجل لم تقنط الناس؟ قال وأنا أقدر أن أقنط الناس والله عز وجل يقول ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله﴾ ويقول : ﴿ وأن المسرفين هم أصحاب النار﴾ ولكنكم تحبون أن تبشروا بالجنة على مساوئ أعمالكم، وإنما بعث الله محمداً ﷺ مبشراً بالجنة لمن أطاعه، ومنذراً بالنار من عصاه**].

ش: قوله «**وكان العلاء بن زياد**» هو أبو نصر العلاء بن مطر العدوي البصري أحد العباد ثقة من الرابعة مات سنة أربع وتسعين ومائة ولم أقف عليه موصولاً.

قوله «**يذكر الناس النار**» بتشديد الكاف مكسورة أي يخوفهم منها ويعظهم بها.

قوله «**فقال رجل**» لم يوقف له على تسمية.

وقوله «**لم تقنط الناس**» هذا سؤال استنكار والتقنيط هو التيئيس من رحمة الله والمعنى أنك بصنيعك هذا وهو التخويف بالنار فقط، تبعث في نفوس الناس الخوف دون رجاء.

قوله «**وأنا أقدر أن أقنط الناس...إلى قوله أصحاب النار**» هذا مقول العلاء رداً على من أنكر صنيعه والمعنى أنه ليس لي تقنيط الناس من رحمة الله وقد استدل على ذلك بآيتين إحداهما ﴿**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم**﴾، والأخرى ﴿**وأن المسرفين هم أصحاب النار**﴾.

وقوله «**ولكنكم تحبون أن تبشروا على مساوئ أعمالكم**» وهذا جواب آخر من أجوبة إنكار العلاء على من استنكر عليه الإقتصار في الوعظ على التخويف.

وقوله «**وإنما بعث ا لله محمداًﷺ...إلى قوله من عصاه**» هذا تعليل لما قبله من الأجوبة.

تنبيه

واعلم أن الطريقة المثلى في الوعظ الجمع بين الخوف والرجاء والترغيب والترهيب والمجادلة بالتي هي أحسن إن احتيج إليها مع تعليم الناس أصول الدين وفروعه، قال ابن القيم في زاد المعاد (١/٤٢٣): «وكذلك كانت خطبته ﷺ إنما هي تقرير لأصول الإيمان من الإيمان با لله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه، وذكر الجنة والنار، وما أعد ا لله لأوليائه واهل طاعته، وما أعد لأعدائه وأهل معصيته فيملأ القلوب من خطبته إيماناً وتوحيداً، ومعرفة بـا لله وأيامه، لا كخطب غيره التي إنما تفيد أموراً مشتركة بين الخلائق وهي النوح على الحياة، والتخويف بالموت، فإن هذا أمر لايحصل في القلب إيماناً با لله، ولاتوحيداً له، ولا معرفة خاصة به، ولا تذكيراً بأيامه، ولا بعثاً للنفوس على محبته والشوق إلى لقائه، فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة غير أنهم يموتون، وتقسم أموالهم، ويبلى التراب أجسامهم، فياليت شعري أي إيمان حصل بهذا، وأي توحيد ومعرفة وعلم نافع حصل به؟!».

٣٣٥ - حدثنا علي بن عبد ا لله ثنا الوليد بن مسلم ثنا الأوزاعي ثني يحيى بن أبي كثير ثني محمد بن إبراهيم التيمي ثني عروة بن الزبير قلت: لعبد ا لله بن عمرو بن العاص[1] أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول ا لله ﷺ

---

(١) هو أبو محمد وقيل أبو عبد الرحمن عبد ا لله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بالتصغير ابن سعد السهمي، أحد السابقين المكثرين من الصحابة، وأحد العبادله الفقهاء، مات في ذي الحجة ليالي الحرة على الأصح، بالطائف على الراجح، ع.

قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه، ودفع عن رسول الله ﷺ وقال: ﴿اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم﴾.

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «**أشد ما صنع المشركون...الخ الجواب**».

هذا الجواب يخالف في الظاهر ما أخرجه المصنف في باب إذا قال أحدكم آمين من بدء الخلق عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: للنبي ﷺ هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب... الحديث) فالجمع بينهما أن عبد الله بن عمرو استند إلى ما رآه من صنيع عقبة مع النبي ﷺ ولم يكن يعلم تلك القصة التي أخبرت بها عائشة.

الثانية: قوله «**بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط...إلى قوله فخنقه خنقاً شديداً**» في مناقب الأنصار برواية عياش بن الوليد (بينا النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة.

الثالثة: قوله «**فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه**» وفي فضائل الصحابة برواية محمد بن يزيد فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه.

الرابعة: قوله «**أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم**».

وفي حديث عمرو بن العاص عند النسائي في تفسير سورة حم المؤمن أنه سئل ما أشد شئ رأيت قريشاً بلغوا من رسول الله ﷺ قال: مر بهم ذات يوم

فقالوا له أنت الذي تنهانا أن نعبد ما يعبد أباؤنا؟ قال: أنا فقاموا إليه فأخذوه بمجامع ثيابه فقال فرأيت أبا بكر محتضنه من وراءه يصرخ وإن عينيه تنفحان وهو يقول (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي ا لله)

قلت: وهذا وإن كان ظاهره مخالفة ما قبله إلا أنه محمول على تعدد القصة وا لله أعلم.

من فقه الحديث

أولاً: شدة ما لقيه النبي ﷺ من المشركين وصبره عليهم.

ثانياً: في دفاع أبي بكر عن النبي ﷺ منقبة له.

ثالثاً: جواز الأنتزاع من القرآن والاستشهاد به في المواقف المتشابهة وهو ما يفيده قول أبي بكر ﴿**أتقتلون رجلاً أن يقول ربي ا لله**﴾.

آخرتفسيرسورة غافر و لله الحمد والمنة.

سورة حم السجدة

٣٠١ - سورة حم السجدة بسم ا لله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿**ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن**﴾

والمعتمد في المصحف فصلت وشاهد التسمية قوله تعالى ﴿**كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون**﴾.

وهي مكية في قول الجميع حكاه القرطبي، وآياتها أربع وخمسون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - **[وقال طاوُس عن ابن عباس ﴿أئتيا طوعاً﴾ أعطيا].**

ش: أخرجه ابن جرير ثني يعقوب بن إبراهيم ثنا ابن علية عن ابن جريج عن سليمان الأحول عن طاوس عن ابن عباس فذكره.

٢ - **[﴿قالتا أتينا طائعين﴾ أعطينا].**

ش: أخرجه ابن جرير عن طاوس عن ابن عباس بإسناد الذي قبله.

والآية المشار إليها بالكلمتين **﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾.**

٣٣٦ - **وقال المنهال[1]، عن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي؟**

قال: ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾. ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾. ﴿ولا يكتمون الله حديثاً﴾. ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾: فقد كتموا في هذه الآية؟

وقال: ﴿أم السماء بناها - إلى قوله - دحاها﴾: فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض، ثم قال: ﴿أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين - إلى قوله - طائعين﴾: فذكر في هذه خلق الأرض قبل السماء؟

وقال: ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾. ﴿عزيزاً حكيماً﴾. ﴿سميعاً بصيراً﴾: فكأنه كان ثم مضى؟

فقال: ﴿فلا أنساب بينهم﴾ في النفخة الأولى، ثم ينفخ في الصور: ﴿فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾: فلا أنساب

---

(١) هو المنهال بن عمرو الأسدي مولاهم الكوفي صدوق ربما وهم من الخامسة خ، ٤، وليس له في البخاري إلا هذا الحديث.

بينهم عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النفخة الآخرة: ﴿أقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾.

وأما قوله: ﴿ما كنا مشركين﴾. ﴿ولا يكتمون الله حديثاً﴾: فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، فقال المشركون: تعالوا نقول لم نكن مشركين، فختم على أفواههم، فتنطق أيديهم، فعند ذلك عرف أن الله لا يكتم حديثاً، وعنده: ﴿يود الذين كفروا﴾.

وخلق الأرض في يومين ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم دحا الأرض، ودحوها: أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينهما في يومين آخرين، فذلك قوله: ﴿دحاها﴾. وقوله: ﴿خلق الأرض في يومين﴾. فجعلت الأرض وما فيها من شئ في أربعة أيام، وخلقت السماوات في يومين.

﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ سمى نفسه بذلك، وذلك قوله، أي لم يزل كذلك، فإن الله لم يرد شيئاً إلا أصاب به الذي أراد، فلا يختلف عليك القرآن، فإن كلاً من عند الله.

قال أبو عبد الله: حدثنيه يوسف بن عدي[١]: حدثنا عبيد الله بن عمرو[٢]، عن زيد بن أبي أنيسة[٣] عن المنهال بهذا.

ش: فيه ثلاث مسائل:

---

(١) هو يوسف بن عدي بن رزق التيمي مولاهم الكوفي، نزيل مصر، ثقة من العاشرة مات سنة اثنتين وثلاثين [ومائتين] وقيل غير ذلك،خ،س، وليس له في البخاري إلا هذا الحديث.

(٢) هو أبو وهب عبيد الله بن عمرو بن أبي الوليد الرقي، أبو وهب الأسدي ثقة فقيه ربما وهم من الثامنة، مات سنة ثمانين ومائة عن ثمانين سنة.

(٣) هو أبو أسامة زيد بن أبي أنيسة الجزري أصله من الكوفة ثم سكن الرها ثقة له أفراد من السادسة، مات سنة تسع عشرة ومائة وقيل سنة أربع وعشرين وله ست وثلاثون سنة، ع.

الأولى: قوله «**وقال المنهال عن سعيد بن جبير... الخ**» ظاهره أنه معلق ولكن ليس كذلك بل ساق المصنف الأسناد بعد الفراغ من الخبر كما مر بك.

الثانية: قوله «**إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي**» بيانه من قوله قال: **﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتسألون﴾** إلى قوله **﴿سميعاً بصيراً﴾** فكأنه كان ثم مضى.

الثالثة: من قوله «**فقال ﴿فلا أنساب بينهم﴾**» **في النفخة الأولى ثم ينفخ في الصور ﴿فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتسألون إلى قوله ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ سمى نفسه بذلك، وذلك قوله أي لم يزل كذلك فإن الله لم يرد شيئاً إلا أصاب به الذي أراد، فلا يختلف عليك القرآن، فإن كلاً من عند الله**» هو جواب ابن عباس أزال به عن ذلك الرجل ما عن له من الشبه.

من فقه الحديث

أولاً: يجب على من أشكل عليه أمر في القرآن أو غيره أن يعرضه على الراسخين في العلم.

ثانياً: فقه ابن عباس رضي الله عنه ورسوخه في العلم وهذا يظهر من استعراضه شبه الرجل وإزالتها شبهة شبهة.

ثالثاً: أن القرآن كله حق وليس فيه اشتباه بل يصدق بعضه بعضاً.

شرح جملة من الكلمات

١ - [**وقال مجاهد: ﴿لهم أجر غير ممنون﴾ محسوب**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرج عن ابن عباس والسدي غير منقوص.

والآية المشار إليها **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون﴾**.

٢ - [**﴿أقواتها﴾ أرزاقها**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد الذي قبله بلفظ **﴿أقواتها﴾** من المطر، وأخرج مثل ما حكاه المصنف عنه عن الحسن، وأخرج نحوه عن ابن زيد والسدي.

والآية المشار إليها **﴿وجعل فيها رواسي من فوقها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين﴾**.

٣ - [**﴿في كل سماء أمرها﴾ مما أمر به**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وزاد واراده، وأخرج نحوه عن السدي وقتادة.

والآية المشار إليها **﴿فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها﴾**.

٤ - [**﴿نحسات﴾ مشائيم**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله، وأخرج عن قتادة والسدي نحوه.

والآية المشار إليها **﴿فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات... الآية﴾**

٥ - [**﴿وقيضنا لهم قرناء﴾ قرناهم بهم**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله بلفظ (قرناء) شياطين، وأخرجه أيضاً عن السدي.

والآية المشار إليها **﴿وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾**.

٦ - [**﴿تتنزل عليهم الملائكة﴾ عند الموت**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله كما اخرجه عن السدي.

والآية المشار إليها **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا﴾**.

٧ - [**﴿اهتزت﴾ بالنبات، [﴿وربت﴾ ارتفعت**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

والآية المشار إليها **﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾**.

٨ - [**وقال غيره: ﴿من أكمامها﴾ حين تطلع**].

ش: قلت: كذا في رواية أبي ذر والأصيلي، وقد أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

والآية المشار إليها **﴿إليه يرد علم الساعة، وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾**.

٩ - [**﴿ليقولن هذا لي﴾ أي بعملي أنا محقوق بهذا**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

والآية المشار إليها **﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة... الآية﴾**.

١٠ - [**﴿سواءً للسائلين﴾ قدَّرَها سواء**].

ش: لم أقف فيها لمجاهد على قول لكن قال أبو عبيدة: نصبها عاصم وحمزة وخفضها الحسن فجعلها من نعت الأيام، وإن شئت من نعت الأربعة، ومن نصبها جعلها متصلة الأقوات، وقد ترفع كأنه قال (ذلك سواء للسائلين، يقوله لمن أراد علمه)ا.هـ

والآية المشار إليها مضت في الأثر الثاني.

١١- [﴿فهديناهم﴾ دللناهم على الخير والشر، كقوله ﴿وهديناه النجدين﴾، وكقوله ﴿هديناه السبيل﴾، والهدي الذي هو الإرشاد بمنزلة أصعدناه، ومن ذلك قوله ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾].

ش: قال الفراء: يقول دللناهم على مذهب الخير ومذهب الشر كقوله **﴿وهديناه النجدين﴾** الخير والشر.ا.هـ

ثم ساق بإسناده عن علي أنه قال في قوله **﴿وهديناه النجدين﴾** الخير والشر.

قال أبو زكريا وكذلك قوله **﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾** والهدي على وجه آخر هو الإرشاد بمنزلة قولك أسعدناه، من ذلك قوله **﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾** في كثير من القرآن.ا.هـ

قلت: وقول البخاري «**والهدي الذي هو الإرشاد بمنزلة أصعدناه...**» قال السهيلي: هو بالصاد أقرب إلى تفسير أرشدناه من أسعدناه بالسين المهملة، لأنه إذا كان السين كان من السعد والسعادة، وأرشدت الرجل إلى الطريق وهديته السبيل بعيد من هذا التفسير، فإذا قلت أصعدناهم بالصاد خرج اللفظ إلى معنى الصعدات في قوله إياكم والقعود على الصعدات وهي الطرق، وكذلك أصعد في الأرض إذا سار فيها على قصد، حكاه الحافظ في الفتح (٨ / ٥٦٠).

والآية المشار إليها **﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾**.

١٢ - [﴿يوزعون﴾ يكفون].

ش: قال الفراء: هي ما وزعت، ومعنى وزعته حبسته وكففته.ا.هـ

وقال السدي: يحبس أولهم على آخرهم. وقال قتادة: عليهم وزعة ترد أولهم على آخرهم. أخرجه عنهما ابن جرير.

قلت: وهذه العبارات الأربع متقاربة.

والآية المشار إليها **﴿ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون﴾**.

١٣ - [**﴿من أكمامها﴾ قشر الكفرى هي الكم**].

ش: قال الفراء: قشر الكفراه كم. وقال أبو عبيدة: أي أوعيتها واحدها كمه وهو ما كانت فيه وكم وكمه واحد وجمعها أكمام وأكمه.ا.هـ

وهاتان العبارتان قريبتان من قول المصنف إلا أن قول الفراء أشبه.

والآية المشار إليها مضت في الأثر الثامن.

١٤ - [**وقال غيره: ويقال للعنب إذا اخرج أيضاً كافور وكفرى**].

ش: قوله «**وقال غيره**» قال ابن فارس: في المجمل مادة كفر والكافور كم العنب قبل أن ينوّر يسمى كافوراً لأنه كفر الوليع أي غطاه ويقال له الكفرى.ا.هـ

١٥ - [**﴿ولي حميم﴾ قريب**].

ش: أخرجه ابن جرير عن قتادة.

والآية المشار إليها **﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾**.

١٦ - [**﴿من محيص﴾ حاص حاد**].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها **﴿وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص﴾**.

١٧ - [**﴿مِرْيَه﴾ ومُرْية واحدٌ أي امتراء**].

ش: قاله أبو عبيدة، واخرج ابن جرير عن السدي شك.

والآية المشار إليها **﴿ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم، ألا إنه بكل شيئ محيط﴾**.

١٨ - [**وقال مجاهد: ﴿اعملوا ما شئتم﴾ هي وعيد**].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا ابن بشار: ثنا عبد الرحمن: ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره بلفظ "هذا وعيد" وقال أبو عبيدة: لم يأمرهم بعمل الكفر إنما هو توعد.

والآية المشار إليها **﴿اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾**.

١٩ - [**وقال ابن عباس: ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ الصبر عند الغضب والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوه عصمهم ا لله، وخضع لهم عدوهم ﴿كأنه ولي حميم﴾**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبوصالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس بلفظ (أمر ا لله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم ا لله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم، وهو **أحد** قولين عنده في الاية.

وثانيهما: بمعنى أدفع بالسلام على من أساء إليك إساءته وبه قال عطاء ومجاهد، و قول ابن عباس أظهر عندي وأوفق للآية وا لله أعلم.

والآية المشار إليها ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾.

٣٠٢ - [باب قوله ﴿وماكنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن ا لله لا يعلم كثيراً مما تعملون﴾].

ش: أي تقول لهم الأعضاء والجلود حين يلومونها على الشهادة عليهم، ما كنتم تكتمون الذي كنتم تفعلونه بل كنتم تجاهرون ا لله بالكفر والمعاصي ولا تبالون منه في زعمكم لأنكم كنتم لا تعتقدون أنه يعلم جميع أفعالكم.ا.هـ من ابن كثير.

٢٣٧ - حدثنا الصلت بن محمد حدثنا يزيد بن زريع عن روح بن القاسم عن منصور عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم﴾ الآية، كان رجلان من قريش وختن لهما من ثقيف، أو رجلان من ثقيف وختن لهما من قريش في بيت، فقال بعضهم لبعض أترون أن ا لله يسمع حديثنا: قال بعضهم يسمع بعضه، وقال بعضهم: لئن كان يسمع بعضه لقد يسمع كله، فأنزلت ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم﴾ الآية.

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «**كان رجلان من قريش وختن لهما من ثقيف أو رجلان من ثقيف وختن لهما من قريش**»: وفي التوحيد من رواية سفيان (اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي أو قرشيان وثقفي) هذا الشك من أبي معمر وهو عبد ا لله بن سخبرة راوية ابن مسعود، وقد أخرج هذه القصة عبد الرزاق (ج ٣) عند تفسيره هذه الآية عن وهب بن ربيعة عن ابن مسعود ولفظه قال (إني لمستتر بأستار الكعبة إذ جاء ثلاثة نفر: ثقفي وختناه قرشيان) وعند الترمذي في باب ومن سورة حم السجدة من التفسير برواية عبد الرحمن بن يزيد قال: قال عبد ا لله: كنت مستتراً بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر) ولم ينسبهم، قال البغوي في تفسير

سورة فصلت عند هذه الآية: وقيل الثقفي عبدياليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن أمية.

قلت: وفي الباب بعد هذا وصفهم فقال: كثيرة شحم بطونهم قليلة فقه قلوبهم كذا للأكثر بإضافة بطون لشحم وإضافة قلوب لفقه وتنوين كثيرة وقليلة، وعند الترمذي (كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم وذكره بعض الشراح بلفظ إضافة شحم إلى كثيرة وبطونهم بالرفع على أنه المبتدأ أي بطونهم كثيرة الشحم والآخر مثله وهو محتمل قال الحافظ: وقد أخرج ابن مردوية من أوجه أخر بلفظ (عظيمة بطونهم قليل فقههم).

الثانية: قوله «فقال بعضهم لبعض أترون أن ا لله يسمع حديثنا» وفي الباب بعده من رواية سفيان (فقال أحدهم: أترون أن ا لله يسمع ما نقول؟) وعندعبد الرزاق (فتحدثوا بينهم بحديث فقال أحدهم أترى ا لله يسمع ما قلنا).

الثالثة: قوله «**قال بعضهم يسمع بعضه وقال بعضهم لئن كان يسمع بعضه لقد يسمع كله**» وعند عبد الرزاق فقال الأخر: (أراه يسمع إذا رفعنا ولايسمع إذا خفضنا، فقال الأخر: لئن كان يسمع شيئاً منه إنه ليسمعه كله) وفي الباب بعده وكذا عند مسلم والترمذي (فقال الأخر: يسمع إذا جهرنا ولا يسمع إن أخفينا وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا)

قال مقيده: هذا القول الأخير وما في معناه على ما فيه من السخرية با لله إلا أن صاحبه أفطن القوم قال الحافظ: وأخلق به أن يكون الأخنس بن شريق لأنه أسلم بعد ذلك وكذا صفوان بن أمية.

الرابعة: قوله: «فأنزلت ﴿**وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم**﴾».

وعند عبد الرزاق: (فذكرت ذلك لرسول ا لله قال: فأنزل ا لله ﴿**وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم... إلى قوله الخاسرين**﴾.

قلت: وهذا هو وجه الشاهد من الحديث وقد تحصل من مجموع الروايات كما ترى أن تلك الحادثة هي سبب نزول الآيتين.

٣٠٣ - [باب قوله ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾]

ش: يقول تعالى ذكره:وهذا الذي كان منكم في الدنيا من ظنكم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون من قبائح أعمالكم ومساويها هو ظنكم الذي ظننتم بربكم في الدنيا أرداكم يعني أهلككم يقال منه أردى فلاناً كذا وكذا إذا أهلكه.

وقوله ﴿**فأصبحتم من الخاسرين**﴾ يقول فأصبحتم اليوم من الهالكين، قد غبنتم ببيعكم منازلكم من الجنة بمنازل أهل الجنة من النار.ا.هـ من ابن جرير.

٣٣٨ - ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا منصور عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله رضي الله عنه قال: اجتمع عند البيت قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي كثيرة شحم بطونهم قليلة فقه قلوبهم، فقال أحدهم أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا وقال الآخر إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا فأنزل الله عز وجل ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾ الآية.

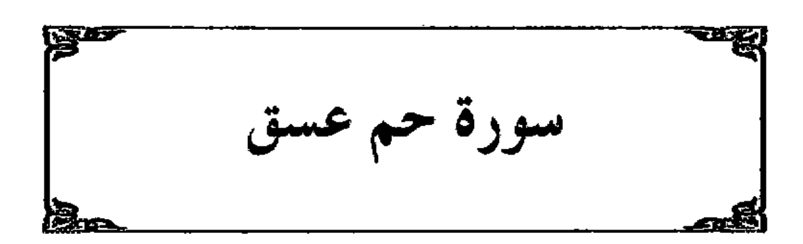
وكان سفيان يحدثنا بهذا فيقول حدثنا منصور أو ابن أبي نجيح أو حميد أحدهم أو اثنان منهم ثم ثبت على منصور وترك ذلك مراراً غير واحدة.

٣٣٩ - حدثنا عمر بن علي حدثنا يحيى ثنا سفيان الثوري قال حدثني منصور عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله بنحوه.

ش: الشاهد منه يظهر من رواية عبد الرزاق (فأنزل الله ﴿**وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم... إلى... الخاسرين**﴾ وقد تقدم شرح الحديث ضمن الباب الذي قبله.

وقوله: «كان سفيان يحدثنا بهذا إلى قوله مراراً غير واحدة» هذا كلام الحميدي شيخ البخاري عنه وقد أخرجه عنه في كتاب التوحيد باب قوله **﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم﴾** قال حدثنا منصور عن مجاهد فذكره مختصراً ولم يذكر مع منصور أحداً وأخرجه مسلم والترمذي والنسائي من طرق عن سفيان بن عيينة عن منصور وحده به.

آخر تفسير سورة فصلت والحمد لله.



سورة حم عسق

٣٠٤ – سورة حم عسق بسم ا لله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر في أول السورة والمعتمد في المصحف الشورى وشاهده قوله تعالى **﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾** وهي مكية في قول الجميع حكاه القرطبي وآياتها ثلاث وخمسون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**ويذكر عن ابن عباس ﴿عقيماً﴾ لاتلد**].

ش: قال الحافظ: «وذكره باللفظ المعلق بلفظ جويبر عن الضحاك عن ابن عباس وفيه ضعف وانقطاع فكأنه لم يجزم به لذلك» **قلت:** وأخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبوصالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس بلفظ (لا يلقح).

وأخرجه عن ابن زيد قال: لايلد واحداً ولا إثنين.

والآية المشار إليها ﴿**أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً**﴾.

٢ - [**﴿روحاً من أمرنا﴾ القرآن**].

ش: قلت: لم أقف فيه عن ابن عباس على شئ وحكى البغوي في تفسير هذه الآية من سورة الشورى عن مالك بن دينار قال:يعني القرآن.

وأخرج ابن جرير عن الحسن قال: رحمة من أمرنا.

وأخرج عن السدي وحياً من أمرنا.

والآية المشار إليها ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا**﴾.

٣ - [**وقال مجاهد ﴿يذرؤكم فيه﴾ نسل بعد نسل**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وزاد (من الناس والأنعام).

وأخرج عن السدي ومنصور نحوه وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: بمعنى يعيشكم فيه وهو قول ابن عباس وقتادة.

وجمع ابن جرير بين القولين فقال: وهذان القولان وإن اختلفا في اللفظ من قائلهما فقد يحتمل توجيهها إلى معنى واحد وهو أن يكون القائل في معناه يعيشكم فيه أراد بقوله ذلك يحيكم يعيشكم به كما يحيى من لم يخلق بتكوينه إياه ونفخه الروح فيه حتى يعيش حياً.

والآيـة المشـار إليهـا ﴿**فـاطر السـموات والأرض جعـل لكـم مـن أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه**﴾.

٤ - [**﴿لاحجة بيننا وبينكم﴾ لا خصومة بيننا وبينكم**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله، وأخرجه أيضاً عن ابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿**ا لله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكـم أعمـالكم لاحجـة بيننا وبينكم ا لله يجمع بيننا وإليه المصير**﴾.

٥ - [**﴿من طرف خفي﴾ ذليل**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وبه قال ابن عباس وهـو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: بمعنى يسارقون النظر وهو قول قتادة والسدي ثم قال ابن جريـر رحمه ا لله: والصواب مـن القـول في ذلـك القـول الـذي ذكرنـاه عـن ابـن عبـاس ومجاهد وهو ان معناه أنهم ينظرون إلى النار من طرف ذليل.

والآية المشار إليها ﴿**وتراهم يعرضون عليها خاشـعين مـن الـذل ينظـرون من طرف خفي**﴾.

٦ - [**وقال غيره: ﴿فيظللن رواكد على ظهره﴾ يتحركن ولا يجريـن في البحر**].

ش: اخرج ابن جرير عن قتادة قال: سـفن هـذا البحـر تجـري بـالريح فـإذا امسكن عنها الريح ركدت.

وأخرج عن السدي قال: لاتجري، وعن ابن عباس وقوفاً.

وقال أبو عبيدة: سواكن. وهذه الأقوال لا اختـلاف بينهـا في المعنـى وهـي موافقة لظاهر الآية.

والآية المشار إليها ﴿**إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره**﴾.

٧ - [**﴿شرعوا﴾ ابتدعوا**].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها ﴿**أم لهم شركاء شرعوا لهـم مـن الديـن مـا لم يـأذن بـه ا لله**﴾.

٣٠٥ - [باب قوله ﴿إلا المودة في القربى﴾].

ش: **قلت:** الآيـة **﴿ذلك الذي يبشر ا لله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إن ا لله غفور شكور﴾.**

يقول تعالى لما ذكر روضات الجنات لعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ذلك الذي يبشر ا لله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات، أي هذا حاصل لهم كائن لا محالة ببشارة ا لله تعالى لهم به.

وقوله «**﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾**» أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالاً تعطونيه وإنما أطلب منكم أن تكفوا شركم عني وتذروني أبلغ رسالات ربي إن لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة.

قلت: وفي قوله **﴿إلا المودة في القربى﴾** أربعة أقوال اخرجها ابن جرير:

أحدها: معناه إلا أن تودوني في قرابتي لكم وتصلوا رحمي بيني وبينكم وهو قول ابن عباس وطاوس وعكرمة وابي مالك وقتادة ومجاهد والسدي والضحاك وابن زيد وعطاء.

ثانيها: أي لا أسألكم على ما جئتكم به أجراً إلا أن تودوا قرابتي وبه قال علي بن الحسين وسعيد بن جبير وعمرو بن شعيب.

ثالثها: بمعنى إلا أن تودوا إلى ا لله وتتقربوا بالعمل الصالح والطاعة وهو قول ابن عباس وقتادة في الرواية الثانية عنهما وبه قال الحسن.

رابعها: بمعنى إلا أن تصلوا قرابتكم قاله عبد ا لله بن القاسم.

قلت: وأجود هذه الأقوال عندي الأول والثالث لأنه لا اختلاف بينهما في المعنى لموافقتهما ظاهر الآية وا لله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿**ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً**﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يعمل حسنة وذلك أن يعمل عملاً يطيع الله فيه من المؤمنين نزد له فيها حسناً يقول نضاعف عمله ذلك الحسن فنجعل له مكان الواحد عشراً إلى ما شئنا من الجزاء والثواب.

وقوله ﴿**إن الله غفور شكور**﴾ أي كثير المغفرة للمذنبين كثير الشكر للمطيعين، والجملة تعليل لما قبلها.

من فقه الآية

أولاً: أن القرآن كلام الله وهذا مستفاد من قوله ﴿**قل**﴾.

ثانياً: في أمر الله له ﷺ بقوله ﴿**قل لاأسئلكم عليه أجراً** ...الخ﴾ الحث على الصبر في تبليغ الدعوة بالأساليب الجميلة المحببة إلى النفوس مع الحكمة والموعظة الحسنة وفق ما جاء في الشرع.

ثالثاً: تبشير المحسنين بزيادة الأجر.

رابعاً: إثبات الغفور والشكور اسمين لله.

٣٤٠ - حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال سمعت طاوساً عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه سئل عن قوله: ﴿إلا المودة في القربى﴾ فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد ﷺ فقال ابن عباس عجلت، إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله ﴿**عجلت**﴾ أي تسرعت في تفسير الآية و لم تتريث حتى تعلم المراد.

الثانية: قوله «**ان النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة**».

قلت: هذه الجملة تعليل لما قبلها والمعنى أن النبي ﷺ لم يكن قبيلة من قريش وأنما هو فرد من أفرادهم له فيهم قرابة ومن المعلوم أنه ﷺ هاشمي وبنو هاشم أحد بطون قريش.

الثالثة: قوله «**إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة**»

قلت: هذا تفسير ابن عباس للآية وهو أول الأقوال الأربعة في الآية كما مر بك.

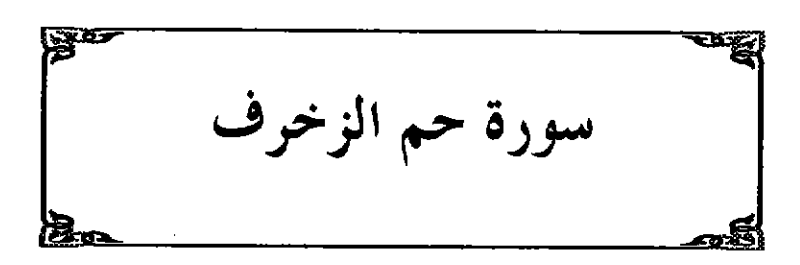
تنبيه

قال الحافظ (٨ /٥٦٤): «وهذا الذي جزم به سعيد بن جبير قد جاء عنه من روايته عن ابن عباس مرفوعاً فأخرج الطبري وابن أبي حاتم من طريق قيس بن الربيع عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم، الحديث وإسناده ضعيف وهو ساقط لمخالفته هذا الحديث الصحيح».

قلت: «ولم أجده عند ابن جرير في تفسير هذه الآية فلعله أخرجه في موضع آخر، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن الحسين ثنا رجل سماه ثنا حسين الأشقر عن قيس عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**﴾ قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم قال: فاطمة وولدها رضي الله عنهم حكاه ابن كثير وقال عقبه: وهذا إسناد ضعيف فيه مبهم لايعرف، عن شيخ شيعي محترق وهو حسين الأشقر ولا يقبل خبره في هذا المحل»ا.هـ

قال محققه في (١٨٩/٧): في المخطوطة مخترق والتخرق اختلاق الكذب.

آخر تفسير سورة الشورى والحمد لله.



٣٠٦ - سورة حم الزخرف بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى: **﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون وزخرفاً﴾**.

وأخرج ابن مردوية عن ابن عباس قال: نزلت سورة حم الزخرف بمكة، قال القرطبي: هي مكية بالإجماع. وآياتها تسع وثمانون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**وقال مجاهد:﴿على أمة﴾ على إمام**].

ش: حكاه البغوي وأخرج ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث: ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ (ملة) وأخرج نحوه عن ابن عباس وقتادة والسدي.

والآية المشار إليها **﴿بل قالوا إنا وجدنا أباءنا على أمة وإنا على أثارهم مهتدون﴾**.

٢ - [**﴿وقيله يارب﴾ تفسيره: أيحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم ولا نسمع قيلهم**].

ش: قال ابن التين: هذا التفسير أنكره بعضهم وإنما يصح لو كانت التلاوة (وقيلهم) حكاه الحافظ.

وقال أبو عبيدة: نصبه في قول أبي عمرو على **﴿نسمع سرهم ونجواهم﴾** وقيله ونسمع قيله.

وقال غيره: هي في موضع الفعل: ويقول.اهـ

وقال الفراء: خفضها عاصم والسلمي وحمزة وبعض أصحاب عبد الله، ونصبها أهل المدينة والحسن فيما أعلم فمن خفضها قال **﴿عنده علم الساعة﴾** وعلم **﴿قيله يا رب﴾** ومن نصبها أضمر معها قولاً كأنه قال: وقال قوله، وشكا شكواه إلى ربه وهي في أحدى القراءتين قال الفراء لا أعلمها إلا في قراءة أبي، لأني رأيتها في بعض مصاحف عبد الله على وقيله، ونصبها أيضاً يجوز من قوله **﴿نسمع سرهم ونجواهم﴾**ونسمع قيله، ولو قال قائل: وقيله رفعاً كان جائزاً كما تقول ونداؤه هذه الكلمة يارب.ا.هـ

والآية المشار إليها **﴿وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون﴾**.

٣ - [وقال ابن عباس: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾ لولا أن يجعل الناس كلهم كفاراً لجعلت لبيوت الكفار ﴿سقفاً من فضة ومعارج﴾ من فضة وهي درج وسرر فضة].

ش: وأخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاويه عن علي عن ابن عباس فذكره.

وأخرجه أيضاً عن الحسن وقتادة والسدي وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: ولولا أن يكون الناس أمة واحدة على طلب الدنيا ورفض الآخرة وبه قال ابن زيد وأول القولين عندي أظهر لقوله بعده **﴿لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة﴾ الآية.**

والآية المشار إليها ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة...﴾.

٤ - [﴿مقرنين﴾ مطيقين].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد ما قبله وأخرجه أيضاً عن قتادة والسدي وابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وماكنا له مقرنين﴾.**

٥ - [﴿آسفونا﴾ اسخطونا].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد ما قبله وأخرج نحوه عن مجاهد وقتادة والسدي وابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين﴾.**

٦ - [﴿يعش﴾ يعمى].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق شبيب عن بشر عن عكرمة عن ابن عباس فذكره،حكاه الحافظ.

والآية المشار إليها **﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾**.

٧ - [**وقال مجاهد: ﴿افنضرب عنكم الذكر﴾ أي تكذبون بالقرآن ثم لا تعاقبون عليه؟**]

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرج نحوه عن أبي صالح والسدي وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: بمعنى أفنترك تذكيركم بهذا القرآن ولا نذكركم به لأن كنتم قوماً مسرفين، وبه قال قتادة ورجح ابن جرير أولهما.

والآية المشار إليها **﴿أفنضرب عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين﴾**

٨ - [**﴿ومضى مثل الأولين﴾ سنة الأولين**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

وأخرج عن قتادة نحوه وسيأتي.

والآية المشارإليها **﴿فأهلكنا أشد منهم بطشاً ومضى مثل الأولين﴾**.

٩ - [**﴿وماكنا له مقرنين﴾ يعني الإبل والخيل والبغال والحمير**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

وتقدمت الآية المشار إليها في الأثر الرابع.

١٠ - [**﴿ينشأ في الحلية﴾ الجواري: يقول: جعلتموهن للرحمن ولداً فكيف تحكمون**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وأخرج نحوه عن ابن عباس وقتادة والسدي وهو **أحد** قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أنه عنى بذلك أوثانهم التي كانوا يعبدونها وهو قول ابن زيد ورجح ابن جرير أولهما وهو الموافق لظاهر الآية.

والآية المشار إليها ﴿ **أومن ينشؤا في الحلية وهو في الخصام غير مبين**﴾.

١١- [﴿لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ يعنون الأوثان،يقول ا لله تعالى ﴿ما لهم بذلك من علم﴾ أي الأوثان إنهم لا يعلمون].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

والآية المشار إليها ﴿**وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدنا هم ما لهم بذلك من علم**﴾.

١٢ - [﴿في عقبه﴾ ولده].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وأخرج نحوه عن ابن عباس والسدي وغيرهما.

والآية المشار إليها ﴿**وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون**﴾.

١٣ - [﴿مقترنين﴾ يمشون معاً].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وهو أحد ثلاثة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: بمعنى متتابعين،وبه قال قتادة.

وثالثها: بمعنى يقارن بعضهم بعضاً وهو قول السدي.

قال ابن جرير في معنى الآية: مقترنين قد اقترن بعضهم ببعض فتتابعوا يشهدون له بأنه لله رسول إليهم.

والآية المشار إليها ﴿**فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين**﴾.

١٤ - [﴿**سلفاً**﴾ **قوم فرعون سلفاً لكفار أمة محمد ﷺ**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وأخرجه أيضاً عن قتادة ومعمر.

١٥ - [﴿**ومثلاً**﴾ **عبرة**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وأخرج مثله عن السدي ونحوه عن قتادة وسيأتي.

والآية المشار إليها بالكلمتين ﴿**فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين**﴾.

١٦ - [﴿**يصدون**﴾ **يضجون**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وأخرج مثله عن ابن عباس والضحاك وقتادة والسدي.

والآية المشار إليها ﴿ **ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون**﴾.

١٧ - [﴿**مبرمون**﴾ **مجمعون**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وزاد إن كادوا شيئاً كدنا مثله، واخرج مثله عن قتادة وعن ابن زيد نحوه.

والآية المشار إليها ﴿ **أم أبرموا أمراً فإنا مبرمون**﴾.

١٨ - [﴿**أول العابدين**﴾ **أول المؤمنين**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله ولفظه ﴿ قل إن كان للرحمن ولدٌ ﴾ كما تقولون ﴿ فأنا أول العابدين ﴾ المؤمنين با لله ،فقولوا ما شئتم.

وأخرج عن ابن عبد الأعلى قال : ثنا ابن ثور : عن ابن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ﴿ فأنا أول العابدين ﴾ قال: قل : إن كان لله ولد في قولكم ، فأنا أول من عبد ا لله ووحده وكذبكم .

وهو أحد أقوال خمسة حكاها ابن جرير في الآية:

وثانيها: بمعنى قل ما كان للرحمن ولد فأنا اول العابدين له بذلك وهو قول ابن عباس.

وثالثها: بمعنى ما كان ذلك ولا ينبغي أن يكون، وبه قال قتادة وابن زيد وغيرهما.

ورابعها: بمعنى لو كان للرحمن ولد كنت أول من عبده بذلك وهو قول السدي.

وخامسها: بمعنى فأنا أول الأنفين ذلك و لم ينسبه إلى أحد.

واختار ابن جرير من هذه الأقوال قول السدي وهو رابعها.

والآية المشار إليها ﴿**قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين**﴾.

١٩ - [**وقال غيره: ﴿إنني براء مما تعبدون﴾ العرب تقول نحن منك البراء والخلاء والواحد والإثنان والجميع، من المذكر والمؤنث، يقال فيه براء لأنه مصدر، ولو قال بريء، لقيل في الإثنين بريئان والجميع بريئون، وقرأ عبد ا لله ﴿إنني بريء﴾ بالياء**].

ش: قاله الفراء وزاد: ولو قرأها قارئ، كان صواباً موافقاً لقراءتنا لأن العرب تكتب يستهزي يستهزأ فيجعلون الهمزة مكتوبة بالألف في كل حالاتها، يكتبون شيئ شيئاً ومثله كثير في مصاحف عبدا لله وفي مصحفنا ويهيئ لكم ويهيأ الألف.ا.هـ

والاية المشار إليها ﴿ **وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون**﴾.

٢٠ - [**الزخرف: الذهب**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وقتادة والسدي وغير واحد.

والآية المشار إليها ﴿**وزخرفاً وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا، والآخرة عند ربك للمتقين**﴾.

٢١ - [**﴿ملائكة يخلفون﴾ يخلف بعضهم بعضاً**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وقتادة وأخرج نحوه عن مجاهد والسدي.

والآية المشار إليها **﴿ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون﴾**.

٣٠٧ - [باب قوله ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون﴾].

ش: يقول تعالى ذكره: ونادى هؤلاء المجرمون بعد ما أدخلهم الله جهنم فنالهم فيها من البلاء ما نا لهم مالكاً وهو خازن جهنم.

يا ما لك ليقض علينا ربك قال ليمتنا ربك فيفرغ من إما تتنا فلا يجيبهم على مقالتهم تلك إلا بقوله ﴿إنكم ماكثون﴾: أي باقون في العذاب على الدوام.

٣٤١ - حدثنا حجاج بن منهال حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن عطاء عن صفوان بن يعلى[1] عن أبيه[2] قال سمعت النبي ﷺ يقرأ على المنبر ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك﴾.

ش: زاد الشيخ رحمه الله في بدء الخلق باب إذا قال أحدكم آمين وباب صفة النار وأنها مخلوقة، قال سفيان: في قراءة عبد الله **﴿ونادوا يا مال﴾** بالترخيم على لغة من ينتظر، وعند عبد الرزاق قال سفيان الثوري وفي حرف ابن مسعود **﴿ونادوا يا مال ليقض علينا ربك﴾**، وقراءة الجمهور بغير ترخيم وأخشى أن تكون هذه القراءة أعني قراءة الترخيم شاذة بل لم أجدها عند مكي ولا الجزري.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال قتادة: ﴿مثلاً للآخرين﴾ عظة لمن بعدهم].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا بشير ثنا يزيد ثنا سعيد عن قتادة فذكره.

والآية المشار إليها مضت في الباب قبله برقم ١٥.

٢ - [وقال غيره ﴿مقرنين﴾ ضابطين يقال فلان مقرن لفلان ضابط له].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد قال الكميت:

---

(١) هو صفوان بن يعلى بن أمية التميمي المكي ثقة من الثالثة، ع.

(٢) هو يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام التميمي حليف قريش وهو يعلى بن منية بضم الميم وهي أمه صحابي مشهور مات سنة بضع وأربعين، ع.

ركبتم صعبتي أشراً وحينا ولستم للصعاب بمقرنينا

وقد تقدمت الآية المشار إليها في الباب قبله برقم تسعة.

٣ - [**والأكواب: الأباريق التي لا خراطيم لها**].

ش: قاله أبو عبيدة وقال ابن جرير الأكواب جمع كوب والكوب الإبريق المستدير الرأس الذي لا أذن له ولا خرطوم.

٤ - [**﴿أول العابدين﴾ أي ما كان فأنا أول الآنفين وهما لغتان رجل عابد وعبد**].

ش: قال أبو عبيدة: وقال آخرون مجازها إن كان في قولكم للرحمن ولد فأنا أول العابدين أي الكافرين بذلك والجاحدين لما قلتم وهي من عبد يعبد عبداً.

وفي المجموع المغيث مادة عبد في كلام علي رضي الله عنه عبدت فصمت أي انفت.

وقد تقدم الخلاف في الآية في الباب قبله ضمن الأثر الثامن عشر.

٥ - [**وقرأ عبد الله ﴿وقال الرسول يا رب﴾**].

ش: قال بعض أهل العلم هي قراءة شاذة، وفي الآية قرأتان:

إحداهما: قراءة عامة قراء المدينة ومكة والبصرة وقيله بالنصب وإذاقرئ كذلك كان له **وجهان** في التأويل:

١ـ العطف على قوله **﴿أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم﴾** ونسمع قيله يا رب.

٢ ـ أن يضمر له ناصب فيكون معناه حينئذ وقال قوله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون وشكا محمد شكواه إلى ربه.

وثانيهما: قرأة عامة قراء الكوفة وقيله بالخفض على معنى وعنده علم الساعة وعلم قيله.

وقد سبقت الإشارة إلى الآية في شرح الأثر برقم ٢ من الباب قبله.

٦ - [**ويقال ﴿أول العابدين﴾ الجاحدين من عبد يعبد**].

ش: تقدم ضمن الأثر الثامن عشر في الباب قبله وأنه قول قتادة وابن زيد.

٧ - [**وقال قتادة: ﴿في أم الكتاب﴾ جملة الكتاب أصل الكتاب**].

ش: أخرجه ابن جرير قال ثنا بشر ثنا يزيد ثنا سعيد عن قتادة فذكره.

وأخرج عن السدي وعطية بن سعد نحوه.

والآية المشار إليها **﴿وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم﴾**.

٨ - [**﴿أفنضرب عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين﴾ مشركين، وا لله لو أن هذا القرآن رفع حيث رده أوائل هذه الأمة هلكوا**].

ش: أخرجه ابن جرير عن قتادة بإسناد الذي قبله وقد تقدم الخلاف في الآية ضمن شرح الأثر السابع من الباب قبله.

٩ - [**﴿فأهلكنا اشد منهم بطشاً ومضى مثل الأولين﴾ عقوبة الأولين**].

ش: أخرجه ابن جرير عن قتادة بإسناد الذي قبله.

وقد مضت الإشارة إلى الآية ضمن الأثر الثامن من الباب قبله.

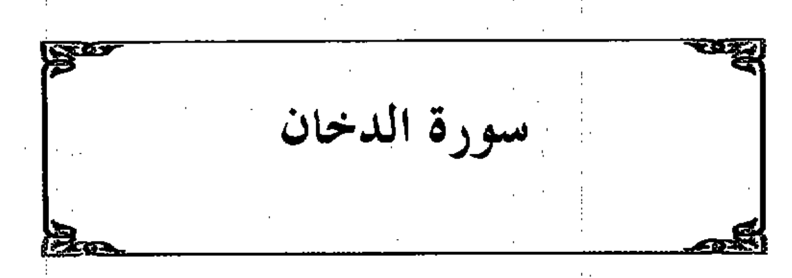
١٠ - [**﴿جزءاً﴾ عدلاً**].

ش: أخرجه ابن جرير عن قتادة بإسناد الذي قبله وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: قولهم للملائكة هم بنات ا لله وهو قول مجاهد والسدي واختار ابن جرير ثانيهما قال لأن ا لله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله **﴿أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين﴾** توبيخاً لهم على قولهم ذلك.

والآية المشار إليها : **﴿ وجعلوا له من عباده جزأ إن الإنسان لكفور مبين﴾**

آخر تفسير سورة الزخرف و لله الحمد والمنة.



٣٠٨ - سورة حم الدخان بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿**فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين**﴾.

وفي مسند البزار عن زيد بن حارثة أن رسول الله ﷺ قال لابن صياد (إني قد خبأت خبأ فما هو، وخبأ له رسول الله ﷺ سورة الدخان فقال هو الدخ فقال: اخسأ ماشاء الله ثم انصرف).

قال القرطبي: مكية باتفاق إلا قوله ﴿**إنا كاشفوا العذاب...**﴾.

وآياتها تسع وخمسون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**وقال مجاهد:﴿رهواً﴾ طريقاً يابساً**].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا ابن عبد الأعلى ثنا ابن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وبه قال قتادة وهو **أحد** أقوال ثلاثه حكاها في الآية:

وثانيها: بمعنى اتركه على هيئته وحاله التي كان عليها وهو قول ابن عباس وكعب الأحبار.

وثالثها: بمعنى اتركه سهلاً، وبه قال الربيع والضحاك وابن زيد وهو الرواية الثانية عن ابن عباس.

واختار ابن جرير الثاني من هذه الأقوال.

٢ - [**ويقال: رهواً ساكناً**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد يقال: أره على نفسك أي أرفق بها ولا تغرق يقال عيش راه.

قال بشر بن أبي حازم:

فإن أهلك عمير قرب زحف ... يشبه نقعه رهواً ضباباً

والآية المشار إليها **﴿واترك البحر رهواً إنهم جند مغرقون﴾**.

٣ - [**﴿على علم على العالمين﴾ على مَن بين ظَهْرَيْهِ**].

ش: اخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ (على من هم بين ظهرانيه).

وأخرج نحوه عن قتادة.

والآية المشار إليها **﴿ولقد اخترناهم على علم على العالمين﴾**.

٤ - [**﴿فاعتِلوه﴾ ادفعوه**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله.

والآية المشار إليها ﴿خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم﴾.

٥ - [**﴿وزوجناهم بحور عين﴾ أنكحناهم حوراً عيناً يحار فيها الطرف**].

ش: حكاه البغوي عن مجاهد وزاد: من بياضهن وصفاء لونهن.

والآية المشار إليها **﴿كذلك وزوجناهم بحور عين﴾**.

٦ - [**﴿ترجمون﴾ القتل**].

ش: حكاه ابن جرير ولم يذكر له قائل وحكى في الآية قولين آخرين:

أحدهما: أنه الشتم باللسان وهو قول ابن عباس وأبي صالح.

وثانيهما: أنه الرجم بالحجارة وبه قال قتادة.

والآية المشار إليها **﴿وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون﴾**.

٧ - [**﴿وقال ابن عباس ﴿كالمهل﴾ أسود كمهل الزيت**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي بن سهل ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره

وأخرج عن ابن مسعود وسعيد بن جبير نحوه.

والآية المشار إليها **﴿كالمهل يغلي في البطون﴾**.

٨ - [**وقال غيره: ﴿تبع﴾ ملوك اليمن، كل واحد منهم يسمى تبعاً، لأنه يتبع صاحبه، والظل يسمى تبعاً، لأنه يتبع الشمس**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «وموضع تبع في الجاهلية موضع الخليفة في الإسلام وهم ملوك العرب الأعاظم».اهـ

وأخرج ابن جرير عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان تبع رجلاً صالحاً، وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه.

والآية المشار إليها **﴿أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم﴾**.

٣٠٩ - [باب ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾]

ش: يعني تعالى ذكره بقوله ﴿**فارتقب**﴾ فانتظر يا محمد بهؤلاء المشركين من قومك الذين هم في شك يلعبون وإنما هو افتعل، من رقبته إذا انتظرته وحرسته.

وقوله ﴿**يوم تأتي السماء بدخان مبين**﴾ اختلف أهل التأويل في هذا الذي أمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يرتقبه وأخبره أن السماء تأتي فيه بدخان مبين أي يوم هو؟ ومتى هو؟ وفي معنى الدخان الذي ذكر في هذا الموضع، وذلك على قولين:

أحدهما: أن ذلك حين دعا رسول الله ﷺ على قريش ربه تبارك وتعالى أن يأخذهم بسنين كسني يوسف فأخذوا بالمجاعة قالوا وعنى بالدخان ما كان يصيبهم حينئذ في أبصارهم من شدة الجوع من الظلمة كهيئة الدخان وبه قال ابن مسعود وأبو العالية، ومجاهد وقتادة والضحاك.

وثانيهما: أن الدخان آية من آيات الله مرسلة على عباده قبل مجئ الساعة فيدخل في اسماع أهل الكفر به، ويعترى أهل الإيمان به كهيئة الزكام قالوا و لم يأت بعد وهو آت وهو قول ابن عمر وابن عباس والحسن وأبي سعيد وحذيفة وأبي مالك الأشعري.

حكاهما ابن جرير واختار ما روي عن ابن مسعود من أن الدخان الذي أمر الله نبيه ﷺ أن يرتقبه هو ما أصاب قومه من الجهر بدعائه ﷺ عليهم على ما وصف ابن مسعود من ذلك.

قوله : [قال قتادة: فارتقب فانتظر].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا بشر ثنا يزيد ثنا سعيد عن قتادة فذكره.

٣٤٢ - حدثنا عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبد الله قال: مضى خمس: الدخان، والروم، والقمر، والبطشه، واللزام.

ش: فيه ست مسائل:

الأولى: قوله «**مضى خمس**» وفي تفسير سورة الفرقان برواية حفص بن غياث (خمس قد مضين) والمعنى واحد.

الثانية: قوله «**الدخان**» في رواية منصور في الإستسقاء (وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع)، وفي تفسيرسورة يوسف برواية سفيان (حتى جعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها مثل الدخان)، وفي تفسير سورة الروم برواية سفيان (ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان)، وفي تفسير سورة ص برواية جرير حتى جعل الرجل يرى بينه وبين السماء دخاناً من الجوع).

الثالثة: قوله «**الروم**» في الإستسقاء (وآية الروم)، وفي تفسير سورة الروم ﴿الم غلبت الروم... إلى... سيغلبون﴾ والروم قد مضى.

الرابعة: قوله «**والقمر**» فسره في باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية من المناقب عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين فقال النبي ﷺ اشهدوا) وعند الترمذي في تفسير سورة القمر من رواية إبراهيم (بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى فانشق القمر فلقتين فلقة من وراء الجبل وفلقة دونه. الحديث) وفي حديث أنس عند المصنف في المناقب وعند الترمذي في تفسير سورة القمر (أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر).

الخامسة: قوله «**والبطشة**» يأتي في الباب الرابع عشر بعد الثلاثمائة.

السادسة: قوله «**واللزام**» تقدم شرحه في تفسير سورة الفرقان ضمن الباب السابع والخمسين بعد المائتين.

٣١٠ - [باب ﴿يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾].

ش: يقول تعالى: يغشى أبصارهم من الجهد الذي يصيبهم.

﴿**هذا عذاب أليم**﴾ يعني أنهم يقولون مما نالهم من ذلك الكرب والجهد هذا عذاب أليم وهو الموجع وترك من الكلام ﴿**يقولون**﴾ استغناء بمعرفة السامعين معناه من ذكرها.

٣٤٣ - حدثنا يحيى حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق قال: قال عبد الله: إنما كان هذا، لأن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله تعالى: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين. يغشى الناس هذا عذاب اليم﴾. قال: فأتي رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله، استسق الله لمضر، فإنها قد هلكت. قال: (لمضر؟ إنك لجريء). فاستسقى فسقوا. فنزلت: ﴿إنكم عائدون﴾. فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية، فأنزل الله عز وجل: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾ قال: يعني يوم بدر.

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «**إنما كان هذا، لأن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف**» وفي الإستسقاء من رواية منصور كنا عند عبدا لله فقال: إن النبي ﷺ لما رأى من الناس إدباراً قال (اللهم سبع كسبع يوسف) وفي تفسير سورة يوسف برواية الأعمش (ان قريشاً لما أبطئوا على النبي ﷺ بالإسلام، قال (اللهم اكفنيهم بسبعٍ كسبع يوسف) وفي سورة الروم برواية منصور والأعمش (اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف).

الثانية: قوله «**فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام**» وفي الإستسقاء (فأخذتهم سنة حصت كل شئ، حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف) ومعنى حصت كل شئ أي استأصلته، وفي الباب بعد هذا (فأخذتهم سنة أكلوا فيها العظام والميتة من الجهد) وفي باب ﴿**أنى لهم الذكرى**﴾ (فأصابتهم سنة حصت يعني كل شئ حتى كانوا يأكلون الميتة).

الثالثة: قوله «**فأنزل الله تعالى ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم﴾**» تقدم شرحهما.

الرابعة: قوله «**فأتي رسول الله ﷺ فقيل يا رسول الله استسق الله لمضر فإنها قد هلكت**» وفي الإستسقاء (فأتاه ابو سفيان فقال يا محمد إنك تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله لهم) والجمع بين هذه الرواية وحديث الباب أن سؤال النبي ﷺ الإستسقاء لقومه وقع مرتين:

إحداهما: من بعض المسلمين ولهذا قال يا رسول الله.

والآخرى: من أبي سفيان وكان مشركاً ولهذا قال يا محمد) وإن قلت إنما دعى رسول النبي ﷺ على قريش وهم قومه فالجواب لعل السائل عدل عن التعبير بقريش لئلا يذكرهم بجرمهم فقال لمضر ليندرجوا فيهم ويشير أيضاً إلى أن غير المدعو عليهم قد هلكوا بجريرتهم، وقد وقع في الرواية الآخرة (وإن قومك هلكوا) ولا منافاة بينهما لأن مضر ايضاً قومه قاله الحافظ في شرحه لهذا الحديث.

الخامسة: قوله «**لمضر؟ إنك لجريء**» هذا سؤال استنكار وتوبيخ والمعنى أي أتامرني أن استسقي لمضر مع ما هم عليه من المعصية والإشراك بالله.

السادسة: قوله «**فنزلت ﴿إنكم عائدون﴾ في الإستسقاء (قال الله تعالى ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين... إلى قوله.. عائدون﴾**»

قلت: وما بينهما ﴿**يغشى الناس هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون. أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين. ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون**﴾.

السابعة: قوله «**فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية**» أي التوسع والراحة يعني ما نالهم من خصب ورخاء ببركة دعاء النبي لهم.

الثامنة: قوله: «**فأنزل الله عز وجل ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾ قال يعني يوم بدر**».

قلت: وسيأتي شرح ذلك في آخر باب من تفسير هذه السورة إن شاء الله.

٣١١ - **[باب ﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾]**

ش: يعني ان الك ين الذين يصيبهم ذلك الجهد يضرعون إلى ربهم بمسئلتهم إياه كشف ذلك الجهد عنهم، ويقولون: إنك إن كشفته آمنا بك وعبدناك من دون كل معبود ، اك كما أخبر عنهم جل ثناؤه **﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾**.

قلت: وهذا هو دأب المشركين الذين بعث إليهم ﷺ يخلصون لله الدعاء في الشدائد فما حال المشركين هذا الزمن قال الشيخ محمد رحمه الله في كشف الشبهات ج١ ص١٦٩ مجموعة مؤلفات الشيخ: (فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين:

أحدهما: أن الأولين لايشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء، كما قال تعالى **﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه، فلما نجاكم إلى البر، أعرضتم وكان الإنسان كفوراً﴾**.

وقوله **﴿قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين، بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون﴾**.

الأمر الثاني: أن الأولين يدعون مع الله أناساً مقربين عند الله إما أنبياء وإما أولياء وإما ملائكة أو يدعون أشجاراً أو أحجاراً مطيعة لله ليست عاصية وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس.

٣٤٤ - حدثنا يحيى: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: دخلت على عبد الله فقال: إن من العلم أن تقول لما لا تعلم الله أعلم، إن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿قل ما اسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾. إن قريشاً لما غلبوا النبي ﷺ واستعصوا عليه، قال: (اللهم أعني

عليهم بسبع كسبع يوسف). فأخذتهم سنة أكلوا فيها العظام والميتة من الجهد، حتى جعل أحدهم يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع قالوا: ﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾. فقيل له: إن كشفنا عنهم عادوا، فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا، فانتقم الله منهم يوم بدر، فذلك قوله تعالى: ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين ـ إلى قوله جل ذكره ـ إنا منتقمون﴾.

ش: فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله **(دخلت على عبد الله فقال)**

قلت: ولهذا القول سبب أخرجه المصنف في تفسير سورة الروم برواية منصور والأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال: بينما رجل يحدث في كنده فقال: يجئ دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، يأخذ المؤمن كهيئة الزكام ففزعنا فأتيت ابن مسعود وكان متكئاً فغضب فجلس فقال... الحديث.

وعند مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم باب الدخان من رواية منصور (كنا عند عبد الله جلوساً وهو مضجع بيننا فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن إن قاصاً عند أبواب كندة يقص ويزعم أن آية الدخان تجئ فتأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام فقال عبد الله وجلس وهو غضبان: يا أيها الناس اتقوا الله من علم منكم شيئاً... الحديث.

قال بعض أهل العلم: وكندة موضع بالكوفة ولاية عبدالله بن مسعود، ولا منافاة بين الروايتين لجواز أن يكون خبر ذلك القاص بلغ ابن مسعود مرتين إحداهما من مسروق والأخرى بحضرته.

قال مقيده: فماذا يقول ابن مسعود وإخوانه خريجوا مدرسة محمد ﷺ لو سمعوا قصاص اليوم الذين عمدتهم الأحاديث الضعيفة والموضوعة والحكايات

والأساطير وليس عندهم ما يبصرون به الناس من دين الله إلا ذلك وإذا قيل لهم ليس عملكم هذا بسديد قالوا: إنما ذلك من أجل الدين وإن كان ليس من الدين.

الثانية: قوله «**إن من العلم أن تقول لما لا تعلم الله أعلم**» وفي تفسير سورة الروم (من علم فليقل ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم لا اعلم) وعند مسلم (فإن من فقه الرجل أن يقول لما لا علم له به الله اعلم) وعند الترمذي في تفسير سورة الدخان (فإن من علم الرجل إذا سئل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم).

الثالثة: قوله «فإن الله قال لنبيه ﷺ ﴿**قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين**﴾ قلت هذه الجملة أعني فإن الله قال لنبيه الخ تعليل لقوله إن من العلم أن تقول لما لا تعلم الله أعلم، وقد سبق شرح الآية التي تضمنتها هذه الجملة في تفسير سورة ص حيث بوب عليها البخاري هناك.

الرابعة: قوله ﴿**ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون**﴾ هذا هو محل الشاهد من الحديث وقد سبق شرحه أول الباب.

الخامسة: قوله«**فقيل له: إن كشفنا عنهم عادوا فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا**» ظاهره أنه وحي من الله نزل به إليه الملك وفي تفسير الروم (أفيكشف عنهم عذاب الأخرة إذا جاء ثم عادوا إلى كفرهم).

السادسة: قوله «**فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر**» في الروم (فذلك قوله تعالى ﴿**يوم نبطش البطشة الكبرى**﴾) يوم بدر، وعند مسلم ﴿**يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون**﴾ قال يعني يوم بدر.

السابعة: قوله «**فذلك قوله تعالى ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين ـ إلى قوله جل ذكره ـ إنا منتقمون﴾**» هذا تفسير لقوله قبل (فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر) وقد مضى بعض الآيات المشار إليها وسيأتي شرح قوله ﴿**يوم نبطش البطشة الكبرى**﴾ الخ.

من فقه الحديث

أولاً: جواز الغضب في الموعظة والعلم للزجر والتغليظ.

ثانياً: إن إخبار السلطان بما يجري في ولايته من المخالفات ليس من الغيبة بل هو من النصيحة الواجبة.

ثالثاً: ليس حسن النية كافياً في تسويغ العمل بل لابد فيه من إصابة السنة.

رابعاً: شدة النكير على من خالف السنة وإن كان قصده الخير.

خامساً: النهي عن القول بلا علم.

سادساً: لا عيب على من أمسك عن القول عما لا يعلم وأنه من الفقه.

سابعاً: يجب على من دعى إلى الله على بصيرة أن يفقه الناس في دين الله بالكتاب والسنة.

٣١٢ - [باب ﴿أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين﴾]

ش: يقول كيف لهم بالتذكر وقد أرسلنا إليهم رسولاً بين الرسالة والنذارة وهذا كقوله جلت عظمته ﴿**يوم يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى**﴾ الآية وكقوله عز وجل ﴿**ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب، وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد**﴾ إلى آخر السورة.

قوله :[**الذِّكْر والذِّكْرى واحد**].

ش: قال الجوهري والذكر والذكرى بالكسر نقيض النسيان وكذلك الذكرة.

٣٤٥ - حدثنا سليمان بن حرب: حدثنا جرير بن حازم، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: دخلت على عبد الله، ثم قال: إن رسول الله ﷺ لما دعا قريشاً كذبوه واستعصوا عليه، فقال: (اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف). فأصابتهم سنة حصت ـ يعني ـ كل شئ، حتى كانوا يأكلون الميتة، فكان يقوم أحدهم، فكان يرى بينه وبين السماء مثل الدخان من الجهد والجوع، ثم قرأ: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين. يغشى الناس هذا عذاب أليم ـ حتى بلغ ـ إنا كاشفو العذاب قليلاً إنكم عائدون﴾. قال عبد الله: أفيكشف عنهم العذاب يوم القيامة؟ قال: والبطشة الكبرى يوم بدر.

ش: مضى شرحه مفرقاً ضمن الأبواب قبله.

٣١٣ - [باب ﴿ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون﴾]

يقول تعالى ذكره: من أي وجه لهؤلاء المشركين التذكر من بعد نزول البلاء بهم، وقد تولوا عن رسولنا حين جاءهم مدبرين عنه، لايتذكرون بما يتلى عليهم من كتابنا، ولا يتعظون بما يعظهم به من حججنا ويقولون إنما هو مجنون علم هذا الكلام.

٣٤٦ - حدثنا بشر بن خالد: أخبرنا محمد، عن شعبة، عن سليمان ومنصور، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: قال عبد الله: إن الله بعث محمداً ﷺ وقال: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾. فإن رسول الله ﷺ لما رأى قريشاً استعصوا عليه قال: (اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف). فأخذتهم السنة حتى حصت كل شئ، حتى أكلوا العظام والجلود، فقال أحدهم: حتى أكلوا الجلود والميتة، وجعل يخرج من الأرض كهيئة الدخان، فأتاه أبو سفيان، فقال: أي محمد، إن قومك قد هلكوا، فادع الله أن يكشف عنهم، فدعا، ثم قال: (تعودون بعد هذا). في حديث منصور: ثم قرأ: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ـ إلى ـ عائدون﴾. أيكشف عذاب الآخرة؟ فقد مضى: الدخان، والبطشة، واللزام. وقال أحدهم: القمر. وقال الآخر: الروم.

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «**فقال أحدهم**» يعني أحد الرجلين منصور أو الأعمش وهو سليمان بن مهران والمتبادر إلى الذهن أن يقول أحدهما بالتثنيه لكنه صحيح وليس مخالفاً للقياس ونظيره قوله تعالى ﴿**فإن كان له إخوة**﴾ والمراد إثنان فصاعدا وعليه فقول الشيخ ها هنا مخرج على أقل الجمع وهو إثنان.

الثانية: قوله «**ثم قال: تعودون بعد هذا**» هو من قول النبي ﷺ بدليل قوله قبله (فدعا ثم قال...) ومراده بذلك التخويف والتهديد والمعنى هل تعودون إلى العناد والعصيان بعد كشف ما ألم بكم؟.

الثالثة: قوله «في حديث منصور ثم قرأ ﴿فارتقب... الآية﴾» مراد الشيخ رحمه الله أن منصور وهو ابن المعتمر تفرد عن رفيقه وهو سليمان الأعمش بقوله ثم قرأ الخ.

الرابعة: قوله «**وقال أحدهم القمر وقال الآخر الروم**» يعني أن أحد راويي أبي الضحى وهما منصور والأعمش قالا القمر وقال الآخر الروم.

٣١٤ - [باب ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾]

ش: يقول تعالى ذكره: إنكم أيها المشركون إن كشفت عنكم العذاب النازل بكم والضر الحال بكم، ثم عدتم في كفركم، ونقضتم عهدكم الذي عاهدتم ربكم انتقمت منكم يوم أبطش بكم بطشتي الكبرى في عاجل الدنيا، فأهلككم فكشف الله عنهم فعادوا، فبطش بهم جل ثناؤه بطشته الكبرى في الدنيا فأهلكهم قتلاً بالسيف.

وفي البطشة الكبرى قولان لأهل العلم حكاهما ابن جرير:

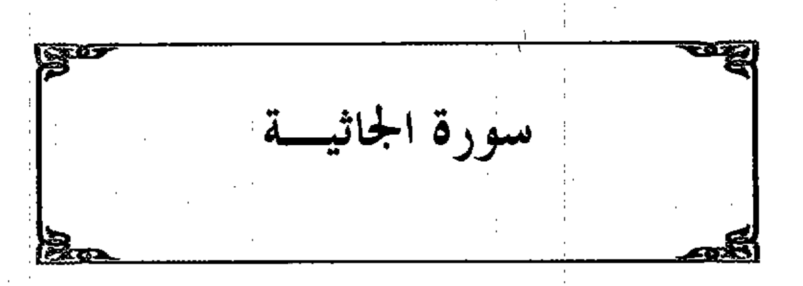
أحدهما: أنها بطشة الله بمشركي قريش يوم بدر وهو قول ابن عباس وأبي بن كعب ومجاهد وأبي العالية والضحاك وابن زيد ويؤيده حديث الباب.

وثانيهما: أنها بطشة الله بأعدائه يوم القيامة وبه قال ابن مسعود في رواية ابن عباس عنه وعكرمة وقتادة.

٣٤٧ - حدثنا يحيى: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، عن عبد الله قال: خمس قد مضين: اللزام، والروم، والبطشة، والقمر، والدخان.

ش: مضى شرحه في الأبواب قبله.

آخر تفسير سورة الدخان ولله الحمد والمنة.



سورة الجاثيــــة

٣١٥ - سورة حم الجاثية بسم ا لله الرحمن الرّحيم

ش: شاهد التسمية للأول ظاهر وأما الثاني فقوله تعالى **﴿وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها﴾**.

وهي مكية في قول الحسن وعكرمة، وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزبير أنها نزلت بمكة، وروي عن ابن عباس وقتادة أنهما قالا إلا آية منها، وهي قوله **﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام ا لله﴾** فأنها نزلت بالمدينة في عمر بن الخطاب.

وآياتها سبع وثلاثون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**﴿جاثية﴾ مستوفزين على الركب**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بهذا اللفظ وأخرجه عن الضحاك وابن زيد دون قوله (مستوفزين).

والآية المشار إليها **﴿وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها﴾**.

٢ - [**وقال مجاهد: ﴿نستنسخ﴾ نكتب**].

ش: لم أقف في الآية على شيء عن مجاهد وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في الآية: الملائكة يستنسخون أعمال بني آدم.

وأخرج عن علي قال: إن لله ملائكة ينزلون في كل يوم بشيء يكتبون فيه أعمال بني آدم.

والآية المشار إليها **﴿هذا كتبنا ينطق عليكم بالحق إناكنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾**.

٣ - [**﴿ننساكم﴾ نتركم**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس.

والآية المشار إليها **﴿وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾**.

٣١٦ - [باب ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾]

ش: قلت الآية: **﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وماهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون﴾**.

يخبر جل ثناؤه أن هؤلاء المشركين المكذبين بالبعث أنهم يقولون ما الحياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها لا حياة سواها.

وقوله **﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾** أي ما يهلكنا فيفنينا إلا مر الليالي والأيام وطول العمر إنكاراً منهم أن يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم.

وقوله **﴿وما هم بذلك من علم إن هم إلا يظنون﴾** أي وما لهؤلاء المشركين من ذلك من علم يعني من يقين علم لأنهم يقولون ذلك تخرصاً بغير خبر أتاهم من الله ولا برهان عندهم بحقيقته.

﴿إن هم إلا يظنون﴾ أي ماهم إلا في ظن من ذلك وشك يخبر عنهم أنهم في حيرة من اعتقادهم حقيقة ما ينطقون من ذلك بالسنتهم.

من فقه الآية

أولاً: وجوب الإيمان بالبعث وكفر منكره.

ثانياً: الرد على من زعم أن الدهر من أسماء الله وهذا مستفاد من قوله **﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾** ووجه الدلالة أنه لو كان الدهر من أسماء الله لم يعب الله المشركين على هذه المقولة لأن المعنى وما يهلكنا إلا الله وهو صحيح.

٣٤٨ - حدثنا الحميدي: حدثنا سفيان حدثنا الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**يؤذيني ابن آدم**» آذي الرجل أذى وصل إليه المكروه فهو أذٍ مثل عمٍ ويعدى بالهمزة فيقال آذيته إيذاءً والأذية اسم منه فتأذى هو) قاله في المصباح مادة أذى.

قلت: هذا معناه في اللغة وأما المراد من الحديث فقد فسره بقوله بعد (يسب الدهر) وفيه نص على أن الرب جل ثناؤه يؤذيه عباده بسبهم الدهر فنؤمن بذلك ولا نكيفه ونكل علم القول في ذلك إلى من قاله.

الثانية: قوله «**يسب الدهر**» في رواية أبي سلمة باب لا تسبوا الدهر من الأدب يسب بنو آدم الدهر، وعند مسلم كتاب الألفاظ باب النهي عن سب الدهر من رواية معمر (يؤذيني ابن آدم يقول يا خيبة الدهر).

الثالثة: قوله «**وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار**» في الأدب «وأنا الدهر بيدي الليل والنهار» وعند مسلم (أقلب ليله ونهاره، فإذا شئت قبضتهما) وعند المصنف في الأدب ومسلم (فإن الله هو الدهر) وعند النسائي في تفسير الآية (بيدي الخير، أقلب الليل والنهار).

وأما معنى الحديث إجمالاً فقال الشافعي: «إن العرب كان من شأنها أن تذم الدهر وتسبه عند المصائب التي تنزل بهم، من موت أو هرم، أو تلف أو غير ذلك، فيقولون: إنما يهلكنا الدهر وهو الليل والنهار ويقولون أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر فيجعلون الليل والنهار يفعلان الأشياء فيذمون الدهر بأنه الذي يفنيهم ويفعل بهم، فقال رسول الله ﷺ ((لاتسبوا الدهر))على أنه الذي يفنيكم ويفعل بكم هذه الأشياء فإنكم إذا سببتم فاعل هذه الأشياء، فإنما تسبون الله تبارك وتعالى فإنه فاعل هذه الأشياء»انتهى.

وقال الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد بعد نقله هذا الكلام **قلت:** والظاهر أن المشركين نوعان:

أحدهما: من يعتقد أن الدهر هو الفاعل فيسبه لذلك، فهؤلاء هم الدهرية.

والثاني: من يعتقد أن المدبر للأمور هو الله وحده لا شريك له، ولكن يسبون الدهر لما يجري عليهم فيه من المصائب والحوادث، فيضيفون ذلك إليه من إضافة الشئ إلى محله، لا لأنه عندهم فاعل ذلك.

وقال الخطابي: «معناه أنا صاحب الدهر ومدبر الأمور التي ينسبونها إلى الدهر، فمن سب الدهر من أجل أنه فاعل هذه الأمور عاد سبه إلى ربه الذي هو فاعلها، وإنما الدهر زمان جعل ظرفاً لموقع الأمور».

من فقه الحديث

أولاً: إثبات صفة الكلام لله عز وجل بدليل قوله قال الله عز وجل.

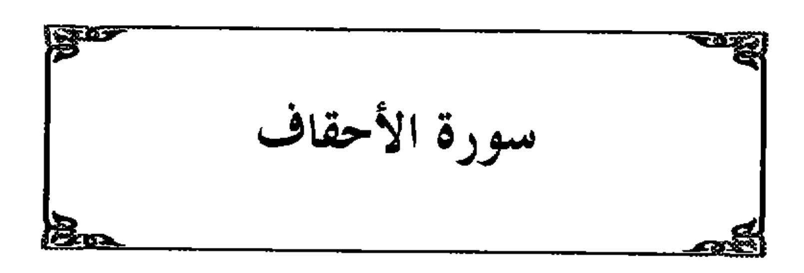
ثانياً: تحريم سب الدهر لأنه يترتب عليه ثلاثة مفاسد:

«**إحداها**: سبه من ليس بأهل أن يسب، فإن الدهر خلق مسخر من خلق الله منقاد لأمره مذلل لتسخيره فسابه أولى بالذم والسب منه.

الثانية: أن سبه متضمن للشرك، فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع وأنه مع ذلك ظالم قد ضر من لا يستحق الضرر وأعطى من لا يستحق العطاء ورفع من لا يستحق الرفعة وحرم من لا يستحق الحرمان وهو عند شاتميه من أظلم الظلمة، وأشعار هؤلاء الظلمة الخونة في سبه كثيرة جداً، وكثير من الجهال يصرح بلعنه وتقبيحه.

الثالثة: أن السب منهم إنما يقع على من فعل هذه الأفعال التي لو اتبع الحق فيها أهواءهم لفسدت السموات والأرض، وإذا وقعت أهواءهم حمدوا الدهر وأثنوا عليه، وفي حقيقة الأمر فرب الدهر تعالى هو المعطي المانع الخافض الرافع المعز المذل والدهر ليس له من الأمر شيئ فمسبتهم للدهر مسبة لله عزوجل، ولهذا كانت مؤذية للرب تعالى». انتهى من زاد المعاد (٣/٣٥٤).

آخر تفسير سورة الجاثية والحمد لله.



سورة الأحقاف

٣١٧ - سورة حم الأحقاف بسم الله الرحمن الرحيم

ش: وشاهد التسمية للأول ظاهر والثاني قوله تعالى ﴿**واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف..**﴾.

وعن ابن مسعود قال: (أقرأني رسول الله ﷺ سورة الأحقاف وأقرأها آخر فخالف قراءته، فقلت: من أقرأكها؟ قال رسول الله ﷺ فقلت: والله لقد أقرأني رسول الله ﷺ غير ذا فأتينا رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله ألم تقرئني كذا وكذا؟

قال: بلى وقال الآخر ألم تقرئني كذا وكذا قال: بلى، فتمعر وجه النبي ﷺ فقال: ليقرأ كل واحد منكما ما سمع فإنما أهلك من كان قبلكم الإختلاف) أخرجه ابن الضريس والحاكم وصححه.

وهي مكية في قول الجميع كما قال القرطبي، وآياتها خمس وثلاثون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿تفيضون﴾ تقولون].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها **﴿أم يقولون إفتراه قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً هو أعلم بما تفيضون فيه﴾**.

٢ - [وقال بعضهم: أَثَرَة وأُثْرَة وأَثَارَة : بقية].

ش: لم أقف على من قاله بهذا اللفظ ولكن قال أبو عبيدة: أي بقية وقال راعي الإبل: **وذات أثارة أكلت عليه نبات في أكمة قفارا**

أي بقية من شحم أكلت عليه، ومن قال أثرة فهو مصدر أثره يأثره يذكره.ا.هـ

وقال الفراء: «قرأها العوام أثارة وقرأها بعضهم قال قرأ أبو عبد الرحمن فيما أعلم وأثرة خفيفة وقد ذكر عن بعض القراء أثره والمعنى فيهن كلهن بقية من علم أو شيء مأثور من كتب الأولين فمن قرأ أثارة فهو كالمصدر مثل قولك السماحه والشجاعة ومن قرأ أثرة فإنه بناه على الأثر كما قيل قتره ومن قرأ أثره كأنه أراد مثل قوله إلا من خطف الخطفة والرجفة». اهـ

والآية المشار إليها **﴿ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين﴾**.

٣ - [وقال ابن عباس: ﴿بدْعاً من الرُّسُل﴾ لستُ بأول الرسل].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها **﴿قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم...﴾**.

٤ - [وقال غيره: ﴿أرأيتم﴾ هذه الألف إنما هي توعد، إن صح ما تدعون لا يستحق أن يعبد، وليس قوله ﴿أرأيتم﴾ برؤية العين، إنما هو أتعلمون أَبَلَغَكُم أن ما تدعون من دون الله خلقوا شيئاً].

ش: لم أقف على قائله وهذا كله ليس في رواية أبي ذر وأشار به إلى قوله تعالى **﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به﴾**.

وقوله «**هذه الألف**» أشار به إلى أن الهمزة التي في أول أرأيتم إنما هي توعد لكفار مكة حيث ادعوا صحة ما عبدوه من دون الله، وإن صح ما يدعون في زعمهم فلا يستحق أن يعبد لأنه مخلوق فلا يستحق أن يعبد إلا الله الذي خلق كل شيئ.

وقوله «**وليس**» في قوله أراد به أن الرؤية في قوله أرأيتم ليست من رؤية العين التى هي الإبصار وإنما معناه ما قاله من قوله (أتعلمون أبلغكم...الخ) انتهى مختصراً من عمدة القاري (١٦/١٠).

٣١٨ - [باب ﴿والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين﴾]

ش: هذا نعت من الله تعالى ذكره نعت ضال به كافر، وبوالديه عاق وهما مجتهدان في نصيحته ودعائه إلى الله فلا يزيده دعاؤهما إياه إلى الحق، ونصيحتهما له إلا عتواً وتمرداً على الله، وتمادياً في جهله يقول الله جل ثناؤه ﴿**والذي قال لوالديه**﴾ أن دعواه إلى الإيمان بالله والإقرار ببعث الله خلقه من قبورهم ومجازاته إياهم بأعمالهم ﴿**أف لكما**﴾ يقول: قذر لكما ونتناً أتعدانني أن أخرج، يقول أتعدانني أن أخرج من قبري من بعد فنائي وبلائي فيه حياً.

وقوله «**وقد خلت القرون من قبلي**» يقول اتعدانني أن أبعث وقد مضت قرون من الأمم قبلي فهلكوا فلم يبعث منهم أحدا، ولو كنت مبعوثاً بعد وفاتي كما تقولان لكان قد بعث من هلك قبلي من القرون ﴿**وهما يستغيثان الله**﴾ يقول تعالى ذكره ووالداه يستغيثان الله عليه أن يؤمن بالله ويقر بالبعث ويقولان له ﴿**ويلك آمن**﴾ أي صدق بوعد الله وأقر أنك مبعوث من بعد وفاتك، إن وعد الله الذي وعد خلقه إنه باعثهم من قبورهم، ومخرجهم منها إلى موقف الحساب لمجازاتهم بأعمالهم حق لا شك فيه فيقول عدو الله مجيباً لوالديه، ورداً عليهما نصيحتهما، وتكذيباً بوعد الله ما هذا الذي تقولان لي وتدعوانني إليه من التصديق بأني مبعوث من بعد وفاتي من قبري إلا ما سطره الأولون، من الناس من الأباطيل فكتبوه فاصبتماه أنتما فصدقتما.ا.هـ من ابن جرير.

٣٤٩ - حدثنا موسى بن إسماعيل: ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك[1] قال: كان مروان على الحجاز استعمله معاوية، فخطب

---

(١) هو يوسف بن ماهك بن بهزاد الفارسي المكي ثقة من الثالثة مات سنة ست ومائة وقيل قبل ذلك.ع.

فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً فقال خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه ﴿والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني﴾ فقالت عائشة من وراء حجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري.

ش: فيه ست مسائل:

الأولى: قوله «**كان مروان على الحجاز**» يعني أميراً لمعاوية على المدينة وتوابعها.

وأخرج الإسماعيلي والنسائي من طريق محمد بن زياد هو الجمحي قال: (كان مروان عاملاً على المدينة حكاه الحافظ هنا.

الثانية: قوله «**استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له**» في رواية الإسماعيلي من الطريق المذكورة (فأراد معاوية ان يستخلف يزيد يعنى إبنه ـ فكتب إلى مروان بذلك، فجمع مروان الناس فخطبهم فذكر يزيد ودعا إلى بيعته وقال إن الله أرى أمير المؤمنين في يزيد رأياً حسناً وإن يستخلفه فقد استخلف أبو بكر عمرَ) حكاه الحافظ هنا.

الثالثة: قوله «**فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً**» **قلت:** أخرج ابن أبي حاتم وأسناده كما ساقه ابن كثير في تفسير هذه الآية: ثنا علي بن الحسين: ثنا محمد بن العلاء: ثنا يحيى بن أبي زائدة عن إسماعيل بن أبي خالد: أخبرني عبد الله بن المديني قال إني لفي المسجد حين خطب مروان فقال: إن الله تعالى قد أرى أمير المؤمنين في يزيد رأياً حسناً وإن يستخلفه فقد استخلف أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أهرقلية؟ إن أبا بكر رضي الله عنه والله ما جعلها في أحد من ولده ولا أحد من أهل بيته ولا جعلها معاوية في ولده إلا رحمة وكرامة لولده الخ.

قلت: وعزاه الحافظ أيضاً إلى ابن أبي يعلى.

الرابعة: قوله «**فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا**» أي امتنعوا من الدخول خلفه في بيت عائشة توقيراً وإجلالاً لها لمكانتها وحق لهم ذلك إذ هي أم المؤمنين زوج النبي

الخامسة: قوله «**فقال مروان إن هذا الذي أنزل الله فيه والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني**» وفي خبر ابن المديني المذكور (فقال مروان ألست الذي قال لوالديه أف لكما).

السادسة: قوله «**فقالت عائشة من وراء الحجاب ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري**» وفي خبر بن المديني فقالت يا مروان إنت القائل لعبد الرحمن رضي الله عنه كذا وكذا كذبت ما فيه نزلت ولكن نزلت في فلان بن فلان ثم انتحب مروان ثم نزل عن المنبر حتى أتى باب حجرتها فجعل يكلمها حتى انصرف).

قلت: وتعني بقولها «إلا أن الله أنزل عذري» الآيات من سورة النور من قوله ﴿**إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ـ إلى قوله تعالى ـ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات، اولئك مبرؤون مما يقولون، هم مغفرة ورزق كريم**﴾.

تنبيه

قد يستدل بهذا الخبر بعض أهل الأهواء والفرق والجماعات الضالة على مجاهرة الحكام بالنصيحة وعلى الملأ، فجواب أولئك ما رواه ابن أبي عاصم وأحمد عن عياض بن غنم قال: قال رسول الله : من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فليأخذ بيده فليخلوا به فإن قبلها قبلها وإن ردها كان قد أدى الذي عليه) فالحديث دليل على ثلاثة أمور:

أولاً: السرية التامة في المناصحة للحاكم حتى عن أقرب الناس إليه إن أمكن.

ثانياً: براءة الذمة بمجرد النصيحة على هذا الوجه الذي تضمنه الحديث.

ثالثاً: أنه لا تبعة على من لا يقدر على النصيحة للحاكم سراً لأنه لا تكلف نفس إلا وسعها ولأن هذا الطريق هو ما جاء عن الله على لسان رسوله فلو رضي الله للعباد والبلاد غيره لجاء بيانه في الكتاب أو في صحيح السنة، فكان لزاماً على كل طالب للحق والهدى الوقوف على هذا النص.

٣١٩ - باب قوله ﴿فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم﴾

ش: يقول تعالى ذكره: فلما جاءهم عذاب الله الذي استعجلوه، فرأوه سحاباً عارضاً في ناحية من نواحي السماء ﴿**مستقبل أوديتهم**﴾ والعرب تسمي السحاب الذي يرى في بعض أقطار السماء عشياً ثم يصبح من الغد قد استوى، وحباً بعضه إلى بعض عارضاً، وذلك لعرضه في بعض أرجاء السماء حين ينشأ.

وقوله ﴿**بل هو ما استعجلتم به**﴾ يقول تعالى ذكره: مخبراً عن قيل نبيه ﷺ هود لقومه لما قالوا له عند رؤيتهم عارض العذاب، قد عرض لهم في السماء هذا عارض ممطرنا نحيا به، ما هو بعارض غيث، ولكنه عارض عذاب لكم ﴿**بل هو ما استعجلتم به**﴾ أي هو العذاب الذي استعجلتم به فقلتم أئتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين.

﴿**ريح فيها عذاب أليم**﴾ والريح مكررة على ما في قوله ﴿**هو ما استعجلتم به**﴾ كأنه قيل بل هو ريح فيها عذاب أليم.

[قال ابن عباس: ﴿عارض﴾ السحاب].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عنه، حكاه الحافظ هنا.

وأخرج ابن جرير من طريق العوفيين عن ابن عباس قال: هي الريح إذا أثارت سحاباً.

٣٥٠ - حدثنا أحمد: حدثنا ابن وهب: أخبرنا عمرو: أن أبا النضر[١] حدثه عن سليمان بن يسار عن عائشة رضي الله عنها: زوج النبي ﷺ قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ ضاحكاً حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسم قالت:

(١) هو سالم بن أبي أمية مولى عمر بن عبيد الله التيمي المدني ثقة ثبت وكان يرسل من الخامسة، مات سنة تسع وعشرين [ومائه] ع.

وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف في وجهه، قالت: يا رسول ا لله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا، رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرف في وجهك الكراهية، فقال: يا عائشة، ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب؟عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا).

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله «**ما رأيت رسول ا لله ﷺ ضاحكاً حتى أرى منه لهواته**» وعند مسلم في الإستسقاء برواية هارون بن معروف وأبي الطاهر (ما رأيت رسول ا لله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه لهواته) واللهاوة بالتحريك جمع لهاة وهي اللحمة المتعلقة في أعلى الحنك، ويجمع أيضاً على لهى بفتح اللام مقصوراً.

الثانية: قوله «**إنما كان يتبسم**» وهذا لا ينافي ما جاء في ضحكه أنه أحياناً يضحك حتى تبدو نواجذه لأن ظهور النواجذ وهي الأسنان التي في مقدم الفم أو الأنياب لا يستلزم ظهور اللهاة.

الثالثة: قوله «**وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف في وجهه**» عند المصنف في بدء الخلق باب ما جاء في قوله ﴿**وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته**﴾ عن عائشة (كان النبي ﷺ إذا رأى مخيله في السماء أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه، فإذا مطرت سري عنه) وعند مسلم في صلاة الإستسقاء باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم من رواية عطاء (كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال "اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشرما أرسلت به"قالت وإذا تخيلت السماء....الحديث)، وعند النسائي في تفسير هذه الآية (كان رسول ا لله ﷺ إذا رأى ريحاً قام وقعد وأقبل وأدبر.

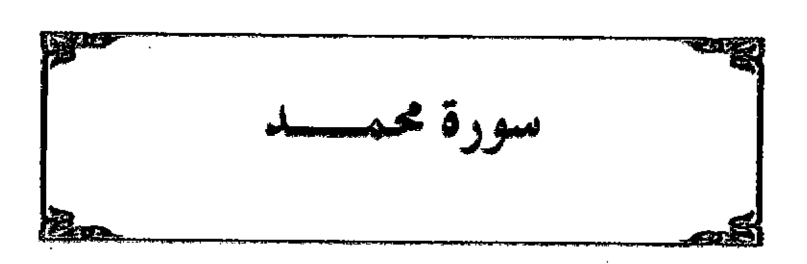
الرابعة: قوله «**يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيته عرف في وجهك الكراهية**» في بدء الخلق فعرفته عائشة ذلك، وعند مسلم (فعرفت ذلك في وجهه قالت عائشة فسألته).

الخامسة: قوله «**يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب...الخ**» وعند مسلم فقال: (لعله يا عائشه كما قال قوم عاد، فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا).

قال النووي: «فيه الإستعداد بالمراقبة لله والإلتجاء إليه عند اختلاف الأحوال وحدوث ما يخاف بسببه وكان خوفهﷺ أن يعاقبوا بعصيان العصاة وسروره لزوال سبب الخوف».

وقال ابن العربي: «فإن قيل كيف يخشى النبيﷺ أن يعذب القوم وهو فيهم مع قوله تعالى ﴿**وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم**﴾ والجواب أن الآية نزلت بعد هذه القصة ويتعين الحمل على ذلك لأن الآية دلت على كرامة النبيﷺ ورفعه فلا يتخيل إنحطاط درجته أصلاً». حكاه الحافظ هنا ثم تعقبه بقوله قلت: ويعكر عليه أن آية الأنفال كانت في المشركين من أهل بدر، وفي حديث عائشة إشعار بأنه كان يواظب على ذلك من صنيعه كان إذا رأى فعل كذا والأولى في الجواب أن يقال أن في آية الأنفال احتمال التخصيص بالمذكور به أو يوقف دون وقت أو مقام خوف يقتضي عليه عدم الأمن من مكر الله، وأولى من الجميع أن يقال: خشي على من ليس هو فيهم أن يقع بهم العذاب أما المؤمن فشفقة عليه لإيمانه، وأما الكافر فلرجاء إسلامه، وهو بعث رحمة للعالمين.ا.هـ

آخر تفسير سورة الأحقاف و لله الحمد والمنة.



سورة محمد

٣٢٠ - ﴿الذين كفروا﴾ سورة محمد ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

ش: كذا لأبي ذر ولغيره ﴿الذين كفروا﴾ قاله الحافظ.

قلت: وشاهد التسمية للثاني قوله تعالى **﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم﴾**

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقرأ بهم في المغرب: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ **قلت**: وهو شاهد للأول.

وهي مدنية في قول الجميع قاله الماوردي وقال الثعلبي أنها مكية وحكاه ابن هبة الله عن الضحاك وسعيد بن جبير وهو غلط من القول ويدل على أنها مدنية ما أخرجه ابن الضريس عن ابن عباس قال: نزلت سورة القتال بالمدينة، وآياتها ثمان وثلاثون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [﴿أوزارها﴾ آثامها حتى لايبقى مسلم].

ش: قاله الفراء في تفسير هذه السورة من معاني القرآن وزاد: أو مسالم والهاء التي في أوزارها تكون للحرب.

والآية المشار إليها **﴿فإما مناً بعد وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها﴾**.

٢ - [﴿عرّفها﴾ بينها].

ش: قاله أبو عبيدة: وزاد لهم وعرفهم منازلهم.

وأخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: يدخل أهل الجنة الجنة ولهم أعرف بمنازلهم فيها من منازلهم في الدنيا التي يختلفون إليها في عمر الدنيا.

وقال محمد بن كعب: «يعرفون بيوتهم إذا دخلوا الجنة كما تعرفون إذا انصرفتم من الجمعة». حكاه ابن كثير، ومعنى هذا الأثر: أن أهل الجنة يستدلون على بيوتهم فيها ومنازلهم منها كما يستدلون على ذلك في الدنيا. ويشهد لصحة ما قاله ما رواه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ (إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا)

والآية المشار إليها **﴿ويدخلهم الجنة عرفها لهم﴾**.

٣ - [وقال مجاهد: ﴿مولى الذين آمنوا﴾ وليهم].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها **﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾**.

٤ - [﴿عزم الأمر﴾ جد الأمر].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وهو قول الحسن.

والآية المشار إليها ﴿ **فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم**﴾.

٥ - [﴿فلا تهنوا﴾ لا تضعفوا].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وهو قول ابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿**فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون...**﴾.

٦ - [وقال ابن عباس ﴿أضغانهم﴾ حسدهم].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: أعمالهم، خبثهم والحسد. حكاه الحافظ.

والآية المشار إليها ﴿ **أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لـن يخـرج الله أضغانهم**﴾.

٧ - [﴿آسن﴾ متغير].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره، وأخرج عن قتادة قال: غير منتن.

والآية المشار إليها ﴿**مثل الجنة التي وعد المتقون، فيها أنهار مـن مـاء غـير آسن**﴾.

٣٢١ - [باب ﴿وتقطعوا أرحامكم﴾]

ش: قلت الآية: **﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾.**

يقول تعالى ذكره: فلعلكم إن توليتم عن تنزيل الله جل ثناؤه، وفارقتم أحكام كتابه وأدبرتم عن محمد ﷺ وعما جاءكم به **﴿أن تفسدوا في الأرض﴾** يقول أن تعصوا الله في الأرض فتكفروا به، وتسفكوا فيها الدماء وتقطعوا أرحامكم وتعودوا لما كنتم عليه في جاهليتكم من التشتت والتفرق بعد ما قد جمعكم الله بالإسلام، وألف به بين قلوبكم.

وقوله **﴿أولئك الذين لعنهم الله﴾** يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين يفعلون هذا، يعني الذين يفسدون ويقطعون الأرحام الذين لعنهم الله، فأبعدهم من رحمته فأصمهم يقول فسلبهم فهم ما يسمعون بآذانهم من مواعظ الله في تنزيله.

﴿وأعمى أبصارهم﴾ يقول وسلبهم عقولهم، فلا يتبينون حجج الله، ولا يتذكرون ما يرون من عبره وأدلته.

من فقه الآيتين

أولاً: وجوب صلة الرحم وتحريم قطيعتها.

ثانياً: أن قطيعة الرحم من كبائر الذنوب ولهذا توعد عليها باللعن.

١٣٥١ - حدثنا خالد بن مخلد:حدثنا سليمان: حدثني معاوية بن أبي مزرد[١] عن سعيد بن يسار[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((خلق الله الخلق، فلما فرغ منه قامت الرحم، فأخذت بحقو الرحمن فقال له: مه قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة،قال : ألاترضين أن أصل من

(١) هو معاوية بن أبي مُزَرِّد عبد الرحمن بن يسار مولى بني هاشم المدني ليس به بأس من السادسة خ، م، س.

(٢) هو أبو الحباب سعيد بن يسار، ثقة متقن من الثالثة مات سنة سبع عشرة [ومائة]وقيل قبلها بسنة، ع.

وصلك وأقطع من قطعك ، قالت : بلى، قال: فذاك)) قال أبو هريرة: إقرؤوا إن شئتم ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾.

حدثنا إبراهيم بن حمزة[١] حدثنا حاتم[٢] عن معاوية قال: حدثني عمي أبو الحباب سعيد بن يسار عن أبي هريرة بهذا ثم قال رسول الله ﷺ: (اقرؤوا إن شئتم ﴿فهل عسيتم﴾).

حدثنا بشر بن محمد[٣]: أخبرنا عبد الله أخبرنا معاوية ابن أبي المزرد بهذا قال رسول الله ﷺ: واقرؤوا إن شئتم ﴿فهل عسيتم﴾.

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «**خلق الله الخلق فلما فرغ منه**» في الأدب باب من وصل وصله الله من رواية عبد الله (إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه) وعند مسلم في البر والصله باب صلة الرحم (حتى إذا فرغ منهم)، والمعنى قضاه وأتمه على ما أراد وفق مشيئته.

الثانية: قوله «**قامت الرحم**» فيه دليل على أن الرب جل ثناؤه قادر على تحويل المعاني إلى أجسام وهذه حقيقة ولا إشكال فيها فإن الله إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، ﴿**وما أمره إلا واحدة كلمح بالبصر**﴾ وحمل القيام ها هنا على أنه من ملك غير سديد بل هو صرف للنص عن ظاهره بغير مسوغ والأصل في النصوص ظاهرها حتى يأتي صارف مقبول وذلك الصارف إما كتاب أو سنة صحيحة.

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن عبد الله بن الزبير الزبيري المدني، صدوق من العاشرة، مات سنة ثلاثين [ومائتين] خ، م، مد، ت،س.

(٢) هو أبو إسماعيل حاتم بن إسماعيل المدني الحارثي مولاهم أصله من الكوفة صحيح الكتاب صدوق يهم، من الثامنة مات سنة ست أو سبع وثمانين [ومائة] ع.

(٣) هو أبو محمد بشر بن محمد السختياني المروزي، صدوق رمي بالإرجاء من العاشرة مات سنة أربع وعشرين [ومائتين]،خ.

في النصوص ظاهرها حتى يأتي صارف مقبول وذلك الصارف إما كتاب أو سنة صحيحة.

الثالثة: قوله «**فأخذت بحقو الرحمن**» الحقو: معقد الإزار وهو الموضع الذي يستجار به ويحتزم به على عادة العرب، لأنه من أحق ما يحامى عنه ويدفع، كما قالوا نمنعه مما نمنع منه إزرنا.اهـ قاله القاضي عياض.

قال مقيده: ما قاله هو معناه من جهة اللغة وأما حقو ربنا فإنا لا نكيفه بل نؤمن به كما ورد في صحيح النص وصريحه.

الرابعة: «**فقال له:مه**» هو اسم فعل معناه الزجر أي أكفف، وقال ابن مالك، هي هنا ما الإستفهامية حذفت ألفها ووقف عليها بهاء السكت والشائع أن لا يفعل ذلك إلا وهي مجرورة، لكن قد سمع مثل ذلك فجاء عن أبي ذؤيب الهذلي قال: قدمت المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج فقلت مه؟ فقالوا قبض رسول الله ﷺ انتهى من الفتح كما أورده هنا.

وهاهنا إن كان على الزجر فبين وإن كان على الإستفهام فالمراد منه الأمر بإظهار الحاجة دون الإستعلام فإنه يعلم السر وأخفى. انتهى من عمدة القاري.

الخامسة: قوله «**هذا مقام العائذ بك من القطيعة**» وفي رواية ابن جرير (هذا مقام عائذ من القطيعة) والمعنى: إن قيامي متعلقة بحقوك هو مكان المستعيذ بك من القطيعة.

السادسة: قوله «**ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك**» دل صراحة على أن الله عز وجل خاطب الرحم ففهمت عنه وأجابته وهذا على الحقيقة ويجب صونه عن التأويلات الباطلة، والظنون الكاذبة والتخيلات التي ليس وراءها إلا صرف نصوص الشارع الصحيحة الصريحة عن ظاهرها.

السابعة: قوله «**فذاك**» وعند المصنف في الأدب (فهو لـك) وفيه من رواية أبي صالح (من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته)وعند مسلم في باب صلة الرحم من كتاب البر والصلة عن عائشة (من وصلني وصله ا لله، ومن قطعني قطعه ا لله).

الثامنة: قوله «**قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم**» ظاهره أنه موقوف على أبي هريرة لكن صرح في رواية حاتم بن إسماعيل وعبد ا لله بن المبارك كلاهما عن معاوية عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة يرفعه فقال: (ثم قال رسول ا لله إقرؤوا إن شئتم ﴿فهل عسيتم﴾) وبهذا يتبين لك أن الرفع أرجح.

فائدة

قال القرطبي عند تفسير هذه الآية (١٦/٢٤٧): «وبالجملة فالرحم على وجهين عامة وخاصة:

فالعامة رحم الدين ويجب مواصلتها بملازمة الإيمان والمحبة لأهله ونصرتهم والنصيحة وترك مضارتهم والعدل بينهم والنصفة في معاملتهم والقيام بحقوقهم الواجبة، كتمريض المرضى أو حقوق الموتى من غسلهم والصلاة عليهم ودفنهم، وغير ذلك من الحقوق المترتبة لهم.

وأما الرحم الخاصة وهي رحم القرآبة من طرفي الرجل أبيه وأمه، فتجب لهم الحقوق الخاصة وزيادة، كالنفقة وتفقد أحوالهم وترك التغافل عن تعاهدهم في أوقات ضروراتهم، وتتأكد في حقهم حقوق الرحم العامة، حتى إذا تزاحمت الحقوق بدئ بالأقرب فألأقرب وقال بعض أهل العلم إن الرحم التي تجب صلتها هي كل رحم محرم، وعليه فلا تجب في بني الأعمام وبني الأخوال وقيل بل هذا في كل رحم ممن ينطلق عليه ذلك من ذوي الأرحام في المواريث، محرماً كان أو غير محرم، فيخرج من هذا أن رحم الأم التي لا يتوارث بها لا تجب صلتهم ولا يحرم

سورة الفتح

٢٢١ - سورة الفتح بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر في أول السورة.

أخرج أحمد والشيخان عن معاوية بن قرة عن عبد الله بن مغفل يقول قرأ رسول الله ﷺ عام الفتح في سيره سورة الفتح على راحلته فرجع فيها قال معاوية لولا أني أكره أن يجتمع الناس علينا لحكيت قراءته.

وهي مدنية قال القرطبي: بالإجماع، وآياتها تسع وعشرون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - **[وقال مجاهد: ﴿سيماهم في وجوههم﴾ السحنة[1]].**

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا محمد بن المثنى: ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم عن مجاهد فذكره، وأخرجه أيضاً عن ابن عباس.

٢- **[وقال منصور عن مجاهد: التواضع].**

قلت: وصله ابن جرير قال ثنا ابن حميد: ثنا جرير عن منصور عن مجاهد بلفظ (هو الخشوع)، وأخرجه من طريق حميد الأعرج عن مجاهد بلفظ المصنف وزاد والخشوع.

وهاتان الروايتان ضمن القائلين أن ذلك سيما الإسلام وسمته وخشوعه، وفي الآية ثلاثة أقوال أخرى حكاها ابن جرير أيضاً.

أحدها: أن ذلك علامة يجعلها الله في وجوه المؤمنين يوم القيامة وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية عنه وخالد الحنفي وعطية العوفي ومقاتل ابن حيان والحسن.

وثانيها: أن ذلك أثر يكون في وجوه المصلين مثل أثر السهر وهو قول الحسن في الرواية الثانية عنه وسليمان التيمي وشمر بن عطية.

وثالثها: أن ذلك آثار ترى في الوجه من ثرى الأرض، وبه قال سعيد بن جبير وعكرمة.

والذي اختاره ابن جرير هو قول مجاهد وابن عباس.

٣ - **[﴿شطأه﴾ فراخه].**

ش: قاله بهذا اللفظ أبو عبيدة وزاد يقال قد شطأ الزرع فهو مشطئ إذا فرخ.

---

(١) - وفي اللسان: مادة: سحن، السحَنَة والسحْنة والسَّحناء والسّحْناء، لين البشرة والنعمة، وقيل: الهيئة واللون والحال.

وأخرج ابن جرير عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: ما يخرج بجنب الحقلة فيتم وينمو.

٤ - [﴿فاستغلظ﴾ غلظ].

ش: قاله أبو عبيدة.

٥ - [﴿سوقه﴾ الساق حاملة الشجرة].

ش: قاله أبو عبيدة وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: أصوله.

والآية المشار إليها بهذه الكلمات **﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾** الآية.

٦ - [ويقال: ﴿دائرة السوء﴾ كقولك رجل السوء، ودائرة السوء العذاب].

ش: قاله الفراء وزاد: والسوء أفشى في اللغة وأكثر وقلما تقول العرب دائرة السوء.

والأية المشار إليها **﴿الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم﴾**.

٧ - [﴿تعزروه﴾ تنصروه].

ش: قاله الفراء وزاد: بالسيف كذلك ذكره الكلبي.

والآية المشار إليها **﴿لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه﴾**.

٨ - [﴿شطأه﴾ شَطْءُ السنبلِ، تُنبتُ الحبة عشرا أو ثمانياً وسبعاً فيقوى بعضه ببعض فذاك قوله تعالى: ﴿فآزره﴾ قواه ولو كانت واحدة لم تقع على ساق وهو مثل ضربه الله للنبي ﷺ إذ خرج وحده، ثم قواه بأصحابه كما قوى الحبه بما ينبت منها].

ش: قاله الفراء وزاد: آزرت أؤازره مؤازرة قويته، وعاونته وهي المؤازرة.

٣٢٣ - باب ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾

ش: يعني بقوله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ يقول إنا حكمنا لك يا محمد حكماً لمن سمعه وبلغه على من خالفك وناصبك من كفار قومك، وقضينا لك عليهم بالنصر والظفر.

وقوله ﴿فتحاً مبيناً﴾ أي بيناً ظاهراً والمراد به صلح الحديبية فإنه حصل بسببه خير جزيل، وآمن الناس واجتمع بعضهم ببعض وتكلم المؤمن مع الكافر وانتشر العلم النافع والإيمان.

٣٥٢ - ثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه[١] أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شئ فلم يجبه رسول الله ﷺ ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه فقال عمر بن الخطاب: ثكلت أم عمر نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات، كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس، وخشيت أن ينزل في القرآن، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي، فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن، فجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه، فقال : لقد أُنزلت علي الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾.

٣٥٣ - حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر: حدثنا شعبة، سمعت قتادة عن أنس رضي الله عنه ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ قال: الحديبية.

٣٥٤ - حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا شعبة حدثنا معاوية بن قرة[٢] عن عبد الله بن مغفل[٣] قال قرأ النبي ﷺ يوم فتح مكة سورة الفتح، فرجع فيها قال معاوية: لو شئت أن أحكي لكم قراءة النبي ﷺ لفعلت.

---

(١) هو أسلم العدوي، مولى عمر ثقة مخضرم مات سنة ثمانين وقيل بعد سنة ستين وهو ابن أربع عشرة ومائة سنه، ع.

(٢) هو أبو إياس معاوية بن قرة بن إياس بن هلال المزني البصري ثقة من الثالثة، مات سنة

ش: فيها أربع عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**إن رسول ا لله ﷺ كان يسير**» هذا السياق صورته الإرسال لأن أسلم لم يدرك زمان هذه القصة، لكنه محمول على أنه سمعه من عمر بدليل قوله في أثنائه قال عمر: فحركت بعيري...الخ) وعلى ذلك أشار الفاسي وقد جاء من طريق أخرى سمعت عمر، أخرجه البزار من طريق محمد بن خالد بن عثمة عن مالك ثم قال: (لا نعلم رواه عن مالك هكذا إلا ابن عثمة وابن غزوان.انتهى، ورواية ابن غزوان وهو عبد الرحمن أبو نوح المعروف بقراد قد أخرجها أحمد عنه، واستدركها مغلطاي على البزار ظاناً أنه غير ابن غزوان وأورده الدار قطني في غرائب مالك من طريق هذين، ومن طريق يزيد بن أبي حكيم ومحمد بن حرب وإسحاق الحنيني أيضاً.

فهؤلاء الخمسة رووه عن مالك بصريح الإتصال، قاله الحافظ.

الثانية: قوله «**في بعض أسفاره**» بيانه فيما رواه جامع ابن شداد عن عبد الرحمن بن أبي علقمة قال: سمعت عبد ا لله بن مسعود يقول (لما أقبلنا من الحديبية عرسنا فنمنا فلم نستيقظ إلا بالشمس قد طلعت) الحديث وفيه (فلما سرى عنه أخبرنا أنه أنزل عليه ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً**﴾ وروى قتادة عن أنس قال: (لما رجعنا من غزوة الحديبية وقد حيل بيننا وبين نسكنا) الحديث، وفيه (فأنزل ا لله عز وجل ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً**﴾..الخ) أخرجهما ابن جرير عند تفسير هذه الآية، وعزاهما الحافظ إلى الطبراني.

الثالثة: قوله «**فسأله عمر بن الخطاب عن شئ فلم يجبه**» عند الترمذي في تفسير هذه الآية من رواية محمد بن خالد (فكلمت رسول ا للهﷺ فسكت ثم كلمته فسكت ثم كلمته فسكت و لم أقف على بيان لمسألة عمر) قال ابن عبد

ثلاث عشرة وهو ابن ست وسبعين سنة، ع.

(٣) هو أبو عبد الرحمن عبد ا لله بن مغفل بن عبد نهم المزني صحابي بايع تحت الشجرة، ونزل البصرة مات سنة سبع وخمسين، وقيل بعد ذلك، ع.

البر في التمهيد(٣/٢٦٣): «حديث رابع لزيد بن أسلم (وفيه أن العالم إذا سئل عن شئ لا يجب الجواب فيه أن يسكت ولا يجيب بنعم ولا بلا، ورب كلام جوابه السكوت، وفيه من الأدب أن سكوت العالم عن الجواب يوجب على المتعلم ترك الإلحاح عليه)».

الرابعة: قوله «**ثكلت أم عمر**» عند المصنف في المغازي باب غزوة الحديبية برواية عبد الله بن يوسف (ثكلتك أمك يا عمر)وعند الترمذي (فحركت راحلتي فتنحيت وقلت ثكلتك أمك يا ابن الخطاب) والثكل هو فقدان المرأة ولدها، دعا عمر على نفسه بسبب ما وقع منه من الإلحاح على رسول الله في المسألة، ويحتمل أن يكون لم يرد الدعاء على نفسة حقيقة وإنما هي من الألفاظ التي تقال عند الغضب من غير قصد معناها.

الخامسة: قوله (**نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات، كل ذلك لا يجيبك**) وعند الترمذي (نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يكلمك ما أخلقك أن ينزل فيك قرآن) ومعنى نزرت بزاي ثم راء وفيها لغتان التخفيف والتثقيل والتخفيف أشهر أي الحجت عليه، وفيه لوم التلميذ نفسه وندمه على الإلحاح على شيخه خوف غضبه وحرمان فائدته فيما يستأنف كما قال أبو سلمة بن عبد الرحمن لو رفقت بابن عباس لا ستخرجت منه علماً.

السادسة: قوله «**فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس**» في المغازي أمام المسلمين.

السابعة: قوله «**وخشيت أن ينزل في القرآن**» فيه ماكان عمر عليه من التقوى والوجل لأنه خشي أن يكون عاصياً بسؤاله رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبه.

الثامنة: قوله (**فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي**) يقال (لم ينشب أن فعل كذا، أي لم يلبث وحقيقته لم يتعلق بشئ غيره، ولا اشتغل بسواه.

وقوله «**سمعت صارخاً يصرخ بي**» فيه دليل على سرعة استدعاء النبي ﷺ صاحبه عمر لملاطفته والتسرية عنه بما يزيل وجله، وينبغي أن يتأسى المعلمون برسول الله ﷺ في ذلك.

التاسعة: قوله «**فجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه**» فيه دليل على ما يتحلى به عمر من الأدب والتمسك بالسنة فلم يشغله ما هو فيه من الوجل عن السلام على رسول الله ﷺ وفيه التنبيه إلى أن المدعو ينبغي له البدء بالسلام قبل مخاطبة داعيه.

العاشرة: قوله «**لقد أنزلت علي الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس**»

قال ابن العربي: «أطلق المفاضلة بين المنزلة التي أعطيها وبين ما طلعت عليه الشمس، ومن شرط المفاضلة استواء الشيئين في أصل المعنى ثم يزيد أحدهما على الآخر، ولا استواء بين تلك المنزلة والدنيا بأسرها».

حكاه الحافظ هنا ثم قال: يحتمل أن يراد المفاضلة بين ما دلت عليه وبين ما دل عليه غيرها من الآيات المتعلقة به فرجحها، وجميع الآيات وإن لم تكن من أمور الدنيا لكنها أنزلت لأهل الدنيا فدخلت كلها فيما طلعت عليه الشمس.

قلت: فهذا توجيه حسن يزول به الإشكال ويندفع به التعارض بين هذا الحديث وبين ما ورد في تفضيل بعض السور و الآيات.

الحادية عشرة: قوله «**﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾**» قال الحديبية.هكذا أورده الشيخ هاهنا مختصراً وأورده في المغازي بهذا اللفظ وزاد: قال أصحابه هنيئاً مريئاً فما لنا؟ فأنزل الله **﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾**.

الثانية عشرة: قوله «**قرأ النبي ﷺ يوم فتح مكة سورة الفتح**» في رواية أبي الوليد في المغازي (رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته) وفيه دليل

على أن دخول النبي ﷺ مكة منتصراً على أهلها عام ثمانية من الهجرة من الفتح المبين الذي وعده الله إياه ولهذا يسمى في السيرة بالفتح الأعظم.

الثالثة عشرة: قوله «**فرجع فيها**» أي ردد صوته بالقراءة وقد أخرجه في التوحيد باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه برواية شبابة ولفظه (ثم قرأ معاوية يحكي قراءة بن مغفل وقال لولا أن يجتمع الناس عليكم لرجعت كما رجع ابن مغفل يحكي النبي ﷺ فقلت لمعاوية كيف كان ترجيعه؟ قال آآآثلاث مرات.

الرابعة عشرة: قوله «**قال معاوية: لو شئت أن أحكي لكم قراءة النبي ﷺ لفعلت**» القائل هو شعبة بن الحجاج راوية معاوية وقد أسلفنا كيف قرأ النبي ﷺ السورة في المسألة قبلها.

فائدة

قال القاضي: «أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقراءة وترتيلها، قال أبو عبيد والأحاديث الواردة في ذلك محمولة على التحزين والتشويق قال: واختلفوا في القراءة بالألحان فكرهها مالك والجمهور لخروجها عما جاء القرآن له من الخشوع والتفهم وأباحها أبو حنيفة وجماعة من السلف للأحاديث ولأن ذلك سبب للرقة وإثارة الخشية وإقبال النفوس على استماعه».

قلت: قال الشافعي في موضع أكره القراءة بالألحان وقال في موضع لا أكرهها قال أصحابنا ليس له فيها خلاف وإنما هو اختلاف حالين فحيث كرهها أراد إذا مطط وأخرج الكلام عن موضعه بزيادة أو نقص أو مد غير ممدود وإدغام مالا يجوز إدغامه ونحو ذلك وحيث أباحها أراد إذا لم يكن فيها تغيير لموضوع الكلام والله أعلم.ا.هـ حكاه النووي في شرحه على صحيح مسلم ج٦ص٨٠.

من فقه الأحاديث

أولاً: فضيلة عمر وعظم مكانته عند النبي ﷺ ألا تراه أسرع في دعوته وإخباره بإنزال هذه السورة عليه.

ثانياً: فضل سورة الفتح وشرف مكانتها عند رسول الله ﷺ.

ثالثاً: مشروعية تحسين الصوت بالقرآن مع اجتناب التكلف والتمطيط كما نقل عن الشافعي رحمه الله.

٣٢٤ - [باب قوله ﴿ليغفر لك ا لله ما تقدم من ذنبـك ومـا تـأخر ويتـم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً﴾]

ش: **قلت:** وما بعدها ﴿وينصرك ا لله نصراً عزيزاً﴾.

قوله «**﴿ليغفر لك ا لله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليـك﴾**» أي في الدنيا والآخرة ويهديك صراطاً مستقيماً أي بما يشرعه لـك مـن الشـرع العظيم والدين القويم

﴿وينصرك ا لله نصراً عزيـزاً﴾ أي بسـبب خضوعـك لأمـر ا لله عـز وجـل يرفعك ا لله وينصرك على أعدائك.

فائدة

قال ابن القيم: «ما جمع ا لله سبحانه لرسوله في آية الفتح من أنواع العطايا وذلك خمسة أشياء:

أحدها: الفتح المبين.

والثاني: مغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

والثالث: هدايته الصراط المستقيم.

والرابع: إتمام نعمته عليه.

والخامس: إعطاء النصر العزيز وجمـع سبحانه لـه بـين الهـدى والنصـر لأن هذين الأصلين بهما كمال السعاده والفلاح فـإن الهـدى هـو العلـم بـا لله ودينـه والعمل بمرضاته وطاعته فهو العلم النافع والعمـل الصـالح والنصـر والقـدرة التامـة على تنفيذ دينه فالحجة والبيان والسيف والسنان فهو النصر بالحجـة واليـد وقهـر قلوب المخالفين له بالحجة، وقهر أبدانهم باليد، وهو سبحانه كثيراً ما يجمـع بـين هذين الأصلين إذ بهما تمام الدعوة وظهـور دينـه علـى الديـن كلـه كقولـه تعـالى **﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله..﴾** إلى أن قال بل الصراط المستقيم ما جعله ا لله عليه من الهدى وديـن الحـق الـذي أمـره أن

يخبر بأن الله تعالى هداه إليه في قوله ﴿**قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم**﴾ ثم فسره بقوله تعالى ﴿**ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين**﴾» انتهى مختصراً من بدائع الفوائد (٤/١٧٠).

٣٥٥ - حدثنا صدقة بن الفضل أخبرنا ابن عيينة حدثنا زياد هو ابن علاقة أنه سمع المغيرة يقول قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه فقيل له: غفر الله لك ماتقدم من ذنبك و ما تأخر قال (افلا أكون عبداً شكوراً).

٣٥٦ - حدثنا الحسن بن عبد العزيز حدثنا عبد الله بن يحيى أخبرنا حيوة عن أبي الأسود سمع عروة عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله؟، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً فلما كثر لحمه ﷺ صلى جالساً، فإذا أراد أن يركع، قام فقرأ ثم ركع.

ش: فيهما خمس مسائل:

الأولى:قوله «**قام النبي ﷺ**» في التهجد باب قيام النبي ﷺ الليل من رواية مسعر (إن كان ليقوم أو ليصلي) وفي حديث عائشة بعده (أن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل) وعند النسائي في تفسير الآية برواية أبي عوانة (أن النبي ﷺ صلى)

الثانية: قوله «**حتى تورمت قدماه**» في رواية مسعر (حتى ترم قدماه أو ساقاه) وفي حديث عائشة (حتى تتفطر قدماه) وعند النسائي (حتى انتفخت قدماه) وليس بين هذه الروايات اختلاف فإنه إذا حصل الورم والإنتفاخ حصل التفطر.

الثالثة: قوله «**فقيل له غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر**» في التهجد (فيقال له) وفي حديث عائشة (فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله

وقد غفر ا لله لك ما تقدم من ذنبك وما تـأخر) وعنـد النسـائي (فقيـل: أتتكلـف هذا وقد غفر ا لله لك...الخ)

قال الحافظ: «وفي حديث أبي هريرة عند البزار (فقيـل لـه تفعـل هـذا وقـد جاءك من ا لله أن قد غفر لك)».اهـ.

و لم أقف على السائل في حديث المغيرة فيحتمل أنـه هـو ويحتمـل أنه غـيره ومرادهم الإشارة إلى قوله تعالى ﴿**ليغفر لك ا لله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾.

قال ابن كثير(١٩٨/٤): «هـذا مـن خصائصـه ﷺ الـتي لا يشـاركه فيهـا غيره...وهذا فيه تشـريف عظيـم لرسـول ا للهﷺ وهـوﷺ في جميـع أمـوره علـى الطاعة والبر والإستقامة التي لم ينلها بشر سواه لا مـن الأولـين ولا مـن الأخريـن وهو ﷺ أكمل البشر على الإطلاق وسيدهم في الدنيا والأخرة ولما كـان أطـوع خلق ا لله تعالى وأشدهم تعظيماً لأوامره ونواهيه قال حين بركت به الناقة حبسها حابس الفيل».اهـ محل الغرض مع الإختصار.

الرابعة: قوله «**أفلا أكون عبداً شكوراً**» في حديث عائشة (أفـلا أحـب أن أكون..) والفاء في قوله (أفلا أكون) للسببية وهـي عـن محـذوف تقديـره: أأتـرك تهجدي فلا أكون عبداً شكوراً) والمعنى أن المغفرة سـبب لكـون التهجـد شـكراً فكيف أتركه.

قال ابن بطال: «في هذا الحديث أخذ الإنسان على نفسه بالشدة في العبـادة وإن أضر ذلك ببدنه لأنه ﷺ إذا فعل ذلك مع علمه بمـا سـبق لـه فكيـف بمـن لم يعلم بذلك فضلاً عمن لم يأمن أنه استحق النار انتهـى حكـاه الحـافظ في التهجـد ج٣ص١٥ ثـم تعقبـه بقولـه: ومحـل ذلـك مـا إذا لم يفـض إلى المـلال، لأن حـال النبي ﷺ كانت أكمل الأحوال فكان لا يمل من عبادة ربه وإن أضر ذلك ببدنـه، بل صح أنه قال (وجعلت قرة عيني في الصلاة) كما أخرجه النسائي مـن حديـث أنس،فأما غيره ﷺ فإذا خشي الملل لا ينبغي له أن يكره نفسه».اهـ

قال مقيده: وعليه يحمل حديث عائشة أن النبيﷺ دخل عليها وعندها امرأة قال: من هذه فقالت: له هذه فلانة تذكر من صلاتها قال: مه عليكم بما تطيقون فوا لله لا يمل ا لله حتى تملوا)وكان أحب الدين إليه ما داوم صاحبه عليه) متفق عليه.

الخامسة: قوله «**فلما كثر لحمه ﷺ صلى جالساً فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع**»وعند المصنف في باب إذا صلى قاعداً ثم صح من كتاب تقصير الصلاة برواية هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة (أنها لم تر رسول ا للهﷺ يصلي صلاة الليل قاعداً قط حتى أسن فكان يقرأ قاعداً حتى إذا أراد أن يركع قام فقرأ نحواً من ثلاثين آية أو أربعين آية ثم ركع) ودل حديث عائشة على جواز القعود في أثناء صلاة النافلة لمن افتتحها قائماً كما يباح له أن يفتتحها قاعداً ثم يقوم إذ لا فرق بين الحالتين. حكاه الحافظ في شرحه لباب إذا صلى قاعداً.

وقال ابن قدامة (١/٨١٢): «لا نعلم خلافاً في إباحة التطوع جالساً وأنه في القيام أفضل وقد قال النبيﷺ: (من صلى قائماً فهو أفضل ومن صلى قاعداً فله نصف أجر القائم) متفق عليه، وفي لفظ لمسلم (صلاة الرجل قاعداً نصف الصلاة)... ولأن كثيراً من الناس يشق عليه طول القيام فلو وجب في التطوع لترك أكثره فسامح الشارع في ترك القيام فيه ترغيباً في تكثيره كما سامح في فعله على الراحلة في السفر وسامح في نية صوم التطوع من النهار».اهـ

٣٢٥ - [باب ﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾]

ش: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ **﴿إنا أرسلناك﴾** يامحمد **﴿شاهداً﴾** على أمتك بما أجابوك فيما دعوتهم إليه، مما أرسلتك به إليهم من الرسالة، **﴿ومبشراً﴾** لهم بالجنة إن أجابوك إلى ما دعوتهم إليه من الدين القيم، **﴿ونذيراً﴾** لهم عذاب الله إن هم تولوا عما جئتهم به من عند ربك.

٣٥٧ - حدثنا عبد الله بن مسلمة ثنا عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال بن أبي هلال عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن هذه الآية التي في القرآن ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾ قال: في التوراة يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح بها أعيناً عمياً، وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً).

ش: فيه عشر مسائل:

الأولى: قوله «**إن هذه الآية التي في القرآن ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾**» هذا هو وجه الشاهد من الحديث وقد شرح أول الباب وقد وقع سبب تحديث عبدالله بن عمرو بهذا الحديث في البيوع باب كراهية السخب في السوق برواية فليح عن هلال عن عطاء بن يسار قال لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة قال أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي...الخ فذكره.

الثانية: قوله «**حرزاً للأميين**» بكسر المهملة أي حافظاً وأصل الحرز الموضع الحصين والأميون هم العرب قلت وفي الكتاب الكريم **﴿هو الذي بعث في**

الأمين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتـه ويزكيهـم ويعلمهـم الكتـاب والحكمـة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾.

قال ابن كثير: «وهذه الآية هي مصداق إجابة الله لخليله إبراهيم حين دعـا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتـه ويزكيهـم ويعلمهـم الكتاب والحكمة فبعثه الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنـة علـى حين فـترة من الرسل وطموس من السبل وقد اشتدت الحاجة إليـه وقـد مقـت الله أهـل الأرض عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب أي نزراً يسيراً ممن تمسك بما بعث الله به عيسى بن مريم عليه السلام ولهذا قـال تعـالى: **﴿هـو الـذي بعـث في الأميـين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كـانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾**، وذلك أن العرب كانوا قديماً متمسكين بدين إبراهيم الخليل عليه السلام فبدلوه وغـيروه وقلبـوه وخـالفوه واستبدلوا بـالتوحيد شـركاً وباليقين شكاً وابتدعوا أشياء لم يأذن بهـا الله وكذلـك أهـل الكتـاب قـد بدلـوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأولوها فبعث الله محمداً ﷺ بشـرع عظيـم كـامل شامل لجميع الخلق فيه هدايتهم. والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمـر معاشـهم ومعادهم والدعوة لهـم إلى مـا يقربهـم إلى الجنـة ورضـى الله عنهـم والنهـي عمـا يقربهم إلى النار وسخط الله تعـالى حـاكم وفـاصل لجميـع الشبهات والشـكوك والريب في الأصول والفروع».اهـ

قلت: فأعظم به من حرز ينصـر بـه هـؤلاء بعـد العمـى ويخرجـون بـه مـن الظلمات إلى النور ومن الضلالة إلى الهدى ومن الكفر والشـرك بـالله إلى الإيمـان والتوحيد فصاروا أقوياء بعد ضعف وأعزة بعد ذل فلله الحمـد علـى ماأسبغ مـن نعمه.

الثالثة: قوله «**أنت عبدي ورسولي**» أخرج الدارمي في باب صفة النبي ﷺ في الكتب قبل مبعثه من المقدمة عن ذكوان عن كعب قال في السطر الأول: (محمد رسول الله عبدي المختار).

قلت: فيه الرد على أهل الجفاء والغلو فيه وبيان ما أنزله الله عليه وأنه العبودية والرساله فهو عبد لا يعبد ورسول لا يكذب بل يطاع ويتبع.

الرابعة: قوله «**سميتك المتوكل**» يعني متوكل على الله في جلب النفع وكشف الضر وهذه حقيقة التوكل فإن معناه لغة التفويض وشرعاً: اعتماد القلب على الله في جلب النفع وكشف الضر ولا ينافي الأخذ بالأسباب المشروعة وكان هذا دأبه ﷺ فمما صح عنه أنه إذا أراد غزوة ورى بغيرها ليعمي على الأعداء وكان يعزل نفقة أهله السنة والسنتين مما أفاء الله عليه وفي ذلك أسوة حسنة للمستبصرين وفي مرسل جبير بن نفير الحضرمي (ليس بوهن ولا كسل) أخرجه الدارمي في المقدمة وصححه الحافظ.

الخامسة: قوله «**ليس بفظ ولا غليظ**» وهذا موافق لقوله تعالى من سورة آل عمران ﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فضاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك**﴾ فالشاهد منها ﴿**ولو كنت فضاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك**﴾ قال ابن كثير: «والفظ الغليظ المراد به ها هنا غليظ الكلام لقوله بعد ذلك ﴿**غليظ القلب**﴾ أي لو كنت سيئ الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك وألان جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم».ا.هـ

فإن قلت كيف التوفيق بين هذا وبين ما أمره الله به من الإغلاظ مثل قوله تعالى ﴿**يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم**﴾ قلنا ليس بينهما تعارض و لله الحمد لأن النفي في حديث الباب وآية آل عمران محمول على طبعه الذي جبل عليه والأمر بالإغلاظ في هذه الآية ونحوها محمول على المعالجة والنفي بالنسبة للمؤمنين والأمر بالنسبة للكفار والمنافقين كما هو ظاهر آية التحريم.

تنبيه

قال (ليس بفظ ولا غليظ) فلو كان على النسق الأول لقال لست قال أهل العلم هذا إلتفات من الخطاب إلى الغيبة وهو تعبير سائغ فصيح.

السادسة: قوله «**ليس بسخاب في الأسواق**» في البيوع (ولا سخاب) وعند الدارمي (ولا صخاب) وفي المصباح: «صخب صخباً من باب تعب ورجل صخب وصاخب وصخاب وصخبان أي كثير اللغَط والجلبه والمرأة صخبى وبالهاء في الثاني وإبدال الصاد سيناً لغة وسمعت اصطخاب الطير أي أصواتها»ا.هـ

وفيه الدليل على أنه يجوز للإمام الأعظم دخول الأسواق إذا تجنب الصخب.

السابعة: قوله «**ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح**» في البيوع (ولكن يعفو ويغفر) وفي حديث أبن سلام عند الدارمي (ولكن يعفو ويتجاوز) وعنده من حديث ابن عباس (ولا يكافئ السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر) قلت وقد ظهر هذا جلياً منه ﷺ غداة الفتح حين اجتمع له قريش منتظرين صنيعه فيهم وقد أظهره الله عليهم فقال لهم عليه الصلاة والسلام حين ذاك ما تظنون أني فاعل بكم قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم فقال اذهبوا فأنتم الطلقاء فكافئهم بالعفو عنهم مع قدرته على عقوبتهم وهذا هو غاية الصفح والمغفرة ودفع السيئة بالحسنة.

الثامنة: قوله «**ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله**» وعند الدارمي في حديث ابن سلام (ولن أقبضه حتى نقيم الملة المتعوجة بأن تشهد أن لا إله إلا الله) والمعنى ولن يقبضه أي يميته حتى يقيم به أي حتى ينفي الشرك ويثبت التوحيد والملة العوجاء ملة الكفرومعنى لا إله إلا الله اختصاراً لا معبود بحق إلا الله وبسطاً لا إله نافياً ما يعبد من دون الله وإلا الله مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه.

التاسعة: قوله «فيفتح بها أعيناً عمياً» وفي حديث ابن سلام (فيفتح به أعيناً عمياً) والمعنى على رواية الباب يعني بكلمة التوحيد فمرجع الضمير إليها والمعنى على حديث ابن سلام فالمعني به الرسول ﷺ ولا منافاة بين المعنيين فإن فيه تحقيق الشهادتين فهما متلازمتان لا تنفك إحداهما عن الأخرى فشهادة أن لا إله إلا الله بها تجريد الإخلاص لله وحده وشهادة أن محمد رسول الله بها تجريد المتابعة للنبي ﷺ.

العاشرة: قوله «وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً» وفي رواية جبير بن نفير (ليختن قلوباً غلفاً ويفتح أعيناً عمياً ويسمع آذاناً صماً، ويقيم السنة عوجاء حتى يقال لا إله وحده).

فائدة

زاد الدارمي في آخره من حديث كعب برواية ذكوان (مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وفي السطر الثاني محمد رسول الله، أمته الحمادون يحمدون الله في السراء والضراء يحمدون الله في كل منزلة.

قال مقيده: وما أفادته زيادة حديث ابن سلام أعني قوله (وملكه في الشام هو بعض ما وعد به رسول الله ﷺ من اتساع رقعة الإسلام ومصداق ذلك فيما رواه مسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض..الحديث).

قال القرطبي: «يعني بهما كنز كسرى وهو ملك الفرس وكنز قيصر وهو ملك الروم وقصورهما وبلادهما وقد دل على ذلك قوله عليه السلام حين أخبر عن هلاكهما (والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله) وعبر بالأحمر عن كنز قيصر لأن الغالب عندهم كان الذهب، وبالأبيض عن كنز كسرى لأن الغالب عندهم كان الجوهر والفضة، وقد ظهر ذلك ووجد كذلك في زمان

الفتوح في إمارة عمر رضي الله عنه، فإنه سيق إليه تاج كسرى وحليته، وما كان في بيوت أمواله وجميع ما حوته مملكته على سعتها وعظمتها، وكذلك فعل الله بقيصر لما فتحت بلاده» .اهـ

قلت: فملك قيصر كان في الشام.

من فقه الحديث غير ما تقدم

أولاً: فيه أكبر الحجج وأعظمها بالزام اليهود بالإيمان بمحمد ﷺ وذلك لوجود صفته في كتابهم.

ثانياً: أن أصل الدين وأساسه التوحيد.

ثالثاً: عموم رسالة النبي ﷺ.

٣٢٦ - [باب ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين﴾]

ش: تمامها: **﴿ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم، و لله جنود السموات والأرض، وكان ا لله عليماً حكيماً﴾**

يقول تعالى **﴿هو الذي أنزل السكينة﴾** أي جعل الطمأنينة قاله ابن عباس رضي ا لله عنهما وعنه الرحمة وقال قتادة الوقار في قلوب المؤمنين وهم الصحابة رضي ا لله عنهم يوم الحديبية الذين استجابوا لله ولرسوله، وانقادوا لحكم ا لله ورسوله فلما اطمأنت قلوبهم بذلك واستقرت زادهم إيماناً مع إيمانهم، وقد استدل بها البخاري وغيره من الأئمة على تفاضل الإيمان في القلوب ثم ذكر تعالى أنه لو شاء لا نتصر من الكافرين فقال سبحانه وتعالى **﴿و لله جنود السموات والأرض﴾** أي ولو أرسل عليهم ملكاً واحداً لأباد خضراءهم ولكنه تعالى شرع لعباده المؤمنين الجهاد والقتال لما له في ذلك من الحكمة البالغة والحجة القاطعة والبراهين الدامغة.

وقوله «**وكان ا لله عليماً حكيماً**» يعني و لم يزل ا لله ذا علم بما هو كائن قبل كونه، و ما خلقه عاملوه حكيماً في تدبيره.

٣٥٨ - حدثنا عبيد ا لله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء رضي ا لله عنه قال: بينما رجل من أصحاب النبي ﷺ يقرأ وفرس له مربوط في الدار، فجعل ينفر، فخرج الرجل فنظر فلم ير شيئاً وجعل ينفر فلما أصبح ذكرذلك للنبي ﷺ فقال (السكينة تنزلت بالقرآن).

ش: فيه ست مسائل:

الأولى: قوله «**بينما رجل من أصحاب النبي ﷺ يقرأ**» في المناقب باب علامات النبوة في الإسلام، برواية زهير (كان رجل يقرأ سورة الكهف) وعند المصنف في باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن من الفضائل عن أسيد قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة) وعند مسلم في باب نزول السكينة

لقراءة القرآن من كتاب صلاة المسافرين عن أبي سعيد الخدري أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده) وعند أبي داود من طريق مرسلة قال قيل للنبي ﷺ ألم تر ثابت بن قيس لم تزل داره البارحة تزهر بمصابيح، قال فلعله قرأ سورة البقرة فسئل قال قرأت سورة البقرة) فلا تعارض لجواز تعدد القصة.

الثانية: قوله «**وفرس له مربوط في الدار**» في المناقب (وفي الدار الدابة) وفي الفضائل (وإلى جنبه حصان مربوط بشطنين) وفي حديث أسيد عند المصنف (وفرسه مربوط عنده) قلت والشطنين مفرده شطن وهو الحبل وكأنه كان شديد الصعوبة.

الثالثة: قوله «**فجعل ينفر**» في المناقب (فجعلت تنفر) وفي الفضائل (فتغشته سحابة فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر) وفي حديث أسيد (إذ جالت الفرس فسكت فسكنت فقرأ فجالت الفرس فسكت وسكنت الفرس ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف).

الرابعة: قوله «**فخرج الرجل فنظر فلم ير شيئاً وجعل ينفر**» وفي المناقب (فسلم فإذا ضبابة أو سحابة غشيته **قلت**: فكأن التقدير خرج فنظر فسلم فلم ير شيئاً.

الخامسة: قوله «**فلما أصبح ذكر ذلك للنبي ﷺ** » في الفضائل فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له) وفي حديث أسيد (فلما أصبح حدث النبي ﷺ).

السادسة: قوله «**السكينة تنزلت بالقرآن**» في المناقب (فقال اقرأ فلان، فإنه السكينة نزلت للقرآن أو تنزلت للقرآن) وفي الفضائل (تلك السكينة تنزلت بالقرآن) وفي حديث أسيد (اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير اقرأ يا ابن حضير) وعند مسلم (فقال رسول الله ﷺ اقرأ ابن حضير قال فقرأت ثم جالت أيضاً فقال رسول الله ﷺ اقرأ ابن حضير فانصرفت وكان يحيى قريباً منها فخشيت أن تطأه فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما

أراها فقال رسول ا لله ﷺ تلك الملائكة كانت تستمع لك ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم).

تنبيه

إختلف أهل العلم في معنى السكينة على ثمانية أقوال:

احدها: أنها ريح هفافه لها وجه كوجه الإنسان وهو قول علي بن أبي طالب.

ثانيها: أن لها رأس كرأس الهرة وجناحان وبه قال مجاهد.

ثالثها: أنه رأس هرة ميتة وهو قول وهب بن منبه.

رابعها: أنه طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الأنبياء وبه قال ابن عباس والسدي.

خامسها: أنه روح من ا لله يتكلم وهو قول وهب بن منبه في الرواية الثانية عنه.

سادسها: أنها ما يعرفون من الأيات فيسكنون إليه وبه قال عطاء بن أبي رباح.

سابعها: أنها الرحمة وهو قول الربيع.

ثامنها: أنها الوقار وهو قول قتادة.

أخرجها جميعها ابن جرير في (٦١٣/٢) عند قوله تعالى ﴿**إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم**﴾ وإختار قول عطاء.

وقال الحافظ (٥٨/٩): والذي يظهر أنها مقوله بالإشتراك على هذه المعاني فيحمل كل موضع وردت فيه على ما يليق به.

قلت: والمراد بها في حديث الباب الملائكة كما صرح به في حديث اسيد.

من فقه الحديث

أولاً: فضيلة ذلك القارئ سواء كان أسيداً أو غيره.

ثانياً: الرجوع إلى أهل العلم والفضل عند حصول الأمور المستغربة للإستئناس برأيهم.

ثالثاً: في الحديث دليل على ثبوت الكرامة وهي ما يجريه الله سبحانه وتعالى على أيدي أهل التقوى والصلاح من خوارق العادات، قال الطحاوي: ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم) **قلت**:وهذا يعني أنها لا تثبت إلا بشرطين:

أحدهما: صحة الرواية عمن جرت له الكرامة.

ثانيهما: أنه من أهل التقوى والصلاح.

وهذا ثابت عند أهل السنة والجماعة واعلم أن مذاهب الناس في الكرامة ثلاثة:

أحدها: من ينفيها من المبتدعة كالمعتزلة والجهمية وبعض الأشاعرة وشبهتهم أن الخوارق لو جاز ظهورها على أيدي الأولياء للتبس النبي بغيره إذ الفرق بين النبي وغيره هو المعجزة التي هي خرق العادة.

ثانيها: من يغلو في إثباتها من أصحاب الطرق الصوفية والقبوريين الذين يدجلون على الناس ويأتون بخوارق شيطانية كدخول النار وضرب أنفسهم بالسلاح وإمساك الثعابين وغير ذلك.

وثالثها: من يثبتها بشروطها كما تقدم وهم أهل السنة والجماعة.

٣٢٧ - [باب ﴿إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾]

ش: قلت الآية: **﴿لقد رضي ا لله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً﴾**.

يخبر تعالى عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسول ا لله ﷺ تحت الشجرة وقد كانوا ألفاً وأربعمائة وأن الشجرة كانت سمرة بأرض الحديبية.

وقوله تعالى **﴿فعلم ما في قلوبهم﴾** أي من الصدق والوفاء والسمع والطاعة **﴿فأنزل السكينة﴾** وهي الطمأنينة **﴿عليهم وأثابهم فتحاً قريباً﴾** وهو ما أجرى ا لله عز وجل على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم و ما حصل بذلك من الخير العام والمستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة في الدنيا والأخرة.

٣٥٩ - حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا سفيان عن عمرو عن جابر قال: كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة.

٣٦٠ - حدثنا علي بن عبد ا لله حدثنا شبابة حدثنا شعبة عن قتادة قال: سمعت عقبةبن صهبان[1] عن عبد ا لله بن مغفل المزني : إني ممن شهد الشجرة نهى النبي ﷺ عن الخذف.

وعن عقبة بن صهبان قال سمعت عبد ا لله بن المغفل المزني في البول في المغتسل.

٣٦١ - ثني محمد بن الوليد[2] حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن خالد عن أبي قلابة عن ثابت بن الضحاك[3] رضي ا لله عنه وكان من أصحاب الشجرة.

---

(١) عقبة بن صهبان بضم المهملةالأزدي بصري ثقة من الثالثة مات بعد السبعين خ، م، د،ق.

(٢) محمد بن الوليد بن عبد الحميد القرشي البسري البصري يلقب حمدان ثقة من العاشرة مات سنة خمسين [ومائتين] أو بعدها خ، م، س، ق.

٣٦٢ - ثناأحمد بن إسحاق السلمي[1] ثنا يعلى حدثنا عبد العزيز بن سياه[2] عن حبيب بن أبي ثابت قال: أتيت أبا وائل أسأله : كنا بصفّين ، فقال رجلٌ : ﴿ ألم تر إلى الذين يُدعَون إلى كتاب الله ﴾ فقال علي: نعم فقال سهل بن حنيف: اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية يعني الصلح الذي كان بين النبي ﷺ والمشركين ولو نرى قتالاً لقاتلنا فجاء عمر فقال: ألسنا على الحق وهم على الباطل أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال بلى قال ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا؟ فقال: يا ابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً) فرجع متغيظاً فلم يصبر حتى جاء أبا بكر فقال: يا أبا بكر ألسنا على الحق وهم على الباطل قال يا ابن الخطاب إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبداً فنزلت سورة الفتح).

ش: فيها إحدى عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة**» في المغازي باب غزوة الحديبية عن البراء قال: «كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة..الحديث».

قلت: وبه قال سعيد بن المسيب وهو أحد أقوال ثلاثة حكاها ابن جرير في تفسير الآية.

ثانيها: أنهم ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون وهو قول ابن عباس وقتادة ويؤيده ما رواه البخاري في المغازي وله قصة برواية سالم بن أبي الجعد عن جابر قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ فجهش الناس

---

(٣) ثابت بن الضحاك بن خليفة الأشهلي صحابي مشهور روى عنه أبو قلابة مات سنة أربع وستين، ع.

(١) هو أبو إسحاق أحمد بن إسحاق بن الحصين بن جابر السلمي السرماري صدوق من الحادية عشرة مات سنة إثنتين وأربعين [ومائتين] خ.

(٢) هو عبد العزيز بن سياه بكسر المهملة الأسدي الكوفي صدوق يتشيع من السابعة خ، م، ت، س، ق.

نحوه فقال: مالكم قالوا ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا **قلت**: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة.

وثالثها: أنهم ألف وثلاثمائة وبه قال عبدا لله بن أبي أوفى وحديث الباب شاهد للأول وبه جاءت أكثر الروايات عن جابر فيما وقفت عليه.

الثانية: قوله «**إني ممن شهد الشجرة**» هذا هو وجه الشاهد من الحديث للترجمة.

الثالثة: قوله «**نهى النبي ﷺ عن الخذف**» والخذف هو الرمي بالحصى بالأصابع، **قلت**: لهذا قصة أخرجها المصنف في باب الخذف والبندقة من كتاب الذبائح والصيد ومسلم في باب إباحة ما يستعان به على الإصطياد وكراهة الخذف في كتاب الصيد والذبائح كلاهما عن عبد الله بن بريدة واللفظ لمسلم قال رأى عبد الله بن المغفل رجلاً من أصحابه يخذف فقال له لا تخذف فإن رسول الله ﷺ كان يكره أو قال نهى عن الخذف فإنه لا يصطاد به الصيد ولا ينكأ به العدو ولكنه يكسر السن ويفقأ العين ثم رآه بعد ذلك يخذف فقال له أخبرك أن رسول الله ﷺ كان يكره أو ينهى عن الخذف ثم أراك تخذف لا أكلمك كلمة كذا وكذا) وأخرج مسلم نحو هذه برواية سعيد بن جبير عن ابن المغفل إلا أنه قال قريباً لعبد الله بن المغفل بدل رجلاً من أصحابه.

قال مقيده: فيه التعنيف على من أظهر مخالفة السنة وإن كان من الأقربين والرد على من زعم أن الإنكار للبدعة لا على المبتدع إلا إذا كانت البدعة مكفرة **قلت**: وهذا الصنيع من عبد الله بن مغفل رضي الله عنه لم يكن متفرداً به بل هو متواتر عن أصحاب النبيﷺ، ففي الصحيحين عن معاذة بنت عبد الله العدوية قالت: قلت لعائشة ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة فقالت: عائشة أحرورية أنت قالت لست حرورية ولكن أسأل) وسر استنكار عائشة

على معاذة هذا السؤال لأن مذهب الخوارج أمر الحائض بقضاء الصلاة كالصيام وفيهما عن جابر رضي الله عنه أنه كان عنده قوم فسألوه عن الغسل فقال يكفيك صاع فقال رجل ما يكفيني فقال جابر كان يكفي من هو أوفى منك شعراً وخيراً منك... الحديث) والمقصود دحض هذه الشبهه وبيان مخالفتها منهج السلف الصالح.

الرابعة: قوله «**في البول في المغتسل**» كذا للأكثر وزاد في رواية الأصيلي وكذا لأبي ذر عن السرخسي (يأخذ منه الوسواس) وهذان الحديثان المرفوع والموقوف الذي عقبه به لا تعلق لهما بتفسير هذه الآية بل ولا هذه السورة، وإنما أورد الأول لقول الراوي فيه(ممن شهد الشجرة) فهذا القدر هو المتعلق بالترجمة، ومثله ما ذكره بعده عن ثابت بن الضحاك وذكر المتن بطريق التبع لا القصد وأما الحديث الثاني فأورده لبيان التصريح بسماع عقبة بن صهبان من عبد الله بن مغفل وهذا من صنيعه في غاية الدقة وحسن التصرف).

وذكره الحافظ في شرحه هنا: فلله دره ما أبدع هذه النكته.

قلت: وقول المصنف «**في البول في المغتسل**» يشير به إلى ما رواه الحاكم في كتاب الطهارة من مستدركه من طريق يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبةعن قتادة عن عقبة بن صهبان عن عبد الله بن المغفل قال: (نهى أو زجر أن يبال في المغتسل) وأخرجه أيضاً أبو نعيم في المستخرج من الطريق كما قال الحافظ.

الخامسة: قوله «**عن ثابت بن الضحاك وكان من أصحاب الشجرة**» هكذا ذكرالقدر الذي يحتاج إليه من هذا الحديث و لم يسع المتن، ويستفاد من ذلك أنه لم يجر على نسق واحد في إيراد الأشياء التبعية بل تارة يقتصر على موضع الحاجة من الحديث وتارة يسوقه بتمامه، فكأنه يقصد التفنن بذلك.قاله الحافظ.

وحديثه في المغازي من طريق يحيى عن أبي قلابة أن ثابت بن الضحاك أخبره أنه بايع النبي ﷺ تحت الشجرة.

السادسة: قوله «**أتيت أبا وائل أسأله**» القائل هو حبيب بن أبي ثابت وأبو وائل هو شقيق بن سلمة وقد تقدم ترجمة كل منهما و لم يبين هنا المسؤل عنه ولا مكان السؤال وبينه أحمد في المسند (٤٨٥/٣) في روايته عن يعلى بن عبيد ولفظه (أتيت أباوائل في مسجد أهله أسأله عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي بالنهروان فيما استجابوا له وفيما فارقوه وفيما استحل قتالهم قال: كنا بصفين...الحديث).

السابعة: قوله«**فقال رجل ألم تر إلى الذين يدعوه إلى كتاب الله فقال علي نعم**» وعند أحمد (فلما استحر القتل بأهل الشام اعتصموا بتل فقال عمرو بن العاص لمعاوية أرسل إلى علي بمصحف وادعه إلى كتاب الله فإنه لن يأبى عليك فجاء به رجل فقال بيننا وبينكم كتاب الله ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون فقال علي نعم أنا أولى بذلك بيننا وبينكم كتاب الله فجاءته الخوارج ونحن ندعوهم يؤمئذ القراء وسيوفهم على عواتقهم فقالوا يا أمير المؤمنين ما ننتظر بهؤلاء القوم الذين على التل ألا نمشي إليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم فتكلم سهل بن حنيف...الحديث).

تنبيه

اعلم هديت صواب الأقوال وسددت في الأعمال أن كلاً من علي ومعاوية رضي الله عنهما له من رفيع المنزلة وشريف الصحبة وجم الفضائل ما يوجب على أهل الإيمان المنصفين حفظ كرامته وصيانة عرضه لكن أهل الأهواء من الروافض والنواصب قد استغلو ما شجر بينهما وأمثالهما من الفتن فجعلوه سيفاً مسلولاً على هذين الرجليين وأمثالهما من أصحاب النبي ﷺ فلاتغتر بنهج النواصب فتقع في علي وآل البيت ولا تغتر بمسلك الروافض فتقع في سائر

أصحاب النبي ﷺ مثل معاوية وإليك خلاصة معتقد أهل السنة والجماعة في أصحاب النبي ﷺ وما شجر بينهم.

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى لابن قاسم (٣/١٥٤):

«ويتبرءون من طريق الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه والصحيح منه هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم ولأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ (أنهم خير القرون) (وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم) ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين إن اصابوا فلهم أجران وإن أخطأو فلهم أجر واحد والخطأ مغفور لهم ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر، مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله به عليهم من الفضائل علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم وأنهم هم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله تعالى». اهـ

الثامنة: قوله «**فقال سهل بن حنيف: اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية**» يعني الصلح الذي كان بين النبي ﷺ والمشركين ولو نرى قتالاً لقاتلنا يشير بقوله اتهمو أنفسكم أي في هذا الرأي لأن كثيراً منهم أنكروا التحكيم وقالوا لا حكم إلا لله فقال علي كلمة حق أريد بها باطل وأشار عليهم كبار الصحابة بمطاوعة علي وأن لا يخالف ما يشير به لكونه أعلم بالمصلحة وذكر لهم سهل بن حنيف ما وقع لهم بالحديبية وأنهم رأوا يومئذ أن يستمروا ويخالفوا ما دعوا إليه من الصلح ثم ظهر أن الأصلح هو الذي كان شرع النبي ﷺ فيه.

التاسعة: قوله «**فجاء عمر فقال ألسنا على الحق وهم على الباطل أليس قتلانا في الجنة... إلى قوله ولن يضيعني الله أبداً**» وعند المصنف في باب الشروط في الجهاد من كتاب الشروط من حديث المسور بن مخرمة أن عمر قال: ألست نبي الله حقاً قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال: بلى، **قلت**: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري، **قلت**: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قال قلت لا قال فإنك آتيه ومطوف به) وأخرج البزار من حديث عمر نفسه مختصراً ولفظه فقال عمر: اتهموا الرأي على الدين فقد رأيتني أرد أمر رسول الله ﷺ برأي وما ألوت عن الحق) وفيه فقال فرضي رسول الله ﷺ وأبيت حتى قال لي: يا عمر تراني رضيت وتأبى).

العاشرة: قوله «**يا ابن الخطاب إنه رسول الله ﷺ ولن يضيعه أبداً**» وفي حديث المسور (قال: أيها الرجل إنه لرسول الله ﷺ وليس يعصي ربه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق) قال العلماء لم يكن سؤال عمر رضي الله عنه وكلامه المذكور شكاً بل طلباً لكشف ما خفي عليه وحثاً على إذلال الكفار وظهور الإسلام كما عرف من خلقه رضي الله عنه وقوته في نصرة الدين وإذلال المبطلين وأما جواب أبي بكر رضي الله عنه لعمر بمثل جواب

النبي ﷺ فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضله وبارع علمه وزيادة عرفانه ورسوخه في كل ذلك وزيادته فيه كله على غيره رضي الله عنه حكاه النووي (١٤١/١٢).

الحادية عشرة: قوله (**فنزلت سورة الفتح**) ظاهره يخالف ما قدمناه في المسألة الثانية من الحديث الثاني والخمسين بعد الثلا ثمائة من حديث ابن مسعود وأنس أن نزول هذه السورة بعد رجوع النبي ﷺ من الحديبية والحق أنه لا منافاة بين الحديثين لإمكان نزول السورة مرتين:

أحدهما: في الحديبية.

والآخرى: بعد منصرفه ﷺ منها ونظائر هذا كثير.

من فقه الأحاديث

اولاً: فضيلة جابر رضي الله عنه.

ثانياً: فضيلة عبدالله بن مغفل المزني.

ثالثاً: فضيلة ثابت بن الضحاك.

رابعاً: يسوغ للإمام قبول الصلح من خصمه ولو كان ظاهراً عليهم.

خامساً: حرص السلف على تذكير الناس بالسنة في الأمور المشكلة كما صنع سهل بن حنيف.

سادساً: يستفاد من صنيع أبي بكر مع عمر الحرص على معاونة الإمام والوقوف معه لجمع الكلمة.

سابعاً: جواز الصلح مع الكفار ولو كانت الغلبة لأهل الإسلام كما يفيده صنيع النبي ﷺ مع قريش يوم الحديبية.

آخر تفسير سورة الفتح والحمد لله وبه تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع وأوله تفسير سورة الحجرات.

إمداد القاري

بشرح كتاب التفسير من

صحيح البخاري

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري

المدرس بالجامعة الإسلامية سابقاً

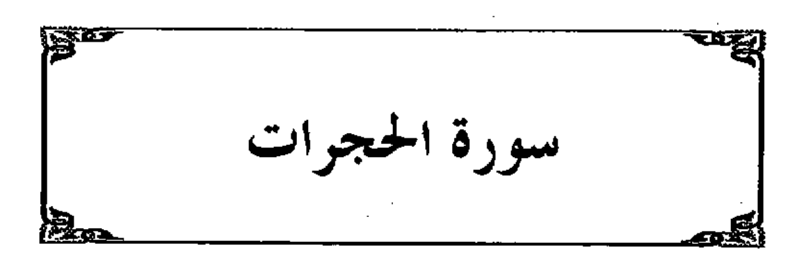
الجزء الرابع

مكتبة الفرقان

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م



مكتبة الفرقان
تليفون: ٧٤٤٤٤٣٥-٠٦ - فاكس: ٧٤٢٤٠٩٤-٠٦
ص.ب: ٢٠٢٨٨ - عجمان - إ.ع.م
E-mail Furqan 1 @ emirates. net. a e



٣٢٨ - سورة الحجرات بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿**إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون**﴾.

وهي مدنية بالإجماع قاله القرطبي.

وآياتها ثماني عشرة.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**وقال مجاهد: ﴿لاتقدموا﴾ لاتفتاتوا على رسول الله ﷺ حتى يقضي الله على لسانه**].

ش: أخرجه ابن جرير قال ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرج المعنى عن قتادة والحسن والضحاك وابن زيد وسفيان.

والآية المشار إليها **﴿يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدي الله ورسوله﴾**.

٢ - [**﴿إمتحن﴾ أخلص**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله، وأخرج المعنى عن قتادة.

والآية المشار إليها **﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين إمتحن الله قلوبهم للتقوى﴾**.

٣ - [**﴿تنابزوا﴾ يدعى بالكفر بعد الإسلام**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله ضمن القائلين بأنه قول الرجل المسلم للرجل المسلم يا فاسق يا زان وهم عكرمة وقتادة وابن زيد وهو **أحد** أقوال ثلاثة حكاها في الآية.

وثانيها: أنه الألقاب التي يكره النبز بها الملقب وهو قول أبي جبيرة بن الضحاك.

وثالثها: أنه تسمية الرجل الرجل بالكفر بعد الإسلام وبالفسوق والأعمال القبيحة بعد التوبة، وبه قال ابن عباس والحسن.

واختار ابن جرير أنه ليس بعض هذه الأقوال أولى بالصواب من بعض.

وهذا اختيار حسن ويؤيده عموم الآية.

والآية المشار إليها ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان**﴾.

٤ - [﴿**يلتكم**﴾ **ينقصكم، ألتنا نقصنا**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وأخرج عن قتادة وابن زيد نحوه.

والآية المشار إليها ﴿**وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً**﴾.

قوله: [**ألتنا**].

أشار بها إلى الآية الحادية والعشرين من سورة الطور ومناسبته الاستشهاد.

٣٢٩ - [باب ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾]

ش: قلت: الآية ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون**﴾.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت رسول الله تتجهموه بالكلام وتغلظون له في الخطاب.

وقوله ﴿**ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض**﴾ نهي لكل واحد من الأمة أن ينادي الرسول ﷺ كما ينادي مخاطبه ممن عداه بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم ولا يناديه باسمه ، مثل يا محمد يامحمد، وهذا نظير قوله تعالى ﴿**لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً**﴾.

وقوله ﴿**أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون**﴾ أي إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك فيغضب الله تعالى لغضبه فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري.

فائدة

قال ابن القيم رحمه الله: «فإذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سبباً لحبوط أعمالهم فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياساتهم ومعارفهم على ما جاء به ورفعها عليه؟ أليس هذا أولى أن يكون محبطاً لأعمالهم؟»انتهى من إعلام الموقعين (٨٦/١).

[﴿تشعرون﴾ تعلمون، ومنه الشاعر].

ش: قاله أبو عبيدة كما حكاه الحافظ عنه.

٣٦٣ - حدثنا بسرة بن صفوان بن جميل اللخمي[١] ثنا نافع بن عمر[٢] عن ابن أبي مليكة قال كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع وأشار الأخر برجل آخر قال نافع لا احفظ اسمه فقال: أبو بكر لعمر ما أردت إلا خلافي قال ما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم..الآية﴾.

قال ابن الزبير: فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر.

٣٦٤ - حدثنا علي بن عبد الله حدثنا أزهر بن سعد[٣] أخبرنا ابن عون قال أنبأني موسى بن أنس عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ إفتقد ثابت بن قيس فقال رجل يا رسول الله أنا أعلم لك علمه فأتاه فوجده جالساً في بيته منكساً راسه فقال له: ما شأنك؟ فقال: شر، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله وهو من أهل النار، فأتي الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا فقال موسى فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال اذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة.

ش: فيهما ست عشرة مسألة:

---

(١) هو بسرة بن صفوان بن جميل اللخمي الدمشقي ثقة من صغار التاسعة مات سنة خمس عشرة ومائتين وقد جاوز السبعين،خ.

(٢) هو نافع بن عمر بن عبد الله بن جميل الجمحي المكي ثقة ثبت من كبار السابعة مات سنة تسع وستين ومائة،ع.

(٣) هو أبو بكر أزهر بن سعد السمان الباهلي بصري ثقة من التاسعة مات سنة ثلاث ومائتين وهو ابن أربع وتسعين،خ،م،د،ت،س.

الأولى: قوله «**كاد الخيران**» كذا للجميع بالمعجمة بعدها تحتانية ثقيلة وحكى بعض الشراح رواية بالمهملة وسكون الموحدة.

قلت: والخيران أي الفاعلان للخير الكثير وقوله يهلكان كذا لأبي ذر وفي رواية يهلكا بحذف النون قال ابن التين كذا وقع بغير نون وكأنه نصب بتقدير أن) انتهى قاله الحافظ.

قلت: وقد أخرجه المصنف في الإعتصام باب ما يكره من التعمق والتنازع عن وكيع عن نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة بلفظ"أن يهلكا" وهو بكسر اللام.

تنبيه

وهذا السياق صورته الإرسال ولكن ظهر في آخره أن ابن أبي مليكة حمله عن عبد الله بن الزبير حيث قال قال ابن الزبير وفي المغازي برواية ابن جريج عن ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبرهم وساق الحديث بنحوه وكذا في الباب بعد هذا صرح بالإخبار.

الثانية: قوله «**رفعا أصواتهما حين قدم عليه ركب بني تميم**» وفي الإعتصام لما قدم على النبي ﷺ وفد بني تميم) قلت وكان قدومهم سنة تسع وهي السنه المعروفة بسنة الوفود.

الثالثة: قوله «**فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس، أخي بني مجاشع وأشار الأخر برجل آخر قال نافع لا أحفظ اسمه**» وفي المغازي وفي الباب بعد هذا فقال أبو بكر امر القعقاع بن معبد بن زرارة قال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس وعند الترمذي في تفسير هذه الآية من رواية مؤمل بن إسماعيل أن الأقرع بن حابس قدم على النبي ﷺ فقال أبو بكر يا رسول الله استعمله على قومه فقال عمر: لا تستعمله يا رسول الله..الحديث) وهذا يخالف رواية ابن جريج.

قال الحافظ: وروايته أثبت من رواية مؤمل بن إسماعيل.

الرابعة: قوله «**قال أبو بكر لعمر ما أردت إلا خلافي**» وفي الإعتصام (إنما أردت خلافي) والمعنى ليس مقصودك من مشورتك إلا مخالفة قولي.

الخامسة: قوله «**فارتفعت أصواتهما**» وفي رواية ابن جريج فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما والمعنى أنهما تجادلا وتنازعا حتى ارتفعت أصواتهما من كثرة ذلك.

السادسة: قوله «**فأنزل الله ﴿يا أي ها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم ....﴾ الآية**» وفي الإعتصام (فنزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي إلى قوله عظيم﴾، وفي الباب بعده ، فنزل في ذلك ﴿ يأأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدي الله ورسوله ..﴾

قال ابن عطية (١٥/١٢٩): «الصحيح أن سبب نزول هذه الآية كلام جفاة الأعراب»

وقال الحافظ: «لا يعارض ذلك هذا الحديث فإن الذي يتعلق بقصة الشيخين في تخالفهما في التأمير هو أول السورة ﴿**لا تقدموا**﴾ ولكن لما اتصل بها قوله ﴿**لا ترفعوا**﴾ تمسك عمر منها بخفض صوته، وجفاة الأعراب الذين نزلت فيهم هم من بني تميم، والذي يختص بهم قوله ﴿**إن الذين ينادونك من وراء الحجرات**﴾» ا.هـ

السابعة: قوله «**فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه حتى يستفهمه**» في الإعتصام (إذا حدث النبي ﷺ بحديث حدثه كأخي السرار، لم يسمعه حتى يستفهمه) وقوله «**كأخي السرار**» أي كصاحب المسارة في خفض الصوت.

الثامنة: قوله «ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر» وعند الترمذي (وما ذكر ابن الزبير جده يعني أبا بكر) وأخرج الحاكم في المستدرك (٢/٤٦٢) عن أبي هريرة قال لما نزلت ﴿**إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله**﴾ قال أبو

بكر الصديق رضي ا لله عنه والذي أنزل عليك الكتاب يا رسول ا لله لا أكلمك إلا كأخي السرار حتى ألقى ا لله عز وجل).

قال الحافظ: «وأخرج ابن مردوية من طريق طارق بن شهاب عن أبي بكرقال: لما نزلت ﴿**لا ترفعوا أصواتكم**..الآية﴾ قال أبو بكر قلت يا رسول ا لله آليت أن لا أكلمك إلا كأخي السرار».اهـ

التاسعة: قوله «**إن النبي ﷺ إفتقد ثابت بن قيس**» وعند النسائي في تفسير هذه الآية قال ثابت بن قيس: أنا وا لله الذي كنت أرفع صوتي عند رسول ا لله ﷺ وإني اخشى أن يكون قد غضب ا لله علي قال فحزن واصفر ففقده النبي ﷺ فسأل عنه) وعند مسلم في الإيمان باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله من رواية ثابت البناني عن أنس (جلس ثابت بن قيس في بيته وقال أنا من أهل النار واحتبس عن النبي ﷺ) **قلت:** صاحب هذه القصة هو ثابت بن قيس بن شماس أنصاري خزرجي خطيب الأنصار من كبار الصحابة بشره النبي ﷺ بالجنة واستشهد باليمامة.

العاشرة: قوله «**فقال رجل يا رسول ا لله أنا أعلم لك علمه**» وعند مسلم (فسأل النبي ﷺ عنه سعد بن معاذ فقال (يا أبا عمرو ما شأن ثابت؟ اشتكى؟) قال سعد إنه لجاري وما علمت له شكوى) قلت وهذا مشكل لأن هذه القصة في سنة الوفود وهي السنة التاسعة وسعد بن معاذ قد توفي في عام الخندق في سنة أربع على التحقيق والجمع كما قال الحافظ رحمه ا لله: بأن الذي نزل في قصة ثابت مجرد رفع الصوت والذي نزل في قصة الأقرع أول السورة وهو قوله ﴿**لاتقدموا بين يدي ا لله ورسوله**﴾».ا.هـ **قلت:** وهذا وجيه لأن القرآن ينزل منجما.

الحادية عشرة: قوله «**فأتاه فوجده جالساً في بيته منكساً رأسه**» في الكلام محذوف تقديره فذهب فأتاه، وعند مسلم (فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ.

الثانية عشرة: قوله «**ما شأنك فقال شر**» أي مالك وما حالك ماكثاً في البيت وقول ثابت شر أي وقع لي شر.

الثالثة عشرة: قوله «كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ» كأن السياق يقتضي أن يقول كنت أرفع صوتي ولكنه ذكر ذلك بلفظ الغيبة وهذا من الإلتفات وهو سائغ في اللغة العربية.

الرابعة عشرة: قوله «**فقد حبط عمله وهو من أهل النار**» وعند مسلم فقال ثابت أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ فأنا من أهل النار) وعند النسائي (وإني أخشى أن أكون من أهل النار لأني كنت أرفع صوتي عند النبي ﷺ.

الخامسة عشرة: قوله «**فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا**» وعند مسلم (فذكرذلك سعد للنبي ﷺ).

السادسة عشرة: قوله «**فقال موسى...إلى قوله: ولكنك من أهل الجنة**» وعند مسلم (بل هو من أهل الجنة) وزاد النسائي (فكنا نراه يمشي بين أظهرنا رجل من أهل الجنة).

من فقه الحديثين

أولاً: جواز المشورة على الإمام بإختيار من يصلح للإمارة.

ثانياً: فضيلة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وذلك بمسارعتهما في إمتثال أمر الله حتى أصبحا لا يخاطبان رسول الله ﷺ إلا بشبه المسارة مبالغة في خفض الصوت تأدباً معه ﷺ.

ثالثاً: فقه ثابت بن قيس رضي الله عنه وذلك بفهمه أنه من المعنيين بالآية.

رابعاً: تفقد النبي ﷺ أصحابه في المجلس والسؤال عنهم.
خامساً: يجوز للإمام بعث رسول لإستخبار من أكثر التغيب عن حضور المجلس.
سادساً: الشهادة لثابت رضي الله عنه بأنه من أهل الجنة.

٣٣٠ - [باب ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾]

ش: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ إن الذين ينادونك يا محمد من وراء حجراتك والحجرات جمع حجرة والثلاث حجر، ثم تجمع الحجر فيقال: حجرات وحجرات وقد تجمع بعض العرب الحجر حجرات بفتح الجيم.

وقوله ﴿**أكثرهم لا يعقلون**﴾ يقول أكثرهم جهال بدين الله، واللازم لك من حقك وتعظيمك.

٣٦٥ - حدثنا الحسن بن محمد حدثنا حجاج عن ابن جريج قال أخبرني ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبرهم أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر ما أردت إلى أو إلا خلافي فقال عمر ماأردتَ خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ حتى انقضت الآية.

ش: تقدم شرحه ضمن الباب قبله وبقي فيه مسألتان:

الأولى: قوله (**القعقاع بن معبد**) هو القعقاع بن معبد بن زرارة بن عدس بن زيد بن دارم التميمي الدارمي له صحبة يلقب بتيار الفرات لسخائه ومن ولده نعيم بن القعقاع.ا.هـ من الإصابة (ج٣).

الثانية: قوله «**الأقرع بن حابس**» هو الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان التميمي المجاشعي الدارمي، قال ابن إسحاق وفد على النبي ﷺ وشهد فتح مكة وحنيناً والطائف وهو من المؤلفة قلوبهم وسمي الأقرع لقرع كان برأسه، وكان شريفاً في الجاهلية والإسلام واستعمله عبدا لله بن عامر على جيش سيره إلى خراسان فأصيب بالجوزجان هو والجيش وذلك في زمن عثمان، وقيل: قتل باليرموك.ا.هـ من الإصابة ج١ ص٥٨.

٣٣١ - [باب قوله **﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم﴾**

ش: تمامها **﴿وا لله غفور رحيم﴾**].

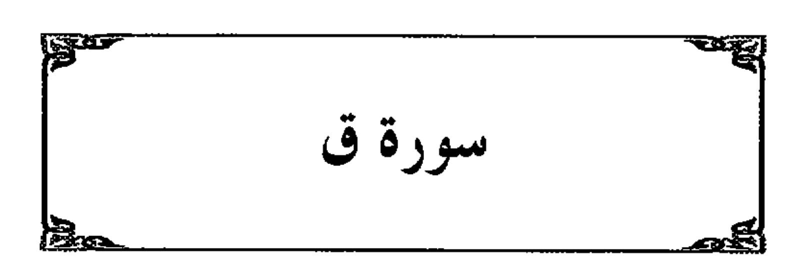
أرشد جل ثناؤه يعني المذكورين في الآية قبلهاإلى ألأدب في ذلك فقال عز وجل **﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم﴾** أي لكان لهم في ذلك الخير والمصلحة في الدنيا والأخرة.

ومعنى قوله **﴿وا لله غفور رحيم﴾** يقول تعالى ذكره ا لله ذو عفو عمن ناداك من وراء الحجاب إن هو تاب من معصية ا لله بندائك كذلك وراجع أمر ا لله في ذلك وفي غيره رحيم به أن يعاقبه على ذنبه ذلك من بعد توبته.

قلت: هذا هو الموضع السادس الذي لم يذكر المصنف فيه حديثاً.

وقد أخرج الطبري والبغوي وابن أبي عاصم في كتبهم في الصحابة من طريق موسى بن عقبة عن أبي سلمة قال (حدثني الأقرع بن حابس التميمي أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد أخرج إلينا فنزلت **﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾** الحديث وسياقه لإبن جرير، وقال ابن مندة: الصحيح عن أبي سلمة عن الأقرع مرسل، وكذا أخرجه أحمد على الوجهين وقد ساق محمد بن إسحاق قصة وفد بني تميم في ذلك مطولة بإنقطاع، وأخرجها ابن مندة في ترجمة ثابت بن قيس في المعرفة من طريق أخرى موصولة.قاله الحافظ (٥٩٢/٨).

آخر تفسير سورة الحجرات و لله الحمد والمنة.



٣٣٢ - سورة ق بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وأخرج أحمد عن عبد الله بن عبد الله أن عمر رضي الله عنه سأل أبا واقد الليثي ما كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيد؟ قال: بقاف واقتربت) ورواه مسلم وأهل السنن الأربعة من حديث مالك.

وهي مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر.

وآياتها خمس وأربعون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [﴿رجع بعيد﴾ رد].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها **﴿أءذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد﴾.**

٢ - [﴿فروج﴾ فتوق واحدها فرج].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وفتق.

والآية المشار إليها **﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها و ما لها من فروج﴾.**

٣ - [﴿من حبل الوريد﴾ وريداه في حلقه، والحبل حبل العاتق].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: قال الشاعر: كأن وريديه رشاء خلب.

فأضافه إلى الوريد كما يضاف الحبل إلى العاتق، وأخرج ابن جرير عن مجاهد وابن عباس أنه عرق العنق.

والآية المشار إليها **﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾.**

٤ - [وقال مجاهد: ﴿ما تنقص الأرض﴾ من عظامهم].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وأخرج المعنى أيضاً عن ابن عباس وقتادة.

والآية المشار إليها **﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ﴾.**

٥ - [﴿تبصرة﴾ بصيرة].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وأخرج عن قتادة نحوه.

والآية المشار إليها **﴿تبصرة وذكرى لكل عبد منيب﴾.**

٦ - [**﴿حب الحصيد﴾ الحنطه**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وأخرج عن قتادة أنه البر والشعير وقال ابن جرير: وحب الزرع المحصود من البر والشعير وسائر أنواع الحبوب.

والآية المشار إليها **﴿ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد﴾**.

٧ - [**﴿باسقات﴾ الطوال**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وأخرجه عن ابن عباس وعبد الله بن شداد وعكرمة وقتادة وابن زيد.

وقال أبو عبيدة: طوال ويقال جبل باسق وحسب باسق قال ابن نوفل لابن هبيرة:

يا ابن الذين بفضلهم بسقت على قيس فزاره

والآية المشار إليها **﴿والنخل باسقات لها طلع نضيد﴾**.

٨ - [**﴿أفعيينا﴾ أفأعْيَا علينا حين أنشأكم وأنشأ خلقكم**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وأخرج عن ابن عباس نحوه.

وقال الفراء: يقول كيف نعيا عندهم بالبعث ولم نعي بخلقهم أولاً.

والآية المشار إليها **﴿أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد﴾**.

٩ - [**﴿وقال قرينه﴾ الشيطان الذي قيض له**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله عند قوله **﴿قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد﴾** وبه قال ابن عباس وقتادة وغيرهما.

١٠ - [**﴿فنقبوا﴾ ضربوا**].

قال الحافظ: وصله الفريابي **قلت:** وأخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله بلفظ (عملوا في البلاد ذاك النقب) وأخرج عن ابن عباس قال: أثروا.

والآية المشار إليها **﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشاً فنقبوا في البلاد هل من محيص﴾**.

١١- [﴿أو القى السمع﴾ لا يحدث نفسه بغيره].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وبه قال الضحاك وسفيان.

وألآية المشار إليها **﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾**.

١٢ - [﴿رقيب عتيد﴾ رصَد].

ش: قال الحافظ: وصله الفريابي.

قلت: وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: جعل الله على ابن آدم حافظين في الليل وحافظين في النهار يحفظان عليه عمله ويكتبان أثره)

وأخرج عن ابن زيد نحوه.

والآية المشار إليها **﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾**.

١٣ - [﴿سائق وشهيد﴾ الملكان كاتب وشهيد].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرج المعنى عن عثمان بن عفان وابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وغيرهم.

والآية المشار إليها **﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾**.

١٤ - [﴿شهيد﴾ شاهد بالقلب].

ش: اخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وأخرجه أيضاً عن ابن عباس والضحاك وسفيان وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أن الشهيد في هذا الموضع بمعنى الشهادة وهو قول قتادة والحسن وأبي صالح والقولان متقاربان.

والآيةالمشار إليها تقدمت في الأثر الحادي عشر.

١٥ - [﴿لغوب﴾ نصب].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله، وأخرجه أيضاً عن ابن عباس وقتادة.

والآيةالمشار إليها **﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾**.

١٦ - [وقال غيره: نضيد الكُفُرّى ما دام في أكمامه ومعناه منضود بعضه على بعض فإذا أخرج من أكمامه فليس بنضيد].

ش: قاله الفراء.

والآية المشار إليها تقدمت في الأثر السابع.

١٧ - [﴿ وإدبار النجوم ﴾ ﴿ وأدبار النجوم ﴾ ﴿ وأدبار السجود﴾ كان عاصم يفتح التي في (ق) ويكسر التي في (الطور) ويكسران جميعاً وينصبان].

ش: قاله الفراء وزاد في أوله: وإدبار جمعه على دبر وأدبار وهما الركعتان بعد المغرب جاء ذلك عن علي بن أبي طالب أنه قال وأدبار السجود الركعتان بعد المغرب وإدبار النجوم الركعتان قبل الفجر، وزاد في آخره (جميعاً جائزان).ا.هـ

وقال مكي: «قرأه الحرميان وحمزة بكسر الهمزة وقرأ الباقون بالفتح وحجة من قرأ بالكسر أنه جعله مصدر ادبر فنصبه على الظرف والمصادر تجعل ظروفاً على تقدير إضافة أسماء الزمان إليها وحذفها إتساعاً والتقدير ومن الليل فسبحه ووقت أدبار السجود أي وسبحه وقت السجود أي بعد الصلاة وهو كقولهم

جئت مقدم الحاج أي وقت مقدم الحاج ورأيتك وقت خفوق النجم أي وقت خفوقه[١] وحذف المضاف في هذا الباب هو المستعمل في اكثر الكلام... وحجة من قرأ بالفتح أنه جعله جمع دبر وقد استعمل ذلك أيضاً ظرفاً قالوا جئتك دبر الصلاة فهو منصوب على الظرف أيضاً» انتهى من الكشف (٢/٢٨٥).

والآية المشار إليها ﴿**ومن الليل فسبحه وأدبار السجود**﴾.

١٨ - [**وقال ابن عباس: ﴿يوم الخروج﴾ يوم يخرجون من القبور**].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، حكاه الحافظ.

والآية المشار إليها ﴿**يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج**﴾.

(١) لعل الصواب رأيتك خفوق النجم.

٣٣٣ - [باب قوله ﴿وتقول هل من مزيد﴾]

ش: قلت الآية: ﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد﴾.

يخبر تعالى أنه يقول لجهنم يوم القيامة هل امتلأت؟ وذلك لأنه تبارك وتعالى وعدها أن يملأها من الجنة والناس أجمعين فهو سبحانه وتعالى يأمر بمن يأمر به إليها ويلقي وهي تقول هل من مزيد أي هل بقي شئ تزيدوني هذا هو الظاهر من سياق الآية وعليه تدل الأحاديث.

٣٦٦ - **حدثنا عبد الله بن أبي الأسود حدثنا حرمي بن عمارة[1] حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (يلقى في النار وتقول هل من مزيد حتى يضع قدمه فتقول قط قط)**

٣٦٧ - **حدثنا محمد بن موسى القطان[2] حدثنا أبو سفيان الحميدي سعيد بن يحيى بن مهدي[3] حدثنا عوف عن أبي هريرة رفعه وأكثر ما كان يوقفه أبو سفيان يقال لجهنم هل امتلأت وتقول: هل من مزيد فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول: قط قط.**

٣٦٨ - **حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبيﷺ: (تحاجت الجنة والنار فقالت النار أو ثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم قال الله تبارك وتعالى للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي**

---

(١) هو أبو روح حرمي بن عمارة بن أبي حفصة نابت العتكي البصري صدوق يهم من التاسعة مات سنة إحدى ومائتين خ،م،د، س، ق.

(٢) هو أبو جعفر محمد بن موسى بن عمران القطان الواسطي صدوق من الحادية عشرة خ،م،ق.

(٣) هو سعيد بن يحيى بن عبد الرحمن الحميدي الحذاء الواسطي صدوق من التاسعة مات سنة إثنتين ومائتين عن تسعين سنة خ، ت.

ولكل واحد منهما ملؤها فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول قط قط قط، فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض ولا يظلم ا لله عز وجل من خلقه أحداً وأما الجنة فإن ا لله عز وجل ينشئ لها خلقاً).

ش / فيها إحدى عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**يلقى في النار**» في التوحيد باب قول ا لله تعالى ﴿**وهو العزيز الحكيم**﴾ من هذا الوجه «**لا يزال يلقى في النار**» وفيه من رواية المعتمر عن أبيه (لا يزال يلقى فيها).

الثانية: قوله «**وتقول هل من مزيد**» في الأيمان والنذور باب الحلف بعزة ا لله وصفاته وكلماته ومسلم في الجنة وصفة نعيمها باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء من رواية شيبان (لا تزال جهنم تقول).

الثالثة: قوله «**حتى يضع قدمه**» وفي رواية شيبان (حتى يضع رب العزة فيها قدمه) وفي حديث أبي هريرة في الباب (حتى يضع رجله) وفي حديث أبي عند أبي يعلى (وجهنم تسأل المزيد حتى يضع فيها قدمه) وعند أحمد من حديث أبي سعيد (فيلقى في النار أهلها فتقول هل من مزيد ويلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يأتيها عز وجل فيضع قدمه عليها فتنزوي فتقول قدني قدني) وفي تفسير عبد الرزاق ج٣ ص٢٣٨، من حديث أبي هريرة (حتى يضع الجبار قدمه فيها).

الرابعة: قوله «**فتقول قط قط**» يعني حسبي حسبي وفي تفسير عبد الرزاق عن أبي هريرة (وتقول قط قط قط أي حسبي) وفي حديث أبي سعيد (قدني قدني) والمعنى فيها جميعاً يكفي.

الخامسة: قوله «**وأكثر ما كان يوقفه أبو سفيان**» القائل هو محمد بن موسى الراوي عنه وقال يوقفه من الرباعي وهو لغة والفصيح يقفه من الثلاثي

والمعنى أنه كان يرويه في أكثر الأحوال موقوفاً ويرفعه أحياناً وقد رفعه غيره أيضاً.

السادسة: قوله «**تحاجت الجنة والنار**» وفي باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿**إن رحمة الله قريب من المحسنين**﴾ في التوحيد برواية الأعرج (اختصمت الجنة والنار إلى ربهما).

السابعة: قوله «**فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم**» وفي التوحيد (فقالت الجنة يا رب ما لها لا يدخلها إلا ضعفاء الناس وسقطهم وقالت النار يعني أوثرت بالمتكبرين).

والمتجبر والمتكبر قيل هما بمعنى وقيل المتكبر المتعاظم بما ليس فيه والمتجبر الممنوع الذي لا يوصل إليه وقيل الذي لا يكترث بأمر) والسقط بفتحتين أي المحتقرون بين الناس الساقطون من أعينهم.

الثامنة: قوله «**قال الله تبارك وتعالى للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي**» في التوحيد (فقال الله تعالى للجنة أنت رحمتي وقال للنار أنت عذابي أصيب بك من أشاء).

التاسعة: قوله «**ولكل واحد منهما ملؤها**» في التوحيد (ولكل واحد منكما ملؤها).

العاشرة: قوله «**فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله...الخ**» فيه بيان لكيفية ملئ الله النار كما وعدها وكذا قوله (وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقاً) وهذا دليل على توفيته كلاً منهما ما وعدها و كمال عدله وسعة رحمته.

الحادية عشرة: قوله «**ينشئ لها خلقا**» وعند مسلم في صفة الجنة من حديث أنس (ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل

الجنة) والمعنى أن ا لله عز وجل يوجد لفضل الجنة خلقاً جديداً لم يكونوا من أهل الدنيا فيسكنهم فضلها.

تنبيه

وقع عند المصنف في التوحيد برواية صالح بن كيسان عن الأعرج (وأنه ينشئ للنار من يشاء فيلقون فيها) قال القابسي: «المعروف في هذا الموضع أن ا لله ينشئ للجنة خلقاً وأما النار فيضع فيها قدمه ولا أعلم في شئ من الأحاديث أنه ينشئ للنار خلقاً إلا هذا»اهـ.

وجزم ابن القيم: «بأنه غلط واحتج بأن ا لله تعالى أخبر بأن جهنم تمتلئ من إبليس وأتباعه» حكاهما الحافظ.

وما أحسن ما قاله شيخ الإسلام رحمه ا لله:

«وأما الجنة فيبقى فيها فضل فينشئ ا لله لها خلقاً فيسكنهم ووقع في بعض طرق البخاري غلط قال فيه (وأما النار فيبقى فيها فضل) والبخاري رواه في سائر المواضع على الصواب ليبين غلط هذا الراوي كما جرت عادته بمثل ذلك إذا وقع من بعض الرواة غلط في لفظ ذكر ألفاظ سائر الرواة التي يعلم بها الصواب، وما علمت وقع فيه غلط إلا وقد بين فيه الصواب»ا.هـ من منهاج السنة (٣/٢٥).

قلت: وهذا يدل على حذق البخاري ودقته في البيان.

من فقه الأحاديث

أولاً: فيها من بديع صنعه وعظيم قدرته ما يبهر العقول وذلك بجعله جل وعلا الجنة والنار تميزان وتنطقان معبرتين عن مرادهما.

ثانياً: إثبات الرجل والقدم للرب جل وعلا ومن قال إن المراد بذلك جماعة من الناس فهو محجوج من وجهين:

أحدهما: قوله في الحديث (يضع رجله) فلو كان الأمر كما قال ذلك المؤول لقال (يلقي).

وثانيهما: أنه لم يعرف في لغة من اللغات إطلاق الرجل والقدم على الجماعة من الناس.

ثالثاً: سعة رحمته مع كمال عدله جل وعلا.

٣٣٤ - [باب ﴿**وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب**﴾]

ش: قلت الآية: ﴿**فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب**﴾.

قوله عز وجل ﴿**فاصبر على ما يقولون**﴾ يعني المكذبين اصبر عليهم واهجرهم هجراً جميلاً.

﴿**وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب**﴾ وكانت الصلاة المفروضة قبل الإسراء ثنتان قبل طلوع الشمس في وقت الفجر وقبل الغروب في وقت العصر وقيام الليل كان واجباً على النبي ﷺوعلى أمته حولاً ثم نسخ في حق الأمة وجوبه، ثم بعد ذلك نسخ الله تعالى ذلك كله ليلة الإسراء بخمس صلوات ولكن منهن صلاة الصبح والعصر فهما قبل طلوع الشمس وقبل الغروب.

وقال ابن القيم: «وتأمل قوله تعالى عقيب ذلك؛ **قلت**: يعني به قوله تعالى ﴿**ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب**﴾ فإنه جاء في تفسيرها أن اليهود سألوا النبي ﷺ عن تلك الأيام فذكرها لهم وهي من الأحد إلى الجمعة فقالوا عليهم لعائن الله استراح يوم السبت قال فإن أعداء الرسول عليه الصلاة والسلام نسبوه إلى ما لا يليق به وقالوا فيه ما هو منزه عنه، فأمره الله سبحانه وتعالى أن يصبر على قولهم ويكون له أسوة بربه سبحانه وتعالى حيث قال أعداؤه فيه ما لا يليق قال تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وهذا تفسير ما جاء في الأحاديث من قال كذا وكذا حين يصبح وحين يمسي أن المراد به قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وأن محل هذه الأذكار بعد الصبح وبعد العصر» انتهى من بدائع التفسير (٤/ ٢١٠).

٣٦٩ - حدثنا إسحاق بن إبراهيم عن جرير عن إسماعيل عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد[1] الله قال: كنا جلوساً ليلة مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾).

٣٧٠ - حدثنا آدم حدثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال ابن عباس أمره أن يسبح في أدبار الصلوات كلها يعني قوله ﴿وأدبار السجود﴾.

ش: فيهما سبع مسائل:

الأولى: قوله «**كنا جلوساً ليلة مع النبي ﷺ** » في المواقيت باب فضل صلاة العصر برواية مروان (كنا عند النبي ﷺ).

الثانية: قوله «**فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة**» في المواقيت (فنظر إلى القمر ليلة يعني البدر) وفي التوحيد باب قول الله تعالى:**﴿وجوه يؤمئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾** برواية عمرو بن عون شيخ البخاري (إذ نظر إلى القمر ليلة البدر) وعند أبي داود من رواية أبي أسامة كتاب السنة باب في الرؤية (إذ نظر إلى القمر ليلة البدر ليلة أربع عشرة).

الثالثة: قوله «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر**» وعند الترمذي برواية وكيع (إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر).

الرابعة: قوله «**لا تضامون في رؤيته**» كذا للبناء للمفعول مع التخفيف أي لا يصيبكم ضيم، وعند مسلم في المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (لا تضامون في رؤيته) بتشديد الميم مع البناء

(١) هو جرير بن عبد الله بن جابر البجلي صحابي مشهور مات سنة إحدى وخمسين وقيل بعدها، ع.

للمفعول والمعنى لا ينضم بعضكم لبعض فتزدحمون، وعند النسائي في تفسير هذه الآية برواية عبد الله بن إدريس (لا تضارون في رؤيته) أي لا يضر بعضكم بعضاً، والتشبيه برؤية القمر للرؤية دون تشبيه المرئي بالمرئي ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ﴿**ليس كمثله شئ وهو السميع البصير**﴾ وفي الحديث إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة وهذا ما تظافر عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح وأما مكان الرؤية فقد بينه شيخ الإسلام بقوله: وقد دخل أيضاً فيما ذكرناه من الإيمان به وبكتبه وبرسله الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة عياناً بأبصارهم، كما يرون الشمس صحواً ليس دونها سحاب، وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته، يرونه سبحانه وهم في عرصات القيامة ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله سبحانه وتعالى.ا.هـ من الواسطية من مجموع الفتاوى (١٤٤/٣).

قلت: فمن الأول ما أخرجه المصنف في باب قول الله تعالى ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾ من كتاب التوحيد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا لا يا رسول الله، قال: فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك).

ومن الثاني ما رواه مسلم واحمد وغيرهما عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون وما هو ألم يثقل موازيننا؟ ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة؟ قال فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم).

قلت: وللإمام أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني مصنف في هذا الباب سماه كتاب الرؤية، فراجعه.

تنبيه

أنكر هذه الرؤية الجهمية والمعتزلة وطوائف من المبتدعة مستندين إلى شبه باطلة وحجج واهية ومن تلك الشبه:

أولاً: أن إثبات هذه الرؤية يستلزم أن الله في جهة فإذا كان كذلك فهو جسم والجواب أن لفظ الجهة مجمل فإن أريد به جهة سفل أو جهة علو تحيط به وتحويه فهو باطل والنص والإجماع على خلاف ذلك، وإن أريد به جهة علو لاتحيط به ولا تحويه فهذا هو الذي جاءت به النصوص من الكتاب والسنة وأجمع عليه الصحابة ومن بعدهم من أهل الحق.

ثانياً: قوله تعالى ﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار**﴾.

وجواب ذلك أن الآية جاءت لنفي الإدراك وهو الإحاطة با لله عز وجل ولم تجئ بنفي الرؤية فإن الإدراك شئ والرؤية شئ آخر وعليه فهي دليل لإثبات الرؤية لا لنفيها.

ثالثاً: قوله تعالى حين سأله موسى أن ينظر إليه ﴿**قال لن تراني**﴾.

والجواب أن هذا لنفي رؤية الله في الدنيا وما دلت عليه النصوص هو رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة وحال الناس في الآخرة تختلف عن حالهم في الدنيا وقد ذكر أبن القيم دلالة آية الأعراف هذه على رؤية المؤمنين ربهم من سبعة أوجه وقد ذكرناها في تفسير سورة الأعراف ضمن الباب الخامس والثلاثين بعد المائة.

الخامسة: قوله «**فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا**» وزاد مسلم (يعني العصر والفجر) **قلت**: وفيه دليل على فضل هاتين الصلاتين والأحاديث في بيان فضلهما والحث عليهما متواترة وقد ذكرنا بعضها ضمن الباب الرابع والأربعين.

السادسة: قوله «**ثم قرأ ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾**» كذا في جميع رواياته عند المصنف وأبي داود والترمذي والنسائي

وابن ماجه وغيرهم، وعند مسلم (ثم قرأ جرير ﴿**وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها**﴾ وفي رواية شعبة عند أحمد (ثم تلا هذه الآية) فذكرها وعنده من رواية يحيى (ثم قال ﴿**فسبح بحمد ربك... الآية**﴾ ويمكن الجمع بأن قراءة الآية وقعت من رسول الله ﷺ ومن جرير.

السابعة: قوله «**أمره أن يسبح في أدبار الصلوات كلها**» يعني قوله ﴿**وأدبار السجود**﴾.

قلت: والمعنى أن الله أمر نبيه أن يسبحه أدبار السجود من كل صلاة.

والآية المشار إليها في هذا الخبر هي قوله تعالى ﴿**ومن الليل فسبحه وأدبار السجود**﴾ وقد اختلف أهل العلم في التسبيح المأمور به في هذه الآية على ثلاثة أقوال حكاها ابن جرير:

أحدها: أنهما الركعتان اللتان يصليان بعد المغرب وهو قول علي بن أبي طالب والحسن بن علي وأبي هريرة رضي الله عنهم والشعبي ومجاهد وإبراهيم النخعي وابن عباس وجبير بن نفير والحسن والأوزاعي وقتادة.

وثانيها: أن المراد به التسبيح بعد الصلوات المكتوبات دون الصلاة بعدها وبه قال ابن عباس ومجاهد في الرواية الثانية عنهما ويشهد له حديث الباب.

وثالثها: أنها النوافل في أدبار المكتوبات وهو قول ابن زيد واختار ابن جرير من هذه الثلاثة أولها قال لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك.

آخر تفسير سورة ق والحمد لله.

سورة الذاريات

٣٣٥ - سورة والذاريات بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

قال القرطبي: في قول الجميع مكية.

وآياتها ستون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [قال علي: ﴿الذاريات﴾ الرياح].

ش: أخرجه ابن جرير من عدة طرق منها: ثنا ابن المثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن سماك قال سمعت خالد بن عرعرة قال سمعت علياً رضي الله عنه وخرج إلى الرحبه وعليه برداه فقالوا لو أن رجلاً سأل وسمع القوم قال فقام ابن الكواء فقال مالذاريات ذروا؟ فقال هي الرياح) وأخرجه أيضاً عن ابن عباس ومجاهد.

والآية المشار إليها ﴿والذاريات ذرواً﴾.

٢ - [وقال غيره: ﴿تذروه﴾ تفرقه].

ش: قاله أبو عبيدة: (٤٠٥/١) وزاد في أوله تطيِّره، وفي آخره ويقال ذرته الريح تذروه وأذرته تذرية.

وأشار الشيخ به إلى الآية الخامسة والأربعين من سورة الكهف ومناسبته لما قبله للإستشهاد.

٣ - [﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ تأكل وتشرب في مدخل واحد ويخرج من موضعين].

ش: قال الفراء عند قوله ﴿**وفي أنفسكم**﴾ آيات أيضاً أن أحدكم يأكل ويشرب في مدخل واحد ويخرج من موضعين ثم عنفهم فقال ﴿**أفلا تبصرون**﴾».ا.هـ

وأخرج ابن جرير عن أهل العلم في الآية قولين:

أحدهما: أنه بمعنى في سبيل الخلاء والبول في أنفسكم عبره لكم وهو قول ابن الزبير.

وثانيهما: أنه بمعنى في تسوية الله تعالى مفاصل أبدانكم وجوارحكم دلالة لكم وبه قال ابن زيد.

ثم قال ابن جرير: «والصواب من القول في ذلك أن يقال معنى ذلك وفي أنفسكم أيضاً أيها الناس آيات وعبر تدلكم على وحدانية صانعكم وأنه لا إله لكم سواه إذ كان لا شئ يقدر على أن يخلق مثل خلقه إياكم».

٤ - [﴿فراغ﴾ فرجع].

ش: قاله الفراء وزاد: إليهم والروغ وإن كان على هذا المعنى فإنه لا ينطق به حتى يكون صاحبه مخفياً لذهابه أو مجيئه ألا ترى أنك لا تقول قد راغ أهل مكة وأنت تريد رجعوا أو صدروا؟ فلو أخفى راجع رجوعه حسنت فيه راغ ويروغ.ا.هـ

والآية المشار إليها **﴿فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين﴾**.

٥ - [﴿فصكت﴾ فجمعت أصابعها فضربت جبهتها].

ش: قاله الفراء وفي المصباح مادة صك صكه صكاً إذا ضرب قفاه ووجهه بيده مبسوطة.

قلت: وفي الآية قولان لأهل التأويل حكاهما ابن جرير:

أحدهما: بمعنى لطمت وبه قال ابن عباس.

ثانيهما: بمعنى ضربت بيدها جبهتها تعجباً وهو قول السدي ومجاهد وسفيان.

والآية المشار إليها **﴿فأقبلت إمرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم﴾**.

٦ - [﴿والرميم﴾ نبات الأرض إذا يبس وديس].

ش: قاله الفراء وكذا قال ابن جرير وأخرج المعنى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة.

والآية المشار إليها **﴿ ما تذر من شئ أتت عليه إلا جعلته كالرميم﴾**.

٧ - [**﴿لموسعون﴾ أي لذوو سعة وكذلك ﴿على الموسع قدره﴾ يعني القوي**].

ش: قاله الفراء وابن جرير وأخرج المعنى عن ابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون﴾**.

٨ - [**﴿خلقنا زوجين﴾ الذكر والأنثى واختلاف الألوان حلو وحامض فهما زوجان**].

ش: قال الفراء: الزوجان من جميع الحيوان الذكر والأنثى ومن سوى ذلك اختلاف ألوان النبات، وطعوم الثمار، وبعض حلو وبعض حامض فذانك زوجان.اهـ.

وحكى ابن جرير في الآية قولين لأهل العلم بالتفسير:

أحدهما: أنه تعالى خلق نوعين مختلفين كالشقاء والسعادة والهدى والضلال والشمس والقمر وهو قول مجاهد والحسن.

وثانيهما: أنه تعالى خلق الذكر والأنثى وبه قال ابن زيد.

واختارابن جريرأولهماوهو أن الله تعالى خلق لكل ما خلق من خلقه ثانياً له مخالفاً في معناه فكل واحد منهما زوج للآخر.

قلت: وعموم الآية يؤيد هذا الإختيار.

والآية المشار إليها **﴿ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾**.

٩ - [**﴿ففروا إلى الله﴾ معناه من الله إليه**].

ش: قال الفراء: معناه فروا إليه إلى طاعته من معصيته.ا.هـ

وقال ابن جرير فاهربوا أيها الناس من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به واتباع أمره، والعمل بطاعته.

قلت: وليس بين هذه العبارات الثلاث اختلاف في المعنى.

والآية المشار إليها **﴿ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين﴾**.

١٠ - [﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ ما خلقت أهل السعادة من أهل الفريقين إلا ليوحدون وقال بعضهم خَلَقَهم ليفعلوا، فَفَعَل بعضٌ وترك بعض وليس فيه حجة لأهل القدر].

ش: قاله الفراء وزاد في أوله إلا ليوحدوني وهذه خاصة بقول وما خلقت أهل السعادة... الخ.

قلت: وفي الآية قولان حكاهما ابن جرير:

أحدهما: بمعنى وما خلقت السعداء من الجن والإنس إلا لعبادتي، والأشقياء منهم لمعصيتي وبه قال زيد بن أسلم وسفيان.

وثانيهما: بمعنى وما خلقت الجن والإنس إلا ليذعنوا لي بالعبودية وهو قول ابن عباس.

واختار ابن جرير ثاني هذين القولين.

قال مقيده: وما أحسن ما قاله الحافظ: وسبب الحمل على التخصيص وجود من لا يعبده، فلو حمل على ظاهره لوقع التنافي بين العلة والمعلول...إلى أن قال: وحاصل التأويلين أن الأول: محمول على أن اللفظ العام مراد به الخصوص، وأن المراد أهل السعادة من الجن والإنس،والثاني: باق على عمومه لكن بمعنى الإستعداد أي خلقهم معدين لذلك لكن منهم من أطاع ومنهم من عصى، وهو كقولهم الإبل مخلوقة للحرث أي قابلة لذلك،لأنه قد يكون فيها ما لا يحرث، وأما قوله وليس فيه حجة لأهل القدر فيريد المعتزلة، لأن محصل الجواب أن المراد بالخلق خلق التكليف لا خلق الجبلة، فمن وفقه عمل لما خلق له ومن خذله خالف، والمعتزلة احتجوا بالآية المذكورة على أن إرادة الله لا تتعلق به، والجواب أنه لا يلزم من كون الشرع معللاً بشيء أن يكون ذلك الشيء مراداً وأن لا يكون غيره مراداً، ويحتمل أن يكون مراده بقوله وليس فيه حجة لأهل القدر أنهم يحتجون بها على أن أفعال الله لابد وأن تكون معلولة فقال: لا يلزم من وقوع

التعليل في موضع وجوب التعليل في العبادة إليهم فقال لا حجة لهم في ذلك لأن الإسناد من جهة الكسب.ا.هـ

١٢ - [﴿**والذنوب**﴾ **الدلو العظيم**].

ش: قاله الفراء وزاد في آخره: ولكن العرب تذهب بها إلى النصيب والحظ.

والآية المشار إليها ﴿**فإن للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم**﴾.

١٣ - [**وقال مجاهد:** ﴿**صرة**﴾ **صيحة**].

ش: أخرجه ابن جرير قال ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرجه عن ابن عباس وابن سابط وابن زيد والضحاك.

وأخرج عن قتادة نحوه.

وقد مضت الآية المشار إليها في الأثر الخامس.

١٤ - [﴿**ذنوباً**﴾ **سبيلاً**].

ش: أخرجه ابن المنذر من طريق ابن جريج عن مجاهد في قوله ﴿**فإن للذين ظلموا ذنوباً**﴾ قال سبيلاً. حكاه الحافظ.

قلت: وأخرجه ابن جرير بإسناد الذي قبله بلفظ: سجْلاً.

والآية المشار إليها تقدمت في الأثر الثاني عشر.

١٥ - [﴿**العقيم**﴾ **التي لا تلد**].

قلت: الوصف بالعقم جاء في هذه السورة مرتين:

إحداهما: في قصة إبراهيم وقد تقدمت ضمن الأثر الخامس ولعلها مراد المصنف، قال فيها الضحاك برواية مشاش قال "لا تلد"، وفي رواية أبي ساسان عنه قال "التي ليس لها ولد" أخرجهما ابن جرير.

والثانية: في قصة عاد وهي قوله تعالى: **﴿وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾** قال فيها ابن عباس "الريح الشديدة التي لا تلقح شيئاً، وقال الضحاك ليس فيها بركة، وقال مجاهد: ليس فيها رحمة ولا نبات. أخرجها ابن جرير.

١٦ - [**وقال ابن عباس: والحبك استواؤها وحسنها**].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا ابن حميد ثنا مهران عن سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره.

وأخرج عن سعيد بن جبير مثله.

وأخرج عن الحسن وعكرمة والربيع بن أنس وقتادة ومجاهد والضحاك وابن زيد نحوه.

وقال الفراء: الحبك تكسر كل شئ كالرملة إذا مرت بها الريح الساكنة والماء القائم إذا مرت به الريح والدرع درع الحديد لها حبك أيضاً، والشعيرة الجعدة تكسرها حبك وواحد الحبك حباك وحبيكة.ا.هـ

قلت: وعبارة ابن عباس ومن وافقه أبلغ لمشاهدة الحسن والجمال والإستواء في خلق السماء معاينة.

والآية المشار إليها **﴿والسماء ذات الحبك﴾**.

١٧ - [**﴿في غمرة﴾ في ضلالتهم يتمادون**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وأخرج عن قتادة وسفيان وابن زيد نحوه.

والآية المشار إليها **﴿قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون﴾**.

١٨ - [**وقال غيره: ﴿تواصوا﴾ تواطؤوا**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد عليه وأخذه بعضهم عن بعض وإذا كانت شيمة غالبة على قوم قيل كأنما تواصوا بكذا وكذا.

وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: أوصى أولاهم أخراهم بالتكذيب.

قلت: وهاتان العبارتان متفقتان في المعنى.

والآية المشار إليها **﴿أتواصوا به بل هم قوم طاغون﴾**.

١٩ - [**وقال ﴿مسومة﴾ معلمة من السيما**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ويقال إنه كان عليها مثل الخواتيم.

وأخرج ابن جرير من طريق العوفيين عن ابن عباس قال المسومة: الحجارة المختومة.

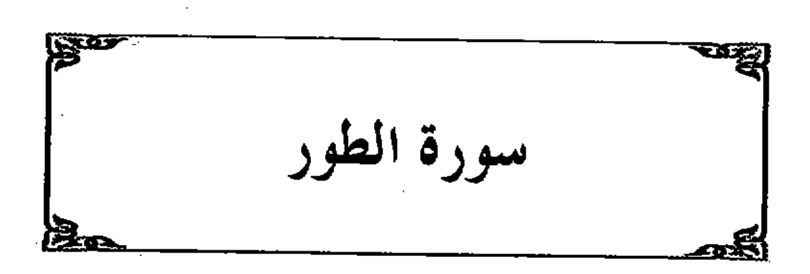
والآية المشار إليها **﴿مسومة عند ربك للمسرفين﴾**.

٢٠ - [**﴿قتل الخراصون﴾ لعنوا**].

ش: قاله الفراء وزاد: الكذابون الذين قالوا: محمد ﷺ مجنون، شاعر كذاب، ساحر، خرصوا مالا علم لهم به.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: "لعن المرتابون".

آخر تفسير سورة الذاريات و لله الحمد والمنة.



سورة والطور بسم ا لله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي ا لله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ﴿**أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون**﴾ كاد قلبي أن يطير.

قال القرطبي: مكية في قول الجميع.

وآياتها تسع وأربعون.

شرح جملة من الأثار

١ - [**وقال قتادة: ﴿مسطور﴾ مكتوب**].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا ابن عبد الأعلى ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فذكره.

وأخرج عن مجاهد نحوه.

والآية المشار إليها **﴿وكتاب مسطور﴾**.

٢ - [**وقال مجاهد: ﴿الطور﴾ الجبل بالسريانية**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

قلت: وفي هذا الإسم ثلاثة أقوال حكاها ابن جرير في ج١ ص٣٢٥ عند قوله تعالى **﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور﴾** الآية الثانية والستين من سورة البقرة:

احدها: قول مجاهد هذا وبه قال قتادة والسدي وعكرمة وابن زيد.

وثانيها: أنه اسم للجبل الذي ناجى الله موسى عليه وهو قول ابن عباس وعطاء.

وثالثها: أنه اسم لما أنبت خاصة وبه قال أبن عباس في الرواية الثانية عنه..

٣ - [**﴿رق منشور﴾ صحيفة**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وأخرج عن قتادة نحوه.

وقال الفراء: والرق الصحائف التي تخرج إلى بني آدم فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله.ا.هـ

٤ - [**﴿والسقف المرفوع﴾ سماء**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وأخرج عن علي وقتادة وابن زيد مثله.

٥ - [﴿المسجور﴾ الموقد].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وأخرج عن ابن زيد مثله وعن علي رضي الله عنه وشمر بن عطية نحوه وهو **أحد** أربعة أقوال في الآية حكاها ابن جرير:

ثانيها: أنه بمعنى المملؤ وهوقول قتادة.

ثالثها: أنه بمعنى الذي ذهب ماؤه وبه قال ابن عباس.

ورابعها: أنه بمعنى المحبوس وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية.

واختار ابن جرير أن معناه البحر المملؤ المجموع ماؤه بعضه في بعض فقال: وذلك أن الأغلب من معاني السجر الإيقاد كما يقال سجرت التنور بمعنى أوقدت أو الإمتلاء.

والآية المشار إليها **﴿والبحر المسجور﴾**.

٦ - [**وقال الحسن: تسجر حتى يذهب ماؤها فلا يبقى فيها قطرة**].

ش: يأتي في تفسير سورة التكوير.

٧ - [**وقال مجاهد: ﴿ألتناهم﴾ نقصناهم**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرج عن ابن عباس والربيع بن أنس مثله وعن سعيد بن جبير وقتادة والضحاك وابن زيد نحوه.

والآية المشار إليها **﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ﴾**.

٨ - [**وقال غيره: ﴿تمور﴾ تدور**].

ش: قاله الفراء، وأخرجه ابن جرير عن مجاهد ونحوه عن ابن عباس والضحاك وقتادة وابن زيد وهو **أحد** قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: بمعنى تتشقق وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية عنه.
واختار ابن جرير أن معناه تدور وتكفأ.
والآية المشار إليها ﴿**يوم تمور السماء موراً**﴾.
٩ - [﴿**أحلامهم**﴾ **العقول**].
ش: قاله الفراء وزاد والألباب.
والآية المشار إليها ﴿**أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون**﴾.
١٠ - [**وقال ابن عباس** ﴿**البر**﴾ **اللطيف**].
ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.
والآية المشار إليها ﴿**إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم**﴾.
١١- [﴿**كسفاً**﴾ **قطعاً**].
ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد ما قبله وأخرج عن قتادة مثله.
والآية المشار إليها ﴿**وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم**﴾.
١٢ - [﴿**المنون**﴾ **الموت**].
ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد الذي قبله وأخرجه عن قتادة وأبي سنان وابن زيد وهو **أحد** قولين حكاهما في الآية.
وثانيهما: أنه حوادث الدهر وهو قول مجاهد.
والآية المشار إليها ﴿**أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون**﴾.
١٣ - [**وقال غيره**: ﴿**يتنازعون**﴾ **يتعاطون**].
ش: قاله أبو عبيدة وزاد: أي يتداولون قال الأخطل:
نازعته طيّب الراح الشّمول وقد ... صاح الدجاج وحانت وقعة السارى
والآية المشار إليها ﴿**يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم**﴾.

٣٧١ - حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة عن زينب بنت أبي سلمة(١) عن أم سلمة(٢) قالت: شكوت إلى رسول الله ﷺ أني اشتكي فقال: طوفي من وراء الناس وأنت راكبة فطفت ورسول الله ﷺ يصلي إلى جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور).

٣٧٢ - حدثنا الحميدي ثنا سفيان حدثوني عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم(٣) عن أبيه رضي الله عنه (٤)سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ﴿أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون﴾ كاد قلبي أن يطير).

قال سفيان: فأما أنا فإنما سمعت الزهري يحدث عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور لم أسمعه زاد الذي قالوا لي.

ش: فيهما ست مسائل:

الأولى: قوله «**شكوت إلى رسول الله ﷺ أني اشتكي**» تعني أنها ضعيفة ولا تقدر على الطواف مع الناس كما عند النسائي في تفسير هذه السورة من رواية عبد الرحمن (أنها قدمت مكة وهي مريضة فذكرت ذلك للنبي ﷺ).

(١) هي زينب بنت أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومية ربيبة النبي صلى الله عليه وسلم ماتت سنة ثلاث وسبعين وحضر ابن عمر جنازتها قبل أن يحج ويموت بمكة ع.

(٢) هي أم المؤمنين هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعدما مات أبوسلمة سنة أربع وقيل ثلاث ماتت سنة اثنتين وستين ع.

(٣) هو محمد بن جبير بن مطعم النوفلي ثقة عارف بالنسب من الثالثة مات على رأس المائة ع.

(٤) هو جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي صحابي عارف بالأنساب مات سنة ثمان أو تسع وخمسين ع.

الثانية: قوله «**طوفي من وراء الناس وأنت راكبة**» وعند النسائي (من وراء المصلين) وعند المصنف في باب من صلى ركعتي الطواف خارجاً من المسجد من كتاب الحج برواية هشام عن عروة عن أم سلمة (ان رسول الله ﷺ قال وهو بمكة واراد الخروج ولم تكن أم سلمة طافت بالبيت وأرادت الخورج فقال لها رسول الله ﷺ (إذا أقيمت صلاة الصبح فطوفي على بعيرك والناس يصلون، ففعلت ذلك فلم تصل حتى خرجت) **قلت:** فبان بهذا التفسير **ثلاثة أمور:**

أحدها: أن ذلك الطواف هو طواف الوداع.

وثانيها: أن أم سلمة طافت من وراء الناس وهم في الصلاة.

وثالثها: تأخيرها يعني ركعتي الطواف حتى خرجت من البيت.

الثالثة: قوله «**والنبي ﷺ يصلي إلى جنب البيت**» سبق بيان هذه الصلاة في رواية هشام وأنها صلاة الصبح.

الرابعة: قوله «**سمعت النبي ﷺ يقرأ في صلاة المغرب بالطور**» وفي الجهاد برواية معمر **(وكان جاء في أسارى بدر).**

الخامسة: قوله «**فلما بلغ هذه الآية ﴿أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون إلى قوله كاد قلبي أن يطير**».

قال الخطابي: «كأنه انزعج عند سماع هذه الآية لفهمه معناها ومعرفته بما تضمنته ففهم الحجة فاستدركها بلطيف طبعه وذلك من قوله تعالى **﴿أم خلقوا من غير شئ﴾** قيل معناه ليسوا أشد خلقاً من خلق السموات والأرض لأنهما خلقتا من غير شئ، أي هل خلقوا باطلاً لا يؤمرون ولا ينهون؟ وقيل المعنى أم خلقوامن غير خالق؟ وذلك لا يجوز فلا بد لهم من خالق، وإذا انكروا الخالق فهم الخالقون لأنفسهم وذلك في الفساد والبطلان اشد لأن ما لا وجود له كيف يخلق، وإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقاً ثم قال **﴿أم خلقوا السموات والأرض﴾** أي إن جاز لهم أن يدعوا خلق أنفسهم فليدعوا خلق

السموات والأرض، وذلك لايمكنهم، فقامت الحجة، ثم قال: ﴿**بل لايوقنون**﴾ فذكر العلة التي عاقتهم عن الإيمان وهو عدم اليقين الذي هو موهبة من الله ولا يحصل إلا بتوفيقه، فلهذا انزعج جبير حتى كاد قلبه يطير ومال إلى الإسلام». انتهى.

السادسة: قوله «**حدثنا سفيان**» هو ابن عيينة قال حدثوني عن الزهري اعترضه الإسماعيلي بما أخرجه من طريق عبد الجبار بن العلاء وابن أبي عمر كلاهما عن ابن عيينة (سمعت الزهري قال) فصرحا عنه بالسماع، وهما ثقتان.

قلت: وهو اعتراض ساقط فإنهما ما أوردا من الحديث إلا القدر الذي ذكره الحميدي عنه بانه لم يسمعها من الزهري وإنما بلغته عنه بواسطة. ا.هـ من الفتح.

من فقه الحديثين

أولاً: جواز الطواف راكباً لمن كان معذوراً وهل يجوز لغيره فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: عدم الجواز وهذا ما يفهم من كلام الخرقي وهو إحدى الروايات عن أحمد وحجتهم أن النبي ﷺ قال (الطواف بالبيت صلاة) لأنها عبادة تتعلق بالبيت فلم يجز فعلها راكباً لغير عذر كالصلاة.

وثانيها: أنه يجزئه ويجبره بدم وهذا قول مالك وبه قال أبو حنيفة إلا أنه قال يعيد ما كان بمكة فإن رجع جبره بدم وحجته أنه ترك صفة واجبة في ركن الحج فأشبه ما لو وقف بعرفة نهاراً ودفع قبل غروب الشمس.

وثالثها: أنه يجزئه ولاشئ عليه وبه قال الشافعي وابن المنذر وأبو بكر، ودليلهم ما رواه الشيخان وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (طاف النبي ﷺ في حجة الوداع على بعير يستلم البيت بمحجن) وهذا هو أرجح

الأقوال إن شاء الله تعالى لأن طوافه ﷺ راكباً كان في حجة الوداع كما هو صريح الحديث.

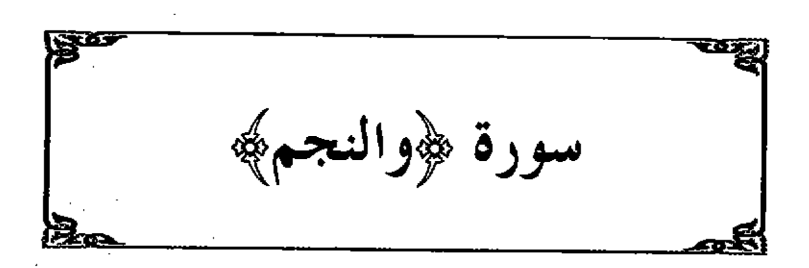
ثانياً: جواز طواف المرأة من وراء الناس إذا كانوا في الصلاة.

ثالثاً: جواز تأخير ركعتي الطواف وأدائهما خارج المسجد لعذر.

رابعاً: جواز تطويل صلاة المغرب.

خامساً: يسوغ للراوي أن يؤدي بعد إسلامه ما تحمله في كفره.

آخر تفسير سورة الطور والحمد لله.



سورة والنجم بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وعن الأسود بن يزيد عن عبد الله قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم قال فسجد النبي ﷺ وسجد من خلفه إلا رجلاً رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافراً وهو أمية بن خلف.

وقد رواه المصنف أيضاً في مواضع ومسلم وأبو دواد والنسائي من طرق عن أبي إسحاق.

وهي مكية جميعها في قول الجمهور.

وآياتها ثنتان وستون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**وقال مجاهد: ﴿ذو مرة﴾ ذو قوة**].

ش: أخرجه أبن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثني الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وزاد (جبريل).

وأخرج عن سفيان وابن زيد والربيع مثله وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أنه بمعنى ذو خلق حسن وهو قول ابن عباس وقتادة وهذا هو ما اختاره ابن جرير.

والآية المشار إليها ﴿ذو مرة فاستوى﴾.

٢ - [**﴿قاب قوسين﴾ حيث الوتر من القوس**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله، وأخرج عن قتادة والحسن قالا: قيد قوسين.

والآية المشار إليها **﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾**.

٣ - [**﴿ضيزى﴾ عوجاء**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وهو أحد أربعة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: بمعنى جائرة وبه قال أبن عباس وقتادة.

وثالثها: بمعنى منقوصة وهو قول سفيان.

ورابعها: بمعنى مخالفة وبه قال ابن زيد.

قلت: والخلاف بين هذه الأقوال لفظي.

والآية المشار إليها **﴿تلك إذاً قسمة ضيزى﴾**.

٤ - [﴿وأكدى﴾ قطع عطاءه].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله بلفظ: (انقطع عطاءه).
وأخرج عن ابن عباس وابن طاوس وقتادة والضحاك مثله وعن ابن زيد نحوه.

وقال أبو عبيدة: معنى أكدى قطع اشتقت من كدية الركية وكدية الرحل وهو أن يحفر حتى ييئس من الماء فيقول بلغنا كديتها.

والآية المشار إليها ﴿وأعطى قليلاً وأكدى﴾.

٥ - [﴿رب الشعرى﴾ هو مِرْزَم الجوزاء].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله، وأخرج عن ابن عباس وقتادة وابن زيد أنه كوكب الشعرى.

قلت: وهذا نجم كانوا يعبدونه من دون الله.

والآية المشار إليها ﴿**وأنه هو رب الشعرى**﴾.

٦ - [﴿الذي وفّى﴾ وفىّ ما فرض عليه].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله، وأخرج في المعنى عن ابن عباس وهو **أحد** خمسة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: أنه وفىّ بما عهد إليه ربه من تبليغ رسالاته وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية وعكرمة وقتادة وسعيد بن جبير وسفيان وابن زيد.

وثالثها: أنه وفىّ بما في صحف إبراهيم وبما رأى في المنام من ذبح إبنه وبه قال ابن عباس في الرواية الثالثة والقرضي.

ورابعها: أنه كان يقول كلما أصبح وأمسى ﴿**سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون**﴾ حتى ختم الآية ولم ينسبه إلى أحد.

وخامسها: أنه وفىّ ربه عمل يومه وأخرج فيه حديثاً عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: ﴿**وإبراهيم الذي وفىّ**﴾ قال أتدرون ما وفى؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال: وفىّ عمل يومه أربع ركعات في النهار.

وأولى هذه الأقوال هو أولها بالصواب عندي لشموله جميع هذه المعاني.

والآية المشار إليها ﴿**وإبراهيم الذي وفىّ**﴾.

٧ - [﴿**أزفت الآزفة**﴾ **إقتربت الساعة**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

والآية المشار إليها ﴿**أزفت الآزفة**﴾.

٨ - [﴿**سامدون**﴾ **البرطمة وقال عكرمة يتغنون بالحميرية**].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا أبو كريب ثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والبرطمة هي بفتح الموحدة وسكون الراء وفتح الطاء المهملة الإعراض.

وقال ابن عيينة: البرطمة هكذا ووضع ذقنه في صدره.

وأخرج ابن جرير عن قتادة وابن زيد نحوه وأخرج تفسير السمود بالغناء عن ابن عباس.

والآية المشار إليها ﴿**وأنتم سامدون**﴾.

٩ - [**وقال إبراهيم ﴿أفتمارونه﴾ أفتجادلونه، ومن قرأ "افتمرونه" يعني أفتجحدونه**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني يعقوب بن إبراهيم ثنا هشيم أخبرنا مغيرة عن إبراهيم فذكره.

قلت: فالأخيرة هي قرأة حمزة والكسائي والأولى قراءة الجمهور.

والآية المشار إليها ﴿**أفتمارونه على ما يرى**﴾.

١٠ - [﴿**مازاغ البصر**﴾ **بصر محمد**ﷺ].

ش: وفي رواية لأبي ذر (وقال.... الخ): وهذا يشعر أنه من مقول إبراهيم ولم أجده مخرجاً عنه بل هو الفراء. ليس هو قول إبراهيم كما يتبادر إلى الذهن من السياق بل هو قول الفراء وزاد: ما زاغ بقلبه يميناً وشمالاً.

١١- [﴿وما طغى﴾ ولا جاوز ما رأى].

ش: قاله الفراء.

والآية المشار إليها بالكلمتين **﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾**.

١٢ - [﴿فتماروا﴾ كذبوا].

ش: هذه الكلمة في السورة التي بعد هذه وهي الآية السادسة والثلاثون ولعله من بعض النساخ.

١٣ - [وقال الحسن ﴿إذا هوى﴾ غاب].

ش: وصله عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عنه، وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال إذا سقط وعن ابن عباس إذا إنصب.

والآية المشار إليها ﴿والنجم إذا هوى﴾.

١٤ - [وقال ابن عباس ﴿أغنى وأقنى﴾ أعطى فأرضى].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن سعد ثني أبي ثني عمي ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فذكره.

وأخرج عن مجاهد مثله وهو **أحد** أقوال خمسة حكاها.

وثانيها: أنه أغنى بالمال وأقنى القنية وهو قول أبي صالح.

وثالثها: عنى بقول أغنى أخدم وهو قول مجاهد في الرواية الثانية وبه قال الحسن وقتادة.

ورابعها: بمعنى أرضى وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية ومجاهد في الرواية الثالثة وبه قال سفيان.

وخامسها: بمعنى أغنى من شاء وأفقر من شاء من خلقه وبه قال ابن زيد.

ويترجح عندي من هذه الأقوال أولها لأنه بمعنى القناعة ويوافق حديث (ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس).

وقال: (ﷺ أفلح من أسلم وكان رزقه كفافا وقنع بما رزقه ا لله).

والآية المشار إليها ﴿وإنه هو أغنى وأقنى﴾.

٣٧٣ - حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن عامر عن مسروق قال: قلت لعائشة رضي ا لله عنها يا أمتاه هل رأى محمد ﷺ ربه فقالت: لقد قف شعري مما قلت، اين أنت من ثلاث، من حدثكهن فقد كذب من حدثك أن محمد ﷺ رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ ﴿وما كان لبشر أن يكلمه ا لله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾ ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾ ومن حدثك أنه كتم فقد كذب، ثم قرأت ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ الآية، ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين).

ش: فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله «**يا أمتاه هل رأى محمد ﷺ ربه**» وعند الترمذي في تفسير هذه السورة قصة في سياقه فقد أخرج من طريق مجالد عن الشعبي قال: لقي ابن عباس كعباً بعرفة فسأله عن شئ فكبر كعب حتى جاوبته الجبال، فقال ابن عباس: إنا بنو هاشم فقال له كعب إن ا لله قسم رؤيته وكلامه) وعند عبد الرزاق من هذه الطريق في تفسير هذه السورة (فقال ابن عباس: أما نحن بنو هاشم نزعم أو نقول إن محمداً قد رأى ربه مرتين قال فكبر كعب حتى جاوبته الجبال، ثم قال: إن ا لله قسم رؤيته بين محمد وموسى فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه قال مجالد وقال الشعبي: فأخبرني مسروق أنه قال لعائشة قلت: أي امتاه هل رأى محمد ربه) قال الحافظ: ولابن مردوية من طريق إسماعيل بن أبي خالد

عن الشعبي عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن كعب مثله قال: يعني الشعبي فأخبرني مسروق أنه قال لعائشة فذكر الحديث.ا.هـ **قلت:** وبهذا يتقوى خبر مجالد، وظهر بهذه الزيادة سبب سؤال مسروق لعائشة وقوله يا أمتاه أصله يا أم والهاء للسكت فأضيفت إليها ألف الإستغاثة فأبدلت تاء وزيدت هاء السكت بعد الألف.

الثانية: قوله (لقد قف شعري مما قلت) أي قام من الفزع لما حصل عندها من هيبة الله عز وجل.

وقال النضر بن شميل: القفه بفتح القاف وتشديد الفاء كالقشعريرة وأصله التقبض والإجتماع، لأن الجلد ينقبض عند الفزع فيقوم الشعر لذلك.

وعند الترمذي (لقد تكلمت بشئ قف له شعري).

الثالثة: قوله «**أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب**» وعند مسلم في الإيمان باب معنى قوله جل وعلا ﴿**ولقد رآه نزلة أخرى**﴾ من رواية داود (فقالت: يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية وكنت متكئاً فجلست فقلت يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجلين ألم يقل الله عز وجل ﴿**ولقد رآه بالأفق المبين**﴾ ﴿**ولقد رآه نزالة أخرى**﴾.

الرابعة: قوله «**من حدثك أن محمد ﷺ رآى ربه فقد كذب ثم قرأت ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ ﴿وماكان لبشر أن يكلمة الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾**».

وعند مسلم (فقالت أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض فقالت أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير**﴾

أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿**وماكان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم**﴾.

قال مقيده: فظهر بهذا أن عائشة رضي الله عنها كانت مستندة فيما نفته من رؤية رسول الله ﷺ ربه ليلة الإسراء على حديث مرفوع، ولم تكن مقتصرة على الإستنباط من الآيتين.

الخامسة: قوله «ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت ﴿**وما تدري نفس ماذا تكسب غداً**﴾»، **قلت:** هذه قطعة من قوله تعالى ﴿**إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن الله عليم خبير**﴾ وقد تقدم شرحها في تفسير سورة لقمان ضمن الباب التاسع والستين بعد المائتين وفي رواية داود ابن أبي هند (ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول: ﴿**قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله**﴾.

السادسة: قوله «**ومن حدثك أنه كتم فقد كذب ثم قرأت ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك...الآية﴾**» وعند مسلم (ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله يقول: ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**﴾.

قلت: وقد تقدم شرح هذه الآية في تفسير المائدة ضمن الباب الرابع عشر بعد المائة.

السابعة: قوله «**ولكن رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين**» **قلت:** لما نفت عائشة رضي الله عنها رؤية النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء بعينيه في جوابها على سؤال مسروق إستدركت بقولها (لكن رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين) وهذا وإن كان صورته الوقف إلا أنه يستند إلى أحاديث مرفوعه منها ما ذكرته عائشة نفسها في جوابها لمسروق عند مسلم قالت: أنا أول هذه الأمة

سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: (إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض).

تنبيه

جاء عن ابن عباس في أكثر الروايات عنه وأبي صالح والربيع أن رسول الله ﷺرأى ربه بقلبه ليلة الإسراء أخرجه عنهم جميعاً ابن جرير وروى مسلم في الإيمان باب معنى قوله جل وعلا ﴿**ولقد رآه نزلة أخرى**﴾ عن عطاء عن ابن عباس قال: (رآه بقلبه) وفي لفظ له من طريق أبي العالية (رآه بفؤاده مرتين).

فالجمع بين هذه الأحاديث وحديث الباب بحمل النفي في حديث عائشة على رؤية البصر، والإثبات في حديث ابن عباس وغيره على رؤية القلب.

من فقه الحديث

أولاً: حرص السلف رحمهم الله على تعلم السنة.

ثانياً: فقه عائشة رضي الله عنها ورسوخها في العلم.

ثالثاً: حجب الغيب عن رسول الله ﷺ إلا ما علمه الله.

رابعاً: عدم رؤية النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء بعينيه.

٣٣٨ - [باب ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾]

ش: قلت وقبلها: ﴿**ثم دنى فتدلى**﴾.

يقول تعالى ذكره: ثم دناجبريل من محمد ﷺ فتدلى إليه، وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم وإنما هو ثم تدلى فدنا، ولكنه حسن تقديم قوله ﴿**دنا**﴾ إذ كان الدنو يدل على التدلي والتدلي على الدنو كما يقال: زارني فلان فأحسن وأحسن إلي فزارني، وشتمني فأساء وأساء فشتمني لأن الإساءة هي الشتم والشتم هو الإساءة. قاله ابن جرير، وأخرجه عن الحسن وقتادة والربيع بن أنس وأخرج عن ابن عباس وأنس بن مالك أن المعني بذلك ثم دنا الرب من محمد ﷺفتدلى.

وقوله «﴿**فكان قاب قوسين أو أدنى**﴾» أي فاقترب جبريل إلى محمد لما هبط عليه إلى الأرض حتى كان بينه بين محمد ﷺ قاب قوسين أي بقدرهما إذا مدا.قاله مجاهد وقتادة.

وقوله تعالى ﴿**أو أدنى**﴾ هذه الصيغة تستعمل في اللغة لإثبات المخبر عنه ونفي مازاد عليه كقوله تعالى ﴿**ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة**﴾ أي ماهي بألين من الحجارة بل هي مثلها أو تزيد عليها في الشدة والقسوة، وكذا قوله ﴿**يخشون الناس كخشية ا لله أو أشد خشية**﴾.

[حيث الوتر من القوس]

ش: تقدم في الباب قبله عن مجاهد في الأثر رقم إثنين.

٣٧٤ - حدثنا أبو النعمان حدثنا عبد الواحد حدثنا الشيباني قال سمعت زراً عن عبد ا لله ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ قال: حدثنا ابن مسعود أنه رأى جبريل له ستمائة جناح).

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «**سمعت زراً**» القائل هو الشيباني واسمه سليمان بن أبي سليمان فيروز الكوفي وفي الباب بعد هذا برواية زائدة قال سألت زراً عن قوله تعالى ﴿**فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى**﴾.

الثانية: قوله «**حدثنا ابن مسعود أنه رأى جبريل له ستمائة جناح**» وفي الباب بعده أخبرنا عبد الله: أن محمداً ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح) وفي رواية عباد بن منيع عند النسائي في تفسير السورة أن النبي ﷺ رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح) وفي رواية شعبة عند مسلم في الإيمان باب ذكر سدرة المنتهى قال (رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح).

٣٣٩ - **[باب قوله ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾]**

ش: فيها قولان لأهل العلم حكاهما ابن جرير:

أحدهما: بمعنى فأوحى الله إلى عبده محمد وحيه وجعلوا قوله ما أوحى بمعنى المصدر وبه قال ابن عباس.

وثانيهما: أن المقصود به جبريل وهو قول الحسن والربيع وابن زيد وهذا هو ما اختاره ابن جرير قال لأن افتتاح الكلام جرى في أول السورة بالخبر عن رسول الله ﷺ وعن جبريل عليه السلام وقوله **﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾** في سياق ذلك ولم يأت ما يدل على إنصراف الخبر عنهما فيتوجه ذلك إلى ما صرف إليه.

وقال ابن القيم: «ثم ذكر استواء هذا المعلم بالأفق الأعلى، ودنوه وتدليه وقربه من رسول الله ﷺ وإيحاء الله ما أوحى، فصور سبحانه لأهل الإيمان صورة الحال من نزول جبريل من عنده، إلى أن استوى بالأفق، ثم دنا وتدلى وقرب من رسوله فأوحى إليه ما أمره الله بإيحائه، حتى كأنهم يشاهدون صورة الحال ويعاينونها هابطاً من السماء إلى أن صار بالأفق الأعلى، مستوياً عليه، ثم نزل وقرب من محمد ﷺ وخاطبه بما أمره الله به، قائلاً: ربك يقول لك كذاوكذا» انتهى محل الغرض من التبيان في أقسام القرآن.

٣٧٥ - **حدثنا طلق بن غنام حدثنا زائدة عن الشيباني قال: سألت زراً عن قوله تعالى ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ قال: أخبرنا عبدا لله أن محمداً ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح).**

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «**أن محمد ﷺ**» وفيما ما اعتمده الحافظ (أنه محمد ﷺ) وقال في الشرح هنا: ووقع عند أبي ذر (أن محمدرأى جبريل) وهذا أفصح في المراد.

قلت: وهو ظاهر في ثلاثة أمور:

أحدها: موافقة ابن مسعود رضي الله عنه للحسن والربيع وابن زيد في أن المعنى بقوله فأوحى إلى عبده ما أوحى أنه جبريل.

ثانيها: موافقة عائشة في أن رسول الله ﷺ لم ير ربه ليلة الإسراء.

ثالثها: موافقة الحسن والربيع ابن أنس وابن زيد في أن المراد بقوله ثم دنى فتدلى أنه جبريل.

الثانية: قوله «**له ستمائة جناح**» زاد عاصم بن أبي النجود كما عند النسائي في تفسير السورة عن زر قال يتناثر منها تهاويل الدر.

قلت: عاصم هذا صدوق له أوهام، وعزاه الحافظ إلى ابن مردوية، وأخرج النسائي عن أبي اسحاق عن زر بن حبيش قال رأى جبريل عليه السلام قد سد الأفق.

٣٤٠ - [باب ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾]

ش: يخبر جل ثناؤه بأن رسول الله ﷺ رأى حين أسري به من الآيات العظام الدالة على وحدانية الله ووصفها بالكبرى لعظمها وقد اختلف المفسرون في المراد بهذه الآيات الكبرى على قولين حكاهما ابن جرير:

أحدهما: أن المراد به رفرف أخضر قد سد الأفق وبه قال ابن مسعود.

وثانيهما: أنه رأى جبريل في صورته وهو قول ابن زيد.

٣٧٦ - حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه (﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ قال: رأى رفرفاً أخضر قد سد الأفق).

ش: قوله «**رأى رفرفاً أخضر قد سد الأفق**» هذا يخالف في ظاهره حديثه السابق أنه محمد ﷺ رأى جبريل..الخ) لكن يوضح المراد ما رواه النسائي والحاكم في تفسير هذه السورة كلاهما عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود في قوله ﴿**ولقد رآه نزلة أخرى**﴾ قال أبصر نبي الله ﷺ جبريل على رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض) ومن هذا الوجه عند الترمذي في تفسير السورة قال (رأى رسول الله ﷺ جبريل في حلة من رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض) فتحصل من هذه الأحاديث أن رسول الله ﷺ رأى جبريل والصفة التي كان عليها وهي أنه على رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض وأن الرفرف هو الحلة ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى ﴿**متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان**﴾ وأصل الرفرف ما كان من الديباج رقيقاً حسن الصنعة ثم اشتهر استعماله في الستر ويقال رفرف الطائر بجناحيه إذا بسطهما).

٣٤١ - [باب ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾]

ش: يقول تعالى ذكره: مقرعاً للمشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد والأوثان واتخاذهم لها البيوت مضاهاة للكعبة التي بناها خليل الرحمن عليه السلام ﴿أفرأيتم اللات﴾ وكانت اللات صخرة بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف له أستار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تابعها يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش.

والعزى شجرة عليها بناء وأستار بنخلة وهي بين مكة والطائف وكانت قريش يعظمونها.

ومن نظائر هذه الآية في توبيخ عبدة الأصنام وتقريعهم قوله تعالى في الآية الثامنة والثلاثين من سورة الزمر **﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾**.

٣٧٧ - حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا أبو الأشهب[1] حدثنا أبوالجوزاء[2] عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿اللات والعزى﴾ كان اللات رجلاً يلت سويق الحاج.

٣٧٨ - حدثنا عبد الله بن محمد أخبرنا هشام بن يوسف أخبرنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (من حلف فقال في حلفه: واللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك، فليتصدق).

ش: فيهما ست مسائل:

---

(١) هو جعفر بن حيان السعدي العطاردي البصري مشهور بكنيته ثقة من السادسة مات سنة خمس وستين وله خمس وتسعون سنة ع.

(٢) هو أوس بن عبد الله الربعي بصري يرسل كثيراً ثقة من الثالثة مات سنة ثلاث وثمانين ومائة ع.

الأولى: قوله «**كان اللات رجلا**» هذا على قراءة التشديد وبها قرأ مجاهد وأبو صالح وجعلوه صفة للوثن الذي عبدوه والقراءةالثانية قراءة التخفيف وبها قرأ عامة القراء ومعناه على ما تقدم تفسيره في الآية.

الثانية: قوله «**يلت سويق الحاج**» وعند ابن جرير عن مجاهد (كان يلت السويق للحاج فعكف على قبره) **قلت**: والسويق هو دقيق الدخن بعد حمسه وأمّا لته فغالباً بالسمن وقد اختلف في اسم ذلك الرجل فزعم بعض الناس أنه عامر بن الضرب وهو بفتح الظاء المشالة وكسر الراء ثم موحدة وهو العدواني بضم المهملة وسكون الدال، وكان حكم العرب في زمانه وفيه يقول شاعرهم: ومنا حكم يقضي ولا ينقض ما يقضي، وحكى السهيلي أنه عمرو بن لحي والصحيح أن اللات غير عمرو بن لحي فقد اخرج الفاكهي من وجه آخر عن ابن عباس أن اللات لما مات قال لهم عمرو بن لحي إنه لم يمت ولكنه دخل الصخرة فعبدوها وبنوا عليها بيتاً.

وحكى ابن الكلبي أن اسمه صرمه بن غنم.ا.هـ من الفتح مع تصرف.

الثالثة: قوله «**من حلف**» زاد في الأدب باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً (من حلف منكم) والحلف والحِلف القسم لغتان حلف أي قسم يحلف حلفاً وحلْفاً وحَلِفاً ومحلوفاً وهو أحد ما جاء من المصادر على مفعول مثل المجلود والمعقول والمعسور والميسور والواحدة حلفة، ويقولون: محلوفه با لله ما قال ذلك، ينصبون على إضمار يحلف با لله محلوفه أي قسماً والمحلوفة هو القسم ورجل حالف وحلاف وحلافه كثير الحلف، وأحلفة الرجل وحلفته واستحلفته .بمعنى واحد ومثله أرهبته واسترهبته وقد استحلفه با لله ما فعل كذا وحلفه وأحلفه. اهـ قاله في اللسان. مادة: حلف.

الرابعة: قوله «**فقال في حلفه واللات والعزى**» وفي الأدب (باللات والعزى).

الخامسة: قوله «**فليقل لا إله إلا ا لله**» قال ابن العربي: من حلف بها جاداً فهو كافر ومن قالها جاهلاً او ذاهلاً يقول لا إله إلا ا لله يكفر ا لله عنه ويرد قلبه عن السهو إلى الذكر ولسانه إلى الحق وينفي عنه ما جرى به من اللغو).ا.هـ حكاه الحافظ.

تنبيه

قال مقيده: واعلم أنه قد صح عن النبي ﷺ النهي عن الحلف بغير ا لله فلا تظنه مختصاً بهذين الصنمين وإنما غلّظ النبي ﷺ على من أقسم بهما وأمره أن يقول لا إله إلا ا لله لأنهما كانتا تعبدان من دون ا لله وإليك بعض ما ورد من الأخبار الصحيحة عن النبي ﷺ في النهي عن الحلف بغير ا لله، ففي الصحيحين عن ابن عمر مرفوعاً: (إن ا لله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم من كان حالفاً فليحلف با لله أو ليصمت).

وعن بريدة مرفوعاً (من حلف بالأمانة فليس منا) رواه أبو داود.

وعن ابن عمر أن رسول ا لله ﷺ قال: (من حلف بغير ا لله فقد كفر أو أشرك) رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه.

وقال ابن عبد البر: لا يجوز الحلف بغير ا لله إجماعاً.

قلت: وبهذا تعلم أن ما قاله بعض المتأخرين أن ذلك على سبيل كراهة التنزيه باطل ولا يلتفت إليه مع النص والإجماع في تحريم الحلف بغير ا لله مهما كان من المخلوقين وإن كان النبي ﷺ فإذا تقرر هذا فاعلم أن الحلف بغير ا لله على ضربين:

أحدهما: شرك أكبر يخرج من الملة وذلك إذا اعتقد أن المحلوف به مثل ا لله في التعظيم والعظمة.

وثانيهما: شرك أصغر ينافي كمال التوحيد إن لم يعتقد في المحلوف به المساواة با لله.

السادسة: قوله «**ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق**» قال الخطابي: أي بالمال الذي كان يريد أن يقامر به، وقيل بصدقة ما لتكفر عنه القول الذي جرى على لسانه.

قال النووي في شرحه لهذا الحديث وهذا هوالصواب.

ويؤيده رواية معمر عند مسلم (فليتصدق بشئ) **قلت**: والمقامرة هي المغالبة والمخادعة يقال قامر الرجل مقامرة وقماراً راهنه وهو التقامر والقمار المقامرة، وتقامروا: لعبوا القمار، وقميرك الذي يقامرك، وقد قمره يقمره قمراً وقمرت الرجل أقمره بالكسر قمراً إذا فاخرته فيه فغلبته.ا.هـ قاله في اللسان مادة قمر.

من فقه الحديثين

أولاً: في أمره ﷺ الحالف باللات والعزى أن يقول لا إله إلا الله سد لذرائع الشرك ووسائله.

ثانياً: تحريم العكوف على القبور تعظيماً لأهلها وأن لم يقصد بذلك عبادتهم.

ثالثاً: تحريم الحلف بغير الله وقد عرفت في الشرح أقسامه.

رابعاً: تحريم الدعوة إلى المعصية.

خامساً: تحريم المقامرة لما فيها من الضحك على الناس وأكل الأمول بالباطل.

٣٤٢ - [باب ﴿ومناة الثالثة الأخرى﴾]

ش: وأما مناة فكانت بالمشلّل عند قديد بين مكة والمدينة وكانت خزاعه والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها ويهلون منها للحج إلى الكعبة، قال العلماء وفي قوله الثالثة الأخرى صفة ذم للثالثة أي لأنها بمعنى المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله تعالى ﴿وقالت أخراهم﴾ أي وضعاهم ﴿لأولاهم﴾ أي لأشرافهم.ا.هـ

٣٧٩ - حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا الزهري سمعت عروة قلت: لعائشة رضي الله عنها فقالت: إنما كان من أهل بمناة الطاغية التى بالمشلّل لا يطوفون بين الصفا والمروة فأنزل الله تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾ فطاف رسول الله ﷺ والمسلمون، قال سفيان: مناة بالمشلل من قديد وقال عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب قال عروة قالت عائشة: نزلت في الأنصار، كانوا هم وغسان قبل أن يسلموا يهلون لمناة مثله) وقال معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة: كان رجال من الأنصار ممن كان يهل لمناة، ومناة صنم بين مكة والمدينة قالوا يا نبي الله كنا لا نطوف بين الصفا والمروة تعظيماً لمناة، نحوه.

ش: سبق شرحه في تفسير سورة البقرة ضمن الباب الثالث والعشرين.

٣٤٣ - [باب ﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾]

ش: يقول تعالى ذكره: فاسجدوا لله أيها الناس في صلاتكم دون من سواه من الألهة والأنداد، وإياه فاعبدوا دون غيره، فإنه لا ينبغي أن تكون العبادة إلا له فاخلصوا له العبادة والسجود، ولا تجعلوا له شريكاً في عبادتكم إياه.

فائدة

قال شيخ الإسلام: «العبادة أسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين، وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة.ا.هـ من العبودية ص٤

قلت: ولا بد لها من شرطين وهما تجريد الإخلاص لله وحده، وتجريد المتابعة للنبي ﷺ. ».

٣٨٠ - حدثنا أبو معمر ثنا عبدالوارث حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس).

تابعه ابن طهمان عن أيوب ولم يذكر ابن علية ابن عباس.

٣٨١ - حدثنا نصر بن علي أخبرني أبو أحمد حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن الأسود بن يزيد عن عبد الله رضي الله عنه قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم قال: فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلفه إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافراً وهو أمية بن خلف).

ش: فيهما ثمان مسائل:

الأولى: قوله «**سجد النبي ﷺ بالنجم**» وأخرج الحاكم في تفسير السورة من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث عن ابيه عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن النبي ﷺ سجد فيها يعنى والنجم).

الثانية: قوله «**وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس**» إنما أعاد الجن والإنس مع دخولهم في المسلمين لنفي توهم إختصاص ذلك بالإنس، قال الكرماني (١١٦/١٩): «فإن قلت لم سجد المشركون قلت لأنها أول سجدة نزلت فأرادوا معارضة المسلمين بالسجدة لمعبودهم أو وقع ذلك منهم بلا قصد أو خافوا في ذلك المجلس من مخالفتهم».

الثالثة: قوله «**تابعه ابن طهمان عن أيوب**» قلت المتابع هو عبد الوارث ومتابعة ابن طهمان له وصلها الإسماعيلي من طريق حفص بن عبد الله النيسابوري عنه بلفظ (إنه قال حين نزلت السورة التي يذكر فيها النجم سجد لها الإنس والجن) حكاه الحافظ.

الرابعة: قوله «**ولم يذكر ابن علية ابن عباس**» قلت ابن علية هو إسماعيل بن إبراهيم الأسدي المعروف بابن علية ومراد البخاري أن ابن علية حدث بالخبر عن أيوب عن عكرمة فأرسله، ولكن هذا الإرسال غير قادح في صحة الحديث لإتفاق ثقتين على وصله وهما إبراهيم بن طهمان وعبد الوارث.

الخامسة: قوله «**أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم**» ووقع في رواية زكريا عن أبي إسحاق عند الإسماعيلي في أول هذا الحديث (إن أول سورة استبان بها رسول الله ﷺ فقرأ على الناس النجم) وله من رواية زهير بن معاوية (أول سورة قرأها على الناس النجم) حكاه الحافظ.

السادسة: قوله «**إلا رجلاً**» وفي أبواب سجود القرآن من رواية شعبة (غير شيخ) وفيه من رواية حفص عن شعبة (فما بقي أحد من القوم إلا سجد فأخذ رجل من القوم كفاً من حصى) وهذا ظاهره تعميم سجودهم لكن يشكل عليه

ما رواه النسائي في باب السجود في والنجم من كتاب الإفتتاح في سننه عن عكرمة بن خالد عن جعفر بن المطلب بن أبي وداعة عن أبيه قال: قرأ رسول الله ﷺ بمكة سورة النجم فسجد وسجد من عنده فرفعت رأسي وأبيت أن أسجد و لم يكن يؤمئذ أسلم).

قلت: في إسناده جعفر بن المطلب قال الحافظ في التقريب مقبول وعلى فرض صحته فالجمع بينه وبين حديث الباب بحمل تعميم ابن مسعود بالنسبة إلى من اطلع عليه.

السابعة: قوله «**فرأيته بعد ذلك قتل كافراً**» وفي رواية شعبة (فلقد رأيته بعد قتل كافراً) والتقدير فوا لله لقد رأيته.

الثامنة: قوله «**وهو أمية بن خلف**» وافق إسرائيل في تسميته زكريا بن أبي زائدة عند الإسماعيلي حكاه الحافظ.

فإن قلت: يعارض حديث الباب ما أخرجه ابن جرير عن القرضي أن الذي لم يسجد هو الوليد بن المغيرة فالجواب أن هذا الخبر ضعيف كما سيأتي.

تنبيه

قد يقول قائل: ظهر من خلال هذين الحديثين صراحة أن سبب سجود المشركين هو تلاوة النبي ﷺ سورة النجم وسجوده بعد ذلك فكيف تصنعون بما جاء من طريق محمد بن كعب القرضي رحمه الله قال: (لما رأى رسول الله ﷺ تولي قومه عنه، وشق عليه ما يرى من مباعدتهم ما جاءهم به من عند الله تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب به بينه وبين قومه، وكان يسره مع حبه وحرصه عليهم أن يلين له بعض ما أغلظ عليه من أمرهم حين حدث بذلك نفسه وتمنى وأحبه، فأنزل الله ﴿**والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى**﴾ فلما انتهى إلى قول الله ﴿**أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى**﴾ ألقى الشيطان على لسانه ما كان يحدث به نفسه ويتمنى أن ياتي به قومه: تلك

الغرانيق العلى وإن شفاعتهن ترتضى، فلما سمعت قريش ذلك فرحوا وسرهم وأعجبهم ما ذكر به آلهتهم فأصاخوا له، والمؤمنون مصدقون نبيهم فيما جاءهم به عن ربهم ولا يتهمونه على خطأولا وهم ولا زلل، فلما انتهىإلى السجدة منها وختم السورة، سجد فيها، فسجد المسلمون بسجود نبيهم تصديقاً لما جاء به واتباعاً لأمره، وسجد من في المسجد من المشركين من قريش وغيرهم لما سمعوا من ذكر آلهتهم فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد، إلا الوليد بن المغيرة، فإنه كان شيخاً كبيراً، فلم يستطع فأخذ بيده حفنة من البطحاء فسجد عليها، ثم تفرق الناس، من المسجد وخرجت قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم يقولون قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر، وقد زعم فيما يتلو أنها الغرانيق العلى وأن شفاعتهن ترتضى وبلغت السجدة من بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ وقيل أسلمت قريش، فنهضت منهم رجال وتخلف آخرون، وأتى جبرائيل النبي ﷺ فقال: يا محمد ماذا صنعت؟ لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله، وقلت ما لم يقل لك،فحزن رسول الله ﷺ عند ذلك وخاف من الله خوفاً كبيراً، فانزل الله تبارك وتعالى عليه: **﴿وكان به رحيماً﴾**، يعزيه ويخفض عليه الأمر ويخبره أنه لم يكن قبله رسول ولا نبي تمنى، كما تمنى، ولا أحب كما أحب، إلا والشيطان قد ألقى في أمنيته، كما ألقى على لسانهﷺ، فنسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته، أي فأنت كبعض الأنبياء والرسل، فأنزل الله: **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته...الآية﴾**، فأذهب الله عن نبيه الحزن وأمنه من الذي كان يخاف، ونسخ ما ألقى الشيطان على لسانه من ذكر آلهتهم أنها الغرانيق العلى وأن شفاعتهن ترتضى، يقول الله حين ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، إلى قوله: **﴿...وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾**. أي فكيف تنفع شفاعة آلهتكم

عنده، فلما جاءه من الله ما نسخ ما كان الشيطان ألقى على لسان نبيه، قالت **قريش:** ندم محمد على ما كان من منزلة آلهتكم عند الله فغير ذلك وجاء بغيره، وكان ذلك الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسوله قد وقعا في فم كل مشرك، فازدادوا شراً على ما كانوا عليه.

رواية أخرى (جلس رسول الله ﷺ في ناد من أندية قريش كثير أهله، فتمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شئ فينفروا عنه، فأنزل الله عليه: ﴿**والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى**﴾ فقرأها رسول الله ﷺ حتى إذا بلغ: ﴿ **أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى**﴾ ألقى عليه الشيطان كلمتين: (تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى) فتكلم بها ثم مضى، فقرأ السورة كلها فسجد في آخر السورة وسجد القوم جميعاً معه، ورفع الوليد بن المغيرة تراباً إلى جبهته فسجد عليه، وكان شيخاً كبيراً لا يقدر على السجود، فرضوا ما تكلم به، وقالوا: قد عرفنا أن الله يحيى ويميت، وهو الذي يخلق ويرزق، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده، إذ جعلت لها نصيباً فنحن معك، قالا فلما أمسى أتاه جبرائيل عليهما السلام فعرض عليه السورة، فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه، قال: ما جئتك بهاتين، فقال رسول الله ﷺ: (أفتريت على الله ما لم يقل، فأوحى الله إليه: ﴿**وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره**﴾ إلى قوله: ﴿**ثم لا تجد لك علينا نصيراً**﴾ فما زال مغموماً مهموماً حتى نزلت عليه: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته، فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم**﴾ قال: فسمع من كان من المهاجرين بأرض الحبشة، أن أهل مكة قد أسلموا كلهم فرجعوا إلى عشائرهم وقالوا: هم أحب إلينا، فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان.

فالجواب:

أخرج هذين الأثرين الطبري، وشاركه البغوي في الأول واللفظ لابن جرير، وكلاهما ضعيف الإسناد، فهما إما من طريق أبي معشر، أو تدليس إبن إسحاق، وفي الأول عند ابن جرير: سلمة بن الفضل، فإنه كثير الخطأ، مع صدقه ومع هذا فالخبران مرسلان وقد تضمنا أموراً منكرة تنافي مقام النبوة، منها:

أولاً: أن رسول الله ﷺ حين رأى تولي قومه عنه، تمنى أن لا ينزل الله فيهم شيئاً ينفرهم منه كما يفيده الأثر الثاني.

ثانياً: أن الشيطان ألقى على لسان رسول الله ﷺ أثناء قراءته سورة النجم: (تلك العرانيق العلى وإن شفاعتهم ترتضى (ترتجى) وأن رسول الله ﷺ تكلم بهاتين الجملتين ولذلك سجد المشركون بسجوده، لأنه في زعمهم أثنى على آلهتهم.

ثالثاً: أن رسول الله ﷺ لم يشعر بما حصل منه حتى جاءه جبريل وطلب إليه عرض السورة عليه، ثم قال جبرائيل عليه السلام: يا محمد ماذا صنعت؟ لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله وقلت ما لم يقل.

وفي الأثر الثاني: (أن رسول الله ﷺ لما بلغ تلك الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه قال: ما جئتك بهاتين فقال رسول الله ﷺ: أفتريت على الله ما لم يقل).

ومع ما بيناه في الحديثين من أسباب ردهما وعدم صلاحيتهما للإحتجاج على ما احتويا من الأخبار، فقد يحتج على إثبات حادثة الغرانيق، وأنها سبب لنزول قوله تعالى: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي...**﴾**إلى قوله**: ﴿**عليم حكيم**﴾، والحجة أن تلك الحادثة جاءت مروية عن غير ابن كعب من اهل التأويل عند جماعة من المفسرين؟

فالجواب: أن الأمر كما ذكر، فالقصة مشهورة فقد رواها ابن جرير الطبري، والبغوي، وغيرهما، وحكاها السيوطي، نقلاً عن ابن المنذر، وابن أبي

حاتم، وغير واحد من المفسرين، ومن الأئمة الذين جاءت عنهم رواية تلك الحادثة: ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، لكن جهابذة المحققين من العلماء مثل: القاضي عياض، وابن العربي، وابن كثير، والشوكاني، والألباني، تصدوا لهذه الحادثة فكشفوا عن وجه الحق فيها، وابانوا بالدليل بطلانها وعدم صحة نسبتها إلى رسول الله ﷺ وقد خصصها الألباني برسالة نقدها فيها سنداً ومتناً.

وأرى أنه يجدر بطالب الحق الإطلاع عليها حتى يتبين له وجه الصواب، ورغبة مني في دفع السأم وبيان الحق في تلك الحادثة ـ موجزاً ـ فإني أعرض ما قاله بعض أولئك العلماء الجهابذة جزاهم الله عن دينه والمسلمين خير الجزاء. فأقول:

أولاً: قال القاضي عياض: فاعلم أكرمك الله: أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث **مأخذين**: أحدهما: في توهين أصله، والثاني: على تسليمه.

أما المأخذ **الأول**: فيكفيك أن هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند متصل سليم. إلى آخر ما قاله في الموضوع.

ثانياً: قال ابن كثير: قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظناً منهم أن مشركي قريش قد أسلموا ولكنها من طرق كلها مرسلة ولم أرها مسندة من وجه صحيح.اهـ.

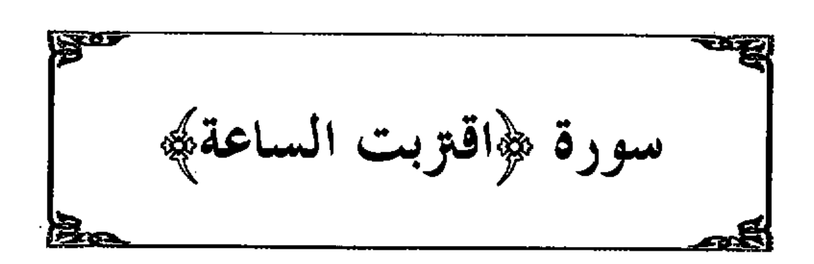
ثالثاً: قال ابن العربي: بعد ذكره الحادثة: المسألة الثانية: اعلموا أنار الله أفئدتكم بنور هداه ويسر لكم مقصد التوحيد ومغزاه أن الهدى هدى الله، فسبحان من يتفضل به على من يشاء ويصرفه عمن يشاء، وقد بينا معنى الآية في فضل تنبيه الغبي، على مقدار النبي بما نرجو به عند الله الجزاء الأوفى في مقام الزلفى ونحن الآن نجلوا بتلك الفصول الغماء ونرقيكم بها عن حضيض الدهماء إلى بقاع العلماء في عشر مقامات:

المقام الأول: أن النبي إذا أرسل الله إليه الملك بوحيه فإنه يخلق له العلم به، حتى يتحقق أنه رسول من عنده ولولا ذلك ما صحت الرسالة ولا تبينت النبوة، فإذا خلق الله له العلم به تميز عنده من غيره، وثبت اليقين واستقام سبيل الدين ولو كان النبي إذا شافهه الملك بالوحي لا يدري أملك هو أم إنسان أو صورة مخالفة لهذه الأجناس ألقت عليه كلاماً وبلغت إليه قولا لم يصح له أن يقول: إنه من عند الله ولا ثبت عندنا أنه أمر الله، فهذه سبيل متيقنة، وحالة متحققة لا بد منها ولا خلاف في المنقول ولا في المعقول فيها، ولو جاز للشيطان أن يتمثل فيها، أو يتشبه بها ما أمنا على آية، ولا عرفنا منه باطلاً من حقيقة، فارتفع بهذا الفصل اللبس وصح اليقين في النفس، إلى أن قال: المقام العاشر: أن هذه الآية نص في غرضنا دليل على صحة مذهبنا، أصل في براءة النبي ﷺ مما نسب إليه أنه قاله عندنا، وذلك أنه قال تعالى: **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾** فأخبر الله تعالى أن من سنته في رسله وسيرته في أنبيائه أنهم إذا قالوا عن الله قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه، كما يفعل سائر المعاصي، كما تقول: ألقيت في الدار كذا، وألقيت في العكم كذا، وألقيت في الكيس كذا، فهذا نص في أن الشيطان زاد في الذي قاله النبي ﷺ لا أن النبي قاله...الخ.

وأقول: لقد دل الكتاب والسنة صراحة، على بطلان نسبة تلك المقالة إلى رسول الله ﷺ، قال تعالى: **﴿وما تنزلت به الشياطين، وما ينبغي لهم وما يستطيعون﴾، وقال: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾**، فوجه الدلالة من الآيتين الأوليين إخبار الله عن صيانة كتابه عن عبث الشياطين، وحاشاه أن يخلف وعده، كما دلت الآيتان الأخريان على أن رسول الله ﷺ لا

يتكلم في التلاوة إلا بما يوحيه إليه ربه، وهذا نص في أن الشيطان لم يجر على لسانه المقالة الخبيثة، ويدل على بطلانها، ما جاء في الصحيح: (أن رسول الله ﷺ لما فرغ من سورة النجم سجد وسجد معه المسلمون والمشركون) وليس فيه لقصة الغرانيق ذكر.

آخر تفسير سورة والنجم و لله الحمد والمنة.



سورة اقتربت الساعة بسم ا لله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر في أول السورة.

والمعتمد في المصحف القمر وهو ظاهر كذلك وقد أسلفنا حديث أبي واقد أن رسول ا لله ﷺ كان يقرأ بقاف واقتربت الساعة في الأضحى والفطر.

وهي مكية كلها في قول الجمهور.

وآياتها خمس وخمسون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [قال مجاهد: ﴿مستمر﴾ ذاهب].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرج في المعنى عن قتادة والضحاك وسفيان وعليه مشى ابن جرير في تفسيره للآية.

وقال الفراء: سيبطل ويذهب.

والآية المشار إليها **﴿وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾**.

٢ - [﴿مزدجر﴾ متناهٍ].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وعليه مشى في تفسير الآية وأخرج في المعنى عن قتادة وسفيان.

والآية المشار إليها **﴿ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر﴾**.

٣ - [﴿وازدجر﴾ فاستطير جنوناً].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أنه بمعنى اتهموه وزجروه ووعدوه لئن لم يفعل ليكونن من المرجومين وبه قال ابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر﴾**.

٤ - [﴿دسر﴾ أضلاع السفينة].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وهو **أحد** أقوال خمسة حكاها في الآية.

وثانيها: أنه المسمار الذي تشد به السفينة وبه قال ابن عباس والقرضي وقتادة وابن زيد.

وثالثها: أنه صدر السفينة وإنما وصف بذلك لأنه يدفع الماء ويدسره وهو قول الحسن وابن عباس في الرواية الثانية.

رابعها: أنه عوارض السفينة وبه قال مجاهد في الرواية الثانية عنه.

وخامسها: أنه أطرافها وهو قول الضحاك.

والذي مشى عليه ابن جرير في تفسير الآية ثاني الأقوال.

والآية المشار إليها ﴿**وحملناه على ذات ألواحٍ ودسر**﴾.

٥ - [﴿**لمن كان كفر**﴾ **يقول كفر له جزاءاً من ا لله**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله بلفظ (كفر بـا لله) ومعناه فعلنا ذلك ثواباً لمن كان كفر فيه بمعنى كفر با لله فيه وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: جزاء لما كان كفر من أيادي ا لله ونعمه عند الذين أهلكهم وغرقهم من قوم نوح وهو قول ابن زيد واختار ابن جرير قول مجاهد فقال: والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله مجاهد.

٦ - [﴿**محتضر**﴾ **يحضرون الماء**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وبمعناه فسر الآية.

وقال الفراء: يحتضره أهله ومن يستحقه.

قلت: وهذه قريبة من عبارة مجاهد.

والآية المشار إليها ﴿**ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر**﴾.

٧ - [**وقال ابن جبير**: ﴿**مهطعين**﴾ **النسلان الخَبَب السِّراع**].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق شريك عن سالم الأفكس عن سعيد بن جبير. حكاه الحافظ هنا.

والآية المشار إليها ﴿**مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر**﴾.

٨ - [**وقال غيره**: ﴿**فتعاطى**﴾ **فعاطها بيده فعقرها**].

ش: قال ابن التين: لا أعلم لقوله فعاطها وجهاً إلا أن يكون من المقلوب لأن العطو التناول فكأنه قال تناولها بيده. حكاه الحافظ.

قلت: ويؤيده ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس ومشى عليه في تفسير الآية قال فتناولها بيده.

والآية المشار إليها ﴿ **فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر**﴾.

٩ - [﴿**المحتظر**﴾ **كحظار من الشجر محترق**].

قال أبو عبيدة: صاحب الحظيرة والمحتظر هو الحظار والهشيم ما يبس من الشجر أجمع.

وفي الآية خمسة أقوال:

أحدها: أنها العظام المحترقة وبه قال ابن عباس وقتادة والحسن.

وثانيها: أنه التراب المتناثر على الحائط وهو قول سعيد بن جبير.

وثالثها: انها حظيرة الراعي للغنم وبه قال أبو إسحاق والضحاك.

ورابعها: أنه هشيم الخيمة وهو ما تكسر من خشبها وبه قال مجاهد.

وخامسها: أنه الورق المتناثر من خشب الحطب وهو قول سفيان حكاها ابن جرير وظاهر الآية يؤيد ما قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها ﴿**إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتضر**﴾.

١٠ - [﴿**ازدجر**﴾ **إفتعل من زجرت**].

ش: قاله الفراء وزاد وإذا كان الحرف أوله زاي صارت تاء الإفتعال فيه دالاً من ذلك زجر، ومزدجر ومن ذلك إزدلف ويزداد هي من الفعل يفتعل فقس عليه ما ورد.

والآية المشار إليها تقدمت ضمن الأثر الثالث.

١١- [﴿كفر﴾ فعلنا به وبهم ما فعلنا جزاء لماصنع بنوح وأصحابه].

ش: قاله الفراء وزاد: فقال لمن يريد القوم وقيد معنى ما: ألا ترى أنك تقول غرقوا لنوح ولما صنع بنوح والمعنى واحد.

والآية المشار إليها تقدمت ضمن الأثر الخامس.

١٢ - [﴿مستقر﴾ عذاب حق].

ش: قال قتادة: بأهل الخير الخير وبأهل الشر الشر.

وأخرجه ابن جرير وعبارته كما ترى أوفق لظاهر الآية.

وقال الفراء: استقر قرار تكذيبهم، وقرار قول المصدقين حتى يعرفوا حقيقته بالعقاب والثواب.

قلت: وليس بين العبارتين خلاف في المعنى.

والآية المشار إليها ﴿**وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر**﴾.

١٣ - [يقال: ﴿الأشر﴾: المرح والتجبر].

ش: الأشر شدة البطر وقد أشر يأشر أشراً قال تعالى ﴿**سيعلمون غداً من الكذاب الأشر**﴾ فالأشر أبلغ من البطر والبطر أبلغ من الفرح فإن الفرح وإن كان في أغلب أحواله مذموماً لقوله تعالى ﴿ **إن الله لا يحب الفرحين**﴾ فقد يحمد تارة إذا كان على قدر ما يجب في الموضع الذي يجب كما قال تعالى ﴿**فبذلك فليفرحوا**﴾ قاله الراغب مادة أشر وإن قيل لِـمَ لم تنقل كلام أبي عبيدة في الآية قلنا: تركنا ذلك لأن المصنف لم يشرح الوصف وهو كلمة أشر بكسر المعجمة بل شرح المصدر أشراً بفتح الشين المعجمة والراء المهملة.

٣٤٥ - [باب ﴿وانشق القمر، وإن يروا آية يعرضوا﴾]

ش: قلت الآيتان: **﴿إقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾**.

يعني تعالى ذكره بقوله **﴿إقتربت الساعة﴾**: دنت الساعة التي تقوم فيها القيامة وقوله **﴿إقتربت﴾** إفتعلت من القرب وهذا من الله تعالى ذكره: إنذار لعباده بدنو القيامة، وقرب فناء الدنيا، وأمر لهم بالاستعداد لأهوال القيامة قبل هجومها عليهم وهم عنها في غفلة ساهون.

وقوله **﴿وانشق القمر﴾** يقول جل ثناؤه: وانفلق القمر وذلك أن المشركين كما صح به الخبر سألوا رسول الله ﷺ وهو بمكة آية فأراهم ﷺ انشقاق القمر، آية حجة على صدق قوله، وحقيقة نبوته، فلما آراهم أعرضوا وكذبوا، وقالوا: هذا سحر مستمر سحرنا محمد فقال الله جل ثناؤه **﴿وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾**.

٣٨٢ - حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله ﷺ: (اشهدوا).

٣٨٣ - حدثنا علي بن عبد الله: حدثنا سفيان: أخبرنا ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله قال: انشق القمر ونحن مع النبي ﷺ فصار فرقتين فقال لنا: اشهدوا اشهدوا).

٣٨٤ - حدثنا يحيى بن بكير قال: حدثني بكر، عن جعفر[1] عن عراك بن مالك[2] عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: انشق القمر في زمان النبي ﷺ.

---

(١) هو أبو شرحبيل جعفر بن ربيعة بن شرحبيل بن حسنة الكندي المصري ثقة من الخامسة، مات سنة ست وثلاثين ومائة ع.

٣٨٥ – حدثنا عبد الله بن محمد: حدثنا يونس بن محمد حدثنا شيبان عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: سأل أهل مكة أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر.

٣٨٦ – حدثنا مسدد ثنا يحيى عن شعبة عن قتادة عن أنس قال: انشق القمر فرقتين.

ش: فيها سبع مسائل:

الأولى: قوله «**انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ**» في المناقب باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية برواية أبي حمزة (وكنا مع النبي ﷺ بمنى) وعند مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم باب انشقاق القمر برواية علي بن مسهر (بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذ انفلق القمر).

ووقع عند الطبراني من طريق زر بن حبيش عن ابن مسعود قال: انشق القمر بمكة فرأيته فرقتين.

ولا تعارض بينه وبين حديث الباب لأن منى من مكة.

قال الحافظ: وقد وقع عند ابن مردوية بيان المراد فاخرج من وجه آخر عن ابن مسعود قال: (**انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ ونحن بمكة قبل أن يصير إلى المدينة**).

قلت: فوضح به أن هذه الحادثة وقعت قبل الهجرة.

الثانية: قوله «**فرقتين**» وكذا في حديث أنس الآتي برواية شعبة عن قتادة، وفي المناقب برواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس (شقتين) وأخرجه مسلم ج٤ ص٢١٥٩ من الوجه الذي أخرجه منه البخاري من حديث سعيد عن قتادة بلفظ (فأراهم انشقاق القمر مرتين) وكذا وقع عند عبد الرزاق والإمام

---

(٢) هو عراك بن مالك الغفاري الكناني المدني ثقة فاضل من الثالثة مات في خلافة يزيد بن عبد الملك بعد المائة ع.

أحمد وعزاه الحافظ إلى إسحاق بن راهويه، والمتفق عليه بين الشيخين من رواية شعبة عن قتادة عن أنس بلفظ (فرقتين) قال البيهقي: قد حفظ ثلاثة من أصحاب قتادة عنه (مرتين) حكاه الحافظ وقال: لكن اختلف عن كل منهم في هذه اللفظة ولم يختلف على شعبة وهو أحفظهم ولم يقع في شئ من طرق حديث ابن مسعود بلفظ (مرتين) إنما فيه فرقتين أو فلقتين) بالراء أو اللام وكذا في حديث ابن عمر (فلقتين) وفي حديث جبير بن مطعم فرقتين) وفي لفظ عنه (فانشق باثنتين) حكاه الحافظ.

وفي رواية عن ابن عباس عند أبي نعيم (١/ ٢٨٠) في الدلائل (فصار قمرين) لكن في إسناده بشير بن الحسين وهو متروك قال الحافظ: ووقع في نظم السيرة لشيخنا الحافظ أبي الفضل: وانشق مرتين بالإجماع ولا أعرف من جزم من علماء الحديث بتعدد الإنشقاق في زمنه ﷺ ولم يتعرض أحد من شراح الصحيحين، ثم نقل الحافظ عن ابن القيم أنه قال: «المرات يراد بها الأفعال تارة والأعيان أخرى والأول أكثر من الثاني (انشق القمر مرتين) وقد خفي على بعض الناس فادعى أن انشقاق القمر وقع مرتين وهذا مما يعلم أهل الحديث والسير أنه غلط فإنه لم يقع إلا مرة واحدة».اهـ

وقال الإمام ابن كثير في البداية (٢/ ١٢٠) (وما وقع في رواية أنس في مسند أحمد: فانشق القمر بمكة مرتين فيه نظر، والظاهر أنه أراد فرقتين.ا.هـ

الثالثة: قوله «**فرقة فوق الجبل وفرقة دونه**» في المناقب برواية سعيد بن أبي عروبة (حتى رأو حراء بينهما) والفرقة من الشئ قطعته وفي المصباح (فرقت بين الشئ فرقاً من باب قتل فصلت أبعاضه.

الرابعة: قوله «**اشهدوا**» وفي رواية مجاهد بعد هذه (اشهدو اشهدوا) وأخرج النسائي في تفسير السورة من رواية خالد بن الحارث ومسلم من رواية معاذ العنبري كلاهما عن شعبة (اللهم اشهد).

الخامسة: قوله «انشق القمر في زمان النبي ﷺ » وعند أبي نعيم في الدلائل (١/٢٨٠) عن عطاء عن ابن عباس قال: اجتمعت المشركون إلى رسول الله ﷺ، منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، والعاص بن هشام، والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى وزمعه بن الأسود والنضر بن الحارث ونظرؤاهم كثير، فقالوا للنبيﷺ: إن كنت صادقاً فشق القمر لنا فرقتين، نصفاً على أبي قبيس، ونصفاً على قعيقهان ورسول الله ينادي يا أبا سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم، اشهدوا).

السادسة: قوله «سأل أهل مكة أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر» مضت كيفية السؤال وأسماء بعض من سألوا النبي ﷺ عن ذلك في رواية عطاء عن ابن عباس قريباً.

السابعة: قوله (انشق القمر فرقتين) سبق معناه ضمن المسألة الثانية من هذا الباب.

تنبيه

لم يدرك ابن عباس ولا أنس هذه القصة فهي من مراسيل الصحابة وذلك مقبول عند المحدثين وأمثاله كثير.

٣٤٦ - [باب ﴿تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر، ولقد تركناها آية فهل من مدكر﴾]

ش: يخبر جل ثناؤه: أن السفينة التي حملت نوحاً فوق ماء الطوفان تجري بمنظر منه وحفظ.

وقوله **﴿جزاء لمن كان كفر﴾** أي جزاء لهم على كفرهم بالله وانتصاراً لنوح عليه السلام.

وقوله **﴿ولقد تركناها آية﴾** يقول تعالى ذكره: ولقد تركنا السفينة التي حملنا فيها نوحاً ومن كان معه آية، يعني عبرة وعظة لمن بعد قوم نوح من الأمم ليعتبروا ويتعظوا فينتهوا عن أن يسلكوا مسلكهم في الكفر بالله، وتكذيب رسله، فيصيبهم مثل ما أصابهم من العقوبة.

ولهذا قال هنا فهل من مدكر أي فهل من يتعظ ويتذكر.ا.هـ

قوله:[**(قال قتادة: أبقى الله سفينة نوح حتى أدركها أوائل هذه الأمة)**].

ش: أخرجه عبد الرزاق عند تفسيره هذه الآية (٣/٢٥٨) عن معمر عن قتادة فذكره.

وأخرجه ابن جرير ثنا ابن عبد الأعلى ثنا أبو ثور عن معمر عن قتادة به.

وأخرجه من طريق سعيد عن قتادة بنحوه وزاد أبقاها الله بباب قردى من أرض الجزيرة، عبرة وآية حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة نظراً، وكم من سفينة كانت بعدها قد صارت رماداً.

٣٨٧ - حدثنا حفص بن عمر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق عن الأسود عن عبدالله قال: كان النبي ﷺ يقرأ ﴿فهل من مدكر﴾.

ش: زاد في الأنبياء برواية سفيان مثل قراءة العامة.

قلت: ومدكر بالدال المهملة المشددة وسبب ذلك أن بعض السلف قرأها بالمعجمة هكذا (فهل من مذكر) كما أخرجه ابن جرير عن سفيان.

وقال الحافظ: وهو منقول أيضاً عن قتادة.

٣٤٧ - [باب ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾]

ش: يقول تعالى ذكره: ولقد سهلنا القرآن، بيناه وفصلناه للذكر لمن أراد أن يتذكر ويعتبر ويتعظ وهوناه.

وقوله ﴿**فهل من مدكر**﴾ يقول: فهل من معتبر متعظ يتذكر فيعتبر بما فيه من العبر والذكر.

فائدة

قال ابن القيم: «العلم النافع هو الذي جاء به الرسول دون مقدرات الأذهان ومسائل الخرص، والألغاز وذلك بحمد الله تعالى أيسر شئ على النفوس تحصيله وحفظه وفهمه، فإنه كتاب الله الذي يسره للذكر كما قال تعالى ﴿**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**﴾».

قال البخاري في صحيحه: قال مطر الوراق هل من طالب علم فيعان عليه ولم يقل فتضيع عليه مصالحه وتتعطل معايشه عليه، وسنة رسوله وهي بحمد الله تعالى مضبوطة محفوظة وأصول الأحكام التي تدور عليها نحو خمسمائة حديث، وفرشها وتفصيلها نحو أربعة آلاف حديث وإنما الذي هو في غاية الصعوبة والمشقة مقدارت الأذهان وأغلوطات المسائل والفروع والأصول التي ما أنزل الله بها من سلطان التي كل مآلها في نمو وزيادة وتوليد، والدين كل مآله في غربة ونقصان والله المستعان».انتهى من البدائع (٤/٢٠٩).

قلت: وفي الآية تحريض على التمسك بالقرآن والعمل به ونبذ ما يخالفه من الآراء.

روى مسلم في باب من فضائل علي بن أبي طالب من كتاب فضائل الصحابة عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر ثم قال: (أما بعد ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم

ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به) فحث على كتاب الله ورغب فيه).

[قال مجاهد: يسرنا هوّنا قراءته].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم،: ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: هوّناه.

واخرج عن ابن زيد قال بيّنا.

٣٨٨ - حدثنا مسدد، عن يحيى عن شعبة عن أبي إسحاق عن الأسود عن عبد الله رضي الله عنه عن النبيﷺ: أنه كان يقرأ (فهل من مدّكر).

ش: مضى في الباب قبله.

٣٤٨ - [باب ﴿أعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابي ونذر﴾]

ش: قلت الآيتان: **﴿تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر، فكيف كان عذابي ونذر﴾**.

قوله **﴿تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾** يقول تقتلع الناس ثم ترمي بهم على رؤسهم فتندق رقابهم، وتبين من أجسامهم.

وقوله **﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾** يقول تعالى ذكره: فانظروا يا معشر كفار قريش، كيف كان عذابي قوم عاد، إذ كفروا بربهم، وكذبوا رسوله فإن ذلك سنة الله في أمثالهم وكيف كان إنذاري بهم من أنذرت.

٣٨٩ - حدثنا أبو نعيم حدثنا زهير عن أبي إسحاق أنه سمع رجلاً سأل الأسود: ﴿فهل من مدكر﴾ أو ﴿مذكر﴾ فقال سمعت عبدا لله يقرؤها ﴿فهل من مدكر﴾ قال وسمعت النبي ﷺ يقرؤها ﴿فهل من مدكر﴾ دالاً.

ش: مضى شرحه.

٣٤٩ - [باب ﴿فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾]

ش: قلت الآيتان: **﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾.**

يخبر جل وعلا أنه أهلك ثموداً وهم قوم صالح ﷺ حين كذبوه بصيحة واحدة فبادوا عن آخرهم لم تبق منهم باقية وخمدوا وهمدوا كما يهمد يبس الزرع والنبات.

٣٩٠ - حدثنا عبدان أخبرني أبي عن شعبة عن أبي إسحاق عن الأسود عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قرأ ﴿فهل من مدكر﴾ الآية.

ش: مضى شرحه

٣٥٠ - [باب ﴿ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر، فذوقوا عذابي ونذر﴾ إلى ﴿فهل من مدكر﴾]

ش: وتمامها: **﴿فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾**.

يقول تعالى ذكره: ولقد صبح قوم لوط بكرة وقيل إن ذلك كان عند طلوع الفجر وقوله **﴿عذاب﴾** وذلك قلب الأرض بهم، وتصيير أعلاها أسفلها بهم ثم أتبعهم بالحجارة من سجيل منضود كما قال تعالى **﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود﴾**.

وقوله **﴿مستقر﴾** يقول: استقر ذلك العذاب فيهم إلى يوم القيامة حتى يوافوا عذاب الله الأكبر في جهنم.

وقوله **﴿فذوقوا عذابي ونذر﴾** يقول تعالى ذكره لهم: فذوقوا معشر قوم لوط عذابي الذي أحللته بكم بكفركم بالله وتكذيبكم رسوله وإنذاري بكم الأمم سواكم بما أنزلته بكم من العقاب.

فائدة

وأما فائدة قوله **﴿فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾** أن يجددوا عند استماع كل نبأ من الأنباء التي أتت من الأمم السالفة أدكاراً واتعاظاً ويتنبهوا إذا سمعوا الحث على ذلك.قاله العيني (٥٩/١٦).

٣٩١ - حدثنا محمد حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق عن الأسود عن عبد الله عن النبي ﷺ قرأ ﴿فهل من مدكر﴾.

ش: سبق شرحه.

٣٥١ - [باب ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر﴾]

ش: قوله تعالى **﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾** يعني أمثالكم وسلفكم من الأمم السابقة المكذبين بالرسل **﴿فهل من مدكر﴾** أي فهل من متعظ بما أخزى الله أولئك وقدر لهم من العذاب كما قال تعالى **﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل﴾**.

٣٩٢ - حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن الأسود ابن يزيد عن عبد الله: قرأت على النبي ﷺ ﴿فهل من مذكر﴾ فقال النبي ﷺ ﴿فهل من مدكر﴾.

ش: قوله ﴿مدكر﴾ أصله مذتكر بمثناة بعد ذال معجمة فأبدلت التاء دالاً مهملة ثم أهملت المعجمة لمقاربتها ثم أدغمت.

فائدة

فإن قلت ما معنى تكرار هذا الحديث في هذه التراجم الستة وما وجه المناسبة بينه وبينها **قلت:** لعل غرضه أن المذكور في هذه السورة الذي هو في المواضع الستة كله بالمهملة. قاله الكرماني (١٨/ ١٢٠).

٣٥٢ - [باب قوله ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾]

ش: يقول جل ثناؤه: سيهزم الجمع يعني جمع كفار قريش ويولون الدبر يقول ويولون أدبارهم المؤمنين با لله عند انهزامهم منهم وقيل الدبر فوحد والمراد به الجمع كما يقال ضربنا منهم الرأس: أي ضربنا منهم الرءوس إذ كان الواحد يؤدي عن معنى جمعه.

٣٩٣ - حدثنا محمد بن عبد ا لله بن حوشب حدثنا عبد الوهاب حدثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس: وحدثني محمد حدثنا عفان بن مسلم عن وهيب حدثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس رضي ا لله عنهما: أن رسول ا لله ﷺ قال: وهو في قبة يوم بدر (اللهم إني انشدك عهدك ووعدك اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم) فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول ا لله، الحت على ربك وهو يثب في الدرع فخرج وهو يقول ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾.

ش: فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله «**عن ابن عباس أن رسول ا لله ﷺ قال يوم بدر**» وفي المغازي باب ما قيل في درع النبي ﷺ والقميص في الحرب عن ابن عباس قال النبي ﷺ) وهذا من مراسيل الصحابة فإن ابن عباس لم يحضر ذلك، ولعله أخذه عن عمر أو عن أبي بكر فقد أخرج مسلم باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر من كتاب الجهاد من طريق أبي زميل بالزاي مصغراً واسمه سماك بن الوليد عن ابن عباس قال: حدثني عمر لما كان يوم بدر نظر رسول ا لله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلثمائة وتسعة عشر، فاستقبل القبلة ثم مد يديه فلم يزل يهتف بربه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، وقال الحافظ وعند سعيد بن منصور من طريق عبيد ا لله بن عبد ا لله بن عتبة قال: لما كان يوم بدر نظر رسول ا لله ﷺ إلى المشركين وتكاثرهم وإلى المسلمين فاستقلهم، فركع ركعتين وقام أبوبكر عن

يمينه فقال رسول الله ﷺ وهو في صلاته: اللهم لا تودع مني اللهم لا تخذلني اللهم لا تترني اللهم انشدك ما وعدتني.ا.هـ وروى ابن إسحاق في السيرة(١/٦٢١) (انه ﷺ قال: اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم احنهم الغداة)

الثانية: قوله «**وهو في قبة**» المراد بها العريش الذي اتخذه الصحابة لجلوس النبي ﷺفيه ففي السيرة لإبن إسحاق أن سعد بن معاذ قال: يا نبي الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه، ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا).

الثالثة: قوله «**اللهم إني انشدك عهدك ووعدك**» انشدك بفتح الهمزة وسكون النون والمعجمة وضم الدال أي اطلب منك وأسألك وعند الطبراني عن ابن مسعود قال: ما سمعنا مناشداً ينشد ضالة أشد مناشدة من محمد لربه يوم بدر: اللهم إني انشدك ما وعدتني) قال السهيلي في الروض (٣/٤٧): «وأما شدة احتهاد النبي ﷺونصبه في الدعاء فإنه رأي الملائكة تنصب في القتال وجبريل على ثناياه الغبار، وأنصار الله يخوضون غمار الموت، والجهاد على ضربين جهاد بالسيف وجهاد بالدعاء ومن سنة الإمام أن يكون من وراء الجند لا يقاتل معهم فكان الكل في اجتهاد وجد و لم يكن ليريح نفسه من أحد الجدين والجهادين، وأنصار الله وملائكته يجتهدون، وليؤثر الدعة وحزب الله مع أعدائه يجتلدون».

الرابعة: قوله «**اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم**» في المغازي (اللهم إن شئت لم تعبد) وفي حديث عمر في مسلم (اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض) وفي السيرة (اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد) قال أهل العلم وإنما قال ذلك لأنه علم أنه خاتم النبيين فلو هلك هو ومن معه حينئذ لم يبعث أحد ممن يدعو إلى الإيمان، ولاستمر المشركون يعبدون غير الله، فالمعنى لا يعبد في الأرض بهذه الشريعة.

الخامسة: قوله «**فأخذ أبو بكر بيده فقال حسبك يا رسول الله ألحت على ربك**» وعند مسلم أن أبا بكر أتاه فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم إلتزمه من ورائه فقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه ينجزلك ما وعدك فأنزل الله (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) الآية، فأمده الله بالملائكة)، وعند ابن إسحاق (وأبو بكر يقول يا نبي الله بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك).

السادسة: قوله «**وهو يثب في الدرع**» وثب وثباً من باب وعد قفز ووثوباً ووثيباً فهو وثاب ويتعدى بالهمزة فيقال "أوثبته" ووثبته بمعنى ساورته من الوثوب والعامة تستعمله بمعنى المبادرة والمسارعة قاله في المصباح.

والدرع قميص من حلقات من الحديد متشابكة يلبس في الحروب.

السابعة: قوله «**فخرج وهو يقول: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾**».

وفي رواية أيوب عن عكرمة أن عمر قال لما نزلت **﴿سيهزم الجمع﴾** جعلت أقول أي جمع يهزم؟ فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يثب في الدرع ويقول **﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾** أخرجه ابن جرير في تفسير الآية، وأخرج ابن إسحاق ان رسول الله ﷺ قد خفق خفقة وهو في العريش ثم انتبه فقال أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده على ثناياه النقع).

٣٥٣ - [باب ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾]

ش: يقول تعالى ذكره: ماالأمر كما يزعم هؤلاء المشركون من أنهم لا يبعثون بعد مماتهم بل الساعة موعدهم للبعث والعقاب والساعة أدهى وأمر عليهم من الهزيمة التي يهزمونها عند التقائهم مع المؤمنين ببدر.

[﴿أدهى وأمر﴾: يعني من المرارة].

ش: قاله الفراء وزاد في أوله يقول أشد عليهم من عذاب يوم بدر.

٣٩٤ - حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال: أخبرني يوسف بن ماهك قال إني عند عائشة أم المؤمنين قالت: لقد أنزل على محمد ﷺ وهو بمكة وإني لجارية ألعب ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾).

٣٩٥ - حدثني إسحاق حدثنا خالد عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر (انشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً فأخذ أبو بكر بيده وقال حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك وهو في الدرع فخرج وهو يقول ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾.

ش: فيهما ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**لقد أنزل على محمد ﷺ وهو بمكة**» **قلت:** ولذلك قصة أخرجها المصنف في فضائل القرآن باب تأليف القرآن عن يوسف بن ماهك قال: إني عند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها إذ جاءها عراقي فقال أي الكفن خير قالت: ويحك وما يضرك، قال يا أم المؤمنين أريني مصحفك قالت لم قال لعليِّ أؤلف القرآن عليه فإنه يقرأ غير مؤلف قالت وما يضرك أَيَّهُ قرأت قبل إنما أنزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء لا يشربوا الخمر لقالوا لا ندع

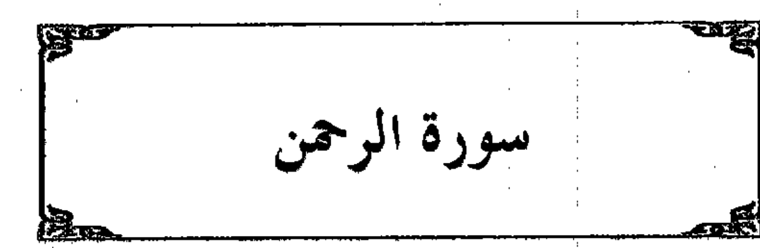
الخمر أبداً، ولـو نـزل لا تزنـوا لقـالوا لا نـدع الزنـا أبـداً، لقـد نـزل بمكـة علـى محمد ﷺ وإني جارية ألعب ﴿**بل الساعة موعدهـم والسـاعة أدهـى وأمـر**﴾) الحديث.

قال الحافظ في شرحه الحديث هناك قوله (لقد نزل بمكة) إشـارة بذلـك إلى تقوية ما ظهر لها من الحكمة المذكورة.

الثانية: قوله «**وإني لجارية ألعب**» أي دون البلوغ وأرادت بـه تقويـة الخـبر وتأكيده وفيه دليل على قبول ما تحمله الراوي من الأخبار في صغره.

الثالثة: قوله (﴿**بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر**﴾) وفي حديـث ابن عباس بعده ﴿**سيهزم الجمع ويولون الدبـر بـل السـاعة موعدهـم والسـاعة أدهى وأمر**﴾ وظاهره يخالف ما تقدم في الباب قبله فخرج وهو يقـول ﴿**سـيهزم الجمـع ويولـون الدبـر**﴾ والجمـع بينهمـا أن نـزول الآيـة كـان بمكـة واستشـهاد النبي ﷺ بها على البشارة كان يوم بدر. وا لله أعلم.

آخر تفسير سورة القمر و لله الحمد والمنة.



سورة الرحمن بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر في أول السورة.

وهي مكية كلها في قول الحسن وعروة بن الزبير وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن مسعود مدنية كلها والأول أصح.

وآياتها ست وسبعون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - **[وقال مجاهد: ﴿بحسبان﴾ كحُسبان الرحى].**

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وهو أحد أقوال ثلاثة حكاها في الآية.

وثانيها: أن معناه الشمس والقمر بحسبان ومنازل لها يجريان ولا يعدوانها وبه قال ابن عباس وأبومالك وقتادة وابن زيد.

وثالثها: أن معناه أنهما يجريان بقدر وهو قول الضحاك واختار ابن جرير قول ابن عباس ومن وافقه فقال لأن الحسبان مصدر من قول القائل: حسبه حساباً وحسباناً مثل قولهم كفرته كفرآناً وغفرته غفراناً.

والآية المشار إليها **﴿ والشمس والقمر بحسبان﴾**.

٢ - **[وقال غيره: ﴿وأقيموا الوزن﴾ يريد لسان الميزان].**

ش: عزاه الحافظ إلى الفراء و لم أجده عنده في تفسير هذه الآية.

وقال ابن جرير (واقيموا لسان الميزان بالعدل) وأخرج في المعنى عن ابن عباس وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾**.

٣ - **[والعصف بقل الزرع إذا قطع منه شئ قبل أن يدرك فذلك العصف.**

والريحان: رزقه والحب الذي يؤكل منه والريحان في كلام العرب الرزق].

ش: قاله الفراء.

٤ - **[وقال بعضهم والعصف يريد المأكول من الحب والريحان النضيج الذي لم يؤكل]**.

ش: هو بقية كلام الفراء، وأخرج ابن جرير عن الضحاك أنه البر والشعير. قال الحافظ: وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال العصف أول ما يخرج الزرع بقلاً.

٥ - **[وقال غيره: العصف ورق الحنطة]**.

ش: كذا لأبي ذر وفي رواية غيره وقال مجاهد العصف ورق الحنطة والريحان الرزق وقد وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عنه مفرقاً قال: العصف ورق الحنطة، والريحان الرزق. حكاه الحافظ.

قلت: وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: الورق من كل شئ قال: يقال للزرع إذا قطع أعصافه وكل ورق فهو عصافة.

٦ - **[وقال الضحاك: ﴿العصف﴾ التبن]**.

ش: أخرجه ابن جرير قال حدثناأبن حميد ثنا مهران عن سفيان عن الضحاك فذكره.

وأخرج عن ابن عباس وقتادة مثله وعن سعيد نحوه.

٧ - **[وقال أبو مالك: ﴿العصف﴾ أول ما ينبت تسميه النبط هبوراً]**.

ش: وصله عبد ابن حميد من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي مالك بهذا قاله الحافظ.

وأبو مالك هو الغفاري كوفي تابعي ثقة قال أبو زرعة: لا يعرف اسمه وقال غيره اسمه غزوان بفتحتين وقال الحافظ ليس له في البخاري إلا هذا الموضع والنبط بفتح النون والموحدة ثم طاء مهملة هم أهل الفلاحة من الأعاجم وكانت أماكنهم بسوَاد العراق والبطائح، وأكثر ما يطلق على أهل الفلاحة.

وأخرج ابن جرير عن الضحاك في تفسير سورة الفيل قال كعصف مـأكول هو الهبور بالنبطية.

٨ - [**وقال مجاهد: ﴿العصف﴾ ورق الحنطة والريحان الرزق**].

ش: وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد كما في الفتح.

والآية المشار إليها بهذه الكلمات **﴿والحب ذو العصف والريحان﴾**.

٩ - [**والمارج: اللهب الأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أوقدت**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثـني الحارث عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرج عن ابن عباس قال من أوسطها وأحسنها.

والآية المشار إليها **﴿وخلق الجآن من مارج من نار﴾**.

١٠ - [**وقال بعضهم عن مجاهد: ﴿رب المشـرقين﴾ للشـمس في الشـتاء مشرق ومشرق في الصيف ورب المغربين مغربها في الشتاء والصيف**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسـناد الـذي قبلـه بلفـظ مشـرق الشـتاء ومغربه ومشرق الصيف ومغربه.

والآية المشار إليها **﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾**.

١١- [**﴿لا يبغيان﴾ لا يختلطان**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وهو **أحـد** أربعـة أقـوال حكاها في الآية.

وثانيها: بمعنى لا يبغي أحدهما على صاحبه وهو قول ابـن أبـزى والروايـة الثانية عن مجاهد وبه قال قتادة.

ثالثها: بمعنى لا يبغيان على اليبس وهو قول قتادة في الرواية الثانية عنه.

ورابعها: بمعنى لا يبغيان أن يلتقيا وبه قال ابن زيد.

واختار ابن جرير أن الآية عامة فقال فالصواب أن يعم كما عم جل ثناؤه فيقال إنهما لا يبغيان على شئ ولا يبغي أحدهما على صاحبه ولا يتجاوزان حد الله الذي حده لهما.

والآية المشار إليها ﴿**بينهما برزخ لا يبغيان**﴾.

١٢ - [**﴿المنشأت﴾ ما رُفِع قِلْعُه من السفن فأما ما لم يرفع قلعه فليس بمنشأة**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

والآية المشار إليها ﴿**وله الجوار المنشأت في البحر كالأعلام**﴾.

١٣ - [**وقال مجاهد: ﴿كالفخار﴾ كما يصنع الفخار**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله بلفظ "التراب اليابس الذي يُسمع له صلصلة فهو كالفخار كما قال الله عز وجل.

والآية المشار إليها ﴿ **خلق الإنسان من صلصال كالفخار**﴾.

١٤ - [**﴿الشواظ﴾ لهب من نار**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وبه قال ابن عباس وسفيان والضحاك وقتادة وابن زيد وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أنه الدخان الذي يخرج من اللهب وهو قول الضحاك.

١٥ - [**﴿ونحاس﴾ الصفر يصب على رؤوسهم فيعذبون به**].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا ابن حميد ثنا مهران عن سفيان عن منصور عن مجاهد فذكره بلفظ (يذاب الصفر من فوق رؤسهم) وبه قال ابن عباس وسفيان وقتادة وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أنه الدخان الذي يخرج من اللهب وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية عنه وسعيد.

واختار ابن جرير ثانيهما قال وذلك أنه جل ثناؤه ذكر أنه يرسل على هذين الحيين شواظ من نار وهو النار المحضة التي لا يخلطها دخان.

والآية المشار إليها ﴿**يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران**﴾.

١٦ - [﴿**خاف مقام ربه**﴾ **يَهِمُّ بالمعصية فيذكر الله عز وجل فيتركها**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني أبو السائب ثنا ابن إدريس عن الأعمش عن مجاهد فذكره.

وأخرج نحوه عن ابن عباس وقتادة وابراهيم.

والآية المشار إليها ﴿**ولمن خاف مقام ربه جنتان**﴾.

١٧ - [﴿**مدهامتان**﴾ **سوداوان من الري**].

ش: أخرجه ابن جرير من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ مسوادتان.

وعزاه الحافظ بلفظ المصنف إلى الفريابي وأخرج ابن جرير عن أبي سنان قال مسوادتان من الري.

١٨ - [﴿**صلصال**﴾ **طين خلط برمل فصلصل كما يصلصل الفخار**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

وقد مضت الآية المشار إليها ضمن الأثر الثالث عشر.

١٩ - [**ويقال: منتن. يريدون به صل: يقال صلصال، كما يقال صر الباب عن الإغلاق وصرصر مثل كبكبته يعني كببته**].

ش: قاله الفراء.

٢٠ - [﴿**فاكهة ونخل ورمان**﴾ **وقال بعضهم: ليس الرمان والنخل بالفاكهة، وأما العرب فأنها تعدها فاكهة كقوله عز وجل** ﴿**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى**﴾ **فأمرهم بالمحافظة على كل الصلوات ثم أعاد العصر تشديداً لها كما أعيد النخل والرمان، ومثلها** ﴿**الم تر أن الله يسجد له**

من في السموات ومن في الأرض﴾ ثم قال ﴿وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب﴾ وقد ذكرهم الله في أول قوله ﴿ من في السماوات ومن في الأرض﴾].

ش: قال الفراء: يقول بعض المفسرين: ليس الرمان ولا النخل بفاكهة وقد ذهبوا مذهباً ولكن العرب تجعل ذلك فاكهة فإن **قلت:** فكيف غير النخل والرمان إن كانا من الفاكهة؟ قلت: ذلك كقوله ﴿**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى**﴾ وقد أمرهم بالمحافظة على كل الصلوات ثم أعاد والعصر تشديداً لها، كذلك أعيد النخل والرمان ترغيباً لأهل الجنة... الخ كلام الفراء.

والآية المشار إليها ﴿**فيهما فاكهة ونخل ورمان**﴾.

٢١ - [**وقال غيره: ﴿أفنان﴾ أغصان**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد وهو **أحد** أربعة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: بمعنى ذواتا ألوان وهو قول ابن عباس والضحاك والرواية الثانية عن مجاهد.

وثالثها: بمعنى ذواتا أطراف أغصان الشجر وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية.

ورابعها: بمعنى فضلهما وسعتهما على ما سواهما وهو قول قتادة والذي مشى عليه ابن جرير في تفسير الآية هو ثاني هذه الأقوال.

٢٢ - [**﴿وجنى الجنتين دان﴾ ما يجتنى قريب**].

ش: قاله أبو عبيدة وأخرج نحوه ابن جرير عن قتادة.

والآية المشار إليها ﴿وجنى الجنتين دان﴾.

٢٣ - [**وقال الحسن: ﴿فبأي ألاء﴾ نعمه**].

ش: أخرجه ابن جرير:ثنا ابن بشار: ثنا عبد الرحمن ثنا سهل السراج عن الحسن فذكره.

وأخرجه أيضاً عن ابن عباس وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿**فبأي ألاء ربكما تكذبان**﴾.

٢٤ - [**وقال قتادة: ﴿ربكما﴾ يعني الجن والإنس**].

ش: أخرجه عبد الرزاق ج٣ ص٢٦٤ عن معمر عن قتادة فذكره.

٢٥ - [**وقال أبو الدرداء: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ يغفر ذنباً ويكشف كرباً، ويرفع قوماً ويضع آخرين**].

ش: وصله المصنف في التاريخ وابن حبان في الصحيح وابن ماجه وابن أبي عاصم والطبراني عن أبي الدرداء مرفوعاً، وأخرجه البيهقي في الشعب من طريق أم الدرداء عن أبي الدرداء موقوفاً وللمرفوع شاهد آخر عن عبد الله بن منيب أخرجه ابن جرير في تفسير هذه الآية وعزاه الحافظ إلى البزار والطبراني.

٢٦ - [**وقال ابن عباس: ﴿برزخ﴾ حاجز**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي ثنا أبوصالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره وقال ابن جرير في تفسيره يقول تعالى ذكره: بينهما حاجز وبعد، لا يفسد أحدهما صاحبه فيبغي بذلك عليه.

ثم أخرج المعنى عن ابن أبزى ومجاهد وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها تقدمت.

٢٧ - [**﴿الأنام﴾: الخلق**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد ما قبله وهو قول الحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿**والأرض وضعها للأنام**﴾.

٢٨ - [**﴿نضاختان﴾ فياضتان**].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. قاله الحافظ.

وقال أبو عبيدة: "فوارتان".

والآية المشار إليها **﴿فيهما عينان نضاختان﴾**.

٢٩ - [**﴿ذو الجلال﴾ ذو العظمة**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره وزاد والكبرياء.

والآية المشار إليها **﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾**.

٣٠ - [**وقال غيره: ﴿مارج﴾ خالص من النار يقال: مرج الأمير رعيته إذا خلاهم يعدو بعضهم على بعض، من مرجت دابتك تركتها، ويقال مرج أمر الناس**].

ش: ولم أقف له على قائل وقد قدمنا تفسير الكلمة ضمن الأثر التاسع.

٣١ - [**﴿مريج﴾ ملتبس**].

ش: أخرجه ابن جرير عن سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة ومعمر وقال: أبو عبيدة "مختلط" والمعنى واحد.

والآية المشار إليها هي الخامسة من سورة ق.

٣٢ - [**﴿مرج﴾ إختلط البحران**].

ش: أصل المرج الخلط المروج الإختلاط قاله الراغب وقال ابن جرير: أرسل وخلى من قولهم مرج فلان دابته إذا خلاّها وتركها، ثم أخرج المعنى عن ابن عباس.

٣٣ - [**﴿سنفرغ لكم﴾ سنحاسبكم لا يشغله شئ عن شئ. وهو معروف في كلام العرب يقال: لأتفرغن لك، وما به شغل يقول لأخذتك على غرتك**].

ش: قاله أبو عبيدة دون قوله وهو معروف في كلام العرب... الخ.

وقال الفراء: وهذا من الله وعيد لأنه عز وجل لايشغله شئ عن شئ وأنت قائل للرجل الذي لا شغل له، قد فرغت لشتمى أي قد أخذت فيه وأقبلت عليه.

وقال ابن جرير: سنحاسبكم، ونأخذ في أمركم أيها الإنس والجن فنعاقب أهل المعاصي ونثيب أهل الطاعة ثم أخرج في المعنى عن ابن عباس وقتادة والضحاك.

والآية المشار إليها ﴿**سنفرغ لكم أيها الثقلان**﴾.

٣٥٥ - [باب قوله: ﴿ومن دونهما جنتان﴾]

ش: يخبر تعالى أن دون الجنتين اللتين أخبر أنهما لمن خاف مقامه جنتين أخريين.

وقد اختلف أهل العلم في المعني بقوله ﴿**ومن دونهما**﴾ في هذا الموضع على قولين:

أحدهما: أنهما دونهما في الدرجة وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير.

وثانيهما: أنهما دونهما في الفضل وبه قال ابن زيد حكاهما ابن جرير، وظاهر السياق يؤيد القول الثاني وا لله أعلم.

٣٩٦ - حدثنا عبد ا لله بن أبي الأسود حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمي[1] حدثنا أبو عمران الجوني[2] عن أبي بكر بن عبد ا لله بن قيس[3] عن أبيه[4] أن رسول ا لله ﷺ قال: جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر، على وجهه في جنة عدن.

ش: يأتي شرحه مستوفى في الباب بعده إن شاء ا لله.

---

(١) هو أبو عبد ا لله عبد العزيز بن عبد الصمد العمي البصري ثقة حافظ من كبار التاسعة مات سنة سبع وثمانين[ومائة] ويقال بعد ذلك. ع.

(٢) هو عبد الملك بن حبيب الأزدي أو الكندي مشهور بكنيته ثقة من كبار الرابعة مات سنة ثمان وعشرين [ومائة] وقيل بعدها ع.

(٣) هو أبو بكر بن أبي موسى الأشعري إسمه عمرو أو عامر ثقة، وكان أسن من أخيه أبي بردة. ع.

(٤) هو عبد ا لله بن قيس بن سليم بن حضار، أبو موسى الأشعري، صحابي مشهور أمره عمر ثم عثمان وهو أحد الحكمين بصفين، مات سنة خمسين وقيل بعدها، ع.

٣٥٦- [باب: ﴿حور مقصورات في الخيام﴾]

ش: يخبر الله تعالى عن الخيرات الحسان بأنهن مقصورات في الخيام وقد قال في ازواج أهل الجنتين اللتين اعدهما لمن خاف مقامه قاصرات الطرف ولا شك أن التي قصرت طرفها بنفسها أفضل ممن قصرت وإن كان الجميع مخدَرات وقد اختلف أهل العلم في قوله ﴿**مقصورات**﴾ على قولين أحدهما: إنهن قصرن على أزواجهن فلا يبغين بهم بدلاً قاله مجاهد والربيع ابن أنس وثانيهما: أنهن محبوسات في الخيام وهو قول أبي العاليه و الربيع ابن أنس ومجاهد في الروايه الثانيه عنهما وابن عباس ومحمد بن كعب وأبي صالح والحسن والضحاك حكاهما ابن جرير .

قلت :ولا منافاة بين القولين وذلك أن الله جل وعلا ذكر أن هؤلاء الأزواج مقصورات في الخيام و لم يخصص وصفاً دون آخر وهو ما اختاره ابن جرير))

شرح جمله من الآثار والكلمات:

١ - [وقال ابن عباس: ﴿حور﴾: سود الحدق].

ش: لم أقف عليه بهذا اللفظ وقدأخرج ابن المنذر من طريق عطاء عن ابن عباس: الحور سواد الحدقه، حكاه الحافظ.

٢ - [وقال مجاهد: ﴿مقصورات﴾: محبوسات قصر طرفهن وأنفسهن على أزواجهن].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا أبوهشام: ثنا وكيع: ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد فذكره وزاد فلا يردن غيرهم.

٣ - [﴿قاصرات﴾ لا يبغين غير أزواجهن].

ش: وصله الفريابي: ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره بلفظ قصرن أطرافهن عن الرجال فلا ينظرن إلا إلى أزواجهن، حكاه في التغليق (٤/٣٣٤).

وأخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عبيد المحاربي: ثني أبي عن أبي يحيى عن مجاهد قال قصر طرفهن عن الرجال، فلا ينظرن إلا إلى أزواجهن.

قلت: ولعل المصنف أراد به تفضيل قاصرات الطرف على المقصورات في الخيام.

والآية المشار إليها **﴿فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جآن﴾**.

٣٩٧ - حدثنا محمد بن المثنى: ثني عبد العزيز بن عبد الصمد: ثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة، عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمنون وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من كذا آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن).

ش: فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله «**إن في الجنة خيمة**» هذا هو الشاهد من الحديث المناسب لقوله تعالى: **﴿في الخيام﴾** والخيام جمع خيمة وهو في الأصل بيت تبنيه العرب من عيدان الشجر قال ابن الأعرابي: لا تكون الخيمة عند العرب من ثياب بل من أربعة أعواد ثم يسقف بالثمام والجمع خيمات وخيم وزان بيضات وقصع، والخيم بحذف الهاء لغة والجمع خيام، مثل سهم وسهام وخيمت بالمكان بالتشديد إذا اقمت به قاله في المصباح قلت: وسيأتي وصف هذه الخيمة.

الثانية: قوله «**من لؤلؤة مجوفة**» وفي بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة أنها مخلوقة من رواية همام (الخيمة درة مجوفة) وعند مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب ما جاء في صفة عرف الجنة برواية الحارث بن عبيد (إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة) أي متقوية ومفرغ داخلها والمعنى أنها واسعة الجوف.

الثالثة: قوله «**عرضها ستون ميلاً**» وكذا في رواية الحارث بن عبيد وفي رواية همام (ثلاثون ميلاً) ورواية الأولين أرجح وزاد في رواية الحارث بن عبيد وعند مسلم من رواية همام (طولها في السماء ستون ميلاً).

الرابعة: قوله «**في كل زاوية منها أهل ما يرون الأخرين يطوف عليهم المؤمنون**» وفي بدء الخلق (في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون) وعند مسلم (للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضاً).

الخامسة: قوله «**وجنتان من فضة**» العطف على شئ محذوف تقديره هذا للمؤمن.

السادسة: قوله «**وجنتان من كذا آنيتهما**» وفي رواية عبد الله بن أبي الأسود في الباب قبله (وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما) قال الحافظ: وفي رواية حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال حماد لا أعلمه إلا قد رفعه قال: (جنتان من ذهب للمقربين، ومن دونهما جنتان من ورق لأصحاب اليمين).

اخرجه الطبري وابن أبي حاتم ورجاله ثقات.ا.هـ ولم أجده عند ابن جرير في تفسير الآية.

السابعة: قوله «وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرعلى وجهه في جنة عدن» في التوحيد باب قول الله تعالى **﴿وجوه يومئذ**

ناضرة إلى ربها نـاظرة﴾ مـن روايـة علـي بـن عبـد الله (إلا رداء الكبريـاء علـى وجهه...).

قلت: فيه النص الصريح على أربعة أمور:

أولها: إثبات رؤية المؤمنين ربهم في الجنة.

ثانيهما: إتصاف الرب جل وعلا بالكبرياء وأنه رداؤه فقد أخـرج أبـوداود في اللباس باب ما جاء في الكبر عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قـال: قـال الله تعالى (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منها قذفته في النار) وفي لفظ مسلم في البر والصلـة بـاب تحريـم الكـبر (العـز إزاره والكبريـاء رداؤه فمـن ينازعني عذبته).

ثالثها: فضل جنة عدن وعلوها على سائر الجنات.

رابعها: إثبات الوجه لله عز وجل على ما يليق بجلاله.

تنبيه

فإن قلت كيف الجواب عن هذه العبارات:

الأولى: كان النبي ﷺ يخاطب العرب بما تفهم ويخرج لهـم الأشـياء المعنويـة إلى الحس ليقرب تناولهم لها فعبر عن زوال الموانع ورفعه عن الأبصار بذلك.

الثانية: كانت العرب تستعمل الإستعارة كثيراً، وهـو أرفـع أدوات بديـع فصاحتها وإيجازها، ومنه قوله تعالى: ﴿**جناح الـذل**﴾ فمخاطبـة النبي ﷺ لهـم برداء الكبرياء على وجهه ونحو ذلك من هذا المعنى، ومن لم يفهم ذلك تـاه فمـن أجرى الكلام على ظاهره أفضى به الأمر إلى التجسيم ومن لم يتضح له وعلـم أن الله منزه عن الذي يقتضيه ظاهرهـا إمـا أن يكـذب نقلتهـا وإمـا أن يؤولها كـأن يقول استعار لعظيم سـلطان الله وكبريائـه وعظمتـه وهيبتـه وجلالـه المـانع إدراك أبصار البشر مع ضعفها لذلك رداء الكبرياء، فإذا شاء تقويـة أبصـارهم وقلوبهـم كشف عنهم حجاب هيبته وموانع عظمته.

الثالثة: أن قوله «**على وجهه**» حال من رداء الكبرياء.

الرابعة: أن هذا الحديث من المتشابهات فإما مفوض وإما متأول بأن المراد بالوجه الذات والرداء صفة من صفة الذات اللازمة المنزهة عما يشبه المخلوقات.

والخامسة: أن الرداء إستعارة كنى بها عن العظمة كما في الحديث الأخر (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري) وليس المراد الثياب المحسوسة لكن المناسبة أن الرداء والإزار لما كانا متلازمين للمخاطب من العرب عبر عن العظمة والكبرياء بهما.

قلنا: حكى هذه العبارات الخمس الحافظ في الفتح (٤٣٢/١٣) عن خمسة من أهل العلم وبعضهم من شراح الصحيح وأولئك الأعلام على الترتيب المازري والقاضي عياض والطيبي والكرماني والقرطبي، والجواب عن هذه العبارات من عدة أوجه:

الأول: أن الأصل في النصوص إرادة الظاهر المتبادر إلى الذهن منها وفق اللسان العربي حتى يأتي صارف عن ذلك من الشارع.

الثاني: لا أحد أعلم من الله بنفسه ولا أحد من خلقه أعلم بالله من رسوله ﷺ فلا عدول عما وصف الله به نفسه في كتابه أو جاء من أوصافه صحيحاً في سنة رسولهﷺ.

الثالث: لقد أخذ الصحابة ومن بعدهم من أئمة أهل السنة بظاهر هذا النص وأمثاله من نصوص الصفات واعتقدوا إثبات ما دلت عليه إثباتاً من غير تمثيل وتنزيهاً من غير تعطيل فلنقف حيث وقفوا ولنقل ما قالوا فإذا عرفت هذا فاعلم أن هذه العبارات وأمثالها من التأويلات التي هي من باطل القول إذ المشي عليها صرف لكلام الله وكلام رسوله عن معناه الصحيح بل ورد لنصوص الشرع بغير برهان.

آخر تفسير سورة الرحمن و لله الحمد والمنة.

سورة الواقعة

٣٥٧ - سورة الواقعة بسم ا لله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وعن جابر بن سمرة يقول كان رسول ا لله ﷺ يصلي الصلوات كنحو من صلاتكم التي تصلون اليوم ولكنه كان يخفف كانت صلاته أخف من صلاتكم وكان يقرأ في الفجر الواقعة ونحوها من السور.

وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء.

وآياتها ست وتسعون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**وقال مجاهد: ﴿رجت﴾ زلزلت**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وبه قال ابن عباس وقتادة.

والآية المشار إليها **﴿إذا رجت الأرض رجاً﴾**.

٢ - [**﴿بست﴾ فتت ولتت كما يلت السويق**].

ش: أخرجه ابن جرير بإسناد ما قبله ولفظه فتت، وأخرجه من طريق سفيان عن منصور عن مجاهد بلفظ (كما يبس السويق).

والآية المشار إليها **﴿وبست الجبال بساً﴾**.

٣ - [**﴿المخضود﴾ الموقر حملاً، ويقال أيضاً: لا شوك له**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله، وقوله: «ويقال أيضاً: لا شوك له» أخرجه ابن جرير عن ابن عباس ومحمد بن عكرمة وعكرمة وقتادة وغيرهم بلفظ لا شوك فيه.

وكذا قال أبو عبيدة والفراء.

والآية المشار إليها **﴿في سدر مخضود﴾**.

٤ - [**﴿منضود﴾ الموز**].

ش: أخرجه ابن جرير بهذا اللفظ عن علي وابن عباس وعطاء وابن زيد وأخرجه عن مجاهد بإسناد ما قبله بلفظ (موزكم).

والآية المشار إليها **﴿وطلح منضود﴾**.

٥ - [**العرب: المحببات إلى أزواجهن**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله بلفظ (المتحببات إلى أزواجهن) وبه قال ابن عباس والضحاك وأخرج عن الحسن وعكرمة وغيرهما نحوه.

والآية المشار إليها ﴿**عرباً أتراباً**﴾.

٦ - [﴿**ثلة**﴾ **أمه**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وبه قال الحسن وهذه الكلمة جاءت في الآيات الثالثة عشرة والتاسعة والثلاثين والأربعين من السورة.

٧ - [﴿**يحموم**﴾ **دخان أسود**].

ش: قاله الفراء.

وأخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله ولفظه (من دخان حميم) وأخرج عبد بن حميد كما في التغليق (٣٣٥/٤) من طريق شبابة ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ (من دخان جهنم).

والآية المشار إليها ﴿**وظل من يحموم**﴾.

٨ - [﴿**يصرون**﴾ **يديمون**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله ولفظه (يدمنون).

وأخرج عن ابن زيد نحوه.

والآية المشار إليها ﴿**وكانوا يصرون على الحنث العظيم**﴾.

٩ - [﴿**الهيم**﴾ **الإبل الظماء**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وبه قال ابن عباس وأخرج نحوه عن عكرمة والضحاك.

والآيةالمشار إليها ﴿**فشاربون شرب الهيم**﴾.

١٠ - [﴿**لمغرمون**﴾ **لملزمون**].

ش: لم أقف عليه عن مجاهد ولا غيره بهذا اللفظ وفي الآية ثلاثة أقوال حكاها ابن جرير عن أهل العلم:

أحدها: بمعنى لمولع بنا وبه قال عكرمة ومجاهد.

وثانيها: بمعنى معذبون وهو قول قتادة.

وثالثها: بمعنى لملقون للشر وبه قال مجاهد في الرواية الثانية.

واختار ابن جرير قول قتادة فقال: وذلك أن الغرام عند العرب العذاب ومنه قول الأعشى:

إن يعاقب يكن غراماً وإن يعط جزيلاً فإنه لا يبالي

والآية المشار إليها ﴿**إنا لمغرمون**﴾.

١١- [﴿**فروح**﴾ **جنة ورخاء** ﴿**وريحان**﴾ **الرزق**].

ش: أخرجه بهذا اللفظ عن مجاهد البيهقي في الشعب قاله في الفتح (٣٢٢/٦) وفي الآية ستة أقوال حكاها ابن جرير:

أحدها: بمعنى راحة ومستراح وبه قال ابن عباس.

وثانيها: الروح الراحة والريحان: الرزق وبه قال مجاهد.

وثالثها: الروح الفرح والريحان الرزق وهو قول سعيد بن جبير.

ورابعها: الروح روح الإنسان والريحان المعروف وهو قول الحسن وأبي العالية.

وخامسها: الروح الرحمة والريحان الإستراحة وبه قال الضحاك والربيع بن خثيم والحسن في الرواية الثانية.

وسادسها: أن الروح: الرحمة، والريحان: هو الريحان المعروف.

واختار ابن جرير أن معنى الروح الفرح والرحمة والمغفرة والريحان الذي يتلقى به عند الموت.

والآية المشار إليها ﴿**فروح وريحان وجنة نعيم**﴾.

١٢ - [﴿وننشئكم فيما لا تعلمون﴾ في أي خلق نشاء].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نَجيح عن مجاهد فذكره بلفظ (في أي خلق شئنا)، ولا منافاة بين العبارتين.

والآية المشار إليها ﴿وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون﴾.

١٣ - [وقال غيره: ﴿تفكهون﴾ تعجبون].

ش: قاله الفراء وزاد مما نزل بزرعكم.

وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد وقتادة بمثل حكاية المصنف وهو أحد أربعة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: بمعنى تلاومون وبه قال عكرمة.

وثالثها: بمعنى تندمون وهو قول الحسن وقتادة في الرواية الثانية عنه.

ورابعها: بمعنى تعجبون مما صنع بحرثكم وبه قال ابن زيد وهو قريب من الأول.

واختار ابن جرير أولها قال وأصله من التفكه بالحديث إذا حدث الرجل الرجل بالحديث يعجب منه ويلهى به.

والآية المشار إليها ﴿لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون﴾.

١٤ - [﴿عُرُباً﴾ مُثَقَّلَة: واحدها عَرُوب مثل: صَبور وصُبر، يسميها أهلُ مكةَ العربة، وأهلُ المدينةِ الغَنِجَة، وأهلُ العراق الشَّكِلَة].

ش: لم أقف له على قائل بهذا اللفظ لكن قال الفراء واحدهن عروب وهي المتحببة إلى زوجها الغنجه قال ثنا الفراء ثني شيخ عن الأعمش قال كنت أسمعهم يقرءون عرباً أتراباً بالتخفيف وهو مثل قولك الرسل والكتب في لغة تميم وبكر

بالتخفيف والتثقيل وجه القراءة، لأن كل فعول وفعيل أو فعال جمع على هذا المثال، فهو مثقل مذكراً كان أو مؤنثاً والقراء على ذلك.ا.هـ

والآية المشار إليها: مضت في الأثر الخامس.

١٥ - [﴿وقال في ﴿خافضة﴾ لقوم إلى النار رافعة إلى الجنة].

ش: قاله الفراء وأخرجه ابن جرير عن عبد الله بن سراقة وقتادة وعكرمة.

والآية المشار إليها **﴿خافضة رافعة﴾**.

١٦ - [﴿موضونه﴾ منسوجه ومنه وضين الناقة].

ش: قاله الفراء وزاد: وإنما سمت العرب وضين الناقة وضيناً لأنه منسوج، قال ابن جرير ومنه وضين الناقة وهو البطان من السيور إذا نسج بعضة على بعض مضاعفاً.

والآية المشار إليها **﴿على سرر موضونه﴾**.

١٧ - [والكوب لا أذان له ولا عروة والأباريق ذوات الأذان والعرى].

ش: قاله الفراء.

والآية المشار إليها **﴿بأكواب وأباريق﴾**.

١٨ - [﴿مسكوب﴾ جار].

ش: قاله الفراء وزاد: غير منقطع.

وأخرج ابن جرير عن سفيان قال يجري في غير أخدود.

والآيةالمشار إليها **﴿وماء مسكوب﴾**.

١٩ - [﴿وفرش مرفوعة﴾ بعضها فوق بعض].

ش: قاله الفراء.

٢٠ - [﴿مترفين﴾ متنعمين].

ش: قاله الفراء وزاد: في الدنيا.

وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس بلفظ منعمين.

والآية المشار إليها ﴿إنهم كانوا قبل ذلك مترفين﴾.

٢١ - [﴿ماتمنون﴾ **هي النطفة في أرحام النساء**].

ش: قاله الفراء بلفظ (النطف إذا قذفت في أرحام النساء.

والآية المشار إليها ﴿ أفرأيتم ما تمنون﴾.

٢٢ - [﴿للمقوين﴾ **للمسافرين والْقِيّ : القفر**].

ش: قاله الفراء بلفظ (يعني منفعة للمسافرين إذا نزلوا بالأرض ألقى يعني القفر).

والآية المشار إليها ﴿نحن جعلنها تذكرة ومتاعاً للمقوين﴾.

٢٣ - [﴿بمواقع النجوم﴾ **بمحكم القرآن، ويقال بمسقط النجوم إذا سقطن،مواقع وموقع واحد**].

ش: قاله الفراء وزاد في الجملة الأولى: وكان ينزل على النبي ﷺ نجوماً.

وفي الآية أربعة أقوال حكاها ابن جرير:

أحدها: أنه بمعنى منازل القرآن ومحكمه وهو قول ابن عباس ومجاهد.

وثانيها: بمعني مساقط النجوم وبه قال قتادة ومجاهد في الرواية الثانية عنه.

وثالثها: منازل النجوم وهو قول قتادة في الرواية الثانية عنه. ورابعها: بمعنى انتثار النجوم عند قيام الساعة وهو قول قتادة في الرواية الثالثة.

واختار ابن جرير ثانيها قال وذلك أن المواقع جمع موقع والموقع المفعل من وقع يقع موقعاً.

والآيةالمشار إليها ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾.

٢٤ - [﴿مدهنون﴾ **مكذبون مثل** ﴿لو تدهن فيدهنون﴾].

ش: قال الفراء: مكذبون وكافرون، وقال ابن جرير: تلينون القول للمكذبين به.

وأخرج المعنى عن مجاهد وابن عباس والضحاك.

والآية المشار إليها ﴿**أفبهذا الحديث أنتم مدهنون**﴾.

٢٥ - [**﴿فسلام لك﴾ أي مسلم لك إنك من أصحاب اليمين، وألغيت إن وهو معناها كما تقول أنت مصدق، مسافر عن قليل، إذا كان قد قال: إني مسافر عن قليل، وقد يكون كالدعاء له كقولك: فسقياً من الرجال، إن رفعت السلام فهو من الدعاء**].

ش: قاله الفراء وزاد في وسطه: وكذلك تجد معناه أنت مصدق أنك مسافر ومعناه: فسلام لك أنت من أصحاب اليمين وقد يكون كالدعاء...الخ.

والآية المشار إليها ﴿ فسلام لك من أصحاب اليمين﴾.

٢٦ - [**تورون:تستخرجون أوريت أوقدت**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: من أوريت وأكثر ما يقال وريت، وأهل نجد يقولون ذلك.

والآية المشار إليها ﴿**أفرأيتم النار التي تورون**﴾.

٢٧ - [**﴿لغواً﴾ باطلاً**].

ش: قاله أبو عبيدة (٢/٨) وزاد قبله: أي هذراً.

والآية المشار إليها ﴿**لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما**﴾.

٢٨ - [**﴿تأثيما﴾ كذباً**].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، حكاه في الفتح هنا.

٣٥٨ - [باب قوله ﴿وظل ممدود﴾]

ش: يخبر تعالى أن من نعيم أصحاب الجنة أنهم في ظل دائم لا تنسخه الشمس فتذهبه، وكل ما لا إنقطاع له فإنه ممدود كما قال لبيد:

غلب البقاء وكنت غير مغلب دهر طويل دائم ممدود

٣٩٨ - حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال: إن في الجنة شجرة، يسير الراكب في ظلها مائة عام، لا يقطعها، واقرؤا إن شئتم ﴿وظل ممدود﴾.

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «**يبلغ به النبي ﷺ**» في باب صفة الجنة من بدء الخلق برواية عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فذكره.

الثانية: قوله «**إن في الجنة شجرة**» وأخرج الإمام أحمد في مسنده من طريق محمد بن جعفر: ثنا شعبة: سمعت أبا الضحاك يحدث عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين ومائة سنة هي شجرة الخلد).

وقال ابن الجوزي: يقال إنها طوبى.

قلت: وشاهده ما أخرجه الإمام أحمد في مسند عتبة بن عبد السلمي ثنا عبد الله ثني أبي ثنا على بن بحر ثنا هشام بن يوسف حدثنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن عامر بن زيد البكالي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي يقول جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فسأله عن الحوض وذكر الجنة ثم قال الأعرابي فيها فاكهة؟ قال نعم وفيها شجرة تدعى طوبى) الحديث.

قال الحافظ: فهذا هو المعتمد خلافاً لمن قال إنما نكرت للتثنية على إختلاف جنسها بحسب شهوات أهل الجنة.

وأخرج ابن حبان (١٦ /٤٢٩) عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول ا لله ﷺ أنه قال له رجل يا رسول ا لله ما طوبى قال: شجرة في الجنة مسيرة مئة سنة).

وقال المحقق وأخرجه أحمد وأبو يعلى والخطيب وهذا الطريق ضعيف لضعف دراج وهو أبو السمح لكن يقويه ما قبله من طريقين عن ابن لهيعة عن دراج به **قلت**: فلم ينفك عن دراج وا لله أعلم.

الثالثة: قوله «**يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها**» وأخرج مسلم في باب إن في الجنة شجرة من كتاب الجنة وصفة نعيمها عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها.

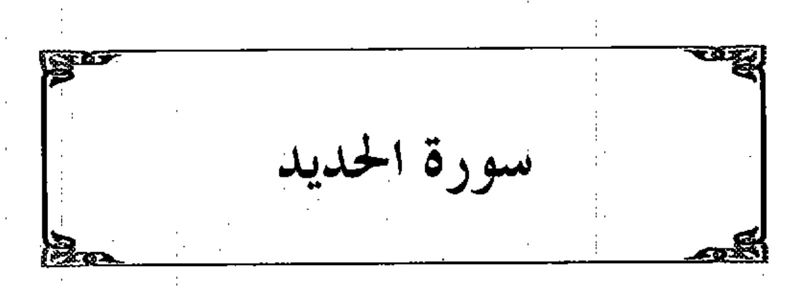
وقوله في ظلها أي في نعيمها وراحتها ومنه قولهم عيش ظليل، وقيل معنى ظلها ناحيتها وأشار بذلك إلى إمتدادها ومنه قولهم أنا في ظلك أي ناحيتك.

قال القرطبي: والمحوج إلى هذا التأويل أن الظل في عرف أهل الدنيا ما يقي من حر الشمس وأذاها وليس في الجنة شمس ولا أذى. حكاه في الفتح (٣٢٧/٦).

قلت: وفي تفسير النبي ﷺ لكلام ربه كما هو ظاهر حديث الباب وما انضم إليه من الأحاديث وهي نص صريح في المراد بالظل الممدود ما يغني عن هذه التأويلات و لله الحمد والمنة.

الرابعة: قوله «**واقرؤا إن شئتم ﴿وظل ممدود﴾**» زاد في بدء الخلق (ولقاب قوس أحدكم في الجنة خيرمما طلعت عليه الشمس أو تغرب).

آخر تفسير سورة الواقعة.



٣٥٩ ـ سورة الحديد بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿**وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس**﴾.

وروى الإمام أحمد عن العرباض بن سارية أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد وقال (إن فيهن آية أفضل من ألف آية) وهكذا رواه أبوداود والترمذي والنسائي عن ابن أبي السرح عن وهب عن معاوية بن صالح عن بجير بن سعد عن خالد بن معدان قال كان رسول الله ﷺ فذكره مرسلاً و لم يذكر عبد الله بن أبي بلال ولاالعرباض بن سارية حكاه ابن كثير.

قلت: وهذه السورة إحدى المسبحات لكونها مبدؤة بقوله تعالى ﴿**سبح لله ما في السموات وما في الأرض**﴾.

قال القرطبي: هي مدنية في قول الجميع، وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردوية والبيهقي عن ابن عباس أنها مدنية.

وآياتها تسع وعشرون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [قال مجاهد: ﴿جعلكم مستخلفين﴾ مُعَمَّرين فيه].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وزاد بالرزق.

والآية المشار إليها **﴿آمنوا با لله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾**.

٢ - [﴿من الظلمات إلى النور﴾ من الضلالة إلى الهدى].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

والآية المشار إليها **﴿هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾**.

٣ - [﴿فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾ جُنّةٌ وسلاح].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وزاد: وأنزله ليعلم ا لله من ينصره.

والآية المشار إليها **﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾** الآية.

٤ - [﴿مولاكم﴾ أولى بكم].

ش: قاله الفراء وأبو عبيدة وزاد الأخير: قال لبيد: مولى المخافة خلفها وأمامها.

والآية المشار إليها **﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم﴾**.

٥ - [﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ ليعلم أهل الكتاب].

ش: قاله أبو عبيدة، وقال الفراء: وفي قراءة عبدا لله: **﴿لكي يعلم أهل** الكتاب **ألا يقدرون﴾** والعرب تجعل (لا) صلة في كل كلام دخل في إثره جحد

أو في أوله جحد غير مصرح فهذا مما دخل آخره الجحد، فجعلت (لا) في أوله صلة.ا.هـ

والآيةالمشار إليها **﴿لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شئ من فضل الله﴾**.

٦ - [يقال الظاهر على كل شئ علماً، والباطن على كل شئ علماً].

ش: قاله الفراء وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: اللهم أنت الأول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ).الحديث.

قال ابن القيم: «فهذه الأسماء الأربعة متقابلة إسمان لأزليته وأبديته سبحانه وإسمان لعلوه وقربه. فأوليته سبحانه سابقة على أولية كل ما سواه وآخريته سبحانه ثابتة بعد آخرية كل ما سواه فأوليته سبقه لكل شئ وآخريته بقاؤه بعد كل شئ وظاهريته فوقيته وعلوه على كل شئ ومعنى الظهور يقتضي العلو وظاهر الشئ ما علا منه وبطونه سبحانه إحاطته بكل شئ بحيث يكون أقرب إليه من نفسه وهذا قرب الإحاطة العامة».ا.هـ

والآية المشار إليها **﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾**.

٧ - [﴿انظرونا﴾ انتظرونا].

ش: قاله الفراء وزاد: ومعنى انظرونا أخرونا كما قال أنظرني إلى يوم يبعثون، وقد تقول العرب أنظرني وهم يريدون انتظرني تقوية لقراءة يحيى.

قال الشاعر: أبا هند فلا تعجل علينا وانظرنا نخبرك اليقينا

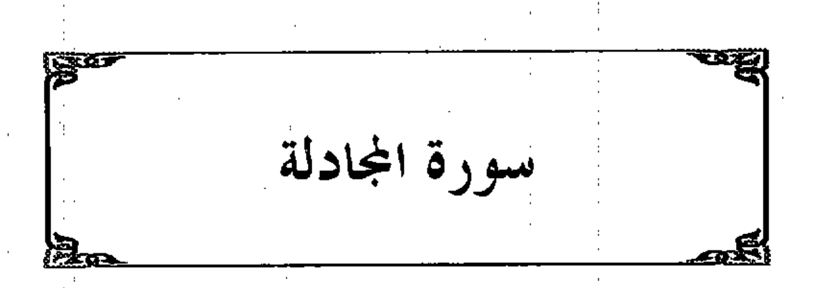
والآية المشار إليها **﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم...الآية﴾**.

تنبيه

فإن قلت: لِم لَم يبوب البخاري على قوله تعالى **﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر ا لله﴾** من هذه السورة وفيها ما رواه مسلم في باب قوله تعالى **﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر ا لله﴾** من كتاب التفسير عن ابن مسعود قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا ا لله بهذه الآية **﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر ا لله﴾** إلا أربع سنين.

فالجواب أن الحديث صحيح ولكن لم يخرجه المصنف ها هنا لأن فيه عون بن عبد ا لله بن عتبة بن مسعود ليس على شرطه.

آخر تفسير سورة الحديد والحمد لله.



٣٦٠ ـ باب سورة المجادلة

ش: شاهد التسمية قوله تعالى **﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾**.

وهي مدنية في قول الجميع إلا رواية عن عطاء أن العشر الأول منها مدني وباقيها مكي.

وآياتها ثنتان وعشرون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**وقال مجاهد: ﴿يحادون﴾ يشاقون الله**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبوعاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وزاد في أوله يعادون.

وقد وردت الآية المشار إليها في السورة مرتين:

إحداهما في الآية الخامسة والآخرى في الآية العشرين ولعل الشيخ أراد الأولى.

٢ - [**﴿كبتوا﴾ أُخِذوا من الخزي**].

ش: أخرجه ابن جرير عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ خزوا كما خزي الذين من قبلهم.

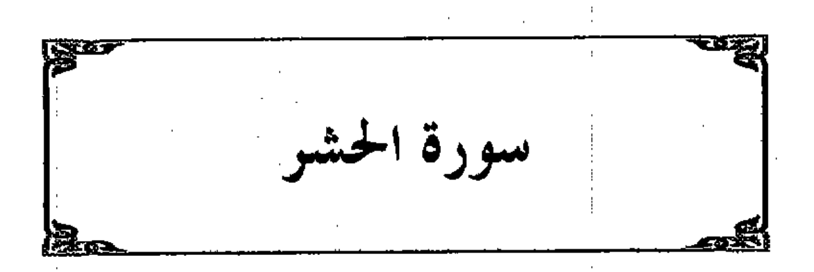
ولا فرق بين هذه العبارة وعبارة المصنف في المعنى.

٣ - [**﴿استحوذ﴾ غلب**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد عليهم وحازهم.

والآية المشار إليها **﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله﴾**.

آخر سورة المجادلة و لله الحمد والمنة.



٣٦١ ـ سورة الحشر بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿**هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر**﴾.

وكان ابن عباس يقول: سورة بني النضير رواه البخاري ومسلم وسيأتي وحديث العرباض المتقدم في سورة الحديد.

وهي مدنية كلها قال القرطبي في قول الجميع.

وآياتها أربع وعشرون آية.

قوله : [﴿الجَلاء﴾ الإخراج من أرض إلى أرض].

ش: أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال الجلاء: إخراجهم من أرضهم إلى أرض أخرى.

وأخرج عن قتادة نحوه.

وقال أبو عبيدة: جلوا من أرض إلى أرض جلاء وأجليتهم أنا.

والآية المشار إليها ﴿ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا... الآية﴾.

٣٩٨ - حدثنا محمد بن عبد الرحيم: ثنا سعيد بن سليمان: حدثنا هشيم: أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة، قال: التوبة هي الفاضحة، ما زالت تنزل، ومنهم ومنهم حتى ظنوا أنها لن تبقي أحداً منهم إلا ذكر فيها: قال قلت: سورة الأنفال؟ قال نزلت في بدر قال، قلت: سورة الحشر، قال نزلت في بني النضير.

٣٩٩ - حدثنا الحسن بن مدرك[1]: ثنا يحيى بن حماد[2]: أخبرنا أبو عوانة عن أبي بشر، عن سعيد قال: قلت: لابن عباس رضي الله عنهما: سورة الحشر قال: قل سورة النضير.

ش: فيهما خمس مسائل:

الأولى: قوله «**سورة التوبة، قال التوبة؟**» هو إستفهام إنكاري بدليل قوله بعد هي الفاضحة.

(١) هو أبو علي الحسن بن مدرك بن بشير السدوسي البصري الطحان، لا بأس به ونسبه أبو داود إلى تلقين المشايخ من الحادية عشرة خ، م، د، س، ق.

(٢) يحيى بن حماد بن أبي زياد الشيباني مولاهم البصري، ختن أبي عوانة ثقة عابد من صغار التاسعة، مات سنة ثلاث وثمانين [ومائة] على الصحيح وله ثمانون سنة ع.

قال الحافظ: ووقع في رواية الإسماعيلي من وجه آخر عن هشيم (سورة التوبة؟ قال بل سورة الفاضحة).

الثانية: قوله «**مازالت تنزل ومنهم ومنهم**» يعني مثل قوله ﴿**ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا إذا هم يسخطون**﴾، وقوله ﴿**ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن**﴾، وقوله ﴿**ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين**﴾.

الثالثة: قوله «**لن تبقي**» وفيما اعتمده الحافظ (لم) وفي رواية الإسماعيلي أنه (لا يبقى) حكاه الحافظ.

قلت: والمعنى أن المنافقين حين سمعوا هذه الآيات وما شابهها من سورة التوبة خافوا أن يفضحوا عن آخرهم.

الرابعة: قوله «**نزلت في بني النضير**»

قال ابن إسحاق في السيرة (٢/ ١٩٢): «ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نقمته وما سلط عليهم به رسوله ﷺ وما عمل به فيهم».

الخامسة: قوله «**قل سورة النضير**» كأنه كره تسميتها بالحشر لئلا يظن أن المراد يوم القيامة، وإنما المراد به هنا إخراج بني النضير من المدينة فتفرقوا ما بين خيبر والشام.

قال ابن إسحاق: فكان أشرافهم من سار منهم إلى خيبر سلام بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب.

٣٦٢ - [باب ﴿ما قطعتم من لينة﴾]

ش: تمامها: ﴿أوتركتموها قائمة على أصولها فبإذن ا لله وليخزي الفاسقين﴾.

يقول تعالى ذكره: ما قطعتم أيها المسلمون من ألوان نخيل بني النضير أو تركتموها قائمةً على أصولها من غير قطع.

وقد اختلف أهل التفسير في معنى اللينة على أربعة أقوال حكاها ابن جرير:

أولها: أنها جميع أنواع النخل سوى العجوة وهو قول عكرمة ويزيد بن رومان وقتادةوالزهري وابن عباس.

وثانيها: أنها النخل كله العجوة منه وغير العجوة وبه قال مجاهد وعمرو بن ميمون وابن زيد.

وثالثها: أنها لون من النخل وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية.

ورابعها: أنها كرام النخل وبه قال سفيان.

وجمع ابن جرير في اختياره بين القول الثاني والثالث فقال والصواب من القول في ذلك قول من قال: اللينة النخلة وهن من ألوان النخل ما لم تكن عجوة وإياها عنى ذو الرمة بقوله:

طراق الخوافي واقع فوق لينة ندى ليله في ريشه يترقرق

وقوله «**فبإذن ا لله**» يقول فبأمر ا لله قطعتم ما قطعتم وتركتم ما تركتم، وليغيظ بذلك أعداءه ولم يكن فساداً.

﴿وليخزي الفاسقين﴾ أي وليذل الخارجين عن طاعة ا لله عز وجل المخالفين أمره ونهيه وهم يهود بني النضير.

[﴿لينة﴾: نخلة ما لم تكن عجوة أو برنية].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد في وسطه: وهي ألوان النخل.

وفي آخره: إلا أن الواو ذهبت لكسرة اللام قال ذو الرمة: فوق لينه.

٤٠٠ - حدثنا قتيبة ثنا ليث عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير وقطع، وهي البويرة، فأنزل الله تعالى: ﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين﴾.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير وقطع**» في السيرة (١٩١/٢) قال ابن اسحاق: «فتحصنوا منه في الحصون فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها فنادوه: أن يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد، وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها».

قلت: فيه جواز قطع شجر الكفار وإحراقه وبه قال عبد الرحمن بن القاسم ونافع مولى بن عمر ومالك والثوري وأبو حنيفة والشافعي وأحمد وإسحاق والجمهور.

الثانية: قوله: «**وهي البويرة**» وزاد في المزارعة ولها يقول حسان:

وهان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير.

والبويرة تصغير البئر التي يستقي منها الماء، وهي موضع منازل بني النضير وهم اليهود الذين غزاهم رسول الله ﷺ بعد غزوة أحد بستة أشهر.

الثالثة: قوله «**فأنزل الله تعالى ﴿ما قطعتم....إلخ﴾**»الآية، هذا هو وجه الشاهد من الحديث وقد سبق معناه أول الباب.

٣٦٣ - [باب قوله ﴿ما افاء ا لله على رسوله﴾]

ش: تمامها ﴿من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾.

يعني بقوله جل ثناؤه: **﴿ما أفاء ا لله على رسوله من أهل القرى﴾** الذي رد ا لله عز وجل على رسوله من أموال مشركي القرى.

وقوله «**﴿ولذي القربى﴾**» يقول ولذي قرابة رسول ا لله ﷺ من بني هاشم وبني المطلب واليتامى وهم أهل الحاجة من أطفال المسلمين الذين لا مال لهم.

والمساكين وهم الجامعون فاقة وذل المسئلة.

وابن السبيل وهم المنقطع بهم من المسافرين في غير معصية ا لله.

وقوله «**﴿كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾**» يقول جل ثناؤه: وجعلنا ما أفاء ا لله على رسوله من أهل القرى لهذه الأصناف، كيلا يكون ذلك الفيء دولة يتداوله الأغنياء منكم بينهم، يصرفه هذا مرة في حاجات نفسه، وهذا مرة في أبواب البر وسبل الخير، فيجعلون ذلك حيث شاءوا، ولكننا سننا فيه سنة لا تتغير.

٤٠١ - ثنا علي بن عبد ا لله ثنا سفيان، غير مرة عن عمرو عن الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان[1] عن عمر رضي ا لله عنه قال كانت أموال بني النضير مما أفاء ا لله على رسوله ﷺ، مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول ا لله ﷺ خاصة ينفق على أهله منها نفقة سنته، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في سبيل ا لله).

ش: فيه أربع مسائل:

(١) هو أبو سعيد مالك بن أوس بن الحدثان المدني له رؤية وروى عن عمر مات سنة اثنتين وتسعين وقيل سنة إحدى، ع.

الأولى: قوله «**كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله ﷺ مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب**».

قلت: سبب ذلك ما أخرجه المصنف في فرض الخمس عن مالك بن الحدثان قال: بينما أنا جالس في أهلي حين متع النهار، إذا رسول عمر بن الخطاب يأتيني فقال: أجب أمير المؤمنين، فانطلقت معه حتى أدخل على عمر، فإذا هو جالس على رمال سرير ليس بينه وبينه فراش، متكئ على وسادة من أدم، فسلمت عليه ثم جلست، فقال: يا مال، إنه قدم علينا من قومك أهل أبيات، وقد أمرت فيهم برضخ، فاقبضه، فاقسمه بينهم، فقلت: يا أمير المؤمنين، لو أمرت له غيري، قال: فاقبضه أيها المرء، فبينما أنا جالس عنده أتاه حاجبه يرفأ فقال: هل لك في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص يستأذنون، قال: نعم، فأذن لهم، فدخلوا، فسلموا وجلسوا، ثم جلس يرفأ يسيراً، ثم قال: هل لك في علي وعباس؟ قال: نعم، فأذن لهم، فدخلا، فسلما فجلسا فقال عباس: يا أمير المؤمنين، اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر، فقال عمر: تيدكم، أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: لا نورث، ما تركنا صدقة؟ يريد رسول الله ﷺ نفسه. قال الرهط: قد قال ذلك، فأقبل عمر على علي وعباس فقال: أنشدكما الله أتعلمان أن رسول الله ﷺ قد قال ذلك؟ قالا: قد قال ذلك، قال عمر: فإني أحدثكم عن هذا الأمر: إن الله خص رسوله ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يعطه احداً غيره، فذكر الحديث بتمامه وفي آخره فعمل رسول الله ﷺ بذلك حياته، أنشدكم بالله، هل تعلمون ذلك؟ قالوا: نعم، ثم قال لعلي وعباس: أنشدكما الله هل تعلمان ذلك؟ قالوا: نعم، قال عمر: ثم توفى الله نبيه ﷺ فقال أبو بكر: أنا ولي رسول الله ﷺ، فقبضها أبو بكر فعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ، والله يعلم إنه فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم توفى الله أبا بكر، فكنت أنا ولي أبي

بكر، فقبضتها سنتين من إمارتي أعمل فيها بما عمل رسول ا لله ﷺ وما عمل فيها أبو بكر، وا لله يعلم إني فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم جئتماني تكلماني وكلمتكما واحدة وأمركما واحد، جئتني يا عباس تسألني نصيبك من ابن أخيك، وجاءني هذا - يريد علياً - يريد نصيب امرأته من أبيها، فقلت لكما: إن رسول ا لله ﷺ قال: لانورث، ما تركنا صدقة، فلما بدا لي أن أدفعه إليكما قلت: إن شئتما دفعتها إليكما على أن عليكما عهد ا لله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل فيها رسول ا لله ﷺ وبما عمل فيها أبو بكر وبما عملت فيها منذ وليتها، فقلتما: أدفعها إلينا، فبذلك دفعتها إليكما، فأنشدكم با لله، هل دفعتها إليهما بذلك؟ قال الرهط: نعم، ثم أقبل على علي وعباس فقال: أنشدكما با لله هل دفعتها إليكما بذلك؟ قالا: نعم، قال: فتلتمسان مني قضاء غير ذلك؟ فوا لله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، لا أقضي فيها قضاء غير ذلك، فإن عجزتما عنها فادفعاها إلي، فإني أكفيكماها).

الثانية: قوله (**فكانت لرسول ا لله ﷺ خاصة**) في فرض الخمس (فكانت هذه خالصة لرسول ا لله ﷺ وا لله ما احتازها دونكم، ولا استأثر بها عليكم، قد أعطاكماها وبثها فيكم، حتى بقي منها هذا المال) وعند مسلم في الجهاد باب حكم الفيئ وأبي داود في الخراج باب في صفايا رسول ا لله ﷺ من الأموال (فإن ا لله خص رسوله ﷺ بخاصة لم يخص بها أحداً من الناس)

وقد ذكر القاضي في معنى هذا احتمالين:

أحدهما: تحليل الغنيمة له ولأمته.

والثاني: تخصيصه بالفيء إما كله أو بعضه وهذا الثاني أظهر لإستشهاد عمر على هذا بالآية حكاه النووي (١٢/٧٥).

الثالثة : قوله «**ينفق على أهله منها نفقة سنته**» في فرض الخمس (فكان رسول ا لله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال).

فإن قلت: فكيف التوفيق بين هذا وحديث عائشة في الصحيحين وغيرهما أن رسول ا لله ﷺ (توفي ودرعه مرهونة على شعير).

قلنا لا معارضة بينهما لأنه يجمع بينهما بأنه كان يدخر لأهله قوت سنتهم ثم في طول السنة يحتاج لمن يطرقه إلى إخراج شيء منه فيخرجه فيحتاج إلى أن يعوض من يأخذ منها عوضه، فلذلك استدان.

الرابعة: قوله «**ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في سبيل ا لله**» في فرض الخمس (ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال ا لله) وعند مسلم وأبي داود ثم يجعل ما بقي أسوة المال) ومعناه أن يجعل ما بقي عن نفقة أهله متساوياً للمال الآخر الذي يصرف لوجه ا لله.

تنبيه

أخرج المصنف في فرض الخمس عن عائشة رضي ا لله عنها قالت: أن فاطمة عليها السلام ابنة رسول ا لله ﷺ سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول ا لله ﷺ أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول ا لله ﷺ مما أفاء ا لله عليه، فقال: أبو بكر إن رسول ا لله ﷺ قال: (لا نورث ما تركنا صدقة).

وها هنا استشكال شديد وهو أن أصل القصة صريح في أن العباس وعلياً قد علما بأنه ﷺ قال: (لا نورث) فإن كانا سمعاه من النبي ﷺ فكيف يطلبانه من أبي بكر؟ وإن كانا إنما سمعاه من أبي بكر أو في زمنه بحيث أفاد عندهما العلم بذلك فكيف يطلبانه بعد ذلك من عمر؟ والذي يظهر ـ وا لله أعلم ـ حمل الأمر في ذلك على ما تقدم في حديث فاطمة عليها السلام وأن كلا من علي وفاطمة والعباس اعتقد أن عموم قوله (لا نورث) مخصوص ببعض ما يخلفه دون بعض، ولذلك نسب عمر إلى علي وعباس أنهما كانا يعتقدان ظلم من خالفهما في ذلك. اهـ. من الفتح (٦ /٢٠٧).

قلت: وهذا جمع حسن وجيد يزول به الإشكال ويندفع به التعارض.

فائدتان:

الأولى: قال ابن كثير في معنى قوله تعالى ﴿**وما أفاء ا لله على رسوله منهم...الآية**﴾: «يقول تعالى مبيناً لمال الفيء، وما صفته؟ وما حكمه؟ فالفيء: كل مال أخذ من الكفار بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، كأموال بني النضير هذه، فإنها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، أي: لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة، بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقى ا لله في قلوبهم من هيبة رسول ا لله ﷺ فأفاءه ا لله على رسوله، ولهذا تصرف فيه كما شاء، فرده على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها ا لله ـ عز وجل ـ في هذه الآيات، فقال: ﴿**وما أفاء ا لله على رسوله منهم**﴾، أي: من بني النضير، ﴿**فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب**﴾، يعني: الإبل، ﴿**ولكن ا لله يسلط رسله على من يشاء، وا لله على كل شيء قدير**﴾، أي: هو قدير لا يغالب ولا يمانع، بل هو القاهر لكل شيء».

الثانية: قال في المغني بعد قول الخرقي: مسألة: قال: وأربعة أخماس الفيء لجميع المسلمين غنيهم وفقيرهم فيه سواء إلا العبيد.

لا نعلم خلافاً بين أهل العلم اليوم في أن العبيد لا حق لهم في الفيء، وظاهر كلام أحمد والخرقي أن سائر الناس لهم حق في الفيء غنيهم وفقيرهم ذكر أحمد الفيء فقال فيه حق لكل المسلمين وهو بين الغني والفقير، وقال عمر رضي ا لله عنه ما من أحد من المسلمين إلا له في هذا المال نصيب إلا العبيد فليس لهم فيه شيء وقرأ عمر: ﴿**ما أفاء ا لله على رسوله من أهل القرى ـ حتى بلغ ـ والذين جاؤوا من بعدهم**﴾ ثم قال هذه استوعبت المسلمين عامة ولئن عشت ليأتين الراعي بسرو وحمير نصيبه منها لم يعرق فيها جبينه، ولأنه مال مخموس فلم يختص به من فيه منفعة كأربعة أخماس الغنيمة.

وذكر القاضي أن أهل الفيء هم من أهل الجهاد من المرابطين في الثغور وجند المسلمين ومن يقوم بمصالحهم، لأن ذلك كان للنبي ﷺ في حياته لحصول النصرة والمصلحة به فلما مات صارت للجند ومن يحتاج إليه المسلمون فصار ذلك لهم دون غيرهم، وأما الأعراب ونحوهم ممن لا يعد نفسه للجهاد فلا حق لهم فيه والذين يغزون إذا نشطوا يعطون من سهم سبيل الله من الصدقة، قال ومعنى كلام أحمد أنه بين الغني والفقير يعني الغني الذي فيه مصلحة المسلمين من المجاهدين والقضاة والفقهاء ويحتمل أن يكون معنى كلامه أن لجميع المسلمين الإنتفاع بذلك المال لكونه يصرف إلى من يعود نفعه على جميع المسلمين، وكذلك ينتفعون بالعبور على القناطر والجسور المعقودة بذلك المال وبالأنهار والطرقات التي أصلحت به.

وسياق كلامه يدل على أنه ليس مختصاً بالجند وإنما هو مصروف في مصالح المسلمين لكن يبدأ بجند المسلمين لأنهم أهل المصالح لكونهم يحفظون المسلمين فيعطون كفاياتهم فما فضل قدم الأهم فالأهم من عمارة الثغور وكفايتها فالأسلحة والكراع وما يحتاج إليه ثم الأهم فالأهم من عمارة المساجد والقناطر وإصلاح الطرق وكراء الأنهار وسد بثوقها وإرزاق القضاة والأئمة والمؤذنين والفقهاء ونحو ذلك مما للمسلمين فيه نفع.

٣٦٤ - [باب ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾]

ش: تمامها **﴿وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾.**

أي مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير، وإنما ينهى عن شر.

وقوله **﴿واتقوا الله، إن الله شديد العقاب﴾** أي اتقوه في امتثال أوامره وترك زواجره، فإنه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه وارتكب ما عنه زجره ونهاه.

٤٠٢ - ثنا محمد بن يوسف: ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن علقمة، عن عبد الله قال: (لعن الله الواشمات والموتشمات، والمتنمصات والمتفلجات، للحسن المغيرات خلق الله) فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب، فجاءت فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت، فقال وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ ومن هو في كتاب الله، فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين، فما وجدت فيه ما تقول قال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه أما قرأت: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ قالت: بلى قال: فإنه قد نهى عنه، قالت: فإني أرى أهلك يفعلونه، قال: فاذهبي فانظري، فذهبت فنظرت، فلم تر من حاجتها شيئاً فقال: لو كانت كذلك ما جامعتنا).

٤٠٣ - ثنا علي: ثنا عبد الرحمن عن سفيان ذكرت لعبد الرحمن بن عابس[1] حديث منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبدالله رضي الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ الواصلة فقال: سمعته من امرأة يقال لها أم يعقوب عن عبد الله مثل حديث منصور.

ش: فيهما خمس عشرة مسألة:

---

(١) هو عبدالرحمن بن عابس بن ربيعة النخعي الكوفي، ثقة من الرابعة مات سنة تسع عشرة ومائة خ،م، د،س،ق.

الأولى: قوله «**لعن ا لله**» **قلت:** اللعن من ا لله هو الطرد والإبعاد من رحمته واللعن من المخلوق هو طلب الطرد والإبعاد من رحمة ا لله.

الثانية: قوله «**الواشمات**» جمع واشمة بالشين المعجمة وهي التي تشم نفسها أو غيرها.

الثالثة: قوله «**والموتشمات**» وفي اللباس من رواية جرير (والمستوشمات) جمع مستوشمة وهي التي تطلب الوشم، ونقل ابن التين عن الداودي أنه قال (الواشمة التي يفعل بها الوشم والمستوشمة التي تفعله) ولا وجه له فإن الحديث صريح فيما قدمنا وعند مسلم في اللباس والنسائي في التفسير من رواية مفضل بن مهلهل (الموشمات) وهي من يفعل بها الوشم.

قال أهل اللغة: الوشم بفتح ثم سكون أن يغرز في العضو إبرة أو نحوها حتى يسيل الدم ثم يحشى بنورة أو غيرها فيخضر.

وقال أبو داود في السنن: الواشمة التي تجعل الخيلان في وجهها بكحل أو مداد والمستوشمة المعمول بها، انتهى. وذكر الوجه للغالب.

وأخرج المصنف عن نافع في باب وصل الشعر من اللباس قال: الوشم في اللثة، وليس المراد بذلك الحصر بل المراد أن الوشم يقع في أجزاء متعددة من الجسم وهو زينة عند المولعات به من النساء والظاهر أنهن يتعمدن وضعه فيما يظهر غالباً كالوجه والكفين.

الرابعة: قوله «**والمتنمصات**» جمع متنمصة وحكى ابن الجوزي متمنصة بتقديم الميم على النون وهو مقلوب، والمتنمصة التي تطلب النماص والنامصة التي تفعله، قال أبو داود في السنن: النامصة التي تنقش الحاجب حتى ترقه.

الخامسة: قوله «**والمتفلجات**» الفلج بالتحريك فرجة ما بين الثنايا والرباعيات والفرق فرجة بين الثنيتين فالمتفلجة هي التي تصطنع الفرجة بين الثنايا والرباعيات بمبرد أو نحوه.

وقوله في الحديث للحسن يفهم منه أن المذموم من فعلت ذلك لأجل الحسن فلو احتاجت إلى ذلك لمداواة مثلاً جاز.

السادسة: قوله «**المغيرات خلق ا لله**» هي صفة لازمة لمن يصنع الوشم والنمص والفلج والوصل، كما صرح به في حديث أبي هريرة في باب وصل الشعر من اللباس عند المصنف.

السابعة: قوله «**يقال لها أم يعقوب**» قال في التقريب: هي امرأة من بني أسد كأنها صحابية ولها قصة مع ابن مسعود خ. اهـ. ويشير بالقصة إلى حديث الباب.

الثامنة: قوله «**بلغني أنك لعنت كيت وكيت**» وعند مسلم (ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق ا لله) ومعنى كيت وكيت كناية عن الأمر نحو كذا وكذا.

قال أهل العربية: إن أصلها كية، بالتشديد، والتاء فيها بدل إحدى الياءين والهاء في الأصل محذوفة وقد تضم التاء وتكسر، حكاه ابن الأثير باب الكاف مع الياء.

التاسعة: قوله «**وما لي لا ألعن من لعن رسول ا لله ﷺ ومن هو في كتاب ا لله**» ما استفهامية وجوز الكرماني أن تكون نافية وهو بعيد بدليل قوله بعد (ومن هو في كتاب ا لله) والمعنى: ما يمنعني من لعن مَن لعنه ا لله ورسوله.

العاشرة: قوله «**لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول**» وعند مسلم (لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته) ومرادها أنها لم تجد في القرآن لعن أولئك النسوة من الواشمة والمستوشمة والمتنمصة والمتفلجة.

الحادية عشرة: قوله «أما قرأت ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾» وعند مسلم (قال ا لله عز وجل ﴿**وما آتاكم الرسول...الآية**﴾).

الثانية عشرة: قوله «**فإني أرى أهلك يفعلونه**» تعني زوجه وهي زينب بنت عبد الله الثقفية ومرادها أن زوج بن مسعود تفعل الأمور التي ذكرها في حديثه.

الثالثة عشرة: قوله «**فلم تر من حاجتها شيئاً**» أي من الذي ظنت أن زوج ابن مسعود تفعله.

الرابعة عشرة: قوله «ما جامعتنا» وعند مسلم (لم نجامعها) ويحتمل أمرين:

أولهما: أن يكون المراد بالجماع الوطء.

ثانيهما: الإجتماع وهو أبلغ لأن معناه كما قال جماهير العلماء لم نصاحبها ولم نجتمع نحن وهي بل كنا نطلقها ونفارقها.

الخامسة عشرة: قوله «**ذكرت لعبد الرحمن بن عابس**» القائل هو سفيان بن سعيد الثوري.

من فقه الحديثين

أولاً: تحريم الوشم والتنميص والتفليج وانها من كبائر الذنوب.

ثانياً: جواز لعن من لعنه الله ورسوله على سبيل العموم.

ثالثاً: عناية السلف بالسنة وتمسكهم بها كالقرآن.

قال ابن القيم: بل كان السلف الصالح الطيب إذا سمعوا الحديث عنه وجدوا تصديقه في القرآن ولم يقل أحد منهم قط في حديث واحد أبداً أن هذه زيادة على القرآن فلا نقبله ولا نسمعه ولا نعمل به ورسول الله ﷺ أجل في صدورهم وسنته أعظم عندهم من ذلك وأكبر» ا.هـ من أعلام الموقعين (٢٩٤/٢).

٣٦٥ - [باب ﴿والذين تبوؤا الدار والإيمان﴾]

ش: تمامها: **﴿من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾**.

يقول تعالى ذكره: **﴿والذين تبوؤا الدار والإيمان﴾** يقول اتخذوا المدينة مدينة رسول الله ﷺ فابتنوها منازل.

والإيمان بالله ورسوله من قبلهم يعني من قبل المهاجرين.

فإن قلت: ما معنى عطف الإيمان على الدار ولا يقال تبوؤا الإيمان.

قلت: معناه تبوؤا الدار وأخلصوا الإيمان كقوله علفتها تبناً وماء بارداً أو جعلوا الإيمان مستقراً ومستوطناً لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك. ا.هـ من الكشاف (٤/٨٢).

وقوله **﴿يحبون من هاجر إليهم﴾** أي من كرمهم وشرف أنفسهم، يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم.

﴿ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا﴾ أي ولا يجدون في أنفسهم حسداً للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة.

وقوله **﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾** يعني حاجة أي يقدمون المحاويج على أنفسهم، ويبدءون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك.

وقوله «**﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾**» الظاهر من الآية أن الفلاح مترتب على عدم شح النفس بشيء من الأشياء التي يقبح الشح بها شرعاً من زكاة أو صدقة أو صلة رحم أو نحو ذلك كما تفيده اضافة الشح إلى

النفس، والإشارة بقوله فأولئك إلى (من) باعتبار معناها، وهو مبتدأ وخبره هم المفلحون والفلاح الفوز والظفر بكل مطلوب.

٤٠٤ - ثنا أحمد بن يونس: ثنا أبو بكر يعني ابن عياش عن حصين عن عمرو بن ميمون[1] قال: قال عمر رضي الله عنه: (أوصي الخليفة بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقهم، وأوصي الخليفة بالأنصار الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبل أن يهاجر النبي ﷺ أن يقبل من محسنهم ويعفو عن مسيئهم).

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «**قال عمر**» **قلت:** وهذا الحديث له قصة خرجها المصنف في الجنائز باب ما جاء في قبر النبي ﷺ من رواية جرير عن حصين عن عمرو بن ميمون قال رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يا عبد الله بن عمر اذهب إلى أم المؤمنين، عائشة رضي الله عنها، فقل: يقرأ عمر بن الخطاب عليك السلام، ثم سلها أن أدفن مع صاحبي، قالت: كنت أريده لنفسي، فلأوثرنه اليوم على نفسي، فلما أقبل، قال له: ما لديك؟ قال: أذنت لك يا أمير المؤمنين، قال: ما كان شيء أهم إلي من ذلك المضجع، فإذا قبضت فاحملوني ثم سلموا، ثم قل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فادفنوني، وإلا فردوني إلى مقابر المسلمين. إني لا أعلم أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر، الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فمن استخلفوا بعدي فهو الخليفة، فاسمعوا له وأطيعوا، فسمى: عثمان، وعلياً، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص.

وولج عليه شاب من الأنصار، فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله، كان لك من القدم في الإسلام ما قد علمت، ثم استخلفت فعدلت، ثم الشهادة

---

(١) هو أبو عبد الله ويقال أبو يحيى عمرو بن ميمون الأودي مخضرم مشهور، ثقة عابد، نزل الكوفة، مات سنة أربع وسبعين وقيل بعدها ع.

بعد هذا كله، فقال: ليتني يا أخي وذلك كفافاً، لا علي ولا لي، أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين. الحديث فذكره.

الثانية: قوله «**أوصي الخليفة**» وفي فضائل الصحابة باب قصة البيعة من رواية أبي عوانة (اوصي الخليفة من بعدي) وعند النسائي في تفسير الآية (من بعدي بتقوى الله).

الثالثة: قوله «**بالمهاجرين الأولين**» زاد النسائي (الذين أخرجوا من ديارهم) وهم من صلى إلى القبلتين وقيل من شهد بيعة الرضوان.

الرابعة: قوله «**أن يعرف لهم حقهم**» عند المصنف في فضائل الصحابة (أن يحفظ لهم حرمتهم) وعند النسائي (أن يعرف لهم هجرتهم، ويعرف لهم فضلهم).

الخامسة: قوله «**وأوصي الخليفة بالأنصار**» زاد في فضائل الصحابة (خيراً) والأنصار اسم إسلامي، سمى به النبي ﷺ الأوس والخزرج وحلفاءهم، والأوس ينسبون إلى أوس بن حارثة، والخزرج ينسبون إلى خزرج بن حارثة، وهما ابنا قيلة وهو اسم أمهم وابوهم هو حارثة بن عمرو بن عامر الذي يجتمع إليه أنساب الأزد.

السادسة: قوله «**الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبل أن يهاجر النبي ﷺ**» وعند المصنف في الفضائل والنسائي (والإيمان من قبلهم).

السابعة: قوله «**أن يقبل من محسنهم**» وعند النسائي (أن يعرف لهم فضلهم وأن يقبل من محسنهم).

الثامنة: قوله «**ويعفوا عن مسيئهم**» يعني به ما دون الحدود وحقوق الناس. وعند النسائي (ويتجاوز عن مسيئهم) وزاد في الفضائل (وأوصيه بأهل الأمصار خيراً فإنهم ردء الإسلام، وجباة المال وغيظ العدو، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيراً، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام، أن

يؤخذ من حواشي أموالهم ويرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم).

من فقه الحديث

أولاً: حرص عمر رضي الله عنه على جمع كلمة المسلمين ولم شملهم.

ثانياً: ورعه وتقواه.

ثالثاً: معرفته قدر المهاجرين والأنصار وغيرهم من أهل الأمصار.

رابعاً: فيه دليل على مشروعية وصية الحاكم من بعده خيراً بالرعية.

٣٦٦ - [باب ﴿ويؤثرون على أنفسهم﴾]

تقدمت الآية تامة مع شرحها في الباب قبله.

شرح جملة من الآثار

١ - [الخصاصة: الفاقة].

ش: هو قول مقاتل أخرجه ابن أبي حاتم من طريقه حكاه في الفتح (٦٣١/٨).

٢ - [﴿المفلحون﴾: الفائزون بالخلود، الفلاح: البقاء].

ش: هو قول الفراء: قاله الحافظ وقال أبو عبيدة ج١ ص٢٩: كل من أصاب شيئاً من الخير فهو مفلح ومصدره الفلاح وهو البقاء، وكل خير، قال لبيد بن ربيعة:

نحل بلاداً حل قبلنا ونرجو الفلاح بعد عاد وحمير

وأخرج ابن جرير (١٠٨/١) عن ابن عباس: أي الذين أدركوا ما طلبو، ونجو من شر ما منه هربوا.

وهذه الأقوال كلها صحيحة ولا تنافي بينها.

٣ - [حي على الفلاح: عَجِّل].

ش: قال ابن التين: لم يذكره أحد من أهل اللغة وإنما قالوا معناه هلم وأقبل وهو كما قال لكن فيه إشعار بطلب الإعجال فالمعنى أقبل مسرعاً، قاله الحافظ (٦٣٢/٨).

٤ - [وقال الحسن: ﴿حاجة﴾ حسداً].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا عبد الصمد: ثنا شعبة عن أبي رجاء عن الحسن فذكره.

٤٠٥ - ثني يعقوب بن إبراهيم بن كثير[١]: ثنا أبو أمامة ثنا فضيل بن غزوان[٢] ثنا أبو حازم الأشجعي[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه، فلم يجد عندهن شيئاً فقال رسول الله ﷺ: (ألا رجل يضيفه هذه الليلة، يرحمه الله) فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئاً قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالي فأطفئي السراج، ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: (لقد عجب الله عز وجل، أو ضحك من فلان وفلانه) فأنزل الله عز وجل ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾.

ش: فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله «**أتى رجل رسول الله ﷺ**» هذا الرجل هو أبو هريرة وقد وقع مفسراً في رواية الطبراني.

الثانية: قوله «**ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله**» زاد في رواية الكشميهني (رحمة) بالتنوين وفي فضائل الصحابة باب ويؤثرون على أنفسهم (من يضم أو يضيف هذا).

---

(١) هو أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن كثير بن زيد بن أفلح العبدي مولاهم الدورقي ثقة من العاشرة مات سنة اثنتين وخمسين وله ست وثمانون سنة وكان من الحفاظ(ع).

(٢) هو أبو الفضل فضيل بن غزوان ابن جرير الضبي مولاهم الكوفي ثقة من كبار السابعة، مات بعد سنة أربعين ومائة. ع.

(٣) هو أبو حازم سلمان الأشجعي الكوفي ثقة من الثالثة، مات على رأس المائة، ع.

الثالثة: قوله «**فقام رجل من الأنصار**» وعندمسلم في الأشربة باب إكرام الضيف (فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة) وتردد الخطيب هل هو زيد بن سهل المشهور أو صحابي آخر يكنى أبا طلحة.

قلت: ولا يتبادر إلى الذهن عند الإطلاق إلى أحد سوى زيد بن سهل.

فإن قلت: وقع للإمام المفسر القرطبي ج١٨ ص٢٤ عن الهروي أن هذه الآية نزلت في أبي المتوكل زاد: ابن عساكر الناجي، وأن الضيف ثابت بن قيس وقيل أن فاعلها ثابت بن قيس حكاه يحيى بن سلام.

قلنا تعقبه الحافظ فقال: وهو غلط بين فإن أبا المتوكل الناجي تابعي مشهور وليس له في القصة ذكر إلا أنه رواها مرسلة أخرجها من طريق إسماعيل القاضي وكذا بن أبي الدنيا في كتاب قرى الضيف، وابن المنذر في تفسير هذه السورة كلهم من طريق إسماعيل بن مسلم عن أبي المتوكل الناجي تابعي إجماعاً.

فكأنه جوز أنه صحابي يكنى أبا المتوكل وليس كذلك.

الرابعة: قوله «**ونطوي بطوننا الليلة**» عند مسلم (وأريه أنا نأكل)، ولابن أبي الدنيا في قرى الضيف (قلت فجعل يتلمظ وتتلمظ هي حتى رأى الضيف أنهما يأكلان).

وفيه مشروعية الإحتيال في إكرام الضيف إذا خشي أنه يمتنع.

الخامسة: قوله «**ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ**» في مناقب الأنصار وعند مسلم (فلما اصبح غدا إلى رسول الله ﷺ).

السادسة: قوله «**لقد عجب الله عز وجل أو ضحك**» كذا ها هنا بالشك وعند مسلم من طريق جرير عن فضيل بن غزوان بلفظ (عجب) وعند ابن أبي الدنيا في حديث أنس (ضحك) بلا شك، وعجب من الشيء عجباً من باب تعب وتعجبت واستعجبت وهو شيء عجيب أي يعجب منه وأعجبني حسنه

وأعجب زيد بنفسه بالبناء للمفعول إذا ترفع وتكبر ويستعمل (التعجب) على وجهين:

أحدهما: ما يحمده الفاعل ومعناه الإستحسان والإخبار عن رضاه به.

الثاني: ما يكرهه ومعناه الإنكار والذم له ففي الإستحسان يقال (أعجبني) بالألف وفي الذم والإنكار (عجبت) وزن تعبت، قاله في المصباح.

قلت: والضحك يكون في العادة من الأشياء التي تخرج عن نظائرها وفي الحديث دليل على اثبات العجب والضحك لله عز وجل فكلٌ منهما كسائر الصفات الإلهية ثابت بالنص والإجماع فلا تغتر بقول الخطابي: اطلاق العجب على الله محال ومعناه الرضا. فإنه صرف لنص الشارع عن ظاهره بلا مسوغ.

السابعة: قوله «**فأنزل الله عز وجل ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾**» وعند الحاكم في المستدرك (٤٨٣/٢) والواحدي في أسباب النزول كلاهما من طريق القاسم بن الحكم العرني عن عبيد الله بن الوليد عن محارب بن دثار عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أهدي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال: إن أخي فلاناً وعياله أحوج إلى هذا منا قال: فبعث إليه فلم يزل يبعث به واحداً إلى آخر حتى تداولها سبعة أبيات حتى رجعت إلى الأول فنزلت ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة إلى آخر الآية.

لكن في اسناده عبيدا لله بن الوليد وهو الوضاح الكوفي ضعيف وعزاه الحافظ إلى ابن مردوية من طريق محارب بن دثار عن ابن عمر قلت: وعلى فرض ثبوته من هذا الوجه فلا يعارض حديث الباب لجواز تعدد القصة.

من فقه الحديث غير ما تقدم

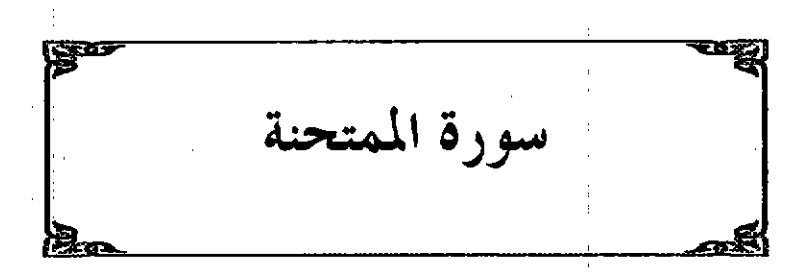
أولا: ما كان عليه النبي ﷺ وأهل بيته من الزهد في الدنيا والصبر على الجوع وضيق حال الدنيا.

ثانياً: ينبغي لكبير القوم أن يبدأ في مواساة الضيف ومن يطرقهم بنفسه فيواسيه من ماله أولاً بما يتيسر إذا أمكنه ثم يطلب له على سبيل التعاون على البر والتقوى من أصحابه.

ثالثاً: فيه فضيلة إكرام الضيف وإيثاره.

رابعاً: وفيه منقبة لهذا الأنصاري وأمرأته.

آخر تفسير سورة الحشر والحمد لله.



٣٦٧ ـ سورة الممتحنة بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿**يا أيها الذين ءامنوا إذا جاءكم المؤمنات مهجرات فأمتحنوهن الله أعلم بإيمانهن...**﴾.

قال القرطبي: هي مدنية في قول الجميع.

وآياتها ثلاث عشرة آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿لا تجعلنا فتنة﴾ لاتعذبنا بـأيديهم فيقولـون لـو كـان هؤلاء على الحق ما أصابهم هذا].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمـد بـن عمـرو: ثنـا أبـو عـاصم: ثنـا عيسـى وحدثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرج عن ابن عباس وقتادة نحوه.

والآية المشار إليها ﴿**ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنـا ربنـا إنـك أنت العزيز الحكيم**﴾.

٢- [﴿بعصم الكوافر﴾ أمر أصحاب النبي ﷺ بفراق نسائهم كن كوافر بمكة].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله، وأخرج عن المسور بـن مخرمة ومروان بن الحكم أن عمر طلق يومئذ إمرأتين كانتا له بالشرك.

والآيـة المشـار إليهـا: ﴿**ولا جنـاح عليكـم أن تنكحوهـن إذا آتيتموهـن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر**﴾ الآية.

٣٦٨ - [باب ﴿لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾]

ش: قلت الآية: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا با لله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم، ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل﴾**.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول ا لله ﷺ **﴿يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي﴾** من المشركين **﴿وعدوكم أولياء﴾** يعني أنصاراً.

وقوله **﴿تلقون إليهم بالمودة﴾** يقول جل ثناؤه: تلقون إليهم مودتكم إياهم ودخول الباء في قوله بالمودة، وسقوطها سواء.

وقوله **﴿يخرجون الرسول وإياكم﴾** هذا مع ما قبله من التهييج على عداوتهم وعدم موالاتهم لأنهم أخرجوا الرسول وأصحابه من بين أظهركم كراهة لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده ولهذا قال: **﴿أن تؤمنوا با لله ربكم﴾** أي لم يكن لهم عندكم دين إلا إيمانكم با لله رب العالمين.

وقوله: **﴿إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي﴾** أي إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي باغين لمرضاتي عنكم فلا توالوا أعدائي وأعدائكم، وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حنقاً عليكم وسخطاً لدينكم.

وقوله: **﴿تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم﴾** أي تفعلون ذلك وأنا العالم بالسرائر والضمائر والظواهر ومن يفعل ذلك الإتخاذ لعدوي وعدوكم أولياء ويلقي إليهم بالمودة فقد أخطأ طريق الحق والصواب وضل عن قصد السبيل.

فائدة

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: أصل الدين وقاعدته أمران:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك والموالاة فيه وتكفير من تركه.

الثاني: الإنذار من الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه وتكفير من فعله.

٤٠٦ - ثنا الحميدي: ثنا سفيان: ثنا عمرو بن دينار: ثني الحسن بن محمد بن علي[١]: أنه سمع عبيدا لله بن أبي رافع كاتب علي[٢] يقول سمعت علياً رضي الله عنه يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: (انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها) فذهبنا تعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا، أخرجي الكتاب، فقالت ما معي من كتاب، فقلنا لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به النبي ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين ممن بمكة، يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: ما هذا يا حاطب، قال: لا تعجل علي يا رسول الله، إني كنت امرأً من قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتني من النسب فيهم، أن أصطنع إليهم يداً يحمون قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً، ولا ارتداداً عن ديني فقال النبي ﷺ: إنه قد صدقكم، فقال عمر: دعني يا رسول الله فاضرب عنقه فقال: إنه شهد

---

(١) هو أبو محمد الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي المدني وأبوه ابن الحنفية ثقة فقيه يقال إنه أول من تكلم في الإرجاء من الثالثة، مات سنة مائة أو قبلها بسنة ع.

(٢) هو عبيد الله بن أبي رافع المدني، مولى النبي ﷺ كان كاتب علي وهو ثقة، من الثالثة ع.

بدراً، وما يدريك؟ لعل الله عز وجل اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) قال عمرو: ونزلت فيه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ قال لا أدري الآية في الحديث أو قول عمرو.

حدثنا علي: قيل لسفيان في هذا: فنزلت ﴿لا تتخذوا عدوي﴾ قال سفيان هذا في حديث الناس، حفظته من عمرو، ما تركت منه حرفاً، وما أرى أحداً حفظه غيري.

ش: فيه سبع عشرة مسألة:

الأولى: قوله: «**بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد**» قلت وسبب ذلك ما أخرجه ابن اسحاق: ثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا، قالوا: لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأة زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة، وزعم لي غيره أنها ساره، مولاة لبعض بني عبد المطلب، وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشاً، فجعلته في رأسها، ثم فتلت عليه قرونها، ثم خرجت به) وأخرج ابن جرير من طريق أبي البختري الطائي عن الحارث، عن علي رضي الله عنه قال: لما أراد النبي ﷺ أن يأتي مكة، اسر إلى ناس من أصحابه أنه يريد مكة، فيهم حاطب بن أبي بلتعة، وأفشى في الناس أنه يريد خيبر، فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة أن النبي ﷺ يريدكم).

الثانية: قوله «**انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ**» بمعجمتين ومن قال بمهملة ثم جيم فقد صحف وهو موضع بين الحرمين بقرب حمراء الأسد من المدينة.

الثالثة: قوله «**فإن بها ضعينة معها كتاب**» الضعينة بالظاء المعجمة وهو الهودج تكون فيه المرأة وقيل هو الهودج كانت فيه أو لم تكن، وقيل سميت المرأة ظعينة لأنها تظعن مع زوجها وتقيم بإقامته كالجليسة. اهـ. من اللسان.

الرابعة: قوله «**فذهبنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة**» وعند ابن جرير (فانطلقنا حتى رأيناها بالمكان الذي ذكر النبي ﷺ).

الخامسة: قوله «**أخرجي الكتاب**» وعند ابن جرير (قلنا هاتي الكتاب).

السادسة: قوله «**لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب**» وعند ابن جرير (فقلنا أخرجي الكتاب وإلا عريناك) وفي رواية ابن اسحاق (لتخرجن إلي هذا الكتاب أو لنكشفنك) قال النووي (١٦/٥٥) (وفيه هتك أستار الجواسيس بقراءة كتبهم سواء كان رجلاً، أو امرأة، وفيه هتك ستر المفسدة إذا كان فيه مصلحة أو كان في الستر مفسدة وإنما يندب الستر إذا لم يكن فيه مفسدة ولا يفوت مصلحة.

السابعة: قوله «فاخرجته من عقاصها» وعند ابن جرير (فأخرجته من حجزتها) وعند ابن اسحاق (فلما رأت الجد منه قالت اعرض عني، فأعرض عنها، فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب) والعقاص جمع عقيصة وهي الشعر الذي يلوى ويدخل أطرافه في أصوله.

الثامنة: قوله «**فأتينا به النبي ﷺ** » في الكلام محذوف تقديره فلما أخرجت الكتاب أخذناه منها فأتينا به النبي ﷺ.

التاسعة: قوله «**فإذا فيه من حاطب ابن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة**» وعند ابن جرير (إلى أهل مكة) وحاطب هو حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير ابن سلمة بن صعب بن سهل اللخمي حليف بني أسد بن عبد العزى، قال المرزياني في معجم الشعراء كان أحد فرسان قريش في الجاهلية

وشعرائها وقال ابن أبي خيثمة قال المدايني مات حاطب في سنة ثلاثين في خلافة عثمان وله خمس وستون سنة.اهـ. الإصابة (١/٣١٤).

العاشرة: قوله: «**ما هذا يا حاطب**» وعند ابن جرير (قال ما حملك على ما صنعت) وعند ابن اسحاق (يا حاطب ما حملك على هذا).

الحادية عشرة: قوله: «**لا تعجل علي يا رسول الله إني كنت امرءاً من قريش ولم أكن من أنفسهم**» وعند ابن جرير (يا نبي الله إني كنت امرءاً ملصقاً في قريش، وكان لي بها أهل ومال، ولم أكن من أنفسهم) وعند ابن اسحاق (أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله، ما غيرت ولا بدلت ولكني كنت رجلاً في القوم ليس لي أصل ولا عشيرة).

الثانية عشرة: قوله: «**دعني يا رسول الله فأضرب عنقه**» عند مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل أهل بدر (دعني يا رسول الله أضرب عنقه) وعند ابن اسحاق (فإن الرجل قد نافق) قال أهل العلم إنما قال ذلك عمر مع تصديق رسول الله ﷺ لحاطب فيما اعتذر به لما كان عند عمر من القوة في الدين وبغض من ينسب إلى النفاق، وظن أن من خالف ما أمره به رسول الله ﷺ استحق القتل، لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استأذن في قتله.

فائدة

مذهب الشافعي وطائفة أن الجاسوس المسلم يعذر ولا يجوز قتله وقال بعض المالكية يقتل إلا أن يتوب وبعضهم يقتله وإن تاب وقال مالك يجتهد فيه الإمام، حكاه النووي (١٦/٥٧).

قلت: والأخير أصوب.

الرابعة عشرة: قوله «**إنه شهد بدراً وما يدريك لعل الله عز وجل أطلع على أهل بدر**» عند ابن جرير (أليس قد شهد بدراً؟ قال بلى ولكنه قد نكث وظاهر أعداءك عليك) قال أهل العلم فأرشد النبي ﷺ إلى علة ترك قتله بأنه شهد

بدراً فكأنه قيل: وهل يسقط عنه شهود بدر هذا الذنب العظيم؟ فأجاب بقوله (وما يدريك).

تنبيه

قول النبي ﷺ لعمر: (وما يدريك أن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) أشكل على كثير من الناس معناه، فإن ظاهره إباحة كل الأعمال لهم وتخييرهم فيما شاؤوا منها وذلك ممتنع، فقالت طائفة منهم ابن الجوزي: ليس المراد من قوله (اعملوا) الإستقبال، وإنما هو للماضي وتقديره: أي عمل كان لكم فقد غفرته، قال: ويدل على ذلك شيئان:

أحدهما: أنه لو كان للمستقبل كان جوابه قوله فسأغفر لكم.

والثاني: أنه إن كان يكون إطلاقاً في الذنوب ولا وجه لذلك، وحقيقة هذا الجواب أني قد غفرت لكم بهذه الغزوة ما سلف من ذنوبكم، لكنه ضعيف من وجهين:

أحدهما: أن لفظ (اعملوا) يأباه، فإنه للإستقبال دون الماضي وقوله (قد غفرت لكم) لا يوجب أن يكون اعملوا مثله فإن قوله (قد غفرت) تحقيق لوقوع المغفرة في المستقبل كقوله: (أتى أمر الله)، (وجاء ربك)، ونظائره.

الثاني: أن نفس الحديث يرده، فإن سببه قصة حاطب وتجسسه على النبي ﷺ وذلك ذنب وقع بعد غزوة بدر لا قبلها، وهو سبب الحديث فهو مراد منه قطعاً، فالذي نظن في ذلك والله أعلم أن هذا خطاب لقوم قد علم الله سبحانه أنهم لا يفارقون دينهم بل يموتون على الإسلام وأنهم قد يقارفون بعض ما يقارفه غيرهم من الذنوب، ولكن لا يتركهم سبحانه مصرين عليها بل يوفقهم لتوبة نصوح، واستغفار وحسنات تمحو أثر ذلك، ويكون تخصيصهم بهذا دون غيرهم لأنه قد تحقق ذلك فيهم، وأنهم مغفور لهم، ولا يمنع ذلك كون المغفرة حصلت بأسباب تقوم بهم، كما لا يقتضي ذلك أن يعطلوا الفرائض وثوقاً بالمغفرة فلو كانت قد حصلت بدون الاستمرار على القيام بالأمر لما احتاجوا بعد

ذلك إلى صلاة ولا صيام ولا حج وزكاة ولا جهاد، وهذا محال. اهـ. من الفوائد لابن القيم الجوزية (ص٢٣).

قال مقيده: وهذا اختيار حسن ويؤيده أن سادة أهل بدر هم أحرص الناس على فعل الخيرات من فرائض ونوافل وابعدهم عن المنكرات، واشدهم لله خشية وأكثرهم طمعاً في رحمته، فكان الصديق إذا قرأ القرآن سمع لصوته أزيز كأزيز القدر وكان الفاروق يسأل حذيفة أمين سر النبي ﷺ ويقول: با الله عليك هل عدني رسول ا لله ﷺ من المنافقين.

الخامسة عشرة: قوله (ونزلت فيه ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء**﴾ عند مسلم وابن جرير (فأنزل ا لله عز وجل ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء**﴾ إلى قوله ﴿**وإليك أنبنا**﴾ إلى آخر القصة. اهـ.

السادسة عشرة: قوله «**لا أدري الآية في الحديث أو قول عمرو**» هذا الشك من سفيان بن عيينة لكن جزم به في رواية الحارث عند ابن جرير ومحمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عند ابن اسحاق.

السابعة عشرة: قوله «**هذا في حديث الناس**» يعني هذه الزيادة يريد الجزم برفع هذا القدر وهذا يدل على أن هذه الزيادة لم يكن سفيان يجزم برفعها وقد أدرجها عنه ابن أبي عمر أخرجه الإسماعيلي من طريقه فقال في آخر الحديث يقال وفيه نزلت هذه الآية. اهـ. من الفتح

قلت: وقد أخرجه مسلم عن ابن أبي عمرو وعمرو الناقد، وقال عقبه: وليس في حديث أبي بكر وزهير ذكر الآية، وجعلها اسحاق في روايته من تلاوة سفيان) وأخرجه ابن جرير عن عبيد بن اسماعيل والفضل بن الصباح بالجزم بالرفع فإذا انضمت هذه الرواية الأخيرة إلى ما قدمناه ترجح الرفع وا لله أعلم.

من فقه الحديث غير ما تقدم

أولاً: فضيلة أهل بدر.

ثانياً: فضيلة حاطب رضي ا لله عنه.

٣٦٩ - [باب **﴿إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات﴾**]

ش: قلت الآية: **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن، فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن، وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن، ولا تمسكوا بعصم الكوافر وسئلوا ما أنفقتم وليسئلوا ما أنفقوا، ذلكم حكم الله يحكم بينكم، والله عليم حكيم﴾**.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم﴾** النساء **﴿المؤمنات مهاجرات﴾** من دار الكفر إلى دار الإسلام **﴿فامتحنوهن﴾** وكانت محنة رسول الله ﷺ إياهن إذا قدمن مهاجرات، وصفة هذا الإختبار كما أخرجه ابن جرير بسنده إلى أبي نصر الأسدي قال: سئل ابن عباس كيف كان امتحان رسول الله ﷺ النساء؟ قال: كان يمتحنهن بالله ما خرجت من بغض زوج وبالله ما خرجت إلا حباً لله ورسوله.

وقوله **﴿الله أعلم بإيمانهن﴾** هذه الجملة معترضة لبيان أن حقيقة حالهن لا يعلمها إلا الله سبحانه ولم يتعبدكم بذلك، وإنما تعبدكم بامتحانهن حتى يظهر لكم ما يدل على صدق دعواهن في الرغوب في الإسلام.

وقوله **﴿فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار﴾** فيه دلالة على أن الإيمان يمكن الإطلاع عليه يقيناً، وأنه يحرم نكاح الكافر للمسلمة.

وقوله: **﴿لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن﴾** هذه الآية هي التي حرمت المسلمات على المشركين، وقد كان جائز في ابتداء الإسلام أن يتزوج المشرك المؤمنة.

وقوله: ﴿**وأتوهم ما أنفقوا**﴾ يقول جل ذكره: واعطوا المشركين الذين جاءكم نساؤهم مؤمنات إذا علمتموهن مؤمنات، فلم ترجعوهن إليهم ما انفقوا في نكاحهم اياهن من الصداق.

قال القرطبي: «أمر الله تعالى إذا امسكت المرأة المسلمة أن يرد على زوجها ما أنفق، وذلك من الوفاء بالعهد، لأنه لما منع من أهله بحرمة الإسلام أمر برد المال إليه حتى لا يقع عليهم خسران من وجهين الزوجة والمال، ولا غرم إلا إذا طالب الزوج الكافر، فإذا حضر وطالب منعناها وغرمنا، فإن كانت ماتت قبل حضور الزوج لم نغرم المهر إذ لم يتحقق المنع، وإن كان المسمى خمراً أو خنزيراً لم نغرم شيئاً، لأنه لا قيمة له وللشافعي في هذه الآية قولان:

أحدهما: أن هذا منسوخ قال الشافعي: وإذا جاءتنا المرأة الحرة من أهل الهدنة مسلمة مهاجرة من دار الحرب إلى الإمام في دار الإسلام أو في دار الحرب فمن طلبها من ولي سوى زوجها منع منها بلا عوض، وإذا طلبها زوجها لنفسه أو غيره بوكالته ففيه قولان:

أحدهما: يعطى العوض، والقول ما قال الله عز وجل وفيه قول آخر أنه لا يعطى الزوج المشرك الذي جاءت زوجته مسلمة العوض فإن شرط الإمام رد النساء كان الشرط ورسول الله ﷺ ألا يرد النساء كان شرط من شرط رد النساء منسوخاً وليس عليه عوض لأن الشرط المنسوخ باطل ولا عوض للباطل.

وقوله ﴿**ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن**﴾ أي مهورهن أباح الله نكاحهن للمسلمين، وإن كان لهن أزواج في دار الكفر لأن الإسلام فرق بينهن وبين أزواجهن.

وقوله: ﴿**ولا تمسكوا بعصم الكوافر**﴾ يقول جل ثناؤه للمؤمنين به من أصحاب رسول الله ﷺ لا تمسكوا أيها المؤمنون بحبال النساء الكوافر وأسبابهن، والكوافر جمع كافرة، والعصم جمع عصمة وهي ما اعتصم به من العقد والسبب.

قال القرطبي: «المـراد بـالكوافر هـا هنـا عبـدة الأوثـان مـن لا يجوز ابتـداء نكاحها فهي خاصة بالكوافر من غير أهل الكتاب وقيل هي عامة نسخ منها نساء أهل الكتاب، ولو كان إلى ظاهر الآية لم تحل كافرة بوجه وعلى القـول الأول إذا اسلم وثني أو مجوسي، ولم تسلم امرأته فرق بينهما وهذا قـول بعـض أهـل العلـم ومنهم من قال: ينتظر بها تمام العدة». اهـ.

قلت: ومخصص الكتابيات من عموم هذه الآيـة قولـه تعـالى ﴿**اليـوم أحـل لكـم الطيبـات وطعـام الذيـن أوتـوا الكتـاب حـل لكـم وطعـامكم حـل لهـم، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات مـن الذيـن أوتـوا الكتـاب مـن قبلكـم إذا أتيتموهن أجورهن**﴾ الآية.

وقوله ﴿**واسئلوا ما انفقتم وليسـألوا مـا أنفقـوا**﴾ أي وطـالبوا بمـا أنفقتـم على أزواجكـم اللاتـي يذهـبن إلى الكفـار إن ذهـبن، وليطـالبوا بمـا انفقـوا على أزواجهم اللاتي هاجرن إلى المسلمين.

وقولـه ﴿**ذلكـم حكـم الله**﴾ أي ذلكـم المذكـور مـن ارجـاع المهـور مـن الجهتين حكم الله.

وقوله ﴿**يحكم بينكم**﴾ في محل نصب على الحال أو مستأنفة ﴿**والله عليـم حكيم**﴾ أي بليغ العلم لا تخفى عليه خافية بليغ الحكمة في أقواله وأفعاله.

٤٠٧ – ثنا اسحاق: ثنا يعقوب بن ابراهيم بن سعد: ثنـا ابـن أخـي ابـن شهاب، عن عمه: أخبرني عروة: أن عائشـة رضـي الله عنهـا زوج النـبي ﷺ أخبرته أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه مـن المؤمنـات بهـذه الآيـة بقول الله: ﴿يـا أيهـا النـبي إذا جـاءك المؤمنـات يبـايعنك ـ إلى قولـه ـ غفـور رحيم﴾ قال عروة: قالت عائشة: فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات، قال لها رسول الله ﷺ: قد بايعتك، كلاماً، ولا والله ما مسـت يـده يـد امـرأة قـط في المبايعة، ما يبايعهن إلا بقوله (قد بايعتك على ذلك).

تابعه يونس ومعمر وعبد الرحمن بن إسحاق، عن الزهري، وقال إسحاق بن راشد عن الزهري عن عروة وعمرة.

ش: فيه ست مسائل:

الأولى: قوله «**أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية**» أي يختبر أولئك النسوة فيما يتعلق بالإيمان فيما يرجع إلى ظاهر الحال دون الاطلاع على ما في القلوب، وقد قدمنا أول الباب حديث ابن عباس في صفة هذا الإمتحان.

الثانية: قوله «**قال عروة: قالت عائشة**» هو موصول بالإسناد المذكور كما صرح به الزهري في باب إذا اسلمت المشركة أو النصرانية من كتاب الطلاق قال أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت...الحديث.

الثالثة: قوله «**فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات**» زاد في الطلاق (فقد أقر بالمحنة) يعني الإمتحان والإختبار كما تقدم صفة ذلك.

الرابعة: قوله «**قد بايعتك كلاماً**» أي يقول ذلك كلاماً فقط، لا مصافحة باليد كما جرت العادة بمصافحة الرجال عند المبايعة، قال النووي ج١٣ ص١٠ فيه أن كلام الأجنبية يباح سماعه عند الحاجة وأن صوتها ليس بعورة وأنه لا يلمس بشرة الأجنبية من غير ضرورة كتطبب وفصد وحجامة، وقلع ضرس وكحل عين ونحوها مما لا توجد امرأة تفعله جاز للرجل الأجنبي فعله للضرورة. اهـ.

الخامسة: قوله «**ولا والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة**» في هذا القسم تأكيد الخبر، وكأن عائشة رضي الله عنها أشارت بذلك إلى الرد على ما جاء عن أم عطية فعند ابن جرير من طريق اسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية عن جدته أم عطية في تفسير ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات﴾ قالت: لما قدم رسول

ا لله ﷺ المدينة جمع بين نساء الأنصار في بيت...الحديث وفيه فمد يده من خارج الباب أو البيت، ومددنا أيدينا من داخل البيت ثم قال اللهم اشهد) وعزاه الحافظ إلى البزار وابن خزيمة وابن حبان وابن مردوية عن أم عطية قالت: (بايعنا رسول ا لله ﷺ...الحديث وفيه ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها) قال الحافظ: ويمكن الجواب عن الأول بأن مد الأيدي من وراء حجاب إشارة إلى وقوع المبايعة وإن لم تقع مصافحة، وعن الثاني بأن المراد بقبض اليد التأخر عن القبول أو كانت المبايعة تقع بحائل.

السادسة: قوله «**تابعه يونس ومعمر وعبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري**» أما متابعة يونس فقد رواها الذهلي في الزهريات عن ابراهيم بن المنذر به. قاله الحافظ.

وأما متابعة معمر فقد رواها المصنف في باب بيعة النساء من كتاب الأحكام قال: ثنا محمود: ثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري فذكر الحديث بنحوه مختصراً.

وأما متابعة عبد الرحمن بن اسحاق فقال ابن مردوية في التفسير: ثنا أحمد بن محمد بن زياد: ثنا أبو اسماعيل: ثنا وهب بن بقية: ثنا خالد عن عبد الرحمن ابن اسحاق عن الزهري فذكره. قاله الحافظ في التغليق (٤/٣٣٩).

وقوله «**وقال اسحاق بن راشد عن الزهري عن عروة وعمرة**» يعني عن عائشة جمع بينهما وصله الذهلي في الزهريات عن عتاب ابن بشير عن اسحاق بن راشد به. اهـ. حكاه الحافظ.

٣٧٠ - [باب ﴿إذا جاءك المؤمنات يبايعنك﴾]

ش: قلت الآية: **﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن با لله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن وأستغفر لهن ا لله، إن ا لله غفور رحيم﴾.**

قوله **﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك﴾** أي قاصدات لمبايعتك على الإسلام ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن وهو ما كانت تفعله الجاهلية من وأد البنات **﴿ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن﴾** أي لا يلحقن بأزواجهن ولداً ليس منهم.

وقوله **﴿ولا يعصينك في معروف﴾** أي في كل أمر هو طاعة لله.

وقوله **﴿فبايعهن﴾** هذا جواب إذا والمعنى إذا بايعنك على هذه الأمور فبايعهن ولم يذكر في بيعتهن الصلاة والزكاة والصيام والحج لوضوح كون هذه الأمور ونحوها من أركان الدين وشعائر الإسلام، وإنما خص الأمور المذكورة لكثرة وقوعها من النساء.

وقوله **﴿واستغفر لهن ا لله﴾** أي اطلب من ا لله المغفرة لهن بعد هذه المبايعة لهن منك.

وقوله **﴿إن ا لله غفور رحيم﴾** أي كثير المغفرة والرحمة لعباده.

٤٠٨ - ثنا أبو معمر، ثنا عبد الوارث: ثنا أيوب عن حفصة بنت سيرين[1] عن أم عطية[2] رضي ا لله عنها قالت: بايعنا رسول ا لله ﷺ فقرا علينا ﴿ان لا يشركن با لله شيئاً﴾ ونهانا عن النياحة، فقبضت امرأة يدها،

(١) هي أم الهذيل حفصة بنت سيرين الأنصارية البصرية ثقة من الثالثة ماتت بعد المائة، ع.

(٢) هو نسيبة بنت كعب ويقال بنت الحارث الأنصارية صحابية مشهورة سكنت البصرة، ع.

فقالت: اسعدتني فلانه أريد أن أجزيها، فما قال لها النبي ﷺ شيئاً، فانطلقت ورجعت، فبايعها.

٤٠٩ – ثنا عبد الله بن محمد ثنا وهب بن جرير قال ثنا ابي قال سمعت الزبير عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ولا يعصينك في معروف﴾ قال إنما هو شرط شرطه الله للنساء.

٤١٠ – ثنا علي بن عبد الله: ثنا سفيان: قال الزهري حدثناه قال ثني أبو إدريس سمع عبادةبن الصامت[1] رضي الله عنه قال: كنا عند النبيﷺ فقال: (أتبايعونني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تزنوا، ولا تسرقوا - وقرأ آية النساء، وأكثر لفظ سفيان قرأ الآية - فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب فهو كفارة له، ومن أصاب منها شيئاً من ذلك فستره الله فهو إلى الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

تابعه عبد الرزاق عن معمر في الآية.

٤١١ – ثنا محمد بن عبد الرحيم: ثنا هارون بن معروف[2]: ثنا عبد الله بن وهب: قال وأخبرني ابن جريج أن الحسن بن مسلم أخبره عن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، فكلهم يصليها قبل الخطبة، ثم يخطب بعد، فنزل نبي الله ﷺ فكأني أنظر إليه حين يجلس الرجال بيده ثم أقبل يشقهم حتى أتى النساء مع بلال فقال: ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا

---

(١) هو أبو الوليد عبادة بن الصامت الأنصاري أحد النقباء شهد بدراً مات بالرملة سنة أربع وثلاثين، ع.

(٢) هو أبو علي هارون بن معروف المروزي الخزاز الضرير، نزيل بغداد ثقة من العاشرة مات سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وله أربع وسبعون، خ، م، د.

يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن﴾ حتى فرغ من الآيـة كلها ثـم قـال حين فرغ (أنتن على ذلك) وقالت امرأة واحدة، لم يجبه غيرهـا نعـم يـا رسـول ا لله لا يدري الحسن من هي قال: (فتصدقن) وبسط بلال ثوبه، فجعلن يلقـين الفتخ والخواتيم في ثوب بلال.

ش: فيها تسع عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**بايعنا رسـول ا لله ﷺ فقـرأ علينـا ﴿أن لا يشـركن بـا لله شيئاً﴾**» وعند مسلم في الجنـائز بـاب التشـديد في النياحـة (لما نزلـت هـذه الآيـة **﴿يبايعنك على أن لا يشركن با لله شيئاً﴾**).

الثانية: قوله «**ونهانا عن النياحة**» وعند مسـلم في حديـث أم عطيـة (كـان منه النياحة) وهـو رفـع الصـوت بـالندب علـى الميـت، لأنهـا سـخط لقضـاء ا لله ومعارضة لأحكامه وسوء أدب مع ا لله.

وقال النووي (٦/ ٢٣٧): فيه تحريم النوح وعظيم قبحه والإهتمام بإنكـاره والزجر عنه لأنه مهيج للحزن ورافع للصبر.

قلت: وروى مسلم من حديث أبي مالك الأشعري أن رسول ا لله ﷺ قال: والنائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة، وعليها سربال مـن قطـران ودرع من جرب.

قال مقيده: ومن النياحة أمران ألفهما كثير من الناس وتتابعوا عليهما:

أحدهما: الإجتماع للتعزية في مكان خاص كالدار أو المقبرة أو المسجد.

ثانيهما: اتخاذ أهل الميت الطعام لضيافة الواردين للعزاء لما رواه أحمـد وابـن ماجة عن جرير بن عبد ا لله البجلي رضي ا لله عنـه قـال: (كنـا نعـد) وفي روايـة (نرى) الإجتماع إلى أهل الميت، وصنعة الطعام بعد دفنه من النياحة.

وقال النووي كما في المجموع (٥ /٣٠٦): (وأمـا الجلـوس للتعزيـة، فنـص الشافعي والمصنف وسائر الأصحـاب علـى كراهتـه، قـالوا يعـني بـالجلوس لمـا أن

يجتمع أهل الميت في بيت فيقصدهم من أراد التعزية قالوا بل ينبغي أن ينصرفوا في حوائجهم فمن صادفهم عزاهم، ولا فرق بين الرجال والنساء في كراهة الجلوس لها.

قلت: ونص الشافعي كما في الأم ج١ ص٢٤٨ قال: وأكره المأتم، وهي الجماعة، وإن لم يكن لهم بكاء، فإن ذلك يجدد الحزن، ويكلف المؤنة، مع ما مضى فيه من الأثر. اهـ.

الثالثة: قوله «**فقبضت امرأة يدها**» تقدم توجيهه في المسألة الخامسة من الباب قبله.

الرابعة: قوله «**اسعدتني فلانة أريد أن أجزيها**...الخ» وعند مسلم والنسائي في التفسير من رواية عاصم (إلا آل فلان فإنهم كانوا أسعدوني في الجاهلية فلا بد لي من أن أسعدهم قال: إلا آل فلان) قال النووي: هذا محمول على الترخيص لأم عطية في آل فلان خاصة كما هو ظاهر ولا تحل النياحة لغيرها ولا لها في غير آل فلان كما هو صريح في الحديث وللشارع أن يخص من العموم ما شاء.

الخامسة: قوله «**إنما هو شرط شرطه الله للنساء**» اللام بمعنى على والمعنى إنما هو شرط شرطه الله على النساء.

قلت: ولا يستلزم هذا التخصيص كما هو صريح حديث عبادة بعده.

السادسة: قوله «**اتبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً**» في الإيمان باب علامة حب الأنصار (أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً) والمبايعة عبارة عن المعاهدة سميت بذلك تشبيهاً بالمعاوضة المالية كما في قوله تعالى ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**﴾.

السابعة: قوله «**ولا تزنوا ولا تسرقوا**» زاد في الإيمان (ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولاتعصوا في معروف) وعند مسلم

في الحدود باب الحدود كفارات لأهلها ﴿**ولا تقتلوا النفس التي حرم ا لله إلا بالحق**﴾ بدل ﴿**ولا تقتلوا أولادكم**﴾ وعنده من رواية أبي الأشعث الصنعاني (ولا يعضه بعضنا بعضاً) والعضة هي ان يرميه بالبهتان والكذب وقيل النميمة كما أخرج مسلم عن ابن مسعود رضي ا لله عنه أن رسول ا لله ﷺ قال: (ألا هل أنبئكم ماالعضة هي النميمة القالة بين الناس).

الثامنة: قوله «**وقرأ أية النساء**» يعني أية بيعة النساء وهي ﴿**يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك الآية**﴾.

التاسعة: قوله «**فمن وفى منكم فأجره على ا لله**» عند ابن إسحاق (فإن وفيتم فلكم الجنة).

العاشرة: قوله «**ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب فهو كفارة له**» في الإيمان (ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له) وعند ابن اسحاق (وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له).

الحادية عشرة: قوله «**ومن أصاب منها شيئاً من ذلك فستره ا لله فهو إلى ا لله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له**» وعند النسائي في الحدود باب ما جاء أن الحدود كفارة لأهلها (ومن لم تنله عقوبة فأمره إلى ا لله، إن شاء غفر له وإن شاء عاقبه) وعند ابن إسحاق (وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى ا لله عز وجل إن شاء عذب وإن شاء غفر) وزاد المصنف في الإيمان (فبايعنا ه على ذلك) **قلت**: وفي الحديث دليل لمذهب أهل الحق أن المعاصي غير الكفر لا يقطع لصاحبها بالنار إذا مات ولم يتب منها بل هو بمشيئة ا لله تعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه خلافاً للخوارج والمعتزلة.

الثانية عشرة: قوله «**تابعه عبد الرزاق عن معمر في الآية**» وصله مسلم فقال ثنا عبد بن حميد: أخبرنا عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن الزهري بهذا الإسناد وزاد في الحديث (فتلا علينا آية النساء: ﴿**أن لا يشركن با لله شيئاً**﴾ الآية).

الثالثة عشرة: قوله «**شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان**» في رواية أبي عاصم في العيدين باب الخطبة بعد العيد (شهدت العيد مع رسول الله ﷺ).

الرابعة عشرة: قوله «**فكلهم يصليها قبل الخطبة ثم يخطب بعد**» فيه دليل لمذهب العلماء كافة أن خطبة العيد بعد الصلاة قال القاضي هذا هو المتفق عليه من مذاهب علماء الأمصار وأئمة الفتوى ولا خلاف بين أئمتهم فيه وهو فعل النبي ﷺ والخلفاء الراشدين بعده. حكاه النووي (١٧٢/٦).

الخامسة عشرة: قوله «**فنزل نبي الله ﷺ فكأني أنظر إليه حين يجلس الرجال بيده**» أي يأمرهم بالجلوس.

قال القاضي: هذا النزول كان في أثناء الخطبة وتعقبه النووي فقال: وليس كما قال إنما نزل إليهن بعد فراغ خطبة العيد وبعد انقضاء وعظ الرجال. اهـ.

قلت: وقد جاء ذلك صريحاً في حديث جابر فقال: (ثم خطب الناس فلما فرغ نبي الله ﷺ نزل وأتى النساء...) ففي الحديث دليل على تخصيص الإمام النساء بالموعظة إذا دعت الحاجة لذلك وفي أمره ﷺ الرجال بالجلوس حكمة عظيمة وهي درء اختلاط الرجال بالنساء أثناء الخروج من المصلى والله أعلم.

السادسة عشرة: قوله (فقال ﴿**يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً...**﴾ الخ الآية. هذا هو الشاهد من الحديث وقد تقدم شرحه أول الباب.

السابعة عشرة: قوله «**أنتن على ذلك؟**» يعني به المذكور في الآية.

الثامنة عشرة: قوله «**وقالت امرأة واحدة، لم يجبه غيرها نعم يا رسول الله لا يدري الحسن من هي**» قيل هي أسماء بنت يزيد، قال النووي: ويكون معناه لكثرة النساء واشتمالهن ثيابهن لا يدري من هي.

التاسعة عشرة: قوله (وبسط بلال ثوبه، فجعلن يلقين الفتخ والخواتيم في ثوب بلال)، وعند مسلم (هلم فدىً لكن أبي وأمي) والفتخ واحدها فتخة كقصبة وقصب واختلف في تفسيرها فقال عبد الرزاق هي الخواتيم العظام وقال الأصمعي هي خواتيم لا فصوص لها وقال ابن السكيت: خواتيم تلبس في أصابع اليد.

والخواتيم جمع خاتم وفيه أربع لغات فتح التاء وكسرها وخاتام وخيتام، قال النووي (وفي الحديث جواز صدقة المرأة من مالها بغير إذن زوجها ولا يتوقف ذلك على ثلث مالها هذا مذهبنا ومذهب الجمهور.

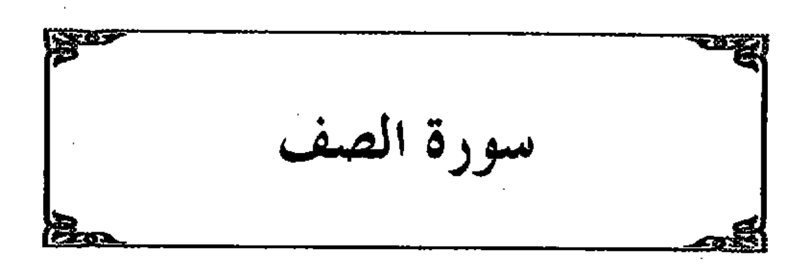
من فقه حديث ابن عباس

أولاً: جواز حضور النساء صلاة العيد مع الإمام ولكن بمعزل عن الرجال.

ثانياً: أن صدقة التطوع لا تفتقر إلى إيجاب وقبول.

ثالثاً: أستحباب وعظ النساء وحثهن على الصدقة وهذا إذا لم يترتب على ذلك مفسدة وخوف على الواعظ أو الموعوظ أو غيرهما.

آخر تفسير سورة المتحنة والحمد لله.



سورة الصف

٣٧١ - سورة الصف بسم ا لله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وأخرج الإمام أحمد عن عبد ا لله بن سلام رضي ا لله عنه قال: تذاكرنا أيكم يأتي رسول ا لله ﷺ فيسأله أي الأعمال أحب إلى ا لله فلم يقم أحد منا فأرسل رسول ا لله ﷺ إلينا رجلاً رجلاً فجمعنا فقرأ علينا هذه السورة يعني سورة الصف كلها هكذا.

قال الماوردي هي مدنية في قول الجميع.

وآياتها أربع وعشرون.

شرح جملة من الآثار والكلمات

١ - [**وقال مجاهد: ﴿من أنصاري إلى ا لله﴾ من يتبعني إلى ا لله**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث: ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها: **﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار ا لله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى ا لله﴾**.

٢ - [**وقال ابن عباس: ﴿مرصوص﴾ ملصق بعضه ببعض**].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في قوله **﴿كأنهم بنيان مرصوص﴾** مثبت لايزول ملصق بعضه ببعض. حكاه الحافظ.

والآية المشار إليها **﴿إن ا لله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾**.

٣ - [**وقال غيره: بالرصاص**].

ش: قاله الفراء وزاد (حثهم على القتال).

٣٧٢ - [باب قوله تعالى: ﴿من بعدي اسمه أحمد﴾].

ش: قلت الآية: **﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾**.

المعنى واذكر يا محمد **﴿إذ قال عيسى بن مريم﴾** لقومه من بني إسرائيل **﴿يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوارة﴾** التي أنزلت على موسى **﴿ومبشراً﴾** ابشركم برسول من بعدي اسمه أحمد وهو الرسول النبي الأمي أحمد: فعيسى عليه السلام هو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد قام في ملأ بني إسرائيل مبشراً بمحمد، وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولانبوة.

وقوله **﴿فلما جاءهم بالبنيات قالوا هذا سحر مبين﴾** أي لما جاءهم عيسى بالمعجزات قالوا هذا الذي جاءنا به سحر واضح ظاهر، وقيل المراد محمد ﷺ أي لما جاءهم بذلك قالوا هذه المقالة، وهذا هو اختيار ابن جرير والأول أولى لدلالة ظاهر السياق عليه ولقوله تعالى في الآية العاشرة بعد المائة من سورة المائدة.

﴿وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين﴾.

٤١٢ - ثنا أبو اليمان: أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب).

ش: فيه ست مسائل:

الأولى: قوله «**إن لي أسماء**» في المناقب باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ (لي خمسة أسماء) وفي حديث أبي موسى عند مسلم في باب أسمائه ﷺ من الفضائل قال (كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء، أنا محمد وأحمد والمقفى، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة) وأخرج ابن سعد عن نافع بن جبير أنه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له: أتحصي أسماء رسول الله ﷺ التي كان جبير بن مطعم يعدها؟ قال: نعم هي ست فذكر الخمسة التي ذكرها محمد بن جبير وزاد الخاتم، لكن روى البيهقي في الدلائل من طريق بن أبي حفصة عن الزهري في حديث حذيفة أحمد ومحمد والحاشر والمقفي ونبي الرحمة فتحصل من هذه الأخبار أن أسمائه ﷺ تسعة.

فائدة

قال عياض: حمى الله هذه الأسماء أن يسمى أحد قبله، وإنما تسمى بعض العرب محمداً قرب ميلاده لما سمعوا من الكهان والأحبار أن نبياً يبعث في ذلك الزمان يسمى محمداً فرجوا أن يكونوا هم، فسموا أبناءهم بذلك. حكاه الحافظ

وقال السهيلي في الروض: لا يعرف في العرب من تسمى محمداً قبل النبي ﷺ إلا ثلاثة: محمد بن سفيان بن مجاشع، ومحمد بن احيحه بن الجلاح، ومحمد بن حمران بن ربيعة.

ومما وقع من أسمائه ﷺ في القرآن بالإتفاق (الشاهد، المبشر، النذير، المبين، الداعي إلى الله، السراج المنير) وفيه أيضاً: (المذكر، والرحمة، والنعمة، والهادي والشهيد، والأمين والمزمل والمدثر).

قال الحافظ: ومن أسمائه المشهورة (المختار، والمصطفى والشفيع المشفع، والصادق، المصدوق).

الثانية: قوله «**أنا محمد**» في سورة الفتح ﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار**﴾ وفي سورة محمد ﴿**الذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا**

بما نزل على محمد﴾، وفي آل عمران **﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾**، وفي الأحزاب **﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾**.

قال الراغب: مادة حمد ويقال فلان محمود إذا حمد ومحمد إذا كثرت خصاله المحمودة، ومحمد إذا وجد محموداً فحمد وإن كان من وجه إسماً له علماً ففيه إشارة إلى وصفه بذلك، وتخصيصه بمعناه.

الثالثة: قوله «**وأنا أحمد**» هذا إشارة إلى النبي ﷺ باسمه وفعله تنبيهاً أنه كما وجد إسمه أحمد يوجد وهو محمود في أخلاقه وأحواله.

الرابعة: قوله «**وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر**» في رواية نافع بن جبير عند ابن سعد (وأنا الماحي فإن الله يمحو به سيئات من اتبعه) قال الحافظ: وهذا يشبه أن يكون من قول الراوي. اهـ.

قال العلماء: المراد محو الكفر من مكة والمدينة وسائر بلاد العرب وما زوي للنبي ﷺ من الأرض ووعد أن يبلغه ملك أمته قالوا يحتمل أن المراد المحو العام بمعنى الظهور بالحجة والغلبة كما قال تعالى: **﴿ليظهره على الدين كله﴾**.

قلت: وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد).

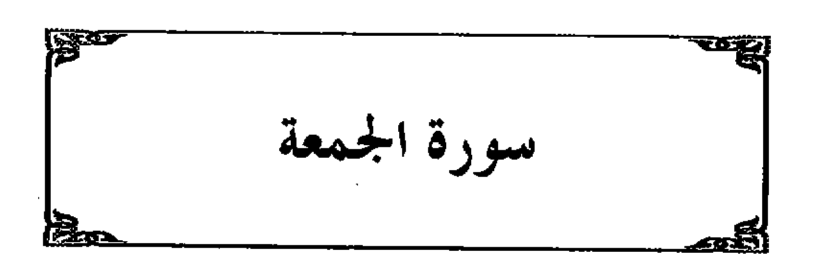
قال النووي (٢/١٩٠): قوله فيكم أي في هذه الأمة وإن كان خطاباً لبعضها ممن لا يدرك نزوله.

وقوله ﷺ حكماً أي ينزل حاكماً بهذا الشريعة لاينزل نبياً برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل هو حاكم من حكام هذه الأمة. اهـ.

الخامسة: قوله «**وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي**» أي على أثري أي أنه يحشر قبل الناس وهو موافق لما عند مسلم (يحشر الناس على عقبي) قال العلماء: معناها يحشرون على أثري وزمان نبوتي ورسالتي وليس بعدي نبي.

السادسة: قوله «**وأنا العاقب**» زاد مسلم من رواية سفيان عن الزهري (والعاقب الذي ليس بعده نبي) وعنده أيضاً من رواية يونس بن يزيد (وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد) وقد سماه الله رؤفاً رحيماً، قال ابن الأعرابي: العاقب والعقوب الذي يخلف في الخير من كان قبله ومنه عقب الرجل لولده.

آخر تفسير سورة الصف والحمد لله.



٣٧٢ - سورة الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع**﴾.

روى الإمام مسلم في صحيحه عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين.

وهي مدنية في قول الجميع حكاه القرطبي.

وآياتها إحدى عشرة.

٣٧٣ - [باب قوله ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾]

ش: تمامها ﴿وهو العزيز الحكيم﴾.

أي وامتن على آخرين من غيرهم أي من غير الأميين، ممن يأتي بعدهم، ومن أهل الكتاب، لما يلحقوا بهم أي: فيمن باشر دعوة الرسول، ويحتمل أنهم لما يلحقوا بهم في الفضل ويحتمل أن يكونوا لما يلحقوا بهم في الزمان، وعلى كل، فكلا المعنيين صحيح، فإن الذين بعث الله فيهم رسوله، وشاهدوه، وباشروا دعوته حصل لهم من الخصائص والفضائل، ما لا يمكن أحداً أن يلحقهم فيها، وهذا من عزته وحكمته حيث لم يترك عباده هملاً ولا سدى بل ابتعث فيهم الرسل، وأمرهم ونهاهم. اهـ. من تفسير ابن سعدي

قلت: وهذان الصنفان هم السعداء وأما من لم يقبل هدي الله الذي بعث به رسوله ولم يرفع به رأساً فهو مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً.

[وقرأ عمر: (فأمضوا إلى ذكر الله)].

ش: وصله ابن جرير: ثني يونس بن عبد الأعلى: أخبرنا ابن وهب: ثنا حنظلة بن أبي سفيان الجمحي أنه سمع سالم بن عبد الله يحدث عن أبيه أنه سمع عمر بن الخطاب يقرأ: **﴿إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله﴾**.

وأخرجه أيضاً عن ابن مسعود وأبي العالية، وأخرجه عبدالرزاق عن معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر.

ولا أدري ما مناسبة هذا الأثر للباب.

٤١٣ - ثني عبد العزيز بن عبدالله، ثني سليمان بن بلال، عن ثور[1] عن أبي الغيث[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ

(١) هو ثور بن يزيد الديلي المدني ثقة من السادسة، مات سنة خمس وثلاثين ومائة، ع.

فأنزلت عليه سورة الجمعة: ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ قال: قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاثاً، وفينا سلمان الفارسي، وضع رسول الله يده على سلمان، ثم قال: (لو كان الإيمان عند الثريا، لناله رجال، أو رجل من هؤلاء).

ثنا عبدالله بن عبد الوهاب: ثنا عبد العزيز[1]: أخبرني ثور، عن أبي الغيث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ (لناله رجال من هؤلاء).

ش: فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله «**فأنزلت عليه سورة الجمعة ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾**» كأنه يريد أنزلت عليه هذه الآية من سورة الجمعة، وإلا فقد نزل منها قبل إسلام أبي هريرة الأمر بالسعي. قاله الحافظ، وأخرج مسلم والنسائي في التفسير والترمذي في تفسير السورة جميعاً عن ثور بن يزيد عن أبي الغيث عن أبي هريرة قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نزلت عليه سورة الجمعة فلما قرأ **﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾**.

الثانية: قوله «**من هم يا رسول الله**» وفي رواية قتيبة عند مسلم في فضائل الصحابة باب فضل فارس (قال رجل من هؤلاء يا رسول الله؟) وفي رواية النسائي (قال من هؤلاء؟) والسائل هو أبو هريرة والجمع بين هذه العبارات أنه صرح مرة وكنى مرة أخرى.

---

(٢) هو سالم المدني مولى عبدالله بن مطيع ثقة من الثالثة، ع.

(١) هو أبو محمد عبدالعزيز بن محمد بن عبيد الدراوردي الجهني مولاهم المدني صدوق كان يحدث من كتب غيره فيخطئ قال النسائي: حديثه عن عبيدالله العمري منكر من الثامنة مات سنة ست، أو سبع وثمانين ومائة، ع.

الثالثة: قوله «**فلم يراجعه حتى سأل ثلاثاً**» وعند مسلم (فلم يراجعه النبي ﷺ حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثاً) وعند الترمذي (فلم يكلمه) والمعنى أن النبي ﷺ لم يجب أبا هريرة حتى كرر السؤال ثلاث مرات.

الرابعة: قوله «**وضع رسول ا لله ﷺ يده على سلمان**» في رواية العلاء عن أبيه عن أبي هريرة (يده على فخذ سلمان) حكاه الحافظ

الخامسه:قوله «**لوكان الإيمان**» عند مسلم برواية يزيد بن الأ صم (لوكان الدين) وعند أحمد من رواية شهر بن حوشب عن أبى هريرة (لوكان العلم).

السادسة:قولة «**عند الثريا**» هوكوكب مشهور وفي اللسان سميت لغزارة نوئها وقيل سميت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها فكأنها كثيرة العددبالاضافة الى ضيق المحل) قلت وفي هذا التعبيرالنبوي ـ أعني قوله : ((عند الثريا)) ـ أشارةٌ الى علوهمة سلمان رضى ا لله عنه وصدق عزيمته.

السابعه:قوله «**لنا له رجال ـ أورجل من هؤلاء**» هذا الشك من سليمان بن بلال بدليل الرواية التي أوردها بعده من غير شك مقتصرا على قوله (رجال من هؤلاء) وكذا عند مسلم والنسائي من رواية عبدالعزيز بن محمد الدراوردي.

٣٧٤ - [باب (وإذا رأوا تجارة أولهوا)]

ش: تمامها ﴿**انفضوا إليها وتركوك قائماً، قل ما عند ا لله خير من اللهو ومن التجارة وا لله خير الرازقين**﴾.

يقول تعالى ذكره: وإذا رأى المؤمنون عير تجارة أولهواً ﴿**انفضوا إليها**﴾ يعني أسرعوا إلى التجارة ﴿**وتركوك قائماً**﴾ يقول للنبيﷺ: وتركوك يا محمد قائماً على المنبر، وذلك أن التجارة التي رأوها فانفض القوم إليها وتركوا النبي ﷺ قائماً كانت زيتاً قدم به دحية بن خليفة الكلبي من الشام وهذا هو قول أبي مالك وقره أخرجه ابن جرير عنهما.

وقوله ﴿**قل ما عند ا لله**﴾ يعني من الجزاء العظيم وهو الجنة ﴿**خير من اللهو ومن التجارة**﴾ اللذين ذهبتم إليهما وتركتم البقاء في المسجد وسماع خطبة النبي ﷺ لأجلها ﴿**وا لله خير الرازقين**﴾ فمنه اطلبوا الرزق، وإليه توسلوا بعمل الطاعة، فإن ذلك من أسباب تحصيل الرزق وأعظم ما يجلبه.

٤١٤ - ثني حفص بن عمر: ثنا خالد بن عبدا لله: ثنا حصين عن سالم بن أبي الجعد، وعن أبي سفيان عن جابر بن عبدا لله رضي ا لله عنهما قال: أقبلت عير يوم الجمعة، ونحن مع النبيﷺ، فثار الناس إلا إثني عشر رجلاً فأنزل ا لله: ﴿وإذا رأوا تجارة أولهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً﴾.

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «**أقبلت عير يوم الجمعة ونحن مع النبي** ﷺ» في رواية زائدة في الجمعة باب إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة (بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ أقبلت عير تحمل طعاماً) وعند النسائي في التفسير (كنا مع رسول ا لله ﷺ في الجمعة فمرت عير تحمل الطعام) وعند مسلم في الجمعة باب في قوله تعالى ﴿**وإذا رأوا تجارة**﴾ (أن النبي ﷺ كان يخطب قائماً يوم الجمعة فجاءت عير من الشام).

قلت: فبعض هذه الروايات ظاهر في أن انصراف القوم كان في الخطبة وبعضها ظاهرة أن انصراف القوم كان في الصلاة والجمع كما قال الحافظ رحمه الله بعد ذكره الروايات المختلفة في ذلك (٤٢٣/٢): فعلى هذا فقوله (نصلي) أي ننتظر الصلاة، وقوله (في الصلاة) أي في الخطبة مثلاً وهو من تسمية الشيء بما قاربه.

الثانية: قوله «**فثار الناس**» في الجمعة (فالتفتوا إليها) وعند مسلم (فانفتل الناس إليها) وعند النسائي (فخرج الناس) وعند الترمذي (فابتدرها أصحاب رسول الله ﷺ) وهذه العبارات ليس بينها اختلاف في المعنى وفي عدم إضافة واحدة منهن إلى ضمير المتكلم كقوله أنفتلنا أو ابتدرنا إلتفات لأن جابراً رضي الله عنه لم يكن ممن انصرف إلى تلك التجارة كما صرح به عند مسلم في رواية خالد الطحان عن حصين عن سالم حين قال (أنا فيهم).

الثالثة: قوله «**إلا أثني عشر رجلاً**» زاد مسلم والترمذي من رواية هشيم (فيهم أبوبكر وعمر) وأخرج ابن جرير في تفسير هذه الآية عن سعيد بن أبي عروبه عن قتادة قال: (فجعلوا يتسللون ويقومون حتى بقيت منهم عصابة، فقال كم أنتم؟ فعدوا أنفسهم فإذا إثنا عشر رجلاً وامرأة) قلت وهذا خبر مرسل.

قال الحافظ: وفي تفسير إسماعيل بن أبي زياد الشامي (وامرأتان) ولابن مردوية من حديث ابن عباس (وسبع نسوة) لكن إسناده ضعيف. اهـ.

وهذه الروايات مع رواية الصحيحين والترمذي والنسائي كما ترى متفقة كلها على أن من بقي مع النبي ﷺ اثنا عشر من الرجال، فإن قلت ما الجواب عما أخرجه الدارقطني في باب ذكر العدد في الجمعة من كتاب الجمعة عن علي بن عاصم عن حصين بن عبد الرحمن عن سالم بن أبي الجعد عن جابر قال: (بينما رسول الله يخطبنا...الحديث وفيه وتركوا رسول الله ﷺ ليس معه إلا أربعون رجلاً أنا منهم...) قلنا الجواب ما قاله الدارقطني بعد سياقه (لم يقل في

الإسناد) إلا أربعين رجلاً غير علي بن عاصم عن حصين، وخالفه أصحاب حصين فقالوا: لم يبق مع النبي ﷺ إلا اثنى عشر رجلاً.

قلت: و«علي المذكور هو علي بن عاصم بن صهيب الواسطي، التيمي مولاهم صدوق يخطئ ويصر ورمي بالتشيع من التاسعة، مات سنة إحدى ومائتين، وقد جاوز التسعين، د، ت، ق». اهـ من التقريب.

وقال يعقوب بن شيبة في حقه: كان من أهل الدين والصلاح والخير البارع وكان شديد التوقي أنكر عليه كثرة الغلط مع تماديه على ذلك.

الرابعة: قوله «**فأنزل ا لله ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً﴾**» **قلت:** هذا هو محل الشاهد من الحديث وقد سبق شرحه أول الباب.

من فقه الحديث

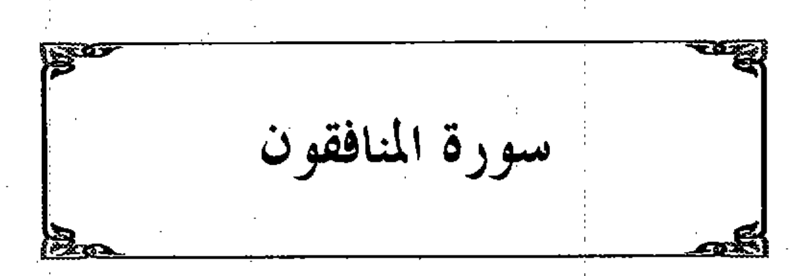
أولاً: وجوب الإنصات لخطبة الجمعة على من حضر.

ثانياً: تحريم الخروج من المسجد أثناء خطبة الجمعة للبيع أو الشراء.

ثالثاً: فيه منقبة لأبي بكر وعمر وجابر رضي ا لله عنهم إذ لم يكونوا ضمن المنصرفين.

رابعاً: فيه منقبة لأولئك الإثني عشر اللذين ثبتوا مع النبي ﷺ ولم يلتفتو للتجارة.

آخر تفسير سورة الجمعة و لله الحمد والمنة.



سورة المنافقين بسم ا لله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر في أول آية

قال القرطبي: هي مدنية في قول الجميع.

وآياتها أحدى عشرة.

٣٧٥ - [باب قوله (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول ا لله)]
ش: تمامها ﴿وا لله يعلم انك لرسوله وا لله يشهد ان المنافقين لكاذبون﴾.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿**اذا جاءك المنافقون**﴾ يا محمد (قالوا) بألسنتهم ﴿**نشهد إنك لرسول ا لله وا لله يعلم إنك لرسوله**﴾ قال المنافقون ذلك أو لم يقولوه ﴿**وا لله يشهد ان المنافقين لكاذبون**﴾ يقول وا لله يشهد ان المنافقين لكاذبون في اخبارهم عن أنفسهم أنها تشهد انك لرسول ا لله وذلك أنها لاتعتقد ذلك ولاتؤمن به فهم كاذبون في خبرهم عنها بذلك.

٤١٥ - ثنا عبدا لله بن رجاء ثنا اسرئيل عن أبي اسحاق عن زيد بن أرقم قال: (كنت في غزاة فسمعت عبدا لله بن أبى يقول: لاتنفقوا على من عند رسول ا لله حتى ينفضوا من حوله ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فذكرت ذلك لعمي أو لعمرفذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثته فأرسل رسول ا لله ﷺ الى عبدا لله ابن أبي وأصحابه فحلفوا ماقالوا فكذ بني رسول ا لله ﷺ وصدقه فأصابني هم لم يصبني مثله قط فجلست في البيت فقال لي عمي: ما أردت الى أن كذبك رسول ا لله ﷺ ومقتك فأنزل ا لله تعالى(اذا جاءك المنافقون) فبعث الي النبي ﷺ فقرأ فقال ان ا لله قد صدقك يازيد).

ش: فيه اثنتى عشرة مسألة

الأولى: قوله: «**كنت في غزاة**» زاد في الباب بعده (كنت مع عمي) وفي رواية زهير بعد هذا ببابين (خرجنا مع النبي ﷺ في سفر أصاب الناس فيه شده) وفي رواية محمد بن كعب القرضي عند النسائي في التفسير (كنت عند رسول ا لله ﷺ في غزوة تبوك) والذى عليه أهل المغازي أنها غزوة بني المصطلق ويؤيده ماذكر ابن اسحاق في المغازي قال فبينا رسول ا لله ﷺ على ذلك الماء وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير من بني غفار يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه فازحم جهجاه وسنان بن زيد الجهني حليف بني عوف بن الخزرج

على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يامعشر الأنصار فصرخ جهجاه يا معشر المهاجرين فغضب عبدا الله بن أبي بن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حدث فقال: أوقد فعلوها قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا وا الله ما أعدنا وجلابيب قريش الا كما قال الأول سمن كلبك يأكلك أما وا الله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ثم أقبل على من حضر من قومه فقال لهم هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما وا الله لو أمسكتم عنهم ما بأيدكم لتحولوا الى غير داركم فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به الى رسول ا الله ﷺ...الحديث)

الثانية: قوله «**لا تنفقوا على من عند رسول ا الله حتى ينفضوا من حوله**» هو كلام عبد ا الله بن أبي ولم يقصد الراوي بسياقه التلاوة وغلط بعض الشراح فقال هذا على سبيل البيان من ابن مسعود، **قلت:** ولا يلزم من كون عبدا الله بن أبي قالها قبل أن ينزل القرآن بحكاية جميع كلامه. اهـ. قاله الحافظ.

الثالثة: قوله «**فذكرت ذلك لعمي أو لعمر**» كذا بالشك، وفي سائر الروايات الآتية لعمي بلا شك وكذا عند الترمذي في تفسير هذه السورة، قال الحافظ: ووقع عند الطبراني وابن مردوية أن المراد بعمه سعد بن عبادة، وليس عمه حقيقة وإنما هو سيد قوم الخزرج، وعم زيد بن أرقم الحقيقي ثابت بن قيس له صحبة، وعمه زوج أمه عبد ا الله بن رواحة خزرجي أيضاً. اهـ.

الرابعة: قوله «**فذكره للنبي ﷺ**» أي ذكره عمي كما هو في الروايات التي بعد هذه، ووقع في رواية ابن أبي ليلى عن زيد (فأخبرت به النبي ﷺ) وفي رواية القرضي بعده ببابين (أخبرت به النبي ﷺ) فلعل زيداً راسل النبي ﷺ بالخبر أولاً ثم حضر فشافهه به.

الخامسه: قوله «**فحلفوا ما قالوا**» في رواية زهير (فاجتهد يمينه) والمراد به عبدا لله بن أبي بن سلول وجمع با عتبار من معه ووقع في روايه آدم في الباب بعده (فارسل رسول ا لله ﷺ إلى عبدا لله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا) .

السادسه: قوله «**فكذ بني**» بالتشديد وفي رواية زهير (فقالوا كذب زيد رسول ا لله ﷺ) وهذا بالتخفيف ورسول ا لله بالنصب على المفعوليه وعند النسائي في تفسير السوره من رواية ابن ابي ليلى (فجعل الناس يقولون أتى زيد رسول ا لله ﷺ بالكذب).

السابعه: قوله «**وصدقه**» في الباب بعده (فصدقهم) ولاتعارض بين الروايتين إذ الافراد باعتبار عبدا لله بن أبي والجمع باعتباره ومن معه.

الثامنه: قوله «**فأصابني هم**» في رواية زهير (فوقع في نفسي مما قالوا شده) وفي رواية عبيدا لله بن موسى (فأصابني غم لم يصبني مثله قط) وعند الحاكم في تفسير السورة (فوقع عليّ من الغم مالم يقع على احد قط) وعند النسائي من رواية ابن أبي ليلى (حتى جلست في البيت مخافة إذا رأني الناس أن يقولوا كذبت).

التاسعة: قوله «**فقال لي عمي ما أردت إلى أن كذبك**» كذا للأكثر، وذكر أبو علي الجياني أنه وقع في رواية الأصيلي عن الجرجاني: فقال لي عمر قال الجياني والصواب (عمي) كما عند الجماعة. قاله الحافظ.

العاشرة: قوله «**ومقتك**» في رواية القرضي (فلامني الأنصار) وعند النسائي من طريقه (ولامني قومي) وعند الحاكم (وكذبك وكذبك المسلمون).

الحادية عشرة: قوله «**فأنزل ا لله ﴿إذا جاءك المنافقون﴾**» وبعده بثلاثة أبواب (فدعاني رسول ا لله ﷺ فأتيته فقال:(إن ا لله قد صدقك) ونزل **﴿هم الذين﴾**، وفي رواية أبي الأسود عن عروه (فبينما هم يسيرون أبصروا رسول ا لله ﷺ يوحى إليه فنزلت) وعند الحاكم (فبينا أنا أسير مع رسول ﷺ في سفر

وقد خفقت برأسي من الهم فأتاني رسول الله ﷺ فعرك أذني وضحك في وجهي فما كان يسرني أن لي بها الخلد أو الدنيا ثم إن أبابكر لحقني فقال ما قال لك رسول الله ﷺ قلت ما قال لي رسول الله ﷺ شيئا غير أنه عرك أذني فضحك في وجهي فقال أبشر ثم لحقني عمر فقال ما قال لك رسول الله ﷺ فقلت له مثل قولي لأبي بكر فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين).

الثانية عشرة: قوله «**إن الله قد صدقك يا زيد**» عند الترمذي (فأتاني النبي ﷺ أو أتيته فقال إن الله قد صدقك) ومراده ﷺ إخبار زيد أن الله قد أنزل عليه تصديقه و تكذيب ابن أبي وصحبه من المنافقين.

من فقه الحديث

أولاً: فضيلة زيد بن أرقم رضي الله عنه.

ثانياً: أنه ينبغي لمن سمع أمراً يتعلق بالإمام أو نحوه من كبار ولاة الأمور ويخاف ضرره على المسلمين أن يبلغه إياه ليحترز منه وأن ذلك ليس من الغيبة المحرمة.

٣٧٦ - [باب ﴿اتخذوا أيمانهم جنة﴾]

ش: تمامها ﴿فصدوا عن سبيل ا لله إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾.

قوله ﴿اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل ا لله﴾ أي اتقوا الناس بالأيمان الكذبة والحلفات الآثمة ليصدقوا فيما يقولون فاغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم فاعتقدوا أنهم مسلمون، فربما اقتدى بهم فيما يفعلون، وصدقهم فيما يقولون وهم من شأنهم أنهم كانوا في الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبالاً فحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس ولهذا قال تعالى ﴿فصدوا عن سبيل ا لله، إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾.

[﴿جنة﴾: يجتنون بها]

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد وأخرج عن الضحاك وقتادة نحوه.

٤١٦ - ثنا أدم بن أبي إياس: ثنا اسرائيل عن أبي إسحاق عن زيد بن أرقم رضي ا لله عنه قال: كنت مع عمي، فسمعت عبد ا لله بن أبي بن سلول يقول: لا تنفقوا على من عند رسول ا لله حتى ينفضوا، وقال أيضاً، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي فذكر عمي لرسول ا لله ﷺ فأرسل رسول ا لله ﷺ إلى عبد ا لله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول ا لله ﷺ وكذبني، فأصابني هم لم يصبني مثله، فجلست في بيتي فأنزل ا لله عز وجل: ﴿إذا جاءك المنافقون ـ إلى قوله ـ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول ا لله ـ إلى قوله ـ ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ فأرسل إليّ رسول ا لله ﷺ فقرأها عليّ ثم قال: (إن ا لله قد صدقك).

ش: تقدم شرحه ضمن الباب الذي قبله.

٣٧٧ - [باب ﴿ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾]

ش: أي أنما قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفران، واستبدالهم الضلالة بالهدى.

﴿فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ أي فلا يصل إلى قلوبهم هدى، ولا يخلص إليها خير، فلا تعي ولا تهتدي.

وهذا هو النفاق الاعتقادي وأنواعه ستة وهي:

١- بغض الرسول ﷺ.

٢- بغض بعض ما جاء به.

٣- تكذيب الرسول ﷺ.

٤- تكذيب بعض ما جاء به.

٥ - كراهية انتصار دين الإسلام

٦- المسرة بانخفاض دين الإسلام.

٤١٧ - ثنا آدم ثنا شعبة، عن الحكم قال: سمعت محمد بن كعب القرظي قال: سمعت زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: لما قال عبد الله بن أبي: لا تنفقوا على من عند رسول الله، وقال أيضاً لئن رجعنا إلى المدينة، أخبرت به النبي ﷺ فلامني الأنصار، وحلف عبد الله بن أبي ما قال ذلك، فرجعت إلى المنزل فنمت، فدعاني رسول الله ﷺ فأتيته فقال: (إن الله قد صدقك) ونزل ﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا﴾ الآية.

وقال ابن أبي زائدة عن الأعمش عن عمرو عن ابن أبي ليلى عن زيد عن النبي ﷺ.

ش: قوله «**فيه عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن زيد بن أرقم**» كذا رواه الأعمش عن عمرو بن مرة عنه، وقد رواه شعبة عن عمرو بن مرة فقال عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم فكأن لعمرو بن مرة فيه شيخان.

وقد سبق شرح الحديث ضمن الباب الأول من تفسير هذه السورة.

٣٧٨ - [باب ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة، يحسبون كل صيحة عليهم هم العدوا فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾]

ش: يقول جل ذكره لنبيه محمدﷺ: وإذا رأيت هؤلاء المنافقين يا محمد تعجبك أجسامهم لا ستواء خلقها وحسن صورها.

﴿**وإن يقولوا تسمع لقولهم**﴾ يقول جل ثناؤه وإن يتكلموا تسمع كلامهم يشبه منطقهم منطق الناس.

﴿**كأنهم خشب مسندة**﴾ يقول: كأن هؤلاء المنافقين خشب مسندة لا خير عندهم ولا فقه لهم ولا علم وإنما هم صور بلا أحلام وأشباح بلا عقول.

وقوله «﴿**يحسبون كل صيحة عليهم**﴾» أي يحسب هؤلاء المنافقون من خشيتهم وسوء ظنهم وقلة يقينهم كل صيحة عليهم لأنهم على وجل أن ينزل الله فيهم أمراً يهتك به استارهم ويفضحهم ويبيح للمؤمنين قتلهم وسبي ذراريهم وأخذ أموالهم.

وقوله «﴿**هم العدو فاحذرهم**﴾» أي هم العدو يا محمد فاحذرهم فإن ألسنتهم إذا لقوكم معكم وقلوبهم عليكم مع أعدائكم.

قال ابن القيم: «ومثل هذا اللفظ يقتضي الحصر، أي لا عدو إلا هم ولكن لم يرد هاهنا حصر العداوة فيهم وأنهم لا عدو للمسلمين سواهم بل هذا من اثبات الأولوية والأحقية لهم في هذا الوصف وأنه لا يتوهم بانتسابهم إلى المسلمين ظاهراً وموالاتهم لهم ومخالطتهم إياهم أنهم ليسوا بأعدائهم بل هم أحق بالعداوة ممن يأتيهم في الدار ونصب لهم العداوة وجاهرهم بها، فإن ضرر هؤلاء المخالطين لهم المعاشرين لهم وهم في الباطن على خلاف دينهم اشد عليهم من ضرر من جاهرهم بالعداوة، والزم وادوم، لأن الحرب مع أولئك ساعة أو أياماً ثم ينقضي ويعقبه النصر والظفر، وهؤلاء معهم في الديار والمنازل صباحاًو مساءً يدلون

العدو على عوراتهم ويتربصون بهم الدوائر ولا يمكنهم مناجزتهم فهم أحق بالعداوة من المباين المجاهر». اهـ. من طريق الهجرتين.

وقوله «﴿**قاتلهم الله أنى يؤفكون**﴾» أي أخزاهم الله إلى أي وجه يصرفون عن الحق.

٤١٨ - ثنا عمرو بن خالد: ثنا زهير بن معاوية: ثنا أبو إسحاق سمعت زيد بن أرقم: خرجنا مع النبي ﷺ في سفر أصاب الناس فيه شدّة فقال عبدا لله بن أبي لأصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته فأرسل إلى عبدا لله بن أبي فسأله فاجتهد يمينه ما فعل، قالوا كذب زيد رسول الله ﷺ فوقع في نفسي مما قالوا شدة، حتى أنزل الله عز وجل تصديقي في: ﴿إذا جاءك المنافقون﴾ فدعاهم النبي ﷺ ليستغفر لهم فلوّوا رؤوسهم، وقوله ﴿خشب مسندة﴾ قال كانوا رجالاً أجمل شيء.

ش: مضى شرحه.

٣٧٩ - [باب قوله ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون﴾]

ش: يقول تعالى مخبراً عن المنافقين عليهم لعائن الله - أنهم إذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله، لووا رؤوسهم أي يعرضون عن قول من قال لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله أو يعرضون عن رسول الله وجملة **﴿وهم مستكبرون﴾** في محل نصب على الحال من فاعل الحال الأولى، وهي يصدون لأن الرؤية بصرية فيصدون في محل نصب على الحال والمعنى ورأيتهم صادين مستكبرين.

قوله :[**حرَّكوا : استهزؤوا بالنبيﷺ ، ويُقرأُ بالتخفيف من لويتُ**]

ش : قال الفرّاء حرّكوها استهزاءً بالنبيﷺ ودعائه ، وقرأ بعض أهل المدينة :(لَوَوا رؤسهم) بالتخفيف .

قلت : وبالتخفيف قرأ نافع وقرأ الباقون بالتشديد . حكاه مكي في الآية .

٤١٩ - ثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن زيد بن أرقم قال: كنت مع عمي، فسمعت عبدا لله بن أبي بن سلول يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي، فذكر عمي للنبيﷺ، فدعاني فحدثته فأرسل إلى عبدا لله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا، وكذّبني النبيﷺ وصدقهم فأصابني غم لم يصبني مثله قط، فجلست في بيتي، وقال عمي: ما أردت إلى أن كذبك النبي ﷺ ومقتك؟ فأنزل الله تعالى ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله﴾ فأرسل إلي النبي ﷺ فقرأها وقال :إن الله قد صدقك.

ش: مضى شرحه.

٣٨٠ - [باب قوله ﴿سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾]

ش: يقول تعالى ذكره لنبيه محمدﷺ: سواء يا محمد على هؤلاء المنافقين الذين قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله استغفرت لهم ذنوبهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم يقول لن يصفح الله لهم ذنوبهم، بل يعاقبهم عليها.

﴿إن الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ يقول إن الله لا يوفق للإيمان القوم الكاذبين عليه الكافرين به الخارجين عن طاعته.

٤٢٠ - ثنا علي: ثنا سفيان: قال عمرو: سمعت جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: كنا في غزاة - قال سفيان مرة - في جيش - فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري يا للمهاجرين، فسمع ذاك رسول الله ﷺ فقال: (ما بال دعوى جاهلية) قالوا يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: (دعوها فإنها منتنة) فسمع بذلك عبدالله بن أبي فقال: فعلوها، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ النبي ﷺ فقام عمر فقال يا رسول الله، دعني اضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ (دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه) وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة، ثم إن المهاجرين كثروا بعد.

قال سفيان: فحفظته من عمرو: قال عمرو: سمعت جابراً: كنا مع النبيﷺ.

ش: فيه تسع مسائل:

الأولى: قوله **«كنا في غزاة»** هي غزوة بني المصطلق كما تقدم في شرح حديث زيد بن أرقم وعند الترمذي في التفسير من طريق ابن أبي عمرو عن سفيان قال يرون أنها غزوة بني المصطلق.

الثانية: قوله «**فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار**» في المناقب باب ما ينهى من دعوى الجاهلية (وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع أنصارياً) وعند مسلم في البر والصلة باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً (اقتتل غلامان، غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار) وكسعه ضرب دبره بيده ووقع عند الطبري عن الحسن عن عمرو بن دينار عن جابر (أن رجلاً من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار برجله وذلك في أهل اليمن شديد) واسم الكاسع هو جهجاه بن قيس ويقال ابن سعيد القفاري والمكسوع سنان بن وبرة الجهني حليف الأنصار.

الثالثة: قوله «**ما بال دعوى الجاهلية**» عند مسلم (ما هذا دعوى أهل الجاهلية) قال النووي (١٦/١٣٧): وأما تسميته ﷺ ذلك دعوى الجاهلية فهو كراهة منه لذلك فإنه لما كانت عليه الجاهلية من التعاضد بالقبائل في أمور الدنيا ومتعلقاتها وكانت الجاهلية بأخذ حقوقها بالعصبات والقبائل فجاء الإسلام بإبطال ذلك وفصل القضايا بالأحكام الشرعية فإذا اعتدى انسان على آخر حكم القاضي بينهما وألزمه مقتضى عدوانه كما تقرر من قواعد الإسلام.

الرابعة: قوله «**دعوها فإنها منتنة**» في المناقب (فإنها خبيثة) والمعنى اتركوا مثل هذه الدعوى وهي دعوة كل من الغلامين حيه، ومنتنة بضم الميم وسكون النون وكسر المثناة من النتن أي أنها كلمة قبيحة خبيثة.

الخامسة: قوله «**فعلوها**» هو استفهام بحذف الأداة أي افعلوها؟ أي الأثرة أي اشركناهم فيما نحن فيه فارادوا الإستبداد به علينا.

السادسة: قوله «**أما وا لله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل**» هذه المقولة الثالثة من مقولات رأس النفاق بالمدينة عبدا لله بن أبي ويعني بالأعز نفسه وعصابته من أهل النفاق وأما سائر الأنصار فبريئون منها ويعني

بالأذل رسول الله ﷺ والمهاجرين، وما علم عدو الله أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

السابعة: قوله «**فقام عمر فقال: يا رسول الله دعني اضرب عنقه**» عند مسلم (دعني اضرب عنق هذا المنافق) وفي المناقب (ألا نقتل يا رسول الله هذا الخبيث).

قلت: فظهر لك أن عمر قال ما قال غيرة على دين الله واستأذن في قتل ابن أبي تخلصاً من شره وقطعاً لدابره لما علم من خطورته على أهل الإسلام.

الثامنة: قوله «**دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه**» قال النووي (١٦/١٣٨): «فيه ما كان عليه الصلاة والسلام من الحلم، وفيه ترك بعض الأمور المختارة، والصبر على بعض المفاسد خوفاً من أن تترتب على ذلك مفسدة أعظم منه وكان ﷺ يتألف الناس ويصبر على جفاء الأعراب والمنافقين وغيرهم لتقوى شوكة المسلمين وتتم دعوة الإسلام، ويتمكن الإيمان من قلوب المؤلفة ويرغب غيرهم في الإسلام وكان يعطيهم الأموال الجزيلة لذلك، ولم يقتل المنافقين لهذا المعنى ولإظهارهم الإسلام، وقد أمر بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر، ولأنهم كانوا معدودين في أصحابه ﷺ ويجاهدون معه إما حمية وإما لطلب دنياً أو عصبية لمن معه من عشائرهم». اهـ.

التاسعة: قوله «**وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة ثم إن المهاجرين كثرو بعد**» هذا مما يؤيد تقدم القصة، ويوضح وهم من قال إنها بتبوك لأن المهاجرين حينئذ كانوا كثيراً جداً، وقد انضافت إليهم مسلمة الفتح في غزوة تبوك فكانوا حينئذ أكثر من الأنصار.

٣٨١ -[باب قوله ﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول ا لله حتى ينفضوا و لله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون﴾]

ش: يقول تعالى ذكره **﴿هم الذين يقولون﴾** يعني المنافقين الذين يقولون لأصحابهم لا تنفقوا على من عند رسول ا لله من أصحابه المهاجرين، **﴿حتى ينفضوا﴾** يقول حتى يتفرقوا عنه.

وقوله **﴿و لله خزائن السموات والأرض﴾** يقول: و لله جميع ما في السماوات والأرض من شيء وبيده مفاتيح خزائن ذلك، لا يقدر أحد أن يعطي أحداً شيئاً إلا بمشيئته **﴿ولكن المنافقين لا يفقهون﴾** أن ذلك كذلك فلذلك يقولون **﴿لا تنفقوا على من عند رسول ا لله حتى ينفضوا﴾**.

٤٢١ - ثنا إسماعيل بن عبد ا لله، ثني إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة[(١)]، عن موسى بن عقبة ثني عبدا لله بن الفضل[(٢)]: أنه سمع انس بن مالك يقول حزنت على من أصيب بالحرة، فكتب إلي زيد بن أرقم، وبلغه شدة حزني يذكر: أنه سمع رسول ا لله ﷺ يقول: (اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار) وشك ابن الفضل في: (أبناء أبناء الأنصار) فسأل أنساً بعض من كان عنده فقال: هو الذي يقول رسول ا لله ﷺ (هذا الذي أوفى ا لله له بإذنه).

ش: فيه أربع مسائل:

(١) هو أبو إسحاق إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة الأسدي مولاهم المدني ثقة تكلم فيه بلا حجة، من السابعة مات في خلافة المهدي خ تم س.
(٢) هو عبد ا لله بن الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب الهاشمي المدني ثقة من الرابعة، ع.

الأولى: قوله «**حزنت على من أصيب بالحرة**» حزنت بكسر الزاي من الحزن قال الحافظ: زاد الإسماعيلي من طريق محمد بن فليح عن موسى بن عقبة (من قومي). اهـ.

وكانت تلك الموقعة سنة ثلاث وستين كما ذكره المؤرخون، وسببها أن أهل المدينة خلعوا بيعة يزيد بن معاوية لما بلغهم ما يتعمده من الفساد فأمر الأنصار عليهم عبدا لله بن حنظلة بن أبي عامر وأمر المهاجرون عليهم عبدا لله بن مطيع العدوي، وأرسل إليهم يزيد بن معاوية، مسلم بن عقبة السـمُرِّي في جيش كثير فهزموهم واستباحوا المدينة وقتلوا ابن حنظلة وقتل من الأنصار شيء كثير جداً، وكان أنس يؤمئذ بالبصرة فبلغه ذلك فحزن على من أصيب من الأنصار، فكتب إليه زيد بن أرقم وكان يؤمئذ بالكوفة يسليه، ومحصل ذلك أن الذي يصير إلى مغفرة ا لله لا يشتد الحزن عليه، فكان ذلك تعزية لأنس فيهم.

الثانية: قوله «**وشك ابن الفضل في (أبناء أبناء الأنصار)**» قلت وروى النضر بن أنس عن زيد بن أرقم قال: قال رسول ا للهﷺ: (اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار) أخرجه مسلم في باب من فضائل الأنصار من كتاب فضائل الصحابة، وعند الترمذي في باب فضل الأنصار وقريش من المناقب عن زيد بن أرقم أن رسول ا لله ﷺ قال: (اللهم اغفر للأنصار ولذراري الأنصار ولذراري ذراريهم).

الثالثة: قوله «**فسأل أنساً بعض من كان عنده**» لم أقف على هذا السائل ولعله النضر بن أنس فإنه هو الذي روى هذا الحديث وا لله أعلم.

الرابعة: قوله «**أوفى ا لله له بأذنه**» أي بسمعه وهو بضم الهمزة والذال المعجمة ويجوز فتحهما، أي اظهر صدقه فيما أعلم به، وأخرج عبد الرزاق (٢٩٤/٣): قال له النبي ﷺ (فلعلك غضبت عليه) فقال لا وا لله يا نبي ا لله لقد سمعته يقوله، قال فلعلك أخطأ سمعك فقال لا وا لله يا نبي ا لله لقد سمعته يقول

ذاك، قال فلعله نبه عليك فأنزل الله تعالى(تصديقاً للغلام ﴿**لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل**﴾

قلت: ومطابقة هذا الحديث للباب تؤخذ من قوله (هذا الذي أوفى الله له بأذنه) ولما أخرجه عبدالرزاق كما مضى.

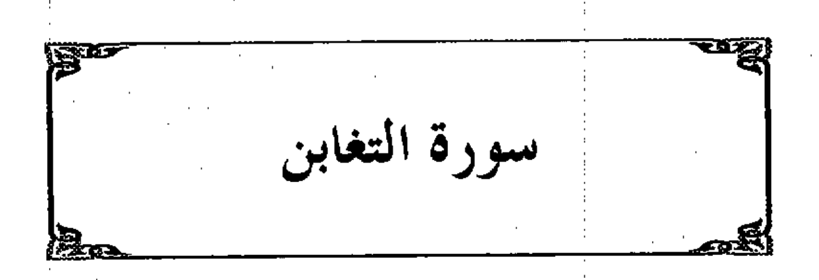
٣٨٢ - [باب قوله ﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل و لله العزة ولرسوله وللمؤمنين، ولكن المنافقين لا يعلمون﴾]

ش: يقول تعالى ذكره: يقول هؤلاء المنافقون ﴿**لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل**﴾ فيها، ويعني بالأعز: الأشد والأقوى قال ا لله جل ثناؤه: ﴿**و لله العزة**﴾ يعني الشدة والقوة، ولرسوله وللمؤمنين با لله ﴿**ولكن المنافقين لا يعلمون**﴾ ذلك.

٤٢٢ - ثنا الحميدي: ثنا سفيان: حفظناه من عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد ا لله رضي ا لله عنهما يقول: كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري ياللأنصار وقال المهاجري: يا للمهاجرين،فسمَّعها ا للهُ رسولَهﷺ قال:((ماهذا ؟))فقالوا: كسع رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال الأنصاري : يا للأنصار ، وقال المهاجري : يا للمهاجرين. فقال النبيﷺ ((دعوها فإنها منتنة)) قال جابر: وكانت الأنصار حين قدم النبي ﷺ أكثر ثم كثر المهاجرون بعدُ، فقال عبدا لله بن ابي: أوقد فعلوا، وا لله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه: دعني يا رسول ا لله اضرب عنق هذا المنافق، قال النبي ﷺ (دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه).

ش: مضى في الباب الثمانين بعد الثلاثمائة

آخر تفسير سورة المنافقين والحمد لله.



٣٨٣ - سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى: ﴿**يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن**﴾.

وهي في قول الأكثرين مدنية وقال الضحاك مكية.

وآياتها ثمان عشرة.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١) [﴿التغابن﴾ غبن أهل الجنة أهل النار]٠

ش: في نسخة الحافظ: وقال مجاهد التغابن... فذكره.

قلت: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء: جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرج عن ابن عباس رضي ا لله عنهما قال: (من أسماء يوم القيامة عظمه وحذر منه)

والآية المشار إليها: **﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن...﴾.**

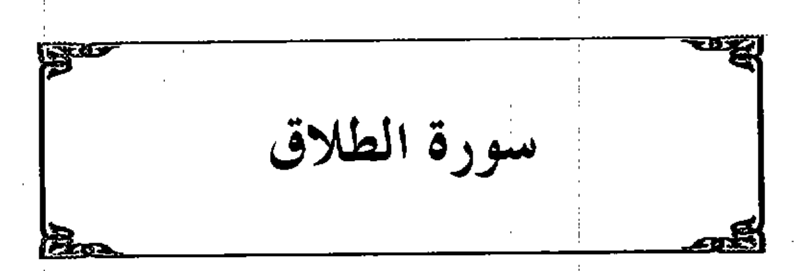
٢- [وقال علقمة، عن عبدا لله: ﴿ومن يؤمن با لله يهد قلبه﴾ هو الذي إذا أصابته مصيبة رضي وعرف أنها من ا لله].

ش: أخرجه بن جرير عن الأعمش عن أبي ضبيان قال كنا عند علقمه فقرئ عنده هذه الآيه **﴿ومن يؤمن با لله يهد قلبه﴾** فسئل عن ذلك فقال: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند ا لله فيسلم ذلك ويرضى).

وأخرجه عبدالرزاق من هذا الوجه عن علقمة بلفظ (هو الرجل يصاب بالمصيبة فيعلم أنها من ا لله).

قال الحافظ: وأخرج البرقاني من وجه آخر عن علقمة قال: شهدنا عنده — يعني عند عبدا لله - عرض المصاحف فأتى على هذه الآية **﴿ومن يؤمن با لله يهد قلبه﴾** قال: هي المصيبات تصيب الرجل فيعلم أنها من عند ا لله فيسلم ويرضى.

آخر تفسير سورة التغابن٠



٣٨٤- سورة الطلاق بسم ا لله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر في أول آية.

وهي مدنية في قول الجميع قاله القرطبي.

وآياتها ثنتا عشرة آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [**وقال مجاهد: ﴿إن ارتبتم﴾ إن لم تعلموا: أتحيض؟ أم لا تحيض فاللائي قعدن عن المحيض واللائي لم يحضن بعد: فعدتهن ثلاثة أشهر**].

ش: وصله الفريابي كما في التغليق (٤/٣٤٣) قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ (إن لم تعلموا التي قعدت عن الحيضة، والتي لم تحض، فعدتهن ثلاثة أشهر) وبه قال الزهري وابن زيد وهو أحد أقوال ثلاثة حكاها في الآية.

ثانيها: أن معنى ذلك: إن ارتبتم بحكمهن فلم تدروا ما الحكم في عدتهن، فإن عدتهن ثلاثة أشهر وهو قول أبي بن كعب.

وثالثها: أن معناه إن ارتبتم مما يظهر منهن من الدم، فلم تدروا ما الحكم فيهن ولم يذكر قائلة واختار أن معنى الآية: واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم بالحكم فيهن وفي عددهن، فلم تدروا ما هن فإن حكم عددهن إذا طلقن وهن ممن دخل بهن أزواجهن فعدتهن ثلاثة أشهر) والتحقيق أن عدة اليائسة من الحيض والصغيرة التي لم تبلغ سنه ثلاثة أشهر إذا طلقن بعد الدخول بهن وأن قوله **﴿إن ارتبتم﴾** شرط لا مفهوم له مثل **﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً﴾** فنهيهن عن البغاء متحتم وليس مقصوراً على إرادتهن التحصن.

والآية المشار إليها: **﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن﴾**.

٢- [﴿وبال أمرها﴾ جزاء أمرها﴾].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى، وثني الحارث قال: ثنا الحسن: ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرج عن السدي وقتادة وابن زيد نحوه.

والآية المشار إليها: ﴿**فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً**﴾.

٤٢٣ - ثنا يحيى بن بكير: ثنا الليث: ثني عقيل عن ابن شهاب: أخبرني سالم: أن عبدا لله بن عمر رضي ا لله عنهما أخبره: أنه طلق امرأته وهي حائض، فذكر عمر لرسول ا لله ﷺ، فتغيظ فيه رسول ا لله ﷺ ثم قال (ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسها فتلك العدة كما أمره ا لله).

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «**أنه طلق امرأته**» وعند مسلم في الطلاق باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها من رواية الليث عن نافع (أن ابن عمر طلق امرأة له وهي حائض تطليقة واحدة وفيه من رواية عبيدا لله بن عمر عن نافع عن ابن عمر: (طلقت امرأتي) قال الحافظ (٣٤٧/٩): قال النووي في تهذيبه: «اسمها آمنة بنت غفار قاله ابن باطيش، ونقله عن النووي جماعة ممن بعده منهم الذهبي في تجريد الصحابة) لكن قال في مبهماته ـ فكأنه أراد مبهمات التهذيب، وأوردها الذهبي في آمنة بالمد وكسر الميم ثم نون وأبوها غفار ضبطه ابن يقضه بكسر المعجمة وتخفيف الفاء، ولكني رأيت مستند ابن باطيش في آحاديث قتيبة جمع سعيد العيار بسند فيه ابن لهيعة أن ابن عمر طلق امرأته آمنة بنت عمار، كذا رأيتها في بعض الأصول بمهملة مفتوحة ثم ميم ثقيلة والأول أولى، وأقوى من ذلك ما رأيته في مسند أحمد قال: ثنا يونس: ثنا الليث عن نافع أن عبدا لله طلق امرأته وهي حائض فقال عمر: يا رسول ا لله إن عبدا لله طلق امرأته النوار فأمره أن

يراجعها... الحديث، وهذا الإسناد على شرط الشيخين، ويونس شيخ أحمد هو ابن محمد المؤدب من رجالهما، وقد أخرجه الشيخان عن قتيبة عن الليث ولكن لم تسم عندهما، ويمكن الجمع بأن يكون اسمها آمنة ولقبها النوار». اهـ.

الثانية: قوله «**وهي حائض**» في رواية قاسم بن اصبغ من طريق عبد الحميد بن جعفر عن نافع عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي في دمها حائض، وعند البيهقي من طريق ميمون بن مهران عن ابن عمر أنه طلق امرأته في حيضتها.

الثالثة: قوله «**فذكر عمر لرسول الله ﷺ**» في الطلاق باب وبعولتهن احق بردهن وفي رواية ابن أبي ذئب عن نافع (فأتى عمر النبي ﷺ فذكر له ذلك)، وأخرج أيضاً من طريق إسماعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر الحديث وفيه (فاستفتى عمر رسول الله ﷺ) .

الرابعة : قوله «**فتغيظ فيه رسول الله ﷺ** »قال الحافظ: ولم أر هذه الزيادة في رواية غير سالم، وهو أجل من روى الحديث عن ابن عمر وفيه اشعار بأن الطلاق في الحيض كان تقدم النهي عنه وإلا لم يقع التغيظ على أمر لم يسبق النهي عنه.

الخامسة: قوله «**ليراجعها**» في الطلاق (مره فليراجعها) قال ابن دقيق العيد في إحكام الأحكام (٥٣/٤): «ويتعلق بالحديث مسئلة أصولية وهي أن الأمر بالأمر بالشيء هل هو أمر بذلك الشيء أم لا فإن النبي ﷺ قال لعمر في بعض طرق الحديث مره فأمره، وعلى كل حال فلا ينبغي أن يتردد في اقتضاء ذلك الطلب وإنما ينبغي أن ينظر في أن لوازم صيغة الأمر هل هي لوازم لصيغة الأمر بالأمر بمعنى أنهما هل يستويان في الدلالة على الطلب من وجه واحد أم لا». اهـ.

السادسة: قوله «**ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر**» في رواية عبيدالله بن عمر عن نافع (ثم ليدعها حتى تطهر ثم تحيض حيضة أخرى فإذا

طهرت فليطلقها) وعند مسلم من رواية محمد بن عبد الرحمن عن سالم بلفظ (ثم ليطلقها طاهراً أو حاملاً) قال الشافعي: غير نافع إنما روى (حتى تطهر من الحيضة التي طلقها فيها ثم إن شاء أمسك وإن شاء طلق) رواه يونس بن جبير وأنس وابن سيرين وسالم **قلت**: وهو كما قال، لكن رواية الزهري عن سالم موافقة لرواية نافع، وقد نبه على ذلك أبوداود، والزيادة من الثقة مقبولة ولا سيما إذا كان حافظا) اهـ من الفتح (٩/٣٤٩).

السابعه: قوله «**فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرا قبل أن يمسها**» في الطلاق(إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس) وفي رواية محمد بن عبدالرحمن عن سالم (ثم ليطلقها طاهراً أو حاملاً).

فائدتان

الأولى: أختلف في الحكمة من هذا الأمر، فقال الشافعي: يحتمل أن يكون أراد بذلك أي بما وقع في رواية نافع ـ أن يستبرئها بعد الحيضة التي طلقها فيها بطهر تام ثم حيض تام ليكون تطليقها وهي تعلم عدتها إما بحمل أو بحيض، أو ليكون تطليقها بعد علمه بالحمل وهو غير جاهل بما صنع إذ يرغب فيمسك للحمل أو ليكون إن كانت سألت الطلاق غير حامل أن تكف عنه. وقيل الحكمة فيه أن لا تصير الرجعة لغرض الطلاق فإذا أمسكها زماناً يحل له فيه طلاقها ظهرت فائدة الرجعة.

وقيل إن الطهر الذي يلي الحيض وهو ممتنع من الطلاق في الحيض، فلزم أن يتأخر إلى الطهر الثاني.

الثانية: أختلف أهل العلم في جواز تطليقها في الطهر الذي يلي الحيضة التي وقع فيها الطلاق والرجعة، وفيه للشافعية وجهان أصحهما المنع وبه قطع المتولي، وهو الذي يقتضيه ظاهر الزيادة التي في الحديث وعبارة الغزالي في الوسيط وتبعه

المحلي: هل يجوز أن يطلق في هذا الطهر؟ وجهان وكلام المالكية يقتضي أن التأخير مستحب.

وقال ابن تيمية في المحرر: ولا يطلقها في الطهر المتعقب له فإنه بدعه، وعنه أي عن أحمد ـ جواز ذلك، وفي كتب الحنفية عن أبي حنيفة الجواز، وعن أبي يوسف ومحمد المنع.

الثامنة: قوله «فتلك العدة كما أمر ا لله» في الطلاق (فتلك العدة التي أمر ا لله أن يطلق لها النساء) ومراده بيان قوله تعالى ﴿**يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن**﴾ وهذا هو ما صرح به أبو الزبير في روايته عن عبد الرحمن بن أيمن قال ابن عمر وقرأ النبي ﷺ ﴿**يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن في قِبل عدتهن**﴾.

قلت: وهو دليل على أن الأقراء هي الأطهار للأمر بطلاقها في الطهر، وتفسير القرء بالطهر هو قول ابن عمر وعائشة وزيد وسليمان بن يسار والقاسم بن محمد وسالم بن عبدا لله وأبان بن عثمان وعمر بن عبدالعزيز والزهري ومالك والشافعي وأبي ثور وأبي بكر بن عبدالرحمن وهو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد.

تنبيه

قال ابن القيم في زاد المعاد بعد ذكره حديث الباب وأحاديث أخرى:

فتضمنت هذه النصوص أن المطلقة نوعان: مدخول بها، وغير مدخول بها، وكلاهما لا يجوز تطليقها ثلاثاً مجموعة، ويجوز تطليق غير المدخول بها طاهراً وحائضاً.

وأما المدخول بها، فإن كانت حائضاً أو نفساء، حرم طلاقها، وإن كانت طاهراً، فإن كانت مستبينة الحمل، جاز طلاقها بعد الوطء وقبله، وإن كانت حائلاً لم يجز طلاقها بعد الوطء في طهر الإصابة، ويجوز قبله.

هذا الذي شرعه الله على لسان رسوله من الطلاق، وأجمع المسلمون على وقوع الطلاق الذي أذن الله فيه، وأباحه إذا كان من مكلف مختار، عالماً بمدلول اللفظ، قاصداً له.

واختلفوا في وقوع المحرم من ذلك، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: الطلاق في الحيض، أو في الطهر الذي واقعها فيه.

المسألة الثانية: في جمع الثلاث، ونحن نذكر المسألتين تحريراً وتقريراً، كما ذكرناهما تصويراً، ونذكر حجج الفريقين، ومنتهى إقدام الطائفتين، مع العلم بأن المقلد المتعصب لا يترك من قلده ولو جاءته كل آية، وأن طالب الدليل لا يأتم بسواه، ولا يحكم إلا إياه، ولكل من الناس مورد لا يتعداه وسبيل لا يتخطاه، ولقد عذر من حمل ما انتهت إليه قواه، وسعى إلى حيث انتهت إليه خطاه.

فأما المسألة الأولى، فإن الخلاف في وقوع الطلاق المحرم لم يزل ثابتاً بين السلف والخلف، وقد وهم من ادعى الإجماع على وقوعه، وقال بمبلغ علمه، وخفي عليه من الخلاف ما اطلع عليه غيره، وقد قال الإمام أحمد: من ادعى الإجماع، فهو كاذب، وما يدريه لعل الناس اختلفوا.

كيف والخلاف بين الناس في هذه المسألة معلوم الثبوت عن المتقدمين والمتأخرين؟ قال محمد بن عبدالسلام الخشني: حدثنا محمد بن بشار؛ حدثنا عبدالوهاب بن عبدالمجيد الثقفي، حدثنا عبيدالله بن عمر، عن نافع مولى ابن عمر، عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال في رجل طلق امرأته وهي حائض. قال ابن عمر: لا يعتد بذلك، ذكره أبومحمد ابن حزم في ((المحلّى)) بإسناده إليه.

وقال عبد الرزاق في ((مصنفه)): عن ابن جريج، عن ابن طاووس، عن أبيه أنه قال: كان لا يرى طلاقاً ما خالف وجه الطلاق، ووجه العدة، وكان يقول: وجه الطلاق: أن يطلقها طاهراً من غير جماع وإذا استبان حملها.

وقال الخشني: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عبدالرحمن بن مهدي، حدثنا همام بن يحيى، عن قتادة، عن خلاس بن عمرو أنه قال في الرجل يطلق امرأته وهي حائض: قال: لا يعتد بها قال أبو محمد ابن حزم: والعجب من جرأة من ادعى الإجماع على خلاف هذا، وهو لا يجد فيما يوافق قوله في إمضاء الطلاق في الحيض أو في طهر جامعها فيه كلمة عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم غير رواية عن ابن عمر قد عارضها ما هو أحسن منها عن ابن عمر، وروايتين ساقطتين عن عثمان وزيد بن ثابت رضي الله عنهما. إحداهما: رويناها من طريق ابن وهب عن ابن سمعان، عن رجل أخبره أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يقضي في المرأة التي يطلقها زوجها وهي حائض أنها لا تعتد بحيضتها تلك، وتعتد بعدها بثلاثة قروء. **قلت**: وابن سمعان هو عبدالله بن زياد بن سمعان الكذاب، وقد رواه عن مجهول لا يعرف. قال أبو محمد: والأخرى من طريق عبدالرزاق، عن هشام بن حسان، عن قيس بن سعد مولى أبي علقمة، عن رجل سماه، عن زيد بن ثابت أنه قال فيمن طلق امرأته وهي حائض: يلزمه الطلاق، وتعتد بثلاث حيض سوى تلك الحيضة.

قال أبو محمد: بل نحن أسعد بدعوى الإجماع هاهنا لو استجزنا ما يستجيزون، ونعوذ بالله من ذلك، وذلك أنه لا خلاف بين أحد من أهل العلم قاطبة، ومن جملتهم جميع المخالفين لنا في ذلك أن الطلاق في الحيض أو في طهر جامعها فيه بدعة نهى عنها رسول الله ﷺ مخالفة لأمره، فإذا كان لا شك في هذا عندهم، فكيف يستجيزون الحكم بتجويز البدعة التي يقرون أنها بدعة وضلالة، أليس بحكم المشاهدة مجيز البدعة مخالفاً لإجماع القائلين بأنها بدعة؟ قال أبو محمد: وحتى لو لم يبلغنا الخلاف، لكان القاطع على جميع أهل الإسلام بما لا يقين عنده، ولا بلغه عن جميعهم كاذباً على جميعهم.

أولاً: قال المانعون من وقوع الطلاق المحرم: لا يزال النكاح المتيقن إلا بيقين مثله من كتاب، أو سنة، أو إجماع متيقن. فإذا أوجدتمونا واحداً من هذه الثلاثة، رفعنا حكم النكاح به، ولا سبيل إلى رفعه بغير ذلك. قالوا: وكيف والأدلة المتكاثرة تدل على عدم وقوعه، فإن هذا طلاق لم يشرعه الله تعالى ألبتة، ولا أذن فيه، فليس من شرعه، فكيف يقال بنفوذه وصحته؟.

ثانياً: قالوا: وإنما يقع من الطلاق المحرم ما ملكه الله تعالى للمطلق، ولهذا لا يقع به الرابعة، لأنه لم يملكها إياه، ومن المعلوم أنه لم يملكه الطلاق المحرم، ولا أذن له فيه، فلا يصح، ولا يقع.

ثالثاً: قالوا: ولو وكل وكيلاً أن يطلق امرأته طلاقاً جائزاً، فطلق طلاقاً محرماً، لم يقع، لأنه غير مأذون له فيه، فكيف كان إذن المخلوق معتبراً في صحة إيقاع الطلاق دون إذن الشارع، ومن المعلوم أن المكلف إنما يتصرف بالإذن، فما لم يأذن به الله ورسوله لا يكون محلاً للتصرف ألبتة.

رابعاً: قالوا: وأيضاً فالشارع قد حجر على الزوج أن يطلق في حال الحيض أو بعد الوطء في الطهر، فلو صح طلاقه لم يكن لحجر الشارع معنى، وكان حجر القاضي على من منعه التصرف أقوى من حجر الشارع حيث يبطل التصرف بحجره.

خامساً: قالوا: وبهذا أبطلنا البيع وقت النداء يوم الجمعة، لأنه بيع حجر الشارع على بائعه هذا الوقت، فلا يجوز تنفيذه وتصحيحه.

سادساً: قالوا: ولأنه طلاق محرم منهي عنه، فالنهي يقتضي فساد المنهي عنه، فلو صححناه، لكان لا فرق بين المنهي عنه والمأذون فيه من جهة الصحة والفساد.

سابعاً: قالوا: وأيضاً فالشارع إنما نهى عنه وحرمه، لأنه يبغضه، ولا يحب وقوعه، بل وقوعه مكروه إليه، فحرمه لئلا يقع ما يبغضه ويكرهه، وفي تصحيحه وتنفيذه ضد هذا المقصود.

ثامناً: قالوا: وإذا كان النكاح المنهي عنه لا يصح لأجل النهي، فما الفرق بينه وبين الطلاق، وكيف أبطلتم ما نهى الله عنه من النكاح، وصححتم ما حرمه ونهى عنه من الطلاق، والنهي يقتضي البطلان في الموضعين؟

تاسعاً: قالوا: ويكفينا من هذا حكم رسول الله ﷺ العام الذي لا تخصيص فيه برد ما خالف أمره وإبطاله وإلغاءه، كما في الصحيح عنه، من حديث عائشة رضي الله عنها: (كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد) وفي رواية: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد). وهذا صريح أن هذا الطلاق المحرم الذي ليس عليه أمره ﷺ مردود باطل، فكيف يقال: إنه صحيح لازم نافذ؟ فأين هذا من الحكم برده؟.

عاشراً: قالوا: وأيضاً فإنه طلاق لم يشرعه الله أبداً مردوداً باطلاً كطلاق الأجنبية، ولا ينفعكم الفرق بأن الأجنبية ليست محلاً للطلاق بخلاف الزوجة، فإن هذه الزوجة ليست محلاً للطلاق المحرم، ولا هو مما ملكه الشارع إياه.

الحادي عشر: قالوا: وأيضاً فإن الله سبحانه إنما أمر بالتسريح بإحسان، ولا أشر من التسريح الذي حرمه الله ورسوله، وموجب عقد النكاح أحد أمرين: إما إمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان، والتسريح المحرم أمر ثالث غيرهما، فلا عبرة به ألبتة.

الثاني عشر: قالوا: وقد قال الله تعالى: ﴿**يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن**﴾، وصح عن النبي ﷺ المبين عن الله مراده من كلامه، أن الطلاق المشروع المأذون فيه هو الطلاق في زمن الطهر الذي لم يجامع فيه، أو بعد

استبانة الحمل، وما عداهما فليس بطلاق للعدة في حق المدخول بها، فلا يكون طلاقاً، فكيف تحرم المرأة به؟.

الثالث عشر: قالوا: وقد قال تعالى: ﴿**الطلاق مرتان**﴾، ومعلوم أنه إنما أراد الطلاق المأذون فيه، وهو الطلاق للعدة، فدل على أن ما عداه ليس من الطلاق، فإنه حصر الطلاق المشروع المأذون فيه الذي يملك به الرجعة في مرتين، فلا يكون ما عداه طلاقاً. قالوا: ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم يقولون: إنهم لا طاقة لهم بالفتوى في الطلاق المحرم، كما روى ابن وهب، عن جرير بن حازم، عن الأعمش، أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من طلق كما أمره الله، فقد بين الله له، ومن خالف، فإنا لا نطيق خلافه، ولو وقع طلاق المخالف لم يكن الإفتاء به غير مطاق لهم، ولم يكن للتفريق معنى إذ كان النوعان واقعين نافذين.

الرابعة عشر: ما رواه أبو داود بالسند الصحيح الثابت عن أبي الزبير أنه سمع عبدالرحمن بن أيمن مولى عروة يسأل ابن عمر قال أبو الزبير وأنا أسمع: كيف ترى في رجل طلق امرأته حائضاً؟ فقال: طلق ابن عمر امرأته حائضاً على عهد رسول الله ﷺ، فسأل عمر عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: إن عبدالله بن عمر طلق امرأته وهي حائض، قال عبدالله: فردها علي ولم يرها شيئاً، وقال: إذا طهرت، فليطلق أو ليمسك، قال ابن عمر: وقرأ رسول الله ﷺ ﴿**يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن**﴾ في قبل عدتهن. قالوا: وهذا إسناد في غاية الصحة، فإن أبا الزبير غير مدفوع عن الحفظ والثقة، وإنما يخشى من تدليسه، فإذا قال: سمعت، أو حدثني، زال محذور التدليس، وزالت العلة المتوهمة، وأكثر أهل الحديث يحتجون به إذا قال: ((عن)) ولم يصرح بالسماع، ومسلم يصحح ذلك من حديثه، فأما إذا صرح بالسماع، فقد زال الإشكال، وصح الحديث، وقامت الحجة.

الخامس عشر: قالوا: ولا نعلم في خبر أبي الزبير هذا ما يوجب رده، وإنما رده من رده استبعاداً واعتقاداً أنه خلاف الأحاديث الصحيحة، ونحن نحكي كلام من رده، ونبين أنه ليس فيه ما يوجب الرد.

قال أبو داود: والأحاديث كلها على خلاف ما قال أبو الزبير.

وقال الشافعي: ونافع أثبت عن ابن عمر من أبي الزبير، والأثبت من الحديثين أولى أن يقال به إذا خالفه.

وقال الخطابي: حديث يونس بن جبير أثبت من هذا، يعني قوله: (مره فليراجعها)، وقوله: (أرأيت إن عجز واستحمق)؟ قال: فمه.

قال ابن عبدالبر: وهذا لم ينقله عنه أحد منهم، وأبو الزبير ليس بحجة فيما خالفه فيه مثله، فكيف بخلاف من هو أثبت منه.

وقال بعض أهل الحديث: لم يرو أبو الزبير حديثاً أنكر من هذا.

فهذا جملة ما رد به خبر أبي الزبير، وهو عند التأمل لا يوجب رده ولا بطلانه.

أما قول أبي داود: الأحاديث كلها على خلافه، فليس بأيديكم سوى تقليد أبي داود، وأنتم لا ترضون ذلك، وتزعمون أن الحجة من جانبكم، فدعوا التقليد، وأخبرونا أين في الأحاديث الصحيحة ما يخالف حديث أبي الزبير؟ فهل فيها حديث واحد أن رسول الله ﷺ احتسب عليه تلك الطلقة، وأمره أن يعتد بها، فإن كان ذلك فنعم والله هذا خلاف صريح لحديث أبي الزبير، ولا تجدون إلى ذلك سبيلاً، وغاية ما بأيديكم (مره فليراجعها)، والرجعة تستلزم وقوع الطلاق. وقول ابن عمر. وقد سئل: أتعتد بتلك التطليقة؟ فقال: (أرأيت إن عجز واستحمق) وقول نافع أو من دونه: (فحسبت من طلاقها) وليس وراء ذلك حرف واحد يدل على وقوعها، والاعتداد بها، ولا ريب في صحة هذه الألفاظ، ولا مطعن فيها، وإنما الشأن كل الشأن في معارضتها، لقوله: (فردها علي ولم

يرها شيئاً)، وتقديمها عليه، ومعارضتها لتلك الأدلة المتقدمة التي سقناها، وعند الموازنة يظهر التفاوت، وعدم المقاومة، ونحن نذكر ما في كلمةٍ كلمةٍ منها.

أما قوله: (مره فليراجعها)، فالمراجعة قد وقعت في كلام الله ورسوله على ثلاثة معان.

أحدها: ابتداء النكاح، كقوله تعالى: ﴿**فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله**﴾، ولا خلاف بين أحد من أهل العلم بالقرآن أن المطلق ها هنا: هو الزوج الثاني، وأن التراجع بينها وبين الزوج الأول، وذلك نكاح مبتدأ.

وثانيها: الرد الحسي إلى الحالة التي كان عليها أولاً، كقوله لأبي النعمان بن بشير لما نحل ابنه غلاماً خصه به دون ولده: (رده)، فهذا رد ما لم تصح فيه الهبة الجائزة التي سماها رسول الله جوراً، وأخبر أنها لا تصلح، وأنها خلاف العدل، كما سيأتي تقريره إن شاء الله تعالى.

ومن هذا قوله لمن فرق بين جارية وولدها في البيع، فنهاه عن ذلك، ورد البيع، وليس هذا الرد مستلزماً لصحة البيع، فإنه بيع باطل، بل هو رد شيئين إلى حالة اجتماعهما كما كانا، وهكذا الأمر بمراجعة ابن عمر امرأته ارتجاع ورد إلى حالة الاجتماع كما كانا قبل الطلاق، وليس في ذلك ما يقتضي وقوع الطلاق في الحيض ألبتة.

وأما قوله: «**أرأيت إن عجز واستحمق**»، فيا سبحان الله أين البيان في هذا اللفظ بأن تلك الطلقة حسبها عليه رسول الله ﷺ، والأحكام تؤخذ بمثل هذا ولو كان رسول الله ﷺ قد حسبها عليه، واعتد عليه بها لم يعدل عن الجواب بفعله وشرعه إلى: أرأيت، وكان ابن عمر أكره ما إليه (أرأيت)، فكيف يعدل للسائل عن صريح السنة إلى لفظة (أرأيت) الدالة على نوع من الرأي سببه عجز المطلق وحمقه عن إيقاع الطلاق على الوجه الذي أذن الله له فيه، والأظهر فيما هذه

صفته أنه لا يعتد به، وأنه ساقط من فعل فاعله، لأنه ليس في دين الله تعالى حكم نافذ سببه العجز والحمق عن امتثال الأمر، إلا أن يكون فعلاً لا يمكن رده بخلاف العقود المحرمة التي من عقدها على الوجه المحرم، فقد عجز واستحمق، وحينئذ، فيقال: هذا أدل على الرد منه على الصحة واللزوم، فإنه عقد عاجز أحمق على خلاف أمر الله ورسوله، فيكون مردوداً باطلاً، فهذا الرأي والقياس أدل على بطلان طلاق من عجز واستحمق منه على صحته واعتباره.

وأما قوله: فحسبت من طلاقها. ففعل مبني لما لم يسم فاعله، فإذا سمي فاعله، ظهر، وتبين، هل في حسبانه حجة أو لا؟ وليس في حسبان الفاعل المجهول دليل ألبتة. وسواء كان القائل: (فحسبت) ابن عمر أو نافعاً أو من دونه، وليس فيه بيان أن رسول الله ﷺ هو الذي حسبها حتى تلزم الحجة به، وتحرم مخالفته، فقد تبين أن سائر الأحاديث لا تخالف حديث أبي الزبير، وأنه صريح في أن رسول الله ﷺ لم يرها شيئاً، وسائر الأحاديث مجملة لا بيان فيها.

قال الموقعون: لقد أرتقيتم أيها المانعون مرتقىً صعباً، وأبطلتم أكثر طلاق المطلقين، فإن غالبه طلاق بدعي، وجاهرتم بخلاف الأئمة، ولم تتحاشوا خلاف الجمهور، وشذذتم بهذا القول الذي أفتى جمهور الصحابة ومن بعدهم بخلافه، والقرآن والسنن تدل على بطلانه. قال تعالى: **﴿فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره﴾**، وهذا يعم كل طلاق، وكذلك قوله: **﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾** ولم يفرق، وكذلك قوله تعالى: **﴿الطلاق مرتان﴾**، وقوله: **﴿وللمطلقات متاع﴾**، وهذه مطلقة وهي عمومات لا يجوز تخصيصها إلا بنص أو إجماع.

قالوا: وحديث ابن عمر دليل على وقوع الطلاق المحرم من وجوه:

أحدها: الأمر بالمراجعة، وهي لم شعث النكاح، وإنما شعثه وقوع الطلاق.

الثاني: قول ابن عمر، فراجعتها، وحسبت لها التطليقة التي طلقها، وكيف يظن بابن عمر أنه يخالف رسول الله ﷺ فيحسبها من طلاقها، ورسول الله ﷺ لم يرها شيئاً.

الثالث: قول ابن عمر لما قيل له: أيحتسب بتلك التطليقة؟ قال: أرأيت إن عجز واستحمق، أي: عجزه وحمقه لا يكون عذراً له في عدم احتسابه بها.

الرابع: أن ابن عمر قال: وما يمنعني أن أعتد بها، وهذا إنكار منه لعدم الاعتداد بها، وهذا يبطل تلك اللفظة التي رواها عنه أبو الزبير، إذ كيف يقول ابن عمر: وما يمنعني أن أعتد بها؟ وهو يرى رسول الله قد ردها عليه، ولم يرها شيئاً.

الخامس: أن مذهب ابن عمر الاعتداد بالطلاق في الحيض، وهو صاحب القصة، وأعلم الناس بها وأشدهم اتباعاً للسنن، وتحرجاً من مخالفتها. قالوا: وقد روى ابن وهب في ((جامعه))، حدثنا ابن أبي ذئب، أن نافعاً أخبرهم عن ابن عمر، أنه طلق امرأته وهي حائض، فسأل عمر رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: (مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد ذلك، وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء وهي واحدة هذا لفظ حديثه.

قالوا: وروى عبدالرزاق، عن ابن جريج قال: أرسلنا إلى نافع وهو يترجل في دار الندوة ذاهباً إلى المدينة، ونحن مع عطاء: هل حسبت تطليقة عبدالله بن عمر امرأته حائضاً على عهد رسول الله ﷺ؟ قال: نعم.

قالوا: وروى حماد بن زيد، عن عبدالعزيز بن صهيب، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من طلق في بدعة ألزمناه بدعته)، رواه عبدالباقي بن قانع، عن زكريا الساجي حدثنا إسماعيل بن أمية الذارع حدثنا حماد فذكره.

قالوا: وقد تقدم مذهب عثمان بن عفان، وزيد بن ثابت في فتواهما بالوقوع.

قالوا: وتحريمه لا يمنع ترتب أثره، وحكمه عليه كالظهار، فإنه منكر من القول وزور، وهو محرم بلا شك، وترتب أثره عليه وهو تحريم الزوجة إلى أن يكفر، فهكذا الطلاق البدعي محرم، ويترتب عليه أثره إلى أن يراجع، ولا فرق بينهما.

قالوا: وهذا ابن عمر يقول للمطلق ثلاثاً: حرمت عليك حتى تنكح زوجاً غيرك، وعصيت ربك فيما أمرك به من طلاق امرأتك. فأوقع عليه الطلاق الذي عصى به المطلق ربه عز وجل.

قالوا: وكذلك القذف محرم، وترتب عليه أثره من الحد، ورد الشهادة وغيرهما.

قالوا: والفرق بين النكاح المحرم، والطلاق المحرم، أن النكاح عقد يتضمن حل الزوجة وملك بضعها، فلا يكون إلا على الوجه المأذون فيه شرعاً، فإن الأبضاع في الأصل على التحريم، ولا يباح منها إلا ما أباحه الشارع، بخلاف الطلاق، فإنه إسقاط لحقه، وإزالة لملكه، وذلك لا يتوقف على كون السبب المزيل مأذوناً فيه شرعاً، كما يزول ملكه عن العين بالإتلاف المحرم، وبالإقرار الكاذب، وبالتبرع المحرم، كهبتها لمن يعلم أنه يستعين بها على المعاصي والآثام.

قالوا: والإيمان اصل العقود وأجلها وأشرفها، يزول بالكلام المحرم إذا كان كفراً، فكيف لا يزول عقد النكاح بالطلاق المحرم الذي وضع لإزالته.

قالوا: ولو لم يكن معنا في المسألة إلا طلاق الهازل، فإنه يقع مع تحريمه لأنه لا يحل له الهزل بآيات ا لله، وقد قال النبيﷺ: (ما بال أقوام يتخذون آيات ا لله هزواً: طلقتك راجعتك، طلقتك راجعتك) فإذا وقع طلاق الهازل مع تحريمه، فطلاق الجاد أولى أن يقع مع تحريمه.

قالوا: وفرق آخر بين النكاح المحرم، والطلاق المحرم، أن النكاح نعمة، فلا يستباح بالمحرمات، وإزالته وخروج البضع عن ملكه نقمة، فيجوز أن يكون سببها محرماً.

قالوا:وأيضاً فإن الفروج يحتاط لها، والإحتياط يقتضي وقوع الطلاق، وتجديد الرجعة والعقد.

قالوا: وقد عهدنا النكاح لا يدخل فيه إلا بالتشديد والتأكيد من الإيجاب والقبول، والولي والشاهدين، ورضى الزوجة المعتبر رضاها، ويخرج منه بأيسر شيء، فلا يحتاج الخروج منه إلى شيء من ذلك، بل يدخل فيه بالعزيمة، ويخرج منه بالشبهة، فأين أحدهما من الآخر حتى يقاس عليه.

قالوا: ولو لم يكن بأيدينا إلا قول حملة الشرع كلهم قديماً وحديثاً: طلق امرأته وهي حائض، والطلاق نوعان: طلاق سنة، وطلاق بدعة، وقول ابن عباس رضي الله عنه: الطلاق على أربعة أوجه: وجهان حلال، ووجهان حرام، فهذا الاطلاق والتقسيم دليل على أنه عندهم طلاق حقيقة، وشمول اسم الطلاق له كشموله للطلاق الحلال، ولو كان لفظاً مجرداً لغواً لم يكن له حقيقة، ولا قيل: طلق امرأته، فإن هذا لا يقال فيه: طلق، ولا يقسم الطلاق - وهو غير واقع - إليه وإلى الواقع، فإن الألفاظ اللاغية التي ليس لها معان ثابتة لا تكون هي ومعانيها قسماً من الحقيقة الثابتة لفظاً، فهذا أقصى ما تمسك به الموقعون، وربما ادعى بعضهم الإجماع لعدم علمه بالنزاع. اهـ.

قال مقيده: فبان بهذا التقرير أمران:

أحدهما: أن طلاق المدخول بها حائضاً أو في طهر بعد مسيس من الطلاق المحرم بنص الشارع.

وثانيهما: أنه غير معتد به وغير واقع لمخالفته أمر الله ورسوله.

٣٨٥ - [باب ﴿**وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق ا لله يجعل له من أمره يسراً**﴾]

ش: قلت الآية ﴿**واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن، وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق ا لله يجعل له من أمره يسرا**﴾.

يقول تعالى مبيناً لعدة الآيسة، وهي التي قد انقطع عنها الحيض لكبرها أنها ثلاثة أشهر، عوضاً عن الثلاثة قروء في حق من تحيض كما دلت عليه ذلك آية البقرة وهي قوله تعالى: ﴿**والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء**﴾ وكذا الصغار اللائي لم يبلغن سن الحيض أن عدتهن كعدة الآيسة ثلاثة أشهر ولهذا قال ﴿**واللائي لم يحضن**﴾.

وقوله ﴿**وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن**﴾ يقول تعالى: ومن كانت حاملاً فعدتها بوضعه، ولو كان بعد الطلاق أو الموت بفواق ناقة، في قول جمهور العلماء من السلف والخلف كما هو نص هذه الآية الكريمة وكما وردت به الأحاديث الصحيحة ومنها حديث الباب.

وقوله ﴿**ومن يتق ا لله يجعل له من أمره يسراً**﴾ يقول جل ثناؤه: ومن يخف ا لله فرهبه، فاجتنب معاصيه، وأدى فرائضه، ولم يخالف أذنه في طلاق امرأته فإنه يجعل ا لله له من طلاقه ذلك يسراً وهو أن يسهل عليه إن أراد الرخصة لإشباع نفسه إياها الرجعة مادامت في عدتها وإن انقضت عدتها، ثم دعته نفسه إليها قدر على خطبتها.

من فقه الآية

أولاً: أن من كانت من ذوات الحيض فلا تعتد بالأشهر.

ثانياً: تنتهي عدة الحامل بوضع حملها طالت المدة أو قصرت.

ثالثاً: إن الطلاق وفق ما شرعه ا لله وهو استقبال العدة من تقوى ا لله.

رابعاً: وعد المتقي بتيسير أموره.

[﴿وأولات الأحمال﴾: واحدها ذات حمل].

ش: هو من قول أبي عبيدة، قلت لأن أولات ملحق بجمع المؤنث السالم فلا واحد له من لفظه، قال ابن مالك:

وما بتـا وألـف قد جـمعا يكسر في الجر وفي النصب معاً
كذا أولات والذي اسماً قد جعل كأذرعـات فـيه ذا أيضاً قبل

٤٢٤ - ثنا سعد بن حفص[1]، ثنا شيبان، عن يحيى قال: أخبرني أبو سلمة قال: جاء رجل إلى ابن عباس وأبو هريرة جالس عنده، فقال: افتني في امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة؟ فقال ابن عباس: آخر الأجلين قلت أنا: ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ قال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي يعني أبا سلمة، فأرسل ابن عباس غلامه كريباً إلى أم سلمة يسألها: فقالت: قتل زوج سبيعة الأسلمية وهي حبلى فوضعت بعد موته بأربعين ليلة، فخطبت، فأنكحها رسول الله، وكان أبو السنابل فيمن خطبها).

٤٢٥ - وقال سليمان بن حرب وأبو النعمان، ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد قال: كنت في حلقة فيها عبدالرحمن بن أبي ليلى وكان أصحابه يعظمونه، فذكر آخر الأجلين، فحدثت بحديث سبيعة بنت الحارث عن عبدالله بن عتبة، قال: فضمَّز لي بعض أصحابه، قال محمد: ففطنت له، فقلت إني إذاً لجريء إن كذبت على عبدالله بن عتبة وهو في ناحية الكوفة، فاستحيا وقال: لكن عمه لم يقل ذاك، فلقيت أبا عطية مالك بن عامر فسألته، فذهب يحدثني حديث سبيعة، فقلت: هل سمعت عن عبدالله فيها شيئاً؟ فقال:

(١) هو أبو محمد سعد بن حفص الطلحي مولاهم الكوفي، المعروف بالضخم ثقة، من كبار العاشرة خ، س.

كنا عند عبدا لله، فقال: أتجعلون عليها التغليظ، ولا تجعلون عليها الرخصة لنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾.

ش: فيهما ثمان عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**جاء رجل إلى ابن عباس**» لم نقف على اسمه.

الثانية: قوله «**آخر الأجلين**» أي يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً وهو نص آية البقرة، ولو وضعت قبل ذلك، فإن مضت و لم تضع تتربص إلى أن تضع، وقد قال بقول ابن عباس هذا محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى، ونقل عن سحنون أيضاً.

قال الحافظ: «ووقع عند الإسماعيلي: قيل لابن عباس في امرأة وضعت بعد وفاة زوجها بعشرين ليلة أيصلح أن تتزوج؟ قال لا إلى آخر الأجلين، قال أبو سلمة: فقلت: قال ا لله: ﴿**وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن**﴾ قال إنما ذاك في الطلاق وهذا السياق أوضح لمقصود الترجمة، لكن البخاري على عادته في إيثار الأخفى على الأجلى» اهـ.

قلت: وأخرج ابن جرير في تفسير هذه الآية من طريقين عن أبي بن كعب قال: (لما نزلت هذه الآية ﴿**وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن**﴾ قال: **قلت:** يا رسول ا لله، المتوفَّى عنها زوجها والمطلقة، قال نعم) وهذا الحديث وإن كان كل من طريقيه فيه مقال إلا أنه يشهد له قصة سبيعة.

الثالثة: قوله «**قال أبو هريرة أنا مع ابن أخي، يعني أبا سلمة**» أي أوافقه فيما قال.

الرابعة: قوله «**فأرسل ابن عباس غلامه كريباً إلى أم سلمة**» هذا صريح واضح أن ابن عباس استفتى أم سلمة في عدة المتوفى عنها زوجها وهي حامل، ويزيده وضوحاً ما أخرجه مسلم في الطلاق باب انقضاء عدة المتوفي عنها زوجها

من رواية سليمان ين يسار (فبعثوا كريباً مولى ابن عباس إلى أم سلمة سألها عن ذلك، فجاءهم فأخبرهم أن أم سلمة قالت: أن سبيعة الأسلمية، نفست بعد وفاة زوجها بليال، وأنها ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأمرها أن تتزوج).

الخامسة: قوله «**قتل زوج سبيعة**» كذا هنا، وفي غير هذه الرواية أنه مات والمعنى واحد، واستغنت أم سلمة بسياق قصة سبيعة عن الجواب بلا أو نعم، لكنه اقتضى تصويب قول أبي سلمة.

السادسة: قوله «**وقال سليمان بن حرب وأبو النعمان**» وهو محمد بن الفضل المعروف بعارم وكلاهما من شيوخ البخاري قال الحافظ: لكن ذكره الحميدي وغيره في التعليق، وأغفله المزي في الأطراف مع ثبوته هنا في جميع النسخ وقد وصله الطبراني في المعجم الكبير عن علي بن عبدالعزيز عن أبي النعمان بلفظه. اهـ.

قلت: وأخرجه البيهقي في باب عدة الحامل من الوفاة من كتاب العدد من سننه (٤٣٠/٧) من طريق يعقوب بن سفيان: أخبرنا سليمان بن حرب أخبرنا حماد عن أيوب عن محمد بن سيرين فذكره.

السابعة: قوله «**كنت في حلقة فيها عبدالرحمن بن أبي ليلى وكان أصحابه يعظمونه**» تقدم في تفسير سورة البقرة من طريق عبدالله بن عون عن ابن سيرين بلفظ: (جلست إلى مجلس فيه عظم من الأنصار.)

الثامنة: قوله «**فذكروا له، فذكر آخر الأجلين**» أي ذكروا له الحامل تضع بعد وفاة زوجها.

التاسعة: قوله: «**فحدثت بحديث سبيعة بنت الحارث عن عبدالله بن عتبة**» أي ابن مسعود، وقد قدمنا قصة سبيعة في تفسير سورة البقرة ضمن الباب الثالث والأربعين عند شرح الحديث الخامس والخمسين.

العاشرة: قوله «**فضمز**» بضاد معجمة وميم ثقيلة وزاي قال ابن التين: كذا في أكثر النسخ ومعناه أشار إليه أن أسكت، ضمز الرجل إذا عض على شفتيه.

الحادية عشرة: قوله «**إني إذاً لجريء إن كذبت على عبدا لله بن عتبة وهو في ناحية الكوفة**» في رواية هشام عن ابن سيرين عند عبد بن حميد (إني لحريص على الكذب) وهذا يشعر بأن القصة وقعت لابن سيرين في حياة عبدا لله بن عتبة).

الثانية عشرة: قوله: «**لكن عمه لم يقل ذاك**» يعني به عبدا لله بن مسعود والقائل هو عبدالرحمن بن أبي ليلى، والمشهور عن ابن مسعود أنه كان يقول خلاف ما نقله ابن أبي ليلى فلعله كان يقول ذلك ثم رجع، أو وهم الناقل عنه.

الثالثة عشرة: قوله «**فلقيت أبا عطية مالك بن عامر**» في رواية ابن عوف (مالك بن عامر أو مالك بن عوف) بالشك والمحفوظ مالك بن عامر وهو مشهور بكنيته أكثر من اسمه والقائل هو ابن سيرين كأنه استغرب ما نقله ابن أبي ليلى عن ابن مسعود فاستثبت فيه من غيره، ووقع في رواية هشام عن ابن سيرين (فلم أدر ما قول ابن مسعود في ذلك فسكت، فلما قمت لقيت أبا عطية).

الرابعة عشرة: قوله: «**فذهب يحدثني بحديث سبيعة، فقلت: هل سمعت عن عبدا لله فيها شيئاً**» أي بمثل ما حدث به عبدا لله بن عتبة عنها وقوله (هل سمعت) أراد استخراج ما عنده في ذلك عن ابن مسعود لما وقع عنده من التوقف فيما أخبر به ابن أبي ليلى.

الخامسة عشرة: قوله: «**أتجعلون عليها**» في رواية أبي نعيم من طريق الحارث بن عمير عن أيوب، (فقال أبو عطية ذكر ذلك عند ابن مسعود فقال: أرأيتم لو مضت أربعة أشهر وعشرا ولم تضع حملها كانت قد حلت؟ قالوا: لا، قال: فتجعلون عليها التغليظ) الحديث.

السادسة عشرة: قوله: «**ولا تجعلون عليها الرخصة**» في رواية الحارث بن عمير (ولا تجعلون لها) والحرفان بمعنى ومراده لماذا لا تجعلون لها الرخصة كما دلت عليه آية سورة الطلاق وهي قوله تعالى ﴿**وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن**﴾.

السابعة عشرة: قوله: (لنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى) هو تأكيد لقسم محذوف تقديره وا لله لقد نزلت والقصرى سورة الطلاق والطولى سورة البقرة ومراد ابن مسعود إن كان هناك نسخ فالمتأخر هو الناسخ، وإلا فالتحقيق أن لا نسخ هناك بل عموم آية البقرة ﴿**والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا**﴾ مخصوص بآية الطلاق ﴿**وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن**﴾ ويوضحه قصة سبيعة.

الثامنة عشرة: قوله: «﴿**وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن**﴾» هذا هو محل الشاهد من حديث بن سيرين وقد تقدم تفسيره أول الباب.

من فقه الحديثين

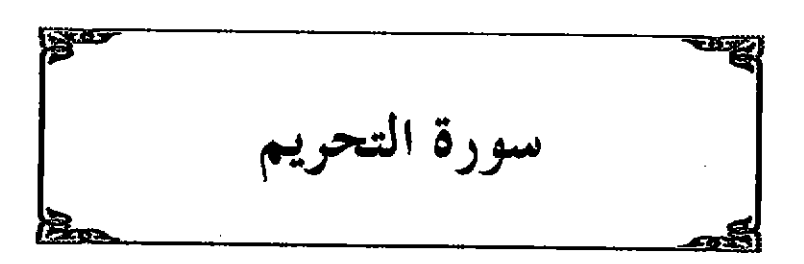
أولاً: أن عدة الحامل المتوفى عنها مدة حملها طال أو قصر.

ثانياً: توقير أهل العلم والفضل.

ثالثاً: الإستثبات في الفتوى.

رابعاً: حرص السلف على أخذ العلم من الأعلى فالأعلى.

آخر تفسير سورة الطلاق و لله الحمد والمنة.



سورة التحريم

بسم ا لله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وهي مدنية في قول الجميع كما قال القرطبي.

وآياتها أثنتا عشرة آية.

٣٨٦ - [باب ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل ا لله لك تبتغي مرضات أزواجك وا لله غفور رحيم﴾]

ش: يقول تعالى ذكره لنبيه محمدﷺ: يا أيها النبي المحرم على نفسه ما أحل ا لله له، يبتغي بذلك مرضاة أزواجه، لم تحرم على نفسك الحلال الذي أحله ا لله لك، تلتمس بتحريمك ذلك مرضاة أزواجك.

وقد اختلف أهل العلم بالتفسير فيما حرمه الرسولﷺ على نفسه على ثلاثة أقوال:

أحدها: كان ذلك مارية مملوكته القبطيه وهو قول زيد بن أسلم ومسروق وقتادة والشعبي وابن زيد والضحاك.

وثانيها: أنه جاريته وبه قال ابن عباس.

وثالثها: كان ذلك شراباً يشربه كان يعجبه وبه قال عبدا لله بن شداد بن الهاد، حكاها جميعها ابن جرير واختار أن الذي حرمه النبي ﷺ على نفسه شيئاً كان ا لله قد أحله له وجائز أن يكون ذلك كان جاريته، وجائز أن يكون شراباً من الأشربة وجائز أن يكون غير ذلك.

وقوله ﴿**وا لله غفور رحيم**﴾ أي عظيم المغفرة والرحمة، لما فرط منك بتحريمك على نفسك ما أحل ا لله لك.

٤٢٦ - ثنا معاذ[1] بن فضالة: ثنا هشام عن يحيى عن ابن حكيم هو يعلى[2] بن حكيم الثقفي عن سعيد بن جبير: أن ابن عباس رضي ا لله عنهما قال في الحرام يكفر وقال ابن عباس: ﴿لقد كان لكم في رسول ا لله أسوة حسنة﴾.

---

(١) هو أبو زيد معاذ بن فضالة الزهراني أو الطفاوي البصري ثقة من العاشرة وهو من كبار شيوخ اليخاري، مات بعد سنة عشر ومائتين،خ.

(٢) هو يعلى بن حكيم، الثقفي مولاهم المكي، نزيل البصرة، ثقة من السادسة، خ، م، د، س، ق.

٤٢٧ - ثنا إبراهيم بن موسى: أخبرنا هشام بن يوسف عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش، ويمكث عندها فواطيت أنا وحفصة على: أيتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير، إني أجد منك ريح مغافير قال: (لا ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش، فلن أعود له، وقد حلفت، لا تخبري بذلك أحداً).

ش: فيهما سبع مسائل:

الأولى: قوله «**في الحرام يكفر**» أي إذا قال لامرأته أنت علي حرام لا تطلق وعليه كفارة يمين وفي الطلاق باب لم تحرم ما أحل الله لك من رواية معاوية بن سلام (إذا حرم الرجل عليه امرأته فهي يمين يكفرها) قال النووي: (وقد اختلف العلماء فيما إذا قال لزوجته أنت علي حرام فمذهب الشافعي أنه إن نوى طلاقها كان طلاقاً وإن نوى الظهار كان ظهاراً وإن نوى تحريم عينها بغير طلاق ولا ظهار لزمه بنفس اللفظ كفارة يمين والثاني أنه لغو لا شيء فيه ولا يترتب عليه شيء من الأحكام). اهـ.

ثم حكى عن القاضي عياض أربعة عشر قولاً منها:

المشهور من مذهب مالك أنه يقع به ثلاث طلقات سواء كانت مدخولاً بها أم لا لكن لو نوى أقل من الثلاث قبل في غير المدخول بها خاصة قال وبهذا المذهب قال أيضاً علي بن أبي طالب وزيد والحسن والحكم.

والثاني: أنه يقع به ثلاث طلقات و لا تقبل نيته في المدخول بها ولا غيرها قاله ابن أبي ليلى وعبدالملك بن الماجشون المالكي.

والثالث: أنه يقع مانوى ولا يكون أقل من طلقة واحدة قاله الزهري.

والرابع: أنه كتحريم الماء والطعام فلا يجب فيه شيء أصلاً ولا يقع به شيء بل هو لغو قاله مسروق والشعبي وأبوسلمة وأصبغ المالكي.

ثم قال بعد هذا: هذا كله إذا قال لزوجته الحره أما إذا قاله لأمة فمذهب الشافعي أنه إن نوى عتقها عتقت وإن نوى تحريم عينها لزمه كفارة يمين، ولا يكون يميناً وإن لم ينو شيئاً وجب كفارة يمين على الصحيح من المذهب وقال مالك هذا في الأمة لغو لا يترتب عليه شيء قال القاضي: وقال عامة العلماء عليه كفارة يمين بنفس التحريم وقال أبو حنيفة يحرم عليه ما حرمه من أمة وطعام وغيره ولا شيء عليه حتى يتناوله فيلزمه حينئذ كفارة يمين ومذهب مالك والشافعي والجمهور أنه إن قال هذا الطعام حرام علي أو هذا الماء أو هذا الثوب أو دخول البيت أو كلام زيد وسائر ما يحرمه غير الزوجة والأمة يكون هذا لغواً لا شيء فيه ولا يحرم عليه ذلك الشيء فإذا تناوله فلا شيء عليه وأم الولد كالأمة فيما ذكرنا. اهـ من شرح النووي على صحيح مسلم (١٠ /٧٣،٧٤).

الثانية: قوله: «**وقال ابن عباس ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾**» فيه اشارة إلى سبب نزول أول هذه السورة وإلى قوله فيها: **﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾**، وقد وقع في بعض حديث ابن عباس عن عمر في الباب بعد هذا (فعاتبه الله في ذلك وجعل له كفارة يمين).

الثالثة: قوله: «**كان رسول الله ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ويمكث عندها**» في الطلاق (أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش، ويشرب عندها عسلاً) وليس بين العبارتين اختلاف في المعنى لأن الواو لا تفيد الترتيب بل هي لمطلق الجمع.

تنبيه

أخرج البخاري حديث عائشة هذا من وجهين:

أحدهما: هذا من طريق عبيد بن عمير عن عائشة وفيه أن شرب العسل كان عند زينب بنت جحش كما ترى في حديث الباب.

وثانيهما: في باب ﴿لِمَ تحرم ما أحل الله لك﴾ من كتاب الطلاق من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وفيه أن شرب العسل كان عند حفصة بنت عمر، فهذا ما في الصحيحين.

قال الحافظ: وأخرج ابن مردوية من طريق ابن أبي مليكة عن ابن عباس أن شرب العسل كان عند سودة وأن عائشة وحفصة هما اللتان تواطأتا على وفق ما في رواية عبيد بن عمير وإن اختلفا في صاحبة العسل. اهـ.

والجمع بين هذه الروايات بالحمل على التعدد فلا يمتنع تعدد السبب للأمر الواحد.

الرابعة: قوله: «**فواطيت أنا وحفصة**» في الطلاق (فتواصيت) وفيه عند مسلم (فتواطأت) وليس بين هذه الروايات اختلاف في المعنى.

الخامسة: قوله: «**أيتنا دخل عليها فلتقل له أكلت مغافير: إني أجد منك ريح مغافير**» وفي الطلاق (أن أيتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل: إني لأجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير) وعند أحمد برواية حجاج بن محمد (إن أيتنا ما دخل) بزيادة ما وهي زائدة، و(أكلتَ .. ؟)استفهام محذوف الأداة والمغافير بالغين المعجمة والفاء وبإثبات التحتانية بعد الفاء) قال النووي: هكذا هو في الموضع الأول في جميع النسخ، وأما الموضعان الأخيران فوقع فيهما في بعض النسخ بالياء وفي بعضها بحذفها قال القاضي: الصواب اثباتها لأنها عوض من الواو التي في المفرد وإنما حذفت في ضرورة الشعر وهو جمع مغفور وهو صمغ حلو كالناطف وله رائحة كريهة، ينضحه شجر يقال له العرفط بضم العين المهملة والفاء، يكون بالحجاز). اهـ. (١٠/ ٧٦).

السادسة: قوله: «**لا، ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش فلن أعود له**» في الطلاق (فدخل على إحداهما فقالت له ذلك فقال لا بأس، شربت عسلاً عند زينب ابنة جحش ولن أعود له) وفيه عند المصنف من رواية

هشام عن أبيه عن عائشة (فقلت لسودة بنت زمعة إنه سيدنو منك فإذا دنا منـك فقولي: أكلت مغافير، فإنه سيقول لك: لا، فقـولي لـه مـا هـذه الريـح الـتي أجد منك؟ فإنه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي له: جرست نحله العرفـط وسأقول ذلك: وقولي أنت يا صفية ذاك: قالت: تقول سودة فوا الله ما هـو إلا أن قام على الباب فأردت أن أبادئه بما أمرتني به فرقاً منك، فلما دنـا منهـا قـالت لـه سودة: يا رسول ا لله أكلت مغافير قال: لا، قالت فما هذه الريح التي أجد منك؟ قال سقتني حفصة شربة عسل،فقالت جرست نحله العرفط فلما دار إلي قلت: لـه نحو ذلك، فلما دار إلى صفية قالت له مثـل ذلـك فلمـا دار إلى حفصـة قـالت يـا رسول ا لله ألا أسقيك منه؟ قال لا حاجة لي فيه).

السابعة: قوله: «**لا تخبري به أحـداً**» أي لا تخـبري بهـذا الصنيـع وهـو مـا حرمه ﷺ علي نفسه من شرب العسل أحداً من ضرائرك أو غيرهن.

تنبيه

أخرج النسائي في كتاب التفسير قوله تعالى ﴿**يا أيها النبي لم تحرم مـا أحـل ا لله لك**﴾ من سورة التحريم قال أنبأني إبراهيم بن يونس بن محمد نا أبي نا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس، أن رسول ا لله ﷺ كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها، فأنزل ا لله عز وجل ﴿**يا أيها النبي لم تحرم ما أحـل ا لله لـك تبتغـي مرضـاة**﴾ إلى آخـر الآيـة، وأخرجـه الحـاكم في التفسـير مـن مستدركه في تفسير سورة التحريم (٢/٤٩٣) من طريق محمد بن بكير الحضرمي ثنا سليمان بن المغيرة ثنا ثابت عن أنس رضي ا لله عنه أن رسول ا لله ﷺ كـانت له أمة يطأها فذكـره. وقـال عقبـه هـذا حديـث صحيـح على شـرط مسـلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، **قلت**: وله شاهد مرسل أخرجه ابن جريـر بسـند صحيـح عن زيد بن أسلم التابعي المشهور قال (أصاب رسول ا لله ﷺ أم إبراهيم ولده في بيت بعض نسائه فقالت: يا رسول ا لله في بيتي وعلى فراشي، فجعلها عليه حراماً

فقالت: يا رسول الله كيف تحرم عليك الحلال، فحلف لها بالله لا يصيبها، فنزلت ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾.

قال زيد بن أسلم: فقول الرجل لامرأته أنت حرام لغو، وإنما تلزمه كفارة يمين إن حلف.

قال مقيده: فالجمع بين هذا وبين حديث الباب بأن الآية نزلت في الأمرين معاً.

من فقه الحديثين

أولاً: ليس في التحريم شيء غير كفارة اليمين.

ثانياً: ظاهر قول ابن عباس (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) أن رسول الله ﷺ كفر عن يمينه.

ثالثاً: فيه ما جبل عليه النساء من الغيرة، لا سيما الضرائر وإن الغيراء تعذر فيما يقع منها من الإحتيال.

رابعاً: حرصه ﷺ على البعد عن ما فيه رائحة كريهة.

٣٨٧ - [باب ﴿تبتغي مرضاة أزواجك﴾]

﴿قد فرض ا لله لكم تحلة أيمانكم وا لله مولاكم وهو العليم الحكيم﴾

ش: قلت: السياق ﴿تبتغي مرضاة أزواجك وا لله غفور رحيم، قد فرض ا لله لكم تحلة أيمانكم وا لله مولاكم وهو العليم الحكيم﴾.

قوله: ﴿تبتغي مرضاة أزواجك وا لله غفور رحيم﴾ مضى في أول الباب قبله.

وقوله: ﴿قد فرض ا لله لكم تحلة أيمانكم﴾ يقول تعالى ذكره: قد بين ا لله عز وجل لكم تحلة أيمانكم وحدها لكم أيها الناس ﴿وا لله مولاكم﴾ في تدبيره إياكم وصرفكم فيما هو أعلم به.

من فقه الآية

أولاً: سعة فضل ا لله على عباده بما شرعه لهم من كفارة اليمين.

ثانياً: إثبات العليم والحكيم اسمين لله عز وجل.

٤٢٨ - حدثنا عبدالعزيز بن عبدا لله: حدثنا سليمان بن بلال، عن يحيى، عن عبيد بن حنين[1]: أنه سمع ابن عباس رضي ا لله عنهما يحدث أنه قال: مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية، فما أستطيع أن أسأله هيبة له، حتى خرج حاجاً فخرجت معه، فلما رجعت وكنا ببعض الطريق، عدل إلى الأراك لحاجة له، قال: فوقفت له حتى فرغ، ثم سرت معه فقلت: يا أمير المؤمنين، من اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ من أزواجه، فقال: تلك حفصة وعائشة، قال: فقلت: وا لله إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة، فما أستطيع هيبة لك، قال: فلا تفعل، ما ظننت أن عندي من علم فاسألني، فإن كان لي علم خبرتك به، قال: ثم قال عمر: وا لله إن كنا في

(١) هو أبو عبدا لله عبيد بن حنين المدني، ثقة قليل الحديث، من الثالثة مات سنة خمس ومائة، وله خمس وسبعون سنة، ويقال أكثر من ذلك، ع.

الجاهلية ما نعد للنساء أمراً، حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم، قال: فبينا أنا في أمر أتأمره إذ قالت امرأتي: لو صنعت كذا وكذا، قال: فقلت لها: ما لك ولما ههنا؟، فيما تكلفك في أمر أريده؟ فقالت لي: عجباً لك يا ابن الخطاب، ما تريد أن تراجع أنت، وإن ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان، فقام عمر، فأخذ رداءه مكانه حتى دخل على حفصة فقال لها: يا بنية إنك لتراجعين رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان؟ فقالت حفصة: والله إنا لنراجعه، فقلت: تعلمين أني أحذرك عقوبة الله، وغضب رسوله ﷺ، يا بنية لا تغرنك هذه التي أعجبها حسنها حب رسول الله ﷺ إياها، يريد عائشة، قال: ثم خرجت حتى دخلت على أم سلمة لقرابتي منها فكلمتها، فقالت أم سلمة: عجباً لك يا ابن الخطاب، دخلت في كل شيء، حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله ﷺ وأزوجه، فأخذتني والله أخذاً كسرتني عن بعض ما كنت أجد، فخرجت من عندها. وكان لي صاحب من الأنصار إذا غبت أتاني بالخبر، وإذا غاب كنت أنا آتيه بالخبر، ونحن نتخوف ملكاً من ملوك غسان، ذكر لنا أنه يريد أن يسير إلينا، فقد امتلأت صدورنا منه، فإذا صاحبي الأنصاري يدق الباب، فقال افتح افتح، فقلت: جاء الغساني؟ فقال بل أشد من ذلك، اعتزل رسول الله ﷺ أزواجه، فقلت: رغم أنف حفصة وعائشة، فأخذت ثوبي فأخرج حتى جئت، فإذا رسول الله في مشربة له، يرقى عليها بعجلة، وغلام لرسول الله ﷺ أسود على رأس الدرجة، فقلت له: قل هذا عمر بن الخطاب، فأذن لي، قال عمر: فقصصت على رسول الله هذا الحديث، فلما بلغت حديث أم سلمة تبسم رسول الله ﷺ، وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف، وإن عند رجليه قرظاً مصبوباً، وعند رأسه أهب معلقة، فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت،

فقال: (ما يبكيك؟) فقلت: يا رسول ا لله، إن كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت رسول ا لله فقال:(أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة).

ش: فيه أربع وثلاثون مسألة:

الأولى: قوله: «**مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية**» عند مسلم في الطلاق باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن (فلبثت سنة ما أجد له موضعاً) وعند المصنف في المظالم باب الغرفة والعلّية المشرفة في السطوح وغيرها من رواية عبيد ا لله بن عبدا لله بن أبي ثور (لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر رضي ا لله عنه) **قلت:** فلا تعارض بينها فإن ما كان مجملاً من هذه الروايات مثل هذه يرد إلى ما كان مفسراً مثل رواية الباب وما في معناها.

الثانية: قوله: «**حتى خرج حاجاً فخرجت معه**» وعند مسلم (حتى حج عمر فحججت معه) وعنده من رواية عبيد بن حنين (حتى صحبته إلى مكة).

الثالثة: قوله: «**فلما رجعت وكنا ببعض الطريق**» وعند مسلم (فلما كان بمر الظهران **قلت:** وهو وادي قرب مكة يعرف اليوم بوادي فاطمة وعاصمته الجموم.

الرابعة: قوله: «**عدل إلى الأراك لحاجة له**» وعند مسلم (ذهب يقضي حاجته) وفي المظالم عند المصنف (وعدلت معه بالإداوة فتبرز).

الخامسة: قوله: «**فوقفت له حتى فرغ ثم سرت معه**» في المظالم (حتى جاء فسكبت على يديه من الإداوة فتوضأ) وعند مسلم (ثم أتاني فسكبت على يديه فتوضأ).

السادسة: قوله: «**من اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ من أزواجه**» في المظالم (اللتين قال ا لله لهما ﴿**إن تتوبا إلى ا لله فقد صغت قلوبكما**﴾) زاد الترمذي (﴿**وإن تظاهرا عليه فإن ا لله هو مولاه**﴾).

السابعة: قوله: «**تلك حفصة وعائشة**» في المظالم (وآعجبى لك يا ابن عباس عائشة وحفصة).

الثامنة: قوله: «**فلا تفعل، ما ظننت أن عندي من علم فاسألني فإن كان لي علم خبرتك به**» فيه دليل على تواضع عمر وتلطفه وحبه بذل ما عنده من العلم.

التاسعة: قوله: «**وا لله إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً**» وعند الترمذي من رواية الزهري عن عبيدا لله بن عبدا لله (كنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم.

العاشرة: قوله: «**فبينا أنا في امر أتأمره إذ قالت امرأتي لوصنعت كذا وكذا فقلت: لها مالك ولما ها هنا**» عند مسلم (وكان منزلي في بني أمية بن زيد بالعوالي فتغضبت يوماً على امرأتي فإذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني).

الحادية عشرة: قوله: «**عجباً لك يا ابن الخطاب ما تريد أن تراجع أنت وإن ابنتك لتراجع رسول ا لله ﷺ**» عند مسلم (فقالت: ما تنكر أن أراجعك فوا لله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل).

الثانية عشرة: قوله: «**فقام عمر فأخذ رداءه مكانه حتى دخل على حفصة**» وعند الترمذي (قلت: في نفسي قد خابت من فعلت ذلك منهن وخسرت) وعند مسلم (فانطلقت فدخلت على حفصة).

الثالثة عشرة: قوله: «**يا بنية إنك لتراجعين رسول ا لله ﷺ حتى يظل يومه غضبان**» وعند مسلم (أتراجعين رسول ا لله ﷺ).

الرابعة عشرة: قوله: «**وا لله إنا لنراجعه**» وعند مسلم (فقالت: نعم).

الخامسة عشرة: قوله: «**تعلمين أني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله ﷺ**» وعند مسلم (أفتأمن أحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله ﷺ فإذا هي قد هلكت).

السادسة عشرة: قوله: «**يا بنية لا تغرنك هذه التي أعجبها حسنها حب رسول الله ﷺ إياها يريد عائشة**» وعند مسلم (ولا يغرنك إن كانت جارتك هي أو سم وأحب إلى رسول الله ﷺ منك يريد عائشة).

السابعة عشرة: قوله: «**ثم خرجت حتى دخلت على أم سلمة لقرابتي منها فكلمتها**» **قلت:** هذه القرابة التي ذكر عمر أنها سبب في دخوله على أم سلمة من بين سائر أزواج النبي ﷺ: هي من جهة أمه وبيان ذلك أن أم سلمة هي هند بنت أبي أمية واسمه حذيفة وقيل سهل بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وأم عمر اسمها حنتمة بنت هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، فوالد أم سلمة وهو أبو أمية عم حنتمة والدة عمر.

الثامنة عشرة: قوله: (عجباً لك يا ابن الخطاب دخلت في كل شيء، حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله ﷺ وأزواجه) وفي حديث أنس عند المصنف في تفسير سورة البقرة (حتى أتيت إحدى نساءه، قالت: يا عمر، أما في رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت)، وفيه شدة نكير أم سلمة رضي الله عنها على عمر رضي الله عنه جرأته ولومه أزواج النبي ﷺ على صنيعهن معه وعدت ذلك تدخلاً منه في شؤون النبي ﷺ وأهل بيته وإن كان ذلك يسوغ لعمر لسببين:

أحدهما: أنه من الأمر بالمعروف.

وثانيهما: قرابته من أم سلمة كما تقدم وهو بمثابة عمها وله أن يأمرها بما هو أنفع لها.

التاسعة عشرة: قوله: «**فأخذتني وا لله أخذاً كسرتني عن بعض ما كنت أجد فخرجت من عندها**» والمعنى أنه أثر فيه استنكار أم سلمة صنيعه معها فترك بعض ما كان في نفسه من لومها ونصحها.

العشرون: قوله: «**وكان لي صاحب من الأنصار إذا غبت أتاني بالخبر وإذا غاب كنت أنا آتيه بالخبر**» وفي العلم باب التناوب في العلم من رواية عبيدا لله بن عبدا لله (كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول ا لله ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره وإذا نزل فعل مثل ذلك) وفي هذا استحباب حضور مجالس العلم واستحباب التناوب في حضور العلم إذا لم يتيسر لكل واحد الحضور بنفسه.

الحادية والعشرون: قوله: «**ونحن نتخوف ملكاً من ملوك غسان ذكر لنا أنه يريد أن يسير إلينا فقد امتلأت صدورنا منه**» وعند مسلم (وكنا نتحدث أن غسان تنعل الخيل لتغزونا).

الثانية والعشرون: قوله: «**فإذا صاحبي الأنصاري يدق الباب فقال افتح افتح**» في العلم (فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته فضرب بابي ضرباً شديداً فقال: أثم هو) وعند مسلم (ثم أتاني عشاءً فضرب بابي ثم ناداني).

الثالثة والعشرون: قوله: «**جاء الغساني ؟ قال : أشدُّ من ذلك**» وفي العلم (حدث أمر عظيم) وعند مسلم (حدث أمر عظيم قلت: ماذا أجاءت غسان قال: لا، بل أعظم من ذلك وأطول) وفي هذا دليل على ما كانت الصحابة رضي ا لله عنهم عليه من الإهتمام بأحوال رسول ا لله ﷺ والقلق التام لما يقلقه أو يغضبه.

الرابعة والعشرون: قوله: «**اعتزل رسول ا لله ﷺ أزواجه**» وعند مسلم (طلق النبي ﷺ نساءه) ولعل هذا فهم فهمه بعض الرواة من اعتزال النبي ﷺ

نساءه ويدل له قول عمر في آخر الحديث (فقلت: أطلقت يا رسول الله نساءك فرفع رأسه إلي وقال: لا).

الخامسة والعشرون: قوله: «**رغم أنف حفصة وعائشة، فأخذت ثوبي فأخرج حتى جئت**» وعند مسلم (قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا كائناً حتى إذا صليت الصبح شددت علي ثيابي) ورغم هو بفتح الغين وكسرها يقال رغم يرغم رغماً ورغماً ورغماً بفتح الراء وضمها وكسرها أي لصق بالرغام وهو التراب هذا هو الأصل ثم استعمل في كل من عجز من الإنتصاف وفي الذل والإنقياد كرهاً، وفي قوله (فأخذت ثوبي) استحباب التجمل بالثوب والعمامة ونحوها عند لقاء الأئمة والكبار احتراماً لهم.

السادسة والعشرون: قوله: «**فإذا رسول الله ﷺ في مشربة له**» وعند مسلم (فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت: اطلقكن رسول الله ﷺ فقالت: لا أدري ها هو ذا معتزل في هذه المشربة) والمشربة بضم الراء وفتحها الغرفة ويدل له ما أخرجه المصنف في باب هجرة النبي ﷺ نساءه من النكاح برواية أبي الضحى عن ابن عباس قال: فخرجت إلى المسجد فإذا هو ملآن من الناس فجاء عمر بن الخطاب فصعد إلى النبي ﷺ وهو في غرفة له).

السابعة والعشرون: قوله: «**يرقي عليها بعجلة**» قال النووي: «وقع في بعض النسخ بعجلها وفي بعضها بعجلتها، وفي بعضها بعجلة وفي بعضها بعجلة وكله صحيح والأخيرة أجود قال ابن قتيبة وغيره هي درجة من النخل كما قال في الرواية السابقة جذع». اهـ.

الثامنة والعشرون: قوله: «**وغلام لرسول الله ﷺ أسود على رأس الدرجة**» في رواية سماك أبي زميل عن ابن عباس عند مسلم في الطلاق (فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله ﷺ، قاعداً على أسكفة المشربة مدل رجليه على نقير من خشب).

التاسعة والعشرون: قوله: «**فقلت له: قل هذا عمر بن الخطاب فأذن لي**» في رواية عبيدا لله بن عبدا لله عند مسلم (فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلي فقال قد ذكرتك له فصمت، فوليت مدبراً، فإذا الغلام يدعوني فقال: ادخل فقد أذن لك) وفي رواية سماك المتقدمة (فناديت يا رباح استأذن لي عندك على رسول ا لله ﷺ فنظر رباح إلى الغرفة، ثم نظر إلي فلم يقل شيئاً، ثم قلت: يا رباح استأذن لي عندك على رسول ا لله ﷺ فنظر رباح إلى الغرفة ثم نظر إلي فلم يقل شيئاً، ثم رفعت صوتي فقلت يا رباح: استأذن لي عندك على رسول ا لله ﷺ فإني أظن أني جئت من أجل حفصة، وا لله لئن أمرني رسول ا لله ﷺ بضرب عنقها لأضربن عنقها رفعت صوتي، فأومأ إلي أن أرقه) **قلت:** فانظر أرشدنا ا لله وإياك إلى صواب الأقوال والأعمال إلى العزيمة الصادقة من عمر رضي ا لله عنه على قتل ابنته وهي بضعة منه لو أمره رسول ا لله ﷺ بذلك كيف هانت عنده إنه وا لله خالص الولاء والبراء وهو الحب في ا لله والبغض في ا لله، وهذا شأن كل من كان ا لله ورسوله أحب إليه مما سواهما وفي هاتين الروايتين دليل على أن من استأذن و لم يؤذن له ينبغي أن ينصرف.

الثلاثون: قوله: «**فقصصت على رسول ا لله ﷺ هذا الحديث**» في رواية عبيدا لله عند مسلم والترمذي قال: (لو رأيتنا يا رسول ا لله وكنا معشر قريش قوماً تغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فتغضبت على امرأتي يوماً فإذا هي تراجعني...فذكر الحديث إلى أن قال: (قد دخلت على حفصة فقلت: لا يغرنك إن كانت جارتك هي أوسم منك...فذكر الحديث) وقد تقدم في حديث الباب دخوله على أم سلمة وما قال لها وما قالت له.

الحادية والثلاثون: قوله: «**وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء تحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف وإن عند رجليه قرضاً مصبوباً وعند رأسه أهب**

معلقة فرأيت أثر الحصير في جنبه» في رواية عبيدالله (فوالله ما رأيت فيه شيئاً يرد البصر إلا أهباً ثلاثة) وفي رواية سماك (فنظرت ببصري في خزانة رسول الله ﷺ فإذا أنا بقضة من شعير نحو الصاع ومثلها قرظاً في ناحية الغرفة وإذا أفيق معلق).

قلت: والقرظ بقاف وراء فضاء معجمة مفتوحات ورق السلم الذي يدبغ به.

وقوله: مصبوباً أي مسكوباً قال القسطلاني (١٧/٣٩٥): ولابي ذر مصبوراً بالراء بدل الموحدة أي مجموعاً من الصبرة وهي الكومة من الطعام. اهـ.

والأهب بفتح الهمزة والهاء وبضمهما جمع إهاب هو الجلد قبل أن يدبغ وقيل بعد دبغه.

الثانية والثلاثون: قوله: «**فبكيت فقال: ما يبكيك؟**» في رواية سماك (فابتدرت عيناي قال ما يبكيك يا ابن الخطاب) وفيه جواز بكاء الإنسان عند صاحبه تأسفاً لحاله إذا رأى ما يدعو لذلك).

الثالثة والثلاثون: قوله: «**إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله**» في رواية سماك (قلت: يا نبي الله ومالي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار وأنت رسول الله ﷺ وصفوته، وهذه خزانتك).

الرابعة والثلاثون: قوله: «**أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة**» في رواية عبيدالله (فاستوى جالساً ثم قال أفي شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت: استغفر لي يا رسول الله)، وفي رواية سماك (فقال يا ابن الخطاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا).

من فقه الحديث

في هذه القصة بمجموع رواياتها أبواب من الفقه عظيمة:

أولاً: الحرص على أخذ العلم عن الأكابر.

ثانياً: توقير أهل العلم والفضل وخدمتهم.

ثالثاً: تواضع عمر رضي ا لله عنه.

رابعاً: جواز احتجاب الإمام والقاضي ونحوهما في بعض الأوقات لحاجاتهم المهمة.

خامساً: أن الحاجب إذا علم منع الأذن بسكوت المحجوب لم يأذن.

سادساً: وجوب الإستئذان على الإنسان في منزله وإن علم أنه وحده لأنه قد يكون على حالة يكره الإطلاع عليه فيها.

سابعاً: جواز تكرار الإستئذان إذا لم يؤذن ولا فرق بين الرجل الجليل وغيره.

ثامناً: تأديب الرجل ولده صغيراً كان أو كبيراً أو بنتاً مزوجه لأن أبابكر وعمر رضي ا لله عنهما أدبا بنتيهما ووجأ كل واحد منهما بنته.

تاسعا: فيه ما كان عليه ﷺ من التقلل من الدنيا والرهاوة فيها.

عاشراً: جواز سكنى الغرفة ذات الدرج واتخاذ الخزانة لأثاث البيت.

حادي عشر: حرص الصحابة على طلب العلم وتناوبهم فيه.

ثاني عشر: قبول خبر الواحد لأن عمر كان يأخذ عن صاحبه الأنصاري وبالعكس.

ثالث عشر: أخذ العلم عمن كان عنده وإن كان الآخذ أفضل من المأخوذ منه.

رابع عشر: أن الأنسان إذا رأى صاحبه مهموماً وأراد إزالة همه ومؤانسته بما يشرح صدره أن يستأذنه في ذلك.

خامس عشر: الخطاب بالألفاظ الجميلة كقوله (إن كانت جارتك) و لم يقل ضرتك.

سادس عشر: جواز قرع باب غيره للإستئذان وشدة القرع للأمور المهمة.

سابع عشر: نظر الإنسان إلى نواحي بيت صاحبه وما فيه إذا علم عدم كراهته لذلك.

ثامن عشر: أن للزوج هجران زوجته واعتزاله في بيت آخر إذا جرى منها سبب يقتضيه.

٣٨٨ - [باب ﴿وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير﴾]

ش: يقول تعالى ذكره **﴿وإذ أسر النبي﴾** محمد ﷺ **﴿إلى بعض أزواجه﴾** وهي حفصة وقال به ابن عباس وقتادة وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن والشعبي والضحاك بن مزاحم.

وقوله: **﴿حديثاً﴾** وهو قوله لمن أسر إليه ذلك من أزواجه تحريم فتاته أو ما حرم على نفسه مما كان الله جل ثناؤه قد أحله له، وحلفه على ذلك أو قوله ﷺ (لا تذكري ذلك لأحد).

وقوله **﴿فلما نبأت به﴾** أي فلما أخبرت بالحديث الذي أسر إليها رسول الله ﷺ صاحبتها **﴿وأظهره الله عليه﴾** أي وأظهر الله نبيه محمداً ﷺ على أنها قد أنبأت بذلك صاحبتها.

وقوله **﴿عرف بعضه﴾** أي عرف حفصة بعض ما أخبرت به **﴿وأعرض عن بعض﴾** أي وأعرض عن تعريف بعض ذلك كراهة أن ينتشر في الناس.

وقوله **﴿فلما نبأها به﴾** أي أخبرها بما أفشت من الحديث **﴿قالت من أنبأك هذا﴾** أي من أخبرك به.

وقوله **﴿نبأني العليم الخبير﴾** أي أخبرني العليم بسرائر عباده وضمائر قلوبهم، الخبير بأمورهم الذي لا يخفى عليه شيء.

٤٢٩ - ثنا علي: ثنا سفيان: ثنا يحيى بن سعيد: سمعت عبيد بن حنين قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: أردت أن أسأل عمر: فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ؟ فما أتممت كلامي حتى قال: عائشة وحفصة.

ش: مضى شرحه في الباب قبله.

٣٨٩ – [باب قوله ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾]

ش: تمامها: **﴿و إن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير﴾**.

يقول تعالى ذكره: إن تتوبا إلى الله أيتها المرأتان فقد مالت قلوبكما إلى محبة ما كرهه رسول الله ﷺ من تحريم ما كان له حلالاً مما حرمه على نفسه.

وقوله **﴿وإن تظاهرا عليه﴾** أي إن تعاضدا وتعاونا في الغيرة عليه منكما وإفشاء سره **﴿فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين﴾** أي فإن الله يتولى نصره، وكذلك جبريل ومن صلح من عباده المؤمنين فلن يعدم ناصراً ينصره.

وقوله **﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾** أي بعد نصر الله له ونصر جبريل وصالح المؤمنين فإن الملائكة أعوان يظاهرونه.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [صغوت وأصغيت: ملت ﴿لتصغى﴾ لتميل].

ش: قال أبو عبيدة (١/٢٠٥): من صغوت إليه أي ملت إليه وهويته، وأصغيت إليه لغة.

قال ذو الرمة:

تصغى إذا شدها بالرحل جانحة حتى إذا ما استوى في غرزها تثب

٢ - [﴿ظهير﴾: عون: تظاهرا: تعاونا].

ش: قال الفراء (٣/١٦٧): يريد أعوان ولم يقل ظهراء لو قال قائل: إن ظهيراً لجبريل ولصالح المؤمنين والملائكة كان صواباً، ولكن حين أن يجعل الظهير للملائكة خاصة لقوله **﴿والملائكة﴾** بعد نصرة هؤلاء ظهير.

قلت: والخلاف بين هذه العبارة وعبارة المصنف لفظي.

٣ - [وقال مجاهد: ﴿قوا أنفسكم وأهليكم﴾ أوصوا أنفسكم وأهليكم بتقوى الله وادبوهم].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره بلفظ: (**اتقوا الله وأوصوا أهليكم بتقوى الله**).

٤٣٠ - ثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا يحيى بن سعيد قال سمعت عبيد بن حنين يقول (سمعت ابن عباس يقول: أردت أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ، فمكثت سنة فلم أجد له موضعاً، حتى خرجت معه حاجاً، فلما كنا بظهران ذهب عمر لحاجته فقال: أدركني بالوضوء، فأدركته بالإداوة، فجعلت أسكب عليه الماء، ورأيت موضعاً فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتان اللتان تظاهرتا؟ قال ابن عباس: فما أتممت كلامي حتى قال: عائشة وحفصة).

ش: مضى قريباً.

٣٩٠ - [باب قوله: ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً﴾]

ش: يقول تعالى ذكره: عسى رب محمد إن طلقكن يا معشر أزواج محمد ﷺ أن يبدله أزواجاً خيراً منكن.

وقوله: «**مسلمات**» يقول: خاضعات لله بالطاعة (مؤمنات) يعني مصدقات با لله ورسوله (قانتات) يقول مطيعات لله.

وقوله «**تائبات**» يقول راجعات إلى ما يحبه ا لله منهن من طاعته عما يكرهه منهن (عابدات) أي متذللات لله بطاعته، (سائحات) أي صائمات.

وقوله «ثيبات» وهن اللواتي قد افترعن وذهبت عذرتهن (وأبكاراً) وهن اللواتي لم يجامعن ولم يفترعن.

٤٣١ - ثنا عمرو بن عون: ثنا هشيم عن حميد عن أنس رضي ا لله عنه قال: قال عمر رضي ا لله عنه: (اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن، فنزلت هذه الأية).

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «**اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه**» عند المصنف في باب هجرة النبي ﷺ نساءه في غير بيوتهن من النكاح (فدخل على النبيﷺ فقال: أطلقت نساءك؟فقال: لا، ولكن آليت منهن شهراً، فمكث تسعاً وعشرين ثم دخل على نساءه) وفي تفسير سورة البقرة (وبلغني معاتبة النبي ﷺ بعض نسائه فدخلت عليهن قلت: إن انتهين أو ليبدلن ا لله رسوله ﷺ خيراً منكن) وفي رواية سماك أبي زميل في باب في الإيلاء من الطلاق عند مسلم (وقلما تكلمت وأحمد

الله لكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي الذي أقول ونزلت هذه الآية آية التخيير ﴿**عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن**﴾.

الثانية: قوله: «**فنزلت هذه الآية**» في تفسير سورة البقرة (**فأنزل الله** ﴿**عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات**﴾ الآية.

آخر تفسير سورة التحريم ولله الحمد.

سورة الملك

٣٩١ - باب تفسير سورة الملك

﴿تبارك الذي بيده الملك﴾

ش: شاهد التسمية ظاهر في أول آية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله قال: (إن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت لصاحبها حتى غفر له: **﴿تبارك الذي بيده الملك﴾** رواه أهل السنن الأربعة من حديث شعبة وأحمد وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردوية والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت بمكة سورة الملك، وقال القرطبي: هي في قول الجميع مكية وآياتها ثلاثون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - **[التفاوت: الإختلاف، والتفاوت والتفوت واحد].**

ش: قاله الفراء، وأخرجه ابن جرير عن قتادة.

والآية المشار إليها **﴿الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾**.

٢ - **[تميز: تقطع].**

ش: قاله الفراء وزاد عليهم غيظاً، وأخرج ابن جرير عن ابن عباس والضحاك وابن زيد (تتفرق).

والآية المشار إليها **﴿تكاد تميز من الغيظ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير﴾**.

٣ - **[مناكبها: جوانبها].**

ش: قاله الفراء وأبو عبيدة وأخرج ابن جرير عن ابن عباس وبشير بن كعب ومجاهد نحوه، وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: إنه جبالها وهو قول ابن عباس وبشير بن كعب في الرواية الثانية عنهما وقال به قتادة وقول المصنف ومن وافقه هو المختار لشموله.

والآية المشار إليها **﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾**.

٤ - **[تَدَّعون: وتدعون واحد، مثل تذكَّرون، وتذكرون].**

ش/ قال الفراء يريد: تدعون وهو مثل قوله تذكرون وتذكرون وتخيرون وتتخيرون والمعنى واحد.

والآية المشار إليها **﴿فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون﴾**.

٥ - **[ويقبضن: يضربن بأجنحتهن]**.

ش: قاله أبو عبيدة.

٦ - **[وقال مجاهد: صافات: بسط أجنحتهن]**.

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: (بسطهن أجنحتهن).

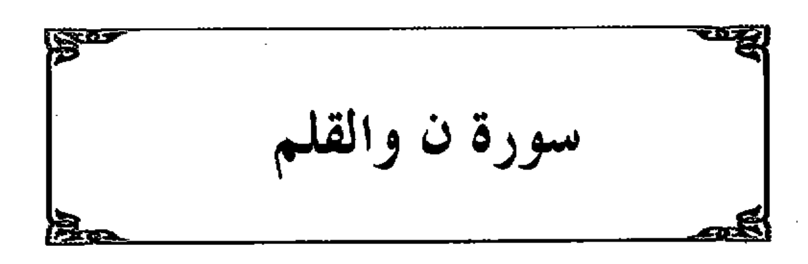
والآية المشار إليها ﴿**أولم يرو إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن**﴾.

٧ - **[ونفور: الكفور]**.

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله.

والآية المشار إليها ﴿**أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور**﴾.

آخر تفسير سورة الملك والحمد لله.



٣٩٢ - سورة ن والقلم

بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر في أول آية.

وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر.

وروي عن ابن عباس وقتادة أن من أولها إلى قوله ﴿**سنسمه على الخرطوم**﴾ مكي ومن بعد ذلك إلى قوله ﴿**من الصالحين**﴾ مدني وباقيها مكي كذا قال الماوردي.

وآياتها اثنتان وخمسون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**وقال قتادة: ﴿حرد﴾: جد في أنفسهم**].

ش: أخرجه عبد الرزاق وابن جرير كلاهما عن معمر عن قتادة بلفظ: جد من أمرهم، وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن وابن زيد وهو **أحد** أقوال أربعة حكاها ابن جرير في الآية.

وثانيها: وغدوا على أمرٍ هم قد أجمعوا عليه بينهم واستسروه، وأسروه في أنفسهم وبه قال مجاهد في الرواية الثانية عنه وعكرمة.

وثالثها: وغدو على فاقة وحاجة وهو قول الحسن في الرواية الثانية عنه.

ورابعها: وغدو على حنق وبه قال سفيان، وقال ابن جرير بعد إخراج هذه الأقوال: المعروف في معنى الحرد من كلام العرب القصد من قولهم: قد حرد فلان حرد فلان: إذا قصد قصده ومنه قول الراجز:

وجاء سبيل كان من أمر الله يحرد حرد الجنة المغلة

يعني يقصد قصدها. اهـ. **قلت:** وهذا الاختيار يندرج تحته الأول والثاني والرابع.

والآية المشار إليها **﴿وغدوا على حرد قادرين﴾**.

٢ - [**وقال ابن عباس: ﴿يتخافتون﴾: ينتجون السرار والكلام الخفي**].

ش: لم أقف على من أخرجه وقال الحافظ: ثبت هذا لأبي ذر وحده هنا، وثبت للباقين في كتاب التوحيد. اهـ.

وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: يتخافتون يسرُّون.

والآية المشار إليها **﴿فانطلقوا وهم يتخافتون﴾**.

٣ - [**لضالون: أضللنا مكان جنتنا**].

ش: أخرجه ابن أبي حاتم: أنبأنا علي بن المبارك فيما كتب إلي: ثنا زيد بن المبارك ثنا محمد بن ثور عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس فذكره حكاه في التغليق (٤/٣٤٦) وأخرج ابن جرير نحوه عن قتادة.

والآية المشار إليها **﴿فلما رأوها قالوا إنا لضالون﴾**.

٤ - **[وقال غيره: ﴿كالصريم﴾: كالصبح انصرم من الليل، والليل انصرم من النهار وهو أيضاً: كل رملة انصرمت من معظم الرمل، والصريم أيضاً المصروم مثل قتيل ومقتول]**.

ش: قاله أبو عبيدة دون قوله في أوله كالصبح ودون قوله في آخره: مثل قتيل ومقتول.

وفي الآية قولان حكاهما ابن جرير:

أحدهما: بمعنى الليل الأسود وبه قال ابن عباس.

وثانيهما: بمعنى أرض تدعى بهذا الإسم وهو قول سعيد بن جبير.

وما حكاه المصنف ومن وافقه أولى.

والآية المشار إليها **﴿فأصبحت كالصريم﴾**.

٣٩٣ - [باب ﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾]

ش: قوله «**عتل**» أي وهو عتل والعتل الجافي الشديد في كفره، وكل شديد قوي فالعرب تسميه عتلاً ومنه قول ذي الإصبع العدواني:

والدهر يغدو معتلاً جذعاً.

وقوله «**زنيم**» في كلام العرب: الملصق بالقوم وليس منهم ومنه قول حسان بن ثابت:

وأنت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

٤٣٢- ثنا محمود[1]: ثنا عبيد الله بن موسى[2]، عن اسرائيل، عن أبي حصين عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾ قال: رجل من قريش له زنمة مثل زنمة الشاة.

٤٣٣- ثنا أبو نعيم: ثنا سفيان، عن معبدبن خالد[3] قال سمعت حارثة بن وهب الخزاعي[4] قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار كل عتل، جواظ، مستكبر).

ش: فيهما ثمان مسائل:

الأولى: قوله «**رجل من قريش**»: في رواية عكرمة عند ابن جرير في تفسير هذه الآية قال في الزنيم: نعت فلم يعرف حتى قيل زنيم: قال وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها.

---

(١) هو أبو أحمد محمود بن غيلان العدوي مولاهم المروزي نزيل بغداد، ثقة من العاشرة مات سنة تسع وثلاثين ومائتين وقيل بعد ذلك، خ، م، ت، س، ق.

(٢) هو أبو محمد عبيد الله بن موسى بن باذام العبسي الكوفي ثقة كان يتشيع من التاسعة مات سنة ثلاث عشرة [ومائتين] على الصحيح، ع.

(٣) هو معبد بن خالد بن مرين الجدلي من جديلة قيس الكوفي ثقة عابد من الثالثة مات سنة ثماني عشرة [ومائة] ع.

(٤) هو حارثة بن وهب الخزاعي صحابي نزل الكوفة، وكان عمر زوج أمه، ع.

وقد اختلف في معناه على تسعة أقوال:

أولها: أنه الدعي الملصق بالقوم ليس منهم وهو قول ابن عباس وعكرمة وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن.

وثانيها: أنه الذي له زنمة كزنمة الشاة وبه قال الضحاك وابن ادريس وابن عباس في الرواية الثانية عنه.

وثالثها: أنه المريب وهو قول ابن عباس في الرواية الثالثة عنه وسعيد بن جبير في الرواية الثانية عنه.

ورابعها: هو الظلوم وهو قول ابن عباس في الرواية الرابعة عنه.

وخامسها: أنه الذي يعرف بأبنَة وبه قال ابن عباس في الرواية الخامسة عنه.

وسادسها: هو الجلف الجافي وهو قول شهر بن حوشب.

وسابعها: هو علامة الكفر وبه قال أبو رزين.

وثامنها: هو الذي يعرف باللؤم وهو قول عكرمة في الرواية الثانية عنه.

وتاسعها: هو الفاجر وبه قال أبو رزين في الرواية الثانية عنه.

وإن قلت من المراد به قلنا اختلف فيه أهل العلم على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الوليد بن المغيرة حكاه البغوي عن ابن قتيبة.

ثانيها: أنه الأخنس بن شريق ذكره السهيلي عن القتيبي.

وثالثها: أنه الأسود بن عبد يغوث زعم ذلك ناس من بني زهرة.اهـ. حكى هذه الإختلافات ابن جرير.

الثانية: قوله «**له زنمة مثل زنمة الشاة**» الزنمة هي شيء يقطع من أذن الشاة ويترك معلقاً بها.وهي أيضاً هنة مدلاة في حلق الشاة كالملحقة بها) ا.هـ من ابن الأثير مادة زنم.

الثالثة: قوله «**ألا أخبركم بأهل الجنة**» في رواية شعبة عند المصنف في الأيمان والنذور باب قوله تعالى: ﴿**وأقسموا با لله جهد أيمانهم**﴾ (ألا أدلكم على أهل

الجنة) وكذا عند مسلم في الجنة وصفة نعيمها باب النار يدخلها الجبارون والنسائي في تفسير الآية.

الرابعة: قوله «**كل ضعيف متضعف**» ضبطوا قوله (متضعف) بفتح العين وكسرها والمشهور الفتح ولم يذكر الأكثرون غيره ومعناه يستضعفه الناس ويحتقرونه ويتجبرون عليه لضعف حاله في الدنيا يقال تضعفة واستضعفة وأما رواية الكسر فمعناها متواضع متذلل خامل واضع من نفسه قال القاضي وقد يكون الضعف هنا رقة القلوب ولينها وإخباتها للإيمان والمراد أن أغلب أهل الجنة هؤلاء.ا.هـ من شرح النووي ج١٧ ص١٨٧

قلت: في رواية محمد بن كثير عن سفيان في الأدب باب الكبر عند المصنف (متضاعف) قال الحافظ: وفي رواية الإسماعيلي (مستضعف) وأخرج الحاكم في المستدرك ج٢ ص٤٩٨ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون) وقال عقبه صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

الخامسة: قوله «لو أقسم على الله لأبره» معناه لو حلف يميناً طمعاً في كرم الله تعالى بإبراره لأبره، وذلك لعظم مكانته عند الله عز وجل.

السادسة: قوله «**كل عتل**» بضم المهملة والمثناة بعدها لام ثقيلة.

قال الفراء: الشديد الخصومة وقال أبو عبيدة: العتل الفظ الشديد من كل شيء وهو هنا الكافر.

وقال الخطابي: العتل الغليظ العنيف.

وقال الداودي: السمين العظيم العنق والبطن وقال الهروي: الجموع المنوع حكاها الحافظ.

السابعة: قوله «**جواظ**» بفتح الجيم وتشديد الواو وآخره معجمة الكثير اللحم المختال في مشيه قاله الخطابي.

قلت: وفي حديث عبد الله بن عمرو (كل جعضري جواظ) ومعناه الفظ الغليظ المتكبر.

الثامنة: قوله «**مستكبر**» وعند مسلم من رواية سفيان متكبر، والمعنى صاحب الكبر وهو بطر الحق وغمط الناس.

فائدة

قال ابن القيم في الفوائد (ص١٧٧): أركان الكفر أربعة: الكبر والحسد والغضب والشهوة فالكبر يمنعه الإنقياد والحسد يمنعه قبول النصيحة وبذلها والغضب يمنعه العدل والشهوة تمنعه التفرغ للعبادة.

٣٩٤- [باب ﴿يوم يكشف عن ساق﴾]

ش: تمامها **﴿ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة، وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون﴾**.

أي إذا كان يوم القيامة، وانكشف فيه من القلاقل والزلازل، والأهوال ما لا يدخل تحت الوهم، وأتى الباري لفصل القضاء بين عباده ومجازاتهم فكشف عن ساقه الكريمة، التي لا يشبهها شيء، ورأى الخلائق من جلال الله وعظمته ما لا يمكن التعبير عنه، فحينئذ يدعون إلى السجود لله، فيسجد المؤمنون الذين كانوا يسجدون لله، طوعاً واختياراً، ويذهب الفجار المنافقون ليسجدوا، فلا يقدرون على السجود، وتكون ظهورهم كصياصي البقر، لا يستطيعون الإنحناء، وهذا الجزاء من جنس عملهم، فإنهم كانوا يدعون في الدنيا إلى السجود لله، وتوحيده وعبادته، وهم سالمون، لا علة فيهم فيستكبرون عن ذلك ويأبون، فلا تسأل يومئذ عن حالهم، وسوء مآلهم، فإن الله سخط عليهم، وحقت عليهم كلمة العذاب، وتقطعت أسبابهم، ولم تنفعهم الندامة والإعتذار يوم القيامة، ففي هذا ما يزعج القلوب عن المقام على المعاصي، ويوجب التدارك مدة الإمكان.ا.هـ من تيسير الكريم الرحمن.

٤٣٤- ثنا آدم: ثنا الليث عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً واحداً).

ش:فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «**يكشف ربنا عن ساقه**» في التوحيد باب قوله تعالى: **﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾** من رواية يحيى بن بكير(فيأتيهم الجبار في صورة غير

صورته التي رأوه فيها اول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا؟ فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه فيقولون الساق، فيكشف عن ساقه).

قلت: فيه فائدتان:

الأولى اثبات مجيء الرب يوم القيامة للفصل بين عباده كما قال تعالى: ﴿**هل ينظرون إلا أن يأتيهم ا لله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر**﴾ وقال تعالى: ﴿**وجاء ربك والملك صفاً صفاً**﴾ قال ابن القيم: والإتيان والمجيء المضاف إليه سبحانه نوعان: مطلق ومقيد، فإذا كان المراد مجيء رحمته أو عذابه ونحو ذلك قيد بذلك كما في الحديث (حتى جاء ا لله بالرحمة والخير)وقوله ﴿**ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم**﴾.

النوع الثاني: الإتيان والمجيء المطلق فهذا لا يكون إلا مجيئه سبحانه كقوله ﴿**هل ينظرون إلا أن يأتيهم ا لله في ظلل من الغمام**﴾ وقوله ﴿**وجاء ربك والملك صفاً صفاً**﴾.

الثانية: اثبات الساق لله عز وجل وأنه يظهره لعباده علامة يستدلون بها عليه وهو ساق حقيقي يجب الإيمان به مع تفويض كيفيته إلى الرب جل ثناؤه فالحديث بيان لقوله ﴿**يوم يكشف عن ساق**﴾ فلا أحد من الخلق أعلم با لله ومراده من رسول ا لله ﷺ.

فائدة أخرى

قال شيخ الإسلام: «وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة وما رووه من الحديث، ووقفت على أكثر من مائة تفسير، فلم أجد عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئاً من آيات الصفات، او أحاديثها بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف، إلا في مثل قوله تعالى: ﴿ **يوم يكشف عن ساق**﴾ فروي عن ابن عباس، وطائفة، أنهم عدوها في الصفات، للحديث الذي رواه أبو سعيد في الصحيحين.

ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصفات، فإنه قال: **﴿يوم يكشف عن ساق﴾** نكرة في الإثبات لم يضفها إلى الله، ولم يقل عن ساقه، فمع عدم التعريف بالإضافة، لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر.ا.هـ من مجموع الفتاوى (٣٩٤/٦-٣٩٥).

وقال في نقض التأسيس (١٥/٣-١٦): الصحابة قد تنازعوا في تفسير هذه الآية، هل المراد به الكشف عن الشدة، أو المراد أنه يكشف الرب عن ساقه.

ولم يتنازع الصحابة، والتابعون فيما يذكر من آيات الصفات، إلا في هذه الآية بخلاف [قوله: **﴿لما خلقت بيدي﴾** **﴿ويبقى وجه ربك﴾** ونحو ذلك فإنه لم يتنازع فيها الصحابة والتابعون]، وذلك أنه ليس في ظاهر القران أن ذلك صفة الله - تعالى - [يعني قوله - تعالى -: **﴿يوم يكشف عن ساق﴾**] لأنه قال: **﴿يوم يكشف عن ساق﴾**، ولم يقل عن ساق الله ولا قال: يكشف الرب عن ساقه، وإنما ذكر ساقاً نكرة غير معرفة، ولا مضافة.

وهذا اللفظ بمجرده، لايدل على أنها ساق الله، والذين جعلوا ذلك من صفات الله - تعالى - أثبتوه بالحديث الصحيح، المفسر للقرآن، وهو حديث أبي سعيد الخدري، المخرج في الصحيحين، الذي قال فيه: (فيكشف الرب عن ساقه).

وقد يقال: إن ظاهر القرآن يدل على ذلك، من جهة أنه أخبر أنه يكشف عن ساق، ويدعون إلى السجود، والسجود لا يصلح إلا لله، فعلم أنه هو الكاشف عن ساقه.

وأيضاً فحمل ذلك على الشدة، لا يصلح؛ لأن المستعمل في الشدة أن يقال: كشف الله الشدة - أي أزالها - كما قال: **﴿فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون﴾**، وقال: **﴿وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغينهم يعمهون﴾**.

وإذا كان المعروف من ذلك في اللغة أنه يقال: كشف الشدة ـ أي أزالها ـ فلفظ الآية ﴿**يوم يكشف عن ساق**﴾، وهذا يراد به الإظهار، والإبانة وأيضاً هناك، تحدث الشدة، لا إزالتها، فلا يكشف الشدة يوم القيامة.

لكن هذا الظاهر [من كون القرآن دالاً على الصفة] ليس ظاهراً من مجرد لفظة (ساق)، بل بالتركيب، والسياق، وتدبر المعنى المقصود.

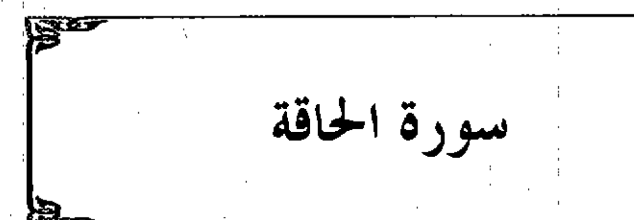
الثانية: قوله «**فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة**» وعند مسلم من رواية حفص بن ميسرة (فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود).

الثالثة: قوله «**ويبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعة**» في التوحيد (ويبقى من كان يسجد لله رياءً وسمعة) وعند مسلم (ولا يبقى من كان يسجداتقاءاً ورياءً).

الرابعة: قوله «**فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً واحداً**» عند مسلم (إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه).

قال ابن القيم: فإن قيل، فالآخرة دار جزاء وليست دار تكليف، فكيف يمتحنون في غير دار التكليف؟ فالجواب: أن التكليف إنما ينقطع بعد دخول دار القرار، وأما في البرزخ وعرصات القيامة فلا ينقطع وهذا معلوم بالضرورة من الدين، من وقوع التكليف بمسألة الملكين في البرزخ وهي تكليف، وأما في عرصات القيامة فقال تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾. فهذا صريح في أن الله يدعو الخلائق إلى السجود يوم القيامة، وأن الكفار يحال بينهم وبين السجود إذ ذاك، ويكون هذا التكليف بما لا يطاق حينئذ حسناً عقوبة لهم، لأنهم كلفوا به في الدنيا وهم يطيقونه فلما امتنعوا منه وهو مقدورهم كلفوا به وهم لايقدورن عليه حسرة عليهم وعقوبة لهم).اهـ من طريق الهجرتين لابن القيم .

آخر تفسير سورة القلم.



٣٩٥ - سورة الحاقة

بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر في أول آية.

وهي مكية في قول الجميع حكاه القرطبي وكذا روي عن ابن عباس وآياتها اثنتان وخمسون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [قال ابن جبير ﴿حسوماً﴾ متتابعة].

ش: لم أقف عليه عن ابن جبير وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وعكرمة وقتادة وسفيان وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أنها الريح وبه قال ابن زيد واختار ابن جرير أولهما.

والآية المشار إليها **﴿سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً﴾**.

٢- [﴿عيشة راضية﴾ يريد فيها الرضا].

ش: قال العيني (١٦/١١٥): وهذا لم يثبت إلا لأبي ذر والنسفي.

قلت: وهذا يكفي في ثبوته وقال الفراء: فيها الرضا، والعرب تقول: هذا ليل نائم وسر كاتم، وماء دافق فيجعلونه فاعلاً، وهو مفعول في الأصل وذلك: أنهم يريدون وجه المدح أو الذم فيقولون ذلك لا على بناء الفعل، ولو كان فعلاً مصرحاً لم يقل ذلك فيه، لأنه لا يجوز أن تقول للضارب: مضروب، ولا للمضروب ضارب لأنه لا مدح فيه ولا ذم.ا.هـ

والآية المشار إليها **﴿فهو في عيشة راضية﴾**.

٣ - [﴿القاضية﴾ الموتة الأولى التي متها لم أحى بعدها].

ش: قاله الفراء.

والآية المشار إليها **﴿ياليتها كانت القاضية﴾**.

٤ - [﴿من أحد عنه حاجزين﴾ أحد يكون للجمع وللواحد].

ش: قاله الفراء وزاد: وذكر الأعمش في حديث عن النبي أنه قال: (لم تحل الغنائم لأحد سود الرؤوس إلا لنبيكم) فجعل أحداً في موضع جمع، وقال الله جل وعز **﴿لا نفرق بين أحد منهم﴾**، فهذا جمع لأن بين لا يقع إلا على اثنين فما زاد.

والآية المشار إليها **﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾**.

٥ - **[وقال ابن عباس ﴿الوتين﴾ نياط القلب].**

ش: أخرجه ابن جرير: ثني سليمان بن عبد الجبار: ثنا محمد بن الصلت: ثنا أبو كريب عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره، كما أخرجه عن سعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والضحاك وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾.

٦ - **[قال ابن عباس ﴿طغى﴾ كثر].**

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره، وأخرجه أيضاً عن قتادة ومجاهد والضحاك وعليه مشى في تفسير الآية.

والآية المشار إليها **﴿إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية﴾.**

٧ - **[ويقال ﴿بالطاغية﴾ بطغيانهم].**

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن زيد وأخرج عن مجاهد قال بالذنوب وقال أبو عبيدة مثل قول بن زيد وزاد وكفرهم.

٨ - **[ويقال: ﴿طغت﴾ على الخزان كما طغى الماء على قوم نوح].**

ش: قال الحافظ هنا: لم يظهر لي فاعل طغت لأن الآية في حق ثمود وهم قد هلكوا بالصيحة، ولو كانت عاد لكان الفاعل الريح وهي لها الخزان...وأما الصيحة فلا خزان لها، فلعله انتقال من عتت إلى طغت. ا.هـ

قلت: وهذا توجيه حسن.

٩ - **[﴿غسلين﴾ ما يسيل من صديد أهل النار].**

ش: قاله الفراء.

١٠ - **[وقال غيره: ﴿ من غسلين ﴾ (كلُّ شيء غسلته فخرج منه شيء فهو غسلين فعلين من الغسل من الجرح والدبر].**

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: ﴿**ولا طعام إلا من غسلين**﴾.

١١ - [﴿**أعجاز نخل**﴾ أصولها].

ش: قاله أبو عبيدة، وأخرجه ابن جرير عن قتادة.

والآية المشار إليها: ﴿**سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية**﴾.

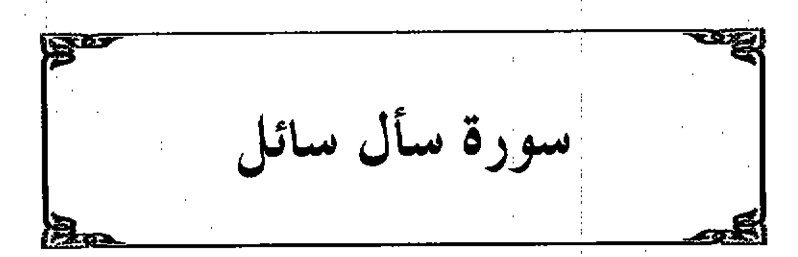
١٢ - [﴿**باقية**﴾ **بقية**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد ومجازها مجاز الطاغية مصدر.

وقال الفراء: من بقاء، ويقال: هل ترى منهم باقيا وكل ذلك في العربية جائز حسن.

والآية المشار إليها: ﴿**فهل ترى لهم من باقية**﴾.

آخر تفسير سورة الحاقة ولله الحمد والمنة.



٣٩٦ - سورة سأل سائل

ش: شاهد التسمية ظاهر في أول آية. وتسمى المعارج كما في المصحف وشاهده قوله تعالى ﴿**ليس له دافع، من الله ذي المعارج**﴾.

وهي مكية قال القرطبي: باتفاق.

وآياتها أربع و أربعون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [الفصيلة: أصغر أبائه القربى، إليه ينتمي من انتمى].

ش: قال الفراء: هي أصغر أبائه الذي إليه ينتمي. ا.هـ

وقال قتادة: الأحب فالأحب والأقرب فالأقرب من أهله وعشيرته لشدائد ذلك اليوم.

وقال مجاهد: قبيلته.

أخرجهما ابن جرير.

والآية المشار إليها ﴿**وفصيلته التي تؤويه**﴾.

٢ - [﴿للشوى﴾ اليدان والرجلان والأطراف، وجلدة الرأس يقال لها شواة، وما كان غير مقتل فهو شوى].

ش: قاله الفراء دون لفظة الأطراف.

وقال ابن جرير: والشوى جمع شواة وهي من جوارح الإنسان ما لم يكن مقتلاً.

وأخرج في المعنى عن ابن عباس ومجاهد وأبي صالح وغيرهم.

والآية المشار إليها ﴿**نزاعة للشوى**﴾.

٣ - [والعزون: الحلق والجماعات وواحدها عزة].

ش: قال الفراء: والعزون الحلق، والجماعات.

وقال أبو عبيدة: عزين جماع عزة مثل ثبه وثبين.

وقال ابن جرير: متفرقين حلقاً ومجالس جماعة جماعة، معرضين عنك وعن كتاب الله.

وأخرج في المعنى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة، والضحاك وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿ **عن اليمين وعن الشمال عزين**﴾.

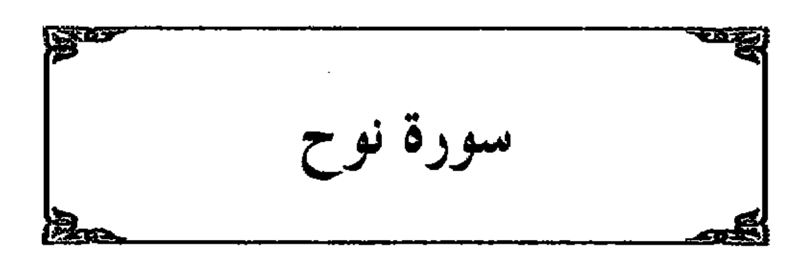
٤ - [﴿يوفضون﴾ الإيفاض الإسراع].

ش: قاله الفراء وزاد: قال الشاعر:

لأنعتن نعامة ميـــفاضا خرجاء ظلت تطلب الإفاضا

والآية المشار إليها ﴿**يوم يخرجون من الأجداث سـراعاً كـأنهم إلى نصـب يوفضون**﴾.

آخر تفسير المعارج والحمد لله.



٣٩٧ - سورة نوح ﴿إنا أرسلنا﴾

ش: شاهد التسمية ظاهر في أول آية.

أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردوية عن عبدا لله بن الزبير قال: نزلت سورة **﴿إنا أرسلنا نوحاً﴾** بمكة.

وآياتها ثمان وعشرون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [﴿أطواراً﴾ طوراً كذا وطوراً كذا يقال عدا طوره أي قدره].

ش: قاله أبو عبيدة عدا قوله يقال عدا طوره أي قدره.

وقال ابن جرير: حالاً بعد حال طوراً نطفة وطوراً علقة وطوراً مضغة.

وأخرج في المعنى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿وقد خلقكم أطواراً﴾**.

٢ - [والكُبّار أشد من الكِبار وكذلك جُمّال وجميل لأنها أشد مبالغة، وكبّار الكبير وكُباراً أيضاً بالتخفيف، والعرب تقول رجل حسّان وجمّال وحسْان مخفف وجَمْال مخفف].

ش: قاله أبو عبيدة من أوله إلى قوله (أشد مبالغة) وقال بقيته الفراء وقال مجاهد (كباراً) عظيماً وقال ابن زيد (كباراً) كثيراً.

أخرج ذلك عنهما ابن جرير.

والآية المشار إليها **﴿ومكروا مكراً كباراً﴾**.

٣ - [﴿دياراً﴾ من دور ولكنه فيعال من الدوران كما قرأ عمر ﴿الحي القيام﴾ وهي من قمت].

ش: قاله الفراء وقول المصنف (كما قرأ عمر) أخرج أبو عبيدة في فضائل القرآن من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه عن عمر أنه صلى العشاء الآخرة فاستفتح آل عمران فقرأ **﴿الله لا إله إلا هو الحي القيام﴾**، وأخرج ابن أبي داود في المصاحف من طرق عن عمر أنه قرأها كذلك، وأخرجهما عن ابن مسعود أيضاً حكاه الحافظ هنا.

٤ - [وقال غيره ﴿دياراً﴾ أحداً].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد يقولون: ليس بها دياراً وليس بها عَريب.

تنبيه

لم يتقدم ذكر للمعطوف عليه فيحتمل أن يكون كان في الأصل منسوباً لقائل فحذفه بعض النقلة اختصاراً، وقد عرفت أنه الفراء.

والآية المشار إليها ﴿**وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً**﴾.

٥ - [﴿**تباراً**﴾ **هلاكاً**].

ش: قاله أبو عبيدة وقال ابن جرير (خساراً) وأخرجه عن مجاهد.

والآية المشار إليها ﴿**رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تباراً**﴾.

٦ - [**وقال ابن عباس:** ﴿**مدراراً**﴾ **يتبع بعضه بعضاً**].

ش: قال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا أبو صالح: ثني معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس فذكره، حكاه الحافظ في التغليق.

والآية المشار إليها ﴿**يرسل السماء عليكم مدراراً**﴾.

٧ - [﴿**وقاراً**﴾ **عظمة**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية، عن علي عن ابن عباس فذكره، وأخرجه أيضاً عن مجاهد والضحاك وهو **أحد** خمسة أقوال حكاها في الآية.

ثانيها: بمعنى لا تعظمون الله حق عظمته وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية عنه.

وثالثها: لا تعلمون لله عظمة وهو قول ابن عباس في الرواية الثالثة عنه.

ورابعها: لا ترجون لله عاقبة وبه قال قتادة.

وخامسها: لا ترجون لله طاعة وهو قول ابن زيد.

وهذه الأقوال ليس بينها اختلاف في المعنى.

والآية المشار إليها ﴿**مالكم لا ترجون لله وقاراً**﴾.

٣٩٨ - [باب **﴿ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق﴾**]

ش: قلت الآية: **﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولايغوث ويعوق ونسراً﴾**.

يخبر جل ثناؤه أن من شدة مكر الملأ من قوم نوح وعنادهم قولهم لا تذرن آلهتكم يعني لا تتركوا معبوداتكم من دون الله لقول نوح وقد دعاهم ﷺ إلى عبادة الله وحده بقوله **﴿يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾** فيردوا عليه في عتو **﴿ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾** وتلك أصنامهم وعبدها العرب من بعدهم كما سيأتي في حديث الباب.

٤٣٥ - ثنا إبراهيم بن موسى: أخبرنا هشام عن ابن جريج وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود: كانت لكلب بدومة الجندل وأما سواع: كانت لهذيل، وأما يغوث: فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق: فكانت لهمدان: وأما نسر: فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخ العلم عبدت.

ش: **فائدة**

قوله «**وقال عطاء عن ابن عباس**» قال الحافظ: «قيل هذا منقطع لأن عطاء المذكور هو الخراساني، ولم يلق ابن عباس فقد أخرج عبد الرزاق هذا الحديث في تفسيره عن ابن جريج فقال: أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس وقال أبو مسعود: ثبت هذا الحديث في تفسير ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس وابن جريج لم يسمع التفسير من عطاء الخراساني وإنما أخذه من ابنه عثمان بن عطاء فنظر فيه وذكر صالح بن أحمد بن حنبل في العلل عن علي بن المديني قال:

سألت يحيى القطان عن حديث ابن جريج عن عطاء الخراساني فقال: ضعيف، فقلت: إنه يقول أخبرنا قال لا شيء إنما هو كتاب دفعه إليه انتهى وكان ابن جريج يستجيز إطلاق أخبرنا في المناولة والمكاتبة وقال الإسماعيلي أخبرت عن علي بن المديني أنه ذكر عن تفسير ابن جريج كلاماً ما معناه أنه كان يقول عن عطاء الخرساني عن ابن عباس فطال على الوراق أن يكتب الخراساني في كل حديث فتركه فرواه من روى على أنه عطاء بن أبي رباح » انتهى.

وأشار بهذا إلى القصة التي ذكرها صالح بن أحمد عن علي بن المديني ونبه عليها أبو علي الجياني في تقييد المهمل: قال ابن المديني سمعت هشام بن يوسف يقول قال لي ابن جريج سألت عطاء عن التفسير من البقرة وآل عمران ثم قال: أعفني من هذا قال: قال هشام فكان بعد إذا قال: قال عطاء عن ابن عباس قال عطاء الخراساني قال هشام: فكتبنا ثم مللنا، يعني كتبنا الخراساني، قال ابن المديني وإنما بينت هذا لأن محمد بن ثور كان يجعلها يعني في روايته عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس فيظن أنه عطاء ابن أبي رباح وقد أخرج الفاكهي الحديث المذكور من طريق محمد بن ثور عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس ولم يقل الخراساني، وأخرجه عبد الرزاق كما تقدم فقال الخراساني، وهذا مما استعظم على البخاري أن يخفى عليه، لكن الذي قوى عندي أن هذا جميعاً، ولا يلزم من امتناع عطاء بن أبي رباح من التحديث بالتفسير أن لا يحدث بهذا الحديث في باب آخر من الأبواب أو في المذاكرة، وإلا فكيف يخفى على البخاري ذلك مع تشدده في شرح الإتصال واعتماده غالباً في العلل على علي بن المديني شيخه وهو الذي نبه على هذه القصة.

ومما يؤيد ذلك أنه لم يكثر من تخريج هذه النسخة وإنما ذكر بهذا الإسناد موضعين هذا وآخر في النكاح، ولو كان خفي عليه لا ستكثر من إخراجها لأن ظاهرها إنها على شرطه. ا.هـ

قلت: وهذه نكتة لطيفة جديرة بالإهتمام وتوجيه حسن اندفع به الإشكال وقوي به الحديث فرحم الله الحافظ وجزاه خيراً.

وفي الحديث تسع مسائل:

الأولى: قوله «**صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد**» وعند عبدالرزاق في تفسير السورة (كانت ألهة يعبدها قوم نوح ثم كانت العرب تعبدها بعد).

قال الحافظ: وقال أبو عبيدة: وزعموا أنهم كانوا مجوساً وأنها غرقت في الطوفان فلما نضب الماء عنها أخرجها إبليس فبثها في الأرض. ا.هـ

قلت: وهذا الزعم مردود من وجهين:

الأول: قوله في الحديث بأسماء صالحين من قوم نوح.

الثاني: أن المجوسية لم تكن على عهد نوح وإنما حدثت بعده بقرون.

الثانية: قوله «**أما وُد كانت لكلب بدومة الجندل**» قال ابن اسحاق: وكان لكلب بن وبرة بن قضاعة، ووبرة هو ابن تغلب بن عمران بن إلحاق بن قضاعة ودومة بضم الدال وتنطقها العامة بفتح الدال وسكون الواو، والجندل بفتح الجيم وسكون النون.

قلت : وهي مدينة مشهورة تقع في منطقة الجوف بالمملكة العربية السعودية.

وود بفتح الواو وقرأها نافع وحده بضمها، حكاها مكي ج٢ ص٢٣٧.

الثالثة: قوله «**وأما سواع فكانت لهذيل**» زاد أبو عبيدة (ابن مدركة بن إلياس بن مضر وكانوا بقرب مكة) وقال ابن اسحاق: كان سواع بمكان لهم يقال له رهاط بضم الراء وتخفيف الهاء من أرض الحجاز من جهة الساحل.

وقال ياقوت: موضع على ثلاث ليال من مكة، وقال قوم وادي رهاط في بلاد هذيل وقال عرّام فيما يضيق بشمنصير وهو جبل قرية يقال لها رهاط بقرب مكة على طريق المدينة، وهي بواد يقال له غران، وبقرب وادي رهاط الحديبية

وهي قرية ليست كبيرة، وهذه المواضع لبني سعد وبني مسروح وهم الذين نشأ فيهم رسول الله ﷺ.

الرابعة: قوله «**وأما يغوث فكان لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ**» في رواية أبي ذر عن غير الكشميهني بفتح الحاء وسكون الواو، وله عن الكشميهني الجرف بضم الجيم والراء وكذا في مرسل قتادة، وللنسفي بالجون بجيم ثم واو ثم نون قاله الحافظ.

قلت: وأخرج عبد الرزاق وابن جرير كلاهما عن قتادة مرسلاً (وكان يغوث لبني غطيف من مراد بالجرف من سبأ).

الخامسة: قوله «**وأما يعوق فكانت لهمدان**» قال ابن اسحاق في السيرة ج١ ص٧٩: وخبوان بطن من همدان، اتخذوا يعوق بأرض همدان من أرض اليمن.

السادسة: قوله «**وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع**» وأخرج ابن جرير عن قتادة (لذي كلاع من حمير) وفي السيرة (وذو الكلاع من حمير اتخذوا نسراً بأرض حمير).

السابعة: قوله «**أسماء رجال صالحين من قوم نوح**» وأخرج ابن جرير عن محمد بن قيس قال: كانوا قوماً صالحين من بني آدم وكان لهم اتباع يقتدون بهم.

الثامنة: قوله «**فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد**»

في خبر محمد بن قيس (فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم.

التاسعة: قوله «**حتى إذا هلك أولئك وتنسّخ العلم عبدت**» كذا لهم ولأبي ذر والكشميهني (ونسخ العلم) قاله الحافظ وفي رواية محمد بن قيس (فلما ماتوا جاء آخرون دب إليهم ابليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم).

من فقه الحديث

أولاً: أن التوحيد أعني به عبادة الله وحده هو الأصل وأن الشرك أمر طارى يؤيده ما رواه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: (ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم اتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم).

ثانياً: أن أول شرك حدث في الأرض بشبهة محبة الصالحين.

ثالثاً: في الحديث شاهد لما قاله بعض السلف أن البدعة سبب الكفر، وأنها أحب إلى ابليس من المعصية، لأن المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها.

رابعاً: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة، ولو حسن قصد الفاعل.

خامساً: معرفة القاعدة الكلية وهي النهي عن الغلو، ومعرفة ما يؤول إليه.

سادساً: مضرة العكوف على القبور من أجل عمل صالح وأنه يؤول بأهله إلى عبادة صاحب القبر.

سابعاً: تحريم التماثيل وأنها تؤدي إلى عبادة أصحابها مع الجهل.

ثامناً: التصريح بأنها لم تعبد حتى نسي العلم ففيها معرفة قدر وجودة ومضرة فقده.

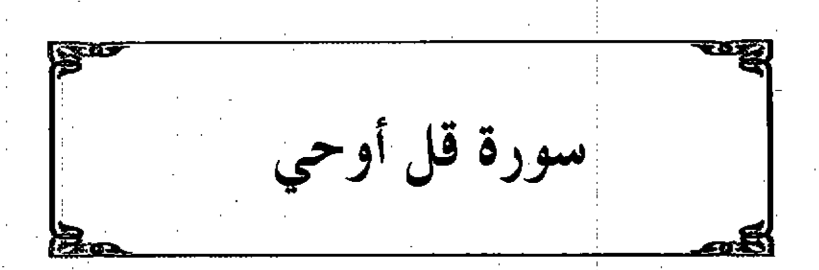
تاسعاً: شدة حاجة الخلق بل ضرورتهم إلى الرسالة وأن ضرورتهم إليها أشد وأعظم من ضرورتهم إلى الطعام والشراب.

عاشراً: الرد على من يقدم الشبهات التي يسميها عقليات على ما جاء من عند الله لأن ذلك الذي أوقع المشركين في الشرك.

حادي عشر: مضرة التقليد وكيف آل بأهله إلى المروق من الإسلام.

ذكر هذه الفوائد وغيرها عدى الأولى صاحب تيسير العزيـز الحميـد فراجعـه إن شئت (ص٣١١).

آخر تفسير سورة نوح.



٣٩٩ - سورة قل أوحي

ش: وفي المصحف سورة الجن والشاهد ظاهر في أول آية.

قال القرطبي هي مكية في قول الجميع.

وآياتها ثمان وعشرون.

[قال ابن عباس: ﴿لبدا﴾ أعواناً].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا علي ثنا أبو صالح ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وقال ابن جرير (يقول كادوا يكونون على محمد جماعات بعضها فوق بعض واحدها لبده) وأخرج المعنى عن سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿ **وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا**﴾.

٤٣٦ - ثنا موسى بن إسماعيل: ثنا أبو عوانة عن أبي بشير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه، عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين فقالوا مالكم؟ فقالوا حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قال ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها،فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث.فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، ينظرون ماهذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة، وهو عامد إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم، فقالوا: ﴿يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فأمنا به ولن نشرك بربنا أحداً﴾ وأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن﴾ وإنما أوحى إليه قول الجن.

ش: فيه إحدى عشرة مسألة:

الأولى: قوله «انطلق رسول الله ﷺ» أخرج مسلم في الصلاة باب الجهر بالقراءة في صلاة الصبح من رواية شيبان بن فروخ بلفظ (ما قرأ رسول الله ﷺ

على الجن وما رآهم. انطلق رسول الله ﷺ) وعزاه الحافظ إلى أبي نعيم في المستخرج قلت: وأخرج مسلم عن علقمة قال سألت ابن مسعود فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا، ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشعاب فقلنا: استطير أو اغتيل قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء قال: فقلنا: يا رسول الله! فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال: أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن...الحديث) فيمكن الجمع بينهما بتعدد القصة والله أعلم.

الثانية: قوله «**في طائفة من أصحابه**» ذكر ابن اسحاق وابن سعد أن ذلك كان في ذي القعدة سنة عشر من المبعث لما خرج النبي ﷺ إلى الطائف ثم رجع منها وهذا مشكل ووجه ذلك أن النبي ﷺ لما ذهب إلى الطائف لم يكن معه غير زيد بن حارثة، فلعله لقيه بعض أصحابه لما رجع من سفرة الطائف في أثناء الطريق فرافقوه وصلوا معه ويؤيده قوله في الحديث (وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر).

الثالثة: قوله «**عامدين إلى سوق عكاظ**» بضم المهملة وتخفيف الكاف وآخره ظاء معجمة بالصرف وعدمه، وهو موسم معروف للعرب، بل كان من أعظم مواسمهم، وهو نخل في واد بين مكة والطائف وهو إلى الطائف أقرب بينهما عشرة أميال وهو وراء قرن المنازل بمرحلة من طريق صنعاء اليمن ولم تزل سوقاً إلى سنة تسع وعشرين ومائة فخرج الخوارج الحرورية فنهبوها فتركت.

الرابعة: قوله «**وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب**» والشهب جمع شهاب قال ابن الأثير وهو الذي ينقض في الليل شبه الكوكب، وهو في الأصل الشعلة من النار)

قلت: وظاهر صحيح الخبر عن النبي ﷺ يدل على أن الشهب التي يرمى بها مسترقوا السمع من الكواكب فقد روى أحمد والترمذي وصححه عن ابن عباس

رضي ا لله عنهما قال: بينما رسول ا لله ﷺ جالس في نفر من أصحابه إذا رمي بنجم فاستنار فقال رسول ا للهﷺ: ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية إذا رأيتموه؟ قالوا كنا نقول: يموت عظيم أو يولد عظيم فذكر الحديث وفيه (ويختطف الشياطين السمع فيرمون فيقذفونها إلى أوليائهم فما جاءوا به على وجهه فهو حق).

قال مقيده: وظاهر حديث الباب أنه حيل بين الشياطين واستراق السمع مع رميهم بالشهب وقع في هذا الزمان المقدم ذكره، والذي تظافرت به الأخبار أن ذلك وقع لهم من أول البعثة النبوية ومن ذلك ما قصه ا لله عز وجل بقوله: ﴿**وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً، وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً**﴾.

يوضح وجه الدلالة من هذه الآيات قوله في حديث ابن عباس السابق عند أحمد (قلت: للزهري أكان يرمى بها في الجاهلية قال: نعم ولكن غلظت حين بعث النبي ﷺ).

قلت: والسائل هو معمر بن راشد راوية الزهري.

الخامسة: قوله: «**ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث**» وأخرج الترمذي في تفسير السورة عن أبي اسحاق عن ابن جبير عن ابن عباس (فلما بعث رسول ا لله ﷺ منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لإبليس و لم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ابليس: ما هذا إلا من أمر قد حدث في الأرض).

السادسة: قوله «**فضربوا مشارق الأرض ومغاربها**» يعني أنهم لما قال لهم عدو ا لله ابليس (ما هذا إلا من أمر قد حدث في الأرض) أخذوا يسعون في الأرض طالبين معرفة ما حدث فيها ومن أجله منعوا من استراق السمع.

السابعة: قوله: «**فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول ا لله ﷺ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر**» عند الترمذي من رواية أبي اسحاق (فبعث جنوده فوجدوا رسول ا لله ﷺ قائماً يصلي بين جبلين).

الثامنة: قوله: «**فلما سمعوا القرآن تسمعوا له فقالوا هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء**» في رواية شيبان عند مسلم (فلما سمعوا القرآن استمعوا له) والمعنى أنهم قصدوا سماع القرآن مصغين إليه كما قال تعالى ﴿**وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا**﴾.

التاسعة: قوله: «**فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فأمنا به ولن نشرك بربنا أحداً**» قال الماوردي: ظاهر هذا أنهم آمنوا عند سماع القرآن، قال والإيمان يقع بأحد أمرين إما بأن يعلم حقيقة الإعجاز وشروط المعجزة فيقع له العلم بصدق الرسول، أو يكون عنده علم من الكتب الأولى فيها دلائل على أنه النبي المبشر به وكلا الأمرين في الجن محتمل. ا.هـ.

قلت: وفي سورة الأحقاف ما يدل على أن ذلك الوفد من الجن كانوا على علم بأن النبي ﷺ هو المبشر به ولذلك سارعوا إلى الإيمان برسول ا لله ﷺ وبما جاء به قال تعالى ﴿**وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، يا قومنا أجيبوا داعي ا لله وأمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم**﴾.

العاشرة: قوله: «**وأنزل ا لله على نبيه ﷺ ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن﴾**» زاد الترمذي قال ابن عباس: وقول الجن لقومهم: لما قام عبد ا لله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا، قال: لما رأوه يصلي وأصحابه يصلون بصلاته فيسجدون بسجوده قال: فعجبوا من طواعية أصحابه له قالوا لقومهم ﴿**لما قام عبد ا لله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا**﴾.

الحادية عشرة: قوله: «وإنما أوحى إليه قول الجن» هذا كلام ابن عباس، كأنه تقرر فيه ما ذهب إليه أولاً أنه ﷺ لم يجتمع بهم، وإنما أوحى الله إليه بأنهم استمعوا، وقد عرفت من خبر ابن مسعود الذي قدمناه في المسألة الأولى أن النبي ﷺ أجاب داعي الجن فذهب إليهم وقد جمعنا بين الخبرين بتعدد القصة والله أعلم.

من فقه الحديث

أولاً: الإيمان بوجود الجن وأنهم مخاطبون بالرسالة فلا تغتر بمن فسر الجن بأنهم (مَيْكروبات).

ثانياً: أن ذلك الوفد من الجن الذي لقي النبي ﷺ كانوا مؤمنين برسالة موسى ﷺ.

ثالثاً: أن مسمى الجن والشياطين واحد وإنما صارا صنفين باعتبار الكفر والإيمان.

رابعاً: أن الصلاة في الجماعة شرعت قبل الهجرة.

خامساً: مشروعية صلاة الجماعة في السفر.

سادساً: أن الإعتبار بما قضى الله به للعبد من حسن الخاتمة.

آخر تفسير سورة الجن والحمد لله.

سورة المزمل

٤٠٠ - سورة المزمل بسم الله الرحمن الرحيم

ش: وشاهد التسمية ظاهر في أول آية.

وهي مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وجابر وقال ابن عباس وقتادة إلا آيتين **﴿واصبر على ما يقولون﴾** والتي تليها وآياتها عشرون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - **[وقال مجاهد: ﴿وتبتل﴾ أخلص].**

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا ابن بشار: ثنا مؤمل: ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد فذكره.

وأخرج مثله عن ابن عباس وأبي يحيى المكي وقتادة والضحاك.

والآية المشار إليها **﴿واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا﴾**.

٢ - **[وقال الحسن: ﴿أنكالاً﴾ قيوداً].**

ش: قال عبد بن حميد: ثنا يحيى بن عبدالحميد عن حفص عن عمرو عن الحسن به.حكاه في التغليق (٤/٣٥٠).

وأخرجه ابن جرير عن عكرمة ومجاهد وقتادة وغيرهم.

والآية المشار إليها: **﴿إن لدينا أنكالاً وجحيماً﴾**.

٣ - **[﴿منفطر به﴾ مثقلة به].**

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا أبو حفص الحيري: ثنا مؤمل: ثنا أبو مودود عن الحسن به.

وأخرج مثله عن مجاهد وابن أبي علي وقتادة.

وأخرج عن ابن عباس قال تشقق السماء حين ينزل الرحمن جل وعز.

والآية المشار إليها: **﴿السماء منفطر به كان وعده مفعولا﴾**.

٤ - **[وقال ابن عباس: ﴿كثيباً مهيلاً﴾ الرمل السائل].**

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس به.

وأخرج عن مجاهد قال: (ينهال).

والآية المشار إليها: **﴿يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً﴾**.

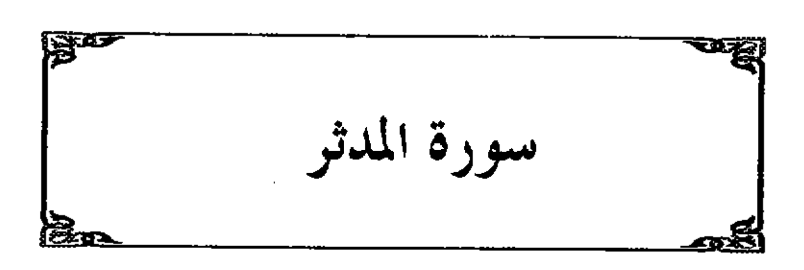
٥ - [﴿وبيلاً﴾ شديداً].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد الذي قبله.

وأخرج عن مجاهد وقتادة مثله.

والآية المشار إليها **﴿فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً﴾**.

آخر تفسير سورة المزمل و لله الحمد والمنة.



٤٠١ – سورة المدثر بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر وفيها حديث يحيى بن كثير: سألت أبا سلمة بن عبدالرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال: ﴿**يا أيها المدثر**﴾ **قلت**: يقولون: ﴿**إقرأ باسم ربك الذي خلق**﴾ فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت فقال جابر لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ الحديث وسيأتي عند المصنف.

وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردوية والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة المدثر بمكة وأخرج ابن مردوية عن ابن الزبير مثله.

وآياتها ست وخمسون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**قال ابن عباس: ﴿عسير﴾ شديد**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها ﴿**فذلك يومئذ يوم عسير**﴾.

٢ - [**﴿قسورة﴾ ركز الناس وأصواتهم**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا أبو كريب: ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس فذكره.

وأخرج معناه عن سفيان.

٣- [**وقال أبو هريرة : الأسد وكل شديد : قسورة، وقسور**]

ش: أخرجه ابن جرير من طرق عن زيد ابن أسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

فذكره وبه قال زيد ابن أسلم وابن زيد وهو الرواية الخامسة عن ابن عباس وفي الآية ثلاثة أقوال أخرى :

أحدها : الرُّماة وبه قال أبوموسى ومجاهد وعكرمة وقتادة وهو الرواية الثانية عن ابن عباس .

ثانيها : أنهم القنّاص وهو قول سعيد ابن جبير وابن عباس في الرواية الثالثة عن ابن عباس .

ثالثها : أنهم جماعة الرجال وبه قال ابن عباس في الروايةالرابعة .

أخرجها جميعَها ابن جرير .

والآية المشار إليها ﴿**فرت من قسورة**﴾.

٤ - [**﴿مستنفرة﴾ نافرة مذعورة**].

ش: هو قول أبي عبيدة.

والآية المشار إليها ﴿**كأنهم حمر مستنفرة**﴾.

٤٣٧ - ثنايحيى: ثنا وكيع، عن علي بن المبارك[١] عن يحيى بن أبي كثير سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن، عن أول ما نزل من القرآن قال: ﴿يا أيها المدثر﴾ قلت: يقولون ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبدا لله رضي ا لله عنهما عن ذلك، وقلت له مثل الذي قلت، فقال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول ا لله ﷺ قال: (جاورت بحراء، فلما قضيت جواري هبطت، فنوديت، فنظرت عن يميني، فلم أر شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت أمامي فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً فرفعت رأسي فرأيت شيئاً، فأتيت خديجة، فقلت: دثروني، وصبوا علي ماءً بارداً، قال فدثروني وصبوا علي ماءً بارداً قال: فنزلت ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر).

ش: فيه تسع مسائل:

الأولى: قوله: «**أول ما نزل من القرآن، قال ﴿يا أيها المدثر﴾**» وعند المصنف في بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي، وفي تفسير سورة إقرأ عن عائشة ما يدل على أن أول ما نزل سورة إقرأ وفي المسألة خلاف مشهور وقوي وأحسن الأقاويل في ذلك بأن أول ما نزل من الأيات **﴿إقرأ باسم ربك﴾** وأول ما نزل من أوامر التبليغ **﴿يا أيها المدثر﴾** وأول ما نزل من السور سورة الفاتحة وهذا كما ورد في الحديث (أول ما يحاسب به العبد الصلاة) (وأول ما يقضي فيه الدماء) وجمع بينهما بأن أول ما يحكم فيه من المظالم التي بين العباد الدماء، وأول ما يحاسب به العبد من الفرائض البدنية الصلاة، حكاه الزركشي في البرهان (٢٠٨/١) عن القاضي أبي بكر الباقلاني.

---

(١) هو علي بن المبارك الهنائي ثقة كان له عن يحيى بن أبي كثير كتابان أحدهما سماع والآخر إرسال فحديث الكوفيين عنه فيه شيئ من كبار السابعة، ع.

الثانية: قوله: «**سألت جابر بن عبد ا لله رضي ا لله عنهما عن ذلـك وقلـت له مثل الذي قلت**» في رواية حرب: سألت جابر بن عبد ا لله أي القرآن أنزل أول فقال: ﴿**يا أيها المدثر**﴾ فقلت: أنبئت أنه ﴿**إقرأ باسم ربك**﴾ فقال: لا أخـبرك إلا بما قال رسول ا لله ﷺ قلـت: وفيه دليل على أن هذه العبارات الثلاث وهي حدثنا وأنبأنا وأخبرنا بمعنى واحد.

الثالثة: قوله: «**جاورت بحراء**» في رواية الأوزاعي عند مسلم في الإيمان بـاب بدء الوحي إلى رسول ا لله ﷺ (جاورت بحراء شهراً) والمجاورة مفاعلـة مـن الجـوار وقد تكرر ذكرها في الحديث مراداً بها الإعتكـاف في المكـان والمكـث فيـه وحـراء بالكسر والتخفيف،والمد جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال وهـو معـروف ويقـع إلى شرق مكة شرفها ا لله.

الرابعة: قوله: «**فلما قضيت جـواري هبطـت**» وعنـد مسـلم (فلمـا قضيـت جواري نزلت فاستبطنت بطـن الـوادي) وفي روايـة عقيـل عـن الزهـري (فبينـا أنـا أمشي).

الخامسة: قوله: «**فنوديت، فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً**» وعند مسلم (فنظرت أمامي وخلفـي وعـن يميـني وعـن شمـالي فلـم أر أحداً).

قلت: والظاهر أن هذا تصرف من بعض الرواة لأن القصة واحدة، وفيه دليل على رواية الحديث بالمعنى.

السادسة: قوله: «**فرفعت رأسـي فرأيـت شـيئاً**» في روايـة حـرب (فـإذا هـو جالس على عرش بين السماء والأرض) وفي رواية الزهري بعد هذا ببابين (فرفعـت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء، جالس على كرسي بين السماء والأرض) وفي رواية يونس عند مسلم، (فجثثت منه فرقاً حتى هويت إلى الأرض) وعند المصنـف من رواية الزهري (فجثثت منه رعباً).

السابعة: قوله: «**فأتيت خديجة**» في رواية عقيل عن الزهري (فجئت أهلي).

الثامنة: قوله: «**دثروني، وصبوا علي ماءً بارداً**» في رواية عقيل عن الزهري (زملوني زملوني، فدثروني) وفي رواية الأوزاعي (دثروني فدثروني فصبوا علي ماءً) قال العلماء المدثر والمزمل والمتلفف والمشتمل بمعنى واحد ثم الجمهور على أن معناه المدثر بثيابه، وفيه دليل على أنه يحسن أن يصب على الفزع الماء البارد. ويلف بثيابه أو بغيرها ليسكن فزعه ويذهب عنه الروع.

التاسعة: قوله: «**فنزلت ﴿يا أيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر﴾**» وعند مسلم من رواية الزهري **﴿يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر﴾** وزاد المصنف بعد هذا ببابين (فأنزل الله تعالى: **﴿يا أيها المدثر ـ إلى ـ والرجز فاهجر﴾** وفي رواية عقيل عن الزهري قال أبو سلمة: **﴿والرجز﴾** الأوثان، وعند المصنف بعد هذا ببابين والترمذي في تفسير السورة **﴿والرجز فاهجر﴾** (قبل أن تفرض الصلاة).

٤٠٢ - [باب ﴿قم فأنذر﴾]

ش: يأمر الله نبيه ﷺ أن يشمر عن ساق العزم والجد فينذر الناس عامة وقومه خاصة، الذين أشركوا مع الله فعبدوا معه غيره وهذه أول سورة أرسل بها النبي ﷺ كما أن سورة أقرأ أول سورة نبئ بها.

٤٣٨ - ثني محمد بن بشار: ثنا عبد الرحمن بن مهدي وغيره قال ثنا حرب بن شداد[١] عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (جاورت بحراء، مثل حديث عثمان بن عمر عن علي بن المبارك).

ش / تقدم في الباب قبله.

(١) هو أبو الخطاب حرب بن شداد اليشكري البصري ثقة من السابعة مات سنة إحدى وستين ومائة ن خ، م، د، ت، س.

٤٠٣ - [باب ﴿وربك فكبر﴾]

ش: يقول تعالى ذكره: وربك يا محمد فعظم بعبادته، والرغبة إليه في حاجاتك دون غيره من الآلهة والأنداد.

٤٣٩ - ثنا اسحاق بن منصور: ثنا عبد الصمد: ثنا حرب: ثنا يحيى قال: سألت أبا سلمة: أي القرآن أنزل أول؟ فقال ﴿ يا أيها المدثر﴾. فقلت: أنبئت أنه ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ فقال أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أنزل أول؟ فقال ﴿يا أيها المدثر﴾ فقلت أنبئت أنه ﴿اقرأ باسم ربك ﴾ فقال: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ جاورت في حراء، فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي، فنوديت، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي، فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض. فأتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا علي ماء بارداً. وأنزل عليه ﴿ يا أيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر﴾.

ش:تقدم.

٤٠٤ - [باب ﴿ وثيابك فطهر﴾

ش: يأمر الله نبيه ﷺ أن يطهر ثيابه وقد اختلف أهل التفسير في المراد بهذا التطهير على **أربعة** أقوال حكاها ابن جرير وهي:

أولها: بمعنى لا تلبس ثيابك على معصية ولا على غدرة، وبه قال ابن عباس وعكرمة وإبراهيم النخعي وقتادة والضحاك والنسفي وعطاء.

ثانيها: بمعنى لا تلبس ثيابك من مكسب غير طيب وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية عنه.

وثالثها: بمعنى أصلح عملك وبه قال مجاهد وابو رزين.

ورابعها: بمعنى اغسلها بالماء وطهرها من النجاسة وهو قول ابن سيرين وابن زيد وهذا هو ما اختاره ابن جرير.

وقال ابن القيم بعد ذكره الخلاف في الآية: قلت الآية تعم هذا كله، وتدل عليه بطريق التنبيه واللزوم، إن لم تتناول ذلك لفظاً فإن المأمور به إن كان طهارة القلب وطهارة الثوب وطيب مكسبه تكميل لذلك فإن خبث الملبس يكسب القلب هيئة خبيثة كما أن خبث المطعم يكسبه ذلك، ولذلك حرم لبس جلود النمور والسباع بنهي النبي ﷺ عن ذلك في عدة أحاديث صحاح لا معارض لها لما تكسب القلب من الهيئة المشابهة لتلك الحيوانات فإن الملابسة الظاهرة تسري إلى الباطن، ولذلك حرم لبس الحرير والذهب على الذكور لما يكتسب القلب من الهيئة التي تكون لمن ذلك لبسه من النساء وأهل الفخر والخيلاء. ا.هـ من إغاثة اللهفان (١ / ٥٢).

٤٤٠ - ثنا يحيى بن بكير: ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب وحدثني عبد الله بن محمد: ثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري فأخبرني أبو سلمة ابن عبد الرحمن عن (جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: فبينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من

السماء، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجئثت منه رعباً فرجعت فقلت زملوني زملوني. فدثروني. فأنزل الله تعالى ﴿ يا أيها المدثر - إلى - والرجز فاهجر﴾ قبل أن تفرض الصلاة وهي الأوثان).

ش / تقدم ضمن ما قبله.

وقوله : ((**فجئثتُ منه رُعباً**)) أي ذعرت وخِفت ، يقال جُئث الرجل ، وجُئفَ ، وجُثّ إذافزِع . قاله في النهاية (جأث)

٤٠٥ - [باب قوله ﴿والرجز فاهجر﴾]

ش: تتضمن هذه الآية الكريمة أمر الله نبيه ﷺ والأُمة تبع له في ذلك بهجر الرجز وفي ذلك قولان للمفسرين:

أحدهما: بمعنى الأصنام وبه قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والزهري وابن زيد.

وثانيهما: بمعنى المعصية والإثم وهو قول النخعي والضحاك وعندي أن كلاً من القولين صحيح ولا تعارض بينهما فإن النبي ﷺ وكذلك كل مسلم مأمور بترك الشرك وما دونه من المعاصي والآثام وعلى هذا تظافرت النصوص وانعقد الإجماع.

[يقال: الرجز والرجس العذاب].

ش: قال الفراء: كسره عاصم والأعمش والحسن، ورفعه السلمي ومجاهد وأهل المدينة فقرؤوا ﴿**والرجز فاهجر**﴾ وفسر مجاهد، والرجز: الأوثان وفسر الكلبي، الرجز العذاب، ونرى أنهما لغتان وأن المعنى فيهما واحد.

٤٤١ - ثنا عبد الله بن يوسف: ثنا الليث عن عقيل قال: ابن شهاب سمعت أبا سلمة أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي: فبينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فجُئثت منه حتى هويت إلى الأرض، فجئت أهلي فقلت: زملوني زملوني. فزملوني. فأنزل الله تعالى ﴿ يا أيها المدثر قم فأنذر - إلى قوله ــ فاهجر ﴾ قال أبو سلمة، والرجز الإوثان. ثم حمي الوحي وتتابع).

ش: تقدم.

آخر تفسير سورة المدثر والحمد لله.

سورة القيامة

٤٠٦ - سورة القيامة

ش: شاهد التسمية ظاهر في أول آية

وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردوية والبيهقي في الدلائل من طرق عن ابن عباس قال: نزلت سورة القيامة وفي لفظ ﴿**لا أقسم**﴾ بمكة.

وآياتها تسع وثلاثون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به**﴾].

ش: يقول تعالى ذكره لنبيه محمدﷺ: لا تحرك يا محمد بالقرآن لسانك لتعجل به، واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل له لا تحرك به لسانك لتعجل به على قولين:

أحدهما: أنه ﷺ إذا نزل عليه منه شيء عجل به يريد حفظه من حبه إياه فقيل له لا تعجل به فإنا سنحفظه عليك، وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير والشعبي وابن زيد والضحاك.

وثانيهما: أنه ﷺ كان يكثر تلاوة القرآن مخافة نسيانه فقيل له ﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به**﴾ إن علينا أن نجمعه لك ونقرئكه فلا تنسى وبه قال مجاهد والحسن وقتادة وهو الرواية الثانية عن ابن عباس.

حكى هذين القولين ابن جرير واختار الأول وحديث الباب شاهد له كما سيأتي.

٢ - [**وقال ابن عباس:** ﴿**سدى**﴾ **هملا**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وأخرج عن مجاهد والسدي نحوه.

والآية المشار إليها ﴿**أيحسب الإنسان أن يترك سدى**﴾.

٣ - [﴿**ليفجر أمامه**﴾ **سوف أتوب، سوف أعمل**].

ش: وصله الفريابي: ثنا اسرائيل: ثنا أبو اسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ (يقول سوف أعمل) حكاه في التغليق (٤/٣٥٥).

قلت: وأخرجه ابن جرير: ثني محمد بن سعد: ثني أبي: ثني عمي: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس بلفظ: (يعني الأمل يقول الإنسان أعمل ثم أتوب قبل يوم

القيامة) ضمن القائلين أنه يريد أن يمضي أمامه قدماً إلى معاصي الله لا يثنيه عنها شيء، ولا يتوب منها أبداً ويسوف بالتوبة وهم مجاهد والحسن والسدي وعكرمة وسعيد بن جبير وهو أحد أربعة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: أنه يريد أن يركب رأسه في طلب الدنيا دائباً ولا يذكر الموت وبه قال الضحاك.

وثالثها: أنه يريد الإنسان الكافر المكذب بيوم القيامة وهو قول ابن زيد وابن عباس في الرواية الثانية عنه.

ورابعها: أنه يريد الإنسان ليكفر بالحق بين يدي القيامة ولم ينسبه إلى أحد.

والآية المشار إليها ﴿**بل يريد الإنسان ليفجر أمامه**﴾.

٤ - [﴿لا وزر﴾ لا حصن].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن سعد: ثني أبي ثني عمي: ثني أبي عن أبيه: عن ابن عباس فذكره وزاد: (ولا ملجأ).

وأخرج عن أبي قلابة وقتادة والضحاك مثله، وعن مطرف بن الشخير ومجاهد نحوه.

والآية المشار إليها ﴿**كلا لا وزر**﴾.

٤٤٢ - ثنا الحميدي: ثنا سفيان: ثنا موسى بن أبي عائشة[١] وكان ثقة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي حرك به لسانه ـ ووصف سفيان ـ يريد أن يحفظه، فأنزل الله ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾).

ش: فيه أربع مسائل:

---

(١) هو أبو الحسن موسى بن أبي عائشة الهمداني مولاهم الكوفي ثقة عابد من الخامسة، وكان يرسل، ع.

الأولى: قوله: «**كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي حرك به لسانه**» في بدء الوحي باب كيف كان الوحي (كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه)، وبعد هذا بباب (كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل بالوحي، وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه، وكان يعرف منه).

الثانية: قوله: «**ووصف سفيان**» هو سفيان بن عيينة وعند الترمذي في تفسير السورة (وحرك سفيان شفتيه).

الثالثة: قوله: «**يريد أن يحفظه**» في بدء الوحي (فقال ابن عباس فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله ﷺ يحركهما وقال سعيد: أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه).

الرابعة: قوله: فأنزل الله ﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به**﴾ هذا هو محل الشاهد من الحديث وقد سبق شرحه وزاد في بدأ الوحي ﴿**إن علينا جمعه وقرآنه**﴾ قال: جمعه له في صدرك وتقرأه ﴿**فإذا قرآناه فاتبع قرآنه**﴾ قال فاستمع له وأنصت ﴿**ثم إن علينا بيانه**﴾ ثم إن علينا أن تقرأه فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه، وفي رواية جرير الآتية، فأنزل الله الآية التي في ﴿**لا أقسم بيوم القيامة**﴾.

٤٠٧ - [باب ﴿إن علينا جمعه وقرآنه﴾]

ش: يقول تعالى ذكره: إن علينا جمع هذا القرآن في صدرك يا محمد حتى تثبته فيه ﴿وقرآنه﴾: يقول وقرآنه حتى تقرأه بعد أن جمعناه في صدرك.

٤٤٣ - ثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن موسى بن أبي عائشة أنه سأل سعيد بن جبير عن قوله تعالى: ﴿ لا تحرك به لسانك﴾ قال وقال ابن عباس: كان يحرك شفتيه إذا أنزل عليه فقيل له لا تحرك به لسانك ـ يخشى أن ينفلت منه ـ إن علينا جمعه وقرآنه : أن نجمعه في صدرك، ﴿وقرآنه﴾ أن تقرأه، ﴿ فإذا قرأناه ـ يقول أنزل عليه ـ فاتبع قرآنه، ثم إن علينا بيانه﴾ أن نبينه على لسانك).

ش: تقدم ضمن ما قبله.

٤٠٨ – [باب قوله: ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرأنه﴾]

ش: قوله **﴿فإذا قرأناه﴾** أي إذا تلاه عليك الملك عن الله عز وجل. **﴿فاتبع قرأنه﴾** أي فاستمع له ثم أقرأه كما أقرأك.

قوله : [**قال ابن عباس : ﴿قرأناه﴾ : بيّناه ، ﴿ فاتبّع﴾ : أعمل به**].

ش: أخرجه ابن جرير : حدثني علي، ثنا أبو صالح، ثنا معاوية، عن علي عن ابن عباس فذكره . حكاه في التغليق .

قلت :والذي عند ابن جرير من هذا الوجه عن ابن عباس قوله : ﴿ فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه ﴾ يقول : اعمل به .

وأخرج من طريق العوفيين عنه يقول : إذا يتلى عليك فاتّبع ما فيه .انتهى

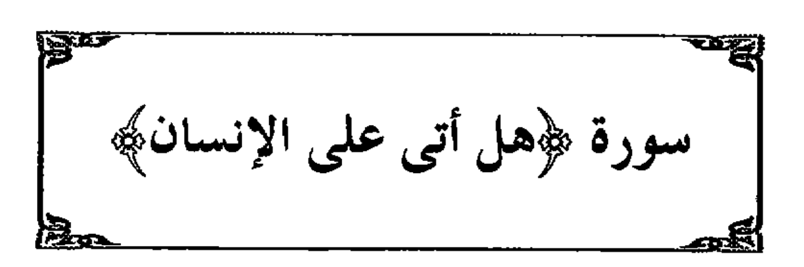
٤٤٤ – ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جرير عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل عليه بالوحي وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه، وكان يعرف منه، فأنزل الله الآية التي في ﴿ لا أقسم بيوم القيامة﴾: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه﴾ قال علينا أن نجمعه في صدرك وقرآنه ﴿ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ فإذا أنزلناه فاستمع ﴿ ثم إن علينا بيانه﴾ علينا أن نبينه بلسانك، قال فكان إذا أتاه جبريل أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده الله).

قوله : [**﴿ أولى لك فأولى ﴾ : توّعُد**]

ش : قاله أبو عبيدة .

وأخرج ابن جرير عن سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة ﴿ أولى لك فأولى . ثم أولى لك فأولى ﴾ : وعيدٌ على وعيد ، كما تسمعون ، زُعِم أنْ أُنزل في عدوا لله أبي جهل . انتهى محل الغرض

آخر تفسير سورة القيامة و لله الحمد والمنة.



٤٠٩ - سورة ﴿هل أتى على الإنسان﴾ بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿**ألم تنزيل**﴾ السجدة و ﴿**هل أتى على الإنسان**﴾ رواه مسلم.

قال الجمهور: هي مدنية، وأخرج النحاس عن ابن عباس أنها نزلت بمكة وكذا قال مقاتل والكلبي.

وآياتها احدى وثلاثون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**يقال معناه: أتى على الإنسان، (وهل) تكون جحداً، وتكون خبراً، وهذا من الخبر يقول: كان شيئاً فلم يكن مذكوراً، وذلك من حين خلقه من طين إلى أن ينفخ فيه الروح**].

ش: قال الفراء: معناه قد أتى على الإنسان حين من الدهر (وهل) قد تكون جحداً وتكون خبراً هذا من الخبر.

وقال أبو عبيدة: مجازها قد أتى على الإنسان، ليس باستفهام.

وأخرج ابن جرير عن قتادة وسفيان ﴿**هل أتى على الإنسان**﴾ آدم عليه السلام.

والآية المشار إليها ﴿**هل أتى على الإنسان حيناً من الدهر لم يكن شيئاً مذكور**﴾.

٢ - [﴿**أمشاج**﴾ **الأخلاط ماء المرأة وماء الرجل الدم والعلقة ويقال إذا خلط مشيج كقولك: خليط، وممشوج مثل مخلوط**].

ش: قاله الفراء.

والآية المشار إليها ﴿**إنا خلقناه من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً**﴾.

٣ - [**ويقرأ** ﴿**سلاسلاً وأغلالاً**﴾ **ولم يجر بعضهم**].

ش: قاله الفراء: «وسلاسلا قرأه نافع وأبو بكر وهشام والكسائي بالتنوين وقرأ الباقون بغير تنوين، وكلهم وقف عليه بالألف، إلا حمزة وقُنْبُلاً فإنهما وقفا بغير ألف». حكاه مكي (٢/٣٥٢).

والآية المشار إليها ﴿**إنا اعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً**﴾.

٤ - [﴿مستطيراً﴾ ممتداً البلاء].

ش: قاله الفراء وزاد والعرب تقول استطار الصدع في القارورة وشبهها، واستطال. ا.هـ

وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض.

والآية المشار إليها **﴿يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً﴾**.

٥ - [القمطرير: الشديد، يقال: يوم قمطرير ويوم قماطر].

ش: قاله الفراء وزاد: وانشدني بعضهم:

بني عمنا هل تذكرون بلاءنا   عليكم إذا ما كان يوم قماطر

٦ - [والعبوس والقمطرير والقماطر والعصيب: أشد ما يكون من الأيام في البلاء].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها **﴿إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً﴾**.

٧ - [وقال الحسن: النضرة في الوجه: والسرور في القلب].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني يعقوب: ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن فذكره.

وأخرج عن قتادة مثله.

والآية المشار إليها **﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً﴾**.

٨ - [وقال ابن عباس: ﴿الأرائك﴾ السرر].

ش: ثبت هذا للنسفي والجرجاني، قاله الحافظ هنا وأخرج ابن جرير من طريق العوفيين عن ابن عباس قال: الحجال، وأخرج عن قتادة: الحجال فيها الأسرة وأخرج عن مجاهد السرر في الحجال.

والآية المشار إليها ﴿**متكئين فيها على الأرائك، لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً**﴾.

٩ - [وقال البراء: ﴿وذللت قطوفها﴾ يقطفون كيف شاؤوا].

ش: ثبت هذا للنسفي وحده أيضا، وقد وصله سعيد بن منصور عن شريك عن أبي اسحاق عن البراء في قوله ﴿**وذللت قطوفها تذليلاً**﴾ قال: إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياماً وقعوداً ومضجَعين وعلى أي حال شاءوا. ا.هـ من الفتح.

قلت: وأخرج ابن جرير عن سفيان قال: يتناوله كيف يشاء جالساً ومتكئاً.

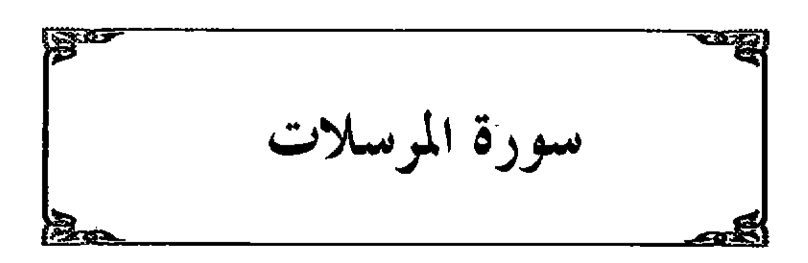
والآية المشار إليها ﴿**ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً**﴾.

١٠ - [وقال معمر ﴿أسرهم﴾ شدة الخلق، وكل شيء شددته من قتب وغبيط فهو ما سور].

ش: قاله أبو عبيدة وهو معمر بن المثنى وأخرج ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد وقتادة قالوا: خلقهم.

والآية المشار إليها ﴿**نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً**﴾.

آخر تفسير سورة الإنسان والحمد لله.



٤١٠ - سورة والمرسلات

ش: شاهد التسمية ظاهر في أول آية.

وفيه حديث ابن مسعود عند المصنف (كنا مع رسول الله ﷺ وأنزلت عليه والمرسلات) وسيأتي.

وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر قال قتادة إلا آية فيها هي قوله ﴿**وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون**﴾.

وآياتها خمسون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد ﴿جمالات﴾ حبال].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث: ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره، وبه قال ابن عباس وسعيد بن جبير وهو **أحد** ثلاثة أقوال حكاها في الآية.

ثانيها: أنها النوق السود وإنما قيل لها صفر وهي سود لأن ألوان الأبل سود تضرب إلى الصفرة، وهو قول الحسن وقتادة والرواية الثانية عن مجاهد.

ثالثها: أنها قطع النحاس وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية عنه،واختار ابن جرير الثاني منها: لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وإن الجمالات جمع جمال، نظير رجال ورجالات، وبيوت وبيوتات.

تنبيه

قال المصنف حكاية عن مجاهد (جمالات) على وزن فعالات وهي أحدى القراءتين في الآية قال مكي (٢/٣٥٨): قرأه حفص وحمزة والكسائي جمالت علىوزن فعالة.

جعلوه جمع جمل كأنه جمع على فعال على (جمال) ثم لحقته هاء التأنيث لتأنيث الجمع كما قالوا (فحل وفحال وفحاله) فالوقف عليه بالهاء، لأنه كقائمة وضاحكة وقرأ الباقون جمالات) بالألف والتاء جعلوه جمع جمالة علىحد التثنية فهو جمع الجمع. اهـ

والآية المشار إليها **﴿إنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر﴾**.

٢ - [﴿اركعوا﴾ صلوا، ﴿لا يركعون﴾ لا يصلون].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله.

والآية المشار إليها **﴿وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون﴾**.

٣ - [وسئل ابن عباس: ﴿لا ينطقون﴾ ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ ﴿اليوم نختم على أفواههم﴾ فقال: إنه ذو ألوان، مره ينطقون، ومره نختم عليهم].

ش: قال عبد بن حميد: ثني سليمان بن حرب ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي الضحى أن نافع بن الأزرق وعطية أتيا ابن عباس فقالا: يا ابن عباس أخبرنا عن قول الله ﴿ **هذا يوم لاينطقون**﴾ وقوله ﴿ **ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون**﴾ وقوله ﴿**والله ربنا ما كنا مشركين**﴾ وقوله ﴿**ولا يكتمون الله حديثاً**﴾ قال ويحك يا ابن الأزرق إنه يوم طويل وفيه مواقف، تأتي عليهم ساعة لا ينطقون ثم يؤذن لهم فيختصمون، ثم يكون ما شاء الله يحلفون ويجحدون، فإذا فعلوا ذلك ختم الله على أفواههم، ويأمر جوارحهم، فتشهد على أعمالهم ماصنعوا، ثم تنطق ألسنتهم، فيشهدون على أنفسهم بما صنعوا قال وذلك قوله ﴿**ولا يكتمون الله حديثا**﴾. ا.هـ من التغليق (٤/٣٥٦).

وقال في الفتح: وروى ابن مردوية من حديث عبادة بن الصامت قال: **قلت:** لعبدالله بن عمرو بن العاص أرأيت قول الله ﴿**هذا يوم لا ينطقون**﴾ فقال إن يوم القيامة له حالات وتارات، في حال لا ينطقون وفي حال ينطقون).

ولابن أبي حاتم من طريق معمر عن قتادة قال: إنه يوم ذو لوان. ا.هـ

٤٤٥ - ثني محمود: ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه قال: (كنا مع رسول الله ﷺ وأنزلت عليه ﴿ والمرسلات﴾ وإنا لنتلقاها من فيه، فخرجت حية فابتدرناها، فسبقتنا فدخلت جحرها، فقال رسول الله ﷺ: وقيت شركم كما وقيتم شرها).

حدثنا عبدة بن عبدا لله[١] أخبرنا يحيى بن آدم[٢] عن إسرائيل عن منصور بهذا، وعن إسرائيل عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبدا لله مثله، وتابعة أسود بن عامر[٣] عن إسرائيل. وقال حفص وأبو معاوية وسليمان بن قرم[٤] عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود. قال يحيى بن حماد أخبرنا أبو عوانة عن مغيرة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد ا لله وقال ابن إسحاق عن عبدالرحمن بن الأسود عن أبيه عن عبد ا لله.

٤٤٦ – حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود قال: قال عبد ا لله (بينا نحن مع رسول ا لله ﷺ في غار إذ نزلت عليه ﴿والمرسلات﴾ فتلقيناها من فيه وإن فاه لرطب بها إذ خرجت حية، فقال رسول ا لله ﷺ: عليكم، اقتلوها، قال فابتدرناها فسبقتنا، قال فقال: وقيت شركم كما وقيتم شرها).

ش: فيهما خمس مسائل:

الأولى: قوله: «كنا مع رسول ا لله ﷺ» في رواية الأسود وهي الرواية الثانية (بينا نحن مع رسول ا لله ﷺ في غار) وفي الإحصار باب ما يقتل المحرم من الدواب من رواية حفص بن غياث عن أبيه عن الأعمش، عن إبراهيم عن الأسود عن عبدا لله رضي ا لله عنه قال: بينما نحن مع رسول ا لله ﷺ في غار بمنى).

---

(١) هو أبو سهل عبدة بن عبد ا لله الصفار الخزاعي البصري، كوفي الأصل، ثقة من الحادية عشرة مات سنة ثمان وخمسين [ومائتين] وقيل في التي قبلها خ، ٤.

(٢) هو أبوزكريا يحيى بن آدم بن سليمان الكوفي مولى بني أمية ثقة حافظ فاضل من كبار التاسعة مات سنة ثلاث ومائتين ع.

(٣) هو أبو عبد الرحمن الأسود بن عامر الشامي نزيل بغداد ويلقب شاذان ثقة من التاسعة مات في أول سنة ثمان ومائتين ع.

(٤) هو أبو داود سليمان بن قرم بن معاذ البصري النحوي ومنهم من ينسبه إلى جده، سيء الحفظ يتشيع، من السابعة خت، د، ت، س.

قال الحافظ: وهذا أصح - يعني رواية حفص بن غياث - مما أخرج الطبراني في الأوسط من طريق أبي وائل عن ابن مسعود قال: (بينما نحن عند النبي ﷺ على حراء).

الثانية: قوله: «**وأنزلت عليه ﴿والمرسلات﴾ وإنا لنتلقاها من فيه**» وفي الرواية الثانية (إذ نزلت عليه ﴿**والمرسلات**﴾ فتلقيناها من فيه، وإن فاه لرطب بها).

الثالثة: قوله: «**فخرجت حية**» في الإحصار (إذ وثبت علينا حية).

الرابعة: قوله: «**فابتدرناها فسبقتنا فدخلت جحرها**» في الرواية الثانية فقال رسول الله ﷺ (عليكم اقتلوها) قال فابتدرناها فسبقتنا) وفي الإحصار (فابتدرناها فذهبت) وعند النسائي (فابتدرناها فدخلت جحرها) ومعنى فسبقتنا أي بإعتبار ما آل إليه أمرها، وحاصل هذه الروايات أنهم أرادوا أن يسبقوا إلى قتلها، فسبقتهم إلى الدخول في جحرها.

الخامسة: قوله: «**وقيت شركم، كما وقيتم شرها**» عند مسلم في السلام باب قتل الحياة وغيرها (وقاها الله شركم كما وقاكم شرها).

فائدة

اخرج مسلم في باب قتل الحيات من كتاب السلام من طريق حفص بن غياث عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ (أمر محرماً بقتل حية بمنى).

فقد تكون هذه القصة هي الواردة في حديث الباب وقد تكون غيرها ولا منافاة.

من فقه الحديثين

أولاً: جواز قتل الحيات في الحل والحرم فإن قلت: هل ينذرن قلنا هذا خاص بذوات البيوت لما رواه البخاري وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:

بينا أنا أطارد حية لأقتلها فناداني أبو لبابة لا تقتلها فقلت: إن رسول الله ﷺ قد أمر بقتل الحيات، فقال إنه نهى بعد ذلك عن ذوات البيوت وهن العوامر).

ثانياً: لا يتبع منها مالاذ بجحره لأن المقصود دفع أذيتها.

٤١١ - [باب قوله: ﴿إنها ترمي بشرر كالقصر﴾]

ش: يخبر جل ثناؤه بأن جهنم تقذف بشرر عظيم ومن عظمه أنه كالقصر بتسكين الصاد المهملة وقد اختلف من قرأ هذه القراءة في معناه على قولين:

أحدهما: أنه واحد القصور وهو قول ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب القرضي.

وثانيهما: أنه الغليظ من الخشب كأصول النخل وما أشبه ذلك وبه قال قتادة والضحاك والحسن وهو قول ابن عباس ومجاهد في الرواية الثانية عنهما حكى هذين القولين ابن جرير واختار أولهما.

قلت: وظاهر اللفظ يؤيده.

والثاني هو قول الأكثرين وظهر من إيراد المصنف لحديث ابن عباس في الباب أنه يختاره.

٤٤٧ - ثنا محمد بن كثير: أخبرنا سفيان: ثنا عبد الرحمن بن عابس قال سمعت ابن عباس: ﴿إنها ترمي بشرر كالقصر﴾ قال: كنا نرفع الخشب بقصر ثلاثة أذرع أو أقل، فنرفعه للشتاء، فنسميه القصر.

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله: «**كنا نرفع الخشب**» في رواية يحيى في الباب بعده (كنا نعمد إلى الخشبة ثلاثة أذرع أو فوق ذلك).

الثانية: قوله: «**كنا نرفع الخشب بقصر**» وعند ابن جرير برواية وكيع (خشب كنا ندخره للشتاء) والقصر بكسر الموحدة والقاف وفتح الصاد المهملة وتنوين الراء وبالإضافة أيضاً وهو بمعنى الغاية والقدر تقول قصرك وقصاراك من كذا ما اقتصرت عليه).

الثالثة: قوله: «**ثلاثة أذرع أو أقل**» في الباب بعده (أو فوق ذلك) وعند ابن جرير (وفوق ذلك ودون ذلك).

الرابعة: قوله: «**فنرفعه للشتاء فنسميه القصر**» بسكون الصاد وبفتحها وهو على الثاني جمع قصرة أي كأعناق الإبل ويؤيده قراءة ابن عباس كالقصر بفتحتين وقد حكاها ابن جرير بصيغة التمريض.

٤١٢ - [باب قوله ﴿كأنه جمالات صفر﴾]

ش: شبه جل ثناؤه الشرر الذي ترمى به النار بإعتبار لونه بالجمالة الصفر، وقد قدمنا في الباب الأول من تفسير هذه السورة إختلاف أهل التفسير في معنى جمالة واختلاف القراءات فيها.

٤٤٨ - ثنا عمرو بن علي: ثنا يحيى: أخبرنا سفيان: ثني عبدالرحمن بن عابس: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ترمي بشرر﴾ كنا نعمد إلى الخشبة ثلاثة أذرع أو فوق ذلك، فنرفعه للشتاء، فنسميه القصر، ﴿كأنه جمالات صفر﴾ حبال السفن تجمع حتى تكون كأوساط الرجال.

ش: قوله «**﴿كأنه جمالات صفر..الخ﴾**» هو من تتمة الحديث وقد أخرجه عبد الرزاق وابن جرير واللفظ له كلاهما عن سفيان الثوري عن عبدالرحمن بن عابس سمعت ابن عباس سئل عن **﴿جمالات صفر﴾** قال: حبال السفن تجمع بعضها إلى بعض حتى تكون كأوساط الرجال.

قال مقيده: وقد مضى في تفسير أول السورة أنه قال به غير ابن عباس: مجاهد وسعيد بن جبير ويظهر من صنيع المصنف أنه يختاره. والله أعلم.

٤١٣ - [باب قوله ﴿هذا يوم لا ينطقون﴾]

ش: يقول تعالى ذكره لهـؤلاء المكذبين بثواب الله وعقابه ﴿هـذا يوم لا ينطقون﴾ يخبر عنهـم أنهـم لا ينطقـون في بعـض أحـوال ذلـك اليـوم لا أنهـم لا ينطقون ذلك اليوم كله، وقد قدمنا في أول تفسير هـذه السـورة مـا جمـع بـه ابـن عباس بين هذه الآية وبين قوله ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ وقوله ﴿اليوم نختم على أفواههم﴾.

٤٤٩ - حدثنا عمر بن حفـص بـن غيـاث حدثنـا أبـي حدثنـا الأعمـش حدثني إبراهيم عن الأسود (عن عبد الله قال: بينما نحن مع النـبيﷺ في غـار، إذ نزلت عليه ﴿والمرسلات﴾ فإنـه ليتلوهـا وإنـي لأتلقاهـا مـن فيـه، وإن فـاه لرطب بها، إذ وثبت علينا حية، فقال النبيﷺ: اقتلوهـا. فابتدرناهـا فذهبـت، فقال النبيﷺ: وقيت شركم كما وقيتم شرها). قال عمر: حفظته من أبي (في غار بمنى).

ش: قوله: (قال عمر حفظته من أبي في غار بمنى) يعني أن أباه زاد بعد قوله في الحديث (كنا مع النبي ﷺ في غار بمنى) وقـد حكينـا هـذه الزيـادة في المسـألة الأولى من الباب الأول في تفسير هذه السورة.

آخر تفسير سورة المرسلات و لله الحمد والمنة.

سورة عم يتساءلون

٤١٤ - سورة ﴿عم يتساءلون﴾

ش: وفي المصحف النبأ وشاهد التسمية لكليهما ظاهر.

وهي مكية عند الجميع أخرج النحاس وابن الضريس وابن مردوية والبيهقي: عن ابن عباس قال نزلت بمكة.

وآياتها أربعون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**قال مجاهد: ﴿لا يرجون حساباً﴾ لا يخافونه**].

ش: وصله الفريابي كما حكاه الحافظ في هذا الموضع من الفتح وأخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: (لا يبالون فيصدقون بالغيب) وأخرجه بلفظ المصنف عن قتادة قال: (لا يخافون).

والآية المشار إليها **﴿إنهم كانوا لا يرجون حساباً﴾**.

٢ - [**﴿لا يملكون منه خطاباً﴾ لا يكلمونه إلا أن يأذن لهم**].

ش: لم أجده عن مجاهد بلفظ المصنف وأخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله ولفظه كلاماً، وحكاه البغوي عن مقاتل بلفظ (لا يقدر الخلق على أن يكلموا الرب إلا بإذنه).

والآية المشار إليها **﴿رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطاباً﴾**.

٣ - [**﴿صواباً﴾ حقاً في الدنيا وعمل به**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

والآية المشار إليها **﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً﴾**.

٤ - [**وقال ابن عباس: ﴿وهاجا﴾ مضيئاً**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وأخرج نحوه عن مجاهد وقتادة وسفيان.

والآية المشار إليها **﴿وجعلنا سراجاً وهاجاً﴾**.

٥ - [**﴿ثجاجاً﴾ منصباً**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد ما قبله، وأخرج مثله عن مجاهد وقتادة والربيع وعن سفيان نحوه وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: الكثير وهو قول ابن وهب،واختار ابن جرير قول ابن عباس ومن وافقه.

٦ - [**﴿ألفافاً﴾ ملتفة**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن سعد: ثني أبي: ثني عمي: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس بلفظ: (جنات إلتف بعضها ببعض). وأخرجه بلفظ المصنف عن مجاهد وسفيان وابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿وجنات ألفافاً﴾**.

٧ - [**وقال غيره ﴿غساقاً﴾ غسقت عينه، ويغسق الجرح: يسيل كأن الغساق والغسيق واحد**].

ش: قال أبو عبيدة: وهوماهمى أي سال ويقال: قد غسقت من العين ومن الجرح ويقال: عينه تغسق أي تسيل.

والآية المشار إليها **﴿لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً﴾**.

٨ - [**﴿عطاءً حساباً﴾ جزاءً كافياً، أعطاني ما أحسبني أي كفاني**].

ش: قاله أبو عبيدة، وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: عطاء كثيراً،فجزاهم بالعمل اليسير الخير الجسيم الذي لا انقطاع له.

والآية المشار إليها **﴿جزاءً من ربك عطاءً حساباً﴾**.

٤١٥ - [باب ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً﴾]

ش: قوله ﴿يوم ينفخ في الصور﴾ ترجم بيوم ينفخ عن يوم الفصل فكأنه قيل يوم الفصل كان أجلاً لما وعدنا هؤلاء القوم، يوم ينفخ في الصور.

قلت: والصور هو القرن الذي ينفخ فيه الملك الموكل بالنفخ والمشهور أن ذلك الملك هو اسرافيل وهذه النفخة الثانية.

وقوله ﴿فتأتون أفواجاً﴾ أي إلى موضع العرض زمراً زمراً وجماعات جماعات وهي جمع فوج.

[﴿أفواجاً﴾ زمراً].

ش: هذا تفسير لأفواج. أخرجه ابن جرير عن مجاهد.

٤٥٠ - ثني محمد: أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ما بين النفختين أربعون، قال: أربعون يوماً؟ قال: أبيت. قال: أربعون شهراً قال: أبيت. قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت. قال: ثم ينزل الله من السماء ماءً، فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة).

ش: تقدم في سورة الزمر ضمن الباب التاسع والتسعين بعد المائتين.

آخر تفسير سورة النبأ والحمد لله .

سورة النازعات

٤١٦- سورة والنازعات

ش: وشاهد التسمية ظاهر.

أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردوية والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة النازعات بمكة.

وآياتها ست وأربعون.

شرح جملة من الآثار والكلمات

١- [﴿زجرة﴾ صيحة].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد وأخرج عن ابن زيد الزجـرة قـال النفخـة في الصور.

والآية المشار إليها ﴿فإنما هي زجرة واحدة﴾.

٢ - [وقال مجاهد: ﴿ترجف الراجفة﴾ هي الزلزلة].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثني أبو عاصم: ثنا عيسى وثـني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها ﴿يوم ترجف الراجفة﴾.

٣ - [﴿الآية الكبرى﴾ عصاه ويده].

ش: أخرجه ابن جريـر عـن مجـاهد بإسـناد الـذي قبلـه، وأخـرج مثلـه عـن الحسن وقتادة وعن ابن زيد معناه.

والآية المشار إليها ﴿فأراه الآية الكبرى﴾.

٤ - [﴿سمكها﴾ بناها بغير عمد].

ش: قال الحافظ: ثبت هذا هنا للنسفي وحده.

قلت: ولعله يريد ﴿رفع سمكها فسواها﴾.

وأخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله.

والآية المشار إليها ﴿رفع سمكها فسواها﴾.

٥ - [﴿طغى﴾ عصى].

ش: ثبت هذا للنسفي وحده، وقد وصلـه الفريـابي مـن طريـق مجـاهد بـه، حكاه الحافظ هنا.

والآية المشار إليها ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾.

٦ ـ **[يقال: الناخرة والنَّخِرة سواء، مثل الطامع والطمع، والباخل والبخل. وقال بعضهم النخرة البالية والناخرة العظم المجوف الذي تمر فيه الريح فينخر].**

ش: قاله الفراء.

والآية المشار إليها ﴿**أءذا كنا عظاماً نخرة**﴾.

٧ - **[وقال ابن عباس: ﴿الحافرة﴾ إلى أمرنا الأول، إلى الحياة].**

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس بلفظ (الحافرة) الحياة.

وقال الفراء: يقال إلى أمرنا الأول إلى الحياة.

وأخرج ابن جرير مثل قول ابن عباس عن محمد بن كعب القرضي والسدي وهو **أحد** أقوال ثلاثة في الآية.

ثانيها: أنها الأرض وبه قال مجاهد.

وثالثها: النار وهو قول ابن زيد حكاها ابن جرير ويظهر من تفسيره للآية أنه يختار قول ابن عباس ومن وافقه وليس القول الثاني ببعيد عنه.

والآية المشار إليها : ﴿ **يقولون أإنا لمردودون في الحافرة** ﴾

٨ - **[وقال غيره: ﴿أيان مرساها﴾ متى منتهاها، ومرسى السفينة حيث تنتهي].**

ش: قاله أبو عبيدة، وقال الفراء: يقول القائل: إنما الإرساء للسفينة والجبال وما أشبههن فكيف وصفت الساعة بالإرساء؟ **قلت:** هي بمنزلة السفينة إذا كانت جارية فرست ورسوها قيامها. ا.هـ

والآية المشار إليها ﴿**يسئلونك عن الساعة أيان مرساها**﴾.

٩ - **[﴿الراجفة﴾ النفخة الأولى، ﴿الرادفة﴾ النفخة الثانية].**

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس، وأخرج معناه عن الحسن وقتادة والضحاك وهو **أحد** ثلاثة أقوال حكاها في هاتين الكلمتين.

وثانيها: أن الراجفة الزلزلة والرادفة هو قوله ﴿**إذا السماء انشقت**﴾ وقوله ﴿فدكتا دكة واحدة﴾ وهو قول مجاهد.

وثالثها: الراجفة يوم ترجف الأرض والرادفة الساعة وبه قال ابن زيد واختار ابن جرير في نفسير الآية قول ابن عباس ومن وافقه.

والآيتان المشار إليهما ﴿**يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة**﴾.

٤٥١ - **ثنا أحمد بن المقدام، ثنا الفضيل بن سليمان ثنا أبو حازم ثنا سهل بن سعد رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ قال بإصبعيه هكذا، بالوسطى والتي تلي الإبهام: بعثت أنا والساعة كهاتين).**

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله: «**رأيت رسول الله ﷺ قال بإصبعيه هكذا**» في الرقاق باب قول النبي ﷺ بعثت أنا والساعة كهاتين من رواية سعيد بن أبي مريم (ويشير بإصبعيه فيمدهما).

الثانية: قوله: «**بالوسطى والتي تلي الإبهام**» في الطلاق باب اللعان (قرن بين السبابة والوسطى) وعند مسلم في الفتن باب قرب الساعة برواية يعقوب عن أبي حازم (يشير بإصبعه التي تلي الإبهام والوسطى) وعنده من حديث أنس: (وضع السبابة والوسطى).

الثالثة: قوله «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» في الطلاق (بعثت أنا والساعة كهذه من هذه أو كهاتين) وعند مسلم من رواية يعقوب (بعثت أنا والساعة هكذا) والمعنى قيل المراد بينهما شيء يسير كما بين الإصبعين في الطول، وقيل هو اشارة إلى قرب المجاورة.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**قال ابن عباس: ﴿أغطش﴾: أظلم**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وأخرج عن مجاهد وقتادة والضحاك وعكرمة وابن زيد مثله.

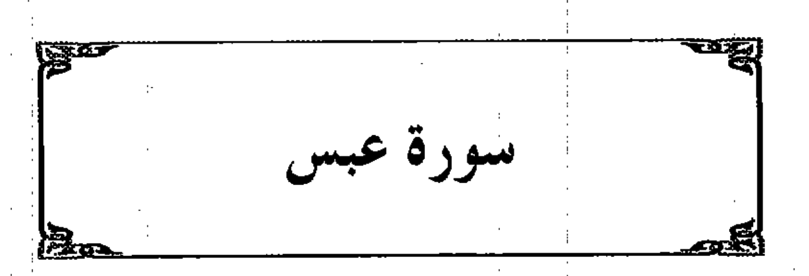
والآية المشار إليها **﴿وأغطش ليلها وأخرج ضحاها﴾**.

٢ - [**﴿الطامة﴾ تَطُمُّ كلَّ شيء**].

ش: قاله الفراء وليس هو قول ابن عباس كما يفهم من ظاهر السياق.

والآية المشار إليها **﴿فإذا جاءت الطامة الكبرى﴾**

آخر تفسير سورة النازعات والحمد لله.



٤١٧ - سورة عبس بسم ا لله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردوية والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة عبس بمكة، وأخرج ابن مردوية عن ابن الزبير مثله وآياتها اثنتان وأربعون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [﴿عبس وتولى﴾ كلح وأعرض].

ش: أما تفسير ﴿**عبس**﴾ فهو لأبي عبيد، حكاه الحافظ، وأما تفسير تولى بأعرض فأخرج الترمذي والحاكم في تفسير السورة كلاهما من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: أنزل ﴿**عبس وتولى**﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر...الحديث).

٢ - [وقال غيره: ﴿مطهرة﴾ لا يمسها إلا المطهرون وهم الملائكة وهذا مثل قوله ﴿فالمدبرات أمراً﴾ جعل الملائكة والصحف مطهرة، لأن الصحف يقع عليها التطهير، فجعل التطهير لمن حملها أيضاً.].

ش: قاله الفراء، وبه قال ابن عباس وابن زيد.

وهو **أحد** أقوال ثلاثة حكاها ابن جرير.

ثانيها: أنهم الكتبة، وهو قول قتادة وهو الرواية الثانية عن ابن عباس.

ثالثها: أنهم القراء، وبه قال قتادة في الرواية الثانية عنه.

واختار ابن جرير الرواية الأولى عن ابن عباس ومن وافقه.

والآية المشار إليها ﴿**مرفوعة مطهرة**﴾.

٣ - [وقال مجاهد: الغلب: الملتفة].

ش: وقع في رواية النسفي وحده هنا، قاله الحافظ، وقال (٦/٢٩٦)، عند قول الشيخ قال مجاهد ألفافاً ملتفة، والغلب: الملتفة. وصلهما عبد بن حميد من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

قلت: وبه قال ابن عباس وهو **أحد** أربعة أقوال حكاها ابن جرير في الآية.

وثانيها: أنها الشجر يستظل به في الجنة وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية.

وثالثها: أنها الطوال قاله ابن عباس في الرواية الثالثة.

ورابعها: أنه النخل الكرام وهو قول قتادة وعكرمة وابن زيد ويظهر من تفسير ابن جرير للآية أنه يختار الأول.

والآية المشار إليها ﴿**وحدائق غلباً**﴾.

٤ - [**والأب: ما يأكل الأنعام**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بلفظ ما أكلت الأنعام والخلاف لفظي وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك وابن زيد وأبو رزين وهو **أحد** قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أنه الثمار الرطبة وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية واختار ابن جرير في تفسير الآية الأول وهو قول الأكثر ين كما رأيت.

والآية المشار إليها: ﴿**وفاكهة وأبا**﴾.

٥ - [﴿**سفرة**﴾ **الملائكة واحدهم سافر، سفرت: أصلحت بينهم وجعلت الملائكة - إذا نزلت بوحي الله وتأديته كالسفير الذي يصلح بين القوم**].

ش: قاله الفراء وزاد: قال الشاعر:

وما أدع السفارة بين قومي وما أمشي بغش إن مشيت

والآية المشار إليها ﴿**بأيدي سفرة**﴾.

٦ - [**وقال غيره** ﴿**تصدى**﴾ **تغافل عنه**].

ش: الذي وجدته عند أبي عبيدة: في قوله تعالى: ﴿**فأنت له تصدى**﴾ تعرّض له.

والآية المشار إليها ﴿**فأنت له تصدى**﴾.

٧ - [**وقال مجاهد:** ﴿**لما يقض**﴾ **لا يقضي أحد ما أمر به**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها ﴿**كلا لما يقض ما أمره**﴾.

٨ - [وقال ابن عباس : ﴿ ترهقها ﴾ : تغشاها شدة].

ش:وصله ابن أبي حاتم من طريق علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس به .

وأخرج الحاكم من طريق أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله تعالى ﴿ وحُملت الأرض والجبال فدُكتا دكّة واحدة ﴾ يصيران غَبَرةً على وجوه الكفار لاعلى وجوه المؤمنين ، وذلك قوله تعالى ﴿ وجوه يومئذٍ عليها غَبَرَة ترهقها قترة﴾ .حكاه الحافظ .

وأخرج ابن جرير : ثني علي ، قال: ثنا أبو صالح ، ثني معاوية عن علي عن ابن عباس ، قوله ﴿ ترهقها قتَرَة ﴾ : يقول : تغشاها ذلة.

والآية المشار إليها ﴿ **ترهقها قترة** ﴾

٩ - [﴿ مسفرة ﴾ : مشرقة].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد الذي قبله .

وعزاه الحافظ إلى ابن أبي حاتم .

والآية المشار إليها ﴿ **وجوهٌ يومئذٍ مسفرة** ﴾

١٠ - [وقال ابن عباس: كتبة أسفاراً، كتباً].

ش: في نسخة الحافظ: ﴿**بأيدي سفرة**﴾.وقال ابن عباس:...

قلت: وأخرجه ابن جرير: ثني عليّ: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس بلفظ كتبة.

وأخرج عن ابن عباس عند قوله من سورة الجمعة (كمثل الحمار يحمل أسفاراً) من طريق العوفيين: الأسفار الكتب.

والآية المشار إليها تقدمت ضمن الأثر الخامس.

١١ - [**﴿تلهى﴾ تشاغل**].

ش: لم أقف عليه عن ابن عباس وقال أبو عبيدة: (تغافل بغيره).

والآية المشار إليها **﴿فأنت عنه تلهى﴾**.

١٢ - [**يقال واحد الأسفار سفر**].

ش: قال أبو عبيدة في الآية السابقة من سورة الجمعة: (واحدها سفر وهو الكتاب) ولا أدري ما مناسبتها هنا.

١٣ - [**﴿فأقبره﴾ يقال: أقبرت الرجل جعلت له قبراً، قبرته دفنته**].

ش: قال أبو عبيدة: أمر بأن يقبر قالت بنو تميم لعمر بن هبيرة لما قتل صالح بن عبد الرحمن أقبرنا صالحاً قال دونكموه، والذي يدفن بيده هو القابر. ا.هـ

والآية المشار إليها **﴿فأماته فأقبره﴾**.

٤٥٢ - ثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا قتادة قال سمعت زرارة بن أوفى[(١)] يحدث عن سعد بن هشام[(٢)] عن عائشة عن النبي ﷺ قال: (مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران).

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله: «**مثل الذي يقرأ القرآن**» أي صفته وهو كقوله **﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾** وكقوله **﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾**.

الثانية: قوله: «**وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة**» وعند مسلم في صلاة المسافرين باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع به من رواية أبي عوانة (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة) وعند الترمذي في تفسير السورة من

---

(١) هو أبو حاجب زرارة بن أوفى العامري الحرشي البصري قاضيها، ثقة عابد من الثالثة، مات فجأة في الصلاة سنة ثلاث وتسعين ع.

(٢) سعد بن هشام بن عامر الأنصاري المدني، ثقة من الثالثة، استشهد بأرض الهند ع.

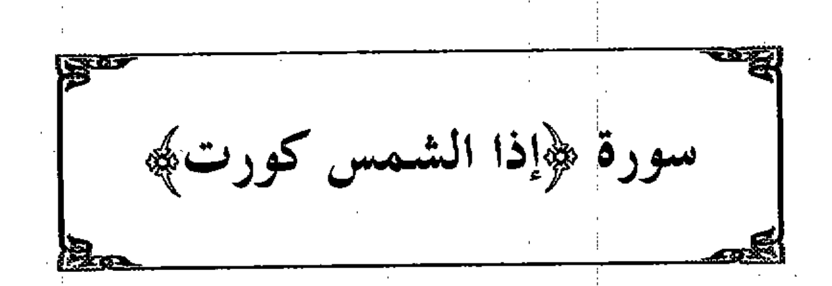
رواية أبي داود (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة) والماهر هو الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة لجودة حفظه واتقانه.

الثالثة: قوله «**ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران**».

عند مسلم (والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران) أي الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه فله أجران أجر بالقراءة وأجر بتعتعته في تلاوته ومشقته.

قال القاضي وغيره من العلماء: وليس معناه الذي يتتعتع عليه له من الأجر أكثر من الماهر به بل الماهر أفضل وأكثر أجراً لأنه مع السفرة، وله أجور كثيرة ولم يذكر هذه المنزلة لغيره وكيف يلحق به من لم يعتن بكتاب الله وحفظه واتقانه وكثرة تلاوته وروايته كاعتنائه حتى مهر فيه) ا.هـ حكاه النووي ج٦ ص٨٥ وقال الحافظ: قال ابن التين: اختلف هل له ضعف أجر الذي يقرأ القرآن حافظاً أو يضاعف له أجره وأجر الأول أعظم؟ قال: وهذا أظهر. ا.هـ

آخر تفسير سورة عبس والحمد لله .



٤١٨ - سورة ﴿إذا الشمس كورت﴾ بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله : من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ ﴿**إذا الشمس كورت**﴾، و﴿**إذا السماء انفطرت**﴾، و ﴿**إذا السماء انشقت**﴾.

وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردوية والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة ﴿**إذا الشمس كورت**﴾ بمكة.

وأخرج ابن مردوية عن عائشة وابن الزبير مثله.

وآياتها تسع وعشرون.

شرح جملة من الآثار والكلمات :

١ - [**﴿انكدرت﴾ انتثرت**].

ش: قاله الفراء وزاد وقعت على وجه الأرض، وأخرجه ابن جرير عن أبي صالح ومجاهد والربيع بن خثيم وقتادة وابن زيد وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أي تغيرت وهو قول ابن عباس.

والآية المشار إليها: **﴿وإذا النجوم انكدرت﴾**.

٢ - [**وقال الحسن: ﴿سجرت﴾ ذهب ماؤها فلا تبقى قطرة**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا يعقوب: ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن بلفظ (يبست) وهو قول قتادة وهو **أحد** ثلاثة أقوال حكاها في الآية.

ثانيها: بمعنى اشتعلت ناراً وحميت وبه قال أبي بن كعب وعلي بن أبي طالب وابن عباس وابن زيد وشمر بن عطية وسفيان.

وثالثها: بمعنى فاضت، وهو قول الربيع بن خثيم والكلبي والضحاك، واختار ابن جرير ثالثها.

والآية المشار إليها: **﴿وإذا البحار سجرت﴾**.

٣ - [**وقال مجاهد: ﴿المسجور﴾ المملوء**].

ش: تقدم في تفسير سورة الطور الأثر الخامس في الباب السادس والثلاثين بعد الثلاثمائة.

٤ - [**وقال غيره ﴿سجرت﴾ أفضى بعضها إلى بعض فصارت بحراً وأحداً**].

ش: قاله الفراء وهو يوافق قول الكلبي والضحاك والربيع بن خثيم.

٥ - [**والخنس: تخنس في مجراها: ترجع، وتكنس: تستتر كما تكنس الظباء**].

ش: قاله الفراء وزاد قبله: وهي النجوم الخمسة.

وزاد في آخره: في المغار وهو الكناس الخمسه بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري.

والآية المشار إليها: ﴿**فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس**﴾.

٦ - [﴿**تنفس**﴾ **ارتفع النهار**].

ش: قاله الفراء وزاد: فهو تنفس الصبح.

والآية المشار إليها: ﴿**والصبح إذا تنفس**﴾.

٧ - [﴿**الظنين**﴾ **المتهم، والضنين يضِن به**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد (ويضَن).

قلت: وهذا التفسير موافق لقراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي وقرأ الباقون بالضاد على معنى ببخيل أي ليس محمد ببخيل في بيان ما أوحي إليه وكتمانه. حكى القراءتين مكي.

والآية المشار إليها: ﴿**وما هو على الغيب بظنين**﴾.

٨ - [**وقال عمر:** ﴿**النفوس زوجت**﴾ **يزوج نظيره من أهل الجنة والنار ثم قرأ** ﴿**احشروا الذين ظلموا وأزواجهم**﴾].

ش: قال ابن مردوية في تفسيره: ثنا أبو عمرو هو ابن حكيم، ثنا محمد بن عبد الوهاب، ثنا آدم، ثنا حماد بن سلمة، ثنا سماك بن حرب، سمعت النعمان بن بشير: سمعت عمر بن الخطاب يقول: في قوله ﴿**وإذا النفوس زوجت**﴾ فسكتوا، فقال عمر: لكني أعرفه، هو الرجل يزوج نظيره من أهل الجنة، والرجل يزوج نظيره من أهل النار يوم القيامة ثم قرأ ﴿**احشروا الذين ظلموا وأزواجهم**﴾ حكاه في التغليق هنا وأخرج ابن جرير والحاكم كلاهما عن سفيان عن سماك بن حرب عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿**وإذا النفوس**

زوجت﴾ قال هما الرجلان يعملان العمل يدخلان به الجنة والنار الفاجر مع الفاجر والصالح مع الصالح). وا لله أعلم

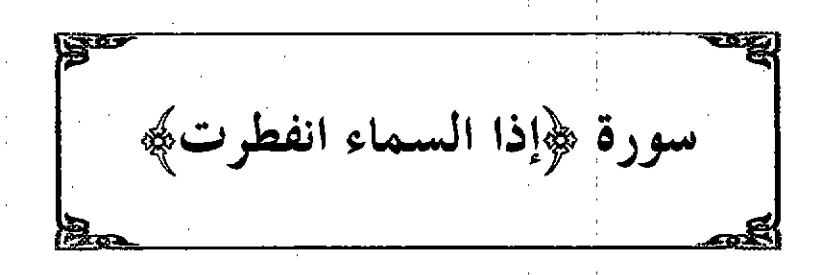
والآية المشار إليها: **﴿وإذا النفوس زوجت﴾**.

٩ - [**﴿عسعس﴾ أدبر**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وعلي بن أبي طالب ومجاهد وقتادة والضحاك وهو **أحد** قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: بمعنى أقبل وبه قال الحسن وعطية واختار ابن جرير قول ابن عباس ومن وافقه قال وذلك لقوله **﴿والصبح إذا تنفس﴾** يقول بذلك على أن القسم بالليل مدبراً وبالنهار مقبلاً.

آخر تفسير سورة التكوير والحمد لله.



٤١٩ - سورة ﴿إذا السماء انفطرت﴾ بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وعن جابر قال: قام معاذ فصلى العشاء الآخرة فطول فقال النبي : (أفتان أنت يا معاذ؟) أين كنت عن سبح اسم ربك الأعلى والضحى وإذا السماء انفطرت؟)

أخرجاه ولكن ذكر **﴿إذا السماء انفطرت﴾** في أفراد النسائي.

وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردوية عن ابن عباس قال: **أنزلت ﴿إذا السماء انفطرت﴾** بمكة.

وآياتها تسع عشرة آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**انفطارها: انشقاقها**].

ش: قال الفراء: (انفطرت) انشقت.

والآية المشار إليها ﴿**إذا السماء انفطرت**﴾.

٢ - [**ويذكر عن ابن عباس ﴿بعثرت﴾ يخرج من فيها من الأموات**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس بلفظ: بحثت)

والآية المشار إليها: ﴿**وإذا القبور بعثرت**﴾.

٣ - [**وقال الربيع بن خثيم ﴿فجرت﴾ فاضت**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا أبو كريب: ثنا وكيع عن سفيان عن أبيه عن أبي يعلى عن ربيع بن خثيم فذكره.

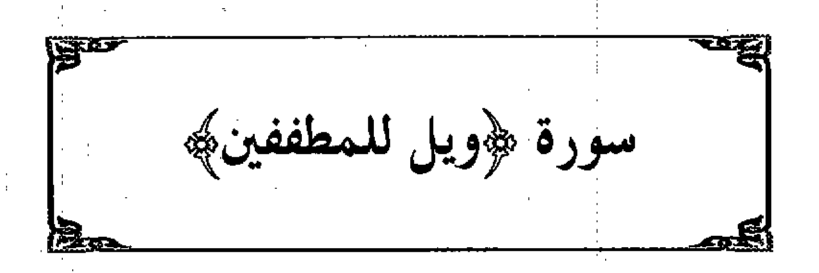
والآية المشار إليها: ﴿**وإذا البحار فجرت**﴾.

٤ - [**وقرأ الأعمش وعاصم (فعدلك) بالتخفيف وقرأه أهل الحجاز بالتشديد، وأراد معتدل الخلق، ومن خفف يعني في أي صورة شاء، إما حسن وإما قبيح وطويل أو قصير**].

ش: قاله الفراء.

قلت: وحكى القراءتين ابن جرير.

آخر تفسير سورة الإنفطار.



٤٢٠ - سورة ﴿ويل للمطففين﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

قال القرطبي هي مكية في قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل ومدنية في قول الحسن وعكرمة، وقال الكلبي وجابر بن زيد: نزلت بين مكة والمدينة.

وآياتها ست وثلاثون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**وقال مجاهد: ﴿ران﴾ ثبت الخطايا**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: انبثت على قلبه الخطايا حتى غمرته.

وأخرج نحوه عن ابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد.

ورواه الحافظ في التغليق من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: اثبت على قلوبهم الخطايا حتى غمرتها.

وهذه الأقوال متفقة على أن الران هو الختم على القلوب من جراء المعاصي.

روى الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجة من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب منها صقل قلبه وإن زاد زادت فذلك قول الله تعالى ﴿**كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**﴾.

والآية المشار إليها: ﴿**كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**﴾.

٢ - [**﴿ثوب﴾ جوزي**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها ﴿**هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون**﴾.

٣ - [**وقال غيره: ﴿المطفف﴾ :لا يوفي غيره**].

ش: قال أبو عبيدة: المطفف الذي لا يوفي على الناس من الناس.

والآية المشار إليها ﴿**ويل للمطففين**﴾.

٤ - [**الرحيق: الخمر**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن وابن مسعود وابن زيد وقال أبو عبيدة: الرحيق الذي ليس فيه غش، رحيق معرق من مسك أو خمر.

والآية المشار إليها ﴿**يسقون من رحيق مختوم**﴾.

٥ - [﴿**ختامه مسك**﴾ **طينته**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد وابن زيد وهو **أحد** أقوال ثلاثة حكاها في الآية.

وثانيها: بمعنى مزاجه وخلطه مسك وبه قال ابن مسعود وعلقمة.

وثالثها: بمعنى أن آخر شرابهم يختم بمسك يجعل فيه وهو قول ابن عباس وقتادة والضحاك وإبراهيم النخعي والحسن وأبي الدرداء واختار ابن جرير ثالثها.

والآية المشار إليها ﴿**ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون**﴾.

٦ - [**التسنيم: يعلو شراب أهل الجنة**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد والكلبي.

والآية المشار إليها: ﴿**ومزاجه من تسنيم**﴾.

٤٥٣ - ثنا إبراهيم بن المنذر: ثنا معن قال ثني مالك عن نافع عن عبدا لله بن عمر رضي ا لله عنهما: أن النبي ﷺ قال: ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه).

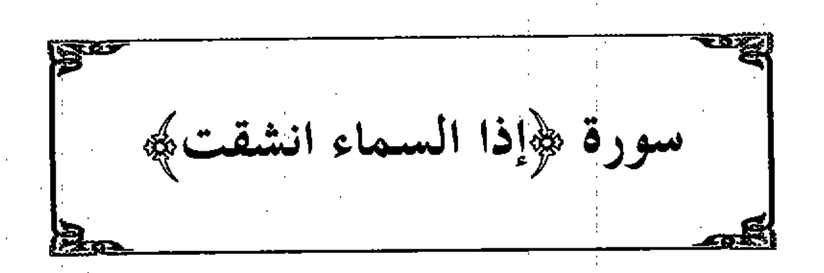
ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى قوله «**يوم يقوم الناس لرب العالمين**» والمعنى يوم يقومون من قبورهم لأمر رب العالمين أو لجزائه أو لحسابه أو لحكمه وقضائه، وفي وصف اليوم بالعظيم مع قيام الناس لله خاضعين فيه ووصفه سبحانه لكونه رب العالمين دلالة على عظم ذنب التطفيف، ومزيد إثمه وفظاعة عقابه.

الثانية: قوله «**حتى يغيب أحدهم في رشحه**» في الرقاق باب قول ا لله **تعالى** ﴿**يوم يقوم الناس لرب العـالمين**﴾ مـن روايـة أيـوب (يقـوم أحدهـم في رشـحه) وعند الترمذي في تفسير السورة من رواية أيوب (يقومون في الرشح).

الثالثة: قوله: «**إلى أنصاف أذنيه**» هو من اضافة الجميـع إلى الجميـع حقيقـة ومعنى، لأن لكل واحد أذنين، وعند مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب في صفة يوم القيامة من حديث المقداد قال: سمعـت رسـول ا لله يقـول: (تدنـى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل) فيكون الناس علـى قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويـه، ومنهـم مـن يلجمـه العـرق إلجامـاً، وأشـار رسـول ا لله إلى فيه) وسبب كثرة العرق وبلغه هذا الحد من كل إنسـان ثلاثـة أمـور وهي تراكم الأهوال، ودنو الشمس من رؤسهم وزحمة بعضهم بعضاً.

آخر تفسير سورة المطففين.



٤٢١ - سورة ﴿إذا السماء انشقت﴾

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وعن أبي سلمة أن أبا هريرة قرأ بهم ﴿**إذا السماء انشقت**﴾ فسجد فيها فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله سجد فيها رواه مسلم والنسائي.

وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردوية والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة الإنشقاق بمكة.

وآياتها خمس وعشرون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [قال مجاهد ﴿كتابه بشماله﴾ يأخذ كتابه من وراء ظهره].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو، ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثني الحارث: ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: (يجعل يده من وراء ظهره).

والآية المشار إليها هي الخامسة والعشرون من سورة الحاقة.

٢ - [﴿أذنت﴾ سمعت واطاعت لربها].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله، وأخرج عن ابن عباس وقتادة والضحاك مثله.

والآية المشار إليها **﴿وأذنت لربها وحقت﴾**.

٣ - [﴿وألقت ما فيها﴾ من الموتى ﴿وتخلت﴾ عنهم].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله، وأخرج عن قتادة نحوه.

والآية المشار إليها **﴿وألقت ما فيها وتخلت﴾**.

٤ - [﴿وسق﴾ جمع من دابة].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله، وأخرجه أيضاً عن ابن عباس وقتادة وابن زيد والحسن.

والآية المشار إليها **﴿والليل وما وسق﴾**.

٥ - [﴿ظن أن لن يحور﴾ لا يرجع إلينا].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ماقبله، وأخرج عن ابن عباس وقتادة وسفيان وابن زيد نحوه.

والآية المشار إليها **﴿إنه ظن أن لن يحور﴾**.

٤٢٢ – [باب ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾]

ش: **قلت:** الآية مرتبطة بما قبلها وهي قوله تعالى **﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾**.

والمعنى يقول تعالى ذكره فأما من أعطى كتاب أعماله بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً بأن ينظر في أعماله فيغفر له سيئها، ويجازى على حسنها.

٤٥٤ – ثنا عمرو بن علي: ثنا يحيى: عن عثمان بن الأسود: سمعت ابن أبي مليكة: سمعت عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت النبيﷺ:...

ثنا سليمان بن حرب، ثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة عن عائشة عن النبيﷺ...

ثنا مسدد عن يحيى عن أبي يونس حاتم بن أبي صغيرة[1] عن ابن أبي مليكة عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ (ليس أحد يحاسب إلا هلك) قالت: قلت: يا رسول الله، جعلني الله فداءك، أليس يقول الله عز وجل: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ قال (ذاك العرض يعرضون، ومن نوقش الحساب هلك).

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله: «**ليس أحد يحاسب إلا هلك**» في العلم باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه من رواية نافع عن ابن عمر (من حوسب عذب) وفي الرقاق باب من نوقش الحساب عذب من رواية عثمان بن الأسود (من نوقش الحساب

(١) هو أبو يونس حاتم بن أبي صغيرة، وأبو صغيرة اسمه مسلم، وهو جده لأمه وقيل زوج أمه ثقة من السادسة، ع.

عذب) وعند مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها باب اثبات الحساب من رواية أيوب (من حوسب يوم القيامة عذب).

قال القاضي: وقوله عذب له معنيان:

أحدهما: أن نفس المناقشة وعرض الذنوب والتوقيف عليه هو التعذيب لما فيه من التوبيخ.

والثاني: أنه مفض إلى العذاب بالنار ويؤيده قوله في الرواية الأخرى هلك مكان عذب هذا كلام القاضي وهذا الثاني هو الصحيح ومعناه أن التقصير غالب في العباد فمن استقصى عليه ولم يسامح هلك ودخل النار ولكن الله تعالى يعفو ويغفر ما دون الشرك لمن شاء. حكاه النووي (١٧/٢٠٨).

الثانية: قوله: «**قلت يا رسول الله جعلني الله فداءك**» وفي العلم (كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه).

الثالثة: قوله: «**أليس يقول الله عز وجل ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾**»، وفي العلم (أوليس يقول الله تعالى **﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾** وعند مسلم من رواية عبد الرحمن (أليس الله يقول **﴿حساباً يسيراً﴾**.

الرابعة: قوله «**ذلك العرض يعرضون**» وفي العلم (إنما ذلك العرض) وعند مسلم من رواية أيوب (ليس ذلك الحساب إنما ذلك العرض)، وفي حديث ابن عمر وهو مخرج في الصحيحين قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس ويقرره بذنوبه ويقول له: أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أن

قد هلك قال فإني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته).

الخامسة: قوله: «**ومن نوقش الحساب هلك**» في الرقاق (وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب).

من فقه الحديث

أولاً: ينبغي للسائل في الأمور المهمة تقديم عبارةٍ لطيفة توطئةً لسؤاله.

ثانياً: الإيمان بالحساب والجزاء وأن الناس قسمان أحدهما : حسابه بعرض أعماله وايقافه عليها، والثاني: مناقَشٌ عُرضةٌ للهلاك.

٤٢٣ - [باب ﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾]

ش: قوله تعالى **﴿لتركبن﴾** أي أيها الناس **﴿طبقاً عن طبق﴾** أي أطواراً متعددة وأحوالاً متباينة من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى نفخ الروح، ثم يكون وليداً وطفلاً ومميزاً، ثم يجري عليه قلم التكليف، والأمر والنهي، ثم يموت بعد ذلك ثم يبعث ويجازى بأعماله، فهذه الطبقات المختلفة الجارية على العبد، دالة على أن الله وحده هو المعبود، الموجد، المدبر لعباده بحكمته ورحمته، وأن العبد فقير، عاجز، تحت تدبير العزيز الرحيم.

فائدة

قال ابن القيم: «وأنت إذا تأملت هذا المقسم به والمقسم عليه وجدته من أعظم الآيات الدالة على الربوبية، وتغيير الله سبحانه ـ للعالم وتصريفه لها كيف أراد، ونقله إياه من حال إلى حال، وهذا محال أن يكون بنفسه من غير فاعل مدبر له، ومحال أن يكون فاعله غير قادر ولا حي، ولا مريد ولا حكيم، ولا عليم، وكلاهما في الإمتناع سواء.

فالمقسم به وعليه من أعظم الأدلة على ربوبيته وتوحيده، وصفات كماله وصدقه وصدق رسله، وعلى المعاد». ا.هـ من التبيان (ص٧١).

من فقه الآية

أولاً: لله تعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته أما العبد فليس له أن يقسم بغير الله.

ثانياً: في الآية إثبات أنواع التوحيد الثلاثة وهذا يظهر جلياً فيما قدمناه.

٤٥٥ - ثنا سعيد بن النضر: أخبرنا هشيم: أنا أبو بشير جعفر بن إياس عن مجاهد قال: قال ابن عباس: (﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾ حالاً بعد حال، قال هذا نبيكم ﷺ).

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله: ﴿**لتركبن**﴾ اختلفت القراء في قراءته على قراءتين:

إحداهما: قراءة عمر بن الخطاب وابن مسعود وأصحابه وابن عباس وعامة قراء مكة والكوفة ﴿**لتركبن**﴾ بفتح التاء والباء، واختلف قارئوا ذلك كذلك في معناه على أربعة أقوال:

أولها: أن معناه لتركبن يا محمد أنت حالاً بعد حال وأمراً بعد أمر من الشدائد وهو قول مجاهد وعكرمة والحسن ومرة بن كعب وسعيد بن المسيب والضحاك.

وثانيها: أن معناه لتركبن أنت يا محمد سماء بعد سماء وبه قال ابن مسعود ومسروق والشعبي وهو الرواية الثانية عن الحسن.

وثالثها: أن معناه لتركبن يا محمد الآخرة بعد الأولى وبه قال ابن زيد.

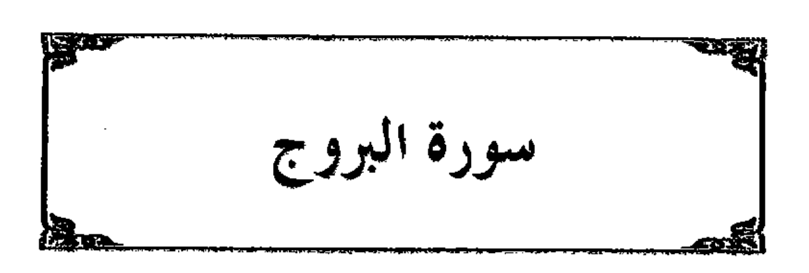
ورابعها: أن معناه أن السماء تتغير ضروباً من التغيير، وتشقق بالغمام وهو قول عبدالله بن مسعود في الرواية الثانية عنه.

القراءة الثانية: قراءة عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين (لتركبن) بفتح التاء وبضم الباء على وجه الخطاب للناس كافة أنهم يركبون أحوال الشدة حالاً بعد حال. حكى القراءتين والمعنى على كل منهما ابن جرير.

الثانية: قوله: ﴿**طبقاً عن طبق**﴾ فسره بقوله حالاً بعد حال وهو إحدى الروايات عن ابن عباس، وأخرج ابن جرير عن أبي إسحاق عن رجل عنه قال: منزلاً بعد منزل، وأخرج من طريق العوفيين قال أمراً بعد أمر، وليس بين هذه الروايات اختلاف إلا في اللفظ.

الثالثة: قوله: «**قال هذا نبيكم ﷺ**» في رواية يعقوب عند ابن جرير قال: (يعني نبيكم ﷺ حالاً بعد حال) وعنده من رواية شعبة (قال محمد ﷺ) **قلت:** وبقول ابن عباس هذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وسعيد بن المسيب والضحاك ومرة بن كعب.

آخر تفسير سورة ﴿إذا السماء انشقت﴾.



٤٢٤ - سورة البروج

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بـ﴿**السماء ذات البروج**﴾ و ﴿**السماء والطارق**﴾.

وهي مكية بالإجماع ويدل لذلك ما أخرجه ابن الضريس والنحاس وابن مردوية والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت ﴿**والسماء ذات البروج**﴾ بمكة.

وآياتها اثنتان وعشرون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**وقال مجاهد: ﴿الأخدود﴾ شق في الأرض**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثني الحارث: ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: (كان شقوق في الأرض بنجران، كانوا يعذبون فيها الناس).

والآية المشار إليها: **﴿قتل أصحاب الأخدود﴾**.

٢ - [**﴿فتنوا﴾ عذبوا**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله، وأخرج عن ابن عباس وقتادة والضحاك وابن أبزى نحوه.

والآية المشار إليها: **﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق﴾**.

٣ - [**وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿الودود﴾ الحبيب**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وأخرج عن ابن زيد نحوه.

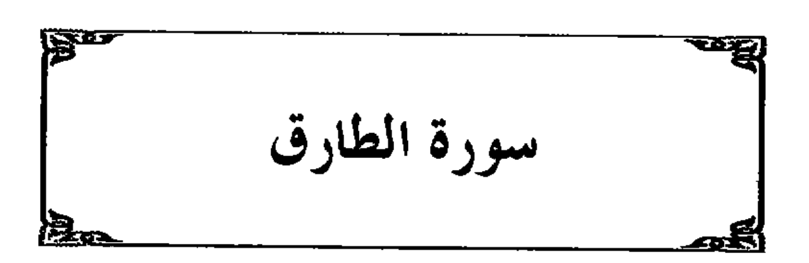
والآية المشار إليها: **﴿وهو الغفور الودود﴾**.

٤ - [**﴿المجيد﴾ الكريم**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد الذي قبله.

والآية المشار إليها **﴿ذو العرش المجيد﴾**.

آخر تفسير سورة البروج والحمد لله.



٤٢٥ - سورة الطارق

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وهي مكية بلا خلاف، وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردوية والبيهقي عن ابن عباس رضي ا لله عنهما قال: نزلت والسماء والطارق بمكة.

وآياتها سبع عشرة آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**الطارق هو النجم، وما أتاك ليلاً فهو طارق**].

ش: قاله الفراء وزاد: لأنه يطلع بالليل.

والآية المشار إليها: ﴿**والسماء والطارق**﴾.

٢ - [﴿**النجم الثاقب**﴾ **المضيء**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وبه قال الفراء وأبو عبيدة.

٣ - [**وقال مجاهد:** ﴿**الثاقب**﴾ **الذي يتوهج**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثني الحارث: ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها ﴿**النجم الثاقب**﴾.

٤ - [**وقال مجاهد:** ﴿**ذات الرجع**﴾ **سحاب يرجع بالمطر**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله بلفظ: (السحاب يمطر ثم يرجع بالمطر).

وأخرج عن ابن عباس وقتادة وعكرمة والحسن والضحاك نحوه.

وهو **أحد** قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أن المراد به شمسها وقمرها يغيب ويطلع، وبه قال ابن زيد وعلى الأول مشى ابن جرير في تفسيره.

والآية المشار إليها ﴿**والسماء ذات الرجع**﴾.

٥ - [﴿**ذات الصدع**﴾ **تتصدع بالنبات**].

ش: قال الفريابي: ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: (ذات النبات) حكاه في التغليق هنا، وأخرج ابن جرير المعنى عن ابن عباس وقتادة والحسن وعكرمة والضحاك وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿**والأرض ذات الصدع**﴾.

٦ - [**وقال ابن عباس: ﴿لقول فصل﴾ لحق**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وأخرج عن قتادة معناه.

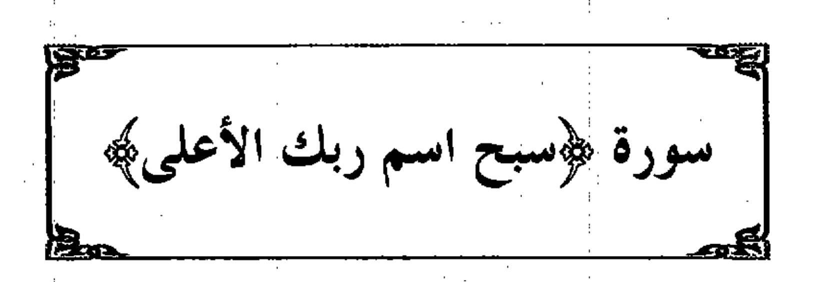
والآية المشار إليها ﴿**إنه لقول فصل**﴾.

٧ - [**﴿لما عليها حافظ﴾ إلا عليها حافظ**].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس. حكاه في الفتح.

والآية المشار إليها ﴿**إن كل نفس لما عليها حافظ**﴾.

آخر تفسير سورة الطارق.



٤٢٦ - سورة ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وتقدم حديث معاذ وفيه ذكر سورة الأعلى. وسيأتي حديث البراء عند المصنف وفيه: فما جاء حتى قرأت **﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾** في سور مثلها .

قال الضحاك هي مدنية، وأخرج ابن مردوية عن الزبير وعائشة أنها نزلت بمكة.

وآياتها تسع عشرة آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**وقال مجاهد: ﴿قدر فهدى﴾ قدر للإنسان الشقاء والسعادة، وهدى الأنعام لمراتعها**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ هدى الإنسان للشقوة والسعادة، وهدى الأنعام لمراتعها.

وهو **أحد** قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أنه بمعنى هدى الذكور لمأتي الإناث.

وقد أخرجه في تفسير قوله تعالى **﴿قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾**

(١٧٢/٩)، عن ابن عباس والسدي.

واختار ابن جرير أن الله عم بقوله (فهدى) الخبر عن هدايته خلقه ولم يخصص من ذلك معنى دون معنى. ا.هـ

قلت وهذا اختيار حسن.

والآية المشار إليها **﴿والذي قدر فهدى﴾**.

٢ - [**وقال ابن عباس ﴿غثاءاً أحوى﴾ هشيماً متغيراً**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وأخرج عن مجاهد وقتادة وابن زيد نحوه.

والآية المشار إليها **﴿فجعله غثاءً أحوى﴾**.

٤٥٦ - ثنا عبدان: أخبرني أبي عن شعبة[١] عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه قال: أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلا يقرئاننا القرآن، ثم جاء عمار وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبي ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله ﷺ قد جاء، فما جاء حتى قرأت ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ في سور مثلها).

ش: فيه تسع مسائل:

الأولى: قوله: «**أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير**» في رواية عن شعبة عند الحاكم في الإكليل) عن عبد الله بن رجاء في روايته (من المهاجرين) وعند ابن أبي شيبة (أول من قدم علينا المدينة) قال الحافظ: زاد في رواية عبد الله بن رجاء عن اسرائيل عن أبي اسحاق عند الإسماعيلي (أخو بني عبد الدار بن قصي والده عمير.

قلت: وكان مقدم مصعب المدينة بعد بيعة العقبة الأولى.

قال ابن إسحاق (١/٤٣٤) (فلما انصرف عنه القوم، بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ين قصي، وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمي المقرئ بالمدينة مصعب، وكان منزله على أسعد بن زرارة بن عدس أبي أمامة).ا.هـ

الثانية: قوله «**وابن أم مكتوم**» هو عمرو بن زائدة أو ابن قيس بن زائدة ويقال زيادة، القرشي، العامري ابن أم مكتوم مؤذن رسول الله ﷺ الأعمى

---

(١) هو عثمان بن جبلة أبن أبي رواد العتكي مولاهم المروزي، ثقة من كبار العاشرة، مات على رأس المائتين خ، م، س.

الصحابي المشهور، قديم الإسلام، ويقال اسمه عبد الله، ويقال الحصين، كان النبي ﷺ يستخلفه على المدينة، مات في آخر خلافة عمر د، س، ق. وقد وقع في رواية ابن أبي شيبة (ثم أتانا بعده عمرو بن أم مكتوم الأعمى أخو بني فهر، فقلنا ما فعل رسول الله ﷺ وأصحابه؟ قال هم على أثري) وفي رواية عبد الله بن رجاء (من وراءك).

الثالثة: قوله: «**ثم جاء عمار**» في فضائل الصحابة باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة من رواية غندر (فقدم) وهو أبو اليقظان عمار بن ياسر بن عامر بن مالك العنسي مولى بني مخزوم صحابي جليل مشهور من السابقين الأولين، بدري، قتل مع علي بصفين سنة سبع وثلاثين، ع.

الرابعة: قوله: «**وبلال**» هو أبو عبدالله بلال بن رباح المؤذن وقد تقدمت ترجمته.

الخامسة: قوله: «**وسعد**» زاد في رواية الحاكم (ابن مالك) وهو ابن أبي وقاص أحد العشرة وأول من رمى بسهم في سبيل الله وهو صاحب القادسية. وقد تقدمت ترجمته.

السادسة: قوله: «**ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين**» في رواية عبد الله بن رجاء (في عشرين راكباً) وقد سمى ابن إسحاق ثلاثة عشر رجلاً وهم (زيد بن الخطاب وسعيد بن زيد بن عمرو وعمرو بن سراقة وأخوه عبدالله وواقد بن عبد الله وخالداً وإياساً وعامراً وعاقلاً بني البكير وخنيس بن حذاقة وعياش بن ربيعة وخولي بن أبي خولي وأخوه) قال ابن إسحاق (٤٧٧/١): فنزلوا جميعاً على رفاعة بن عبد المنذر بقباء).

السابعة: قوله: «**ثم جاء النبي ﷺ، فمارأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به**» عند النسائي في تفسير السورة ثم قدم رسول الله ﷺ فمارأينا أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ).

الثامنة: قوله: «**حتى رأيت الولائد والصبيان، يقولـون: هـذا رسـول ا لله قد جاء**» في الفضائل (حتى جعل الإماء يقلـن قـدم رسـول ا لله ﷺ) وفي روايـة عبد ا لله بن رجـاء (فخـرج النـاس حـين قـدم المدينـة في الطـرق وعلـى البيـوت، والغلمان والخدم[1] جـاء محمـد رسـول ا لله، ا لله أكـبر، جـاء محمـد رسـول ا لله) وروى ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عـن عـروة بـن الزبـير عـن عبـد الرحمن بن عويمر بن ساعدة قال حدثني رجـال مـن قومـي مـن أصحـاب رسـول ا لله ﷺ قالوا: لما سمعنا بمخرج رسول ا لله ﷺ من مكـة، وتوكفنـا قدومـه، كنـا نخرج إذا صلينا الصبح، إلى ظاهر حرتنـا ننتظـر رسـول ا لله ﷺ، فـوا لله مـا نـبرح حتى تغلبَنا الشمس على الظلال فإذا لم نجـد ظـلا دخلنـا، وذلـك في أيـام حـارة، حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول ا لله ﷺ جلسنا كما كنا نجلس، حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا وقدم رسول ا لله ﷺ حين دخلنا البيوت، فكان أول من رآه رجل من اليهود، وقد رأى ما كنا نصنع، وإنا ننتظـر قـدوم رسـول ا لله ﷺ علينا، فصرخ بأعلى صوته: يا بني قيلة، هـذا جدكـم قـد جـاء قـال فخرجنـا إلى رسول ا لله ﷺ وهو في ظل نخلة، ومعه أبـو بكـر رضـي ا لله عنـه في مثـل سـنه، وأكثرنا لم يكن رأى رسول ا لله ﷺ قبل ذلك، وركبه النـاس ومـا يعرفونـه مـن أبي بكر حتى زال الظل عن رسول ا لله ﷺ فقام أبو بكر فاظلـه بردائـه، فعرفنـاه عند ذلك. ا.هـ

التاسعة: قوله: «**فما جاء حتى قرأت ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ في سور مثلها**» في الفضائل (فما قدم حتى قرأت ﴿**سبح اسم ربك الأعلى**﴾ في سور من المفصل).

---

(١) لعله سقط من قلم الناسخ: (وهم يقولون) أو نحو ذلك.

ومقتضاه أن ﴿**سبح اسم ربك الأعلى**﴾ مكية، وهذا ظاهر من لفظ الحديث وقد أخرج ابن أبي حاتم من طريق حيدة أن قوله تعالى ﴿**قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى**﴾ نزلت في صلاة العيد وزكاة الفطر) قال الحافظ: و سنده حسن وكل منهما شرع في السنة الثانية فيمكن الجمع بأن نزول السورة كان بمكة ونزول هاتين الآيتين كان بالمدينة ثم بين النبي ﷺ أن المراد بصلى صلاة العيد ويتزكى زكاة الفطر فإن تأخير البيان عن وقت الخطاب جائز).

قلت: وهذا الجمع حسن يندفع به الإشكال ويزول به التعارض.

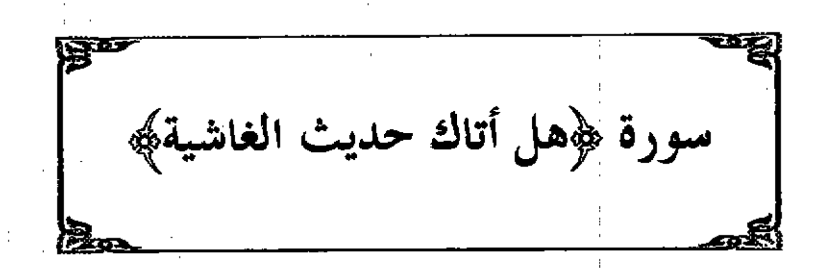
من فقه الحديث

أولاً: في فرح الأنصار بمقدم رسول الله ﷺ دليل على كمال محبتهم له وأعظم بذلك من منقبة.

ثانياً: على الإمام أن يبعث إلى الأقطار من يرشد الناس ويبصرهم بدين الله.

ثالثاً: فضيلة مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم.

آخر تفسير سورة الأعلى.



٤٢٧ - سورة ﴿**هل أتاك حديث الغاشية**﴾ بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وأخرج ابن مردوية عن ابن الزبير أنها نزلت بمكة.

وآياتها ست وعشرون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال ابن عباس ﴿عاملة ناصبة﴾ النصارى].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة، ومن طريق شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس وزاد: اليهود، وذكر الثعلبي من رواية أبي الضحى عن ابن عباس قال الرهبان، حكاه الحافظ، وقال ابن جرير (عاملة في النار وقوله ناصبة يقول ناصبة فيها) وأخرج في المعنى عن ابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿عاملة ناصبة﴾**.

٢ - [وقال مجاهد: ﴿عين آنية﴾ بلغ إناها وحان شربها].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى، وثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ (قد بلغت إناها...)

ضمن القائلين أن معناه أنى حرها فبلغ غايته في شدة الحر وهم ابن عباس والحسن وقتادة وهو **أحد** قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: بمعنى من عين حاضرة وهو قول ابن زيد.

قلت: ولا منافاة بين القولين، فإن تلك العين قد أحضرت للقوم مع بلوغها الغاية في الحرارة.

والآية المشار إليها **﴿تسقى من عين آنية﴾**.

٣ - [﴿حميم آن﴾ بلغ إناه].

ش: قلت: هذه الآية هي الرابعة والأربعون من سورة الرحمن وقد ذكرها المصنف هنا على سبيل الإستشهاد وما حكاه في تفسيرها أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وأخرج في المعنى عن ابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم.

٤ - [﴿**لا تسمع فيها لا غية**﴾ **شتماً**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وأخرج عن ابن عباس وقتادة نحوه.

والآية المشار إليها ﴿**لا تسمع فيها لا غية**﴾.

٥ - [**ويقال الضريع: نبت يقال له الشبرق، يسميه أهل الحجاز الضريع إذا يبس وهو سم**].

ش: قاله الفراء وفي الآية ثلاثة أقوال هذا أحدها وبه قال مختصراً ابن عباس ومجاهد وقتادة وعكرمة وشريك بن عبد الله.

وثانيها: أنه الحجارة وهو قول سعيد بن جبير.

وثالثها: شجر من النار وبه قال ابن زيد وابن عباس في الرواية الثانية عنه حكى هذه الأقوال ابن جرير واختار في تفسير الآية أول هذه الأقوال.

والآية المشار إليها ﴿**ليس لهم طعام إلا من ضريع**﴾.

٦ - [﴿**بمسيطر**﴾ **بمسلط، ويقرأ بالصاد والسين**].

ش: قال الفراء: بمسلط والكتاب (بمصيطر) والمصيطرون بالصاد والقراءة بالسين، ولو قرئت بالصاد كان مع الكتاب وكان صواباً.

قلت: وفي الآية ثلاث قراءات إحداها: بالسين وهي قراءة هشام.

والثانية: بين الصاد والزاي وهي قراءة حمزة.

وثالثها: بالصاد وهي قراءة الباقين، حكاها مكي.

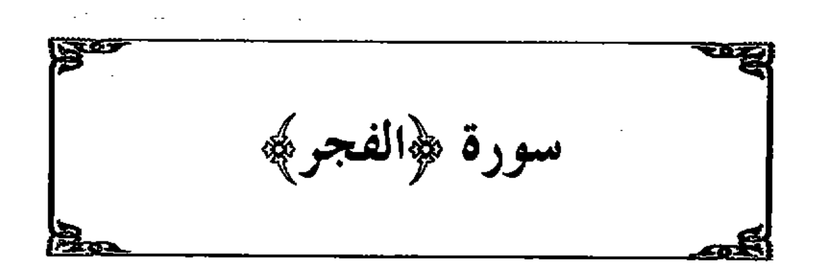
والآية المشار إليها ﴿**لست عليهم بمصيطر**﴾.

٧ - [**وقال ابن عباس** ﴿**إيابهم**﴾ **مرجعهم**].

ش: وصله ابن المنذر من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، وذكره ابن أبي حاتم عن عطاء ولم يجاوز به. حكاه في الفتح.

والآية المشار إليها ﴿**إن إلينا إيابهم**﴾.

آخر تفسير سورة الغاشية والحمد لله.



٤٢٨ - سورة الفجر

ش: وشاهد التسمية واضح.

وهي مكية بلا خلاف يدل لذلك ما أخرجه ابن الضريس والنحاس وابن مردوية والبيهقي من طرق عن ابن عباس قال: نزلت والفجر بمكة.

وآياتها ثلاثون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**وقال مجاهد: ﴿الوتر﴾ الله**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا ابن حميد: ثنا مهران عن سفيان عن جابر عن مجاهد فذكره.

وهو قول ابن عباس وأبي صالح وهو أحد خمسة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: أنه يوم عرفة قاله عكرمة والضحاك والرواية الثانية عن ابن عباس.

وثالثها: أنه اليوم الثالث من أيام النحر وبه قال ابن زيد.

ورابعها: أنهم الخلق، وهو قول مجاهد في الرواية الثانية عنه وبه قال الحسن.

وخامسها: أنها الصلوات منها وتر ومنها شفع وهو قول عمران بن حصين والربيع بن أنس وهو الرواية الثانية عن قتادة.

واختار ابن جرير في تفسيره العموم فقال: والصواب من القول في ذلك أن يقال إن الله تعالى ذكره أقسم بالشفع والوتر ولم يخصص نوعاً من الشفع، ولا من الوتر دون نوع بخبر ولا عقل وكل شفع ووتر فهو مما أقسم به.

والآية المشار إليها: ﴿**والشفع والوتر**﴾.

٢ - [**﴿إرم ذات العماد﴾ يعني القديمة، والعماد أهل عمود لا يقيمون**].

ش: قال الفريابي: ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره، حكاه في التغليق.

وأخرجه ابن جرير من هذا الوجه بلفظ: (القديمة) وهو أحد أقوال ستة حكاها في الآية.

وثانيها: أنها الإسكندرية وبه قال القرظي.

وثالثها: أنها دمشق وهو قول المقبري.

ورابعها: بمعنى الأمة وهو قول مجاهد في الرواية الثانية.

وخامسها: أنها قبيلة من عاد وبه قال قتادة وابن إسحاق.

وسادسها: بمعنى الهالك وهو قول ابن عباس والضحاك والذي اختاره ابن جرير في تفسير الآية إنها إما بلدة كانت عاد تسكنها وإما إسم قبيلة. ا.هـ

والآية المشار إليها ﴿**إرم ذات العماد**﴾.

٣ - [**﴿سوط عذاب﴾ الذي عذبوا به**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره. وبه قال ابن زيد والسوط كلمة تقولها العرب لكل نوع من العذاب تدخل فيه السوط جرى به الكلام والمثل ونرى ذلك أن السوط من عذابهم الذي يعذبون به، فجرى لكل عذاب إذ كان فيه عندهم غاية العذاب، قاله الفراء.

والآية المشار إليها ﴿**فصب عليهم ربك سوط عذاب**﴾.

٤ - [**﴿أكلاً لما﴾ السف**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ماقبله، وأخرج معناه عن ابن عباس وقتادة والضحاك وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿**وتأكلون التراث أكلاً لما**﴾.

٥ - [**وجماً: الكثير**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله، وأخرج معناه عن ابن عباس وقتادة والضحاك وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿**وتحبون المال حباً جماً**﴾.

٦ - [**وقال مجاهد: كل شيء خلقه فهو شفع، السماء شفع والوتر ا لله تبارك وتعالى**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وقد مضى مفرقاً ضمن الأثر الأول.

٧ - [**وقال غيره: ﴿سوط عذاب﴾ كلمة تقوله العرب لكل نوع من العذاب يدخل فيه السوط**].

ش: قاله الفراء وقد تقدم برقم ثلاثة.

٨ - [**﴿لبالمرصاد﴾ إليه المصير**].

ش: قاله الفراء، وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: (يرى ويسمع).

والآية المشار إليها ﴿**إن ربك لبالمرصاد**﴾.

٩ [**﴿تحاضون﴾ تحافظون. و﴿تحضون﴾ تأمرون بإطعامه**].

ش: قاله الفراء.

والآية المشار إليها ﴿ولا تحاضون على طعام المسكين﴾.

١٠ - [**﴿المطمئنة﴾ المصدقة بالثواب**].

ش: قاله الفراء، وأخرج ابن جرير نحوه عن ابن عباس وقتادة والحسن وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما بمعنى المصدقة الموقنة بأن الله ربها، وهو قول مجاهد.

والآية المشار إليها ﴿**يا أيتها النفس المطمئنة**﴾.

١١ - [**وقال الحسن: [﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾] إذا أراد الله عز وجل قبضها إطمأنت إلى الله واطمأن الله إليها ورضيت عن الله ورضي الله عنها، فأمر بقبض روحها، وأدخلها الله الجنة، وجعله من عباده الصالحين**].

ش: أخرج ابن أبي حاتم من طريق الحسن قال: إن الله تعالى إذا أراد قبض روح عبده المؤمن واطمأنت النفس إلى الله واطمأن الله إليها ورضيت عن الله ورضي الله عنها أمر بقبضها فأدخلها الجنة وجعلها من عباده الصالحين. حكاه الحافظ.

قلت: ووصف الرب جل ثناؤه بالطمأنينة لم أعلم فيه حتى الساعة نصاً من كتاب ولا سنة والله أعلم.

١٢ - [**وقال غيره: ﴿جابوا﴾ نقبوا، من جيب القميص: قطع له جيب يجوب الفلاة يقطعها**].

ش: قال أبو عبيدة: جابوا (نقبوا ويجوب الفلاة أيضاً يدخل فيها ويقطعها.

وقال الفراء: خرقوا الصخر، فاتخذوه بيوتاً.

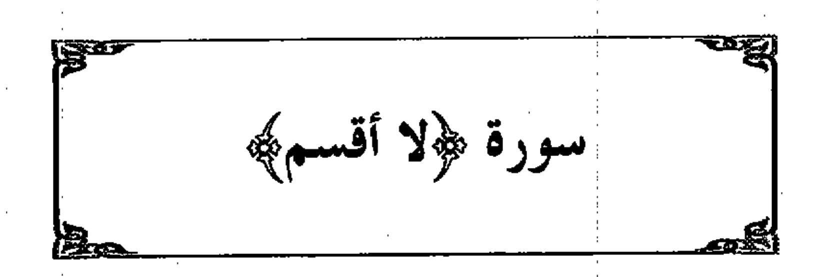
والآية المشار إليها **﴿وثمود الذين جابوا الصخر بالواد﴾**.

١٣ - [**﴿لما﴾ لممته أجمع: اتيت على آخره**].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها تقدمت ضمن الأثر الرابع.

آخر تفسير سورة الفجر والحمد لله.



٤٢٩ - سورة ﴿لا أقسم﴾

ش: أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردوية والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة لا أقسم بهذا البلد بمكة.

وآياتها عشرون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿وأنت حل بهذا البلد﴾ مكة، ليس عليك ما على الناس فيه من الإثم].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثني عيسى وثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره، وأخرج معناه عن قتادة ومنصور بن المعتمر وعطاء وابن زيد.

٢ - [﴿ووالدٍ﴾ آدم ﴿وما ولد﴾]

ش: أخرجه ابن جرير: ثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وزاد (ولده)، وأخرجه ضمن القائلين أنه عنى بذلك آدم وولده وهم قتادة وأبو صالح والضحاك وسفيان وهو أحد ثلاثة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: أنه عنى بقوله (ووالد) كل والد وما ولد كل عاقر لم يلد وبه قال ابن عباس وعكرمة.

وثالثها: أنه عنى إبراهيم وما ولد وهو قول أبي عمران الجوني.

واختار ابن جرير أنها عامة لأن الله عم كل والد وما ولده.

٣ - [﴿لبداً﴾ كثيراً].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثني عيسى وثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرجه عن ابن عباس وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿يقول أهلكت مالاً لبدا﴾**.

٤ - [﴿النجدين﴾ الخير والشر].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله، وأخرجه عن ابن مسعود وابن عباس والضحاك وعكرمة والربيع بن خثيم وغيرهم.

وهو **أحد** قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أن معناه الثديين سبيلي اللبن وهو قول ابن عباس والضحاك في الرواية الثانية عنهما.

واختار ابن جرير أول القولين فقال: فإن الله تعالى ذكره إذ عدد على العبد نعمه، بقوله ﴿**إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً إنا هديناه السبيل**﴾ إنما عدد عليه هدايته إياه إلى سبيل الخير من نعمه فكذلك قوله ﴿**وهديناه النجدين**﴾ ا.هـ

والآية المشار إليها ﴿**وهديناه النجدين**﴾.

٥ - [﴿**مسغبة**﴾ **مجاعة**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله بلفظ الجوع وبه قال ابن عباس وعكرمة والضحاك.

والآية المشار إليها ﴿**أو إطعام في يوم ذي مسغبة**﴾.

٦ - [﴿**متربة**﴾ **الساقط في التراب**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وهو قول ابن عباس وعكرمة وهو **أحد** ثلاثة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: أنه المحتاج سواء كان لاصقاً بالتراب أو غير لاصق وبه قال ابن زيد وهو الرواية **الثانية** عن ابن عباس وعكرمة.

وثالثها: أنه ذو العيال الكثير اللذين لصقوا في التراب، وهو قول الضحاك وقتادة وهو الرواية الثالثة عن ابن عباس.

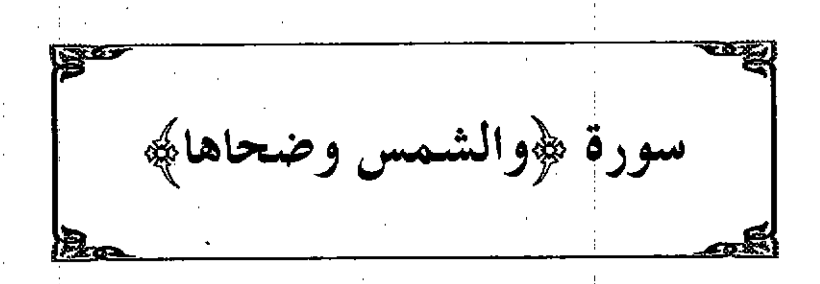
واختار ابن جرير قول من قال إنه المسكين الذي قد لصق بالتراب من الفقر والحاجة قال: لأن ذلك هو الظاهر من معانيه، وأن قوله متربه: إنما هي مفعله من ترب الرجل إذا أصابه التراب.

والآية المشار إليها ﴿**أو مسكينا ذا متربة**﴾.

٧ - [يقال ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ فلم يقتحم العقبة في الدنيا ثم فسر العقبة فقال: ﴿وما أدراك ما العقبة، فك رقبة، أو اطعام في يوم ذي مسغبة﴾].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد (في مجاعة).

آخر تفسير سورة البلد.



٤٣٠ - سورة ﴿والشمس وضحاها﴾ بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية واضح.

وفيه حديث معاذ المتقدم.

وأخرج المصنف في باب من شكا إمامه إذا طول من كتاب الأذان عن جابر - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال لمعاذ: فلولا صليت بـ**﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾** **﴿والشمس وضحاها﴾** **﴿والليل إذا يغشى﴾** فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة.

وهي مكية ويدل لذلك ما أخرجه ابن مردوية عن ابن الزبير أنها نزلت بمكة.

وآياتها خمس عشرة.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ضحاها: ضوؤها].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وهو **أحد** قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: بمعنى النهار وهو قول قتادة.

واختار ابن جرير ثانيهما.

والآية المشار إليها **﴿والشمس وضحاها﴾**.

٢ - [﴿إذا تلاها﴾ تبعها].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله، وأخرج معناه عن ابن عباس وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿والقمر إذا تلاها﴾**.

٣ - [﴿طحاها﴾ دحاها].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله، وبه قال ابن زيد وهو **أحد** ثلاثة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: بمعنى ما خلق فيها وهو قول ابن عباس.

وثالثها: بمعنى وما قسمها وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية.

واختار ابن جرير في تفسيره للآية القول الأول.

والآية المشار إليها **﴿والأرض وما طحاها﴾**.

٤ - [﴿دساها﴾ أغواها].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله، وأخرج معناه عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿وقد خاب من دساها﴾**.

٥ - [﴿فألهمها﴾ عرفها الشقاء والسعادة].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله، وأخرج معناه عن ابن عباس والضحاك وسفيان وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما بمعنى أن الله جعل فيها ذلك وبه قال ابن زيد والذي اختاره ابن جرير في تفسيره القول الأول.

والآية المشار إليها ﴿**فألهمها فجورها وتقواها**﴾.

٦ - [﴿**بطغواها**﴾ **بمعاصيها**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله بلفظ: معصيتها، وبه قال ابن زيد وهو أحد ثلاثة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: بمعنى العذاب وهو قول ابن عباس وقتادة.

وثالثها: بمعنى بأجمعها وبه قال محمد بن كعب القرضي.

واختار ابن جرير في تفسيره للآية ثاني هذه الأقوال.

والآية المشار إليها ﴿**كذبت ثمود بطغواها**﴾.

٧ - [﴿**ولا يخاف عقباها**﴾ **عقبى أحد**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله بلفظ: (الله لا يخاف عقباها) وأخرج نحوه عن ابن عباس والحسن وقتادة وبكر بن عبد الله المزني وهو **أحد** قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: بمعنى لم يخف الذي عقرها عقباها أي عقبى فعلته التي فعل وبه قال الضحاك والسدي.

والآية المشار إليها ﴿**ولا يخاف عقباها**﴾.

٤٥٧ - ثنا موسى بن إسماعيل: ثنا وهيب: ثنا هشام عن أبيه أنه أخبره عبد الله بن زمعة[١] أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة والذي عقر، فقال رسول الله ﷺ ﴿إذ انبعث أشقاها﴾ انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمعة. وذكر النساء فقال: يعمد أحدكم يجلد امرأته جلد العبد، فلعله يضاجعها من آخر يومه. ثم وعظهم في ضحكهم من الضرطة وقال: لم يضحك أحدكم مما يفعل)؟ وقال أبو معاوية حدثنا هشام عن أبيه عن عبد الله بن زمعة (قال النبي ﷺ: مثل أبي زمعة عم الزبير بن العوام).

ش: فيه إحدى عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة والذي عقر**» في الأنبياء باب قول الله تعالى **﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾** من رواية سفيان (سمعت النبي ﷺ وذكر الذي عقر الناقة) وفي كتاب الجنة وصفة نعيمها باب النار يدخلها الجبارون عند مسلم من رواية ابن نمير (خطب رسول الله ﷺ فذكر الناقة وذكر الذي عقرها).

والناقة هي ناقة صالح والواو عاطفة على شيء محذوف تقديره: فخطب فذكر كذا وذكر الناقة.

الثانية: قوله: **﴿إذ انبعث أشقاها﴾** قال ابن جرير في تفسير الآية: يقول إذ ثار اشقى ثمود وهو قدار بن سالف.

وأخرج عن قتادة قال: أحيمر ثمود.

الثالثة: قوله: (**انبعث لها رجل عزيز**) في الأنبياء (انتدب لها رجل ذو عز) أي قليل المثل.

---

(١) هو عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد القرشي الأسدي، صحابي مشهور استشهد يوم الدار مع عثمان رضي الله عنهما، ع.

الرابعة: قوله: **(عارم)** بمهملتين أي صعب على من يرومه كثير الشهامة والشر.

الخامسة: قوله: «**منيع في رهطه**» في الأنبياء (ذو عز ومنعة في قومه) والمعنى ذو قوة ومنعة فرهطه يمنعونه من الظيم.

السادسة: قوله: «**مثل أبي زمعة**» في الأنبياء (كأبي زمعة) وفي الرواية الثانية وهي رواية أبي معاوية (مثل أبي زمعة عم الزبير بن العوام) وأبو زمعة هو الأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى، وكان يعلق ابن أخيه الزبير في حصير ويدخن عليه ليرجع إلى الكفر فيقول لا أكفر أبداً).

السابعة: قوله: «**وذكر النساء**» عند مسلم (ثم ذكر النساء فوعظ فيهن) وعند الترمذي في تفسير السورة من رواية عبدة (ثم سمعته يذكر النساء) والمعنى أنه ذكر في هذه الخطبة النساء استطراداً إلى ما يقع من أزواجهن.

الثامنة: قوله:«**يعمد أحدكم يجلد امرأته جلد العبد**» في النكاح باب ما يكره من ضرب النساء برواية محمد بن يوسف (لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد) وفي الأدب باب الحياء من ا لله من رواية بن المديني (بم يضرب أحدكم امرأته ضرب الفحل) وعند مسلم (إلام يجلد أحدكم امرأته) وعنده من رواية أبي بكر (جلد الأمة) وفي حديث لقيط بن صبرة عند أبي داود (ولا تضرب ضعينتك ضربك أمتك) وحاصل هذه الروايات النهي عن الإسراف في ضرب المرأة وسوء معاملتها.

التاسعة: قوله: «**فلعله يضاجعها من آخر يومه**» في النكاح (ثم يجامعها في آخر اليوم) وفي الأدب (ثم لعله يعانقها) وعند مسلم (ولعله يضاجعها من آخر يومه) وفي رواية بن عيينة عند أحمد (من آخر الليل) وله عند النسائي كتاب النكاح باب ضرب النساء (آخر النهار).

العاشرة: قوله: «**ثم وعظهم في ضحكهم من الضرطه وقال لم يضحك أحدكم مما يفعل**» وعند مسلم (إلام يضحك أحدكم مما يفعل) وفي هذا النهي عن الضحك من الضرطة يسمعها من غيره بل ينبغي أن يتغافل عنها ويستمر على حديثه ويظهر أنه لم يسمع وذلك ستراً على الفاعل وبعداً عما يخدش كرامته ويجرح مشاعره ويعرضه للسخرية.

الحادية عشرة: قوله: (وقال أبو معاوية...الخ) وصله اسحاق بن راهوية في مسنده قال: أنبأنا أبو معاوية فذكر الحديث بتمامه) قاله الحافظ.

من فقه الحديث

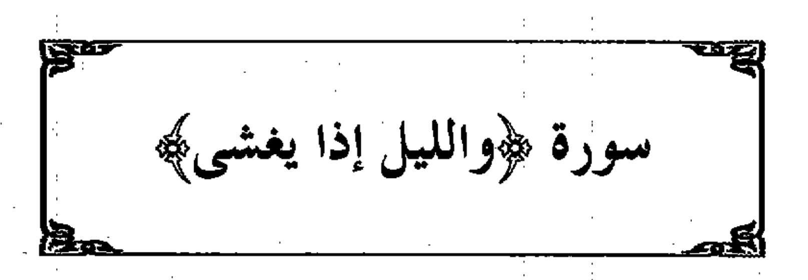
أولاً: تذكير الإمام الناس ووعظهم حسب ما يقتضيه حالهم.

ثانياً وجوب الإيمان بالغيب وهذا ظاهر في إخبار النبي ﷺ عن حال عاقر الناقة.

ثالثاً: جواز تأديب الرجل امرأته بغير إسراف.

رابعاً: ينبغي للرجل حسن العشرة مع امرأته.

آخر تفسير ﴿والشمس وضحاها﴾.



٤٣١ - سورة والليل إذا يغشى

ش: شاهد التسمية ظاهر

قال الجمهور هي مكية، قال ابن عباس: نزلت سورة **﴿والليل إذا يغشى﴾** بمكة، رواه ابن الضريس والنحاس والبيهقي.

وآياتها إحدى وعشرون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال ابن عباس: ﴿وكذب بالحسنى﴾ بالخلف].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا حميد بن مسعدة: ثنا بشر بن المفضل: ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس فذكره، وأخرج نحوه عن قتادة وهو أحد ثلاثة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: بمعنى كذب بتوحيد الله وهو قول الضحاك والرواية الثانية عن ابن عباس.

وثالثها: بمعنى كذب بالجنة وبه قال مجاهد.

واختار ابن جرير أولها.

والآية المشار إليها **﴿وكذب بالحسنى﴾**.

٢ - [وقال مجاهد: ﴿تردى﴾ مات].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا أبو كريب: ثنا وكيع عن سفيان عن ليث عن مجاهد فذكره.

وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: بمعنى إذا تردى في جهنم، وبه قال قتادة وأبو صالح.

واختاره ابن جرير قال: لأن ذلك هو المعروف من التردي.

والآية المشار إليها **﴿وما يغني عنه ماله إذا تردى﴾**.

٣ - [﴿تلظى﴾ توهج].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها **﴿فانذرتكم ناراً تلظى﴾**.

٤ - [**وقرأ عبيد ابن عمير : تتلظى**]

ش: وصله سعيد ابن منصور عن ابن عيينة وداود العطّار كلاهما عن عمروبن دينار عن عبيد بن عمير أنه قرأ (ناراً تتلظى) حكاه في الفتح .

قلت : وللخبرقصةٌ أخرجها الفرّاء في تفسير الآية .

٤٣٢ - باب ﴿والنهار إذا تجلى﴾.

ش: يقول تعالى ذكره مقسماً بالنهار إذا هو أضاء فأنار، وظهر للأبصار، وهذا من أعظم الدلائل على وحدانيته وكمال قدرته وبديع صنعه.

٤٥٨ - ثنا قبيصة بن عقبة: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم عن علقمة قال: دخلت في نفر من أصحاب عبد الله الشام فسمع بنا أبو الدرداء فأتانا فقال: أفيكم من يقرأ؟ فقلنا: نعم. قال فأيكم أقرأ؟ فأشاروا إلي، فقال: أقرأ، فقرأت ﴿والليل إذا يغشى، والنهار إذا تجلى، والذكر والأنثى﴾ قال: آنت سمعتها من في صاحبك؟ قلت: نعم. قال: وأنا سمعتها من في النبيﷺ، وهؤلاء يأبون علينا).

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله: «**دخلت في نفر من أصحاب عبدا لله الشام**» في رواية حفص بن غياث الآتية في الباب بعده (قدم أصحاب عبدا لله على أبي الدرداء) وعند مسلم في صلاة المسافرين باب ما يتعلق بالقراءات من رواية مغيرة (أتى علقمة الشام فدخل مسجداً فصلى فيه، ثم قام إلى حلقة فجلس فيها) وعند النسائي في تفسير السورة برواية شعبة عن مغيرة (قدمنا الشام فدخلت مسجد دمشق).

الثانية: قوله: «**فسمع بنا أبو الدرداء فأتانا**» في الباب بعده (فطلبهم فوجدهم) وعند مسلم (فجاء رجل فعرفت فيه تحوش القوم، وهيئهم قال: فجلس إلى جنبي) قال القاضي: ويحتمل أن يريد الفطنة والذكاء يقال رجل حوشي الفؤاد أي حديده.

الثالثة: قوله: «**أفيكم من يقرأ فقلنا نعم**» في الباب بعده (أيكم يقرأ على قراءة عبدا لله قال: كلنا) وعند مسلم (أفيكم أحد يقرأ على قراءة عبد ا لله فقلت

نعم أنا) وعند النسائي (فقال من أين أنت قال من أهل العراق، قال من أيهم **قلت:** من أهل الكوفة قال فتقرأ على قراءة ابن أم عبد؟ قلت: نعم).

الرابعة: قوله: «**فأيكم أقرأ؟ فأشاروا إلي**» في الباب بعده (فأيكم أحفظ فأشاروا إلى علقمة).

الخامسة: قوله: «**فقرأت ﴿والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى، والذكر والأنثى﴾**» في الباب بعده (قال كيف سمعته يقرأ ﴿**والليل إذا يغشى**﴾ قال علقمة ﴿**والذكر والأنثى**﴾ وعند النسائي (قال أقرأ علي ﴿**والليل إذا يغشى**﴾ فقرأت عليه ﴿**والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى**﴾.

السادسة: قوله «**أنت سمعتها من في صاحبك؟ قلت: نعم**». وعند النسائي (هكذا كان يقرؤها عبدا لله.

السابعة: قوله: «**وأنا سمعتها من في النبي ﷺ**» وعند الترمذي في تفسير السورة من رواية أبي معاوية (فقال أبو الدرداء: وأنا وا لله هكذا سمعت رسول ا لله ﷺ يقرؤها وفي الباب بعده: (اشهد أني سمعت النبي ﷺ يقرأ هكذا) وعند مسلم (فضحك ثم قال: هكذا سمعت رسول ا لله ﷺ يقرؤها).

الثامنة: قوله: «**وهؤلاء يأبون علينا**» في الباب بعده (وهؤلاء يريدونني على أن أقرأ ﴿**وما خلق الذكر والأنثى**﴾ وا لله لا أتابعهم) وعند مسلم (ولكن هؤلاء يريدون أن أقرأ، ﴿**وما خلق**﴾ فلا أتابعهم) قال القاضي: قال المازري: يجب أن يعتقد في هذا الخبر وما في معناه أن ذلك كان قرآناً ثم نسخ و لم يعلم من خالف النسخ فبقى على النسخ قال ولعل هذا وقع من بعضهم قبل أن يبلغهم مصحف عثمان المجمع عليه المحذوف منه كل منسوخ وأما بعد ظهور مصحف عثمان فلا يظن بأحد منهم أنه خالف فيه، وأما ابن مسعود فرويت عنه روايات كثيرة منها ماليس بثابت عند أهل النقل وما ثبت منها مخالفاً لما قلناه فهو محمول على أنه كان يكتب في مصحفه بعض الأحكام والتفاسير مما يعتقد أنه ليس بقرآن، وكان

لا يعتقد تحريم ذلك وكان يراه كصحيفة يثبت فيها ما يشاء وكان رأى عثمان والجماعة منع ذلك لئلا يتطاول الزمان ويظن ذلك قرآناً) حكاه النووي ج٦ ص١٠٩

والعجب من نقل الحفاظ من الكوفيين هذه القراءة عن علقمة وعن ابن مسعود وإليهما تنتهي القراءة بالكوفة ثم لم يقرأ بها أحد منهم، وكذا أهل الشام حملو القراءة عن أبي الدرداء ولم يقرأ أحد منهم بهذا، فهذا مما يقوي أن التلاوة بها نسخت. قاله في الفتح هنا.

من فقه الحديث

أولاً: الحرص على طلب العلم وأخذه وإن كان عن الأصاغر.

ثانياً: حرص السلف الصالح رضي الله عنهم على معرفة السنة والتمسك بها.

٤٣٣ - [باب ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾]

ش: إن كانت (ما) موصولة، كان إقساماً بنفسه الكريمة الموصوفة،بكونه خالق الذكور والإناث، وإن كانت مصدرية، كان قسماً بخلقه للذكر والأنثى.

وكمال حكمته في ذلك، أن خلق من كل صنف من الحيونات، التي يريد ابقاءها ذكراً وأنثى ليبقى النوع، ولا يضمحل، وقاد كلاً منهما إلى الآخر بسلسلة الشهوة، وجعل كلاً منهما مناسباً للآخر، فتبارك الله أحسن الخالقين. ا.هـ من تيسير الكريم الرحمن.

٤٥٩ - حدثنا عمر حدثني أبي حدثنا الأعمش عن إبراهيم قال: (قدم أصحاب عبدالله على أبي الدرداء، فطلبهم فوجدهم فقال: أيكم يقرأ على قراءة عبد الله؟ قال كلنا. قال: فأيكم أحفظ؟ فأشاروا إلى علقمة، قال: كيف سمعته يقرأ ﴿والليل إذا يغشى﴾ قال علقمة ﴿والذكر والأنثى﴾ قال أشهد إني سمعت النبي ﷺ يقرأ هكذا، وهؤلاء يريدونني على أن أقرأ ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾ والله لا أتابعهم).

ش: مضى شرحه في الباب قبله.

٤٣٤ - [باب قوله: ﴿فأما من أعطى واتقى﴾]

ش: يقول تعالى ذكره: فأما من أعطى واتقى منكم أيها الناس في سبيل الله، ومن أمره الله بإعطائه من ماله، وما وهب له من فضله واتقى الله واجتنب محارمه.

٤٦٠ - حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي[1] (عن علي رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في بقيع الغرقد في جنازة، فقال: ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار. فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل؟ فقال: اعملوا فكل ميسر. ثم قرأ ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى - إلى قوله - للعسرى﴾).

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله: «**كنا مع النبي ﷺ في بقيع الغرقد في جنازة**» في رواية شعبة بعد هذا بباب عن النبي ﷺ أنه كان في جنازة فأخذ عوداً ينكت في الأرض) وفي رواية منصور بعده بثلاثة أبواب (فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصره، فنكس فجعل ينكت بمخصرته) والمخصرة بكسر الميم قضيب أو عنزة ونحوه يشير به الخطيب إذا خاطب الناس، وعند الترمذي في تفسير السورة (فرفع رأسه إلى السماء).

الثانية: قوله: «**ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار**» بعده بثلاثة أبواب (ما منكم من أحد، وما من نفس منفوسة، إلا كتب مكانها من الجنة والنار وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة) وعند مسلم كتاب القدر

---

(١) هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي الكوفي، المقرئ، مشهور بكنيته، ولأبيه صحبة ثقة ثبت من الثانية مات بعد السبعين، ع.

باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه (ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار) وعند الترمذي (إلا وقد كتب مدخلها).

قلت: و (أو) في الحديث للتنويع.

الثالثة: قوله: «**فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل؟**» بعده بثلاثة أبواب (قال رجل: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة، ومن كان منا من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة) وعند مسلم (أفلا نمكث على كتابنا) وعنده من حديث جابر قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم قال: يا رسول الله بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن ففيما العمل اليوم...الحديث.

والجمع بينهما بتعدد السائلين إن كانت القصة واحدة. فحاصل هذه الأسئلة ألا نترك مشقة العمل فإنا سنصير إلى ما قدر علينا.

الرابعة: قوله: «**اعملوا فكل ميسر**» بعده بثلاثة أبواب (قال أما أهل السعادة فييسرون لعمل اهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاء) وفي رواية شعبة في آخر باب في السورة (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) وعند مسلم (لا. اعملوا فكل ميسر لما خلق له) وحاصل هذه الأجوبة لا مشقة لأن كل أحد ميسر لما خلق له، وهو يسير على من يسره الله عليه.

الخامسة: قوله: «**ثم قرأ... ﴿فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى ـ إلى قوله ـ للعسرى**» عند مسلم (ثم قرأ **﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾**.

من فقه الحديث

أولاً: جواز الموعظة عند القبور إن دعت الحاجة.

ثانياً: هذا الحديث أصل لأهل السنة بأن كلاً من السعادة والشقاوة مقدر في اللوح المحفوظ.

ثالثاً: فيه رد على الجبرية.

رابعاً: الحث على العمل وعدم الإتكال على القدر.

خامساً: وجوب الإيمان بالقضاء والقدر.

سادساً: أن العبد فاعل على الحقيقة.

٤٣٥ - [باب قوله: ﴿وصدق بالحسنى﴾]

ش: أي صدق بلا إله إلا الله وما دلت عليه من العقائد الدينية، وما ترتب عليها من الجزاء وهذا هو قول ابن عباس والضحاك وابي عبد الرحمن السلمي وهو أحد أقوال أربعة حكاها ابن جرير في الآية.

وثانيها: وصدق بالخُلف من الله وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية وعكرمة ومجاهد.

وثالثها: بمعنى صدق بالجنة وهو قول مجاهد في الرواية الثانية عنه.

ورابعها: صدق بموعود الله وبه قال قتادة.

قال ابن القيم بعد حكايته الأقوال الثلاثة الأولى: والأقوال الثلاثة ترجع إلى أفضل الأعمال وأفضل الجزاء فمن فسرها بلا إله إلا الله فقد فسرها بمفرد يأتي بكل جمع فإن التصديق الحقيقي بلا إله إلا الله يستلزم التصديق بشعبها وفروعها كلها. وجميع أصول الدين وفروعه من شعب هذه الكلمة، فلا يكون العبد مصدقاً بها حقيقة التصديق حتى يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه، ولا يكون مؤمناً بالله إله العالمين حتى يؤمن بصفات جلاله ونعوت كماله، ولا يكون مؤمناً بأن الله لا إله إلا هو حتى يسلب خصائص الإلهية عن كل موجود سواه، ويسلبها عن اعتقاده وإرادته كما هي منفية في الحقيقة والخارج... إلى أن قال... ومن فسر الحسنى بالجنة فسرها بأعلى أنواع الجزاء وكماله، ومن فسرها بالخلف ذكر نوعاً من الجزاء فهذا جزاء دنيوي، والجنة الجزاء في الأخرة، فرجع التصديق بالحسنى إلى التصديق بالإيمان وجزائه، والتحقيق أنها تتناول الأمرين). ا.هـ من التبيان.

٤٦١ - حدثنا مسدد حدثنا عبد الواحد حدثنا الأعمش عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن (عن علي رضي الله عنه قال: كنا قعوداً عند النبيﷺ...) فذكر الحديث.

ش: تقدم ضمن الباب قبله.

٤٣٦ - [باب ﴿فسنيسره لليسرى﴾]

ش: أي فسنهيؤه للخلة اليسرى، وهي العمل بما يرضاه الله منه في الدنيا، ليوجب له به في الآخرة الجنة.

وقال ابن القيم: «وحقيقة اليسرى أنها الخلة والحالة السهلة النافعة الواقعة له، وهي ضد العسرى، وذلك يتضمن تيسيره للخير وأسبابه، فيجري الخير، وييسر على قلبه ويديه ولسانه وجوارحه، فتصير خصال الخير ميسرة عليه، مذللة له منقادة، لا تستعصي عليه، ولا تستصعب لأنه مهيأ لها، ميسر لفعلها، يسلك سبلها ذلك، وتقاد له علماً وعملاً، فإذا خاللته قلت هو الذي قيل فيه:

مبارك الطلعة ميمونها يصلح للدنيا وللدين» ا.هـ من التبيان

٤٦٢ - حدثنا بشر بن خالد أخبرنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سليمان عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه (عن النبي ﷺ أنه كان في جنازة، فأخذ عوداً ينكت في الأرض فقال: ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار، أو من الجنة. قالو: يا رسول الله أفلا نتكل؟ قال: اعملوا فكل ميسر ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى﴾ الآية) قال شعبة وحدثني به منصور فلم أنكره من حديث سليمان.

ش: سبق شرحه.

٤٣٧ - [باب ﴿وأما من بخل واستغنى﴾]

ش: يقول تعالى ذكره، وأما من بخل بالنفقة في سبيل الله، ومنع ما وهب الله له من فضله، من صرفه في الوجوه التي أمر الله بصرفه فيها، واستغنى عن ربه فلم يرغب إليه بالعمل له بطاعته، بالزيادة فيما خوّله من ذلك.

٤٦٣ - حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن عن علي رضي الله عنه قال: (كنا جلوساً عند النبي ﷺ فقال: ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار، فقلنا: يا رسول الله أفلا نتكل؟ قال: لا، اعملوا فكل ميسر. ثم قرأ ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ـ إلى قوله ـ فسنيسره للعسرى﴾).

ش: سبق شرحه

٤٣٨ - [باب قوله: ﴿وكذب بالحسنى﴾]

ش: أي بما أوجب الله على العباد، التصديق به من العقائد الحسنة وهذا تعطيل لقوة العلم والشعور عن التصديق بالإيمان وجزائه.

٤٦٤ - حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن سعد بن عبيدة عن أبي عبدالرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه قال: (كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبيﷺ فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة، فنكس فجعل ينكت بمخصرته،ثم قال: ما منكم من أحد، وما من نفس منفوسة، إلا كتب مكانها من الجنة والنار، وإلاّ كُتبت شقية أو سعيدة. قال رجل: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة، ومن كان منا من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة؟ قال: أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما اهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاء، ثم قرأ ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى﴾ الآية).

ش: مضى شرحه.

٤٣٩ - [باب ﴿فسنيسره للعسرى﴾]

ش: والمعنى فسنهيئه في الدنيا للخلة العسرى، وهو من قولهم قد يسرت غنم فلان إذا ولدت وتهيأت للولادة.

وهذا التيسير للعسرى المتوعد به ذلك الإنسان المكذب بالحسنى يكون بأحد أمرين:

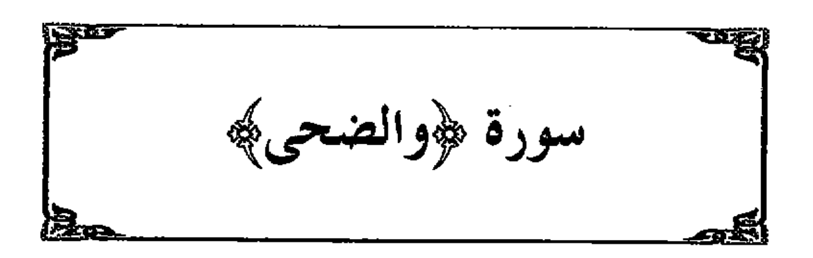
أحدهما: أن يحال بينه وبين أسباب الخير، فيجري الشر على قلبه ونيته ولسانه وجوارحه.

والثاني: أن يحال بينه وبين الجزاء الأيسر كما حال بينه وبين أسبابه.

٤٦٥ - حدثنا آدم حدثنا شعبة عن الأعمش قال سمعت سعد بن عبيدة يحدث عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه قال: (كان النبي ﷺ في جنازة، فأخذ شيئاً فجعل ينكت به الأرض، فقال: ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار، ومقعده من الجنة. قالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل االشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى﴾ الآية).

ش: تقدم شرحه.

آخر تفسير سورة الليل و لله الحمد والمنة.



٤٤٠ - سورة ﴿والضحى﴾ بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وهي مكية وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردوية والبيهقي عن ابن عباس نزلت ﴿**والضحى**﴾ بمكة.

وآياتها إحدى عشرة.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - **[وقال مجاهد: ﴿إذا سجى﴾ استوى].**

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا ابن حميد: ثنا مهران وثنا أبو كريب: ثنا وكيع جميعاً عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرج نحوه عن الضحاك وقتادة وابن زيد وهو أحد ثلاثة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: بمعنى إذا اقبل وبه قال ابن عباس والحسن.

وثالثها: بمعنى إذا ذهب وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية عنه.

واختار ابن جرير أولها.

والآية المشار إليها **﴿والليل إذا سجى﴾**.

٢ - **[وقال غيره: أظلم وسكن].**

ش: قال الفراء: **﴿إذا سجى﴾**: إذا أظلم وركد في طوله كما تقول بحر ساج وليل ساج إذا ركد وسكن وأظلم.

٣ - **[﴿عائلاً﴾ ذو عيال].**

ش: قال أبو عبيدة: «ذا فقر قال:

وما يدري الفقير متى غناه   وما يدري الغني متى يعيل

أي يفتقر» اهـ.

والآية المشار إليها **﴿ووجدك عائلاً فأغنى﴾**.

٤٦٦ - حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا الأسود بن قيس[1] قال: سمعت جندب بن سفيان[2] رضي الله عنه قال: (اشتكى رسول الله ﷺ،

---

(١) هو أبو قيس الأسود بن قيس العبدي ويقال العجلي، الكوفي ثقة من الرابعة، ع.

(٢) هو أبو عبد الله جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي ثم العلقي، وربما نسب إلى جده له صحبة، ومات بعد الستين، ع.

فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً، فأنزل الله عز وجل: ﴿والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى﴾.

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله: «**اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً**» وقع عند مسلم من رواية ابن عيينة (كان رسول الله ﷺ في غار، فنكيت إصبعه)، وعنده في الجهاد باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين من رواية أبي عوانة (دميت اصبع رسول الله ﷺ في بعض تلك المشاهد فقال:

هل أنت إلا اصبع دميت   وفي سبيل الله ما لقيت

قلت: فالظاهر أن هذا هو سبب الشكاية والله أعلم.

الثانية: قوله: «**فجاءت امرأة**» عند ابن جرير من طريق مفضل بن صالح (فقالت امرأة من أهله) وروى الحاكم وصححه ووافقه الذهبي من حديث زيد بن أرقم (لما نزلت ﴿**تبت يدا أبي لهب وتب ـ إلى ـ وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد**﴾، فقيل لامرأة أبي لهب إن محمداً قد هجاك...) الحديث.

وفيه (فأتته فقالت يا محمد ما أرى صاحبك إلا قد ودعك وقلاك فأنزل الله والضحى) الحديث.

الثالثة: قوله: (**إني لأرجوا أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً**) في الباب بعده (قالت امرأة يا رسول الله ما أرى صاحبك إلا أبطأك) فالظاهر أن هذه غير تلك لإختلاف عبارتيهما فإن هذه مسلمة ولهذا قالت يا رسول الله وتلك كافرة ولهذا قالت يا محمد) وهذه قالت (صاحبك) وتلك قالت (شيطانك) وبهذا يتبين لك أن هذه مسلمة وتلك كافرة.

الرابعة: قوله: «**فأنزل الله عز وجل ﴿والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى﴾**» هذا هو محل الشاهد من الحديث وفيه دليل على أن هذه القصة سبب لنزول الآيات تسلية لرسول الله ﷺ وتكذيباً لأم جميل والمشركين من قومها.

٤٤١ - [باب قوله ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾]

ش: هذا هو جواب القسم والمعنى: إن ربك يا محمد ما تركك وما أبغضك كما زعم المشركون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [﴿ما ودعك﴾ تقرأ بالتشديد والتخفيف بمعنى واحد، ما تركك ربك).

ش: قال أبو عبيدة: **﴿ما ودعك﴾** من التوديع وما ودعك مخففة من ودعت تدعه.

٢ - [وقال ابن عباس: ما تركك وما أبغضك].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وأخرج عن ابن زيد مثله.

٤٦٧ - ثنا محمد بن بشار: ثنا محمد بن جعفر غندر: ثنا سعيد عن الأسود بن قيس قال: سمعت جندباً البجلي (قالت امرأة: يا رسول الله ما أرى صاحبك إلا أبطأك. فنزلت: ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾.

ش: فيه ثلاث مسائل:

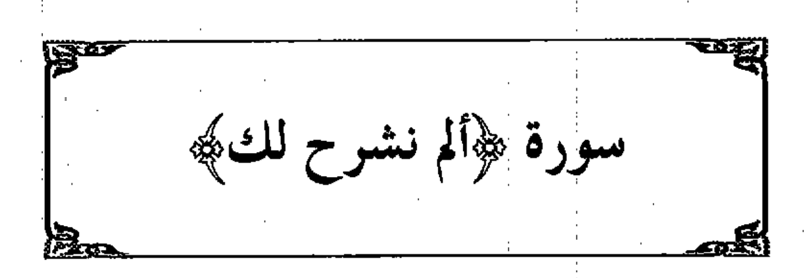
الأولى: قوله: «**قالت امرأة**» حكى ابن بطال عن تفسير بقي بن مخلد قال قالت: خديجة للنبي ﷺ حين أبطأ عنه الوحي: إن ربك قد قلاك، فنزلت والضحى. وقد تعقبه ابن المنير ومن تبعه بالإنكار، لأن خديجة قوية الإيمان لا يليق نسبة هذا القول إليها، لكن إسناد ذلك قوي، أخرجه اسماعيل القاضي في أحكامه، والطبري في تفسيره وأبو داود في أحكام النبوة له كلهم من طريق عبد الله بن شداد بن الهاد وهو من صغار الصحابة).اهـ من الفتح (٩/٣).

قلت: وهذا تعقب جيد من ابن المنير رحمه الله وذلك أنه لا يجرؤ من دون خديجة في الإيمان والمكانة من رسول الله ﷺ على أن يقول (إن ربك قد قلاك) وأما قولها (ما أرى صاحبك إلا أبطأك) فهذا ليس فيه نكارة وليس بمستغرب من خديجة رضي الله عنها لإمكان حمله على المواساة لرسول الله ﷺ.

الثانية: قوله: «**ما أرى صاحبك إلا أبطأك**» **قلت:** لاشك، أنها تعني به جبريل وقد رأت تأخره عن النبي ﷺ وذلك خلاف ما عرفت من عادته وهذا من شفقتها عليه ﷺ.

الثالثة: قوله: (**فنزلت ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾**) هذا هو شاهد الحديث للترجمة وقد مضى شرحه أول الباب.

آخر تفسير سورة الضحى و لله الحمد والمنة.



٤٤٢ - سورة ﴿ألم نشرح لك﴾ بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية واضح.

وهي مكية يدل لذلك ما رواه ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت **﴿ألم نشرح﴾** بمكة.

وآياتها ثمان آيات.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿وزرك﴾ في الجاهلية].

ش: وصله البغوي عن مجاهد بلفظ: (حططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية).

وأخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: (ذنبك).

والآية المشار إليها **﴿ووضعنا عنك وزرك﴾**.

٢ - [﴿أنقض﴾ أثقل].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

وأخرج معناه عن قتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿الذي أنقض ظهرك﴾**.

٣ - [﴿مع العسر يسرا﴾ قال ابن عيينة: أي مع ذلك العسر يسراً آخر كقوله ﴿هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنين﴾ ولن يغلب عسر يسرين].

ش: أما قوله: قال ابن عيينة: هذا مصير من ابن عيينه إلى اتباع النحاة في قولهم إن النكرة إذا أعيدت نكرة كانت غير الأولى، ووجه الشبه أنه كما ثبت للمؤمنين تعدد الحسنى كذا ثبت لهم تعدد اليسر أو أنه ذهب إلى أن المراد بأحد اليسرين الظفر وبالأخر الثواب فلا بد للمؤمن من أحدهما.

أما قوله: «**ولن يغلب عسر يسرين**» فقد روي هذا مرفوعاً موصولاً ومرسلاً وروى أيضاً موقوفاً. أما المرفوع فقال الحافظ: (أخرجه ابن مردوية من حديث جابر بإسناد ضعيف ولفظه: (أوحى إلي أن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً، ولن يغلب عسر يسرين) ا.هـ وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره عن جعفر بن سليمان عن ميمون أبي حمزة قال سمعت إبراهيم النخعي قال: قال ابن مسعود: لو كان العسر في حجر لتبعة اليسر حتى يستخرجه لن يغلب عسر

يسرين لن يغلب عسر يسرين) وأخرجه ابن جرير بنحوه إلا أنه قال عن رجل عن ابن مسعود، وأخرج عبد الرزاق واللفظ له وابن جرير عن الحسن قال خرج النبي ﷺ مسروراً فرحاً وهو يضحك وهو يقول: لن يغلب عسر يسرين لن يغلب عسر يسرين، إن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً).

والآية المشار إليها ﴿فإن مع العسر يسرا، إن مع العسر يسراً﴾.

٤ - [**وقال مجاهد: ﴿فانصب﴾ في حاجتك إلى ربك**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره ضمن القائلين بأن معناه فانصب إلى ربك في الدعاء، وسله حاجاتك وهم ابن عباس والضحاك وقتادة.

وهو أحد ثلاثة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: بمعنى فانصب في عبادة ربك وبه قال الحسن وابن زيد.

وثالثها: بمعنى إذا فرغت من أمر دنياك فانصب في عبادة ربك وهو قول مجاهد في الرواية الثانية.

واختار ابن جرير أن الآية عامة لذلك كله فقال: ولم يخصص بذلك حالاً من أحوال فراغه دون حال، فسواء كل أحوال فراغه من صلاة كان فراغه أو جهاد، أو أمر دنيا كان به مستقلاً لعموم الشرط في ذلك من غير خصوص حال فراغ دون حال أخرى.

والآية المشار إليها ﴿فإذا فرغت فانصب﴾.

٥ - [**ويذكر عن ابن عباس ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ شرح الله صدرك للإسلام**].

ش: قال ابن مردوية: ثني محمد بن الحسين ثنا محمد بن العباس بن أيوب، ثنا إسحاق بن الضيف ثنا حجاج عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس فذكره. حكاه الحافظ وقال عقبه إسحاق ضعيف.

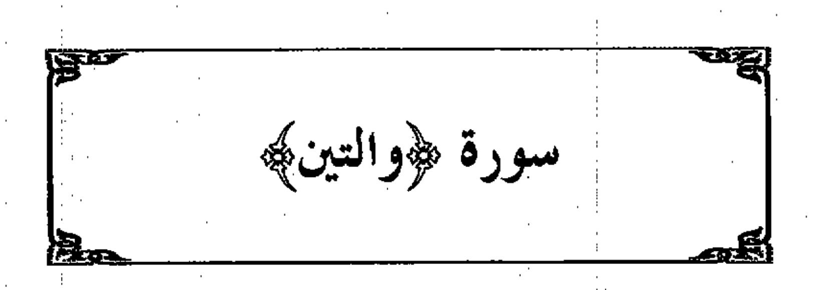
قلت: وهذا أحد أربعة أقوال في الآية حكاها الماوردي ج٦ ص٢٩٦:

وثانيها: أنه ملئ حكمة وعلماً قاله الحسن.

الثالث: بما من عليه من الصبر والإحتمال، قاله عطاء.

رابعاً: بحفظ القرآن وحقوق النبوة. قاله الماوردي.

آخر تفسير سورة الم نشرح والحمد لله.



٤٤٣ - سورة ﴿والتين﴾

ش: شاهد التسمية واضح.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان النبي : (يقرأ في إحدى الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه) أخرجه الجماعة.

قال ابن عباس إنها مدنية حكاه القرطبي وكذا قال الجمهور.

وآياتها ثمان.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - **[وقال مجاهد: هو التين والزيتون الذي يأكل الناس].**

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: (الفاكهة التي تأكل الناس ضمن القائلين أنه التين الذي يؤكل والزيتون الذي يعصر، وهم الحسن وعكرمة والنخعي والكلبي وهو أحد أربعة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: أن التين مسجد دمشق والزيتون بيت المقدس وهو قول كعب الأحبار وقتادة وابن زيد وعكرمة في الرواية الثانية عنه.

وثالثها: أن التين مسجد نوح، والزيتون مسجد بيت المقدس وبه قال ابن عباس.

ورابعها: أن التين والزيتون وطور سينين: ثلاثة مساجد بالشام ولم يخرجه عن أحد.

واختار القول الأول فقال: لأن ذلك هو المعروف عند العرب.

والآية المشار إليها **﴿والتين والزيتون﴾**.

٢ **[﴿فما يكذبك﴾ فما الذي يكذبك بأن الناس يدانون بأعمالهم؟ كأنه قال: ومن يقدر على تكذيبك بالثواب والعقاب؟]**

ش: قاله الفراء وزاد: بعد ما تبين له من خلقنا الإنسان على ما وصفنا.

والآية المشار إليها **﴿فما يكذبك بعد بالدين﴾**.

٤٦٨ - ثنا حجاج بن منهال ثنا شعبة قال: أخبرني عدي[1] قال سمعت البراء رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان في سفر، فقرأ في العشاء في إحدى الركعتين بالتين والزيتون.

---

(١) هو عدي بن ثابت الأنصاري الكوفي ثقة رمي بالتشيع من الرابعة، مات سنة ست عشرة ومائة. ع.

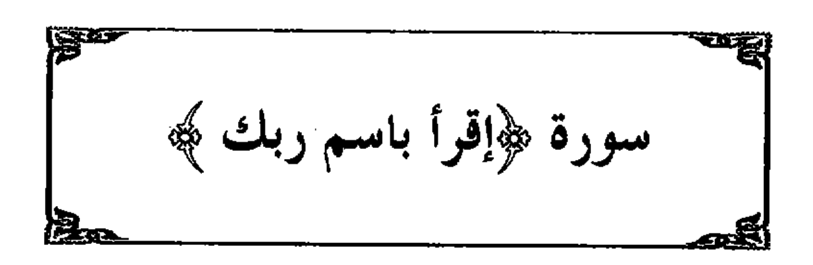
ش: قلت زاد في صفة الصلاة من رواية مسعر: (وما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه أو قراءة). قال ابن دقيق العيد في كيفية القراءة في الصلاة: وقد ورد عن النبي ﷺ في ذلك أفعال مختلفة في الطول والقصر، وصنف فيها بعض الحفاظ كتاباً مفرداً، والذي اختاره الشافعية التطويل في قراءة الصبح والظهر والتقصير في المغرب، والتوسط في العصر والعشاء، وغيرهم يوافق في الصبح والمغرب، ويخالف في الظهر والعصر والعشاء، واستمر العمل من الناس على التطويل في الصبح، والقصر في المغرب، وما ورد على خلاف ذلك من الأحاديث فإن ظهرت له علةفي المخالفة فقد يحمل على تلك العلة كما في حديث البراء بن عازب المذكور، فإنه ذكر أنه في السفر فمن يختار أوساط المفصل لصلاة العشاء الآخرة يحمل ذلك على أن السفر مناسب للتخفيف لإشتغال المسافِرةِ وتعبهم، والصحيح عندنا أن ما صح في ذلك عن النبي ﷺ مما لم يكثر مواظبته عليه فهو جائز من غير كراهة كحديث جبير بن مطعم في قراءة الطور في المغرب، وكحديث قراءة الأعراف فيها، وما صحت المواظبة عليه فهو في درجة الرجحان في الإستحباب إلا أن غيره مما قرأه النبي ﷺ غير مكروه. ا.هـ من إحكام الأحكام.

قلت: وفي آخر الحديث مشروعية، تحسين الصوت بالقراءة في الصلاة.

[﴿تقويم﴾: الخلق].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد والنخعي وأخرج نحوه عن أبي العالية.

آخر تفسير سورة التين والحمد لله.



٤٤٤ - سورة ﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق﴾

ش: شاهد التسمية واضح.

وأخرج ابن مردوية من طرق عن ابن عباس قال أول ما نزل من القرآن **﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق﴾**.

وآياتها تسع عشرة آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**وقال قتيبة: ثنا حماد عن يحيى بن عتيق عن الحسن قال: اكتب في المصحف في أول الإمام: بسم الله الرحمن الرحيم، واجعل بين السورتين خطاً**].

ش: في رواية أبي ذر عن غير الكشميهني (ثنا قتيبة) وقد أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن. ثنا أبو الربيع الزهراني ثنا حماد بهذا، وحماد هو ابن زيد وشيخه بصري ثقة من طبقة أيوب مات قبله و لم أر له في البخاري إلا هذا الموضع. قاله الحافظ.

وقوله (أول الإمام) أي أم الكتاب وهي الفاتحة، وقوله (خطاً) قال الداودي:إن أراد خطاً فقط بغير بسملة فليس بصواب لإتفاق الصحابة على كتابة البسملة بين كل سورتين إلا براءة، وإن أراد بالإمام أمام كل سورة فيجعل الخط مع البسملة فحسن، فكان ينبغي أن يستثني براءة. حكاه الحافظ.

وقال الكرماني (١٨/١٩٨): أي أكتب في أوله البسملة فقط ثم اجعل بين كل سورتين خطاً علامة صلة بينهما وهو مذهب حمزة في القراء السبعة وتعقبه الحافظ فقال: المنقول ذلك عن حمزة في القراءة لا في الكتابة. ا.هـ

٢ - [**وقال مجاهد: ﴿ناديه﴾ عشيرته**].

ش: قال الفريابي: ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره. حكاه الحافظ

وأخرجه عبد الرزاق عن قتادة بلفظ حيه وليس بين العبارتين خلاف في المعنى.

والآية المشار إليها **﴿فليدع ناديه﴾**.

٣ [**﴿الزبانية﴾ الملائكة**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثني الحارث ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرجه عن قتادة والضحاك.

والآية المشار إليها ﴿سندع الزبانية﴾.

٤ - [وقال معمر: ﴿الرجعى﴾ المرجع].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد والرجوع.

والآية المشار إليها ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾.

٥ - [﴿لنسفعن﴾ لنأخذن، ولنسفعن بالنون وهي الخفيفة، سفعتُ بيده، أخذت].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها ﴿كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية﴾.

٤٦٩ - حدثنا يحيى: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب.

حدثني سعيد بن مروان[1]: حدثنا محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة[2]: أخبرنا أبو صالح سلموية[3] قال: حدثني عبد الله، عن يونس بن يزيد قال: أخبرني ابن شهاب: أن عروة ابن الزبير أخبره: أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يلحق بغار

---

(١) هو أبوعثمان سعيد بن مروان بن علي البغدادي، نزيل نيسابور، و لم يفرق الكلاباذي بينه وبين الرهاوي، صدوق كان يستملي على أحمد، مات سنة إثنين وخمسين من الحادية عشرة خ، ق.

(٢) هو أبو عمرو محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة، غزوان المروزي ثقة من العاشرة مات سنة إحدى وأربعين، خ، ٤.

(٣) هو سليمان بن صالح الليثي مولاهم، المروزي يلقب سلموية، ثقة من العاشرة، مات قبل سنة عشر ومائتين، وقد بلغ المائة، خ، س.

حراء، فيتحنث فيه ـ قال: والتحنث التعبد ـ الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود بمثلها، حتى فجئه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، فقال رسول الله ﷺ: (ما أنا بقارئ). قال: (فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم﴾. الآيات إلى قوله: ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾). فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره، حتى دخل على خديجة، فقال: (زملوني زملوني). فزملوه حتى ذهب عنه الروع. قال لخديجة: (أي خديجة، ما لي، لقد خشيت على نفسي). فأخبرها الخبر، قالت خديجة: كلا، أبشر، فوا لله لا يخزيك الله أبداً، فوا لله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة ابن نوفل، وهو ابن عم خديجة أخي أبيها، وكان امرأً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، قال ورقة: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره النبي ﷺ خبر ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً، ذكر حرفاً، قال رسول الله ﷺ: (أو مخرجي هم). قال ورقة: نعم، لم يأت رجل بما جئت به إلا أوذي، وإن يدركني يومك حياً أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة، حتى حزن رسول الله ﷺ.

٤٧٠ - **قال محمد بن شهاب: فأخبرني أبو سلمة: أن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ، وهو يحدث عن فترة الوحي، قال في حديثه: (بينا أنا أمشي، سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاءني بحراء، جالس على كرسي بين السماء والأرض، ففرقت منه، فرجعت، فقلت: زملوني زملوني، فدثروه، فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها المدثر. قم فأنذر. وربك فكبر. وثيابك فطهر. والرجز فاهجر﴾. قال أبو سلمة: وهي الأوثان التي كان أهل الجاهلية يعبدون ـ قال: ثم تتابع الوحي).**

ش / فيهما خمس وعشرون مسألة:

الأولى: قوله: «**كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة في النوم**» في رواية عقيل في بدء الوحي باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم).

قال النووي (١٩٧/٢): وهذا الحديث من مراسيل الصحابة رضي الله عنهم فإن عائشة رضي الله عنها لم تدرك هذه القضية، فتكون قد سمعتها من النبي ﷺ أو من الصحابي.

قلت: وقد عرفت فيما سبق أن مرسل الصحابي حجة.

الثانية: قوله: «**فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح**» يعني ضوءه وإنما يقال هذا في الشيء الواضح البين. قال القاضي رحمه الله وغيره من العلماء إنما ابتدئ ﷺ بالرؤيا لئلا يفجأه الملك ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا يحتملها قوى البشرية فبدئ بأول خصال النبوة، وتباشير الكرامة من صدق الرؤيا وما جاء في الحديث الأخر من رؤية الضوء وسماع الصوت وسلام الحجر والشجر عليه بالنبوة. حكاه النووي.

الثالثة: قوله: «**ثم حبب إليه الخلاء، فكان يلحق بغار حراء**» في بدء الوحي (يخلو بغار حراء) قال الحافظ: وهذه الرواية أوجه. ا.هـ

ووقع عند ابن اسحاق (٢٣٥/١) برواية عبيد بن عمير (فكان يجاور).

الرابعة: قوله: «**فيتحنث فيه - قال والتحنث التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله**» في بدء الوحي (قبل أن ينزع إلى أهله) وعند مسلم في الإيمان باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (أولات) بدل (ذوات) وعند ابن اسحاق (من كل سنة شهر).

قلت: ولفظة وهو التعبد من كلام عروة أو من دونه. تفسير للتحنث.

الخامسة: قوله: «**ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود بمثلها، حتى فجئه الحق وهو في غار حراء**» في بدء الوحي (فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء).

السادسة: قوله: «**فجاءه الملك فقال: اقرأ**» وعند ابن اسحاق (حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته، ورحم العباد بها، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله).

السابعة: قوله: «**فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد**» عند ابن اسحاق (فغتني به حتى ظننت أنه الموت) أما غطى فبالغين المعجمة والطاء المهملة ومعناه عصرني وضمني يقال غطه وغته وضغطه وعصره وخنقه وغمزه كله بمعنى واحد.

وأما الجهد: فيجوز فيه فتح الجيم وضمها لغتان وهو الغاية والمشقة ويجوز نصب الدال ورفعها فعلى النصب بلغ جبريل مني الجهد وعلى الرفع بلغ الجهد مني مبلغه وغايته، قاله النووي.

قال العلماء: والحكمة في الغط شغله من الإلتفات والمبالغة في أمره بإحضار قلبه، لما يقوله له.

الثامنة: قوله: «فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ منى الجهد) عند ابن اسحاق (فغتني به حتى ظننت أنه الموت»).

التاسعة: قوله: «**فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد**»عند ابن اسحاق (فغتني به حتى ظننت أنه الموت) والحكمة في تكرير ألغط ثلاثاً هي المبالغة في التنبيه.ففيه أنه ينبغي للمعلم أن يحتاط في تنبيه المتعلم وأمره بإحضار قلبه.

وأما الحكمة في تكرير الأمر بالقراءة هي الإشارة إلى انحصار الإيمان الذي ينشأ الوحي بسببه في ثلاث: القول، والعمل، والنية وأن الوحي يشتمل على ثلاث: التوحيد، والأحكام، والقصص.

العاشرة: قوله «**ثم أرسلني فقال ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم﴾**» الآيات إلى قوله **﴿علم الإنسان مالم يعلم﴾** عند مسلم **﴿الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾** وهذه الآيات الخمس هي أول ما نزل من هذه السورة، والقصة صريحة الدلالة على أنها أول ما نزل من القرآن وأما بقية السورة فقد نزل بعد ذلك بزمن والحكمة في هذه الأولية أن هذه الأيات الخمس اشتملت علىمقاصد القرآن وهي التوحيد والأحكام والأخبار، ففيها براعة الإستهلال فقد اشتملت على الأمر بالقراءة والبداءة فيها ببسم ا لله وفي هذا الإشارة إلى الأحكام، وفيها ما يتعلق بالتوحيد بأنواعه الثلاث الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله **﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾**.

الحادية عشرة:قوله: «**فرجع بها رسول ا لله ﷺ ترجف بوادره**» في بدء الوحي (يرجف فؤاده) ومعنى ترجف ترعد وتضطرب وأصله شدة الحركة وبوادره بفتح الباء الموحدة قال ابو عبيد وسائر أهل اللغة والغريب إنها اللحمة

التي بين المنكب والعنق يضطرب عند فزع الإنسان. والحاصل أن رسول ا لله ﷺ حصل له مما رآه فزع ارتجف له فؤاده وبوادره.

الثانية عشرة: قوله: «**حتى دخل على خديجة فقال: (زملوني زملوني)**» قال النووي: هكذا هو في الروايات مكرر مرتين ومعنى زملوني غطوني بالثياب ولفوني بها.

الثالثة عشرة: قوله: «**فزملوه حتى ذهب عنه الروع**» هو بفتح الراء وهو الفزع والمعنى أنهم غطوه ولفوه بالثياب حتى ذهب عنه الفزع.

الرابعة عشرة: قوله: «**أي خديجة ما لي، لقد خشيت على نفسي فأخبرها الخبر**» قال القاضي عياض رحمه ا لله: ليس هو بمعنى الشك فيما أتاه من ا لله تعالى لكنه ربما خشي أن لا يقوى على مقاومة هذا الأمر، ولا يقدر على حمل أعباء الوحي فتزهق نفسه، أو يكون هذا لأول ما رأى التباشير في النوم واليقظة وسمع الصوت قبل لقاء الملك وتحققه رسالة ربه فيكون خاف أن يكون من الشيطان الرجيم فأما منذ جاءه الملك برسالة ربه سبحانه وتعالى فلا يجوز عليه الشك فيه فلا يخشى من تسلط الشيطان عليه وعلى هذا الطريق يحمل جميع ما ورد من مثل هذا في حديث البعث، هذا كلام القاضي رحمه ا لله في شرح صحيح مسلم وذكر أيضاً في كتابه الشفاء هذين الإحتمالين في كلام مبسوط، وهذا الإحتمال الثاني ضعيف لأنه خلاف تصريح الحديث، لأن هذا كان بعد غط الملك واتيانه باقرأ بسم ربك الذي خلق وا لله أعلم. ا.هـ من شرح النووي (٢/٢٠٠).

الخامسة عشرة: قوله: «**كلا ابشر، فوا لله لا يخزيك ا لله أبداً**» أما قولها كلا فهي هنا كلمة نفي وابعاد وهذا أحد معانيها وقد تأتي كلا بمعنى حقاً وبمعنى ألا التي للتنبيه يستفتح بها الكلام وقد جاءت في القرآن العزيز على أقسام وقد جمع الإمام أبو بكر بن الأنباري أقسامها ومواضعها في باب من كتابه الوقف والإبتداء، وأما قولها لا يخزيك) فهو بضم الياء وبالخاء المعجمة كذا هو في رواية

يونس وعقيل وقال معمر في روايته لا يحزنك بالحاء المهملة والنون ويجوز فتح الياء في أوله وضمها وكلاهما صحيح والخزي الفضيحة والهوان، ا.هـ من شرح النووي.

قلت: وعند ابن اسحاق «فقالت ابشر يا ابن عم واثبت فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجوا أن تكون نبي هذه الأمة».

السادسة عشرة: قوله: «**فوا لله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق**» هذه ست خصال لا يحملها إلا كمل الرجال وقد ذكرتها أم المؤمنين رضي الله عنها تخفيفاً على زوجها ﷺ ومطمئنة له ومبشرة بحميد العاقبة ومعنى هذه الخصال تفصيلاً:

أولاً: صلة الرحم وهي الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول فتارة تكون بالمال وتارة بالخدمة وتارة بالزيارة والسلام وغير ذلك.

ثانياً: صدق الحديث وضده الكذب ولم يجرب ذلك على النبي ﷺ قبل نبوته كما صرح أبو لهب حين قال: ما جربنا عليك كذباً، وكان ﷺ معروفاً بين قومه بالصادق الأمين.

ثالثاً: حمل الكل وأصله الثقل ومنه قوله تعالى: ﴿**وهو كَلٌّ على مولاه**﴾ ويدخل في حمل الكل الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك وهو من الكلال وهو الإعياء.

رابعاً: كسب المعدوم وهو بفتح التاء هذا هو الصحيح المشهور يقال كسبت الرجل مالاً وأكسبته مالاً لغتان أفصحهما باتفاقهم كسبته بحذف الألف وأما معنى تكسب المعدوم فمن رواه بالضم فمعناه تكسب غيرك المال المعدوم أي تعطيه إياه تبرعاً فحذف أحد المفعولين، وقيل معناه تعطي الناس مالا يجدونه عند

غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الأخلاق وكانت العرب تتمادح بكسب المال المعدوم لا سيما قريش وكان النبي ﷺ محظوظاً في تجارته.

الخامسة: إقراء الضيف قال أهل اللغة يقال قريت الضيف أقرية قرى بكسر القاف مقصوراً وقراء بفتح القاف والمد ويقال للطعام الذي يضيفه به قرى بكسر القاف مقصوراً ويقال للفاعل قار مثل قضى فهو قاضي.

السادسة: الإعانة على نوائب الحق: والنوائب جمع نائبة وهي الحادثة وإنما قالت نوائب الحق لأن النائبة قد تكون في الخير وقد تكون في الشر.

قال العلماء: معنى كلام خديجة رضي الله عنها إنك لا يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق وكرم الشمائل.

السابعة عشرة: قوله:«**فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل وهو ابن عم خديجة أخي أبيها**» لأنها خديجة بنت خويلد بن أسد وهو ورقة بن نوفل بن أسد وفي بدء الوحي (فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة) وعند ابن اسحاق (ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عمها).

الثامنة عشرة: قوله: (وكان امرأً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي) في بدء الوحي (وكان يكتب الكتاب العبراني) وفي الأنبياء باب ﴿**وقال رجل مؤمن من آل فرعون**﴾ (يقرأ الإنجيل بالعربية) والمعنى أنه تمكن من معرفة دين النصارى بحيث أنه صار يتصرف في الإنجيل.

التاسعة عشرة: قوله: «**يا ابن عم اسمع من ابن أخيك**» عند مسلم (أي عم) وكلاهما صحيح أما الأول فلأنه ابن عمها على الحقيقة كما تقدم في نسبهما.

وأما الثاني: فسمته عماً احتراماً وهذه عادة العرب في مخاطبة كبير السن.

العشرون: قوله: «**هذا الناموس الذي أنزل على موسى**» في بدء الوحي (هذا الناموس الذي نزل الله على موسى) الناموس بالنون والسين المهملة وهو جبريل ﷺ.

قال أهل اللغة وغريب الحديث: الناموس في اللغة صاحب سر الخير والجاسوس صاحب سر الشر ويقال نمست السر بفتح النون والميم انمسه بكسر الميم نمساً أي كتمته ونمست الرجل ونامسته ساررته واتفقوا على أن جبريل عليه السلام يسمى الناموس، واتفقوا على أنه المراد هنا.

قال الهروي: يسمى بذلك لأن الله تعالى خصه بالغيب والوحي، وأما قوله الذي أنزل على موسى ﷺ فكذا هو في الصحيحين وغيرهما وهو المشهور وروينا في غير الصحيح نزل على عيسى ﷺ وكلاهما صحيح. ا.هـ من شرح النووي على مسلم.

الحادية والعشرون: قوله: «**ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً ذكر حرفاً**» في بدء الوحي (ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك) والضمير بفيها راجع إلى أيام النبوة والمعنى ليتني شابٌ قويٌ حتى أبالغ في نصرتك.

الثانية والعشرون: قوله: «**أو مخرجي هم**» هذا استفهام استنكار واستغراب والمعنى هل يخرجني قومي من بينهم وأنا فيهم ذو مكانة.

الثالثة والعشرون: قوله: «**نعم، لم يأت رجل بما جئت به إلا أوذي، وإن يدركني يومك حياً أنصرك نصراً مؤزراً**» في بدء الوحي (لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي) وعند ابن اسحاق (ولتكذبنه، ولتؤذينه، ولتخرجنه، ولتقاتلنه، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمه).

الرابعة والعشرون: قوله: «**ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ**» والمعنى أنه لم يلبث ورقة أن مات ثم بعد ذلك انقطع الوحي واحبس عن النبي ﷺ حتى حزن لذلك.

من فقه الحديثين :

أولاً: فيه أعظم دليل وأبلغ حجة على كمال خديجة رضي الله عنها وجزالة رأيها وقوة نفسها وثبات قلبها وعظم فقهها.

ثانياً: جواز مدح الإنسان في وجهه في بعض الأحوال لمصلحة راجحة.

ثالثاً: تأنيس من حصلت له مخافة من أمر وتبشيره وذكر أسباب السلامة له.

رابعاً: أن النبيﷺ يجري عليه ما يجري على سائر البشر من الخوف يُستغرب من الأمور .

الخامسة والعشرون : قوله :(ففرِقتُ منه) الفَرَق بالتحريك : الخوف والفزع ، يقال : فرق يفرَق فرَقاً، وفي حديث عائشة رضي الله عنها (ترجُفُ بوادره) .

٤٤٥ - [باب قوله: ﴿خلق الإنسان من علق﴾]

ش: قلت هذه الآية متصلة بالتي قبلها وهي ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ يأمر الله جل ثناؤه نبيه ﷺ بالقراءة مبتدئاً إياها باسمه جل ثناؤه ووصف نفسه بصفة من أعظم صفاته وهي الخلق، ثم بين الذي خلق فقال: ﴿خلق الإنسان من علق﴾ يعني من الدم وقال من علق، والمراد به من علقة، لأنه ذهب إلى الجمع كما يقال: شجرة وشجر، وقصبة وقصب وكذلك علقة وعلق، وإنما قال من علق والإنسان في لفظ واحد، لأنه في معنى جمع وإن كان في لفظ واحد.

فائدة

قال ابن القيم: «وخص الإنسان من بين المخلوقات لما أودعه من عجائبه وآياته الدالة على ربوبيته وقدرته وعلمه وحكمته وكمال رحمته، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه»ا.هـ من مفتاح دار السعادة (١/ ٥٨).

٤٧١ - حدثنا ابن بكير: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة: أن عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصالحة، فجاءه الملك، فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم﴾.

ش: تقدم في الباب قبله.

٤٤٦ - [باب قوله: ﴿اقرأ وربك الأكرم﴾]

ش: يأمر تعالى نبيه ﷺ بقوله **﴿اقرأ وربك الأكرم﴾** أي كثير الصفات واسعها كثير الكرم والإحسان، واسع الجود.

٤٧٢ - حدثنا عبد الله بن محمد: حدثنا عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن الزهري (ح) وقال الليث: حدثني عقيل: قال محمد: أخبرني عروة، عن عائشة رضي الله عنها: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة، جاءه الملك فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم﴾).

ش: تقدم في الباب الأول من تفسير هذه السورة.

٤٤٧ - [باب ﴿الذي علم بالقلم﴾]

ش: قلت: تمام السياق ﴿**علم الإنسان ما لم يعلم**﴾

قوله ﴿**الذي علم بالقلم**﴾ فيها وصف من أوصاف الباري جل وعلا الذي أمر النبي ﷺ أن يبتدئ القراءة باسمه وذلك الوصف أنه علم بالقلم والمعنى علم الإنسان الكتابة بالقلم فكان بواسطة ذلك يقدر على أن يعلم كل مكتوب.

فإن قلت: ما الحكمة في التنصيص على القلم؟ فالجواب: قال ابن القيم في معرض كلامه على الخمس آيات الأول من السورة كما في مفتاح دار السعادة ٢٧٨/١: ثم ذكر ثالثاً التعليم بالقلم الذي هو من أعظم نعمه على عباده، إذ به تخلد العلوم وتثبت الحقوق، وتعلم الوصايا وتحفظ الشهادات، ويضبط حساب المعاملات الواقعة بين الناس، وبه تقيد أخبار الماضين، للباقين اللاحقين، ولولا الكتابة لا نقطعت أخبار بعض الأزمنة عن بعض، ودرست السنن وتخبطت الأحكام، ولم يعرف الخلف مذاهب السلف.

وكان معظم الخلل الداخل على الناس في دينهم ودنياهم إنما يعتريهم من النسيان الذي يمحو صور العلم من قلوبهم، فجعل لهم الكتاب وعاءاً حافظاً للعلم من الضياع: كالأوعية التي تحفظ الأمتعة من الذهاب والبطلان.

فنعمة الله ـ عز وجل ـ بتعليم القلم بعد القرآن من أجل النعم.

والتعليم به وإن كان مما يخلص إليه الإنسان بالفطنة والحيلة، فإنه الذي بلغ به ذلك، وأوصله إليه عطية وهبها الله منه وفضل أعطاه الله إياه وزيادة في خلقه وفضله، فهو الذي علمه الكتابة، وإن كان هو المتعلم، ففعله فعل مطاوع لتعليم الذي علم بالقلم فإنه علمه فتعلم، كما أنه علمه الكلام فتكلم.

هذا ومن أعطاه الذهن الذي يعي به، واللسان الذي يترجم به، والبنان الذي يخط به. ومن هيأ ذهنه لقبول هذا التعليم دون سائر الحيونات. ومن الذي أنطق لسانه وحرك بنانه. ومن الذي دعم البنان بالكف، ودعم الكف بالساعد.

فكم لله من آية نحن غافلون عنها في التعليم بالقلم، فقف وقفة في حال الكتابة، وتأمل حالك وقد أمسكت القلم وهو جماد، وضعته على القرطاس وهو جماد، فتولد من بينهما أنواع الحكم وأصناف العلوم، وفنون المراسلات والخطب والنظم والنثر وجوابات المسائل، فمن الذي أجرى فلك المعاني على قلبك ورسمها في ذهنك، ثم أجرى العبارات الدالة عليها على لسانك، ثم حرك بها بنانك حتى صارت نقشاً عجيباً، معناه أعجب من صورته، فتقضي به مآربك، وتبلغ به حاجة في صدرك، وترسله إلى الأقطار النائية والجهات المتباعدة، فيقوم مقامك ويترجم عنك، ويتكلم على لسانك، ويقوم مقام رسولك، ويجدي عليك ما لا يجدي من ترسله، سوى من علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم.

والتعليم بالقلم يستلزم المراتب الثلاث: مرتبة الوجود الذهني، والوجود اللفظي، والوجود الرسمي، فقد دل التعليم بالقلم على أنه ـ سبحانه ـ هو المعطي لهذه المراتب. اهـ

٤٧٣ – حدثنا عبد الله بن يوسف: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب قال: سمعت عروة: قالت عائشة رضي الله عنها: فرجع النبي ﷺ إلى خديجة، فقال: (زملوني، زملوني) فذكر الحديث.

ش: تقدم.

٤٤٨ - [باب ﴿كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية. ناصية كاذبة خاطئة﴾]

ش: قوله: ﴿كلا لئن لم ينته﴾ كلا حرف ردع وزجر والمعنى أي لئن لم ينته أبو جهل عن محمد ﷺ ﴿**لنسفعاً بالناصية**﴾ يقول: لنأخذن بمقدم رأسه فلنطمنه ولنذلنه يقال منه سفعت بيده، إذا أخذت بيده. والمعنى: لنسودن وجهه فاكتفى بذكر الناصية من الوجه كله إذ كانت الناصية في مقدم الوجه.

وقوله: «**ناصية كاذبة خاطئة**» خفض ناصية رداً على الناصية الأولى بالتكرير، ووصف الناصية بالكذب والخطيئة والمعني صاحبها.

٤٧٤ - ثنا يحيى: ثنا عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم الجزري عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال أبو جهل لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه. فبلغ النبي ﷺ فقال: لو فعله لأخذته الملائكة). تابعه عمرو بن خالد عن عبيد الله عن عبد الكريم.

ش: فيه مسألتان:

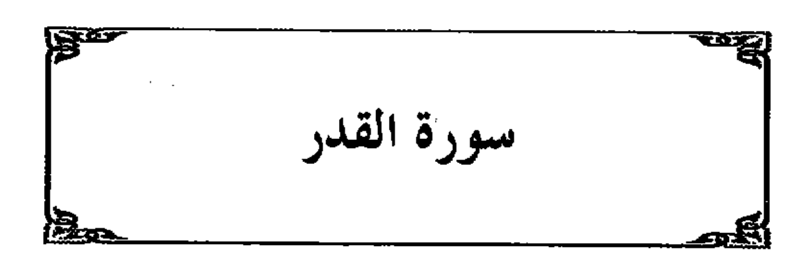
الأولى: قوله: «**لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه**» وعند ابن مردوية بإسناد ضعيف عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن العباس بن عبد المطلب قال: كنت يوماً في المسجد فأقبل أبو جهل فقال: إن لله علي أن رأيت محمداً ساجداً) فذكر الحديث. حكاه الحافظ.

الثانية: قوله: «**فبلغ النبي ﷺ ذلك فقال: لو فعله لأخذته الملائكة**» وقع عند البلاذري (نزل اثنا عشر ملكاً من الزبانية رؤوسهم في السماء وأرجلهم في الأرض) حكاه الحافظ.

قلت: وزاد النسائي في تفسير سورة آل عمران عند قوله تعالى ﴿**ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين**﴾ (وإن اليهود لو تمنوا الموت لماتوا ورأو مقاعدهم

من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً).

آخر تفسير سورة ﴿اقرأ﴾ والحمد لله.



٤٤٩ - سورة القدر ﴿إنا أنزلناه﴾

ش: شاهد التسمية ظاهر وفي المصحف القدر والشاهد ظاهر قال الماوردي هي مكية عند أكثر المفسرين وقال الثعلبي: هي مدنية في قول أكثر المفسرين.

وآياتها خمس آيات.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**يقال المطلع: هو الطلوع والمطلع: الموضع الذي يطلع منه**].

ش: قال الفراء: المطلع بالفتح هو الطلوع والمطلع المشرق، والموضع الذي تطلع منه إلا أن العرب يقولون: طلعت الشمس مطلعاً فيكسرون، وهم يريدون المصدر.

كما تقول: أكرمتك كرامة، فتجتزي بالإسم من المصدر، وكذلك قولك: أعطيتك عطاء اجتزى فيه بالإسم من المصدر.

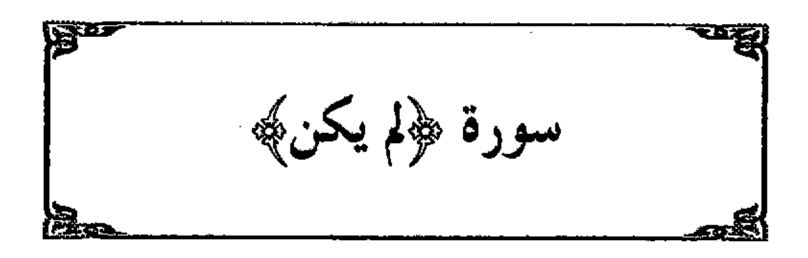
والآية المشار إليها ﴿**سلام هي حتى مطلع الفجر**﴾.

٢ - [﴿**أنزلناه**﴾ **الهاء كناية عن القرآن (أنزلناه) مخرج الجميع، والمنزل هو الله، والعرب تؤكد فعل الواحد فتجعله بلفظ الجميع، ليكون أثبت وأوكد**].

ش: عزاه الحافظ إلى أبي عبيدة.

والآية المشار إليها ﴿**إنا أنزلناه في ليلة القدر**﴾.

آخر تفسير سورة القدر.



٤٥٠ - سورة ﴿لم يكن﴾ بسم الله الرحمن الرحيم

ش: والمعتمد في المصحف سورة البينة وشاهد التسمية لكليهما واضح.

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب (إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لم يكن الذين كفروا﴾ قال: وسماني لك؟ قال نعم، فبكى) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [﴿منفكين﴾ زائلين].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها **﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة﴾.**

٢ - [﴿قيمه﴾ القائمة].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: العادلة، وأخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: مستقيمة معتدلة.

والآية المشار إليها **﴿فيها كتب قيمة﴾.**

٣ - [﴿دين القيمة﴾ أضاف الدين إلى المؤنث].

ش: قاله أبو عبيدة. وقال الفراء: وفي قراءة عبد الله **﴿ذلك الدين القيمة﴾** وفي قراءتنا **﴿وذلك دين القيمة﴾** وهو مما يضاف إلى نفسه لإختلاف لفظيه. ا.هـ

والآية المشار إليها **﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله حنفاء مخلصين له الدين ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾.**

٤٧٥ - ثنا محمد بن بشار: ثنا غندر: ثنا شعبة: سمعت قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: النبي ﷺ لأبي (إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لم يكن الذين كفروا﴾ قال وسماني؟ قال نعم. فبكى).

حدثنا حسان بن حسان[1] ثنا همام عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأبي: (إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن) قال أبي: آلله سماني

---

(١) هو أبو علي حسان بن حسان بن أبي عباد البصري، نزيل مكة، صدوق يخطئ من العاشرة، مات سنة ثلاث عشرة ومائتين. خ.

لك؟ قال (ا لله سماك لي؟!) فجعل أبيّ يبكي. قال قتادة: فأنبئت أنه قرأ عليه ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾.

٤٧٦ – ثنا أحمد بن داود أبو جعفر المنادي[١]، ثنا نوح، ثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة عن أنس بن مالك: أن نبي ا لله ﷺ قال لأبي بن كعب: (إن ا لله أمرني أن أقرئك القرآن) قال: آ لله سماني لك؟ قال نعم. قال وقد ذكرت عند رب العالمين؟ قال نعم. فذرفت عيناه).

ش: فيهما خمس مسائل:

الأولى: قوله: «**إن ا لله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لم يكن الذين كفروا﴾**» في رواية سعيد بن أبي عروبة الثانية (إن ا لله أمرني أن أقرئك القرآن) والجمع بين الروايتين بحمل المطلق في الرواية الأولى على المقيد في الرواية الثانية.

الثانية: قوله: «**وسماني؟!**» في الرواية الثانية (آ لله سماني لك؟!) في الرواية الثالثة :(قال: قد ذُكِرتُ عند رب العالمين؟!). قال النووي: ففيه أنه يجوز أن يكون ا لله تعالى أمر النبي ﷺ يقرأ على رجل من أمته ولم ينص على أبي فأراد أبي أن يتحقق هل نص عليه أو قال على رجل فيؤخذ منه الإستثبات في المحتملات.

الثالثة: قوله: (**نعم**) زاد في الرواية الثانية ((ا لله سمّاك لي)).

الرابعة: قوله: (**فبكى**) في الرواية الثانية (فذرفت عيناه) وفي الروايةالثالثة :(فجعلَ أبيٌّ يبكي) وكذا عند مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها (باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحذاق) وكتاب الفضائل (باب من فضائل أبي) (فجعل أبي يبكي).

---

(١) هو أبو جعفر محمد بن عبيد ا لله بن يزيد البغدادي بن أبي داود بن المنادى صدوق من صغار العاشرة، مات سنة اثنتين وسبعين ومائتين وله مائة سنة وسنة خ.

الخامسة: قوله: «**قال قتادة: فأنبئت أنه قرأ عليه ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾**» القائل هو همام بن يحيى العوذي راوية قتادة وظاهره أن قتادة لم يتحمل ذلك عن أنس لكن أخرج مسلم الحديث من طريق خالد بن الحارث: ثنا شعبة عن قتادة قال سمعت أنساً يقول قال رسول الله ﷺ لأبي بمثله) يعني بمثل حديث غندر عن شعبة: سمعت قتادة يحدث عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب (إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿**لم يكن الذين كفروا**﴾... الحديث).

قلت: فهذاوما قبله صريح في تحمل قتادة هذا الحديث عن أنس والله أعلم.

من فقه الأحاديث:

أولاً: استحباب قرأة القرآن على الحذاق فيه وأهل العلم به والفضل وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه.

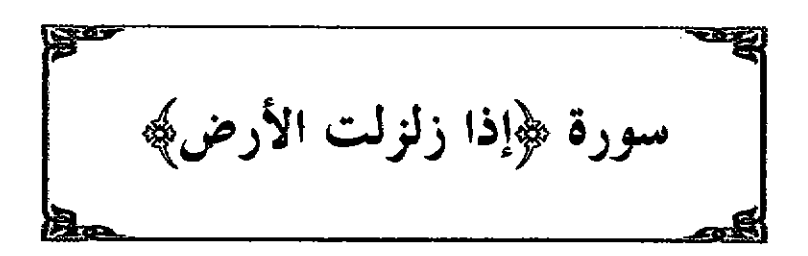
ثانياً: المنقبة الشريفة لأبي بقراءة النبي ﷺ عليه ولا يعلم أحد من الناس شاركه في هذا.

ثالثاً: في تسمية الله أبياً للنبي ﷺ وأمر الله إياه بالقراءة عليه منقبة أخرى عظيمة.

رابعاً: في الحديث إشارة إلى أن أبي هو أقرأ أصحاب النبي ﷺ.

خامساً: لا غضاضة بالبكاء فرحاً وسروراً مما يبشر الإنسان به.

آخر تفسر سورة البينة والحمد لله.



٤٥١ - سورة ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾

ش: شاهد التسمية واضح.

قال ابن مسعود وعطاء وجابر مكية وقال ابن عباس هي مدنية.

وآياتها ثمان آيات.

قوله :[﴿فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره﴾ ، يقال ﴿أوحى لها﴾ أوحى إليها، ووَحَى لها ووحَّى إليها واحد].

ش: أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: أوحى لها: أوحى إليها. وقال أبو عبيدة: قال العجاج: أوحى لها القرار فاستقرت.

٤٧٧ - حدثنا إسماعيل بن عبد الله حدثنا مالك عن زيد بن أسلم عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (الخيل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر. فأما الذي له أجر، فرجل ربطها في سبيل الله، فأطال لها في مرج أو روضة، فما أصابت في طيلها ذلك في المرج والروضة كان له حسنات. ولو أنها قطعت طيلها فاستنت شرفاً أو شرفين، كانت آثارها وأرواثها حسنات له، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ـ ولم يرد أن يسقي به ـ كان ذلك حسنات له، فهي لذلك الرجل أجر. ورجل ربطها تغنياً وتعففاً ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي له ستر. ورجل ربطها فخراً ورياء ونواء فيها على ذلك وزر. فسئل رسول الله ﷺ عن الحمر، قال: ما أنزل علي فيها إلا هذه الآية الفاذة الجامعة ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾).

ش: فيه ثنتى عشرة مسألة:

الأولى: قوله: «**الخيل لثلاثة**» زاد النسائي في كتاب الخيل والترمذي في فضائل الجهاد باب ما جاء في فضل من ارتبط فرساً في سبيل الله كلاهما من رواية سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة) والحديث أخرجه مسلم في الزكاة باب إثم مانع الزكاة من طريق عبد العزيز بن المختار عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمى عليه في نار جهنم... الحديث وفيه (قالوا

فالخيل يا رسول الله قال الخيل في نواصيها ـ أو قال ـ الخيل معقود في نواصيها ـ قال سهيل أنا أشك ـ الخير إلى يوم القيامة).

قال النووي: جاء تفسيره في الحديث الآخر في الصحيح الأجر والمغنم وفيه دليل على بقاء الإسلام والجهاد إلى يوم القيامة والمراد قبيل القيامة بيسير أي حتى تأتي الريح الطيبة من قبل اليمن تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة كما ثبت في الصحيح. ا.هـ

فائدة

قال الحافظ: وقد فهم بعض الشراح منه الحصر فقال: اتخاذ الخيل لا يخرج عن أن يكون مطلوباً أو مباحاً أو ممنوعاً، فيدخل في المطلوب الواجب والمندوب ويدخل في الممنوع المكروه والحرام بحسب اختلاف المقاصد، واعترض بعضهم بأن المباح لم يذكر في الحديث لأن القسم الثاني الذي يتخيل فيه ذلك جاء مقيداً بقوله (ولم ينس حق الله فيها) فيلتحق بالمندوب. ا.هـ من الفتح (٦/٦٤).

الثانية: قوله: «**لرجل أجر ولرجل ستر، وعلى رجل وزر**» هذا بيان لقوله في أول الحديث الخيل لثلاثة.

الثالثة: قوله: «**فأما الذي له أجر، فرجل ربطها في سبيل الله**» وعند مسلم (فأما التي هي له أجر فالرجل يتخذها في سبيل الله ويعدها له فلا تُغيِّب شيئاً في بطونها إلا كتب الله له أجراً) وعند النسائي (فأما الذي هي له أجر فالذي يحتبسها في سبيل الله فيتخذها له ولا تُغيِّب في بطونها شيئاً إلا كتب له بكل شيء غيبت في بطونها أجر.)

الرابعة: قوله: «**فأطال لها في مرج وروضة، فما أصابت في طيلها ذلك في المرج والروضة كانت له حسنات**» عند مسلم (ولو رعاها في مرج ما أكلت من شيء إلا كتب الله له بها أجراً) فقوله (في مرج) هو موضع الكلأ وأكثر ما يطلق على الموضع المطمئن، والروضة أكثر ما يطلق في الموضع المرتفع، وقوله (طيلها)

يكسر الطاء المهلمة وفتح التحتانية بعدها لام هو الحبل الذي تربط به ويُطَوّل لها لترعى.

الخامسة: قوله: (**ولو أنها قطعت في طيلها فاستنت شرفاً أو شرفين كانت أثارها وأرواثها حسنات له**) عند مسلم (حتى ذكر الأجر في أبوالها وأرواثها ولو استنت شرفاً أو شرفين كتب له بكل خطوة تخطوها أجر) وقوله (فاستنت شرفاً) أي الحث في العدو. والشرف بفتح الشين المعجمة والراء المهملة هو الشوط، وسمي به لأن العادي به يشرف على ما يتعرجه إليه.

السادسة: قوله: «**ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقي به كان ذلك حسنات له، فهي لذلك الرجل أجر**» عند مسلم ولو سقاها من نهر كان له بكل قطرة تغيبها في بطونها أجر) **قلت:** فالحاصل أن الأجر واقع لصاحب تلك الخيل بشربها من النهر الذي مرت به وسواءً أراد سقياها منه أم لم يرد.

السابعة: قوله: «**ورجل ربطها تغنياً وتعففاً**» عند مسلم (وأما الذي هي له ستر فالرجل يتخذها تكرماً وتجملاً) والمقصود أنه اتخذ هذه الخيل اظهاراً للتعفف والإستغناء عما في أيدي الناس فهو يتردد عليها إلى متاجره ومزارعه ونحوها فتكون ستراً له تحجبه عن الفاقة.

الثامنة: قوله: «**ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي له ستر**» عند مسلم (ولا ينسى حق ظهروها وبطونها في عسرها ويسرها) **قلت:** وفيه دليل لما ذهب إليه أبو حنيفة رحمه الله من وجوب الزكاة في الخيل ومذهبه في ذلك أنه إذا كانت كلها ذكوراً فلا زكاة فيها وإن كانت إناثاً أو ذكوراً وإناثاً وجبت الزكاة وهو بالخيار إن شاء أخرج عن كل فرس ديناراً وإن شاء قومها وأخرج ربع عشر القيمة وذهب مالك والشافعي وأحمد والجمهور إلى أنه لا زكاة في الخيل وهذا هو الراجح لما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول

ا لله ﷺ قال: (ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة) وفي لفظ لمسلم (ليس في العبد صدقة إلا صدقة الفطر).

فإن قلت: كيف تصنعون بقوله في الحديث (ولم ينس حق ا لله في رقابها) فالجواب من عدة أوجه:

أحدها: أن المراد أنه يجاهد بها وقد يجب الجهاد بها إذا تعين.

وثانيها: أن المراد الإحسان إليها والقيام بعلفها وسائر مؤنها والمراد بظهورها أطراق فحلها إذا طلبت عاريته.

وثالثها: أن المراد حق ا لله مما يكسب من مال العدو على ظهورها وهو خمس الغنيمة.

التاسعة: قوله: «**ورجل ربطها فخراً ورياء ونواءً فهي عليه وزر**» زاد في الجهاد (ونواء لأهل الإسلام) وعند مسلم (فالذي يتخذها أشراً بطراً وبذخاً ورياء الناس) والنواء بسكر النون وبالمد أي مناوأة ومعاداة وأصله من ناء إذا نهض.

العاشرة: قوله: «**فسئل رسول ا لله ﷺ عن الحمر**» عند مسلم (قيل يا رسول ا لله فالحمر).

الحادية عشرة: قوله: «**ما انزل ا لله علي فيها إلا هذه الآية الفاذة الجامعة**» معنى الفاذة القليلة النظير والجامعة أي العامة المتناولة لكل خير ومعروف وفيه الإشارة إلى التمسك بالعموم حتى يرد ما يخصصه لأنه هو الأصل.

الثانية عشرة: قوله: (﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**﴾) وهذا شامل عام للخير والشر كله، لأنه إذا رأى مثقال الذرة، التي هي أحقر الأشياء وجوزي عليها، فما فوق ذلك، من باب أولى وأحرى، كما قال تعالى: ﴿**يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً**﴾ وقال ﴿**ووجدوا ما عملوا**

حاضراً﴾ وهذا فيه الترغيب في فعل الخير ولو قليلاً، والترهيب من فعل الشر ولو حقيراً.

من فقه الحديث

أولاً: مشروعية اقتناء الخيل في طاعة الله أو اظهار الإستغناء والتعفف.

ثانياً: جواز اقتناء الحمر وأنه لا زكاة فيها.

ثالثاً: الحث على فعل الخير وإن قل.

رابعاً: التحذير من الشر وإن كان قليلاً.

خامساً: وجوب الإيمان بوزن الأعمال يوم القيامة.

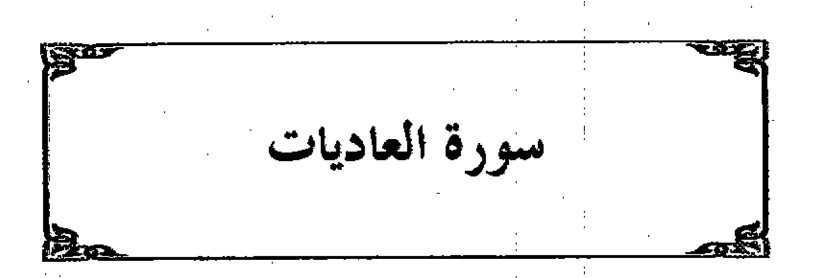
٤٥٢ - [باب ﴿ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾]

سبق شرحها في مسائل الباب قبله.

٤٧٨ - حدثنا يحيى بن سليمان قال حدثني ابن وهب قال أخبرني مالك عن زيد بن أسلم عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة رضي الله عنه (سئل النبي ﷺ عن الحمر، فقال: لم ينزل علي فيها شيء إلا هذه الآية الجامعة الفاذة ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾.

ش: تقدم معناه ضمن الباب قبله.

آخر تفسير سورة الزلزلة.



٤٥٣ - سورة العاديات

ش: شاهد التسمية ظاهر.

قال ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء مكية وقال ابن عباس وأنس وقتادة أنها مدنية.

وآياتها إحدى عشرة آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: الكنود: الكفور].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا أبو كريب: ثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد فذكره.

وأخرج مثله عن ابن عباس والحسن وسماك بن حرب وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿**إن الإنسان لربه لكنود**﴾.

٢ - [يقال ﴿فأثرن به نقعاً﴾ رفعن به غباراً﴾.

ش: قاله أبو عبيدةوزاد: النقع الغبار.

وأخرج ابن جرير المعنى عن عكرمة وقتادة وغيرهما.

٣ - [﴿لحب الخير﴾ من أجل حب الخير].

ش: قاله أبو عبيدة.

٤ - [﴿لشديد﴾ لبخيل ويقال للبخيل شديد].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ومتشدد قال طرفة:

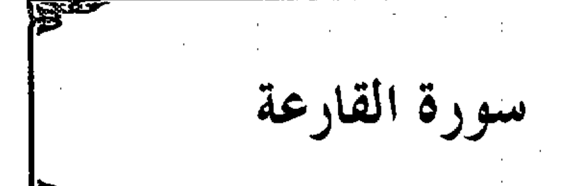
أرى الموت يعتام النفوس ويصطفي عقيلة مال الباخل المتشدد

والآية المشار إليها ﴿**وإنه لحب الخير لشديد**﴾.

٥ - [﴿حُصِّل﴾ مُيِّز].

ش: قاله أبو عبيدة. وقال الفراء: بين وكلا المعنيين صحيح ولا منافاة بينهما وبالأول قال سفيان وبنحو الثاني قال ابن عباس: ابرز أخرجه عنهما ابن جرير.

آخر تفسير سورة ﴿والعاديات﴾.



٤٥٤ - سورة القارعة

ش: شاهد التسمية واضح.

وهي مكية يدل لذلك ما أخرجه ابن مردوية عن ابن عباس قال: نزلت سورة القارعة بمكة.

وآياتها إحدى عشرة آية. \

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [﴿كالفراش المبثوث﴾ كفوغاء الجراد يركب بعضه بعضاً كذلك الناس يجول بعضهم في بعض].

ش: قاله الفراء.

والآية المشار إليها **﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾.**

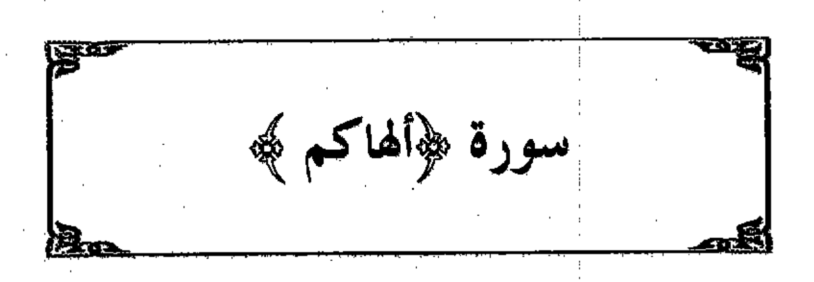
٢ - [﴿كالعهن﴾ كألوان العهن، وقرأ عبد الله: كالصوف].

ش: قاله الفراء. وقوله (وقرأ عبد الله يعني ابن مسعود وهذه القراءة ذكرها ابن أبي داود عنه حكاه في عمدة القاري (١٦/١٧٩).

وأخرج ابن جرير في الآية عن قتادة قال: العهن المنفوش: الصوف المنفوش.

والآية المشار إليها **﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾.**

آخر تفسير سورة القارعة.



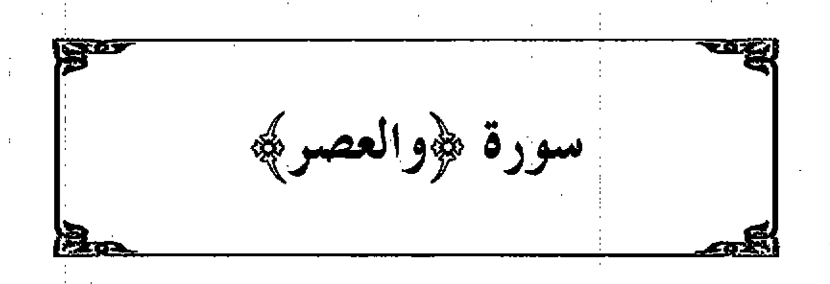
٤٥٥ - سورة ﴿ألهاكم﴾

ش: **قلت:** وفي المصحف التكاثر: وشاهد التسمية لكليهما ظاهر. روى البخاري أنها مدنية وقال ابن عباس مكية رواه ابن مردوية. وآياتها ثمان آيات.

- **[وقال ابن عباس: ﴿التكاثر﴾ من الأموال والأولاد].**

ش: وصله ابن المنذر من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس. حكاه في الفتح.

آخر تفسير سورة التكاثر.



٤٥٦ - **سورة والعصر**

ش: شاهد التسمية واضح. وروى الطبراني من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن عبيدا لله بن حصن قال: كان الرجلان من أصحاب رسول ا لله إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر... إلخ. ثم يسلم أحدهما على الآخر.

وهي مكية قاله ابن عباس أخرجه ابن مردوية.

وهي ثلاث آيات.

[وقال يحيى: ﴿العصر﴾ الدهر، أقسم به].

ش: قاله الفراء. وهو أبو زكريا يحيى بن زياد وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

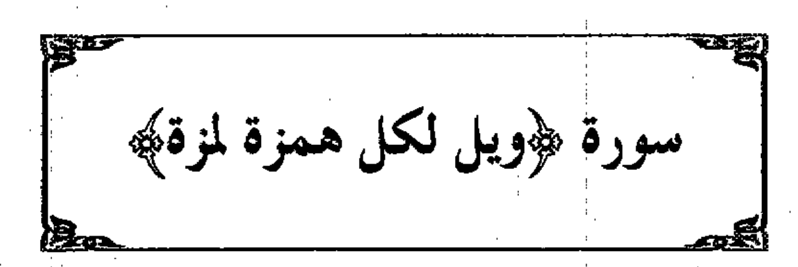
وثانيهما: أنه العشي وهو قول الحسن.

واختار ابن جرير أن الآية عامة في الأمرين قال: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن ربنا أقسم بالعصر ﴿**والعصر**﴾ اسم للدهر وهو العشي والليل والنهار، ولم يخصص مما شمله هذا الإسم معنى دون معنى.

تنبيه

وقع في نسخة الحافظ وقال مجاهد خسر ضلال ثم استثنى فقال إلا من آمن، قال الحافظ عقبه: ولم أره في شيء من التفاسير المسندة إلا هكذا عن مجاهد: إن الإنسان لفي خسر قال إلا من آمن.

آخر تفسير سورة العصر والحمد لله.



٤٥٧ - سورة ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

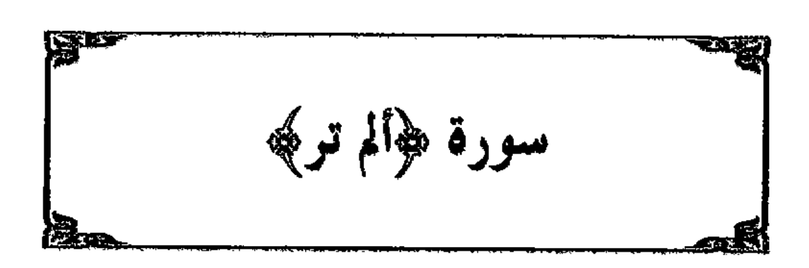
ش: شاهد التسمية واضح.

وهي مكية يدل لذلك ما أخرجه ابن مردوية عن ابن عباس قال: نزلت ﴿ويل لكل همزة﴾ بمكة.

[﴿الحطمة﴾ اسم النار مثل ﴿سقر﴾ و﴿لظى﴾].

ش: قاله الفراء وزاد (وجهنم).

آخر تفسير سورة ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾.



٤٥٨ - سورة ﴿ألم تر﴾
ش: وفي المصحف الفيل وشاهد التسمية لكليهما ظاهر.
وهي مكية قال ابن عباس: انزلت بمكة رواه ابن مردويه.
وآياتها خمس آيات.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**﴿ألم تر﴾ ألم تعلم**].

ش: (وللمستملي **﴿ألم تر﴾** قال مجاهد: **﴿ألم تر﴾** ألم تعلم. «والصواب الأول فإنه ليس من تفسير مجاهد»). قاله الحافظ.

وقال الفراء: **﴿ألم تر﴾** ألم تخبر.

والآية المشار إليها **﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾**.

٢ - [**قال مجاهد: ﴿أبا بيل﴾ متتابعة مجتمعة**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرج في المعنى عن ابن عباس و الحسن وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزى وإسحاق بن الحارث بن نوفل وقتادة والضحاك وابن زيد.

والآية المشار إليها **﴿وأرسل عليهم طيراً أبابيل﴾**.

٣ - [**وقال ابن عباس: ﴿من سجيل﴾ هي سَنْكِ وكِلْ**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا أبو كريب: ثنا وكيع عن سفيان عن السدي عن عكرمة عن ابن عباس فذكره، وزاد: حجر وطين.

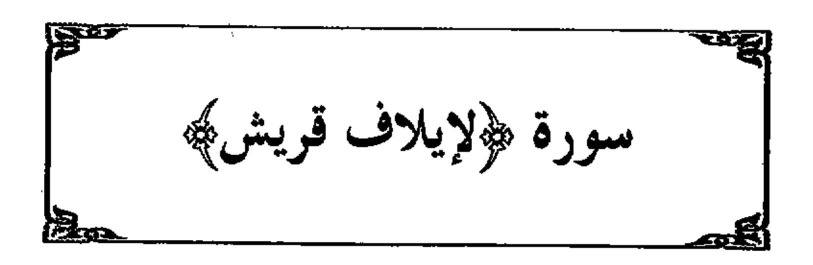
وأخرج في المعنى عن عكرمة وأبي الكنود، وعمران وجابر بن سابط وقتادة وهو **أحد** قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: بمعنى ترميهم بحجارة من سماء الدنيا وبه قال ابن زيد وسعيد بن أبي هلال.

وقال الفراء: كالاجر مطبوخ من طين.

والآية المشار إليها **﴿ترميهم بحجارة من سجيل﴾**.

آخر تفسير سورة الفيل.



٤٥٩ - سورة ﴿لإيلاف قريش﴾

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وهي مكية عند الجمهور وقال الضحاك والكلبي: هي مدنية.

وآياتها أربع آيات.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [**وقال مجاهد: ﴿لإيلاف﴾ الفوا ذلك، فلا يشق عليهم في الشتاء والصيف**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره بلفظ: (إيلافهم ذلك فلا يشق عليهم رحلة شتاء ولا صيف).

وأخرج عن ابن عباس قال: (نعمتي على قريش).

والآية المشار إليها ﴿**لإ يلاف قريش**﴾.

٢ - [﴿ **وآمنهم من خوف** ﴾ : **من كل عدوهم في حرمهم**].

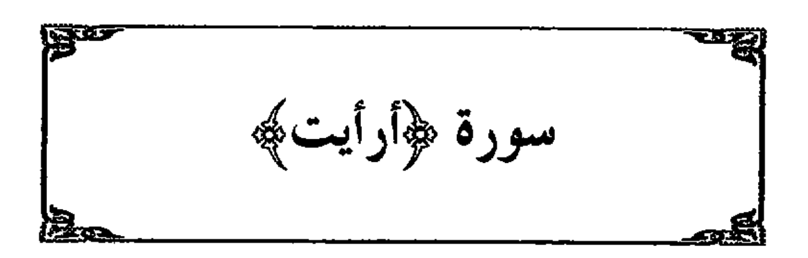
ش: أخرجه ابن جرير بإسناد ما قبله.

والآية المشار إليها : ﴿ **الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** ﴾

٣ - [**قال ابن عيينة: ﴿لإيلاف﴾: لنعمتي على قريش**].

ش: قال سعيد بن عبد الرحمن المخزومي عن ابن عيينة في تفسيره قال ﴿**لإيلاف قريش**﴾ قال: لنعمتي على قريش. حكاه في التغليق هنا.

آخر تفسير سورة قريش.



٤٦٠ - سورة ﴿أرأيت﴾

ش: وفي المصحف سورة الماعون وشاهد التسمية لكليهما واضح.
قال عطاء وجابر هي مكية وفي قول لابن عباس، وقال قتادة مدنية.
وآياتها سبع آيات.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿يدع﴾ يدفع عن حقه، يقال هو من دععت ﴿يدّعون﴾ يدفعون].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثني الحارث قال ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره بلفظ: (يدفع اليتيم فلا يطعمه).

وأما ما حكاه المصنف فقال أبو عبيدة: دععته دفعته وبعضهم يقول يدع مخففة وقال الفراء: من دععت وهو يدع يدفعه عن حقه ويظلمه،وكذلك **﴿يوم يدعون إلى نار جهنم﴾**.

والآية المشار إليها **﴿فذلك الذي يدع اليتيم﴾**.

٢ - [﴿ساهون﴾ لا هون].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله ضمن القائلين بأن معناه يتهاونون بها ويتغافلون عنها ويلهون وهم قتادة وابن زيد.

وهو **أحد** ثلاثة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: بمعنى أنهم يؤخرونها عن وقتها، فلا يصلونها إلا بعد خروج وقتها وهو قول سعد بن أبي وقاص وابن عباس وابن أبزى ومسروق وأبي الضحى.

وثالثها: بمعنى أنهم يتركونها فلا يصلونها وبه قال ابن عباس ومجاهد في الرواية الثانية عنهما.

واختار ابن جرير أن معناها يتغافلون عنها قال: وفي اللهو عنها والتشاغل بغيرها تضيعها أحياناً وتضيع وقتها أخرى.

قال مقيده هذا اختيار حسن يجمع القولين الأولين وأما الثالث فإنه بعيد عن ظاهر الآية.

والآية المشار إليها **﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾**.

٣ - [**والماعون المعروف كله**].

ش: أخرجه ابن جرير عن محمد بن كعب القرضي وبلفظ المصنف قال الفراء وهو أحد أربعة أقوال حكاها ابن جرير في الآية.

وثانيها: بمعنى الزكاة المفروضة وهو قول علي ومجاهد وابن عمر وسعيد بن جبير وقتادة والحسن.

وثالثها: أنه ما يتعاوره الناس بينهم من مثل الدلو والقدر ونحو ذلك وبه قال ابن مسعود وابن عباس وأبو مالك وهو الرواية الثانية عن مجاهد وسعيد بن جبير.

ورابعها: أنه المال وهو قول سعيد بن المسيب والزهري.

واختار ابن جرير أن معناه يمنعون الناس منافع ما عندهم، وأصل الماعون من كل شيء منفعته.

٤ - [**وقال بعض العرب: الماعون: الماء**].

ش: قال الفراء: وسمعت بعض العرب يقول الماعون هو الماء وانشدني فيه:

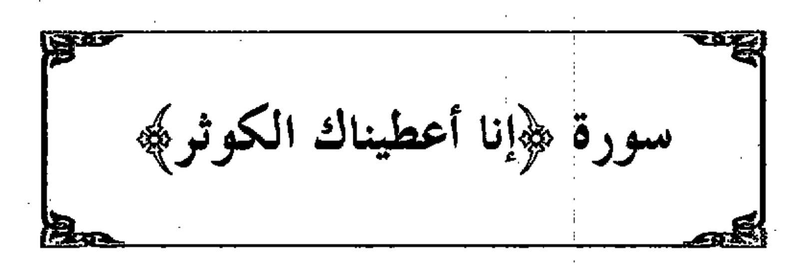
يمج صبيره الماعون صباً

٥ - [**وقال عكرمة: أعلاها الزكاة المفروضة وأدناها عارية المتاع**].

ش: قال سعيد بن منصور: ثنا أبو عوانة وهشيم عن إسماعيل بن سالم عن عكرمة قال: الماعون: أعلاها الزكاة المفروضة، وأدناها المتاع. حكاه في التغليق.

والآية المشار إليها ﴿**ويمنعون الماعون**﴾.

آخر تفسير سورة الماعون.



٤٦١ - سورة ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾

ش: شاهد التسمية واضح.

قال ابن عباس ومقاتل والكلبي: مكية وروى ابن مردوية عن ابن عباس وابن الزبير وعائشة أنها مكية، وقال الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة إنها مدنية.

وآياتها ثلاث آيات.

[وقال ابن عباس: ﴿شانئك﴾ عدوك].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وأخرج مثله عن سعيد بن جبير.

والآية المشار إليها **﴿إن شانئك هو الأبتر﴾**.

٤٧٩ - حدثنا آدم حدثنا شيبان حدثنا قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: (لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال: أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفاً، فقلت ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر).

٤٨٠ - حدثنا خالدبن يزيد الكاهلي[1] حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة[2] (عن عائشة رضي الله عنها قال: سألتها عن قوله تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ قالت: نهرٌ أُعطِيَه نبيكمﷺ، شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم) رواه زكريا وأبو الأحوص ومطرف عن أبي إسحاق.

٤٨١ - حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير (عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير: فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه).

---

(١) هو أبو الهيثم خالد بن يزيد بن زياد الأسدي الكاهلي الطبيب الكوفي صدوق مقرئ له أوهام من العاشرة، مات سنة اثنتي عشرة وقيل خمس عشرة ومائتين، خ.

(٢) هو أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود مشهور بكنيته والأشهر أنه لا إسم له غيرها ويقال اسمه عامر كوفي ثقة من كبار الثالثة والراجح أنه لا يصح سماعه من أبيه مات بعد سنة ثمانين، ع.

ش: فيها إحدى عشرة مسألة:

الأولى: قوله: «**لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء**» في الرقاق باب في الحوض من رواية همام (بينما أنا أسير في الجنة) وعند النسائي في تفسير السورة برواية حميد (دخلت الجنة).

الثانية: قوله: «**أتيت على نهر**» في الرقاق (إذا أنا بنهر) وعند الترمذي في تفسير السورة برواية الحكم بن عبد الملك (إذ عرض لي نهر).

الثالثة: قوله: «**حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفاً**» في الرقاق (حافتاه قباب الدر المجوف) وفي حديث عائشة المذكور بعده (شاطئاه عليه در مجوف والشاطئان الجانبان والحافتان.

الرابعة: قوله: «**فقلت ما هذا يا جبريل**» عند النسائي (فغرفت بيدي في مجرى ماءه، وإذا مسك إزفر قلت يا جبريل ما هذا) والمسك الأذفر هو طيب الريح والذفر بالتحريك يقع على الطيب والكريه، ويفرق بينهما بما يضاف إليه ويوصف به. قاله ابن الأثير.

الخامسة: قوله: «**هذا الكوثر**» زاد في الرقاق (الذي أعطاك ربك، فإذا طينة أو طيبه، مسك إذفر) وعند الترمذي (الذي أعطاكه الله قال ثم ضرب بيده إلى طينه فاستخرج مسكاً، ثم رفعت لي سدرة المنتهى فرأيت عندها نوراً عظيماً).

السادسة: قوله: «**سألتها عن قوله تعالى ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾**» عند النسائي من رواية مطرف (قلت لعائشة ما الكوثر).

السابعة: قوله «**نهر أعطيه نبيكم ﷺ**» وعند النسائي (نهر أعطيه رسول الله ﷺ في بطنان الجنة قلت وما بطنان الجنة قالت وسطها) وبطنان بضم الموحدة، وسكون المهملة بعدها نون، ووسط بفتح المهملة والمراد به أعلاها أي أرفعها قدراً أو المراد أعدلها.

الثامنة: قوله: «**شاطئاه عليه در مجوف**» عند النسائي (حافتاه در مجوف).

التاسعة: قوله: «**آنيته كعدد النجوم**» وعند المصنف في الرقاق من حديث عبد الله بن عمرو (وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبداً) وفيه من حديث أنس (وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء).

العاشرة: قوله: «**هو الخير الذي أعطاه الله إياه**» في الرقاق من رواية عمرو بن محمد (الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه).

الحادية عشرة: قوله: «**النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه**».

قلت: هذا التفسير من سعيد بن جبير جمع بين حديث ابن عباس وبين ما قيل في الباب.

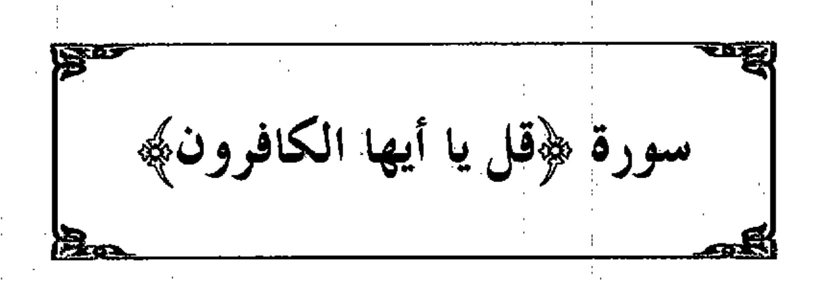
من فقه الأحاديث

أولاً: الإيمان بالإسراء والمعراج.

ثانياً: في هذه الأحاديث تفسير الكوثر وهو دليل على تفسير القرآن بالسنة.

ثالثاً: حرص السلف على فهم ما يشكل من المسائل.

آخر تفسير سورة الكوثر والحمد لله.



٤٦٢ - سورة ﴿**قل يا أيها الكافرون**﴾

ش: شاهد التسمية واضح.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة وب﴿**قل هو الله أحد**﴾ في ركعتي الطواف.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في ركعتي الفجر) رواهما مسلم.

وهي مكية في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة وإحدى الروايتين عن ابن عباس ومدنية في الرواية الثانية عن ابن عباس وهو قول قتادة والضحاك.

وآياتها ست.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [يقال ﴿لكم دينكم﴾ الكفر ﴿ولي دين﴾ الإسلام، ولم يقل ديني، لأن الآيات بالنون، فحذفت الياء، كما قال ﴿يهدين، ويشفين﴾].

ش: قاله الفراء . **قلت:** والمعنى أي لكم دينكم فلا تتركونه أبداً لأنه قد ختم عليكم، وقضي أن لا تنفكوا عنه، وأنكم تموتون عليه، ولي دين الذي أنا عليه لا أتركه أبداً، لأنه قد مضى في سابق علم الله أني لا أنتقل عنه إلى غيره. قاله ابن جرير.

وقال ابن القيم: وأما المسألة التاسعة وهي ما هي الفائدة في قوله (لكم دينكم ولي دين) وهل أفاد هذا معنى زائداً على ما تقدم، فيقال في ذلك من الحكمة والله أعلم: إن النفي الأول أفاد البراءة، وأنه لا يتصور منه ولا ينبغي له أن يعبد معبوديهم، وهم أيضاً لا يكون عابدين لمعبوده، وأفاد آخر السورة إثبات ما تضمنه النفي من جهتهم من الشرك والكفر الذي هو حظهم وقسمهم ونصيبهم، فجرى ذلك مجرى من اقتسم هو وغيره أيضاً، فقال له: لا تدخل في حدي ولا أدخل في حدك، لك أرضك، ولي أرضي. ا.هـ من بدائع الفوائد.

٢ - [وقال غيره: ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾ الآن، ولا اجيبكم فيما بقي من عمري].

ش: قاله أبو عبيدة.

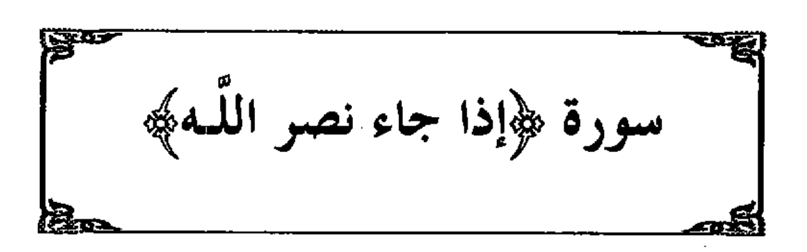
٣ - [﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ وهم الذين قال ﴿وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً﴾].

ش: قلت: جاءت هذه الآية في سورة المائدة مرتين:

إحداهما: قوله تعالى: **﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً﴾.**

والثانية قوله تعالى: ﴿**قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم، وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين**﴾ فأولى الآيتين في اليهود وثانيهما في أهل الكتاب عامة وهذا لا مراء فيه، وسبب نزول سورة قل يا أيها الكافرون كما رواه ابن جرير عن ابن عباس وغيره أن قريشاً عرضوا على النبي ﷺ أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا الله سنة) وهذا مشكل جداً على ما قاله المصنف رحمه الله ولا وجه له عندي إلا أن عرض المشركين على رسول الله ﷺ من الزيادة في الكفر والطغيان وسبب ذلك حسدهم إياه ما أنزل الله عليه وأنفتهم من اتباعه على دينه.

آخر تفسير سورة قل يا أيها الكافرون والحمد لله.



٤٦٣ - سورة ﴿إذا جاء نصر ا لله﴾ بسم ا لله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وفيها حديث عائشة رضي ا لله عنها عند المصنف قالت: ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه ﴿**إذا جاء نصر ا لله والفتح**﴾ إلا يقول فيها (سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفرلي).

وحديث ابن عباس وسيأتي.

وهي مدنية وأخرج ابن مردوية عن ابن عباس قال: نزلت ﴿**إذا جاء نصر ا لله والفتح**﴾ بالمدينة.

وآياتها ثلاث.

٤٨٢ - حدثنا الحسن بن الربيع[١] حدثنا أبو الأحوص عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق (عن عائشة رضي ا لله عنها قالت: ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه ﴿إذا جاء نصر ا لله والفتح﴾ إلا يقول فيها: سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي).

٤٨٣ - حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق (عن عائشة رضي ا لله عنها قالت: كان رسول ا لله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفرلي. يتأول القرآن).

ش: فيهما مسألتان:

الأولى: قوله «**ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه ﴿إذا جاء نصر ا لله والفتح﴾**» إلا يقول فيها سبحانك اللهم وبحمدك. اللهم اغفر لي) في الرواية الثانية (كان رسول ا لله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك. اللهم اغفر لي) قال بعض أهل العلم: اختار النبي ﷺ الصلاة لهذا الدعاء لأن حالها أفضل من غيرها.

وليس المراد التخصيص بالصلاة ويؤيده ما أخرجه مسلم في الصلاة من طريق الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة قالت: كان رسول ا لله ﷺ يكثر أن يقول قبل أن يموت سبحانك وبحمدك استغفرك وأتوب إليك) قالت قلت: يا رسول ا لله ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتها تقولها، قال جعلت لي علامة في أمتي إذا رايتها قلتها، **﴿إذا جاء نصر ا لله والفتح﴾** إلى آخر السورة.

---

(١) هو أبو علي الحسن بن الربيع البجلي الكوفي البغدادي ثقة من العاشرة مات سنة عشرين او إحدى وعشرين [ومائتين] ع.

الثانية: قوله «**يتأول القرآن**» قال النووي: معنى يتأول القرآن يعمل ما أمر به في قول الله عز وجل ﴿**فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً**﴾ وكان ﷺ يقول هذا الكلام البديع في الجزالة المستوفي ما أمر به في الآية.

قلت: والمراد بالقرآن الذي يتأوله بعضه وهو السورة المذكورة والذكر المذكور كما تدل عليه الرواية الأولى.

من فقه الحديثين

يؤخذ من هذين الحديثين إباحة الدعاء في الركوع وإباحة التسبيح في السجود، ولا يعارضه قوله ﷺ: (أما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا فيه من الدعاء) ويمكن أن يحمل حديث الباب على الجواز وذلك على الأولوية، ويحتمل أن يكون أمر في السجود بتكثير الدعاء لإشارة قوله (فاجتهدوا) والذي وقع في الركوع من قوله (اللهم اغفر لي) ليس كثيراً فلا يعارض ما أمر به في السجود. قاله ابن دقيق العيد (٢/ ٨٠).

٤٦٤ - [باب قوله ﴿ورأيت الناس يدخلون في دين ا لله أفواجاً﴾]

ش: قلت هذه الآية وإن كانت في وسط سورة **﴿إذا جاء نصر ا لله﴾** إلا أنها مرتبطة إرتباطاً وثيقاً بما قبلها وما بعدها فالسورة الكريمة متضمنة شيئين:

أحدهما: بشارة ا لله نبيه ﷺ بالنصر المبين والفتح العظيم ودخول الناس في دين ا لله أفواجاً أي جماعات والمعنى بالناس أهل الجزيرة ومن حولهم.

وثاني ذينك الشيئين: أمر ا لله نبيه بتسبيحه واستغفاره وهذا الأمر شكراً على ما أنعم به عليه من الفتح والنصر واظهار دينه وجملة **﴿إنه كان توابا﴾** تعليل لأمره ﷺ بالإستغفار أي من شانه التوبة على المستغفرين له يتوب عليهم ويرحمهم بقبول توبتهم وتوَّاباً من صيغ المبالغة، ففيه دلالة على أنه سبحانه مبالغ في قبول توبة التائبين.

٤٨٤ - حدثنا عبد ا لله بن أبي شيبة حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (أن عمر رضي ا لله عنه سألهم عن قوله تعالى: ﴿إذا جاء نصر ا لله والفتح﴾، قالوا: فتح المدائن والقصور، قال: ما تقول يا ابن عباس؟ قال: أجلٌ،أو مثلٌ ضُرِب لمحمدﷺ، نُعِيَتْ له نفسُه).

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله: «أن عمر سألهم عن قوله تعالى **﴿إذا جاء نصر ا لله والفتح﴾**» في الرواية الآتية: (كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله، فقال عمر إنه من حيث علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم قال: ما تقولون في قول ا لله تعالى: **﴿إذا جاء نصر ا لله والفتح﴾** وعند النسائي في تفسير السورة (أن عمر كان يسأل المهاجرين عن هذه الآية **﴿إذا جاء نصر ا لله والفتح﴾**) وعند الترمذي في تفسير السورة من رواية أبي بشر (كان عمر يسألني

مع أصحاب النبي ﷺ فقال له عبد الرحمن بن عوف، أتسأله ولنا بنون مثله فقال له عمر إنه من حيث تعلم فسأله عن هذه الآية ﴿**إذا جاء نصر ا لله والفتح**﴾).

والحاصل أن أمير المؤمنين لما رأى في نفوس القوم شيئاً من اشراكه ابن عباس معهم وهو حدث أراد أن يظهر بالبرهان فضل ابن عباس وغزارة علمه ودقة فهمه.

الثانية: قوله: «**قالوا فتح المدائن والقصور**» في الرواية الآتية (أمرنا نحمد ا لله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً) وفي المغازي باب منزل النبي ﷺ يوم الفتح من رواية أبي بشر (وقال بعضهم لا ندري أو لم يقل بعضهم شيئاً).

الثالثة: قوله: «**ما تقول يا ابن عباس**» في الرواية الآتية (فقال لي أكذاك تقول يا ابن عباس) وعند النسائي (قال عمر: ألا أعجبكم من ابن عباس، يا ابن عباس هلم، مالك لا تتكلم).

الرابعة: قوله: «**أجل، أو مثل ضرب لمحمد ﷺ نعيت له نفسه**» في الرواية الآتية (هو أجل رسول ا لله ﷺ أعلمه له قال فإذا جاء نصر ا لله والفتح وذلك علامة أجلك ﴿**فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً**﴾ فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول)، وفي المغازي (هو أجل رسول ا لله ﷺ أعلمه ا لله له ﴿**إذا جاء نصر ا لله والفتح**﴾ فتح مكة فذاك علامة أجلك). وزاد سعيد بن منصور عن هشيم عن أبي بشر في هذا الحديث في آخره (فقال عمر: كيف تلومونني على حب ما ترون).

من فقه الحديث

أولاً: فضل ابن عباس وسعة علمه ودقة فهمه.

ثانياً: فطنة عمر رضي ا لله عنه وحنكته.

ثالثاً: يسوغ للإمام اشراك الأصاغر في مجلسه إذا وجد منهم الكفاءة.

رابعاً: جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات، وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه في العلم.

خامساً: جواز تحديث المرء عن نفسه بمثل هذا لإظهار نعمة الله عليه وإعلام من لا يعرف قدره لينزله منزلته.

٤٦٥ - [باب قوله ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً﴾]

ش: تقدم شرحها في الباب قبله.

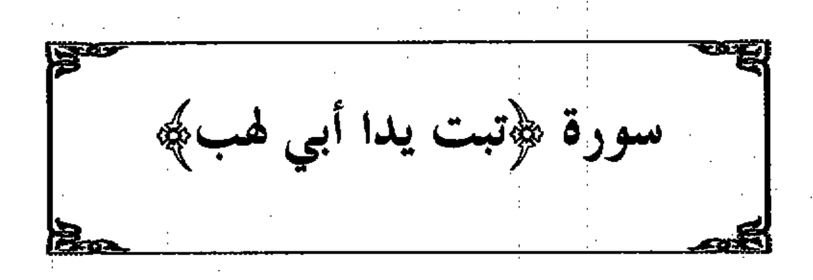
[﴿تواب﴾ على العباد، والتواب من الناس التائب من الذنب].

ش: قاله أبو عبيدة عند تفسير قوله تعالى **﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾**.

٤٨٥ - حدثنا موسى ابن اسماعيل ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيدعن ابن عباس قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأنّ بعضهم وجد في نفسه ، فقال : لِم تدخل هذا معنا ولنا أبناءٌ مثله فقال عمر : إنه من حيث علمتم ، فدعاه ذات يوم ، فأدخله معهم فمارأيت يومئذٍ إلا ليريهم قال ما تقولون في قول ا لله تعالى ﴿ إذا جاء نصر ا لله والفتح ﴾فقال بعضهم : أُمرنا أن نحمَد ا لله ونستغفره إذا نُصِرنا وفُتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا ، فقال لي : أكذلك تقول ياابن عباس؟ فقلت : لا، قال: فماتقول ؟ قلت: هو أجلُ رسول ا للهﷺ أعلمه له، قال :﴿ فإذا جاء نصر ا لله والفتح ﴾ وذلك علامة أجلِك ﴿ فسبِّح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ﴾ فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول .

ش : مضى شرحه في الباب قبله .

آخر تفسير سورة النصر و لله الحمد.



٤٦٦ - سورة ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وفيها حديث عن ابن عباس: عند المصنف وسيأتي.

والشاهد منه قوله: فنزلت ﴿**تبت يدا أبي لهب وتب**﴾ وتسمى المسد كما في المصحف وشاهده قوله تعالى ﴿**في جيدها حبل من مسد**﴾.

وهي مكية ويدل له الأحاديث الآتية في السورة.

وهي خمس آيات.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [﴿وتب﴾ خسر، ﴿تباب﴾ خسران].

ش: قاله الفراء وزاد: كما تقول للرجل: أهلكك الله وقد أهلكك أو تقول جعلك الله صالحاً، وقد جعلك.

وقوله ﴿**تباب**﴾ إشار إلى الآية السابعة والثلاثين من سورة غافر وهي **﴿وما كيد فرعون إلا في تباب﴾.**

٢ - [﴿تتبيب﴾ تدمير].

ش: قاله أبو عبيدة. وزاد: واهلاك وهو من قولهم تببته.

والآية المشار إليها هي الحادية بعد المائة من سورة هود.

٤٨٦ - حدثنا يوسف بن موسى حدثنا أبو أسامة حدثنا الأعمش حدثنا عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير (عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين، ورهطك منهم المخلصين،﴾ خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف: يا صباحاه. فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. قال أبو لهب: تباً لك، ما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام فنزلت: ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾. وقد تبَّ. هكذا قرأها الأعمش يومئذٍ).

ش: تقدم في تفسير سورة الشعراء ضمن الباب الستين بعد المائتين.

٤٦٧ - [باب قوله ﴿وتب، ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾]

ش: قلت: السياق هكذا ﴿تبت يدا أبي لهب وتب، ما أغنى عنه ما له وما كسب﴾.

والمعنى خسرت يدا أبي لهب وخسر هو وأي شيء أغنى عنه ما له ودفع من سخط الله عليه وما كسب وهم ولده.

قلت وأبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب فهو عم النبي ﷺ وفي الآية دليل على أن النسب لا يقرب من أبعده الدين.

٤٨٧ - ثنا محمد بن سلام: أخبرنا أبو معاوية: ثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء، فصعد إلى الجبل فنادى: يا صباحاه. فاجتمعت إليه قريش فقال: أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم. أكنتم تصدقوني؟ قالوا: نعم، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا تباً لك، فأنزل الله عز وجل ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ إلى آخرها).

ش: تقدم.

٤٦٨ - [باب قوله ﴿سيصلى ناراً ذات لهب﴾]

ش: هذا وعيد من الله لعدوه أبي لهب بأنه سوف يدخله النار وهو دليل على أنه يموت كافراً نعوذ بالله من سوء الخاتمة.

٤٨٨ - ثنا عمر بن حفص: ثنا أبي: ثنا الأعمش ثني عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال أبو لهب تباً لك ألهذا جمعتنا؟ فنزلت ﴿تبت يدا أبي لهب﴾).

ش: تقدم.

٤٦٩ - [باب ﴿وامرأته حمالة الحطب﴾]

ش: كما توعد جل وعلا عدوه أبا لهب بصليه إياه النار كذلك توعد زوجه أم جميل وقد وصفها سبحانه بوصفين أحدهما: أنها حمالة الحطب.

وفيه لأهل العلم بالتفسير قولان:

أحدهما: أنها كانت تجيء بالشوك فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ وهو قول ابن عباس ويزيد بن زيد الهمداني وعطية الجدلي والضحاك وابن زيد.

وثانيهما: أنها كانت تحطب الكلام وتمشي بالنميمة، وتعير النبي ﷺ بالفقر وبه قال عكرمة ومجاهد وقتادة وسفيان والمختار هو القول الأول لأنه أظهر في كلام العرب.

وثاني الوصفين: أنها في جيدها حبل من مسد والمعنى أنها في عنقها حبل من مسد وفي معناه أربعة أقوال لأهل العلم:

أولها: إنها حبال تكون بمكة وهو قول الضحاك وابن عباس وابن زيد.

وثانيها: إنها الليف وبه قال عروة ومجاهد وسفيان.

وثالثها: إنها الحديد الذي يكون في البكرة وهو قول عكرمة وهو الرواية الثانية عن مجاهد.

ورابعها: إنها قلادة من ودع وبه قال قتادة والصواب أنه حبل من أنواع مختلفة كذا قال ابن جرير، والآيتان برهان على أن أم جميل ستموت على الكفر مثل زوجها.

شرح جملة من الكلمات

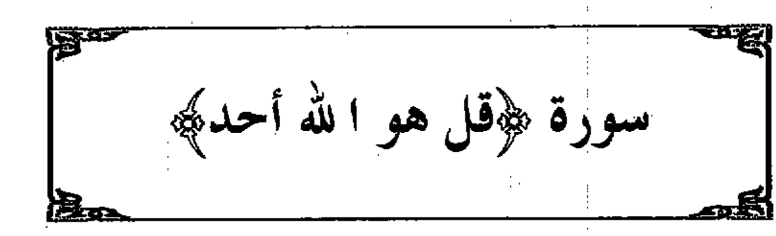
١ - [قال مجاهد: ﴿حمالة الحطب﴾ تمشي بالنميمة].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا ابن بشار: ثنا عبد الرحمن: ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

٢ - [﴿في جيدها حبل من مسد﴾ يقال من مسد ليف المقل وهي السلسلة التي في النار].

ش: قاله الفراء.

آخر تفسير سورة المسد و لله الحمد.



٤٧٠ - سورة ﴿قل هو الله أحد﴾

ش: وشاهد التسمية ظاهر في أول آية.

وقوله في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: عند المصنف وسيأتي: قوله (وأنا الأحد الصمد...الحديث).

وتسمى سورة الإخلاص لأنها اخلصت في التوحيد.

وفي فضلها ما أخرجه البخاري وأحمد وغيرهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن) يعني ﴿قل هو الله أحد﴾.

قال ابن القيم: والأحاديث في كونها تعدل ثلث القرآن تبلغ حد التواتر.

قال أهل العلم: والسر في كونها تعدل ثلث القرآن، أن القرآن يتضمن ثلاثة أشياء: وهي التوحيد والقصص والأحكام فهي خاصة في التوحيد ولذلك عدلت ثلث القرآن والله أعلم.

وهي مكية قاله ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر وهي إحدى الروايتين غن ابن عباس، ومدنية وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية عنه وهو قول قتادة والضحاك والسدي.

وهي أربع آيات.

[يقال: لا ينون أحد: أي واحد].

ش: قاله أبو عبيدة.

٤٨٩ - حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه (عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك. فأما تكذيبه إياي، فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته. وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كُفْواً أحد).

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله: «**قال الله**» في بدء الخلق باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿**وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده**﴾ من رواية سفيان (قال الله تعالى) وعند النسائي في تفسير السورة باب قوله ﴿**كما بدأنا أول خلق نعيده**﴾ من تفسير سورة الأنبياء من رواية ابن عجلان (قال الله عز وجل).

الثانية: قوله: «**كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك**» وعند النسائي (كذبني ابن آدم و لم يكن ينبغي له أن يكذبني).

الثالثة: قوله: «**وشتمني ولم يكن له ذلك**» في بدء الخلق (يشتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني).

الرابعة: قوله: «**فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته**» وفي تفسير البقرة من حديث ابن عباس (فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان) وعند النسائي (أما تكذيبه إياي فقوله إني لا أعيده كما بدأته وليس آخر الخلق بأعز علي من أوله).

قلت: وليس المراد به كـل بـني آدم بـل بعضهـم وهـم منكـروا البعـث مـن العرب وغيرهم وأعلم أن الأدلة على البعث في القرآن قد جاءت مبينة على ثلاثـة أحوال:

أحدها: تقرير كمال علم الرب سبحانه وتعالى كما قال في جواب من قال ﴿من يحيي العظام وهي رميم، قل يحيها الذي أنشـأها أول مـرة وهـو بكـل خلـق عليم.

وثانيها: تقرير كمـال قدرتـه كقولـه **﴿أو ليـس الـذي خلـق السـماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم﴾**.

وثالثها: كمال حكمته كقوله **﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لا عبين﴾**.

الخامسة: قوله: «**وأمـا شـتمه إيـاي فقولـه: اتخـذ ا لله ولـداً، وأنـا الأحـد الصمد لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفأً أحد**» في الرواية الآتية (وأما شتمه إيـاي أن يقول: اتخذ ا لله ولداً، وأنا الصمـد الـذي لم ألـد و لم أولـد و لم يكـن لي كفـؤاً أحد).(لم يلد و لم يولد، و لم يكن له كفواً أحد) وفي حديث ابن عباس (فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً) وعند النسائي (وأنـا ا لله الأحـد الصمـد... الخ) **قلـت**: وليس المراد كل بني آدم بل اليهود والنصارى وبعض مشركي العرب.

تنبيه

يلحظ القارئ أن في آخر حديث الباب زيادة لم تكن في حديث ابن عبـاس المتقدم في تفسير سورة البقرة ضمن الباب العاشر و لا تعارض فهـو محمـول علـى أن كلاً من الصحابيين حفظ ما لم يحفظه الآخر.

من فقه الحديث

أولاً: كفر منكري البعث.

ثانياً: تنزيه الرب جل وعلا عن النقائص.

ثالثاً: كمال غناه جل وعلا.

رابعاً: أن نسبة النقيصة إلى غير فاعلها شتم له وطعن فيه.

٤٧١ - [باب قوله ﴿الله الصمد﴾]

ش: يثني جل وعلا على نفسه بأنه الصمد.

والمعنى بضم الآية إلى سابقتها أنه هو المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له.

وقد اختلف أهل العلم في معنى الصمد على خمسة أقوال أخرجها ابن جرير:

أحدها: أنه الذي ليس بأجوف ولا يأكل ولا يشرب وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير وعكرمة والشعبي والضحاك وغيرهم.

وثانيها: هو الذي لا يخرج منه شيء وبه قال عكرمة في الرواية الثانية عنه.

وثالثها: هو الذي لم يلد ولم يولد وهو قول أبي العالية ومحمد بن كعب القرضي.

ورابعها: أنه السيد الذي قد انتهى في سؤدده وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية عنه.

وخامسها: أنه الباقي الذي لا يفنى وهو قول قتادة.

قلت والآية وحديث الباب نص في الثالث من هذه الأقوال وليس بينه وبين الرابع والخامس منافاة فالله هو السيد الكامل في السؤدد وهو الباقي الذي لا شيء يبقى سواه.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [والعرب تسمي أشرافها الصمد)].

ش: قاله أبو عبيدة. وزاد قال الأسدي:

لقد بكر الناعي بخير بني أسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وقال الزبرقان: ولا رهيتة إلا سيد صمد.

٢ - [قال أبو وائل: هو السيد الذي انتهى سؤدده].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني أبو السائب: ثني أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق فذكره.

وقد تقدم من قال به في القول الرابع.

٤٩٠ - حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة قال: (قال رسول الله ﷺ: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك. أما تكذيبه إياي أن يقول إني لن أعيده كما بدأته، وأما شتمه إياي أن يقول اتخذ الله ولداً، وأنا الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد) ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾.

ش: تقدم شرحه في الباب قبله.

[كفؤاً وكَفيئاً وكِفاءً واحد].

ش: قاله أبو عبيدة.

آخر تفسير سورة الإخلاص.

سورة ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾

٤٧٢ - سورة ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وفيها حديث أبي عند المصنف وسيأتي.

قال الحسن وعكرمة وعطاء وجابر هي مكية، وفي إحدى الروايتين عن ابن عباس أنها مدنية وهو قول قتادة.

وهي خمس آيات.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿غاسق﴾ الليل].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثني الحارث: ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وهو قول ابن عباس والحسن والقرضي وهو **أحد** ثلاثة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: أنه الكوكب وأنه الثرياء وبه قال أبو هريرة وابن زيد.

وثالثها: أنه القمر وهو قول عائشة ويزيد بن هارون.

واختار ابن جرير أول هذه الأقوال فقال وهو الذي يظلم يقال غسق الليل يغسق غسوقاً، إذا أظلم.

وعندي أنه لا منافاة بين هذه الأقوال الثلاثة لأن ظاهر الآية أمر النبي ﷺ بالإستعاذة من كل مضيء إذا أظلم.وا لله أعلم.

٢ - [﴿إذا وقب﴾ غروب الشمس].

ش: أخرجه ابن جرير: بهذا اللفظ عن محمد بن كعب القرضي.

٣ - [يقال: أبين من فرق وفلق الصبح].

ش: قاله الفراء. والفلق بفتحتين هو ضوء الصبح.

٤ - [﴿وقب﴾ إذا دخل في كل شيء وأظلم].

ش: قاله الفراء وزاد: ويقال غسق وأغسق.

٤٩١ – حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا سفيان عن عاصم وعبدة عن زر بن حبيش قال: (سألت أبي بن كعب عن المعوذتين فقال سألت النبي ﷺ فقال: قيل لي فقلت. فنحن نقول كما قال رسول ا لله ﷺ).

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى قوله «**سألت أبي بن كعب عن المعوذتين**» في الرواية الآتية (سألت أبي بن كعب قلت: يا أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا) وأبو المنذر كنية أبي رضي الله عنه وله كنية أخرى وهي أبو الطفيل.

وقوله «**كذا وكذا**» هكذا وقع هذا اللفظ مبهماً عند البخاري والنسائي في التفسير وغيرهما وكأن بعض الرواة أبهمه استعظاماً له، وقد صرح به سفيان عند أحمد ولفظه: (قلت لأبي إن أخاك يحكها من المصحف) وقد أخرجه أحمد ج٥ ص١٣٠ وابن حبان (٧٧/٣) كلاهما من طريق حماد بن سلمة عن عاصم عن زر قال قلت لأبي بن كعب إن ابن مسعود لا يكتب في مصحفه المعوذتين).

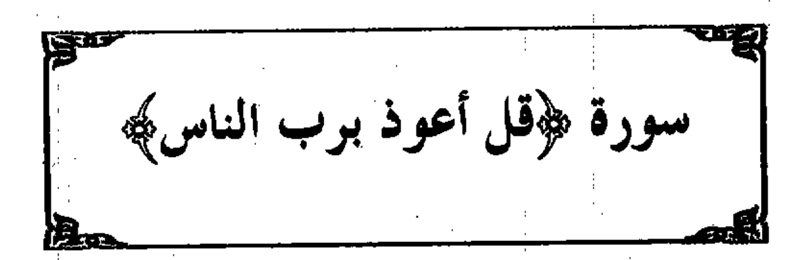
الثانية: قوله: «**سألت رسول الله ﷺ فقال قيل لي فقلت**» وفي رواية عاصم عند ابن حبان (قال لي رسول الله ﷺ قال لي جبريل (قل أعوذ برب الفلق) فقلتها وقال لي ﴿**قل أعوذ برب الناس**﴾ فقلتها).

الثالثة: قوله: «**فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ**» عند ابن حبان (فنحن نقول ما قال رسول الله ﷺ).

قال البزار: ولم يتابع ابن مسعود على ذلك أحد من الصحابة وقد صح عن النبي ﷺ أنه قرأهما في الصلاة.

قلت: وقد أخرج مسلم في باب فضل قراءة المعوذتين من كتاب صلاة المسافرين من حديث عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ (ألم تر آيات أنزلت الليلة، لم ير مثلهن قط، ﴿**قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس**﴾ زاد ابن حبان (إنك لن تقرأ شيئاً أبلغ عند الله من ﴿**قل أعوذ برب الفلق**﴾) وعنده من حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ: (اقرأ يا جابر) قال قلت: ما أقرأ بأبي وأمي أنت قال ﴿**قل أعوذ برب الفلق**﴾ ﴿**وقل أعوذ برب الناس**﴾ فقرأتهما فقال ﷺ (اقرأ بهما ولن تقرأ بمثلهما) **قلت**: فصح بهذا أن المعوذتين سورتان من سور القرآن.

آخر تفسير سورة الفلق والحمد لله.



٤٧٣ - سورة ﴿**قل أعوذ برب الناس**﴾

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وفيها حديث أبي عند المصنف وسيأتي.

قال ابن عباس: أنزل بمكة ﴿**قل أعوذ برب الناس**﴾ أخرجه ابن مردوية وعن ابن الزبير قال: أنزل بالمدنية ﴿**قل أعوذ برب الناس**﴾ أخرجه ابن مردوية.

وآياتها ست آيات.

[ويذكر عن ابن عباس: ﴿الوسواس﴾ إذا ولد خنسه الشيطان. فإذا ذكر ا لله عز وجل ذهب، وإذا لم يذكر ا لله ثبت على قلبه].

ش: أخرجه ابن جرير والحاكم في المستدرك (٥٤١/٢) واللفظ لابن جرير كلاهما من طريق سفيان الثوري عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ (ما من مولود إلا على قلبه الوسواس فإذا عقل فذكر ا لله خنس، وإذا اغفل وسوس فذلك قوله ﴿**الوسواس الخناس**﴾) وفي إسناده حكيم بن جبير الأسدي الكوفي ضعيف، قال الحافظ: «أخرج سعيد بن منصور من وجه آخر عن ابن عباس ولفظه (يولد الإنسان والشيطان جاثم على قلبه، فإذا عقل وذكر اسم ا لله خنس وإذا غفل وسوس) وجاثم بجيم ومثلثة، وعقل الأولى بمهملة وقاف والثانية بمعجمة وفاء ولأبي يعلى من حديث أنس نحوه مرفوعاً وإسناده ضعيف» ا.هـ

قلت: ويبدو لي أن الخبر بمجموع طرقه إلى ابن عباس لا يقل عن درجة الحسن لغيره. وا لله أعلم.

٤٩٢ - ثنا علي بن عبد ا لله حدثنا سفيان حدثنا عبدة بن أبي لبابة عن زر بن حبيش ح. وحدثنا عاصم عن زر قال: (سألت أبي بن كعب قلت: أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا. فقال أبي: سألت رسول ا لله ﷺ فقال لي: قيل لي، فقلت. قال: فنحن نقول كما قال رسول ا لله ﷺ).

ش: تقدم في الباب قبله.

تم بحمد ا لله وتوفيقه ما يسر ا لله لنا جمعه وتحريره في هذا الكتاب وكان الفراغ منه ضحى الأربعاء التاسع والعشرين من ذي القعدة لعام ستة عشر وأربعمائة وألف من هجرة المصطفى ﷺ بالمدينة النبوية وا لله نسأل أن ينفع به كاتبه وقارئه وصلى ا لله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

كتبه

عبيد بن عبد الله الجابري

المدرّس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

الفهارس

فهرس الأحاديث

فهرس المراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الأحاديث

الحديث | رقم الحديث

ثبت المراجع مرتب حسب حروف الهجاء

١- الإتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي - ط. المكتبة الثقافية. بيروت
٢- الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان - ابن بلبان الفارسي - ط. الرسالة. تحقيق شعيب الأرناؤط.
٣- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام - ابن دقيق العيد - ط. دار الكتب العلمية.
٤- إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري - أحمد بن محمد القسطلاني. دار الكتاب العربي - بيروت.
٥- أسباب النزول - أبو الحسن علي بن محمد الواحدي - دار القبلة للثقافة الإسلامية.
٦- الإصابة في تمييز الصحابة - ابن حجر العسقلاني - دار الكتب العلمية. بيروت.
٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - محمد الأمين الشنقيطي - مطبعة المدني.
٨- إعلام الموقعين - ابن القيم الجوزية - دار الجيل .
٩- ألفية الحديث - أبو الفضل زين الدين عبدالرحيم العراقي - مكتبة السنة.
١٠- ألفية ابن مالك - محمد بن عبدا لله بن مالك الأندلسي - مكتبة السوادي.
١١- الأم - محمد بن إدريس الشافعي - دار المعرفة.
١٢- الإنصاف بمعرفة الراجح من الخلاف - علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٣- الإيمان ـ محمد بن إسحاق بن مندة ـ تحقيق علي بن ناصر فقيهي ـ ط. الجامعة الإسلامية.
١٤- البحر الزخار المعروف بمسند البزار ـ أبو بكر أحمد بن عمرو البزار ـ تحقيق محفوظ الرحمن زين الله ـ مؤسسة علوم القرآن ـ بيروت.
١٥- بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية ـ جمع يسري السيد محمد ـ دار ابن الجوزي.
١٦- البرهان في علوم القرآن ـ بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي ـ دار المعرفة ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
١٧- بلوغ المرام ـ ابن حجر العسقلاني ـ دار الكتب العلمية ـ.
١٨- التبصرة في القراءات السبع ـ مكي ابن أبي طالب ـ الدار السلفية.
١٩- التبيان في أقسام القرآن ـ ابن قيم الجوزية ـ مكتبة الرياض الحديثة ـ.
٢٠- تحرير الأحكام بتدبير أمر أهل الإسلام ـ بدر الدين بن جماعة ـ.
٢١- تغليق التعليق ـ ابن حجر العسقلاني ـ المكتب الإسلامي ـ تحقيق سعيد عبدالرحمن القزقي.
٢٢- تفسير ابن أبي حاتم ـ عبدالرحمن بن أبي حاتم ـ مخطوط.
٢٣- تفسير عبدالرزاق ـ عبدالرزاق الصنعاني ـ تحقيق الدكتور مصطفى مسلم محمد ـ مكتبة الرشد.
٢٤- تفسير ابن عيينة ـ جمع وتحقيق أحمد صالح محايري ـ المكتب الإسلامي.
٢٥- تفسير القرآن العظيم ـ أبو الفداء إسماعيل ابن كثير ـ مكتبة المعارف.
٢٦- تفسير محمد بن كعب القرظي ـ جمع المؤلف ـ مطبوع بالآلة الكاتبة.
٢٧- تفسير النسائي ـ أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي ـ تحقيق سيد الجليمي ـ مكتبة السنة.
٢٨- تقريب التهذيب ـ ابن حجر العسقلاني ـ دار الرشيد ـ تحقيق محمد عوامة.

٢٩- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد - أبو عمر بن عبدالبر - مؤسسة قرطبة -.

٣٠- تهذيب السنن - ابن قيم الجوزية - تحقيق أحمد شاكر - مكتبة السنة المحمدية.

٣١- التوحيد - ابن مندة - تحقيق علي بن ناصر فقيهي - ط. الجامعة الإسلامية بالمدينة.

٣٢- تيسير العزيز الحميد - سليمان بن عبدالله. المكتب الإسلامي.

٣٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبدالرحمن بن ناصر السعدي - دار المدني - جدة.

٣٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن - محمد بن جرير الطبري - دار الفكر.

٣٥- الجامع لأحكام القرآن - القرطبي -

٣٦- جامع الأصول في أحاديث الرسول - ابن الأثير - ط. دار إحياء التراث العربي.

٣٧- الجامع لشعب الإيمان - البيهقي - الدار السلفية - تحقيق عبدالعلي عبدالحميد -

٣٨- جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام - ابن القيم - ط. دار ابن كثير. تحقيق محي الدين مستو -.

٣٩- حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع - عبدالرحمن بن محمد بن قاسم -.

٤٠- الدرر السنية في الأجوبة النجدية - جمع عبدالرحمن بن قاسم -

٤١- دلائل النبوة - البيهقي - دار الكتب العلمية.

٤٢- الرحبية في علم الفرائض - محمد بن عمر الشافعي - دار كاتب وكتاب.

٤٣- رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت - عبيدا لله بن سعيد بن حاتم السجزي - المجلس العلمي للجامعة - تحقيق محمد باكريم - الجامعة الإسلامية.
٤٤- زاد المسير في علوم التفسير - ابن الجوزي - المكتب الإسلامي.
٤٥- زاد المعاد في هدي خير العباد - ابن القيم - مؤسسة الرسالة - تحقيق شعيب الأرناؤط وعبدالقادر الأرناؤط.
٤٦- الزواجر عن اقتراف الكبائر - ابن حجر الهيتمي - دار المعرفة - بيروت.
٤٧- سنن أبي داود - الحافظ أبو داود - دار الحديث - تعليق. الدعاس.
٤٨- سنن الترمذي - أبو عيسى الترمذي - مصطفى البابي - تحقيق أحمد شاكر.
٤٩- سنن الدارقطني - علي بن عمر الدارقطني - دار المحاسن - تحقيق عبدا لله هاشم.
٥٠- سنن الدارمي - الحافظ الدارمي - ط. حديث أكاديمي - تحقيق عبدا لله هاشم.
٥١- سنن سعيد بن منصور - سعيد بن منصور الخرساني - دار الكتب العلمية - تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي -
٥٢- السنة لابن أبي عاصم - أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني - المكتب الإسلامي - الألباني.
٥٣- السنة لعبدا لله بن أحمد - عبدا لله بن أحمد بن حنبل - دار ابن القيم - تحقيق محمد القحطاني.
٥٤- سنن أبي داود - الحافظ أبو داود - دار الحديث - تعليق. الدعاس
٥٥- السنن الكبرى - الإمام البيهقي - دار المعرفة.
٥٦- السنن الكبرى للنسائي - الإمام النسائي - دار الكتب العلمية.
٥٧- سنن أبي داود - الحافظ أبو داود - دار الحديث - تعليق. الدعاس سنن النسائي - الإمام النسائي - دار المعرفة - تحقيق مكتب التراث الإسلامي.

٥٨- سير أعلام النبلاء - الحافظ الذهبي - مؤسسة الرسالة.
٥٩- السيرة النبوية - ابن هشام - مطبعة البابي الحلبي. مصر.
٦٠- شرح السنة للبغوي - الإمام البغوي - المكتب الإسلامي. تحقيق : زهير الشاويش وشعيب الأرناؤط.
٦١- شرح العقيدة الطحاوية - علي بن علي بن محمد ابن أبي العز - المكتب الإسلامي - الألباني.
٦٢- شرح مشكل الآثار - الإمام الطحاوي - مؤسسة الرسالة - تحقيق شعيب الأرناؤط.
٦٣- الشريعة - الإمام الآجري - دار الكتب العلمية. بيروت - تحقيق محمد حامد الفقي.
٦٤- شفاء العليل - ابن القيم - دار الكتب العلمية.
٦٥- صحيح ابن خزيمة - الإمام ابن خزيمة - تحقيق مصطفى الأعظمي - المكتب الإسلامي.
٦٦- صحيح البخاري - الإمام البخاري - دار ابن كثيرة. تحقيق مصطفى البغا.
٦٧- صحيح البخاري بشرح الكرماني - الإمام الكرماني - دار إحياء التراث العربي.
٦٨- صحيح مسلم - الإمام مسلم بن الحجاج - دار إحياء التراث العربي - ترتيب محمد فؤاد عبدالباقي.
٦٩- صحيح مسلم بشرح النووي - الإمام النووي - دار الفكر.
٧٠- صفة صلاة النبي ﷺ - محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي.
٧١- الضوء المنير علي التفسير - ابن القيم - جمع علي الصالحي - مؤسسة النور.
٧٢- الطبقات الكبرى - ابن سعد - ط. دار صادر.
٧٣- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية - ابن القيم - مكتبة المؤيد
٧٤- العقيدة الواسطية - ابن تيمية -.

٧٥- عمدة القاري بشرح صحيح البخاري - محمود بن أحمد العيني - ط. مصطفى البابي.
٧٦- فتح الباري في شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني - دار المعرفة.
٧٧- فتح البيان في مقاصد القرآن - صديق حسن القنوجي - المكتبة العصرية.
٧٨- فتح القدير - الإمام الشوكاني - ط. مصطفى البابي الحلبي.
٧٩- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية - دار أولي النهى.
٨٠- الفرق بين الفرق - عبدالقاهر محمد البغدادي - دار المعرفة - تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد.
٨١- فضائل الصحابة - الإمام أحمد بن حنبل - مطبوعات جامعة أم القرى - تحقيق وصي الله عباس.
٨٢- الفوائد - ابن القيم - دار الكتب العلمية. بيروت.
٨٣- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى - محمد الصالح بن عثيمين - الجامعة الإسلامية.
٨٤- كتاب التوحيد - محمد بن عبدالوهاب - مكتبة المعارف.
٨٥- كتاب الصلاة - ابن القيم - المكتب الإسلامي - تحقيق تيسير زعيتر.
٨٦- كشف الشبهات - محمد بن عبدالوهاب - الجامعة الإسلامية.
٨٧- الكشف عن وجوه القراءات السبع - مكي بن أبي طالب. مؤسسة الرسالة - تحقيق محي الدين رمضان.
٨٨- الكشاف - الزمخشري - دار المعرفة -.
٨٩- لسان العرب - ابن منظور - دار المعارف.
٩٠- مجاز القرآن - أبو عبيدة معمر بن المثنى - مؤسسة الرسالة.
٩١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - الهيثمي - دار الكتاب العربي.

٩٢ـ مجموع الفتاوى ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ جمع عبدالرحمن بن قاسم. مكتبة النهضة الحديثة. مصر.
٩٣ـ المجموع شرح المهذب ـ الإمام النووي ـ دار الفكر.
٩٤ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ـ ابن عطية الأندلسي ـ مكتبة ابن تيمية.
٩٥ـ مدارج السالكين ـ ابن القيم ـ دار الكتب العلمية.
٩٦ـ المستدرك ـ أبو عبدالله الحاكم البيع ـ دار المعرفة.
٩٧ـ مسند أحمد ـ الإمام أحمد ـ دار الفكر العربي.
٩٨ـ مسند أبي داود ـ الإمام أبي داود الطيالسي ـ دار
٩٩ـ مسند أبي يعلى ـ الإمام أبو يعلى الموصلي ـ دار المؤمون للتراث.
١٠٠ـ مصنف ابن أبي شيبة ـ الإمام ابن أبي شيبة ـ إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ـ كراتشي.
١٠١ـ معالم التنزيل ـ الإمام البغوي ـ دار المعرفة ـ بيروت.
١٠٢ـ المعجم الكبير ـ الإمام الطبراني ـ تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي.
١٠٣ـ المغني في الفقه ـ عبدالله بن أحمد بن قدامة ـ مكتبة الرياض الحديثة.
١٠٤ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ـ عبدالله بن هشام ـ دار الباز.
١٠٥ـ المفردات في غريب القرآن ـ الراغب الأصفهاني ـ دار الفكر.
١٠٦ـ المفهم لما أشكل في صحيح مسلم ـ أبو العباس أحمد القرطبي ـ دار ابن كثير.
١٠٧ـ معالم السنن ـ الخطابي ـ تحقيق أحمد شاكر ـ مكتبة ابن تيمية.
١٠٨ـ معاني القرآن ـ أبو زكريا يحيى بن زياد الفرا ـ عالم الكتب.
١٠٩ـ مفتاح دار السعادة ـ ابن القيم ـ دار الكتب العلمية.
١١٠ـ الملل والنحل ـ محمد بن عبدالكريم الشهرستاني ـ مكتبة الرياض الحديثة.
١١١ـ منهاج السنة النبوية ـ ابن تيمية ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١١٢- الموضوعات - ابن الجوزي - مكتبة ابن تيمية - تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان.
١١٣- الموطأ - الإمام مالك - ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي - دار إحياء التراث العربي.
١١٤- النشر في القراءات العشر - ابن الجزري - دار الكتاب العربي - تحقيق محمد الدمشقي.
١١٥- النهاية في غريب الحديث - ابن الأثير - المكتبة العلمية - بيروت - تحقيق ظاهر أحمد.
١١٦- نيل الأوطار - الإمام الشوكاني - دار الجيل.